

محمد جواد مغنیه

النفس المبررة

عنتز الدين
لطباعة والنشر



محمّد جواد مغنّية

التفسير المبين

طبعة ثانية مُنقّحة ومزيّدة

١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

جميع الحقوق محفوظة

مؤسسة
عز الدين
للطباعة والنشر

هاتف: ٢٧٣٦٣٦ - ٢٧٥٥٣٢ - ٢٧٥٥٦٣ - ٢٧٥٨٦٧ - صرب: ١٥/٥٢ ١٣ بيروت - لبنان

سورة الفاتحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة فاتحة الكتاب

(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ①
 الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ②
 مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ③
 إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ ④
 نَسْتَعِينُ ⑤
 اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ⑥
 صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ ⑦
 عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ⑧

مكية وإياتها سبع

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ البسملة آية من السورة، واسم الجلالة «الله» أصله إله، فحذفت الهمزة، وعُوِضَ بـ«ال» التعريف فصار اللفظ «الله» ويختص بمن حقت له العبادة دون غيره. أما الرحمن الرحيم فقد ورد عن الصادق (ع) أنه قال: «الرحمن» اسم خاص بصفة عامة، و«الرحيم» اسم عام بصفة خاصة، أي أن الرحمن اسم عَلَّمَ على ذات الله وحده، ولا يطلق على غيره، ولذا تقدم على الرحيم، ولكن صفة الرحمة فيه نعم المؤمن والكافر من حيث الخلق والرزق في الحياة الدنيا، والرحيم اسم عام حيث يطلق على الخالق. والمخلوق، وصفة الرحمة فيه تختص بالمؤمن المطيع يوم القيامة.

٢- ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الحمد والمدح بمعنى واحد، وهو الثناء باللسان، أما الشكر فيكون بالقلب واللسان ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ والرب هو السيد المالك، والعالمين الخلق كله، وكلمة الرب بلا قيد لا تطلق إلا عليه تعالى، وتطلق على غيره مع القيد كرب الدار ورب الضيعة.

٣- ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ مرّ معنا.

٤- ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ويجوز مَلِكُ كقوله تعالى: «مَلِكِ النَّاسِ» والمراد: أن الله يملك الأمر كله ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾ أي يوم الجزاء من قولهم کیا تدين تدان.

٥- ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أيًا: مفعول نعيد، والكاف حرف خطاب لا محل لها من الإعراب، والمعنى نعبدك، وتقدم المفعول بقصد اختصاص العبادة بالله وحده، ومثله ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي لا نطلب المعونة إلا منك.

٦- ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ هذه الآية بيان وتفسير للآية قبلها، والمعنى أن المعونة التي نطلبها منك يا إلهنا هي الهداية إلى الطرق المؤدية إلى مرضاتك وجنتك، ولي من شك أن الطريق إلى ذلك معرفة الدين الخفيف والعمل به.

٧- ﴿صِرَاطَ﴾ هذا السراط هو عين الصراط الأول وبدل منه، لأنه صراط ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بالخلق والرزق والهداية. إلى الحق والسلامة من غضب الله ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ ومعنى غضبه تعالى الإنتقام منهم وإنزال العقاب بهم ﴿وَالضَّالِّينَ﴾ والضلال في الدين الانحراف عن الحق.

سورة البقرة المدنية

(٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىكَ الْكِتَابَ لَا رَيْبَ فِيهِ
هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ
وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝
وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ
مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝

وَايَاتُهَا مِائَتَانِ وَسِتُّونَ وَهَاتُونَ

سُورَةُ الْبَقَرَةِ مكية وآياتها ٢٨٦

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

١- ﴿الْم﴾ هذا اللفظ المركب من حروف الهجاء ونظائره مثل «الر، وحم» وغير ذلك - يسمى فواتح السور، واختلف فيه المفسرون فقيل: هو اسم للسورة.. ولكن ورد عن أئمتنا (ع) أنه من التشابهات والمبهمات التي استأثر الله بعلمها ولا يعلم تأويلها غيره.

٢- ﴿ذلك الكتاب﴾ إشارة إلى القرآن الكريم ﴿لا ريب فيه﴾ حيث بلغ الغاية والنهاية في وضوح الدلالة على صدقه، لأنه المعجزة الإلهية التي تحدى بها سبحانه كل جاحد ومعاند ﴿هدى للمتقين﴾ والهدى هو الدليل المرشد إلى التي هي أقوم، والمتقين جمع المتقي، والمراد بهم هنا الذين يرغبون في طاعة الله ورسوله، ويعدونها ذخراً ونصراً.

٣- ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ المراد بهذا الغيب كل ما خفي وغاب عن علم العباد مما نزل على قلب محمد (ص)

كالبعث والنشر والجنة والنار وما إلى ذلك مما لا يتكره العقل، أما ما يرفض العقل السليم فلا يسمى غيباً، بل أسطورة وخرافة ﴿ويقومون الصلاة﴾ يحافظون عليها، ويؤدونها على أصولها ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ يتصدقون ببعض ما يملكون من المال الحلال الطيب.

٤- ﴿والذين يؤمنون بما أنزل إليك﴾ الخطاب لرسول الله (ص) والمعنى: لا بد أن يكون مع الإيمان بالغيب وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، الإيمان بنبوتك يا محمد ﴿وما أنزل من قبلك﴾ وأيضاً لا بد من الإيمان بكل نبي آمن أنت بنوته وما أنزل إليه من الرحي ﴿وبالآخرة هم يوقنون﴾ هذا هو الأصل الثالث من أصول الإسلام، فمن آمن بالله ونبوة محمد، ولم يؤمن بالآخرة فليس بمسلم، وكذلك من آمن بالله واليوم الآخر، ولم يؤمن بنبوة محمد صلى الله عليه وآله.

٥ - ﴿أُولَئِكَ﴾ إشارة إلى الذين اتصفوا بالخصال السابقة النبيلة الفاضلة ﴿على هدى من ربهم﴾ أبداً لا هدى إلا هدى الله وحده ، وأهل تلك الخصال الحميدة متمكنون منه ومستقرون عليه ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ كرر سبحانه كلمة أولئك للتنبيه إلى أنهم قد تميزوا عن غيرهم بفضيلتين :

الهدى إلى دين الحق والفلاح والظفر بمرضاة الله وثوابه .

٦ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ سواء بمعنى الاستواء وهو هنا خبر إن الذين ، والإنذار : التحذير من العذاب ، لما قدم سبحانه ذكر الأتقياء عقبه بذكر الأشقياء ، وأنهم لا يستجيبون الداعي الله ، وإن بالغ في الوعيد والتهديد .

٧ - ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ الختم والغشاوة هنا كناية عن أنهم قد بلغوا الغاية القصوى في العناد والمكابرة حتى كأن قلوبهم مقفلة لا ينفذ إليها شيء ، وعلى أبصارهم غطاء لا يرون معه شيئاً .

٨ - ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ذكر سبحانه أولاً الذين آمنوا سراً وعلانية ، ثم ثنى بالذين كفروا كذلك قلباً ولساناً ، ثم ثلث بالذين أسروا الكفر وأعلنوا الإيمان ، وهم المنافقون ، وذنبهم عند الله سبحانه أعظم من ذنب الكفرة الفجرة ..

٩ - ﴿يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ إن الله لا يخدع ، ولكن المنافقين صنعوا صنع الخادعين حيث تظاهروا بالإيمان وهم كافرون ، فأمر الله نبيه والصحابه أن يعاملوهم معاملة المسلمين ، وغداً يجري سبحانه معهم حساب المشركين ﴿وما يخدعون إلا أنفسهم﴾ لأن عاقبة النفاق والخداع تعود عليهم بالضرر لا على غيرهم ﴿وما يشعرون﴾ سوء

المصير

١٠ - ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ ومرض القلب هو النفاق والاعتقاد الفاسد والحسد والحسد ونحو ذلك من الرذائل ﴿فَرَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ وذلك بأن المنافقين حسدوا النبي على عظيم مقامه ، فزاده الله عظمة وعلواً . فازدادوا حسداً يكذبون فيه إشارة إلى أن الإنسان لا يُعَذَّبُ على مجرد على حسد أي مرضاً على مرض ﴿ولهم عذاب أليم بما كانوا الحسد ما دام في القلب فقط ، وإنما يُعَذَّبُ إذا ظهر للحسد أثر محسوس كالكذب والافتراء على المحسود ونحو ذلك .

١١ - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ كان المنافقون يتجسسون على المسلمين ، ويفشون أسرارهم للأعداء ، وإذا نوا عن هذا الفساد ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ خالصون من كل عيب ، فإذا بهذا الزعم فساد إلى فساد .

١٢ - ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ لا يرون ما هم فيه من عيوب وعورات .

١٣ - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمَنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾ أي صدقوا رسول الله (ص) كما صدقه إخوانكم وأصحابكم كعبد الله بن سلام وغيره ﴿قَالُوا أُنَؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ السفه : خفة الحلم وسخافة العقل ، أما النفاق فهو : فساد العقيدة ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾ أي يجهلون أنهم جاهلون وهذا أبلغ الذم .

أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾
خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى
أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾
وَمِنَ النَّاسِ
مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾
يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ اللَّهَ أَنفُسَهُمْ
وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا
وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١١﴾
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١٢﴾
أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٣﴾
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
آمَنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ
السُّفَهَاءُ ﴿١٤﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٥﴾

وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ
قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ
بِهِمْ وَيُعَذِّبُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ
اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا
مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا
أُضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ
لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّ بَكْرٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾
أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ
أَصْبَحَهُمْ فِيَ إِذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ
مُخِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ
كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ

١٤ - ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا ﴾ كذباً ونفاقاً
﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ﴾ وهم رؤسائهم من أعداء الإسلام
والمسلمين ﴿ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ على الكفر والكره لمحمد (ص)
﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ بالإسلام والمسلمين .

١٥ - ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ ومعنى استهزأه تعالى الإذلال
في الدنيا والعذاب في الآخرة ﴿ وَيُعَذِّبُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ ﴾
بدعهم وشأنهم يتعادون في النفي والضلال ﴿ يَعْمَهُونَ ﴾ العمه في
البصيرة ، والعمى في القلب .

١٦ - ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى ﴾ أحبوا
الباطل وآثروه على دين الحق ﴿ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا
مُهْتَدِينَ ﴾ لأن المطلوب في التجارة الربح مع سلامة رأس المال ،
والمنافقون أضاعوها معاً ، لأن الهدى عند الله سبحانه هو رأس
المال ، وقد ذهب أو بعد عن المناقين ، وتبعه الربح حيث لا
بقاء لفرع بلا أصل .

١٧ - ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي ﴾ المراد بذلك هنا الجنس
الشامل للجماعة تماماً كقوله تعالى : « وخضتم كالذي خاضوا -
٦٩ التوبة » أي الذين خاضوا ﴿ اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ أشعلها ﴿ فَلَمَّا
أُضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ﴾ امتد ضوءها إلى الأشياء التي حول من
أوقدها ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ خمدت النار ولا نور يستضيئون
به ﴿ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ بقوا متحيرين منحصرين
حيث لا يدرون أين يذهبون ؟ وماذا يفعلون ؟ .

١٨ - ﴿ صُمٌّ ﴾ لا يسمعون ﴿ بَكْرٌ ﴾ بكسر الكاف لا ينطقون ﴿ عُمَى ﴾
لا يبصرون على سلامة الآذان والألسن والأبصار ، ولكنهم
لما رفضوا الاستماع للحق والنطق به والنظر إليه ، أصبوا .

١٩ - ﴿ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ هذا تمثيل آخر لحال المناقين ، والصيب مطر ينزل من السماء ﴿ فِيهِ ظُلُمَاتٌ ﴾
داسة ﴿ وَرَعْدٌ ﴾ قاصف ﴿ وَبَرْقٌ ﴾ خاطف ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَابَهُمْ فِي إِذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ يقال : صغته
الصاعقة فصعق أي فات ، والمنافقون دائماً في قلق وحول من كشف حقيقتهم ولا ملجأ لهم تماماً كمن أنه الصاعقة
فانقأها بسد أذنيه ﴿ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ كل تنقلب في قبضته جلت عظمتة ، ولا مفر منه إلا إليه .

٢٠ - ﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ﴾ كناية عن شدة الهول ﴿ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ ﴾ خطوة أو خطوتين ﴿ وَإِذَا
أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ﴾ إذا خفي البرق وقفوا حائرين ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ﴾ لو أراد سبحانه لزاد في
قصف الرعد فأصمهم وفي برق البرق فأعماهم ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ واضح بلا تفسير .

ثُمَّ يَدْعُوا رَبَّهُمْ ۖ يَسْأَلُهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكَ الَّذِي خَلَقَكَ
وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا
وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا
فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ۖ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا
النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ۝
وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالُوا هَذَا
الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ ۖ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ
مُطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ * إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي

٢١- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ ۖ حَقًّا وَصَدَقًا لَا
رِيَاءَ وَنِفَاقًا ۖ ﴾ الذي خلقكم والذين من قبلكم ۖ لما عدَّ
سبحانه فرق المكلفين من المؤمنين والكافرين والمنافقين - أفهمهم
جميعاً أنه هو وحده خالق الأولين والآخرين ورزقهم ، فليعلم
أن يعبدوه ويطيعوه ۖ لعلكم تتقون ۖ ما من شك أن من يصلي
لله مخلصاً له الدين فإنه يبتقي معاصيه أيضاً في غير الصلاة .

٢٢- ﴿ الذي جعل لكم الأرض فراشاً ۖ مستقراً لا
غنى عنه ۖ والسماء بناء ۖ كالقبة المضروبة على هذا المستقر
بحسب الرؤية البصرية ۖ وأنزل من السماء ماء فأخرج به من
الثمرات رزقاً لكم ۖ لشكروا الله على فضله ، وتفكروا في
خلقه ولتعلموا أنه هو الخالق الذي ليس كمثله شيء ۖ فلا
تجعلوا لله أنداداً ۖ شركاء ۖ وأنتم تعلمون ۖ أي تعقلون
وتميزون وتذكرون أنه لا خلق بلا خالق .

٢٣- ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا ۖ بعد
ما ذكر سبحانه وجوب الإيمان به أشار إلى وجوب الإيمان
بمحمد (ص) ، ومن الأدلة عليه هذا التحدي : ﴿ فأتوا بسورة
من مثله ۖ الضمير يعود إلى القرآن ، وسُميت الآية المعينة
المحدودة سورة تشبيهاً بسور المدينة الذي يحيط بمساكن معينة
محدودة ۖ وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ۖ

أرسل سبحانه محمداً للناس بحجة كافية ، وهي إعجاز القرآن
بما فيه من معان وبيان ، وتحدي من جحد بأن يأتي بسورة
مثله مبني ومعنى ، ثم يقارن في حضور العقلاء بين القرآن وبين
ما يأتي به الجاحد ، فإن شهدوا أنهم بما تنزلة سواء فليبق على كفره
بل وليدع إلى الكفر بمحمد ورسالته ، وإن شهد العقلاء بعجزه فهو الكاذب والمفتري . أما محمد (ص) فهو الصادق الأمين .

٢٤- ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا ۖ القِطْعُ بالعجز قبل أن يحاولوا تحدُّ ثان ، وكفى بعجزهم رغم المحاولة شاهداً
ودليلاً ۖ فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ۖ الوقود ما يوقد به ، والفرق بين نار جهنم ونار
الدنيا أن وقود الأولى ناس وحجارة كانت من قبل أصناماً . ووقود الثانية بتروك وفحم وحطب .

٢٥- ﴿ وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ بعد أن هدَّد وتوعد الكافرين
بالحجم وعد وبشر المؤمنين بالنعم ۖ كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً ۖ في اللون
دون الطعم ۖ ولهم فيها أزواج مطهرة ۖ من كل عيب ودنس روحاً وجسماً ۖ وهم فيها خاللون ۖ ملك قائم ونعيم دائم

٢٦- ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا

ملاحظة :

إن القرآن معجزة بما هو كلام الله ، بصرف النظر عن العربي البليغ وغيره ، وإنما نعرف المعجزة ، ونكتشفها من عجز العربي البليغ ،
تماماً كما نكتشف من عجز بطل السباحة العالمي في البحر الهائج عجز سواه ، مع التقدير بأنه الأول في بطولة السباحة .

أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّابْعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا بِضَلِّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدَى بِهِ كَثِيرًا وَمَا يَضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ ءَامِنًا فَأَجَبَكُمُ ثُمَّ يُبَيِّنُكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ

فوقها ﴿٢٦﴾ ما « زائدة للتوكيد ، وبعبضة مفعول أول ، ومثلاً مفعول ثان . قال المشركون : الله لا يضرب الأمثال بالعبضة الحفيرة ، فرد سبحانه بأنه لا يترك التمثيل بالعبضة ترك المستحي ما دام القصد من التمثيل مجرد التفهيم والتقريب إلى العقول والأذهان ﴿٢٧﴾ فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم ﴿٢٨﴾ أي أن أهل العلم والعقل لا يرون التمثيل بالعبضة منافياً لجلال الله وعظمته ﴿٢٩﴾ وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً ﴿٣٠﴾ يقولون ذلك جهلاً أو تضليلاً ﴿٣١﴾ يضل به كثيراً السبب المباشر للإضلال هو التمثيل بالعبضة ، وأسند إلى الله تعالى في الظاهر لأنه هو الذي ضرب المثل . أشبه بما لو عملت عملاً جليلاً فات عدوك حسداً ، فأنت ذنب فعلت ؟ ﴿٣٢﴾ ويهدي به كثيراً ﴿٣٣﴾ من العقلاء الراغبين في الهداية ﴿٣٤﴾ وما يضل به إلا الفاسقين ﴿٣٥﴾ أبداً لا سلطان للشيطان إلا على أوليائه .

٢٧- ﴿٣٦﴾ الذين ينفقون ﴿٣٧﴾ يفسخون ﴿٣٨﴾ عهد الله ﴿٣٩﴾ وهو إعمال العقل والعمل بوجه كما قال سبحانه : أفلا تعقلون أفلا تفكرون ؟ ﴿٤٠﴾ من بعد ميثاقه ﴿٤١﴾ الميثاق الثبوت والإحكام ﴿٤٢﴾ ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ﴿٤٣﴾ كالبر بالرحم ونصرة الحق ﴿٤٤﴾ ويفسدون في الأرض ﴿٤٥﴾ بالخرائب والآثام والتناحر على الحطام ﴿٤٦﴾ أولئك هم الخاسرون ﴿٤٧﴾ وكل مبطل خاسر .

٢٨- ﴿٤٨﴾ كيف تكفرون بالله ﴿٤٩﴾ وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد ﴿٥٠﴾ وكنتم أمواتاً ﴿٥١﴾ نطقاً في أصلاب الآباء ﴿٥٢﴾ فأحياكم ﴿٥٣﴾ فأخرجكم منها ذكوراً وإناثاً ﴿٥٤﴾ ثم يميتكم ﴿٥٥﴾ بعد الحياة ﴿٥٦﴾ ثم يحييكم ﴿٥٧﴾ بعد الموت ﴿٥٨﴾ ثم إليه ترجعون ﴿٥٩﴾ للحساب والجزاء .

٢٩- ﴿٦٠﴾ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ﴿٦١﴾ فيه دلالة على أن الأصل في الأشياء الإباحة حتى ثبت العكس ﴿٦٢﴾ ثم استوى إلى السماء ﴿٦٣﴾ قصد إليها بإرادته ﴿٦٤﴾ فسواهن ﴿٦٥﴾ هذا الضمير يفسره قوله سبحانه ﴿٦٦﴾ سبع سموات ﴿٦٧﴾ ومعنى سواهن عدل خلفهن على ما تقتضيه الحكمة ﴿٦٨﴾ وهو بكل شيء عليم ﴿٦٩﴾ وأيضاً غفور رحيم .

٣٠- ﴿٧٠﴾ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴿٧١﴾ وهو آدم وذريته ﴿٧٢﴾ قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴿٧٣﴾ وعرف الملائكة ذلك منه تعالى بطريق أو بآخر ﴿٧٤﴾ ونحن نسبح بحمدك ﴿٧٥﴾ التسيح تزيه لله تعالى . ﴿٧٦﴾ وبحمدك في موضع الحال أي نسبح حامدين ﴿٧٧﴾ ونقدس لك ﴿٧٨﴾

الاعراب :

يصح أن تكون ﴿ما﴾ من قوله تعالى : ﴿مثلاً ما﴾ زائدة جيء بها للتوكيد ، و﴿عبضة﴾ مفعولاً أولاً ، و﴿مثلاً﴾ مفعولاً ثانياً مقدماً ، والتقدير ان الله لا يترك جعل العبضة مثلاً ، وقيل : يجوز أن يكون ﴿مثلاً﴾ حالاً من عبضة . وأيضاً يجوز أن تكون ﴿ما﴾ اسماً مبهاً بمعنى شيء من الأشياء ، وعليه تكون مفعولاً ليضرب ، وعبضة بدلاً منها ، ومثلاً مفعولاً ثانياً مقدماً ، والتقدير ان الله لا يترك جعل شيء من الأشياء مثلاً ، حتى ولو كان هذا الشيء عبضة .

نَظَرُ أَنْفُسَا بَطَاعَتِكَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ أَبَدًا لَا يَفْعَلُ سُبْحَانَهُ شَيْئًا إِلَّا لِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ ، وَكَثِيرًا مَا تَخْفَى عَنْ إِدْرَاكِ النَّاسِ وَالْمَلَائِكَةِ أَيْضًا .

٣١- ﴿٣١﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴿٣١﴾ أَيَّ أَسْمَاءِ الْكَائِنَاتِ كَالنَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ وَالْجِبَالِ وَالْوُدْيَانِ ... ﴿٣٢﴾ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴿٣٢﴾ أَيَّ عَرْضِ الْكَائِنَاتِ وَأَعَادَ عَلَيْهَا ضَمِيرَ «هَمْ» لِأَنَّ فِي الْكَائِنَاتِ عَقْلًا فَجَاءَ الضَّمِيرُ تَغْلِيظًا لِلْعَاقِلِ عَلَى غَيْرِهِ ﴿٣٢﴾ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ ﴿٣٢﴾ الْكَائِنَاتِ ﴿٣٢﴾ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٢﴾ أَيَّ عَارِفِينَ بِالْحِكْمَةِ مِنْ جَعَلَ آدَمَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ .

٣٢- ﴿٣٢﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴿٣٢﴾ وَلَيْسَ هَذَا مِمَّا عَلَّمْتَنَا يَا هَـ ﴿٣٢﴾ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ ﴿٣٢﴾ بِكُلِّ شَيْءٍ ﴿٣٢﴾ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ فِيمَا تَفْعَلُ أَوْ تَتْرَكَ .

٣٣- ﴿٣٣﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴿٣٣﴾ لِيَعْلَمُوا أَنَّكَ أَهْلٌ وَمَحَلٌ لَخَلْقَةِ اللَّهِ ﴿٣٣﴾ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴿٣٣﴾ أَيَّ بِأَسْمَاءِ الْأَشْيَاءِ وَجَسَدِهَا ﴿٣٣﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿٣٣﴾ وَمَا فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُنَّ ﴿٣٣﴾ وَأَعْلَمُ مَا تَبْدُونَ ﴿٣٣﴾ قَبْلَ أَنْ تَبْدُوهُ ﴿٣٣﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .

٣٤- ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴿٣٤﴾ أَمَرَهُمْ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ تَعْظِيمًا لِشَأْنِهِ ﴿٣٤﴾ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ ﴿٣٤﴾ لِأَنَّهُ رَأَى نَفْسَهُ أَجَلًا وَأَعْظَمَ مِنْ آدَمَ ﴿٣٤﴾ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ حَيْثُ رَأَى أَمْرَ اللَّهِ لَهُ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ ظُلْمًا وَجَوْرًا .

٣٥- ﴿٣٥﴾ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴿٣٥﴾ ضَمِيرُ أَنْتَ تَوْكِيدٌ لِلضَّمِيرِ الْمُسْتَرِّ فِي اسْكُنْ ، وَزَوْجُكَ مَرْفُوعٌ عَطْفًا عَلَيْهِ ﴿٣٥﴾ وَكَلَامًا مِنْهَا رَغْدًا ﴿٣٥﴾ وَاسْعًا رَافِعًا ﴿٣٥﴾ حَيْثُ شَتَمْنَا ﴿٣٥﴾ مِنْ بَقَاعِ الْجَنَّةِ ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ﴿٣٥﴾ لَا تَأْكُلَا مِنْهَا ﴿٣٥﴾ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ بِفَعْلٍ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِتَرْكِهِ .

٣٦- ﴿٣٦﴾ فَازْلَهِمَّا الشَّيْطَانَ ﴿٣٦﴾ بِجَانَلِهِ ﴿٣٦﴾ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴿٣٦﴾ مِنْ نِعْمَةٍ وَكَرَامَةٍ ﴿٣٦﴾ وَقُلْنَا اهْبِطُوا ﴿٣٦﴾ أَنْزَلُوا ، وَجَمَعَ سُبْحَانَهُ الضَّمِيرَ ، لِأَنَّ آدَمَ وَهَوَاهُ أَبَوَا الْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴿٣٦﴾ إِشَارَةً إِلَى مَا سَوْفَ يَحْدُثُ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ تَشَاوُرٍ وَتَنَاحُرٍ

الإعراب :

﴿زَوْجُكَ﴾ مَعْطُوفٌ عَلَى الْفَاعِلِ ، وَ﴿رَغْدًا﴾ قَائِمٌ مَقَامَ الْمَفْعُولِ الْمَطْلُوقِ ، وَالتَّقْدِيرُ أَكَلًا رَغْدًا ، أَيْ وَاسْعًا ، وَ﴿الشَّجَرَةَ﴾ بَدَلٌ مِنْ هَذِهِ ، وَ﴿فَتَكُونَا﴾ مَضْمُومَةٌ بِأَنَّ مَضْمُومَةَ بَعْدَ الْفَاءِ ، وَ﴿بَعْضُكُمْ﴾ مُبْتَدَأٌ ، وَ﴿عَدُوٌّ﴾ خَبَرٌ ، وَ﴿لِبَعْضٍ﴾ مَتَعَلِقٌ بِعَدُوٍّ ، وَإِذَا مَوْفُوقَةٌ مِنْ كَلِمَتَيْنِ أَنَّ الشَّرْطِيَّةَ ، وَمَا الزَّائِدَةُ ، وَأَمَّا زَيْدَتُ لِلتَّوَكِيدِ ، وَهِيَ الَّتِي سَوَّغَتْ دُخُولَ تَوْنِ التَّوَكِيدِ عَلَى يَأْتِيَنَّكُمْ ، تَمَامًا كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿فَمَا تَرِينَ﴾ ، وَقَوْلُهُ : ﴿فَمَا يَنْزِعُكَ﴾ .

﴿ولكم في الأرض مستقر﴾ موضع الاستقرار ﴿ومتاع إلى حين﴾ يتمتعون بالعيش إلى الموت .

٣٧- ﴿فلنلقى آدم من ربه كلمات﴾ ندم آدم على ما كان ، فألهمه الله كلمات توسل بها إليه أن يغفر ويصفح ، وفي رواية عن أهل البيت (ع) أن هذه الكلمات أسماء أصحاب الكساء (ع) ﴿فتاب عليه انه هو التواب الرحيم﴾ التواب : كثير القبول للتوبة حيث يقبلها من كل تائب .

٣٨- ﴿قلنا اهبطوا منها جميعاً﴾ كرر سبحانه كلمة «اهبطوا» للتوكيد ﴿فإما يأتينكم مني هدى﴾ من نبي مرسل أو كتاب منزل ﴿فمن اتبع هداي﴾ أي اتبع رسولي وعمل بكتابي ﴿فلا خوف عليهم﴾ من العقاب ﴿ولا هم يحزنون﴾ على فوات الثواب .

٣٩- ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ واضح بلا تفسير .

٤٠- ﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم﴾ إسرائيل لقب يعقوب ، وأراد سبحانه بالنعمة هنا ، ما أنعمه على آبائهم من كثرة الأنبياء ﴿وأوفوا بعهدي﴾ من الإيمان والطاعة ﴿أوف بعهدي﴾ من حسن الثواب ﴿وإياي فارهبون﴾ تهديد ووعد إذا نقضوا العهد .

٤١- ﴿وآمنوا بما أنزلت﴾ على محمد (ص) ﴿مصدقاً لما معكم﴾ من توراة موسى ﴿ولا تكونوا أول كافر به﴾ أي بمحمد (ص) وأنتم تعلمون أنه الصادق الأمين ﴿ولا تشيروا بآياتي تمناً قليلاً﴾ يشير بهذا إلى رؤساء اليهود الذين أنكروا الحق حرصاً على السيادة والرياسة ﴿وإياي فاتقون﴾ .

٤٢- ﴿ولا تلبسوا﴾ لا تخطئوا ﴿الحق بالباطل وتكتموا الحق﴾ وهو نص التوراة على نبوة محمد (ص) وأنتم تعلمون ﴿بأنكم تكتمون ما أنزل الله﴾ .

٤٣- ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين﴾ أي مع المسلمين ، لأن صلاة اليهود لا ركوع فيها .

٤٤- ﴿أنأمروا الناس بالبر وتسنون أنفسكم﴾ كانوا يأمرون أقاربهم في السر باتباع محمد (ص) ولا يتبعونه ﴿وأنتم

مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٧﴾ فَلَنَلْقَىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٨﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٠﴾ يٰٓبَنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَارْهَبُونِ ﴿٤١﴾ وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرٍ بِهِ ۖ وَلَا تَشْتُرُوا بِآيَاتِي تَمَنَّا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَّقُونَ ﴿٤٢﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٤﴾ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَتْلُونَ الْكِتَابَ

الإعراب :

﴿إسرائيل﴾ مجرور بالاضافة ، ومنع من الصرف للمعجمة والتعريف ، و﴿إياي﴾ ضمير منصوب على انه مفعول لفعل محذوف دل عليه الموجود أي ارهبوا إياي ، ولا يجوز أن يكون مفعولاً لما بعد الفاء ، لأن ما بعدها لا يعمل بما قبلها ، و﴿ترهبون﴾ تقديره ترهبوني ، حذف الياء للتخفيف ، وموافقة رؤوس الآيات ، ومثله ﴿فاتقون﴾ ، و﴿أنزلت﴾ مفعوله محذوف تقديره أنزلته ، ومصدقاً حال منه .

تتلون الكتاب ﴿ التوراة ﴾ أفلا تعقلون ﴿ قبح ما تفعلون .

٤٥- ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾ استعينوا على البلايا بالصبر عليها والالتجاء إلى الصلاة ﴿ وانها ﴾ الصلاة ﴿ لكثيرة ﴾ لقبلة ﴿ إلا على العاشعين ﴾ لأنهم يتوقعون الأجر عليها من الله سبحانه .

٤٦- ﴿ الذين يظنون ﴾ يقطعون ﴿ أنهم ملائقوا ربهم ﴾ وثوابه ﴿ وأنهم إليه راجعون ﴾ لا محالة .

٤٧- ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ﴾ بالتححرر من العبودية لفرعون وغير ذلك ﴿ وإني فضلتكم على العالمين ﴾ بكرة الأنبياء .

٤٨- ﴿ واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ﴾ ومثله تماماً لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً ﴿ ولا يقبل منها شفاعة ﴾ هذا مختص باليهود لأنهم قالوا : آباءنا شفعاؤنا ﴿ ولا يؤخذ منها عدل ﴾ فدية ﴿ ولا هم ينصرون ﴾ المراد بـ « هم » النفس التي تقدم دسها ولكن باعتبارها جنساً يدل على الكثرة .

٤٩- ﴿ وإذ نجيناكم من آل فرعون ﴾ فرعون اسم لمن ملك تماماً كقصور وكسرى ﴿ يسومونكم سوء العذاب ﴾ يغيونكم خسفاً وإذلاً ﴿ يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم ﴾ يقيمون أحياء للخدمة ﴿ وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ﴾ أنجاهم الله منه ولكن لا تشكرون .

٥٠- ﴿ وإذ فرقنا بكم البحر ﴾ صار مسالك لكم ﴿ فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون ﴾ أي ينظر بعضكم بعضاً وأنتم سائرون في قلب البحر آمنين مطمئنين .

٥١- ﴿ وإذ وعدنا موسى أربعين ليلة ﴾ وعدناه بالتوراة وضرينا له هذا الميثاق ﴿ ثم اتخذتم العجل من بعده ﴾ مضى موسى ليأتي بالتوراة ، فعبد اليهود العجل ﴿ وأنتم ظالمون ﴾ بهذا الشرك والارتداد .

٥٢- ﴿ ثم عفونا عنكم من بعد ذلك ﴾ إشارة إلى ارتدادهم وشركهم ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ النعمة في العفو عنكم .

٥٣- ﴿ وإذ آتينا موسى الكتاب ﴾ التوراة ﴿ والفرقان ﴾

الإعراب :

﴿ يوماً ﴾ قائم مقام المفعول به بعد حذفه ، أي اتقوا عذاب يوم ، أو شر يوم . و﴿ شيئاً ﴾ أيضاً مفعول به ، وقيل يجوز جعله مفعولاً مطلقاً ، لأن معنى الشيء هنا الجزاء .
﴿ فرعون ﴾ ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة . و﴿ سوء العذاب ﴾ مفعول مطلق ، لأن معنى ﴿ يسومونكم ﴾ يعذبونكم .

يَفَرِّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ﴿٥٤﴾ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٥﴾

٥٤- ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ ﴿٥٥﴾ وَبِئْسَ مَا كُنْتُمْ تَفْعَلُونَ ﴿٥٦﴾ خَالَفْتُمْ ﴿٥٧﴾ فَأَقْبَلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴿٥٨﴾ أَي لِيَقْتُلَ مِنْ بَقِي عَلَى الْإِيمَانِ مِنْكُمْ مَنْ ارْتَدَّ عَنْ دِينِهِ إِلَى عِبَادَةِ الْعِجْلِ ﴿٥٩﴾ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِكِكُمْ قَاتِبَ عَلَيْكُمْ ﴿٦٠﴾ إِنَّهُ هُوَ الْتَوَابُ الرَّحِيمِ ﴿٦١﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكَ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ نَظَرُونَ ﴿٦٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكَ تَشْكُرُونَ ﴿٦٣﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكَ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كُلًّا مِنْ طَيِّبَاتِ مَارِزَقِنَاكَ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ حُبْدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَيَرْزِقُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٥﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى

٥٥- ﴿٥٥﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴿٥٦﴾ عَيْنًا ﴿٥٧﴾ فَأَخَذَتْكَ ﴿٥٨﴾ أَمَاتَكُمْ ﴿٥٩﴾ الصَّاعِقَةُ ﴿٦٠﴾ نَارِ مِنَ السَّمَاءِ ﴿٦١﴾ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٦٢﴾ إِلَى الصَّاعِقَةِ .

٥٦- ﴿٥٦﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ ﴿٥٧﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿٥٨﴾ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ ﴿٥٩﴾ لَأَسْتَكْمَلَ أَجَالَكَ ﴿٦٠﴾ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ نِعْمَةُ اللَّهِ .

٥٧- ﴿٥٧﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكَ الْغَمَامَ ﴿٥٨﴾ كَانَ ذَلِكَ فِي التَّيِّبَةِ حَيْثُ سَخَّرَ لَهُمُ اللَّهُ السَّحَابَ يَظْلِمُهُمُ مِنَ الشَّمْسِ ﴿٥٩﴾ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْمَنَّاءَ ﴿٦٠﴾ مَادَّةَ لَزْجَةٍ تَشْبِيهِ الْعَسَلِ ﴿٦١﴾ وَالسَّلْوَى ﴿٦٢﴾ طَائِرٌ يَعْرِفُ بِالسَّيْنِ ﴿٦٣﴾ كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴿٦٤﴾ أَي قَالَ لَهُمْ سَبَّحَانَهُ : كُلُوا ... وَمَا ظَلَمُونَا ﴿٦٥﴾ بِكُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ ﴿٦٦﴾ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٦٧﴾ كُلٌّ مِنْ غَلَبَةِ الْهَوَى ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ .

٥٨- ﴿٥٨﴾ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ ﴿٥٩﴾ قَبْلَ هِيَ أَرْبَعًا ، وَلَمْ يَدْخُلُوا بَيْتَ الْمَقْدِسِ فِي حَيَاةِ مُوسَى ﴿٦٠﴾ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا ﴿٦١﴾ وَاسْمًا ﴿٦٢﴾ وَادْخُلُوا الْبَابَ حُبْدًا ﴿٦٣﴾ شُكْرًا لَهُ ﴿٦٤﴾ وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴿٦٥﴾ حِطَّةً عَنْ ذُنُوبِنَا ﴿٦٦﴾ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ﴿٦٧﴾ إِنْ فَعَلْتُمْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ وَسَيَرْزِقُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ كُلٌّ مِنْ اتَّقَى وَأَحْسَنَ يَزِيدُهُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ .

٥٩- ﴿٥٩﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴿٦٠﴾ أَنْفُسَهُمْ ﴿٦١﴾ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴿٦٢﴾ قِيلَ : إِنَّهُمْ قَالُوا مَكَانَ حِطَّةٍ حِطَّةً اسْتِهْزَاءً مِنْهُمْ

الإعراب :

﴿يَا قَوْمِي﴾ منادى مضاف إلى ياء المتكلم، ثم حذف الياء، واجتزأه عنها بالكسرة، و﴿جَهْرَةً﴾ قائم مقام المفعول المطلق، و﴿كُلُّوا﴾ فعل أمر، والجملة محل نصب مفعول لفعل محذوف، تقديره قلنا كلوا.
﴿الْقَرْيَةَ﴾ عطف بيان من هذا، و﴿رَغَدًا﴾ نائب عن المفعول المطلق، أي أكلا رَغَدًا، و﴿سَجْدًا﴾ حال من واو الجماعة في ﴿ادْخُلُوا﴾، وهو مصدر بمعنى اسم الفاعل، كمدل بمعنى عادل، وحطة خير لبدء محذوف، والتقدير مسألنا أو امرنا ﴿حِطَّةً﴾، تمامًا مثل ﴿صَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ أي حالنا صبر جميل، مع العلم بأن النصب جائز أيضًا.

﴿ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رَجْزًا ﴿ عَذَابًا ﴾ ﴿ مِنْ السَّمَاءِ ﴿ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ ﴿ بِحَرْفُونَ .

٦٠- ﴿ وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ ﴿ عَطَشَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي النَّبِيِّ ، فَطَلَبَ لَهُمُ مُوسَى الْمَاءَ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى ﴿ فَقَلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ﴿ فَفُضِرَ بِهِ بَعْضُهُمْ ﴿ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴿ وَهَذِهِ مَعْجَزَةٌ أُخْرَى لِمُوسَى خَصَّهُ اللَّهُ بِهَا إِضَافَةً إِلَى سَائِرِ الْمَعْجَزَاتِ ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أَنْاسٍ مُشْرِبُهُمْ ﴿ كَانُوا ١٢ قَبِيلَةً لِكُلِّ مِنْهَا عَيْنٌ ﴿ كُلُوا ﴿ مِنَ الْمَنِّ وَالسَّلْوَى ﴿ وَاشْرَبُوا ﴿ مِنْ هَذِهِ الْعَيْنِ ، وَهِيَ ﴿ مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿ الْعُفْيُ أَشَدُّ الْفُسَادِ ، وَمِنْهُ الشُّرْكُ وَالْإِلْحَادُ .

٦١- ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ ﴿ نَسِبَ قَوْلُ السَّلَفِ إِلَى الْحَلْفِ لِأَنَّهُمْ عَلَى نَهْجٍ وَاحِدٍ . وَيُطْلَقُ الطَّعَامُ الْوَاحِدُ عَلَى الَّذِي لَا يَتَغَيَّرُ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ لَوْنَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ ، وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا الْمَنُّ وَالسَّلْوَى ﴿ فَادْعَ لَنَا رَبِّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثَبِّتُ الْأَرْضُ مِنْ خَضَرٍ ﴿ وَقَتْلَاهَا ﴿ نَوْعٌ مِنَ الْخِيَارِ ﴿ وَفُومَهَا ﴿ الْحَنْطَةُ ﴿ وَعَدَسُهَا وَيَصْلُهَا قَالَ ﴿ لَهُمُ مُوسَى : ﴿ اسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى ﴿ دُونَ ﴿ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَأَفْضَلُ ﴿ اهْبِطُوا مِصْرًا ﴿ انْحَدَرُوا إِلَيْهَا ﴿ فَإِنْ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ ﴿ مِنَ الْعَدَسِ وَالْبَصَلِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ ﴿ وَالذِّلَّةُ أَنْوَاعٌ مِنْهَا أَنْ تَجْتَمَعَ كَلِمَةُ أَهْلِ الْأَرْضِ شَرْفُهَا وَغَرَبُهَا ، عَلَى مَقْتَبِهِمْ وَكَرَاهِيَتِهِمْ . وَمِنْهَا أَنْ تَكُونَ مَهْمَتُهُمْ مَهْمَةُ الْكَلْبِ الْعَقُورِ بِحَرَسِ مَصَالِحِ صَاحِبِهِ ، وَمِنْهَا أَنْ لَا يَسْتَطِيعُوا الْعَيْشَ إِلَّا بِالنَّصُوصَةِ وَالْثَبَاتِ وَالْتِفَاقِ وَالْمُرَاوَعَةِ ... ﴿ وَيَلْزَمُوا بِغَضَبِ اللَّهِ ﴾ ﴿ أَصْبَحُوا

جَدِيرِينَ بِعَذَابِهِ ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴿ يَافِيَانِ لِلْسَّبِّ الْمَوْجِبِ لَغَضَبِ اللَّهِ وَالنَّاسِ عَلَيْهِمْ ، ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ ﴿ كَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَشُعَيْبًا وَغَيْرِهِمْ ﴿ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴿ بَلَا جَرَمَ ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿ كَرَّرَ سَبْحَانَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ وَذَلِكَ بِأَنَّهُمْ عَصَوْا لِمَجْدِ انْتِزَاعِهِ

٦٢- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴿ بِاللَّسْتِمِ فَقَطْ ﴿ وَالَّذِينَ هَادُوا ﴿ أَيُّ الْيَهُودِ ﴿ وَالنَّصَارَى ﴿ جَمَعَ نَصْرَانِ الْمَذْكَرِ وَنَصْرَانَةُ الْمُنْثَى . وَإِلَاءَ فِي النَّصْرَانِيِّ لِلْمَبَالِغَةِ لَا لِلنَّسَبِ وَالصَّابِقِينَ ﴿ وَهُمْ قَوْمٌ عَدَلُوا عَنِ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ إِلَى

الإعراب:

﴿ اثْنَتَا عَشْرَةَ ﴾ كلمتان تُزَلَّنَا منزلة الكلمة الواحدة ، اعربت المصدر لكان الالف رفعاً ، وإلياء جرّاً ونصباً ، وبني العجز لأنه بمنزلة نون الاثنين ، هكذا قال النحاة ، و﴿ عَيْنًا ﴾ تمييز .

﴿ يُخْرِجْ ﴾ مضارع مجزوم جواباً لفعل الأمر ، وهو ﴿ ادْعَ ﴾ ، وذلك مسداً وخبره ﴿ بِأَنَّهُمْ كَانُوا ﴾ ، ومثله ذلك ﴿ بِمَا عَصَوْا ﴾ .

الَّذِينَ ظَلَمُوا رَجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿ وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ ، فَقَلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أَنْاسٍ مُشْرِبُهُمْ كُلُّوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعَ لَنَا رَبِّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثَبِّتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَاقِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلِهَا قَالَ اسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءَ وَغَضِبَ اللَّهُ مِنْ أَتَمِّهِمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ مِنَ

عبادة الملائكة والنجوم ﴿ من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً ﴾ من كان من هؤلاء الفئات الأربع فعدل وآمن بالله ورسوله واليوم الآخر إيماناً خالصاً وعمل عملاً صالحاً ﴿ فلهم أجرهم عند ربهم ﴾ لإيمانهم الخالص وعملهم الصالح ﴿ ولا خوف عليهم ﴾ من العقاب ﴿ ولا هم يحزنون ﴾ على فوات الثواب .

٦٣- ﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم ﴾ بالعمل على ما في التوراة ، لأن الخطاب مع بني إسرائيل ﴿ ورفعنا فوقكم الطور ﴾ جبل . لما جاء موسى (ع) بالتوراة رفضها بنو إسرائيل فرأوا من التكليف الشاقة فارتفع الجبل فوقهم تخويفاً فأذعنوا ﴿ خلوا ما آتيناكم ﴾ من كتاب التوراة ﴿ بقوة ﴾ بزيمة ويقين ﴿ واذكروا ما فيه ﴾ لا تهملوا منه شيئاً ﴿ لعلكم تتقون ﴾ لتكونوا من أهل التقوى .

٦٤- ﴿ ثم توليت من بعد ذلك ﴾ أعرضتم عن التوراة ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ﴾ بإمهاله لكم ﴿ لكنتم من الخاسرين ﴾ المالكين بتعجيل العذاب .

٦٥- ﴿ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت ﴾ حيث تجاوزوا الحد واصطادوا الحيتان المهي عنها ﴿ فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ ممسوخين مطرودين .

٦٦- ﴿ فجعلناها ﴾ المسخة ﴿ نكالا ﴾ عقاباً وعبرة ﴿ لما بين يديها ﴾ أي عبرة لمن حضرها وشاهدها في ذلك العهد ﴿ وما خلفها ﴾ أي عبرة لمن بعدها أيضاً ﴿ وموعظة للمتقين ﴾ أي ولكل من يتعظ ويعتبر ويبتغي أن يكون من الصالحين .

٦٧- ﴿ وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴾ كان في بني إسرائيل شيخ غني ، قتلته قرابته ليرثوه . واتهموا بعض بني إسرائيل ، وطالبوه بدمه ، فثار الخلاف بينهم ، فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ، ويضربوه ببعضها فيحيا . ويخبرهم بالقاتل ﴿ قالوا ﴾ لموسى : ﴿ أنتخذنا هزواً قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ﴾ أي من المستهزئين .

٦٨- ﴿ قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي ﴾ ظنوا أن البقرة عجيبة الشأن ، فسألوا عن أوصافها ﴿ قال إنه يقول إنها بقرة لا فارص ﴾ ليست مسنة ﴿ ولا بكر ﴾ لا صغيرة . بل هي ﴿ عوان بين ذلك ﴾ لا صغيرة ولا كبيرة بل وسط ﴿ فافعلوا ما تؤمرون ﴾ من ذبح هذه البقرة .

الإعراب :

﴿ من ﴾ من قوله تعالى : ﴿ من آمن بالله واليوم الآخر ﴾ بدل بعض من كل من الأصناف الثلاثة ، وهم اليهود والصابئة والنصارى ، وقوله ﴿ فلهم أجرهم ﴾ مبتدأ وخبر ، والجملة خبر أن ودخلت الفاء على الخبر لمكان الموصول المتضمن لمعنى الشرط ، وخوف مبتدأ وخبره عليهم ، وأملت ﴿ لا ﴾ عن العمل لمكان التكرار .

ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٦﴾ فجعلناهم نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين ﴿٦٧﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَخَذْنَاهُ زُحُوءًا وَغَرَبًا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ فَأَنزَلْنَاهُ فِي سُبْحَانَ رَبِّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِصٌ وَلَا بَكَرٌ عَوَانَ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾

٦٩- ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لُونَهَا ﴾ يردادون بياناً للوصف ﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفَرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا ﴾ حسنة الصفار ﴿ تَسْرُ النَّاظِرِينَ ﴾ النظرة إلى الجميل تبعث السرور حتى ولو كان ثوراً أو بقرة .

٧٠- ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنْ الْبَقَرُ الْمَوْصُوفُ بِالْصَفَرَةِ كَثِيرٌ ﴾ تشابه علينا ﴿ أَيُّهَا نَذِيعٌ ؟ ﴾ وإنا إن شاء الله لمهتدون ﴿ إِلَى الْبَقَرَةِ الْمَرَادُ ذَبْحُهَا :

٧١- ﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ ﴾ تحرت على العمل لا ﴿ تَتِيرُ الْأَرْضَ ﴾ لا تحرت ﴿ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ ﴾ أي لا تدبر النواكير ﴿ مُسَلَّمَةٌ ﴾ سلمها الله من كل عيب ﴿ لَا شَيْءَ فِيهَا ﴾ لونها أصفر بالكامل حتى قرنها وظلفها ﴿ قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ﴾ أي بالوصف الشامل ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾

٧٢- ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا ﴾ المراد بالنفس المقتول الذي سبق ذكره ﴿ فَأَذَارَاتُمْ فِيهَا ﴾ تخاصمت في امرها ﴿ وَاللَّهُ مَخْرُجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ أظهر الحقيقة .

٧٣- ﴿ قَتَلْنَا اضْرِبُوهُ ﴾ هذا الضمير يرجع للقتل ببعضها ﴿ أَيُّ بَعْضِ الْبَقَرَةِ الْمَذْبُوحَةِ ﴾ كذلك يحيى الله الموتى ﴿ لَمَّا ضَرَبُوا الْمَيِّتَ بِجُزْءٍ مِنَ الْبَقَرَةِ ﴾ قام بإذن الله وقال قتلني فلان فقتله فقصاً ﴿ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ ﴾ على أنه تعالى قادر على كل شيء ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ أن من قدر على إحياء نفس واحدة قادر على إحياء كل النفوس .

٧٤- ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ الخطاب لكل اليهود

بالنظر إلى أن الخلف مثل السلف ﴿ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ إشارة إلى كل المراحل التي مروا بها ﴿ فِيهَا كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً ﴾ أي من عرفها شبهها بالحجارة أو أقسى ﴿ وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ﴾ في بعض الصخور خروج واسعة يتدفق منها ماء غزير ﴿ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ ﴾ ينشق طولاً أو عرضاً ﴿ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ﴾ دون الأنهار كالعيون ﴿ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ ﴾ يتردى من أعلى الجبال ﴿ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ كناية عن أن الحجارة تسكن أو تتحرك تبعاً للسبب الموجب . أما اليهود فبعاكسون ويشاكسون

الإعراب:

﴿ مَا هِيَ ﴾ مبتدأ وخبر، والجملة مفعول بيبين، ﴿ لَا فَارِضَ ﴾ صفة للبقرة، والصفة إذا كانت منفية بلا وجب تكرارها، فلا يجوز أن تقول: مرتت برجل لا كريم وتسكت، بل لا بد أن تعطف عليه ﴿ وَلَا ﴾ شجاع، وما أشبه، و﴿ عَوَانِ ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي هي عوان، و﴿ فَاقِعٌ ﴾ صفة للبقرة، ولونها فاعل لفاقع.

﴿ أَوْ ﴾ هنا للتقسيم، أي إن بعض قلوبهم ﴿ كَالْحِجَارَةِ ﴾، وبعضها ﴿ أَشَدَّ قَسْوَةً ﴾ منها، وأشد خبر مبتدأ محذوف، وقسوة تغيير، والضمير في ﴿ مِنْهُ ﴾ يعود إلى ﴿ مَا ﴾، وفي ﴿ مِنْهَا ﴾ يعود إلى الحجارة.

﴿ وما الله بغافل عما تعملون ﴾ وتخبرون بما أسلفتم

٧٥- ﴿ أفطمعون أن يؤمنوا لكم ﴾ ضمير الغائب لليهود والخطاب للنبي (ص) والمسلمين ﴿ وقد كان فريق منهم ﴾ من أسلافهم ﴿ يسمعون كلام الله ﴾ في التوراة ﴿ ثم يحرفونه ﴾ كما فعلوا في صفة محمد (ص) ﴿ من بعد ما عقوله ﴾ دون أية شبهة ﴿ وهم يعلمون ﴾ أي عن قصد وعمد .

٧٦- ﴿ وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ﴾ بأن محمداً رسول الله حقاً وصدقاً بنص التوراة ﴿ وإذا خلا بعضهم إلى بعض ﴾ ولا رقيب ﴿ قالوا أنحدثونهم بما فتح الله عليكم ﴾ من نص التوراة على صفة محمد (ص) ﴿ ليحاوكم به عند ربكم ﴾ أي ليكون لهم الحجة عليكم ﴿ أفلا تعقلون ﴾ أنكم أسأتم لأنفسكم .

٧٧- ﴿ أو لا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون ﴾ من الكفر ﴿ وما يعلنون ﴾ من الإيمان المزيف .

٧٨- ﴿ ومنهم أمتون لا يعلمون الكتاب ﴾ من اليهود من يحفظ التوراة تلاوة لا دراية ﴿ إلا أماني ﴾ وكل ما يرجوه من هذا الحفظ أن يشبهه الله عليه تماماً كبعض الجبهة من المسلمين ﴿ وإن هم إلا يظنون ﴾ بجهلون .

٧٩- ﴿ فويل ﴾ العذاب ﴿ للذين يكتبون الكتاب ﴾ التوراة المحرفة ﴿ بأيديهم ﴾ للتوكيد كما تقول : رأيت بعيني ﴿ ثم يقولون هذا من عند الله ﴾ كذباً واقتراء ﴿ ليشتروا به ثمناً قليلاً ﴾ من العوام ﴿ فويل لهم مما كتبت بأيديهم وويل لهم مما يكسبون ﴾ عذاب على أصل التحريف ، وثان على كتابته ليخلد ، وثالث على ثمنه .

٨٠- ﴿ وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة ﴾ أربعين يوماً بعدد الأيام التي عبدوا فيها العجل ﴿ قل اتخذتم عند الله عهداً ﴾ فآين هو ؟ فإن أعطاكم الله إياه ﴿ فلن يخلف الله عهده ﴾ ومن أوفى به منه ؟

الإعراب :

﴿ ليحاوكم ﴾ مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام .

﴿ ويل ﴾ مبتدأ ، وخبره للذين ، ويجوز نصبه على تقدير جعل الله الويل للذين ، لأن ويلاً لا فعل له ، قال هذا صاحب تفسير البحر المحيط ، وقال أيضاً : إذا أصيبت ويلاً مثل ويل زيد فالنصب أرجح من الرفع ، وإذا أفرده مثل ويل لزيد فالرفع أرجح .

﴿ أَمْ (بَل) تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ تماماً كقولكم : نحن شعب الله المختار .

٨١- ﴿ بَلَى مِنْ كَسْبِ سَيِّئَةٍ ﴾ بلى تسمكم النار لكثرة مخازيركم ﴿ وأحاطت به خطيئته ﴾ من كل جانب ﴿ فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ المراد بالسبيته ، والخطيئة هنا الشرك ، لأن ما عذاه لا يستدعي الخلود .

٨٢- ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ تقدم التفسير في الآية ٢٥ .

٨٣- ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ كل من آمن بالله فقد أعطاه عهداً وميثاقاً بالسمع والطاعة ﴿ لا تعبدون إلا الله ﴾ إخبار في معنى النهي ﴿ وبالوالدين ﴾ واليتامى ﴿ والعناية والاهتمام ﴾ والمساكين ﴿ بأداء ما لهم من حق الله ﴾ وقولوا للناس ﴿ كل الناس ﴾ حسناً تماماً كما نجوب أن يقال لكم ﴿ وأقيموا الصلاة ﴾ بأجزائها وشروطها ﴿ وآتوا الزكاة ﴾ بكاملها ﴿ ثم توليتم ﴾ عن أمر الله وطاعته ﴿ إلا قليلاً منكم وأنتم معرضون ﴾ تمرداً وعناداً .

٨٤- ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ ﴾ ما زال الخطاب مع بني إسرائيل ﴿ لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ﴾ أي لا يفعل ذلك بعضكم ببعض ﴿ ثم أقررتهم ﴾ بوجوب ذلك عليكم ﴿ وأنتم تشهدون ﴾ على أنفسكم بأنفسكم .

٨٥- ﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتَخْرُجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مَن دِيَارِهِمْ فِي الْقَوِيِّ مِنْكُمْ يَقْتُلُ الضَّعِيفَ ، وَيَطْرُدُهُ مِنْ بَيْتِهِ عِلْمًا أَنَّ دِينَ الْاِثْنَيْنِ وَاحِدٌ ، وَهَذَا نَقَضَ لِمَا أُبْرِمْتُمُوهُ مِنْ قَبْلِ ﴾ تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان ﴿ تتعاونون على التكيل بهم ﴾ وإن يأتوكم أسارى فتأدوهم ﴿ كان اليهودي القوي لا يرى بأساً بقتل اليهودي الضعيف ، ولكن إذا أسر غير اليهودي يهودياً ضحى اليهودي القوي بالمال لعدائه وإطلاقه . فقال لهم سبحانه : كيف تستجيزون قتل بعضكم ، ولا تستجيزون ترك فدائهم ! ﴾ وهو ﴿ أي القتل والإخراج

الإعراب:

﴿ لا تعبدون ﴾ انشاء في صيغة الخبر ، أي لا تعبدوا ، وقد يأتي الأمر بصيغة الخبر أيضاً ، مثل : تؤمنون بالله ، أي آمنوا بالله ، قال صاحب المجمع : ويؤكد ذلك انه عطف عليه بالأمر ، وهو قوله : ﴿ وبالوالدين إحساناً ﴾ ، أي احسنوا بالوالدين إحساناً ، وقوله : ﴿ وأقيموا الصلاة ﴾ . أمورا :

﴿ قليلاً ﴾ قائم مقام المفعول المطلق ، أي إيماناً قليلاً ﴿ يؤمنون ﴾ ، وجي . بما لمجرد التوكيد .
بلى حرف جواب لاثبات ما بعد النفي ، يقال : ما فعلت كذا ؟ فتجيب : بلى ، أي فعلت . ونعم جواب الإيجاب ، يقال : فعلت كذا ؟ فتجيب : نعم ، أي فعلت .

عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ بَلَى مِنْ كَسْبِ سَيِّئَةٍ وَأَحْطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ، فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا لَئِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ شَاهِدُونَ ﴿٨٥﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتَخْرُجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُواكُمْ أُسْرَىٰ فَتَأَدُّوهُمْ وَهُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِحْرَاجَهُمْ أَفْتُونُونَ بَعْضُ

﴿ محرم عليكم إخراجهم أفؤمنون ببعض الكتاب ﴾ أي بالقضاء ﴿ وتكفرون ببعض ﴾ أي بالقتل والإخراج ﴿ فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في هوان وخسران ﴾ في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ﴿ الذي أعدّه الله لأعدائه ﴾ وما الله بغافل عما تعملون ﴿ بل نحن الغافلون عمن لا يغفل عنا .

٨٦- ﴿ أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ﴾ رضوا بالمعاجلة عوضاً عن الآجلة ﴿ فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ﴾ وهذه عاقبة كل آفاق أنتم .

٨٧- ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب ﴾ التوراة نزلت جملة واحدة ﴿ وفتينا ﴾ اتبعنا ﴿ من بعده بالرسول ﴾ كثيراً ﴿ وآتيناه إبراهيم إسماعيل ﴾ إسماعيل بن مريم الينان ﴿ المعجزات الواضحات بالذات يحمل روحاً قسمة ﴾ أفكلما جاءكم ﴿ الخطاب لليهود ﴾ رسول بما لا تهوى أنفسكم ﴿ لا لشيء إلا لأنه حق ﴾ استكبرتم ﴿ ونفرت من الإيمان بالعدل والصدق ﴾ ففريقاً كذبتم ﴿ كعيسى ومحمد ﴾ وفريقاً تقتلون ﴿ كزكريا ويحيى .

٨٨- ﴿ وقالوا قلوبنا غلف ﴾ في غلاف لا ترى ولا تسمع بطبعها ﴿ بل لنعمهم الله بكفرهم ﴾ أي ليست قلوب اليهود صماء عمياء بالطبع . بل بالإصرار على الفساد والعناد ﴿ قليلاً ما يؤمنون ﴾ ما زائدة للتوكيد ، وقليلاً صفة لمفعول مطلق محذوف أي فإيماناً قليلاً .

٨٩- ﴿ ولما جاءهم كتاب من عند الله ﴾ وهو القرآن .

﴿ مصدق لما معهم ﴾ من التوراة والإنجيل كذبوا القرآن ﴿ وكانوا من قبل ﴾ كان اليهود من قبل محمد ﴿ يستفتحون ﴾ يستنصرون بمحمد ﴿ على الذين كفروا ﴾ من المشركين ويقولون لهم : غداً يأتي محمد وترون ﴿ فلما جاءهم ما عرفوا ﴾ من الحق ﴿ كفروا به ﴾ بنياً وحسداً ﴿ فلعنة الله ﴾ غضبه وعذابه ﴿ على الكافرين ﴾ بالحق أي كانوا ويكفونون

الإعراب :

﴿ مصدق ﴾ صفة ﴿ كتاب ﴾ ، وجواب ﴿ لما ﴾ الأولى محذوف دل عليه جواب لما الثانية ، وهو كفروا به . بش للذم ، ونعم للمدح ، وإذا كان الاسم بعدهما على بالالف واللام فهو فاعل أبدأ ، نحو نعم الرجل زيد ، وبش الرجل زيد ، وزيد مبتدأ ، خيره جملة بش الرجل ، أو نعم الرجل . وإذا كان ما بعدهما نكرة ، مثل نعم رجلاً ، وبش رجلاً فهو منصوب أبدأ على التمييز ، وفاعل نعم وبش ضمير مستتر يفسره التمييز . وإن اتصلت بهما ﴿ ما ﴾ مثل نعماً وبشياً ، فإن كانت ﴿ ما ﴾ بمعنى الشيء فهي فاعل ، وإن كانت بمعنى ﴿ شيئاً ﴾ فهي تمييز .

الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَفَقَيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٨﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٩٠﴾

٩٠- ﴿ بِشْمَا ﴾ للنسب ﴿ اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ﴾

باعوها ﴿ أن يكفروا بما أنزل الله ﴾ هذا بيان لسبب الذم ، وهو كفرهم بما جاء في التوراة من البشارة بمحمد (ص) ﴿ بغيًا ﴾ ظلماً وحسداً ﴿ أن ينزل الله من فضله ﴾ وهو الوحي والنبوّة ﴿ على من يشاء من عباده ﴾ لأنه أعلم حيث يجعل رسالته ﴿ فَبَاؤُوا بَغْضَ عَلِ غَضَبِ ﴾ صاروا جديرين بغضب متوال لكفرهم بنبي الحق وبغيهم عليه ﴿ وللكافرين عذاب مهين ﴾ عظيم .

٩١- ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ سواء أنزل على رجل منكم أم من غيركم ﴿ قَالُوا نَزَمْنَا بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا ﴾ على رجل منا ﴿ ويكفرون بما وراءه ﴾ بما ينزل على رجل من غير اليهود ﴿ وهو الحق ﴾ القرآن ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ من تورات موسى (ع) وإذا كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بنفس التوراة ﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ ﴾ من قبل إن كنتم مؤمنين ﴿ لقد جمعتم أيها اليهود بين قتل الأنبياء وادعاء الإيمان بالتوراة التي تحرم قتل الأنبياء ، وهذا عين التناقض !

٩٢- ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ المعجزات الدالة على صدقه ﴿ ثم اتخذتم العجل ﴾ الهاً محبوباً ﴿ من بعده ﴾ من بعد مجيئه بالمعجزات ﴿ وأنتم ظالمون ﴾ ومأواكم جهنم وبئس المصير .

٩٣- ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خَلُّوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ﴾ تقدم بالحرف في الآية ٦٣ ﴿ واسمعوا ﴾ لما أمرتم به في التوراة ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا ﴾ قولك ﴿ وعصينا ﴾ أملك ﴿ وأشربوا في قلوبهم العجل ﴾ تغلل حبه في أعماقهم ﴿ بكفروهم ﴾ بسبب الكفر ﴿ قل بشما يأمركم به إيمانكم ﴾ فبما ﴿ إن كنتم مؤمنين ﴾ كما تزعمون كذباً واقتراء بأنكم على دين موسى وتوراته .

٩٤- ﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً ﴾ خاصة ﴿ بكم ﴾ من دون الناس ﴿ كما تزعمون ﴾ ففحصوا الموت إن كنتم صادقين ﴿ من أين أنه من أهل الجنة اشتاق إليها ، قال أمير المؤمنين لولده الإمام الحسن (ع) لا يبالي أبوك ، على الموت سقط أم عليه سقط الموت .

٩٤- ﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً ﴾ خاصة ﴿ بكم ﴾ من دون الناس ﴿ كما تزعمون ﴾ ففحصوا الموت إن كنتم صادقين ﴿ من أين أنه من أهل الجنة اشتاق إليها ، قال أمير المؤمنين لولده الإمام الحسن (ع) لا يبالي أبوك ، على الموت سقط أم عليه سقط الموت .

الإعراب :

وعليه يجوز أن تكون ﴿ ما ﴾ في بشما في الآية اسماً موصولاً مرفوعاً على أنها فاعل يشس ، وجلة ﴿ اشترؤا ﴾ صلة ، ويجوز أن تكون ﴿ ما ﴾ نكرة بمعنى ﴿ شيئاً ﴾ وجلة اشترؤا صفة ، وعلى التقديرين فإن المصدر المنسب من ﴿ أن يكفروا ﴾ محله الرفع بالابتداء ، وجلة بشما خبر . وبغياً مفعول من أجله ، والمصدر من ﴿ أن ينزل ﴾ منصوب بنزع الخافض ، أي لأن ينزل .

بِشْمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ قَبَاءٌ وَغَضَبٌ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ٩٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نَزَمْنَا بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ٩١ * وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ٩٢ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ يُكْفِرُهُمْ قُلْ بِشْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيْعَتْسُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ٩٣ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ

٩٥- ﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا ﴾ 'وكان كما أخبر القرآن ﴿ بما قدمت أيديهم ﴾ من التحريف والكذب على الله والله عليم بالظالمين ﴿ هذا تهديد ووعد .

٩٦- ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ ﴾ أي منفعتهم الخاصة ﴿ ومن الذين أشركوا ﴾ أيضاً اليهود أحرص على المشقة الخاصة من المشركين ﴿ يود أحدهم ﴾ اليهود ﴿ لو يضر ألف سنة وما هو ﴾ هذا الضمير يعود على «أحدهم» ﴿ يمزحزحه ﴾ لا يبتعد ﴿ من العذاب أن يضر ﴾ أبداً لا نجاة لهم من النار سواء عاشوا ألفاً أم ألوفاً ﴿ والله بصير بما يعملون ﴾ ويعلمهم بما يستحقون .

٩٧- ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ ﴾ ترمي هذه الآية إلى أن اليهود كانوا يكرهون جبريل ﴿ فإنه ﴾ جبريل ﴿ نزل ﴾ القرآن ﴿ على قلبك ﴾ يا محمد ﴿ بإذن الله مصداقاً لما بين يديه ﴾ من التوراة والإنجيل ﴿ وهدي ﴾ إلى نهج السبيل ﴿ وبشرى للمؤمنين ﴾ بالثواب الجزيل .

٩٨- ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾ أعاد ذكر جبريل وميكال بعد ذكر الملائكة لفضلهما ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾ فيه دلالة على أن عداوة الملائكة كفر .

٩٩- ﴿ وَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ﴾ الخطاب لمحمد (ص) ﴿ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ معجزات واضحات ﴿ وما يكفر بها إلا الفاسقون ﴾ المتمردون على الحق .

١٠٠- ﴿ أَوْ كَلِمَاتٍ عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ ﴾ اليهود موصوفون بنقض العهد ، وقال سبحانه : فريق منهم

لأن بعضهم لم يقض ﴿ بل أكثرهم لا يؤمنون ﴾ بأن نقض العهد ذنب .

١٠١- ﴿ وَلَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مِنْهُمْ ﴾ لخبرهم وسعادتهم ﴿ نبذ فريق من الذين أولوا الكتاب ﴾ التوراة ﴿ كتاب الله ﴾ القرآن ﴿ وراء ظهورهم ﴾

كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ ﴾ وَاللَّهُ عَلِيمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يَعْمُرُ الْآلُفَ سَنَةً وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزَّهِءٍ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يَعْمُرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿ وَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿ أَوْ كَلِمَاتٍ عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ

الإعراب :

﴿جبريل وميكال﴾ ممنوعان من الصرف للعلمية والعجمة . وقال صاحب مجمع البيان ، وصاحب البحر المحيط : (ان جواب ﴿من﴾ كان عدواً لجبريل ﴿مخدوف تقديره فهو كافر، أو ما أشبه وقد دل عليه الموجد، وعلمه صاحب البحر بأن الجواب لا بد أن يكون فيه ضمير يعود على ﴿من﴾ التي هي اسم الشرط، وقوله تعالى : ﴿فانه نزل على قلبك﴾ ليس فيه ضمير يعود على من، لأن ضمير ﴿فانه﴾ عائد على جبريل، وضمير ﴿نزل﴾ عائد على القرآن . . . ﴿ومصدقا﴾ حال من الضمير في نزل، وهدي وبشرى معطوفان عليه .

كتابة عن الإعراض ﴿ كَانَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ بأن القرآن حق وصدق .

١٠٢- ﴿ وَاتَّبَعُوا ﴾ الضمير للفريق المذكور من اليهود ﴿ مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ ﴾ المراد بهم المشعوذون ﴿ عَلَى مَلِكٍ سُلَيْمَانَ ﴾ كان هؤلاء الشياطين أو المشعوذون في زمن سليمان يكتبون ما يزعمونه سحراً ، و يقولون للناس هذا علم سليمان ، وبه سحر الإنس والجن والريح ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ ﴾ هو منزه عن هذه النسبة الكاذبة ﴿ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾ باستعمال هذا السحر والكذب والغواية في نسبه إلى سليمان ﴿ يَعْلَمُونَ ﴾ الناس السحر ﴿ أَيْ الْكُذْبَ وَالْغَايَةَ ﴾ وما أنزل على الملكين ﴿ كَمَا كَانَ النَّاسُ آنَ ذَٰلِكَ يَسْتَوُونَ ﴾ بذلك ﴿ بَابِلَ ﴾ بلد في العراق ﴿ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ﴾ بدل من الملكين ﴿ وَمَا يَعْلَمَانِ ﴾ من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنه ﴿ ابْتِلَاءَ ﴾ فلا تكفر ﴿ أَيْ لَا تَعْلَمُ مَعْتَقِداً أَنَّهُ حَقٌّ فَتَكْفُرُ ﴾ فيتعلمون منهما ﴿ أَيْ يَتَعْلَمُ النَّاسُ مِنَ الْمَلِكَيْنِ ﴾ ما يفرقون به بين المرء وزوجه ﴿ تَدْلِيساً وَتَمْوِياً ﴾ كالنفس في العقد ونحو ذلك ﴿ وَمَاهُمْ بِضَآرِّينَ ﴾ به من أحد إلا بإذن الله ﴿ بَحِثْ يَتَرَبَّ الضَّرَرُ عَلَى سَبَبِ مَأْلُوفٍ ﴾ قال الإمام الصادق (ع) أبى الله أن يجري الأمور إلا على أسبابها ﴿ وَيَتَعْلَمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ﴾ لأنه مجرد شعور ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ ﴾ اختار الشعرة على الحق ﴿ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾ نصيب ﴿ وَلَيْشَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ﴾ أي باعوا أنفسهم بأبخس الأثمان ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ هم يعلمون بدليل قوله تعالى : « ولقد علموا ... » ولكن من لا يعمل بعلمه فهو أسوأ حالاً من الجاهل .

وَرَأَى ظُهُورَهُمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مَلِكٍ سُلَيْمَانَ ﴿١٠٤﴾ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴿١٠٦﴾ فَيَتَعْلَمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ﴿١٠٧﴾ وَمَا هُمْ بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴿١٠٨﴾ وَيَتَعْلَمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿١١٠﴾ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا ﴿١١٢﴾ وَآتَقَوْا ثَمُوبَةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١١٣﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رِعَا وَفُؤُلُوا أَنْظَرْنَا وَأَسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ

١٠٣- ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ﴾ اليهود ﴿ ءَامَنُوا ﴾ بمحمد (ص) ﴿ وَاقْبُوا ﴾ تاركين العناد ﴿ لَثُوبَةٍ ﴾ جواب لو ﴿ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ ﴾ مما هم فيه من الضلال حتى ولو كانت هذه الثوبة سيرة ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ هذا تجهيل للعالم الذي لا يعمل بعلمه .

١٠٤- ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ النداء للصحابه ﴿ لَا تَقُولُوا رَاعِنَا ﴾ كان النبي (ص) إذا حدث المسلمين يقولون له « راعنا » يريدون تمهل علينا كي نستوعب كلامك ، وكانت هذه الكلمة سبة عند اليهود ، فاستغلوها وخطبوا النبي بها بنية السوء ، فنهى النبي المسلمين وقال لهم : ﴿ وَقُولُوا أَنْظَرْنَا ﴾ أي راقبنا وانتظرنا حتى نفهم ﴿ وَاسْمَعُوا ﴾ احسنوا الاستماع للنبي حين يتكلم ﴿ وَلِلْكَافِرِينَ ﴾ اليهود الذين قالوا للنبي « راعنا » نجبت ﴿ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

الإعراب :

﴿ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ﴾ بدل مفصل من جملة من الملكين ، وهما ممنوعان من الصرف للعلمية والعجمة . ومن زائدة ، أي ﴿ مَا يَعْلَمَانِ ﴾ أخذاً ، وما هما بضارين به أحداً .

١٠٥- ﴿ مَا يَوْذُو الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ اليهود والنصارى ﴿ وَلَا الْمُشْرِكِينَ ﴾ الذين يعبدون الأصنام ﴿ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿ * مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ ﴿ أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ ﴿ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَصُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تَقَدَّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَحْدُوهُ

١٠٦- ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ ﴾ نزيلها ﴿ أَوْ نُنسِهَا ﴾ ننحو حفظها من القلوب ﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا ﴾ لمصلحة العباد ﴿ أَوْ مِثْلَهَا ﴾ أو ما يعادل ويمثل المصلحة المنسوخة ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ومنه إبدال خير بخير منه وبمثل وزناً وأثراً .

١٠٧- ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ يديرهما تبعاً للحكمة والمصلحة ﴿ وَمَا لَكُمْ مِنْ وَلِيٍّ ﴾ يقوم بأمركم ﴿ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ تعتمدون على عدله ورحمته .

١٠٨- ﴿ أَمْ تَرِيدُونَ ﴾ أيها المسلمون ﴿ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ ﴾ كما سئل موسى من قبل ﴿ قَالَ الْيَهُودُ لِمُوسَى مِنْ جَمَلَةٍ مَا قَالَوا عَنَادًا : أَرَأَى اللَّهَ جَهْرَةً ، أتريدون أيها المسلمون أن تفعلوا كما فعل اليهود ؟ إن هذا إلا الكفر بعينه وأنتم مؤمنون ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ وهكذا كل من لا يقتنع بالدليل الواضح القاطع ، ويطلب المزيد لمجرد التمييز .

١٠٩- ﴿ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ ﴾ عن الإسلام ﴿ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا ﴾ يرجعونكم إلى الجاهلية الجاهل بغيراً ﴿ وَهُمْ حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ﴾ للنبي الأعظم (ص) ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ وهم أعدى أعدائه ﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا ﴾ اسلكوا معهم أيها المسلمون سبيل العفو والصفح ﴿ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ ﴾ أي حتى يأمركم الله بحربهم وتأديبهم ، فإن الأمور رهن بأوقاتها ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ وسينتقم من كل باغ لا محالة .

١١٠- ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تَقَدَّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجْلُوهُ ﴾ عند الله ﴿ لِأَنَّهُ تَعَالَى لَابْضِغِ أَجْرَ الْحَسَنِينَ

الإِعْرَابُ :

﴿ أَمْ ﴾ هنا منقطعة بمعنى بل مع الاستفهام ، أي بل ﴿ أتريدون ﴾ الخ ، ودخلت الباء على الإيمان ، لأنها تدخل دائماً في البدلية على الأكمل ، و﴿ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ متعلق بمحذوف صفة لكثير ، و﴿ حَسَدًا ﴾ مفعول من أجله ، و﴿ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ﴾ متعلق بحسد وجواب لو محذوف تقديره لسروا بذلك .

﴿ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ واضح بلا تفسير .

١١١- ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴾ ولماذا هذا الاحتكار ؟ لأنهم شعب الله المختار ! ﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ﴾ الواعية الخاوية ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ هذا هو الجواب العلمي المفهم .

١١٢- ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَشْرِكْ بِاللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَوَعَدَنَّهُنَّ الْيَهُودَ لَيَسَّيَنَّ اللَّهُ أَلْفَاظَهُنَّ لَكُنَّ قَوْمًا عَلَىٰ أَوْفَىٰ عُتُقَةٍ وَأَنَّهُنَّ الْغَافِلُونَ ﴾ ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا بِاسْمِهِ وَسَعَىٰ فِي تَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَمُوجُهُ اللَّهِ إِنْ اللَّهَ أَفْهَمُوا ﴾

١١٣- ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ بصحّ وبعده به ﴿ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ عداوات ومصادرات ﴿ وَهُمْ يَطْلُونَ الْكِتَابَ ﴾ أي يفعلون هذا ونحوه وهم من أهل العلم وتلاوة الكتب السماوية كما يزعمون ﴿ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ هم عبدة الأوثان والدهرية ونحوهم ﴿ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾ أي قالوا لأهل الأديان بالكامل : لستم على شيء ونحن وحدنا على الصراط القويم ﴿ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ فيريهم من يدخل الجنة ومن يدخل النار عياناً .

١١٤- ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا بِاسْمِهِ وَسَعَىٰ فِي تَرَابِهَا ﴾ في هذا التهديد بعمّ ويشمل بظاهرة كل من لا يحترم المساجد أينما كانت وتكون ، فيمنع من التعبد فيها أو يعمل على هدمها أو عدم بنائها ﴿ أُولَٰئِكَ الْمَانِعُونَ ﴾ ما كان لهم ﴿ فِي حُكْمِ اللَّهِ ﴾ أن يدخلوها ﴿ الْمَسَاجِدُ ﴾ إلا خائفين ﴿ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ أَنْ يَضُرَّ الْمُسْلِمِينَ عَلَىٰ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ إِذَا عَمِلُوا بِمُوجِبِهِ ﴾ لهم ﴿ لِأَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ ﴾ في الدنيا خزي ﴿ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ ﴾ ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴿ وَلَا عَذَابَ أَكْبَرَ مِنْ نَارِ الْجَهَنَّمَ ﴾

١١٥- ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ﴾ الأرض كلها لله ، وللمسلم أن يصلي في أية بقعة منها سواء منع من الصلاة في المسجد أم لم يمنع لأن الله خلق الأرض مسجداً وطهوراً ﴿ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَمُوجُهُ اللَّهِ ﴾ أينما صلى المسلم فعليه أن يتجه إلى الشطر الذي أمر الله بالاتجاه إليه ، وهو شطر المسجد الحرام بنص الآية ١٤٤ من البقرة وغيرها كما يأتي ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ ﴾ يريد كذا ، ﴿ وَخَائِفِينَ ﴾ حال من الواو في ﴿ يَدْخُلُوهَا ﴾

الإعراب :

اتفقوا على ان المصدر المنسك من ﴿أَنْ﴾ والفعل الذي دخلت عليه محله النصب، ثم اختلفوا في اعرابه على أربعة اقوال ذكرها الرازي وابو حيان الأندلسي، وأظهرها - كما نرى - ان المصدر منصوب بنزع الخافض، والتقدير منع من ذكر الله فيها، كما تقول منعه من كذا، ﴿وَخَائِفِينَ﴾ حال من الواو في ﴿يَدْخُلُوهَا﴾.

عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَوَعَدَنَّهُنَّ الْيَهُودَ لَيَسَّيَنَّ اللَّهُ أَلْفَاظَهُنَّ لَكُنَّ قَوْمًا عَلَىٰ أَوْفَىٰ عُتُقَةٍ وَأَنَّهُنَّ الْغَافِلُونَ ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا بِاسْمِهِ وَسَعَىٰ فِي تَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَمُوجُهُ اللَّهِ إِنْ اللَّهَ أَفْهَمُوا ﴾

التوسعة والتيسير على عباده ﴿ عليهم ﴾ بمصالحهم .

١١٦- ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ وهم الذين قالوا : المسيح ابن الله وعزير ابن الله والملائكة بنات الله ﴿ سبحانه ﴾ تنزيه له عن ذلك ﴿ بل له ما في السموات والأرض ﴾ هو خالقها بما فيها ومن فيها ، ومن جعلها المسيح وعزير والملائكة ﴿ كل له قانتون ﴾ عابدون متقادون .

١١٧- ﴿ بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ خلقها ولا مثل لها من قبل ﴿ وَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ من تك هذه قدرته وعظمته فهو غني عن كل شيء ، وليس كمثله شيء ومباين للأجسام المتوالدة المتناسلة .

١١٨- ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ من المشركين وغيرهم : ﴿ لَوْلَا يَكْلُمُنَا اللَّهُ ﴾ مشافهة وبخبرنا بأن محمداً نبيه ورسوله ﴿ أَوْ تَأْتِيَنَا آيَةٌ ﴾ نحن نقترحها ونفرضها ﴿ كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم ﴾ إشارة إلى قول اليهود لموسى : أَرَأَى اللَّهُ جَهْرَةً وَنَحْوَ ذَلِكَ ﴿ تشابهت قلوبهم ﴾ في العمى والضلال ﴿ فَدَيَّنَّا الْآيَاتِ ﴾ والدلائل الكافية والوافية في الدلالة على نبوة محمد (ص) ﴿ قَوْمٌ يَوْفُونَ ﴾ منصفون ، ومن لا يقتنع بما بينا لا يقتعه شيء .

١١٩- ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ معلماً لا مسيطراً ، وفي الآية تسلية للنبي (ص) لئلا يضيّق صدره بكفر من كفر ﴿ وَلَا تَسْأَلْ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾ ما دمت قد أدّيت الرسالة .

١٢٠- ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهَدَىٰ وَهُوَ الْغَدَىٰ وَلَنْ يُتَّبَعَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فاولئك يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فاولئك يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به .

١٢١- ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ﴾ يريد الذين أسلموا من اليهود والنصارى ﴿ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾ أي لا يحرفونه ﴿ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ كما أنزل من عند الله ﴿ ومن يكفر به ﴾ أي يحرفه ﴿ فأولئك هم الخاسرون ﴾ حيث باعوا دينهم للشيطان .

الإعراب :

تأتي ﴿لولا﴾ للامتناع ، وتدخل على جملتين : اسمية ، وأخرى فعلية ، نحو لولا زيد لاكرمك ، أي لولا زيد موجود ، فخير المبتدأ يكون في الغالب مقدراً ، ﴿قال﴾ ابن مالك : «وبعد لولا غالباً حذف الخبر» .

وَسِعَ عَلَيْهِمُ ﴿١١٦﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَنِينُونَ ﴿١١٧﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٩﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١٢٠﴾ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهَدَىٰ وَهُوَ الْغَدَىٰ وَلَنْ يُتَّبَعَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢١﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَاُولَٰئِكَ

١٢٢- ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ مر في الآية ٤٧ .

١٢٣- وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿مَرٌّ فِي الْآيَةِ ٤٨ .

١٢٤- ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ﴾ ﴿إِبْرَاهِيمَ (ع) هُوَ أَبُو الْأَنْبِيَاء ، وَاللَّهُ سَبَّحَانَهُ لَا يَجْتَرِ عِبَادَهُ حَقِيقَةً ، لِأَنَّهُ أَعْلَمَ بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَلَكِنَّهُ يَكْلِفُهُمْ لِيُظْهَرَ وَيَتَبَيَّنَ الْمَطْبِعُ الْمُسْتَحَقُّ لِلتَّوْبَةِ مِنَ الْعَاصِي الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِقَابِ﴾ ﴿بِكَلِمَاتٍ﴾ ﴿بِأَوَامِرٍ وَنَوَاهٍ﴾ ﴿فَاتَمَّهَتْ﴾ ﴿فَامْتَلَتْ وَأَطَاعَ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِ﴾ ﴿قَالَ﴾ ﴿اللَّهُ سَبَّحَانَهُ لِإِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿إِنِّي جَاعِلٌ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ ﴿قُدْرَةً يَأْتُونُكَ فِي دِينِهِمْ﴾ ﴿قَالَ﴾ ﴿إِبْرَاهِيمَ لَرَبِّهِ﴾ ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ ﴿رَجَاهُ أَنْ يَمُنَّ عَلَى بَعْضِ ذُرِّيَّتِهِ بِالْإِمَامَةِ أَيْضًا﴾ ﴿قَالَ﴾ ﴿سَبَّحَانَهُ﴾ ﴿لَا يَبَالُ عَهْدِي﴾ ﴿أَيِ الْإِمَامَةِ﴾ ﴿وَالطَّالِعِينَ﴾ ﴿وَالْعَاصِينَ ، وَيَدُلُّ هَذَا عَلَى أَنَّ الْإِمَامَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَعْصُومًا .

١٢٥- ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ﴾ ﴿الْكِبْرَةَ﴾ ﴿مَثَابَةً لِلنَّاسِ﴾ ﴿مَرْجَعًا ، وَالتَّاءُ لِلْمُبَالَغَةِ مِنْ ثَابٍ بِمَعْنَى رَجَعَ﴾ ﴿وَأَمَّا﴾ ﴿مِنْ عَذَابِ اللَّهِ غَدًّا لِمَنْ أَذَى مَنَاسِكَ الْحَجِّ عَلَى وَجْهِهَا﴾ ﴿وَاتَّخَلَّوْا﴾ ﴿أَمْرٌ﴾ ﴿مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿مَعْرُوفٍ لِلنَّاسِ فِي الْكِبَرَةِ الْمَكْرَمَةِ﴾ ﴿مَصْلٌ﴾ ﴿صَلُّوا فِيهِ مَعَ الْإِمَامِ﴾ ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ ﴿أَمْرَانَاهُمَا﴾ ﴿أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي﴾ ﴿مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْخَبَائِثِ﴾ ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ ﴿الَّذِينَ يَدُورُونَ حَوْلَهُ﴾ ﴿وَالْعَاكِفِينَ﴾ ﴿الْمُعْتَكِفِينَ فِيهِ وَالْمُجَاوِرِينَ لَهُ﴾ ﴿وَالرُّكَّعَ السَّجُودَ﴾ ﴿الْمُصَلِّينَ عِنْدَهُ .

١٢٦- ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا﴾ ﴿إِشَارَةً إِلَىٰ مَكَّةَ﴾ ﴿بِلَدَا أَمْنًا﴾ ﴿مِنَ الْجَبَابِرَةِ وَالْفِرَاقَةِ وَالْعَوَاصِفِ وَالزَّلَازِلِ وَنَحْوِ ذَلِكَ﴾ ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الشَّعَرَاتِ﴾ ﴿حَتَّىٰ وَلَوْ أَنْتُمْ مِنْ أَرْضِهِمْ﴾ ﴿مِنْ أَمْنٍ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ﴿مِنْ أَمْنٍ يَدُلُّ بَعْضُ مِنْ أَهْلِهِ ، ارْزُقْ يَا اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ﴾ ﴿قَالَ﴾ ﴿سَبَّحَانَهُ لَخَلِيلِهِ﴾ ﴿وَمِنْ كَفَرٍ﴾ ﴿أَيِ ارْزُقِ الْمُؤْمِنَ﴾ ﴿فَأَمَّتَهُ قَلِيلًا﴾ ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ ﴿ثُمَّ أَصْطَرَّهُ﴾ ﴿فِي الْآخِرَةِ وَالْكَافِرَ ، لِأَنَّ الرِّزْقَ شَيْءٌ ، وَالْإِمَامَةَ أَوْ الْإِيمَانَ شَيْءٌ آخَرَ﴾

الإِعْرَابُ :

﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ مفعول مقدم ، و﴿رَبِّهِ﴾ فاعل مؤخر ، والضمير عائد على إِبْرَاهِيمَ ، وهو مؤخر لفظاً متقدماً رتبة ، لأن رتبة الفاعل متقدمة على رتبة المفعول ، و﴿قَالَ﴾ النحاة : لا يجوز تقديم الضمير لفظاً ورتبة ، لأن من شأنه أن يعود على سابق إما لفظاً وإما رتبة ، ولا يجوز أن يعود على متاخر لفظاً ورتبة .

﴿ إلى عذاب النار وبئس المصير ﴾ العقاب غداً لمن عصى ،
والثواب لمن أطاع أما الآن فالرزق لمن سعى له سعيه براً كان أو
فاجراً .

١٢٧- ﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد ﴾ جمع قاعدة وهي
الأساس ﴿ من البيت وإسماعيل ﴾ أي رفعاً البناء على أسس
البيت ﴿ ربنا ﴾ يقولان : يا ربنا ﴿ تقبل منا ﴾ فيه دلالة
على أنها بنية الكعبة مسجداً لا مسكناً ﴿ إنك أنت السميع ﴾
لديعائنا ﴿ العليم ﴾ بمقاصدنا .

١٢٨- ﴿ ربنا واجعلنا مسلمين لك ﴾ مستسلمين مخلصين
﴿ ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ﴾ وقد استجاب سبحانه
دعائها حيث جعل من ذريتها المسلمين ، ويبلغون الآن ألف
فليون كما جاء في مجلة العربي الكويتية عدد جمادى الثانية
سنة ١٣٩٧ ص ٥٠ ﴿ وأرنا مناسكنا ﴾ عرفنا بمناسك الحج
وغيرها من العبادات لنقوم بها على وجهها ﴿ وتب علينا ﴾
هذا الطلب أو الرجاء هو ضرب من العبادة ، وإن لم يكن
هناك ذنب ﴿ إنك أنت التواب ﴾ القابل للتوبة ﴿ الرحيم ﴾
بعبادك .

١٢٩- ﴿ ربنا ﴾ قال إبراهيم وإسماعيل : يا ربنا ﴿ وابعث
فيهم ﴾ في الأمة المسلمة ﴿ رسولاً منهم ﴾ وهو نبيّنا محمد
(ص) الذي قال : أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ﴿ يتلو
عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب ﴾ القرآن الكريم ﴿ والحكمة ﴾
الشريعة ﴿ ويذكّهم ﴾ يطهرهم من الإلحاد والفساد ﴿ إنك
أنت العزيز ﴾ القوي ﴿ الحكيم ﴾ في كل ما تفعل .

١٣٠- ﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم ﴾ لا يبتعد عن شريعة إبراهيم وطريقته التي هي الحق والحقيقة ﴿ إلا من
سفه نفسه ﴾ أهانها واستخف بها ﴿ ولقد اصطفيه في الدنيا ﴾ اختارناه للنبوّة والرسالة ﴿ وأنه في الآخرة لمن الصالحين ﴾
الفائزين بالعرّة والكرامة .

١٣١- ﴿ وإذ قال له ربه أسلم ﴾ كناية عما يملك إبراهيم من عقل خالص اهتمى به إلى التوحيد ﴿ قال أسلمت
لرب العالمين ﴾ نظرت وعلمت أنك خالق كل شيء .

١٣٢- ﴿ ووصى بها ﴾ الهاء تعود إلى كلمة إبراهيم وهي وأسلمت لرب العالمين « ﴿ إبراهيم بنيه ﴾ إسماعيل
من قنطورة ﴿ ويعقوب ﴾ بن إسحق أوصى بنيه بذلك وقال : ﴿ يا بني إن الله اصطفى لكم الدين ﴾ أعطاكم صفوة
الأديان وهو دين الإسلام ﴿ فلا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون ﴾ من هاجر وإسحاق من سارة . وفي التوراة أن له ثالثاً اسمه مديان
اثبتوا على الإسلام حتى الموت .

١٣٣- ﴿ أم كنتم شهداء ﴾ حاضرين ﴿ إذ حضر ﴾ أي احتضر ورأى علامات الموت ﴿ يعقوب الموت ﴾ وهو

النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٧﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ
مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً
مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ
الرَّحِيمُ ﴿١٢٩﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ
آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٣٠﴾ وَمَنْ يَرِغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ
إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ
فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣١﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ
قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٢﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ
بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ
إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ

ابن إسحاق بن إبراهيم ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ
يَوْمَئِذٍ هَذَا السُّؤَالَ إِلَى الْخَوْفِ أَنْ يَرْتَدُّوا بَعْدَ وَفَاتِهِ كَفَارًا ﴿١٣٢﴾ قَالُوا
نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٣٣﴾ جَدَّ أَبْنَيْهِمْ ﴿١٣٤﴾ وَإِسْمَاعِيلَ ﴿١٣٥﴾
عَمَّ أَبْنَيْهِمْ ﴿١٣٦﴾ وَإِسْحَاقَ ﴿١٣٧﴾ جَدَّهُمُ الْأَقْرَبَ ﴿١٣٨﴾ إِلَهًُا وَاحِدًا وَنَحْنُ
لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٩﴾ مطيعون .

١٣٤- ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ﴿١٣٤﴾ مَضَتْ إِلَى رَبِّهَا ﴿١٣٥﴾ لَهَا
مَا كَسَبَتْ ﴿١٣٦﴾ لَا لِنَبِيِّهَا ﴿١٣٧﴾ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ﴿١٣٨﴾ لَا تَتَفَكَّمُوا
حَسَنَاتِ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ ﴿١٣٩﴾ وَلَا تَسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾
وَلَا هُمْ يَسْأَلُونَ عَنْ أَعْمَالِكُمْ .

١٣٥- ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴿١٣٥﴾ أَيُّ قَالِ
الْيَهُودِ لِلْمُسْلِمِينَ أَوْ النَّاسِ : كُونُوا يَهُودًا ، وَقَالَ النَّصَارَى :
كُونُوا نَصَارَى ﴿١٣٦﴾ تَهْتَدُوا ﴿١٣٧﴾ تَصْبِيحُوا طَرِيقَ الْهُدَى وَالْحَقِّ
﴿١٣٨﴾ قُلْ ﴿١٣٩﴾ يَا مُحَمَّدُ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى : ﴿١٤٠﴾ بَلْ ﴿١٤١﴾ نَتَّبِعُ ﴿١٤٢﴾ مِلَّةَ
إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴿١٤٣﴾ وَالْحَنِيفِ الْمِثَالُ عَنْ كُلِّ دِينٍ إِلَى دِينِ الْحَقِّ
﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤٥﴾ وَلَا مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى .

١٣٦- ﴿قُولُوا ﴿١٣٦﴾ أَبُيَا الْمُسْلِمُونَ : ﴿١٣٧﴾ آمَنَّا بِاللَّهِ ﴿١٣٨﴾ هَذَا
هُوَ الْأَوَّلُ وَالْأَصْلُ الْأَصِيلُ فِي الدِّينِ الْقَوِيمِ ﴿١٣٩﴾ وَمَا أَنزَلَ إِلَيْنَا ﴿١٤٠﴾
وَهُوَ الْقُرْآنُ ، وَالْإِيمَانُ بِهِ إِيْمَانُ بِمُحَمَّدٍ (ص) ﴿١٤١﴾ وَمَا أَنزَلَ إِلَى
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴿١٤٢﴾ وَالْكَتَبِ السَّمَاوِيَةِ لَمْ
تَنْزَلْ إِلَيْهِمْ جَمِيعًا ، وَإِنَّمَا نَزَلَتْ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَلَكِنْ صَحَّةُ النِّسْبَةِ
إِلَى الْجَمِيعِ بِالنَّظَرِ إِلَى أَنَّهُمْ مُتَعَبِدُونَ بِهَا ﴿١٤٣﴾ وَالْأَسْبَاطِ ﴿١٤٤﴾ وَهُمْ
حَفْدَةُ يَعْقُوبَ مِنْ أَبْنَائِهِ الْإِثْنِي عَشَرَ ، وَمِنَ الْأَسْبَاطِ دَاوُدُ
وَسُلَيْمَانُ وَيَحْيَى وَزَكَرِيَّا ﴿١٤٥﴾ وَمَا أَوْفَى مُوسَى ﴿١٤٦﴾ التَّوْرَةَ

﴿١٤٧﴾ وَعِيسَى ﴿١٤٨﴾ الْإِنْجِيلَ ﴿١٤٩﴾ وَمَا أَوْفَى النَّبِيُّونَ مِنْ رِبِّهِمْ ﴿١٥٠﴾ كَالزَّبُورِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى دَاوُدَ ﴿١٥١﴾ لَا تَفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ ﴿١٥٢﴾ تَزْمِنُ بِكُلِّ نَبِيٍّ
يُؤْمِنُ بِهِ مُحَمَّدٌ (ص) دُونَ اسْتِثْنَاءٍ ﴿١٥٣﴾ وَنَحْنُ لَهُ ﴿١٥٤﴾ اللَّهُ تَعَالَى ﴿١٥٥﴾ مُسْلِمُونَ ﴿١٥٦﴾ مُعْتَرِفُونَ بِوَحْدَانِيَّتِهِ .

١٣٧- ﴿فَإِنْ آمَنُوا ﴿١٣٧﴾ بِالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٨﴾ بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ ﴿١٣٩﴾ إِيْمَانًا خَالِصًا ﴿١٤٠﴾ فَقَدْ اهْتَدَوْا ﴿١٤١﴾ إِلَى الْحَقِّ
﴿١٤٢﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا ﴿١٤٣﴾ عَنِ الدُّخُولِ فِيمَا دَخَلْتُمْ ﴿١٤٤﴾ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ﴿١٤٥﴾ فِي عِنَادِ الْحَقِّ ﴿١٤٦﴾ فَسَيَكْفِيكَهُمْ اللَّهُ ﴿١٤٧﴾ هَذَا وَعَدَ مِنْ
اللَّهِ لِنَصْرَةِ الْإِسْلَامِ عَلَى أَعْدَائِهِ ﴿١٤٨﴾ وَهُوَ السَّمِيعُ ﴿١٤٩﴾ يَسْمَعُ أَعْوَالَهُمْ ﴿١٥٠﴾ الْعَلِيمُ ﴿١٥١﴾ يَعْلَمُ أَعْمَالَهُمْ .

الإعراب :

﴿تَهْتَدُوا﴾ مجزوم بجواب الأمر ، وهو «كونوا» ، لأن فيه معنى الشرط ، أي إن تكونوا على اليهودية والنصرانية تهتدوا ، ولفظ ملة
منصوب بفعل محذوف ، أي تتبع «ملة إبراهيم» ، و«حنيفاً» حال من إبراهيم ، ولفظ صبغة الله منصوب على المصدر ، أي صبغنا صبغة
الله ، وصبغة من قوله تعالى : ﴿ومن أحسن من الله صبغة﴾ تمييز محول عن المبتدأ ، أي ومن صبغته أحسن من صبغة الله .

١٣٨- ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ دين الله أو فطرته التي فطر الناس عليها ﴿ومن أحسن من الله صبغة﴾ أبداً لا دين إلا ما أنزله الله ﴿ونحن له عابدون﴾ وحده لا شريك له .

١٣٩- ﴿قل﴾ يا محمد لليهود وغيرهم ﴿أنعاجوننا في الله﴾ لماذا اصطفى نبياً من العرب دون غيرهم أو محمداً بالخصوص دون سواه من العرب ﴿وهو ربنا وربكم﴾ خلقنا جميعاً وعلينا أن نسمع ونطيع بلا سؤال وجدال ﴿ولنا أعمالنا﴾ نحن مسؤولون عنها من دونكم ﴿ولكم أعمالكم﴾ أنتم مسؤولون عنها دون غيركم ﴿ونحن له مخلصون﴾ إيماناً وعملاً .

١٤٠- ﴿أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى﴾ إن هذا القول جهالة وضلالة ﴿قل﴾ يا محمد لهؤلاء : ﴿أنتم أعلم﴾ من الله بعباده وأنبياؤه ﴿أم الله﴾ ليس هذا سؤالاً ، بل توبيخاً حيث لا محل للسؤال إطلاقاً ﴿ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله﴾ كتم اليهود ما جاء في توراة موسى ، وكتم النصارى ما جاء في إنجيل عيسى كل ما يتصل بمحمد (ص) وصفاته ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ من كتمان الحق وغيره .

١٤١- ﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون﴾ تقدم بالحرف في الآية ١٣٤ .

١٤٢- ﴿سيقول السفهاء من الناس﴾ وهم اليهود :

﴿ما ولأهم عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾ كان النبي والمسلمون

يتوجهون في صلاحهم إلى بيت المقدس بأمر الله تعالى ، ثم نسخ هذه القبلة ، وحولها إلى الكعبة ، فقال اليهود ساخريين : ولماذا هذا التحول ؟ ﴿قل﴾ يا محمد : ﴿له المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ الأرض كلها لله ، ولكن الحكمة تارة تستدعي الصلاة إلى بيت المقدس ، وتارة إلى الكعبة .

١٤٣- ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾ على الصراط الوسط العدل ﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾ يجب على علماء المسلمين أن يبلغوا الناس رسالة محمد (ص) وبذلك يصبحون حجة على من بلغوه إذا أهمل ولم يعمل ﴿ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ ومن أهل من العلماء هذا التبليغ يكون محمد حجة عليه غداً أمام الله ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها﴾ بعد أن أمر الله نبيه بالتحول من بيت المقدس إلى الكعبة ارتاب بعض من أسلم وقال : مرة هنا ومرة هناك

الإعراب :

﴿من الناس﴾ متعلق بمحذوف حال من السفهاء ، لأن الظرف والمجرور بعد المعرفة يتعلق بالحال ، وبعد النكرة بالصفة .

مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عِبْدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَنعَاجُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ * سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْتُمُ عَنْ قِبَلَتِهِمْ أَتَى كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ

﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ لنظهر لك ولنغريك ﴿من يتبع الرسول﴾
ظاهراً وباطناً ﴿من ينقلب على عقبيه﴾ وهو الذي
يظهر الإسلام ويبطن العداء له ولرسوله ، أما الطريق إلى
إظهار حقيقته هذه فهو التشكيك في تحويل القبلة ﴿وإن
كانت﴾ القبلة الجديدة ﴿لكبيرة﴾ إلا على الذين هدى الله ﴿ومم
أهل الإيمان المستقر الأصيل﴾ وما كان الله ليضيع إيمانكم
أي ثباتكم على الإيمان ﴿إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾
لا يأمرهم بشيء أو ينهاهم عنه إلا لمصلحة تعود عليهم دنيا وآخرة .

١٤٤- ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء﴾ إشارة
إلى أن النبي (ص) كان يود من أعماقه أن تتحول القبلة إلى
الكعبة لأنها قبله أبيه إبراهيم (ع) ﴿فلنولينك قبلة ترضاها﴾
يعطيك ربك قرضي ﴿قول وجهك شطر المسجد الحرام﴾
صل أنت ومن أتبعك إلى جهته وسمته ﴿وحيث ما كنتم فولوا
وجوهكم شطره﴾ أينما كنتم من بقاع الأرض فاتجهوا في
صلاتكم إلى المسجد الحرام ﴿وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون
أنه الحق من ربهم﴾ لعلهم بصدق محمد (ص) ورسالته
﴿وما الله بغافل عما يعملون﴾ من كتاب الحق وإنكاره .

١٤٥- ﴿ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب﴾ اليهود
والنصارى ﴿بكل آية﴾ برهان على أن الكعبة هي القبلة
﴿ماتبعوا قبلتك﴾ فضلاً عن ملكك ﴿وما أنت بتابع
قبلتهم﴾ بحكم نبوتك ورسالتك ﴿وما بعضهم بتابع قبلة
بعض﴾ اليهود يستقبلون بيت المقدس والنصارى مطلع الشمس ،
ولا تترك طائفة ما هي عليه أبداً . ﴿ولئن اتبعت أهواءهم من

بعد ما جاعك من العلم إنك إذن لمن الظالمين﴾ لقد عصم الله نبيه عن صغار الذنوب فضلاً عن كبارها ، ولكن الغرض أن
يسمع اليهود ، وأن ينصّب النبي في موقفه منهم حيث لا أمل فيهم إطلاقاً .

١٤٦- ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه﴾ الكثير من علماء اليهود والنصارى يعرفون أن محمداً رسول الله معرفة واضحة
تماماً ﴿كما يعرفون أبناءهم﴾ بلا شبهة والتباس ﴿وإن فريقاً منهم﴾ خصّ الفريق منهم ليستثني من آمن منهم كعبد
الله بن سلام ﴿ليكنمون الحق وهم يعلمون﴾ بأنهم كاذبون .

الإعراب :

يطلق الشطر، ويراد به القسم من الشيء، وقيل: إذا أطلق يفهم منه النصف، فإذا قلت: شطرته شطرين معناه أنك جعلته نصفين
متعادلين، وأيضاً يراد بالشطر الجهة والنحو، وهذا المعنى هو المقصود هنا.

الرَّسُولُ مَنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبِهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا
عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ إِمَّاكُمْ إِنْ
اللَّهُ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٤﴾ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ
فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّينَاكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ
وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ
وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٥﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَاتِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ
وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ
مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٦﴾
الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ
وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٧﴾

١٤٧- ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ كل ما أنزل إليك يا محمد هو حق لا ريب فيه ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمَعْتَرِينَ﴾ الشاكين في أن فريقاً من أهل الكتاب يعلمون علم اليقين في أنك على حق ، ولكن يكابرون الحق ويعاندونه .

١٤٨- ﴿وَلِكُلِّ وُجْهَةٍ هُوَ مَوْجِبُهَا﴾ لكل من اليهود والنصارى والمسلمين قبله يتجهون إليها ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ بادروا إلى العمل لحياة أفضل ، ودعوا غيركم وشأنه ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً﴾ يوم القيامة فيثب المحق ويعاقب المطلق ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ تعليل لإمكان البعث بعد الموت .

١٤٩- ﴿وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ في أي بلد كنت ﴿فَلَوْ وَجْهَكَ﴾ وأنت تصلي ﴿شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ﴾ الثابت الذي لا يزول بنسخ ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ هذا التكرار لمجرد التوكيد .

١٥٠- ﴿وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَلََوْ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَلََوْ أَوُّوهُكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَئِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ كما أرسلنا فيك رسولاً منكم يتلوا عليك آياتنا وهي وضع الشيء في مكانه اللائق به ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ١٥١- ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ﴾ أنعم سبحانه على العرب بواحد منهم ، وهو محمد الذي جعلهم خلقاً جديداً ومفيداً ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾ التي تهدي إلى حياة أفضل ﴿وَيُزَكِّيْكُمْ﴾ يطهرهم من الشرك ومساوئ الأخلاق ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ وهي وضع الشيء في مكانه اللائق به ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ يعلمكم الإسلام أشياء تجهلونها ، وفي ذات الوقت يحثكم على طلب العلم ، فتكتشفون آفاقاً جديدة مفيدة .

١٥٢- ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالطاعة ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالتواب ﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾ ما انعمت به عليكم ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ لا تجحدوا فضلي ونوالي .

الإعراب :

﴿لكل﴾ متعلق بمحذوف خبر مقدم ، و﴿وجهة﴾ مبتدأ مؤخر ، والمضاف اليه محذوف تقديره لكل فريق أو واحد ، و﴿هو موليها﴾ مبتدأ وخبر ، والخبرات منصوب بنزع الخافض تقديره الى الخبرات .

الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ١٤٧ وَلِكُلِّ وُجْهَةٍ هُوَ مَوْجِبُهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ١٤٨ أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً ١٤٩ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٥٠ وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَلََوْ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ١٤٩ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ ١٤٩ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ١٤٩ وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَلََوْ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ١٤٩ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَلََوْ أَوُّوهُكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ١٥٠ وَلَئِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٥٠ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيْكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ١٥١ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ١٥٢

١٥٣- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ أمر سبحانه بالصبر مرات ومرات لعظم فوائده ، وبخاصة الصبر في الجهاد ، وكذلك كسر الأمر بالصلاة ، لأنها عمود الدين .

١٥٤- ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتٌ بَلْ أحياءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ ينتقل الشهيد من حياة أدنى إلى حياة أعلى ، من جوار الناس إلى جوار الله ورضوانه .

١٥٥- ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ نصيبكم إصابة تشبه فعل المختبر ﴿بشيء﴾ أي بقليل نسبة إلى ما هو أكثر وأعظم ﴿من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات﴾ أبداً لا نجاة لأحد من المخبات والنكبات ، والفرق أن الأرعن ينهار ، والعاقل يتألك صابراً محتسباً ﴿وبشر الصابرين﴾ بأحسن العواقب ، قال سبحانه : «ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ١٢٦/ النحل» .

١٥٦- ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ قال أمير المؤمنين (ع) : قولنا : إِنَّا لِلَّهِ إقرار على أنفسنا بالملك لله تعالى ، وقولنا : إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ إقرار على أنفسنا بالملك .

١٥٧- ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ أي أولئك بعد رافة ورحمة بعد رحمة ﴿وأولئك هم المهتدون﴾ إلى طريق الحق والصواب .

١٥٨- ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ﴾ ربوتان بمكة يسعى الحاج بينهما ﴿من شعائر الله﴾ جمع شعيرة وهي العلامة ﴿فمن حج البيت أو اعتمر﴾ للحج والعمرة أحكام مفصلة في كتب الفقه والمناسك ﴿فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾ ضهير التشنية يعود إلى الصفا والمروة ، والمراد بالطواف هنا السعي بينهما ، وقوله تعالى : «لا جناح» إشارة إلى أن السعي جائز ومشروع بغض النظر عن وجوبه أو استحبابه ﴿ومن تطوع خيراً﴾ أي من تبرع بالسعي بين الصفا والمروة بعد تأدية الواجب ﴿فإن الله شاكراً﴾ يشبه على ذلك ﴿عليهم﴾ بكل ما يأتي به العبد من خير أو شر .

١٥٩- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾ ذكر سبحانه أوصاف محمد (ص) في التوراة وأمر الناس باتباعه ، ولم يدع في البيان موضعاً للإشتباه ، فكلم ذلك أحبار اليهود ﴿أولئك يلعنهم الله﴾ يعذبهم ﴿ويلعنهم اللاعنون﴾ من الملائكة المؤمنين .

الإعراب :

﴿يَا أَيُّهَا﴾ أي منادى ، والهاء للتشبيه ، والذين عطف بيان لأي لأنها من الأسماء المبهمة التي تحتاج إلى بيان ، إما بالمضاف إليه مثل أي الرجلين ، أو بالوصف والبديلة ، ﴿وأموات﴾ خبر مبتدأ محذوف تقديره هم أموات . ﴿ولنبلوكم﴾ اللام واقعة في جواب قسم محذوف ، والنون للتوكيد ، ﴿ومن الخوف﴾ متعلق بمحذوف صفة لشيء .

١٦٠- ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ ندموا على جريمة الكتمان وأصلحوا ﴿أَخْلَصُوا فِي مَقَاصِدِهِمْ﴾ وبيَّنوا ﴿صِرَاحَةً﴾ ما كانوا قد كتموه وأخفوه من قبل ﴿فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ من تاب من الذنب كمن لا ذنب له ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ أقبل التوبة من كل تائب وأرحمه وأتيه .

١٦١- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ أبداً لا يعتب الله أحداً إلا من مات مُصِيراً على الكفر والمعصية ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ بإيجاب الغضب والعذاب ﴿وَالْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ أَجْمَعِينَ﴾ أحياء وأمواتاً .

١٦٢- ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ﴾ لأنهم هم الذين أساءوا لأنفسهم بالإصرار على الكفر ﴿وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ لا يمحولون وإذا استغاثوا لا يغاثن .

١٦٣- ﴿وَالْهَكْمُ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا يستى غيره إلهاً كائناتاً من كان ويكون بل ولا ربح إله ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ولي كل نعمة ورحمة حتى ولو كانت في العبد ، لأنه تعالى هو الأصل والمصدر .

١٦٤- ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ﴾ إلى آخر الآية . وخلاصة المعنى أن النظام الدقيق المحكم بين الأجرام السماوية والعوالم الأرضية لا يفسر تفسيراً مقنعاً إلا بوجود قادر حكيم لأن «الفكرة المضادة حماقات» كما قال ويقول كل ذي عقل سليم .

١٦٥- ﴿وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً﴾ أمثالاً ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ قال الإمام الباقر (ع) :

المراد بالأنداد هنا «أئمة الظلم وأشياعهم يحبونهم، ويعظمونهم ويتقادون لهم» من دون الله ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدَّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ لأنهم لا يشركون أحداً في طاعته ، والشفقة به ، والتوكل عليه

الإعراب :

﴿الْهَكْمُ﴾ مبتدأ خبره ﴿إِلَهُ﴾ ، و﴿وَاحِدٌ﴾ صفة لإله ، و﴿لَا إِلَهَ﴾ مبني على الفتح اسم لا النافية للجنس ، وخبرها محذوف تقديره لا إله موجود ﴿إِلَّا هُوَ﴾ ، والجملة خبر ثان ، وهو بديل من اسم لا ، ورفع تبعاً للمحل ، وقيل هو بديل من الضمير المستتر في الخبر المحذوف ، وهو موجود ، «الرحمن الرحيم» خبر ثالث لإلهم ، أو مبتدأ محذوف تقديره هو الرحمن الرحيم .

دون ظرف مكان ، نقول : قعد فلان دون زيد ، أي في مكان منقطع عن مكانه ، ويستعمل لفظ دون معنى ردي ، ومعنى غير مجازاً ، وهذا هو المراد من قوله تعالى من دون الله ، أي من غير الله .

﴿كَحُبِّ اللَّهِ﴾ الكاف بمعنى مثل صفة لمفعول مطلق محذوف ، تقديره يحبونهم حباً مثل حب الله ، وأشد خبر الذين آمنوا ، وحباً غير محيز ، و﴿إِنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ﴾ بفتح همزة أن ، والمصدر المنسبك منها وما بعدها مفعول برى ، وحباً حال ، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ عطف على أن القوة لله ، والتقدير لو برى الذين ظلموا قوة الله ، ووشدة عذابه ، وجواب لو يرى محذوف دل عليه سياق الكلام ، والتقدير لعلمو أن الله لا شريك له ولا ند .

الْلَّعْنُونَ ﴿١٦٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴿١٦١﴾ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦٣﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٦٤﴾ وَالْهَكْمُ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٥﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٦﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدَّ حُبًّا لِلَّهِ

وَلَوْ رَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةٌ فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأْنَا مِنْكَ كَذَلِكَ يَرِيهِمْ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكَرُّ عَدُوٍّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمِثْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا كَتَبَ الَّذِي بَنَعَ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً

﴿ ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب ﴾ لو علم الذين أشركوا بالله بما سيحل بهم من العذاب و﴿ أن القوة لله جميعاً ﴾ لا سلطان لأحد سواه ﴿ وأن الله شديد العذاب ﴾ وبالخصوص على من جعل له أنداداً وشركاء ولو علموا بذلك لما أشركوا .

١٦٦- ﴿ إذ تبرأ ﴾ يوم القيامة ﴿ الذين اتبعوا ﴾ الرؤساء ﴿ من الذين اتبعوا ﴾ الأتباع ﴿ ورأوا العذاب ﴾ هؤلاء وأولئك ﴿ وتقطعت بهم الأسباب ﴾ العلاقات والصدقات

١٦٧- ﴿ وقال الذين اتبعوا ﴾ الأتباع : ﴿ لو أن لنا كرة ﴾ عودة إلى دار الدنيا ﴿ فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا ﴾ كل فاسد يتمنى حين تنكشف له الحقائق أن يصلح ما كان أفسد ﴿ كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم ﴾ ثمرة التفریط الكآبة والندامة ﴿ وما هم بخارجين من النار ﴾ بل هم فيها خالدون .

١٦٨- ﴿ يا أيها الناس ﴾ كل الناس ﴿ كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ﴾ وطاهراً إلا إذا كان على حساب الآخرين ﴿ ولا تتبعوا خطوات الشيطان ﴾ الذي يأمركم بالكفر وأكل المال الحرام ﴿ إنه لكم عدو مبين ﴾ وأني عدو أشد وألد من يقودك إلى نار الجحيم ؟

١٦٩- ﴿ إنما يأمركم بالسوء ﴾ بكل فيح وريذة و﴿ والفحشاء ﴾ وبكل فساد وجريمة ﴿ وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ فتحللوا الحرام وتحرموا الحلال تبعاً للأهواء .

١٧٠- ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ﴾ من الحق والعدل ﴿ قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ﴾ حتى ولو كانوا على ضلال مبين ﴿ أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ﴾ لا بأس على الإنسان أن يقلد الآباء وغير الآباء فيما فيه الله رضا وللناس خير وصلاح .

١٧١- ﴿ ومثل الذين كفروا ﴾ بالحق وتعضبوا للآباء الضالين المضلين كمثل البهائم ، أما مثل الذي يدعو هؤلاء الكفار إلى الحق فهو ﴿ كمثل الذي ينطق ﴾ يصيح ﴿ بما لا يسمع ﴾ أي بالبهائم ﴿ إلا دعاء ونداء ﴾ لا تفهم البهائم من صياح الداعي إلى الحق وكلامه إلا مجرد الصوت من غير وعي

الإعراب :

﴿ حلالاً ﴾ حال من الموصول المجرور بمن ، وهو قوله : ﴿ مما في الأرض ﴾ ، و﴿ طيباً ﴾ صفة لحلال ، والفتية لم تعدن إلى مفعولين ، لأنها بمعنى وجدنا .

﴿ دعاء ﴾ مفعول يسمع ، وصم خبر مبتدأ محذوف .

وفهم ﴿صَمٌ﴾ تماماً كمن لا يسمع ﴿بِكُمْ﴾ ولا ينطق ﴿عَمِي﴾ ولا يبصر ﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ وإن ظهروا للعبان في مظهر العقلاء .

١٧٢- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ ...﴾ إلى آخر الآية ، وفي الحديث يقول الله سبحانه : أنا أخلق ويُعبد غيري ، وأنا أرزق ويُشكر غيري .

١٧٣- ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ وهي كل حيوان مات من غير تذكية شرعية ﴿وَالدَّمَ﴾ المتميز عن اللحم ، لأن ما يختلط باللحم معفو عنه ﴿وَلَحْمَ الْخُزِيرِ﴾ وشحمه أيضاً وجميع أجزائه ، وخص اللحم بالذكر ، لأنه أظهر الأجزاء التي ينتفع بها ﴿وَمَا أَهْلٌ بِهِ لغير الله﴾ وهو ما ذكر عليه حين الذبح غير اسم الله سواء أذبح للأصنام أم لغيرها ﴿فَمَن اضْطُرَّ﴾ غير باغٍ ﴿الباغي﴾ من يفعل الحرام من غير ضرورة ﴿ولا عاد﴾ والعادي من يتجاوز مقدار الضرورة وقد اشتهر بين الفقهاء : الضرورة تقدر بقدرها ﴿فلا إثم﴾ لا حرج ﴿عليه﴾ إن الله غفور رحيم ﴿لا يحاسب العبد على ما يضطر إليه﴾ .

١٧٤- ﴿إِن الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ عاد الكلام عن اليهود ﴿ويشرون به ثمناً قليلاً﴾ يكتُمون الحق ويحرفون لا شيء إلا لمفسهم الشخصية ﴿أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار﴾ لأن من يأكل ما يؤدي إلى النار فكأنه أكل النار ﴿ولا يكلمهم الله يوم القيامة﴾ كناية عن إعراضه عنهم وغضبه عليهم ﴿ولا يزكّيهم﴾ من الذنوب

صَمٌ بَكَرْعَمِي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخُزِيرِ وَمَا أَهْلٌ بِهِ لغيرِ اللَّهِ فَمَن اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٤﴾ إِن الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيُسْتَرُونَ بِهِ تَمَنَّا قَلِيلًا لَّأُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهَدْيِ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ زَلَّ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَشِقَاقِيٌّ بَعِيدٌ ﴿١٧٧﴾ * لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تَوَلَّوْا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ

بالمغفرة التي تطهرهم منها ﴿ولهم عذاب أليم﴾ جزاء وفاقاً .

١٧٥- ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى﴾ آثروا الغواية على الهداية ﴿والعذاب بالمغفرة﴾ وأيضاً آثروا غضب الله على مرضاته ﴿فما أصبرهم على النار﴾ أي ما أجراًهم على عذاب النار بجرأتهم على معصية الله .

١٧٦- ﴿ذلك﴾ إشارة إلى العذاب ﴿بأن الله نزل الكتاب بالحق﴾ بيان لسبب العذاب ﴿وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد﴾ الذين اختلفوا فيما بينهم في القرآن: هل هو سحر أو شعر أو أساطير هم أبعد الناس عن الحق

١٧٧- ﴿ليس البر أن تولّوا وُجُوهكم قبل المشرق والمغرب﴾ الخطاب لأهل الكتاب ، لأن اليهود كانت تصلي إلى ناحية المغرب أي بيت المقدس ، والنصارى إلى المشرق

الإعراب :

﴿أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار﴾ : أولئك مبتدأ، وما بعدها خبر، والجمله من البدأ والخبر خبر ان .

﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ فِي أَيِّ بَارٍ ﴾ من آمن بالله ﴿ وحده لا شريك له ﴾ واليوم الآخر والملائكة ﴿ والإيمان بهم إيمان بالوحي والواقع .

المنزّل على سيّد الأنبياء ﴿ والكتاب ﴾ كل كتاب من عند الله ﴿ والنبين ﴾ الذين يؤمن محمد بنبيّهم ﴿ وآتى المال على حبه ﴾ قال ابن مسعود : معناه أن تؤتي المال وأنت تأمل أن تعيش وتخشى الفقر ﴿ ذوي القربى ﴾ قرابة صاحب المال أحقّ بالصلة ﴿ واليتامى ﴾ الذين لا مال لهم ولا كفيل ﴿ والمساكين ﴾ وهم أهل الحاجة ، ولكن لا يملّتون يد المذلة ﴿ وابن السبيل ﴾ هو الذي انقطع في السفر ولا يستطيع العودة إلى وطنه من غير عون ﴿ والمساكين ﴾ الطالبين للصدقة عن فقر وعجز ﴿ وفي الرقاب ﴾ أي في تحرير العبيد من الرق ﴿ وأقام الصلاة ﴾ تزكية للنفس ﴿ وآتى الزكاة ﴾ تزكية للبدن ﴿ والموفون بهمهم إذا عاهدوا ﴾ سواء أكان العهد بين الله والإنسان كاليمين والنذر أم كان بين إنسان وإنسان كالبيع والدين ﴿ والصابرين ﴾ أي أخصّ الصابرين بالمدح والثناء لفضلهم ﴿ في البأساء ﴾ الفقر ﴿ والضراء ﴾ المرض وغيره من المصائب ﴿ وحين البأس ﴾ وقت القتال والجهد ﴿ أولئك الذين صدقوا ﴾ إشارة إلى الذين استجمعوا هذه الخصال ﴿ وأولئك هم المتقون ﴾ لغضب الله وعذابه بإيمانهم الخالص وأعمالهم الصالحة .

١٧٨- ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم ﴾ فرض عليكم ﴿ القصص في القتل ﴾ المساواة بحيث يفعل في القاتل العائد ما فعل في المقتول ﴿ الحر بالحر والعبد بالعبد

والأنثى بالأنثى ﴾ المعنى واضح وهو اعتبار المساواة في القصص حتى في الحرية والعبودية والأنوثة والذكورة . وتجدر الإشارة هنا إلى أن الآية دلت بمنطوقها على أن المساواة مشروعة في القصص في هذه الأصناف الثلاثة بحيث يقتل كل واحد واحداً مثله ، وسكتت عن قتل الحر عبداً وبالعكس ، وقتل الذكر أنثى وبالعكس ، وعليه فلا بد من الرجوع إلى دليل آخر في ذلك ﴿ فمن عفي له من أخيه شيء ﴾ الضمير في « له وأخيه » يعودان إلى القاتل ، والمعنى إذا رضي ولي الدم بأخذ الدية ، ولم يصر على القصص ﴿ فاتباع بالمعروف ﴾ فينبغي أن يقابل القاتل هذا العفو عن قتله بعرفان الجليل ﴿ وأداء إليه بإحسان ﴾ ويؤدى الدية كاملة بلا مظل وتأخير ﴿ ذلك تخفيف من ربكم ورحمة ﴾ لأن أهل التوراة كتب عليهم القصص أو العفو ، وعلى أهل الإنجيل العفو أو الدية أما أنتم أيها المسلمون فمختارون بين القصص والدية والعفو عنها معاً ﴿ فمن اعتدى بعد ذلك ﴾ بأن قتل بعد أخذ الدية أو العفو ﴿ فله عذاب أليم ﴾ أي نوع خاص من الشدة .

١٧٩- ﴿ ولكم في القصص حياة يا أولي الألباب ﴾ في القصص ردع عن القتل وصيانة للأرواح ﴿ لعلمكم تقون ﴾

القتل خوفاً من القتل .

وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ
ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ
وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ
بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ
وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ
فِي الْقَتْلِ أَلْحَرَ بِالْحَرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ
فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّ إِلَيْهِ
بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ
بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ
حَيَوةٌ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٠﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ

١٨٠- ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ ﴾

كتب هنا ليست بمعنى فرض ، بل بمعنى يوصيكم الله على سبيل الرجحان إذا رأى أحدكم إمارات الموت ودلائله ﴿ إن ترك غيراً ﴾ مالا ﴿ الوصية ﴾ نائب فاعل كتب ﴿ للوالدين والأقربين بالمعروف ﴾ أي الشيء الذي يعرفه العقلاء أنه لا جور فيه ولا حيف ﴿ حقاً على المؤمنين ﴾ أي أثر تقوى الله ومرضاته ، وقال السني : هذه الآية منسوخة بحديث ولا وصية لوارث ، وقال الشيعة : هذا الحديث لم يثبت ، وعلى فرض ثبوته فإن القرآن لا ينسخ بخبر الواحد .

١٨١- ﴿ فَمَنْ بَدَّلَهُ ﴾ أي الإبضاء ﴿ بعد ما سمعه ﴾

أي حرّفه بعد العلم به ﴿ فإبضاء إلهه على الذين يبدّلونه ﴾ تهديد ووعد لمن حرّف وزيف الوصايا بشئ أنواعها ﴿ إن الله سميع ﴾ لأقوالكم ﴿ عليم ﴾ بأفعالكم .

١٨٢- ﴿ فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا ﴾ انحرافاً عن

طريق الحق والعدل في الوصية ﴿ أو إثمًا ﴾ أي تمعد الموصي الباطل ﴿ فأصلح بينهم ﴾ أي بين الورثة والموصي لهم ، والمعنى إذا تجاوز الموصي الحد الشرعي ، وأوصى بأكثر من الثلث مثلاً فللصالح المصلح أن يبدل الوصية على أساس الدين والشرع ﴿ فلا إثم عليه ﴾ لأنه ناصر الحق والعدل ﴿ إن الله غفور رحيم ﴾ فيه إيماء إلى أن إصلاح الوصية الفاسدة الباطلة هي خير للموصي والموصى له .

١٨٣- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا

كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ فرض عليكم كما فرض على الأنبياء وأممهم من لدن عهد آدم إلى عهدكم فانقوا الله في المحافظة على الصيام ونظميه .

١٨٤- ﴿ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ﴾ فلال ومعلومات ، وهي أيام شهر رمضان المبارك ﴿ فمن كان منكم مريضاً ﴾ بالفعل

أو صحيحاً بضر به الصوم ﴿ أو على سفر ﴾ بالشروط المذكورة في كتب الفقه ﴿ فعلة من أيام آخر ﴾ أي فعله أن يصوم عدد أيام الرض والسفر من شهر آخر غير رمضان ، والإفطار في السفر والمرض عزيمة لا رخصة ، لأن الله سبحانه أوجب القضاء بنفس السفر والمرض من حيث هما لا من حيث الإفطار ﴿ وعلى الذين يطيقونه ﴾ أي يقدرّون على الصيام ، ولكن مع الشدة والمشقة كالشيخ والشيخة أو من عطش عطشاً شديداً ، فهؤلاء أن يفطروا ويكفّروا عن كل يوم ﴿ فدية طعام مسكين ﴾ ولا قضاء عليه ﴿ فمن تطوع خيراً ﴾ أي أطعم أكثر من مسكين أو أطعم مسكيناً أكثر مما يجب ﴿ فهو خير له ﴾ زيادة الخير خير ﴿ وأن تصوموا خير لكم ﴾ الصوم مع تحمل المشقة أفضل عند الله من الإفطار مع الفدية ﴿ إن كنتم تعلمون ﴾ تأكيد على أفضلية الصوم .

١٨٥- ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ﴾ هذا بيان لمكان الشهر المبارك وعظمته ﴿ هدى للناس ﴾ إلى الحق ،

إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ
وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ
بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِثْمٌ إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا
فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٢﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ
فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ
وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ
خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى
لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ

وَهْدَىٰ حَالٍ مِنَ الْقُرْآنِ بِمَعْنَى «هَادِيًا» ﴿١٨٦﴾ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَىٰ
 آيَاتٍ تَهْدِي لِحَيَاةٍ أَفْضَلُ ﴿١٨٧﴾ وَالْفُرْقَانِ ﴿١٨٨﴾ تَفَرِّقُ آيَاتِ الْقُرْآنِ
 بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ﴿١٨٩﴾ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ ﴿١٩٠﴾
 حَضَرَ وَأَقَامَ وَلَمْ يَسَافِرْ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ﴿١٩١﴾ فَلْيَصُمْهُ ﴿١٩٢﴾ أَيْ يَصُومُ
 فِيهِ وَلَا يَفْطُرُ ﴿١٩٣﴾ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ
 أُخَرِ ﴿١٩٤﴾ أَعَادَ ذِكْرَ السَّفَرِ وَالْمَرَضِ لِمَجْرَدِ التَّأَكُّدِ ﴿١٩٥﴾ بِرَيْدِ اللَّهِ
 بِكُمْ الْيَسْرَ وَلَا يَرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ ﴿١٩٦﴾ شَرِيعَةً اللَّهُ سَمَّحَةً وَسَهْلَةً تُلَقِّقُ
 بَعْظَهُمْ وَرَحْمَتَهُ ، وَاتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ عَلَى أَنَّ نَفْيَ الْحَرَجِ فِي الدِّينِ
 أَصْلٌ عَامٌّ لَا خَاصَّ ﴿١٩٧﴾ وَلِتَكْمَلُوا الْعِدَّةَ ﴿١٩٨﴾ أَيَّامَ شَهْرِ رَمَضَانَ
 وَأَيَّامَ قَضَائِهَا أَيْضًا ﴿١٩٩﴾ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ
 تَشْكُرُونَ ﴿٢٠٠﴾ الْمُرَادُ بِالتَّكْبِيرِ عِنْدَنَا عَقِيبَ أَرْبَعِ صَلَوَاتٍ وَهِيَ
 صَلَاةُ الْمَغْرَبِ ، وَالْعِشَاءُ لَيْلَةُ الْفِطْرِ وَصَلَاةُ الصُّبْحِ وَالْعِيدِ .

١٨٦- ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ أَقْرَبُ رَبَّنَا فَتَنَاجِيهِ
 أَمْ بَعِيدُ فَتَنَادِيهِ فَقُلْ لَهُمْ : إِنَّهُ يَقُولُ : ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ بِعِلْمِي
 ﴿أَجِبْ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَا﴾ بِصَدَقَ وَإِخْلَاصٍ
 ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ بِالطَّاعَةِ وَالْإِقْيَادِ ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ لَا
 بِمَنَافِعِهِمُ الشَّخْصِيَّةِ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ يَهْتَدُونَ إِلَى الْحَقِّ وَالْعَمَلِ .

١٨٧- ﴿أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ﴾ لَا فِي نَهَارِهِ ﴿الرَّفَثُ﴾
 إِلَى نَسَائِكُمْ ﴿كَتَابَةُ عَنِ الْجَنَسِ﴾ هُنَّ لِبَاسُكُمْ وَأَنْتُمْ
 لِبَاسُ لِهِنَّ ﴿مَنْ لَبَسَهُ بِمَعْنَى خَالَطَهُ وَعَرَفَ بَاطِنَهُ﴾ عِلْمُ
 اللَّهِ أَنْكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ ﴿كَانَ النِّكَاحُ فِي رَمَضَانَ
 مُحَرَّمًا لَيْلًا وَنَهَارًا ، وَكَانَ بَعْضُ الشَّبَابِ يَنْكَحُونَ فِي اللَّيْلِ سِرًّا ،
 فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ﴾ بِرَحْمَةِ بَكْمُ

﴿فَالآنَ بَاشِرُوهُمْ﴾ بِبَلَاخُوفٍ مِنَ الْحَسَابِ وَالْعِقَابِ ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ مِنْ إِبَاحَةِ التَّمَتُّعِ بَعْدَ الْحِظْرِ ﴿وَكُلُوا
 وَاشْرَبُوا﴾ كَانِ الْأَكْلَ وَالشَّرْبَ حَرَامًا فِي لَيْلِ رَمَضَانَ بَعْدَ النَّوْمِ ، فَاصْبَحُوا حَلَالًا كَالنِّكَاحِ ﴿حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمْ الْخَبْطُ
 الْأَبْيَضُ﴾ وَهُوَ أَوَّلُ مَا يَبْدُو مِنَ الْفَجْرِ ﴿مِنَ الْخَبْطِ الْأَسْوَدِ﴾ وَهُوَ مَا تَمْتَدُّ مَعَهُ ظِلْمَةُ اللَّيْلِ ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ بَيَانٌ لِلْخَبْطِ الْأَبْيَضِ .
 ﴿ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ يَبْتَدِئُ الصِّيَامُ بِنَهَايَةِ اللَّيْلِ . وَيَنْتَهِي بِدُخُولِهِ ﴿وَلَا تَبَاشَرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾
 مِنْ حِسْبِ نَفْسِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ مُنْقَطِعًا لِلْعِبَادَةِ . فَلَا يَسُوحُ لَهُ فِي خِلَالِ هَذِهِ الْمُدَّةِ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ لِلْمُبَاشَرَةِ
 زَوْجَتِهِ حَيْثُ تَحَرَّمَ النِّسَاءُ عَلَيْهِ إِطْلَاقًا ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ ابْتَغُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ

الإعراب :

﴿دَعَا﴾ بَيَاءُ الْمُتَكَلِّمِ ، وَقَدْ حُذِفَتْ لِلتَّخْفِيفِ ، تَمَامًا . كَقَوْلِهِ تَعَالَى : فَلْيَايَ فَاعْبُدُونِ ، أَيْ فَاعْبُدُونِي .

لَعَلَّهُمْ يَقْتُونَ ﴿ ليس الغرض من نزول القرآن مجرد الحفظ والتلاوة ، بل التدبر والعمل .

١٨٨- ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾ لا يحل لأحد أن يتصرف في مال غيره إلا بسبب مشروع ﴿ وتدلوا بها ﴾ تدفعوها ﴿ إلى الحكام لتأكلوا فريقاً ﴾ مبلغاً ﴿ من أموال الناس بالإثم ﴾ كشهادة الزور والرشوة ﴿ وأنتم تعلمون ﴾ أنكم تأكلون الباطل .

١٨٩- ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ ﴾ لماذا تنقص وتزيد ؟ ﴿ قل هي مواقيت للناس والحج ﴾ إن الحكمة من ذلك تعود إلى مصالح الناس في أمورهم الدنيوية كالديون والإيجارات وأمورهم الدينية كالحج والصوم ﴿ وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ﴾ كان الجاهلي إذا أحرم ناسكاً لا يدخل بيته من بابه ، بل ينقب في ظهر البيت ، ويدخل من النقب ويخرج ، فهى سبحانه عن ذلك وقال : ﴿ ولكن البر من اتقى ﴾ الله في النخلي عن المعاصي والردائل ﴿ وأتوا البيوت من أبوابها ﴾ حسب الأصل والعادة المألوفة ﴿ واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ ظافرين بفرحة الثواب .

١٩٠- ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أي من أجل المبدأ والعقيدة الحقة والوطن والحربة ﴿ الذين يقاتلونكم ﴾ معتدين على دينكم وحرابتكم ووطنكم ﴿ ولا تعتدوا ﴾ على من لا يعتدي عليكم ﴿ إن الله لا يحب المعتدين ﴾ بل يكرههم ويلعنهم يعذب ألم .

١٩١- ﴿ وَاَقْتُلُوهُمْ ﴾ المعتدين ﴿ حيث تقتلهم ﴾

أيضا وجدتموهم ﴿ وأخرجوهم من حيث أخرجوكم ﴾ أي أخرجوهم من مكة كما أخرجوكم منها ، وفعل ذلك رسول الله (ص) يوم فتح مكة بمن لم يسلم منهم . ﴿ والفتنة أشد من القتل ﴾ المراد بالفتنة هنا : الإصرار على الشر والإلحاد والعدوان على العباد ﴿ ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام ﴾ لا تبدأوهم إذا دخلوه ﴿ حتى يقاتلوكم فيه ﴾ والبادئ أظلم ﴿ فإن قاتلوكم فاقتلوهم ﴾ لأنهم انتهكوا حرمة المسجد الحرام ﴿ كذلك ﴾ القتل ﴿ جزاء الكافرين ﴾ المعتدين .

١٩٢- ﴿ فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ بمن تاب وآمن وعمل صالحاً .

الإعراب :

﴿ للناس ﴾ متعلق بمحذوف صفة للمواقيت ، والباء في بأن تأتوا زائدة ، لأنها وقعت بعد النفي ، والمصدر المنسبك في موضع نصب خبر

ليس .

﴿ يقاتلوكم ﴾ منصوب بأن بعد حتى ، والمصدر المنسبك مجرور بحتى متعلق بقاتلوكم ، ومثله حتى لا تكون فتنة .

اللَّهُ ءَايَتُهُ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَقْتُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ * يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكَ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكَ فِيهِ فَإِنْ قَتَلُوكَ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى

١٩٣- ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ۖ أَيُّ حَتَّى تَمْحَى عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ مِنَ الْخِزْيَةِ الْعَرِيَّةِ ۖ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ۖ لَا لِلشِّرْكِ وَالْأَصْنَامِ ۖ فَإِنْ انْتَهَوْا ۖ عَنْ الشِّرْكِ وَعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ ۖ فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ۖ الَّذِينَ يَعْتَدُونَ بِصُرُونِ عَلَى الْعُدْوَانِ ۖ

١٩٤- ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ ۖ أَيُّ لَا قِتَالَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ ابْتِدَاءً ، أَمَا مِنْ أَعْلَنَ الْحَرْبِ وَقَاتَلَ فِيهِ فَإِنَّهُ يُحَارِبُ وَيُقَاتِلُ رَدْعًا وَدَفَاعًا ۖ وَالْحَرَامَاتُ قَصَاصٌ ۖ مِنْ يَنْتَهِكْ حَرَامَاتِ اللَّهِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ يَسُوعُ أَنْ يُؤَذَّبَ وَيَقْتَصَّ مِنْهُ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْأَشْهُرِ الْحَرَامِ أَرْبَعَةٌ : ذُو الْقَعْدَةِ ، وَذُو الْحِجَّةِ وَمَحْرَمٌ وَرَجَبٌ ۖ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ۖ وَلَا زِيَادَةَ أَوْ نَقْصًا ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ۖ فِي حَالِ كَوْنِكُمْ مُنْتَصِرِينَ وَلَا تَتَجَاوَزُوا إِلَى مَا لَا يَحِلُّ ۖ

١٩٥- ﴿وَاتَّقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ مِنْ أَمْوَالِكُمْ فِي الْجِهَادِ وَالْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ ۖ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۖ بَرَكَ الْجِهَادُ وَإِسْكَالُ الْمَالِ عَنِ الْمَجَاهِدِينَ وَالْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ ۖ وَأَحْسِنُوا ۖ فِي الْجِهَادِ وَبَذَلِ الْمَالِ مُقْتَصِدِينَ لَا مُبْذِرِينَ وَلَا مُقْتَرِينَ ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۖ الْمُعْتَدِلِينَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ ۖ

١٩٦- ﴿وَاتَّقُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ ۖ فِي شَرْوِطِهِمَا وَأَرْكَانِهِمَا لَوْجَهُ اللَّهِ تَعَالَى ۖ فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ ۖ فَإِنْ طَرَأَ طَارِئٌ ، وَأَنْتُمْ مَحْرُمُونَ لِحَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ ، وَتَعَذَّرَ عَلَيْكُمْ الْمَضِي حَتَّى التَّهَيُّةِ ۖ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۖ أَيُّ أَذْبَحُوا بِعِيرًا أَوْ بَقَرَةً أَوْ شَاةً ۖ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ ۖ الْخُطَابُ لِلْمَحْصُورِينَ الَّذِينَ مَنَعُوا مِنْ إِتِمَامِ الْحَجِّ أَوْ الْعُمْرَةِ ، وَعَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَحْلُقُوا مِنْ إِحْرَامِهِمْ

﴿ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ۖ أَيُّ حَتَّى يَعْلَمُوا أَنَّ الْهَدْيَ الَّذِي يَعْشَوهُ قَدْ بَلَغَ الْمَكَانَ الَّذِي يَجِبُ فِيهِ الذَّبْحُ ۖ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَهَدْيُهُ مِنْ صِبَاغٍ ۖ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ۖ أَوْ صَدَقَةٍ ۖ إِطْعَامُ سِتَّةِ مَسَاكِينَ ۖ أَوْ نَسْكَ ۖ التَّضَحِّيَةُ بِشَاةٍ - عَلَى الْأَقْلَى - ۖ فَإِذَا أَمَنْتُمْ ۖ لَمْ يَمْنَعْكُم مَانِعٌ مِنْ إِكْمَالِ الْحَجِّ ۖ فَمَنْ تَمَنَعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ ۖ أَيُّ مِنْ أَتَى بِالْعُمْرَةِ ، ثُمَّ حَجَّ بَعْدَهَا فِي نَفْسِ السَّنَةِ ۖ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۖ فَهَلِيهِ أَنْ يَضَحِّيَ بِمَا تيسَّرُ ، وَهَذَا النَّوعُ مِنَ الْحَجِّ هُوَ الْمَعْرُوفُ بِحَجِّ التَّمَتُّعِ ۖ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ ۖ الْهَدْيَ ۖ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ ۖ وَلَا يَشْتَرُطُ فِيهَا الْإِقَامَةُ ۖ وَسَبْعَةٌ إِذَا رَجَعْتُمْ ۖ إِلَى وَطَنِكُمْ ۖ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ۖ تَوْكِيدٌ عَلَى صِيَامِهَا وَإِتِمَامِهَا ۖ ذَلِكَ ۖ هَذَا الْحُكْمُ ۖ لَنْ لَمْ يَكُنْ

الإِغْرَابُ :

﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ ۖ . الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ أَرْبَعَةٌ : ثَلَاثَةٌ مِنْهَا مُتَابِعَةٌ ، وَهِيَ ذُو الْقَعْدَةِ ، وَذُو الْحِجَّةِ ، وَالْمَحْرَمُ ، وَشَهْرٌ وَاحِدٌ فَرْدٌ ، وَهُوَ رَجَبٌ ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ هَذِهِ الْأَشْهُرُ حُرْمًا ، لِتَحْرِيمِ الْقِتَالِ فِيهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ ، فَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُلْقَى قَاتِلُ أَبِيهِ فِي هَذِهِ الْأَشْهُرِ ، وَلَا يُتَعَرَّضُ لَهُ بِسُوءٍ .

كَامِلَةً ۚ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٧﴾
الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ ۖ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ
وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ
يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَرَزَادُوهَا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُوا
يَتَأْوَلِ الْأَلْبَابِ ﴿١٩٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا
مِنْ رَبِّكُمْ ۖ فَإِذَا أَفْضَيْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ
الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ
لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿١٩٩﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ
وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمْ
مَنْاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ الَّذِي كَذَّبَكُمْ عَنْ آبَاءِكُمْ وَأَوْشَدَ ذِكْرًا
فَنِ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ

أهله حاضري المسجد الحرام ۚ يجري هذا الحكم على
غير أهل مكة ۚ واتقوا الله ۚ في المحافظة على أمره ونبيه
ۚ واعلموا أن الله شديد العقاب ۚ لمن خالف وتعدى حدوده .

١٩٧- ۚ في الحج أشهر معلومات ۚ وهي شوال وذو القعدة
والعشر الأول من ذي الحجة ، فمن أحرم فيها صبح منه الحج ،
وأبى بقية الأعمال في وقتها ۚ فمن فرض فيهن الحج ۚ
أي ألزم نفسه بالحج في هذه الأيام ۚ فلا رفث ۚ يحرم
عليه الجماع ۚ ولا فسوق ۚ لا كسب ۚ ولا جدال في
الحج ۚ وهو قول لا والله وبلى والله ۚ وما تفعلوا من خير
يعلمه الله ۚ هذا حث على أفعال الخير والبِرِّ ۚ وتزودوا ۚ
إلى يوم الحساب ۚ فإن غير الزاد التقوى ۚ فيها تظهر النفس
من دنس الخطايا ۚ واتقوا يا أولي الأبواب ۚ خافوا من
عقابي ، ومن لم يبق عقله من العذاب فهو كمن لا عقل له .

١٩٨- ۚ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من
ربكم ۚ لا بأس بالتجارة أيام الحج ما دامت لا تتنافى مع
أعماله ۚ فإذا أفضتم من عرفات ۚ مكان معروف ، والمراد
بالإفاضة هنا الخروج ۚ فاذكروا الله عند المشعر الحرام ۚ
وهو المكان المعروف بالمزدلفة ، والوقوف فيها واجب تماماً
كالوقوف في عرفات ۚ واذكروه ۚ بالتسبيح والتحميد ونحوه
ۚ كما هداكم ۚ لدين الحق ۚ وإن كنتم من قبله لمن
الضالين ۚ لا تعرفون كيف تذكرون الله وتعبّدونه .

١٩٩- ۚ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ۚ قيل :
إن قريباً كانوا لا يقفون مع الناس بعرفات ترفعاً وتكبراً ،
فأمر الله نبيه أن يساوي بينهم وبين سائر الناس ۚ واستغفروا

الله إن الله غفور رحيم ۚ لمن طلب منه المغفرة والرحمة بصلق وإخلاص .

٢٠٠- ۚ فإذا قضيت مناسككم ۚ وهي واجبات الحج ۚ فاذكروا الله ۚ دون سواه ۚ كذكركم آبائكم أو أشد
ذكراً ۚ كانوا إذا فرغوا من الحج يذكرون مفاخر الآباء ، فقال لهم سبحانه : دعوا هذا إلى ذكر الله ونعمه ۚ فمن
الناس من ۚ يطلب خير الدنيا فقط و ۚ يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق ۚ من نصيب .

الإعراب :

قال صاحب مجمع البيان : وأي ما تقدم ذكره من التمتع بالعمرة إلى الحج ليس لأهل مكة ، ومن يجري مجراها ، وإنما هو لمن لم يكن
من حاضري مكة ، وهو من يكون بينه وبينها أكثر من اثني عشر ميلاً من كل جانب . وقال فقهاء الإمامية : إن حج التمتع فرض للبعيد
عن مكة ، ولا يجوز له أن يجمع حج القران والإفراد ، والقران والإفراد فرض لأهل مكة وضواحيها ، ولا يجوز أن يجمعوا حج التمتع ،
والتمتع في كتب الفقه .

٢٠١- ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْتَغِ الْخَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ وَيَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ ﴿٢٠١﴾

٢٠٢- ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا﴾ ﴿٢٠٢﴾ أي من جنس أعمالهم الصالحة ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ﴿٢٠٣﴾ أي لا يشغله حساب هذا عن حساب ذلك .

٢٠٣- ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ والمراد بها أيام التشريق وهي ١١ و ١٢ و ١٣ من ذي الحجة ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ لا يجب على الحاج المبيت بمنى ليلة ١٣ بشرط أن يخرج من منى يوم ١٢ بعد الزوال وقبل المغيب ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في التعجيل ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ﴾ حتى رمى في الثالث ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى﴾ الصيد وقيل : لمن اتقى الكيثر ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ باجتناب المعاصي ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَهُ تَحْشُرُونَ﴾ فيجازيكم على أعمالكم .

٢٠٤- ﴿وَمَنْ النَّاسُ﴾ بعد أن ذكر سبحانه المؤمنين أشار إلى المنافقين ﴿مَنْ يَعْبُدُكَ﴾ يروك ﴿قَوْلُهُ﴾ في الحياة الدنيا ﴿لأنه يطلب بكلامه المزخرف نصيباً من عظامها﴾ ويشهد الله على ما في قلبه ﴿من حب وخير﴾ وهو الله الخصام ﴿من أشد الناس عداوة للحق وأهله﴾ .

٢٠٥- ﴿وَإِذَا تَوَلَّى﴾ السلطة على الناس بقرينة الحرث والنسل ﴿سعى في الأرض ليفسد فيها﴾ يعمل بهواه ﴿ويهلك الحرث﴾ الزرع وغيره من وسائل الإنتاج والنسل ﴿ما تناسل من إنسان وحيوان﴾ والله لا يحب الفساد وبخاصة العدوان على العباد .

٢٠٦- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾ ولا تفسد في الأرض ﴿أَخَذَتِ الْعَزَّةَ بِالْإِثْمِ﴾ تعاضم ، وأصرَّ على الظلم والفساد ، وهكذا كل مبطل يصعب عليه قول الحق ﴿فَحَسِبَهُمْ﴾ في مصيره ﴿ولبئس المهاد﴾ القراش .

٢٠٧- ﴿وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يَشْرِي نَفْسَهُ﴾ يبذلها ﴿ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾ نزلت في مبيت عليّ على فراش رسول الله فادياً نفسه بنفسه ﴿وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ حيث كفَّهم بالجهاد ، وعرضهم لثواب الشهداء .

الإعراب:

ونقل صاحب تفسير المنار عن استاذة الشيخ محمد عبده انه رجح المعنى الثاني بقرينة قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتِ الْعَزَّةَ بِالْإِثْمِ﴾ لأن الحاكم المستبد يكبر عليه أن يُرشد الى مصلحة ، أو يُحذَر من منسدة ، فهو يرى ان هذا المقام الذي ركبه يجعله أعلى الناس رأياً ، وأرجحهم عقلاً ، بل يرى نفسه فوق الحق ، كما انه فوق أهله في السلطة . فكيف يجوز لأحد أن يقول له : اتق الله .

٢٠٨- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ﴾ بفتح السين وكسرها ﴿كافة﴾ جميعاً . والمعنى كفوا بكاملكم عن الحرب والأذى بشئ أنواعه ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾ تقدم في الآية ١٦٨

٢٠٩- ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ﴾ عن أمري بدحول السلم ﴿من بعد ما جاءكم اليّنات﴾ أي من بعد علمكم بأن الدخول بالسلم واجب ﴿فاعلموا أن الله عزيز حكيم﴾ هذا تهديد ووعيد لمن يحيد عن الحق

٢١٠- ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ أي ينتظرون ﴿إلا أن يأتيهم الله﴾ أي أمره وبأسه ﴿في ظلل من الغمام والملائكة﴾ كناية عن شدة العذاب ﴿وقضي الأمر﴾ تم اهلاك والتدمير ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾ فيجزى عليها بالحق والعدل .

٢١١- ﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ الخطاب لمحمد (ص) ﴿كم آتيناهم من آية بيّنة﴾ في التوراة تشهد على نبوة محمد (ص) ﴿ومن يبذل نعمة الله﴾ أي يحرف آيات التوراة المنزلة من عند الله ﴿من بعد ما جاءته﴾ على علم بها ﴿فإن الله شديد العقاب﴾ لمن حرف وزيف .

٢١٢- ﴿زَيْنَ الَّذِينَ سَكَنُوا﴾ الدنيا ﴿حسنها الشيطان في أعينهم﴾ ويسخرون من الذين آمنوا ﴿لأنهم لم يبيعوا دينهم وضميرهم للشيطان﴾ والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة ﴿غداً تنعكس الآية حيث يسخر المؤمن من الكافر والطيب من الخبيث﴾ والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴿

بِالْعِبَادِ﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُرْدُودٌ مِّنْكُمْ ﴿٢٠٨﴾ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ سَلِّ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ ءَايَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ

وتقدير .

٢١٣- ﴿كان الناس أمة واحدة﴾ متفقين في الفطرة فاختلّفوا ﴿فبعث الله النبيين مبشرين﴾ بنواب الله ﴿ومنذرين﴾ بعقابه ﴿ وأنزل معهم الكتاب بالحق﴾ كل نبي يبشّر وينذر ناطقاً بالوحي الذي أنزل إليه بالذات أو إلى من سبقه من الأنبياء ﴿ ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه﴾ من الدين

الإعراب :

﴿كافة﴾ منصوب على الحال من الواو في ادخلوا ، ومن الغمام متعلق بمحذوف صفة لظلل .

﴿سَلِّ﴾ في الأصل أسأل ، فحذفت ألف الوصل من الأول ، والهمزة من الوسط للتخفيف ، و﴿كم﴾ في موضع نصب مفعول ثاني مقدم لآتيناهم ، و﴿الدنيا﴾ صفة للحياة ، وبغير حساب متعلق بمحذوف حال .

فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ
بَعْدَ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۚ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ
آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۚ وَاللَّهُ يَهْدِي
مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٦﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا
الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِ
الْبِاسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَزُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا
مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٧﴾ يَسْأَلُونَكَ
مَاذَا يَنْفِقُونَ ۚ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ وَالَّذِينَ
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۚ وَمَا تَفْعَلُونَ مِنْ خَيْرٍ
فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٨﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ
لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ
تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٩﴾

والحق بعد الإنفاق ۚ وما اختلف فيه إلا الذين أُوتوه من
بعد ما جاءتهم البينات ۚ يعني أن الناس كانوا أمة واحدة .
ثم اختلفوا قبل مجيء الأنبياء والذين أرسل الله إليهم الأنبياء
ليزيلوا الخلاف - هم بالذات اختلفوا في الأنبياء ۚ بغياً
بينهم ۚ حرصاً على مصالحهم .

ۚ فهدى الله الذين آمنوا ۚ بالأنبياء ۚ لما اختلفوا فيه
من الحق بإذنه ۚ تعالى أي أن الله سبحانه وفق أرباب التوايا
الصالفة الخالصة إلى الإيمان بالحق الذي جاء به الأنبياء ۚ والله
يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ۚ ولا يشاء إلا لحكمة
بالغة ، وهي أن يكون الإنسان مؤهلاً للهداية .

٢١٤- ۚ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ۚ أم هنا بمعنى
بل . والخطاب للصحابة الأول الذين كانوا مستضعفين في
مكة ۚ ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ۚ حيث لا فوا
أولاً من الأذى فصبوا ۚ مستهم البأساء ۚ جوعاً وقراً
ۚ والفسراء ۚ تقبلاً وتشريداً ۚ وزلوا ۚ أزعجوا إزعاجاً
شديداً ۚ حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه ۚ من شدة
البلاء ومدته : ۚ متى نصر الله ۚ لقد نفذ الصبر أو كاد
ۚ ألا إن نصر الله قريب ۚ عند تنامي الشدة تكون الفرحة :
وعند تضائق خلق البلاء يكون الرخاء كما قال الإمام أمير
المؤمنين (ع) .

٢١٥- ۚ يسألونك ۚ يا محمد أصحاب الأموال ۚ ماذا
ينفقون ۚ والسؤال عن الإنفاق يتضمن السؤال عن المنفق
عليه ، ولذا قال سبحانه لنبيه : ۚ قل ۚ لهم ۚ ما أنفقتم
من خير ۚ من مال ۚ فللوالدين ۚ والآباء وإن علوا ۚ
لا أب له ولا مال ۚ وللمساكين ۚ والفقراء ۚ وابن السبيل ۚ المسافر المنقطع عن أهله وماله ۚ وما تفلحوا من خير فإن الله
به عليم ۚ وليس شيء بخير من الخير إلا ثوابه .

٢١٦- ۚ كتب عليكم القتال ۚ الجهاد لإحقاق الحق وإبطال الباطل ۚ وهو كره ۚ مكروه كالخيز بمعنى المخيوز
ۚ لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً ۚ في الحال ۚ وهو خير لكم ۚ في العاقبة ۚ وعسى أن تحبوا شيئاً ۚ الآن ۚ وهو
شر لكم ۚ غداً ۚ والله يعلم ۚ ما هو الصلاح والفساد والخير والشر ۚ وأنتم لا تعلمون ۚ ذلك .

الإعراب :

ۚ مبشرين ومنذرين ۚ حال من النبيين ، ويالحق متعلق بمحذوف حال من الكتاب ، وبغياً ۚ مفعول لأجله .

٢١٧- ﴿يَسْأَلُونَكَ يَا مُحَمَّدٌ ﴿ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾
قتال فيه ﴿ بعث النبي (ص) بسرية من الصحابة قتلته وأسرت وغنمت من المشركين ، وكان ذلك في أول يوم من رجب الحرام ، فسل النبي : هل في الشهر الحرام قتال ؟ فقال سبحانه لنبيه الكريم : ﴿ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾ أي أن القتال في الشهر الحرام ذنب كبير إذا كان هجوماً وعدواناً لا دفاعاً وتأديباً ﴿ وصعد عن سبيل الله وكفر به ﴾ كفر المشركون بالله ، ومنعوا الناس عن الإيمان به ﴿ والمسجد الحرام ﴾ وأيضاً صد المشركون المسلمين عن المسجد الحرام والتعب به لله ﴿ وإخراج أهله منه ﴾ وأخرجوا المسلمين من مكة ﴿ أكبر عند الله ﴾ فما فعلته السرية من القتال في الشهر الحرام ﴿ والفتنة أكبر من القتل ﴾ تقدم في الآية ١٩١ ﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾ الهدف الأول لأعداء الإسلام أن لا يبقى له عين ولا أثر ، ومن أجل هذا يقاتلون المسلمين بكل سلاح .

﴿ ومن يولد منكم عن دينه ﴾ يترك الإسلام والعمل بشريعته ﴿ فيمت وهو كافر ﴾ بلا توبة خالصة ﴿ فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا ﴾ لما يفوتهم من ثمرات الإسلام ، ﴿ وفي ﴾ في الآخرة ﴿ أيضاً لما يفوتهم من الثواب .

٢١٨- ﴿ إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا ﴾ مع الرسول من مكة إلى المدينة ﴿ وجاهدوا في سبيل الله ﴾ في نصرة الإسلام ومقاومة أعدائه ﴿ أولئك يرجون رحمة الله ﴾ دنيا وآخرة ، ومن رجا عرف رجاؤه في عمله ﴿ والله غفور رحيم ﴾ نسألك اللهم الرحمة والمغفرة .

٢١٩- ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ﴾ القمار ﴿ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾ في الخمر ذهاب المال والعقل ، والقمار ذل وقفر ﴿ ومنافع للناس ﴾ تذهب مع الريح كشوشة السكران ومواعيد الشيطان ﴿ وإلئيهما ﴾ أي وعقاب الإثم في تعاطيها ﴿ أكبر من نفعهما ﴾ والعبرة دائماً بالأكبر والأكثر ، فما كان الضر فيه أكثر فهو مترك ، وما كان النفع فيه أكبر فهو مطلوب . ﴿ ويسألونك ماذا ينفقون قُلْ يَنْفِقُونَ قُلْ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ لكم الآيات ﴿ التي فيها حكم الخمر والقمار وحكم الصدقة ﴾ لعلكم تتفكرون .

الإعراب :

﴿ كره لكم ﴾ ، أي مكروه لكم ، أو ذكروه ، ﴿ وعسى أن تكرهوا ﴾ المصدر المنسبك من أن وما بعدها فاعل عسى ، وهي هنا تامة لا تحتاج إلى خبر ، ومثلها ﴿ عسى أن تحبوا ﴾ ، ﴿ وقيل ﴾ فيه مجرور بدل اشتغال من الشهر الحرام ، ﴿ وقيل فيه ﴾ مرفوع مبتدأ ، ﴿ وفيه ﴾ متعلق بمحذوف صفة ، وكبير خبر ، ﴿ وصعد ﴾ مبتدأ ، ﴿ وكفر به ﴾ معطوف عليه ، ﴿ وإخراج أهله ﴾ أيضاً مثله ، وخبره ﴿ أكبر عند الله ﴾ ، ﴿ والمسجد الحرام ﴾ مجرور عطفاً على سبيل الله .

٢٢٠- ﴿ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ أي نعمل لهما معاً .
ولا ننصرف بكلنا على إحداهما دون الأخرى ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ ﴾ عن اليتامى ﴿ الْأَوْصِيَاءَ عَلَى الْأَيْتَامِ سَأَلُوا النَّبِيَّ ﴾ (ص) : ما هو حق الأيتام علينا ؟ فقال سبحانه لنبيه : ﴿ قُلْ إِصْلَاحُ لَهُمْ خَيْرٌ ﴾ عليكم أن تراعوا مصلحتهم بكل دقة ﴿ وَإِنْ تَخَالَطُوهُمْ فَاخْوَانُكُمْ ﴾ لا تحرموا على أنفسكم مخالطة الأيتام ومقاربة أمرالهم إذا قصدتم الإصلاح في تربيتهم وإدارة ما يملكون ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمَقْسِدَ مِنَ الْمَصْلَحِ ﴾ ويجزي من أساء بما عمل .
ومن أحسن بالحسنى ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبَكُمْ ﴾ لضيق عليكم في التكليف وتشدد في أمر اليتامى ﴿ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ ﴾ قادر ﴿ حَكِيمٌ ﴾ في أفعاله .

٢٢١- ﴿ وَلَا تَنْكَحُوا ﴾ لا تتزوجوا ﴿ الْمُشْرَكَاتِ ﴾ الكافرات من غير أهل الكتاب ﴿ حَتَّى يُؤْمِنَ ﴾ ينطقن بكلمة التوحيد ﴿ وَالْأَمَةُ ﴾ مملوكة ﴿ مُؤْمِنَةٌ ﴾ تقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله ﴿ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ ﴾ عند الله سبحانه ﴿ وَلَوْ أَنْعَجْتُمْ ﴾ بجماعها أو بفهمها وبقافتها ﴿ وَلَا تُنْكِحُوا ﴾ الرجال ﴿ الْمُشْرِكِينَ ﴾ النساء المسلمات ﴿ حَتَّى يُؤْمِنُوا ﴾ وكذلك الحكم في الكتابي بضرورة الدين وإجماع المسلمين ﴿ وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾ مالا وثقافة ، وبكلمة لا تتزوجوا أيها المسلمون مشركة ما دامت على الشرك ، ولا تتزوجوا مشركاً ما دام على شركه ﴿ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ﴾ إشارة إلى المشركين والمشركات ، والمراد بالنار الكفر ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ ﴾ إلى الإيمان والعمل الصالح المؤديين إلى الجنة ﴿ وَالْغُفْرَةِ بِإِذْنِهِ ﴾ بعنايته وتوفيقه ﴿ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ ﴾ أوامره ونواهيه ﴿ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ يتعظرون .

٢٢٢- ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ﴾ سألو النبي (ص) : هل يباشرن النساء وهن في الحيض ؟ ﴿ قُلْ هُوَ أَفْضَى ﴾ أي ضرر ﴿ فَاَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ ﴾ ونسب إلى اليهود أن الحيض والنقاء عندهم سواء ﴿ حَتَّى يَطْهَرْنَ ﴾ يقطع الدم ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ وذلك إذا كنَّ غير معتكفات ولا صائمات ﴿ إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ﴾ الذين لا يصرُّون على الذنب ﴿ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ النقااة من الإيمان .

٢٢٣- ﴿ نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ ﴾ وفي اللغة : حرث

ملاحظة :

اتفق المسلمون على انه لا يجوز للمسلم ، ولا للمسلمة التزوج من لا كتاب سماوي لأهل ملته ، كعبدة الأوثان والشمس والنيران ، وما الى ذلك ، وبالأولى من لا يؤمن بشيء .

وكذا لا يجوز للمسلم أن يتزوج من مجوسية ، وبالأولى ان لا تتزوج المسلمة من مجوسي ، وان قيل بأن للمجوس شبهة كتاب .

الأرض : شفها بالسكة ﴿ فَأَتُوا حُرَّتَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ ذكر الرازي في تفسيره الكبير « نقل نافع عن ابن عمر أنه كان يقول المراد من الآية تجوز إتيان النساء في أديارهن ﴾ ﴿ وَقَدِمُوا لَأَنْفُسِكُمْ ﴾ عملاً تنتفعون به غداً ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ فإن التقوى هي الحصن الحصين ﴿ واعلموا أنكم ملاقوه ﴾ للحساب والجزاء ﴿ وبشر المؤمنين ﴾ المخلصين بالجنة .

٢٢٤- ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ ﴾ نهى سبحانه عن الحراة عليه بالحلف به من غير ضرورة ﴿ أَنْ تَبْرُوا وَتَقُوا وَتَصْلَحُوا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ إن الله نهاكم عن هذا اليمين لتكونوا أتقياء بررة . ومصلحين لا مفسدين ﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ ﴾ لأيمانكم ﴿ عليم ﴾ بالكاذب والصادق في يمينه .

٢٢٥- ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾ وهو ما يسبق إليه اللسان من غير قصد اليمين وإنشاء مثل بلى والله ولا والله ﴿ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ وهو العزم والجزم ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ حيث لم يؤاخذكم ببلغو الأيمان .

٢٢٦- ﴿ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ﴾ الإيلاء : أن يحلف الزوج بالله على ترك وطء زوجته مطلقاً أو مدة تزيد على أربعة أشهر ﴿ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ﴾ إذا حدث ذلك من الزوج ، ورفعت الزوجة الأمر إلى الحاكم الشرعي - أمهله الحاكم بعد الرفع إليه ٤ أشهر ، وبعد مضي هذه الأشهر يجتريه الحاكم بين الرجوع مع الكفارة وبين الطلاق ﴿ فَإِنْ فَاوَاكَ ﴾ أي تم الرجوع والتكفير ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ ﴾ عفا عما سلف

فَأَتُوا حُرَّتَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِمُوا لَأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٤﴾ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبْرُوا وَتَقُوا وَتَصْلَحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعُولَتِهِنَّ أَحَقَّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ

﴿ رَحِيمٌ ﴾ بعباده .

٢٢٧- ﴿ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ ﴾ وحدث بالفعل ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ ﴾ يسمع صيغة الطلاق ويقبلها ﴿ عليم ﴾ بالضمائر والسرائر .

٢٢٨- ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ﴾ على المطلقة بعد الدخول وقبل اليأس أن تنتظر وتصبر عن الترويج بغير المطلق ﴿ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ واحدها قرء بضم القاف وفتحها . ويطلق تارة على حيض المرأة ، وتارة على الطهر من حيضها ، وهذا المعنى هو المراد هنا عند الإمامية والشافعية ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ ﴾ من الولد أو من دم الحيض ، وذلك إذا أرادت المرأة فراق زوجها ﴿ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ تهديد ووعد لمن تكتم وتكذب فيما يعود إلى ما لا يعرف إلا من قبلها ﴿ وَبِعُولَتِهِنَّ أَحَقَّ بِرَدِّهِنَّ ﴾ من طلق زوجته طلاقاً رجعياً . له كل الحق في الرجوع إليها شاءت أم أبت ما دامت في العدة ﴿ فِي ذَلِكَ ﴾ أي يرجع في الأجل المضروب للعدة ﴿ إِنْ أَرَادُوا ﴾ الأزواج ﴿ إِصْلَاحًا ﴾ لا إضرار بالزوجة من الرجوع إليها ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ ﴾ قال الفقهاء : حقها عليها أن تطيعه ، وحقها عليه أن ينفق عليها ولا يؤذيها ﴿ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ المألوف بين الناس

﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهَا دَرَجَةٌ ﴾ وهي أن الطلاق بيده من دونها .

٢٢٩- ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ﴾ الطلاق ثلاث مرات لا مَرَّتَانِ ضرورة الدين ونص القرآن الكريم ، ولكن الطلاق الذي شرع الله فيه رجوع المطلق إلى زوجته المطلقة هو الطلاق الأول والثاني فقط ، أما الطلاق الثالث فلا يحل الرجوع بعده ، وحكمه ما أشار إليه سبحانه بقوله ﴿ فإمساك بمعروف ﴾ تبقى حتى الموت بلا طلاق ثالث مع العشرة المعروفة المألوفة ﴿ أو تسريح بإحسان ﴾ وإن طلقها للمرة الثالثة دفع لها المهر كاملاً ، ولا يسوغ له الرجوع إليها حتى تنكح زوجاً غيره ، وتأتي الإشارة ﴿ ولا يحل لكم ﴾ أيها الأزواج ﴿ أن تأخضوا ممَّا آتيتموهن ﴾ من المهر ﴿ شيئاً إلا أن يخافا ﴾ الزوجان ﴿ ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما اتدت به ﴾ هذا استثناء من عدم جواز الأخذ منهن عوضاً عن الطلاق . وحدود الله هنا هي الحقوق والواجبات الزوجية ﴿ تلك ﴾ الأحكام الشرعية والأحوال الزوجية الشخصية هي ﴿ حدود الله فلا تمحلوهما ﴾ تنتهكوهما .

﴿ ومن بعد حدود الله فأولئك هم الظالمون ﴾ تفسيره واضح .
٢٣٠- ﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا ﴾ مرةً ثالثة بعد المَرَّتَيْنِ ﴿ فلا تحل له من بعد ﴾ الطلاق الثالث ﴿ حتى تنكح زوجاً غيره ﴾ نكاحاً صحيحاً ودائماً لا منقطعاً مع الدخول ﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا ﴾ الثاني أو مات عنها ﴿ فلا جناح عليهما أن يترابعا ﴾ بعد العدة ويعقد جديد ﴿ إن ظنا أن يقيما حدود الله ﴾ من الحقوق الزوجية .

٢٣١- ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ أي المؤمنون ﴿ فليهن أجلهن ﴾ أي أوشكت عدتهن أن تنقضي وتنتهي ﴿ فأمسكوهن بمعروف ﴾ راجعوهن بالحسن قبل انتهاء العدة ﴿ أو سرحوهن بمعروف ﴾ أو دعوهن وشأنهن ﴿ ولا تمسكوهن ضراً ﴾ لتعتوا ﴿ لا تراجعوهن بقصد الإيذاء والإعتداء كما يفعل السفهاء ﴾ ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ﴿ لا نفس المطلقة وكفى ﴾ ولا تخفوا آيات الله هزواً ﴿ لا تستخفوا بأوامر

الإعراب :

﴿ فإمساك ﴾ خبر مبتدأ محذوف ، أي فالواجب عليكم إمساك ﴿ بمعروف ﴾ ، والمصدر من أن تأخذوا مرفوع فاعل لا يحل ، والمصدر من أن يخافا لمفعول لأجله لتأخذوا أي لا يحل الأخذ إلا لخوف عدم إقامة الحدود ، والمصدر من أن يقيما مفعول به ليخافا ، أي يخافا ترك إقامة الحدود ، والمصدر من أن يترابعا مجرور بني محذوفة ، ومصدر أن يقيما مفعول لظنا .

دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يَبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَنْهِنَّ أَجَلُهُنَّ فَامْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضَرَارًا لِيَتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا

الله ونواحيه ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم ﴾ فيما أباحه لكم من الأزواج والأموال ﴿ وما أنزل عليكم من الكتاب ﴾ القرآن ﴿ والحكمة ﴾ العلوم ﴿ يعظكم به ﴾ بالقرآن ﴿ واتقوا الله ﴾ بالطاعة والشكر وذكر النعم .

٢٣٢- ﴿ وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن ﴾ انقضت عدتهن وانتهت ﴿ فلا تعضلوهن ﴾ لا تمنعنهم ظلماً ﴿ أن ينكحن أزواجهن ﴾ من يخترن من الأزواج ﴿ إذا تراضوا بينهم بالمعروف ﴾ ونعم القرين الرضا ﴿ ذلك ﴾ الأمر والنهي ﴿ يوعظ به ﴾ من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ﴿ أن يعطى بيان الله أهل الإيمان حقاً وصدقاً ﴾ ذلكم ﴿ الإمتناظ والعمل بأحكام الله ﴾ أزكى لكم وأطهر ﴿ من التمرّد على حكم الله ﴾ والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴿ هذا حث على العمل بأحكام الله تعالى وإن جهلنا الحكمة والمصلحة .

٢٣٣- ﴿ والوالدات يرضعن ﴾ فعل أمر بصيغة المضارع أي لترضع الأمهات ﴿ أولادهن حولين كاملين ﴾ ٢٤ شهراً ، والأمر هنا للندب لا للوجوب حيث يسوغ ترك الرضاع إلى غذاء آخر لا يقل نفعه عن حليب الأم . فإن حليبها وسيلة لا غاية .

﴿ لمن أراد أن يتم الرضاعة ﴾ أي أن مدة الحولين ليست على سبيل الإلزام بل يسوغ أن تنقص إلى ٢١ شهراً كما تومئ الآية ١٥ من الأحقاف « وحمله وفضاله ثلاثون شهراً » فإذا طرحنا من الـ ٣٠ تسعة مدة الحمل يبقى ٢١ ﴿ وعلى المولود له ﴾ وهو والد الطفل ﴿ رزقهن وكسوتهن بالمعروف ﴾ هذا النص واضح الدلالة على وجوب نفقة الزوجة ﴿ لا تكلف نفس إلا وسعها ﴾ لا يحق للزوجة أن تكلف الزوج ما لا يطيق ، وهو لا يسوغ له ذلك ﴿ لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده ﴾ الضرر مني في الإسلام بشئ أشكاله وأنواعه ، عليه فلا يسوغ لأحد الأبوين أن يتخذ من الولد ورضاعه أو حضانه وسيلة للإضرار بالآخر ﴿ وعلى الوارث مثل ذلك ﴾ إذا مات والد الرضيع وترك مالا ، فأجره الرضاع تخرج من سهم هذا الطفل الرضيع سواء أكانت المرضعة أمه أم غيرها . ﴿ فإن أراد ﴾ الأبوان ﴿ فصلاً ﴾ فطام الطفل ﴿ عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما ﴾ للوالدين أن يقطعا الطفل قبل استيفاء الحولين أو بعدها إذا تم هذا الإتفاق بينهما ،

وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣٢﴾ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكَحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَلِكَ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٣﴾ * وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنِمَّ الرِّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَارُّ وَالِدَةُ بَوْلِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ ۚ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ ۚ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۚ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِعُوا أَوْلَادَكُمْ

الإعراب :

ضارراً حال من الواو في تمسكهن ، والتقدير لا تمسكهن مضارين ، ويجوز أن يكون مفعولاً من أجله ، وهو أمر معمول ثانٍ لتخذوها ، والمصدر من ينكحن مجرور بمن محذوف ، تقديره من نكاحهن ، أزواجهن وذلك مبتدأ خبره يوعظ به ، ومنكم متعلق بمحذوف حال من الضمير في يؤمن ، وجملة يؤمن خبر كان .

وكان ذلك غير مضرَ بالطفل ﴿ وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم ﴾ الخطاب للآباء ﴿ فلا جناح عليكم إذا سَلَّمْتُمْ ما آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ ﴾ لا بأس عليكم أيها الآباء أن تسترضعوا لأولادكم المراضع الأجنبية إذا أنتم سَلَّمْتُمْ بأن الأم أولى وأحقُّ شريطة أن ترضى بما رضىت به غيرها من الأجر أو التبرع المجاني .

٢٣٤- ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن ﴾ على من مات زوجها أن تعتد ﴿ أربعة أشهر وعشراً ﴾ أي عشرة أيام ، وحذفت ثلثاء من عشرة تغليبا لليالي ، وهذا الحكم يعم ويشمل كل زوجة دون استثناء إلا الحامل ، فإن عدتها أبعد الأجلين من وضع الحمل و٤ أشهر و١٠ أيام جمعا بين هذه الآية والآية ٤ من الطلاق : « وأولات الأحمال أحلهن أن يضعن حملهن » .

﴿ فإذا بلغن أجلهن ﴾ انتهت عدة الوفاة ﴿ فلا جناح عليكم ﴾ أي الأولياء أو المسلمون ﴿ فيما فعلن في أنفسهن ﴾ من اختيار من يردن من الأزواج ﴿ بالمعروف ﴾ شرعا ﴿ والله بما تعملون خبير ﴾ تهديد لمن يصد المرأة عن حلال الله .

٢٣٥- ﴿ ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء ﴾ أباح سبحانه للرجل التلويح بالخطبة دون التصريح للمعتدة عدة الوفاة حتى تحبس نفسها عليه إن رغب فيه ﴿ أو أكنتم في أنفسكم ﴾ كل ما يخطر في البال ، ويعزم عليه القلب ، فلا بأس به ما دام طي الكتمان ﴿ علم الله أنكم ستذكروهن ﴾ في أنفسكم ، ولذا أباح لكم هذا التلويح ﴿ ولكن لا تواعدوهن سرا ﴾ لا يسوغ الكلام بما لا يليق بخاصة حين الإنفراد ﴿ إلا أن تقولوا قولا معروفا ﴾ من شأنه أن يقال علانية ﴿ ولا تعزموا ﴾ عزمًا تنتشون معه ﴿ عقدة

النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله ﴾ حتى تنتهي العدة ﴿ واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم ﴾ من العزم على ما لا يجوز ﴿ فاحذروه ﴾ خافوا حسابه وعقابه .

٢٣٦- ﴿ لا جناح عليكم إن طَلَقْتُمُ النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ﴾ من عقد على امرأة دون أن يسمي لها مهرًا في متن العقد ، ثم طلقها قبل الدخول ، فلا شيء .

الإعراب :

الذين ميتة ، و﴿ يتربصن ﴾ الجملة خبر ، وحذف الظرف ، وهو بعدهم لظهوره ، و﴿ عشرًا ﴾ بالتأنيث تغليبا لليالي على الأيام ، منكم متعلق بمحذوف حال ، وكذا ﴿ فيما عرضتم ﴾ ، والمصدر من ﴿ ان تقولوا ﴾ في موضع نصب على أنه بدل من سرا .

لها عليه إلا المنة التي أشار إليها سبحانه بقوله : ﴿ وَمَتَّعُوهُمْ عَلَى الْمَوْسَعِ ﴾ الغني ﴿ قَدَرَهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ ﴾ القدر ﴿ قَدَرَهُ مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ ﴾ حدّد سبحانه مبلغ المنحة أي المنحة لهذه المطلقة ، بحال المطلق يسراً وعسراً بحيث لا يسوغ في نظر العقلاء ، أن تطلب المطلقة أكثر من المبلغ الذي طابت به نفس المطلق ﴿ حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴾ الذين يحسنون إلى أنفسهم في تأدية الحق إلى أهله .

٢٣٧- ﴿ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَدِّكُمْ وَأَنْتُمْ عَلَى أَعْيُنِكُمْ وَأَنْتُمْ عَلَى أَعْيُنِكُمْ وَأَنْتُمْ عَلَى أَعْيُنِكُمْ وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَّعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِتْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ فِي مَا فَعَلْتَ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى

٢٣٨- ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ ﴾ الخمس ﴿ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾ ذكرها سبحانه بالخصوص بعد العموم لأهميتها واختلّفوا في تعيينها ، والأشهر أنها صلاة العصر ﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ قال الإمام الصادق (ع) : تشير إلى القنوت في الصلاة حال القيام .

٢٣٩- ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾ عدواً أو غيره فصلوا سراً على الأقدام ﴿ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾ على ظهور الدواب أو في السيارة

أو الطائرة ﴿ فَإِذَا أَمِنْتُمْ ﴾ من الخوف ﴿ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ ﴾ أي صلوا صلاة الآمن المختار ﴿ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ كيف تصلون في الخوف والأمن والسفر والحضر .

٢٤٠- ﴿ وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً ... ﴾ إلى آخر الآية التي تدل بجمليتها أن على الزوج أن يوصي لزوجته قبل موته بأن ينفق عليها من تركته حولاً كاملاً إذا اختارت البقاء في بيته ، كما كانت العادة عند العرب قبل الإسلام . ثم نسخت هذه الآية بقوله تعالى : « يترصّن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً » .

٢٤١- ﴿ وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ هذه تأكيد للآية السابقة وهي قوله تعالى : « ومتّعون » على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعاً بالمعروف حقاً على المحسنين .

الإعراب :

﴿ قَانِتِينَ ﴾ حال من الواو في قوموا ، و﴿ رُكْبَانًا ﴾ حال ، أي فصلوا راجلين ، وكما علمكم ما مصدرية متعلق بأذكروا ، أي اذكروا الله تكميله إياكم ، و﴿ مَا لَمْ تَكُونُوا ﴾ ما موصول في محل نصب مفعول ثانٍ للعلمكم .

٢٤٣- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾
هؤلاء قوم وقع فيهم الطاعون ، فخرجوا من ديارهم هاربين ، فأماهم الله ، ثم أحياهم ليعتبروا ويعلموا أنه لا مفر من حكم الله ﴿ إِنَّ اللَّهَ لِلَّذِينَ فَضَّلَ عَلَى النَّاسِ ﴾ حيث يظهر من الآيات ما يعتبرون به .

٢٤٤- ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وحيث لا مفر من الموت فالأفضل لكل إنسان أن يموت في ميدان الجهاد .

٢٤٥- ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ﴾ لم يستقرض سبحانه على الحقيقة ، كيف وهو الغني الحميد ، بل أراد أن يبلى عباده أيهم أحسن عملاً ﴿ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ أي التضحية بالنفس والمال في سبيل الخير لوجه الله والخير .

﴿ لِيضاعفه له أضعافاً كثيرة ﴾ لا يبلغ إحصاءها إلا الله ﴿ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ ﴾ بضيق ويوسع ، فلا تبخلوا أيها الأغنياء بمال الله على ما يرضي الله .

٢٤٦- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ الخطاب ظاهراً للنبي (ص) وواقعاً لكل من سمع أو قرأ ﴿ مِنْ بَعْدِ مُوسَى ﴾ بعد وفاته ﴿ إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّ لَهُمْ ﴾ يوشع أو شموئيل وهو الأعرف ﴿ إِبْرَاهِيمَ لَنَا مَلَكًا ﴾ عَيْنَ قَائِدًا لِلجَيْشِ نَأْتِرُ بِأَمْرِهِ ﴿ نَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أعداء الله والحق ﴿ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ ﴾ أتوقع منكم الجبن والتخاذل إذا جدَّ الجدُّ ﴿ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نَقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾

الله ﴿ كَلَّا ، سَنُقَاتِلُ حَتَّى نَفْسَ الْآخِرِ وَكَيْفَ لَا نَضْحِي بِكُلِّ عَزِيزٍ ﴾ وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا ﴿ يَشِيرُونَ بِهِدَا إِلَى مَا كَانَ مِنْ جَالوتِ وَقَوْمِهِ الَّذِينَ غَزَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَسَبَّوْا ذُراريَهُمْ ﴾ فلما كتب عليهم القتال ﴿ الَّذِي طَلَبُوهُ ، وَأَصْرُوا عَلَيْهِ ﴾ تولوا ﴿ جَبَنُوا وَتَخَادَلُوا ﴾ كما توقع نبيهم

الإعراب :

وهم أُلُوفٌ جملة حالية ، وحذر الموت مفعول من أجله .

﴿مَنْ﴾ اسم استفهام ، والمراد بها هنا الطلب ، ومحملها الرفع بالابتداء ، وذا خير ، والذي بدل ، و﴿قَرْضًا﴾ مفعول مطلق ، ويجوز أن يكون مفعولاً به بمعنى المال المقرض ، وفيضاعفه منصوب بأن مضمره ، ويجوز الرفع عطفاً على يقرض ، واضعافاً حال من الماء في يضاعفه ، ويجوز أن يكون مفعولاً مطلقاً بمعنى المضاعفة .

﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾ صَمُّوا على الجهاد مخلصين .

٢٤٧- ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلَكًا ﴾ قيل : إنه سمي طالوت لطروله . ولما أخبرهم النبي أن الله اختاره لزعامة الجيش ﴿ قَالُوا أَتَى بِكُنْ لَهَ الْمَلِكُ عَلَيْنَا ﴾ وهو غير عريق النسب وفارغ اليد من المال ﴿ وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمَلِكِ مِنْهُ ﴾ لنسبنا ومالنا ﴿ وَلَمْ يَأْتِ بِشَيْءٍ ﴾ سعة من المال قال ﴿ نَبِيُّهُمْ ﴾ : إن الله اصطفاه عليكم ﴿ لَأَن زُعَامَةَ الْجِيْشِ لَا تَحْتَاجُ إِلَى نَسَبٍ وَمَالٍ ، بَلْ إِلَى الشَّجَاعَةِ وَالْإِخْلَاصِ وَالْكِفَاةِ ، وَكُلُّ هَذِهِ الْمَوْهَلَاتُ مُتَوَافِرَةٌ فِي طَالُوتَ ﴾ وزاده بسطة في العلم والجسم ﴿ قِيلَ : كَانَ أَعْلَمُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَشْجَعُهُمْ آنَذَاكَ ﴾ والله يُؤْتِي مَلِكُهُ مَنْ يَشَاءُ ﴿ وإضافة الملك إلى الله تعالى يشعر بأن المراد بالملك هنا الملك الحق والمشروع ديناً وعقلاً وعرفاً في مقابل المأخوذ ظلاماً وغصباً ﴾ والله واسع ﴿ الفضل والعطاء ﴾ عليم ﴿ بمن يصطفيه للملك والرياسة .

٢٤٨- ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ ﴾ بعد أن طليل معجزة تدل على مكانة طالوت : ﴿ إِنَّ آيَةَ مَلِكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ ﴾ صندوق ﴿ فِيهِ سَكِينَةٌ ﴾ التوراة ﴿ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ ﴾ قيل : المراد بالبقية عصا موسى وفئات الألواح ﴿ تَحْمِلُهَا الْمَلَائِكَةُ ﴾ وأنتم تنظرون إلى التابوت ﴿ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّكُم إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ فاسمعوا لطالوت وأطيعوا .

٢٤٩- ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ ﴾ عن بلده ﴿ طَالُوتُ ﴾ وسار

﴿ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَّمْ يَلْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً ﴾ كان موبوءاً ﴿ وَمَنْ لَّمْ يَلْعَمْهُ ﴾ لم يذوقه ﴿ فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾ لأنه سمع قولي وعمل بأمرى ﴿ إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً ﴾ لأن الضرورة تقدر بقدرها ﴿ فَشَرِبُوا مِنْهُ ﴾ متجاوزين الحد ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾ وهكذا المخلصون في كل عصر ومصر أقل من القليل ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُ ﴾ النهر ﴿ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ﴾ قيل : بقي معه ٣١٣ رجلاً

إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلَكًا قَالُوا أَتَى بِكُنْ لَهَ الْمَلِكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمَلِكِ مِنْهُ وَلَمْ يَأْتِ بِشَيْءٍ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٨﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مَلِكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٤٩﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَّمْ يَلْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ

قال الشيخ محمد عبده :

ملاحظة :

وان محاولة جعل قصص القرآن كتب التاريخ بادخال ما يروون فيها على انه بيان لما هي مخالفة لسنة القرآن ، وصرف للقلوب عن مرعظته ، واضاعة لمقصده وحكمته ، فالواجب أن نفهم ما فيه ، ونعمل أفكارنا في استخراج العبر منه ، ونترنح من نفوسنا ما دفعه وقيحه ، ونحملها على التحلي بما مدحه واستحسنه .

﴿ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ﴾ لأنهم أكثر عدداً

﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ ﴾ يريد يعلمون ﴿ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ ﴾ وحسابه وجزائه : ﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ فليست العبرة بالعدد بل بالثبات على الحق والإخلاص والاستقامة في سبيله ﴿ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ على الشدائد في مرضاته .

٢٥٠- ﴿ وَلَا يَرْزُوا لَجَالُوتَ وَجُنُودَهُ ﴾ لما التقى الجمعان ﴿ قَالُوا ﴾ المؤمنون المخلصون : ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ دعوا بإخلاص وهم في قلب المعركة وعلى نية الجهاد والثبات حتى النهاية . فاستجاب لهم ربهم بعد أن علم منهم الصدق والوفاء .

٢٥١- ﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ ثم لهم النصر على أعدائهم ﴿ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ ﴾ وصار لداود بقتل جالوت من الشهرة والسعة ما وُثِرَ به ملك بني إسرائيل كما أشار سبحانه بقوله : ﴿ وَأَنَّهُ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَكِيمُ ﴾ وهي النبوة ﴿ وَعَلَّمَهُ مَا يَشَاءُ ﴾ من صنع الدروع وكلام الطير والنمل ﴿ وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتْسَتِ الْأَرْضُ ﴾ لا تستقيم الحياة إلا بقوي يقاتل به عدو الحق ، وتأمين به السبل ، ويؤخذ به للضعيف من القوي كما قال أمير المؤمنين (ع) .

٢٥٢- ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ ﴾ يا محمد ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ لتخبر بها أهل الكتاب كما هي في كتبهم . وهم يعلمون علم اليقين أنك لم تقرأها أو تسمعها ﴿ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ حتى عند العلماء من أهل الكتاب .

٢٥٣- ﴿ تِلْكَ ﴾ جماعة ﴿ الرسل فضلنا بعضهم على بعض ﴾ أي يتفاوتون في الخصائص ﴿ مِنْهُمْ ﴾ منهم من كَلَّمَ اللَّهُ ﴿ وَهُوَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ ﴾ ورفع بعضهم درجات ﴿ وَهُوَ مُحَمَّدٌ (ص) ﴾ حيث خص بالمعجزة القائمة إلى يوم القيامة وهي القرآن ﴿ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ ﴾ كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ﴿ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ أي بالروح

الإعراب :

أما العبرة من الإشارة إلى هذه القصة وتدبرها فهي أن الذي نجح له القيادة من يتمتع بالكفاءة العلمية والخلفية ، لا صاحب الحسب والنسب ، والجاه والمال ، وأن النصر والغلبة تكون بالصبر والإيمان ، لا بكثرة العدد ، وأن السبيل إلى معرفة الطب والحيث هي التجربة والابتلاء .

ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ؕ
قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ
غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٥٠﴾
وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا
وَتَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥١﴾
فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمَلِكَ
وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مَا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ
بِبَعْضٍ لَفُتْسَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى
الْعَالَمِينَ ﴿٢٥٢﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ
وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٣﴾ * تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ
عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ
وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ؕ

الطاهرة المقدسة ﴿ ولو شاء الله ﴾ مشيئة الجبر والقسر ﴿ ما اقتل الذين من بعدهم ﴾ وهم أتباع الأنبياء وأممهم وأقوامهم لأنه تعالى بيّن الحلال والحرام ، ويدع الطاعة والمعصية لاختيار العبد وحرّيته حيث لا إنسانية بلا حرية ﴿ من بعد ما جاءتهم اليّنات ﴾ يقتاتلون وهم يعلمون أن القتال فساد وضلال .

﴿ ولكن اختلفوا ﴾ بغياً بينهم ﴿ فمنهم من آمن ﴾ ملتزماً بما جاء به الأنبياء ﴿ ومنهم من كفر ﴾ بعد قيام الحجة عليه ﴿ ولو شاء الله ﴾ أن يلجنهم إلى الوفاق ﴿ ما اختلفوا ولكن الله يفعل ما يريد ﴾ من مضي العبد على حرّيته وإرادته من حيث الطاعة والمعصية .

٢٥٤- ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم ﴾ والأمر بالاتفاق هنا يشمل الصدقة الواجبة والمستحبة ﴿ من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ﴾ حيث لا سلمة ولا مال ﴿ ولا خلة ﴾ مودة نافعة ﴿ ولا شفاعة ﴾ إلا بإذن الله ﴿ والكافرون هم الظالمون ﴾ وأيضاً الظالمون هم الكافرون لقول الرسول الأعظم من أعان ظالماً ، وهو يعلم أنّه ظالم فقد برئ من الإسلام .

٢٥٥- ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ الدائم بلا شيء قبله ولا بعده ، ومن هنا تبدأ آية الكرسي ، وفضلها عظيم . ﴿ لا تأخذه سنة ﴾ نعاس ﴿ ولا نوم ﴾ تنزيه عن صفات مخلوقاته ﴿ له ما في السموات وما في الأرض ﴾ لا أحد يملك مع الله شيئاً إلا ما ملكه جلّ وعزّ ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ أبداً حتّى الكلام لا أحد ينطق به غداً إلا من أذن له الرحمن ﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ﴾

يعود الضمير على من يعقل من أهل الأرض والسماء ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه ﴾ من معلوماته ﴿ إلا بما شاء ﴾ هو أن يعلموه .

﴿ وسع كرسيه ﴾ ملكه وعلمه وقدرته ﴿ السموات والأرض ولا يؤده ﴾ لا يشق عليه ﴿ حفظهما وهو العليّ ﴾ شأناً ﴿ العظيم ﴾ سلطاناً .

٢٥٦- ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ لأن الدين من حيث هو مبني على الحرية والإختيار . ولا فرق بين قولك : يدين فلان بالإسلام ، وقولك يقرأ القرآن ، هذا إلى أنه ﴿ قد تبين الرشد ﴾ الإسلام ﴿ من الغي ﴾ الكفر ، وبعد بيانها بوضوح فلا موجب للإكراه ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ﴾ الشيطان والأصنام ﴿ ويؤمن بالله ﴾ وحده لا شريك له ﴿ فقد

استمسك بالعروة الوثقى ﴾ موضع الإمساك القوي المحكم

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدَ مَا جَاءَهُمْ
الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ أَخْلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٤﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ
يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ وَالْكَافِرُونَ
هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ
لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ
وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا
وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٦﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ
الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ

﴿ لا انقصام لها ﴾ لا تنكسر ولا تنقطع ﴿ والله سميع عليم ﴾ .

٢٥٧- ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات﴾
 من الكفر والجاهلية الجهلاء ﴿إلى النور﴾ نور العلم النافع
 والدين القويم ﴿والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت﴾ تتولى
 أمورهم الشياطين ﴿يخرجونهم من النور﴾ الخير ﴿إلى
 الظلمات﴾ الشر ﴿أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾
 تهديد ووعيد .

٢٥٨- ﴿ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ﴾
وقال له : من ربك يا إبراهيم ﴿ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ﴾ أي كفر
وتخرد نمرود لا شيء إلا لأنه تملك وتحمك بالعباد والبلاد
ظلماً وعدواناً ﴿ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُبْعِثُ وَيُمْيْتُ ﴾
ولا أحد يشاركه في ذلك ﴿ قَالَ ﴾ نمرود ﴿ أَنَا ﴾ أشاركه
في ذلك لأنني ﴿ أَحْيَيْتُ وَأَمِيتُ ﴾ أنرك الإنسان فيبقى حياً ،
واقته فيموت ﴿ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ
فَأَتِي بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ﴾ أي أن الذي يحيي ويميت حقاً وواقعاً
لا تدليساً وتوهمياً هو الذي يأتي بالشَّمس من المشرق ، فإن
كنت يا نمرود تحيي وتميت كذلك فأنت بالشَّمس من المغرب
﴿ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾ سكت متحيراً كالذي تلقمه حجراً .

٢٥٩- ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ تضييده أو رأيت
مثل الذي ... ، ولم يفصح سبحانه عن اسم القرية ولا عن
اسم المار بها ، ولكن المفسرين ذكروا وأكثروا ، ونحن نسكت
عما سكت الله عنه .

﴿ وهي خاوية ﴾ خالية من السكان ﴿ على عروشها ﴾

سقوط البيوت أي بيوت القرية دمار وآثار ﴿ قَالَ آتَىٰ يَحْيَىٰ هَٰذَا اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ ليس هذا إنكاراً ، بل سؤالاً على سبيل المعرفة بعملية الإحياء ، ويؤمّن إلى هذا قوله سبحانه ﴿ فَأَمَّا اللَّهُ فَمَا تَعْلَمُ عَمَّا فِي يَدَيْهِ ﴾ ليعلم أن الله سبحانه يحيي ويميت بمجرد الإرادة التي عبّر عنها سبحانه بكلمة «كن فيكون» ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ﴾ ليس هذا سؤالاً على الحقيقة ، بل سبباً لحمل الطرف الآخر على الإعراف بالجهل ﴿ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ يدل هذا أنّه لم يشعر بالمدة أو أن أمد الآخرة غير أمد الدنيا ﴿ قُلْ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ ﴾ في حساب

الإعراب :

كالذي الكاف اسم بمعنى مثل، وعملها الجر عطفاً على الذي حاج إبراهيم، وجملة وهي خاوية على عروشها حال من قرية، ولا يُلتفت إلى قول النحاة بأن صاحب الحال لا يكون إلا معرفة، لأن القرآن حجة على النحاة، وليس النحاة حجة على القرآن... أجل، في الغالب يكون صاحب الحال معرفة، وأتى في موضع نصب على الحال، وصاحب الحال لفظ الجلالة.

أهل الدنيا ﴿ فَاَنْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهٖ ﴾ لم يتغيره السنون ﴿ وَاَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ ﴾ سائلاً بلا علف وماء ، وهنا تكمن المعجزة الإلهية .

﴿ وَلَنَجْجِلكَ آيَةً لِلنَّاسِ ﴾ فعلنا بك ذلك لتكون دليلاً على البعث وإمكانه عند من يعلم بحالك ﴿ وَاَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا كَيْفَ نُنشِزُهَا ﴾ نحييها ، والمعنى كما أحييناك بعد الموت كذلك نحيي العظام وهي رميم ﴿ ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا ﴾ ثم نكسوها لحمًا ﴿ تَمَامًا ﴾ كما بدأ أول خلق يعبده ﴿ فَلَمَّا كَيَّنْ لَهُ ﴾ أي فلما شاهد وجوب ﴿ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ وأن إرادته تعالى هي عين قدرته على الفعل والإيجاد ، أمّا إرادتنا نحن فلا بد أن يكون معها قدرة وأدوات وعدم الموانع والعقبات .

٢٦٠- ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ آمن إبراهيم (ع) بأن الله يحيي الموتى إيماناً لا يشوبه ريب ، ولكنه أحب أن يشاهد ذلك بالعيان ﴿ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ﴾ الله يعلم أن إبراهيم أقوى الناس إيماناً ، ولكن سأله ليجيب بهذا الجواب : ﴿ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ فيزداد الإيمان رسوخاً بالعيان .

﴿ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ ﴾ أضْمِمْهُنَّ واجمعهن ﴿ إِلَيْكَ ﴾ وقطع كل طير إلى أجزاء ﴿ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ﴾ فامتثل إبراهيم أمر الله تعالى ﴿ ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾ ساعات مسرعات ولما دعاهن إبراهيم رجعت إليهن الحياة وأقبلن نحوه .

٢٦١- ﴿ مِثْلَ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ باذر ﴿ كَمِثْلِ ﴾ كمثل ﴿ بَازِرٍ ﴾ باذر ﴿ حَبَّةٌ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ ﴾ حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبل مائة حبة ﴿ بَيَانٌ أَنَّ الْحَسَنَةَ بِسَبْعِينَ مِثْلَ الرُّجْحِ ﴾ بل تزيد عن ذلك أضعافاً بدليل قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يضاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ فيه إيماء إلى أن المال إذا صادف محله عاد نفعه وأجره على البازل فوق ما يتصور ﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ ﴾ الرحمة والمقدرة ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بمن يستحق الزيادة .

٢٦٢- ﴿ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا مِمَّا آتَوْهُم بِأَمْوَالِهِمْ ﴾ إظهار النعمة والصنمية ﴿ وَلَا أَذَى ﴾ السب والتوبيخ ﴿ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ مغفرة ورحمة وثواب ﴿ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ من العذاب

الإعراب :

﴿ إِذْ ﴾ ظرف بمعنى وقت ، والعامل محذوف تقديره اذكر ، وكيف في محل نصب على الحال ، والعامل نحوي ، وليطمئن في محل نصب بان مضمرة ، والمصدر المنسبك مجرور باللام ، متعلق بمحذوف ، والتقدير سألتك للاطمئنان ، وسعيًا مفعول مطلق ليأتينك ، أو حال بمعنى ساعات .

فَاَنْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهٖ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلَنَجْجِلكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنِ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ مِثْلَ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيلٌ حَبَّةٌ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يضاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا مِمَّا آتَوْهُم بِأَمْوَالِهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ

﴿ ولا هم يحزنون ﴾ على فوات ما يبتغون .

٢٦٣- ﴿ قول معروف ﴾ بالرد الجميل ﴿ ومغفرة ﴾
إن ألح السائل ﴿ خير من صدقة يتبعها أذى ﴾ سب أو ضرب .

٢٦٤- ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمال والأذى ﴾ إن اسم الصدقة لا يطلق على بذل المال إلا مع النية الخالصة لوجه الله ، وما من شك أن المُن والأذى لا يجتمعان مع الإخلاص في النية ﴿ كالذي ينفق ماله رياء الناس ﴾ وهو المنافق الذي يبطن غير ما يظهر ﴿ ولا يؤمن بالله ﴾ كي يبذل لوجه الله ﴿ واليوم الآخر ﴾ كي يرجو الأجر والثواب ﴿ فمثلته كمثل صفوان ﴾ حجر أملس ﴿ عليه تراب فأصابه وابل ﴾ مطر غزير ﴿ فتركه صلباً ﴾ أجرد لا ينبت شيء ﴿ لا يقدرُونَ على شيء مما كسبوا ﴾ لا ينتفعون شيئاً مما أنفقوا .

٢٦٥- ﴿ ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم ﴾ يبتغون أنفسهم على الإيمان ببذل المال ﴿ كمثل جنة ربوة ﴾ لأن الشجرة في مكان مرتفع أطيب ثمراً وأزكى طعاماً ﴿ أصابها وابل ﴾ مطر ﴿ فآتت أكلها ضعفين ﴾ تضاعف الثمر بسبب المطر ﴿ فإن لم يصبها وابل فطل ﴾ ندى ومطر خفيف .

٢٦٦- ﴿ أيودأ أحدكم أن تكون له جنة ﴾ بستان وهذه الآية مثل لمن يعمل عملاً يظن أنه ينتفع به ، فإذا كان وقت

الحاجة إليه لم يجده شيئاً تماماً كالسرّاب يظنه الظمآن ماء ﴿ من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبير ﴾ فأفغده عن الكسب والعمل ﴿ وله ذرية ضعفاء ﴾ يطلبون الغذاء والكساء ﴿ فأصابها ﴾

الإعراب :

الكاف في قوله : ﴿ كالذي ﴾ اسم بمعنى مثل ، وعمله النصب على الحال من الواو في لا تبطلوا ، ورياء الناس مفعول من أجله لينفق ، والكاف في كمثل زائدة ، وعليه تراب مبتدأ وخير ، والجملة في حل جر صفة لصفوان ، وصلداً حال من الهاء في تركه ، وهو مؤوّل يبابس ، وابتغاء مرضاة الله مفعول من أجله ، وتثبيتاً معطوف عليه ، وضعفين حال من أكلها ، وفطل فاعل لفعل محذوف ، والتقدير فيصيبها طل .

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٣﴾ * قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٤﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ءَآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٥﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ رَّيْبَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَفَاتَتْ أَكْلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٦﴾ أَيُّودُ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا

أي الجنة ﴿ إعصار ﴾ ربيع فيها سموم محرقة ﴿ فيه نار فاحترقت ﴾ حتى أصبحت غباراً منتشراً ، وكل من يعمل صالحاً ، ويتبعه بما يذهب بأجره وثوابه ، مثله كهذا العجوز العاجز المعيل الذي أتعب نفسه شاباً لصغاره وشيوخه ، بغير جدوى .

٢٦٧- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ سواء أكان مصدر الكسب صناعة أم زراعة أم تجارة أم هدية أم ميراثاً أم وظيفة أم أي شيء آخر ﴿ ومما أخرجنا لكم من الأرض ﴾ نباتاً كان أم معدناً ﴿ ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ﴾ لا تقصدوا المال الرديء من أموالكم فتنفقوا منه . ﴿ ولستم بأخذيه ﴾ أنتم لا تأخذون الرديء في حقوقكم وديونكم ، فكيف تعطونه لغيركم ؟ ﴿ إِلَّا أَنْ تَنْفِقُوا فِيهِ ﴾ أَنْ تَسَامَحُوا بِأَخْذِهِ . من أغمض فلان عن حقّه إذا غَضَّ النظر عنه .

٢٦٨- ﴿ الشَّيْطَانُ يَعْصِيكُمْ فِي الْفَقْرِ ﴾ يخونكم منه إن أنفقتم في سبيل الخير ﴿ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ ﴾ المعاصي والآثام ، ومنها منع الزكوات والأخماس ﴿ واللّه يَعْصِيكُمْ ﴾ إن أنفقتم وبذلتم ﴿ مَغْفِرَةً فِيهِ ﴾ لذنوبكم ﴿ وَفَضلاً ﴾ رزقاً واسعاً . ٢٦٩- ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ﴾ وهي الإصابة في القول والعمل ﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ﴾ وفاز فوزاً عظيماً دنيا وآخرة ﴿ وما يذكر ﴾ يتعظ ويعمل بالحكمة ﴿ إِلَّا أُولَ الْأَبْلَابِ ﴾ أصحاب العقول الخالصة النيرة .

٢٧٠- ﴿ وما أنفقتم من نفقة ﴾ إخلاصاً أو رياء ﴿ أو أنفروا من نذر ﴾ في طاعة أو معصية ﴿ فإن الله يعلمه ﴾ ويجازي عليه ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ﴿ وما للظالمين ﴾ وهم الأغنياء الذين يسكنون ويبخلون ﴿ من أنصار ﴾ يدراؤون عنهم سوء العذاب .

٢٧١- ﴿ إن تبلى الصدقات فنعما هي ﴾ لا بأس في إظهار الصدقة ما دام القصد وجه الله ﴿ وإن تحفظوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ﴾ من الإظهار ، لبعدها عن شبهة الرياء من جهة ، وحرصاً على كرامة الفقير من جهة ثانية ﴿ ويكفر عنكم من سيئاتكم ﴾ أي بعض السيئات ، لأن الصدقة لا تمحو جميع الذنوب ، وتدفع الكثير من بلاء الدنيا بالحسن والتجربة .

الإعراب :

﴿ أن تَنْفِقُوا ﴾ المصدر المنسبك من أن وصلتها في موضع نصب مفعول من أجله لأخذيه ، والتقدير لستم بأخذيه إلا لأغماضكم .

٢٧٢- ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ بِأَمْرٌ بِالْإِيمَانِ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿يَهْدِيهِ﴾ بل عليك أن تتلَّع وتأمر المسلمين بالإتفاق بلا من وأذى ورياء ، وليس عليك أن تحملهم على العمل بالقوى والهدى ﴿وَلَكِنْ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ من يقبل النصيحة والإرشاد وتقدم الكلام عن ذلك في تفسير الآية ٢٦ ﴿وَمَا تَفْقَهُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُفْسِدُوا﴾ أي منة لكم وإذن علام تمنون على من تفقهون ؟ ﴿وَمَا تَفْقَهُوا إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ إذا تصدقتم لوجه الله حقاً وصدقاً فعليكم أن لا تتبعوا الصدقة بالمال والأذى ﴿وَمَا تَفْقَهُوا مِنْ خَيْرٍ يَوْفُ إِلَيْكُمْ﴾ ثوابه أضعافاً ، فلا عذر لكم في الإسكاف والبخل ولا في المن والتفريق .

٢٧٣- ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي أعطوا زكاة أموالكم للذين تفرغوا للجهاد وطلب العلم ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ﴾ يعجزون عن العمل ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ عن الطلب ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ تعرف فاقمهم بعلم ظهور النعمة عليهم وغير ذلك من الدلائل لا بالطلب والإلحاح ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً﴾ إلحاحاً ، والخلاصة يعطى مال الله سبحانه للمجاهد في ميدان القتال دفاعاً عن مبدأ الحق والدين القويم ، ولطالب العلم النافع ، ولكل عاجز عن العمل لا يتسول ولا يتحائل .

٢٧٤- ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ فلهم أجرهم عند ربهم ... ﴿نَمَّ كُلُّ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لُجَّةً﴾ الله ، ولكن تواردت الأخبار أنها نزلت في علي (ع) .

٢٧٥- ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ﴾ يوم الحشر من قبورهم ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ﴾ يضربه الشيطان ﴿ضَرْباً شَدِيداً﴾ من المس في الجنون . ومن المعلوم أن الشيطان لا سلطان له على الإنسان ، وإنما القصد مجرد التشبيه والتقريب . لأن العرب كانوا يقولون عمن يصاب بالصرع : مسه الشيطان . ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ الضمير للذين يأكلون الربا ، وذلك إشارة إلى تحيطهم ﴿قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ قاسوا الربا على البيع من حيث الزيادة والتفاضل فيها معاً ، فكيف حرم الربا دون البيع فرد عليهم سبحانه بقوله : ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾ لأن الزيادة التي يأخذها البائع لها مقابل ، وهو تفرغه للقيام بدور الوسيط بين المتبع والمستهلك ﴿وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ لأنه استغلال محض وأخذ للزيادة من غير مقابل ، وعليه فلا مبرر للقياس

الإعراب :

﴿لَا تُفْسِدُوا﴾ خبر مبتدأ محذوف ، أي فهو لأنفسكم ، وأيضاً للفقراء خبر مبتدأ محذوف تقديره صدقاتكم للفقراء ، والحاظ قائم مقام المفعول المطلق ، أي لا يسألون الناس سؤالاً ملحفاً ، ويجوز أن يكون منصوباً على المصدر ، أي يلحفون الحافاً .

خَيْرٌ ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي﴾ مَنْ يَشَاءُ ﴿وَمَا تَفْقَهُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُفْسِدُوا﴾ وَمَا تَفْقَهُوا إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ﴿وَمَا تَفْقَهُوا مِنْ خَيْرٍ يَوْفُ إِلَيْكُمْ﴾ وَأَنْتُمْ لَا تَفْقَهُونَ ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً﴾ وَمَا تَفْقَهُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ

جَاءَهُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ فَأَنْتَهَيَ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٦﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٨﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْقَرًا وَاللَّهُ وَدَّعَا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٩﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَلَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ

﴿ فمن جاءه موعظة من ربه ﴾ ببلغه أن الله حرم الربا ﴿ فأنتهى ﴾ ترك الربا طاعة لله ﴿ فله ما سلف ﴾ ما أخذ من الربا قبل التحريم ، ولا يجب عليه رده إلى من أخذه منه ﴿ وأمره إلى الله ﴾ يشمل برحمته لأنه ترك الحرام لوجهه الكريم ﴿ ومن عاد ﴾ إلى الربا أو فعله ابتداء مع علمه بالتحريم ﴿ فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾

٢٧٦- ﴿ يمحق الله الربا ﴾ ينقصه ويذهب ببركته ﴿ ويربي الصدقات ﴾ يزيد ما وينتجها ﴿ والله لا يحب كل كفار ﴾ بأمرة ونبيه ﴿ أثيم ﴾ يأكل الحرام .

٢٧٧- ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات .. ﴾ تقدم مثله في الآية ٨٢ .

٢٧٨- ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ﴾ خاطبهم سبحانه بالإيمان والتقوى توطئة لقوله : ﴿ وفروا ما بقي من الربا ﴾ اكتفوا من الربا بما مضى ، واتركوا ما بقي ﴿ إن كنتم مؤمنين ﴾ حقاً وواقعاً .

٢٧٩- ﴿ فإن لم تفعلوا فأذنوا ﴾ فاعلموا ﴿ بحرب من الله ورسوله ﴾ قال الإمام الصادق (ع) : « وأكل الربا يؤذّب بعد البينة أي النهي فإن عاد أذّب - ثانية - فإن عاد قتل ، في الثالثة ، وقيل في الرابعة ﴾ وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم ﴿ وما زاد حرام محرّم ﴾ لا تظلمون ﴿ المديون بطلب الزيادة ﴾ ولا تظلمون ﴿ أنتم بالنقصان .

٢٨٠- ﴿ وإن كان ذو عسرة ﴾ كان تامة وذو فاعل ﴿ فنظرة إلى ميسرة ﴾ كل مديون مصر لا تسوغ مضايقته ،

كما لا يسوغ للمسر أن يماطل بالوفاء ﴿ وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ ليس من شك أن إبراء المسر من الدين فضيلة لأن الدائن يخفف عن المديون أحد الثقلين وهما الفقر والدين .

٢٨١- ﴿ واتقوا يوماً ﴾ خافوا من حسابهِ وعذابه ﴿ ترجعون فيه إلى الله ﴾ فيرى أعمالكم ﴿ ثم تولى كل نفس ما كسبت ﴾ جزاءً وفاقاً

الإعراب :

كما يقرم الكاف اسم بمعنى مثل قائمة مقام المفعول المطلق ، أي لا يقومون الا قياماً مثل قيام الذي يتخبطه الشيطان ، وإن كان ذو عسرة كان تامة ، وذو فاعل ، ونظرة خبر مبتدأ محذوف ، أي فالواجب نظرة ، وإن تصدقوا ، أي تصدقوا وإن وصلتها في موضع رفع على الابتداء ، والخبر خير لكم ، والتقدير الصدقة خير لكم .

﴿وهم لا يظلمون﴾ فتبلا.

٢٨٢- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مَسْمُومٍ فَاصْتَبُوا﴾ إلى يوم معين ، ويجوز إلى الحصاد والموسم المعلوم بين الدائن والمدين ﴿وَلْيَكْتُبْ﴾ الأمر هنا للندب لا للوجوب باتفاق الفقهاء ﴿بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ المحرور هنا يتعلق بقوله سبحانه وليكتب لا بكتاب ، لأن الكتابة بين الناس لا يشترط فيها أن يكون الكاتب عادلاً ، بل مأموناً على ما يكتب وكفى ﴿وَلَا يَأْبُ﴾ هذا النهي للكرامة لا للتحريم إلا إذا أيقن المدعو بأن امتناعه عن الكتابة سبب تام للفساد ، والله لا يحب الفساد ﴿كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ كما أمره بكتابة عادلة مأمونة لا يزيد فيها ولا ينقص ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ كرر توطئة للإملاء في قوله : ﴿وَلْيُعْلَلْ﴾ أي عيّل ﴿الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ وهو المدين لأن الشهادة على اعترافه ﴿وَلْيَقِ﴾ وليتق الله ربّه ﴿فِي الْإِعْتِرَافِ بِمَا عَلَيْهِ﴾ ولا يبخس ﴿لَا يَنْقُصُ﴾ منه ﴿مِنَ الْحَقِّ الَّذِي عَلَيْهِ﴾ شيئاً فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً ﴿مُحْجَراً عَلَيْهِ لِتَذِيرِهِ وَإِسْرَافِهِ﴾ أو ضعيفاً ﴿قَاصِراً﴾ أو لا يستطيع أن يعمل هو ﴿لَعْمِيَّ﴾ أو خرس وما أشبه ﴿فَلْيُعْلَلْ وَلِيَّهُ﴾ الذي يلي أمره من أب أو وصي أو وكيل أو ترجمان أمين ، كل ذلك يجب أن يكون ﴿بِالْعَدْلِ﴾ .

﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ﴾ على الدين ﴿مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ المؤمنين ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا الشَّهِيدَانِ﴾ رجلين فرجل ﴿أَيُّ فُلَيْشِدَ رَجُلٍ﴾ وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ﴿أَيُّ تَعْرِفُونَهُم بِالْعَدَالَةِ﴾ أن تفصل ﴿تَنَسَّى﴾ إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ﴿وَعَلَيْنَا أَنْ نَعْتَبِدَ بِالنَّصِّ﴾ لأنه معصوم عن

الخطأ ، ولا نعترض عليه بقولنا ، لأنها تخطئ وتصيب ، فكيف نعلل المعصوم بغير المعصوم والواجب العكس ؟ ﴿وَلَا يَأْبُ الشَّهَادَةَ إِذَا مَا دُعُوا﴾ إذا دعاك داع لشهد له على حق وجب عليك أن تستجيب لدعوته على الكفاية ﴿وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلَى أَجَلِهِ﴾ السأم الملل ، وضمير تكتبوه يعود إلى الدين أو الحق ، والقصد هو التحفظ والوقاية من النزاع والشقاق ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى الكتابة والشهادة ﴿أَقْسَطُ﴾ أعدل ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ﴾ أثبت ﴿لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى﴾ أقرب ﴿أَلَّا تَرْتَابُوا﴾ تشكوا في مقدار الدين أو أجله ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾ لا بأس بترك الكتابة في المعاملات والمعاطة التجارية التي تقع بينكم بضمن معجل حيث لا يتوهم فيها ما يتوهم في التداين .

الإعراب :

﴿فرجل وامرأتان﴾ رجل فاعل لفعل محذوف ، أي فليشهد رجل وامرأتان ، ويجوز جعله خبراً مبتدأ محذوف ، أي فالذي يشهد رجل وامرأتان ، والمصدر من أن تفصل مفعول لأجله لتذكر الأخرى ، والمصدر من أن تكتبوه مفعول له لا تسأموا ، وصغيراً أو كبيراً حال من الضمير في تكتبوه .

وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨٢﴾ يَتَأَيَّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مَسْمُومٍ فَاصْتَبُوا وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبُ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُعْلَلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُعْلَلْ وَلِيَّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ

﴿ وأشهدوا ﴾ على الذنب ﴿ إذا تبايعتم ﴾ عام لكل بيع صغيراً كان أو كبيراً ﴿ ولا يضار ﴾ بضم الياء ﴿ كاتب ولا شهيد ﴾ هذا نهي عن الإضرار بهما قولاً أو فعلاً ، ومن قرأ أيضاً بفتح الياء يكون النهي موجهاً للكاتب والشاهد أن لا يضرا من له الحق بالتقصان ولا من عليه الحق بالزيادة ﴿ وإن فعلوا ﴾ ما يوجب الضرر ﴿ فإنه فسوق بكم ﴾ أي هذا الفعل يخرج بكم عن طريق الحق والصلاح .

٢٨٣- ﴿ وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كتاباً ﴾ كان هذا في القديم حيث قال النبي (ص) : نحن أمة أمية ، أما اليوم فما أكثر الكتابين ، وعلى أية حال فقد أجمع الفقهاء على صحة الرهن ، واعتبر أكثرهم أو الكثير منهم القبض كشرط لتأمة ، واستدلوا بقوله تعالى : ﴿ فرهان مقبوضة ﴾ وأنت مقبوضة لأن رهان جمع تماماً كما تقول : الأمور مرهونة بأوقاتها ﴿ فإن أمن بعضكم بعضاً ﴾ ووثق صاحب المال بالمدين ، وأعطاه بلا صك ولا رهن ولا إشهاد ﴿ فليؤد الذي أؤتمن ﴾ وهو المدينون ﴿ أمانته وليتق الله ربه ﴾ بالصدق والوفاء .

﴿ ولا تكتموا الشهادة ﴾ من تحمل الشهادة يحرم عليه كتابها إذا توقف ثبوت الحق على الإدلاء بها ﴿ ومن يكتمها فإنه آثم قلبه ﴾ لأن الكتابان في القلب قبل اللسان تماماً كالقوى .

٢٨٤- ﴿ لله ما في السموات وما في الأرض ﴾ وما لأحد مع الله شيء ﴿ إن تبدوا ﴾ تظهروا ﴿ ما في أنفسكم ﴾

من سوء ﴿ أو تخفوه يحاسبكم به الله ﴾ إلا أن يكون مجرد وسواس وحديث نفس يبقى طي الكتمان ، لأن مثل هذا لا يخلو منه إنسان ﴿ فيغفر لمن يشاء ﴾ وإذن فليس لأحد أن ييأس من عفو الله فلعله مغفور له ﴿ ويعتق من يشاء ﴾ ولا يأمن من غضب الله ، فلعله مغضوب عليه .

٢٨٥- ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه ﴾ إيمان من يثق بما عند الله أكثر مما يثق بما هو في يده ﴿ والمؤمنون ﴾ من صحابته كذلك ﴿ كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ﴾ يقولون بقلوبهم وأفواههم ﴿ لا نفرق بين أحد من رسله ﴾

الإعراب :

﴿المؤمنون﴾ مبتدأ ، وكل مبتدأ ثانٍ ، وجملة ﴿آمن﴾ خبر المبتدأ الثاني ، والجملة منه ومن خبره خبر المبتدأ الأول ، وجملة ﴿لا نفرق﴾ مفعول لفعل محذوف ، أي يقولون : لا نفرق ، و﴿غفرانك﴾ نصب على المفعول المطلق ، أي اغفر غفرانك ، أو مفعول به ، أي تغلب غفرانك .

فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ
وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾
* وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ
فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَثْمَتَهُ
وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا
فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٤﴾ لِلَّهِ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ
أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ
مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٥﴾ آمَنَ الرَّسُولُ
بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ
وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ

لأن من آمن ببعض ما أنزل الله وأرسل دون بعض فهو كمن كفر بالله ويحمل هذا الإيمان معنى عرفان الجميل لكل جهد كريم ، ويؤكد التواصل بين الأجيال ﴿ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾
في كل شيء لا في شيء دون شيء حتى ولو خالف ما نهى ﴿ غُفْرَانِكَ ﴾ نستغفرك ولا نكفرك .

٢٨٦- ﴿ لَا يَكْفُفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا رُسْعَهَا ﴾ تقدم في الآية ٢٣٣ ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ ﴾ من خير ﴿ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ من السيئات ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ تهاونا منا وتقصيراً ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا ﴾ تكليفاً ثقيلاً ﴿ كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ﴾ أي نريد تكليفاً سهلاً خفيفاً لا ضيق فيه ولا حرج بحيث لا تستغله نفوسنا كالصلوات الخمس لا أكثر وإلا فإن الله لا يكلف نفساً إلا رُسْعَهَا بنص القرآن سواء أكانت هذه النفس قبلنا أم بعدنا ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ أي لا تعدّنا يوم القيامة العذاب الأكبر ﴿ وَاعْفُ عَنَّا ﴾ اجعلنا طلقاء عفوك ﴿ وَاعْفِرْ لَنَا ﴾ أذقنا حلالة مغفرتك ﴿ وَارْحَمْنَا ﴾ وإن كنا لا نستحق الرحمة ﴿ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ إنك على كل شيء قدير . والصلاة على النبي وآله الطيبين .

مِنْ رُسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ غُفْرَانِكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكْفِ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا رُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۚ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ ۚ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۚ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

(٣) سُورَةُ الْعَمَلَاتِ مَلَانِيَّةٌ وَأَسْمَاءُهَا مَا نَارَتْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿١﴾ تَزَلُّ

سُورَةُ الْعَمَلَاتِ مَلَانِيَّةٌ وَأَسْمَاءُهَا مَا نَارَتْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿ أَلَمْ ﴾

٢- ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ لا ثالث ثلاثة ﴿ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ لم يصب ، تعالى الله عما يصفون .

٣- ﴿ نَزَلَ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدٌ ﴿ الْكِتَابُ ﴾ الْقُرْآنُ ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ بِكُلِّ مَا يَحْوِيهِ ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ مِنَ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ ﴿ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ ﴾ كَلِمَةً عِبْرَانِيَّةً بِمَعْنَى الشَّرِيعَةِ ﴿ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ مِنْ كَلِمَةٍ يُونَانِيَّةٍ وَهِيَ «أَوَنْجِيلُونَ» بِمَعْنَى الْبَشَارَةِ .

٤- ﴿ مِنْ قَبْلِ ﴾ الْقُرْآنِ ﴿ هَدًى ﴾ يَانِ ﴿ لِلنَّاسِ ﴾ قَوْمَ مُوسَى وَعِيسَى (ع) ﴿ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ قَالَ الْإِمَامُ الصَّادِقُ (ع) ؛ هُوَ كُلُّ آيَةٍ مُحْكَمَةٍ فِي الْكِتَابِ ﴿ إِنَّ الَّذِي كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ الْمُنَزَّلَةِ ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ... ﴾ وَكُلُّ بَلَاءٍ دُونَ النَّارِ عَاقِبَةٌ كَمَا قَالَ الْإِمَامُ (ع) .

٥- ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْضِي عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ وَنَسِيتُفَرِّهُ بِمَا عَلَّمَهُ مِنَّا ، وَأَحْصَاهُ عَلَيْنَا .

٦- ﴿ هُوَ الَّذِي يَصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ مِنْ مَنِيٍّ يَمْنَى كَمَا صَوَّرَنَا نَحْنُ أَوْ مِنْ غَيْرِ نَظْفَةٍ وَمَنِيٍّ كَمَا صَوَّرَ آدَمَ وَعِيسَى .

٧- ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدٌ ﴾ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴿ يَتَذَكَّرُ مِنْهَا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ، لَا تَحْتَمِلُ تَأْوِيلًا وَلَا تَخْصُصًا وَلَا نَسْخًا ﴿ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ . أَصْلُهُ وَمَعْظَمُهُ ، وَبِهِنَّ تَفْسَّرُ غَيْرُهُنَّ مِنَ الْآيَاتِ ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ مُحْتَمَلَاتٌ لِأَكْثَرِ مِنْ مَعْنَى .

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ انحراف وأهواء ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ﴾ يَتَّبِعُونَ الْكَلَامَ الْوَاضِحَ . وَيَتَّبِعُونَ الْمَجْمَلَ يَفْسُرُونَهُ بِمَا يَشْتَهُونَ ﴿ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ﴾ يَفْسُدُونَ عُقُولَ النَّاسِ وَقُلُوبَهُمْ ، لِيَتَّبِعُوا عَنِ الْحَقِّ وَأَهْلِهِ ﴿ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ بِمَا تَشْتَهِي أَنْفُسُهُمْ ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ وَالتَّأْوِيلُ : التفسير ، أَمَّا الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ فَهُمُ الَّذِينَ لَا يَقُولُونَ إِلَّا عَنِ الْعِلْمِ ، وَيَعْتَرِفُونَ صِرَاحًا بِالْعِجْزِ عَنْ فَهْمِ مَا حَجَبَ اللَّهُ عِلْمَهُ عَنْهُمْ ، وَلَا يَتَعَمَّقُونَ وَيَتَعَسَّفُونَ فِيمَا لَمْ يَكْلَفْهُمْ اللَّهُ بِالْبَحْثِ عَنْ كُنْهِهِ ، كَمَا جَاءَ فِي النُّخْطَةِ ٩٨ مِنْ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ ﴿ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ أَيِ بِالْمُتَشَابَهِ ، وَفَوَضَّاهُ إِلَى اللَّهِ حَتَّى تَلْقَى مِنْهُ هُوَ أَعْلَمُ مِنَّا وَأَرْسَخَ بِمَا أَرَادَ اللَّهُ ﴿ كُلٌّ ﴾ مِنَ الْمُحْكَمِ وَالْمُتَشَابَهِ ﴿ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ هَذَا مُنَحٌ لِلرَّاسِخِينَ بِحَسَنِ التَّأَمُّلِ وَالتَّفَكُّرِ .

عَلَيْكَ أَنْ كَتَبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٣٠﴾ مِنْ قَبْلِ هَدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴿٣١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو أَنْتِقَامٍ ﴿٣٢﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٣﴾ هُوَ الَّذِي يَصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٤﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٣٥﴾ رَبَّنَا لَا تَرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ

٨- ﴿ رَبَّنَا لَا تَرِغْ قُلُوبَنَا ﴾ لَا تَبْتَلِنَا بِمَصَائِبٍ تَزِيغُ فِيهَا الْقُلُوبُ ﴿ بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ إِلَى الْحَقِّ بِتَوْفِيقِكَ وَعَنَانِكَ ﴿ وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ﴾ وَبِالْخُصُوصِ نِعْمَةَ التَّوْفِيقِ

الإعراب :

﴿ مُصَدِّقًا ﴾ حال من الكتاب ، ﴿ وَهَدًى ﴾ مفعول من أجله لا تزل ، ويجوز أن يكون حالاً ، ﴿ وَكَيْفَ ﴾ محل نصب قائم مقام المفعول المطلق ، أي ﴿ يَصَوِّرُكُمْ ﴾ تصويراً أي تصوير يشاءه ، مثل أفعل ﴿ كَيْفَ ﴾ شئت ، والمعنى أي فعل شئت ، ويجوز أن تكون حالاً .

﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَقَّابُ ﴾ بلا عوض

٩- ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ إلا من دام عماء عن الحق .

١٠- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ بالله وبالعدل والحق والإنسان وحقوقه ﴿ لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنْ ﴾ رحمة ﴿ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴾ أبداً لا جاء ولا مال ولا أولاد ورجال ولا شيء . يمجّد إلا العمل الصالح والقلب السليم .

١١- ﴿ كَذَّابٌ آَلَ فِرْعَوْنَ ﴾ كذاب خبر مبتدأ محذوف أي دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون ﴿ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ كقوم نوح وعاد وثمود ﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ وهي النذير المبين ﴿ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ﴾ أخذاً وبيلاً .

١٢- ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتِلُونَ ﴾ لأنكم على ضلال ، ولأن للحق سلاحاً لا تراه الأعين ﴿ وَتَحْشُرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبُشَى الْمَهَادِ ﴾ والقرار .

١٣- ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ ﴾ واضحة الدلالة على صدق محمد (ص) وهي ﴿ فِي فِتْنَتِ الثَّقَاتِ فَتَةً تَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ ﴾ إشارة إلى وقعة بدر ﴿ يَرَوْنَهُمْ ﴾ المشركون يرون المسلمين ﴿ مِثْلِهِمْ رَأَى الْعَيْنِ ﴾ أي مثلي المشركين في العدد ، وكان هؤلاء قريباً من ألف ، والمسلمون ثلاثمائة وبضعة عشر حقيقة وواقفاً ، ولكنهم في أعين المشركين قريباً من ألفين ﴿ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ فليست العبرة بالقلة أو الكثرة ، بل بالثبات والإخلاص من العبد والتوفيق من الله ﴿ إِنْ فِي ذَلِكَ ﴾ في الفتنة القليلة تغلب الفتنة الكثيرة ﴿ لَعِبَةٌ ﴾ لعطة ﴿ لَأُولَى الْأَبْصَارِ ﴾ الأبرار .

١٤- ﴿ زَيْنَ النَّاسِ حُبَّ الشَّهَوَاتِ ﴾ للإنسان عقل وضمير ، وله كذلك رغبات ومطامح إلى أشياء كثيرة أشار سبحانه إلى أهمها بقوله : ﴿ مِنْ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ ﴾ وليست كل زوجة ريحانة ولا كل ولد قرة عين ولكن المسألة هي طمع وغريزة وكفى ﴿ وَالْقَنَاطِيرُ الْمُقَنْطَرَةُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ﴾ والقناطر كناية عن الكثرة ، والذهب والفضة هنا ، لكل النقود يشتى أنواعها ﴿ وَالْخَلِيلُ الْمُسَوِّمَةُ ﴾ العملة أو المربعة ، أما

الإعراب :

﴿ شَيْئاً ﴾ مفعول مطلق ، لأن المراد به هنا شيء من الاغناء ، و﴿ كَذَّابٌ ﴾ متعلق بمحذوف خبر مبتدأ محذوف ، والتقدير دأبهم ﴿ كَذَّابٌ آَلَ فِرْعَوْنَ ، فَتَةً ﴾ مرفوع بالابتداء ، والخبر محذوف ، أي من الفتن فتة ، ويموز الجر على أنها بدل بعض من فتنين ، والنصب على الحال ، و﴿ رَأَى الْعَيْنِ ﴾ مفعول مطلق ليروهم .

اليوم فسيارات «وموديلات» ﴿ والأنعام ﴾ الإبل والبقر والغنم ، ﴿ والحرث ﴾ الزرع ، والمراد بهما كل وسائل الإنتاج دون استثناء ﴿ ذلك متاع الحياة الدنيا ﴾ وهو خير وكمال وقوة وجمال إلا أن يكون على حساب الآخرين ، فإنه نار وجحيم ﴿ والله عنده حسن المآب ﴾ ونعوذ به من سوء المرجع .

١٥-١٦- ﴿ قل أُوْنِبْتُكُمْ بخير من ذلكم ﴾ النساء والمال والأولاد ﴿ للذين اتقوا ﴾ وأحسنوا ﴿ عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أزواج مطهرة ﴾ من الجهل المميت والخلق المقيت لا من الحدث والخبث فقط ﴿ ورضوان من الله ﴾ أكبر وأعظم .

١٧- ﴿ الصابرين ﴾ على الكفاح في سبيل الحق والعبال ﴿ والصادقين ﴾ في الأقوال والأفعال ﴿ والقانتين ﴾ الطيعين ﴿ والمنفقين ﴾ من كدھم ولا يعيشون كلاً على الآخرين ﴿ والمستغفرين بالأسحار ﴾ لأنها أبعد عن شبه الرياء علماً بأن خدمة الإنسان لأخيه أفضل من عامة الصلاة والصيام وتلاوة القرآن الكريم بكرة وعشياً .

١٨- ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو ﴾ شهد سبحانه بذاته لذاته على أنه الخالق الوحيد بصنعه وآثاره . وشهد محمد بذاته على نبوته برسالته وسيرته وسنته ، وهكذا كل مبدأ ودين وعالم وعظيم ، يشهد لنفسه بنفسه بما يترك للناس من ثمار وآثار عظيمة ، تؤمن بالله فطرة وطبيعة ﴿ وأولوا العلم ﴾ والملائكة ﴿ تؤمن بالله فطرة وطبيعة ﴾ .

يؤمنون ويدعون إلى الإيمان بالحجة الكافية الوافية ﴿ قائماً بالقسط ﴾ بالعدل في الدين والشريعة وسنن الطبيعة .

١٩- ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ حتى الدين الذي أوحى إلى نوح والنبيين من بعده ، لأن الإسلام يقر كل وحى سابق ويعترف به ، ومعنى هذا أن دين محمد ينطوي على كل الأديان السماوية وزيادة ﴿ وما اختلف الذين أوتوا الكتاب ﴾ من اليهود والنصارى ﴿ إلا من بعد ما جاءهم العلم ﴾ بلسان موسى وعيسى ﴿ بغياً ﴾ طلباً لحطام الدنيا ﴿ بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب ﴾ والويل لمن خُفَّت موازينه .

الإعراب :

﴿ أُوْنِبْتُكُمْ ﴾ الهمزة للاستفهام ، والشيء المستفهم عنه ينتهي عند قوله تعالى ﴿ عند ربهم ﴾ ﴿ وجنات ﴾ كلام مستأنف ، كأنه قيل : ما هو ذلك الخير ؟ . فقيل : هو جنات ، فجنات خبر مبتدأ محذوف ، ﴿ والذين يقولون ربنا ﴾ محل نصب على المدح ، أي أعني أو امدح الذين الخ . ومثله ﴿ الصابرين ﴾ ، وبقية الصفات مبطونة على الصابرين .

وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١٥﴾ قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٦﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَفْغَرُ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقَدْ آذَاكَ النَّارُ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمَ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ

٢٠- ﴿فَإِنْ حَاجَّكَ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن ﴿اقطع النقاش مع الجهلة ، السفلة ، وقل : أدين بالواحد الأحد .

﴿وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين﴾ المشركين الذين لا كتاب لهم ﴿أسلمتم﴾ بعد أن جاءكم الشينات ﴿فإن أسلموا فقد اهتلوا﴾ حيث لا شيء بعد الإسلام إلا الضلال ﴿وإن تولوا فإنما عليك البلاغ﴾ وبه تم الحجة ، وتنتهي وظيفتك .

٢١- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ لا شيء إلا لأنها حق ﴿ويقتلون النبيين بغير حق﴾ بل قتلهم لأنهم على حق ﴿ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس﴾ وهذا هو ذنبهم الوحيد ، وهو ذنب الكامل عند السافل ، والمحق عند المبطل .

٢٢- ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ ملمونون في الدنيا على كل لسان ، ومعاقبون في الآخرة بمقطعات النيران .

٢٣- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ﴾ هم أبحار اليهود ، والكتاب هو التوراة ﴿يدعون إلى كتاب الله﴾ دعاهم محمد (ص) إلى التوراة ﴿ليحكم بينهم﴾ هل جاء في التوراة ذكر محمد (ص) بالإسم أو بالصفات ﴿ثم يتولى فريق منهم﴾ مدبرين هارين ﴿وهم معرضون عن الحق﴾ .

٢٤- ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى إعراضهم عن كتاب الله بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات ﴿تقدم في الآية ٨٠ من سورة البقرة﴾ وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون ﴿على الله في قولهم : نحن أبناء الله وأحباؤه .

٢٥- ﴿فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي كيف يصنعون يوم الجزاء والحساب ؟ ﴿ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾ هذا هو دين الحق لا شعب مختار عند الله ولا أبناء له ، ولا أي شيء لأي إنسان كانت من كان إلا ما سعى .

الإعراب :

﴿فَاتِيًا﴾ حال من اسم الله ، و﴿بِشْيَءٍ﴾ مفعول من أجله لاختلف ، واتبعن أصلها بالياء ، وحذفت للتخفيف ومن فاعل لفعل محذوف ، والتقدير وأسلم من اتبعني ، ولا يجوز أن تكون مفعولاً بجمه ، لأن وجهي مفعول به لأسلمت ، فيلزم أن يكون التابع للرسول (ص) شريكاً له في وجهه .

أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ؕ أَسْلَمْتُمْ ؕ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا ؕ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ ؕ وَاللَّهُ بِبَصِيرٍ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٢٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فُرْقَانُ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ

٢٦- ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ ﴾ ولماذا يملك سبحانه وهو الغني في ذاته وصفاته عن كل شيء ؟ الجواب ليس المعنى أنه يحتاج إلى الملك ، بل معناه أنه يخلق الملك ويمنحه ﴿ تَوَكَّلْ عَلَى الْمَلِكِ ﴾ لا أحد يملك شيئاً إلا أن يملكه الله إياه ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ تسترده بعد العطاء ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ بالتوفيق والعناية ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ بالتخلي وبذلك الخير ﴿ وَيَدُ اللَّهِ تَعَالَى قَدْرَتُهُ ، وَكُلُّ مَا يَنْتَفِعُ النَّاسُ بِهِ هُوَ خَيْرٌ .

٢٧- ﴿ تَوَلَّجَ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ ﴾ تدور الأرض حول الشمس بالسنان التي أودعها الله في الطبيعة ، فتتعدد الفصول ويأخذ الليل من النهار في فصل حتى يصير ١٥ ساعة والنهار ٩ ساعات ﴿ وَتَوَلَّجَ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ ﴾ وفي فصل آخر يأخذ النهار من الليل حتى يصير ١٥ ساعة والليل ٩ ﴿ وَتَوَلَّجَ الْحَيُّ مِنَ الْمَيِّتِ ﴾ كخروج الشجرة من النواة ﴿ وَتَوَلَّجَ الْمَيِّتُ مِنَ الْحَيِّ ﴾ كخروج النواة من الشجرة ، وفيه إيماء لصراع الأضداد بمعنى تحول الشيء إلى ضده لا بمعنى الجمع بين الضدين ﴿ وَتَوَلَّجَ مِنَ النَّشْأَةِ بَغِيرَ حَسَابٍ ﴾ ولكن مع السبب الموجب ، لأن الله تعالى أبى أن يجري الأمور إلا على أسبابها .

٢٨- ﴿ لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ والذي نفهمه من الولاية هنا الصداقة الصادقة ومن الكافرين كل من كان عدواً للإسلام والمسلمين ، والقربة على هذا المعنى قوله تعالى بلا فاصل : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ ﴾ أي أن صداقة المسلم للكافر معناها قطع الصلات بالكامل مع الله ، قال الإمام أمير المؤمنين (ع) صديق عدوك عدوك ﴿ إِلَّا أَنْ تَشَاءَ مِنْهُمْ ثَمَنًا ﴾ هذه رخصة بالمداورة عند الخوف فقط ، ثم أكد سبحانه ذلك بهذا التحذير : ﴿ وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ تهديد بالعذاب الشديد لمن يتولى قوماً طاغين مجرمين .

٢٩- ﴿ قُلْ إِنْ تَخْشَوْنَ مَا فِي صُدُورِكُمْ . . . ﴾ لا تخشى عليه خافية .

٣٠- ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلَّ نَفْسٍ مَعَهَا مَا سَعَتْ مِنْ خَيْرٍ مِمَّا حَصَرَتْ وَمَا كَانَتْ تُفَوِّضُ إِلَى اللَّهِ ﴾ لا يجوز أن يفوز بالخير - غداً - إلا عامله ، ولا يجزى جزاء الشر إلا فاعله ﴿ تَوَدَّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا ﴾

الإعراب :

﴿ فِي شَيْءٍ ﴾ متعلق بمحذوف خبر ﴿ لَيْسَ ﴾ ، و﴿ مِنَ اللَّهِ ﴾ متعلق بمحذوف حال من شيء ، وجاز أن يكون صاحب الحال نكرة لتأخره ، كما قال النحاة .

وَمَنْ لَا يَظْلُمُونَ ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تَوَكَّلْ عَلَى الْمَلِكِ مِنْ نَشْأَةٍ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْمَلِكِ مِنْ نَشْأَةٍ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْمَلِكِ مِنْ نَشْأَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿ تَوَلَّجَ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَتَوَلَّجَ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَتَوَلَّجَ الْحَيُّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتَوَلَّجَ الْمَيِّتُ مِنَ الْحَيِّ وَتَوَلَّجَ مِنَ النَّشْأَةِ بَغِيرَ حَسَابٍ ﴿ لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ يَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتَهُ وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿ قُلْ إِنْ تَخْشَوْنَ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَرُونَ بِعَلْبِهِ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلَّ نَفْسٍ مَعَهَا مَعْمَلَتْ مِنْ خَيْرٍ مِمَّا حَصَرَتْ وَمَا كَانَتْ تُفَوِّضُ إِلَى اللَّهِ وَتَوَدَّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا

بعيداً ﴿ وكل مفرط نادم لا محالة ، ومرة ثانية ﴾ ويحذركم الله نفسه ﴿ عسى أن ينفع هذا التحذير .

٣١- ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ كل من يدعي الإيمان بالله والإخلاص له ، يلزمه حتماً الإيمان بآيائه والإخلاص لهم وإلا فهو كاذب في دعواه بحكم البديهة ﴿ ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ بشرط أن تؤمنوا بالله ورسوله معاً .

٣٢- ﴿ قل أطيعوا الله والرسول ﴾ ومعصية معصية الله بالذات ﴿ فان تولوا فإن الله لا يحب الكافرين ﴾ وفيه دلالة واضحة على أن الإيمان بالله دون الرسول كفر تماماً كالجحد بالله .

٣٣- ﴿ ان الله اصطفى آدم ونوحاً ﴾ وآدم أبو البشر الأول ونوح أبو البشر الثاني ، لأن جميع أهل الأرض من نسله ﴿ وآل إبراهيم ﴾ أي إبراهيم وأولاده إسماعيل وإسحق وأولادهما ومنهم محمد وآل محمد (ص) ﴿ وآل عمران ﴾ موسى وهرون ﴿ علي العالمين ﴾ ومن اصطفاه الله واختاره على العالمين من خلقه يجب أن يكون معصوماً ، ومعنى هذا أن المراد بالآل هنا من كان نبياً أو إماماً ، وليس مطلق الآل .

٣٤- ﴿ فرية بعضها من بعض ﴾ المصوم اللاحق ينتهي في نسبه إلى المصوم السابق .

٣٥- ﴿ إذ قالت امرأة عمران ﴾ بن ماثان ، وهو جد المسيح (ع) ، وبين عمران أب موسى وعمران أب مريم ١٨٠٠ سنة ﴿ رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً ﴾ معقلاً لخدمة بيت المقدس ﴿ فقبل مني ﴾ نذري .

٣٦- ﴿ فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى ﴾ تحسراً وتلهفاً على ما فاتها من النذر ﴿ والله أعلم بما وضعت ﴾ وله فيه سر عظيم ﴿ وليس الذكر كالأنثى ﴾ في خدمة المعابد ﴿ وإني سميتها مريم ﴾ قال الطبرسي في جوامع الجامع : ومريم في لغتهم هي العابدة . وفي قاموس الكتاب المقدس : مريم أسم عبري معناه : عسيان ﴿ وإني أعطيها بك ﴾ أجبرها بحفظك ﴿ وفريتها من الشيطان الرجيم ﴾ فإنه يطعم كثيراً بأولاد الأتقياء والعلماء .

الإعراب :

﴿نوح﴾ اسم أعجمي ، وفيه علتان توجبان منعه من الصرف ، وهما العلمية والعجمة ، ولكن لما كان ثلاثياً ساكن الوسط كان خفيفاً في التلفظ ، ولذا صرف مثل هند ، و﴿عمران﴾ ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة ، ولو كان غريباً لمنع أيضاً لزيادة الألف والتون ، وفرية منصوب على أنه بدل من آل إبراهيم وآل عمران ، ويجوز أن يكون حالاً منها .

أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾
قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ
لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ
وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾
* إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ
عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ
عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ
لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي
سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ
الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا

٣٧- ﴿ فَضَلَّهَا رَبُّهَا بِقَبُولِ حَسَنِ ﴾ قبل سبحانه
النذر مع الأجر ﴿ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ كناية عن صلاح
التربية والاستقامة ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ زوج خالتها ﴿ كَلَّمَا
دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ ﴾ موضع العبادة ﴿ وَجَدَ عِنْدَهَا
رِزْقًا ﴾ لا يشبه أرزاق الدنيا ﴿ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنْتِ لَكَ هَذَا ﴾
وما من أحد يراك غيري ؟ ﴿ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ فلا
تستبعد ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ بغير عد
ووزن ، وأيضاً من غير احتساب وترقب .

٣٨- ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ﴾ لما رأى ما رأى
من آيات ربه في مريم على صغر سنّها تحركت في نفسه عاطفة
الأبوية ، ورجا أن يكون له مثلها في الكرامة عند الله ﴿ قَالَ ﴾
زكريّا على شيخوخته وعقم امرأته لم ييأس من رحمة الله ﴿ رَبِّ
هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾ وهل في الكون كله من
ثروة أعظم من نعمة الذرية الزاكية المباركة ؟ أبداً إلا
مرضاة الله سبحانه .

٣٩- ﴿ فَهَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ والأصل ملائكة فزيدت
التاء للمبالغة أو على معنى الجماعة ﴿ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي
الْمِحْرَابِ ﴾ صلاة خاشع متضرع ﴿ أَنْ اللَّهَ يَبَشِّرَ بِبَحْسٍ ﴾
اسم سمّاه الله به قبل أن يولد ، اختاره له إشعاراً بأن الله يحيي
الأرحام والعظام بعد موتها ﴿ مُصَلِّيًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ وهي
عيسى ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ يسود قومه علماً وخلقاً ﴿ وَحَصُورًا ﴾
لا يأتي النساء وإنها لرحمة يخص بها الله من يشاء ﴿ وَنَبِيًّا ﴾
آياته ﴿ الصّالحين ﴾ .

٤٠- ﴿ قَالَ رَبِّ أَنْتَ يَكُونُ لِي غَلامٌ ﴾ أي عظمت قدرتك التي تخطت السنن والعادات بالمعجزات ! ﴿ وَقَدْ
بَلَغَنِي الْكِبَرُ ﴾ قبل كانت له ٩٩ سنة وقيل ١٢٠ ﴿ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ﴾ لا تلد ، قيل : لها ثمان وتسعون سنة ﴿ قَالَ كَذَلِكَ
اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ ولا راد لمشيئته .

٤١- ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴾ علامة أعرف بها وقت الحمل ﴿ قَالَ آيَتُكَ أَنْ لَا تُكَلِّمَ النَّاسَ ﴾ يعجز، عن
النطق معهم دون النطق بذكر الله ﴿ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾ إشارة تماماً كالأخرس ﴿ وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَمِيِّ ﴾
والإبكار ﴿ أَيَّامٌ عِجْزُكَ عَنِ النُّطْقِ .

٤٢- ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ خصك من دون
نساء العالمين إطلاقاً بالحمل والولادة من غير أب .

حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ
وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَبْرَمِمْ أَنْتِ لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾
هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ
ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَهَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ
قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بَحْسٍ مُصَدِّقًا
بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾
قَالَ رَبِّ أَنْتَ يَكُونُ لِي غَلامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي
عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ
لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَنْ لَا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا
رَمْزًا وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَمِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٤١﴾
وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَبْرَمِمْ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ

٤٣- ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ﴾ تعبدِي لله ﴿وَاسْجُدِي﴾
قدم السجود على الركوع لا بقصد الترتيب كما يبدو ، لأن
الواو العاطفة لطلق الجمع سابقاً أولاً حقاً أو مصاحباً ﴿وَارْكَعِي﴾
مع الراكعين ﴿صَلِّيْ جَمَاعَةً وَمُسْتَقَلَّةً﴾ وفيه إيماء إلى
جواز الجمع بين الرجال والنساء في العبادة والمعابد .

٤٤- ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما سبق من نبأ مريم
وزكريا ويحيى ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ نلقنك
إياه ليكون حجة لنبوتك على من أنكرها ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾
إذ يلقون أفلانهم ﴿وَهِيَ السَّهَامُ الَّتِي يَسْتَعْمِلُونَهَا فِي الْقُرْعَةِ﴾ .

﴿أَنْبَهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾
لما كانت مريم مندورة لخدمة بيت المقدس اختلف الكهنة
في كفالتها ، وأخيراً اقتصروا فيما بينهم ، فخرج قلم زكريا
زوج خالتها ، فتركها له وبعد حين من الدهر جاءتها البشارة
من الله تعالى .

٤٥- ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾
بكلمة منه ﴿وَالْكَلِمَةَ هَذِهِ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : « كُنْ فَيَكُونُ » بَلَا أَبْ﴾ اسمه المسيح عيسى ابن مريم ﴿وَلَقَبَ﴾
بالمسيح لأنه إذا مسح المريض شفاه الله من دائه ﴿وَجِئَافِي﴾
الدنيا ﴿بِتَقْدِيسِ النَّاسِ وَتَعْظِيمِهِمْ لَهُ وَفِي﴾ والآخرة ﴿بَعُلُو الدَّرَجَاتِ﴾ ومن المقربين ﴿تَعْبِيرُ ثَانٍ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى :
« وَرَافَعْتُ إِلَيَّ » .

٤٦- ﴿وَيَكْلِمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ﴾ مقر الصبي حين
رضاعه ، وكان الهدف الأول من ذلك براءة أمه ﴿وَكَهْلًا﴾
أي يكلم الناس كهلاً بكلام الأنبياء .

٤٧- ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ وأنت بذلك أدري وأعلم ﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾
سبب طبيعي أو بمجرد الإرادة وكلمة « كُنْ فَيَكُونُ » تماماً كالخلق الأول .

٤٨- ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ﴾ كل كتاب منزل أو المراد بالكتاب هنا الكتابة باليد لكان قوله تعالى : ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾
التوراة والإنجيل ﴿وَالْحِكْمَةَ : وَضْعُ الشَّيْءِ فِي مَوْضِعِهِ﴾ .

٤٩- ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ بالخصوص دون غيرهم ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ﴾ الخطاب لقومه الإسرائيليين
﴿بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ أي أصور شيئاً مثل صورة الطير ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ﴾

الإعراب :

﴿اسْمُهُ﴾ مبتدأ ، ﴿وَالْمَسِيحُ﴾ خبر ، والضمير في اسمه عائد على المعنى المراد بالكلمة ، وهو عيسى ، ﴿وَعِيسَى﴾ اسم أعجمي ممنوع
من الصرف ، وهو بدل من المسيح . ومصداقاً لمفعول لفعل محذوف ، أي وحشكم مصداقاً ، والجملة عطف على جملة وحشكم .

وَأَصْطَفَيْنَاكَ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ يَمْرَمُ أَقْنِي لَرَبِّكِ
وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٤﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ
الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ
أَيْهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾
إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لَمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ
الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِئْنَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنْ
الْمُعْرِينَ ﴿٤٦﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنْ
الضَّالِّينَ ﴿٤٧﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي
بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا
يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٨﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٩﴾ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي
قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ

الله ﴿ لا بقدرتي ﴾ وأبرئ الأكمه ﴿ من يولد أعمى ﴾ والأبرص ﴿ الذي في جلده بياض منفرد ﴾ وأحيى الموتى ﴿ بقدرة وأمره ﴾ ، وكرر ليسد الباب على كل مقول بغير الحق ﴿ وأنبتكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ﴾ وهذا الإخبار بالغيب ليس من عند عيسى (ع) بل بوحى من الله إليه ﴿ ان في ذلك ﴾ إشارة إلى المعجزات المذكورة ﴿ آية لكم ﴾ واضحة على نبوتي ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾ أي تريدون أن تؤمنوا بالحق لوجه الحق .

٥٠- ﴿ ومصدقاً لما بين يدي من التوراة ﴾ تؤمن بها كما تؤمنون ﴿ ولا حل لكم بعض الذي حرم عليكم ﴾ كالشحم ولحم الإبل وبعض أنواع السمك ﴿ وجتكم بآية من ربكم ﴾ كرر للتأكيد بأن الذي يقوله ويفعله ليس من عنده بل من عند الله ، وإن هو إلا عبد مأمور .

٥١- ﴿ أن الله ربي وربكم ﴾ فلا تنسبوني إلى الربوبية ﴿ فاعبدوه ﴾ ولا تعبدوني ﴿ هذا صراط مستقيم ﴾ دون سواه .

٥٢- فلما أحس عيسى منهم الكفر ﴿ والإصرار عليه ﴾ قال من أنصاري إلى الله ﴿ أين المؤمنون الذين يناصرون دين الله ، ويحامون عنه ؟ ﴾ قال الحواريون ﴿ حوارى الرجل صفوته وخاصته ﴾ نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأننا مسلمون ﴿ هذا دليل على أن إسلام القرآن هو دين الله منذ وجد وإلى ما لا نهاية .

كَهَيْجَةِ الطَّيْرِ فَانْفُخْ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئِ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْبِئْكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٠﴾ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَا حُلَّ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجَنِّتُمْ بِقَابَةِ رَبِّكُمْ فَأَنْفَقُوا اللَّهَ وَاطِيعُونَ ﴿٥١﴾ إِنْ اللَّهُ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٥٢﴾ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ءَامَنَّا بِمَا أُنْزِلَتْ وَأَتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٤﴾ وَمَكْرُوهًا وَمَكْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٥٥﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الذَّنْبِ

٥٣- ﴿ ربنا آمنا بما أنزلت ﴾ في كتبك وعلى رسلك ﴿ واتبعنا الرسول ﴾ عيسى ﴿ فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ لك بالوحدانية ولرسلك بالصدق .

٥٤- ﴿ ومكروا ﴾ صمم أعداء عيسى من بني إسرائيل على اغتيال عيسى وقتله حيث لا حيلة ولا وسيلة للخلاص منه إلا بهذا السبيل ﴿ ومكر الله ﴾ أي وأعطى الله مكر هؤلاء وعاقبهم بعقاب الماكرين المحتالين ، وجعل عيسى بمنجاة من مكدهم ﴿ والله خير الماكرين ﴾ أي خير من يعاقب الماكر الغادر بما يستحق .

٥٥- ﴿ إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ﴾ وفاة طبيعية وعادية كسائر الناس ، وعاصمك من القتل جهرة وغيلة ﴿ ورافعك إلي ﴾ أي الى ما أعددت لك من حسن المآب والثواب ﴿ ومطهرك من الدين كهروا ﴾ وأريحك من

الإعراب :

ومصدقاً مفعول لفعل محذوف، أي وجتكم مصدقاً، والجملة عطف على جملة جتكم.

سوء معاملتهم وخبث نياتهم ﴿ وجاعل الذين اتبعوك ﴾ وما من شك أن الذين اتبعوا السيد المسيح (ع) حقاً وواقعاً هم الذين قالوا : أنه نبي معصوم ، وليس لما يخلق ويرزق ، ولا مشعوراً يحتال ويضلل ﴿ فوق الذين كفروا ﴾ بحقيقتك وطبيعتك الإنسانية المعصومة ﴿ إلى يوم القيامة ﴾ أما جهة التفوق ، وإنها الحجة القوية أو السلطان وما أشبه فقد سكت عنها القرآن الكريم ، وما لنا أن نتناول من عندنا كما فعل أكثر المفسرين ﴿ ثم إلي مرجعكم ﴾ يا أرباب الأديان ﴿ فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون ﴾ وإذن علام الجدال والنقاش في الدين ؟ أليس الأفضل أن نتعاون على مصلحة الجميع ؟

٥٦ - ٥٧ - ﴿ فاما الذين كفروا ... ﴾ المعنى واضح ، وتقدم أكثر من مرة ، وبأي أيضاً ، والمقصد أن لا نخشى إلا الله .

٥٨ - ﴿ ذلك نلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم ﴾ القرآن ، والمعنى تلونا عليك يا محمد أبناء عيسى لتكون حجة على من يخاصمك فيه .

٥٩ - ﴿ ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من من تراب ﴾ قال النصارى : عيسى رب لأنه بلا أب . فنقض سبحانه دليلهم هذا بقوله : آدم أيضاً بلا أب وأم ، فلماذا لا تقولون : إنه رب ! ﴿ ثم قال له كن فيكون ﴾ ان السبب الأول والأساس للخلق والإيجاد هو إرادته تعالى التي عبر عنها بـ « كن فيكون » سواء أكان الخلق بسبب طبيعي أم بلا سبب .

كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ
الْقِيَمَةِ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُم بَيْنَكُمْ فِي مَا كُنْتُمْ فِيهِ
تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعْدِبْهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُم وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
الظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾ ذَلِكَ نُلَوِّهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ
الْحَكِيمِ ﴿٥٩﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ
مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٦٠﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ
فَلَا تَكُن مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦١﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ
مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ
وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ
لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦٢﴾ إِنَّ هَذَا هُوَ الْقَصَصُ

٦٠ - ﴿ الحق من ربك ﴾ هذا الذي أنزلناه عليك في أمر عيسى هو الحق ﴿ فلا تكن من الممترين ﴾ ومحال أن يشك النبي (ص) فيما أخبر الله به ، ولكن التكليف يعم الجميع حتى المعصومين - مثلاً - النهي عن الخمر يشمل من يستقيحه بطبعه تماماً كما يشمل من يستحسنه .

٦١ - ﴿ فمن حاجك فيه ﴾ في عيسى ﴿ من بعد ما جاءك من العلم ﴾ أي البيئات الموجبة للعلم ﴿ قل تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم ﴾ .. جاء في كتب السيرة النبوية والتفاسير والأحاديث للسنة والشيعة ، أن رؤساء الكنيسة في نجران اليمن ناظروا النبي محمداً (ص) في الدين فأفحمهم ولما أصروا على العناد نزلت هذه الآية ، وتسمى آية المبالهة ، وقال البيضاوي السني الأشعري في تفسيرها ما نصه بالحرف الواحد : « غدا النبي محتضناً الحسين ، وآخذاً بيد الحسن ، وتحشى فاطمة خلفه ، وعلي خلفها ، والنبي يقول : (أي لعل فاطمة والحسن والحسين) إذا دعوت فأمنوا أي قولوا آمين فقال أسقف النصارى : يا معشر النصارى إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله تعالى أن يزيل جلاً من مكانه لأزاله ، فلا تباهلوا فتهلكوا ، فأدعوا لرسول الله (ص) وبذلوا له الجزية ، فقال الرسول (ص) : والذي نفسي بيده لو تباهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي ناراً » .

٦٢- ﴿إِنْ هَذَا﴾ الذي أخبرناك به يا محمد عن عيسى ومريم وغيرهما ﴿لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ والحديث الصديق ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ أبداً ، واحد أحد لا أب لا ابن لا صاحبة لا شريك .

٦٣- ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ وأبوا إلا الشرك ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ ولا شيء أفسد من الفساد إلا الشرك .

٦٤- ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ اليهود والنصارى ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ أي نحن وأنتم متفقون عليها ولا نشك فيها إطلاقاً ، لأنها نزلت في القرآن والتوراة والإنجيل ، وهي ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ فهل من يهودي أو نصراني يعترض على عبادة الله ؟ وإذن لماذا الصوامع والبيع ؟ ﴿وَلَا نَشْرِكْ بِهِ شَيْئاً﴾ وهل يرضى يهودي أو نصراني أن يقال له يا مشرك ؟ ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا آيَاتِنَا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فإن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحْجُجُونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ هَئِئَنتُمْ هُنَا لَوْ لَمْ تَحْجُجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّوْنَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ

الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا آيَاتِنَا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحْجُجُونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ هَئِئَنتُمْ هُنَا لَوْ لَمْ تَحْجُجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّوْنَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ

توراتياً أو إنجيلياً ؟ فأين الفهم والعقل ؟

٦٦- ﴿هَئِئَنتُمْ هُنَا لَوْ لَمْ تَحْجُجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ أي جادلتم في المسيحية واليهودية كما هي في علمكم واعتقادكم ﴿فَلِمَ تَحْجُجُونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ وهو دين إبراهيم ، ما لكم ولا إبراهيم وما كان عليه ؟ تكلموا عن أنفسكم وما تدبثون ، واتركوا الحديث عن غيركم لأهل العلم والمعرفة .

٦٧- ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ لأنه سبق ملة اليهود والنصارى بأمد طويل ﴿وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا﴾ بعيداً عن كل عقيدة زائفة محرقة ﴿مُسْلِمًا﴾ متقادراً لله ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ فمن ادعى أنه عبي ملة فليقل : لا إله إلا الله على المنابر والمآذن ، ان كان من الصادقين .

٦٨- ﴿إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ﴾ أحقهم بالانتساب إلى دينه ﴿لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ واستجابوا لدعوته في زمانه وبعده

﴿ وهذا النبي ﴾ محمد (ص) ﴿ والذين آمنوا ﴾ برسالته ، وفي نهج البلاغة : إن أولى الناس بالأنبياء أعلمهم بما جاءوا به ﴿ والله ولي المؤمنين ﴾ الذين يلجأون إليه في كشف الضر وطلب النفع .

٦٩- ﴿ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ يَدْرُوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِلَى دِينِهِمْ كَمَا يَفْعَلُ الْمُبْشِرُونَ فِي هَذَا الْعَصْرِ ﴾ وما يضلون إلا أنفسهم ﴿ يحملون أثقالاً مع أثقالهم ، لأن من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها ﴿ وما يشعرون ﴾ أنهم لا يضلون إلا أنفسهم .

٧٠- ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ وهي الدلائل على نبوة محمد (ص) وصدق القرآن ﴿ وأنتم تشككون ﴾ وتعلمون بأن محمداً نبي ، ولكن تكتمون .

٧١- ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾ تجعلون الحق باطلاً ، والباطل حقاً ﴿ وتكتمون الحق ﴾ نبياً ﴿ وأنتم تعلمون ﴾ بأنكم كاذبون ومضللون .

٧٢- ﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أي على المسلمين ﴿ وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ﴾ تشير الآية بظاهرها إلى خدعة تواطأ عليها جماعة من رؤساء أهل الكتاب ، أن يظهروا الإسلام أول النهار ، ويرتدوا عنه في آخره ، عسى أن يقع بعض ضعاف العقول من المسلمين في الشك والبلبله .

٧٣ - ٧٤- ﴿ وَلَا تَوْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ ﴾ قال بعض أهل الكتاب لبعضهم : لا تفشوا أسراركم إلا لأمثالكم ،

ولا تركنوا لأحد إلا إذا كان على دينكم ، وهذا شأن الباطنية ، أما المسلمون السنة منهم والشيعية الإمامية فيعملون الإسلام في الكتب والصحف ومن على المنابر والمآذن وشتى وسائل الإعلام ﴿ قل إن الهدي هدى الله ﴾ المراد بهدي الله الإيمان الصحيح الراسخ ، ومن هداه الله إلى هذا الإيمان فلن يرتد عنه حتى ولو قُطِعَ بالناشير ، بل لا يزيده ذلك إلا إيماناً وتسليماً .

﴿ أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ﴾ هذه الجملة تتصل بقول بعض أهل الكتاب لبعضهم : ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ، وجملة أن الهدي هدى الله معترضة ، ويكون المعنى ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ، ولا تقروا بأن أحداً غيركم يمكن أن يؤتى مثل ما أوتيتم من الكتب المنزلة ، وإن أقررتم بأنه يمكن أن ينزل الكتاب من الله على غير اليهود والنصارى احتج عليكم المسلمون في الدنيا ﴿ أو يحاجوكم عند ربكم ﴾ في الآخرة أو فيها معاً ، ومعلوم أن « أو » تأتي للإباحة كجالس الحسن أو ابن سيرين ﴿ قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ﴾ فيختار لنبوته ورسالته من هو جدير بها وكفها لها سواء أكان إسرائيلياً أم عربياً .

٧٥- ﴿ ومن أهل الكتاب من إن تأمنه . . . ﴾ أهل الكتاب على قسمين : وفي لا يستهن بأمانته ، ويزنه نفسه عن

الخيانة ، وخائن لا يترك حراماً ، ولا يؤدي واجباً ولا ديناً ﴿ إلا ما دعت عليه قائماً ﴾ مطالباً ترفعاً وتقاضياً ، وأيضاً مقاتلاً .

وتسأل : كل الناس قسمان : خائن وأمين وصادق وكاذب ، ورب ملحد أو كتابي أوفى ذمة من مسلم صائم وراكم ساجد ؟ وأجاب سبحانه عن هذا السؤال بقوله : ﴿ ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل ﴾ أي أن أهل الكتاب الذين لا يؤدون الأمانة يزعمون - من دون الناس - أن الله أحل لهم أموال الاميين وهم الذين ليسوا على دينهم ﴿ ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴾ أنهم يكذبون ويفترون .

٧٦- ﴿ بل ﴾ هم مسؤولون ومعاقبون على الاستهانة بالأمانة وغيرها من الحقوق سواء أكانت لأسي أم لكتابي ﴿ من أوفى بعهد ﴾ مع كل الناس ﴿ وأتقى ﴾ المعاصي ﴿ فإن الله يحب المتقين ﴾ ويكره الخائنين .

٧٧- ﴿ إن الذين يشترون بعهد الله ﴾ يشترون : يستبدلون ، وعهد الله ، كل ما أمر الله به ، وفي الحديث : لا دين لمن لا عهد له ﴿ وأيمانهم ﴾ البمين لغة : القسم ، وشرعاً : القسم بالله وأسمائه الحسنى ﴿ ثمناً قليلاً ﴾ متاع الحياة الدنيا من جاء أو مال ﴿ أولئك لا خلاق ﴾ لا نصيب ﴿ لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ﴾ أي يهملهم ويعرض عنهم ﴿ ولا يزكهم ﴾ كناية عن غضبه وسخطه الذي صرح به تعالى بقوله : ﴿ ولهم عذاب

أليم ﴾

٧٨- ﴿ وإن منهم لفرقة يلون ألستهم بالكتاب ﴾ ينطقون به محرراً ﴿ لتحسبوه ﴾ الماء تعود على المحرف المفهوم من « يلون » ﴿ من الكتاب ﴾ المنزل على موسى (ع) ﴿ وما هو من الكتاب ﴾ التوراة ﴿ ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ﴾ والتكرار لتوكيد الكذب والافتراء .

٧٩- ﴿ ما كان لبشر . . . ﴾ محال في حق النبي أن يدعو الناس لعبادته من دون الله ، كيف وقد اختاره سبحانه على علم بأنه الصادق الأمين ؟ وهذا رد على من يعبد السيد المسيح (ع) .

الإعراب :

يجوز أن نقول : أمنتك بهذا بمعنى وثقت بك فيه ، وإن نقول : أمنتك عليه بمعنى جعلتك أميناً عليه ، ويجوز أن نقول : (مررت به) ، أي ملاصقاً ومررت عليه ، أي على المكان القريب منه ، وبلى تستعمل كثيراً جواباً عن نفي سابق لنتبه ، وقد تستعمل في ابتداء الكلام ، كما لو قال قائل : أنا من المخلصين ، فنقول له : بلى من جاهد في سبيل الله فهو مخلص ، والمراد بها هنا المعنى الأول .

﴿ ولكن ﴾ يقول للناس : ﴿ كونوا ربانيين ﴾
عالين وعاملين بأمر الله ﴿ بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم
تدعون ﴾ إن أهل الله حقاً هم الذين يتعلمون ويعلمون
ويعملون بما علموا .

٨٠- ﴿ ولا يأمركم ﴾ النبي ﴿ أن تتخللوا الملائكة
والنبيين أرباباً ﴾ لأنه نبي التوحيد وعدو الشرك ﴿ يأمركم
بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ﴾ النبي يخرج الناس من الكفر
إلى الإيمان ، فهل من المعقول أن يردهم بعد هذا الإسلام
والإيمان إلى الكفر ؟

٨١- ﴿ وإذا أخذ الله ميثاق النبيين ... ﴾ أي أخذ
الله الميثاق على النبيين أن يبشروا أقوامهم بمحمد (ص) وفي
الآية ٦ من سورة الصف أن عيسى قال من جملة ما قال :
« ومبشراً بنبي يأتي من بعدي اسمه أحمد » وأوضح تفسير لهذه
الآية ما روي عن الإمام علي (ع) : ما بعث الله نبياً إلا أخذ
عليه العهد في محمد (ص) وأمره أن يأخذ العهد على قومه
فيه بأن يؤمنوا به ، ويناصروه إذا أدركوا زمانه .
﴿ قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري ﴾ قالوا أقررنا ﴿ أي
قال الله للنبيين : أقررتم بمحمد وأخذتم على ذلك ﴾ إصري ﴿ أي
أي عهدي على أممكم ؟ ﴾ قالوا ﴿ الأنبياء : ﴾ ﴿ أقررنا ﴾
﴿ بما أمرتنا ﴾ قال ﴿ الله : ﴾ ﴿ فاشهدوا ﴾ على أممكم
﴿ وأنا معكم من الشاهدين ﴾ الله وملائكته وأنبيأؤه يشهدون
على أخذ هذا العهد والميثاق على رؤساء الأديان ، ومع ذلك
خالف وحرف أحبار اليهود والنصارى .

كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ
تَدْرُسُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾
وَأِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَكُمْ مِنْ كِتَابٍ
وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ
وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي
قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٢﴾
فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٣﴾
أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٤﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ
وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ بُرْهَمٍ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ
وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ

٨٢- ﴿ فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ المتمردون من الكفار .

٨٣- ﴿ أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السماوات والأرض طوعاً ﴾ وهم العلماء ﴿ وكرهاً ﴾ أي من
حيث لا يشعرون وهم المقلدون للأجداد والآباء ، وما من شك أن هؤلاء هم الكثرة الكاثرة ، وكلا وعد الله الحسنى ، وفضل
العلماء أجراً عظيماً .

٨٤- ﴿ قل ءامنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم ﴾ تقدمت بالحرف الواحد في الآية ١٣٦ من سورة البقرة ،
إضافة إلى وضوحها .

الإعراب :

﴿ لما آتيناكم ﴾ يجوز كسر اللام على أنها حرف جر ، « وما » مصدرية ، والمعنى أخذ الله ميثاقهم لأجل آياته إياهم الكتاب والحكمة ،
وجوز أن تكون اللام مفتوحة على أنها للابتداء ، ويعبر عنها بلام التوطئة أيضاً ، وما شرط في عمل نصب على أنها مفعول لأنيتكم ، ثم
جاءكم معطوف على آتيناكم ،

٨٥- ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْاِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾
 لسبب واحد بسيط وهو أن الله واحد ، والإسلام دين التوحيد ،
 وشعاره لا إله إلا الله ، ومحمد (ص) جاهد في سبيله ،
 وضحي بالكثير من أجله ، فمن تبرا منه فقد انسلخ عن دين
 الله ﴿ وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ لأنه ذهب إلى
 ربه من غير دين .

٨٦- ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴾
 وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات ﴿ المراد بالقوم
 أحبار اليهود والنصارى ، وبالرسول محمد (ص) ، وقد
 آمنوا وشهدوا وبشروا به كما هو في التوراة والإنجيل قبل أن
 يُبَيَّن ، ولما بُعِث أنكروه وحاربوه .

٨٧- ﴿ أُولَئِكَ جَزَاءُهم أَنْ عَلَيْهِمُ لَعْنَةُ اللَّهِ ﴾
 ﴿ والملائكة والناس أجمعين ﴾ ولعنة هؤلاء معناها الدعاء
 على الكافرين أن يزيدهم عذاباً على عذاب .

٨٨- ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ في جهنم ﴿ لا يخفف عنهم
 العذاب ولا هم ينظرون ﴾ أي لا ينظر الله إليهم غداً نظرة
 الرضوان والمغفرة .

٨٩- ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا ﴾ ندموا ﴿ من بعد ذلك
 وأصلحوا ﴾ التوايا والأعمال .

٩٠- ﴿ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴾ اليهود كفروا
 بعيسى بعد إيمانهم بموسى ﴿ ثم ازدادوا كفراً ﴾ بمحمد
 ﴿ لن نقبل توبتهم ﴾ إذا أعلنوا نفاقاً وتضليلاً كما يومئ
 إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ وأولئك هم الضالون ﴾ أما إذا
 تابوا توبة خالصة مخلصه فإنها تقبل لا محالة ، لأن الإسلام يجب ما قبله ، ومن تاب من الذنب كمن لا ذنب له .

٩١- ﴿ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ اقْتَدَى بِهِ ﴾ أولئك لهم عذاب
 يوم القيامة بشيء من الأشياء ، وقوله تعالى : « وماتوا وهم كفار » دليل آخر على أن المراد من « لن نقبل توبتهم » إن
 تلك زائفة .

الإعراب :

﴿ كيف ﴾ أصلها الاستفهام عن الأحوال ، والمراد بها هنا الإنكار ، وعملها النصب ﴿ يهدي ﴾ على أنها مفعول مطلق ، أي أية هداية
 يهدي الله وشهدوا أن الرسول حق عطف على بعد إيمانهم ، حيث يجوز عطف الفعل على الاسم إذا كان الاسم بمعنى الفعل ، وبعد
 إيمانهم هنا بمعنى بعد أن آمنوا .

﴿ كفراً ﴾ تمييز ، ومثله ذهاباً .

الْهِمَّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٩٢﴾ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا
مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٣﴾
* كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ
إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا
بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ قُلْ أَفَتَرَى عَلَى
اللَّهِ الْكُذْبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٥﴾
قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٦﴾ إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي
بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ
مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ
حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ
غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَتَاهُلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ

٩٢- ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾ ثواب الله أول من تراقفوا غداً
الأبرار الأطهار ﴿حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ من أنفسكم
وجاهكم وأموالكم في نصرة الحق وإغاثة الملهوف وخدمة
الإنسان ، كل إنسان ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ
عَلِيمٌ﴾ وكريم لا يبالي كم أعطى ، وإذا طُلب من
غيره لا يرضى .

٩٣- ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ وهو
يعقوب بن إسحق ، وهذه الآية قصة تلخص بأن اليهود كانوا
يعتقدون جهلاً بأن لحوم الإبل وألبانها كانت محرمة في دين
إبراهيم ومن جاء بعده من أنبياء بني إسرائيل ، ولما رأوا
محمداً (ص) يحللها أذاعوا وأشاعوا بأن محمداً يحلل ما
حرمة الأنبياء ، فرد الله عليهم بقوله : « كل الطعام » ومنه
لحوم الإبل وألبانها كان حلالاً لبني إسرائيل ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ
إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ﴾ كان يعقوب
قد امتنع عن بعض الأطعمة من تلقاء نفسه لا بتحريم من
الله ، بل لسبب يعود إليه خاصة حيث لا زبور ولا تورا
في عهده .

﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ هذا تاحة
صارخ لليهود الذين زعموا أن لحم الإبل محرم بنص التوراة ،
فبهت اليهود وتواروا خاسئين .

٩٤- ﴿فَمَنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾
أي بعد ظهور الحجة ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ بمعاندة الحق
والإصرار على الباطل .

٩٥- ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾ في أن كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ في استباحة
لحوم الإبل وألبانها ﴿حَنِيفًا﴾ مستقيماً على دين الحق . ويأتي في سورة النساء والأنعام أن الله سبحانه حرم على بني
إسرائيل بعض الأطعمة بعد التوراة تحريماً طارفاً لا أصيلاً وبالعنوان الثاني دون الأول .

٩٦- ﴿إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ لتعبدتهم وطاعتهم ﴿لِلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ أي البيت الذي ببكة ، لغة في
مكة ﴿مُبَارَكًا﴾ كبير الخير والبركة ﴿وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ يذكر بالله واليوم الآخر .

٩٧- ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ على أن إبراهيم الخليل هو الذي بناه ، ومن هذه الآيات البيّنات ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾
فهو موجود حتى الآن ، والناس يتناقلون ذلك بالتواتر أباً عن جد تماماً كما يتناقلون بأن بيت المقدس بناه سليمان بن داود
﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ لا ريب أن من حج إليه مخلصاً لله وحده تائباً من خطيئته فهو في أمن وأمان من عذاب الله يوم
القيامة ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ فيه أنواع من التوكيد والتشديد على أن الحج حق واجب في
رقاب الناس لا يخرجون عن عهده إلا بالوفاء والأداء ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ من ترك الحج جاحداً
بوجوبه فهو كافر ، ومن تركه متهاوناً فهو فاسق ، وفي كلا الحالتين فهو شبيه بمن كفر من حيث الاستغناء عن بيت الله
الحرام .

٩٨- ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾
البيات على صدق محمد (ص) في رسالته ؟ ﴿ والله شهيد
على ما تعملون ﴾ من ضلال وصد عن الإسلام ونبيه .

٩٩- ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾
عن الإسلام ﴿ من آمن ﴾ كانوا يفرغون المسلم بالارتداد
عن دينه ﴿ تبغونها عوجاً ﴾ بتبنيج الشر والفتنة بين المسلمين
﴿ وأنتم شهداء ﴾ بأن ما تصدون عنه هو سبيل الله والحق
ظاهراً وباطناً .

١٠٠- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فِرْقًا . . . ﴾
بعد أن هدد سبحانه أهل الكتاب على معاندة الحق والصد
عن سبيله - حذر المسلمين من الإصغاء إليهم والثقة بهم حيث
لا هم لهم ولا هدف إلا إضلال المؤمنين وردهم عن دين الحق
إلى شر دين .

١٠١- ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ ﴾ أي لا ينبغي أن تكفروا
﴿ وأنتم تلى عليكم آيات الله ﴾ القرآن ﴿ وفيكم رسوله ﴾
محمد يشير وينذر ﴿ ومن يعتصم بالله ﴾ يتمسك بدينه
تعالى ﴿ فقد هدي إلى صراط مستقيم ﴾ إلى الإسلام والقرآن
الذي يهدي إلى التي هي أقوم .

١٠٢- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾
قال الإمام الصادق (ع) في تفسير هذه الآية : أن بطاع الله
فلا يُعصى ، ويذكر فلا ينسى ، ويشكر فلا يكفر .

١٠٣- ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾
لا أدري : هل تشمل هذه الآية المسلمين بالإسم والمهبة أو
تختص بالأولين ؟ وفي نهج البلاغة سيأتي عليكم زمان يكفأ فيه الإسلام كما يكفأ الإناء بما فيه ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم
إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ﴾ كانوا في الكفر مشتتين فأصبحوا بنعمة الإسلام إخواناً ،
واليوم العكس هو الصحيح ﴿ وكنتم على شفا حفرة من النار ﴾ عن حرفها وحافتها ﴿ فألقاكم منها ﴾ بالإسلام ، ونحن
الآن في أعماق هذه الحفرة ، ومع ذلك ندعي الإسلام ! كيف والإسلام نجاة من التهلكة ؟

يَعَابَتْ لِلَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ
الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن مِّنْكُمْ تَبْغُونَهَا
عُوجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ ۚ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾
يَتَأْتِيهِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فِرْقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ
تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ
وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾
يَتَأْتِيهِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۚ وَلَا تَمُوتُوا
وَأَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا
وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ
قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ
مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ

الإعراب :

حلة ﴿ والله شهيد ﴾ حال من الضمير في تكفرون ، وهاء في ﴿ تبغونها ﴾ تعود إلى السبيل ، ﴿ وعوجاً ﴾ حال من الواو في تبغونها ، أي
حالة كونكم ضالين .

﴿ جميعاً ﴾ حال من الضمير في اعتصموا ، أي كونوا مجتمعين في الاعتصام ، ولا تفرقوا أصلها لا تفرقوا ، فحذفت إحدى التاءين
للتخفيف

١٠٤ - ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴾ لتكن أمر يدل على الوجوب ، ومن في « منكم » للتبعيض إشارة إلى أن هذا الأمر من فروض الكفايات ، والخير عام لما يجب فعله وما يجوز تركه .

﴿ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ والمراد بالمعروف هنا ما يجب فعله بقرينة وجوب الأمر به ، والمراد بالمنكر ما يجب تركه بقرينة وجوب النهي عنه . وتجدر الإشارة إلى أن وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضرورة دينية عند المسلمين يستدل بها ، ولا يستدل عليها ﴿ وَأُولَئِكَ ﴾ الذين يأمرون بالمعروف ﴿ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ المنتصرون دنيا وآخرة .

١٠٥ - ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا ﴾ وهم اليهود والنصارى ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ الموجبة للاتفاق والاتلاف ، وقبيح بنا نحن المسلمين أن نتعرد على هذه الآية ، ثم نعلنها على الملأ في مكبرات الصوت ! أليست هذه فضيحة ؟

١٠٦ - ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ ﴾ الذين تعاونوا على البر والتقوى ﴿ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ الذين تعاونوا على الإثم والعدوان ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ ﴾ وهم الذين فرقهم حيث السرائر وسوء الضمائر ، يقال لهم غداً : أَكْفَرْتُمْ بعد إيمانكم ﴿ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ الْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴿ وإطلاق الكفر هنا يشمل كفر الجحود وكفر المعصية مع الإيمان بالتكليف .

١٠٧ - ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ ﴾ وهم الذين يتواصون بالحق وبه يعملون ﴿ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾ ونعمته ﴿ هُمُ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

١٠٨ - ١٠٩ - ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَلُوهَا عَلَيْكَ ﴾ يا محمد ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ الذي لا ينكره إلا مكابر ومعاند

١١٠ - ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ طال الكلام حول هذه الآية حتى تجاوزت غايته ونهايته ، والذي نراه أن الله سبحانه أعطى الأفضلية لأمة محمد (ص) بشروط ثلاثة الأول أن يحرسوا على عقيدة التوحيد . الثاني أن يعملوا بموجب هذه العقيدة من إطاعة الله سبحانه في حلاله وحرامه ، وأشار سبحانه إلى هذين الشرطين بقوله : ﴿ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ الثالث أن يواصلوا نشر الدعوة إلى دين الله وشرعيته بالحكمة وبكل وسيلة من وسائل الإعلام في شرق الأرض وغربها . ومتى توافرت هذه العناصر الثلاثة في المسلمين كانت لهم القيادة والسيادة على سائر الأمم ، وإن اختلف واحد منها فلا خير فيهم ولا فضل وفضيلة .

﴿ ولو آمن أهل الكتاب ﴾ النصارى واليهود بمحمد
﴿ لكان خيراً لهم ﴾ وللإنسانية جمعاء حيث تصبح الطوائف
الثلاث طائفة واحدة ، ومع الأيام تذوب باقي الطوائف .
ويكون أهل الأرض كلهم على دين واحد ﴿ منهم ﴾ من
أهل الكتاب ﴿ المؤمنون ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه
من اليهود والنجاشي واتباعه من النصارى وأكثرهم الفاسقون ﴿
الرافضون دين الإسلام .

١١١- ﴿ لن يضروكم ﴾ واو الغائبين لأهل الكتاب
والمشركين ، وكاف المخاطبين للنبي (ص) والصحابة
﴿ إلا أذى ﴾ إلا كلام يذهب مع الريح ﴿ وإن يقاتلوكم
يولوكم الأديار ﴾ منزهين ، وقد حدث هذا بالفعل حيث
نصر الله دين الحق على الدين كله يوم كان لدين الحق أهل
يحق ﴿ ثم لا ينصرون ﴾ أي أعداء الحق لا ينصرهم الله
إلا على المتخاذلين .

١١٢- ﴿ ضربت عليهم الذلة أينما تقفوا ﴾ اتفق
المفسرون على أن هذه الآية نزلت في اليهود ، وكانوا مشتبين
في شرق الأرض وغربها محكومين واتباعين .

﴿ إلا بحبل من الله ﴾ إلا أن يتوبوا من ضلالهم ،
ويعتصموا بحبل الله وحده ﴿ وحبل من الناس ﴾ كحبل
الولايات المتحدة التي تمد إسرائيل اليوم بالمال والسلاح ، ولو
تخلت عنها يوماً واحداً لم يكن لها عين ولا أثر ﴿ وباوا بغضب
من الله وضربت عليهم المسكنة ﴾ على منطق « ما ظفر من
ظفر الإثم به ، والغالب بالشر مغلوب » وفسره الشيخ محمد
عبد في نهج البلاغة بقوله : « إذا كانت الوسيلة لظفرك

بخصمك ركوب اثم واقرار معصية ، فإنك لم تظفر حيث ظفرت بك المعصية » والآثم ﴿ ذلك بأنهم كانوا يكفرون
بآيات الله ﴾ وما زالوا يتمادون في الطغيان ، لا لشيء إلا بالعدوان من حيث هو عدوان ﴿ ويقتلون ﴾ أي اليهود
﴿ الأنبياء بغير حق ﴾ لأنهم على حق وكفى بذلك جرماً عند اليهود ﴿ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ وإن دل
هذا التكرار والتوكيد على شيء فإنه يدل على أن اليهود لا شيء فيهم وعندهم إلا الجرائم والمآثم .

وقال قائل : إني اطلت وأطبت في تفسير الكاشف في ردائل اليهود ومثالبهم ! ونسي أنني أفسر آي الذكر الحكيم ،
ولو تأملها قليلاً لراى أنني أوجزت وقصرت في ذلك .

١١٣- ١١٤- ﴿ ليسوا سواء من أهل الكتاب الغ ... ﴾ ليس كل أهل الكتاب في فساد وضلال بل منهم قوم طيبون
صالحون ، يأمرون بالمعروف ، وبه يأمرون ، وينهون عن المنكر ، وعنه ينتهون .

١١٥- ﴿ وما يفعلوا من خير فلن يكفروه ﴾ لن يحرّموا جزاءه ، كيف وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان .

أهل الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمْ
الْفَاسِقُونَ ﴿١١١﴾ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ
يُؤَلُّوْا كَمَا أَذْبَارَهُمْ لَا يَنْصُرُونَ ﴿١١٢﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ
أَيْنَ مَا تُغْنَفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبَاءَ وَ
بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ
ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٣﴾ * لَيْسُوا سَوَاءً
مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ
الْيَلِّ وَلَهُمْ سَجْدُونَ ﴿١١٤﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ
فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٥﴾ وَمَا يَفْعَلُوا
مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ

١١٦- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً﴾ كل من خالف الحق وعصى أحكام الله سبحانه ، لا ينفعه مال ولا بنون كافراً كان أو مسلماً ، وعليه فالمراد بالكفر هنا ما يعم الجحود والعصيان بعد الإيمان .

١١٧- ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لَمَجْرَدِ الْجَاءِ وَالنَّائِثِ أَوْ الْخَوْفِ مِنَ الذِّمِّ وَالْمُجَاءِ﴾ كمثل ريح فيها صر ﴿أَيُّ بَرْدٍ شَدِيدٍ يَهْلِكُ الزَّرْعَ ، وَيَتَلَفُ الثَّمَارَ﴾ أصابت حرث ﴿زَرْعٍ﴾ قوم ظلموا أنفسهم ﴿بِمَعْصِيَةِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ﴾ فأهلكته ﴿تَاءُ النَّائِثِ لِلرَّيْحِ ، وَهَاءُ الْغَائِبِ لِلْحَرِثِ﴾ وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون ﴿لَأَنْتُمْ أَنْدَفَعُوا رِوَاءَ الشَّهَوَاتِ وَالْأَهْوَاءِ .

١١٨- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ﴾ بطانة الرجل صفيه الذي يستعطن أسراره ، أخذاً من بطانة الثوب ، قال سبحانه : « ما ظهر منها وما بطن » والمعنى لا تستخلصوا أعداء الإسلام والمسلمين ، وتبين تعالى السبب الموجب للنهي بقوله : ﴿لَا يَأْلُوْنَكُمْ خِيَالاً﴾ لا يقصرون في مضررتكم وفساد أموركم ﴿وَقَدْ مَا عَنْتُمْ﴾ يمتنون أن تقوا في أشد الشدائد ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَهِهِمْ﴾ كالظن في الإسلام ونبيه وكتابه ﴿وَمَا نَخَفِيَ صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ مما بدا على ألسنتهم ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ علامات الذين يعضون عليكم الأنامل من الغيظ .

١١٩- ﴿هَآ أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّوْنَهُمْ وَلَا يُحِبُّوْنَكُمْ﴾ الخطاب في «أنتم» للخواة العملة الذين باعوا دينهم للشيطان ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ أي بكل كتاب أنزله الله وهم لا يؤمنون بقرآنكم ﴿وَإِذَا قُلُوبُكُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾ كذباً ونفاقاً ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عُلُوبَهُمْ مِنَ الْغِيظِ﴾ كان هذا أيام حيث كان المسلمون أقوياء بالأخوة والكلمة الواحدة .

١٢٠- ﴿إِنْ تَمْسِكُمْ حَسَنَةً﴾ كالوقوف صفاً واحداً ضد العدو المشترك ﴿تَسُوْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةً﴾ كالشنات والفرقة ﴿يَفْرَحُوا بِهَا وَأَنْ تَصْبِرُوا﴾ على نصرة الحق

الإِعْرَابُ:

يألون فعل قاصر ، ولكنها هنا تتضمن معنى المنع فعديت إلى مفعولين ، وخيالاً مفعول ثانٍ ، وجملة لا يألونكم لا عمل لها من الإعراب ، لأنها جواب عن سؤال مقدر ، كأنه قيل : لماذا لا تتخذ بطانة من غيرنا فأجيب : لأنهم لا يألونكم «خيالاً» ، وما أنتم وهاء للتنبيه ، «وأنتم» مبتدأ ، و«أولاء» اسم إشارة خير ، «وتحبونهم» الجملة في محل نصب على الحال من اسم الإشارة ، ولا يضرركم جواب إن الشرطية ، ويجوز كسر الضاد وسكون الراء على أن يكون المصدر الضير ، وإذا كان الضرر فالأصل لا يضرركم ، ثم ادغمت الراء بالراء ، وضمت تبعاً لحركة الضاد ، وشيئاً مفعول مطلق ، أي شيئاً من الضرر .

كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمْ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خِيَالاً وَدَوَّاءَ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَتَأْتُمْ أَوْلَاءَ يُحِبُّوْنَهُمْ وَلَا يُحِبُّوْنَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا الْقُورُورُ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عُلُوبَهُمْ مِنَ الْغِيظِ قُلْ مُوتُوا بِغِيظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِنْ تَمْسِكُمْ حَسَنَةً سَوْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةً يَفْرَحُوا بِهَا

وجهاد أعداء الله وأعدائكم ﴿ وتقوا ﴾ مولاة الأعداء

والركون إليهم ﴿ لا يضركم كيدهم شيئاً ﴾ وينصركم الله عليهم لا محالة ﴿ إن الله بما يعملون محيط ﴾ خبراً كان أم شراً .

١٢١- ﴿ وإذ غلوت من أهلك تبوء المؤمنين مقاماً للقتال ﴾ نزلت هذه الآية في غزوة أحد ، والغدوة والغداة : ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس ، وتبوء : تهيئ وتدير . والمقاعد : جمع مقعد وهو مكان القعود .

١٢٢- ﴿ إذ همت طافتان منكم ﴾ هما بنو سلمة من الخزرج ، وبنو حارثة من الأوس ، وكانا جناحي عسكر رسول الله في أحد ﴿ أن تفشلا ﴾ أن تؤثر فيهما فتنة المنافق عبد الله بن أبي ، فيجئنا ويضعفا ﴿ والله وليهما ﴾ تولى أمر الطائفتين بعنابة ، وأبعد الفضل عنهما ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ لا على المنافقين وأعداء الدين ، وإن ملكوا الأموال والسلاح .

١٢٣- ﴿ ولقد نصركم الله ببلى ﴾ هذا تذكير منه تعالى للمسلمين يوم بدر ليثبت قلوبهم ﴿ وأنتم أذلة ﴾ كنتم آنذاك في قلة من العدد وغير منعة من العدة .

١٢٤- ﴿ إذ تقول ﴾ يا محمد ، وكان صاحب رايثك وراية المهاجرين علي بن أبي طالب وصاحب راية الانصار سعد بن عباد ة ﴿ للمؤمنين أن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ﴾ نازلين من السماء ،

وإن تصبروا ولننقوا لا يضرركم شيئاً إن الله بما يعملون محيط ﴿١٢١﴾ وإذ غلوت من أهلك تبوء المؤمنين مقاماً للقتال والله سميع عليم ﴿١٢٢﴾ إذ همت طافتان منك أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴿١٢٣﴾ ولقد نصرركم الله ببلى وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تسركون ﴿١٢٤﴾ إذ تقول للمؤمنين ألن يكفركم أن يمددكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ﴿١٢٥﴾ بلى إن تصبروا ولننقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ﴿١٢٦﴾ وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ﴿١٢٧﴾ ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكذبهم

ينصرونكم على الأعداء .

١٢٥- ﴿ بلى ﴾ يكفيكم هذا الإمداد ﴿ إن تصبروا ﴾ على الجهاد ﴿ وتقوا ﴾ الخيانة والخذلان يمددكم الله بأكثر من هذا العدد ﴿ ويأتوكم ﴾ أي المشركون ﴿ من فورهم هذا ﴾ من هذا الحين ﴿ يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ﴾ أي لهم علامة تدل عليهم .

١٢٦- ﴿ وما جعله الله إلا بشرى لكم ﴾ هاء الغيب في « جعله » يعود على غير مذكور بلفظه ، بل بمعناه وهو الإمداد المفهوم من « يمدكم » ﴿ ولتطمئن قلوبكم به ﴾ أي بالامداد .

١٢٧- ﴿ ليقطع طرفاً من الذين كفروا ﴾ ليهلك طائفة

﴿ أَوْ يَكْتُمُهُمْ ﴾ يخزيهم بالخرقة ﴿ فَيَقْبَلُوا خَائِبِينَ ﴾ خاسرين .

١٢٨- ﴿ لَيْسَ لَكَ ﴾ يا محمد ﴿ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾
القصص من هذا وأمثاله أن لا يغالي المسلمون بمحمد (ص)
كما غالى المسيحيون بالسيد المسيح (ع) ﴿ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾
على المشركين إن أسلموا ﴿ أَوْ يَعَذِّبَهُمْ ﴾ إن أصروا على
الكفر .

١٢٩- ﴿ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ﴾ لحكمة هو بها أعلم ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ أي أن جانب الرحمة والمغفرة فيه تعالى هو
الغالب تفضلاً منه وكرماً .

١٣٠- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمُ الرِّبَا أضعافاً
مضاعفة ﴾ الربا حرام محرم قليلاً كان أم كثيراً ، وقوله
تعالى : « أضعافاً » ليس قيداً للنهي ، بل إشارة إلى ما كان
عليه المرابون في الجاهلية حيث كان الربا في بعض الحالات
يستغرق أموال المديون بالكامل ، ويبقى رأس المال في عطفه
﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ في أكل الربا ﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ وتهتدون
بالبركات الواسعة .

١٣١- ١٣٢- ﴿ وَاتَّقُوا ﴾ أيها المسلمون ﴿ النار
التي أعدت للكافرين ﴾ فيه إيماء إلى أن العذاب على
بعض الكبار تماماً كالعذاب على الشرك والإلحاد .

١٣٣- ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ أي سارعوا
إلى خدمة الإنسان ، كل إنسان لوجه الله والإنسانية تستوجبوا

من الله سبحانه الرحمة والمغفرة ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ كناية عن السعة في افهام الناس ﴿ أعدت
للمتقين ﴾

١٣٤- ﴿ الَّذِينَ يَتَّقُونَ فِي السَّرَّاءِ ﴾ في اليسر والرخاء ﴿ وَالضَّرَّاءِ ﴾ العسر والبأساء ﴿ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ ﴾
إن لم تكن حليماً فتحلم كما قال الإمام (ع) ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ والعافين عطف على الكاطمين ، وهؤلاء عطف
على الذين يتقون ، وهؤلاء وصف للمتقين ﴿ وَاللَّهُ يَحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ الذين يتصفون بالقوى والإنفاق وكمظم الغيظ
والعفو ..

١٣٥- ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً ﴾ سيئة كبرى بالاعتداء على الناس وأموالهم وأعراضهم ﴿ أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾
أساءوا إليها دون أن يسيئوا إلى الآخرين ، كما لو تركوا الصلاة والصيام ﴿ ذَكَرُوا اللَّهَ ﴾ لجأوا إليه تعالى بإخلاص
﴿ فَاسْتَغْفَرُوا لِلنَّوْبِ بِهِمْ ﴾ طلبوا منه جل وعز أن يغفرها تادمين على فعلها وعازمين أن لا يعودوا إلى مثلها ، فإنه يغفرها لا محالة

فَيَقْبَلُوا خَائِبِينَ ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ
عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَلَنَهُمْ ظَلِمُونَ ﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا
الرِّبَا أضعافاً مضاعفةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿
وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ
وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ ﴿ * وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ
مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ
وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا
أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرْ

﴿ ومن يغفر الذنوب إلا الله ﴾ يوم الحساب والجزاء ﴿ ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ﴾ ومعنى هذا أن من يرتكب الحرام عن غفلة أو جهل مع العجز عن التعلم ، فهو معذور .

١٣٦ - ﴿ أولئك جزاؤهم مغفرة . . . ﴾ قال الشيخ الطبرسي : ومن هذه الآيات يتبين أن المؤمنين بالله ثلاث فئات : المتقون ، والتائبون ، والمصرون ، وإن للمؤمنين والتائبين الجنة والمغفرة . وسكت الشيخ عن المصيرين ، لأن ربهم بهم يومئذ لخبير ..

١٣٧ - ﴿ قد خلت من قبلكم سنن ﴾ الخطاب في قبلكم للصحابة ، وسنن جمع سنة وهي الطريقة ، والمعنى أطيعوا النبي أبا الصحابة ، ولا تخالفوا له أمراً وإلا نزل بكم العذاب في الدنيا قبل الآخرة تماماً كما نزل بالذين عاكسوا أنبياءهم من الأمم الخالية ، وإن كنتم في ريب من ذلك ﴿ فسيروا في الأرض ﴾ أي تتبعوا أخبار الماضين من أهل الأرض وتاريخهم ﴿ فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ لأنبيائهم وإلى أي نوع انتهوا من الهلاك ، والعاقلة من اتعتظ بغيره ..

١٣٨ - ﴿ هذا بيان ﴾ ناصح ﴿ للناس ﴾ كافة ﴿ وهدى ﴾ إلى دين الحق ﴿ وموعظة للمؤمنين ﴾ أي من أراد أن يكون من المؤمنين الصالحين .

١٣٩ - ﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا ﴾ ثقوا أبا المسلمون بالله وبأنفسكم ، وامضوا على عزيمة الإيمان بالنصر ﴿ وأنتم الأعلون ﴾ بدينكم ونيبكم ﴿ إن كنتم مؤمنين ﴾ حقاً

الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهَ وَلَمْ يَصِرُوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٦﴾
أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٧﴾
قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكَ سُنَنٌ فَاِصْبِرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿١٣٨﴾ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٩﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤٠﴾ إِنْ يَمْسِكُكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلَيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤١﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٢﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٣﴾

وصدقاً .

١٤٠ - ﴿ إن يمسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ﴾ إن نال منكم العدو يوم أحد ، فقد نلتهم منه يوم بدر .
﴿ وتلك الأيام نداولها بين الناس ﴾ المراد بالأيام القوة وأنها تارة تكون هؤلاء ، وتارة لأولئك ﴿ وليعلم الله الذين آمنوا ﴾ إنه تعالى أعلم بالمؤمنين والكافرين من أنفسهم . ولكن يتلهم بالأمر والنهي لتظهر أفعالهم للعيان ، فيتميز الخبيث من الطيب ، ويجزي كلاً بما كسب ﴿ ويتخذ منكم شهداء ﴾ وفي الشهادة كل السعادة والكرامة ، فهل إليها من سبيل ؟ عسى ولعل .

١٤١ - ﴿ وليمحص الله الذين آمنوا ﴾ ويمحص : يطهر والمعنى أن الله سبحانه يطهر بعض عباده من دوابهم بالاستشهاد في سبيله ويمحق الكافرين يهلكهم .

١٤٢ - ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولا يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾ هذا هوتمن الجنة عند الله . جهاد ، وإخلاص ، وصبر ، وتبات ، وما عدا ذلك فليس بشيء إلا أن يكون وسيلة لعمل يجلب للناس نفعاً أو يدفع عنهم ضرراً .

١٤٣- ﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ ﴾ الخطاب لبعض الصحابة الذين لم يشهدوا بدرأ مع رسول الله وكانوا يتمنون أن يشهدوا غزوة ليفوزوا بالشهادة ، ولما شهدوا أحداً وجد الجدة ولوا الأدبار لا يلبون على شيء .

١٤٤- ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ أبداً كل من عليها فإن نبياً كان أم شعباً ، ويبقى وجه ربك ذي الجلال والإكرام ، وسبب هذه الآية أن صائحاً صرخ بجلء فيه يوم أحد : قتل محمد ، فانقلبوا على أعقابهم إلا قليلاً منهم ، وتركوا النبي في قلب المعركة مع نفر يسير ، وعلى رأسهم علي بن أبي طالب ، وإلى هذا أشار سبحانه بقوله موبخاً المنهزمين : ﴿ أَفَأَنْ مَاتَ ﴾ رفعه الله إليه ﴿ أَوْ قُتِلَ ﴾ قتله الكافرون ﴿ انقلبتم على أعقابكم ﴾ عديم إلى الكفر بعد الإيمان ﴿ ومن يقلب على عقبيه ﴾ يرتد عن دينه ﴿ فلن يضر الله شيئاً ﴾ بل يضر نفسه وحدها ﴿ وسيجزي الله الشاكرين ﴾ الثابتين على دينهم قولاً وعملاً .

١٤٥- ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ ليس هذا إخباراً ، بل حثاً وتغريضاً في الجهاد ، وأن الإنسان لن يموت إلا بحضور أجله ﴿ كِتَابًا مُؤَجَّلًا ﴾ مفعول مطلق لفعل محذوف أي كتب الموت كتاباً مؤقلاً ﴿ ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها ﴾ قد يحكم على الخاص بلفظ عام ، ويبقى اللفظ على شموله للمحكوم عليه وغيره ، وقد يكون اللفظ عاماً في الظاهر ، والمراد خاصاً في الواقع ، ولفظ الآية هنا عام ، والمراد به خصوص الجهاد والمعنى من جاهد وقاتل للفتنة لا لله وقتل فقد خسر الدنيا والآخرة ، وإن سلم فله حظه من الغنيمة ولا شيء له عند الله ، ومن جاهد لله وقتل فله عند الله فوق ما يتصور ، وإن سلم أحرز الحظين معاً ، وملك الدارين جميعاً .

١٤٦- ﴿ وَكَأَيِّنْ ﴾ كلمة مرادفة لكم الخبرية في الدلالة على تكثير العدد ﴿ من نبي قاتل معه ربيون كثير ﴾ لقد قاتل وقتل كثير من العلماء العاملين مع الأنبياء السابقين ، وكان الأليق بكم أي الذين فروا يوم أحد أن تقتدوا بهؤلاء العلماء الأصفياء . ﴿ فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله ﴾ فما فروا من الموت كما فررتم ، بل ثبتوا حتى استشهدوا طاعة لله ورسوله ﴿ وما ضعفوا ﴾ وما جبنوا عن القتال ﴿ وما استكانوا ﴾ وما خضعوا للعدو .

١٤٧- ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا . . . ﴾ قتلوا في سبيل الله ليغفر ذنوبهم ، ويصفح عن تقصيرهم ، ويقدمون عليه تعالى بإيمان ثابت وراسخ ، هذا وهم النخبة والصفوة ، وهكذا كل رباني وروحاني .

١٤٨- ﴿ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا ﴾ تقدباً وتعظيماً

﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَلَمْ يَمَاتْ أَوْ قُتِلَ أَنْفَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْفَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يَرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يَرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ ﴿ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا

﴿ وحسن ثواب الآخرة ﴾ علواً ونعياً .

١٤٩- ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين ﴾ قال شيخ الأزهر المراغي في تفسير هذه الآية ، فقرة المفردات ما نصه بالحرف : « المراد بالذين كفروا أبوسفیان لأنه شجرة الفتنة . »

١٥٠- ﴿ بل الله مولاكم وهو خير الناصرين ﴾ ومن كان الله ناصره فلا يفتر إلى ولي ولا نصير .

١٥١- ﴿ سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ﴾ أي لا تخافوا أيها المسلمون من المشركين لأنهم هزموكم في أحد ، فإن الله سبحانه سيطيح على قلوبهم بالخوف لأنهم جعلوا لله شركاء بوحى من الشيطان لا بالحجة والبرهان ﴿ وماؤهم النار وبئس مولى الظالمين ﴾ المأوى والمثوى بمعنى واحد وهو المقر والمزل .

١٥٢- ﴿ ولقد صدقكم الله وعده ﴾ وعد سبحانه المسلمين بلسان نبيه أن ينصرهم على المشركين في وقعة أحد بشرط أن لا يعصوا للنبي أمراً ﴿ اذ تحصونهم ياذنه ﴾ أي تقتلون المشركين في بداية المعركة ﴿ حتى إذا فشلتم ﴾ ضعفتم وجبتم ﴿ وتنازعتم في الأمر ﴾ أمر النبي الرماة يوم أحد أن يشتوا في مكانهم ولا يتركوه ، فوقع النزاع فيما بينهم ، فامتثل بعضهم ، وعصى آخرون ﴿ وعصيت من بعد ما أراكم ما تحبون ﴾ من هزيمة المشركين وما تركوا وراءهم من غنائم في أول المعركة ﴿ منكم من يريد الدنيا ﴾ وهم الرماة الذين أدخلوا مكانهم للعدو طمعاً في الغنيمة ﴿ ومنكم من يريد الآخرة ﴾ وهم الرماة الذين ثبتوا في مكانهم وقتلوا ولم يعصوا الرسول .

﴿ ثم صرفكم عنهم ﴾ ردكم عن الكفار بعد أن أمكنكم منهم بسبب معصيتكم أمر النبي ﴿ ليتليكم ﴾ أي ابتلاكم بذلك ليظهر ثباتكم على الإيمان وصبركم على الشدائد ﴿ ولقد عفا عنكم ﴾ بعد أن ندمتم وتبتم .

١٥٣- ﴿ اذ تصعدون ﴾ تذهبون ﴿ ولا تلون ﴾ لا تلتفتون ﴿ على أحد الرسول يدعوكم في أحوالكم ﴾ يناديكم من وراءكم : إني عباد الله . أنا رسول الله ﴿ فأتاكم ﴾ جازاكم الله ﴿ غمماً بغم ﴾ اذقتم الرسول غمماً بمعصيتكم له ، فأذاقكم الله غمماً بالهزيمة واحدة بواحدة جزاءً وفاقاً

الإعراب :

﴿ خاسرين ﴾ حال . وما من (بما) مصدرية ، أي بسبب اشتراكهم بالله . ﴿ وما لم ﴾ مفعول أشركوا . ﴿ صدقكم ﴾ يتعدى إلى مفعولين . ﴿ وعده ﴾ مفعول ثانٍ . ﴿ وحتى إذا فشلتم ﴾ جواب إذا محذوف ، والتقدير منعكم الله نصره ، وقيل : إن إذا هنا ليست بشرط ، وإن المعنى قد نصركم الله إلى أن كان منكم الفشل والتنازع ، وقيل : الجواب هو عصيت وماؤهم رائدة ، كما في قوله تعالى : ﴿ فلما أسلما وتله للجبين وناديانه ﴾ والمعنى نادياه .

وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٩﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى
أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٥٠﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ
النَّاصِرِينَ ﴿١٥١﴾ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا
أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانٌ ۚ وَمَا وَهُمْ إِلَّا
بِئْسَ مَوْلى الظَّالِمِينَ ﴿١٥٢﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ ۖ
إِذْ تَحْصُونَهُمْ بِأَذْنِهِ ۖ حَتَّى إِذَا فَتِلْتَمَ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ
وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِّنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا
وَمِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۖ ثُمَّ صَرَّفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ
وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٣﴾
* إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلَوْنَ عَلَى أَحَدٍ وَارْأَوْا يَدْعُوكُمْ
فِي أُخْرَاكُمْ فَأَتَشْكُرُ لَكُمْ بِغَيْرِ لَيْلٍ لَّا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ

﴿ لَكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ﴾ من المنافع ﴿ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ﴾ من المضار والقصد من كل ما حدث أن تتعظوا به ولا تعودوا إلى مثله .

١٥٤ - ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نَاعَسًا ﴾ النوم عند المحنة يخفف الكثير من وقع المصائب ﴿ يَفْشَى ﴾ أخذ النوم ﴿ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ ﴾ وهي الثابتة على الإيمان ﴿ وَطَائِفَةٌ ﴾ وهي المتأثرة ﴿ قَدْ أَهْمَتَهُمْ أَنْفُسُهُمْ ﴾ وما عداها فأبلى داهية دهياء .

﴿ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾ في أنه يفعل ما لا ينبغي فعله ، تعالى الله عما يصفون ﴿ ظَنُّ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ بدل من غير الحق ﴿ يَقُولُونَ ﴾ أي المنافقون يسألون رسول الله : ﴿ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ ﴾ النصر والظفر ﴿ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ يعز من يشاء ويذل من يريد ﴿ يَخْفَوْنَ فِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ التكذيب والنفاق ﴿ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ ﴾ شأن العدو الجبان ﴿ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ لَوْ كَانَتْ قِيَادَةُ الْحَرْبِ لَنَا ﴾ ما قتلنا ههنا ﴿ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ ﴾ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ إِنْ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ أَلْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنْمَا اسْتَرْهَمُوا الشَّيْطَانَ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا

وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نَاعَسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهْمَتَهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿ إِنْ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ أَلْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنْمَا اسْتَرْهَمُوا الشَّيْطَانَ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا

١٥٥ - ﴿ إِنْ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ ﴾ انهزموا خوفاً وجبناً ﴿ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ ﴾ في أحد ، وكانوا سيئاً مباشراً لغلبة المشركين على المسلمين ﴿ إِنَّمَا اسْتَرْهَمُوا الشَّيْطَانَ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ﴾ طمع فيهم الشيطان حيث أطاعوه من قبل ﴿ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ لأنهم تابوا .

١٥٦ - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ باطناً لا ظاهراً ﴿ وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ ﴾ في النفاق ﴿ إِذَا

الإعراب :

﴿ وَإِذْ تَصْدَعُونَ ﴾ إذ ظرف زمان . متعلق بعفا في الآية المتقدمة . و﴿ لَكَيْلًا ﴾ المصدر المنسوب مجرور باللام متعلق أيضاً بعفا ، و﴿ أَمْنَةً ﴾ مفعول أنزل ، وهي مصدر مثل العظمة والغلبة . ونعاساً بدل من أنة . وطائفة الأولى مفعول يَفْشَى . وطائفة الثانية مبتدأ ، والخبر جملة قد أَهْمَتَهُمْ . وجملة يَظُنُّونَ حال من الضمير في أَهْمَتَهُمْ . وغير الحق مفعول مطلق ليَظُنُّونَ ، لأنه بمعنى يَظُنُّونَ غير الظن الحق وظن الجاهلية بدل من غير الحق . وجملة يَقُولُونَ بدل من جملة يَظُنُّونَ .

ضربوا في الأرض ﴿ سافروا فيها وأبعدوا ﴾ أو كانوا غزى ﴿ جمع غاز ﴾ لو كانوا عندنا ما ماتوا وما فُتِلوا ﴿ أسند الماتقون موت المسافر أو الغازي إلى السفر أو الغزو ، فنفى سبحانه المؤمنين عن هذا القول الجاهل الباطل ﴿ ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم ﴾ أي أن الله سبحانه أمر المؤمنين أن يتعدوا عن الماتقين ولا يتشبهوا بهم في قول أو فعل ، لأن ذلك يورثهم حسرة وكآبة ﴿ والله يحيي ويميت ﴾ فإن شاء أنات القاعد والمقيم ، وإن شاء أحيأ العظام وهي رميم ، ولا تأثير لحرب أو سفر .

١٥٧- ﴿ وَلئن قتلتم في سبيل الله أو متم لغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ﴾ كل من يقتل أو يموت مدافعاً عن الحق أو مكافحاً من العيش والعيال أو لخدمة أخيه الإنسان فهو شهيد أو في حكمه ، وله عند الله خير مما طلعت عليه الشمس .

١٥٨ - ﴿ وَلئن مئم اؤ قتلئم لئلى الله تحشرون ﴾
كل السبل تنهى إلى الوقوف بين يديه تعالى لنقاش الحساب
سواء أكانت تلك السبل موتاً على القراش أم قتلاً بحد السيوف .

١٥٩- ﴿فَمَا رَحْمَةً مِنْ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَنْفَعُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ الخطاب لصاحب الرسالة ، وما أدراك من صاحب الرسالة ؟ إنه رؤوف رحيم نصوص الآية ١٢٨ من التوبة ، أما الآية التي نحن بصدها فإنما نقول : لولا خلق محمد ما آمن أحد برسالته ، ومعنى أنه لولا خلقه لا عين ولا أثر للإسلام حيث لا إسلام بلا مسلمين

﴿ فاعف عنهم ﴾ فيما يعود إلى حَقِّ الخاص ﴿ واستغفر لهم ﴾ فيما يعود لحقوق الله .

﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ مما لم يتزل عليك وحى فيه حيث لا اجتهد في قبال النص ﴿ فإذا عزمت ﴾ عزيمة الإيمان بالحق والخير فامض على إيمانك ﴿ فتوكل على الله ﴾ وحده ﴿ إن الله يحب المتوكلين ﴾ الذين يملكون القوة في الصبر والإيمان والإرادة .

١٦٠- ﴿ إِن يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ﴾ ونصره تعالى إنما يكون مع مراعاة الأسباب التي جعلها هو سبحانه مؤيداً للنصر ﴿ وَإِن يَخْذَلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُم مِّنْ بَعْدِهِ ﴾ وهو ، عظمت عدالته وحكمته لا يخلد إلا المتخاذلين الذين لا يجتمع كلمتهم على الخير وطاعة الله تعالى .

١٦١ - ﴿ وما كان لنبي أن يغفل ﴾ كيف والغفل رذيلة يتره النبي عنها؟ ﴿ ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة ﴾ من يعمل سوءاً يجز به إلا أن يتوب .

ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا تَأْتُوا
وَمَا قُلُوا لِجَعَلِ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۖ وَاللَّهُ يُخَيِّئُ
وَيُخَيِّتُ ۖ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ أَوْ مُتِمْتُمْ لِمَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٍ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٨﴾
وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٩﴾ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ
اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ
حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ
فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٦٠﴾
إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ
فَلاَ إِدَاءَ لِلَّهِ يُصْرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦١﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلَّ وَمَنْ يَكُلَّ يَأْتِ
بِمَا عَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تَوَلَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ

١٦٢ - ﴿ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ ﴾ ورضوانه أمان ورحمة ، ولكن لا سبيل إليه إلا الإخلاص والعمل الصالح ، ﴿ كَمَنْ بَاءَ ﴾ رجع ﴿ بسخط من الله ﴾ وأعظم ما يشند هذا الغضب حين يطلب العبد رضا المخلوق بسخط الخالق .

١٦٣ - ﴿ هُمْ ﴾ يعود على من اتبع رضوانه تعالى ومن باء بسخطه معاً ﴿ درجات ﴾ متفاوتات ومنازل مختلفات ﴿ عند الله ﴾ ثواباً وعقاباً .

١٦٤ - ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا ... ﴾ تقدم مثله في الآية ١٢٩ من البقرة ، والخلاصة أن رسالة محمد (ص) هي رسالة العلم والأمن والعدل والمساواة فأية نعمة على الإنسانية جمعاء أعظم من هذه النعمة ؟

١٦٥ - ﴿ أَوْ لِمَا أَصَابَكُمْ مِصْبِيَّةٌ ﴾ يوم أحد حيث قتل منكم أيها المسلمون سبعون رجلاً ﴿ قد أصبتم مثلها ﴾ يوم بدر حيث قتلتم من المشركين سبعين واسرتم سبعين ، كيف نسبتم نعمة بدر وذكرتم نكبة أحد ؟ وقلتم فيما : ﴿ قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا ﴾ الفشل والخسران ؟ وفيما رسول الله ونحن مسلمون وهم مشركون ﴿ قل هو من عند أنفسكم ﴾ ليست المسألة مسألة إسلام وصلوات ووجود النبي ودعوات ، وإنما المسألة إعداد العدة وأسباب محكمات ، لأن الله سبحانه لا يجري الأمور إلا على أسبابها ، ويوم أحد قصرتم في حق أنفسكم .

١٦٦ - ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ النِّقْيِ الْجَمْعَانِ ﴾ في أحد ﴿ فَيَاذَنَ اللَّهُ ﴾ أي بالتخلي عنكم أو بعلمه تعالى أنكم ستخالفون النبي وتحبسون ﴿ ويعلم ﴾ الله ﴿ المؤمنين ﴾ .

لَا يُظْلَمُونَ ﴿ أَقْرَبَ أَتَعَرَّضُونَ لِلَّهِ كُنَّ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَنَهُ جَهَنَّمَ وَبَسَّ الْمَصِيرُ ﴾ هُمْ دَرَجَتُ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَزَكَاةً وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لِي ضَلَالِي مُبِينٍ ﴾ أَوْ لِمَا أَصَابَكُمْ مِصْبِيَّةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ النِّقْيِ الْجَمْعَانِ فَيَاذَنَ اللَّهُ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَنْبَغُنَا لَهُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ

١٦٧ - ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ﴾ أي ليظهر أفعال الملوذين عنده تعالى بالإيمان والفاق ، ويحاسب كلا منهما على أعمالهم ومقاصدهم ﴿ وقيل لهم ﴾ للمنافقين ﴿ تعالوا قاتلوا في سبيل الله ﴾ إن كان لكم دين ﴿ أو دافعوا ﴾ عن أنفسكم وأهلكم وأمواكم إن لم يكن لكم دين ﴿ قالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم ﴾ أي قال المنافقون للمؤمنين : لو كنا على علم اليقين بأن الحرب واقعة بينكم وبين المشركين لقاتلنا معكم ، ولكن الأمر سينتهي عند المناورات وعرض العضلات وكفى ﴿ هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان ﴾ أي أن تصرفات المنافقين بشتى أنواعها هي لمصلحة الكفر والكافرين ، ولا شيء منها لمصلحة الإسلام والمؤمنين على رغم ادعائهم الإيمان والنظام بالإسلام .

﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ وهذا أجمع تحديد لكل منافق ، ومثله تماماً ما في نهج البلاغة : قولهم شفاء ، وفضلهم الداء العياء أي أعصى الأطباء .

١٦٨- ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِأَخْوَانِهِمْ وَقَعِدُوا﴾ أي قال المناقون انفعلاً من أجل أرحامهم الذين قتلوا في أحد : ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأْ عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَیَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾

١٦٩- ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتًا﴾ أنصار الباطل هم والباطل عند الله بمنزلة سواء ، كل منهما إلى زوال واضمحلال بنص القرآن « إن الباطل كان زهوقاً » أما أنصار الحق فهم عند الله وأهل الله تماماً كالحق ﴿بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ كما كانوا في الحياة الدنيا مع القارق بأنهم عند الله لا بمسهم نصب ولا تعب .

١٧٠- ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ولا يوازي فضله فضل ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ فرح الشهداء بحظهم الأوفر عند الله ، وأيضاً فرحوا لإخوانهم المجاهدين الذين سيقتلون من بعدهم ، وينالون من الله ما نالوه من السعادة القائمة والنعمة الدائمة ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ للشهداء ثلاث فرحات : الفرحة الأولى لأنفسهم ، وإليها الإشارة بقوله تعالى : فرحين ... والفرحة الثانية لأخوانهم ، وإليها أشار سبحانه بقوله : ويستبشرون . . . والفرحة الثالثة لكل مؤمن مخلص ، وأشار إليها جل وعز بقوله :

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِأَخْوَانِهِمْ وَقَعِدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأْ عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧٢﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٧٣﴾ فَرِحِينَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَیَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٤﴾ * یَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَإِنَّ اللَّهَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ الَّذِينَ قَالُوا لَمْ يَأْتِ الْإِنْسَانُ إِلَّا نَفْسًا فَكَاثِبُونَ ﴿١٧٧﴾ فَخَشَعُوا أَرْوَاحَهُمْ فَمِنْ ذُلِّهِمْ قَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ الْقَرْحِ وَالَّذِينَ لَا يَرْجِعُونَ عَنْ قُرْبَانِهِمْ فِي الْقَرْحِ كَرِهَتْ أَسْبَاطُهُمْ وَقَالُوا سَبِيلُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ سَبِيلِ الْأَنْفُسِ فَذُكِّرُوا بِالْآيَةِ وَنُفَخُوا فِي سَحَابٍ مِثْلَ النُّجُومِ ﴿١٧٨﴾ فَذُكِّرُوا بِالْآيَةِ وَنُفَخُوا فِي سَحَابٍ مِثْلَ النُّجُومِ ﴿١٧٩﴾

١٧١- ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ والنعمة أجر على عمل ، والفضل تفضل زائد .

١٧٢- ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ بفتح القاف : الجرح ، نزلت هذه الآية في الذين أصابتهم جراحات شديدة في أحد ، فصبروا وتجلدوا وأمرهم النبي (ص) وهم على هذه الحال أن ينهأوا للجهاد ويعملوا الكربة ، فاستجابوا وأقبلوا على الموت بلا جزع وعلع . فوصفهم سبحانه بالمحسنين والمقين ، ووعدهم بالأجر العظيم في قوله : ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ وهذا هو الفوز المبين .

١٧٣- ﴿الَّذِينَ قَالُوا لَمْ يَأْتِ الْإِنْسَانُ إِلَّا نَفْسًا فَكَاثِبُونَ﴾ قال بعض الخوة المرتزة للمؤمنين يشطهم عن الجهاد : ﴿إِنَّ النَّاسَ﴾ أي المشركين ﴿قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ وحشدوا الجيوش ﴿فَاخْشَوْهُمْ﴾ ولا تحاربوهم ﴿فَرَادَهُمْ﴾ هذا التخويف والتشيط ﴿إِيمَانًا﴾ على إيمان وعزماً على عزم ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ إن ثقتنا بالله لا يززعها شيء .

١٧٤ - ﴿فَانْقَلِبُوا نِعْمَةً مِنْ اللَّهِ وَفَضْلًا لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ أي أن الذين استجابوا لدعوة الجهاد من الله والرسول على ما بهم من الجراح والقروح - رجعوا إلى بيوتهم بنعمة السلامة والذكر الجميل في الدنيا والأجر الجزيل في الآخرة ، لأن العدو لما رأى الصدق منهم والإخلاص والجد والعزم على حربه والتضحية بكل عزيز ، ولّى مدبراً بشره وخيبته .

١٧٥ - ﴿إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يَخُوفُ أَوْلِيَائِهِ﴾ من كل خير ويفرّبهم بكل شر ، وفي التسهيل لمحمد بن أحمد الكلبي : « المراد بالشيطان هنا أبو سفيان أو نعيم الذي أرسله أبو سفيان » أو ابليس ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ وكرر سبحانه هذه الجملة : « إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ... إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ... إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ... » للتوكيد في أن مسألة جهاد الباطل ليست مسألة جن أو عجز وكفى ، وإنما هي مسألة إيمان وإخلاص وعزم وثبات .

١٧٦ - ﴿وَلَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ...﴾ لا نشغل نفسك يا محمد بصرفات المناقين وسراهم إلى الكفر ومضيه في التآمر والخيانة ، فإن كيدهم يعود إلى نحورهم يريد الله ألا يجعل لهم حظاً في الآخرة ولهم عذاب عظيم ﴿وهكذا مصير الطغاة وأذنانهم الحشرات .

١٧٧ - ﴿إِنْ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ...﴾ واضح ، وتقدم في ١٦ و ١٧٥ من البقرة .

١٧٨ - ﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ...﴾ أي تمهلهم ، و «أما» أن للتوكيد و «ما» اسمها و ﴿خير لأنفسهم﴾ خبر «أن» ﴿إنما﴾ إن هنا للتوكيد أيضاً و «ما» كافة عن العمل ﴿نملي لهم ليزدادوا إثمًا﴾ واللام في «ليزدادوا» للعاقبة مثلها لدوا للموت ، ومعنى الآية يجعلها أن الله سبحانه يمهّل الإنسان في هذه الحياة كي يختار لنفسه خيراً أو شراً ، وطول الأجل لأهل الخير خير ، ولاهل الشر شر حيث يزداد المحسن إحساناً ، والمسيء شراً وطغياناً .

١٧٩ - ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيُزِيلَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ إندس في صفوف المسلمين منافقون لمجرد الهدم والتخريب ، وقد فرض سبحانه على النبي والمسلمين أن يعاملوا كل من نطق بكلمة الإسلام معاملة المسلمين ، ومن أجل هذا حار رسول الله (ص) في أمر المناقين ، وضاق بهم ذرعاً ، كيف يرفضهم وهم يقولون : لا إله إلا الله محمد رسول الله ؟ وكيف يقبلهم وهم يفسدون ويعاكسون ؟ فقال سبحانه للنبي والمسلمين : مهلاً سأسلط عليهم الأضواء حتى يفضحوا أمام الناس ، ولا يبقى لهم مغذ للكيد والإفساد ، وإلى هذا أشار سبحانه بقوله : «حتى يميز الخبيث من الطيب» ﴿وما كان الله ليطلعكم على الغيب﴾ أي ليس من الحكمة أن يخبركم مباشرة أبها المسلمون عما في قلوب المناقين ، بل أنتم تكشفون ذلك مع الأيام ﴿ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء﴾ ويطعله على ما أراد من غيبه . ﴿فَأَمَّا بِلِلَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ واتقوا المعاصي والموبقات ، ولا يضركم من ضل إن اهتديتم .

رِضْوَانُ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يَخُوفُ أَوْلِيَائِهِ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَصُرُوا إِلَى شَيْءٍ بِرِيدِ اللَّهِ إِلَّا لِيَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنْ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَصُرُوا إِلَى شَيْءٍ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرًا لَأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُزِيلَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَفَاعِلُوا لِلَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾

١٨٠ - ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ لو كان البخل خيراً لكان الجود شراً، والمقصود بهذه الآية خصوص الذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم بدليل قوله تعالى بلا فاصل : ﴿ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨١﴾ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلَ دُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨٢﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَالِمٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٨٣﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بَقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٤﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ جَاءَ وَبِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٥﴾

١٨١ - ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ نطق اليهود بهذا القول إما اعتقاداً ، وإما عناداً ، وأيهما كان فهو كفر صراح ﴿ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا ﴾ أى نعاقيهم عليه ﴿ وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ أبداً لا فرق بين قول اليهود : الله فقير وقتلهم الأنبياء ، وليس هذا بأول ما ارتكبهوا لا يدي بالذكر ، لأنها الأداة الطيبة لأكثر الأعمال .

١٨٣ - ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بَقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ﴾ اليهود الذين قتلوا الأنبياء ، وقالوا إن الله فقير ونحن الأغنياء هم بالذات قالوا للمحمد (ص) : قد أمرنا الله أن لا نصدق مدعى النبوة أياً كان إلا إذا ظهرت على يده هذه المعجزة ، وهي أن تلتهم صدقاتنا نار تنزل من السماء ﴿ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ ﴾ إن أسلافكم اقترحوا على الأنبياء هذه المعجزة التي قد اقترحتموها عليّ . وأظهرها الله هي وغيرها من المعجزات على أيدي الأنبياء ومع ذلك قتلوهم ولم يؤمنوا بهم ، وشأنكم شأنهم في العتو والعناد .

١٨٤ - ﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ جَاءَ وَبِالْبَيِّنَاتِ ﴾ المعجزات الدالة على صدقهم ﴿ وَالزُّبُرِ ﴾ بضم الزاي جمع زبور ، وهو كل كتاب فيه حكمة ﴿ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ هو التوراة المنزلة على موسى والإنجيل المنزل على عيسى والغرض من هذه الآية مجرد التسلية وتأيي النبي الأطهر بمن سبقه من الأنبياء .

الإعراب :

﴿ يَحْسِبَنَّ ﴾ فعل مضارع ، والذين يبخلون فاعل . والمفعول الأول ليحسبن محذوف ، والتقدير البخل خيراً ، مثل من كذب كان شراً له ، أى كان الكذب شراً له . ﴿ وَخَيْرًا لَّهُمْ ﴾ مفعول ثان . ﴿ وَهُوَ ﴾ ضمير فصل لا محل له من الإعراب . ﴿ وَمَا ﴾ بخلوا ﴿ مَا ﴾ منصوبة بنزع الخافض ، أي سيطوقون بما بخلوا به طوقاً في أعناقهم . وقتلهم الأنبياء منصوب ، لأنه معطوف على ما قالوا ، أي وسكتب قتلهم الأنبياء .

١٨٥ - ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ نبياً كان أم شقيماً صاحبها ﴿ وإنما نوفون أجوركم يوم القيامة ﴾ لا في الحياة الدنيا ، لأن اليوم عمل ولا حساب ، وغداً حساب ولا عمل ﴿ فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ﴾ بل من فاز بالنجاة من النار وكفى فهو من الفائزين على منطلق من حدد اللذة بدرجة الألم والسعادة بعلم الشقاء .

١٨٦ - ﴿ لتبلون في أموالكم وأنفسكم ﴾ هذا الخطاب لكل محق ومن يثبت الحق ويناصره ، وأن عليه أن يدفع عن الحق من نفسه وماله وعرضه حيث لا هوادة بين أهل الحق وأهل الباطل ، ومن الذي يعلم منك بأنك تعلم بما هو عليه من الجهل أو الكذب أو الرياء وما إلى ذلك من الرذائل ثم لا يشن عليك حرباً شعواء لا شيء إلا لأنك تعرف من هو وكفى .

﴿ ولتسمعن ﴾ أيها المسلمون المحقون في دينكم ﴿ من الذين أوتوا الكتاب ﴾ المبطلين في دينهم ﴿ من قبلكم ﴾ إشارة إلى أن التوراة والإنجيل أسبق نزولاً من القرآن ﴿ ومن الذين أشركوا أذى كثيراً ﴾ وذنبيكم الوحيد هو ذنب المحق عند المبطل والأمين عند الخائن ﴿ وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور ﴾ أصبروا على مرارة الحق وقبله ، فإن ذلك من دلائل الشجاعة والبطولة .

١٨٧ - ﴿ وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ﴾ هذه الهاء تعود إلى الكتاب ، والمراد به كل كتاب منزل من عند الله ، بل لا يبعد أن يكون كتابة عن الحق والمعنى : على كل من علم الحق أن يعلنه على الناس وإلا فهو شيطان آخرس كما قال الرسول الأعظم (ص) .

﴿ فننبؤهم وراء ظهورهم ﴾ واو الجماعة في « ننبؤهم » لعلماء السوء والهاء لميثاق الله وعهده أن يعلنوا الحق ولا يكتمونه ﴿ واشتروا به ثمناً قليلاً ﴾ كتموا الحق بعد أن باعوا دينهم للشيطان ، وقبضوا أبخس الأثمان .

١٨٨ - ١٨٩ - ﴿ لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحملوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ﴾ المفازة اسم لمكان الفوز والنجاة ، وقوله تعالى « فلا تحسبنهم » بعد قوله « لا تحسبن » لمجرد التوكيد وعدم الالتباس مع طول الكلام ، والمعنى الظاهر من هذه الآية يعم ويشمل كل مراء ومناق وكل من يدعي ما ليس فيه ، وطلب أمراً ما هو من أهله ومعدنه .

الإعراب :

﴿ لتبلون ولتسمعن ﴾ اللام للقسم ، والنون مؤكدة . ﴿ وأذى ﴾ مفعول لتسمعن .

﴿ إذ ﴾ ظرف متعلق بمحذوف ، أي أذكر إذ أخذ الله . واللام في لتبينه للقسم ، لأن « أخذ الميثاق » قائم مقام القسم . والهاء تعود إلى الكتاب . وكذلك هاء لا تكتمونه . و﴿ لا ﴾ في « لا تكتمونه » للنفي وليست ظني .

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ
فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾
* لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا
وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾
وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ
لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا
بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَنَسُوا مَا بَيَّنَّوْنَا ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ
يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا
تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾
وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

١٩٠- ﴿إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ...﴾ ﴿تَقْدِمُ فِي آيَةِ ١٦٤ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَيَتَلَخَّصُ الْمَعْنَى بِأَنَّهُ لَا بِنَاءَ مِنْ غَيْرِ بَأَنٍ .

١٩١- ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ ليس المراد بالذكر مجرد التسبيح والتهليل بل الانقياد للحق لا للباطل ، ولا بالقيام والقعود مجرد الركوع والسجود بل العمل الصالح ، أما المراد بـ «على جنوبهم» فهو أن المؤمنين المخلصين حقاً حين يستلقون في الفراش ، يفكرون في فعل ما هو الأفضل عند الله والأنتفع لخدمة عباده وعياله ﴿وَيُشْكِرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وما فيها من صنع منظم وتدير محكم ، ويقولون قول العاقل العالم بمعجزة الوجود : ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾ ذلك ظن الذين كفروا بالله وقدرته وبالإيمان وقيمه وبالعقل وأحكامه .

١٩٢- ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخُلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾ ونحن نستجير بك ونفر إليك من هذا العذاب والمخزي .

١٩٣- ١٩٤- ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾ بالحق والعدل والمساواة بين الخلق ﴿أَنْ آمَنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾ وهذا هو شأن من طلب الحق لوجه الحق ، يفتح قلبه لدعوته أياً كان الهادي والمنادي ﴿رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا﴾ سألوا الله سبحانه العفو والمغفرة ، والتكفير عن السيئات والرضا عنهم عند الوفاة ، ومرضاة الله سبحانه عند الموت هي الأمانة الكبرى للأبرار والأخيار .

قَدِيرٌ ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخُلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمَنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلٌ عَمِلْتُمْ مِنْكُمْ مِنْ ذِكْرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا

١٩٥- ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ ولماذا استجاب؟

وبإليك الجواب : ﴿أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلٌ عَمِلْتُمْ مِنْكُمْ مِنْ ذِكْرٍ أَوْ أُنْثَىٰ﴾ فالعبرة عند الله بالأعمال لا بالمال والرجال ، وبالإخلاص لا بهتاف الناس ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ الذكر ابن الأنثى ، والأنثى بنت الذكر ، والتماثل في المصدر يستدعي التماثل في الحكم والأثر ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ بيتك حجره عظمك ، ووطنه لحمك ، وماؤه دمك ، وفيه نفسك وطعامك وشرباك وزوجك وبنائك، تطرد منه على غفلة ، وتصيح في الفضاء أنت والنساء والأبناء ... ربي كما خلقتني ! فهل من ظلم أفحش وعدوان أظلم من هذا ؟ .

الإعراب :

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ﴾ بدل من أولي الألباب . وقِيَامًا وقُعُودًا حال . ﴿وعلى جنوبهم﴾ في محل نصب على الحال أيضاً ، أي ومضطجعين . و﴿باطلاً﴾ حال من هذا ، ويجوز أن يكون صفة لمفعول مطلق محذوف ، أي ما خلقت هذا خلفاً باطلاً . وإن آمنوا ﴿إن﴾ بمعنى أي مفسرة لما قبلها ، مثل كتبت إليه أن افعل كذا ، أي افعل كذا . ونحس الإشارة إلى أنه جاء في القرآن الكريم ﴿آتينا﴾ بالنون التثنية ، كما في الآية ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا﴾ . وجاء فيه أيضاً ﴿إِنَّا﴾ بحذف إحدى النونين من أن ، مثل قوله تعالى : ﴿وَأَنَا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ١٠٤ الأنبياء . وعليه يصح أن نقول ونكتب : أَنَا وَأَنَا .

﴿ وَأَوْفُوا فِي سَبِيلِ ﴾ بأشد أنواع التكليف ﴿ وَقَاتِلُوا ﴾ لا شيء إلا دفاعاً عن الحق والنفس ﴿ لَا تُكْفِرُوا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾ أبدأ لا أمن وأمان من عذاب الله ، ولا حظ لأحد من ثوابه إلا لمن جاهد وضحي ، وصبر واتقى ، وثبت على الحق حتى ولو قطع عضواً عضواً ، أولئك لهم عند الله المقام الأسنى والدرجات العلى .

١٩٦- ﴿ لَا يَغْرَنَكْ ثَقَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴾ أي تحكموا بأهلها ، ونهبوا الأقوات والأرزاق .

١٩٧- ﴿ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ﴾ أي ذلك التحكم والظلم يتعلمه الطغاة قليلاً ، ثم يلفظونه جملة ﴿ ثُمَّ مَا وَاهِمُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ ومعنى الآية مجموعها : قد يظن الظان أن الدنيا « للأقدر الأقدَر » الذي يملك السلاح الأكثر فتكاً وتدميراً ؟! كلا ، فإن وراء قوى الشر قوة عليا تراقب وتحاسب لا تغفل ولا تغلب ، وتدمر كل باغية وطاغية .

١٩٨- ﴿ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ ومن يعاقب المجرمين يثيب المقربين ، ما في ذلك ريب ﴿ تَزَلَّجَ ﴾ حال من جنات ، لأن النزول والنزول ما يهيا للنزول من طعام وشراب وما أشبه .

١٩٩- ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ ﴾ القرآن ﴿ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ ﴾ توراة موسى وإنجيل عيسى ﴿ خَاشِعِينَ لِلَّهِ ﴾ وللمحق فهو ضاللتهم وبغيتهم أينما وجدوه اعتقوه ﴿ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ لا يحرفون الحق أو يخفونه طمعاً بالحطام الزائل .

٢٠٠- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا ﴾ على جهاد العدو وقته ﴿ وَصَابِرُوا ﴾ اغلبوا العدو في تحمل الشدائد ﴿ وَرَابِطُوا ﴾ وأعدوا له ما استطعتم من قوة ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ اتقوا الله في المحافظة على الجهاد ، فلا فلاح بل لا وجود لكم إلا به ، فهو طريق الحياة وباب الحرية والكرامة .

الإعراب :

﴿ مَتَاعٌ ﴾ خبر مبتدا محذوف ، أي ذلك التمتع . متاع قليل ، ﴿ وَخَالِدِينَ ﴾ حال من الضمير في لهم ، ونزلاً حال من جنات ، أو مفعول مطلق ، أي انزلوها نزلاً .

﴿ مَتَاعٌ ﴾ خبر مبتدا محذوف ، أي ذلك الثقل متاع قليل ، ﴿ وَخَالِدِينَ ﴾ حال من الضمير في لهم ، ونزلاً حال من جنات ، أو مفعول مطلق ، أي انزلوها نزلاً ، ﴿ خَاشِعِينَ ﴾ حال من الضمير في يؤمن ، لأنه يعود الى من ، وهي بمعنى الجمع . جملة لا يشترون حال أيضاً . ﴿ وَعِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ حال من الضمير في لهم ، ويجوز أن تتعلق عند بأجرهم .

فِي سَبِيلِ وَقَاتِلُوا وَقَاتِلُوا لَأَكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دُخْلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مَنْ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٦﴾ لَا يَغْرَنَكَ ثَقَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٧﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا وَاهِمُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٨﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نَزَلًا مَنْ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٩﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠١﴾

(٤) سُورَةُ النِّسَاءِ مَكْنِيَّةٌ وَأَيُّهَا السِّبْغُ وَسَجُونٌ وَمَانِزٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ
وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً
وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۖ وَءَاتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا
الْخَيْثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ
إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ۖ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي
الْيَتَامَىٰ فَانكِسُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِمَّا مَلَكَتْ
وَأَنْتُمْ وَرَبُّعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ أَوْ مَا مَلَكَتْ

سُورَةُ النِّسَاءِ مَكْنِيَّةٌ وَهِيَ الْمَكْنِيَّةُ الَّتِي لَا تُنَادَىٰ بِهَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ﴾ الخطاب للجميع
كما هو المفهوم من كلمة الناس ، وأيضاً الأمر بالقوى لا
يختص بفئة دون فئة ﴿ الذي خلقكم من نفس واحدة ﴾
أي لا أحد منكم أيها الناس ابن السماء والإله والآخر ابن
الأرض والإنسان ، بل كلكم من آدم وآدم من تراب ﴿ وخلق
منها زوجها ﴾ حواء أي من جنسها هو إنسان وهي أيضاً
إنسان لا حيوان تماماً كما في الآية ٢٠ من الروم : « أن خلق
لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة
وعليه قصة خلق حواء من ضلع آدم خرافة ﴾ وبث منها
رجالاً كثيراً ونساء ﴾ كثيراً حذف الوصف من الثاني للدلالة
الأول عليه ، ويقال : أن سكان الأرض يبلغون أربعة آلاف مليون
نحن في سنة ١٩٧٨ م ﴿ واتقوا الله الذي تساءلون به ﴾ إشارة
إلى ما يقوله بعضنا لبعض : سألتك بالله أن تفعل ... أو
ترك ... والأرحام ﴾ عطف على كلمة الجلالة ،
وأيضاً نقول : سألتك بالرحم والقرابة .

٢- ﴿ وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ ﴾ الخطاب للقائمين
على رعاية الأيتام ، والمعنى اتفقوا عليهم من أموالهم حال
الصغر ، وسلموهم إياها عند البلوغ والرشد ﴿ ولا تبدلوا
الخير بالطيب ﴾ أي لا تستبدلوا الخير من أموالكم

بالطيب من أموال اليتامى ، قيل : كان بعض الأوصياء يبدل شاته الهزيلة بشاة اليتيم السمينة ﴿ ولا تأكلوا أموالهم إلى
أموالكم ﴾ في كتاب المعنى أن « إلى » تأتي بمعنى مع ، وعليه يكون المعنى لا تأكلوا أموال اليتامى كما تأكلون أموالكم ،
كيف ؟ وهذه حلال وتلك حرام ﴿ إنه كان حوباً ﴾ ذنباً ﴿ كبيراً ﴾ جناية لا جناحة .

٣- ﴿ وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى ﴾ أي في نكاح اليتيمات ، فحذف لفظ نكاح هنا لدلالة « فانكحوا »
عليه ، وخلاصة المعنى أنه تعالى في الآية السابقة خاطب الأوصياء بشأن أموال اليتامى ، أما في هذه الآية فقد خاطبهم
بشأن الزواج من اليتيمات حيث كان الأوصياء وغيرهم يتقون الزواج منهن خوفاً من التقصير بحقهن ، فقال سبحانه
لهم : إن خفتم عدم العدل لو تزوجتم بهن فاتركوهن وشأنهن ، وتزوجوا من غيرهن أربعاً إن شئتم ، وأيضاً على أساس العدل ،
وإلى هذا أشار سبحانه بقوله ﴿ فانكحوا ﴾ أي دعوا اليتيمات يخترن الأزواج لأنفسهن بعد البلوغ والرشد ، وتزوجوا
أنتم من غيرهن ﴿ ما طاب لكم من النساء ﴾ دون اليتيمات ﴿ مثني وثلاث ورباع ﴾ وهذه الكلمات حال من « ما طاب »
أو من النساء ، ويموز على بدل البعض من النساء ، وهي غير منصرفة للوصف والعدل من ثنتين ثنتين ، وثلاث ثلاث ،
وأربع أربع .

٨- ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ ﴾ الخطاب للوارثين ، ومن في « منه » للتبعية ، والهاء للمقسوم ، والمراد بأولي القربى قرابة الميت من لا يرث ، والأمر هنا للندب لا للوجوب .

٩- ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضَعِيفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ إن الذين يأكلون أموال اليتيم ظلمًا إنما يأكلون في بطونهم نارًا وَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿ يُوَصِّحُكَ اللَّهُ فِي أَوْلَدِكَ ﴾ للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساءً فوق اثنتين فلهن ثلث ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد . فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين . وأبواؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً فریضة من الله إن الله

١٠- ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ﴾ وفي حكمهم الأراذل والمساكين ﴿ ظلمًا إنما يأكلون في بطونهم نارًا ﴾ وكل من لعق الحرام ماله إلى السعير والتدمير .

١١- ﴿ يُوَصِّحُكُمْ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾ يوجب ويفرض في شأن ميراث أولادكم ﴿ للذكر مثل حظ الأنثيين ﴾ لا لفضله عليها كما صرح أكثر المفسرين ، بل لأن مسؤوليته المالية عليه أشق وأوسع كما هو معروف ﴿ فإن كن نون النسوة اسم كان أي كانت المولودات ﴾ نساء ﴿ بالكمال لا ذكر معهن ﴾ فوق اثنتين ﴿ الظاهر يدل على ما زاد على اثنتين ، ولكن إجماع الأمة صرف هذا الظاهر إلى اثنتين فما فوقهما ﴾ فلهن ثلث ما ترك ﴿ بالفرض ﴾ وإن كانت واحدة فلها النصف ﴿ أيضاً بالفرض .

﴿ ولأبويه ﴾ الأب والأم ﴿ لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد ﴾ ذكرًا أو أنثى ، واحداً أو أكثر

﴿ فإن لم يكن له ولد وورثه أبوه ﴾ ولا ولد وانحصر ميراثه بأبيه ﴿ فلأمه الثلث ﴾ إن لم يكن للميت إخوة يحجبونها عما زاد عن السدس ﴿ فإن كان له ﴾ أي للميت ﴿ أخوة فلأمه السدس ﴾ والباقي بعد سهم الأم في الحالين للأب ﴿ من بعد وصية يوصي بها أو دين ﴾ وقدمت الوصية على الدين لفظاً لا حكماً ، لأنه مقدم عليها في الشريعة حيث أوجبت الابتداء بتجهيز الميت أولاً من تركته وثانياً وفاء الديون المالية ، وثالثاً تنفيذ الوصية من الثلث ، وأخيراً الميراث ، والتفصيل في كتب الفقه ﴿ أبائكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً فریضة من الله ﴾ هذه جملة معترضة تشير إلى أن أسرار الوارثين وسهامها لا تدرکها عقولنا ، ولكن لا تأباها وترفضها من حيث الإمكان والجواز ، ولا شيء أدل على ذلك من اختلاف الآراء في أصل الإرث وفي السهام كما وكيفاً بين جميع الأديان والمذاهب والأحزاب والمشارب حتى بين المسلمين في العديد من مسائل الإرث .

الإعراء :

﴿ للرجال ﴾ متعلق بمحذوف خبر ، ونصيب مبتدأ ، أي حاصل للرجال نصيب ، وما ترك متعلق بنصيب . وما قل أو كثر يدل بما ترك بإعادة العامل . ﴿ ونصيباً ﴾ حال من الضمير في قل أو كثر . والضمير في منه يعود إلى المال المتروك ، ومفعول ينجش محذوف ، أي وليخش الله . ﴿ وظلماً ﴾ مصدر وضع موضع الحال ، أي ظلمين ، وصاحب الحال الواو يأكلون .

١٢ - ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرِّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يوصِينَ بِهَا أَوْ دِينَ ﴾ اتفق المسلمون على أن الزوج والزوجة يشاركان جميع الورثة . ولا يحجبهما أحد . وللزوج النصف من تركة الزوجة إن لم يكن لها ولد منه أو من غيره ، والرَّبع إن كان لها ولد ﴿ وَلَهُنَّ الرِّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يوصُونَ بِهَا أَوْ دِينٍ ﴾ المزوجة الربع من تركة زوجها إن لم يكن له ولد منها أو من غيرها ، والثلث إن كان له ولد كذلك ، وولد الولد كالولد عند الإمامية ذكراً كان أم أنثى ، فبنت البنت تماماً كالابن تحجب أحد الزوجين من نصيبه الأعلى إلى الأدنى ، وإذا تعددت الزوجات فهن شريكات في الربع أو الثمن ﴿ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ أَهْلٌ مِمَّنْ دُونِ أَبِيهِ أَوْ بَنَاتٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يوصُونَ بِهَا أَوْ دِينٍ ﴾ وإن كان رجلٌ يورثُ يورثُ كلَّ واحدٍ منهما السدسُ فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصي بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليمٌ حكيم ﴿ ١٣ ﴾

﴿ أَوْ امْرَأَةٌ ﴾ عطف على الرجل المورث منه ﴿ وَلَهُ ﴾ أي للمورث منه رجلاً كان أو امرأة ، وأعواد الضمير على الرجل فقط ، لأنها في حكمه . ﴿ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ ﴾ من الأم فقط بالإجماع ﴿ فَلَكَ لِوَأَخِي مِنْهُمَا مِثْلُ حَظِّي ﴾ منفرداً السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث وبالجمله اتفقت المذاهب الإسلامية على أن للأخ الواحد أو الأخت الواحدة من الأم فقط - السدس بالقرض ، وأن للأكثر الثلث ذكوراً كانوا أو إناثاً أو هما معاً ، ويقسمون فيما بينهم بالسوية للذكر مثل الأنثى .

١٣ - ﴿ تِلْكَ ﴾ إشارة إلى الأحكام المذكورة في اليتامى والموارث ﴿ حُدُودُ اللَّهِ ﴾ فلا تعتدوها ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ يَجْعَلْ لَهُ اللَّهُ مَخْرَجًا مِمَّا يُكْرِهُ وَيَضَعُ عَنْهُ الثَّغِيرَ ﴾ فهو في ملك دائم ونعيم قائم .

١٤ - ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا مِمَّا يُكْرِهُ وَيَضَعُ عَنْهُ الثَّغِيرَ ﴾ فهو في كرب عظيم وعذاب مهين .

الإعراب :

﴿ لِلذَّكَرِ ﴾ متعلق بمحذوف خبر ، ﴿ وَمِثْلُ ﴾ مبتدأ ، والجملة تفسير ﴿ لِيُوصِيَكُمْ اللَّهُ ﴾ أي يقول لكم الله : للذكر مثل حظ الأنثيين . والضمير في ﴿ تَنْكِحْنَ ﴾ يعود على أولادكم . وفوق صفة نساء ، بمعنى زائدات على اثنتين ؛ ولكن المراد بها هنا اثنتان فما فوق الاتفاق . ﴿ وَأُولَئِيهِنَّ ﴾ متعلق بمحذوف خبر . ولكل واحد منها بدل من أبويه مع تكرار العامل . والسدس مبتدأ . ومن بعد وصية متعلق بمحذوف خبر مبتدأ محذوف ، أي هذه الأسهم كائنة من بعد وصية . ﴿ وَأُولَئِيهِنَّ ﴾ هنا للإباحة ، مثل جالس الحسن أو ابن سيرين ، أي جالس أبيها شئت منفرداً أو متضماً ، ولا يجب تقديم المعطوف عليه باو ، وتأخير المعطوف من حيث الفعل ، بل يجوز العكس كما يجوز الجمع بينهما .

يُدْخِلُهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٥﴾ وَالَّذِي يَأْتِيَنَّ
الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ
فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَقَّعَهُنَّ
الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٦﴾ وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ
فَعَاذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ
كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿١٧﴾ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ
السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ
عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٨﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ
لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ
قَالَ إِنِّي تَبْتُ آلَتُنَّ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ
أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٩﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَنْدَحِبُوا

١٥ - ﴿ وَالَّذِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ ﴾ المراد بالفاحشة هنا الزنا ، ولا يثبت إلا بإقرار فاعله على نفسه أربع مرات سواء أكان رجلاً أم امرأة ، أو بشهادة أربعة عدول من رجال المسلمين ﴿ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَقَّعَهُنَّ الْمَوْتُ ﴾ إذا ثبت الزنا على المرأة حبست في بيتها حتى الموت عقوبة على جرميتها ، وكان ذلك في أول الإسلام ، ثم نسخ بقوله تعالى : « الزانية والزاني فاجلدوا . . . » ﴿ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾ هو النكاح الشرعي الذي يستغني به عن السفاح .

١٦ - ﴿ وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ فَأَعِزُّهُمَا ﴾ قال المفسرون بما فيهم الشيخ الطبرسي : المراد بالمتى الزاني والزانية ، ويلاحظ أن الزاني والزانية تقدم حكمهما ، ولا موجب للتكرار ، وغير بعيد أن يكون المراد الذكرين : الفاعل والمفعول ﴿ فَإِنْ تَابَا ﴾ من الفاحشة ﴿ وَأَصْلَحَا ﴾ سارا على طريق الصالحين ﴿ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا ﴾ لأن من تاب من الذنب كمن لا ذنب له .

١٧ - ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ ﴾ أي أنه تعالى أوجب قبولها على نفسه بمقتضى وعده تماماً كقوله : كتب على نفسه الرحمة ﴿ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ ﴾ السوء : العمل القبيح ، والجهالة : السفاهة ، والتوبة من قريب : المبادرة إليها قبل ذهاب الفرصة بحلول الأجل كما أشار سبحانه بقوله :

١٨ - ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى

إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ﴾ التوبة تنفع ، والعمل يُرفع ، ولكن طوعاً لا كرهاً حيث يساق المجرم إلى الموت ، وجاء في الأشعار « وجدت بوصل حيث لا ينفع الوصل » . ﴿ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ ويتوبون يوم القيامة حيث يرون النار « قال رب ارجعون لعلني أعمل صالحاً » .

١٩ - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا ﴾ لا تعاملوا المرأة معاملة المتاع والحيوان بأخذها على سبيل الميراث كما كان عليه الجاهلية ، فقد كانوا يحسبون زوجة الميت من جملة ما ترك تماماً كالبقرة والشجرة .

الإعراب :

﴿اللاتي﴾ مبتدأ ، وخبره جملة فاستشهدوا ، وجاز دخول الفاء على الخبر ، لأن اسم الموصول يجري مجرى الشرط . ﴿ويتوفاهن﴾ فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة .

﴿انما التوبة﴾ : الأصل انما قبول التوبة ، لأن على الانسان التوبة ، وعلى الله القبول ، ثم حذف وأقيم المضاف اليه مقامه ، ﴿وهو﴾ مبتدأ وما بعده خبر . ﴿وبجهالة﴾ في موضع الحال ، أي جاهلين . ﴿ولا الذين يموتون﴾ في محل جر عطفاً على قوله : للذين يعملون السوء .

﴿ وَلَا تَعْلَوْهُمْ ﴾ لا تضيّقوا عليهم وتسيّئوا معاملتهم
﴿ لَبِثُوا بَعْضُ مَا آتَيْتُمُوهُمْ ﴾ لا يحل للزوج أن يسيء
إلى زوجته لتفتدي نفسها منه بصدّاقها كلّاً أو بعضاً ﴿ الْإِذَا ﴾
أن يأتين بفاحشة مبيّنة ﴿ والتبادر من الفاحشة هنا : الزنا ،
والمراد بالمبيّنة الثابتة عند الزوج بينه وبين الله لا عند القاضي
وعاشرهم بالمعروف ﴾ عرفاً ، لا بالمعروف عند الزوج
وأمه ، بل عند العقلاء المنصفين بحيث لا يروونه مسيئاً إليها في
شيء ﴿ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُمْ فَسِئَاسٌ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ
فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ إذا كره القلب عمي عن الصواب ،
بخاصة عن الموازنة بين الضرر والأكثر ، فقد يطلق الرجل
زوجته لبعض صفاتها ، ويتزوج بأخرى ، فإذا هي أسوأ
حالاً وأقبح أعمالاً ، فيندم حيث لا ينفع الندم .

٢٠- ﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ ﴾ إن
كان ولا بد من الطلاق والفرق ﴿ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا ﴾
مجرد مثال للكثرة ﴿ فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ﴾ إلا عن طيب
نفس حتى ولو عزمتم على ترك الزواج إطلاقاً ، وإنما ذكر
سبحانه « الاستبدال » تزيلاً على الأغلب .

﴿ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ بَهْتَانًا ﴾ تنسبون إليها ما هي بريئة منه
لتفتدي نفسها منكم ﴿ وَالْعَمَّا مِثْنًا ﴾ ظلماً واضحاً .

٢١- ﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ ﴾
قال الشيخ محمد عبده في معنى هذا الإفضاء : « هو إشارة
إلى أن وجود كل من الزوجين جزء متمم لوجود الآخر »
﴿ وَأَخْلَدْنَكُمْ مِثْلَ غَلِيظَةٍ ﴾ وهو الاتصال الوثيق بين

الزوجين ووجوب العمل بمقتضاه من الإمساك بمعروف أو الشريح بإحسان .

٢٢- ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ كان بعض العرب يتزوج امرأة أبيه بعد موته إذا
لم تكن أمّاً له ، فهي سبحانه عن ذلك ، وغدا عما مضى ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً ﴾ ذنباً كبيراً ﴿ وَمَقْتًا ﴾ مكروهاً عند
العقلاء ﴿ وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ وايضاً هو طريق الأزدال والأنذال . وافقت المذاهب الإسلامية على تحريم الزواج مؤبداً بزواجات
الآباء والأجداد للأب والأم بمجرد العقد حتى مع عدم الدخول ، وبالأولى الأمهات المنصوص عليها بقوله تعالى :

٢٣- ﴿ حُرْمَتُ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ ثم أشار جل وعز إلى باقي المحرمات من النساء ، وهي : ﴿ وَبَنَاتُكُمْ ﴾ وإن
نزلن ﴿ وَأَخَوَاتُكُمْ ﴾ سواء أكنّ للأبوين أم لأحدهما ﴿ وَعَمَّاتُكُمْ ﴾ وتشمل عمت الآباء والأمهات وإن علون
﴿ وَخَالَاتُكُمْ ﴾ تماماً كالعلمات ﴿ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ ﴾ وكل من تناسل منهما ﴿ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي
أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ ﴾ اتفق المسلمون قولاً واحداً على العمل بحديث « يحرم من الرضاع ما يحرم من
النسب » وعليه فكل امرأة حرمت مثلها بسبب الرضاع أمّا كانت أو أختاً أو بنتاً أو عمة أو خالة أو
بنت أخ أو بنت أخت ﴿ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ ﴾ تحرم أم الزوجة وإن علت بمجرد العقد على البنت ، وإن لم يحصل
الدخول .

بَعْضُ مَا آتَيْتُمُوهُمْ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مَبِينَةٍ
وَعَاشِرُوهُمْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُمْ فَفَسِّسْ أَنْ
تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿ ٢٠ ﴾ وَإِنْ أَرَدْتُمْ
اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا
فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَبَهْتَانًا وَإِنَّمَا مِثْنًا ﴿ ٢١ ﴾
وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخْلَدْنَ
مِنْكُمْ مِثْلَ غَلِيظَةٍ ﴿ ٢٢ ﴾ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ
مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ
سَبِيلًا ﴿ ٢٣ ﴾ حُرْمَتُ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ
وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ
وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ
وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَتُكُمْ اللَّاتِي فِي جُحُورِكُمْ مِنْ

نَسَائِكُ الَّتِي دَخَلْتُمْ فِيهَا لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ فِيهَا
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ
وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ
كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٣﴾ * وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ
إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَإِحْلَ لَكُمْ
مَآوَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفَحِينَ
فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً
وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيهَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ
طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْنِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِعْمَالِكُمْ
بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَإِنْ كُنَّ حُورًا بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ

﴿ وبنائكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي
دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم ﴾
لا تحرم بنت الزوجة بمجرد عقد الزواج على أمها ، بل للعقد
أن يطلق الأم قبل أن يدخل بها ، ثم يعقد على ابنتها ، وقوله
تعالى في حجوركم ليس قيداً للحكم ، بل تنزيلاً على الغالب ،
لأن بنت الزوجة تحرم وإن لم تكن في حجر زوج الأم ﴿ وحلائل
أبنائكم ﴾ زوجاتهم ﴿ الذين من أصلابكم ﴾ تحرم
زوجة الابن وإن نزل ، على أبيه وإن علا بمجرد العقد ، وقوله
تعالى « من أصلابكم » ليخرج ولد النبي لأنه أجنبي ، أما
ولد الرضاة فحكمه وحكم الولد من النسب ﴿ وأن تجمعوا
بين الأخنتين إلا ما قد سلف ﴾ في الجاهلية ، ونسخ في
الإسلام ، فإن بنت الأخت من الزوج بطلاق أو فارقها بموت ،
ساغ الزواج بأختها .

٢٤- ﴿ والمحصنات من النساء ﴾ المتزوجات تحرم
على غير أزواجهن بضرورة الطبيعة البشرية فضلاً عن الضرورة
الدينية .

﴿ إلا ما ملكت أيمانكم ﴾ يحرم نكاح المرأة المشتركة
، المتزوجة تماماً كالمرأة المتزوجة المسلمة ، أجل إذا وقعت الحرب
بشرطها المذكورة في كتب الفقه بين المشركين والمسلمين ،
وأسر المسلم أو غنم امرأة مشركة متزوجة من مشرك ، أسرها
دون زوجها تقع الفرقة بينها وبين زوجها باجماع المذاهب
تماماً كالملققة ، فإذا أراد الذي حازها أن ينكحها ساغ له ذلك
بعد أن تضع حملها إن تلك حاملاً أو بعد أن تحيض مرة واحدة
أو بعد ٤٥ يوماً إن تلك حائلاً .

وكان هذا يوم كان للمسلمين قوة تردع عنهم أخطار القتل والسبي والتشريد ﴿ كتاب الله عليكم ﴾ أي هذه
المحرمات كتبها الله وفرضها عليكم ﴿ وأحل لكم ما وراء ذلكم ﴾ هذي هي المحرمات من النساء عند الله ، وسواها
حلال طيب ﴿ أن تبتغوا بأموالكم ﴾ أي تطلبوا بأموالكم من تختارون من النساء بشرط أن تكونوا ﴿ محصنين ﴾
في حصن من الدين والعفة عن الحرام ﴿ غير مسافحين ﴾ غير زناة وبغاة .

﴿ فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ﴾ وتدع الكلام هنا للفخر الرازي ، فقد كتب حول هذه الآية
صفحات طويلاً ، نفتقت منها ما يتناسب مع هذا الموجز ، قال ما نصه بالحرف الواحد : « المراد بهذه الآية حكم المتعة .
واتفقوا على أنها كانت مباحة في ابتداء الإسلام . وعن ابن عباس ثلاث روايات في ذلك . أما عمران بن حصين فإنه
قال : نزلت آية المتعة في كتاب الله تعالى ، ولم ينزل بعدها آية تنسخها ، وروى محمد بن جرير الطبري أن علي بن أبي
طالب قال : لولا أن عمر نهي الناس عن المتعة ما زنى إلا ﴿ ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة ﴾
إذا تم الزواج المؤقت بين الرجل والمرأة ، وانقضى الوقت أو أوشك ، ثم بدا لهما أن يزيدا في الوقت والاجرة - فلا بأس
في ذلك .

٢٥- ﴿ ومن لم يستطع منكم طولا ﴾ السعة في المال ﴿ أن ينكح المحصنات ﴾ الحرائر المؤمنات فمن ما ملكت

أَجُورُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَفَحَاتٍ وَلَا
مُتَّخَذَاتٍ أَخْدَانٍ فَلِذَا أَحْصَنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَحِشَةٍ
فَعَلَيْنَّ نِصْفَ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ
لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ
الَّذِينَ فِي قُلُوبِكُمْ وَيَتَّبِعَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾
وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ
أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ
وَحُلُقَ الْإِنْسَانِ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا
أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ
مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾
وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدُوًّا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا

أَيَّمَانِكُمْ مِنْ فَيَاتِكُمْ ۝ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَنْ مَا مَلَكَتْ
أَيَّمَانِكُمْ مِنْ فَيَاتِكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ ۝ وَمَعْنَى الْآيَةِ بِالْكَامِلِ :
مَنْ لَمْ يَجِدْ مِنَ الْمَالِ مَا يَمْكُنُهُ مِنَ الزَّوْاجِ بَحْرَةً مُؤْمِنَةً فَلَهُ أَنْ
يَتَزَوَّجَ أَمَةً مُؤْمِنَةً ۝ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَيَّمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ۝
لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَسْتَنْكِفَ عَنْ زَوْاجِ امْرَأَةٍ لَوْنَهَا وَعَنْصَرُهَا
فَالْجَمِيعُ مِنْ آدَمَ ، وَآدَمَ مِنْ تَرَابٍ ، أَمَّا الْأَكْرَمُ وَالْأَفْخَمُ فَهُوَ
بِعِلْمِ اللَّهِ لَا عِنْدَ النَّاسِ ۝ فَانْكُحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ ۝ لَا
يَسُوعُ نِكَاحَ الْإِمَاءِ إِلَّا بِإِذْنِ الْمَالِكِينَ لَهُنَّ ، وَلَا مَوْضُوعٌ لِهَذِهِ
الْآيَةِ فِي عَصْرِنَا حَيْثُ لَا إِسَاءَةَ وَلَا عَيْبَ ۝ وَأَتَوْهُنَّ
أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَفَحَاتٍ ۝ عَفِيفَاتٍ
غَيْرَ زَانِيَّاتٍ بِصُورَةِ عَلَنَةِ كَالْمُوسِمِ ۝ وَلَا مُتَّخَذَاتٍ
أَخْدَانٍ ۝ جَمْعُ خَدَنٍ وَهُوَ الْخَلِيلُ ، تَخَذَهُ الْفَاجِرَةُ لِلزَّانَا
سِرًّا لَا عَلَنًا كَالْمُوسِمِ الَّتِي لَا تَرُدُّ لَأَمْسًا .

﴿ فَلِذَا أَحْصَنَ ﴾ أَي تَزَوَّجَتْ الْإِمَاءَ ۝ فَإِنْ أَتَيْنَ
بِفَاحِشَةٍ ۝ الزَّانَا ۝ فَعَلَيْنَّ نِصْفَ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ ۝
أَي الْحَرَائِرِ غَيْرِ الْمَمْلُوكَاتِ ۝ مِنَ الْعَذَابِ ۝ وَهُوَ حَدُّ الزَّانَا
﴿ ذَلِكَ ﴾ إِشَارَةٌ إِلَى الزَّوْاجِ بِالْأَمَةِ ۝ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ
مِنْكُمْ ۝ أَي لِمَنْ يَخَافُ الزَّانَا عَلَى نَفْسِهِ لَا لِمَنْ يَمْلِكُ نَفْسَهُ
﴿ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ وَفِي شَتَّى الْأَحْوَالِ الْأَفْضَلُ
لِلْإِنْسَانِ وَالْأَكْمَلُ أَنْ يَكْبَحَ جَمَاحَ شَهْوَتِهِ الشَّيْطَانِيَّةِ سِوَاهُ
طَمَحَتْ إِلَى الْجِنْسِ أَمْ إِلَى غَيْرِهِ .

٢٦- ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ ﴾ شَرَعَ سُبْحَانَهُ هَذِهِ
الْأَحْكَامَ وَغَيْرَهَا لِكَيْ نَسْتَفِي بِالْحَلَالِ عَنِ الْحَرَامِ وَبِالْخَيْرِ
عَنِ الْإِتْمَامِ ۝ وَيَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ۝ وَهُمْ أَهْلُ
الصَّائِرَاتِ وَالْفَضَائِلِ ۝ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۝ أَي يَنْ سُبْحَانَهُ الْأَحْكَامَ لِعِبَادِهِ كَيْ يَطِيعُوا وَيَتُوبُوا .

٢٧- ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾ أَي تَوْبُوا وَأَطِيعُوا ، وَعَلَيْهِ يَكُونُ هَذَا التَّكَرُّارُ أَشْبَهَ بِقَوْلِكَ لَوْلَدِكَ :
اِشْتَرَيْتَ لَكَ هَذَا الْكِتَابَ لَتَقْرَأَهُ ، فَاقْرَأْهُ .

﴿ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ وَتَنْطَبِقُ هَذِهِ الْآيَةُ بِوُضُوحٍ عَلَى الْإِبَاحِيِّينَ الدَّاعِيَةِ إِلَى الْفَسْقِ
وَالْفُجُورِ ، وَالْكَشْفِ عَنِ السِّقَاقِ وَالصَّدُورِ ، وَإِلَى التَّحَرُّرِ مِنَ الدِّينِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ .

٢٨- ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ﴾ أَبَدًا ، مَا شَرَعَ اللَّهُ حَكْمًا وَاحِدًا فِيهِ إِرْهَاقٌ وَضَرَرٌ ، كَيْفَ ؟ وَدِينُهُ يَسَرُّ ،
وَحُكْمُهُ عَدْلٌ ، وَشَرِيعَتُهُ تَسَعُّعٌ لِلْإِنْسَانِيَّةِ كُلِّهَا ۝ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ۝ وَمِنْ أَجْلِ هَذَا تَتَفَقَّ شَرِيعَةُ اللَّهِ فِي سَهُولَتِهَا
وَسِمَاحَتِهَا مُوَافِقَةً تَامَةً مَعَ فِطْرَةِ الْإِنْسَانِ وَطَبِيعَتِهِ .

٢٩- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾ كَالرِّبَا وَالْقَمَارِ وَالظُّلْمِ وَالنَّشِ وَالسَّرَقَةِ ، وَتَقْدِمْ
فِي الْآيَةِ ١٨٨ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ۝ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ ۝ أَمْوَالُ التَّجَارَةِ وَأَرْبَاحُهَا حَلَالٌ شَرْعًا وَعَقْلًا
وَعَرَفًا عَامًّا كَالصَّنَاعَةِ وَالزَّرْعَةِ ، وَلَا تَسْتَقِيمُ الْحَيَاةُ إِلَّا بِهَا ، عَلَى أَنْ تَنْتَهِزَ عَنِ الرِّبَا وَالنَّشِ وَالْإِحْتِكَارِ وَالْأَضْرَارِ .
﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ لَا يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ، وَأَيْضًا لَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ .

٣٠- ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عِدْوَانًا وَظُلْمًا ﴾ وقد يُفرق بينهما في أن الظنم يكون لنفس وللغير ، ولعدوان لا يكون إلا على الآخرين ، وقد يكون القتل حقاً تقتل الحد والقصاص أما قتل الخطأ فلا يوجب إلا الدية .

٣١- ﴿ إِنْ تَجَنَّبُوا كِبَائِرَ مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾ وأكبر الكبائر الشرك والكفر بالله ، والظلم لعباده وعباده ، وخيانة الدين والوطن ، والزنا والربا ، والكذب والرياء . . . ﴿ نَكْفُرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ إن أقلمتم عن الكبائر لا يعاقبكم على صغائر الذنوب كالنظرة المجردة والجلوس في مجلس الغيبة - مثلاً - دون أن تغتابوا ، بل ﴿ وَنَدْخَلَكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ اسم مكان وهو الجنة .

٣٢- ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِعَظْمٍ ﴾ كل إنسان إذا رأى نعمة على غيره من دونه كالصحة والعلم والذكاء والجاه والمال - يتمنى أن يكون له مثلها ، ولا بأس في ذلك ، لأنه في الإنسان فطرة وطبيعة . . . اللهم إلا أن يكون لقضاء الله سخطاً ، ولصاحب النعمة حاسداً ، وعلى هذا يحمل النهي على التمني في الآية ، قال الرسول الأعظم (ص) وإذا حسدت فلا تبغ . . . المؤمن يغبط ، والمنافق يحسد .

﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾ إن الله سبحانه لا يضيع عمل عامل من ذكر أو أنثى ﴿ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ فإن خزائنه لا تنفد ، ونعمه لا تحصى .

٣٣- ﴿ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي ﴾ أي أن الله سبحانه

جعل لكل ميت وراثاً يرثون ﴿ ومما ترك ﴾ وهم الوالدان والأجداد والجدات والأقربون ﴿ وهم الأولاد والإخوة والأخوات والأعمام والعلمات والأخوال والخالات ﴾ والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم ﴿ كان الرجل يعاقد الرجل . . . فيقول له : دمي دمك وحربي حرك وسلمي سلمك ، وترثني وأرثك ، وتعقل عني وأعقل عنك : فيكون للحليف السدس من تركته حليفه ، فنسخ بقوله تعالى : « وأولوا الأرحام بعضهم أولى بعض - ٧٥ الأنفال » .

٣٤- ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾ المراد بالرجال هنا خصوص الأزواج لا كل الرجال ، وبالنساء خصوص الزوجات لا جميع النساء ، أما قوامون فالمراد قائمون يشؤونن وعليهن أيضاً ، ولكن لا قيام الراعي على الرعية والرئيس على المرووس كلا ، فقد حدد الفقهاء هذه السلطة بثلاثة أشياء : أن يطلقها متى شاء ، وأن تطيعه في الفراش ، وأن لا تخرج من بيته إلا بإذنه ، ولهن في عدا ذلك ، مثل الذي عليهن . ﴿ بما فضل الله بعضهم على بعض ﴾ ومهما قيل في المساواة بين المرأة والرجل فإنه أقوى منها على تحمل التبعات والمسؤوليات وإنكار ذلك إنكار للبداهات ﴿ وبما أنفقوا ﴾ فيه إيماء إلى أن الزوج إذا لم ينفق لم يكن قواماً عليها ، ولما والأمر كذلك ، أن تطلب الطلاق منه والإنفصال عنه ﴿ فالصالحات قانتات ﴾ مطيعات لله قائمات بما عليهن للأزواج ﴿ حافظات للغيب ﴾ أن يحفظن في غياب الرجل ما يجب حفظه من الفروج وعفتها والأموال وصيانتها ﴿ بما حفظ الله ﴾ من حقوقهن على الأزواج ﴿ واللاتي تخافون نشوزهن ﴾

وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١﴾ إِنْ تَجَنَّبُوا كِبَائِرَ مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ نَكْفُرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٢﴾ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣﴾ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانُكُمْ فَتَاوَهُمْ نَصِيبُهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٤﴾ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا

نشزت المرأة : امتنعت واستعصت على زوجها ﴿ ففظهون ﴾
 أولاً بالحسنى ﴿ واهجرهون ﴾ ثانياً ﴿ في المضاجع ﴾
 وفي هذا المجر نوع من الإذلال وعدم الاكتراث بها
 ﴿ واضربوهن ﴾ ثالثاً ضرباً خفيفاً لمجرد الردع ، إن نك
 المرأة شريرة مستشرية لا يكبح جماحها وحمقها إلا الضرب ،
 وفي شتى الحالات فإن الأمر هنا رخصة لا عزيمة ، واتفق
 الفقهاء أن ترك الضرب أولى .

﴿ فإن أطعكم ﴾ في القيام بما عليهن من حقوق
 الأزواج ﴿ فلا تبغوا عليهن سبيلاً ﴾ أبداً فلا عدوان إلا
 على الظالمين ، أبعد هذا يتشدد ويتحلق من في نفسه مرض ،
 ويقول : انظروا يا ناس كيف أباح الإسلام ضرب الزوجة
 مطلقاً بلا قيد أو شرط ؟ ﴿ إن الله كان علياً كبيراً ﴾ وعيد
 وتهديد لمن يقصر في حقوق المرأة .

٣٥- ﴿ وإن خفتم شقاق بينهما ﴾ إن خفتم أنها
 القضاة أو المؤمنون المصلحون أن يستمر الخلاف بين الزوجين
 ﴿ فابغوا ﴾ الأمر هنا للندب لا للوجوب ﴿ حكماً ﴾
 رجلاً معتدلاً يصلح لهذه المهمة ﴿ من أهله ﴾ يرتضيه
 الزوج ﴿ وحكماً من أهلها ﴾ يرتضيه الزوجة ﴿ إن يريدوا ﴾
 الزوجان ﴿ إصلاحاً ﴾ ظاهراً وباطناً لا ظاهراً فقط وحياء
 من الناس ﴿ يوفى الله بينهما ﴾ ما داما على نية الخير
 والوفاء ﴿ واعبدوا الله ﴾ وما عبد الله بشيء أفضل من
 كفت الأذى عن الناس ﴿ ولا تشرکوا به شيئاً ﴾ لا تفعلوا
 شيئاً إلا لوجه الله والخير ﴿ وبالوالدين إحساناً ﴾ وعلى
 الأقل أن لا تسبوا إليها .

﴿ وبذي القربى ﴾ الأرحام ﴿ واليتامى والمساكين والجار ذي القربى ﴾ قرب في جواره ﴿ والجار الجنب ﴾
 بعيد الجوار ﴿ والصاحب بالجنب ﴾ كرفيق السفر وما أشبه ﴿ وابن السبيل ﴾ المقطع في غربته ﴿ وما ملكت
 أيمانكم ﴾ فيه إيماء إلى الرق بالحيوان ﴿ إن الله لا يحب من كان مختالاً ﴾ متكبراً ﴿ فخوراً ﴾ وهل في الكون
 من يحب معجباً بنفسه محترقاً لغیره ؟

٣٧- ﴿ الذين ييطلون ﴾ مبتدأ والخبر محذوف أي مذمومون ﴿ ويأمرون الناس بالبخل ﴾ تماماً كالشيطان
 يأمر بالملك ، وينهي عن المعروف ﴿ ويكتمون ما آتاهم الله من فضله ﴾ يتظاهرون بالفقر كيلا يسألم السائلون .

٣٨- ﴿ والذين يتفقون أموالهم ولاء الناس . . . ﴾ الذي يتفق رياء أسوأ حالاً من البخل ، لأن الرياء شرك خفي ،
 وتقدم في الآية ٢٦٤ من سورة البقرة ﴿ ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً ﴾ وأقرب المقربين إلى الشيطان من يقول
 ويفعل بوجي من الشيطان ، وهو يعتقد أنه يتصرف بوجي من الرحمن .

٣٩- ﴿ وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر ﴾ أرأيت إلى هذه الملاطفة والحكمة في الدعوة إلى الخير ؟ وأيضاً
 ماذا علينا نحن أهل المعاصم لو اهتمتينا بهذا الأسلوب القرآني ؟

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً ﴿٣٦﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا
 فَابْغُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا
 يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً ﴿٣٧﴾ * وَاعْبُدُوا
 اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَاللَّوْذِينَ إِحْسَنَّا وَيَذَى
 الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارَ
 الْجَنُبَ وَالصَّاحِبَ بِالْجَنُبِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ
 أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٨﴾
 الَّذِينَ يَبْغُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ
 اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٩﴾
 وَالَّذِينَ يُتَّفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
 وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ
 قَرِينًا ﴿٤٠﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

﴿ وَانْفِقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ ﴾ قال سبحانه : « آمنوا ... وانفقوا ، ومعنى هذا الربط والجمع بين الإيمان والإنفاق ، أن كلا منهما جزء متمم للآخر

٤٠- ﴿ إِنْ اللَّهُ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ البخس والنقص من أجر المحسن تماماً كالزيادة في عقاب المسيء ، كلاهما ظلم وهو محال في حقه تعالى ﴿ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ فكيف إذا جئنا من كل أمم بشييد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ﴿ يَوْمَئِذٍ يُدْعَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتُرُونَ

٤١- ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾ سبحانه الناس غداً لنقاش الحساب ، وكل نبي يشهد على أمة أنه بلغها رسالة ربه ﴿ وَجِئْنَا بِكَ ﴾ يا محمد ﴿ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ وهؤلاء إشارة إلى المسلمين ، ويروى أن رسول الله فاضت عيناه بالدموع حين نزلت هذه الآية ، وإذا كانت هذه حال الشاهد فكيف بالمشهود عليه ؟

٤٢- ﴿ يَوْمَئِذٍ يُدْعَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ ﴾ بعد الموت وقبل النشر والبعث كانوا جزءاً من الأرض كما جاء في الأشعار وغيرها ما أظن أديب الأرض إلا من هذه الأجساد « ولما رأوا العذاب تمنوا لو بقوا كما كانوا هم والأرض سواء أي لم ينشروا ولم يبعثوا ﴾ ولا يكفون الله حديثاً ﴿ كَيْفَ وَالنَّسْتَهُمْ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ ؟ أَمَا مَا جَاءَ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ عَلَى لِسَانِهِمْ « وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ » فالمراد أنهم لم يكونوا مشركين في اعتقادهم ، وبآني التفصيل .

٤٣- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ السكر حرام محرّم بالذات وفي شتى الحالات بالضرورة الدينية ، ولكن هذه الآية بعيدة كل البعد عن بيان حكمه تحريماً أو تحليلاً حيث يسوغ النهي عن مبطلات الصلاة حتى ولو كانت مباحة بالذات ﴿ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ ﴾ قال الفقهاء : لا تصح الصلاة من الجنب ولا يسوغ له المكث في المسجد ، وله أن يمر به مستطرقاً إلا المسجد الحرام ومسجد الرسول الأعظم (ص) . ﴿ حَتَّى تَغْتَسِلُوا ﴾ من الجنابة ، وعندئذ تصح الصلاة مع سائر الشروط ، ويسوغ المكث في كل المساجد ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى ﴾ وخضتم الضر من استعمال الماء ﴿ أَوْ عَلَى سَفَرٍ ﴾ انفتحت المذاهب الإسلامية على أن المسافر إذا لم يجد الماء يتيمم ويصلي ، وكذلك الحاضر غير المريض تماماً كالسافر ما عدا المذهب الحنفي فإنه اسقط الصلاة عن الحاضر إذا لم يجد الماء لأن الآية وردت في المسافر دون الحاضر ، وجوابه أن جواز التيمم في السفر لا يمنع من جوازه في الحضر إضافة إلى الاطلاقات الواردة في السنة ﴿ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ ﴾ كتابة عما يخرج من السيلين حتى الريح ﴿ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ كتابة عن الجماع ﴿ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ الصعيد الأرض والطيب الطاهر ﴿ فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ ﴾ الباء للتبعية أي بعض وجوهكم ، عند الإمامية من فصاص الشعر إلى طرف الأنف ﴿ وَأَيْدِيَكُمْ ﴾ من الزندين إلى رؤوس الأصابع .

٤٤- ﴿ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ حظاً من علم التوراة ، وهم أحبار اليهود ﴿ يَشْتُرُونَ الضَّلَالَةَ ﴾

يستبدلونها بالهداية أي بالبقاء على اليهودية بعد وضوح المعجزات الدالة على صدق محمد (ص) ﴿ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴾ المؤدية إلى ما فيه الله رضا ، ولكم خير وصلاح .

٤٥- ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِكُمْ مِنْكُمْ ﴾ بأعدائكم ﴿ وَقَدْ حَذَرَكُمْ مِنْهُمْ وَأَمَرَكُمْ أَنْ تَعُدُّوا الْعِدَّةَ لَهُمْ ﴾ وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً ﴿ فَتَقُوا بَوْلَايَهُ وَنَصْرَتَهُ إِنْ أَطَعْتُمْ لَهُ وَصَحَّعْتُمْ ، ثُمَّ بَيْنَ سَبْحَانِهِ مِنْ هُمْ أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ يَقُولُ :

٤٦- ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادَوْا ﴾ اليهود و « من » بيان للذين أوتوا نصيباً من الكتاب .

﴿ يَحْرِفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ تبعاً لميولهم وأهوائهم ﴿ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ لا تقبل منك شيئاً وإن كان حقاً ﴿ وَاسْمِعْ ﴾ منا ذلك وكن على يقين منه ﴿ غَيْرَ مَسْمُوعٍ ﴾ دعاء بالصمم وعدم السماع ﴿ وَرَاعَنَا ﴾ كلمة سب في لغة اليهود ، وتقدمت في تفسير الآية ١٠٤ من سورة البقرة ﴿ لِيَأْ بِأَلْسِنَتِهِمْ ﴾ صرفاً للكلام عن الحق إلى الباطل ﴿ وَطَعَنَّا فِي الدِّينِ ﴾ لقد كان اليهود وما زالوا مفترين وروايعن ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ﴾ أي اليهود ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا . . . ﴾ مكان قولهم عصينا ﴿ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ ﴾ وما امتنعوا عن هذا القول الكريم إلا لأنه من صادق أمين ، ولو كان من شيطان رجيم لتسابقوا إليه ﴿ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ ﴾ والملائكة والناس أجمعين .

٤٧- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أوتُوا الْكِتَابَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ ﴾ دعا محمد أتباع موسى وعيسى إلى

الإيمان برسالته لأنها رسالة جميع الأنبياء ، فرفضوا . ولماذا ؟ لأن رسالة الله لا تجذبهم إليها ، والشئ الوحيد الذي يجذبهم إليه هو ما يحبون ويشتهون . . . وينطبق هذا الوصف على العديد من قادة المسلمين ! ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وَجُوهَهَا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا ﴾ المراد بالطمس التغيير ، وبالأوجه الوجاهة والرؤساء ، وبالرد على الأدبار جعل هؤلاء الرؤوس أذناناً ، والمعنى أن دائرة السوء لا بد أن تدور على الرؤساء الأعداء لأنهم أصل البلاء .

﴿ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ ﴾ وفي تفسير الرازي وجمع البيان والبحر المحيط : « لا بد من طمس أو مسخ في اليهود قبل قيام الساعة » ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ واقعاً لا محالة ، إما بالمسخ وإما بغيره من أنواع العذاب .

٤٨- ﴿ إِنْ اللَّهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾ إلا لمن تاب ومات على التوحيد ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ ﴾ ما دون الشرك ﴿ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ من الموحدون الذين لم يظلموا أحداً لقوله تعالى : « إِنْ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ - ٤٥ الشورى . يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم وهم اللعنة وهم سوء الدار - ٥٢ غافر » وللحديث القلبي المروي في أصول الكافي : « لا أدع ظلامة المظلومين وإن كانوا كفاراً » .

٤٩- ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ ﴾ بلى ، إنهم موجودون في كل عصر ، وكلما ازدادوا خزيًا وضعة

الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ ﴾ بِكُمْ مِنْكُمْ ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِكُمْ مِنْكُمْ ﴾ بأعدائكم ﴿ وَقَدْ حَذَرَكُمْ مِنْهُمْ وَأَمَرَكُمْ أَنْ تَعُدُّوا الْعِدَّةَ لَهُمْ ﴾ وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً ﴿ فَتَقُوا بَوْلَايَهُ وَنَصْرَتَهُ إِنْ أَطَعْتُمْ لَهُ وَصَحَّعْتُمْ ، ثُمَّ بَيْنَ سَبْحَانِهِ مِنْ هُمْ أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ يَقُولُ :

٤٦- ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادَوْا ﴾ اليهود و « من » بيان للذين أوتوا نصيباً من الكتاب .

﴿ يَحْرِفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ تبعاً لميولهم وأهوائهم ﴿ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ لا تقبل منك شيئاً وإن كان حقاً ﴿ وَاسْمِعْ ﴾ منا ذلك وكن على يقين منه ﴿ غَيْرَ مَسْمُوعٍ ﴾ دعاء بالصمم وعدم السماع ﴿ وَرَاعَنَا ﴾ كلمة سب في لغة اليهود ، وتقدمت في تفسير الآية ١٠٤ من سورة البقرة ﴿ لِيَأْ بِأَلْسِنَتِهِمْ ﴾ صرفاً للكلام عن الحق إلى الباطل ﴿ وَطَعَنَّا فِي الدِّينِ ﴾ لقد كان اليهود وما زالوا مفترين وروايعن ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ﴾ أي اليهود ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا . . . ﴾ مكان قولهم عصينا ﴿ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ ﴾ وما امتنعوا عن هذا القول الكريم إلا لأنه من صادق أمين ، ولو كان من شيطان رجيم لتسابقوا إليه ﴿ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ ﴾ والملائكة والناس أجمعين .

٤٧- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أوتُوا الْكِتَابَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ ﴾ دعا محمد أتباع موسى وعيسى إلى

الإيمان برسالته لأنها رسالة جميع الأنبياء ، فرفضوا . ولماذا ؟ لأن رسالة الله لا تجذبهم إليها ، والشئ الوحيد الذي يجذبهم إليه هو ما يحبون ويشتهون . . . وينطبق هذا الوصف على العديد من قادة المسلمين ! ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وَجُوهَهَا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا ﴾ المراد بالطمس التغيير ، وبالأوجه الوجاهة والرؤساء ، وبالرد على الأدبار جعل هؤلاء الرؤوس أذناناً ، والمعنى أن دائرة السوء لا بد أن تدور على الرؤساء الأعداء لأنهم أصل البلاء .

﴿ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ ﴾ وفي تفسير الرازي وجمع البيان والبحر المحيط : « لا بد من طمس أو مسخ في اليهود قبل قيام الساعة » ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ واقعاً لا محالة ، إما بالمسخ وإما بغيره من أنواع العذاب .

٤٨- ﴿ إِنْ اللَّهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾ إلا لمن تاب ومات على التوحيد ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ ﴾ ما دون الشرك ﴿ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ من الموحدون الذين لم يظلموا أحداً لقوله تعالى : « إِنْ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ - ٤٥ الشورى . يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم وهم اللعنة وهم سوء الدار - ٥٢ غافر » وللحديث القلبي المروي في أصول الكافي : « لا أدع ظلامة المظلومين وإن كانوا كفاراً » .

٤٩- ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ ﴾ بلى ، إنهم موجودون في كل عصر ، وكلما ازدادوا خزيًا وضعة

أردادوا تركية لأنفسهم وإعجاباً بها ﴿ بل الله يزكي من يشاء ﴾ لأنه أعلم بالأنقى والأنتى ﴿ ولا يظلمون قليلاً ﴾ أي أنه تعالى يعاقب بالعدل من يدعي ما ليس فيه .

٥٠- ﴿ أنظر كيف يفترون على الله الكذب ﴾ وفي طليعتهم الذين قالوا : نحن شعب الله المختار وأحبأوه وأوليأوه .

٥١- ﴿ ألم تر إلى الذين أولوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت ﴾ وهو الذي لا خير فيه ﴿ والطاغوت ﴾ وهو كل معتد أثيم . أو قل : كل من يطاع من دون الله فهو جبت وطاغوت ﴿ ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً ﴾ قال اليهود : المشركون في عبادتهم للأصنام أفضل من المسلمين في إيمانهم بالله الواحد الأحد ، وهذا طعن صريح في التوراة التي أوصتهم بالنفور من الأصنام .

٥٢- ﴿ أولئك الذين لعنهم الله ﴾ لأنهم أشد سوءاً وقبحاً من السوء والفتح ﴿ ومن يلعن الله قلن تجد له نصيراً ﴾ إلا من كان على شاكلته .

٥٣- ﴿ أم لهم نصيب من الملك ﴾ أي بل إن كان لليهود دولة ﴿ فإذا لا يؤتون الناس نقيراً ﴾ نقرة في ظهر النواة . وكيف يعطون ودينهم السلب ودينهم الكذب ؟

٥٤- ﴿ أم يحسدون الناس ﴾ بل اليهود يحسدون محمداً والصحابه ﴿ على ما آتاهم الله من فضله ﴾ أي من النبوة والنصر والعز ﴿ فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة ﴾ العلم والنبوة ﴿ وآتيناهم ملكاً عظيماً ﴾ حيث أطاع بعضهم خلق كثير .

٥٥- ﴿ فمنهم من آمن به ﴾ أي من اليهود من آمن بهذا الإتياء والإنعام على بعض آل إبراهيم ﴿ ومنهم من صد عنه ﴾ أعرض عن هذا الإنعام وكفر به وهو هم وفيم ، فكيف بك يا محمد ولست من بني إسرائيل ، بل من بني إسماعيل .

٥٦- ﴿ إن الذين كفروا بآياتنا ﴾ وهي كل ما دل على الحق ، ومنه صدق محمد (ص) وأمانته ﴿ سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا ﴾

الإعراب :

﴿ وكيف ﴾ محل نصب على الحال ، والعاقل فيه يفترون . وجلة ﴿ يفترون ﴾ محل نصب مفعول انظر . وكفى به الباء زائدة ، والهاء راجعة الى الافتراء ، وهو مصدر متصيد من يفترون ، والتقدير وكفى الافتراء . ﴿ وآياتنا ﴾ تمييز بمعنى من آثم .

يُرَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ قَلِيلًا ۝ أَنْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ ۚ إِنَّمَا مِثْلُنَا أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَبَتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ۝ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ۝ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِّن فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَا آلَ إِبْرَهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُم مَّلَكًا عَظِيمًا ۝ فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ بِهِ ۚ وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا ۖ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بِدَلْسِهِمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا

٥٧- ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ...﴾ واضح وتقدم في الآية ١٥ من آل عمران .

٥٨- ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ الأمانة كل حق وجب الوفاء به ، ومن عصى فقد ربح في الخيانة ﴿وَإِذَا حُكِمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ ولا تستقيم الحياة من غير عدل ، لأنه حمى للحق ، ومظهر للتوازن والمساواة ، وكل من وقف إلى جانب الحق فهو عادل ، وكل من عانده فهو باغ ومبطل ﴿إِنَّ اللَّهَ نَعَمًا يُعْظَمُ بِهِ﴾ فاتعظوا بمواعظه ، وانفعوا ببيانه .

٥٩- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ المراد بأولي الأمر هنا أئمة الهدى المعصومون عن الخطأ والخطيئة ، حيث لا يعطف على طاعته تعالى إلا من يتقون الله في كل شيء ، وهم بأمره يعملون ، وأيضاً لا يعطف على طاعة الرسول شرعاً وعقلاً إلا من كان امتداداً له قولاً وفعلًا ، وما ثبتت العصمة لأحد من المسلمين بعد رسول الله (ص) إلا لعترته وأهل بيته الذين ساوى النبي بينهم وبين القرآن المعصوم وجعلهم عدلاً له في حديث الثقلين .

﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ﴾ من أمور الدين ، وبالخصوص في معرفة المعصومين الذين يجب طاعتهم تماماً كما يجب طاعة الله والرسول ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ﴾ إلى كتابه تعالى ﴿وَالرَّسُولَ﴾ أي سنة الرسول بعد وفاته ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ﴾ حقاً وصدقاً ﴿بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ وفيه إيماء إلى أن من لا يحتكم إلى كتاب الله وسنة نبيه في أمور دينه - فهو كافر ، ولا يختلف في هذا المبدأ اثنان من المسلمين ﴿ذَلِكَ﴾ الرد إلى كتاب الله وسنة نبيه ﴿خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ مآلاً وعاقبة .

٦٠- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ الخطاب للنبي (ص) والزاعمون : المنافقون ﴿أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ أي بكل ما أرسل سبحانه من رسل وكل ما أنزل من كتب ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ كان بين رجل من المنافقين وآخر من اليهود خصومة ، فقال اليهودي له : أحاكمك إلى محمد علماً منه بأنه يحكم بالحق ولا يرتشي ، فأبى المنافق إلا عند رئيس من رؤساء اليهود الذين يبدون العداوة والبغضاء للنبي الرحمة ، فسجلت الآية هذا الموقف المخزي لمن يتظاهر بالصلاح وهو أفسد من الفساد .

الإعراب :

المصدر المنسبك من ﴿أَنْ تُؤَدُوا﴾ في محل جر بالياء المحذوفة ، والتقدير يأمركم بتأدية الأمانة . ﴿وَإِذَا حُكِمْتُمْ﴾ معطوف على يأمركم ، والمعنى ويأمركم إذا حُكِمْتُمْ أن تحكموا بالعدل . ﴿وَنَعْمًا﴾ نعم فعل ماضٍ ، ومعناها المدح . وما محل نصب على التمييز بمعنى شيئاً ، وهي مفسرة للضمير المستتر في نعم ، والتقدير نعم الشيء شيئاً .

الْعَذَابُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا هُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٨﴾ * إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حُكِمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعَمًا يُعْظَمُ بِهِ ﴿٥٩﴾ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٦٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٦١﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ

٦١- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ للمنافقين ﴿تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً﴾ ولا عجب أن يصد المبطل عن الحق ، والمحق عن الباطل وإلا فأين الخط الفاصل بين الطيب والخبيث .

٦٢- ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ﴾ بما قدمت أيديهم ﴿يَقُولُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأْيٌ﴾ فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسناً وتوفيقاً ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولوأنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توباً رحيماً ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُخَرِّجُوكَ فِيمَا تَجْرِبُ بِهِنَّ ثُمَّ لَا يُجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيَسْأَلُوا تَسْلِيمًا﴾ ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم

٦٣- ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ وأيضاً كثير من الناس يعلمون المنافقين وأنهم يخادعون ويمكرون ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ لا تعف عنهم ولا تعاقبهم ﴿وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً﴾ تفهمهم فيه حقيقتهن وما هم عليه من الشر والخيانة ، وأنهم إن مضوا في هذا السبيل : فعاقبتهم الوبال والإذلال .

٦٤- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾ وإلا غاية جدوى من إرساله ؟ ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي بأمره تعالى ، وفي معناه « من يطع الرسول فقد أطاع الله » . ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم﴾ حيث عرضوها للعذاب والحلقة ﴿جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول﴾ الأجدر بهم والأفنع لهم أن يندموا على ما كان منهم ، ويطلبوا العفو من الله والرسول ، ولو أنهم فعلوا ذلك ﴿لوجلوا الله توباً رحيماً﴾ أبداً لا يرد سائلاً ، ولا يخيب آملاً ، فالهم أن يسأل العبد ويأمل .

٦٥- ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ الأصل وربك ﴿لَا﴾ لمجرد التوكيد ﴿لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُخَرِّجُوكَ فِيمَا تَجْرِبُ بِهِنَّ﴾ لا يخرجونك فيما تجرب بهن حتى يخرجنك من ديارك ﴿وَيَسْأَلُوا تَسْلِيمًا﴾ يترضونك حكماً ، ويعتقدون أن حكك هو حكم الله بالذات ﴿ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾ وهل يشعر المؤمن حقاً وصدقاً بالضيق من حكم الله والحق .

٦٦ - ٦٨- ﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم﴾ كناية عن الأمر بالجهاد ﴿أو اخرجوا من دياركم﴾ كما

الإعراب :

﴿كيف﴾ في موضع رفع خبر مبتدأ محذوف ، أي كيف صنعهم إذا أصابتهم مصيبة . وجلة «يريدون» حال ، ومثلها جملة وقد امروا ، وجلة يحلفون . أما جملة ان أردنا الا احساناً فجواب القسم . «وفي أنفسهم» متعلق ببلغ ، أي قل لهم قولاً يؤثر في نفوسهم . «من رسول» «من» زائدة ، ويؤق بها بعد النبي في مثل الآية لتأكيد العموم والاستغراق . واللام في «ليطاع» لام كي .

هاجر الصحابة من مكة إلى الحبشة والمدينة طائعين قانعين مجاهدين ﴿ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ ﴾ قليل بدل من واو الجماعة ، وهكذا المخلصون في كل عصر قليلون اللهم إلا بالإعلام والكلام ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴾ ولو كان لمجرد الوعظ من أثر فقال لكان الناس بالكامل أولياء قديسين . أجل الأثر الأول للوعظ والواعظين إلقاء الحجة بالإرشاد والهداية .

٦٩- ﴿ وَمَنْ يَطْعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عِلِيمًا ﴿٧٠﴾ بَنَیْهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ قَرَّبَ بَدَنًا فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُمْسِيَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصْبَحَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولُنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ بَلْ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُوا لَا يَرْجِعُوا إِلَيْنَا وَاللَّهُ يَخْتَارُ ﴿٧٣﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ مُمْسِيَةٌ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ مُمْسِيَةٌ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٧٥﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ مُمْسِيَةٌ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٧٦﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ مُمْسِيَةٌ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٧٧﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ مُمْسِيَةٌ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٧٨﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ مُمْسِيَةٌ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٧٩﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ مُمْسِيَةٌ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٠﴾

٧٠- ﴿ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ ﴾ . ولا شيء يقاس بفضله .

٧١- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾ من قوى البغي والشر ، فأنهم لكم بالرمص ، واجتمعوا لهم صفًا واحدًا وإلا سامكم العدو خسفًا ، وساقكم عسفًا كالبهائم ﴿ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ ﴾ فرقًا وفصائل من الجنود ﴿ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا ﴾ إشارة إلى الفير العام ، وتعبئة الشعب بشتى أفراده تبعًا لما تستدعيه المصلحة .

٧٢- ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ ﴾ يتشاغل ويضع الرماح والعقبان في طريق الجهاد و«منكم» من المواطنين ﴿ فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُمْسِيَةٌ ﴾ في ميدان القتال وجهاد الأعداء ﴿ قَالَ ﴾ الأفاك الأنيم بلؤم وشمانة ﴿ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴾ يفرح ويغتبط بالسلامة ، وما درى أن الشهادة كرامة يخص سبحانه بها من يشاء من أوليائه وأصفيائه .

٧٣- ﴿ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ ﴾ انتصرتهم وغنمتم في الجهاد والقتال ﴿ لَيَقُولُنَّ ﴾ الأناني الإنهازى في الجهاد والقتال ﴿ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ ﴾ جملة معترضة بين العامل وهو «ليقولن» والمعمول وهو ﴿ بَالِيتِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ وهكذا الحقوق الحسود بطير فرحًا إذا نزلت بالآخرين نازلة وبموت حسرة إذا رأى عليهم نعمة من الله وفضلاً .

٧٤- ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ﴾ وأثبت التجارب أن الجهاد ضد البغي والظفر، عزة وكرامة في الدنيا كما هو في الآخرة ، وإن الخضوع والاستسلام مذلة وهوان : «ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض - البقرة ٢٥١» . ﴿ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ في سبيل العقيدة والحرية ﴿ فَيُقَاتِلْ ﴾

مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ ثَبَاتًا ﴿٦٩﴾ وَإِذَا لَا يَأْتِيَهُمْ مِنَ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٠﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٧١﴾ وَمَنْ يَطْعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٧٢﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عِلِيمًا ﴿٧٣﴾ بَنَیْهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧٤﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ قَرَّبَ بَدَنًا فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٥﴾ وَلَئِنْ أَصْبَحَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولُنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ بَلْ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُوا لَا يَرْجِعُوا إِلَيْنَا وَاللَّهُ يَخْتَارُ ﴿٧٦﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ مُمْسِيَةٌ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٧٧﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ مُمْسِيَةٌ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٧٨﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ مُمْسِيَةٌ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٧٩﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ مُمْسِيَةٌ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٠﴾

وأشرف الموت القتل في هذا السبيل ﴿أو يغلب﴾ الطغاة المعتدين على عباد الله وعباده ﴿ف سوف تؤتيه أجراً عظيماً﴾ لأنه دفع الثمن عظيماً .

٧٥- ﴿وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله﴾ وسيله تعالى عام في كل خير .

﴿ والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان ﴾ وأيضاً وبالخصوص مالمكم لاجتاهدون لخلاص المظلومين ونسائهم وأطفالهم ، وتشير الآية إلى أن النبي (ص) حين هاجر هو ومن معه من المسلمين من مكة إلى المدينة وبقي من عجز عن الهجرة ، فأذاقهم المشركون ألواناً من الأذى والتكيد ، وكانوا يستغيثون و ﴿الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها...﴾ وهي مكة ، فأمر سبحانه المسلمين بفتح مكة لإنقاذ المؤمنين المستضعفين من ظلم الطغاة المشركين ، وتقرر هذه الآية أن الهدف الأساس للجهاد والقتال هو إنساني تضامني ينقد الضعفاء من الظلم ، ويقيم العدل على وجه العموم حيث لا عدالة بلا قوة ، كما أن القوة بلا عدالة استبداد .

٧٦- ﴿الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت﴾ هذه موازنة ومقارنة بين أهداف المخلصين وأهداف الخائنين من القتال ، فالأولون يجاهدون لإحقاق الحق وإقامة العدل ، وأما الخائنون فيقاتلون لإحياء الباطل ورساخة الظلم وإشاعة الفساد في الأرض .

﴿ فقاتلوا أولياء الشيطان ﴾ الذين يعيشون في الأرض

مفسدين ، فإن قتالهم وقتلهم صلاح وخير للإنسانية جمعاء ، ومهادنتهم شر وفساد ﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفاً﴾ إن قوة الخائن المبط بالغة ما بلغت فما هي بشيء ، في جنب الإخلاص والحق والعدل .

٧٧- ﴿ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم﴾ تألب المشركون في مكة على النبي والصحابه المستضعفين ، ولما اشتد البلاء عليهم سألو النبي أن يأذن لهم بالقتال دفاعاً عن أنفسهم ، فنهاهم عن ذلك ، لأن القتال آنذاك عملية انتحارية ، وقال الرسول فيما قال : اصمدوا على دينكم مهما قاسمتم في سبيله ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ وهذا هو المطلوب منكم الآن وكفى ﴿ فلما كتب عليهم القتال ﴾ امرؤوا بالجهاد بعد الهجرة إلى المدينة حيث أصبح للإسلام والمسلمين قوة رادعة ﴿ إذا فريق منهم يخشون الناس ﴾ أي قتال الأعداء ﴿ كخشية الله أو أشد خشية ﴾ تحمسوا للقتال حين نبأوا عنه ، وتقاسوا عنه حين أمرؤا به ، ولكن خوفاً من الموت لا شكاً في دينهم وعقيدتهم ﴿ وقالوا ربنا لم كتب علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب ﴾ ليس هذا اعتراضاً بل رجاء وإن كان الجبن هو الباعث والدافع

الإعرا ب :

ومن يقاتل ﴿من﴾ اسم شرط في موضع رفع على الابتداء ، وخبرها جواب الشرط ، وهو فسوف تؤتيه

الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقْتَلْ فِي سَبِيلِ
 اللَّهِ فَبُغْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٦﴾
 وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ
 الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ
 هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا
 وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الظَّالِمِينَ
 فَفَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾
 أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
 وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ
 يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ
 كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَّعَ

﴿ قل متاع الدنيا قليل ﴾ وعيشها قصير ﴿ والآخرة خير لمن اهتدى ﴾ معاصي الله سبحانه ﴿ ولا تظلمون قليلاً ﴾ على مشاق الجهاد والقتال .

٧٨- ﴿ أين ما تكونوا يلوكم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ﴾ فما ينبج من الموت من خافه ، ولا يعطى البقاء من أحبه كما في نهج البلاغة ﴿ وإن نصيبهم حسنة ﴾ كالرزق ﴿ يقولوا هذه من عند الله ﴾ وليست من بركتك ومنك يا محمد ﴿ وإن نصيبهم سيئة ﴾ كالنقص من الثمرات ﴿ يقولوا هذه من عندك ﴾ بسبك ، ولو بقينا على ديننا ما أصابنا شيء ﴿ قل كل من عند الله ﴾ أي من سنن الطبيعة التي خلقها الله تعالى ، وهي تشمل ونعم الطيب والخبيث والقوي والضعيف على السواء تماماً كالصحة والمرض إلا أن يكافحها القوي بعلمه ، ويسيطر عليها بقوته ﴿ فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً ﴾ وهو أن الدين والصلاح والدعاء شيء ، وأسباب الطبيعة شيء آخر ، وأن النتيجة تتبع المقدمات والمسببات تجري على الأسباب .

٧٩- ﴿ ما أصابك من حسنة فمن الله ﴾ المراد بهذه الحسنة ، الحسنة الخاصة كالنجاح والتوفيق ، وبالحسنة الأولى الحسنة العامة كالخصب وما أشبه من الأمور التي تشمل الجميع ، وترجع إلى سنن الطبيعة التي خلقها الله كما أشرنا ﴿ وما أصابك ﴾ أيها الإنسان ﴿ من سيئة فمن نفسك ﴾ من تقصيرك أنت لا من الله سبحانه الذي زدك بالقدرة والعقل والإرادة ، وحثك على الكفاح والنضال .

﴿ وأرسلناك ﴾ يا محمد ﴿ للناس رسلاً ﴾ وما عليك إلا البلاغ ﴿ وكفى بالله شهيداً ﴾ على من عصى وأطاع ..

٨٠- ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ لأنه بيانه ولسانه ﴿ ومن تولى ﴾ واعرض عن طاعتك يا محمد ﴿ فما أرسلناك عليهم حفيظاً ﴾ أي تحفظ أعمالهم وتحاسبهم عليها كلا ، لأنك قوة إرشادية بيانية لا سلطة تنفيذية جبرية .

٨١- ﴿ ويقولون طاعة ﴾ يقول المناقون لرسول الله (ص) : شأننا طاعة لك ﴿ فإذا برزوا من عنك بيت طائفة منهم غير الذي تقول ﴾ يظهرون الطاعة ويضمرون المكر والكيد ، وبعبارة نهج البلاغة قولهم شفاء ، وفعلهم الداء الميأء ﴿ فأعرض عنهم ﴾ يا محمد ولا تعاقبهم .

٨٢- ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ﴾ تدبراً يدركون معه أنه من الله لا من سواه ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدها

الإعراب :

﴿ أيها ﴾ ظرف لاستغراق الأمكنة ، وعملها النصب بفعل الشرط ، وهو تكونوا ، ونحزم فعلين لأنها بمعنى أن الشرطية . ﴿ وما لهؤلاء ﴾ مبتدأ وخبر . ومعنى ﴿ ما ﴾ هنا الاستفهام مع الانكار ، نحو أي شيء حصل لك ؟ . ورسولاً حال .

الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون قليلاً ﴿٧٨﴾

أينما تكونوا يذركم الموت ولو كنتم في بروج

مشيدة وإن نصيبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله

وإن نصيبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل

من عند الله قال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون

حديثاً ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك

من سيئة فمن نفسك وأرسلناك للناس رسلاً

وكفى بالله شهيداً من يطع الرسول فقد أطاع الله

ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً ويقولون طاعة

فإذا برزوا من عنك بيت طائفة منهم غير الذي تقول

والله يكتب ما يبيتون فأعرض عنهم وتوكل على الله

وكفى بالله وكيلاً أفلا يتدبرون القرآن ولو كان

فيه اختلافاً كثيراً ﴿ بحكم البداية ، لأن للإنسان ظروفًا وحالات متفاوتات ، وهو يتغير ويتكيف تبعًا لها ، والله سبحانه لا يتبدل في الأحوال ، فكلامه كذلك .

٨٣ - ﴿ وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف اذاعوا به ﴾ كان بعض المواطنين إذا سمع خبراً يتصل بالأمن كالغزو والدفاع تكلموا به ، وشهروه قبل أن يعلموا صحته ، وكان في ذلك ضرر على المسلمين .

﴿ ولو ردهو ﴾ الخبر الذي سمعوه ﴿ إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم ﴾ وهم الذين يتق النبي بكفاءتهم ﴿ لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴾ يستخرجون الأشياء من مصادرها ، ويردونها إلى أصولها ، وبالإجمال البصير إذا سمع ثبت وترث ، وسأل من هو أدري وأعلم ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ﴾ بمحمد والقرآن ﴿ لا تبتم الشيطان ﴾ بالبقاء على الجاهلية الجهلاء ﴿ إلا قليلاً ﴾ صفة لمصدر محذوف أي إلا اتباعاً قليلاً ، وعليه يكون المعنى كانت عاداتكم من قبل وعقائدكم جهالة وضلالة إلا ما ندر كحلف الفضول وما أشبه .

٨٤ - ﴿ فقاتل في سبيل الله ﴾ يا محمد ﴿ لا تكلف إلا نفسك ﴾ من حيث المسؤولية الشخصية عن طاعة التكليف وامتناله من حيث بيانه وتبليغه ، لأن الإنسان مخير طاعة وامتنالاً ومسير تكليفاً ، ولذا أمر سبحانه النبي أن يبلغ ، وأمرنا أن نطيع دون أن بلجنا إلى الطاعة ﴿ وحرص المؤمنين ﴾ وما عليك شيء من شأنهم ﴿ عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا ﴾ وقد فعل ونصر الضعفاء المحقين على الطغاة الظالمين ﴿ والله أشد بأساً ﴾ وبأس الحق من بأسه تعالى ﴿ وأشد

مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ۝ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۚ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسُكَ وَاعْرِضْ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِ بِأَسَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۗ وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ۝ مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا ۚ وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِينًا ۝ وَإِذَا حُيِمَ بِحِجَّةٍ فَعِزُّوا بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رَدُّوهُآ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ۝ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمعنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ

تَنْكِيلًا ﴾ بقوى النبي من تنكيلهم بالمستضعفين .

٨٥ - ﴿ من يشفع شفاعة حسنة ﴾ وهي مانجلب خيراً أو تدرأ شراً ﴿ يكن له نصيب منها ﴾ وفي الحديث « من سن سنة حسنة كان له مثل أجر من عمل بها ﴾ ومن يشفع شفاعة سيئة ﴿ وهي مانجلب شراً أو تدرأ خيراً ﴾ يكن له كفل منها ﴾ أي نصيب ، وعام الحديث : « ومن سن سنة سيئة كان له مثل وزر من عمل بها » ﴿ وكان الله على كل شيء مقبلاً ﴾ مطلقاً ومقتدرًا ومعطيًا الأقوات والأرزاق .

٨٦ - ﴿ وإذا حُيِمَ بِحِجَّةٍ فَعِزُّوا بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رَدُّوهُآ ﴾ قالوا : المراد بها تحية الإسلام بالخصوص ، وهي السلام عليكم ، ولكن ظاهر الآية يعم كل تحية عرفية سواء أكانت بالقول أم بالفعل ، أما جواب المصلي لمن حياه فله دليله الخاص .

٨٧ - ﴿ الله لا إله إلا هو ليجمعنكم ... ﴾ لا ريب في أن الله سبحانه يجمع الأولين والآخرين لنقاش الحساب وجزاء الأعمال .

٨٨- ﴿لَمَّا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٌ﴾ حال ، والمراد بالمنافقين هنا من بقي منهم في دار الكفر ، ولم يهاجروا من مكة إلى المدينة بدليل قوله تعالى : «حتى يهاجروا» وقد اختلف الصحابة في شأن هؤلاء ، ففة نرى أن يعملوا باللين ، وفة بالشدّة والقسوة ، فقال سبحانه : لا ينبغي الإختلاف والشك في أمرهم ، لأن الله سبحانه قد تخطى عنهم .

﴿والله أركسهم بما كسبوا﴾ والركس والتكس : التحول من سيء إلى أسوأ ، والمعنى أن الله تعالى رد حكمهم من السكوت عنهم إلى إعلان الحرب عليهم ﴿أتريدون أن تهلكوا من أضل الله﴾ أي أن تجعلوا الضال عند الله ويحكمه مهتدياً عندكم ويحكمكم ﴿ومن يضلل الله﴾ من يحكم عليه بالضلال ﴿فلن تجد له سبيلاً﴾ للنجاة حتى ولو قال كل أهل الأرض أنه من المهتدين .

٨٩- ﴿ودوا لو تكفروا كما كفروا فتكونون سواء﴾ كل ناقص وضال يكره من يتصف بالفضل والكمال ، ويود أن يكون جميع الناس على شاكلته ﴿فلا تتخلوا عنهم أولياء﴾ أصدقاء ، وتقيموا معهم صلوات وعلاقات ﴿حتى يهاجروا في سبيل الله﴾ أي هجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام خالصة لوجه الله مهما كانت التضحيات ﴿فإن تولوا﴾ وامتنعوا عن الهجرة ﴿فاحلوهم واقتلوهم ...﴾ لأنهم يعلنون الإسلام والمودة للمسلمين ، ويكتنون البغضاء ، ويتآمرون مع الأعداء .

٩٠- ﴿إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾

هذا استثناء من قتلهم لمن يلتجئ من أولئك المنافقين إلى قوم بينهم وبين المسلمين عهد موادة ومهادنة .

﴿أو جاوركم حصرت صدورهم﴾ ضاقت صدورهم وقلوبهم عن القتال وكرهوا ﴿أن يقاتلوكم﴾ منفردين أو منضمين إلى أعدائكم ﴿أو يقاتلوا قومهم﴾ من أجلكم ، فدعوههم ولا تقتلوهم ، وبكلمة لا سبيل لكم أيها المسلمون على من وقف منكم موقف المحايد ، لا لكم ولا عليكم ﴿ولو شاء الله لسلطهم عليكم﴾ إنه تعالى هو الذي أنقذ الربع منكم في قلوب هؤلاء المحايدين وإلا ﴿لفقاتلوكم﴾ منفردين أو منضمين إلى أعدائكم ﴿فإن اعتزلوكم وألقوا إليكم السلم﴾ أي ما داموا مسالين غير مقاتلين ﴿فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً﴾ إنما السبيل على الذين يظلمون الناس .

٩١- ﴿ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم﴾ أيها المسلمون ﴿وأيأمنوا قومهم﴾ المشركين ، كان بعض

العرب إذا جاؤا إلى المدينة لبعض حاجاتهم أظهروا الإسلام خوفاً حتى إذا رجعوا إلى أهلهم أعلنوا الشرك ﴿كلما ردوا

مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ * فَالْكَرُ فِي الْمُسْلِمِينَ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَخْذَلُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يَهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَضُودُهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَخْذَلُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ أَوْ يَقْتُلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتِلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يَقْتُلُواكُمْ وَأَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَارَدُوا إِلَى الْفِتْنَةِ

إلى الفتنة ﴿ أي الشرك ﴾ اركسوا فيها ﴿ والركس : رد الشيء مقلوباً ، والمعنى كانوا على الشرك فأظهروا الإسلام ، فدعاهم قومهم المشركون إلى العودة فعادوا ﴾ فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم فخلوهم وقتلوهم ﴿ تماماً كما يقاتلونكم ، فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين .

٩٢- ﴿ وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً ﴾ أو يبيع دمه لا شيء إلا لأنه على خلاف رأيه ومذهبه ، لأن الحدود تدراً بالشبهات ، وهذا أصل من أصول الإسلام ﴿ إلا خطأ ﴾ من غير قصد كمن رمى حيواناً فأصاب إنساناً ﴿ ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ﴾ فعليه أن يكفر بعق نسة ، ويوحى هذا التكفير بأن القتل ، وإن كان خطأ ، فإنه ليس كسائر الأخطاء التي تمر بلا تغليب وتشديد ﴿ ودية مسلمة إلى أهله ﴾ مقبوضة لأولياء المقتول ، فإن شأوا طالبوا بها ، وإن شأوا أسقطوها عن القاتل ، وإلى هذا أشار سبحانه بقوله ﴿ إلا أن يصدقوا ﴾ بالدية ﴿ فإن كان من قوم عدو لكم ﴾ محاربين للمسلمين ﴿ وهو ﴾ المقتول ﴿ مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة ﴾ ولا دية لأهله ، ومحصل المعنى أن المسلم إذا قتل شخصاً باعتقاد أنه كافر ، ثم تبين أنه مسلم - فلا شيء عليه عتق نسة ، وتسقط عنه الدية ﴿ وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله ﴾ أما إذا كان المسلم المقتول خطأ من قوم غير مسلمين ، ولكنهم غير محاربين لأن بينهم وبين المسلمين عهد المسالمة ، فإن الدية تعطى لأهل المقتول .

أَرْكَسُوا فِيهَا فَإِن لَّا يَعْزِلُوكُمْ وَيَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ وَيَكْفُوا أَيَدِيَهُمْ لِغَدُوِّهِمْ وَآفَلُولَهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُّسْلِمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِن كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُمْ مُّؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ فَدِيَّةٌ مُّسْلِمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ قُلْ لَّا يَجِدُ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

﴿ وتحرير رقبة مؤمنة ﴾ وأيضاً على هذا القاتل أن يعتق نسة إضافية إلى الدية ﴿ فمن لم يجد ﴾ عجز عن العتق ﴿ فصيام شهرين متتابعين ﴾ عوضاً عن العتق ﴿ توبة من الله ﴾ مفعول من أجله أي شرعت الكفارة لتوبة الجاني عما صدر منه .

٩٣- ﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً ﴾ لا جرم عند الله تعالى يوازي قتل النفس البريئة عن عمد إلا الشرك، وبخاصة إذا كانت مؤمنة مخلصه ، والآية نص في ذلك حيث ذكرت الخلود في جهنم واللعة والغضب واعداد العذاب العظيم لما في هذه الجريمة من هدم لبنين بناء الله ، ومن هنا ذهب أكثر من واحد إلى أن الله يقبل التوبة من المشرك ولا يقبلها من القاتل المتعمد . وليس هذا ببعيد لأن الشرك حق لله ، وقتل العمد حق للناس .

٩٤- ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم ﴾ سافرتم ﴿ في سبيل الله فتبينوا ﴾ تبينوا ولا تمجلوا في القتل ﴿ ولا

تَقُولُوا لِمَنْ أَهْلَى إِلَيْكُمْ السَّلَامُ ﴿٩٥﴾ حَيَاكُمْ بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ :
﴿ لست مؤمناً ﴾ لا ترفضوا من أعلن السلام أو الإسلام
﴿ تبتغون عرض الحياة الدنيا ﴾ على حساب تكفير المؤمنين
واسباحة دمائهم ﴿ فعند الله مغام كثيرة ﴾ تغنيكم
بحلاله عن حرامه .

﴿ كذلك كنتم من قبل ﴾ مشركين ﴿ فعن الله
عليكم ﴾ حيث حق دماءكم وأموالكم بكلمة الإسلام ،
فعاملوا الناس بما عوملتهم .

٩٥- ﴿ لا يستوي القاعدون ﴾ عن الجهاد ﴿ من
المؤمنين غير أولي الضرر ﴾ وهم الأصحاء ، قعدوا عن
الجهاد ، لأنه عليهم فرض كفاية لا عين إذا قام به البعض
سقط عن الكل ﴿ والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم
أنفسهم ﴾ وهنا ينتهي الكلام ، ومفاده بإيجاز أن الأصحاء
القاعدين لمبر شرعي ليسوا كالمجاهدين في الفضل ، ثم بين
سبحانه الدرجات بقوله : ﴿ فضل الله المجاهدين بأموالهم
أنفسهم على القاعدين ﴾ من أولي الضرر كالعالمى وما أشبه
﴿ درجة ﴾ واحدة ﴿ وكلا ﴾ من أولي الضرر والمجاهدين
﴿ وعد الله الحسنى ﴾ الجنة ، مؤلاء على نياتهم وجهادهم ،
وأولئك على النيات فقط ﴿ وفضل الله المجاهدين ﴾
بأموالهم وأنفسهم ﴿ على القاعدين ﴾ من غير أولي الضرر
الذين وجب عليهم الجهاد كفاية لا عيناً ﴿ أجراً عظيماً ﴾ .

٩٦- ﴿ درجات منه ومغفرة ورحمة ﴾ والمحصل
أن المجاهد أفضل بدرجة واحدة ممن أعجزه وأقعدته الضرر
والمرض عن الجهاد ، وأفضل بدرجات كثيرة من القاعد القاعد لا شيء إلا أن الآخرون قد كفوه وأراحوه .

٩٧- ﴿ إن الذين تولواهم الملائكة ﴾ جاء أجلمهم ﴿ ظالمى أنفسهم ﴾ بترك الهجرة من دار الكفر والظلم إلى
دار الإيمان والعدل ، وهذه الآية والآيات بعدها تقرر مبدأ الهجرة من دار الكفر ، بشرطين : الأول القدرة عليها : الثاني أن
ينحصر بها التخلص من الظلم والاستضعاف ﴿ قالوا لِمَ كنتم ﴾ قال ملائكة الموت للذين تركوا الهجرة : هل كنتم
أحراراً في أموالكم وأفعالكم وإقامة الواجبات الدينية ﴿ قالوا كنا مستضعفين في الأرض ﴾ كلا لم تكن أحراراً في شيء
من ذلك ﴿ قالوا ﴾ الملائكة : ﴿ ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ﴾ هذا توبيخ على ما اعتنوا به ،
ويقال له : عذر أقبح من ذنب ، والمعنى كيف تحملتم الظلم والعبودية ، ولم تهاجروا إلى إخوانكم في الدين ، يهتمون
بشأنكم ويدافعون عنكم لأنهم أعزاء أقرباء ﴿ فأولئك مأواهم جهنم ﴾ لأن التبعة تقع عليهم وحدهم بشهادتهم
على أنفسهم .

فَقَبِلُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلَيْكَ السَّلَامُ لَسْتَ مُؤْمِنًا
تَبْتَغُونَ عَرَصَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَامٌ كَثِيرَةٌ
كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنْ اللَّهَ
كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٥﴾ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ غَيْرِ أُولِي الضَّرَرِّ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى
وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾
دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٩٦﴾
إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا لِمَ كُنْتُمْ
قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ
وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ

٩٨- ﴿الَا الْمُسْتَظْعِينَ...﴾ الذين لا يستطيعون

المجرة .

٩٩- ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ﴾ وعسى هنا للتحقق لأن العجز عذر عقلي وشرعي وعرفي .

١٠٠- ﴿وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَبْجَدْ فِي الْأَرْضِ مِرَاعًا كَثِيرًا﴾ أماكن وبلاداً كثيرة يُرْغَمُ أعداءه بالهجرة إليها ﴿وسعة﴾ في الرزق ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مِهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ ولا أبجد تفسيراً لهذه الآية أفضل وأوضح مما ذكره المفسرون في سبب نزولها ، وهو أن جندب بن ضمرة كان قد أسلم في مكة ، وعجز عن الهجرة إلى المدينة لمرض شديد ، ولما سمع بآية الهجرة قال لأولاده : أحملوني إلى رسول الله ، فحملوه حتى إذا بلغ مكاناً في الطريق يقال له النسيم ، أشرف على الموت ، فصفق يمينه على شماله وقال من أعماق قلبه : اللهم هذه لك ، وهذه لرسولك أبايعك على ما يابيك عليه رسول الله ، ولفظ النفس الأخير ... اللهم ميتة كهذه بالنبي وآله . بالنبي وآله .

١٠١- ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ سافرتُم ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ من عدد الربايعات ، فصلوا الظهر والعصر والعشاء ركعتين ركعتين ، وظاهر الآية أن القصر رخصة ، ولكن المراد عزيمة تماماً كآية الطواف فلا جناح عليه أن يطوف بهما - ١٥٨ البقرة .

وأيضاً كما ثبت القصر في السفر بشروطه ثبت حال الخوف بقوله تعالى : ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتَنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ والمراد بالفتنة هنا كل ما يتعرض له المصلي من مكروه لا يحتمل .

١٠٢- ﴿وَإِذَا كُنْتُمْ فِي مَكْرَهٍ﴾ يا محمد ﴿فِيهِمْ﴾ في الخائفين ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ جماعة ﴿فَلْتَقِمْ طَائِفَةً مِنْهُمْ مِمَّنْ مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ﴾ واحدة تصلي معك حاملة السلاح ، والثانية تقف بإزاء العدو للحراسة ﴿فَإِذَا سَجَدُوا﴾ المصلون ﴿فَلْيُكُونُوا﴾ الذين يحرسون المصلين ﴿مِنْ وَرَائِكُمْ﴾ أي من وراء المصلين ﴿وَلَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِلْزَمَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ بعد أن تنتهي الأولى من الصلاة مع النبي تأخذ الثانية الحراسة مكان الأولى في الصلاة ، وتأخذ الأولى مكان الثانية في الحراسة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ

الإعراب :

﴿الذين﴾ اسم ان ، وجملة قالوا فيه خبر . ﴿وتوفاهم﴾ يجوز اعتبارها فعلاً ماضياً إذا أبقيتها كما هي ، ولم تقدر تاء محذوفة ، ويجوز اعتبارها مضارعاً على معنى توفاهم ﴿وظالمى﴾ أنفسهم حال من ضمير توفاهم . وفيهم (ما) للاستفهام ، حذفت منها الألف ، والمجرور ، متعلق بمحذوف خبراً لكتم ، أي كنتم في أي شيء . ﴿وأولئك﴾ مبتدأ أول ، ﴿ومواهم﴾ مبتدأ ثانٍ ، وجنهم خبر المبتدأ الثاني ، وهو وخبره خبر المبتدأ الأول .

مَصِيرًا ﴿إِلَّا الْمُسْتَظْعِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾
فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا
غَفُورًا ﴿ * وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَبْجَدْ فِي الْأَرْضِ
مِرْعًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مِهَاجِرًا إِلَى
اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ
وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ
فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ
أَنْ يَفْتَنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا
مُبِينًا ﴿ وَإِذَا كُنْتُمْ فِيهِمْ فَأَقِمْ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقِمْ
طَائِفَةً مِنْهُمْ مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا
فَلْيُكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا

أَسْلَحْتَكُمْ وَأَمْعَنْتَكُمْ فَيَمْلُونُ عَلَيْكُمْ مِيلَةً وَاحِدَةً ﴿١٠٠﴾ بِمَجْدٍ أَنْ تَذْهَبُوا عَنْ الْأَعْدَاءِ أَوْ تَشْتَلُوا بِأَيِّ شَيْءٍ دُونَهُمْ يَنْقُضُونَ عَلَيْكُمْ كَرْجُلًا وَاحِدًا قَتْلًا وَنَهْبًا ﴿١٠١﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ ﴿١٠٢﴾ إِنْ تَقُلْ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ مَعَ النَّبِيِّ ، حَمْلُ السِّلَاحِ لِسَبِّ مَقْضُوقٍ وَمَشْرُوعٍ - فَدَعُوهُ ، وَصَلُوا بِغَيْرِ سِلَاحٍ .

﴿ ١٠٣ ﴾ فإذا قُضِيََتِ الصَّلَاةُ ... ﴿ أَدْبَتُمُوهَا ﴾
 أمر الله تعالى أقبضوا في ذكره ساكنين ومتحركين ، فإن ذكره ،
 جل وعز ، أحسن الذكر ﴿ فإذا اطْمَأَنَّتُمْ ﴾ حيث وضعت
 الحرب أوزارها ﴿ فأقبضوها الصَّلَاة ﴾ الآمنة لا الخائفة
 ﴿ إن الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا ﴾ فرضاً لازماً
 ﴿ مَوْقُوتًا ﴾ محلولاً بالأوقات المبيّنة .

١٠٤ - ﴿ وَلَا تَهْزُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ﴾ لا تضغوا في حرب الطغاة المتعدين ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تَأْمِنُونَ فَأَيْنَمَا تَأْمِنُونَ ﴾ لا تكونوا تأمنون فإينهم يأمنون كما تأمنون وترجون من الله ما لا يرجون ﴿ عَلَامَ أَيْهَا الْمُسْلِمُونَ هَذَا الْانْكَسَارُ وَالْإِهْزَارُ خَوْفًا مِنْ قُوَى الشَّرِّ ؟ وَلِمَاذَا لَا تَتَّقُونَ بِاللَّهِ وَبِأَنْفُسِكُمْ ؟ إِنْ اللَّهَ مَعَكُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ الْمُبْتَطِل ، فَاتَّحَدُوا وَأَخْلَصُوا لِلَّهِ وَلِأَنْفُسِكُمْ ، أَتَخَافُونَ قُوَى الْعَدُوِّ ؟ فَهُوَ أَيْضًا يَخَافُ مِنْ وَحْدَتِكُمْ وَصِدْقِ عَزِّمَتِكُمْ ، وَلَا يَرْجُو مِنَ اللَّهِ مَا تَرْجُونَهُ أَنْتُمْ ، وَلِذَا لَا يَحْتَمِلُ هُوَ مَرَارَةَ الْحَرْبِ كَمَا تَحْتَمِلُونَهَا .

١٠٥ - ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ
النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾ بما أوحى الله به إليك لا برأيك واجتهادك.

﴿ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴾ أَي لَا تَخَاصِمْ مِنْ

أجل براءة الحائنين والدفاع عنهم ، وللهذه الآية وما بعدها قصة ، وخلاصتها أن رجلاً سرق درعاً لآخر ، وخبأها عند يهودي ، ولما أخذت الدرع من منزل هذا اليهودي قال : أودعها عندي أبو عصمة ، وهذا هو اسم السارق بالذات ، فجاء قومه إلى النبي (ص) وشهدوا ببراءة صاحبهم ، فرجع صدقهم أخذاً بظاهر الحال ، ولما هم أن يعاقب اليهودي عصمه الله ، وأطمعه على الواقع ، وقال له :

۱۰۶ - ﴿ واستغفر الله ﴾ مما همت .

الإعراب :

﴿كَيْفَ تَأْمُرُونَ﴾ الكاف بمعنى مثل وعملها النصب صفة لمفعول مَحذُوف. وما مصدرية، والتقدير يَأْمُرُونَ الْمَأْمُورَ الْمِثْلَ الْمَكْمُولِ.

﴿أَرَآكَ اللَّهُ﴾ رأى هنا بمعنى الرأي، وتعدت الى مفعولين بسبب الهمزة، والمفعول الأول الكاف، والمفعول الثاني ضمير محذوف، وتقديره بما أراك الله. واللام في ﴿لِلْخَائِنِينَ﴾ معناها شبه التمليك، مثل جعل لكم من أنفسكم أزواجاً، وقال ابن هشام في المغني: «تأتي اللام بمعنى عن». وهذا المعنى اليق بهذه اللام.

١٠٧- ﴿ وَلَا تَجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ ﴾
خَانُوا أَنْفُسَهُمْ وظلموها حيث كانوا السبب الأول في عقابها،
وكثيراً ما يقال للمجرم : يا عدو نفسه ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ مَنْ
كَانَ خَوَانًا أَلِيمًا ﴾ وأيضاً يوصف الخائن بالكفر كما في
الآية ٣٨ من الحج .

١٠٨- ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ ﴾ يستترون منهم
حياء أو خوفاً ﴿ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ ﴾ لا يخافون منه
ولا يستحون ، ولكن أين المهر ؟ ﴿ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾ وأقرب
إليهم من حبل الوريد ﴿ إِذْ يَبِيتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ ﴾
كما فعل قوم السارق ﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ ولذا
فضحهم في الدنيا قبل الآخرة .

١٠٩- ﴿ هَآأَنْتُمْ هَآؤَآءَ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾
قد يجد الآن الخائن المحتال من ينخدع به ويدافع عنه ، أما
غداً ﴿ فَمَنْ يَجَادِلُ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ إذا أدخلهم
جهنم مذمومين مدحورين ﴿ أَمْ هُمْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾
حافظاً من عذاب الله وغضبه .

١١٠- ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾
الله يجد الله غفوراً رحيماً ﴿ أَبَدًا لَا فِرَارَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ،
وكل من قرع بابه استجاب له .

١١١- ﴿ وَمَنْ يَكْسِبِ الْإِمَاءَ فَإِنَّمَا يَكْسِبُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾
قال رجل لأبي ذر : عظمي يا صاحب رسول الله ، قال له :
لا تسيء إلى نفسك . قال الرجل : وأي عاقل يسيء إلى نفسه؟

وَلَا تَجِدِ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
مَنْ كَانَ خَوَانًا أَلِيمًا ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا
يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى
مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿ هَآأَنْتُمْ
هَآؤَآءَ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ
عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿ وَمَنْ
يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ
غَفُورًا رَحِيمًا ﴿ وَمَنْ يَكْسِبِ الْإِمَاءَ فَإِنَّمَا يَكْسِبُ
عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿ وَمَنْ يَكْسِبِ
خَطِيئَةً أَوْ إِمَامًا ثُمَّ يَزِمُ بِهِ بَرِيئًا فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا
وَإِمَامًا مُبِينًا ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ
لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضْلَوْكَ وََمَا يُضْلُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ

قال : كل من يعصي الله فقد أساء إلى نفسه .

١١٢- ﴿ وَمَنْ يَكْسِبِ خَطِيئَةً أَوْ إِمَامًا ثُمَّ يَزِمُ بِهِ بَرِيئًا فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِمَامًا مُبِينًا ﴾ من يكسب الإثم فهو آثم،
ومن يرمي البريء بالإثم فهو باهت ، فجمع بين الرذيلتين في آن واحد .

١١٣- ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ ﴾ بما أخبرناك يا محمد عن سارق الدرع ﴿ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضْلَوْكَ ﴾
عن القضاء بالحق ﴿ وَمَا يُضْلُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ﴾ لأن وبال الضلال عليهم وحدهم ﴿ وَمَا يُضْرُونَكَ مِنْ شَيْءٍ ﴾ لأن

الإعراب :

ها أنتم (ها للتنبيه) وأنتم مبتدأ . وهؤلاء خبر . وجدلة جادلتكم عطف بيان وتفسير لمؤلاء . وأم من عطف على فمن يجادل الله .
ولولا حرف يدل على امتناع الشيء لوجود غيره . وفضل مبتدأ وخبره محذوف ، أي لولا فضل الله عليكم موجود .

الله حافظك وناصرك ﴿ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة ﴾ والمراد بالكتاب القرآن ، وبالحكمة هنا السنة ﴿ وعلمك ما لم تكن تعلم ﴾ من خفيات الأمور .

١١٤ - ﴿ لا خير في كثير من نجواهم ﴾ الكلام من فعل الإنسان أو كفعله يكون خيراً أو شراً تبعاً لآثاره وثماره ﴿ إلا من أمر بصلة ﴾ وهي خير لأنها تعود بالرفع على من أعطى وأخذ ﴿ أو معروف ﴾ اسم جامع لكل ما هو حسن عقلاً وشرعاً وعرفاً ، ولا يتنازع فيه اثنان ﴿ أو إصلاح بين الناس ﴾ وفي الحديث : «إصلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام» . ﴿ ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله ﴾ لا حياة أورياه ، ولا لمنصب أو جاه ﴿ فسوف نؤتيه أجراً عظيماً ﴾ وكل عامل أجره على من عمل له .

١١٥ - ﴿ ومن يشاقق الرسول ﴾ يخالفه ويعانده ﴿ من بعد ما تبين له الهدى ﴾ الحق ﴿ ويتبع غير سبيل المؤمنين ﴾ الطبعين لله ورسوله ﴿ نوله ما تولى ﴾ نخذه ونخلى بينه وبين من اعتمد عليه .

١١٦ - ﴿ إن الله لا يفر . . . ﴾ تقدم في الآية ٤٨ من هذه السورة .

١١٧ - ﴿ إن يدعون من دونه ﴾ من دون الله ﴿ إلا إناثاً ﴾ لم يكن في الجاهلية حي من العرب إلا ولهم صنم يعبدونه ، ويسمونه انثى بني فلان ﴿ وإن يدعون إلا شيطانا مريداً ﴾ حيث أغرامهم عبادة الأحجار فأطاعوه .

١١٨ - ﴿ لعنه الله ﴾ ولعن من أطاعه ﴿ وقال لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً ﴾ فرض الشيطان أن يأخذ لنفسه من عباد الله ، الضالين المضلين ، ويترك لله الهادين المهديين .

١١٩ - ١٢١ ﴿ ولأضلنهم ولأمنينهم ﴾ بالأباطيل والأكاذيب ، والشيطان في صراحته هذه أفضل ألف مرة

الإعراب :

﴿من أمر بصلة﴾ على حذف مضاف ، أي الا نجوى من أمر ، ومحل نجوى هذه المحذوفة نصب على الاستثناء المتصل ، ومن مجرور باضافتها . ﴿وابتغاء﴾ مفعول لأجله ليفعل . ﴿ومصيراً﴾ تمييز .

﴿إن يدعون﴾ (ان) نافية . وإلا أداة حصر . ﴿وإناثاً﴾ مفعول يدعون ، ومثلها شيطانا . وجلة لعنة الله في موضع نصب صفة للشيطان . واللام في ﴿لأتخذن﴾ وما بعدها واقعة في جواب قسم محذوف .

وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَيْكَ مَا لَمْ نَكُنْ نَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ * لَأَخْبِرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٥﴾ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٦﴾ إِنْ اللَّهُ لَا يَقْرَأَنَّ بِشْرِكَ بِهِءَ وَيَقْرِءَ مَا دُونَ ذَلِكَ لَعَنَ بَشَاءً وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٧﴾ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْسَانًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ﴿١١٨﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١١٩﴾ وَلَا ضِلَّيْنَهُمْ وَلَا مَنِينَ لَهُمْ وَلَا مَرْنَهُمْ .

من العمل المحتال والخائن المنافق ﴿ فَلْيَبْتَكَنْ آذَانَ الْأَنْعَامِ ﴾
البك : القطع ، والأنعام : الإبل والبقر والغنم ، وكان العرب
في الجاهلية يقطعون أو يشقون آذان بعض الأنعام ويوقفونها
للأصنام ﴿ وَلَا مَرْهُمْ فَلْيُغِيرْ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ كخصاء العبد
والسحق والواط ﴿ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا ... ﴾ قائداً
له فهو من القوم الخاسرين دنيا وآخرة .

١٢٢- ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ... ﴾ تقدم
أكثر من مرة ﴿ أَوَّلِيكَ ﴾ نصب على الطرية ﴿ وَعَدَ اللَّهُ ﴾
مفعول مطلق لسندخلهم ﴿ حَقًّا ﴾ حال ويجوز أن يكون
النصب على المصدر أي حق ذلك حقاً .

١٢٣- ﴿ لَيْسَ ﴾ اسمها محذوف أي ليس الأمر
أو ليس ما وعد الله تناولونه ﴿ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ
الْكِتَابِ ﴾ ليست الخيرات بمنى الشهوات ، بل بالجد
والعمل ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ وإلا كان المحسن
والمسيء عند الله بمنزلة سواء .

١٢٤- ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِثْرَ ذَرَّةٍ أَوْ
نَفْثَةٍ ... ﴾ لا فرق عند الله والناس الطيبين ، بل ولا في
الشرائع والقوانين ، أن فاعل الخير يكرم ويناب وفاعل الشر
يستحق الذم والعقاب ذكرنا أم أنثى .

١٢٥- ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ ﴾ أول
شرط من شروط الإيمان ، وهو الإخلاص في القول والعمل
﴿ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ الشرط الثاني أن تحسن لعباد الله وعباله ،
وعلى الأقل أن تكف أذاك عنهم ﴿ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾

فَلْيَبْتَكَنْ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْهُمْ فَلْيُغِيرْ خَلْقَ اللَّهِ
وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا
مُبِينًا ﴿ يَبْذُرُهُمْ وَيَمْنُنْهُمْ وَمَا يَعْهَدُهمُ الشَّيْطَانُ
إِلَّا غُرُورًا ﴾ ﴿ أَوَّلِيكَ مَا وَهَبَهُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا
مَحِصًا ﴾ ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ
اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ
وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا
يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ
مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى هُوَ مُؤْمِنٌ فَأَوَّلِيكَ
يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا
مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾

مانلاً عن طريقة المحرمين إلى طريقة إبراهيم طرية الله والحق

الإعراب :

ولأصلهم ولأمنهم ولأمرهم ، كل فعل من هذه الأفعال الثلاثة قد عمل بشيء محذوف ، أي ﴿ لأصلهم عن الهدى وأمنهم الباطل ،
وأمرهم بالضلال ﴾ . والمفعول الثاني ﴿ ليعلمهم ﴾ محذوف ، أي يهدمهم النصر . وعنها متعلق بمحذوف حالا من محيص ، أي كائناً عنها
محيصاً ، ولو تأخر لفظ ﴿ عنها ﴾ لتعلق بصفة لمحيص ، ولا يجوز أن يتعلق بيجلدون ، لأن يجلدون لا تتعدى بمن . ﴿ والذين آمنوا ﴾ مبتدأ ،
وخبره سندخلهم . وخالدين حال من الذين آمنوا . ﴿ وأبدأ ﴾ منصوب على الطرية ، ويدل على استغراق المستقبل . ووعده الله مفعول
مطلق لسندخلهم ، لأنه يتضمن معنى الوعد . ﴿ وحققاً ﴾ حال من وعد الله ، ويجوز أن ينصب على المصدر ، أي حق ذلك حقاً . ﴿ ومن
أصدق ﴾ استفهام ، فيه معنى النفي ، أي لا أحد أصدق ، وعله الرفع بالابتداء ، وأصدق خير . وقيلاً بتمييز ، تماماً كقولك : هو أكرم منك
معللاً .

والعدل ﴿ واتخذ الله إبراهيم خليلاً ﴾ أي جامعاً لخلال الحمد ، وقال الإمام جعفر الصادق (ع) : إن الله اتخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتخذه نبياً ، واتخذهُ نبياً قبل أن يتخذه رسولاً ، واتخذهُ رسولاً قبل أن يأخذهُ خليلاً .

١٢٧- ﴿ ويستفتونك في النساء ﴾ يسألونك يا محمد عما يجب عليهم في أمر النساء ﴿ قل الله يفتيكم فيهن ﴾ بين لكم الأحكام بلسان نبيه الكريم ﴿ وما ينطق عليكم في الكتاب ﴾ وأيضاً القرآن فيه تبيان الأحكام وكل ما تحتاجون إليه من أمور الدين ، ومن جملة ذلك ما جاء ﴿ في ينمي النساء ﴾ المحجر عليهن لسبب أو لآخر بدليل قوله تعالى : ﴿ اللاتي لا يؤمنون ما كتب لهن ﴾ من إرث أو مهر ﴿ وترغبون أن تنكوهن ﴾ كان الرجل في الجاهلية يضم اليتيمة إلى نفسه ، فإن كانت جميلة نكحها وأكل مالها ، وإن تك دميعة منها من الزواج حتى تموت وورثها من دون أرحامها ﴿ والمستضعفين من الولدان ﴾ وأيضاً بكنيتكم الله في الصبيان بأن تعطوهم حقوقهم من الميراث ﴿ وأن تقوموا لليتامى بالقسط ﴾ بالعدل في موارثهم والإنفاق عليهم منها بالمعروف ، وتربيتهم تربية صالحة ذكوراً كانوا أم إناثاً ﴿ وما تفعلوا من خير ﴾ مع الأيتام والنساء وأي مخلوق ﴿ فإن الله كان به عليماً ﴾ أي لا يضيع أجر من أحسن عملاً

١٢٨- ﴿ وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو أعراضاً ﴾ قد تشعر الزوجة من زوجها ترفعاً عليها أو إعراضاً عنها ﴿ فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً ﴾ فلا بأس عليه ولا

عليها أن يتصالحا مباشرة أو بواسطة أحد الطرفين ، فيجاهدوه نفسه ، وتصبر هي ، ويرضى كل بما قسم له ﴿ والصلح خير ﴾ من الطلاق وشتات العيال والأطفال ﴿ واحضرت الأنفس الشح ﴾ مطبوعة عليه ، فلا تسمح بشيء من حقها ، بل وتطمع في حقوق الآخرين ، ومن هنا جاءت المشكلات والمشاحنات .

١٢٩- ﴿ ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ﴾ في الحب والمودة ﴿ ولو حرصتم ﴾ أولاً لأن الله لا يكلّف نفساً إلا وسعها . وثانياً أن التكافؤ في ميل القلب بين زوجتين لا يتحقق إلا أن تكون الزوجتان متكافئتين متساويتين خلقاً وخلُقاً وذوقاً وذكاءً وفي كل المؤهلات ! وهذا تعليق على المحال عادة ، ولذا أوجب سبحانه العدل بين الزوجات في النفقة وحسن المعاشرة دون الميل والمودة ، وقال في هذا الميل « ولن تستطيعوا ... ولو حرصتم » وقال في النفقة « فإن خفت ألا تعدلوا فواحدة » .

﴿ فلا تميلوا كل الميل ﴾ لا تجوروا على المرغوب عنها ﴿ فتدروها ﴾ تجعلوها ﴿ كالمعلقة ﴾ لا هي بزوجة تتمتع بحقوق الزوجية ، ولا بمطلقة تلتمس زوجاً آخر ﴿ وإن تصلحوا ﴾ حاولوا الصلح ما استطعتم ﴿ وتفقوا ﴾ الله

وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ وَاسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يَفْتِيكُمْ فِيهِنَّ عَلَيكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتْلَى النِّسَاءُ الَّتِي لَا تَوْتُونَهنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ وَإِنْ أَمْرَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُواهَا كَالْمُلْقَةِ وَإِنْ تَصْلَحُوا

في النساء وحقوقهن ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ يغفر ما سلف بين الزوجين بعد المصالحة وحسن التوبة .

١٣٠ - ﴿ وَإِنْ يَتُوهَا ﴾ حيث يتعذر الصلح ﴿ يَغْنِ ﴾ الله كلا من سخطه ﴿ بحياة أرغد وزوجة أزوج أسعد .

١٣١ - ﴿ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ يجب من خيراتها ما يشاء لمن يشاء ﴿ ولقد وصينا الذين ... ﴾ قلنا لكم وللخلق أجمعين من الأولين والآخرين : آمنوا بالله ولا تكفروا ، وأطيعوه ولا تعصوه ، فهو خالفكم ورازقكم ، وإن تكفروا فإن لله في أرضه وسماؤه من عبده ويوحده ، على أنه غني عن خلقه وعبادتهم ، وكرر سبحانه .

١٣٢ - ﴿ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ ليكون على علم اليقين أنه رب كريم وغني عن العالمين .

١٣٣ - ﴿ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ الْآخِرِينَ ﴾ يؤمنون به ، ولا يعملون إلا له ، ولكن أمره قضاء وحكمة ، يقضي بعلم ، ويحكم بعدل ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون .

١٣٤ - ﴿ مَنْ كَانَ يَرْيِدُ لُؤَابِ الدُّنْيَا ﴾ واشتغل بها عن آخرته ، فقد فوت الحظ الأوفر ﴿ فعند الله لُؤَابِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ والعاقل يعمل لها معاً ، فيحز الثوابين ، ويملك الدارين .

١٣٥ - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ﴾ قَوَّامِينَ في صيغة المبالغة تأكيداً للصلافة والقوة في العدل

والحرص عليه والوفاء به ﴿ شهداء لله ﴾ والشهادة لله سبحانه هي عين الشهادة للعدل وبالعدل ، وفيه تنويه على أن الاعتداء على العدل والإستهانة به عين الإستهانة بالله الذي ليس كمثله شيء ﴿ ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ﴾ وهل للعدل من معنى إلا عدم التعصب للنفس والتحيز للقرابة ﴿ إِنْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْهُودِ لَهُ أَوْ عَلَيْهِ ﴾ غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما ﴿ فلا يكن الغنى أو الفقر مبرراً للتحريف والترفيف ، كيف والشهادة دين وإيمان ! فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ﴾

الإعراب :

﴿واياكم﴾ معطوف على الذين ، أي وصينا الذين أوتوا الكتاب ووصيتاكم . وإن اتقوا ﴿إن﴾ للتفسير بمعنى أي مثل كتبت إليه أن أفعل كذا ، أي إفعل كذا ، ويجوز أن تكون ﴿إن﴾ مصدرية ، والمصدر المنسبك مجرور بجار محذوف متعلق بوصيتا ، والتقدير وصيتا بتقوى الله . وكفى فعل ماضٍ ، والباء زائدة ، ولفظ الجلالة فاعل ، وكيفاً حال ، أو تمييز على معنى من وكيل .

﴿شهداء﴾ خبر ثانٍ لكونوا ، ويجوز أن يكون حالاً من ضمير قوامين ، لأن قَوَّام اسم فاعل . وهل أنفسكم متعلق بمحذوف ، أي ولو شهدتم على أنفسكم . أن يكن غنياً اسم كان محذوف ، أي أن يكن المشهود عليه غنياً . وقال : أولى بها ، ولم يقل أولى به ، مع أن الضمير يجرّد ولا يثنى إذا عطف بأول لأن العطف هنا جرى على المعنى ، لا على اللفظ ، أي الله أولى بغنى وفقر الفقير ، لأن كل ذلك منه تعالى .

وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً ﴿١٣٠﴾ وَإِنْ يَتُوهَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَخَطِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِبْرَاهِيمَ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا جَبِيدًا ﴿١٣٢﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٣﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ الْآخِرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٤﴾ مَنْ كَانَ يَرْيِدُ لُؤَابِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ لُؤَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٥﴾ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا

لن تكونوا عادلين منصفين في الشهادة إلا إذا تجردتم عن الميول والأهواء ﴿ وَإِنْ تَلَوْا ﴾ ألتستمكم عن شهادة الحق ﴿ أَوْ تَعْرَضُوا ﴾ عنها وتمتصها عن صاحب الحق ﴿ فَإِنْ ﴾ الله كان بما تعملون خبيراً ﴿ تهديد لمن يكتم الشهادة أو يحرفها .

١٣٦ - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، آمَنُوا ﴾ يا أيها المسلمون اثبتوا على الإيمان ﴿ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ محمد وبالقرآن والكتب المنزل والأنبياء المرسله من قبله ، ولا تؤمنوا ببعض ، وتكفروا ببعض ، ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا كَالْكَثِيرِ الْكَثِيرِ مِنْ أَبْنَاءِ هَذَا الْجِيلِ أَوْ يُؤْمِنُ بَعْضُ دُونِ بَعْضٍ ﴿ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ أي بلغ الغاية والنهاية في ضلالة وسوء فعاله .

١٣٧ - ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ بموسى والتوراة ، وعليه يكون المراد بهؤلاء خصوص اليهود ﴿ ثُمَّ كَفَرُوا ﴾ بمحمد الذي يؤمن بموسى وتوراته ، وعليه يكون كفرهم بمحمد كُفْرًا بموسى والتوراة ﴿ ثُمَّ آمَنُوا ﴾ بيسى والانجيل ، وعليه يكون المراد بهؤلاء النصارى فقط ﴿ ثُمَّ كَفَرُوا ﴾ بمحمد الذي يؤمن بيسى وانجيله ، وعليه يكون كفرهم بمحمد كُفْرًا بيسى والانجيل ﴿ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا ﴾ بالنصب والتعصب ضد محمد (ص) والقرآن ﴿ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُفْهِرْ لَهُمْ ﴾ ذلك بما كسبت أيديهم ، وأيضاً تطبق هذه الآية وتصدق على كل منافق لا يؤمن إلا بمنفعته فليته وراءها أينما كانت وتكون .

١٣٨ - ﴿ بَشَرِ الْمُنَافِقِينَ ﴾ الذين لا يتاجرون ولا يتعاملون مع أي مخلوق وكائن إلا بالكذب والرياء والغش والضرء ﴿ بَأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ اشتد حره والنهب جمره .

١٣٩ - ﴿ الَّذِينَ يَتَخَلَّوْنَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ ﴾ يوالون أعداء الله والدين والإنسانية ﴿ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ بالله ورسوله وبالولاية له ولأهل بيته الأطهار ! ولماذا هذا التفاق وهو أشد ذنباً من الكفر بنص القرآن ؟ ﴿ أَيْتُونَا عِنْدَ الْكَافِرِينَ ﴾ العزة ؟ وإجابه ؟ ما هذا الالتواء القادح والمنطق القاضح ؟ ﴿ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ ومن اعتر بغيره ذل في الدنيا قبل الآخرة .

١٤٠ - ﴿ وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا ... ﴾ الخطاب عام لكل مكلف أو مسلم ، والدلالة واضحة على وجوب الإعراض عن كل من يخوض بالباطل أو يعيث ويسخر من قضايا الدين والاخلاق والخير والصلاح ﴿ فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ ﴾ احرقوا واستضعفوا شأن كل إباحي يعيث بالقيم الروحية ، وأشعروه بالفعل قبل

فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَّ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تَعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ الَّذِينَ يَتَخَلَّوْنَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْتُونَا عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا

القول أنه منبذ ومرذول ﴿ حتى يخوضوا في حديث غيره ﴾ فيه تنويه بأن مجالسة الكافر أو الفاسق مباحة ذاتاً محرمة عرضاً أي إذا اشتملت على الحرام ﴿ إنكم إذا مثلهم ﴾ في الجرم والجريمة إذا شاركتموهم في الخوض بالباطل والاستهزاء في الحق والعدل .

١٤١- ﴿ الذين يترهبون بكم ﴾ المنافقون الانتهازيون

ينتظرون بكم أيها المسلمون دوائر الزمان عليكم ﴿ فإن كان لكم ﴾ أيها المسلمون ﴿ فتح من الله ﴾ ونصر على الكافرين ﴿ قالوا ألم تكن معهم ﴾ ونشارككم الضراء والغرم ، فإذا اشركونا في السراء والغرم ؟ وإن كان للكافرين نصيب ﴿ وكانت لهم القوة والغلبة على المسلمين ﴾ قالوا ألم نستحوذ عليكم ﴿ ألم تنسكن من قبلكم حين كنا في جيش المسلمين ظاهراً ومعكم باطناً ؟ ﴿ ونمنعكم من المؤمنين ﴾ أي حينما كنتم من المسلمين بالتشيط والمكر والخداع ؟ فأين الأجر؟ وهكذا كل منافق انتهازى يتعامل مع كل فريق بالمكر والخداع على أساس المنفعة الشخصية .

﴿ فانه يحكم بينكم يوم القيامة ﴾ بالحق ، فيجزي الصادقين بصدقهم والمنافقين بما كانوا يكسبون ﴿ ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً ﴾ في عالم التشريع وجعل الأحكام .

١٤٢- ﴿ إن المنافقين يخادعون الله ﴾ بإظهار الإسلام

كذباً ونفاقاً ﴿ وهو خادعهم ﴾ غالبهم ويخادعونهم على نفاقهم وخداعهم ﴿ وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى ﴾ لأنهم بها كافرون ، ويتكفونها لمجرد أنهم ﴿ يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً ﴾ والمراد بذكره تعالى هنا الصلاة ، والمعنى لا يصلون إلا حين يراهم الناس ، ولهم أشباه ونظائر في كل عصر .

١٤٣- ﴿ مدبذين ﴾ مضطربين ﴿ بين ذلك ﴾ أي بين المسلمين والكفار تارة هنا وتارة هناك ﴿ لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ﴾ بل إلى أهوائهم ومنافعهم ﴿ ومن يضل الله فلا تجد له سبيلاً ﴾ تقدم بالحرف في الآية ٨٨ من هذه السورة .

١٤٤- ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخلوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين ﴾ وتكرر هذا التحذير في كتاب الله ، والسر أن الكفر ألوان ، ومن آثر موالاة الكافر على موالاة المؤمن فقد ارتكب لوناً من ألوان الكفر ﴿ أترى أن تجعلوا

الإعراب :

جملة ﴿ وهو خادعهم ﴾ مستأنفة لا عمل لها من الإعراب ، كأن سألنا يسأل : ما هو جزاء المخادعين ؟ فأجيب بأن وبال خداعهم يرجع عليهم . ﴿ كسالى ﴾ حال من الواو في قاموا . وجملة يراؤون حال ثانية . ﴿ وقليلاً ﴾ نعت لمصدر محذوف ، أي إلا ذكراً قليلاً .

فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۖ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ۖ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كُفْرٌ فَتَحَ مِنَ اللَّهِ قُلُوبًا ۚ لَنْ نَكُنَّ مَعََكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ فَاللَّهُ بِحِكْمٍ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۖ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ۖ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۖ مَذْبُذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ۖ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أُرِيدُوا أَنْ

لَهُ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٤٠﴾ حجة واضحة تستحقون بها العقاب ، وهي مولايتكم للكافر من دون المؤمنين .

١٤٥ - ﴿١٤٥﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴿١٤٥﴾ ولا شيء وراء الأسفل ، ومعنى هذا أنه ليس بعد النفاق ذنب ، إلا الكفر كما يقال .

١٤٦ - ﴿١٤٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا ﴿١٤٦﴾ ندموا واعترفوا بالذنب وَأَصْلَحُوا ﴿١٤٦﴾ في جميع أعمالهم ﴿١٤٦﴾ واعتصموا بالله ﴿١٤٦﴾ أي بطاعته وإتقائه معاصيه ﴿١٤٦﴾ وأخلصوا دينهم لله ﴿١٤٦﴾ والإخلاص في الدين هو وحده الجامع لخلال الحمد والكمال ﴿١٤٦﴾ فأولئك مع المؤمنين ﴿١٤٦﴾ شركاء معهم في المنزلة والكرامة عند الله .

١٤٧ - ﴿١٤٧﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ ﴿١٤٧﴾ أنتفضى به من العيظ أم يستجلب به نفعاً أم يستدفع ضرراً ؟ كلا ، إنه غني عن كل شيء ، وإليه يفتر كل شيء ﴿١٤٧﴾ إن شكرتم ﴿١٤٧﴾ نعمته ﴿١٤٧﴾ وآمتم ﴿١٤٧﴾ به ﴿١٤٧﴾ وكان الله شاكراً عليماً ﴿١٤٧﴾ يجازي الشاكرين بأضعاف ما يستحقون .

١٤٨ - ﴿١٤٨﴾ لَا يَحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ ﴿١٤٨﴾ أي الإعلان والشهير بالعيوب والسيئات ﴿١٤٨﴾ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ﴿١٤٨﴾ أي المظلوم ، يسوغ له أن يذكر ظلامته أمام الناس ومن ظلمه واعتدى عليه ، ونعطف على ذلك : إن كل من يفسد في الأرض ، ويسفك الدماء ، ويسلب الأموال ، فلا حرمة له ولا لدمه .

١٤٩ - ﴿١٤٩﴾ إِنْ تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ تَخَفُوا أَوْ تَعَفَوْا عَنْ سُوءِ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ أجل ، للمظلوم أن يقتصر ويتظلم ، ولكن العفو وستر القبيح أفضل عند الله وأعظم أجراً .

١٥٠ - ﴿١٥٠﴾ إِنْ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ ... ﴿١٥٠﴾ تقدم معناه في الآية ١٣٦ و ٢٨٥ من البقرة ، والخلاصة أن الإيمان في دين القرآن والإسلام لا يتجزأ ، فمن آمن بالله يجب أن يؤمن بجميع أنبيائه دون استثناء ، ومن أنكر نبوة واحد منهم ، بل من أنكر حكماً واحداً من أحكام الله علماً بأنه لله ومن الله فهو كافر به بحكم العقل وبديته ، وبقوله تعالى :

١٥١ - ﴿١٥١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ﴿١٥١﴾ على الرغم من شعائر الإيمان ومظاهره وتشديد الصوامع والمعايد .

الإعراب :

﴿من النار﴾ متعلق بمحذوف حالاً من الدرك . ﴿والذين تابوا﴾ «الذين» في موضع نصب على الاستثناء من الضمير في ﴿لهم﴾ . وما يفعل الله ﴿وما﴾ استفهام في موضع نصب يفعل . ﴿بالسوء﴾ متعلق بالجهر ومن القول متعلق بمحذوف حال من السوء . ﴿ومن ظلم﴾ استثناء منقطع ، على معنى ولكن من ظلمه ظالم فله أن يجهر بالشكوى من ظلمه . ويجوز أن يكون استثناء متصل على تقدير حذف مضاف ، أي الا جهر من ظلم ، وهو الأرجح

تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٤٠﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ
فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾
إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ
لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ
أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ
وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ * لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ
مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾
إِنْ تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ تَخَفُوا أَوْ تَعَفَوْا عَنْ سُوءِ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ
عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنْ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ
وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ
بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ
سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا

١٥٢- ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يَفْرُقُوا بَيْنَ الْكُفَرِ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ كل الفرق والمذاهب الإسلامية تؤمن بجميع الأنبياء ، ولا تكفر ببعض ، ولكن بعض الطوائف أو المذاهب الإسلامية تكفر وتكفر بعض الطوائف أو المذاهب الإسلامية ، فهل هذا الكفر والتكفير ، أيضاً كفر بالله تماماً كالكفر ببعض الأنبياء ؟ الجواب : كلنا يحفظ هذا الحديث : من كفر مسلماً فهو كافر .

١٥٣- ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ المراد بهم يهود المدينة آنذاك ﴿أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ طلبوا ذلك من محمد (ص) نعتنا طلباً للحجة لأنهم منها على علم اليقين ﴿فَقَدْ سَأَلُوا﴾ أي آباء السائلين محمداً سألوا موسى أكبر من ذلك ﴿وَصَحَّتِ النَّسْبَةُ إِلَى الْأَبْنَاءِ لِأَنَّهُمْ عَلَى دِينِ آبَائِهِمْ وَطَبِيعَتِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ﴾ فقالوا أرنا الله جهرة.. ﴿تَقْدِمُ فِي الْآيَةِ ٥٥ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ .

١٥٤- ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ﴾ اسم الجبل الذي ناجى عليه موسى ربه ﴿بِمِثَالِهِمْ﴾ رفعنا الجبل فوق يهود موسى ، لأنهم نقضوا العهد والميثاق الذي قطعوه على أنفسهم من وجوب الإلتزام والعمل بالتوراة ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ﴾ بلسان نبيهم ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ﴾ قبل هو أحد أبواب بيت المقدس ﴿سَجْدًا﴾ ناكسي الرؤوس خاضعين خاشعين ، وتقدم في الآية ٥٨ من البقرة ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْلُوا فِي السَّبْتِ﴾ لا تصطادوا السمك في هذا اليوم ، وتقدم في الآية ٦٥ من البقرة .

١٥٥- ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ﴾ وما زائدة ، ونقضهم متعلق بمحذوف أي لعناهم بسبب نقضهم ﴿بِمِثَالِهِمْ﴾ على أن يطيعوا الله ﴿وَكُفِّرْهُمْ بآيَاتِ اللَّهِ﴾ ومنها الحجج الدالة على نبوة عيسى ومحمد ﴿وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾

كتركها ويحیی ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ لا يصل إليها شيء من العظات والدعوات ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ ليست قلوبهم غلفاً بالخلقة ، بل طغى عليها الكفر والعناد حتى أصبحت كالحجارة أو أشد قسوة ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم عبد الله بن سلام وتعلبة بن شعبة واسد بن عبيد الله .

١٥٦- ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ﴾ عطف على نقضهم

الإعراب :

أكبر صفة لمفعول مطلق محذوف ، أي سؤالاً أكبر . وجره أيضاً صفة لمفعول مطلق محذوف ، أي رؤية جهرة . وبمِثَالِهِمْ على حذف مضاف ، أي بنقض ميثاقهم ، والمرور متعلق برفعنا . ما في قوله : ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ﴾ ، زائدة ، أي فينقضهم ، والمجرور متعلق بمحذوف ، أي لعناهم . ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ منصوب على الإستثناء من ضمير يؤمنون ، ويجوز أن يكون صفة لمفعول مطلق محذوف ، أي إيماناً قليلاً ، بعض النقص والضعف .

لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ
وَلَمْ يَفْرُقُوا بَيْنَ أَحَدِهِمْ مِنْهُمْ أَوْلَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ
وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٥٧﴾ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ
تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ
مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ
ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ النَّبِيُّتُ فَعَفَوْنَا عَنْ
ذَلِكَ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٥٨﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمْ
الطُّورَ بِمِثْلِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا
لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِثْلًا غَلِيظًا ﴿١٥٩﴾
فِيمَا نَقُضُهُمْ مِثْلَهُمْ وَكُفِّرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمْ
الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا
بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦٠﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ

﴿ على مريم بهتاناً عظيماً ﴾ وماها اليهود بما بهتر له العرش ، ومع ذلك الكثير من نصارى العصر الراهن حلفاء أحماء لليهود .

١٥٧- ﴿ وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ﴾ كَذَّبَ سبحانه زعم اليهود بأنهم قتلوا السيد المسيح تماماً كما كَذَّبَ الذين خاطبوا محمداً بقولهم « إنك لمجنون » حيث ردَّ عليهم سبحانه بهذه الآية : « وما صاحبكم بمجنون - ٢٢ التكرير » . ﴿ ولكن شبه لهم ﴾ حيث ألقى سبحانه على المصلوب شبه عيسى ﴿ وإن الذين اختلَفوا فيه ﴾ في عيسى وأنه قُتل أو لم يقتل ، أو هو إنسان أو إله أو ابن إله ﴿ لفي شك منه ﴾ وجهل وعى عنه ﴿ ما لهم به من علم إلا اتباع الظن ﴾ الذي لا يغني عن الحق شيئاً ﴿ وما قتلوه يقيناً ﴾ نصباً على المصدرية أي تقنوا أيها الناس يقيناً .

١٥٨- ﴿ بل رفعه الله إليه ﴾ وجعله في منجى من فتنة الأنبياء .

١٥٩- ﴿ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ﴾ جاء في بعض الأحاديث أن كل إنسان ينكشف له ساعة النزح والاحتضار عما كان يعتقد في الحياة الدنيا حقاً كان أم باطلاً ، وهذه الآية الكريمة تشهد بالصدق والصحة لتلك الأحاديث حيث دلت بظاهرها على أن كل كتابي يهودياً كان أم نصرانياً لا بد أن يؤمن بعيسى آنذاك مع العلم بأن هذا الإيمان لا يجديه شيئاً لأنه تماماً كالإيمان في يوم القيامة حيث لا تكليف ولا عمل .

١٦٠- ﴿ فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ﴾ ما حرمنا على اليهود بعض الطيبات التي هي حلال بذاتها لهم ولغيرهم - إلا لذنوب وظلم عظيم ارتكبه ﴿ وبصدهم عن سبيل الله كثيراً ﴾ وأيضاً من سيئات اليهود أنهم صدوا أناساً كثيرين عن اتباع الحق بكل وسيلة .

١٦١- ﴿ وأخذهم الربا وقد نهوا عنه ﴾ والمعروف عند أهل الإختصاص أن اليهود هم أول من سنَّ الربا وشرع تحليله ﴿ وأكلهم أموال الناس بالباطل ﴾ كالرشوة التي يأخذها أقويأؤهم من ضعفائهم .

١٦٢- ﴿ لكن الراسخون في العلم منهم ﴾ كعب الله ابن سلام ومن آمن معه بمحمد (ص) ﴿ والمؤمنون ﴾ من المهاجرين والأنصار ، كل أولاء ﴿ يؤمنون بما أنزل إليك ﴾ يا محمد ﴿ وما أنزل من قبلك ﴾ على إبراهيم

الإعراب :

﴿وعيسى ابن مريم﴾ عطف بيان من المسيح ، والكلمات الثلاث عيسى وابن مريم بمنزلة الكلمة الواحدة ، مثل لا رجل طريف في الدار- هكذا جاء في مجمع البيان - ورسول الله صفة لعيسى .

عَلَى مَرِّمَ بِهِتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٧﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٨﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٩﴾ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٦٠﴾ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدْعٍ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦١﴾ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦٢﴾ لَكِنَّ الرَّاخِضِينَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ

الرَّكَوَّةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ
أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٦﴾ * إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا
إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ
وِإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ
وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١٦٧﴾
وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ
نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٨﴾
رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ
حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٩﴾ لَكِنَّ اللَّهَ
يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ
وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٧٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ
سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٧١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

وموسى وعيسى ﴿ والمؤمنين الصلاة ﴾ أي وأخص بالمدح
المؤمنين الصلاة لبيان منزلتها وفضلها ﴿ والمؤمنون الزكاة
والمؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ والرفع هنا خبر لمبتدأ محذوف
أي هم المؤمنون الزكاة والمؤمنون بالله .

١٦٣- ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ يا محمد ﴿ كما
أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ ... ﴾ الأسباط واحدها سبط ، وهو ولد
الولد ، والمراد بالأسباط هنا الاثنا عشر سبطاً من اثني عشر
ابن ليعقوب ابن اسحق بن ابراهيم ، والزبور : الكتاب بمعنى
المكتوب ، والآية جواب لأهل الكتاب عن سؤالهم رسول
الله أن ينزل عليهم كتاباً من السماء ، وخلاصة المعنى أن الله
سبحانه أرسل محمداً كما أرسل من كان قبله من النبيين
المذكورين وغيرهم ، وغيرهم ، وإن المعجزات قد ظهرت
على يد محمد (ص) تماماً كما ظهرت على أيديهم ، وقد
اعترفتهم نبوة من سبق محمداً فليكن أن تعترفوا بنبوته ،
لأن الأشياء المتماثلة تؤدي إلى نتائج وأحكام متماثلة .

١٦٤- ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ ﴾
وأنت في مكة ، وجاءت أسماؤهم في سورة الأنعام الآية ٨٤
و ٨٥ و ٨٦ ﴿ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾ وإذا كان
الله سبحانه لم يقصصهم على نبيه ونبيه محمد (ص) ، فمن
أين جاء العلم لمن قال : إنهم مئة وأربعة وعشرون ألفاً ؟

١٦٥- ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ
عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ أبداً لا عقاب بلا بيان كما
يقول علماء الإسلام ، أو لا عقوبة بلا نص كما تقول القوانين
الوضعية ، والدليل على ذلك العدالة الإلهية والبدئية العقلية

وأيضاً لا عذر إطلاقاً لمن يجهل النص والبيان وهو قادر على الوصول إليه بالبحث والدرس .

١٦٦- ﴿ لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ ﴾ والمراد بشهادة الله والملائكة الخلق
العظيم وأنه (ص) بالمؤمنين رُفُوفٌ رَحِيمٌ كما في الآية ٤ من القلم والآية ١٢٨ التوبة ، والشرعة الإلهية الإنسانية التي نزلت
على قلب محمد (ص) وغير ذلك من المعجزات والآثار ، وهكذا كل من ينفع الناس بجمعة من الجهات ، يشهد له الله
والملائكة والناس أجمعين ، وهل من عاقل على وجه الأرض يسأل : أيحمل المتنبي شهادة خطية بأنه شاعر أو أديسون
مخترع الكهرباء بأنه مخترع ؟ وجاء في الأشعار « لها منها عليها شواهد » .

١٦٧- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَلُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ جمعوا بين ردئية الكفر وردئية الصد عن الحق ، وتطبق هذه
الآية على وسائل الإعلام الكاذبة المضللة في العصر الراهن .

١٦٨ - ١٦٩ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وظَلَمُوا...﴾
 سلكوا في الدنيا طريق الفساد والضللال ، فقادهم إلى جهنم
 وساءت مصيراً ، وهكذا « ومن كان في هذه أعمى فهو في
 الآخرة أعمى وأضل سبيلاً » - ٧٢ الإسراء .

١٧٠ - ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ﴾ وهو
 محمد (ص) ﴿بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ ومن كان في ريب
 من ذلك فليقارن بين عقيدة الإسلام وشرعته وسائر العقائد
 والشرائع ثم يستفتي قلبه ، ويعمل بفتواه ، إن الإسلام يقاضي
 المنكر إلى العقل ، ويقول في كتابه : أفلا تعقلون ؟ أفلا
 تفكرون ؟ وأيضاً قال نبيه الكريم : أصل ديني العقل ،
 وأي شيء تقول لمن قاضاك إلى العقل والعقلاء ؟ ﴿فَأَمَّا
 خَيْرٌ لَكُمْ﴾ من الكفر بالحق والعدل والإيمان بالجهت
 والطاغوت و « خيراً » منصوب خيراً لكان المحذوفة أي يكن
 الإيمان بالحق خيراً لكم .

١٧١ - ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا
 عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ والغلو ضد الاعتدال في التجاوز عن
 الحد بزيادة أو نقصان .

ومثال العدل والاعتدال قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ
 عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ﴾ كإبراهيم وموسى ومحمد
 ﴿وَكَلَّمْتُهُ فَأَقَامَهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ وهي « كن فيكون » .
 ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ والمراد بالروح هنا الحياة التي لا مصدر لها
 إلا الله وحده ﴿فَأَمَّا بِلِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً﴾ :
 أب وابن وروح قدس ، وفي قاموس الكتاب المقدس للنصارى

ص ١٠٧ طبعة عام ١٩٦٤ ما نصه بالحرف الواحد : « فالأب هو الذي خلق العالمين بواسطة الابن ، والابن هو الذي أتم
 الفداء وقام به ، والروح القدس هو الذي يظهر القلب والحياة ... وهذا هي الأرقام الثلاثة » . ﴿انتهوا﴾ أي أيتها النصارى
 عن القول بالثلاث يكن الانتهاء عن هذا القول ﴿خيراً لكم إنما الله إله واحد﴾ لو كان فيهما إله إلا الله لفسدتا - ٢٢
 الانبياء ﴿سبحانه أن يكون له ولد﴾ فيكون مولوداً ، ولم يولد فيصير محدوداً . كما في نهج البلاغة ، ومعنى المحدود
 هنا أن لوجوده بداية وهي يوم ولادته .

١٧٢ - ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ﴾ لن يأنف ﴿أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون﴾ لأن التبع لله وحده

إعجاب :

﴿لم يكن الله ليغفر لهم﴾ خير كان محذوف أي لم يكن مريداً ليغفر لهم ، ﴿والأطريق جهنم﴾ نصب على الاستثناء المتصل من الطريق
 التي وقعت نكرة في سياق النفي . ﴿خالدين﴾ حال . وخيراً خير كان المحذوفة مع اسمها ، أي يكن الإيمان خيراً ، وقيل مفعول لفعل
 محذوف ، أي وآتوا خيراً . ﴿المسيح﴾ مبتدأ . ﴿وعيسى﴾ عطف بيان . ورسول الله خير . وكلمته عطف على الرسول . وجملة أقامها
 حال . وثلاثة خير لمبتدأ محذوف ، أي ألفتنا ثلاثة . وخيراً مفعول لفعل محذوف ، أي وقولوا خيراً . والمصدر المنسبك من أن يكون مجرور
 بمن محذوفه ، والمجرور متعلق بسبحانه ، وجميعاً حال من ضمير فيسبحهم .

هو السبيل الوحيد إلى الفوز بشوابه والنجاة من عذابه ﴿ ومن يستكف عن عبادته ﴾ فلا مفر له من سلطانه ونيوانه .

١٧٣ - ﴿ فَاَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ ملا سبحانه كتابه الكريم في التشويق والترغيب في عمل الخير والصلوات ، ووعد العامل بكل ما يهواه ويتطلع إليه وزيادة ، ذلك بأن الإنسان أناني بطبعه لا ينجذب إلا إلى الشيء الذي يشتهي . سبحانه ربنا إنك العليم الحكيم ﴿ وأما الذين استكفوا واستكبروا فنعذبهم عذاباً أليماً ﴾ بالعدل ولا يظلم مقال ذرة ، وقد يعنو .

١٧٤ - ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ وأشار إليه بقوله سبحانه : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴾ وهو كتاب الله وسنة نبيه وسيرته ، ونحن لا نطلب من المنكرين إلا أن يتجردوا عن التقليد والتعصب ، ويدرسوا ذلك بإمعان وتدبر ، ويعملوا بوجي من إحساسهم وأعماقهم .

١٧٥ - ﴿ فَاَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ ﴾ فهم في رحمة الله وفضله دنيا بالتوفيق والهداية إلى الحق والصواب ، وفي الآخرة ملك دائم ونعيم قائم .

١٧٦ - ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ ﴾ يا محمد في الكلالة ﴿ قل الله يفتيكم في الكلالة ﴾ والمراد بها في الميراث قرابة الإنسان ما عدا الوالدين والأولاد ﴿ إن امرؤ هلك ليس له ولد ﴾ ولا واحد من الأبوين ﴿ وله أخت ﴾ والمراد بها هنا الأخت للأبوين أو للأب فقط حيث تقدم حكم الأخت للأُم فقط في الآية ١٢ من هذه السورة ﴿ فلها نصف ما ترك ﴾ بالفرض ، والنصف الثاني بالرد عند الشيعة الإمامية ﴿ وهو يرثها إن لم يكن لها ولد ﴾ ذكر ولا أنثى ولا أحد الوالدين ﴿ فإن كانتا اثنتين ﴾ أو أكثر ، شريطة أن يكون الإنساب بالأبوين أو الأب فقط لا بالأُم فقط ﴿ فلهما الثلثان مما ترك ﴾ الموروث ذكراً كان أم أنثى ﴿ وإن كانوا إخوة رجالاً ونساء فللنساء الثلثان مما ترك ﴾ وإن كانوا إخوة رجالاً ونساء

لِللَّهِ وَلَا أَلَمَلِكُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَكْفِ عَنْ عِبَادَتِهِ
وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٣﴾ فَاَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ
فَضْلِهِ ﴿١٧٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَكْفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا
أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٥﴾
يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا
إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴿١٧٦﴾ فَاَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا
بِهِ فَسَيُجْزِيهِمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ
صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٧﴾ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ
إِنْ أَمْرُؤُا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ
مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ
فَلَهُمَا اثْلَثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً

الإعراب :

﴿ صراطاً مفعول ثانٍ ليهديهم ، لأنها بمعنى يُعرفهم . واليه متعلق بمستقيم ، لا يبيدهم ، أو بمحذوف حالاً من الصراط ، والمعنى يهديهم الله صراطاً مؤدياً إليه تعالى . ﴿ في الكلالة ﴾ متعلق بيفتيكم ، لا يستفتونك كما قيل . وامرؤ فاعل لفعل محذوف أي ان هلك امرؤ هلك ، وهذا المحذوف لا يجوز ذكره واطهاره ، لأن الموجود يغني عنه . ﴿ وحلة ليس له ولد ﴾ حال من ضمير هلك . وله أخت أيضاً الجملة حال . وهو يرثها الجملة مستأنفة لا عمل لها من الإعراب . واختلف المفسرون والنحاة في إعراب ﴿ فان كانتا اثنتين ﴾ . وإعراب ﴿ وان كانوا إخوة ﴾ وسبب الاختلاف ان ألف كانتا ضمير يعود على الاختين ، وواو كانوا على الاخوة ، كما هو المفهوم من السياق ، وعلى هذا يكون المعنى فان كانت الاختين اثنتين ، أو اثنتين اثنتين . وان كان الاخوة اخوة . . وليس من شك ان كلام القرآن منزّه عن مثل هذا .

مثل حظ الاثنين ، وإن كانوا للأُم فقط فالذكر والانثى بمنزلة سواء ، ولا ميراث إطلاقاً لأخ أو أخت من الأم فقط مع الإخوة والأخوات من الأبوين ، ويرث مع المقرب بالأُم فقط ، والتفصيل في كتب الفقه . ﴿ والله بكل شيء عليم ﴾ ومن ذلك علمه بأي الأرحام أقرب إلينا نعماً .

فَلِلَّذِكْرِ مِثْلُ حِظِّ الْأُنثَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا
وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾

(٥) سُورَةُ الْمَائِدَةِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا عَشْرُونَ وَفَاتُهَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَيْعَةٌ
الْأَنْعَمُ إِلَّا مَا بَيْنَ عَيْنَيْكَ غَيْرِ مُحِلِّ الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ
إِنَّ اللَّهَ يُحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا
شَعْبَرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ
وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَعُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ
وَرِضْوَانًا وَإِذَا حُلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا

سُورَةُ الْمَائِدَةِ مَكِّيَّةٌ وَعَشْرُونَ وَفَاتُهَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ﴾ جمع عقد ، وهو في اللغة الربط ، وفي اصطلاح الفقهاء : ارتباط بإيجاب بقبول على وجه مشروط ، يثبت أثره في محله وبمقتضى طبيعته ﴿ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَيْعَةٌ الْأَنْعَمُ ﴾ والبيعة : كل ذات أربع من دواب البر والبحر ، والانعام : الإبل والبقر والغنم ، وهذه الاصناف الثلاثة حلال ولا يحرم منها ﴿ إِلَّا مَا يَنْتَلِي عَلَيْكُمْ ﴾ وقد تلا سبحانه علينا في الآية ١٧٣ من البقرة : وإنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله ، وأيضاً يتلو علينا من المحرمات قوله سبحانه : ﴿ غَيْرِ مُحِلِّ الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ﴾ أي محرمون في مكة المكرمة ، والمعنى أن كل ما يصطاده المحرم فلا يحل أكله سواء أكان من الأنعام أم من غيرها .

٢- ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ﴾ وهي أحكام دينه ، ومن أظهرها وأكملها مناسك الحج والعمرة ﴿ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ ﴾ : رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ﴿ وَلَا الْهَدْيَ ﴾ ما يهدى إلى البيت الحرام من الأنعام ﴿ وَلَا الْقَلَائِدَ ﴾ ما يقلد به الهدي من نمل وغيره لكي يعرف فلا يتعرض له أحد ﴿ وَلَا آمِينَ ﴾ ولا قاصدين ﴿ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ﴾ لا تتعرضوا لأحد منهم بسوء حتى ولو قاصداً للتجارة وما أشبه ﴿ يَنْتَعُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ﴾ وكل ما لم يرد فيه شيء من الله فهو فضل منه تعالى ورضوان له .

﴿ وَإِذَا حُلَلْتُمْ ﴾ من إحرامكم ﴿ فَاصْطَادُوا ﴾ إن شئتم ، ولكن في غير أرض الحرم ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ ﴾ بحملنكم ﴿ شَنَا ﴾ كراهية ﴿ قَوْمٌ أَنْ صَدَّقُواكُمْ ﴾

عن المسجد الحرام ﴿ يشير سبحانه بهذا إلى ما حدث للنبي (ص) والصحابة سنة ست للهجرة ، مع المشركين يوم الحديبية ، وتأتي القصة في سورة الفتح ﴿ أن تعذبوا لا تحملنكم عداوة المشركين على الإعتداء عليهم ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعلوان ﴿ وموضوع هذه الآية التكافل الاجتماعي ، وإن القوي مسؤول عن الضعيف ، والغني عن الفقير ، والعالم عن الجاهل ، والولي الشأن عن إصلاح ذات البين .

٣- ﴿ حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ﴾ هذه المحرمات الأربعة تقدمت في الآية ١٧٣ من البقرة ﴿ والمنخقة ﴾ التي تموت خنقاً ﴿ والموقوفة ﴾ والمضروبة بعضاً أو حجر وما أشبه ﴿ والمتردية ﴾ الساقطة إلى أسفل ﴿ والنطيحة ﴾ نطحتها بهيمة أخرى ﴿ وما أكل السبع ﴾ أي ما تبقى من فريسة الحيوان أسداً كان أم ثعلباً أو غيرها .

ثم استثنى سبحانه من الخمسة الأخيرة ما ندركه حياً ، فإنه يحل لنا بالذبح الشرعي ، وإليه أشار سبحانه بقوله ﴿ إلا ما ذكيت ﴾ وتأتي الإشارة إلى كلب الصيد ﴿ وما ذبح على النصب ﴾ عطف على المحرمات ، والنصب أحجار نصبها أهل الجاهلية حول البيت الحرام ، ويذبحون لها ، ويشرحون عليها اللحم ، ويغيطونها به ﴿ وأن تستقسموا بالأزلام ﴾ جمع زلم بضم الزاي وفتحها ، والزلم قطعة من خشب على هيئة السهم ، وكان أهل الجاهلية إذا أراد أحدهم أن يقدم على أمر كتب على الزلم أمرني ربي ، وعلى ثانٍ نهي ربي ، وأهل الكتابة على الثالث ، ثم يقرع ﴿ ذلكم فسق ﴾ حرام محرم ، والإشارة تشمل الجميع ﴿ اليوم يشس الذين كفروا من دينكم ﴾ أي الآن وبعد أن أعز الله سلطان المسلمين فقد يشس الأعداء من زوال الإسلام أو تحريفه لأن قوة الدين من قوة أهله ، ﴿ فلا تخشوه ﴾ لأنكم أقوى منهم ﴿ واخشون ﴾ وإلا نزعتم منكم السلطان، وسلطت عليكم أعداءكم ، كما هو شأن المسلمين في العصر الراهن .

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأنمت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ اتفق المسلمون يشتى فرقههم ومذاهم على أن هذه الآية دون سائر آيات المائدة نزلت في مكة السنة العاشرة للهجرة التي حج فيها رسول الله (ص) حجة الوداع وأنه لما رجع إلى المدينة وبلغ في طريقه إليها غدیر حم . جمع الناس ، وخطب فيهم خطبته الشهيرة التي ذكر فيها على بن أبي طالب من دون الصحابة وأمر المسلمين بموالاته ، وللشعة كلام طويل حول ولاية علي وخلافة النص عليها كتاباً وستة علماء بأن سيرة علي وخلاله الطيبة الحللى هي التي تنص عليه بالذات ﴿ فمن اضطر ﴾ إلى شيء من المحرمات المنصوص عليها ﴿ في مخمصة ﴾ جماعة ﴿ غير متجانف لإثم ﴾ منحرف إلى البني ومتعد حدود الله ﴿ فإن الله غفور رحيم ﴾ أي يسوغ للمضطر أن يتناول من المحرمات بمقدار الضرورة لأنها تقدر بقدرها ، والرائد حرام .

قَوْمٌ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٠﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنَازِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ بَيَّسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥١﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ

٤- ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ يا محمد ﴿مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ﴾ من الأكل والمشارب ﴿قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ﴾ وهي غير المنصوص على تحريمها ، ومن المبادئ الأساسية للشرعة الإسلامية هذا المبدأ : كل شيء لك حلال حتى يثبت أنه حرام ﴿وما علمتم من الجوارح﴾ عطف على الطيبات . والمراد بالجوارح هنا الكلاب فقط دون البازات ونحوها بدليل قوله تعالى : ﴿مَكْلَبِينَ﴾ مشتق من كلبت الكلب أي علمته الصيد ﴿تَعْلَمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ وفي العصر الحديث أستاذة وكتب علمية في عملية التعلم عند الحيوان وتدريبه على سلوك خاص ، والكلب المعلم على الصيد هو الذي إذا أمره صاحبه بأمر ، وإذا نهاه ينتهي ، وتفصيل الشروط لتحليل ما يصطاده الكلب في كتب الفقه الإسلامي ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ ضمير أمسكن للكلاب وعليكم أي أن الكلاب أو الجوارح تحوز الصيد لكم لا لأنفسها ، هذا إذا أدركت الصيد حياً ومات بسبب الإمساك ولو أدركته ميتاً لم يحل ﴿واذكروا اسم الله عليه﴾ ويشترط أيضاً للتحليل أن يسمى الصائد عند إرسال الكلب إلى الصيد فيقول اذهب على اسم الله وما أشبه .

﴿واقفوا لله﴾ لا تقربوا شيئاً نهاكم عنه .

٥- ﴿الْيَوْمَ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ وَطَعَامُ الدِّينِ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلَّ لَهُمْ﴾ قال الشيخ علي ابن الحسين بن محيي الدين العاملي في «الوجيز في تفسير القرآن العزيز» وهو يفسر هذه الآية - ما نصه بالحرف الواحد : «ظاهرة يعم ذبائحهم وغيرها وعليه فقهاء الجمهور وجماعته

منا - أي من الشيعة - ويعضده أخبار» ﴿والمحصات من المؤمنين﴾ أي ولكم أن تتزوجوا بالعفيفات من المسلمات ، أيضاً ﴿والمحصات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ وهذه الدلالة ظاهرة في إباحة زواج المسلم بالنصرانية واليهودية حربية كانت أو غير حربية دوماً واقطعاً ﴿إذا آتيتهم أجورهم﴾ مهورهن الثابتة لهن بالزواج الشرعي لا أجورهن على الزنا ﴿محصنين﴾ تنكحوهن وأنتم في حصن حصين من العفاف والدين ﴿غير مسافحين﴾ غير زانين ﴿ولا متخذي أخدان﴾ جمع خدن ، وهو الصديق أي لا تقربوهن سرّاً ولا علناً إلا على كتاب الله وسنة نبيه ﴿ومن يكفر بالإيمان﴾ بأحكام الله سبحانه ﴿فقد حبط عمله﴾ أي بطل «وقد منا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ٢٢ القرآن»

٦- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ هذه الآية تحدد أعضاء الوضوء وصورته غسلاً ومسحاً وافقت المذاهب الإسلامية قولاً واحداً على أن أعضاء الوضوء أربعة : الوجه واليدين والرأس والرجلان ، واختلفوا في صورة الوضوء فقال الشيعة : هي غسلتان للوجه واليدين ومسحتان للرأس والرجلين . وقال السنة : هي ثلاث غسلات للوجه واليدين والرجلين ، ومسحة للرأس ، ومعنى هذا أن الخلاف في الرجلين فقط مسحاً عند الشيعة وغسلاً عند السنة ، وأنه لا خلاف في

مَكْلَبِينَ تَعْلَمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاقِفُوا اللَّهَ إِنْ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥﴾ الْيَوْمَ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلَّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَفِّحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ

غسل الوجه واليدين ولا في مسح الرأس كميلاً أو فكه ،
ودليل الجسيع قوله تعالى : ﴿ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ
إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ ﴾ بالإشفاق ، ولا خلاف
إطلاقاً في أصل الغسل للوجه واليدين ولا في المسح للرأس كما
أُشرنا في وأرجلكم إلى الكعبين ﴿ وهنا محل الخلاف ،
ومصدره أن الأرجل قرئت بالنصب وبالخفض ، فقال السنة
يجب غسل الأرجل على القراءتين ، أما على النصب فلعلطف
الأرجل على الأيدي المنصوبة لفظاً ومحلاً ، وأما على الخفض
فلمجاورة الأرجل للرؤوس المنجورة تماماً كقول العرب :
« حجر ضب خرب » . وقال الشيعة يجب مسح الرجلين على
القراءتين ، أما على الخفض فلعلطف الأرجل على الرؤوس
المنجورة بالياء ، وأما على النصب ، فللعلطف أيضاً على الرؤوس
محلاً لا لفظاً ، لأن كل مجرور لفظاً منصوب محلاً
﴿ وإن كنتم جنباً فاطهروا ﴾ بالاغتسال ﴿ وإن

كنتم مرضى ... ﴾ تقدم بالحرف في الآية ٤٣ من النساء
﴿ ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ﴾ استنتج جميع فقهاء
الإسلام من هذه الآية قاعدة كلية ، واعتبروها ركناً من أركان
الشريعة الإسلامية ، ويسمونها فقهاء الشيعة قاعدة نفى الحرج
وفقهاء السنة قاعدة التيسير ، ومعناها ما شرع الله حكماً لعباده ، فيه
شائبة الضيق والمشقة عليهم فضلاً عن الضرر والإضرار ﴿ لكن
يريد ليظهركم ﴾ أبداً ، كل أحكام الله سبحانه هي وسيلة
لطهارة الأخلاق ، وصالح الأعمال ، واختلاص النوايا
والمقاصد ... حتى الإيمان بالله إيمان بالعدل والرحمة والانسانية ،
والإيمان بالنشر والحشر إيمان بأن عاقبة الغادر الفاجر عذاب
النار وسوء الدار ، والإيمان برسالة محمد (ص) إيمان بالعلم والإنسان والأخلاق والأديان التي جاء بها إبراهيم وموسى وعيسى .

٧- ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم وأطعنا ﴾ والخطاب في واثقكم وضمير المتكلم
في سمعنا وأطعنا هما لكل مسلم قال ويقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وهذا القول هو بذاته ودلالته العهد والميثاق
المسلم لله بأنه لا يعبد ولا يستعين بسواه ، ومعنى هذا أن أي مسلم يعصي الله في أمر أو نهي فقد نقض عهد الله وميثاقه ،
وأكذب نفسه بنفسه .

٨- ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ﴾ تقدم هذا النداء منه تعالى للمؤمنين ، في ١٣٥
من سورة النساء ، والقصد من التكرار هو الحث والتأكيد على أن تكون أقوياء في جانب الحق والعدل لا ضعفاء مهزولين ،
تلتزم البررات والمعاذير لجهننا وتخاذلنا ، قد دللنا المشاهدة وكتب التاريخ أن الإيمان الراسخ لا يقف في وجهه أي حاجز
وأن الشهداء هم شهداء الإيمان والعقيدة ﴿ ولا يجر منكم شأن قوم ﴾ لا يحملنكم البغض لأعدائكم المشركين وغيرهم
﴿ على أن لا تعدلوا ﴾ على أن تظلّموا الأعداء لمجرد الكره والتشفي ﴿ اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ من الاندفاع مع
البغض والشأن إلا أن يكون البغض في الله والغضب للحق لا لغرض شخصي أو دنيوي .

أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَايِبِ أَوْ لِمَسَمُ النَّسَاءِ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً
فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ
مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ
وَلِيُنِمْ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَاذْكُرُوا
نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا
وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥١﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ
وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَعَاعٌ قَوْمٍ عَلَىٰ الْآخَرِ أَنْ تَعْدِلُوا ءَاعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ
لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٢﴾
وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ
عَظِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
الْجَحِيمِ ﴿٥٤﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ

٩ - ١٠ - ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ... ﴾
كرر سبحانه وعده بالثواب لمن آمن وأخلص ليزداد جهاداً
أو إيماناً ، وكرر وعيده بالعقاب لمن خان وبغى لعله يذكر
أو يخشى .

١١ - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾
خص الله سبحانه محمداً (ص) ومن آمن معه بالعديد من
نعمه ، وأهمها جميعاً هذه النعمة التي أشار إليها بقوله :
﴿ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيهِمْ فَكَفَّ أَيْدِيهِمْ عَنْكُمْ ﴾
تحالف المشركون واليهود والمنافقون ضد المسلمين ، فصد
الله عنهم قوى الشر والبغى ، وأظهر دينه تعالى على رغم كل
حاقد ومعاند .

١٢ - ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ أن لا
يتجاوزوا حدود الله والحق ﴿ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴾
بعدد الأسباط ، لكل سبط نقيب أي قائد يدير أمور جماعته
ومرؤوسيه ﴿ وَقَالَ اللَّهُ ﴾ لبني إسرائيل : ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ ﴾
أنصرم ولا أخذلكم بهذه الشروط : الأول ﴿ لَنْ أَقْسِمَ ﴾
الصلاة ﴿ عَلَى أَصُولِهَا ﴾ ، الثاني ﴿ وَأَتَيْتُمُ الزَّكَاةَ ﴾ كاملة ،
الثالث ﴿ وَأَتَمْتُمْ بِرُسُلِي ﴾ جميعاً دون استثناء ، الرابع
﴿ وَعَزَّرْتُمُوهُمْ ﴾ عظمتهم ونصرتموهم ، الخامس ،
﴿ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ وأيضاً تنفقون مع الزكاة
قسماً آخر من أموالكم في سبيل الله ، وجزاء القيام بهذه
الخمس شئان : الأول ﴿ لَا تَكُونُوا عَنْكُمْ شِيْئًا ﴾
العفو عن السيئات وأن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى
للمذاكرين - ١١٤ هـ الثاني ﴿ وَلَا تَدْخُلُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي

إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيهِمْ فَكَفَّ أَيْدِيهِمْ
عَنْكُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾
* وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ
اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ
وَأَتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ
اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ
مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فِيمَا نَقُضُهُمْ مِنْتَقِمُهُمُ
لَعْنُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْسَةً يَحِرفُونَ الْكَلِمَ عَنْ
مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ
عَلَى خَافِيَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي

من تحتها الأنهار﴾ هذا الجزاء عند الله سبحانه : الفؤوالجنة لمن سمع وأطاع ﴿ فمن كفر بعد ذلك منكم ﴾
الإفضال والإإنعام منه تعالى وأخذ الميثاق بالشكر والطاعة ﴿ فقد ضل سواء السبيل ﴾ انحرف وجار عن الطريق
القويم .

١٣ - ﴿ فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَانَهُمْ ﴾ هذا هو دين اليهود ودينهم : نقض العهد ونشر الشرور والسموم ، وجزاؤهم
من الله سبحانه اللعنة الدائمة ﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ وليس المراد بالجعل هنا الخلق والتكوين وإلالم يستحقوا ذماً
ولا عقاباً ، وإنما المراد أن الله سبحانه تركهم وشأنهم دون أن يتدخل بإرادته الشخصية ، ويمنهم بالجور والقهر عن
الجرائم والذاتل ﴿ يَحِرفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ تقدم بالحرف في سورة النساء الآية ٤٦ ﴿ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا
بِهِ ﴾ كانت التوراة لليهود كترأ وعزاً ، فحرفوا ، وما حرفوا بذلك إلا أنفسهم كما قال سبحانه : « ولشئ ما شروا
به أنفسهم لو كانوا يعلمون - ١٠٢ البقرة . ﴾ ولا تزال تطلع على خائنة منهم ﴿ شعار اليهود الخيانة ، ولا يروي
عطشهم إلا الكيد والمكر ﴾ إلا قليلاً منهم ﴿ ثبثوا على العهد والميثاق ﴾ فاعف عنهم واصفح ﴿ إن كفوا عنك شرهم
وضرهم « فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين - ١٩٣ البقرة » .

١٤- ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ﴾ سوا أنفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله ، وقالوا : نحن أنصار الله ﴿ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ ﴾ بأن يسروا على سنة السيد المسيح (ع) ولا يقولوا : الله ثالث ثلاثة ﴿ فَنَسُوا حَظًّا ﴾ نصيبهم من الثواب عند الله لو سمعوا وأطاعوا ﴿ مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ وهو الإنجيل الذي حرفوه ، ولو بقي كما أنزل على عيسى ، والتوراة كما أوحى بها إلى موسى - لكان الدين واحداً في شرق الأرض وغربها ﴿ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُم ﴾ أي ألقينا بهم ﴿ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ ﴾ لبعضهم البعض ﴿ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ ومن أراد أن يسير غور هذه العداوة والبغضاء فليرجع إلى كتاب الإسلام والنصرانية للشيخ محمد عبده وكتاب محاضرات في النصرانية للشيخ محمد أبي زهرة .

١٥ - ١٦- ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ﴾ نداء لليهود والنصارى ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا ﴾ محمد ﴿ يَبَيِّنْ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ أنخى النصارى التوحيد ، وأنخى اليهود تحريم الربا وغير ذلك ، وما أخفوه معاً البشارة بنبوته محمد ﴿ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ من الذين أسأوا إليه من رؤسائكم .

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ ﴾ أيها اليهود والنصارى ﴿ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ... ﴾ يهدي للتي هي أقوم دنيا وآخرة ، فأبينم إلى العناد والفساد ، فقامت عليكم الحجة ، وانقطعت منكم كل معذرة .

١٧- ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ كل من وصف المخلوق بشيء من صفات الخالق كالخلق . والرزق فما هو بمسلم ، ولا يختلف في ذلك اثنان من المسلمين ، وإيضاً نطق القرآن الكريم بصراحة أنه لا حساب على الآراء والمعتقدات إلا لله وحده ، ومن ذلك قوله تعالى : « فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ - ٤٨ الشورى » . ﴿ قُلْ لِمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ﴾ لأن الله سبحانه إذا ملك القدرة على هلاك المسيح فعنى هذا أن المسيح ليس بآله ، وإن عجز عن هلاك المسيح فعنى هذا أن الله ليس بآله وعليه فالجمع بين الإثنين محال ، فكيف بالثلاثة ؟

١٨- ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ وإن قال قائل : كل أهل دين يقول مثل هذا ؟ قلنا في جوابه : إن الإسلام يقرر مبدأ المساواة بين الناس أجمعين كتاباً وسنة وعقلاً ، فن الكتاب : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة - النساء .. إن أكرمكم عند الله أتقاكم - ١٣ الحجرات » . ومن السنة النبوية : « أيها الناس إن ربكم واحد ، وكلكم من آدم ، وآدم من تراب .. خير الناس أتق الله للناس » وفي الآية ٦ من فصله : « إنما أنا بشر مثلكم » . أما العقل فهو الأساس والأصل الأصيل لعقيدة الإسلام وميزان العدل لشرعيته .

أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٥﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٦﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٧﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَفِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ

﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ﴾ لو كنتم أبناء الله

لكنتم معصومين بالكامل ، وأنتم لا تدعون ذلك ، وكل مذنب يستحق العقاب والعذاب بحكم البدئية ﴿ بل أنتم بشر ممن خلق ﴾ ليس في خلق الرحمن من تفاوت ، فعلام هذا التعالي والغرور ؟ وهل من شيء أضر وأخطر على الشعوب والامم والإنسانية من ادعاء بعضها أو بعض أبنائها بأن لهم مزايا طبيعية ليست لأحد من الناس غيرهم ؟

١٩- ﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بين لكم ﴾ الحق ﴿ على فترة من الرسل ﴾ بعد انقطاع الوحي أمداً من الوقت ﴿ أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير ﴾ وهو محمد (ص) أبداً لا عذر إطلاقاً لمن يتكاسل ويهمل البحث عن الحق ، وهو عليه قادر ، وهذا كتاب الله وشروحه وعلومه ، وتلك سنة نبيه في مئات الكتب وهؤلاء علماء الإسلام في شرق الأرض وغربها يعدون بالآلوف فليبحث باحث ، وليسأل سائل تفقهاً لا تفتناً .

٢٠- ﴿ وإذ قال موسى لقومه ﴾ اليهود : ﴿ يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم ﴾ « وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم ٤٩ البقرة » . ﴿ إذ جعل فيكم أنبياء ﴾ « فريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون - ٨٧ البقرة ﴾ وجعلكم ملوكاً ﴿ أي جعل منكم ملوكاً كداود وسليمان ﴾ وآناكم ما لم يؤت أحداً من العالمين ﴿ لا شيء إلا للمالعة في تثبيت الحجة عليهم وتوكيدها وإلزامهم بها ، لقسوتهم ورسوخهم في الضلال

والمعاندة والمكابرة ، فقد نصرهم سبحانه على فرعون بلا قتال ، وأطعمهم المن والسلوى بلا كفاح ، وسقاهم الماء بلا جفر آبار وشق أقنية ومع ذلك كله تمردوا على المنعم بدلاً من أن يشكروه ، وقتلوا أنبياءه ورسله ، والرسول لا يقتل عند جميع الدول

٢١- ﴿ يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة ﴾ هاجر موسى وقومه العبرانيون من مصر ، يشقون طريقهم إلى سيناء ، ولما بلغوها حاروا إلى أين يذهبون ، فقال لهم موسى : هلموا إلى فلسطين ﴿ التي كتب الله لكم ﴾ أن تعيشوا مع أهلها الحثيين والكنعانيين في أمن وسلام ﴿ ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين ﴾ حيث لا يجدون بلداً أقرب من هذه الأرض .

٢٢- ﴿ قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون ﴾ أراد موسى أن يتعاش العبرانيون مع أهل الأرض معايشة الأخوان المتعاونين ، فرفضوا إلا طرد الكنعانيين من ديارهم وتشتيتهم في الأرض أيدي سبا كما فعل اليهود سنة ١٩٤٨ م وما أعقبها من ويلات .

وَالنَّصْرَى نَحْنُ أَبْنَاؤُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرْ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مَلَكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَتَأَهَّلُ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا رَزَقْتُمْ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَنْقُومُ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمَقْدَسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا

٢٣- ﴿ قَالَ رَجُلَانِ ﴾ هما يوشع وكالب ، وجاء اسم الأول في التوراة سفر العدد الإصحاح ١٣ بلفظ هوشع ، واسم الثاني في سفر أخبار الإصحاح ٢ ﴿ من الذين يخافون ﴾ الله ﴿ أنعم الله عليهما ﴾ بالإيمان ﴿ ادخلوا عليهم الباب ﴾ أي باب قرينهم أو مدينتهم .

٢٤- ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا ﴾ أبداً ، لا بد من تشريد أهل الديار وأخذها منهم غصباً ونهباً ، أما القتال ﴿ فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعلون ﴾ اذهب أنت ومن أرسلك بكل تعال وترفع حتى على الله ورسوله ! وهذه هي بالذات غطرسه إسرائيل وجبلتها الخبيثة ، ومهما شككت فلن أشك إطلاقاً أن من سار على هذي السبيل فأمه هاويه ، وما أدراك ماهيه .

٢٥- ﴿ قَالَ ﴾ موسى شاكياً إلى الله من القوم المجردين على البغي والفساد : ﴿ رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي

فأفارق بيننا وبين القوم الفاسقين ﴾ وإذا كان موسى على نبوته وعصمته فقد الصبر والتصبر على العيش مع قومه فكيف يمكن التعايش مع الصهاينة على أساس الحق والعدل .

٢٦- ﴿ قَالَ ﴾ سبحانه لموسى : ﴿ فإنها محرومة عليهم أربعين سنة ﴾ الضمير في « أنها » يعود إلى الأرض المقلسة وفي « عليهم » إلى الذين قالوا : لن ندخلها أبداً ما داموا فيها ، وهكذا كان ، فان الذين نطقوا بذلك لم يروا الأرض المقلسة على الإطلاق تصديقاً لكلمة الله العليا :

« فإنها محرومة عليهم » وإنما الذين دخلوها بعد أربعين سنة

مع يوشع هم جيل جديد بعد أن مات كل من قال : إنا لن ندخلها . . . ﴿ يتيهون في الأرض ﴾ وفي الروايات أن موسى وهرون كانا معهم في أرض التيه ، ومات هررون وبعده بسنة مات موسى في التيه ﴿ فلا تأس على القوم الفاسقين ﴾ الذين زكوا أنفسهم وقالوا : نحن أبناء الله وأحباؤه ، فقد أمات الله فريقاً منهم في التيه ، وفريقاً مسحهم فرقة وخنازير ، وألصق اللعنة بهم جميعاً إلى يوم الدين .

٢٧- ﴿ وَاَتَلَّ عَلَيْهِمْ بُنَىٰ ابْنِ آدَمَ بِالْحَقِّ ﴾ وهما هابيل وقابيل . دب الخلاف بينهما كما في الروايات ﴿ إذ قربا قرباناً ﴾ ليفصل بين الحق والمبطل ﴿ فتقبل من أحدهما ﴾ هابيل ﴿ ولم يتقبل من الآخر ﴾ قابيل ﴿ قال ﴾ قابيل لهابيل ﴿ لأقتلنك ﴾ لا شيء إلا لأنك عند الله خير مني وأفضل ! وهذا هو ذب الطاهر عند الفاجر العاهر ﴿ قال إنما يتقبل الله من المتقين ﴾ لا شيء يجدي من غير تقوى . وفي نهج البلاغة : لا يقل عمل مع التقوى وكيف يقل ما يتقبل ؟

حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٣﴾
قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخْفَوْنَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غُلِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالُوا يَسْمُوْسَىٰ إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيَهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٧﴾ * وَأَتَلَّ عَلَيْهِمْ بُنَىٰ أَبِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٨﴾ لَئِن بَسَطْتَ إِلَىٰ يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ

٢٨- ﴿لَنْ يَسُطَ إِلَيْكَ لِقَافِيكَ﴾ ظَلَمًا وَعَدْوَانًا ﴿أَنَا بِيَسَاطِ يَدِي إِلَيْكَ لَاقِيكَ﴾ بَلْ أَسْطَهَا لِلدِّفَاعِ عَنْ نَفْسِي .

٢٩- ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِيمَانِي﴾ وَإِيمَانِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ﴾ بَلَا جَرَمَ جَرَهُ عَلَى مَخْلُوقٍ ، وَهِيَ مِنْ نَظْفَةِ وَاحِدَةٍ وَرَحِمَ وَاحِدَةً ! فَبَلْ بَعْدَ هَذَا الْمَثَالِ وَالشَّاهِدِ الْقَرَأَنِي يُقَالُ : أَخَالَكَ أَخَاكَ أَوْ صَدِيقَكَ صَدِيقَكَ ؟ الْمَحْرُكُ الْأَوَّلُ هُوَ الْمَصْلُحَةُ وَالْعَاطِفَةُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ هُنَاكَ مَنَاعَةٌ مِنْ عَقْلِ رَصِينٍ أَوْ دِينٍ مَتِينٍ .

٣٠- ﴿فَطَوَّعَتْ﴾ سَهَلَتْ ﴿لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ﴾ بَلَا جَرَمَ جَرَهُ عَلَى مَخْلُوقٍ ، وَهِيَ مِنْ نَظْفَةِ وَاحِدَةٍ وَرَحِمَ وَاحِدَةً ! فَبَلْ بَعْدَ هَذَا الْمَثَالِ وَالشَّاهِدِ الْقَرَأَنِي يُقَالُ : أَخَالَكَ أَخَاكَ أَوْ صَدِيقَكَ صَدِيقَكَ ؟ الْمَحْرُكُ الْأَوَّلُ هُوَ الْمَصْلُحَةُ وَالْعَاطِفَةُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ هُنَاكَ مَنَاعَةٌ مِنْ عَقْلِ رَصِينٍ أَوْ دِينٍ مَتِينٍ .

٣١- ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحِثُ فِي الْأَرْضِ﴾ عَرَفَ ابْنُ آدَمَ كَيْفَ يَقْتُلُ أَخَاهُ بِحَقْدِهِ ، وَجَهِلَ أَنْ يَلْسَهُ فِي التُّرَابِ بِعَقْلِهِ ، وَهَكَذَا يَخْتَفِي الْعَقْلُ وَالِدِينَ إِذَا طَلَعَتِ الْعَاطِفَةُ ﴿لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَهُ﴾ عَوْرَةً ، وَخُصَّتْ بِالذِّكْرِ ، لِأَنَّهَا أَحَقُّ بِالسَّرِّ ﴿أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِي سَوْءَ أَخِي﴾ وَكَلِمَاتُهَا قَدْ يَفْهَمُ بِهِ الْعَجْزُ وَالْجَهْلُ عَنْ أَنْفِهِ الْأُمُورِ ﴿فَاصْبِرْ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ وَهَكَذَا الْإِنْسَانُ يَخْطِئُ ثُمَّ يَنْدِمُ ، وَلَكِنَّهُ يَعُودُ ، وَالسَّرُّ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا - ٢٨ النساء » .

٣٢- ﴿مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ﴾ مِنْ أَجْلِ جُرْمَةِ الْقَتْلِ وَأَنَّهَا جُرْمَةُ الْجَرَائِمِ ﴿كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ وَخَصَّصَهُم بِالذِّكْرِ عَلِمًا بِأَنَّ الْحُكْمَ أَعْمَ وَأَشْمَلَ ، لِأَنَّهُمْ أَجْرَاءُ الْعَالَمِينَ عَلَى الْفُسَادِ فِي الْأَرْضِ ﴿أَنَّهُ مِنْ قَتْلِ نَفْسٍ بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فُسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ فَكَيْفَ بِالَّذِينَ يَتَسَابَقُونَ إِلَى أَسْلِحَةِ الْمَوْتِ وَالْقَتْلِ بِالْحِمْلَةِ ، فَمِنْ الْقَبْلَةِ الذَّرِيَةِ إِلَى الْهَيْدَرُوجِيَّةِ ، وَمِنْهَا إِلَى قَبْلَةِ النِّيُوتَرُونِ وَصَوَارِيخِ «اس-اس» ذَاتِ الرُّؤُوسِ النَّوِيَّةِ الْمُتَعَدِّدَةِ ؟

﴿وَمِنْ أَحْيَاهَا﴾ أَيُّ مَنْ أُعْطِيَ حَيَاةَ النَّاسِ نَمُوًا وَآمَالًا ، وَتَقَدُّمًا وَكَمَالًا ، لَا مِنْ صُلَى وَصَامٍ وَكُفَى لِأَنَّ الْعِبَادَةَ لِلَّهِ وَاحِدَةٌ ، وَمَوْضُوعُ الْآيَةِ النَّفْسُ وَلَيْسَ خَالِقُهَا لِأَنَّهُ تَعَالَى مُصَدِّرُ الْحَيَاةِ ﴿فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ بِشَقِّ الْأَنْهَارِ وَالطَّرَاقَاتِ وَبِنَاءِ الْمَدَارِسِ وَالْمُسْتَشْفَيَاتِ الْمَحَانِي ، وَإِيجَادِ الْعَمَلِ لِلِسَوَاعِدِ الَّتِي تَبْحَثُ عَنْهَا . . . إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَنْتَفِعُ بِهِ النَّاسُ بِجَهَةِ مِنَ الْجِهَاتِ ، وَتَحْكُمُ فِي الْأَرْضِ ، وَلَا يَذْهَبُ مَعَ الرِّيحِ ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ﴾ الْيَهُودُ ﴿رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بِحَلَالِ اللَّهِ وَحَرَامِهِ ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ ﴿فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ فِي سَفْكِ الدَّمَاءِ وَاتِّهَانِ الْحَرَمَاتِ .

٣٣- ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرُسُلَهُ﴾ بِالْبَغْيِ وَالْعَدْوَانِ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ وَعِيَالِهِ ﴿وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ﴾

يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِيمَانِي وَإِيمَانِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَاَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحِثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَ أَخِيهِ قَالَ يَتُولَتُنِي أُعْجِزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِي سَوْءَ أَخِي فَاَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرُسُلَهُ

فساداً ﴿ يحمل السلاح للإخلال بالأمن وترويع الناس وإخافة السابلة والتمرد على حكم العدل وإراقة الدماء ونهب الأموال ومتهك الأعراض ... إلى غير ذلك ﴾ أن يقتلوا أو يصلبوا ﴿ جزاء قاطع الطريق إن قتل أن يُقتل أو يصلب على كل حال حتى ولو عفا عنه ولي المقتول أو أخذ الدية ﴾ أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ﴿ وإن أخذ قاطع الطريق المال ولم يقتل فجزاؤه أن تُقطع يده لنهب المال ورجله أيضاً لقطع الطريق وإخافة الناس ، ومعنى «من خلاف» أن تقطع يده اليمنى ورجله اليسرى ، ﴿ أو ينشأ من الأرض ﴾ وإن لم يقتل قاطع الطريق ولم يأخذ مالا فجزاؤه النفي إلى بلد ناء ، ومن أراد زيادة في البيان فليرجع إلى كتب الفقه .

﴿ ذلك لهم خزي في الدنيا ﴾ ولغيرهم درس وعبرة ، أما عذاب الآخرة فاعظم وأشد تنكيلاً .

٣٤- ﴿ إلا الذين تابوا من قبل أن تهذبوا عليهم ﴾ إذا تاب قاطع الطريق من تلقائه وقبل القبض عليه سقطت عنه العقوبة المبرر عنها بحق الله أو الحق العام ، أما الحق الخاص بالإنسان فهو منوط بإرادة صاحبه .

٣٥- ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ... ﴾ في ترك المعاصي ، وتوسلوا إليه بالإخلاص والعمل الصالح .

٣٦- ﴿ إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ﴾ يصاب المرء باليسر من الألم في جسمه فيفاديه بكل ما يستطيع فكيف بسرابيل القطران ومقطعات النيران ؟ ﴿ ما تقبل منهم ﴾

وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٧﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٠﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٤١﴾ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٢﴾ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ

أبداً لا شيء يجدي غداً إلا القلب السليم والخلق الكريم .

٣٧- ﴿ يريدون أن يخرجوا من النار ﴾ ولوبعد حين طويل ﴿ وما هم بخارجين منها ﴾ إلى أبد الآبدين ، وساءت مستقراً ومقاماً ، ولن أشك في أن هذا يعم ويشمل كل خائف ومراء ومعتد وكل من ينمى للناس الأسى والأذى

٣٨- ﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ﴾ أي يمتن كل منهما ، ولهذا القطع شروط منها أن يكون المسروق في حرز ، وأن لا تكون السرقة في عام المجاعة ، وأن يكون السارق بالغاً عاقلاً وليس أباً لصاحب المال المسروق ، وأن يكون المال المسروق بمقدار ربع دينار ، ولا أعرف بالضبط ، كم هي قيمة هذا الربع ، وفي ظني أنها لا تزيد على ثلاث دولارات ، ولا تنقص عن دولارين - نحن الآن في سنة ١٩٧٨ ﴿ جزاء بما كسبوا نكالاً من الله ﴾ أي عقوبة رادعة .

٣٩- ﴿ فمن تاب من بعد ظلمه ﴾ لنفسه بالسرقة ، وقبل أن تثبت السرقة عليه عند الحاكم فلا تقطع يده ﴿ وأصلح ﴾

برد المال المسروق إلى مالكه ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُتَوَبُّ عَلَيْهِ ﴾ لأن من تاب من الذنب كمن لا ذنب له .

٤٠- ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مَلِكٌ ... ﴾ إنه تعالى يعذب أو يغفو لحكمة بالغة ، قد نطقن إليها ، وقد ينبو عنها إدراكنا وعلينا قبل أن نفلس حكمته تعالى أن لا ننسى أن نسبة الحكمة عندنا إلى نسبة الحكمة عنده تعالى تماماً كنسبة إدراكنا إلى علمه ، جلت كلمته .

٤١- ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾ السبب الموجب لحزن الرسول (ص) هو عصيان الخلق للحق ، ومن هؤلاء العصاة الذين أشار إليهم سبحانه بقوله : ﴿ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَقْوَامِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ ﴾ وهم المنافقون الذين يظهرون الود ويضمرون الحقد .

وايضاً ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا ﴾ اليهود . ﴿ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ ﴾ يرحبون بكل اقتراف ، ويذبحونه مؤيديهم ومروجين بكل وسيلة ﴿ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتَوْكَ ﴾ يا محمد ، كان أحبار اليهود يبتعدون عن النبي (ص) ولكن يجتمعون سرّاً مع المنافقين ، ويستمعون إليهم ، ويلقونهم دروساً في النكيد والنفاق ﴿ يَحْفَرُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾ تقدم في البقرة ٧٥ والنساء ٤٦ ﴿ يَقُولُونَ ﴾ يقول أحبار اليهود لأذنانهم ﴿ إِنَّ أُوتِيتُمْ هَذَا ﴾ إن افتاكم محمد بالمحرف المزيف ﴿ فَخَلَوْهُ ﴾ واعملوا به ﴿ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ ﴾ وإن افتاكم بالحق والصدق ﴿ فَاحْذَرُوهُ ﴾ وارفضوه ﴿ وَمَنْ يَرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ ﴾ أي عذابه لأنه من معاني الفتنة كما في القواميس ﴿ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً ﴾ لا راد لما أراد

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يَرِدِ اللَّهُ أَنْ يَظْهَرِ قُلُوبُهُمْ ﴾ لأنهم لا يريدون التطهير ، « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - ١١ الرعد » .

٤٢- ﴿ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ ﴾ ومرة تلو المرة اليهود يكرهون الصدق ، ويعتمدون الكذب على الله والناس والشياطين وعلى أنفسهم ﴿ أَكَاوِلُونَ لِلْسَّحْتِ ﴾ المال الحرام بشتى أنواعه .

﴿ فَإِنْ جَاعَوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ إذا ترفع لدى الحاكم المسلم خصمان من غير المسلمين فهو مخير

الإعراب :

﴿ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ﴾ متعلق بمحذوف حال من واو يسارعون . ﴿ سَمَاعُونَ ﴾ مبتدأ خبره من الذين هادوا ، واللام في ﴿ لِلْكَذِبِ ﴾ زائدة ، و﴿ الْكَذِبِ ﴾ مفعول سماعون . وسماعون الثانية تأكيد للأولى ، أو خبر لمبتدأ محذوف ، أي هم سماعون . واللام في ﴿ الْقَوْمِ ﴾ ليست زائدة ، بل متعلقة بسماعون الثانية ، مثل استمعت له . وشيئا مفعول مطلق ، أي فلن تملك له من الله أي نوع من الملك

وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يُتَوَبُّ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ * يَتَّبِعُهَا الرُّسُولُ لِيَحْزَنَكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَقْوَامِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمْعُونَ لِلْكَذِبِ سَمْعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتَوْكَ يُحْفَرُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنَّ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخَذُّوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يَرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يَرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ سَمْعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَاوِلُونَ لِلْسَّحْتِ فَإِنْ جَاءَكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ

بين الحكم والرفض ﴿ وإن تعرض عنهم فلن يضرك شئاً ﴾ أي فليست مسؤولاً أمام الله ﴿ وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط ﴾ أي بشريعة الإسلام لا بما يدينون ، وإذا كان أحد المتخاصمين مسلماً ، والآخر غير مسلم فعل الحاكم أن يحكم بما يدين ويعتقد بطريق أولى .

٤٣ - ﴿ وكيف يحكمونك ﴾ كيف يترافع اليهود عندك يا محمد ﴿ وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك ﴾ تحاكم اليهود في أمر الزاني عند النبي (ص) ولا حكم بينهم بالحق نولوا مدبرين علماء منهم وبقينا بأنه حكم بنفس الحكم الموجود بتوراة موسى ولا عجب ! ﴿ وما أولئك بالمؤمنين ﴾ إلا بأهوائهم ومبهم .

٤٤ - ﴿ إنا أنزلنا التوراة ﴾ على موسى ﴿ فيها هدى ونور ﴾ يستضيء به من ينشد الحق والعدل ﴿ يحكم بها النبيون ﴾ من بعد موسى (ع) ﴿ الذين أسلموا ﴾ أخلصوا لله ﴿ للذين هادوا ﴾ متعلق بيحكم ﴿ والربانيون والأخبار ﴾ عطف على « النبيون » ﴿ بما استحفظوا ﴾ كلفوا بحفظه والعمل به ﴿ من كتاب الله ﴾ توراة موسى ﴿ وكانوا عليه شهداء ﴾ رقباء كيلا يحرف ويؤرف ﴿ فلا تخشوا الناس ﴾ أيها العلماء بالدين ﴿ واخشون ﴾ ومن يخش الله فأولئك هم الفائزون .

﴿ ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ﴾ لا تبيعوا دينكم للشيطان ، فإنه يأخذ منكم الآخرة ، ويعطيكم الدنيا الزائلة ، يأخذ الجسد والإخلاص والأمانة ، ويعطيكم اللهو واللعب وهو على علم اليقين بأنه حكم الله وخالفه عامداً ﴿ فأولئك هم

الْكَاذِبُونَ ﴾ .

﴿ فاحكم بينهم بالقسط ﴾ إن الله يحب الْمُقْسِطِينَ ﴿ وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين ﴾ ﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأخبار بما استحفظوا من كتب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تستروا بآياتي ثمناً قليلاً ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ ﴿ وكتبنا عليهم ﴾ ﴿ فيها ﴾ في التوراة ، وكذلك الفرض في القرآن ﴿ أن النفس بالنفس ﴾ العقوبات في الشريعة الإسلامية على أنواع : الحد وهو الذي قدره الشارع ونص عليه ، وليس للمجتهد فيه رأي كحد السرقة والزنا والسكر ، وعقوبة التعزير وهو الذي ترك الشارع أمره إلى المجتهد وتقديره ، كالعقوبة على القبلة المحرمة ، والدية وهي عقوبة مالية ، والقصاص وهو عقاب الجاني على جريمة القتل أو القطع ونحوه أو الجرح عمداً بمثلها إن أمكن ، والآية التي نحن بصددنا تدخل في باب القصاص ، وذكرنا النفس ﴿ والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن ﴾ وغير ذلك كالكبد والرجل .

٤٥ - ﴿ وكتبنا عليهم ﴾ اليهود ﴿ فيها ﴾ في التوراة ، وكذلك الفرض في القرآن ﴿ أن النفس بالنفس ﴾

العقوبات في الشريعة الإسلامية على أنواع : الحد وهو الذي قدره الشارع ونص عليه ، وليس للمجتهد فيه رأي كحد السرقة والزنا والسكر ، وعقوبة التعزير وهو الذي ترك الشارع أمره إلى المجتهد وتقديره ، كالعقوبة على القبلة المحرمة ، والدية وهي عقوبة مالية ، والقصاص وهو عقاب الجاني على جريمة القتل أو القطع ونحوه أو الجرح عمداً بمثلها إن أمكن ، والآية التي نحن بصددنا تدخل في باب القصاص ، وذكرنا النفس ﴿ والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن ﴾ وغير ذلك كالكبد والرجل .

﴿ والجروح قصاص ﴾ أي كل الجروح توجب القصاص بشرط إمكان المماثلة والمساواة وإلا تتحول العقوبة من القصاص إلى الدية ، والتفصيل في كتب الفقه ﴿ فمن تصدق به ﴾ بالقصاص ﴿ فهو ﴾ أي التصديق ﴿ كفارة ﴾ تمحو الذنب ﴿ له ﴾ للمصدق .

٤٦- ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ وعقبنا بعيسى نبياً بعد النبيين الذين كانوا يحكمون بالتوراة ﴿مُصَدِّقًا﴾ لما بين يديه من التوراة ﴿وَأَيضًا عِيسَى كَانَ يَحْكُمُ بِتُورَةِ مُوسَى﴾ وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ﴿شأنه في ذلك شأن الكتب السماوية﴾ ﴿مُصَدِّقًا﴾ متصفاً ﴿لما بين يديه من التوراة﴾ وكرر سبحانه ذلك لنكون على يقين بأن هدف الأنبياء المرسله والكتب المنزلة واحد ، هو هداية الإنسان وسعادته دنياً وآخرة .

٤٧- ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ ولو حكم كل أهل الكتاب بما فيه حقاً بلا تزييف وتحريف لفتح الله عليهم وعلى الناس ، كل الناس ، بركات السماء والأرض ، وعاشوا اخواناً في الدين وغير الدين .

٤٨- ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا﴾ لما بين يديه من الكتاب ﴿كل ما أنزل من السماء بلا استثناء﴾ ﴿ومهيماً عليه﴾ أي رقيباً على ما سبق القرآن من الكتب السماوية ومميزاً بين ما ينسب إلى الله تعالى حقاً وصدقاً وما ينسب إليه كذباً وافتراء ﴿فاحكم﴾ يا محمد ﴿بينهم﴾ بين أهل الكتاب ، لأن القرآن يحتوي على كل الأديان السماوية ، ولا شيء منها يحتوي على كل ما في القرآن ﴿بما أنزل الله﴾ وبالخصوص توحيد الله والتكاتف والتآلف بين عباده وعباده ﴿ولا تتبع أهواءهم﴾ عما جاءك من الحق ﴿والنبي لا يتبع الهوى وإلا لم يكن نبياً والنهي عن المحرم يسوغ عقلاً وعرفاً حتى مع العلم بعدم وقوعه لمجرد البيان بأنه من المحرمات ، هذا إلى أن الخطاب من العالي لا يلاحظ فيه منزلة المخاطب﴾ لكل جعلنا منكم شرعة ﴿شرعة في الفروع لا في الأصول والعقيدة﴾ ﴿ومنهاجاً﴾ طريقاً واضحاً يجري عليه ﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾ وعندئذ نكون كالبهائم والأنعام ، والله سبحانه لا يريدنا كذلك ، بل يريد أن تؤمن عن حرية وقناعة ، وأن نطيعه عن علم ومعرفة وإلا كانت عظمته تعالى محجوبة عن الإنسان .

﴿ولكن ليلوكم فيما آتاكم﴾ أبى الله سبحانه إلا أن يهب للإنسان عقلاً به يميز ، وقدرة بها يفعل أو يترك ، وحرية كافية بها يختار ، ليعمل كل على هويته وشاكلته ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ لا الأحقاد والمشاحنات ﴿إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ من الآراء والمعتقدات والأعمال والتصرفات .

الإعراب :

﴿بالحق﴾ متعلق بمحذوف حال من الكتاب . ﴿ومصدقاً﴾ حال . ﴿ويليلوكم﴾ منصوب بأن مضمرة بعد اللام ، والمصدر المنسحب مجرور باللام متعلق بمحذوف ، والتقدير فرقكم ليلوكم .

٤٩- ﴿ وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ

أَهْوَاءَهُمْ... ﴾ ويومئذ هذا التكرار والتوكيد أن النبي (ص) غير مقصود بالخطاب ، وإن وجه بظاهره إليه ، لأنه ليس بحاجة إلى شيء من ذلك كما هو معلوم بالبدية ، وأيضاً ليس المقصود المستضعفين حيث لا نقش بلا عرش ، فتعين أن المقصود بالذات كل حاكم وكل قائد له قوة وسلطان ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم ﴾ لأهل الحكم والسلطان ذنوب كثيرة ، والحكم بغير ما أنزل بعض ذنوبهم لا كلها ، وإن ربك لهم للبرصاء .

٥٠- ﴿ أَلْحِكْمِ الْجَاهِلِيَّةَ يَبْغُونَ ﴾ وحكام الجاهلية

خير وأفضل ألف مرة من حكام عصر الكهرباء والذرة ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا يَقُومُ يَوْمُنَا ﴾ يؤمنون بالله ، وفيه إيمان إلى أن من يحكم بغير الحق عامداً هو والكافر عند الله بمنزلة سواء .

٥١- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى

أَوْلِيَاءَ ﴾ أصدقاء إذا نصبوا لكم العداء ، وكانوا حرباً عليكم ، ودليلاً على هذا القيد ساحة الإسلام المنصوص عليها في الآية ٨ و ٩ من سورة الممتحنة ، والقرآن ينطق بعرضه ببعض ، وقال الفيلسوف الشهير رسل في كتاب المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة ص ١٩٣ طبعة سنة ١٩٦٠ : « تسامح المسلمون الأول مع أهل الكتاب على تقبض المسيحيين » . ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ اليهودي لا ينصر إلا يهودياً ، والمسيحي لا ينصر إلا مسيحياً ، أجل قد تجتمع قوتهم معاً

ضد المسلمين كما حدث في عهدنا سنة ١٩٧٥ م ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ أي يتولى اليهود والنصارى الذين نصبوا العداء للمسلمين فهو عند الله بحكم أعداء الإسلام ، يحاسب حسابهم ويعذب عذابهم .

٥٢- ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ وهم الذين ينتمون إلى الإسلام في الظاهر ﴿ يَسَارِعُونَ فِيهِمْ ﴾ في معاونتهم ﴿ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تَصِيبَنَا دَائِرَةٌ ﴾ بعض الذين ينتمون بسمة الإسلام يوالون أعداءه وأعداء المسلمين لا شيء إلا حرصاً على الدنيا ووجاهتها وحلاوتها حتى إذا دارت الدائرة على المسلمين كان اللعين في مكان مكين عند أعداء الله والدين . ﴿ فَصَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ ﴾ فينصر المحقين على المبطلين ﴿ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ ﴾ يفتضح به كل انتهازي منافق ﴿ فَيَصْبَحُوا ﴾ المنافقون ﴿ عَلَى مَا أَسْرَوْا ﴾ في أنفسهم ﴿ مِنَ الْغَدْرِ وَالنِّفَاقِ ﴾ نادمين ﴿ حَيْثُ لَا تَنْفِي الدَّامَةَ وَالْفَقَامَةَ .

٥٣- ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْلَؤَالِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ﴾ حين يفتضح المنافقون ويظهرون على حقيقتهم ، يقول بعض المؤمنين لبعض : أهؤلاء هم بالذات الذين كانوا يحلفون بالأمس أغلظ الأيمان إنهم مناولنا ومعنا ؟ وإلى هذا الحد بلغ بهم الغش والرياء ؟ وكفى بذلك عاراً وشتاراً ﴿ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴾ وخسر هنالك المبطلون .

وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرُهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٥١﴾ الْحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةَ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا يَقُومُ يَوْمُنَا ﴿٥٢﴾ * يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٣﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٥٤﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهْلَؤَالِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ

٥٤- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ﴾
والنهي عن الارتداد بعد النهي عن موالاة أعداء الدين يشعر بأن هذه الموالاة قد تؤدي إلى الارتداد عن الإسلام ، ومن حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ وجه تعالى لعبد أن يرفع غداً من شأنه ، أما حب العبد لله فهو أن يسدي لعياله معروفاً ، أو ينفس عنهم كربة ، أو يقضي لهم حاجة ، والله في عون العبد ما دام العبد في عون عياله .

﴿ اذلة على المؤمنين ﴾ لأن التواضع للمؤمن الحق طاعة وإخلاص لله بالذات لا لشخص المؤمن من حيث هو ﴿ أعزة على الكافرين ﴾ لأن الاستعلاء على أهل الباطل استعلاء على الباطل بالذات ﴿ يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ﴾ هذا هو شعار المؤمنين بالله وبالحق : « إن لم يكن بك - يا الله - غضب علي فلا أبالي » بكيد الكائدين وبغي " ، ولا ضير على المخلص إن أخطأ الحق ما دام قد جد واجتهد بحثاً عنه ، لأن الإخلاص من حيث هو فضيلة وسبيل إلى النجاة « إلا من أتى الله بقلب سليم - ٨٩ الشعراء » .

٥٥- ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ بعد أن نهي سبحانه عن اتخاذ أعداء الدين أولياء يبين ، عظمت كلمته ، من الذي يجب اتخاذه ولياً بقوله : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ ولا يختلف اثنان في أن المراد بولاية الله ورسوله التصرف في الأمور تماماً كقوله تعالى : « النبي أولى بالمؤمنين

من أنفسهم - ٦ الأحزاب » أما المراد بالمؤمنين المصلين المزكّين وهم راکعون ، فقد جاء في العديد من التفسير أنه علي بن أبي طالب بالخصوص .

ونقل منها عبارة الرازي بالحرف الواحد : « روي عن أبي ذر رضوان الله عليه أنه قال صليت مع رسول الله (ص) يوماً صلاة الظهر ، فسأل سائل في المسجد ، فلم يعطه أحد ، وعلي كان راکماً ، فأومأ إليه بخضصره اليمنى ، وكان فيها خاتم ، فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم بمرأى من النبي ، فقال : اللهم إن أخي موسى سألك فقال : رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري إلى قوله : وأشركه في أمري ، فأنزلت قرآناً ناطقاً شند عضدك بأخيك ويجعل لكما سلطاناً ، اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك فأشرح لي صدري ويسر لي أمري وأجعل لي وزيراً من أهلي علياً أشد به ازري قال أبو ذر : فوالله ما أتم النبي كلامه حتى نزل جبريل ، فقال : يا محمد اقرأ « إنما وليكم الله ورسوله إلى آخر الآية » .

٥٦- ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ وهذه الآية التي جاءت بلا فاصل هي نص صريح على أن المراد بولاية المؤمنين عين ولاية الرسول ، وإن من حافظ على هذه الولاية ولم يفرق بين محمد وعلي فهو من حزب الله .

٥٧ - ٥٨- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤاً وَلَعِباً... ﴾ ومرة أخرى نهي سبحانه عن اتخاذ أعدائه أولياء ، لأنهم لم يحالفوكم في الدين وكفى ، بل يُسَدُّوا ظالمين مستهزئين بكم وبدينكم وصلاتكم ﴿ ذلك

حَصِطَ أَعْمَلُهُمْ فَاصْبِرُوا خَيْرِينَ ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤاً وَلَعِباً مِنَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُؤاً وَلَعِباً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿

بأنهم قوم لا يعقلون ﴿ عظمتة الإسلام وحكمة الصلاة .

٥٩- ﴿ قل يا أهل الكتاب هل تتقون منا إلا أن آمنة بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون ﴿ أنتم تدعون الإيمان بالله ، ونحن تؤمن به من الأعماق ، وأيضاً تدعون الإيمان بتوراة موسى وإنجيل عيسى ، ونحن نشهد بصدقهما شهادة إيمان وإيقان ، وإذن فذنبنا عندكم هو ذنب المنصف عند المنحرف والأتقى عند الأشقى .

٦٠- ﴿ قل ﴿ يا محمد ﴿ هل أنبئكم ﴿ أيها الساعون من المسلمين الراعمون بأنكم أهل كتاب ودين ﴿ بشر من ذلك ﴿ أي بشر أهل الأديان جميعاً ﴿ مثوبة ﴿ جزاء ﴿ عند الله من لعنة الله وغضب عليه ﴿ وهذان الوصفان لليهود والملاحدين والمشركن وكل من سعى في الأرض بالفساد ﴿ وجعل منهم القردة والخنازير ﴿ خاص باليهود بنص الآية ٦٥ من البقرة ﴿ وعبد الطاغوت ﴿ وهو كل معبود من دون الله مالا كان أو منصباً أو امرأة أو أي شيء من زخرف الحياة الدنيا وزينتها ، والراكمون الساجدون لهذا المعبود يعدلون بالملائين من أهل الكتاب والمسلمين وأهل الإلحاد والمشركن ﴿ أولئك شر مكاناً ﴿ منزلة عند الله ، وبالأخص عبدة الطاغوت ، وبصورة أخص اليهود لأن فيهم هذه الأوصاف مجتمعة وزيادة حيث لا هدف لهم إلا إبادة الإنسانية جمعاء إلا الصهيونية .

٦١- ﴿ وإذا جاؤكم قالوا آمنة ﴿ كذباً وميناً ﴿ وقد دخلوا ﴿ عليكم ﴿ بالكفر ﴿ كافرين ﴿ وهم قد

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْفَعُونَ مَنَا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴿ قُلْ هَلْ أَنْبِئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مُتَوَبَّةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَغَضَبِ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ءَالَهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِيمَانِ وَالْعُدُودِ وَأَكْثُهُمْ السَّحَتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبِّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِيمَانِ وَأَكْثُهُمُ السَّحَتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعِنُوا بِمَا قَالُوا

خرجوا به ﴿ أي بالكفر ، فإنه الصفة الراسية الراسخة في نفوسهم لا تحول ولا تزول .

٦٢- ﴿ وترى كثيراً منهم يسارعون في الإثم والعلوان ﴿ يتنافسون على السلب والنهب وتدمير البشرية ﴿ وأكلهم السحت ﴿ المال الحرام ، فهو وحده عندهم مقياس الفضل والفضيلة .

٦٤- ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة ﴿ هذا المنطق ينقض نفسه بنفسه لأن الإعتراف بالله معناه الإعتراف بقوة مطلقة ، يفقر إليها كل شيء ، ولا تفقر هي إلى شيء ، فكيف انكسرت الآية ؟ ونعوذ بالله من أن تفقر إلى سواء ﴿ غلت أيديهم ولعنوا ﴿ ليس هذا دعاء على اليهود ، بل إخباراً من الله سبحانه بأنهم في آخر الزمان سيكونون أذلاء ملعونين مخذولين بشهادة التوراة ، فقد جاء في سفر التثنية الإصحاح ٢٨ فقرة ١٥ وما بعدها أن الرب خاطب الشعب اليهودي بقوله : « إن لم تسمع لصوت الرب إلهك ... يرسل عليك اللعن والاضطراب والجزر في كل مائد إليه يذك لتعمله حتى تهلك وتفتنى سريعاً من أجل سوء أفعالك » وفي الفقرة ٦٣ من هذا لإصحاح : « يسلط الرب عليك - أيها الشعب اليهودي - حتى تهلك ... لأنك لم تسمع لصوت الرب إلهك » .

﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ فيطش البطشة الكبرى بمن يجرؤ على نفسه وجلاله ، وأيضاً ﴿ يَتَّقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ بغير حساب ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ كلما نزلت عليك يا محمد آية من القرآن الكريم ازداد اليهود كفراً بالله وحسداً لك . وحقداً عليك . ولا حد ولا عد لمساويء اليهود ، تقدم منها كثير ، والآي أكثر ﴿ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعُدَاةَ الْبِغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ وقد عمّ وشمل هذا العذاب والغضب من الله سبحانه المسلمين والعرب في عصرنا الراهن حتى المشركين منا والملاحين ، وما ربك بظلام للعبيد ﴿ كَلِمًا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ﴾ وهذه نتيجة حتمية للانشقاق والنزاع « ولا تنازعوا فتشعلوا - ٤٦ الأنفال » ﴿ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ﴾ والفساد يعم ويشمل شتى أنواع الجرائم ، وأعظمها العدوان على العباد .

٦٥- ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكُنْهُمْ عَنْهُمْ ﴾ قيل في تفسير هذه الآية : إنها دعوة من القرآن لأهل الكتاب أن يسلموا ، وهذا هو الظاهر ، أما الواقع فإن القرآن يدعو أهل الكتاب وغيرهم أن يدرسوا الإسلام حتى يعلموا أمانه ومراميه ، ويعملوا بما علموا .

٦٦- ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ على جميع الأنبياء بما فيهم محمد (ص) ﴿ لَا كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِمْ وَمَنْ تَحْتَ أَشْجُلِهِمْ ﴾ كناية عن رعد

العيش وسعة الزرق ، وليس من شك أن اليهود والنصارى لو آمنوا بمحمد كما آمن المسلمون بموسى وعيسى ، وعاشوا إخواناً متحابين - لكانوا جميعاً في غنى عن الجدل والقتال ، ولتوجه الإنتاج بالكامل إلى السلم وسد الحاجات ، لا إلى الحرب والمقاتلات بحكم البديهة والطبيعة ، وعندئذ يعم الرغد والرخاء الجميع على السواء ، ويصبح ثمن الدار أقل من ثمن السيارة الآن ، وهذه بثمر الساعة ، والساعة كالقلم ، والقلم كالديبوس ، وهكذا سائر السلع بشتى أنواعها .

﴿ مِنْهُمْ ﴾ من أهل الكتاب ﴿ أُمَّة ﴾ جماعة ﴿ مَقْتَصِدَةٌ ﴾ معتدلة حيث آمنت بمحمد كما آمن المسلمون أجمعين بموسى وعيسى ﴿ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ بإصرارهم على الضلال .

٦٧- ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ لَمَّا يَبْلُغْ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ يدل أسلوب الخطاب مع النبي (ص) أن الله سبحانه قد أمره بتبليغ أمر مهم للغاية ، وأن النبي قد ضاق به ذرعاً ، لأنه ثقل على أنفاس جماعة من الصحابة ، وذكر الرازي في سبب نزول هذه الآية وجوهاً ، منها : « أنها نزلت في فضل علي بن أبي طالب عليه السلام ، ولما نزلت هذه الآية أخذ النبي بيد علي وقال : من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه . فلقبه عمر فقال : هنيئاً لك يا ابن أبي طالب ، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة ، وهـ قول ابن عباس والبراء بن عازب ومحمد بن علي بن الحسين عليهما السلام .

بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَبْنَا بَيْنَهُمُ الْعُدَاةَ الْبِغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَلِمًا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكُنْهُمْ عَنْهُمْ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَشْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٦٧﴾ * يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ لَمَّا يَبْلُغْ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴿٦٨﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٩﴾ قُلْ بَلِّغْ

٦٨- ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُ عَلَى شَيْءٍ ﴾ من دين الحق ﴿ حتى تقيموا العروة ... ﴾ تقدم قبل لحظة في الآية ٦٥ و ٦٦ .

٦٩- ﴿ إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ ﴾ تقدم في الآية ٦٢ من البقرة .

٧٠- ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ : ﴿ تقدم في الآية ١٢ من هذه السورة ﴾ فريقاً كذبوا و فريقاً يقتلون ﴿ القتل أولاً إن أمكن وإلا فالتكذيب والتعذيب .

٧١- ﴿ وَحَسِبُوا أَنْ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ أي ظن اليهود أنه لا غالب لهم إطلاقاً لأنهم شعب الله المختار ﴿ فعموا ﴾ عن الحق ﴿ وصموا ﴾ عن دعوته ﴿ ثم تاب الله عليهم ﴾ لما تابوا ﴿ ثم عموا وصموا كثير منهم ﴾ وكثير بدل من واو الجماعة يترددون إن استطاعوا ، ويخضعون عند المعجز، وهكذا دواليك

٧٢- ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ جاء في قاموس الكتاب المقدس طبعة عام ١٩٦٤ ص ١٠٨ وما بعدها : « أن التثنية أمر بين واضح في الأنجيل . والمسيح بما أنه ابن الله فهو إله بكل الكمالات غير المحلولة التي للجوهري ﴾

﴿ وقال المسيح ﴾ الإسرائيلي لقومه : ﴿ يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم ﴾ أنا وأنتم من عباده ﴾ إنه من

الْكِتَابِ لَسْتُ عَلَى شَيْءٍ وَحَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالنَّصَارَى مِّنْ أُمَّةٍ بِإِلَهِ يَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قُلْنَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوا أَنَّ تَكُونَ فِتْنَةً فَعَمَّوْا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمَّوْا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ ۖ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِي إِسْرَءِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ

الإعراب :

﴿ الصابئون ﴾ مبتدأ والخبر محذوف، أي والصابئون كذلك، ومثله: «فاني وقيار بها لغريب» أي اني لغريب، وقيار كذلك، أو غريب، والنصاري عطف على الصابئين . ﴿من آمن بالله﴾ بدل بعض من كل ما تقدم من الاصناف . ﴿لقد﴾ اللام واقعة في جواب القسم المحذوف، أي والله لقد . ولا تكون تامة . ﴿وفتنة﴾ فاعل ، والمصدر المنسبك من أن وما بعدها مفعول حسبوا ، أي حسبوا عدم الفتنة . ﴿وكثير﴾ بدل من واو عموا وصموا .

﴿لقد﴾ اللام واقعة في جواب القسم المحذوف، أي والله لقد . ولا تكون تامة . ﴿وفتنة﴾ فاعل ، والمصدر المنسبك من أن وما بعدها مفعول حسبوا، أي حسبوا عدم الفتنة . ﴿وكثير﴾ بدل من واو عموا وصموا .

يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ﴿ فقالوا : كلا : أنت ابن الله وشريكه ، ولست عبداً .

٧٣- ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ﴾
أبدأ لا فرق عند الله بين من كفر بالله من الأساس ومن جعل له شريكاً ، لأن هذا الوصف يشعر بالنقص والعجز إضافة إلى الأسواء والأضرار التي يتركها في حياة الناس العملية ﴿ وما من إله إلا إله واحد ﴾ ومعنى الإله الواحد عقلاً وبدنية أنه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وإلا لم يكن إلهاً ﴿ وإن لم ينتهوا عما يقولون ﴾ بأن الله ثالث ثلاثة ﴿ ليمسن الذين كفروا منهم ﴾ أي الذين استمروا وأصرروا على الكفر ﴿ عذاب أليم ﴾

٧٤- ﴿ أفلا يتوبون ﴾ قبل أن يأتي يوم لا ينفع مال ولا بنون .

٧٥- ﴿ ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ﴾ فن أين جاءته الربوبية ؟ ﴿ وأمه صديقة ﴾ صدقت بكلمات ربها ، وعملت بموجبها ﴿ كانا يأكلان الطعام ﴾ لسد جوع المهلك وتسكين المعدة التي تضطرب وتخرخر وإذا كان هذا حال المعبود فكيف بحال العبد ؟ ﴿ أنظر كيف نبين لهم الآيات ﴾ الواضحات من أن الإله لا يرضع ويشرب ولا يأكل ويصلب ﴿ ثم أنظر أنى يؤفكون ﴾ يعرضون عن الحق على الرغم من شهادة الحجج الدامغة البالغة ؟

٧٦- ﴿ قل أنعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرراً ولا نفعاً ﴾ بل ولا لنفسه أيضاً ، والشرط الأساس في الإله أن يملك النفع والضرر .

٧٧- ﴿ قل يا أهل الكتاب لا تغفوا في دينكم غير الحق ﴾ تقدم في النساء الآية ١٧١ والعلو كفر لا محرم فقط ، وإذا أعطى المسلم للمخلوق صفة واحدة من صفات الخالق فقد ارتد عن الإسلام ﴿ ولا تتبعوا أهواء قوم ﴾ وهم رؤساء الدين ﴿ قد ضلوا من قبل وأضلوا ﴾ أهلكوا ﴿ كثيراً ﴾ من الناس ، وتحملوا مسؤولية كل قاصر وجاهل لا يعرف حقاً ولا باطلاً إلا تلقيناً وتقليداً ، أما هو فني آمن وأمان من عذاب الله ، ما في ذلك ريب .

الإعراب :

﴿ ثالث ﴾ خبر إن . ﴿ وثلاثة ﴾ مجرور بالاضافة ، ولا يجوز ثلاثة بالنصب على أنه مفعول لثالث ، كما يجوز لك أن تقول : ضارب زيداً على أن يكون زيد مفعولاً لضارب ، لا يجوز ذلك في ثلاثة ، إذ بصير المعنى الثالث جعل الثلاثة ثلاثة ، وهذا باطل وغير مراد ، لأن المعنى المراد واحد من ثلاثة ، لا جاعل الثلاثة ثلاثة . . أجل ، إذا قلت : رابع ثلاثة يجوز أن تحذف ثلاثة بالاضافة ، وأن تنصبها مفعولاً لرابع على معنى جاعل الثلاثة أربعة .

۷۸- ﴿لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَآئِيلَ عَلَى لِسَانِ
كُلِّ نَبِيٍّ وَنَفَى .

٧٩- ﴿كَانُوا﴾ اليهود وما زالوا ﴿﴾ لا يتناهون عن
منكر فعلوه ﴿﴾ أي ابتدعوه ودبروه بدقة لا تبارى .

٨٠- ﴿ تَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ ﴾ من اليهود ﴿ يَتَوَلَوْنَ ﴾ الذين كفروا ﴿ يَهْتُمُونَ كَثِيراً فِي امْتِلَاقِ قُلُوبِ حُكَّامِ الْمَجُورِ ﴾ حيث يبدونهم حماة لجشعهم وجرائعهم ، وفي هذه الآية وغيرها من الآيات التي تحدثت عن طبيعة اليهود - يمكن سر الإعجاز في كتاب الله ﴿ لَبِئْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُمْ أَنْفُسَهُمْ ﴾ من غضب الله والناس أجمعين .

٨١- ﴿ وَلَوْ كَانُوا ﴾ اليهود ﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ ﴾
 موسى كما يزعمون ﴿ وما أنزل إليه ﴾ في التوراة ﴿ ما
 اتخذوهم ﴾ أي ما اتخذ اليهود أهل الضلال والفساد
 والطغاة الأوغاد ﴿ أولياء ﴾ من دون الطيبين الصالحين .

٨٢- ﴿ لتجلدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا ﴾
 ولكل طيب ومخلص ﴿ اليهود والذين أشركوا ﴾ يشير
 سبحانه بهذا إلى تحالف اليهود مع المشركين ضد محمد (ص)
 وأتوانائهم عليه وإيذانهم له بالسنتهم وأيديهم وشتى ما يملكون
 من سلاح ﴿ ولتجلدن أقربيهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا
 إنا نصارى ﴾ ليس في هذه الآية وما يتصل بها تصريح أو
 تلويح بأن النصارى يحبون المسلمين أو يكرهون اليهود أكثر
 من كرههم لمن أسلم كلا ، إنها بعيدة عن ذلك ، وإنما تدل
 على أن الأفكار الدينية المسيحية هي من حيث الإنسانية أقرب
 منها إلى الإسلام وإنسانيته من الأفكار الدينية اليهودية ، وكل

مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ
 ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ
 عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا
 مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ
 أَنْ يَحْطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾
 وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ
 أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨١﴾ * لَتَجِدَنَّ
 أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا
 وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي
 ذَلِكَ بِأَنْ مِنْهُمْ قَسِيصِينَ وَرَهَبَانًا وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾
 وَإِذَا سَأَعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ
 الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَمَّا فَآكُتُبْنَا

من قرأ التوراة والإنجيل ينتهي إلى العلم بهذه الحقيقة - مثلاً - إله الإنجيل هو إله المحبة والرحمة للبشرية جمعاء بنص كلماته تماماً كما جاء في القرآن ، أما إله التوراة فإنه مرتبط باليهود وحدهم ، وهم شعبة الخاص ، ولا يعنيه من أمر الخلاق شيئاً إلا أن تكون أداة لمصلحة اليهود ! ولا أدري كيف جمع النصارى بين الإيمان بإله التوراة المتعصب والإيمان بإله الإنجيل الذي وسعت رحمته كل شيء ؟

﴿ ذلك ﴾ إشارة إلى الأفكار الدينية المسيحية ﴿ بأن منهم قسيسين ﴾ علماء ﴿ ووهبانا ﴾ عباداً ﴿ وأنهم لا يستكبرون ﴾ على أحد من عباد الله وعياله .

الإعراب :

﴿ومن بني اسرائيل﴾ متعلق بمحذوف حالا من الذين كفروا. ﴿بئس ما كانوا﴾ ﴿بئس﴾ فعل ماضى بمعنى الذم، و﴿ما﴾ اسم نكرة بمعنى شيء على نصب على التمييز. وفاعل بئس مستتر يفسره ما، أي الشيء شيئا فعلهم، وقد تصدينا من يفعلون مصلا جعلناه المخصوص بالذم. وهو مبتدأ وخبره بئس وما بعدها، أو خير لمبتدأ محذوف، أي هو فعلهم.

٨٣- ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا ﴿ هَذِهِ رَاقِعَةٌ خَاصَّةٌ لَا يَقَاسُ عَلَيْهَا كُلُّ رَاهِبٍ وَقَسِيسٍ ، وَلِذَا نَكَرَ سِحْرَانَهُ وَلَمْ يَظَلِّ الْقَسِيسِينَ وَالرَّهْبَانَ وَالْوَاقِعَةُ هِيَ أَنَّ جَعْفَرَ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ تَلَا لِلنَّجَاشِيِّ بَعْضَ مَا نَزَلَ فِي عِيسَى وَأُمِّهِ مِنَ الْقُرْآنِ فَبَكَى وَمِنْ حَضَرَ مِنْ قَوْمِهِ .

٨٤- ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ ...﴾ قال هذا النجاشي ومن معه .

٨٥- ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا﴾ ما لا عين رأت ولا أذن سمعت .

٨٦- ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ وهكذا لا يستوي عند العدالة الإلهية المسيء والمحسن وإذا سلم المجرم من عقاب الناس فلا مفر له من عذاب الله .

٨٧- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ جاء في الروايات أن هذه الآية نزلت في جماعة من الصحابة غلب عليهم الخوف من الله ، فحرموا على أنفسهم النساء والطيبات ، وانقطعوا إلى العبادة ، فنهاهم النبي (ص) وقال لهم فيما قال : أما أنا فأقوم وأناام ، وأصوم وأفطر ، وآتي النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني .

﴿وَلَا تَحْتَلُوا﴾ إن الله لا يحب المعتدين ﴿الَّذِينَ يَعْمَلُونَ لِآخِرَةِ وَيَسُونَ الدُّنْيَا ، أَوْ لِلدُّنْيَا وَيَسُونَ الْآخِرَةَ .

٨٨- ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ اعملوا

وكلوا من عمل أيديكم ، فإن الأيدي الخشنة العاملة أفضل عند الله من الجباه السود الساجدة .

٨٩- ﴿لَا يَأْخُذْكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ يمين اللغو ما يدور على اللسان من غير قصد وروية ، ووجوده كعدمه ﴿وَلَكِنْ يَأْخُذْكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ يمين الشرع ما يؤتى بها عن قصد وروية ، ويجب الوفاء بها ويؤاخذ الحالف على حنثها فكفارته إطعام . . . ﴿مِنْ حَلْفِ الْيَمِينِ الشَّرِيعَةَ وَخَالَفَهَا ، وَجِبَتْ عَلَيْهِ الْكَفَّارَةُ مَخْبَرًا بَيْنَ ثَلَاثِ خِصَالٍ (١) أَنْ يَطْعَمَ عَشْرَةَ مَسَاكِينَ بِالْجَمْعِ بَيْنَهُمْ أَوْ بِالْفَرِيقِ (٢) أَنْ يَكْسُو كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا يَسْمَى كِسْوَةً فِي الْعَرَفِ (٣) أَنْ يَتَّقِيَ عَبْدًا ، وَلَا عِيدَ الْيَوْمِ﴾ فمن لم يجد ﴿فَصِيَامَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ وإن عجز عن صومها استغفر الله ورجا عفوه .

الإعراب :

﴿وَمَا لَنَا﴾ مبتدأ وخبر . جملة ﴿لَا نُؤْمِنُ﴾ حال من ضمير الخبر المحذوف الذي تعلق ﴿لَنَا﴾ به . وما جاءنا ﴿مَا﴾ في عل جر عطفا على لفظ الجلالة . والمصدر المنسبك أن يدخلنا مجرور بفي معلقة ، أي في أن يدخلنا ، والمجرور متعلق بنطمع . ﴿حَلَالًا﴾ حال من ﴿مَا﴾ ، أو صفة لمفعول مطلق محذوف ، أي رزقا حلالا .

٩٠- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ ﴾
تقدم الكلام عنهما في تفسير الآية ٢١٩ من البقرة ﴿ وَالْأَنْصَابُ ﴾
والأزلام ﴿ أيضاً تكلمنا عنهما عند تفسير الآية ٣ من هذه
هذه السورة أي المائدة ﴾ ﴿ رجس من عمل الشيطان
فاجتنبوه ﴾ ولا شيء أقوى في الدلالة على تحريم الخمرة
من هذه الآية أولاً : للمساواة بينها وبين عبادة الأصنام .
ثانياً : إنها رجس من عمل الشيطان . ثالثاً : للأمر بالاجتناب
عنها . وهو يدل على الوجوب إضافة إلى السنة المتواترة والإجماع
مدى الأزمان ، وكفى بالضرورة الدينية حجة ودليلاً .

٩١- ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ ﴾
والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله ﴿ أي
عن طاعته بعمامة ﴾ ﴿ وعن الصلاة ﴾ بخاصة ، بعد النهي
عن الخمر والميسر بين سبحانه ما فيهما من مفسدة ، وهي
العداوة بين الخاسر والرايح في القمار ، والسلب والقتل من
السكران المؤدي إلى البغض والكراهية ، والوقوع في معصية
الله سبحانه ، وترك العبادة ﴿ فهل أنتم متنهون ﴾ عن
هذه المساوئ . والردائل ، وهذا الرجس عند أهل الفهم أرفع
وأبلغ من صيغة انتهوا .

٩٢- ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ في ترك
الخمر والميسر وكل حرام ﴿ واحذروا ﴾ عذاب الله
وغضبه ، أبعد كل هذا يقال : لاني عن الخمر في القرآن ؟
﴿ فإن توليتم ﴾ عصيتم ﴿ فاعلموا انما على رسولنا البلاغ
المبين ﴾ وعلى الله الحساب ، ولن خالف العذاب .

٩٣- ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ﴾
ومن هنا اتفق الفقهاء على أن كل شيء مطلق حتى يرد فيه نهي وفي الشرائع الوضعية : لا جريمة بلا نص ﴿ إذا ما اتقوا ﴾
فيما بينهم وبين الله من الإخلاص له في العبادة ﴿ وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا ﴾ فيما بينهم وبين الناس من
حسن السيرة والمعاملة ﴿ وآمنوا ثم اتقوا ﴾ ثبتوا واستمروا على التقوى الأولى والثانية ﴿ واحسنوا ﴾ والإحسان تقوى
وزيادة لأن التقوى أن لا تترك واجباً ولا تفعل محرماً ، والإحسان أن تفعل المستحب ، وترك ما يكره .

٩٤- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْلُونَكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ ﴾
منها ما يوجه عليه في حال الإحرام فقط من ترك بعض الصيد ،

الإعراب :

﴿ من عمل الشيطان ﴾ متعلق بمحذوف صفة لرجس . ﴿ وفي الخمر والميسر ﴾ متعلق بيقوع . ﴿ ونهول أنتم متنهون ﴾ أمر من صيغة
الاستفهام ، وهو أبلغ من الأمر بصيغة الفعل .

أَيُّكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَنَكُمْ كَذَلِكَ بَيِّنَ اللَّهُ
لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٩٠﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا
إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلُمُ رَجَسٌ مِّنْ
عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩١﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ
الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ
وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ
مُنْتَهُونَ ﴿٩٢﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا
فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَبُوا إِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٩٣﴾
لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا
طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا
وَأَمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٤﴾
يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَلُونَكُمْ اللَّهُ بَشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ

وهو صيد البر دون البحر ﴿ تناله أيديكم ورماحكم ﴾ كناية عن الصيد بلا مشقة ﴿ يعلم الله من يخافه بالغيب ﴾ أي لنظهر أفعالنا للبيان التي نستحق عليها الثواب والعقاب، وقوله بالغيب إشارة إلى أن المؤمن حقاً هو الذي يترك الحرام في السر والعلاية .

٩٥- ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ﴾ محرمين ﴿ ومن قتله منكم متعمداً ﴾ ولا شيء على الناس والمخطئ ﴿ فجزاء مثل ما قتل من النعم ﴾ أي على الصائد فدية من الحيوان الأهلي تنسبه الحيوان البري الذي اصطاده ﴿ يحكم به ذوا عدل منكم ﴾ ينظران إلى أشبه الحيوانات بالصيد ويحكمان به ﴿ هدياً بالغ الكعبة ﴾ تذبح الفدية في الحرم ﴿ أو كفارة إطعام مسكين ﴾ أي أن الصائد مخير بين أن يذبح مثل الصيد وبين أن يقوم مثله بدراهم يشتري بها طعاماً للمسكين ﴿ أو عدل ذلك صياماً ﴾ يصوم عن إطعام كل مسكين يوماً واحداً ، وتحذر الإشارة إلى أن الصيد كان في صدر الإسلام من قومات الحياة والمعاش ومستعملاً عند العرب بكثرة ، فاقضى البيان المفصل ، أما الآن فالناس في غنى عن صيد البر إلا للهو ، والحاج يذهب إلى الحرم الشريف عابداً لا لاهياً .

٩٦- ﴿ أحل لكم صيد البحر ﴾ حتى ولو كنتم محرمين ﴿ وطعامه ﴾ أي يحل صيده وأكله ﴿ متاعاً لكم وللسيارة ﴾ إداماً للحاضرين والمسافرين ﴿ وحرم عليكم صيد البر ما دمتع حراماً ﴾ حرم سبحانه أولاً أصل الصيد حال الإحرام في قوله « لا تقتلوا الصيد » وفي هذه الآية حرم الأكل منه تماماً كالميتة

٩٧ - ٩٩- ﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس ﴾ محلاً تعبد الناس فيه رب العالمين ﴿ والشهر الحرام ﴾ جنس يشمل الأشهر الأربعة ، وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ﴿ والهدي ﴾ ما يهدي إلى الكعبة من الأنعام ﴿ والقلائد ﴾ الهدي الذي وضعت في عنقه علامة تدل على أنه للكعبة ﴿ ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات ... ﴾ بين سبحانه حلاله وحرامه

الإعراب :

﴿ يعلم ﴾ منصوب بأن مضمرة بعد اللام، والمصدر المنسبك مجرور بها ومتعلق بيلوكم. ﴿ وبالغيب ﴾ في موضع الحال من فاعل يخافه، أي يخاف الله حال غيابه عن الناس. وأنتم حرم الجملة حال من واو لا تقتلوا. وجزاء مبتداً، وخبره محذوف، أي فعلية جزاء. ومثل صفة لجزاء. ﴿ وهدياً ﴾ حال من الضمير في ﴿ به ﴾. ﴿ وبالغ ﴾ صفة لهدي. ﴿ وكفارة ﴾ عطف على جزاء. ﴿ وطعام ﴾ بدل من كفارة. وصياماً تمييز من عدل ذلك. والمصدر المنسبك من أن يذوق مجرور باللام، ومتعلق بصيام. ومتاعاً مفعول لأجله لأجل لكم.

ما صغر منه وما كبر حتى «القلائد» لتكون على علم اليقين بأن ما من شيء إلا وفيه كتاب وستة كيلا يترك مجالاً لأي إنسان أن يفني ويحكم برأيه .

١٠٠- ﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْغَيْثُ ﴾ وهو كل ما نهي الله عنه من قول أو فعل ، ومن الناس كل من عصى حكماً من أحكام الله ﴿ والطيب ﴾ هو ما لم يرد فيه نهي قولاً كان أو فعلاً ، ومن الناس من أطاع الله في جميع أحكامه ﴿ ولو أعجبك كثرة الغيث ﴾ والكثرة هنا كناية عن بهجة الدنيا وزينتها ومتاعها وحلاوتها ، والمعنى الرجل الفاضل الطيب من يسارع إلى الخيرات لا من يأكل الطيبات ويشتع الشهوات .

١٠١- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تَبَدَّلَ لَكُمْ تَنُوكُمْ ﴾ ما لكم ولل سؤال عما لا يسألكم الله عنه غداً ، ولا صلة له بحياتكم من قريب أو بعيد ، وقد يكون في الجواب عنه ما تكرهون ﴿ وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلكم ﴾ اسألوا عن أحكام ما تمارسونه بالفعل ، واسكتوا عما عدا ذلك حتى ينزل به الوحي على الرسول ، فإن نزل الوحي واقضى الشرح والتوضيح سألتكم النبي (ص) ، فيبين لكم .

١٠٢- ﴿ قَدْ سَأَلَهَا ﴾ الضمير للأشياء التي جوابها يسوء السائل ﴿ قوم من قبلكم لم أصبحوا بها كافرين ﴾ في الروايات أن بني إسرائيل كانوا يسألون أنبياءهم ، فإذا أمروا بها تركوها فهلكوا .

١٠٣- ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ ﴾ إذا أنجبت الناقة خمسة أبطن شقوا أذنبا وحرموا ركوبها ﴿ ولا سائبة ﴾

كان الجاهلي يقول : إذا قدمت من سفري أو برث من مرضي فناقني سائبة ، فتكون تماماً كالبحيرة ﴿ ولا وصيلة ﴾ كانوا إذا ولدت الناقة ذكراً وأنثى في بطن واحد قالوا وصلت أخاها ، ولم يذبوا الذكر لأجلها ﴿ ولا حام ﴾ كانوا إذا نتج من صلب الجمل عشرة بطون قالوا قد حمى ظهره ، فلا يُركب ولا يُحمل عليه . وهذه الأحكام ذهبت مع وقتها ، ولا جدوى وراء التطويل والتحليل .

١٠٤- ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى

الإعراب :

قال أبو البقاء : الأصل في أشياء عند الخليل وسيبويه شيئاً هزتين بينهما ألف ، وهي فعلاء من لفظ شيء ، وهزتها الثانية للتأنيث ، وهي مفردة في اللفظ ، ومعناها الجمع ، مثل قصباء وطرفاء ، ولأجل همزة التأنيث منعت من الصرف ، ثم إن الهمزة الأولى التي هي لام الكلمة قدمت ، فجعلت قبل الشين كراهية وجود هزتين بينهما ألف ، فصارت أشياء .

وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠٧﴾ أَعْلَوْا
أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٨﴾
مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ
وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿١٠٩﴾ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ
وَلَوْ أَبْغَيْكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأْتِ بِآيَاتِ الْآلِبِ
لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴿١١٠﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ
أَشْيَاءٍ إِنْ تَبَدَّلَ لَكُمْ تَنُوكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ
الْقُرْآنُ تَبَدَّلَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١١١﴾
قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١١٢﴾
مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ
وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَثُرُهُمْ
لَا يَعْقِلُونَ ﴿١١٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ

الرسول ﴿ تعالوا إلى الإيمان بالحق والعمل به والتعاون على إقامته ﴾ قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ﴿ إن دين الحق عندهم هو دين الآباء والأجداد لا دين العقل والوحي والقطرة ﴾ أولو كان آبائهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون ﴿ ونفهم من هذا أن التقليد من حيث هو لا يوصف بخير ولا بشر ، وإنما حكمه حكم ما يؤدي إليه تماماً كالوسيلة والمقدمة ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر .

١٠٥- ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ﴾ تختلف واجبات الإنسان تبعاً لطاقته وأهليته ، وعليه أن يقوم بها كاملة ولا يقصر ، فواجب الوالي أن يقوم بحق الرعية مخلصاً . وعلى الجندي أن يسمع لقائده مطيعاً ، وعلى المرشد أن يبلغ ناصحاً ﴿ ولا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾ كل إنسان يؤخذ بعمله لا بعمل الآخرين ﴿ إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ ولا عذر لمن قصر وأهل .

١٠٦- ﴿ يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ﴾ شهادة مبتدأ ، واثنان خبر ، والمعنى من أحس بدنو أجله في السفر كما يدل قوله : إن ضربتم في الأرض - وأراد أن يوصي فليشهد عدلين من المسلمين ﴿ فوا عدل منكم أو آخرون من غيركم ﴾ من غير المسلمين ﴿ إن أنتم ضربتم في الأرض ﴾ كنتم مسافرين ﴿ فأصابكم مصيبة الموت ﴾ ظهرت دلائله ﴿ تحسبونها ﴾ ضمير المثنى للشاهدين من غير المسلمين ﴿ من بعد الصلاة فيقسمان بالله إن ارتبتم لا نشتري به ثمناً ولو كان ذا قرى ولا نكتم شهادة الله ﴾ إذا أوصى رجل في السفر ، ولا أحد عنده من المسلمين ، فله أن يشهد اثنين من أهل الكتاب ، على أن يستحلفا بعد الصلاة بين جمع من الناس إنيما ما خانا ولا كنما حقاً ولا أخذنا رشوة ، وعندئذ تقبل شهادتهما ، ولا تجب اليمين على أحدهما إلا مع الشك في صدقه لقوله تعالى : « إن ارتبتم » .

١٠٧- ﴿ فإن عثر على أنهما استحقا إثماً ﴾ إذا دلت الدلائل على أن الشاهدين قد كذبا في الشهادة ، ومع ذلك بقيا مصرين على صدقهما ﴿ فآخرون يقومان مقامهما ﴾ أي اثنان من أولياء الميت يقومان مقام الشاهدين الذين استحقا إثماً ﴿ من الذين استحق عليهم ﴾ أي جني عليهم وهم الورثة ﴿ الأوليان ﴾ أي الأحقان بالشهادة لقرابتهما من الميت ﴿ فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما ﴾

الإعراب :

﴿ وحسبنا ﴾ مبتدأ ، وهو مصدر بمعنى اسم الفاعل ، أي كافينا ، والخبر ﴿ ما وجدنا ﴾ . ﴿ عليكم أنفسكم ﴾ ﴿ عليكم ﴾ اسم فعل بمعنى احفظوا ، ﴿ وأنفسكم ﴾ مفعول . ﴿ شهادة مبتدأ ، وخبره اثنان على حذف مضاف ، أي شهادة بينكم شهادة اثنين . ﴿ فوا ﴾ عدل صفة لاثنيين . ومنكم متعلق بمحذوف صفة للعدلين . ﴿ ولا نشتري به ﴾ الضمير في ﴿ به ﴾ يعود إلى القسم بالله ، وجملة لا نشتري جواب فيقسمان بالله .

وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا
أولو كان آباءهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون
يتأبها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل
إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم
تعملون يتأبها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا
حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل
منكم أو آخرون من غيركم إن أنتم ضربتم في الأرض
فأصابكم مصيبة الموت تحسبونها من بعد الصلاة
فيقسمان بالله إن ارتبتم لا نشتري به ثمناً ولو كان
ذا قرى ولا نكتم شهادة الله إنا إذا لمن الآثمين
فإن عثر على أنهما استحقا إثماً فآخران يقومان مقامهما
من الذين استحق عليهم الأوليين فيقسمان بالله

يحلف هذان الآخران أن شهادتهما أصح وأصدق من شهادة الأولين اللذين ظهرت خيانتهم ﴿ وما اعتدنا ﴾ ما تجاوزنا الحق والصدق ﴿ إنا إذا لمن الظالمين ﴾ لأنفسنا والمفتريين على غيرنا .

١٠٨ - ﴿ ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها ﴾ من غير خيانة وتحريف ﴿ أو يحلفوا ﴾ الضمير للشهود اللذين حلفوا على أنهم صادقون في شهادتهم ﴿ أن ترد إيمان بعد إيمانهم ﴾ أي أن ترد اليمين على الورثة الذين ادعوا أن الشهود خانوا وكذبوا في شهادتهم وفي يمينهم ، ومتى حلف الورثة هذه اليمين يفتضح الشهود بظهور خيانتهم ويمينهم الكاذبة ، وأنهم جمعوا بين الرذيلتين .

١٠٩ - ﴿ يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم ﴾ يقول سبحانه غداً لرسله من باب إلقاء الحجة على قومهم : لقد بلغتكم رسالتي ، ما في ذلك سؤال ، ولكن هل استجاب لكم قومكم ؟ ﴿ قالوا لا علم لنا ﴾ علمنا قاصر إلى جانب علمك ﴿ إنك أنت علام الغيوب ﴾ حتى بما تكن القلوب .

١١٠ - ﴿ إذ قال الله يا عيسى ابن مريم أذكر نعمتي عليك وعلى والدتك ﴾ ولماذا يذكر نعمته سبحانه عباده التقى منهم والشقي ؟ الجواب : يذكر الشقي ليرتدع ، ويذكر التقى ليكون على علم اليقين بأنه في عين الله ورعايته دنيا وآخرة ﴿ إذ أيدتك بروح القدس ﴾ جبريل ﴿ تكلم الناس في المهدي ﴾ تنزيهاً لأمر من كل شبهة ﴿ وكهلاً ﴾ أي أن كلام السيد المسيح طفلاً بضاهي كلامه كهلاً ﴿ وإذا علمتك الكتاب ﴾ الكتابة ﴿ والحكمة ﴾ الشريعة ،

﴿ والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين ﴾ تقدم في الآية ٤٩ من آل عمران ، وكرر سبحانه « يا ذني » دفعا لشبهة الشرك والغلو .

الإعراب :

وجواب ان اوتيتم محذوف ، والتقدير ان اوتيتم فاحسبوها . ﴿ ولو كان ذا قرى ﴾ اسم كان محذوف ، وجواب لو محذوف ، والتقدير ولو كان الشهود له ذا قرى لم نشتر به ثمننا . ﴿ فآخران ﴾ خبر مبتدأ محذوف ، أي فشاهدان آخران ، أو فاعل لفعل محذوف ، أي فليشهد آخران . ﴿ والأوليان ﴾ ثنية الاولى بمعنى الأحق أي الأحقان بالميت ، وهما أي الأوليان فاعل استحق وقيل : خبر لمبتدأ محذوف ، أي هما الأوليان . والمصدر المنسبك من أن يأتوا مجرور إلى محذوفة متعلق بأدى . وعلى وجهها متعلق بمحذوف حالا من الشهادة . يوم يجمع ﴿ يوم ﴾ منصوب بفعل محذوف ، أي اتقوا يوم يجمع . ﴿ وماذا ﴾ كلمة واحدة بمعنى أي شيء ، وهي هنا مجرورة بحرف جر محذوف ، أي بأي شيء أجبتم ؟ ﴿ إذ قال ﴾ بدل من يوم يجمع . ويجوز أن يكون على ألف عيسى فتحة إذا أعرب ابن مريم صفة له ، ويجوز أن يكون عليها ضمة إذا أعرب ابن بدلا من عيسى ، لا وصفاً . ﴿ وفي المهدي ﴾ متعلق بمحذوف حالا من ضمير تكلم ، ﴿ وكهلاً ﴾ عطف على الحال المحذوف ، أي كائناً في المهدي وكهلاً . وإن آمنوا ﴿ ان ﴾ للتفسير بمعنى أي .

لشَهِدْتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهِدَتِيهِنَّ وَمَا أَعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمَنَّا
الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا
أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانُ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾ * يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ
الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ قَالَوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ
عَلَمُ الْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ أَذْكُرُ
نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ
تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ
كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي
وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى
بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذِ جِئْتَهُمْ

١١١ - ﴿ وَإِذْ أُوحِيتْ إِلَى الْهَوَارِيِّينَ ﴾ أَلْمَنَّهُمْ وَهَدَيْتَهُمْ ﴿ أَنْ آمَنُوا بِي وَبِرَسُولِي ﴾ عِيسَى ﴿ قَالُوا آمَنَّا ﴾ بِكَ وَبِهِ ﴿ وَاشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ مُخْلِصُونَ فِي إِيمَانِنَا وَأَعْمَالِنَا .

١١٢ - ﴿ إِذْ قَالَ الْهَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾ لَا شَكَّ عِنْدَ الْهَوَارِيِّينَ فِي عَظَمَةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ ، وَعَلَيْهِ يَكُونُ الْمَعْنَى هَلْ يَفْعَلُ سُبْحَانَهُ ذَلِكَ بِمَجْدٍ مَسْأَلَتُكَ إِيَّاهُ ؟ ﴿ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ وَلَا تَقْتَرَحُوا عَلَيْهِ مَا تَشْتَهُونَ .

﴿ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا ﴾ وَإِنَّمَا لِأَكْلَةِ لَكَا لَأَكْلَاتٍ ﴿ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَنَا ﴾ مَا مِنْ شَكٍّ فِي أَنْ الْهَوَارِيِّينَ كَانُوا مُؤْمِنِينَ بِنُبُوَّةِ عِيسَى حِينَ طَلَبُوا ذَلِكَ بِشَهَادَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ حَيْثُ قَالَ : « وَإِذْ أُوحِيتْ إِلَى الْهَوَارِيِّينَ أَنْ آمَنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا » وَلَكِنْ كَانَ إِيمَانُهُمْ هَذَا بِالْوَحْيِ وَالْإِهْلَامِ ، فَأَرَادُوا أَنْ يَضِيفُوا إِلَيْهِ إِيمَانَ الْحَسَنِ وَالْعِيَانِ وَهَذَا مُوجُودٌ فِي أَكْثَرِ مِنْ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، مِنْهَا الْآيَةُ ٢٦٠ مِنْ الْبَقَرَةِ حِكَايَةُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ (ع) وَالْآيَةُ ٤١ مِنْ آلِ عِمْرَانَ حِكَايَةُ عَنْ زَكَرِيَّا (ع) .

١١٤ ﴿ قَالَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ... ﴾ لَمَّا رَأَى عِيسَى (ع) الْإِصْرَارَ مِنَ الْهَوَارِيِّينَ ، وَعَلِمَ أَنَّهُمْ لَا يَقْصِدُونَ الْعَنَتَ وَالتَّعْجِيزَ ، دَعَا اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِدَعَاءِ الْعَبْدِ الْخَاضِعِ الْمُتَضَرِّعِ .

١١٥ ﴿ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَرْسَلُهَا عَلَيْكُمْ مِنْ كَفَرٍ بَعْدَ مَنكُمُ فَانْصَرِعْ عَلَيْهَا تَلْعَبَ وَفَرَّجَ الْكَفْرَ عَنْكُمْ فَأَنزَلْنَا أَسْفَلَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمِنْهَا تَعْلَمُونَ ﴾ اسْتَجَابَ سُبْحَانَهُ لَتَضَرُّعِ عَبْدِهِ عِيسَى لِيُزَادَ أَصْحَابَهُ ثِقَةً بِهِ وَإِيمَانًا بِنُبُوَّتِهِ ، وَبِذَلِكَ تَلَزَمَهُمُ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ إِنْ عَاكَسُوا وَشَاكَسُوا .

الإعراب :

إِذْ قَالَ ﴿ إِذْ ﴾ ظرف متعلق بفعل محذوف، أي أذكر إذ قال. والمصدر المنسبك من أن ينزل مفعول يستطيع. وإن صدقتنا ﴿ إِن ﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف، أي أنه. ولنا عيدا ﴿ لَنَا ﴾ متعلق بمحذوف حال. وعيدا خبر تكون، والجملة في محل نصب صفة لمائدة. لا ولنا بدل من لنا. وأعذبه الضمير يعود إلى من يكفر. وأعذابا مفعول مطلق بمعنى التعذيب. ولا أعذبه على حذف حرف الجر، أي لا أعذب به أحدا، وعليه يكون الضمير عائدا إلى العذاب.

١١٦- ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ

لِلنَّاسِ اتَّخِلُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ ليس هذا سؤالاً من الله لعيسى ، وإنما هو حجة قاطعة على من ادعى لعيسى وأمه هذه الدعوى الكاذبة الكافرة ﴿ قَالَ ﴾ عيسى : ﴿ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ ﴾ أنا من العارفين بجلالك وكمالك والأمين على وحيك والمجاهدين في الدعوة إلى عبادتك هذا ﴿ وَإِنْ كُنْتَ قُلْتَهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ تعلم ما أعلم ، ولا أعلم ما تعلم .

١١٧- ﴿ مَا قُلْتَ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ عِبِدُوا اللَّهَ

رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ المصدر المنسبك من أن عابدوا بدل من ضمير ﴿ بِهِ ﴾ ولا يجوز أن تكون ﴿ أَنْ ﴾ مفسرة لأن حروف القول لا تفسر وثانياً لأن الله لا يقول : عابدوا الله ربي وربكم .

﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ ﴾ أي كنت أراقبهم بدقة ، وأمنعهم من الكفر والمغالاة ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾ أدبت وظيفتي من غير تقصير في ظل طاعتك ، والذي حدث من بعدني علمه عنك وأمره لك وحذك لا شريك لك .

١١٨- ﴿ إِنْ تَعَذَّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ وأنت وحذك

صاحب هذا الحق ﴿ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ ﴾ الغني عن عذابهم ﴿ الْحَكِيمُ ﴾ الحليم الذي يشاهد العصاة لأمره ولا يعالجهم بالعقوبة ، ويؤمى هذا القول من عيسى إلى أنه يطلب من الله العفو عن المذنبين ، ولا غرابة ، فهذا

هو شأن الأنبياء والأصفياء ، فقد عانى محمد (ص) الكثير من قومه ومع ذلك قال : اللهم اغفر لقومي إنهم لا يعلمون . وقال إبراهيم أبو الأنبياء : « ومن عصاني فإنك غفور رحيم - ٣٦ إبراهيم » .

١١٩- ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ أبداً لا نجاة إلا لمن صدق في نيته ، وأخلص في عمله ﴿ رَضِيَ

اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ لأنهم اهتدوا بهديه ﴿ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ بما أتاهم من فضله ﴿ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ وفي المقابل غضبه تعالى هو الخسران المبين .

الإعراب :

﴿ اتَّخِلُونِي ﴾ تتعدى إلى مفعولين ، لأنها بمعنى صيروني ، والمفعول الأول الباء ، والثاني إلهين ، وأمي مفعول معه . ﴿ وَمَنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ متعلق بمحذوف صفة لإلهين . وقال صاحب مجمع البيان : من زائدة هنا . وهذا اشتباه لأن من تزداد بعد النفي ، ولا نفي هنا . والمصدر المنسبك من أن أقول اسم يكون ، ﴿ وَلِي ﴾ متعلق بمحذوف خبراً ليكون . ويحق الباء زائدة وحق خبر ليس ، واسمها ضمير مستتر يعود إلى ما . والمصدر المنسبك من أن عابدوا الله بدل من ضمير ﴿ بِهِ ﴾ . ولا يجوز أن تكون ﴿ أَنْ ﴾ هنا مفسرة لأن حروف القول قد صرح بها . ﴿ وَأَنْتَ ﴾ ضمير فصل لا محل له من الإعراب .

(٦) سُورَةُ الْأَعْقَابِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا أَحْمَدُ وَسَنُونُ وَفَاتُهُ

سُورَةُ الْأَعْقَابِ مَكِّيَّةٌ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ
الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾
هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى
عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمُوتُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي
الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾
وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا
مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ
يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَرَّ

١ - الحمد لله في أي قولوا : الحمد لله في الذي خلق السموات والأرض في بنظام وإحكام في وجعل الظلمات والنور في أي أوجد السبب الموجب لوجودهما في ثم الذين كفروا بربهم يعدلون في بالرغم مما أراهم من شواهد البينات على لطيف صنعه وعظيم قدرته .

٢ - هو الذي خلقكم من طين في أي خلق أصلكم من طين أو تراب في ثم قضى أجلا في وهو أجل الموت وأجل مسمى عنده في وهو أجل النشر والبعث في ثم أنتم تموتون في تشكون في الله مع قيام الشواهد والدلائل .

٣ - وهو الله في السموات وفي الأرض في أي أنه تعالى في كل مكان بقدرته وتديره وعلمه في يعلم سرهم وجهركم ويعلم ما تكتبون في من خير أو شر .

٤ - وما تأتيتهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين في المراد بالآية هنا الحجة القاطعة على وجود الله ونبوة محمد (ص) والمعنى الظاهر أن الأدلة قائمة ومتوافرة على صدق الإسلام ، وهي في غاية الوضوح والبساطة ، ولا

عذر إطلاقاً لجاحد ، لأن هذه الأدلة لا تتطلب من العاقل إلا أن ينظر إليها بقله دون هواه . وهكذا أكثر الناس يصرون على الرفض والإنكار بلا بحث وروية .

٥ - فقد كذبوا بالحق لما جاءهم في بل وسخروا غير مكترئين دون أن ينظر إلى حججه وبيناته في فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون في لا بد وأن ينكشف لهم القناع عن جزاء عنادهم وتمردهم .

٦ - ألم يروا أنهم أهلكتنا من قبلهم من قرن في كان

الإعراب :

«خلقكم من طين» على حذف مضاف ، أي خلق أصلكم ، «وأجل» مبتداً ، ومسمى صفة له . «وعنده» متعلق بمحذوف خبر المبتدأ «وهو» مبتداً أول ، و«الله» مبتدأ ثاني ، وجمله يعلم خبر المبتدأ الثاني ، والجملة منه ومن خبره خبر المبتدأ الأول و«في السموات والأرض» متعلق بيلمع . من آية «من» زائدة ، وآية فاعل . ومن آيات متعلق بمحذوف صفة لآية . وكلم استهزأ في موضع نصب بأهلكتنا . «ومن قبلهم» بيان لما . وجمله «مكتاهم» في محل جر صفة لقرن الذي معناه الجماعة . و«مدار» حال من الساء .

أَهْلَكَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمْكِنْ
لَهُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا
ءَاخَرِينَ ﴿١﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلْيَسُوهُ
بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾
وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ
ثُمَّ لَا يَنْظُرُونَ ﴿٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا
وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَى بُرْسِلٌ مِنْ
قَبْلِكَ خَاقًا بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥﴾
قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُكْذِبِينَ ﴿٦﴾ قُلْ لَيْسَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَنَّكَ إِلَى

على من أنكروا نبوة محمد (ص) وحاربوه بكل وسيلة أن
يعتبروا بهلاك الأمم الماضية ﴿﴾ مكانهم في الأرض ما لم
نمكّن لكم ﴿﴾ أعطيناهم ما لم نمطكم ، ثم بين سبحانه
نوع العطاء بقوله ﴿﴾ : وأرسلنا السماء عليهم مدراراً ﴿﴾ تد
بالمطر ﴿﴾ وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم ﴿﴾ أي من تحت
أشجارهم وديارهم كناية عن الرخاء وكثرة الانتاج ، لأن
خير الأرض من خير السماء ﴿﴾ فأهلكناهم بذنوبهم ﴿﴾ ولم
يغن مال أو سلطان ﴿﴾ وأنشأنا من بعدهم قرناً ﴿﴾ أهل
عصر ﴿﴾ آخرين ﴿﴾ والعاقل من انتظ بهم وبأمثالهم ،
والمعروف بين المفسرين أن الله سبحانه ترك أمة محمد (ص)
وذنوبهم إلى يوم الدين ، وليست هذه كرامة للمسلمين بالذات
أولاً لأن عذاب الآخرة أشد . وثانياً لقوله تعالى : « إنا على
لهم ليزدادوا إثماً - ١٧٨ آل عمران » أجل ، الكرامة
لمحمد (ص) ليبقى اسمه ببقاء الله سبحانه دنيا وآخرة ، وفي
شتى الأحوال فإن الصلاة على محمد وآله خير وسيلة إلى الله
وشفع اللهم صل على محمد وآل محمد .

٧- ﴿﴾ ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس ﴿﴾ كهذه
الكتب المعروفة ﴿﴾ فلمسوه بأيديهم فقال الذين كفروا ﴿﴾
مكابرة وعناداً : ﴿﴾ إن هذا إلا سحر مبين ﴿﴾ وهكذا كل
منافق يسمي الأشياء بأضدادها يرفع شعار الإيمان وهو مرء
كذاب .

٨- ﴿﴾ وقالوا لولا أنزل عليه ملك ﴿﴾ وهل يستقيم
أمر الناس مع مخلوق مبين لهم خلقاً وخلقاً ؟ ﴿﴾ ولو أنزلنا
ملكاً لقضي الأمر ثم لا ينظرون ﴿﴾ أي أهلكناهم فوراً ،

لأنهم - والله أعلم - لا يؤمنون به ، ويقولون : هلا أرسل إلينا واحداً منا ننبه ، كما هو شأن الإنسان ، أحب شيء
إليه ما يمنع عنه حتى إذا ناله طلب سواه ، وهكذا إلى ما لا نهاية ! .

٩- ﴿﴾ ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً ﴿﴾ أي في صورة رجل حيث لا تحتمله العقول لو بقي على صورة الملك ،
ومحيؤه في صورة البشر لا يغير من الأمر شيئاً ﴿﴾ وللبسنا عليهم ما يلبسون ﴿﴾ لاشتبه الأمر عليهم ، وقالوا : هذا
إنسان لا ملك ، ونحن نريد ملكاً لا إنساناً .

١٠- ﴿﴾ ولقد استهزى برسول ... ﴿﴾ وبمخلصين ومصلحين ، ولا شيء أسهل على القم من مضغ الهواء بالسخرية
والاستهزاء والغيبة والافتراء ! والعبرة بالعاقبة وهي إلى وبال لا محالة .

١١- ﴿﴾ قل سيروا في الأرض .. ﴿﴾ واضح ، وتقدم في الآية ١٣٧ من آل عمران .

١٢- ﴿﴾ قل لمن ما في السموات والأرض قل لله ﴿﴾ وساغ أن يكون النبي هو السائل والمجيب حيث لا خلاف
بينه وبين المسؤولين أن الله هو خالق الكون ومالكه والقصد إلقاء الحجة ﴿﴾ كتب على نفسه الرحمة ﴿﴾ ما من شك ؟
أن هذا إيجاب فضل وكرم ، ولكن نسأل عن سره وسببه وهو في منتهى البساطة والوضوح ، لأنه تعالى غني عن كل
شيء ، وإليه يفقر كل شيء ﴿﴾ ليجمعنكم إلى يوم القيامة

لا ريب فيه ﴿١٢﴾ حيث لا يستقيم في عدله أن يفلت المسيء من العقاب ، ويحرم المحسن من الثواب .

١٣- ﴿١٣﴾ وله ما سكن في الليل والنهار ﴿١٣﴾ من السكنى لا من السكون ، والقصد عموم الملك لكل كائن أينما كان ومتى يوجد .

١٤- ﴿١٤﴾ قل أعير الله أعخذ ولياً ... ﴿١٤﴾ وهو الخالق الرازق ﴿١٤﴾ قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم ﴿١٤﴾ بطبيعة الحال لأنه هو الداعي الأول إلى القرآن والإسلام ﴿١٤﴾ ولا تكونن من المشركين ﴿١٤﴾ أي نيت عن الشرك كما أمرت بالإسلام .

١٥- ﴿١٥﴾ قل أني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ﴿١٥﴾ لقد وضعت هذه الآية محمداً مع غيره على مستوى واحد أمام الله ، بلا امتياز وحقوق مقلدة لأي إنسان إلا بما يقدمه من خدمة لأخيه الإنسان ، ومن هنا جاءت عظمة محمد (ص) وغيره من الأنبياء والعظماء ، هذا هو الإسلام في واقعه : عدل ومساواة .

١٦- ﴿١٦﴾ من يصرف عنه ﴿١٦﴾ العذاب ﴿١٦﴾ يومئذ ﴿١٦﴾ القيامة ﴿١٦﴾ فقد رحمه ﴿١٦﴾ أي ينال رحمة الله وثوابه .

١٧- ﴿١٧﴾ وإن يمسك الله بضر ﴿١٧﴾ مهما كان نوعه ﴿١٧﴾ فلا كاشف له إلا هو ﴿١٧﴾ حتى الدواء الذي يشفيك من مرضك والطبيب الذي عالجك هما من خلق الله .

﴿١٧﴾ وإن يمسك بخير فهو على كل شيء قدير ﴿١٧﴾ يقدر على ازالته وعلى دوامه ومضاعفته ويجب أن لا ننسى أن الشرط

الأساس لكل نجاح في الحياة الدنيا والآخرة هو العمل ، وإن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات - ٢ العصر ... وأن ليس للإنسان إلا ما سعى - ٣٩ النجم .

١٨- ﴿١٨﴾ وهو القاهر فوق عباده ﴿١٨﴾ يقصم ظهور الطغاة والجبارة .

١٩- ﴿١٩﴾ قل يا محمد لمن يجحد بنيتك : ﴿١٩﴾ أي شيء أكبر شهادة ﴿١٩﴾ هل تريدون مني دليلاً ؟ فعندي أعظم دليل ﴿١٩﴾ قل الله شهيد بيني وبينكم ﴿١٩﴾ وكفى بالله هادياً وشهيداً ﴿١٩﴾ وأوحى إلي هذا القرآن لا نلزمكم به ومن بلغ ﴿١٩﴾ القرآن هو الشاهد والدليل من الله على نبوة محمد ، وقد تحدى وما زال كل جاحد ومعااند ﴿١٩﴾ أنتم لتشهدون أن مع الله

الإعراب :

﴿١٨﴾ ما في السموات ﴿١٨﴾ لمن متعلق بمحذوف خبر مقدم ﴿١٨﴾ مبتدا مؤخر ، والجملة مفعول لقل . والله متعلق بمحذوف خبراً لجندا محذوف ، أي قل هو كائن لله . الذين خسروا مبتدا ، ﴿١٩﴾ وفهم ﴿١٩﴾ مبتداً ثانياً ، ولا يؤمنون خبر للمبتدا ، وهو وخيره خبر المبتدا الأول . غير الله ﴿١٩﴾ مفعول أول لاتخذ ، ﴿١٩﴾ مفعول ثانٍ . وفاطر صفة لله .

آلهة أخرى ﴿ كيف تجمعلون مع الله شركاء بعد وضوح الأدلة على وحدانيته ﴿ قل لا أشهد ﴾ لا أجعل مع الله إلهاً آخر ﴿ قل إنما هو إله واحد ﴾ وهذا هو التوحيد : « قل هو الله أحد الله الصمد... » .

٢٠- ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴾ الضمير في يعرفونه لمحمد (ص) والمراد بأهل الكتاب علماء اليهود والنصارى في عهد الرسول ، وتقدمت هذه الآية في سورة البقرة الآية ١٤٦ ، وأيضاً تأتي في سورة الأعراف ١٥٧ : « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل » .

٢١- ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته ﴾ كل من كذب على الله ورسوله عامداً متعمداً في سلب أو إيجاب - فهو كافر بالإتفاق ، وعليه فالمراد من الظلم هنا الكفر .

٢٢- ﴿ ويوم نحشرهم جميعاً ﴾ ولا مهرب لأحد من ذلك اليوم الشاهد المشهود ﴿ ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ﴾ تعبدون من دون الله حجباً كان أو انساناً أو متاعاً من ملذات الدنيا .

٢٣- ﴿ ثم لم تكن فتنتهم ﴾ أي معذرتهم الكاذبة الكافرة ﴿ إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ﴾ أي ما كنا نعتقد بأننا على الشرك والضلال . أو أن في القيامة مواقف في بعضها يستطيعون الكذب ، وفي بعضها « ولا يكتمون الله حديثاً » - ٤٢ النساء .

٢٤- ﴿ انظر كيف كذبوا على أنفسهم ﴾ حيث أنكروا الشرك وهو في أعماقهم ﴿ وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ غاب عن المشركين الإله الذي كانوا يعبدونه من دون الله .

٢٥- ﴿ ومنهم من يستمع إليك ﴾ يا محمد وأنت تتلو القرآن ، ولكنهم لا يتبعون به ولا يغيره من الدلائل والبيانات ﴿ وجعلنا على قلوبهم أكنة ﴾ جمع واحداً كنان وهو الغطاء ﴿ أن يفقهوه ﴾ أن يفهموا القرآن ﴿ وفي آذانهم وقراً ﴾ ثقل السمع ، وصحبت النسبة إلى الله تعالى ، لأنه خالق كل شيء حتى السم القاتل ، وأيضاً النسبة إلى الفاعل القادر المختار لتوسط الإرادة والاختيار .

﴿ وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها ﴾ وكل ذاتي لا يؤمن إلا بذاته ، ولا يقتنع إلا بمنفعته ، ويستحيل في حقه أن يحتل ويرتقب الخطأ من نفسه إلا نظرياً لا عملياً ، أقول هذا عن حس لا عن حدس وبشهادة العيان والوجدان ﴿ حتى إذا جاءوك ينادونك ﴾ في القرآن وهم مصرون سلفاً على الكفر به على كل حال حتى وإن قام عليه ألف دليل ودليل ﴿ يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين ﴾ ضلالات وخرافات .

أَنْتُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بِرَبِّكُمْ مُّشْرِكُونَ ﴿٢٠﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِعَاقِبَتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَيَوْمَ نُحْشِرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاءُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٣﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنْهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٤﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةً لَا يُؤْمِنُوهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا

٢٦- ﴿وَهُمْ﴾ المشركون ﴿يَهْتُونَ عَنْهُ﴾ عن محمد ﴿وَيَأْتُونَ عَنْهُ﴾ لا يقربون من النبي ﴿وَإِنْ يَهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾ أرادوا الكيد للإسلام ونبيه فدارت عليهم دائرة السوء .

٢٧- ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَعُوا عَلَى النَّارِ﴾ وبأهل ما رأوا ﴿فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نَكَلْبُ﴾ بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ﴿وَهَلْ يُرْجَى مِنْ رَجْعَةِ الْعَمْرِ مَا مَضَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ؟ كَيْفَ بِالْآخِرَةِ ؟﴾

٢٨- ﴿بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلِ﴾ لا ينجو في الآخرة إلا من كان صريحاً واضحاً في الدنيا ، وأوضح من هذه الآية على ذلك قوله تعالى : ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ - ١١٩ المائدة ﴾ . ﴿ وَلَوْ رَدُّوا لَعَادُوا لَمَا نَهَوْا عَنْهُ ﴾ وكم قرأنا وسمعنا عن مجرمين تابوا في غياب السجون ، حتى إذا خرجوا عادوا إلى الحرام والأتام .

٢٩- ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ من أحق الحق أن نسرع إلى الحكم قبل أن نعرف الصواب من الخطأ ، ونستدل بترك هذه الدار على عدم الانتقال منها إلى دار ثانية .

٣٠- ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَعُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾ في الدار الثانية ﴿قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾ الذي حذرتم من ضره وحره ؟ ﴿قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا﴾ بعد أن رأوا العذاب ، تقطعت بهم الأسباب .

٣١- ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ وفار المؤمنون به العاملون له ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا﴾ أي في الحياة الدنيا ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ﴾ آثامهم ﴿عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ أي ملازمة لهم ، والتعبير بالظهور لأن الانتقال تحمل على الظهر عادة .

٣٢- ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ إلالرجلين : رجل أذنب فتاب ، ورجل يسارع في الخيرات

الإعراب :

المصدر المنسبك من ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ مفعول لأجله لجمعنا ، أي كراهية أن يفقهوه . وإذا شرط متضمن معنى الظرف ، وهو متعلق بيقول . وجملة ﴿يَجَادِلُونَهُ﴾ حال من الواو في جادله . وإن هذا ﴿أَنْ﴾ نافية بمعنى ما ، ومثلها أن يهلكون . ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ جواب ﴿لَوْ﴾ محذوف ، وتقديره لشاهدت أمراً عظيماً . ﴿وَلَا نَكْذِبُ﴾ منصوب بأن مضمره بعد الواو ، ومثله ونكون ، والمصدر المنسبك معطوف على مصدر متصدي من نرد ، والتقدير يا ليت لنا الرد وعدم التكذيب وكوننا من المؤمنين . أن هي إلا حياتنا الدنيا أن ناذية ، وهي مبتدأ ، ﴿وَحَيَاتُنَا﴾ خبر ، والدنيا صفة للحياة ، لأنها بمعنى الأول أو الدنية أو القربية . وبغثة مصدر في موضع الحال من الساعة ، أي باغثة وساء فعل مستتر ، ﴿وَمَا﴾ تمييز بمعنى شيء ، والمخصوص بالذم محذوف ، والتقدير ساء الشيء شيئاً وزهرهم .

﴿ وللدار الآخرة خير للذين يتقون ﴾ نية الآمل المتخوف

٣٣- ﴿ قد نعلم أنه ليجزئك ﴾ يا محمد ﴿ الذي يقولون ﴾ عنك ، ومن ذلك : « وقالوا معلم مجنون - ١٤ - الدخان » . ولماذا مجنون ؟ لأنه جاء بجديد . هكذا كل جاهل بجهله ﴿ فإنهم لا يكذبونك ﴾ يا محمد ﴿ ولكن الظالمين بآيات الله يجعلون ﴾ ما كذبوك إلا لأنهم أعداء الحق ! وسلام الله على من قال : ما ترك الحق لي صاحباً .

٣٤- ﴿ ولقد كذبت رسل من قبلك ﴾ وما أنت بأول رسول لا في من قومه الأذى والتكذيب ﴿ ففسروا على ما كذبوا وأوذوا ﴾ فهون عليك ولا تبال تماماً كما فعل الرسل من قبل ﴿ حتى أتاهم نصرنا ﴾ على المكذبين ، ويأتيك هذا النصر وزيادة ﴿ ولا مبدل لكلمات الله ﴾ إشارة إلى قوله تعالى : « ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون - ١٧٢ الصافات » ..

٣٥- ﴿ وإن كان كبير عليك إعراضهم ﴾ يريد محمد (ص) الحياة للناس ، كل الناس ، فيدعهم إليها ويجتهد ، فينفرون ويبتعدون ، ولا وسيلة لديه إلا التوجع والحسرات ، فخطابه المولى بقوله : ﴿ فإن استطعت أن تبغي نفقا ﴾ منفذا ﴿ في الأرض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية ﴾ يؤمنون بسببها فافعل وإلا فسلم الأمر إلى الله ، وكان هذا الخطاب الحكيم منه تعالى لقلب نبيه الكريم روح وريحان وسكينة واطمئنان ، وإن يك في أسلوبه أشبه بالعتاب ﴿ ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ﴾ ولا شيء أهون عليه من ذلك ، ولكنه عنف وإرغام ، ولا طاعة ونواب

لكره مرغ ﴿ فلا تكونن من الجاهلين ﴾ أي لا ينبغي أن يكون تحسرك على تكذيبهم أشبه بتحسر الذين يجهلون أن الله لو شاء لجمعهم على الهدى .

٣٦- ﴿ إنما يستجيب الذين يسمعون ﴾ وهؤلاء صم لا يسمعون ﴿ والمولى يعلمهم الله ﴾ دعمهم يا محمد ، إنهم سوف يموتون ويبعثون عندئذ يرون ويسمعون .

٣٧- ﴿ وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه ﴾ أي معجزة معينة كانوا اقترحوا ﴿ قل إن الله قادر على أن ينزل آية ﴾ من النوع الذي اقترحوه ، ولكن لا يستجيب لطلبهم ما دام تحكما وتعتنا بالباطل .

الإعراب :

﴿ قد نعلم ﴾ مضارع بمعنى الماضي ، أي قد علمنا . وحتى بمعنى إلى ، وإن مضمرة بعدها ، والمصدر المنسبك مجرور بها ، متعلق بصيروا . وفاعل جامك محذوف ، والتقدير جامك نيا من نيا المرسلين . وجواب ﴿ إن كان كبير ﴾ فان واستطعت . وجواب ﴿ إن استطعت ﴾ محذوف أي فافعل . ﴿ والمولى ﴾ الواو للاستئناف والمولى مبتدأ وخبره جملة يعظمهم . ﴿ ومن ربه ﴾ متعلق بمحذوف صفة لآية .

وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٣﴾
قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ
وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَتْ
رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى
أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ
نَبِيِّ الْأُرْسَلِينَ ﴿٣٥﴾ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ
اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلْمًا فِي السَّمَاءِ
فَتَأْتِيَهُمْ بَيِّنَةٌ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا
تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٦﴾ * إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ
يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٧﴾
وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ
عَلَى أَنْ يَنْزِلَ آيَةٌ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾

٣٨- ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ في سعيها وكدها وهدايتها إلى حوائجها، والفرق أننا نفعل ذلك عن علم و عقل وعقيدة وإرادة ، أما هي فتفعل آلياً بالطبع والغريزة تماماً كدورة الدم في جسم الحي ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ ما من شيء يحتاج إليه الناس من أمور دينهم عقيدة وشريعة إلا وقد أنزل الله سبحانه في كتابه بيان خاص أو بأصل عام ، وتجدر الإشارة أن السنة النبوية بحكم القرآن الكريم ، لقوله تعالى : «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا - ٧ الحشر» .

٣٩- ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا صُمُّوهُمْ﴾ والظلمات هم كالصم لأنهم لا يستمعون إلى الحق ، وهم كالبكم لأنهم لا ينطقون به ، وفوق ذلك هم في الظلمات ، أي ظلمات بعضها فوق بعض ﴿مَنْ يَشَأْ اللَّهُ يُضِلَّهُ﴾ إن اختار هو الضلال لنفسه : «فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم - ٥ الصف» ﴿وَمَنْ يَشَأْ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ إن اختار هو لنفسه الهداية والاستقامة : «والذين اعتدوا زناهم هدى - ١٧ محمد»

٤٠- ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ التاء للمخاطبين ومحلها مع الميم الرفع ، والكاف حرف لا محل لها من الإعراب حيث لا يجتمع خطاiban معربان في فعل واحد ، والمعنى أخبروني عن رأيكم أو حالكم ﴿إِنْ أَنَا كُنتُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَنتُمْ السَّاعَةُ﴾ القيامة ﴿أَغْيِرَ اللَّهُ تَدْعُونَ﴾ كل مشرك وملحد إذا اشتد به البلاء ، ويش من أهل الأرض - يلجأ فطرياً وآلياً إلى رب السماء خاضعاً متضرعاً من غير شعور وتصميم ، ولا تفسير لهذا إلا أن النفس ترجع إلى خالقها بالطبع والغريزة حيث لا عقبات ولا حاجز من الشهوات .

٤١- ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ حيث لا ملجأ إلا إليه ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ﴾ وإن لم يشأ لم يكن ﴿وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ في الرخاء يذكرون الشيطان، وينسون الرحمن ، وفي الشدائد تنعكس الآية ، وهكذا عند الشدائد تستحق الحقائق .

٤٢- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ أرسلنا بالبينات فكذبوهم ﴿فَاخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ﴾ من البؤس، وهو الفقر وشدّة الحاجة ﴿وَالضَّرَاءِ﴾ من الضر وهو البلاء والداء العياء ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ ويتوبون إلى الله تعالى كما قال :

٤٣- ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾ أذبهـم سبحانه بسـوطه كي يستقيموا ﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فهي كالحجارة أو أشد .

٤٤- ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ ذكـرهم سبحانه قبل كل شيء بالقول ، ثم البأساء والضراء ولكن لا حياة لمن تنادي ﴿فَتَحْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الرزق والرخاء لإلقاء الحجة والاستدراج بالنعم ﴿حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا

وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا صُمُّوهُمْ وَبَكَرُوا فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأْ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأْ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنَا كُنتُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَنتُمْ السَّاعَةُ أَغْيِرَ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا

أَوْتُوا ﴿٤٥﴾ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ، وَازْدَادُوا بَطْراً وَأَشْرًا ﴿٤٦﴾ أَخْلَفْنَاهُمْ
بَعْتَهُ ﴿٤٧﴾ أَنْزَلَ بِهِمُ الْعَذَابَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا هُمْ
مَبْلُوسُونَ ﴿٤٩﴾ مُتَجَوِّرُونَ آيِسُونَ مِنَ النِّجَاةِ وَالرَّحْمَةِ .

٤٥ - ﴿٤٥﴾ قَطَعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴿٤٦﴾ أَيَّ آخِرِهِمْ ،
وَلَمْ يَتْرَكْ مِنْهُمْ أَحَدًا .

٤٦ - ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ ... ﴿٤٧﴾
يَذْكُرُ سُبْحَانَهُ الْعَصَا وَالطَّغَاةَ بِقُدْرَتِهِ وَيَحْذَرُهُمْ مِنْهَا عَسَى أَنْ
يَتُوبُوا وَيَتُوبُوا ، وَفِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ : فَوَاللَّهِ لَقَدْ سَتَرَ حَتَّى كَانَهُ
قَدْ غَفَرَ ﴿٤٨﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ نَصَرَفَ الْآيَاتِ ﴿٤٩﴾ نَكَرَ الْعِظَاتِ
فِي شَيْءِ الْأَسَالِيبِ ، وَلَا مَزْدَجَ وَمَغِيرَ .

٤٧ - ﴿٤٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ أَنْخَبِرُونِي ﴿٤٨﴾ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ
اللَّهِ بَعْتَهُ ﴿٤٩﴾ بَلَا إِنْذَارَ وَإِشْعَارَ ﴿٥٠﴾ أَوْ جَهْرَةً ﴿٥١﴾ مَعَ الْإِنْذَارِ
وَالْإِشْعَارِ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَهْلِكُ ﴿٥٣﴾ دُنْيَا وَآخِرَةً ﴿٥٤﴾ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٥﴾
أَمَّا الْأَبْرَارُ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا .

٤٨ - ﴿٤٨﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ ﴿٤٩﴾ بِالْغَوَابِ
﴿٥٠﴾ وَمُنْذِرِينَ ﴿٥١﴾ بِالْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ فَمَنْ آمَنَ ﴿٥٣﴾ بِاللَّهِ مُخْلِصًا
﴿٥٤﴾ وَأَصْلَحَ ﴿٥٥﴾ مِنْ عَمَلِهِ ﴿٥٦﴾ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٥٧﴾
وَهَلْ يَخْشَى الْبَرِيءُ مِنْ سُلْطَانِ الْحَقِّ وَسَيْفِ الْعَدْلِ ؟

٤٩ - ﴿٤٩﴾ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا يَعْصِمُ الْعَذَابَ ﴿٥٠﴾ وَلِذَا
يَخَافُونَ الْعَدْلَ فِي دَارِ الْأَمَانِ .

٥٠ - ﴿٥٠﴾ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ ﴿٥١﴾ أَبَدًا
لَا أَحَدٌ يَمْلِكُ مَعَ اللَّهِ شَيْئًا حَتَّى الْأَنْبِيَاءِ ﴿٥٢﴾ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴿٥٣﴾
إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ ﴿٥٤﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنِّي أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴿٥٥﴾

بِمَا أَوْتُوا أَخْلَفْنَاهُمْ بَعْتَهُ فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٥﴾ فَقَطَعَ
دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾
قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى
قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظِرْ كَيْفَ نَصَرَفُ
الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْذِفُونَ ﴿٤٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ
عَذَابُ اللَّهِ بَعْتَهُ أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٤٨﴾
وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ
وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَالَّذِينَ
كَذَبُوا بِآيَاتِنَا يَمْسُكُهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٠﴾
قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ
وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنِّي أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ
هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥١﴾

إِلَى ﴿٥١﴾

وهكذا يحدد محمد (ص) نفسه في أنه يقف مع كل الناس أمام سلطان الله وقدرته على قلم المساواة ، فأين مكان
الحقيقة المحمدية في كتاب الله ، وأنها الروح الذي سرى في جميع الكائنات والنور الذي خلق الله منه جميع الموجودات ؟
وأعظم ما في محمد وآل محمد الأطهار أنهم بلغوا من كمال البشرية وجلالها الغاية والنهاية بحيث لا موجود فوقهم إلا
خالق الوجود وخالفهم وكفاهم بذلك عظمة وكرامة ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴿٥٢﴾ أَبَدًا لَا أَحَدٌ يَقَاسُ بِمُحَمَّدٍ
وَأَلِ مُحَمَّدٍ . فهم المطهرون من الرجس والدنس تطهيراً بإرادة الله ، ومودتهم حق وفرض على الناس في كتاب الله .

الإعراب :

﴿من﴾ مبتدأ ، ﴿والله﴾ خبر ، وغير الله صفة لإله ، وجملة ﴿يأتيتكم﴾ صفة ثانية . والضمير في ﴿به﴾ يعود إلى معنى الملاحظ ، وهو
السمع والبصر . ﴿كيف﴾ حال من ضمير نصرف . ﴿وبعته﴾ حال من ضمير أتاكم . ﴿ومبشرين ومنذرين﴾ حال من المرسلين . وبما كانوا
﴿ما﴾ مصدرية والمصدر المنسبك مجرور بالباء متعلق بيمسهم .

٥١- ﴿ وَانذِرْ بِهِ ﴾ بالقرآن ﴿ الَّذِينَ يَخَافُونَ

أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ ﴾ وهم المهتدون بالفعل ومن ترجو هدايتهم بالإنذار والتكرار ﴿ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِي وَلَا شَفِيعٌ ﴾ بعض الذين يستمعون إليك يا محمد يؤثر فيهم كلامك ، ويشعرون بالخوف من الله في أعماقهم ، فامض معهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، فانهم يهتدون ويتقون .

٥٢- ﴿ وَلَا تَطْرُدْ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ صباحاً ومساءً ﴿ يَرِيدُونَ وَجْهَ ﴾ تعالى ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ في الآية ٤ من القلم و١٢٨ من التوبة، يشهد سبحانه لنبيه الكريم بأنه على خلق عظيم وبالمؤمنين رؤوف رحيم ، وهنا يقول له : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم ... فتكون من الظالمين » إذن هناك سر . . أجل ، وخلاصة هذا السر أن مجلس الرسول (ص) لا يكاد يخلو من قراء المؤمنين فقال له بعض من نفخ الشيطان بأنفه من أهل الشرك : اطرد هؤلاء المساكين حتى تأتيك ، ونسمع منك . فنزلت الآية لنفهم الذين طلبوا الطرد أنهم أولى به ، وأن المساكين أفضل شأنًا عند الله وأعظم قدراً .

٥٣- ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ﴾ ابتلينا المترفين الذين يستهلكون ولا يعملون ، بالكادحين البائسين ﴿ لِيَقُولُوا ﴾ المترفون ، واللام للعاقبة مثل لدوا للموت ﴿ أَهْوَاءِ ﴾ الكادحون ﴿ مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا ﴾ تماماً كما قال فرعون عن موسى : « أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ... فلو لا آتني عليه أسورة من ذهب - ٥٣ الزخرف » .

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾ لا طبقات عند الله في المال والجاه والنسب ، بل درجات في الجهاد والعمل النافع حتى الإيمان والإخلاص عمل كله ، ولا إيمان ولا إخلاص بلا عمل .

٥٤- ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا ﴾ ليس المراد بالمؤمن من اسودت جبينه من أثر السجود وكفى ، بل من ابضت نفسه وطابت ، وصفت دخيله وخلصت من الحقد والحسد ﴿ قَتَلَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ تحية أهل الجنة ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ تفضلاً منه وكرماً ﴿ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مِنْ عَمَلٍ مِنْكُمْ سُوءٌ بِجَهَالَةٍ ﴾ سفاهة لأن من أقدم على عمل السوء عن علم وعهد فهو أسوأ حالاً من الجاهل ﴿ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ صادقاً ﴿ وَأَصْلَحَ ﴾ في عمله مخلصاً ﴿ فَإِنَّهُ غُفِرَ رَحِيمٍ ﴾ ومن رحمته أنه يحب التوابين .

٥٥- ﴿ وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ ﴾ في صفات الصالحين والطالحين ﴿ وَلِتَسْتَتِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ ونفهم من هذا أن فضيحة المجرمين والخاتين مندوبة وفضيلة .

٥٦- ﴿ قُلْ إِنْ نُهَيْتُمْ ﴾ عقلاً وروحياً ﴿ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ وأي عاقل يعبد ما لا يضر ولا

وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدْ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غُفِرَ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَتِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنْ نُهَيْتُمْ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

يَتَّبِعُ ﴿ قُلْ لَا اتَّبِعْ أَهْوَاءَكُمْ ﴾ لأنها تقود إلى الهاوية ﴿ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا ﴾ كما ضللتكم .

٥٧- ﴿ قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي ﴾ آمنت بالله عن علم وبرهان ﴿ وكذبتم به ﴾ عن جهل وتقليد ، ولا يتبع جهلكم وأهواءكم إلا من فقد رشده وعقله .

﴿ ما عندي ما تستعجلون به ﴾ حين دعاهم النبي إلى الإيمان قالوا له : أمطر علينا حجارة من السماء . قال لهم : هذا بيده تعالى ﴿ إن الحكم إلا لله يقص الحق ﴾ يقول الحق ويفعله .

٥٨- ﴿ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ بإهلاك من ظلم منكم غضباً لله تعالى .

٥٩- ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ ﴾ أي لا شيء يغيب عن علمه تعالى ﴿ لا يعلمها إلا هو ﴾ حيث لا شريك له في شيء ﴿ ويعلم ما في البر والبحر ... ﴾ كماله تعالى مطلق من كل وجه ، ومعنى هذا أن علمه عين ذاته وغير مستفاد ، وأيضاً معناه أنه يحيط بكل شيء علماً ولو غاب شيء عن علمه كسقوط ورقة عن شجرة أو حبة في ظلمات الأرض - لأحل ذلك بكماله ، تعالى عن ذلك .

٦٠- ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ ﴾ النوم ضرب من الوفاة حيث تتعطل الحواس عن أعمالها ويعلم ما جرحتم بالنهار ﴿ ما كسبت جوارحكم ﴾ لم يبعثكم فيه ﴿ أي في النهار ، يوقظكم من نومكم ﴾ ليقضى أجل مسمى ﴿ تستوفوا آجالكم ﴾ لم إليه مرجعكم ﴿ بعد الموت ﴾ لم

قُلْ لَا اتَّبِعْ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٨﴾ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ * وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الَّذِي يُتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦١﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ

ينبئكم بما كنتم تعملون ﴿ من خير أو شر .

٦١-٦٢- ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ بالموت والفناء والكرب والبلاء . ﴿ ويرسل عليكم حفلة ﴾ كرب ومصائب ، وكدح ومتاعب ، وحساب وعقاب ، هذا هو الإنسان ، وهذه حياته ومع ذلك يرى نفسه شيئاً مذكوراً .

الإعراب :

﴿ إِذَا ﴾ معناها الجزاء ، أي ان اتبعت أهواءكم فقد ضللت . وضمير به يعود إلى ربّي . ﴿ وكذبتم به ﴾ يجوز أن تكون الواو للاستئناف ، ويجوز للحال على اضممار قد قبل كذبتم ، لأن المقرون بالواو لا يكون حالاً إلا مع قد ظاهرة أو مضمرة .

جمله ﴿ لا يعلمها إلا هو ﴾ حال من مفاتيح . ﴿ ومن ورقة ﴾ ﴿ من ﴾ زائدة وورقة فاعل تسقط . ﴿ إلا في كتاب مبين ﴾ لا يجوز أن يكون استثناء من وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، إذ يصير المعنى أنه تعالى يعلم كل شيء إلا الموجود في كتاب مبين فإنه لا يعلمه ، تماماً كما نقول : لا شيء إلا أنا عالم به إلا ما في الصندوق ، وعليه يتعين أن يتعلق في كتاب مبين بخبر محذوف لابتداء محذوف ، تقديره إلا هو موجود في كتاب مبين . بالنهار الباء بمعنى في .

٦٣ - ﴿ قُلْ مَنْ يَنْجِيكُمْ مِنْ ظِلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾
 كناية عن الشدائد التي لا ينجو منها صغير ولا كبير ﴿ تَدْعُوهُ ﴾
 تضرعاً وخفية ﴿ متضرعين بألسنتكم ومسرين في أنفسهم ﴾
 ﴿ لئن أنجانا ﴾ الله ﴿ من هذه ﴾ المصيبة ﴿ لنكونن ﴾
 من الشاكرين ﴿ هذي لغة التجار ، يشكرون الله لا إخلاصاً ﴾
 له ، بل بشرط أن يعطيهم النجاة والخلاص من الآلام ،
 وهكذا يتعاملون مع الشيطان يعطونه الدين والعقل والضمير
 بشرط أن يعطيهم شيئاً من متاع الدنيا وزخرفها ، ولكن الله
 سبحانه يعامل كلا بما هو أهل « فن كانت هجرته إلى الله
 ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى
 امرأة ينكحها أو دنياً يصيبها فهجرته إلى ما هاجر إليه » .

٦٤ - ﴿ قُلْ اللَّهُ يَنْجِيكُمْ مِنْهَا وَمَنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ ﴾
 تشركون ﴿ إن الله سبحانه ينجيكم ويشفيككم بما يعجز عنه
 أهل الأرض بالكامل ، ولكن تعودون بعد الشفاء والنجاة إلى
 الرذائل والسيئات .

٦٥ - ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ ﴾
 فَوْقِكُمْ ﴿ كالصواعق والظوفان ﴾ أو من تحت أرجلكم ﴿
 كالخسوف والزلازل ﴾ أو يلبسكم شيعاً ﴿ يخلطكم أو
 يجعلكم أحزاباً متطاحنة ﴾ ويذيق بعضكم بأس بعض ﴿
 يقتل بعضهم بعضاً ﴾ أنظر كيف نصرف الآيات لعلمهم
 بفقهون ﴿ نقيم للناس الحجج على الحق ، عسى أن يعملوا به .

٦٦ - ﴿ وَكُتِبَ بِهِ ﴾ بالقرآن ﴿ قَوْمُكَ ﴾ قريش
 ﴿ وهو الحق ﴾ ولذا جحدوه وعاندوه ﴿ قُلْ لست عليكم
 بوكيل ﴾ بل بشير ونذير .

٦٧ - ﴿ لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ ﴾ لكل خبر يوم يعرف فيه صدق الخبر من كذبه .

٦٨ - ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ ... ﴾ تقدم

الإعراب :

ومولاهم صفة لله . والحق صفة ثانية . جملة «تدعونه» حال من مفعول ينجيكم . «وتضرعاً» مصدر في موضع الحال ، أي
 متضرعين . «ومن فوقكم» متعلق بمحذوف صفة لعذاب . «وشيعاً» حال من مفعول يلبسكم . «وكيف» مفعول نصرف . وبوكيل
 الباء زائدة ، و«وكيل» خبر ليس ، وعليكم متعلق بوكيل . «ولكل» خبر مقدم ، «ومستقر» مبتدأ مؤخر .

في الآية ١٣٩ من النساء ﴿وإما ينسبك الشيطان﴾ النبي عن مجالستهم ﴿فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾ فان الوحدة خير من جليس سوء .

٦٩- ﴿وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء﴾ لا يجب على المؤمنين أن يحاسبوا المستهزين بآيات الله ، إن حسابهم على من إليه إياهم ﴿ولكن ذكرى لهم يتقون﴾ ولكن على المؤمنين التذكير والتحذير بالحسن عن هذا المنكر .
٧٠- ﴿وفر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهوا﴾ الذين قدس الأقداس لأنه لله ومن الله ، والاستخفاف به هرطقة وإلحاد ﴿وغرهم الحياة الدنيا﴾ فباعوا دينهم بدنياهم ﴿وذكر به﴾ بالقرآن ﴿أن تبسل﴾ ترثين ﴿نفس بها كسبت ليس لها من دون الله ولي﴾ ناصر ﴿ولا شفيع﴾ وإن تعدل كل العدل لا يؤخذ منها ﴿المراد بالعدل هنا الفداء ، و «كل» مفعول مطلق لأنها مضافة إلى المصدر﴾ أولئك ﴿إشار إلى من اتخذ دينه لعباً ولهوا﴾ الذين أبسلوا ﴿ارتبوا﴾ بما كسبوا لهم شراب من حميم ﴿يغلي في البطون﴾ .

٧١- ﴿قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا﴾ لا دنيا ولا آخرة ﴿ونرد على أعقابنا بعد إذ هदानا الله﴾ وتصلح هذه الآية تحديداً للرجعي ، وأنه من يرتد عن الهدى إلى الضلال ، وعن الحق إلى الباطل ، وعن الرشيد إلى الغي ﴿كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى اثنائاً﴾ هذا تمثيل لمن ران الحمق على قلبه وعقله وضل الطريق الهادي ، فأشفق عليه أحبابه وأصحابه ،

حَتَّى يَحْضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ . وَإِمَّا يَنْسِبُكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدَ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٧٠﴾ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَن تَبْسُلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا هُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ وَلَا يَضُرُّكُمْ وَرُدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى

فأرشده إلى سبيل النجاة ، فأعرض وأبى .

الإعراب :

الضمير في غيره يعود إل معنى الآيات ، وهو القرآن . ﴿ومن﴾ شيء . ﴿ومن﴾ زائدة ، وشي . مبتدأ وخبره على الذين ، ﴿ومن﴾ حسابهم متعلق بمحذوف حالاً من شيء ، والتقدير شيء كانوا من حسابهم ، وضمير حسابهم يعود إلى الخافضين الذين ذل عليهم بحضوا ، و﴿ذكرى﴾ مفعول مطلق ، أي ذكروا تذكيراً . ودينهم مفعول أول لاتخذوا ، و﴿لعباً﴾ مفعول ثانٍ . و﴿الدنيا﴾ صفة الحياة . وتبسل ان وتبسل بمصدر مفعولاً من أجله لذكر به . ﴿وولي﴾ اسم ليس ، ولها خبرها ، ومن دون الله في موضع الحال من ولي . وكل عدل مفعول مطلق ، لأن كلاً تعطي ما تضاف إليه . و﴿أولئك الذين أبسلوا﴾ مبتدأ وخبر ، وجملة هُمْ شراب حال من الواو في أبسلوا . ﴿كالذي﴾ الكاف بمعنى مثل في محل نصب صفة لمفعول مطلق محذوف ، أي تُرد رداً مثل رد الذي استهوته . و﴿حيران﴾ حال من ضمير استهوته . وله أصحاب مبتدأ وخبر ، صفة حيران .

﴿ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ فَمَا لِي بِهِ مِنْ عِلْمٍ ۚ إِنَّي أَخْشَى أَنْ يَحْدِثَ بِهِ شَيْئاً ۚ وَلَئِنْ كُنْتُ تُحَدِّثُكَ بِالْبُرْهَانِ فَقَدْ مَضَى كَلِمَتِي أَعْلَيْكَ ۚ إِنَّكَ بِعَيْنِكَ لَنَسَوْتُمْ أَنْ تُكَلِّمَ الْبَشَرَ إِنْ كُنْتُمْ عَاذِلِينَ ۚ ﴾

٧٢- ﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۚ ﴾ حيث لا إسلام إلا بها فإنها رمز التوحيد والتسليم لأمر الله ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ ﴾ أي اتقوا معصية الله .

٧٣- ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ ﴾ أي بما فيها من نظام ونواميس لا يستقيم الكون إلا بها ﴿ وَيَوْمَ ۚ ﴾ أي حين ﴿ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ ﴾ وفاعل هذين الفعلين ضمير مستتر ، والتقدير يقول للشيء كُن فيكون ﴿ قَوْلَهُ الْحَقُّ ۚ ﴾ مبتدأ وخبر ﴿ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ۚ ﴾ كتابة عن بعث من في القبور ﴿ عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۚ ﴾ والمراد بالغيب هنا ما غاب عن المخلوق ، لأن الخالق لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء كما في الآية ٦١ من يونس وغيرها .

٧٤- ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَزْرَ ۚ ﴾ قال الشيعة الإمامية : هذا اسم عمه أو جده لأمه ، وأطلق على الأب مجازاً ، ويعزز هذا القول ما جاء في التوراة سفر يشوع الأصحاح ٢٣ فقرة ٢ أن اسم أبي إبراهيم تارح ﴿ أَلْتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً ۚ ﴾ وفي مذهب الشيعة : لا مشرك إطلاقاً في آباء محمد (ص) وأجداده ، وكل أمهاته وجداته مطهرات من الفحشاء ﴿ إِنِّي أُرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۚ ﴾ عبادة الأصنام .

٧٥- ﴿ وَكَذَلِكَ نَرَىٰ إِبْرَاهِيمَ يَكْفُرُ بِمُلُوكِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ۚ ﴾ أي أن إبراهيم (ع) يوحى من عقله

الكبير وفطرته الثقية بأن قومه على ضلال في الكثير من عاداتهم وبخاصة عبادتهم الأصنام ، فثار ثورة عاقلة واعية عليهم وعلى ما يعبدون ، بل يسوغ أن نسمي ثورته هذه بالكونية لأنه انطلق من عجائب الكون وآياته إلى توحيد الخالق وعظمته .

٧٦- ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ ۚ ﴾ أي ستره ﴿ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۚ ﴾ رأى كوكباً قال هذا ربي ﴿ كَانَ قَوْمُ يَعْبُدُونَ الْكَوْكَبَ فِيمَا يَعْبُدُونَ ، فَقَالَ مَحَاكَاةً لِرُعْمِهِمْ : هَذَا رَبِّي ، فَاطْمَأَنَّا إِلَيْهِ .

﴿ فَلَمَّا أَفَلَ ۚ ﴾ غاب الكوكب تحت الأفق ، أيقظ عقولهم ، ولفت نظرهم إلى أن الآفة لا تنقلب من حال إلى حال و ﴿ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ ۚ ﴾ وعبادتهم . لأن الخالق لا يحول ولا يزول ولا يجوز عليه الاقول .

٧٧- ﴿ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا ۚ ﴾ مستدرجاً قومه : ﴿ هَذَا رَبِّي ۚ ﴾ لأنه أسطع نوراً من الأول وأكبر حجماً ﴿ فَلَمَّا أَفَلَ ۚ ﴾ القمر وغاب ، إذن ما زالت المشكلة قائمة ﴿ قَالَ لئن لم يهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ۚ ﴾ ما زال إبراهيم (ع) يستدرج قومه ، ويسير معهم ، لأنه على العلم اليقين بأنه الهادي المهدي .

٧٨- ﴿ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً ۚ ﴾ فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت ﴿ وَلَا رَجْعَةَ بَعْدَ هَذِهِ الطَّلُقِ الثَّالِثَةِ وَلَدَا

وَأَمْرًا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ ٧١ ﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَاتَّقُوا ۚ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿ ٧٢ ﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ
قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَلِيمُ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿ ٧٣ ﴾ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ
لَأَبِيهِ أَزْرَأُ أَخَذْتُ أَصْنَامًا إِلَهَةً ۚ إِنِّي أُرَاكَ وَقَوْمَكَ
فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿ ٧٤ ﴾ وَكَذَلِكَ نَرَىٰ إِبْرَاهِيمَ يَكْفُرُ بِمُلُوكِ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿ ٧٥ ﴾ فَلَمَّا
جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۚ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ
قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿ ٧٦ ﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا ۚ قَالَ
هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لئن لم يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ
الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿ ٧٧ ﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً ۚ قَالَ هَذَا

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ بَرِيءٌ مِنْ هَذِهِ
الكواكب التي جعلتموها شريكة لخالقها .

٧٩- ﴿ إِنِّي وَجْهٌ وَجْهِي لِلدَّيِّ فُطِرَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ حَنِيفًا ﴾ مائلاً عَنْ عِبَادَةِ الْكَوَاكِبِ إِلَى عِبَادَةِ
الوَاحِدِ الْأَحَدِ .

٨٠- ﴿ وَحَاجَّةٌ قَوْمِهِ ﴾ وَلَا حِجَّةَ لَهُمْ إِلَّا هَذَا
التقليد الأعمى : حسبنا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴿ قَالَ أَتَعْجَبُونَنِي
فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي ﴾ إِلَى التَّوْحِيدِ بِالْفِطْرَةِ وَالْعَقْلِ ﴿ وَلَا
أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ ﴾ مِنَ الْكَوَاكِبِ وَغَيْرِهَا ، لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّ
وَلَا تَنْفَعُ ﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ﴾ حَتَّى لَوْ أَنَّ صِنْفًا
مِمَّا تَعْبُدُونَ قَطَعَنِي إِرْبًا إِرْبًا ، أَبْقَى رَاسِخَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ .
وَأَقُولُ هُوَ سَبْحَانَهُ سَخِرَهُ وَسَلَطَهُ عَلَيَّ ﴿ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ
عِلْمًا ﴾ فَلَا يَصْنَعُنِي أَيُّ شَيْءٍ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَإِرَادَتِهِ .

٨١- ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ ﴾ أَتُرِيدُونَنِي أَنْ
أَخَافُ مِنْ أَصْنَامٍ لَا حَوْلَ لَهَا وَلَا قُوَّةَ ﴿ وَلَا تَخَافُونَ ﴾ أَنْتُمْ
﴿ أَنْكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ﴾ وَلَا
تَخَافُونَ افْتِرَاءَكُمْ بَأَنَّهُ لَكُمْ شُرَكَاءُ مِنْ خَلْقِهِ ﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ
أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ﴾ : الْفَرِيقُ الْمَوْحِدُ أَوْ الْفَرِيقُ الْمُشْرِكُ ؟

٨٢- ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ لَمْ
يَخْلُطُوا إِيمَانَهُمُ الْخَالِصَ بِأَيَّةٍ شَائِبَةٍ مِنَ الشُّرْكِ ﴿ أُولَئِكَ لَهُمُ
الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ هَذَا بَيَانٌ لِلْفَرِيقِ النَّاجِي مِنَ عَذَابِ
اللَّهِ الْآمِنِ مِنْ غَضَبِهِ وَأَنَّهُمْ أَهْلُ التَّوْحِيدِ .

٨٣- ﴿ وَتِلْكَ حِجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ﴾ أَيُّ الْحِجَجِ الَّتِي نَطُقُ بِهَا إِبْرَاهِيمَ ، وَأَفْحَمُ بِهَا قَوْمَهُ نَحْنُ
أَمْنَهُنَّ إِيَّاهَا ، وَكُلُّ حِجَّةٍ أَوْ كَلِمَةٍ يَحِقُّ بِهَا الْحَقُّ ، وَيَبْطُلُ بِهَا الْبَاطِلُ فَهِيَ حِجَّةُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ ﴿ تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ ﴾
فِي الْإِسْلَامِ دَرَجَاتٍ مُتَفَاوِتَاتٍ فِي الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ وَالْإِخْلَاصِ ، وَقَدْ بَلَغَ إِبْرَاهِيمَ أَرْفَعَهَا ، لَا فِي الْمَالِ وَالْجَاهِ وَالْأَسَابِ

٨٤- ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ ﴾ لِإِبْرَاهِيمَ (ع) ﴿ اسْحَقَ ﴾ لِلصَّبِّ مُبَاشَرَةً مِنْ زَوْجَتِهِ سَارَةَ ﴿ وَيَعْقُوبَ ﴾ ابْنَ اسْحَقَ

الإعراب :

﴿ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ ﴾ ضَمِيرُهُ يَعُودُ إِلَى اللَّهِ . وَتَسْبِكُ أَنْ يَشَاءَ رَبِّي بِمَصْدَرٍ فِي عَمَلٍ نَصَبٍ عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ الْمُنْقَطِعِ ، أَيُّ لَا أَخَافُ إِلَّا مَشِئَةَ
اللَّهِ . ﴿ وَعِلْمًا ﴾ تَمْيِيزٌ . وَكَيْفَ ؟ تَكُونُ خَبْرًا لِلْمُبْتَدَأِ إِذَا وَقَعَتْ قَبْلَ مَا لَا يَسْتَعْنِي عَنْهُ نَحْوُ كَيْفَ أَنْتَ ، وَحَالًا أَوْ مَفْعُولًا مُطْلَقًا إِذَا كَانَتْ
قَبْلَ مَا يَسْتَعْنِي عَنْهُ كَمَا فِي الْآيَةِ ، وَعَلَيْهِ يَكُونُ مَحَلُّهَا النِّصْبُ عَلَى أَنَّهَا مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ عَلَى مَعْنَى أَيُّ خَوْفٍ أَخَافُ ، أَوْ حَالٌ أَيُّ عَلَى أَيُّ
حَالٍ أَخَافُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مُبْتَدَأٌ أَوَّلُ ، وَأُولَئِكَ مُبْتَدَأٌ ثَانٍ ، وَالْأَمْنُ مُبْتَدَأٌ ثَالِثٌ ، وَلَهُمْ خَبْرُهُ ، وَهُوَ مَعَ خَبْرِهِ خَيْرُ الْخَبَرِ الثَّانِي ، وَهَذَا مَعَ خَبْرِهِ
خَيْرُ الْأَوَّلِ . وَتِلْكَ حِجَّتُنَا مُبْتَدَأٌ آتَيْنَاهَا حَالٌ . وَدَرَجَاتٍ مَجْرُورَةٌ بِأَلْفٍ مَحْذُوفَةٍ .

وابن الابن ابن ﴿ وكلاً ﴾ من اسحق ويعقوب ﴿ هدينا ﴾
 وأيضاً ﴿ ونوحاً هدينا من قبل ﴾ لأنه أقدم من ابراهيم
 ﴿ ومن ذريته ﴾ ذرية نوح أو ابراهيم ﴿ داود ﴾ ابن
 يسى ، ومعناه في العبرية محبوب ﴿ وسليمان ﴾ بن داود ،
 ومعناه في العبرية رجل سلام ﴿ وأيوب ﴾ اسم عبري ،
 ولا يعرف معناه كما في قاموس الكتاب المقدس الذي نقل عنه
 ﴿ ويوسف ﴾ ابن يعقوب ، اسم عبري ، ومعناه يزيد
 ﴿ وموسى ﴾ بن عمران ومعناه في اللغة المصرية ولد ، وفي
 العبرية منتشل ﴿ وهرون ﴾ وهو بكر أبيه وأخبر من أخيه موسى
 بثلاث سنوات كما في قاموس الكتاب المقدس .
 ﴿ وكذلك نجزي المحسنين ﴾ حتى ولو لم يكونوا
 أنبياء ومرسلين .

٨٥- ﴿ وزكريا ﴾ وفي اللغة العربية ذكر الإناء :
 امتلاً ﴿ ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين ﴾ .

٨٦- ﴿ وإسماعيل ﴾ بن ابراهيم من زوجته هاجر
 المصرية ، ومعناه في العبرية يسمع الله ﴿ واليسع ﴾ وفي
 قاموس الكتاب المقدس : « اليسع اسم عبراني معناه الله خلاص
 ﴿ ويونس ولوط ﴾ ابن أخى ابراهيم الخليل
 ﴿ وكلاً ﴾ أي كل واحد من هؤلاء المذكورين ﴿ فضلنا ﴾
 أي فضلناه في النبوة ﴿ على العالمين ﴾ في زمانه هو لكان
 نبوته لا في كل زمان وإلا لكان كل واحد من هؤلاء الأنبياء
 أفضل من كل الأنبياء السابقين عليه واللاحقين له ، وهذا عين
 التناقض والتهاوت حيث يكون كل واحد فاضلاً ومفضلاً
 في آن واحد .

٨٧- ﴿ ومن آباؤهم وذرياتهم وأخوانهم ﴾ من هنا للتبعض ، والمعنى وهدينا بعض آباء من ذكرنا من الأنبياء
 وبعض أولادهم وبعض أخوانهم ، لأن من ذرياتهم وأخوانهم كانوا كافرين ، بل لم يكن لعيسى ويحيى نسل وذرية
 ﴿ واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم ﴾ هذا المديح والثناء تمهيد لقوله تعالى :

٨٨- ﴿ ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ﴾ ليست هداية الله وفقاً على فرد دون فرد ولا على فئة دون فئة
 ولا هو أكثر رعاية وعناية بعدد دون عبد من عباده ، بل هو ، جلت حكمته ، لكل من استمع وأطاع ، وتأثر الرعاية منه
 تعالى والمعونة على قدر التقوى والإخلاص .
 ﴿ ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ﴾ وأيضاً هو سبحانه في غضبه وعذابه لمن عصى تماماً كما هو في مرضاته
 ونوابه لمن أطاع ، من استقام فإلى الجنة ، ومن زل فإلى النار أبداً كان ويكون .

٨٩- ﴿ أولئك الذين آتيناهم الكتاب ﴾ كصحف ابراهيم وتوراة موسى وانجيل عيسى وزبور داود ﴿ والحكم
 والنبوة ﴾ والمراد بالحكم هنا معرفة القضاء وفصل الخطاب ، والنبوة أعم وأشمل ﴿ فإن يكفر بها هؤلاء ﴾ المشركون
 وغيرهم ممن جحد نبوة محمد (ص) ﴿ فقد وكلنا بها ﴾ بنبوة محمد ورسالته ﴿ قوماً ليسوا بها بكافرين ﴾ وهم
 المؤمنون بالله ورسوله المخلصون في أقوالهم وأفعالهم .
 ٩٠- ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ ولا

كلاً هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود
 وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك
 نجزي المحسنين ﴿ وركبنا ونجي عيسى وإلياس
 كل من الصالحين ﴾ ﴿ وإسماعيل وإليسع ويونس
 ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين ﴾ ﴿ ومن آباؤهم
 وذريتهم وإخوانهم ﴾ واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط
 مستقيم ﴿ ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من
 عباده ﴾ ﴿ ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ﴾
 ﴿ أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكر والنبوة ﴾
 ﴿ فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها
 بكافرين ﴾ ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم
 اقتده قل لا أسألكم عليه أجراً إن هو إلا ذكري

محل لهذه الهاء من الإعراب ، وتسمى هاء السكت والوقف ، والمعنى سر على طريقة الأنبياء في الإيمان بالله وتوحيده والإخلاص له ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ كل من يطلب من الناس أجراً على عمل فهو يعبد الله على حرف ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ وليست الذكرى للتجارة والمساومة ، بل لمجرد الإرشاد والهداية .

٩١- ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ كل من جعل مع الله إلهاً آخر أو أنكر كتاباً من كتبه أو رسولاً من رسله - فهو جاهل بالله وعظمته ، فكيف بمن جحدته من الأساس أو آمن به وأنكر أن يكون له رسول أو كتاب ، وإلى هؤلاء أشار سبحانه بقوله : ﴿ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ﴾ جحدوا كل كتاب سماوي لا شيء إلا عناداً للقرآن تماماً كما ينقول : فلان خسيس وشحيح لأنه ما أفاض علي من ماله ﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى ﴾ قال الشيخ الطبرسي : « إن اليهود هم الذين أنكروا نزول الكتب من السماء على وجه العموم لا شيء إلا «مبالغة في إنكار نزول القرآن فألزموا بما لا بد لهم من الإقرار به من إنزال التوراة على موسى » وهذا التفسير هو الأقرب والأصح لأن اليهود يعتقدون أن النبوة هبة من الله لهم وحدهم ووقفاً عليهم من دون العالمين ... حتى خالق الخلق مختص بهم ومتجنس بيهويتهم وحميم يدافع عنهم ويعمل لمفعتهم دون الخلاق أجمع . اقرأ التوراة سفر التثنية الإصحاح الرابع والعاشر وغيره ، وأيضاً اقرأ للفيلسوف اليهودي اسبنوزا كتاب رسالة في اللاهوت

لِلْعَالَمِينَ ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ لِيَجْزِيَ اللَّهُ قِصَاصَهُمْ فَمَا أَطِيسُوا بِتُجْدِئِهَا وَهُمْ يَحْفُوتُونَ كَثِيرًا وَعَلَيْتُمْ مَا لَا تَعْلَمُونَ أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أُخْرِجُوا أَنْفُسَهُمْ الْيَوْمَ تُحْزَنُونَ عَذَابُ أَهْلُونِ

الفصل الثالث رسالة العبرانيين .

٩٢- ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ ﴾ القرآن ﴿ أَنْزَلْنَاهُ ﴾ على محمد ﴿ مُبَارَكٌ ﴾ صفة للقرآن ، أما بركات محمد والقرآن فقد عمت الشرق والغرب ، وتحدث عنها القاضي والداني ﴿ مُصَلِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ يعترف بأنبياء الله ورسله بلا استثناء حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴿ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى ﴾ وهي مكة المكرمة ، وخصها سبحانه بالذكر حيث منها انطلقت دعوة القرآن ﴿ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ وانتقلت هذه الدعوة من مكة إلى جوارها ، ومن الجوار إلى الأقرب فالأقرب ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ وضمير « به » للقرآن ، وهو بشرى ونذير للعالمين المطيع منهم والعاصي ، أما الأول فيبشره النبي بالثواب إن استمر على الطاعة ، وينذره بالعقاب إن انحرف وخالف ، وأما الثاني فينذره بالعقاب إن استمر على المعصية ، ويبشره بالثواب إن تاب وأناب .

٩٣- ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ كل من قال : هذا حرام الله ، وهذا حلال الله من عندياته فهو كذاب ومفتر على الله حتى ولو أصاب الواقع ، ومن قال مثل ذلك مستنداً إلى كتاب الله وسنة رسوله ، ومراعياً للأصول والقوانين فهو مأجور حتى ولو أخطأ الواقع ﴿ أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ﴾ ولا شيء أبسر وأهون من إطلاق اللسان حتى في ادعاء الربوبية ، ولكن أسوأه وأدواؤه تعود على صاحبه ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ﴾

كل من يمجّد الخالق واليوم الآخر أو يسيء إلى عيال الله ولو مثقال ذرة - فهو ظالم ، وما من ظالم على الإطلاق إلا ويلاقي جزاء ظلمه في الدنيا قبل الآخرة ولو ساعة الإحتضار ونزع الروح من جسده حيث تؤخذ منه بالتشكيل والعذاب الويل ، قال علي أمير المؤمنين (ع) : « الموت للمؤمن كنز ثياب وسخة ، وفك قيود واغلال إلى أفخر الثياب ، وأنس المنازل ، وهو للكافر كخلع ثياب فاخرة إلى أوسخها وأخشنها ، ومن المنازل الأنيسة إلى أوحشها وأعظم العذاب » .

٩٤ - ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا ﴾ بصيغة الماضي ، ومعناها المستقبل أي نجيبوننا ﴿ فَرَادَى ﴾ كما خلقناكم أول مرة ﴿ أَي مُفْرَدِينَ لَا مَال وَلَا رِجَال وَلَا مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ وتوكلتم ما خولناكم وراء ظهوركم ﴿ لِلرَّوَاتِ ، لَهُمُ النِّعَمُ وَالْخَيْرَاتُ وَعَلَيْكُمْ الْحِسَابُ وَالتَّبَعَاتُ ﴾ وما نوى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء ﴿ زَعَمْتُمْ أَنَّ السَّيِّدَ الْمَسِيحَ (ع) أَوْ غَيْرَهُ اشْرَكُوا مَعَ اللَّهِ فِي خَلْقِكُمْ أَوْ رِزْقِكُمْ ، فَأَيْنَ هُمْ ؟ ﴾ لقد تقطع بينكم وفضل عنكم ما كنتم تزعمون ﴿ تولدون يوم القيامة ولادة جديدة تماماً كما خرجتم من بطون الامهات مع فارق واحد ، وهو أنكم في الولادة الأولى لا تسألون عن شيء ، وفي الثانية تسألون عما كنتم تقولون وتعملون .

٩٥ - ﴿ إِنْ اللَّهُ فَالِقُ الْحَبِّ ﴾ بالنبات ﴿ وَالنَّوَى ﴾ بالشجر ، ولكن بواسطة الماء والتراب والهواء ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَالشَّجَرَ مِنَ الْمَيِّتِ ﴾ الحب والنوى ﴿ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ﴾ كما يُخرج سبحانه من الحب الجامد

نباتاً نامياً كذلك يُخرج من النبات النامي حباً جامداً ، كل ذلك يحدث بأسبابه الطبيعية ، وبكلمة إن عظمة الله سبحانه لا تتجلى بإيجاد الطبيعة كيف اتفق ، بل وبما أودع فيها من نظام ونواميس وأسباب لا يستقيم الكون والحياة إلا بها ﴿ ذَلِكَ ﴾ الحكيم المدبر هو ﴿ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ كيف تصرفون عنه إلى غيره ؟

٩٦ - ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ ﴾ كناية عن النهار الذي يسعى فيه الإنسان لرزقه وتبدير شؤونه ﴿ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا ﴾ يسكن فيه الإنسان ، ويستريح من عمل النهار ﴿ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ﴾ لحساب الأوقات ومعربتها ﴿ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ ومن تقديره تعالى وحكمته أنه جعل الأرض في مكان تتحرك فيه تلقائياً وآلياً حركتين : حركة تتم في ٢٤ ساعة ، وعليها مدار حساب الأيام ، وحركة تتم في سنة وبها توجد الفصول الأربعة ، وعليها مدار حساب السنة ٩٧ - ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لَتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ والمراد بالنجوم هنا ما عدا الشمس والقمر من النيرات ، وهي من أهم العلامات التي يهتدي بها الملاح في سفينته ، والراكب في سيارته ، والمترحل على راحلته .

٩٨ - ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ لم تلد عبداً ولا أمة ، بل الحياة الإجتماعية هي التي أولدت العبيد حيث لا آلة وأداة للعمل إلا الأيدي وكفى ، وتكلمنا عن ذلك مفصلاً في بعض مؤلفاتنا .

بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿ * إِنْ اللَّهُ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لَتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ

﴿ فَمَسْتَقَرٌّ ﴾ في الرحم ﴿ ومستودع ﴾ في الصلب وعن الإمام جعفر الصادق (ع) أنه قسم الإيمان إلى مستقر راسخ حتى الموت ، ولا يكون هذا إلا في قلب من تتفق أقواله مع أفعاله ، وإيمان مستودع مترلزل في قلب من تخالف أقواله أفعاله .

٩٩- ﴿ وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات

كل شيء ﴾ لولا الماء ألغى النبات لكانت الأرض صحراء جرداء ، ولم يكن للحياة عليها من أثر ، وأسند سبحانه إليه انزال الماء والإنبات ، لأنه مسبب الأسباب ، من قدرته تبتدىء ، وإلى إرادته تنتهي مهما امتدت الحلقات ﴿ فأخرجنا منه خضراً ﴾ ضمير منه يعود إلى النبات ، والمراد بالخضر الغض والطراوة ، أي تشب من النبات أغصان غضة طرية ﴿ نخرج منه حباً متراكباً ﴾ ضمير منه يعود إلى الخضر ، أي يخرج من الأغصان سنابل القمح ونحوها كثر الرمان الذي يركب بعض حبوبه بعضاً ﴿ ومن النخل من طلعها قنوان دانية ﴾ الطلع أول ما يخرج من النخلة في اكمامه ، وقنوان جمع قنو ، وهو العقود من الثمر ، ودانية قريبة من الأرض سهلة التناول .

﴿ وجنات من أعناب والزيتون والرمان ﴾ وخصر سبحانه هذه الأصناف الثلاثة بالذكر لشيوعها وإلا فنعمة كعجائبه لا حد لها ولا عد ﴿ انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه ﴾ أي ونضجه والمعنى انظروا بعيونكم ، وفكروا بعقولكم في صنع الله ومخلوقاته ، ولا تمروا بها مرور البهائم والسوائم ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾ نشر إلى هذه الآيات

والظواهر البينات لكي تؤمنوا بالله وحكمته عن حس وعقل لا عن تقليد أعمى ، وأيضاً كي نقيم الحجة على كل جاحد ومعاند ١٠٠- ﴿ وجعلوا لله شركاء الجن ﴾ هذا الظاهر واضح الدلالة على أن قوماً من خلق الله تعالى يعبدون الجن ، ولم يبين من هم هؤلاء القوم ، ونحن نسكت عن سكوت الله عنه ، وفي شتى الأحوال فقد رد سبحانه على هؤلاء بكلمة واحدة ، وهي ﴿ وخلقهم ﴾ كيف يكون لله شركاء ، وهو خالق كل شيء ؟ ﴿ وخرقوا ﴾ اختلقوا وابتدعوا ﴿ له بنين وبنات بغير علم ﴾ قال بعض المشركين من العرب الملائكة بنات الله ، وقالت طائفة ثانية عزيز ابن الله ، وثالثة: المسيح ابن الله رجماً بالغيب ، وأيضاً يروى عن النملة أن الله شارين أشبه بشاريها ، أما قصة العابد الزاهد وحمار الله فهي مسجلة في كتب الحديث ١٠١- ١٠٢- ﴿ بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد ﴾ والولادة من صفات الأجسام ، وخالق الأجسام ليس بجسم ﴿ ولم تكن له صاحبة ﴾ ولا ولادة بلا زوجة وصاحبة ﴿ وخلق كل شيء ﴾ ومن كان بهذه الصفة فهو غني عن كل شيء ، وإليه يفقر كل شيء ، وفي هذا الاحتجاج وأسلوبه من الله تعالى درس بليغ ومفيد للدعاة إلى الإيمان والعمل الصالح ، وأن عليهم أن ينزلوا إلى مستوى الجاحد ، تواضعاً ، ويخاطبوا بالحكمة ومنطق العقل لا بالرعونة والحق ، لأن الغرض الأول من التبليغ والإرشاد هو الإقناع والتبشير لا الصراع والتفجير .

١٠٣- ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ لأنه غير متحيز في

لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٩﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُهُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٠١﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أُنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ يَكْلِلُ شَيْءٌ عَالِمٌ ﴿١٠٢﴾ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقُ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٣﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ

جَهة ﴿ وهو يدرك الأبصار ﴾ وغيرها ﴿ وهو اللطيف ﴾ بعباده ﴿ الخير ﴾ بأعمالهم ومقاصدهم .

١٠٤ - ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بِضَالٍ ﴾ دلائل وبيّنات ﴿ من ربكم فمن أبصر ﴾ الحق وعمل به ﴿ فلفسه ﴾ أحسن ﴿ ومن عمي ﴾ عن الحق أو تهاون ﴿ ففعلها ﴾ وحدها يقع الضرر ﴿ وما أنا عليكم بحفيظ ﴾ بل بشير ونذير .

١٠٥ - ﴿ وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ﴾ أي أنزلنا عليك يا محمد آيات القرآن في أساليب شتى ، ليهتدي بها المشركون والضالون ، ولكنهم تمردوا وعاندوا ، وقالوا من جملة ما قالوا : إن آيات القرآن ليست من عند الله ، من جملة ما قالوا : إن آيات القرآن ليست من عند الله ، بل درستها أنت وتعلمتها يا محمد من اليهود وغير اليهود ﴿ ولينبيه ﴾ أي نبين القرآن ﴿ لقوم يعلمون ﴾ أنه من عند الله لا من عند محمد (ص) .

١٠٦- ﴿ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ امض يا محمد في سبيل التبليغ والدعوة إلى الحق والتوحيد ، ولا تبال بالقلب والقال .

١٠٧ - ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ﴾ لا يريد الله أن يؤمنوا به مهوورين بل مختارين ﴿ وما جعلناك عليهم حفيظاً ﴾ أي ﴿ وما أنت عليهم بوكيل ﴾ وهاتان الجملتان تفسير وتوكيد لقوله تعالى : « وأعرض عن المشركين » والمهدف الأول من هذا التوكيد هو تحديد مهمة النبي وغيره من الدعاة ، وأنها التبليغ دون التنفيذ .

الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ
فَلَِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿١٥﴾
وَكَذَٰلِكَ نَصْرَفُ الْأَلْبَابَ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ
يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ أَتَتَّبِعُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٧﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ
مَا أَشْرَكُوا ۚ وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۚ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ
بِرَٰكِلٍ ﴿١٨﴾ وَلَا تَسْأَلُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْأَلُ
اللَّهُ عَدُوًّا يَغْيِرُ عَلَيْهِ ۚ كَذَٰلِكَ رِيبًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ
ثُمَّ إِلَيَّ رَاجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾
وَأَسْمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ ۖ لَئِنْ جَاءَهُمْ ءَايَةٌ لَيُؤْمِنَنَّ بِهَا ۚ
قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ ۚ وَمَا يُسْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ
لَآ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَتَقَلَّبَ أَفْعَدَتُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ كَمَا لَمْ

١٠٨ - ﴿ وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ أَي لَا تَسْبُوا أَصْنَامَ الْمُشْرِكِينَ ﴿ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا ﴾ أَي ظُلْمًا وَعَدُوًّا ﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ بِعَظَمَةِ اللَّهِ وَجَلَالِهِ ، وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ النَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ إِذَا أَدَّى إِلَى زِيَادَتِهِ يَنْقَلِبُ مَعْصِيَةً ﴿ كَذَلِكَ زِينَا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ﴾ الشَّيْطَانُ هُوَ الَّذِي يَزِينُ الْقَبِيحَ لِقَاعِلِهِ ، وَلَيْسَ الرَّحْمَنُ ، فَكُنْتُ اسْمَاهُ ، وَأَسْنَدُ سَبْحَانَهُ التَّوْبَتَيْنِ إِلَيْهِ لِمَجْدِ الْإِشَارَةِ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى رَدِّعِهِمْ عَنِ الْقَبِيحِ قَسْرًا وَجَبْرًا ، وَلَكِنَّهُ لَا يَرِيدُ أَنْ يَسْلُبَ الْإِنْسَانَ حُرِيَّتَهُ وَإِرَادَتَهُ ﴿ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنْثَبِهُمُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ وَإِذْنٌ فَلْنَدْعُ الْحِسَابَ عَلَى الَّذِينَ لَّهُ وَحْدَهُ مَا دَامَ صَاحِبُهُ يَكْفِ عَنِ الْأَذَى وَالْعُدْوَانِ عَلَى الْآخَرِينَ .

١٠٩ - ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾ المشركون حلفوا بالله مجتهدين ﴿ لئن جاءتهم آية ﴾ لئن أتاهم محمد (ص) بمعجزة من النوع الذي فرضوه وعينوه ﴿ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا ﴾ ويؤمنون بها ﴿ وَمُحَمَّدٌ ﴾ قل ﴿ قُلْ ﴾ لهم يا محمد ﴿ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ لا عندي أنا ، وهو يُنْزَلُ منها ما تقوم به الحجة الكافية على الجميع ، وما زاد فينزل أو يمتنع تبعاً للحكمة ، ولكن الصحابة تمنوا أن يستجيب الله لطلب الكافرين رغبة منهم في إسلامهم ، فخطبهم سبحانه بقوله : ﴿ وَمَا يَشْعُرْكُمْ ﴾ ما يدريكم ﴿ أَنهَا إِذَا جَاءَتْ ﴾ المعجزة التي اقترحوها ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ بها ولا بمحمد ، وتقدم نظير ذلك في الآية ٣٧ من هذه السورة .

۱۱- ﴿وَنَقَلْنَا أَبْصَارَهُمْ﴾ كناية عن علم الله بحقيقتهم وإصرارهم على الضلال حتى ولو جاءتهم

أَلْفَ آيَةٍ وَآيَةٍ ﴿ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ أَبَدًا لَا يُؤْمِنُونَ بِمُحَمَّدٍ فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ حَقْدًا وَعِنَادًا ، وَمَوْقِفَهُمْ مَعَهُ بَعْدَ أَنْ يَأْتِيَهُم بِالْمُعْجَزَاتِ تَمَامًا كَمَوْقِفَهُمْ مِنْ قَبْلُ ﴿ وَنُذِرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ اخْتَارُوا لَأَنْفُسِهِم الْعَمَى وَالضَّلَالِ ، فَهُمْ وَمَا يَخْتَارُونَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ سُوءَ الْعَذَابِ .

١١١ - ﴿ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلًا ﴾ مُقَابِلَةً وَجْهًا لَوَجْهٍ ﴿ مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ﴾ تَصْوِيرٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ نَظِيرٍ : الْمَوْتَى بِالْكَامِلِ يَخْرُجُونَ مِنْ بَطْنِ الْأَرْضِ وَجَمِيعِ الْمَلَائِكَةِ يَنْزِلُونَ مِنَ السَّمَاءِ وَمَعَهُمُ الْكَوَاكِبُ وَالطُّيُورُ بِشَتَّى أَنْوَاعِهَا ، وَكُلُّ الْأَنْسَاكِ وَجَمِيعِ الْأَحْيَاءِ فِي الْأَنْهَارِ وَالْبَحَارِ تَخْرُجُ إِلَى الْيَابَسَةِ وَمَعَهَا كُلُّ الْحَشَرَاتِ وَكَذَا الرَّمَالِ وَالْأَحْجَارِ وَالتُّرَابِ وَالْأَشْجَارِ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْكَائِنَاتِ وَالْمَخْلُوقَاتِ ، وَكُلُّهَا تَقُولُ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، وَمَعَ هَذَا وَفَوْقَ هَذَا لَا تَتَلَبَّسُ قُلُوبُ الْمَعَانِدِينَ حَتَّى كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ . ! . وَلِمَاذَا ؟ لِسَبَبٍ وَاضِحٍ وَسَبِيحٍ ، وَهُوَ أَنَّ قُلُوبَهُمْ وَعَقُولَهُمْ وَعَوَاطِفَهُمْ وَمَبْوَلُهُمْ اسْتَحَالَتْ بِكَامِلِهَا إِلَى الْحَرَصِ عَلَى مَصَالِحِهِمُ الشَّخْصِيَّةِ وَمَنَافِعِهِمُ الذَّاتِيَّةِ ، وَمَنْ أَجَلُ هَذَا لَا يَجِدِي مَعَهُمْ أَيْ مَنْطِقٍ أَوْ آيَةٍ لُغَةٍ إِلَّا لُغَةَ الْقُوَّةِ الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ إِكْرَاهَهُمْ وَقَسْرَهُمْ ﴿ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ أَنَّهُمُ الْقَوْمُ الطَّاغُوتُ الَّذِينَ لَا يَسْتَمْعُونَ إِلَّا لِلُّغَةِ السِّيفِ وَالْقُوَّةِ

١١٢ - ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عُلُوًّا شَيَاطِينُ

الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ﴾ كُلٌّ مِنْ يَغْرِى النَّاسَ بِالْبَاطِلِ عَلَى أَنَّهُ حَقٌّ فَهُوَ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ ، أَمَّا شَيَاطِينُ الْجِنِّ فَهُوَ مَنْ غِيبَ اللَّهُ ، وَتَوَكَّلَ بِهِ لِأَنَّ النَّصَّ أَتَيْتُهُ وَالْعَقْلَ لَا يَفْقَهُ يُوْحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زَعَرَ الْقَوْلَ غُرُورًا ﴿ أَيْ إِغْرَاءً بِالرَّذَائِلِ وَالْقَبَاحِ ، وَزَعَرَ الْقَوْلَ كَلَامَ ظَاهِرِهِ الرَّحْمَةَ وَبَاطِنِهِ الْعَذَابَ ﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ ﴿ يَا مُحَمَّدُ لَرَدَعَهُمْ بِالْقُوَّةِ ﴾ مَا فَعَلُوهُ ﴿ أَيْ مَا فَعَلُوا شَيْئًا يَغْضَبُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ .

١١٣ - ﴿ وَلَنُصْغِي إِلَيْهِمْ أَفْعَدُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴾ أَيْ يُوْحِي الْأَشْرَارَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زَعَرَ الْقَوْلَ لِيَسْتَمِعَ إِلَيْهِ الْكَفَّارُ ﴿ وَلِيَرْضَوْهُ ﴾ بَعْدَ الْإِسْتِغَاةِ إِلَيْهِ ﴿ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴾ مِنَ الْمَعَاصِي وَالْآثَامِ .

١١٤ - ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتغِي حُكْمًا ﴾ قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ : هَلْ أَطْلَبُ غَيْرَ اللَّهِ حَاكِمًا يَحْكُمُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، وَيُمِيزُ الْحَقَّ مِنْ الْمَبْطَلِ ؟ ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ﴾ مَبْنًى فِيهِ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ وَالْكَفَرُ وَالْإِيمَانُ وَالشَّهَادَةُ لِي بِالصَّدَقِ وَعَلَيْكُمْ بِالْكَذِبِ وَالْإِفْتِرَاءِ ﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ ﴾ تَقَدَّمَ فِي الْآيَةِ ١٤٦ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ .

﴿ فَلَا تَكُونُونَ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ لَا تَشْكَنْ يَا مُحَمَّدُ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ يَعْلَمُونَ أَنَّ الْقُرْآنَ حَقٌّ وَأَنَّكَ مُحَقٌّ فِي رِسَالَتِكَ .

١١٥ - ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ﴾ وَكَلِمَتُهُ تَعَالَى دِينَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿ صَدَقًا ﴾ فِي جَمِيعِ أَقْوَالِهِ ﴿ وَعَدْلًا ﴾ فِي جَمِيعِ أَعْمَالِهِ ﴿ لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ لِأَنَّهُ يَقُولُ لِلشَّيْءِ « كُنْ فَيَكُونُ » ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ ﴾ لَمَّا يَقُولُونَ ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بِمَا

يُؤْمِنُونَ بِهِ ۚ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿ ١١١ ﴾
 * وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿ ١١٢ ﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْقَرُونَ ﴿ ١١٣ ﴾ وَلَنُصْغِي إِلَيْهِمْ أَفْعَدُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴿ ١١٤ ﴾ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتغِي حُكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿ ١١٥ ﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ

يضمرون ويفعلون .

١١٦ - ١١٧ - ﴿ وَإِنْ تَطَعْ أَكْثَرُ مِنْ لِي الْأَرْضِ يُضْلُوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ولماذا ؟ الجواب : ﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ﴾ يحكمون بالتهمة ، ويجزمون باللمحة الخاطفة بلا بحث وأساس ﴿ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ يكذبون ويعدون أنفسهم مع الصادقين وبكلمة يكذبون على أنفسهم بأنفسهم . ولو لم يكن للإسلام وفي القرآن إلا هذه الآية لكفى بها دليلاً على فضل الإسلام وعظمت حيث رفعت من شأن العلم ، وجعلت كلمته فوق كلمة أهل الأرض أن أخذوا بالجهل والوهم ، على عكس الأديان التي ترى نفسها فوق العلم والعقل .

١١٨ - ﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ كان أهل الجاهلية يذكرون على ذبائحهم أسماء أصنامهم ، فنهى سبحانه عن ذلك ، وأمر أن يذكر اسمه دون سواه .

١١٩ - ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾

يظهر أن هناك شبهة عرضت لبعض ، وهي كيف يمكن الجمع بين الذبح عن عمد وبين اسم الله ، فنهى سبحانه أن الحلال ما أحل الله ، والحرام ما حرمه ، وهو الذي أمر بذكر اسمه ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون .

﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ ومن ذلك الميتة وما أهل لغير الله ﴿ إِلَّا مَا اضْطُرُّرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾ من الميتة وغيرها ، لأن الضرورات تبيح المحظورات ، وتقدم نظيره في الآية ١٧٣ من البقرة ﴿ وَإِنْ كَثُرَ يَضْلُوكَ ﴾ الناس ، فيحللون ويحرمون ﴿ بِأَهْوَانِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ ولا هدى ولا كتاب منتر .

١٢٠ - ﴿ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِلَهِمْ ﴾ ارتكاب الحرام علناً ﴿ وَبَاطِنَهُ ﴾ ارتكابه سراً .

١٢١ - ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾ الضمير في إنه يعود إلى مصدر الفعل أي الأكل ، والفسق المعصية ، ويكتفي بمجرد اسم الجلالة مثل الله أو الحمد لله أو باسم الله أو الله أكبر ، وأجمع فقهاء المذاهب ما عدا الشافعية على أن الذابح إذا ترك التسمية عامداً حرمت الذبيحة ، واختلفوا في ترك التسمية سهواً . فقال الجعفرية والحنفية والحنابلة لا تحرم الذبيحة ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ﴾ المراد بالشياطين أبالسة الإنس ، كانوا يعلمون بعض أذنانهم أن يقولوا للمسلمين : كيف تأكلون الحيوان الذي ذبحتموه بأيديكم ، ولا تأكلون الحيوان الذي أماته الله ! أليس قتل الله أولى بالأكل من قتلكم ؟ . فقال سبحانه لضعاف العقول من المسلمين : ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ أَنْتُمْ لَشُرَكُونَ ﴾ أي من أحل أكل الميتة كما أحلها المشركون فهو في حكمهم .

الْعَلِيمُ ﴿ وَإِنْ تَطَعْ أَكْثَرُ مِنْ فِي الْأَرْضِ يُضْلُوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ إِنْ رَبِّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِعَاقِبَتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرُّرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنْ كَثُرَ يَضْلُوكَ بِأَهْوَانِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنْ رَبِّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِلَهِمْ وَبَاطِنَهُ إِنْ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِلَهِمْ سَيَجْزُونَ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿

أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَاهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ
فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا
كَذَلِكَ زَيْنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ وَكَذَلِكَ
جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مَجْرُمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا
يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ
آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ
اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا
صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٥﴾
فَن يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ
يُرِدْ أَنْ يَضْلِهِ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّ
يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى
الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٦﴾ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا

١٢٣- ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا ﴾ بالجهل والإلحاد
﴿ فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾ بالعلم والإيمان ﴿ وَجَعَلْنَاهُ نُورًا ﴾ يمشي به
في الناس ﴿ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ ﴾ كمن مثله في الظلمات
ليس بخارج منها ﴿ أَي لَا يَهْتَدِي إِلَى سَبِيلِ النِّجَاةِ مَدَى
الْحَيَاةِ وَأَيْضًا يَحْشُرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ كما قال سبحانه :
« وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا
٧٢ الْإِسْرَاءِ » ﴿ كَذَلِكَ زَيْنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾
وكل جاهل بجعله يرى الخير شرًا وبالعكس .

١٢٤- ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ ﴾ مجتمع
من الناس قل أو كثر ﴿ أَكْبَرًا مَجْرُمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ﴾ أي
تركناهم وشأنهم ، ولم نردعهم عن المنكر بالقوة ، ونخص
الأكابر بالذكر لأنهم أصل البلاء والداء العياء ﴿ وَمَا
يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ ولا يحق المكر السيء
إلا بأهله .

١٢٥- ﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى
مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ﴾ قال بعض الذين حسدوا محمدًا
على ما أتاه الله من فضله : لا تؤمن حتى ينزل علينا الوحي تمامًا
كما نزل على محمد (ص) لأنه ليس بأفضل منا وأكرم ،
فرد عليهم سبحانه بقوله : ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾
إن الله لا يصطفي لرسالته إلا عن علم بأن المصطفى كفؤ لها
﴿ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ والصغار الذل
والهوان ، وهو جزاء من تكبر وتعظم .

١٢٦- ﴿ فَمَنْ يَرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾

بعد أن ذكر سبحانه أنه يصطفي لرسالته من هو أهل لها عظمة
وكمالا ، أشار أن الإسلام الذي هو دين الله الحق لا يختاره ويدين به إلا من ينسجم معه طهرًا وصفاء ، ومن يك على هذا
الوصف ، ويهتدي إلى الإسلام يأخذ الله بيده ، ويوفقه له ولكل خير ، ومعنى هذا أن الخيار في النبوة لله وحده أما
الخيار في الإسلام فلعباده بالكامل ، والله في عون من يختاره لنفسه
﴿ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يَضْلِهِ ﴾ أي من يختار الضلال لنفسه فلا يمنعه الله عنه بالقهر والإكراه ، بل يتركه راسبًا في غيه
كما قال سبحانه : « فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ - ه - الصَّف - .. » والذين اهتدوا زاهم هدى - ١٧ محمد ﴿ يَجْعَلُ صَدْرَهُ
ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ من يختار لنفسه الباطل والضلال يضيق بالهدى والحق حين يدعى إليه تمامًا كما لو طلب منه أن يصعد
على القمر بلا وسيلة ترفعه وتحمله ﴿ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ ﴾ الخذلان والعذاب ﴿ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾
يضيقون ويترمون من الحق ودعوته .

١٢٦- ﴿ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ﴾ هكذا جرت سته تعالى مع خلقه أن لا يتدخل بإرادته التكوينية أو

قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ * هُمْ دَارُ
السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُمْ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾
وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشُرُ الْجَنِّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِّنَ
الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْمَعْ بَعْضُنَا
بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجْلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ
خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾
وَكَذَلِكَ نُوْثِي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾
يَمْعَشُرُ الْجَنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ
عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا
عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ
أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَلِكَ أَن لَّا يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ
الْقُرَى يَظْلِمُ أَهْلَهَا غُلْفُلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ

الشخصية في أفعال الإنسان وما يختاره لنفسه ، بل يدعه
وشأنه «فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره
لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره
للعسرى - ١٠ الليل» .

١٢٧- ﴿ لهم دار السلام ﴾ ضمير «هم» يعود
إلى الذين يسلكون الصراط المستقيم ، ودار السلام هي الجنة ،
لأنها سالمة من كل آفة وبلية .

﴿ عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون ﴾ كل من
آمن بالله ، وعمل صالحاً لوجه الله وقع أجره على الله ، وفاز
بتوقيفه ورعايته .

١٢٨- ﴿ ويوم يحشرهم جميعاً ﴾ أي الإنسان والجن ،
ويقول سبحانه : ﴿ يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس ﴾
أي استكثرتم من تفضليهم وإغرائهم بالردائل ﴿ وقال
أوليائهم من الإنس ﴾ أي أن الإنس الذين أطاعوا الجن ،
يقولون غداً ﴿ ربنا استمع بعضنا ببعض ﴾ انتفع الإنس
بالجن حيث دلّوهم على الشهوات ، وانتفع الجن بالإنس حيث
أطاعوهم ﴿ وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا ﴾ ما زال الكلام
للإنس ، والمعنى أن استمتاع بعضنا ببعض كان إلى أجل
معين في الحياة الدنيا ، والآن نحن بين يديك ، فاحكم بما
نشاء ﴿ قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله ﴾
هذا هو الحكم الفصل والجزاء العدل .

١٢٩- ﴿ وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا
يكسبون ﴾ المجرمون في الحياة الدنيا حلفاء متعاضدون ،
وفي الآخرة شركاء في العذاب الأليم .

١٣٠- ﴿ يا معشر الجن والإنس ... ﴾ يقول سبحانه غداً لكل ضال ومجرم . لقد طغيت وبغيت عن علم
وعمد وحذرت وزجرت ، فأعرضت ونأيت ، واليوم تجزى عذاب الهون بما سعت وكسبت ﴿ قالوا شهدنا على أنفسنا ﴾
ولكن بعد أن وضعت الأغلال في أعناقهم ﴿ وغرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ وأعمتهم بزينتها عن الحساب والجزاء ، ولو عملوا
فيها للآخرة لأحرزوا الحظين معاً ، وملكوا الدارين جميعاً .

١٣١- ﴿ ذلك ﴾ إشارة إلى إرسال الرسل مبشرين ومنذرين ﴿ أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم أهلها
غافلون ﴾ أبداً لا جريمة بلا نص ولا عقاب إلا بعد البيان وإلقاء الحجة .

١٣٢- ﴿ ولكل درجات مما عملوا ﴾ لكل حسب عمله كيفاً لا كمّاً ، فرب درهم ينفق في سبيل الله لوجه الله
خير من مليون ينفق رياءً أو توصلاً لرياسة أو نياحة كالأموال التي تبدل على مشاريع الخير أيام الانتخابات .

الإعراب :

(﴿ لهم دار السلام ﴾ مبتداً وخبر، وهو وليهم مثله، ﴿ وعند ربهم ﴾ تعلق بمحذوف حالاً من الضمير في لهم .

١٣٣ - ١٣٤ - ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ﴾ في ذاته وصفاته ﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾ بغيوه وفضله ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ لأنه في غنى عنكم ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ﴾ كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين ﴿أَنْتُمْ خَلَفْتُمْ لِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ﴾ ، فيأتي سبحانه بخلف لكم خير منكم وأنقى إن شاء ، والقصد من ذلك مجرد التهديد .

١٣٥ - ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ كل ما تمكنت من معصية الله ﴿أَنْتُمْ عَامِلُونَ﴾ كل ما أتمكن من طاعة الله ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مِنْ لَهْ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ الراضية المرضية ﴿إِنَّهُ لَا يَفْلَحُ الظَّالِمُونَ﴾ وإن طال بهم الأمد ليستكملوا الخزي ويستوجبوا أشد العذاب .

١٣٦ - ﴿وَجَعَلُوا اللَّهَ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ جعل المشركون القدامي ﴿فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ أي لأصنامهم ، كانوا يعينون شيئاً من زرعهم وثمارهم وأنعامهم لله ، وشيئاً لأصنامهم يأخذونه شدة الأصنام وحراسها .

﴿فَمَا كَانَ لَشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ﴾ ، وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ﴿كَانُوا إِذَا أَجْلَبَ مَا عَيْنُوهُ﴾ ، وأخصب ما عينوه للأصنام - أبقوا لكل نصيبه ، وإذا كان العكس جعلوا المخصب للأصنام ، وقالوا : هي فقيرة لا شيء لها ، والله كل شيء ، وهكذا يجمع العقل البدائي بين المتناقضات فالصنم أو الحجر الذي ليس بشيء هو في نفس الوقت شريك لخالق كل شيء ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ في الجمع بين من يقول للشيء « كن فيكون » وبين الحجر الأصم ولا غرابة

فإن أكثر الناس يجمعون بين الإيمان بالله « بزعمهم » وبين عبادة المال والحطام .

١٣٧ - ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ﴾ والمراد هؤلاء الشركاء الكهنة وخدمة الأصنام وغيرهم من الرؤساء ، والمعنى أن المشركين كما جعلوا لله في أموالهم نصيباً ، ومثله للأصنام كذلك زين لهم الكهنة والسادة قتل أولادهم خوف الفقر أو العار .

﴿لِيُرَدُّوهُمْ﴾ من الردى ، وهو الهلاك ﴿وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ ولبس الشيء جعله مشتبهاً بغيره ، واللام للعاقبة والمعنى أن الكهنة زينوا للمشركين القبائح والمنكرات ، فكانت النتيجة هلاك المشركين ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ أن يردعهم عن ذلك قهراً وجبراً ﴿مَا فَعَلُوهُ فَلَهُمْ مَا يَفْتَرُونَ﴾ ومثله تماماً « اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير - ٤٠ فصلت » .

الإعراب :

﴿ولكل درجات﴾ مبتدأ وخبر ، أي درجات كاتبة لكل واحد . ﴿وما عملوا﴾ متعلق بمحذوف صفة للدرجات . ﴿وربك﴾ مبتدأ ، ﴿ورغافل﴾ خبر والباء زائدة أعراباً .

قِمَّ عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٣﴾ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴿١٣٤﴾ إِنْ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٥﴾ قُلْ يَفْقَهُمْ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٧﴾ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائُهُمْ لِيُرَدُّوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾

١٣٨- ﴿ وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ حَجَرَ لَا يَطْعَمُهَا

إِلَّا مِنْ نَشَاءِ بَزَعْمِهِمْ ﴾ الحجر الحرام ، أي أن المشركين كانوا يقطعون قسماً من زرعهم وثمارهم وماشيتهم ، ويحرمون التصرف فيه إلا على من يختارون ﴿ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا ﴾ يحرمون ركوبها والحمل عليها ، وتقدم ذكرها في الآية ١٠٣ من المائدة ﴿ وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا ﴾ في الذبح بل اسم الأصنام ، وتقدم في الآية ١٢١ من هذه السورة وهذه الآيات إخبار عن الأمم الماضية والقرون الخالية ، وما هي بأقل افتراء على الله من الأمم الحاضرة ، وإن اختلف الشكل والأسلوب ، وربما كان الخلف أكثر ضللاً ، وأسوأ حالاً .

١٣٩- ﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ

لَّذُكُورِنَا ﴾ كانوا يقولون ما يولد حياً من بطون بعض الحيوانات يأكل منه الذكور فقط ﴿ وَمَحْرُومٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا ﴾ أي الإناث ﴿ وَإِنْ يَكُنْ مِثَّةٌ فَبِهِمْ فِيهِ شُرَكَاءُ ﴾ وإن سقط الجنين من بطن الحيوان ميتاً أكل منه الذكور والإناث على السواء ﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفِهِمْ ﴾ سيعاقبهم سبحانه على هذا الافتراء تحليلاً وتحريماً .

١٤٠- ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ

عِلْمٍ ﴾ وأي شيء أكثر سفاهة وخسارة من إقدام الوالد على ذبح ولده أو دفنه حياً ، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على حياة البؤس والإملاق كما نطقت الآية الآتية ١٥١ : « وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ » وبهذا نجد تفسير قول الرسول الأعظم : « كاد الفقر يكون كفرة » ﴿ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ ﴾ من الطيبات كما أحلوا بعض المحرمات كأكل الميتة ﴿ الْفِتْرَاءَ عَلَى اللَّهِ ﴾ لأن التحريم منهم ، وليس منه تعالى ، وقد كذب الناس وما زالوا يكذبون على الله وملائكته ورسله ، وعلى بعضهم البعض ، وعلى أنفسهم ﴿ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ ولن يهتدوا إلا قليلاً .

١٤١- ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ ﴾ بعد أن أشار سبحانه إلى تحريم ما أحل ذكر طرفاً من نعمه على

العباد ومنها حدائق وبساتين من الكروم مرفوعة فروعها على دعائم ﴿ وَغَيْرِ مَعْرُوشَاتٍ ﴾ متروكة على الطبيعة ممتدة على الأرض ﴿ وَالنَّخْلِ وَالزَّرْعِ ﴾ عطف على جنات ﴿ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ ﴾ فالحبوب أصناف ، والفاكهة أشكال ، والبقول ألوان شكلاً وطعماً ﴿ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ﴾ فالرمان والليمون يشبه بعضه بعضاً ، ولكن بعضه حلو ، وبعضه حامض ﴿ وَأَتَاوْا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ تصدقوا منه عند نضجه على أهل الفقر والمسكنة ﴿ وَلَا تَسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ وساء أركان الإسراف في الإنفاق على النفس أم في البذل والصدقة على المعوزين .

الإعراب :

﴿ وافتراء ﴾ مفعول لأجله ليذكرون . ﴿ وما ﴾ في محل رفع بالابتداء ، ﴿ وخالصة ﴾ خبر ، ﴿ وأنت ﴾ لفظ خالصة على

معنى الانعام ، وذكر لفظ محرم حلاً على لفظ ﴿ وما ﴾ . واسم يكن ضمير مستتر يعود إلى ما في بطون . وافتراء مفعول لأجله لحرموا .

وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ حَجَرَ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مِنْ نَشَاءِ بَزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِمْ سَجَيزِيمٌ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿ ١٣٨ ﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لَّذُكُورِنَا وَمَحْرُومٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مِثَّةٌ فَبِهِمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفُهُمْ إِنَّهُنَّ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿ ١٣٩ ﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿ ١٤٠ ﴾ * وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّيَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تَسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿ ١٤١ ﴾ وَمِنْ الْأَنْعَامِ

١٤٢- ﴿ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشٌ ﴾ تحملكم
وأثقالكم إلى بلد لم تكونوا باليه إلا بشق الأنفس ، وأيضاً
جعل لكم من جلود الأنعام وأصوافها وأوبارها وأشعارها بيوتاً
وأثاثاً ولباساً وفرشاً .

﴿ كلوا مما رزقكم الله ﴾ كهذه الأنعام وغيرها ،
واشكروه على فضله ﴿ ولا تتبعوا خطوات الشيطان ﴾
بتحليل ما حرم الله ، وتحليل ما أحل ، ولا بالتبذير أو التقصير .

١٤٣- ﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ﴾ كلمة الزوج تطلق على
كل واحد له قرين كأحد الزوجين وأحد الثقلين ﴿ من الضأن
الثنين ﴾ من الغنم الكباش والنعجة ﴿ ومن المعز اثنتين ﴾
التيس والمعزة ﴿ قل الذكركين حرم ﴾ الذكر من الضأن
والذكر من المعز ﴿ أم الانثيين ﴾ من الضأن والمعز ﴿ أما
اشتملت عليه أرحام الانثيين ﴾ أم حرم الأجنة من بطن
الانثى من الضأن وبطن الانثى من المعز .

١٤٤- ﴿ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ ﴾ الجمل والناقة ﴿ ومن
البقر اثنتين ﴾ الثور والبقرة ﴿ قل الذكركين حرم ﴾ من
الإبل والبقر ﴿ أم الانثيين ﴾ منهما ﴿ أما اشتملت عليه
أرحام الأنثيين ﴾ أم الأجنة من بطن الناقة وبطن البقرة
﴿ أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا ﴾ من أين علمتم أن
الله حرم ما حرمتهم ؟ ﴿ فمن أظلم ممن افترى على الله
كذباً ﴾ قيل : إن الذي ابتدع هذه الأحكام ، ونسبها
إلى الله تعالى رجل يُدعى عمرو بن الحَي ﴿ ليضل الناس ﴾
عن الحق ﴿ بغير علم ﴾ عن جهل وعدم . وتجدر الإشارة
إلى أن الله سبحانه خاطب هؤلاء القوم من واقع حياتهم وعلى

حَمُولَةٌ وَفَرَشٌ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ
الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُرْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ
الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ الذَّكْرَيْنِ حَرَّمَ
الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي
بِعِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ
اثْنَيْنِ قُلْ الذَّكْرَيْنِ حَرَّمَ أَمَ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ
أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْتُكُمْ اللَّهُ بِهَذَا
فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ
عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ
فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ
مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا
أَهْلَ غَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ فَمَنْ أَضْطَرُّ غَيْرِ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ

قل عقرولهم ..

١٤٥- ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ ﴾ في القرآن الكريم حيث ثبت في السنة النبوية العديد من المحرمات لم
يذكرها القرآن ، ومنها السُّنُور وكل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطيور ﴿ محرماً ﴾ أي طعاماً محرماً ﴿ على
طاعم ﴾ آكل ﴿ يطعمه إلا أن يكون ميتة ﴾ وهي ضد التذكية الشرعية ﴿ أو دماً مسفوحاً ﴾ مصبوحاً كدم
العروق لا كالكيده أو المختلط باللحم لا يمكن فضله عنه ﴿ أو لحم خنزير فإنه رجس ﴾ قدر ﴿ أو فسقاً أهل لغير
الله به ﴾ ذبح على غير اسم الله ﴿ فمن اضطر ﴾ دعه الضرورة إلى تناول شيء من ذلك ﴿ غير باغ ﴾ لا يطلب
أكل الميتة ولحم الخنزير وهو يجبد غيرها ﴿ ولا عاد ﴾

الإعراب :

ومن الأنعام حمولة أي وأنشأ من الأنعام حمولة ، ﴿ وثمانية أزواج ﴾ بدل من حمولة وفرشاً ، ﴿ واثنتين ﴾ بدل بعض من ثمانية ،
﴿ والذكركين ﴾ مفعول حرم ، أم كنتم شهداء ﴿ أم ﴾ بمعنى بل .

لا يتعدى حد الضرورة وسد الحاجة ﴿فَإِنْ رِبَكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ بالجانح المضطر ، وتقدم في الآية ١٧٣ من البقرة .

١٤٦- ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾ اليهود ﴿حَرَمَنَا كُلِّ ذِي ظُفْرٍ﴾ كل ذي ظفر ﴿كُلِّ مَا لَهُ أَصْبَعٌ مِنْ دَابَّةٍ أَوْ طَائِرٍ﴾ ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما ﴿دُونَ اللَّحْمِ الْأَحْمَرِ﴾ واستثنى من الشحوم ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ وهو الشحم المنصق بالظفر ﴿أَوْ الْحَوَايَا﴾ المصارين والأعضاء، والمراد أن الشحوم المتصلة بها غير محرمة ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ وهو شحم الإلية ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ﴾ هذا بيان للسبب الموجب لتحريم هذه الأشياء على اليهود ، وأنه البغي والتلمذ على أوامر الله ونواهيهِ .

١٤٧- ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رِبَكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ الخطاب لرسول الله (ص) وما من شك في أن من كذبه فهو كافر حتى ولو آمن بالله واليوم الآخر ، ومع هذا أمر نبيه الكريم أن يتلفظ مع الكافرين ، ويقول لهم : «ربكم ذو رحمة واسعة» لأمرين : الأول الترغيب في رحمة الله والحث على نواها . الثاني على المرشد والعلم أن يتوصل إلى قلوب الناس وعقولهم باللطف واللين وإلا استحال عليه أن ينقلهم من الظلمات إلى النور ، وفي المقصد الأقصى للغزالي : «إذا جنى الله سبحانه عاتب وما استقصى» .

١٤٨- ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ هذا هو التعليل العللي الذي يتدرج به المشركون والمجرمون حين تدور عليهم دائرة السوء وهكذا كل مجرم وفاشل يلقي التبعة والمسؤولية على الحظ أو الظروف أو القضاء والقدر أو أي شيء آخر حتى كأنه بلا حرية وإرادة تماماً كريحة في مهب الرياح !

﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾ كذب مشركوا العرب محمداً (ص) والأُمم الماضية كذبت أنبياء الله ورساله ، ولا شيء أكثر من الكذب ولا أظهر من الباطل ، ولا بد من يوم يعرض الكاذب والمجرم على يديه ويقول : ليتني لم أك شيئاً ﴿قُلْ﴾ يا محمد : ﴿هَلْ لَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾ زعمتم أن الشرك من الله ، فهاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ واضح ، وتقدم في الآية ١١٦ من هذه السورة .

١٤٩- ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ من القوة ما يقطع بها كل عذر ﴿فَلَوْ شَاءَ﴾ سبحانه أن يعاملكم بالقوة وإرادة التكوين ﴿لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ولكن شاءت حكمته أن يعامل عباده بالنصح والأمر والنهي .

١٥٠- ﴿قُلْ هَلْمْ شُهَدَاءُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾ أروني واحداً يقول : إن الله أوحى إليه بأنه تعالى حرم ما حرمتم ، وفيه تهديد شديد لمن يفتي الناس بالخيال والإحتمال ﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ﴾ أي كذبهم بالحنة ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتِنَا﴾ هم يتبعون الأهواء والشهوات ، وعليك يا محمد أن تنهاهم عن

غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٦﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ شَحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَدِّقُونَ ﴿١٤٧﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رِبَكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يَرُدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٨﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٥٠﴾ قُلْ هَلْمْ شُهَدَاءُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتِنَا

المكرات ، ولا تسكت عنهم بحال .

١٥١- ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد : ﴿ تعالوا أتل ما حرم ربكم ﴾ ليس الحرام ما حرّم الله تعالى ، وأنا أتلوه عليكم ﴿ ألا تشركوا به شيئاً ﴾ التوحيد هو أصل الأصول في دين الله ﴿ وبالوالدين إحساناً ﴾ قرن سبحانه بر الوالدين بالتوحيد إشعاراً بأن حقهما على الولد عظيم ووحيد في بابه ﴿ ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ﴾ وتقدم في الآية ١٣٧ من هذه السورة ﴿ ولا تقربوا الفواحش ﴾ المعاصي والقبائح ﴿ ما ظهر منها وما بطن ﴾ اتركوها سرّاً وعلاية ﴿ ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ﴾ كالقصاص ونحوه ، وكل الشرائع السماوية والأرضية تحرم القتل إلا بالحق ، ولكن ما من شريعة قالت : « من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً - ٣٢ المائدة » إلا شريعة الإسلام ، أجل جاء في النصوص اليهودية : « الذي يصرع يهودياً إنما يصرع البشرية لأن اليهود وحدهم هم شعب الله المختار » .

١٥٢- ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن ﴾ كصيانته وتنميته وتثميته ﴿ حتى يبلغ أشده ﴾ بالرشد والبلوغ ﴿ وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ﴾ بيعاً وشراءً وقرضاً ووفاء ﴿ لا تكلف نفساً إلا وسعها ﴾ أي إن اقترضت ما يكال أو يوزن فعليك الوفاء بالمعروف لا بالدقة الواقعة بحيث لا تنقص مقتل حبة من خردل ، لأن ذلك متعذر ﴿ وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان المقول له أو عليه ﴾ ذا قربي ﴿

من القائل ، هذا هو الملوك أن تجرد للحق ، وتنصف الناس من نفسك وذويك تماماً كما تطلب منهم أن ينصفوك ﴾ وبعهد الله أوفوا ﴿ والوفاء بعهد الله أن تأمر بما أمر ، وننتهي عما نهي .

١٥٣- ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً ﴾ هذا هودين الله : التوحيد والعدل والكف عن الأذى والردائل والوفاء بالعهد وبر الوالدين ، وبالتالي التالف والتعاطف الذي أشار إليه سبحانه بقوله : ﴿ فاتبعوه ولا تتبعوا السبل ﴾ سبوا جميعاً في طريق واحد لا في طرق متعددة متشعبة ﴿ ففرق بكم عن سبيله ﴾ أي فتميل السبل العديدة بكم عن سبيل الله وصراطه المستقيم .

الإعراب :

﴿ اتل ما حرم ﴾ « ما » مفعول اتل . « وان لا تشركوا » « ان » مفسرة بمعنى أي ولا ناهية . ويجوز أن تكون « ان » ناصبة ولا نافية ، والمصدر المنسبك بدل من « ما حرم » . « وشيثاً » مفعول مطلق لتشركوا لأن المراد به الاشراك . « وأحسنوا » مفعول لفعل محذوف أي أحسنوا بالوالدين إحساناً ، أو أوصيكم بها إحساناً . وما ظهر منها وما بطن بدل اشتمال من الفواحش . « إلا بالحق » في موضع الحال ، أي الا محققين . « فلكم وصاكم » به مبتدأ وخبر . « ولو كان ذا قرين » اسم كان محذوف أي ولو كان المقول له . « وان هذا » المصدر المنسبك من انوما بعدها مجرور بلام محذوفة ، والمجرور متعلق باتبعوه . « ومستقيماً » حال من صراطي .

١٥٤- ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ ١٥٥. وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكًا فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ ١٥٦. أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴾ ١٥٧. أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴾ ١٥٨. هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِمْتِنَانًا لَم تَكُنْ ءَامَنَتْ

١٥٥- ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ ﴾ الْقُرْآن ﴿ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ﴾ صَفَةً لِلْكِتَابِ لِأَنَّهُ كَثِيرُ الْخَيْرِ وَالنِّعَمِ ﴿ فَاتَّبِعُوهُ ﴾ اْعْمَلُوا بِأَحْكَامِهِ وَتَعَالِيمِهِ ﴿ وَاتَّقُوا ﴾ هَجَرَهُ وَمَعْصِيَتِهِ ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ وَلَكِنْ هَجَرْنَا الْقُرْآنَ ، وَعَصَيْنَا الرَّحْمَنَ ، فَأَعْلَقَ دُونَنَا أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ وَعَنَانِهِ .

١٥٦- ﴿ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ ﴾ الْمُرَادُ بِالْكِتَابِ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿ عَلَى طَائِفَتَيْنِ ﴾ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ﴿ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ ﴾ أَيُّ وَأَنَّهُ ﴿ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ ﴾ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ﴿ لَغَافِلِينَ ﴾ وَالْمَعْنَى أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ بِلِسَانِكُمْ أَيُّهَا الْعَرَبُ وَعَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ وَفِيكُمْ لَثَلَا تَعْتَدُوا عَنْ جَهْلِكُمْ وَشُرْكِكُمْ بَأَنَّهُ لَمْ يَنْزِلْ كِتَابٌ مِنَ السَّمَاءِ بِلِسَانِكُمْ كَمَا نَزَلَ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَنَحْنُ كُنَّا غَافِلِينَ عَنْ دِرَاسَةِ كِتَابِهِمْ وَجَاهِلِينَ بِتَعَالِيمِهِ لِأَن لِسَانَهُمْ غَيْرُ لِسَانِنَا .

١٥٧- ﴿ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ ﴾ قَدْ يَبْدُو لِلْهَلَّةِ الْأُولَى أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ تَكَرَّرَ لِلآيَةِ الَّتِي قَبْلُهَا ، وَبِالتَّأَمُّلِ نَعْرِفُ أَنَّ مَعْنَى الْأُولَى كِرَاهِيَةُ أَنْ تَقُولُوا: نَزَلَ الْكِتَابُ عَلَى غَيْرِنَا لَا عَلَيْنَا ، وَمَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ كِرَاهِيَةُ أَنْ تَقُولُوا لَوْ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَكُنَّا أَفْضَلُ مِنَ الَّذِينَ نَزَلَ عَلَيْهِمْ ، وَلَكِنْ مَاذَا نَصْنَعُ وَلَا كِتَابَ عِنْدَنَا ﴿ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيْنَهُ ﴾ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ ﴿ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً ﴾ فِيهِ الدَّلَالُ عَلَى نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ (ص) وَالتَّعَالِيمُ الَّتِي تَخْرِجُكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ وَقُرْآنِهِ وَنَبِيِّهِ ﴿ وَصَدَفَ ﴾ أَعْرَضَ ﴿ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ وَالْحِجَّةُ لِلَّهِ عَلَيْهِمْ وَلَا حِجَّةَ لَهُمْ عَلَيْهِ تَعَالَى .

١٥٨- ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ ﴾ يَنْظُرُونَ ﴿ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ تَقْبِضُ أَرْوَاحَهُمْ ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ أَيُّ عَذَابِهِ وَانْتِقَامِهِ ﴿ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ وَهِيَ ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ يَوْمَ تَقُومُ الْقِيَامَةُ الْعَلَامَاتُ الدَّالَّةُ عَلَى قِيَامِ الْقِيَامَةِ .

﴿ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا ﴾ قِيَامُ الْإِيْمَانِ الرِّضَا النَّامُ ، وَبِجَرْدِ التَّسْلِيمِ رِعْبًا وَرَهْبًا لَيْسَ مِنَ الْإِيْمَانِ فِي شَيْءٍ حَتَّى الْإِيْمَانُ عَنْ قَنَاعَةٍ وَإِيْقَانٍ لَا يَجْدِي شَيْئًا إِلَّا مَعَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ ، لِأَنَّ الْإِيْمَانِ الْحَقَّ عَمَلٌ كُلُّهُ وَلَا إِيْمَانُ بِلا عَمَلٍ ﴿ قُلْ أَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴾ وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ .

١٥٩- ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ جعلوه فرقا وطوائف ﴿وكانوا شيعاً﴾ كل فرقة وطائفة تشيع لإمام ﴿لست منهم﴾ يا محمد ﴿في شيء﴾ ولا هم منك في شيء ، ﴿إنما أمرهم إلى الله﴾ فهو وحده يتولى عقاب من يثير العداوة والبغضاء بين أهل الدين الواحد ، والذين لا توحدهم عقيدة التوحيد فهم من حزب الشيطان وأعدائه .

١٦٠- ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ أي عشر حسنات ، وفي الحديث الشريف : «الحسنة عشر أو أزيد ، والسيئة واحدة أو عفو ، فالويل لمن غلبت أحاده أعشاره» . ورب سيئة واحدة كالإلحاد والعدوان على العباد - تحمو ألوف الحسنات ﴿ومن جاء بالسيئة فلا يجزي إلا مثله﴾ العدل أن لا تظلم مثقال ذرة حتى من ظلمك تقدر عفوبته بقدرها ، والإحسان أن تغفر عن المسيء ، أو تزيد في جزاء المحسن ، والله سبحانه عادل ومحسن .

١٦١- ﴿قل﴾ يا محمد : ﴿إني هادي ربي﴾ بالفطرة الصافية والعقل السليم والوحي من عنده ﴿إلى صراط مستقيم﴾ يبتعد بي عن الباطل ، ويوصلني إلى الحق ﴿ديناً قيماً﴾ قائماً دائماً بالدعوة إلى القسط والحق ﴿ملة﴾ دين ﴿إبراهيم حنيفاً﴾ تاركاً الباطل إلى الحق ﴿وما كان من المشركين﴾ بل من أعدى أعداء الشرك وأهله .

١٦٢- ﴿قل إن صلاتي﴾ الواجب منها والمستحب ﴿ونسكي﴾ من حج وصوم وخمس وزكاة ﴿ومحيي﴾ أعمالي في الحياة الدنيا ﴿ومماتي﴾ وما أموت عليه من الإيمان والولاء للنبي وأهل بيته ، كل ذلك خالصاً لله

مِنْ قَبْلِ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَضَرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴿١٥٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٦٠﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ امْتِثَالٍ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦٢﴾ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٤﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٥﴾

رب العالمين

١٦٣- ﴿لا شريك له﴾ في عقيدتي وجميع أعمالي . لأن الشرك جيل ورجس ﴿وبذلك أمرت﴾ عقلاً وشرعاً .
١٦٤- ﴿قل أغير الله أبغى رباً وهو رب كل شيء﴾ وإذن فغيره مثلي مروب ، فكيف أعبد ؟ ﴿ولا تكسب كل نفس إلا عليها﴾ لكل جزاء عمله خيراً كان أم شراً . ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ النفس الوازرة الآئمة هي وحدها تؤخذ بما أسلفت وكسبت من حرام وآثام ، ولا أحد يحمل جرمها وجريتها ، وبهذا يبين أن نسبة قول من قال : «يُعذب الميت ببكاء أهله» إلى رسول الله (ص) - مجرد افتراء لأنه مخالف لكتاب الله ، وفي التوراة سفر حزقيال الإصحاح ١٨ فقرة ٢ قال الرب : «أنتم تضربون هذا المثل على أرض إسرائيل قائلين : الآباء أكلوا الحصرم ، وسانن الأبناء ضمرت

الإعراب :

﴿يوم تأتي﴾ ، ﴿يوم﴾ منصوب على الظرفية متعلق بلا ينفع . ﴿وأمثالها﴾ صفة لمحذوف أي عشر حسنات أمثالها . ﴿ديناً بدل من صراط مستقيم على المحل ، لأن كل مجرور لفظاً منصوب محلاً ، والمعنى هادي صراطاً مستقيماً ، مثل قوله تعالى : ﴿ويهديك صراطاً مستقيماً﴾ . وقيماً صفة لدين . ﴿وحنيفاً﴾ حال من إبراهيم . أغير الله ﴿غير﴾ مفعول أول لأبغى ، ورباً مفعول

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْاَرْضَ رِجًا وَمَعُجًّا رَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ
بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لَّيَبْلُوكُمْ فِي مَاءٍ تَنْكَرٌ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ
الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥﴾

(٧) سُورَةُ الْاِخْرَافِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا اسْتَوَاتِ وَمَآثِنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَصِّ ﴿١﴾ كَتَبْنَا أَنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ
حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ اتَّبِعُوا
مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ
قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا
بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾ فَا كَانَ دَعْوَاهُمْ

١٦٥ - ﴿ وهو الذي جعلكم خلافت الأرض ﴾
يخلف أهل العصر اللاحق أهل العصر السابق ، كلما مضى
قرن خلفه قرن في النظام واتساق إلى يوم يبعثون ﴿ ورفع
بعضكم فوق بعض درجات ﴾ في المؤهلات العلمية والعقلية
والجسمية ﴿ ليلبؤكم فيما آتاكم ﴾ من مواهب ، هل
تستعملونها في الاستغلال والإحتكار واختراع الأسلحة الجهنمية
وإثارة الثورات الطائفية ، وما إلى ذلك من الفساد في الأرض ،
أو في إنشاء المعامل والمصانع التي تنتج الغذاء والكساء والدواء ،
وكل ما ينفع الناس بجهة من الجهات ويسد حاجة من حاجاتهم
الضرورية أو الكمالية ﴿ أن ربك سريع العقاب ﴾ بمن
استغل وبغى ، وكفر وطفى ﴿ وإنه لغفور رحيم ﴾ بمن
أخلص وعمل صالحاً وكف أذاه عن عيال الله .

سُورَةُ الْاِخْرَافِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا اسْتَوَاتِ وَمَآثِنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ - ﴿ المص ﴾ مضى الكلام عن حروف الهجاء في
أول البقرة .
٢ - ﴿ كتاب ﴾ هذا كتاب ﴿ أنزل إليك ﴾
يا محمد ﴿ فلا يكن في صدرك حرج منه ﴾ ضيق من
تبليغه بما تلاقيه من قوى الشر والضلال ، فالله معك وفي عونك
﴿ لتنذر به ﴾ الناس كل الناس ، ويسمى هذا الإنذار
في عصرنا الراهن الثورة لقلب الأوضاع الفاسدة من الأساس
ومن هنا جاء الضيق والحرج من الغوغاء والبوغاء ﴿ وذكروا
للمؤمنين ﴾ أي تثبيت المؤمنين بالفعل ولن يريد الإيمان
بالحق .

٣ - ﴿ اتبعوا ﴾ أيها الناس ﴿ ما أنزل إليكم من ربكم ﴾ على قلب محمد ولسانه ، أمره تعالى أن يبلغ ،
وأمر العباد أن يتبعوه ويطيعوه ﴿ ولا تتبعوا من دونه أولياء ﴾ لأنه ليس دون الرسول والقرآن إلا الضلال .
٤ - ﴿ وكم من قرية أهلكناها ﴾ لأنها كذبت المرسلين ﴿ فجاءها بأسنا ﴾ عذابنا ﴿ بيانا ﴾ ليلاً
﴿ أو هم قائلون ﴾ مستريحون في الظهيرة .
٥ - ﴿ فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا ﴾ عند الأمان والاطمئنان يهتفون باسم الأصنام ، وعند الشدة والعذاب
يدعون الرحمن وينسون ما يشركون .

الإعراب :

﴿ ودرجات ﴾ مجرورة بإلى محذوفة . ﴿ كتاب ﴾ خبر لمبتدأ محذوف ، أي هذا كتاب . ﴿ ولتنذر ﴾ الفعل منصوب بأن مضمرة بعد اللام ،
والمصدر المنسبك متعلق بأنزل ، عطف عليه . ﴿ وأولياء ﴾ مفعول تتبعوا ، ومن دونه متعلق بمحذوف حالاً من أولياء .
﴿ وقليلاً ﴾ صفة لمفعول مطلق محذوف ، أي تذكرنا قليلاً ما تذكرون ، ﴿ وما ﴾ حرف زائد يؤكد معنى القلة ، وتذكرون أي تذكرون ،
حذفت إحدى التائين للتخفيف .

٦- ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ ﴾ ماذا قلتم المرسلين ؟ ﴿ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ماذا قال لكم الذين أرسلتم إليهم ؟ والمؤمن حقاً إذا تصور الوقوف بين يدي الله للسؤال وتقاش الحساب يهتر من الأعماق رعباً ، فكيف إذا جاء الجدة ؟ رحماك اللهم رحماك .

٧- ﴿ فَلَنَقْصُصَ عَلَيْهِمْ بَعْلَهُمْ ﴾ ما قالوه وفعلوه ، أحصاه الله ونسوه .

٨- ﴿ وَالْوِزْنَ بِوِزْنِ الْحَقِّ ﴾ لميزان الدنيا كفتان ، فإذا وضعت في إحدهما تراباً بمقدار كيلو ، مثلاً ، وفي الثانية تبرا بهذا الثقل تستوي الكفتان ، ولا شأن للنوع والأثر ، أما ميزان الآخرة فالثقل والشأن للكيف لا للكم ، وللنوع لا للمقدار ، وفي الحديث قليل العمل مع التقوى خير من كثير بلا تقوى ﴿ فَمَنْ قَلَّتْ مَوَازِينُهُ ﴾ وهم الذين ائتموا في جميع أعمالهم ومقاصدهم بالقرآن وتعاليمه ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ لأن الله لا يضيع أجر المحسنين ..

٩- ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴾ وهم الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ﴿ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ حيث أوردوها النار وبشئ الورد المورد ﴿ بَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلَمُونَ ﴾ أي يكذبون .

١٠- ﴿ وَلَقَدْ مَكَانَكُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ زود سبحانه الإنسان بكل الطاقات والمؤهلات للاكتشاف والاختراع والسيطرة على الطبيعة ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَاشٍ ﴾ لا يوجد جانب إطلاقاً من حياة الإنسان يفصل عن الأرض أو يخلو من برها وخيرها .

١١- ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾ أي خلق وصور أياها آدم حيث قال عز من قائل : ﴿ ثُمَّ قَلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ والسجود لآدم بأمر الله سجود وطاعة لله ، ولكن ابليس ﴿ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ تعصياً لأصله وحسداً لآدم .

١٢- ﴿ قَالَ ﴾ سبحانه لإبليس : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾ لا زائدة ﴿ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ وكل من يقول متعاضداً : أنا خير من فلان فهو من حزب الشيطان ، فرب وضع عند الناس هو عظيم ورفيع عند الله .

١٣- ﴿ قَالَ فَاهْبِطْ ... ﴾ طرد سبحانه إبليس من رحمته إلى لعنته جزاء على تكبره ومعصيته .

الإعراب :

﴿ ودعواهم ﴾ اسم كان ، والمصدر المنسبك من ان قالوا خيرها . ويعلم في موضع الحال أي عالمين . ﴿ والوزن ﴾ مبتدأ ، ويومئذ خبر ، ﴿ والحق ﴾ صفة للوزن . وبما كانوا ﴿ وما ﴾ مصدرية تسبك وما بعدها بمصدر مجرور بالباء متعلقا بخسروا ، أي خسروا أنفسهم بسبب ظلمهم . ﴿ ومعاش ﴾ مفعول جعلنا . وقليلاً ما تشكرون ﴿ قليلاً ﴾ صفة لمفعول مطلق محذوف ، أي شكراً قليلاً ، ﴿ وما ﴾ حرف لتأكيد القلة .

١٤- ﴿ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ ﴾ . أمهلني إلى يوم القيامة .

١٥- ﴿ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴾ في الخطبة الأولى من نهج البلاغة : أعطاه الله النظرة استحقاقاً للسُّخْطَةِ واستتماماً للبليّة وانجازاً للعدة .

١٦- ﴿ قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي ﴾ أرأيت إلى هذا المنطق المقلوب ؟ إن الله سبحانه أمر إبليس ، وترك له الخيار ، فاختار الغواية وآثرها على الهداية ، ولكن إبليس عاد وناقض نفسه بنفسه حيث قال : ﴿ لَا أَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ومعنى هذا أن إبليس هو الغواية والتضليل ، فكيف نسب الغواية هنا إلى نفسه بعد أن نقاها عنه ، ونسبها إلى الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً ؟ وهل قال سبحانه لا إبليس : اصرف عبادي عن طاعتي ، واحملهم على معصيتي ؟ على أن إبليس يتبرأ من أتباعه ، ويقول لهم فيما يقول غداً : « إني بريء منكم ... وما كان لي عليكم من سلطان ... فلا تلوُموني ولوموا أنفسكم » كما في الآية ٤٨ من الأنفال و ٢٢ من إبراهيم ، وهذه الصورة التي رسمها القرآن لإبليس تطبق على العديد من شياطين الإنس .

١٧- ﴿ لَمْ لَأَتِيَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ... ﴾ كناية عن وسوسة الشيطان وإغوائه بحيث لا يدع معصية إلا أغرى ضعاف العقول والإيمان بها ، ولا طاعة إلا لبطلهم عنها .

١٨- ﴿ قَالَ ﴾ سبحانه لا إبليس : ﴿ أَخْرِجْ مِنْهَا مَلُؤُماً ﴾ بالهزة من ذأمة إذا عابه وذمه ﴿ مَدْحُوراً ﴾ مطروداً ﴿ لَمَنْ ﴾ اللام للابتداء ، والكلام مستأنف ﴿ تَبَعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ ﴾ اللام جواب لقسم محذوف أي أقسم لأملأن ﴿ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ خلقتُ النار لك ولحزبك .

١٩- ﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ ... ﴾ تقدم في الآية ٣٥ من البقرة .

٢٠- ﴿ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ مَا وَرَى عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِحِهِمَا ﴾ ليظهر ما ستر من عورتيهما ﴿ وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ في الجنة .

٢١- ﴿ وَقَامَسَهُمَا ﴾ حلف لهما ﴿ أَنِّي لَكُمَا مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ عكس اللعين الآية رأساً على عقب وجعل السلب إيجاباً ، والإيجاب سلباً حيث أقسم أن عاقبة الأكل من الشجرة الخلود في الجنة ، وهو على علم اليقين بأن الأكل سبب الطرد منها ، وهذا هو المراد بوسوسة الشيطان وحزبه الذين يرفعون شعارات الخير وهم أعدى أعدائه ! وينادون بالحرية ويبطشون بالأحرار ، ويتبجحون بالعدالة ويقتلون غيلة وغدرًا ، ويتباكون على الإلفة والوحدة وهم الذين شهروا عليها السيوف ومزقوا الصفوف .

٢٢- ﴿ فَلَدَاهُمَا بِغُرُورٍ ﴾ أنزل إبليس آدم وحواه إلى الأكل من الشجرة بما غرهما من القسم بالله ﴿ فَلَمَّا ذَلَا

مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿ ١٦ ﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ ﴿ ١٥ ﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿ ١٤ ﴾ قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لَا أَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿ ١٣ ﴾ ثُمَّ لَا تَنْبَهُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا يَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿ ١٢ ﴾ قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْمُوراً وَمَدْحُوراً ﴿ ١١ ﴾ لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿ ١٠ ﴾ وَيَتَذَكَّرُ لَكُمْ إِنْ تَوَلَّوْا أَنَّكُمْ كَانُوا لِلْحَيَاةِ الدُّنْيَا طَائِفَةً ﴿ ٩ ﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزَاذُ اللَّهِ مَنْ جُنُودِهِ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِحِهِمَا وَأَعْلَانِ لَهُمَا قُلُوبَهُمَا ﴿ ٨ ﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمَا بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ لَبُوءَا بِي بِمَا صَدَّقْتُ فَقَالُوا لَبُوءَا بِي عَلَى أَنْ لَا نَبْتَغِي الْجَنَّةَ إِلَّا أَنْ نَكُونَ مِنَ الْمُنَزَّلِينَ ﴿ ٧ ﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمَا بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ لَبُوءَا بِي عَلَى أَنْ لَا تَبْغِيَا الْخُلُودَ فَقَالُوا لَبُوءَا بِي عَلَى أَنْ لَا نَبْتَغِي الْجَنَّةَ إِلَّا أَنْ نَكُونَ مِنَ الْمُنَزَّلِينَ ﴿ ٦ ﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمَا بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ لَبُوءَا بِي عَلَى أَنْ لَا تَبْغِيَا الْخُلُودَ فَقَالُوا لَبُوءَا بِي عَلَى أَنْ لَا نَبْتَغِي الْجَنَّةَ إِلَّا أَنْ نَكُونَ مِنَ الْمُنَزَّلِينَ ﴿ ٥ ﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمَا بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ لَبُوءَا بِي عَلَى أَنْ لَا تَبْغِيَا الْخُلُودَ فَقَالُوا لَبُوءَا بِي عَلَى أَنْ لَا نَبْتَغِي الْجَنَّةَ إِلَّا أَنْ نَكُونَ مِنَ الْمُنَزَّلِينَ ﴿ ٤ ﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمَا بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ لَبُوءَا بِي عَلَى أَنْ لَا تَبْغِيَا الْخُلُودَ فَقَالُوا لَبُوءَا بِي عَلَى أَنْ لَا نَبْتَغِي الْجَنَّةَ إِلَّا أَنْ نَكُونَ مِنَ الْمُنَزَّلِينَ ﴿ ٣ ﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمَا بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ لَبُوءَا بِي عَلَى أَنْ لَا تَبْغِيَا الْخُلُودَ فَقَالُوا لَبُوءَا بِي عَلَى أَنْ لَا نَبْتَغِي الْجَنَّةَ إِلَّا أَنْ نَكُونَ مِنَ الْمُنَزَّلِينَ ﴿ ٢ ﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمَا بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ لَبُوءَا بِي عَلَى أَنْ لَا تَبْغِيَا الْخُلُودَ فَقَالُوا لَبُوءَا بِي عَلَى أَنْ لَا نَبْتَغِي الْجَنَّةَ إِلَّا أَنْ نَكُونَ مِنَ الْمُنَزَّلِينَ ﴿ ١ ﴾

الشجرة بليت لهما سوءاتهما ﴿ ظهرت لكل واحد منهما عورته وعورة صاحبه ﴿ وطفقا ﴿ شرعا ﴿ يخصفان ﴿ بضمان ﴿ عليهما من ورق الجنة ﴿ ليسترا بهذا الورق ﴿ وناداهما ربهما ﴿ لاتنمأ: ماذا فعلتما بأنفسكما ؟ ﴿ ألم أنهيكما عن تلكما الشجرة ﴿ نى سبحانه آدم وأنذره وحذره من الشيطان ، وآدم يؤمن بالله عن حبس وتجربة ، فقد أوجده من طين لا من أب وأم ، ورأى الملائكة يسجدون له ، وأسكنه الجنة ، وكلّمه ، ولا دليل فوق ذلك ، وكل هذا وغير هذا يبعث آدم إلى الكف عن الشجرة ، فكيف أكل منها ؟ والذي يبدو لنا ، والله أعلم ، أن براءة آدم وصفاه يشبه إلى حد بعيد صفاء الطفل ، وإن كان رجلاً لأنه لم يمر بعد بأية تجربة ، وقد ظن قياساً على نفسه أن ما من أحد يجزأ على الحلف بالله كاذباً ، ومن هنا أخذ ، ولذا ندم وطلب الصفح بمجرد التنبيه . ٢٣ - ﴿ قالوا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴿ هذي هي بالذات الكلمات التي أشار إليها سبحانه في الآية ٣٧ من البقرة : « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه أنه هو التواب الرحيم » .

٢٤ - ﴿ قال اهبطوا ﴿ الخطاب لآدم وحواء وإبليس ﴿ بعضكم لبعض علوا ﴿ إبليس يعادي آدم حسداً له ، ويعادي بينه وذريته انتقاماً منه ، أما بنو آدم فأكثرهم من حربه حيث يجدون عنده اللذة والمتعة ... قال سبحانه : « أكثر الناس لا يؤمنون ... لا يشكرون ... فأبى أكثر الناس الا كفوراً » . والأحقق المغرور هو الذي يقطع ويجزم أنه من الصفوة القليلة ﴿ ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴿ تماماً كضيوف مؤقتين ، وعلينا أن نكون مؤدبين لا نتجاوز الناس ، كل الناس ، من أولياء وأشباه وصعاليك وأمراء ولدوا من هذه الأرض ، وإليها يعودون ، وما لأحد منهم كائنات من كان إلا خمسة أشبار أو ستة من الأرض بعد موته في عرض شبرين ونصف أو ثلاثة ، وكل هذا يهون إذا قيس بالنشر والحشر ، والويل كل الويل عندئذ للمعجمين من عذاب أليم .

٢٦ - ﴿ يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً ﴿ خلقناه لكم أو أنزلنا السبب الموجب للباس وغير اللباس وهو المطر ﴿ يوازي سوءاتكم ﴿ يسد الحاجة الضرورية ﴿ ووريشا ﴿ للزينة والحاجة الكمالية ، وهو مستعار من ريش الطائر ﴿ ولباس التقوى ذلك خير ﴿ من كل شيء ، لأن التقوى تقي من عذاب النار وغضب الجبار ، وسلام على من قال : ما خير بخير بعده الناز ، وما شر بشر بعده الجنة .

٢٧ - ﴿ يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ... ﴿ قال واعظ من الأولين : إن ذنباً واحداً أخرج آدم من الجنة بعد أن دخلها آمناً ، فكيف يدخلها أبناءه ، وقد تراكمت عليهم الذنوب ؟ ﴿ إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ﴿ كل من يكيد للناس في الخفاء ، ويظهر غير ما يوسم فهو شيطان رجيم ﴿ إنا جعلنا الشياطين

الشجرة بليت لهما سوءاتهما ﴿ وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ﴿ وناداهما ربهما ألم أنهيكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين ﴿ قالوا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴿ قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ﴿ ولكم في الأرض مستقر ومتنع إلى حين ﴿ قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون ﴿ يابني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءتكم وريشاً ولباساً اتقوا ذلك خير ﴿ ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون ﴿ يابني آدم لا يفتننك الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءتهما ﴿ إنهم يرنكز هو وقبيله من حيث لا ترونهم ﴿ إنا جعلنا الشياطين

أولياء للدين لا يؤمنون ﴿٢٨﴾ وإذا فعلوا فحشاً قالوا أولياءه الذين يستجيبون له عن رضا وطيب نفس تماماً كالموس إذا دعاها الفاجر العاهر إلى الفاحشة .

٢٨ - ﴿ وإذا فعلوا ﴾ الضمير لحزب الشيطان وأوليائه ﴿ فاحشة ﴾ رذيلة ﴿ قالوا ﴾ وجدنا عليها آباءنا ﴿ وفي العصر الراهن نقول فئة من المسلمين : كل جديد زندقة وهرطقة حتى ولو كان علماً نافعاً ، وهنا يكمن سر التأخر والتقهقر ﴿ والله أمرنا بها ﴾ وهذا عين الافتراء عليه تعالى ﴿ أنقولون ﴾ على الله ما لا تعلمون ﴿ ولكن بعض المنتمين إلى الإسلام يعلمون أن كتاب الله يحرم التقليد ، ويحث على العلم النافع ومع ذلك ينحرفون عن طريقه ، ولو شاءوا لا سقموا عليه ، ولكنهم لا يشاءون ولا يستمعون لأية حجة وبينة .

٢٩ - ﴿ قل أمر ربي بالقسط ﴾ وبكل جديد مفيد ﴿ وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد ﴾ أي أبيع لكم أن تصلوا وتعبداؤا لله في أي مسجد شئتم ، وقيل : المراد بكلمة مسجد هنا مكان السجود تماماً كقول الرسول الأعظم : « جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً » ﴿ وادعوه مخلصين له الدين ﴾ والابحلاص في الدين أن تعمل بموجبه ، ولا تتخذ منه وسيلة إلى منافع شخصية . وفي أصول الكافي : « أوحى الله إلى داود لا تجعل بيني وبينك علماً مفتوراً يصدك عن طريق محبي ، فإن أولئك قطاع طريق » .

٣٠ - ﴿ فريقاً هدى ﴾ وهم الذين رغبوا في الهداية « والذين اهتدوا زادهم هدى - ١٧ محمد » ﴿ وفريقاً حق عليهم الضلالة ﴾ وهم الذين زاغوا عن الهدى إلى الضلال :

« فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم - ه الصف » .
أنهم مهتدون ﴿ جهلوا بجهلهم ، فاتفصلوا عن واقعهم ، وعاشوا في دنيا الأخيلة والأحلام ، وأبغضوا بأنه لا دين إلا دينهم ولا إيمان إلا إيمانهم ، وهنا يكمن الداء العيا ، وبه حنوا على أنفسهم وجمتمعهم .

٣١ - ﴿ يا بني آدم خلوا زينتكم عند كل مسجد ﴾ البسوا أنواباً طاهرة نظيفة عند كل عبادة « وتياك فطهر - ٤ المذثر » ﴿ وكلوا واشربوا ﴾ ما تشتهون وتستلذون إلا ما ورد النهي عنه ﴿ ولا تسرفوا ﴾ في طعام أو شراب أوليائكم .
٣٢ - ﴿ قل من حرم زينة الله ﴾ من مسكن وملبس ومركب وأثاث ﴿ التي أخرج لعباده ﴾ كيف تكون حراماً ، وقد خلقها سبحانه لعباده وعياله ؟ ﴿ والطيبات من الرزق ﴾ طعاماً وشراباً وكواعب أنزلاً ... ومن هنا قال الفقهاء : كل شيء مباح حتى يرد فيه نهي ﴿ قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ﴾ الطيبات واللذات في الدنيا للمؤمن والكافر والبر والفاجر ، وهي في الآخرة للمؤمنين الأبرار ، أما المحرمون الأشرار فهم في سبوم وحبيم وظل من يحوم .

الإعراب :

﴿ وأقيموا ﴾ معطوف على معنى الأمر بالقسط ، أي اقتسطوا وقيموا . ﴿ ومخلصين ﴾ حال من واو ادعوه . والذين مفعول لمخلصين . ﴿ كما بدأكم ﴾ الكاف بمعنى مثل صفة لمحذوف ، أي تعودون عوداً مثل بدأكم . ﴿ فريقاً هدى وفريقاً حق ، الفريق الأول مفعول هدى ،

أُولِيَاءَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٨﴾ وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحِشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٣٠﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أُولِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ * يٰٓبَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣٢﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ۖ وَالطَّيِّبَاتُ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ

يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا
وَمَا بَطَّنَ إِلَّا أَنَا وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ
يُنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾
وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً
وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٥﴾ يَبْنِيْ عَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكَ رُسُلٌ مِنْكَ
يَقْضُونَ عَلَيْكَ آيَاتِي فَمِنْ أَتَقْنِ وَأَصْلَحْ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا
عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٧﴾ فَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ
أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ
رُسُلُنَا يَتَوَقَّعُهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا

٣٣- ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الفواحش ما ظهر منها وما بطن ﴾ تقدم في الآية ١٥١ من الانعام ﴿ والاثم ﴾ وهو كل ما يعصى الله به من القول أو الفعل ﴿ والبغي بغير الحق ﴾ الظلم ، وفي نهج البلاغة : ينس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد .

٣٤- ﴿ ولكل أمة أجل ... ﴾ تهديد ووعد للسفاحين والمجرمين بأن لهم يوماً يحاصرون فيه من كل الجهات ، ويؤخذون بما كانوا يجرمون .

٣٥- ٣٦- ﴿ يا بني آدم إِمَّا ﴾ مركبة من كلمتين : إن الشرطية وما زائدة مؤكدة ، ولدخولها على إن دخلت النون الضمة على ﴿ يأتينكم رسل منكم ﴾ يقصون عليكم آياتي ﴿ مبشرين ومنذرين .

﴿ فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ﴾ البريء لا يخاف العدالة ، والذي يخافها ويمتثل لها رعباً وهيبه هو المريب

٣٧- ﴿ فمن أظلم ... ﴾ تقدم في الآية ٢١ من الانعام ﴿ أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب ﴾ والمراد هنا المكتوب ، والمعنى أن أعمال المجرمين كلها مكتوبة ، وأيضاً تصلهم أرزاقهم المقدرة بالكامل ﴿ حتى إذا جاءتهم رسلنا ﴾ وهم ملائكة الموت ﴿ يتوفونهم قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ أي أن الآلهة التي كنتم تعبدونها ؟

﴿ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا ﴾ لا نحن نعرف أين هم ؟ ولا هم يأتون لخلاصنا من العذاب ﴿ وشهدوا على أنفسهم أنهم

كانوا كافرين ﴾ الاعتراف بالذنب يجدي من غير شك إذا كان عن نية خالصة وتوبة صادقة ، أما التوبة عند الاحتضار وتنفيذ العقوبة فإنها تماماً كمن يشد النجاة بعد أن شرب

السّم القاتل

الإعراب :

﴿ وما ظهر وما بطن ﴾ بدل من الفواحش. ﴿ وما ﴾ خبر ، أي أين الآلهة التي كنتم تعبدون . وكلما منصوبة على الظرفية ، واكتسبت هذه الظرفية من ﴿ ما ﴾ التي هي بمعنى وقت . وجميعاً حال من واو ادراكوا . وضعفاً صفة لعذاب بمعنى مضاعف ، ومن النار متعلق بمحذوف صفة ثانية . ﴿ ولكل ﴾ متعلق بمحذوف خبراً لمبتدأ محذوف ، ووضعت صفة للمبتدأ المحذوف ، والتقدير لكل من الأخرى والأولى عذاب ضعف .

٣٨- ﴿ قَالَ ﴾ أي يقول سبحانه للمجرمين بعد أن يشهدوا على أنفسهم : ﴿ ادخلوا في أمم ﴾ مجرمة مثلكم ﴿ قد خلت من قبلكم ﴾ وفعلت فعلكم ﴿ من الجن والإنس ﴾ في النار ﴿ التي كنتم بها تكذبون ﴾ كلما دخلت أمة لعنت أختها ﴿ وهكذا اللصوص والقراصنة يتعاطفون ، وهم في الطريق إلى السلب والنهب حتى إذا افتضحوا وأخذوا للعقاب تلاحقوا ، وألقى كل التبعة والمسؤولية على صاحبه ﴾ حتى إذا أذكركوا فيها جميعاً ﴿ أي تلاحقوا واجتمعوا في جهنم ، وأدرك بعضهم بعضاً ﴾ قالت أخراهم لا ولاهم ﴿

المراد بأولاهم الرؤساء والقادة ، وبأخراهم الاتباع والسواد ﴿ ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً مضاعفاً من النار ﴾ طلب من الله التابعون أن يضاعف سوء العذاب للرؤساء لأنهم أصل البلاء ﴿ قال ﴾ سبحانه ﴿ لكل ضعف ﴾ أي لكل من رؤساء الضلال واتباعهم عذاب عظيم ﴿ ولكن لا تعلمون ﴾ لا يعلم كل فريق مقدار ما يقاسيه الآخر من العذاب وشدته .

٣٩- ﴿ وقالت أولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل ﴾ في الإيمان والعمل الصالح الذي يوجب أن يكون عذابنا أشد من عذابكم ، بل نحن وأنتم سواء في الكفر والفضلال ﴿ فقولوا العذاب بما كنتم تكسبون ﴾ بأيديكم أنتم ، ولا تلوموا إلا أنفسكم .

٤٠- ﴿ إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها ﴾ المراد بآياتنا تعالى الدلائل على وجوده ونبوة أنبيائه ﴿ لا تفتح لهم أبواب السماء ﴾ أي لا يقبل الله أعمالهم ما داموا به

كافرين ، ويأتي قوله تعالى : «والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم - ١٤٧ من هذه السورة» ﴿ ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ﴾ أي في ثقب الإبرة ، والمعنى أن المشرك أو الملاح لا يدخل الجنة أبداً ، وليس معنى هذا أنه يدخل النار حتماً وحزماً حيث لا ترابط بين الأمرين ، فقد يعمل أحدهما للخير والصالح العام ويكف أذاه عن الناس ، ويغيث الملهوف ، ويناصر العدل ، فيكون للظالم حصصاً ، وللمظلوم عوناً ، أو يخترع الكهرباء ، أو يكتشف الدواء للأدواء المستعصية ، وما إلى ذلك لوجه الإنسانية مما ينجمه من النار ولا يدخله الجنة . وفي مجمع البيان عن الإمام الصادق (ع) أنه قال : إن آية «هل جزاء الإحسان إلا الإحسان» جرت في الكافر والمؤمن والبر والفاجر .

٤١- ﴿ لهم من جهنم مهاد ﴾ فراش ﴿ ومن فوقهم غواش ﴾ أغطية ، والمعنى لهم من النار لحاف وفراش ووشار .

٤٢- ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ الذين مبتدأ ﴿ لا نكلف نفساً إلا وسعها ﴾ جملة معترضة بين المبتدأ والخبر للإشارة إلى أن طريق الجنة سالكة لمن أراد ﴿ أولئك ﴾ مبتدأ ثان ﴿ أصحاب الجنة ﴾ خبر المبتدأ الثاني ، والجملة خبر الأول .

كَافِرِينَ ﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرِنْتُمْ بِلَهْمِ رَبِّنَا هُنَا لَآءُ أَصْلُونَا فَعَلَيْنَاهُمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿ وَقَالَتْ أُولَئِهِمْ لِأَخْرِنْتُمْ مِمَّا كَانُوا عَلَيْكُمْ فَفُتِحُوا الْعَذَابُ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا يَتَخَفَتُهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يُلَاحَظَ فِي سَمِّ الْحَبِاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٌ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ

هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٣﴾ وَزَعَنَّا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ
تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا
لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ
رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تَتْلُوا الْجَنَّةَ أَوْ رِثْمُوهَا إِنَّمَا
كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ
أَنْ قَدْ جَعَلْنَا مَآوِعَ دَنَا رَبَّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ
رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذِنَ مَوْذِنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ
اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
وَيَبْغُونَ عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٦﴾ وَبَيْنَهُمَا
حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ
وَنَادَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا
وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٧﴾ * وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ

٤٣- ﴿﴾ ونزعنا ما في صدورهم من غل ﴿﴾ وألف
تف وأف على الحقد والبغضاء ، والحسد والعداء ﴿﴾ وقالوا
الحمد لله الذي هدانا ﴿﴾ وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ﴿﴾
عن غضبه ونيرانه ﴿﴾ لقد جاءت رسل ربنا بالحق ﴿﴾ أخبرهم
الرسول بالجنة فأمنوا بالغيب ، ولما شاهدوها عيانا فرحوا ،
وأصبح الغيب مشهوداً ﴿﴾ ونودوا أن ﴿﴾ بمعنى أي ﴿﴾ تلکم
الجنة أورتهموها ﴿﴾ هي حق لكم ﴿﴾ بما كنتم تعملون ﴿﴾
فنعلم أجر العاملين .

٤٤- ﴿﴾ ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ... ﴿﴾
إن أصحاب الجنة على علم اليقين بأن أصحاب النار قد وجدوا
صدق الوعد والتهديد ، ولكن السؤال للمجرد الشكر على ما
أنعم الله عليهم ، وتذكير من كان يسخر منهم في الحياة
الدنيا «فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون - هـ
الأنعام» ﴿﴾ فأذن مؤذن ﴿﴾ أعلن ملعن ﴿﴾ بينهم أن لعنة
الله ﴿﴾ عذابه ﴿﴾ على الظالمين ﴿﴾ وفي نهج البلاغة :
يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم .

٤٥- ﴿﴾ الذين يصلون عن سبيل الله ﴿﴾ عن الحق ،
وقد يكون الصد بقوة السلاح ، وبالكتمان والإخفاء ،
وبالتضليل والدعابات الكاذبة في الصحف وغيرها من وسائل
الإعلام ﴿﴾ ويغونها ﴿﴾ الماء تعود إلى السبيل ﴿﴾ عوجاً ﴿﴾
كذباً وتفاقاً وغشاً وخداعاً .

٤٦- ﴿﴾ وبينهما ﴿﴾ أي بين الجنة والنار أو أهلها
﴿﴾ حجاب ﴿﴾ وهو الأعراف الذي أشار إليه سبحانه بقوله :

﴿﴾ وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ﴿﴾ أهل الأعراف يعرفون كلا من أهل الجنة وأهل النار بعلامات
تدل عليهم .
سلام عليكم ﴿﴾ وهيناً لكم بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴿﴾ لم يدخلوها وهم يطمعون ﴿﴾ في دخول الجنة ، لأنهم
كانوا يؤمنون بالله ومغفrote .

٤٧- ﴿﴾ وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار

الإعراب :

وتسبك ان وهدانا بمصدر مرفوع بالابتداء ، والخبر محذوف ، أي لولا هداية الله حاصلة لنا . ﴿﴾ وإن تلکم ﴿﴾ إن ﴿﴾ مفسرة بمعنى أي ،
وتلکم مبتداً ، ﴿﴾ والجنة ﴿﴾ عطف بيان ، وحلة ﴿﴾ أورتهموها ﴿﴾ خبر المبتدا . ان قد وجدنا ﴿﴾ إن ﴿﴾ مفسرة بمعنى أي ، ومثلها ان لعنة الله .
﴿﴾ وحققاً ﴿﴾ حال من ﴿﴾ وما وعدنا ﴿﴾ ويجوز أن تكون مفعولاً ثانياً لوجدنا ان على تضمن معنى علمنا . ﴿﴾ وعوجاً ﴿﴾ حال من واو يغونها أي
يغونها معوجين أو ضالين ، وقال الطبرسي في مجمع البيان : ان عوجاً مفعول به على معنى ييغون لها العوج . ﴿﴾ تلقاء ﴿﴾ منصوب على
الظرفية ، والعامل فيه صُرِفَتْ .

قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ﴿٤٧﴾ أو النار وأهلها ...
ويا هول ما رأوا ، فاستعاذوا بالله واسترحموا ... اللهم يا غني
الأغنياء أجرنا من عذابك برحمتك وعفوك ، فإننا لا نطيق
عدلك ، ولا وسيلة لنا إلى ذلك إلا الولاء لنبيك وآله ، عليهم
أفضل صلواتك .

٤٨- ﴿ ونادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم
بسيماتهم ﴾ المراد بالرجال هنا الجبابرة الذين تسلطوا على
المستضعفين ظلاماً وعدواناً ﴿ قالوا ما أغنى عنكم جمعكم
وما كنتم تستكبرون ﴾ كنتم في الحياة الدنيا تنتقصون
من قدر الناس وكرامتهم ، وتعالون عليهم بما تملكون من
جاء ومال فكيف أنتم الآن ؟ وفي أية حال من الهوان ؟

٤٩- ﴿ أهؤلاء ﴾ إشارة إلى المؤمنين المستضعفين
﴿ الذين أقسمتم ﴾ أيها الجبابرة المتزفون وقلتم ﴿ لا ينالهم
الله ﴾ غداً ﴿ برحمة ﴾ في الدنيا قال الأغنياء للفقراء :
نحن السعداء في الدنيا والآخرة ، وأنتم البؤساء فيها ، وحين
جاء يوم الجزاء قبل هؤلاء : ﴿ ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ﴾
وقبل لأولئك : ادخلوا النار وبش القرار .

٥٠- ﴿ ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن
أفيضوا علينا من الماء ﴾ فقد أجحف بنا وأهلكنا العطش
﴿ أو مما رزقكم الله ﴾ من طعام ، يستجدون بعد أن كان
يستجدي منهم ، مع فارق كبير ، وهو أن فقر الدنيا إلى حين ،
ويمكن الصبر عليه ، أما فقر الآخرة فجسيم وإلى ما شاء الله .
وبالمناسبة جاء في الحديث الشريف : اتقوا النار ولو بشق تمرة ...
الصدقات كفارات ﴿ قالوا ان الله حرمهما على الكافرين ﴾

بالله والانسانية وفيهما ، ولا يؤمنون إلا بأنفسهم وذويهم ومنافعهم .

٥١- ﴿ الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا ﴾ وتشمل هذه الآية لمكان كلمة « دينهم » المشرك
والموحد الذي يؤول الدين تبعاً لأهوائه وأهدافه الشخصية سواء أفعّل ذلك عن قصد وعمد أم عن جهل بأنه يقول ويفعل
بوحى من عاطفته ، وهو يظن بأنه من وحي الدين والإيمان حيث لا عذر إطلاقاً لمن يعتد برأيه كوحى من السماء ﴿ فاليوم
نساهم ﴾ نهملهم ﴿ كما نسوا لقاء يومهم هذا ﴾ أهملوه ، ولم يعملوا له ، وفي الأشعار : « وكما تراني يا جميل أراك »
ناسياً أو ذاكراً .

٥٢- ﴿ ولقد جئناهم بكتاب ﴿ بالقرآن ﴾ فصلناه على علم هدى ورحمة ﴾ يهدي إلى الرشاد ، وبين ما يحتاج
إليه الناس في معاشهم ومعادهم ضامناً لمن عمل به الهداية في الدنيا والرحمة في الآخرة .

٥٣- ﴿ هل ينظرون إلا تأويله ﴾ ينتظرون أيها المجاهدون فسوف يظهر للعيان أن كل ما نطق به القرآن من
ثواب المثقين وعقاب المجرمين - هو حق وصدق . ﴿ يوم يأتي تأويله ﴾ بوقوع ما أخبر القرآن عنه حيث
يرى كل إنسان جزاء عمله ﴿ يقول الذين نسوه من قبل قد

أَصْحَابُ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾
وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رَجُلًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِمَتِهِمْ
قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾
أَهْتَدُوا الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنْالُكُمْ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ
لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ
النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا
رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾
الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمْ الْخَيَاطَةُ الدُّنْيَا
فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا
بِعَاقِلِينَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ
عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ
إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسَوْهُ مِنْ

جاءت رسل ربنا بالحق ﴿٥٤﴾ أبداً لا جدوى من هذا الإعراف، فذوقوا ما كنتم به تكذبون ﴿٥٥﴾ فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا ﴿٥٦﴾ عند الله في غفران خطايانا ﴿٥٧﴾ أو نرد ففعل غير الذي كنا نعمل ﴿٥٨﴾ ولو استجاب سبحانه لدعوتهم هذه لبطلت الملائكة ، واستوى مصير الطيب والخبيث والمحسن والمسيء ﴿٥٩﴾ قد خسروا أنفسهم ﴿٦٠﴾ بهلاك دينهم وضربهم .

٥٤ - ﴿٥٤﴾ ان ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ﴿٥٥﴾ هذه الأيام كناية عن الدفعات أو الأطوار حيث لا زمان ولا أيام قبل الكون ، هذا إلى أن إنشاء شيء على الترتيب أدل على أن الفاعل عليم حكيم ، وعلى أية حال فإن القرآن الكريم ينطق بصراحة في أكثر من آية - أن وجود الكون لم يتم دفعة - وهذا ما يتفق تماماً مع ما يذهب إليه العلم الحديث . ويستحيل أن يعلم ذلك محمد (ص) لو لم يكن نبياً يتلقى الوحي من خالق الكون .

﴿٥٦﴾ ثم استوى على العرش ﴿٥٧﴾ ليس الله تعالى جسماً كي يجلس على العرش المحسوس والا افتقر إلى حيز وهو الغني عن جميع ما خلق ، وعليه يجب تأويل الظاهر بما يميزه العقل وقوانين اللغة إن أمكن وإلا وجب التفويض إلى علم الله ، والتأويل هنا ممكن لغة وعقلاً ، وهو عند أكثر العلماء أن معنى استوى : استولى ومعنى العرش : الملك والتدبير « ليس كمنه شيء وهو السميع البصير - ١١ الشورى ﴾ ﴿٥٨﴾ يغشى الليل النهار ﴿٥٩﴾ كل منهما يأتي عقب الآخر ﴿٦٠﴾ يطلبه حيناً ﴿٦١﴾ سريعاً بحيث يأتي في أثره بلا فاصل ، بل يلج كل في صاحبه كما قال سبحانه : « يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل »

الليل ﴿٦٢﴾ والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ﴿٦٣﴾ بل والأرض وكل شيء من أشياء الكون من صغيره إلى كبريه والأرض وكل شيء من أشياء الكون من صغيره إلى كبريه والنواميس الثابتة الراسخة في الكون التي أودعها سبحانه فيه بعلمه ، وقدرها تقديراً بحكمته .

عليه ، وله ﴿٦٤﴾ والأمر ﴿٦٥﴾ كله ، يحكم ما يشاء ، ويفعل ما يريد ، ولا معقب لحكمه .

٥٥ - ﴿٥٥﴾ ادعوا ربكم تضرعاً وخفية ﴿٥٦﴾ ومعنى الدعاء : العبادة بإخلاص ، والتضرع : التواضع وعدم العجب والخفية : البعد عن التباهي والرياء ﴿٥٧﴾ إنه لا يجب المعتدين ﴿٥٨﴾ الذين يتجاوزون حدود أمره وبه .

٥٦ - ﴿٥٦﴾ ولا تفسدوا في الأرض ﴿٥٧﴾ كفوا الأذى عن عيال الله ، ولا يظلم بعضكم بعضاً ، ولا تعكروا صفو الحياة بالطمع والجشع ، وتعاونوا على الخير والصلاح العام ﴿٥٨﴾ بعد إصلاحها ﴿٥٩﴾ حيث سب سببها كل شيء في الأرض على ما يرام كي يتمتع الإنسان بخيراتها وبركاتها طيلة حياته ﴿٦٠﴾ وادعوه خوفاً وطمعاً ﴿٦١﴾ لا خوف مطلق ولا رجاء مطلق بل بين بين ، قال الإمام الصادق (ع) : في قلب المؤمن نوران نور خوف ، ونور رجاء ، لو وزن هذا لم يزد على هذا ﴿٦٢﴾ أن رحمة الله قريب من المحسنين ﴿٦٣﴾ الذين يتهمون أنفسهم ، ويتوقعون منها الخطأ ، ولا يصرون على أن ما ينطقون به هو الوحي المنزل .

٥٧ - ﴿٥٧﴾ وهو الذي يرسل الرياح ﴿٥٨﴾ تهب والشمس تبخر ماء البحار ، وترتفع الرياح بهذا البخار

قَبْلَ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حُنِيفَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۚ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۚ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٥﴾ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سَفَّاهُ لَيْلِدٍ مِّيتٍ فَأَنْزَلْنَاهُ

إلى العلو ، ثم تجذبه الأرض إليها ، فيساقط عليها قطرات متراكمة ، فتجيا بعد موتها ، وتنت من كل زوج بهيج ، كل ذلك يسير وفقاً لنفس السنن التي أودعها سبحانه في الطبيعة ، ويتعبير العارفين أن الطبيعة هي قرآن الله المكتوب بالنظام الكوني والقانون الطبيعي .

٥٨- ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ ﴾ المخصب ﴿ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ ﴾ ياخذزهره ﴿ زَاكِياً نَامِياً ﴾ والذي خبت ﴿ المجذب ﴾ لا يخرج إلا نكداً ﴿ عسراً وزراً ، والانسان ابن الأرض ، وبها يشبه ، وفي أبنائها التبليل الكريم ، تزه الأريحية ، فيندفع آلياً إلى كل خير ومكرمة ، وفيهم الخيسر الشحيح ، لا تحركه ألف آية ورواية ، ومعها ألف خطاب وقصيدة .

٥٩- ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ ﴾ في قاموس الكتاب المقدس : « نوح اسم سامي معناه راحة ، وهو ابن لامح منو شالح بن أخنوخ بن يارد بن مهليليك بن قينان ابن أنوش بن شيث ابن آدم سماه أبوه نوحاً قائلاً : هذا يعزينا عن عملنا وتعب أيدينا من قبل الأرض » .

﴿ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ هذا النداء هو الحد الدائم والمستقيم لرسالة جميع الأنبياء : لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

٦٠- ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ ﴾ وهم القادة والرؤساء وأصل البلاء والداء العياء : ﴿ انا لنراك في ضلال مبين ﴾ . ولقومهم هذا سبب لأن لكل شيء سبباً ، وليس من شرطه أن يكون حقاً في الواقع ، بل قد يكون باطلاً في الواقع وحقاً عند الجاهل أو المكابر ، والسبب الموجب لقومهم هذا عن نوح أنه جاءهم بشيء جديد ما سمعوا به هم ولا آبائهم من قبل ، فحرم ما أحلوا ، وأحل ما حرموا ، وفوق ذلك جعل الآفة إلهاً واحداً .

٦١- ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ ﴾ أرايت إلى هذا الأسلوب الحكيم العظيم ؟ قالوا له : أنت في ضلال مبين . فلم يقل لهم : بل أنتم الضالون . بل بلغ خطاهم وصفح وتساهل لأنه أراد أن يأخذهم باللين ، وأن يعلمهم التواضع بالفعل لا بالقول ، وأن لا يدع لهم أية وسيلة يتدعون بها ويقولون له احقرتنا ونحاطبتنا بشدة وقسوة . ولم تدعنا بالحكمة والموعظة الحسنة .

٦٢- ﴿ أُولَئِكَ مِثْلُ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ التي تهدف إلى هدي البشر وإسعاده ، وبث التعاون وروح الأخوة بين أفرادهم ﴿ وَأَنْصَحُ لَكُمْ ﴾ ومن هنا نفروا ، لأنهم لا يحبون الناصحين بنص الآية ٧٩ من هذه السورة ﴿ وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ من حرامه وحلاله وثوابه وعقابه .

٦٣- ﴿ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذَكَرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ ﴾ رفضوا الاذعان للحق لا لشيء إلا لأن الناطق به رجل مثلهم ، وهذا هو الحسد بالذات ، وقد أعلنوه بصراحة في قولهم : « وما نرى لكم علينا من فضل - ٢٧ - هود » . وجاء في الأشعار : « وقد بئاً كان في الناس الحسد » وقد مضى على عهد نوح آلاف السنين .

٦٤- ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَاتَّبَعُوهُ ﴾ فاض الماء ، وما بقي على الأرض إلا نوح والذين آمنوا به ، وبأبي المؤيد

الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ يَخْرُجُ
الْمَوْنُ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ
بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَتْ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ
نُصِرْتُ الْآيَاتِ لَقَوْمٍ يُسْكِرُونَ ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى
قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ
إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿ قَالَ الْمَلَأُ
مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَنَّكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿ قَالَ يَتَقَوْمِ
لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿
أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا
تَعْلَمُونَ ﴿ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى
رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿
فَكَذَّبُوهُ فَاتَّبَعُوهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ

من البيان والتفصيل .

٦٥- ﴿ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ في قاموس الكتاب المقدس : اسم هود عبري ، ومعناه المجد من بني أشير بن صوفح ، وفي بعض التفسير أن هوداً أول من تكلم بالعربية ، وأنه ابن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح ، والمهم الحديث عن الهدى والهداة لا عن الأنساب واللغات .

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ تماماً كما قال نوح من قبله .

٦٦ - ٦٩ ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ﴾ كما قال قوم نوح ﴿ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً ﴾ وهي في لغة القرآن وأهل لبنان السعة وفي لغة أهل العراق الضرب بكف مبسوطة ... وبالإجمال فإن الله سبحانه قد أنعم عليهم برغد العيش والحياة . ومنحهم الخيرات الوافرة : « ألم تركيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد - ٨ القمر » .

٧٠- ﴿ قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبَدَ اللَّهَ وَنُنْزِلَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾ أبداً لا منطق ولا قياس إلا التقليد والعاطفة وإذن كيف تترك الحقائق ، ويتم الإقناع ؟

٧١ - ٧٢- ﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رَجْسٌ ﴾

كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٥﴾ * وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٦﴾ قَالَ أَمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٧﴾ قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٨﴾ أِبْلِغْكُمْ رِسَالَتِي ربي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٩﴾ أَوْعِجْتُمْ أَن جَاءَ كُرْدٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبَدَ اللَّهَ وَنُنْزِلَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِبَيِّنَاتٍ إِن كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ

إشارة:

جاء في تفسير المنار نقلاً عن اسحق بن بشر وابن عساکر: وان هوداً أول من تكلم بالعربية، وكان له أربعة أولاد: قحطان ومقحط وقاحط وفالغ، وهو أبو مضر، وأما قحطان فأبو اليمن، ولا نسل لقاحط ومقحطه. وقال المفسرون: كان قوم هود من ذراري نوح، وكانوا على دينه، ولما طال عليهم الأمد لعب بهم الشيطان، فعبدوا الأصنام، وأفسدوا في الأرض..

الإعراب :

﴿وعمين﴾ صفة لقوم ، وأصله عمين .

عذاب حيث لا وسيلة سواه ﴿ وقطعنا دابر ﴾ آخر ﴿ الذين كذبوا بآياتنا ﴾ دمرناهم واستأصلناهم عن آخرهم .

٧٣- ﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحاً ... ﴾ ملكك عاد بذنوبها ، فأورث الله أرضهم وديارهم لثمود ، فعمروها

٧٤- ﴿ واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد ﴾ أورثكم ما كانوا يملكون من جنات وعيون ﴿ وبوأكم ﴾ أنزلكم ﴿ في الأرض تتخذون سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً ﴾ وانتصب بيوتاً على الحال كقولك : خطت الثوب قميصاً وفيه إيماء أن ثمود كانت في حضارة عمرانية ، وعيشة بلهنية .

﴿ فاذكروا آلاء الله ﴾ نعمه عليكم ﴿ ولا تعفوا ﴾ لا تسعوا ﴿ في الأرض مفسدين ﴾ وأعظم الفساد العدوان على العباد ، وكبت الحرية ، وإيقاظ الفتنة وإثارة الحرب ، وبث روح العداء والبغضاء

٧٥ - ٧٦- ﴿ قال المأ الذين استكبروا ... ﴾

أصر المترفون من قوم صالح على التمادي في الطغيان، والتعصب لمبادئ الأوثان، أما المستضعفون فمنهم من آمن، ومنهم من بقي على الشرك تبعاً للمترفين.

رَجَسَ وَغَضِبَ أَتُجَدِّلُونِي فِي أَسْمَاءَ سَمَّيْمُوهَا أَنْتُمْ
وَأَبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانظُرُوا إِلَىٰ مَعَكُمْ
مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٧٣﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ رِجْحَةً مِّنَّا
وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَالِيْنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٤﴾
وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ
مِنَ إِلَهِ غَيْرِهِ قَدْ جَاءَ تَكْمِ بِنْتٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ
نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا
تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ إِلِيمٍ ﴿٧٥﴾ وَاذْكُرُوا
إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ
تَتَخَذُونَ مِّنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا
فَازْكُرُوا ءَالَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٦﴾
قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَغْفِرُوا

اللغة :

البَيِّنَةُ العلامة الفاصلة بين الحق والباطل . وبوأكم أنزلكم . والمعني مجاوزة الحد . وعفروا الناقة نحروها . والعفو التمرد . والرجفة من الرجف ، وهو الحركة والاضطراب . والجثوم البروك على الركبة ، والمراد به هنا الهلاك .

الاعراب :

﴿ إلى ثمود ﴾ متعلق بمحذوف ، أي وأرسلنا إلى ثمود ، ومنع ثمود من الصرف للعلمية والثاني ، وهي القبيلة . ﴿ وصالحاً ﴾ بدل من أخاهم . ﴿ وآية ﴾ حال من ناقة الله . ﴿ وتأكل ﴾ مجزوم جواباً للأمر ، وهو فذرورها . ﴿ فياخذكم ﴾ جواب للنهي وهو ولا تمسوها ، والتأصب ليأخذكم ان مضمره بعد الفاء . ﴿ وقصوراً ﴾ مفعول أول لتتخذون ، ومن سهولها مفعول ثانٍ . وتنحتون بمعنى تتخذون ، وعليه تكون الجبال مفعولاً أولاً ، والبيوت مفعولاً ثانياً . ومفسدين حال من الواو في تعفوا . ﴿ ولين آمن ﴾ بدل بعض من للذين استضعفوا بإعادة العامل مثل مررت يزيد بأخيك . ﴿ وجاثمين ﴾ خبر فأصبحوا ، ﴿ وفي ديارهم ﴾ متعلق بجاثمين .

لا يكاد ينتهي القرآن الكريم من حديث المستكبرين والمترفين الذين هم أصل الهلاك والدمار بنص الآية ١٦ من الإسراء : « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفوها - باتباع الحق - ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً » وقال المكابرون المترفون ساخريين لمن آمن به من الفقراء : ﴿ اتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون ﴾ عن علم وبرهان ، فافعلوا ما بدا لكم ، فأخذت المترفين العزة بالإثم ، وأصروا على الطغيان والجبروت .

٧٧ - ﴿ ففعلوا الناقَةَ وعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ﴾ رغماً من تحذيرهم بالعذاب ﴿ وقالوا يا صالح اتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين ﴾ ولماذا سأله أن يعجل بعذابهم ؟ ويحمد الجواب عند سيد الأوصياء والحكماء علي بن أبي طالب (ع) حيث قال : « من كثر نزاعه بالجهل دام عماه عن الحق ، ومن زاغ سمعت عنده الحسنة ، وحسنت عنده السيئة . ، وسكر سكر الضلالة .

٧٨ - ﴿ فأخذتهم الرجفة ﴾ الصيحة أو الصاعقة ﴿ فأصبحوا في دارهم جالمين ﴾ جثثاً هامدة .

٧٩ - ﴿ فتولى ﴾ صالح ﴿ عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم ... ﴾ قال هذا والأسى ملاء نفسه ، ولكن أنفسهم كانوا يظلمون .

٨٠ - ٨١ - ﴿ ولوطاً إذ قال لقومه ﴾ أي وأرسلنا لوطاً أو أذكر لوطاً حين قال لقومه ﴿ أناتون الفاحشة ﴾ وهي اللواط ﴿ ما سبقكم بها ﴾ ما عملها أحد من قبلكم .

٨٢ - ﴿ وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم

من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون ﴾ . أجل ان الطهرو والعفاف كبير عند العاهر الفاجر ، والأمانة جريمة لا تغفر عند العميل الخائن ... أخرجوهم لأنهم يتطهرون ! قال الإمام علي (ع) لمعاوية : « أردت أن تدم ففدحت ، وان تفضع فافترضت » .

٨٣ - ﴿ فانجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغافرين ﴾ الذين غيروا في ديارهم أي بقوا فيها فهلكوا ، لأنها كانت

لِعَمَلٍ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ ۚ
قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا
إِنَّا بِاللَّهِ ءَامِنٌ بِهِ ۖ كَفَرُونَ ﴿٧٨﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا
عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحُ أَتَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ
مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٩﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ
جِثَمِينَ ﴿٨٠﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَ قَوْمٌ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ
رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَ ﴿٨١﴾
وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ۖ إِنَّا تُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا
مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٢﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً
مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨٣﴾ وَمَا كَانَ
جَوَابَ قَوْمِهِ ۚ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ
ۖ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ﴿٨٤﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ ۚ إِلَّا امْرَأَتَهُ ۖ

إشارة:

كانت امرأة لوط، منافقة تتأمر على زوجها مع المشركين، وقيل: ان اسمها واهنة . . وهكذا أصاب امرأة لوط من العذاب ما أصاب المشركين لأنها منهم .

تآمر على زوجها مع أعدائه المشركين . وفي قاموس الكتاب المقدس : « تحولت امرأة لوط إلى عمود ملح لأنها نظرت إلى الوراء متأسفة على الممتلكات التي خلفتها وراءها » .

٨٤- ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا ﴾ من حجارة حتى هلكوا كما في الآية ٨٢ من مود .

٨٥- ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ كان يقال له خطيب الأنبياء للينه ونعمة خطابه وأسلوبه وهو يدعو قومه إلى الحق والعدل ، ومن ذلك قوله : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ ﴾ دليلاً ظاهراً ﴿ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ ﴾ كانوا ينقصون فيها ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا ﴾ ولا تنقصوا ﴿ النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ إعطوا لكل ذي حق حقه ﴿ وَلَا تَغْسِلُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ تقدم في الآية ٥٦ من هذه السورة ﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ وحيث ما يكون الخير فثم شرع الله . « ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً ، وكل ما فيه منفعة عامة أو خاصة لا على حساب الآخرين فهو خير ..

٨٦- ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ ﴾ أي تنوعدون وتهدون ﴿ وَتَصِلُونَ ﴾ الناس ﴿ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ من آمن به ﴿ وَتُبْغُونَهَا ﴾ الماء للسبيل ﴿ عِوَجًا ﴾ بتشكيك الناس وإلقاء الشبهات ، كان قوم شعيب يقعدون على الطريق يردون الناس عن اتباعه والإيمان بنبوته ، ويهددونهم بالأذى والتشكيك .

اللغة :

الكيل تقدير الشيء بالكيل . والوزن تقديره بالميزان . والمساحة تقديره بالتر والذراع . والبخس النقص . والعوج بفتح العين يكون فيها يرى كالعمود والحاظ وبكسر العين يكون فيها لا يرى كالدين وما إليه .

الإعراب :

﴿إلى مدین﴾ متعلق بفعل محذوف أي وأرسلنا إلى مدین ، ﴿ومدين﴾ مجرور بالفتح للتعريف والتأنيث ، وشعيباً بدل من أخاهم . ﴿ولا تبخسوا﴾ يتعدى إلى مفعولين : الأول الناس ، والثاني أشياءهم . وجملة توعدون حال من واو لا تقعدوا . ﴿ومن آمن﴾ مفعول به تصدون . وضمير تبغونها يعود إلى سبيل الله .

كَانَتْ مِنَ الْغَيْرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرُوا
كَيْفَ كَانَ عَذَابُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ
شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُومُ عَبْدُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ
قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ
وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَغْسِلُوا فِي الْأَرْضِ
بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾
وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا
فَكَثَرَكُمُ وَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَذَابُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٨﴾
وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ أَمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ
وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ
خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٩﴾ * قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا

٨٨- ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ

يا شعيب ... ﴾ خَيْرَ الْجَابِرَةِ الطَّغَاةَ شُعَيْبًا بَيْنَ أَحَدِ أَمْرَيْنِ لَا ثَالِثَ لِهَـمَا : إِمَّا أَنْ يُخْرَجَ هُوَ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ مُشْرَدِينَ ، وَإِمَّا أَنْ يَبْعُدَ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى الْكَفْرِ وَالْجَاهِلِيَةِ الْجَهْلَاءِ .

﴿ قَالَ أُولُو كُنَا كَارِهِينَ ﴾ يا له من درس بليغ في أسلوب الدعوة والإرشاد : لماذا هذا الضغط والإرهاب ؟ وهل تقبلونه لأنفسكم ، وتتخلون عن حريبتكم في الرأي والتعبير .

٨٩- ﴿ قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ فيما كنا قد دعوناكم إليه من التوحيد ﴿ إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا ﴾ وأي عاقل يرتد عن الهدى إلى الضلال ؟ ﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ والله أجل وأعظم من أن يشاء الكفر والشرك ، وكيف وقد نبى عنه ، وتوعد عليه ؟ ويسمى هذا تعليق ما لا يكون على ما لا يكون ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ ﴾ احكم ﴿ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ ﴾ فقد يشنا من القوم الكافرين .

٩٠- ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا ... ﴾ قال الكافرون المترفون للمؤمنين المستضعفين : إنكم لم تحسبوا حساب الخسارة في اتباعكم شعيباً .

٩١- ﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ ... ﴾ تقدم بالحرف في ٧٨ من هذه السورة .

٩٢- ﴿ الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا . كَأَنْ لَمْ يَغْنُوا فِيهَا ﴾ أي كأنهم لم يقيموا في الأرض .

٩٣- ﴿ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ ... ﴾ تقدم في الآية ٧٩ من هذه السورة .

مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَئِكَ كَلِّهِمْ ﴿٨٨﴾ قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّيْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ أَتَيْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿٩١﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَأَنَّهُمْ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُومُ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِي رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَى

الإعراب :

﴿أو لو كنا كارهين ، الهمة للإنكار ، والواو للحال ، ولو بمعنى أن ، والجملة بمعنى الحال ، والتقدير كيف نمود في ملتكم ، ونحن كارهون له ؟﴾ «وربنا» بدل من الله ، والمصدر المنسبك من ﴿أن يشاء الله﴾ مجرور بإضافة ظرف محذوف ، أي إلا عند مشيئة الله ، أو مع مشيئة الله . ﴿وعلمنا﴾ تمييز محول عن فاعل ، أي وسع علم ربنا كل شيء . ﴿لئن﴾ تدل اللام على قسم محذوف ، وجلة ﴿أنكم إذا لخاسرون جواب للقسم ، وسادة مسد جواب الشرط ، وإذا ملغاة لاعتراضها بين اسم أن وخبرها . ﴿والذين كذبوا شعيباً﴾ الأولى مبتدأ ، وكان اسمها ضمير الشأن محذوف أي كانه ، وجلة كان واسمها وخبرها خبر المبتدأ ، والذين كذبوا شعيباً الثانية بدل من الأولى . وهم ضمير فصل بين اسم كان وخبرها ، ولا محل له من الإعراب .

٩٤- ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ ﴾ إلى قومه فكفروا به ﴿ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ ﴾ الفقر ﴿ وَالضَّرَاءِ ﴾ المرض وما أشبه ﴿ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴾ يتوبون .

٩٥- ﴿ ثُمَّ بَدَلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ ﴾ أي رفعنا عنهم البأساء والضراء ، ووضعنا مكانها الصحة والرخاء ﴿ حَتَّىٰ عَفَوْا ﴾ كثروا ونموا في أنفسهم وأموالهم ﴿ وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَاءُ وَالْبَأْسَاءُ ﴾ قال الذين كثروا مالا ورجالا لأنبياء الله ورسله : ما نحن فيه من نعمة ورخاء هو من صروف الدهر وتقلب الأحوال لا من الله ، وعلى هذا الأساس مر أسلافنا بخير وشر وخصب وجبد ﴿ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً ﴾ فجأة ليكونوا عبرة لمن بعدهم .

٩٦- ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا ﴾ وأحيوا شريعة العدل والمساواة بلا دكتاتورية عمال أو أصحاب أعمال ولا احتكار واستغلال ، ولا حرب ولا نهب ﴿ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ وعاشوا جميعاً حياة طيبة وادعة لا شقاء ولا أدواء .

﴿ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ أهلوا شريعة العدل والحياة ، وأخذوا بشريعة البغي والضلال ، فشريبوها من منهلها .

٩٧- ٩٩- ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ... ﴾ العاقل لا يأمن المخبات والمفاجآت بالغاً ما بلغ من القوة ، وفي التاريخ دروس وعبر ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ﴾ أي استدراجه تعالى بالنعمة والسلامة ، ثم الأخذ على حين غرة .

١٠٠- ﴿ أَوْ لِمَ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرْتُونَ الْأَرْضَ مِّن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَوْ نَشَاءُ أَصْبَانَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ ﴾ ألم يتبين للخلف الوارثين كيف فعلنا بالسلف الموروثين من الهلاك حين عصوا وتمردوا ؟ ولو شاء سبحانه لفعل بالآخرين ما فعل بالأولين ﴿ وَنَطِيعٌ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يسمعون ﴾ اختاروا لقلوبهم العمى والضلال ، فتركهم سبحانه وهذا الاختيار .

الإعراب :

﴿ يضرعون ﴾ أصلها يضرعون ، فادغمت التاء في الضاد . (وحق عفا أي الى أن عفا) . «وبغته» نعت لمصدر محذوف أي اخذة بغته ، ويجوز أن تكون بغته مصدراً في موضع الحال ، أي مباغتين . «أفامن» الهزئة للاستفهام على وجه التوبيخ والإنكار ، والفاء لطف الجملة على ما قبلها . «وبيانات» منصوب على الظرفية بآياتهم لأن المراد به الليل . والمصدر المنسبك من «أن يأتيهم» مفعول لامن ، أي امنوا إتيان بأسنا . ان لو نشاء «ان» مخففة من الثقيلة ، واسمها ضمير الشأن محذوف ، والجملة بعد لو خبرها ، والمصدر المنسبك فاعل يهد ، والتقدير أو لم يهد لهم هذا الشأن ، وهو أنا لو نشاء أصبناهم بذنوبهم .

١٠١- ﴿ تِلْكَ الْقُرَى نَقِصْ عَلَيْكَ ... ﴾ أخرناك

يا محمد عن قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب ، عسى أن يتعظ قومك وغيرهم ويعتبروا .

١٠٢- ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ ﴾ وهو

الإيمان بالحق والعمل بموجبه حتى الذين ينددون بمن يخون العهد يقولون ما لا يفعلون عن قصد .

١٠٣- ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى ﴾ كان سبحانه

يبعث الرسل إلى عباده الواحد تلو الآخر ، والحال هي الحال ، بلاغ من انذار الرسل ، وعناد وإنكار من المرسل إليهم ، ثم هلاك وتدمير ﴿ بآياتنا إلى فرعون ﴾ لقب للملك مصر كقبصر الملوك الروم ، وكسرى الملوك الفرس ، والنجاشي للملوك الحبشة ، وفي قاموس الكتاب المقدس أن فرعون كلمة مصرية معناها البيت الكبير ﴿ فظلموا بها ﴾ فكفروا بالآيات والمعجزات .

١٠٤- ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ ﴾ بلا جلالة

وفخامة : ﴿ إني رسول من رب العالمين ﴾ « وما بالقليل ذا القلب » .

١٠٥ - ١٠٨- ﴿ حَقِيقٌ عَلَى ﴾ واجب علي ﴿ أن

عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠١﴾ تِلْكَ الْقُرَى نَقِصْ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٤﴾ وَقَالَ مُوسَى يَفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٥﴾ حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٠٦﴾ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٧﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿١٠٨﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا

اللغة :

ظلموا بها أي جحدوا بها . وحقيق بمعنى جدير . والنزع اخراج الشيء من مكانه . والمراد بتأمرون هنا تسيرون . وأرجأ الشيء أخره وأجله . ومدائن ومدن جمع مدينة . وحاشرين أي أن الشرطة يجمعون السحرة ، ومحشرونهم ضد موسى (ع) .

الإعراب :

﴿ تِلْكَ ﴾ مبتدأ ، القرى عطف بيان ، وجملة نقص خير . ومن عهد ﴿ من ﴾ زائدة وعهد مفعول لوجدنا ، ﴿ ولاكثرهم ﴾ متعلق بحذوف حالاً من عهد . ﴿ وإن ﴾ مخففة من الثقيلة يجوز أن تكون ملغاة ، وإن تكون عاملة ، واسمها محذوف أي إنا وجدنا ، ﴿ وللفاسقين ﴾ مفعول ثانٍ لوجدنا ، ودخلت عليه اللام للفرق بين أن المخففة وإن النافية . ﴿ كيف ﴾ خبر مقدم لكان ، وعاقبة اسمه ، والجملة مفعول فانظر . ﴿ وحقيق ﴾ مبتدأ ، وعلي متعلق به ، والمصدر المنسبك من إلا أقول خبر المبتدأ ، أو فاعل حقيق ساد مسد الخبر ، والتقدير حقيق علي قول الحق على الله . ﴿ فإذا ﴾ للمفاجأة .

لا أقول إلا الحق ﴿ شَأْنُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَنْبِيَاءِ ﴾ قد جئتكم بينة من ربكم ﴿ دليلاً على نبوتي ﴾ فأرسل معي بني إسرائيل ﴿ وكان فرعون يستحدم بني إسرائيل كأرقاء . فطلب منه موسى أن يطلق سراجهم ﴾ فألقى عصاه فإذا هي ثعبان ﴿ ظاهرأ وواقعأ لاثموبأ وإيهامأ ﴾ ونزع يده فإذا هي بيضاء ﴿ وكان موسى شديد السرة ، فكيف صارت يده بيضاء من غير داء ؟

١٠٩ - ١١٠ - ﴿ قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم ﴾ وأستد سبجانه هذا القول بالذات إلى فرعون في الآية ٣٤ من الشعراء ، فما هو وجه الجمع ؟

الجواب : قال هذا فرعون وواقع عليه الملأ ، أو قاله الملأ وواقعهم فرعون أو قالوه جميعاً ، فلا مانعة جمع .

١١١ - ﴿ قالوا أرجه وأخاه ﴾ أخرهما حتى ترى رأيك فيهما ﴿ وأرسل في المدائن حاشرين ﴾ وهم الشرطة .

١١٢ - ﴿ يأتوك بكل ساحر عليم ﴾ وكانت أرض مصرتموج بالسحرة في عهد الفراعنة .

١١٣ - ١١٤ - ﴿ وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجراً ... ﴾ كان السحرة في ذلك يمثلون الدين ، فساوموا صاحب السلطان والجاه والمال ضد نبي الله ، وفي كل عصر يوجد من يتسم بسمه الدين ، ويساوم عليه المترفين والملوك والشياطين .

١١٥ - ١١٩ - ﴿ قالوا يا موسى إما أن تلقى ... ﴾ ألقى السحرة حياهم وعصيمهم ، فخيّل للنظارة أنها حيات تسعى ، وألقى موسى عصاه ، فبطل السحر والساحر :

١٢٠ - ١٢٢ - ﴿ وألقى السحرة ساجدين ﴾ خروا سجداً لله مؤمنين به وبنبوة موسى حين جاء الحق وزهق الباطل .

الإعراب :

﴿ وهي ثعبان ﴾ مبتدأ وخبر . وفماذا تأمرون يجوز أن تكون ﴿ ما ﴾ مبتدأ وهذا اسم موصول خبر ، ويجوز أن تكون ﴿ ماذا ﴾ كلمة واحدة منصوبة بنزع الخافض مفعولاً لتأمرون ، والتقدير بأي شيء تأمرونني ؟ . وأرجه أصله أرجة بالهمزة ، أو أرجية بالياء حيث يجوز فيه الأمران - كما قيل - . وعمل الياء يكون الخلف على الأصل ، وعمل الهمزة يكون حذفها إلحاقاً لها بالياء أو للتخفيف ، ﴿ وأخاه ﴾ مفعول معه . ﴿ وحاشرين ﴾ مفعول به لأرسل . والمصدر المنسبك من ﴿ إما أن تلقى ﴾ وإما أن تكون مفعول لفعل محذوف ، أي اخترت إما القاءك وإما القاءنا . ان ألق ﴿ أن ﴾ مفسرة لأوحينا ، فهي هنا ترادف كلمة أي ، ويجوز أن تكون مصدرية على أن يكون المصدر المنسبك مجروراً بياء الجر المحذوفة أي وأوحينا بالإنشاء . ﴿ وهالك ﴾ في محل نصب على الظرفية متعلقاً بقلبوا ، لأنه إشارة إلى المكان الذي غلبوا فيه . ﴿ وصاغرين ﴾ حال ، ومثلها ساجدين .

هِيَ بَيْضَاءٌ لِلنَّظِيرِينَ ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴾ ﴿ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَإِذَا تَأَمَّرُونَ ﴾ ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾ ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ ﴾ ﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾ ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَعِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ ﴿ قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴾ ﴿ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ * وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿ فَوَقَّ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ فَغُلِبُوا هُنَاكَ وَانْقَلَبُوا صَافِرِينَ ﴿ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ ﴿ قَالُوا آمَنَّا

١٢٣- ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ﴾
وهكذا كل حكام البغي والضلال لا يرمون بالفتنات للأذناب
إلا أن ينخلسوا عن دينهم وعقلهم وضيرهم ومروأتهم
وأمتهم ﴿ ان هذا لكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها
أهلها ﴾ تأمرتم أيها السحرة مع موسى وبني إسرائيل كي
تخرجوا أهل مصر منها ، وتكون لكم وحدهم ، قال هذا
فرعون زوراً وتمويهاً لئلا يتركه الناس ، وينضمو إلى موسى .

١٢٤ - ١٢٦- ﴿ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ
خِلَافٍ ﴾ أي يقطع اليد اليمنى مع الرجل اليسرى أو العكس
﴿ قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُقْلِبُونَ ﴾ لا نبالي بالموت ما دما مرضين
عند رب العالمين . وهكذا كل مؤمن حقاً وصدقاً يستولي
إيمانه على جميع مشاعره ، وينسى ذويه ومنافعه ، ويضحى
بنفسه في سبيل دينه والذود عنه ﴿ ربنا أفرغ علينا صبراً
وتوفنا مسلمين ﴾ هذي هي أمانة المؤمن المخلص : الثبات
والصبر في الجهاد لوجه الله والموت على دين الله .

١٢٧- ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْقِمُونَ قَوْمَهُ
لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ وهذا هو دأب حاشية السوء المرتقة ،
يشيرون على أولي الأمر بالشر والفساد خوفاً على عيشتهم ومكانتهم
﴿ وَيُفْرِكُوا آلِهَتَكَ ﴾ قد يقال : أنى يكون للفرعون آلهة
وهو الرب الأعلى بزعمه ؟ وقيل في الجواب : جعل فرعون
للناس أصناماً يعبدونها ، وجعل نفسه إله الآلهة ، ومن هنا
قال : أنا ربكم الأعلى .

﴿ قَالَ ﴾ فرعون : ﴿ سَتَقْتُلُنَّ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ﴾
ستعيد سيرتنا الأولى في بني إسرائيل من قتل الأبناء واستبقاء

رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ
ءَامَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرُومُهُ
فِي الْمَدِينَةِ لِنُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿
لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿ قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿ وَمَا
تَنْفَعُ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا
أُفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ
قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ
وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنْقَتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَلَسْتَحْيِي
نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ
اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ
مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿ قَالُوا أَوْذَيْنَا

النساء حتى ينفقوا .

١٢٨- ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ﴾ لما سمع بنو إسرائيل تهديد فرعون جزعوا ، فسكنهم موسى
ومناهم .

١٢٩- ﴿ قَالُوا أَوْذَيْنَا مِنْ قَبْلُ ... ﴾ قال بنو

الإعراب :

ورب موسى وهرون بدل من رب العالمين . ﴿وما تنقم﴾ «ما» للاستفهام مع الإنكار ، وعملها الرفع بالابتداء ، وجملة تنقم خبر ،
والصدر المنسبك من ﴿ان آمناء﴾ مفعول تنقم أي لا تنقم منا إلا الإيمان .

إسرائيل لموسى : صبرنا على الأذى حتى أتيت ، فلم يذهب عنا شر بعد جيشك ، ولا رأينا من عافية ﴿ قال ﴾ موسى لبني إسرائيل ﴿ عسى ربكم أن يهلك عدوكم ﴾ ... ﴿ سيحركم الله من العبودية ، ويمن عليكم بالاستقلال ، لتظهر أعمالكم للوجود ، ويبلوكم : هل تشكرون أو تكفرون ، ثم يجزيكم بما تستحقون .

١٣٠ - ﴿ ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ﴾ بالقطط والجذب ﴿ ونقص من الثمرات ﴾ بما يطرأ عليها من آفات .

١٣١ - ﴿ فإذا جاءتهم الحسنة ﴾ الرخاء ﴿ قالوا لنا هذه ﴾ قالوا بغطسة وشموخ : نحن دون سوانا نستحق البذخ والرفاهية ﴿ وإن نصبهم سيئة ﴾ قحط وجذب ﴿ يطيروا ﴾ ينشأوا ﴿ بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم ﴾ نصيبهم ﴿ عند الله ﴾ لا عند موسى أو غيره .

١٣٢ - ﴿ وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين ﴾ وكلمة « لك » تومى أن العناد لدافع شخصي لا مبدئي .

١٣٣ - ﴿ فأرسلنا عليهم الطوفان ﴾ المطر الشديد ، أغرق البيوت ، وأتلف الأملاك ﴿ والجراد ﴾ أكل زرعهم وثمارهم ﴿ والقمل ﴾ تعلقت بجلودهم وشعورهم ﴿ والضفادع ﴾ امتلأت بها فرشهم وأوابهم ﴿ والدم ﴾ تحول ماؤهم إلى دم .

١٣٤ - ١٣٥ - ﴿ ولما وقع عليهم الرجز ﴾ هذا

العذاب ﴿ قالوا يا موسى ادع لنا ربك ﴾ ... ﴿ فزعوا إلى موسى وقالوا : ارحمنا وتوب ولا نعود ، فدعا موسى ربه ، فكنشف عنهم العذاب إلى أمد معلوم كي يمهّد لهم سبيل التوبة ويقيم عليهم الحجة ، ولكنهم عادوا إلى ظل التمرد والعصية .

اللغة :

الرجز الانحراف عن الحق ، ومنه والرجز فاهجر . ونكت العهد نقضه . واليم البحر . يعرشون أن أخذ من العرش فمعناه البناء ، وإن أخذ من العرش فمعناه الكروم .

الإعراب :

﴿ يطيروا ﴾ أصلها يطيروا فادغمت التاء بالطاء ، وبه عائد إلى مهما . ﴿ ويؤمنين ﴾ الباء زائدة ، ومؤمنون خبر لنحن . ﴿ وآيات ﴾ حال من الأشياء المذكورة .

مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكَ أَنْ يَهْلِكَ عَدُوُّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٣٠﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصَ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣١﴾ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لَتَسْحَرَنَّ بِهَا فَآتِنَا لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٣﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿١٣٤﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا لِمُوسَى اادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٣٥﴾

١٣٦- ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ البحر بنوبهم ، وما كان لهم من واق .

١٣٧- ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَفُونَ﴾ وهم بنو إسرائيل ، فقد كان يستضعفهم فرعون وقومه ﴿مشارك الأرض ومغاربها التي بآركتنا فيها﴾ بالخصب وكثرة الأرزاق ، ومشارك الأرض ومغاربها إشارة إلى سلطان داوود وسليمان على بني إسرائيل ، وأنها أقاما دولة في أرض فلسطين ، لها حدودها الشرقية والغربية ، ولكن سرعان ما ذهبت مع الأيام ، وحكم رقاب الإسرائيليين يختصر ثم الفرس ثم خلفاء الإسكندر ثم الرومان ، كما هو الشأن في الفرس والعرب والأتراك واليونانيين وغيرهم من القوميات والأمم ، والصهيونية أعلم الناس بذلك ، ولكنها تستر به دينها وإيمانها بأن كل ما كان في نطاق قدرتها فهو حلال محلل لها أرضاً كان أو ملاً أو دماً .

١٣٨- ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾ ما أن انتهت متاعب موسى (ع) مع فرعون وقومه حتى ابتدأت متاعبه مع بني إسرائيل ، وهي أمر وأشد على نفسه من متاعب فرعون أضعافاً مضاعفة حيث قالوا من جملة ما ﴿قالوا﴾ بكل وقاحة وصلافة : ﴿يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة﴾ يطلب اليهود من النبي الذي أرسل إليهم بالوحيد أن يتخذ لهم أصناماً بنفسه ويده ! أبعد هذا يقال : كيف حطم موسى الألواح من سورة الغضب ؟ ﴿قال إنكم قوم تجهلون﴾ سفهاء لؤماء .

١٣٩ - ١٤٠- ﴿إِنْ هَؤُلَاءِ مَتَرٌ﴾ مهلك ومدمر ﴿ما هم فيه﴾ من السفه والشرك ﴿وهو فضلکم على العالمين﴾ تقدم في الآية ٤٧ من البقرة .
١٤١- ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ ... تقدم في الآية ٤٩ من البقرة .

اللغة:

تجاوز الشيء تعدها . وعكف عليه واظب عليه ولزمه . والتبار والتبر الهلاك ، والتسير الاهلاك والتدمير .

الإعراب :

﴿إذا هم﴾ ، إذا للمفاجأة . ﴿وأورثنا﴾ يتعدى إلى مفعولين لكان المهمة ، الأول القوم ، والثاني مشارق الأرض . وما كان يصنع ﴿ما بمعنى الذي ، واسم كان ضمير مستتر يعود إلى ما . قال الزخشري والبيضاوي : أن ما في ﴿كما لهم﴾ كافة للكاف عن العمل . وما هم فيه ﴿ما﴾ بمعنى الذي فاعل متبر ، وهم فيه مبتدأ وخبر ، والجملة صلة الموصول . ﴿وما كانوا يفعلون﴾ ﴿ما﴾ فاعل لباطل . وابغى تتعدى إلى مفعولين الأول ضمير المخاطبين ﴿كم﴾ والثاني إلهاء ، ﴿وغير الله﴾ حال مقدم من إله .

١٤٢- ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ
فَمِ مِيقَاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ طلب موسى من ربه أن
ينزل عليه كتاباً يهدي به الناس ، فوعده سبحانه أن ينزل
الكتاب بعد ٣٠ ليلة ، ويستمر إنزاله عشر ليالٍ .

﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ﴾ عند خروجه إلى الجبل
للمناجاة : ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾ شؤونهم ﴿وَلَا
تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ لا تطع من دعاك منهم إلى الفساد ،
واحمله على الصلاح ما استطعت .

١٤٣- ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾ للوقت الذي
حددناه لنزل التوراة ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ ارْنِي أَنْظُرْ
إِلَيْكَ﴾ رأيك بقلبي وعقلي ، وأحب أن تتجلى لعبتي
عن إفراط شوق ﴿قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾ لأن هذه الرؤية
ممنوعة ذاتاً ﴿وَلَكِنْ﴾ سأريك بعض آثار القدرة الإلهية
﴿انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَاهُ﴾ والمفروض
أن الجبل لم يستقر ، فالرؤية إذن ممنوعة وغير ممكنة ، وكأنه
يقول لموسى : إن رؤيتي مستحيلة فلا تطلبها ، ولكن اطلب
شيئاً آخر ، وهو كيف أفعال بهذا الجبل فانظر إليه ﴿فَلَمَّا
تَجَلَّى رَبُّهُ﴾ أي أمر ربه ﴿لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكَاةً﴾ غار
في الأرض ، ولم يبق له عين ولا أثر ﴿وَوَحَّى مُوسَى صَعْقاً﴾
غاب عن وعيه لهول المفاجأة ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ
إِلَيْكَ﴾ من سؤال رؤيتك . ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾
بجلالك وعظمتك .

١٤٤- ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ﴾
من أهل زمانك ﴿بِرِسَالَتِي وَبِكَلَامِي﴾ بالنبوة والتكليم

﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ﴾ التوراة وشرف النبوة والحكمة ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لهذه النعم .

١٤٥- ﴿وَكُتِبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ﴾ التوراة ﴿مَنْ كُلُّ

اللغة :

المِيقَاتِ الوقت المعين الذي يُقَرَّر فيه عمل من الأعمال . واخْلُفْنِي أي كن خلفي من بعدي . وَجَلَّى الشيء ظهوره بنفسه أو بآثاره
ودلائله . وَحَّى سَفَطَ . وَصَفَاً : مَفْشِياً .

الإعراب :

﴿ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾ مفعول ثانٍ لَوَاعَدْنَا على حذف مضاف أي تمام ثلاثين . و﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ متعلق بمحذوف حالاً من مِيقَاتٍ ، أي كلاً
أربعين ليلة . و﴿هَارُونَ﴾ بدل من أخيه . ودَكَاً مفعول ثانٍ لَجَعَلَهُ . وَصَفَاً حال من موسى . و﴿مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً﴾ بدل من كل شيء . على
المحل ﴿لأن كل شيء﴾ مفعول أو بمعنى المفعول لكتبتنا ، ولأن المراد بكل شيء عموم الموعظة وتفصيل الأحكام .

سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتَلُونَ أَبْنَاءُكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ
وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤٢﴾ * وَوَعَدْنَا مُوسَى
ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَمِ مِيقَاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ
لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ
وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى
لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ ارْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ
لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ سَأُرِيكَ بَعْضَ آثَارِ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ
فَسَوْفَ تَرَاهُ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكَاةً
وَوَحَّى مُوسَى صَعْقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ
وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٤﴾ قَالَ بِمُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ
عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ
الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكُتِبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مَنْ كُلُّ شَيْءٍ

شيء ﴿ احتاجت إليه بنو إسرائيل آنذاك ﴾ ﴿ موعظة ﴾ بالتبشير والتحذير ﴿ وتفصيلاً لكل شيء ﴾ من الحلال والحرام ﴿ فخذها ﴾ التوراة ﴿ بقوة ﴾ احرص على العمل بها والدعوة إليها بجد واجتهاد ﴿ وامر قومك يأخذوها بأحسنها ﴾ بأكثرها أجراً وثواباً كالغزو وكظم الغيظ والصدقة المستحبة .

١٤٦ - ﴿ سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض ﴾ أي أن الله سبحانه يحفظ دينه الحق ، ويظهره على الشرك كله ، ويصرف عنه الجبابرة الطغاة الذين يحاولون إبطاله جاهدين ﴿ وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها ﴾ ... ﴿ حدد سبحانه في هذه الآية السفلة أدق وأجمع تحديد : فالحق والعدل عندهم كلام فارغ ، والحجج والبراهين تصورات وهمية ، والدين والإيمان جهل وجُمود ، وحساب الله وثوابه وعقابه خرافات ومغيبات ! ... أبداً لا شيء في الوجود إلا المدة والنقود !

١٤٧ - ﴿ والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم ﴾ والمراد بآيات الله ، الحق سواء أكان الطريق إلى معرفته العقل أم الوحي ، وكل من أنكر الحق من حيث هو فعله هباء ، ووجوده كعدمه حتى ولو صادف الحق والواقع - .

١٤٨ - ﴿ واتخذ قوم موسى من بعده ﴾ أي من بعد خروجه إلى الطور ﴿ من حلّهم ﴾ بضم الحاء ، وهي ما يترين به النساء ﴿ عجلاً جسداً ﴾ وليس رسماً بالألوان ، والجسد بدل من العجل أو صفة أي جسداً ﴿ له خوار ﴾ صوت كصوت البقر ﴿ أو لم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم

سبيلاً ﴾ صنعوا العجل بأيديهم وعبدوه ... وأية غرابة ؟ فأكثر الناس يعبدون الدرهم والدينار ، وهما من صنع أيديهم

١٤٩ - ﴿ ولما سقط في أيديهم ﴾ عضوها ندامة على سوء فعلهم ، وسألوا الله الرحمة والغفران .

اللغة :

كل من لا يخضع للحق فقد تكبر عليه . والحلي بضم الحاء وتشديد الياء جمع حل بفتح الحاء وتخفيف اللام . والخوار صوت البقر . وسقط وأسقط في يده كناية عن الندم .

الإعراب :

﴿ جسداً ﴾ صفة لعجل ، أي جسداً ، وليس رسماً بالألوان ، وقيل : بدل منه ، والمعنى واحد .

مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ
بِأَخْذِهَا بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٦﴾
سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ
الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ
الرَّشْدِ لَا يَخْذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَخْذُوهُ
سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٧﴾
وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءَ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ
هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٨﴾ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ
بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ
لَا يَكْلِمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٩﴾
وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَّمْ
يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٥٠﴾

١٥٠- ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾

تركهم على التوحيد فوجدهم مشركين ، فثار و ﴿قال بشما خلفتموني من بعدي﴾ ارتدوا عن دينهم في حياة موسى ، فإذا تكون الحال بعد موته ؟

﴿أعجلتم أمر ربكم﴾ المراد بأمره تعالى غياب موسى عن قومه وانتظاره بأمر الله أربعين ليلة ، وفي آية ثانية ، أفضال عليكم العهد - ٨٦ طه ، والمعنى ما انتظرتم حتى يعود إليكم موسى ﴿والقى الألواح﴾ كانت التوراة بيده فوضعها جانباً ﴿وأخذ برأس أخيه﴾ في قاموس الكتاب المقدس أن هرون كان أكبر من أخيه موسى بثلاث سنين ﴿يجره إليه﴾ يجذبه نحوه لئلا يرى من الكفر والشرك ﴿قال ابن أم إن القوم استضعفوني﴾ رأوني ضعيفاً وعاجزاً عن ردهم بالقوة ﴿وكادوا يقتلونني﴾ لشدة ما أنكرت وحذرت ﴿فلا تشمت بي﴾ وبك أيضاً ﴿الأعداء﴾ وهم الذين عبدوا العجل ﴿ولا تجعلني مع القوم الظالمين﴾ لا تظهر غضبك علي كما أظهرته عليهم ، وهنا يلين موسى ، وتأخذه عاطفة الرحمة والأخوة ، وناجى ربه بقوله :

١٥١- ﴿قال رب اغفر لي ولأخي ...﴾

١٥٢- ﴿إن الذين اتخذوا العجل ...﴾ تهديد ووعيد لكل من عبد هواه سواء أتمثل بعجل أم بشخص أم بنقد أم بحزب .

١٥٣- ﴿والذين عملوا السبثات ثم تابوا﴾ ما من شك أن من تاب عن الذنب كمن لا ذنب له .

١٥٤- ﴿ولما سكث عن موسى الغضب ...﴾ النبي معصوم ، ما في ذلك ريب ، ولكن العصاة لا تحوله عن طبيعة الإنسان إلى طبيعة ثانية ، تسلب عنه صفة الرضا والغضب ، بخاصة إذا كانا لله ، والمؤمن إذا غضب لا يخرج عن الحق ، وإذا رضي لا يدخل في باطل .

١٥٥- ﴿واختار موسى قومه﴾ منصوب بترع الحافظ

اللغة :

المواد بالفتنة هنا العذاب ، ويأتي البيان ، وهذا اليك أي تبنا اليك . والإصر الفقل الذي يمنع حامله من الحركة . والأغلال جمع غُل بالضم حديدة تجمع يد الأسير أو الجاني إلى عنقه . والمراد بها هنا المشقة . والمراد بالتعزيز الإعانة والتوفير . المبين ص ٢١٦ .

الإعراب :

﴿غضباً﴾ حال من موسى ، ﴿واسفًا﴾ حال ثانية . ﴿ابن أم قرى﴾ بفتح الميم على أن تكون أم وابن بمنزلة خمسة عشر ، وقرى بكسر الميم ، والكسرة تدل على الياء المحذوفة لأن الأصل يا ابن امي . ﴿والذين عملوا السبثات﴾ مبتدأ ، والخير جملة ﴿إن ربك من بعدها لغفور رحيم﴾ . واللام لربهم لقوة لوصول الفعل إلى مفعوله ، مثل للرويا تعبرون .

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَتُحْلِلُونَ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّبَثَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥٤﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبَ أَخَذَ الْأَلْوَحَ وَفِي سُحُفِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِربِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٥﴾ وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ

أي من قومه ﴿سبعين رجلاً لمقاتنا﴾ صحبهم معه إلى الطور ليسمعوا كلام الله ، ويزدادوا إيماناً ، ولما سمعوا كلامه جل وعز قالوا : أرنا الله جهرة .

﴿ فلما أخذتهم الرجفة ﴾ الصاعقة عقاباً لهم على هذه الجرة ﴿ قال ﴾ موسى : ﴿ رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي ﴾ اختار موسى من بني إسرائيل ٧٠ رجلاً ، وصحبهم معه إلى الله ، ولما طلبوا الرؤية سفهاً وجهلاً أهلكتهم سبحانه من دون موسى ، فما يصنع ؟ هل يعود إلى بني إسرائيل وحيداً فريداً وهل يقبلون منه لو أعلمهم بالحقيقة ؟ إنه لموقف يضعف فيه القواد وتقل فيه الحيلة ، فتضرع إلى الله سبحانه أن يكشف عنه ما هو فيه ﴿ أنهلكنا بما فعل السفهاء منا ﴾ كلا ، إنك أجل وأعظم ﴿ إن هي إلا فتنتك ﴾ أي مختك وإبلاؤك ﴿ تضل بها من تشاء ﴾ والله سبحانه عادل وحكيم ، ويستحيل في حقه أن يضل أحداً من عباده إلا أن يختارها هو بعل حريته « فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم - ه الصف » ﴿ وتهدي من تشاء ﴾ بعد أن يختار العبد الهداية لنفسه « والذين اهتدوا زادهم هدى - ١٧ محمد » .

١٥٦- ﴿ قال عذابي أصيب به من أشاء ﴾ من المجيرمين وأهل المعاصي ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء ﴾ فما من مؤمن ولا كافر ولا مطيع ولا عاص إلا وهو متقلب في نعمة الله ورحمته ، وبكلمة العذاب مشروط بالمعصية ، أما الرحمة فهي بلا قيد وشرط ﴿ فأسكنها ﴾ على الحتم والجزم يوم القيامة ﴿ للذين يتقون ﴾ أي ياتعون بأمر الله ، ويتقون بنهي .

١٥٧- ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي ﴾ محمداً ، والأمية وصف خاص به من دون الأنبياء ، إشعاراً بأنه على أميته أخرج الناس من الظلمات إلى النور ﴿ الذي يجذونه ﴾ أي يجدون أوصافه ﴿ مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل ﴾ تقدم في الآية ١٤٦ من البقرة ﴿ يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم ﴾ أنقأهم أي أنه تعالى يريد بعباده اليسر ولا يريد بهم العسر ﴿ والأغلال التي كانت عليهم ﴾ فالإنسان حر في آرائه وفي اختيار الأسلوب الذي يتلاءم معه في الحياة على أن تنتهي حريته عند حرية الآخرين ومصلحتهم ، لأن الحرية الخاصة تحمل في طبيعتها مكروب القضاء على كل حرية . ولا بد من الإشارة إلى أن هذه الآية الكريمة تحدد الإسلام بكلمات قليلة وواضحة يمكن تلخيصها بأنه حينما يوجد الخير والمصلحة فثم دين الله وشريعته .

الإعراب :

﴿ قومه ﴾ منصوب بنزع الخافض ، أي واختار من قومه . ﴿ وسبعين ﴾ مفعول اختار . ﴿ ورجلاً ﴾ نغيز . ﴿ ولو شئت ﴾ مفعول شئت عذوب أي لو شئت أهلكنا . ﴿ وأهلكهم ﴾ جواب لو ، وإياي معطوف على الضمير المنصوب في أهلكتهم . وإن هي ﴿ أن ﴾ نافية بمعنى ما ، وهي ضمير عائد إلى الرجفة . ﴿ والذين يتبعون الرسول ﴾ بدل من للذين يتقون .

﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ ﴾ بمحمد ﴿ وَعَزَّوْهُ ﴾ أعانوه
في إحياء الإسلام ونشره ، ووقروه لعظمته ﴿ وَنَصَرُوهُ ﴾
على قوى الشر وأعداء الخير ﴿ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ﴾
والمراد بهذا النور كتاب الله وسنة نبيه ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾
دنيا وآخرة .

١٥٨- ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي
رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ... ﴾ الإسلام دين أهل الأرض
جميعاً بلا استثناء ، لا لأنه نزل على محمد (ص) دون سواه ،
بل لأنه دين العقل والعلم والحياة الإنسانية . هكذا ندعي
نحن المسلمين ، وعلى طالب الحق والحقيقة أن ينظر ويدرس ،
ثم يحكم بوحى من عقله وضميره ، شريطة أن يكون كفواً
علماً وخلقاً ، ويكني في هذا الموجز أن نشير إلى هذا المبدأ
القرآني النبوي ، وهو أن الإسلام باتفاق الجميع ينهى عن
التقليد والجهل بشئى صوره ، ويأمر باتباع العلم والعقل ،
والعمل بموجب العدل والمجاراة ، وبالتقوى والاستقامة
والعمل الصالح النافع ، وما يعد العلم والعدل والصلاح إلا
الجهل والجور والفساد .

١٥٩- ﴿ وَمَنْ قَوْمُ مُوسَى ﴾ كان اليهود وما زالوا
أشد الناس عداوة للحق وأهله وعلى هذا الأساس أعلنوا الحرب
على رسول الله (ص) وما آمن به إلا قليل كعبد الله بن سلام
وابن صوريا .

١٦٠- ﴿ وَقَطَعْنَاهُمْ الثَّيِّبَةَ اسْبَاطاً ﴾ جمع
سبط ، وهو في بني إسرائيل كالقبيلة في العرب ﴿ أَمَّا ﴾ أي
نسل كل سبط صار جماعة كثيرة ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ
اسْتَقَاهُ قَوْمُهُ ﴾ وهم في التيه ﴿ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ﴾ فضربه ﴿ فَانْجَسَتْ ﴾ انجسرت ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ ﴾
مشر بهم ﴿ تَقْدِمُ فِي الْآيَةِ ٦٠ مِنَ الْبَقَرَةِ ﴾ وظللنا عليهم الغمام ﴿ تَقْدِمُ فِي الْآيَةِ ٥٧ مِنَ الْبَقَرَةِ .
١٦١ - ١٦٢- ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ - إِنْ قَوْلُهُ - يَظْلِمُونَ ﴾

الإعراب :

﴿ جَمِيعاً ﴾ حال من الرسول . ﴿ وَالَّذِي لَهُ ﴾ خبر لمبتدأ محذوف ، أي هو الذي له ملك الخ . قال أبو البقاء في كتاب الاملاء : لا يجوز
أن يكون الذي بدلاً ولا صفة من رسول الله لوجود فاصلين هما اليكم وجميعاً . ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ خبر لا محذوف تقديره موجود إلا هو ﴿ هُوَ ﴾
بدل من الضمير المستتر في موجود . ﴿ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ ﴾ مفعول ثانٍ لقطعنا لأنها بمعنى صيرنا ، والمبني محذوف أي اثنتي عشرة فرقة ، ولهذا أنش
العشرة . ﴿ وَاسْبَاطاً ﴾ بدل من اثنتي عشرة ، لا تميز لأنه جمع ، وتميز العدد المركب مفرد ، و﴿ وَأَمَّا ﴾ صفة لاسباط . ﴿ وَأَنْ اضْرِبْ ﴾ بمعنى
أي لأن ما بعد ان وهو اضرب تفسير لاوحي . ﴿ وَحَقَّةً ﴾ خبر لمبتدأ محذوف أي أمرنا حقة . ﴿ وَتَعَفَّرَ ﴾ على الجرم جواباً للامر ، ومقولوا
وادخلوا .

فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ ، وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي
أُنْزِلَ مَعَهُ ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥٧﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ
إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ الَّذِي هُوَ الْبَرُّ الْقَائِلُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَأَتَّبِعُوهُ
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٨﴾ وَمَنْ قَوْمُ مُوسَى إِذْ هَدَّوْهُ بِالْحَقِّ
وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَطَعْنَاهُمْ ثَیِّبَةً اسْبَاطاً
أَمَّا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ
بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَاَنْجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ
عَلِمَ كُلُّ أَنْاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنزَلْنَا
عَلَيْهِمُ الْمَنَّانَ وَالسَّلَوى كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ
وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ

﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ ﴾ انجسرت ﴿ فَانْجَسَتْ ﴾ انجسرت ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ ﴾
مشر بهم ﴿ تَقْدِمُ فِي الْآيَةِ ٦٠ مِنَ الْبَقَرَةِ ﴾ وظللنا عليهم الغمام ﴿ تَقْدِمُ فِي الْآيَةِ ٥٧ مِنَ الْبَقَرَةِ .
١٦١ - ١٦٢- ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ - إِنْ قَوْلُهُ - يَظْلِمُونَ ﴾

تقدم في الآية ٥٨ وما بعدها من البقرة .

١٦٣- ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ على شاطئه ، والغرض من هذا السؤال التفرغ والتوبيخ ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾ يتجاوزون حدود الله بصيد الأسماك في يوم السبت ، وقد نهوا عنه ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا﴾ ظاهرة على وجه الماء ، فكانت الحيتان تكثر وتظهر للعيان في هذا اليوم ابتلاء لهم إذ كان صيدها حراماً عليهم ، وتغيب عنهم في سائر الأيام .

١٦٤- ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا...﴾ انقسم الإسرائيليون في صيد الحيتان يوم السبت ثلاث فرق: الأولى عصت . والثانية عارضت . والثالثة وقفت على الحياء ، لم تعص ولم تعارض ، وقالت الثالثة للثانية : اتركوا العصاة لله وحده ، فانه يستأصلهم عن آخرهم أو يقيهم مع العذاب الأليم . فقالت الثانية : نبياتهم يعلم الله سبحانه أنا كارهون لما يفعلون ، وأيضاً نرجو أن يرتدعوا عن غيهم .

١٦٥- ﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾ العصاة ﴿مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ وهو نسي جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ﴾ لأن التقوى عتق من الشهوات ، ونجاة من المهلكات ﴿وَأَخْلَدْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَيْتِيسَ﴾ شديد من البؤس .

لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ مُجْتَدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَتَرِذُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦٣﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلُمُونَ ﴿١٦٤﴾ وَسَخَّرْنَا عَنْ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبُتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْدَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكَرَ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٦﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخْلَدْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَيْتِيسَ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٧﴾ فَلَمَّا

اللغة:

حاضرة البحر أي على شاطئه . ويعدون أي يتجاوزون حكم الله . وشُرَعًا ظاهرة على وجه الماء . والمعذرة والمعذر بمعنى واحد والبئس الشديد . والعتو العصيان . وخاشئين صاغرين .

الضمير في نسوا وذكروا وظلموا ويفسقون عائد إلى العصاة ، وضمير يهتدون عائد إلى جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ووصف الله العصاة بالفاسقين لأنهم فسقوا عن أمر ربهم ، والظالمين لأن كل من فسق عن أمر ربه فهو ظالم لنفسه ، والمعنى ان الله سبحانه أخذ المؤمنين بلبنهم ، وأنجا المطيعين لطاعته .

الإعراب:

﴿شُرَعًا﴾ حال من الحيتان . ﴿ومعذرة﴾ خبر لبتداً مخوف أي موعظتنا معذرة . وبئس صفة لمعذاب .

١٦٦- ﴿ فَلَمَّا عَتَا ﴾ تكبروا وتمردوا ﴿ عَمَّا نَهَا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ مطرودين ، وتقدم في الآية ٦٥ من البقرة .

١٦٧- ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ ﴾ من الايذان بمعنى الإعلام ﴿ لِيُبَيِّنَ عَلَيْهِمُ ... ﴾ تقدم في الآية ١١٢ من آل عمران .

١٦٨- ﴿ وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ﴾ تفرقوا جماعات شتى لا وطن ولا دولة ، وحاولت الصهيونية أن تقيم دولة على الباطل ... ونحن على يقين بأن دولة الباطل ساعة ، ودولة الحق إلى قيام الساعة ... ومصائر الخلق بيد الله لا بيد الصهيونية ومن يساندها ﴿ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ ﴾ تقدم في ١٥٩ من هذه السورة .

١٦٩- ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ ﴾ أردأ وأسوأ ، والخلف بسكون اللام ذم ، وبفتحها مدح ﴿ وَرَثُوا الْكِتَابَ ﴾ بقيت التوراة في أيدي خلف السوء ﴿ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى ﴾ وهو المال الحرام كالربا والرش والغش والبقاء ، ويقولون : ما دمت أعيش فليهلك العالم ﴿ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا ﴾ لأنهم شعب الله المختار كما يفترون ﴿ وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُ يَأْخُذُوهُ ﴾ يأخذ اليهود الحرام أول مرة ، ويقولون : لا بأس هو مغفور ثم يأخذونه مرات ومرات غير مكترئين ولا مستغفرين ، لأن الله أرصد لهم الغفوان والأمان ! ولا عصرية إجرامية تشبه هذه العنصرية .

﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ .. ﴾ هذا تكذيب لليهود في زعمهم أن الله يغفر لهم مهما عصوا ، ووجه الرد والتكذيب أن اليهود درسوا التوراة ، وهي تقول بصراحة : يغفر لمن تاب وأقلع عن الذنب وإن من أصر عليه فهو من المالكين ، وأيضاً أخذت التوراة عهداً وميثاقاً على كل من آمن بالله أن لا يفترى الكذب عليه ، واليهود يكذبون عليه ويفترون .

١٧٠- ﴿ وَالَّذِينَ يَمْسُكُونَ بِالْكِتَابِ ﴾ يعملون بأمره ونهيه ﴿ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ﴾ وكل من ترك الصلاة فهو عند الله من المجرمين حتى ولو أحيا الناس أجمعين . أجل انه تعالى كما قال : ﴿ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ أبداً لكل شيء عند الله سبحانه حساب وجزاء .

١٧١- ﴿ وَإِذْ نَفَقْنَا الْجِبِلَ فَوْقَهُمْ ... ﴾ اقتلعناه

الإعراب :

يجوز أن نقرأ أماً مفعولاً ثانياً على أن تكون قطعناهم بمعنى صيرناهم ، ولك أن تعربها حالاً على أن تكون قطعناهم بمعنى فرقناهم . ﴿ وَمِنْهُمْ الصَّالِحُونَ ﴾ مبتدأ وخبر ، ومثله ومنهم دون ذلك على أن يكون مبتدأ محذوفاً ودون صفة له أي قوم دون ذلك ، ولفظ ذلك مفرد ومعناها هنا الجمع أي دون أولئك لأنها تستعمل للمفرد والمثنى والجمع . ﴿ وَالَّذِينَ يَمْسُكُونَ ﴾ مبتدأ وجملة إننا لا نضيع خبر .

ورفعناه فوق اليهود حين أسوأ أن يأخذوا التوراة بشرط الالتزام بها وتقدم في الآية ٦٣ من البقرة .

١٧٢- ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ وأخذ الذرية هنا عبارة عن إخراجهم من أصلاب الرجال وأرحام النساء إلى الحياة الدنيا جيلاً بعد جيل ﴿ وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴾ بما أودع فيهم من عقول ، وما في الكون من بينات ودلائل على وجوده تعالى ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بلى ﴾ والشواهد على وجود الله سبحانه يحملها الإنسان في جسمه وروحه فضلاً عن الكون ، بل وفي فطرته حتى ولو كان ملجداً ، والفرق أن وجوده تعالى يتجلى في فطرة الملعن عندما يصهره الخطب والكرب « وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين «يونس» ﴿ أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ لا عذر لمن شك في الله وهو يرى خلقه الا أن يكون مجنوناً . وإن قال قائل : رأينا ألوف العقلاء يشكون ويحذرون قلنا في جوابه : نريد الجنون الخفي الذي يفسر ويعطل كل شيء بأصله وعلة الا الكون العجيب ، يعمله ويفسره بالصدفة ، ويقول المثل الإنكليزي : « لو كان الجنون يؤلم صاحبه لسمعت الصراخ من كل بيت » .

١٧٣ - ١٧٤- ﴿ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ وهذه الآية واضحة الدلالة على أن من شأن التوحيد أن يكون من المسلمات والبداهات ، وليس موضعاً للاحتجاج أو التقليد تماماً كوجود الأرض والشمس ، وقال بعض الفلاسفة جاء الخفاء من شدة الظهور والجلاء .

١٧٥- ﴿ وَاتْلُ ﴾ يا محمد ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ على اليهود ﴿ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا ﴾ جاء في التفسير أن عالماً من علماء بني إسرائيل اسمه بلعم بن باعور: أوتي شيئاً من علم الكتاب ، ولكنه كفر بعد ذلك وترندق . ولم أجد اسم باعور ولا بلعم في قاموس الكتاب المقدس ولا في فهرس هذا الكتاب ﴿ فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ ﴾ صار قريباً له . ١٧٦- ﴿ وَلَوْ شِئْنَا ﴾ أن نلجئه قهراً إلى العمل بعلمه ﴿ لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ﴾ أي لا رفعت منزله وخلد ذكره ﴿ وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ أي مال إلى الدنيا وزينتها ، ورجب فيها ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَرَكَهْ يَلْهَثَ ذَلِكَ مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ أَنْصَحْتَ أَمْ تَجَاهِلْتَهُ .

الإعراب :

﴿ مِنْ ظُهُورِهِمْ ﴾ بدل اشتغال من بني آدم مع إعادة حرف الجر ، والمعنى أخذ ربك من ظهور بني آدم ذريتهم . ﴿ وَاتْلُ ﴾ حرف جواب تبطل النفي ، فإذا قال لك قائل : ليس لي عندك درهم ، وأجبته بلى كان اقراءً منك بالدرهم ، وإن أبيت نعم لا يلزمك شيء ، ولذا قيل : لو قالوا : نعم في جواب ألسنت بربكم لكفروا . والمصدر المنسبك من ان تقولوا بمرور بإضافة مفعول من أجله محذوف أي خافة قولكم .

أَجَلٍ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَالْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَرَكَهْ يَلْهَثُ ذَلِكَ مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ

﴿ فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ﴾ حدث اليهود يا محمد عن الذين زاغوا من أسلافهم وما آل إليه أمرهم ، عسى أن يعتبروا بمن مضى ، ويعلموا أنك تنطق بوحي من الله سبحانه ، فتقوم الحجة لله ولك عليهم .

١٧٧ - ﴿ ساء ﴾ فعل ماضٍ والفاعل مستتر أي ساء المثل ﴿ مثلاً ﴾ تمييز ﴿ القوم ﴾ مبتدأ وخبره جملة ساء ﴿ الذين كذبوا ﴾ بدل من القوم ﴿ وأنفسهم كانوا يظلمون ﴾ أي وكانوا يظلمون أنفسهم .

١٧٨ - ﴿ من يهد الله فهو المهتدي ﴾ ان المهتدي حقاً وواقعاً هو من كان عند الله مهتدياً حتى ولو كان عند الناس من الضالين ﴿ ومن يضل ﴾ أي من كان ضالاً عند الله لا عند الناس ﴿ فاولئك هم الخاسرون ﴾ حتى ولو كانوا في الدنيا سادة وقادة .

١٧٩ - ﴿ ولقد فرأنا ﴾ خلقنا ﴿ لجهنم ﴾ اللام للعاقبة مثل لدوا للموت ﴿ كثيراً من الجن والإنس ﴾ خلق سبحانه العقلاء ، ومنحهم مع العقل الحرية والقدرة ، وأمرهم ونهاهم ، فمنهم سمعوا وأطاعوا فدخلوا الجنة ، وكثير منهم عصوا وتمردوا فدخلوا النار بسوء اختيارهم « وما ربك بظلام للعبيد » - ٤٦ فصلت .

﴿ لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ﴾ العقل من شأنه أن يدرك ، وأيضاً من شأن العين أن تبصر والاذن أن تسمع ، ولكن إذا طغت العاطفة فلا إدراك ولا سمع ولا بصر إلا لما ، وأي عاقل يصدق رأي الوالدة في ولدها ، والعلو ضد عدوه ﴿ أولئك هم الغافلون ﴾ غير الغفول عنهم .

١٨٠ - ﴿ ولله الأسماء الحسنى ﴾ كل أسمائه تعالى على مستوى واحد في الحسن حيث لا حالات متعددة ولا صفات متغايرة للذات القدسية ﴿ فادعوه بها ﴾ بأي اسم شئتم ، فكل واحد منها يعبر عن تزييه وتعظيمه ، وليس لله إسم أعظم واسم غير أعظم ﴿ وفرأوا الذين يلحون في أسمائه ﴾ ينحرفون بها إلى الأصنام كاشتقاق كلمة اللات من الله والعزى من العزيز .

١٨١ - ﴿ ومن خلقنا أمة يهدون بالحق ﴾ بعد أن أشار سبحانه في الآية السابقة أن كثيراً من الجن والإنس للنار . أشار هنا أن أمة أو جماعة للجنة .

١٨٢ - ﴿ والذين كذبوا بآياتنا سنستخرجهم من حيث لا يعلمون ﴾ قد تتابع النعم على الإنسان ، فيتمادى في طغيانه ذاهلاً عن المحبات والمناجات حتى إذا قال الناس : طوبى له فاجأتها ساعة السوء .

١٨٣ - ﴿ وأملئ لهم إن كيدي متين ﴾ والمراد بكيديه سبحانه انه تعالى يمهلهم حتى إذا ركنوا إلى ما هم فيه أخذهم من حيث لا يشعرون . وفي نهج البلاغة : الحذر الحذر ، فوالله لقد ستر حتى كأنه قد غفر .

كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٧﴾
سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا
يَظْلِمُونَ ﴿١٧٨﴾ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِىُّ وَمَنْ يُضِلِّ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا
مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ
لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذُنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ
كَانُوا لَعْنَةً بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٨٠﴾
وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ
يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨١﴾
وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨٢﴾
وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ
لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٣﴾ وَأَمْلِ لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٤﴾

١٨٤ - ﴿ أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ حِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾^(١٨٤) أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدْ أَفْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾^(١٨٥) مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾^(١٨٦) يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُكَ لَوْ قَبَّهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَتَّىٰ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(١٨٧) قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ

١٨٥ - ﴿ أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾^(١٨٥) أَوْ لَمْ يَنْظُرِ الْعُقَلَاءُ نَظْرَةَ اسْتِدْلَالِيَّةٍ عِلْمِيَّةٍ إِلَى كُلِّ مَا يَقَعُ عَلَيْهِ اسْمُ الشَّيْءِ فِي هَذَا الْكَوْنِ لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مُوْجُودٌ وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَقَدْ اسْتَوْحَى الشَّاعِرُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلَهُ : « وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَّهُ آيَةٌ . تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ » وَيَتِمُّ فِي هَذَا الِاسْتِدْلَالِ الْقِرَآئِيُّ الْكَوْنِيُّ الْمُنْهَجُ الْعِلْمِيُّ الَّذِي يَسْتَخْدِمُ الْإِسْتِقْرَاءَ وَالْقِيَاسَ مَعًا ، يَسْتَقِرُّ النَّظَرُ أَوَّلًا جُزْئِيًّا الْكَوْنِ وَمَا فِيهَا مِنْ سُنَنِ تَحْكُمُهَا وَتَضْبُطُ حَرَكَاتَهَا وَسَكَاتَهَا وَتَقَاعِلَهَا ، وَيَنْطَلِقُ مِنْ ذَلِكَ لِيَقُولَ : فِي الْكَوْنِ نِظَامٌ وَتَدْبِيرٌ وَلِكُلِّ نِظَامٍ وَتَدْبِيرٍ مَدِيرٌ وَمُنْظَمٌ ، فَلِلْكَوْنِ خَالِقٌ عَالِيمٌ وَمَدِيرٌ حَكِيمٌ ﴿ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدْ أَقْرَبَ أَجْلُهُمْ ﴾^(١٨٥) سَارَعُوا أَبْهًا الْعُقَلَاءُ إِلَى النَّظَرِ فِي الْكَوْنِ ، وَاسْتَنْطَقُوا مَا فِيهِ مِنْ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ تَهْتَدُوا بِهَا إِلَى الْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يَفْاجِتَكُمْ ، وَأَنْتُمْ غَافِلُونَ ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ ﴾^(١٨٥) بَعْدَ الْقِرَآنِ ﴿ يُؤْمِنُونَ ﴾^(١٨٥) وَمَنْ لَا يَهْتَدِي بِمَوْعِظَةِ اللَّهِ وَإِرْشَادِهِ لَا يَهْتَدِي بِشَيْءٍ .

١٨٦ - ﴿ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ ﴾^(١٨٦) مِنْ حَادٍ

عَنْ صِرَاطِهِ تَعَالَى فَهُوَ ضَالٌّ تَمَامًا كَمَنْ يَمْشِي مَكْبًا عَلَى وَجْهِهِ ﴿ وَيَلْزَمُهُمْ فِي طَغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾^(١٨٦) إِذَا خَرَجُوا مِنْ طَاعَتِهِ ، وَاسْتَكْفَرُوا عَنْ عِبَادَتِهِ .

١٨٧ - ﴿ يَسْأَلُونَكَ ﴾^(١٨٧) يَا مُحَمَّدُ ﴿ عَنِ السَّاعَةِ ﴾^(١٨٧) الْقِيَامَةِ ﴿ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾^(١٨٧) مَتَى وَقُوعُهَا وَحُدُودُهَا ، وَقَالَ أَعْرَابِي لِرَسُولِ اللَّهِ (ص) : مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ ؟ قَالَ : وَمَاذَا عُدَدْتُ لَهَا ؟ ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا ﴾^(١٨٧) لَا يَظْهَرُهَا ﴿ لَوْ قَبَّهَا ﴾^(١٨٧) فِي وَقْتِهَا ﴿ إِلَّا هُوَ ﴾^(١٨٧) وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴿ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾^(١٨٧) أَيِ ثَقُلَ وَقْعُهَا عَلَى أَهْلِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَهَوًا وَشِدَّةً ﴿ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾^(١٨٧) مِنْ غَيْرِ اشْعَارٍ وَإِنْذَارٍ ﴿ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ خَافِي عَنْهَا ﴾^(١٨٧) أَيِ كَأَنَّكَ مَهْتَمٌ بِالسُّؤَالِ عَنْهَا مِثْلَ اهْتِمَائِهِمْ .

١٨٨ - ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾^(١٨٨) هَذِي هِيَ عَقِيدَةُ الْمُسْلِمِينَ بِمُحَمَّدٍ (ص) ، إِنَّهُ وَاحِدٌ مِنَ النَّاسِ ، يَصِيبُهُ مَا يَصِيبُهُمْ مِنْ عَوَارِضِ الطَّبِيعَةِ ، وَالْفَرْقُ أَنَّهُ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾^(١٨٨) رَبِّي ، فَهُوَ الَّذِي يَنْفَعُنِي . وَيُدْفَعُ الضَّرَرَ عَنِّي . ﴿ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْرْتُ مِنَ الْخَيْرِ ﴾^(١٨٨) حَيْثُ لَا أَقْدَمُ إِلَّا عَلَى مَا يَنْفَعُ ﴿ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴾^(١٨٨) حَيْثُ أَحْجَمَ عَمَّا يَضُرُّ ، وَمَا كُنْتُ غَالِبًا تَارَةً وَمَغْلُوبًا حِينًا فِي الْحُرُوبِ ﴿ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾^(١٨٨) وَلِلَّذِينَ يَرِيدُونَ أَنْ يَهْتَدُوا إِلَى الْحَقِّ .

١٨٩ ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ وعلى مستوى واحد في الحقوق والواجبات ، ومن سفه الرأي أن يعتقد الإنسان أفضليته على غيره بالجاه والمال أو بالنسب والعنصر ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ تقدم في الآية الأولى من النساء ﴿ لَيْسَ كَإِلَيْهَا ﴾ من السكينة بمعنى الطمأنينة ﴿ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا ﴾ قاربها الزوج ﴿ حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا ﴾ أي خف عليها حملة ، ولم تلق منه أذى وكرب ﴿ فَعَمَرَتْ بِهِ ﴾ استمرت بالحمل ولم تسقطه ، وقامت وقعدت وتصرفت كأن لم يكن حمل ﴿ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ ﴾ حان وقت الولادة ، واقترب الوضع ﴿ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَالِحًا لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ الولد الصالح البار سعادة وهناء لوالديه ، والعاق القاسد شقاء وبلاء .

١٩٠ - ١٩٢ - ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلْنَا لَهُ شُرَكَاءَ ﴾ المشهور بين المفسرين أن ضمير المثنى في « آتينا » يعود إلى آدم وحواء ، وأن الضمير في « جعلنا » يعود إلى أولادهم على حذف مضاف ، والذي نراه أن هذه الحكاية ليست عن حادثة معينة بين زوجين بالخصوص ، وإنما هي حكاية عن حال الإنسان بما هو ، وأنه إذا أراد شيئاً دعا الله وتضرع ، وقطع المهود على نفسه والمواثيق حتى إذا آتاه الله ما أراد نكث العهد وخان تماماً كقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ - ٦٥ العنكبوت . »

١٩٣ - ﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ ﴾ إن تدعوا أيها المشركون أصنامكم ﴿ إِلَى الْهَدْيِ ﴾ إلى أن يهدوكم لا تريدون ﴿ لَا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ ﴾ سواء عليكم أَدْعَوْتُمُوهم أم أنتم صامتون ﴿ لَا فَرْقَ بَيْنَ الصَّامِتِ وَالنَّاطِقِ عِنْدَ الْأَصْنَامِ . »

١٩٤ - ﴿ إِنْ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ أي الأصنام ﴿ عِبَادٌ أَثَالِكُمْ ﴾ أي لواقعنا أن الأصنام أحياء عقلاء ، كما تزعمون أيها المشركون فهم أمثالكم لا تفاضل فيما بينكم ، فكيف تستغيثون بهم إذا نزلت بكم نازلة .
١٩٥ - ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ ... ﴾ أبداً لا حياة في هذه الأصنام ، فكيف تكون شريكة لله في خلقه ! وفي نيج البلاغة : كذب العادلون بك إذ شبهوك بأصنامهم ،

يُؤْمِنُونَ ﴿ ١٨٨ ﴾ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَرَّتْ بِهِ ۖ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَالِحًا لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿ ١٨٩ ﴾ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلْنَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿ ١٩٠ ﴾ أَلَيْسَ كَذَلِكَ شَيْئًا يَمْشُونَ ﴿ ١٩١ ﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ نَحْمَ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿ ١٩٢ ﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهَدْيِ لَا يَسْتَجِيبُوا سِوَاءَ عَلَيْكُمْ أَدْعُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ﴿ ١٩٣ ﴾ إِنْ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَثَالِكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿ ١٩٤ ﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ

ونحلوك حلية - أعطوك صفة - المخلوقين بأوامهم ﴿ قل ادعوا شركاءكم ﴾ أصنامكم ﴿ ثم كيّدون ﴾ أي كيّدوني ﴿ فلا تنظرون ﴾ أي فلا تلهوني ، والمعنى قل يا محمد للمشركين اجمعوا أصنامكم لحربي ومضري ، ولا تلهوني لحظة فهذا أوان مقدرتها وسلطانها .

١٩٦- ﴿ إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ﴾ هذا من كلام الرسول الأعظم (ص) يخاطب به المشركين ويقول : أنتم تتولون الأصنام ، وأنا أتولى الله الذي نزل علي القرآن ، وهو سبحانه يتولى حفظي وحراستي .

١٩٧- ﴿ والذين تدعون من دونه لا يستطيعون ... ﴾ تقدم قبل لحظة في الآية ١٩٢ .

١٩٨- ﴿ وإن تدعهم إلى الهدى لا يسمعون ﴾ أيضاً تقدم في الآية ١٩٣ ، وجاء التكرار ، لأن النبي (ص) تحدى الأصنام وعبدتها الطغام .

﴿ وتوهم ﴾ أي ترى الأصنام ﴿ ينظرون إليك وهم لا يبصرون ﴾ تماماً كالتماثيل في الكنائس ، وفيه إيحاء إلى أن عرب الجاهلية كان لهم شأن في النحت .

١٩٩- ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین ﴾ والذي يفهم من كلمة العفو للوهلة الأولى التجاوز عن الذنب ، والمراد به هنا ما يعم ويشمل التيسير في كل شيء وعدم التشدد والتعسير في نطاق الشرع وأحكامه ، والمراد بالعرف الخير وكل ما فيه جهة نفع وصلاح ، وبالإعراض عن الجاهلین الحلم والأناة عند الغضب . هذا هو الإسلام في أخلاقه :

حياة فاضلة تقوم على اليسر وعدم الحرج في الدعوة إلى كل خير والعمل به ، والإعراض عن القال والقال والقبيل وعن الإمام الصادق (ع) : ليس في القرآن أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية .

٢٠٠- ﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله ﴾ إذا رأيت منكراً من سفیه أو معصية من فاسق ، وغضبت لله ، فلا يذهبن الغضب بحلمك ، فاصبر واستعذ بالله ، وخاطبه بالحسنى ، عسى أن يستجيب لك . قال الإمام علي (ع) في وصفه تعالى : « ولا يشغله غضب عن رحمة » ٢٠١- ﴿ ان الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان ﴾ إن المؤمنين حقاً وصدقاً إذا اصطدمت عاطفتهم مع دينهم وقام الصراع بينهما ، وأوشكت العاطفة أن تتغلب على الدين ﴿ تذكروا ﴾ نسي الله سبحانه وغضبه وعذابه ﴿ فإذا هم مبصرون ﴾ بأن العقاب للمعتين ، فكبحوا عاطفتهم ، وأمسكوا بلجام الدين والتقوى عن معاصي الله ، وقادوها إلى طاعته

٢٠٢- ﴿ واخوانهم يمدوئهم في النفي ثم لا يقصرون ﴾ الشياطين هم اخوان المجرمين ، وأولئك يغرون هؤلاء جاهدين في كل قبيح وروذيلة ، وهؤلاء يسرعون إلى الإجابة طائعين ٢٠٣- ﴿ وإذا لم تأتهم بآية ﴾ كان المشركون يطلبون من النبي (ص) معجزات معينة على سبيل التعتن ، فإذا لم تأتهم ﴿ قالوا لولا ﴾ هلا ﴿ اجيبها ﴾ افعلتها من عندك أو طلبتها من ربك ﴿ قل إنما اتبع ما يوحى إلي من ربي ﴾ الأمر كله في قبضته تعالى ، ولا شيء لي منه إلا السمع والطاعة لما يوحى به إلي .

ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٦﴾ إِنَّ وَلِيَىَّ اللَّهُ الَّذِى نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٧﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَبْصُرُونَ ﴿١٩٨﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٩﴾ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿٢٠٠﴾ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠١﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَنْتَقُوا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يَقْصِرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا لَمْ يَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا آجِبْنَاهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَإٌ

﴿ هَذَا بَصَائِرُ ﴾ ودلائل من الله سبحانه تهدي عقول ذوي الضمائر إلى حياة أفضل وأكمل دنيا وآخرة .

٢٠٤ - ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا ﴾ وتدبروا معانيه ﴿ لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ ﴾ روى الإمام علي (ع) عن النبي (ص) أنه قال : ستكون فتن من بعدي . فقال الإمام : فما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : المخرج كتاب الله ... هو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، وهو الذكر الحكيم والصراط المستقيم الذي لا ترغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تشعب معه الآراء ، ولا يشيع منه العلماء ، ولا يملأه الأتقياء ، ولا يخلق على كثرة الرداد ... من عمل به سبق ، ومن قال به صدق ، ومن حكم به عدل ومن عمل به أجر ، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم .

٢٠٥ - ﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ ﴾ أي أذكره عن علم وفهم لمعاني كلمات الجلال والكمال التي تحمده بها وتمجده ﴿ تَضَرَّعًا ﴾ متضرعاً ﴿ وَخَافِعًا ﴾ خائفاً ﴿ وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ بصوت متوسط بين الجهر والإخفات ، ويروى أن ولياً مر بمن يرفع صوته بالقرآن . فقال له : إن ربك غير أصم ﴿ بِالْعُدْوِ وَالْوَاصِلِ ﴾ صباحاً ومساءً وفي كل حين ﴿ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ عن ذكر الله وطاعته .

٢٠٦ - ﴿ إِنْ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ وهم الذين لهم مكانة ومثوبة عنده تعالى سواء أكانوا من الإنس أم الملائكة ﴿ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ ﴾ أي يتقربون إليه بكل ما أحب ﴿ وَيَسْبَحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾ سجود الخاشعين المقينين ..

مِنْ رَبِّكَ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخَافِعًا وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْعُدُوِّ وَالْوَاصِلِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنْ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْبَحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾

(٨) سُورَةُ الْأَنْفَالِ الْمَدَنِيَّةُ وَأَيُّهَا خَيْرٌ وَسَجُونٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَأَطِيعُوا أَمْرَ رَسُولِهِ

سُورَةُ الْأَنْفَالِ الْمَدَنِيَّةُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ - ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ﴾ الخطاب لرسول الله (ص) والمراد بالأنفال هنا كل ما أخذ من دار المحاربين بلا قتال ، والأرض الموات ، ورؤوس الجبال ، ويطون الأودية والأخراج ، وميراث من لا وارث له ﴿ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ وما كان لله فتحه لرسوله ، وما كان للرسول فتحه لمن كان امتداداً له من بعده ديناً وإيماناً وحرصاً على الإسلام ومصالح المسلمين ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ ولا تحكموا بأهوائكم وآرائكم ، وعندكم كتاب الله وسنة نبيه ﴿ وَأَطِيعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاتَّقُوا رَسُولَهُ ﴾ ثم حدد سبحانه المؤمنين المقينين بالصفات الآتية : (١) -

الإعراب :

﴿ تَضَرَّعًا وَخَافِعًا ﴾ مصدران في موضع الحال من واو فاستمعوا ، أي متضرعين وخائفين . ودون الجهر أي وأذكر ربك دون الجهر ، والجملة عطف على واذكر ربك في نفسك . ﴿ وَالْعُدُوِّ ﴾ متعلق باذكر .

٢- ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾
إذا هموا بالمعصية وعزموا عليها ، وأنذرهم نذير بغضب الله
وعذابه - أحجموا واثقوا وإلا فجرده خشوع القلب بلا أثر
فليس من الإيمان والتقوى في شيء (٢) - : ﴿ وَإِذَا نُلِيتْ
عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ بأنهم على بصيرة من دينهم ،
وأنهم يصبرون على الجهاد في سبيله مهما تكن النتائج . (٣) :
﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ ينهضون إلى العمل ، ويبدلون
غاية الجهد ، وفي الوقت نفسه يفوضون أمر النجاح لتوفيق
الله وعنايته (٤) - :

٣- ﴿ الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ أبداً لا يقبل سبحانه
الإيمان بلا صلاة ، ولا مبرر عنده لتزكها على الإطلاق ،
فهو الحد الفاصل بين الكفر والإيمان ، أجل من نطق بالشهادتين
يعامل في الدنيا معاملة المسلم ، وإن ترك الصلاة متهاوناً لا
جاحداً ، وهو في الآخرة من الخاسرين (٥) - : ﴿ وَمِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ وحكم الزكاة والصلاة واحد بنص
القرآن .

٤- ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ وبهذا يتبين لنا أنه لا
إيمان بلا عمل ، وأن الأقوال بلا أعمال ليس من الإيمان
الحق في شيء « كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون - ٣
الصف » ﴿ لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ تبعاً لما يقدمون به
من خدمات لأعيانهم الإنسان ، وما أكثر أحاديث هذا الباب :
« خير الناس أنفعهم للناس ... أفضل الجهاد أن لا تهم بظلم ..
أفضل العبادة كف الأذى ... الدين النصيحة والمعاملة »

حتى الملاح إذا ثار على الظلم ، وعمل لسعادة المكونين

٥- ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ .. ﴾
والبائسين ، فإنه يلتقي مع الإسلام أراد ذلك أو لم يرد .
المراد بهذا البيت المدينة المنورة ، والحق : الصواب الذي لا محيد عنه ، ويشير سبحانه بهذا إلى غزوة بدر ، وخلاصتها :
إن المهاجرين تركوا أموالهم في مكة ، وذهبوا مع النبي (ص) إلى المدينة ، فاعتصمها أبو سفيان وغيره من جبابرة الشرك ،
وحملها أبو سفيان إلى الشام للتجارة ، وعاد إلى مكة بالعرير مثقلة بكل نفيس وثمين ، فحث النبي (ص) الصحابة أن
يقطعوا الطريق ، ويستولوا على العير ، فخرج ٣١٣ رجلاً . ولما علمت قريش بذلك خرجت بقيادة أبي جهل للذب عن
العير ، ولكن أبا سفيان سلك طريقاً آخر ونجت العير ، وأشير على أبي جهل بالرجوع فأبى . وكان قد وعد سبحانه نبيه
الأكرم بأحدى الطائفتين : عير أبي سفيان أو نغير أبي جهل ، فاستشار الصحابة أيعضون لقتال النغير أو يعودون إلى المدينة ؟
فقال بعضهم : ما لنا وللقاتل ؟ إنما خرجنا للعير لا للنغير . فقال النبي (ص) : مضت العير على ساحل البحر . فقال
سعد بن عباد : امض لما شئت ، فإننا متبعوك . وقال سعد بن معاذ : لو خضت هذا البحر لحضناه معك . وقال المقداد : لو
أمرتنا أن نخوض جمر الغضا لقلنا ... ولا نقول لك ما قال بنو إسرائيل : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون
ولكننا نقول : امض لما أمرك ربك ، فإننا معك مقاتلون . ففرح رسول الله (ص) وقال : سيروا على بركة الله .

٦- ﴿ يَجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ ﴾ وهو قتال النغير بقيادة أبي جهل ﴿ بَعْلَمَا تَبِينَ ﴾ بعد ما أخبرهم النبي
(ص) بالنصر ﴿ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ أسبابه عياناً ، وهل ينجو من الموت من خافه ، ويُعطي البقاء

إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ
اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا نُلِيتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ
إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ
وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا
لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿
كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ
مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿
وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ
غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَهَ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَيِّطَ الْحَقَّ
بِكَلِمَتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿ لِيُخَيِّطَ الْحَقَّ
وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ

من أحبه ؟

٧ - ٨ - ﴿ وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ ﴾ العبر أو النّير ﴿ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾ المصدر المنسبك يدل من إحدى الطائفتين ﴿ وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَ ﴾ أي غير ذات القوة وهي العبر ﴿ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ من غير قتال ﴿ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَحِقَّ الْحَقُّ بِكَلِمَاتِهِ ﴾ أَنْ يَنْصُرَ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ عَلَى الشِّرْكِ وَالْمُشْرِكِينَ بآيَاتِهِ الْمُتَرَدِّةِ فِي مُحَارَبَتِهِمْ ﴿ وَيَقْطَعُ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴾ قِتْلًا وَاسْرًا .

٩ - ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴾ إشارة إلى دعاء النبي (ص) يوم بدر : « اللهم انجز لي ما وعدتني ، اللهم إني تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض » ﴿ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمَدِّدُكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ ﴾ أي يتبع بعضهم بعضاً ، وتقدم في الآية ١٢٤ من آل عمران .

١٠ - ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ ﴾ أي جعل سبحانه وعده بمحاربة الملائكة معكم ﴿ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ﴾ وَأَنْتُمْ تَقَاتِلُونَ الْعَدُوَّ فِي جِلْدٍ وَصَبْرٍ ، لَا لِتَتَكَلَّوْا عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ أَبَدًا مَا مِنْ شَيْءٍ يَحْدُثُ إِلَّا وَهُوَ فِيهِ تَدْبِيرٌ حَتَّى وَلَوْ تَوَافَرَتْ جَمِيعُ أَسْبَابِهِ الطَّبِيعِيَّةِ ، لِأَنَّهُ الْأَصْلُ الْأَوَّلُ لِكُلِّ شَيْءٍ .

١١ - ﴿ إِذْ يَغْشِيكُمْ الْعَاسُ أَمَةً مِنْهُ ﴾ كَانَ الْمُشْرِكُونَ حَوَالِي أَلْفٍ مُقَاتِلٍ ، وَالْمُسْلِمُونَ دُونَ الثَّلَاثِ مِنْ هَذَا الْعَدَدِ ، فَخَافَ هَؤُلَاءُ مِنْ كَثْرَةِ أَوَّلِكَ ، فَعَالَجَ سَبِيحَانَهُ خَوْفُهُمْ بِالنُّومِ ، وَمَا اسْتَيْقَظُوا مِنْهُ إِلَّا وَأَنْفُسُهُمْ تَغْمُرُهَا السَّكِينَةُ ، وَالطَّبِّبُ الْحَدِيثُ يَعَالِجُ بَعْضَ الْأَمْرَاضِ بِالنُّومِ ، وَبِخَاصَّةِ حَالَةِ الْفَقْرِ

وَالْإِنْهَارِ الْعَصِيِّ ﴿ وَيَنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنْ السَّمَاءِ مَاءٌ لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رَجْزَ الشَّيْطَانِ ﴾ سَبَقَ الْمُشْرِكُونَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْمَاءِ فِي بَدْرٍ ، فَوَسَّسَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ بِأَنَّهُمْ سَيَمُوتُونَ عَطْشًا لَا مَحَالَةَ ، فَأَنْزَلَ سَبِيحَانَهُ الْمَطَرَ حَتَّى جَرَى الْوَادِي ، فَشَرَبُوا وَتَوَضَّأُوا وَاغْتَسَلُوا وَزَالَتْ وَسْوَةُ الشَّيْطَانِ ﴿ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ ﴾ بِالْإِطْمِئْنَانِ وَعَدَمِ الْخَوْفِ ﴿ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ فِي مِيزَانِ الْقِتَالِ .

١٢ - ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ ... ﴾ أَمَرَ سَبِيحَانَهُ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يَشْجِعُوا الْمُسْلِمِينَ عَلَى الثَّبَاتِ فِي جِهَادِ الْمُشْرِكِينَ ، وَفَعَلَ الْمَلَائِكَةُ ذَلِكَ بِطَرِيقٍ أَوْ بَاحِرٍ ، وَثَبَّتَ الْمُسْلِمُونَ وَانْتَصَرُوا ، هَذَا الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ الْقُرْآنِ . أَمَّا الْحَدِيثُ عَنْ نَوْعِ التَّشْجِيعِ وَالتَّثْبِيتِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَهُوَ رَجْمُ بِالْعَلَبِ ﴿ فَاضْرِبُوا ﴾ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ ﴿ فَوْقَ الْأَعْنَاقِ ﴾ أَقْطَعُوا رُؤُوسَ الطَّغَاةِ ﴿ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ تَحْمِلُ سِلَاحَ الْعُدْوَانِ .

١٣ - ﴿ ذَلِكَ ﴾ إِشَارَةٌ إِلَى السَّبَبِ الْمَوْجِبِ لِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ الطَّغَاةَ وَقَتْلِهِمْ وَهُوَ ﴿ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ خَالَفُوهُمَا بِالْتِمَرْدِ وَالْعُدْوَانِ عَلَى النَّبِيِّ (ص) وَالصَّحَابَةِ ، وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ ، ثُمَّ أَعْلَنُوا عَلَيْهِمُ الْحَرْبَ وَهُمْ فِي دَارِ هَجْرَتِهِمْ .

١٤ - ﴿ ذَلِكَ ﴾ الْعِقَابُ ﴿ فَنُفِيقُوا ﴾ أَيُّهَا الْمَحْرَمُونَ جَزَاءُ بِمَا كُنْتُمْ تَظْلُمُونَ .

١٥ - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا

رَبُّكَ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمَدِّدُكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ إِذْ يَغْشِيكُمْ الْعَاسُ أَمَةً مِنْهُ وَيَنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رَجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَالِقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿ ذَلِكَ فَذُو قُوَّةٍ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ

زَحَفًا ﴿ إِذَا زَحَفَ الْأَعْدَاءُ لِقَاتِكُمْ ﴾ ﴿ فَلَا تُولَوْهُمْ الْأُدْبَارَ ﴾
اِثْبَتُوا لَهُمْ وَلَا تَقْرُوا .

١٦- ﴿ وَمَنْ يُولِهِمْ يَوْمَئِذٍ دَبْرَهُ ﴾
مَتَحِرًّا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنْ اللَّهِ ﴿ أَبَدًا لَا عِذْرَ عِنْدَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ لِمَنْ يَبْرُكُ مَقَامُهُ فِي الْقِتَالِ إِلَّا لِوَاحِدٍ مِنَ الثَّانِيَيْنِ :
الْأَوَّلُ أَنْ يَخْدَعِ الْعَدُوَّ ، وَيُرِيَهُ أَنَّهُ مَنهَزٌ مِنْهُ حَتَّى إِذَا تَبِعَهُ انْعَطَفَ عَلَيْهِ : الثَّانِي أَنْ يَنْحَازَ إِلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُقَاتِلِينَ الْمُسْلِمِينَ لَأَنَّهُمْ بِحَاجَةٍ إِلَى نَصْرَتِهِ .

١٧- ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ ﴾ ﴿ نَحْوَلَكُمْ وَقَوْنَكُمْ ﴾ ﴿ وَلَكِنْ اللَّهُ قَتَلَهُمْ ﴾
بِمَا أَمَدَكُم بِهِ مِنَ الْمَلَأَكَةِ وَإِزَالَةِ الرَّعْبِ مِنْ قُلُوبِكُمْ وَالْقَائِنَةِ فِي قُلُوبِ الْمُشْرِكِينَ ، وَفِي آيَةِ ١٤ مِنَ التَّوْبَةِ « يَعْذِبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ » ﴿ وَمَا رَمَيْتُ ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿ إِذْ رَمَيْتُ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ أَجَلٌ ، وَلَكِنَّهُ اخْتَارَ سَبْحَانَهُ لِرَمِيَتِهِ كَفَ مُحَمَّدٌ الَّذِي فَضَّلَهُ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ . وَكَانَ النَّبِيُّ (ص) قَدْ أَخَذَ يَوْمَ بَدْرٍ قَبْضَةً مِنْ حَصَى وَتَرَابٍ ، وَرَمَى بِهَا وَجْهَ الْأَعْدَاءِ وَقَالَ : شَاهَتِ الْوُجُوهَ ، فَانْهَزُوا ﴿ وَلِيْلِي الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا ﴾ الْمُرَادُ بِالْبَلَاءِ هُنَا الْعَطَاءُ ، وَالْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ نَصَرَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ بَدْرٍ تَفَضُّلاً مِنْهُ وَكَرَمًا .

١٨- ﴿ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴾
سَبْحَانَهُ يَبْطُلُ كَيْدُ الْمَجْرِمِينَ وَالْمُبْطِلِينَ ، مَا فِي ذَلِكَ رَيْبٌ ، وَأَيْضًا لَا شَكَّ وَلَا رَيْبَ أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ يَجْرِي الْأُمُورَ عَلَى أَسْبَابِهَا ، وَالسَّبَبُ الْمَوْجِبُ لَانْتِصَارِ الْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ أَنْ يَبْدَأَ لَهُ الْعُدَّةُ وَإِلَّا أَخَذَ الْبَاطِلُ مَاخِذَهُ ، وَسَادَ الْجَوْرُ وَالْفَسَادُ .

١٩- ﴿ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ ﴾ الْخُطَابُ لِمُشْرِكِي مَكَّةَ الَّذِينَ حَارَبُوا رَسُولَ اللَّهِ (ص) فِي بَدْرٍ ، وَمَعْنَى إِنْ تَسْتَفْتِحُوا إِلَى أَنْ تَطْلُبُوا الْفَتْحَ ، وَالْمُرَادُ بِهِ النَّصْرُ . وَرَبُّ قَاتِلٍ : إِنْ الْمُشْرِكِينَ فِي وَقْعَةٍ بَدْرٍ قَدْ جَاءَهُمُ الْكُسْرُ وَالْقَتْلُ وَالْأَسْرُ . فَكَيْفَ قَالَ لَهُمْ سَبْحَانَهُ : قَدْ جَاءَكُمْ النَّصْرُ ؟ الْجَوَابُ : إِنْ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا قَدْ دَعَا اللَّهَ أَنْ يَنْصُرَ أَحَبَّ الطَّائِفَتَيْنِ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُمْ : تَقَدَّسَتْ كَلِمَاتُهُ : سَمِعْتُ مِنْكُمْ الدَّعَاءَ ، وَنَصَرْتُ أَحَبَّ الطَّائِفَتَيْنِ إِلَيَّ ، وَلَكِنْ أَخْطَأْتُمْ فِي التَّطْبِيقِ ﴿ وَإِنْ تَنْتَهُوا ﴾ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ عَنْ حَرْبِ الْمُسْلِمِينَ ﴿ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا ﴾ إِلَى حَرْبِهِمْ ﴿ نَعُدُّكُمْ ﴾ إِلَى نَصْرَتِهِمْ ﴿ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِتْنَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ ﴾ لَا غِنَى لَكُمْ فِي كَثْرَةِ الرِّجَالِ مَا مَتَمَّ عَلَى الشَّرْكِ وَالضَّلَالِ ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الْعَامِلِينَ بِطَاعَتِهِ الْمَجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ .

٢٠- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ ﴾ لَا تَعْرِضُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﴿ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ كِتَابُ اللَّهِ .

٢١- ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ وَمَا أَكْثَرَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ظَهْرًا ، وَبِيتَخَذُونَ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا .

٢٢- ﴿ إِنْ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبِكْمِ الَّذِينَ

كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولَوْهُمْ الْأُدْبَارَ ﴿ وَمَنْ يُولِهِمْ يَوْمَئِذٍ دَبْرَهُ ﴾ إِلَّا مَتَحِرًّا لِقِتَالٍ أَوْ مَتَحِرًّا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَهُ جَهَنَّمُ وَبَيْتُ الْمَصِيرِ ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتُ إِذْ رَمَيْتُ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيْلِي الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا إِنْ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴾ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِتْنَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿ * إِنْ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ

لا يقولون ﴿ الغرض من السمع الفهم والعمل بما يسمع الإنسان من نصح ورشاد ، ومن التلق الإقرار بالحق ، فإن لم يكن هذا ولا ذلك فلا سمع ونطق ، بل ولا عقل .

٢٣ - ﴿ ولو علم الله فيهم ﴾ أي في الصم البكم الذين ذكرهم قبل لحظة ﴿ خيراً ﴾ أي يشهدون الخير لوجه الخير ﴿ لأسمعهم ﴾ بتمهيد السبيل إلى فعل الخير ، ولكنهم لا يرون أي شيء ، ولا يؤمنون بشيء إلا بمنافعهم الذاتية الشخصية ، فهي وحدها الخير كل الخير ، وما عداها كلام فارغ ﴿ ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون ﴾ حتى

ولو قدم لهم الخير والحق على طبق من بلور لحطموه إلا أن يتفق مع أهوائهم وأغراضهم ، وأكثر الناس يتقادون من بطونهم لا من عقولهم بشهادة القرآن الكريم : « بل جاءهم الحق وأكثرهم للحق كارهون - ٧٠ المؤمنون » .

٢٤ - ﴿ يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾ لقد حددت هذه الآية الإسلام بالدعوة إلى العمل من أجل حياة أكمل ، أي الدعوة إلى العلم النافع ، إلى الحقل والمصنع الذي ينتج الغذاء والدواء والكساء ، وإلى المدرسة والميتم والمستشفى ، وإلى المساواة والعدالة الاجتماعية ، وإلى الأخوة والتعاون في هذا الميدان ، وإلى التحرر من كل قيد يقف في سبيل هذه الحياة ... هذا هو الجوهر والأساس لمنهج الإسلام وفلسفته في عقيدته وشريعته وآدابه وأخلاقه وجميع أحكامه . وأخيراً فكل من يعمل للخير الحياة فإنه يلتقي مع دين الإسلام على صعيد واحد كائناً من كان ويكون

﴿ واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ﴾ يملك عليه قلبه ، فيغير نياته ، ويفسخ عزائمه ، ويبدل له بالذكر نسيانه ، وبالنسيان ذكراً ، وبالخوف أمناً ، وبالأمن خوفاً ، وقدمنا مرات ونكرر أنه لا مسببات بلا أسباب ولا نتائج بلا مقدمات طبيعية وعقلية ، وأن كل الأسباب والمقدمات تنتهي إليه تعالى ، ومن هنا صحت النسبة .

٢٥ - ﴿ واتقوا فتنة لا تصيب الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ إذا وقعت الواقعة أخذت مجراها ، وأثرت أثرها طبيعية كانت أو اجتماعية ، ولا تدخل في حسابها الأتقياء والأبرياء ، فأضرار الحرب - مثلاً - لا تنال بأضرار السلام والأراذل والأيتام . وأيضاً إذا هبت الريح جنوباً ، وأبحر الولي التقي باتجاه الشمال ، فإن الله سبحانه لا يأمر الريح بالهبوب شمالاً إكراماً لوليّه وصفيه .

٢٦ - ﴿ واذكروا ﴾ يا معشر الصحابة ﴿ إذ أنتم قليل ... ﴾ كان العرب قبل محمد (ص) أمة أمية ، وبه أصبحوا ما هو معلوم لدى الجميع حتى صار الكلام عنه تماماً كالحديث عن فائدة العلم والماء والنور والهواء .

٢٧ - ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ أي يا أيها المنتمون إلى الإسلام ﴿ لا تخونوا الله والرسول ﴾ بالخلافات والمشاحنات ، والالتقياد للدعواء الطغاة ﴿ وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون ﴾ أي تخونوا مصلحتكم بالصبر والسكوت

الصُّمُّ الْبُكْرُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُخْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تُخَافُونَ أَنَّ يُخْطَفَكُمْ النَّاسُ فَاقْتُلُوكُمْ وَيَأْخُذَ بِرِجْلِكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَكُونُوا أَمْسِنَتَكُمْ وَانْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

ويرى أن ابن عباس حين سمع قوله تعالى : « ولا تركنوا إلى الذين يفسدون في الأرض ، وأنتم على علم اليقين بحقيقتهم ، الذين ظلموا فتمسكم النار - ١١٣ هود » قال : إذا كان هذا حال من لا يصدر عنه إلا مجرد ركون ، ولم يشترك في قول أو فعل ، فالويل كل الويل لمن أطرى وشارك .

٢٨- ﴿ واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾
تفودكم إلى الإنم والحرام ، فكم من رجل أثر زوجته وذويه وأولاده على السائل والمحروم ، ومنعها من الحق المنصوص عليه بالقرآن ، وأسوأ حالاً من هذا من يقبض من أموال الأغنياء أسهم الفقراء وحقوقهم ليوصلها إليهم كأمين ، فيستأثر بها هو وذويه كأنها ميراث من أبيه أو من كد يمينه ! ﴿ وأن الله عنده أجر عظيم ﴾ إن ثواب الله خير وأفضل من الأموال والأولاد ، ولكن عند المقتن باطلاً وواقعاً لا شكلاً وظاهراً .

٢٩- ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تنقوا الله يجعل لكم فرقاناً ﴾
إذا تحررتم من عاطفة حب المال والأولاد وطغيانها على دينكم وعقولكم يجعل في قلوبكم هدى ونوراً تفرقون به بين الحق والباطل والخطأ والصواب .

٣٠- ﴿ وإذ يمكر بك ﴾ يا محمد ﴿ الذين كفروا ﴾ وهم الجابرة الطغاة من قريش ﴿ ليثبتوك ﴾ ليقيدوك وليثبتوك ﴿ أو يقتلوك أو يخرجوك ﴾ يشير سبحانه بهذا إلى قصة تأمر قريش على رسول الله (ص) ومبيت علي في فراشه ، وخلاصتها أن قريشاً أجمعت على الخلاص من النبي ، فأشار بعضهم أن يوثق ويقيد فتشل حركته ودعوته ، وقال آخر : انقوه من مكة ، ثم اتفقوا جميعاً أن يختاروا من كل قبيلة رجلاً ، ويقتلوه بضربة واحدة مجتمعين وهو نائم في فراشه ، فيضرق دمه في القبائل ، ولا يقوى بنو هاشم على حرب الجميع ، فأوحى الله إلى رسوله بقصتهم ، وأمره أن يبيت علي في فراشه بعد أن يتشع برده ، ولما بادر القوم إلى مضجع الرسول (ص) أبصروا علياً ، فبهتوا وأبطل كيدهم ومكرهم ، وإلى هذا أشار سبحانه بقوله : ﴿ ويمكرون ﴾ أي يدبرون قتل محمد بوسيلة لا يؤخذون معها بدمه ﴿ ويمكر الله ﴾ أي يخطط سبحانه ومكرهم وكيدهم بما دبر من مبيت علي وهجرة النبي ﴿ والله خير الماكرين ﴾ أي أن تديره تعالى فوق كل تدير وتقدير ، وتقدم مثله في الآية ٥٤ من آل عمران .

٣١- ﴿ وإذا تلى عليهم آياتنا ﴾ القرآن ﴿ قالوا ﴾ بعض مشركي قريش : ﴿ قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ﴾ ولماذا سكتوا ؟ وقد تحداهم أن يقلدوا سورة واحدة ، وقرعهم بالعجز والقصور ، وهم الحريصون على تكذيبه ... ولا شيء أيسر على الإنسان من الكلام وحركة اللسان ... لقد أنكر السفسطانيون وجود كل شيء حتى وجودهم !

٣٢- ﴿ وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء ... ﴾ هم يعلمون علم اليقين أن محمداً نبي حقاً وصدقاً ، ولكنهم يفضلون الهلاك والخلود في العذاب الأليم على الخضوع له والاعتراف بفصله ، وهكذا يفعل الحقد والحسد إذا تأججت ناره في الصدور ، وإني لأعرف معرفة شخصية في هذا الوصف أكثر من واحد .

إِنْ تَنْقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٣١﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا نُتِلَى عَلَيْهِمُ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ أُنْزِلْ عَلَيْنَا آيَاتٌ مِنْ رَبِّكَ فَاسْتَجَبْنَا لِلَّذِينَ مُكَرَّمُوا فَأَصْحَارُ أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوا هَذَا الْقَوْمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائِهِمْ إِلَّا الْمُتَفُونُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا

٣٣- ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ لا يعذب الله أهل مكة ، وإن كانوا أهلاً له ما دام محمد (ص) بين أظهرهم ، وفيه إيحاء إلى أنه تعالى يعذبهم إذا هاجر عنهم النبي كما تأتي الإشارة ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ وأيضاً لا يعذبهم الله سبحانه ما دام في بلدهم قوم من المسلمين المستضعفين ، وهم الذين بقوا في مكة بعد خروج رسول الله منها لعجزهم عن الهجرة .

٣٤- ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ أي لا يعذب مشركي مكة بعد خروج النبي منها والبقية الباقية من المسلمين! وقد عذبهم يوم بدر ، وأذلهم يوم فتح مكة ﴿وَهُمْ يَصَلُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي شيء يمنع من عذابهم ، وقد منعوا المؤمنين من التعبد لله في الكعبة المقدسة ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾ ليس المشركون أصحاب المسجد الحرام ، ولا هم أولياء عليه ، بل هم أعداء الله ورسوله ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤَهُ إِلَّا الْمُنَافِقُونَ﴾ وفي هذا المعنى قول الإمام علي (ع) : «إن ولي محمد من أطاع الله وإن بددت لحمته (أي نسيه) وإن عدو محمد من عصى الله وإن قربت قرابته» .

٣٥- ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ﴾ أي صلاة المشركين ﴿عِنْدَ الْبَيْتِ﴾ الحرام ﴿إِلَّا مَكَاةً﴾ صغيراً بالفم ﴿وَتَصَدِيقَةً﴾ تصفيقاً باليد .

٣٦- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾ يبذلونها بسخاء وعن طيب نفس ، لا شيء إلا ﴿لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ والآن تبذل الملايين على الإعلام الملقوم ، والتوجيه المسموم ، وتشويه الحقائق لتضليل الآراء والمعتقدات

﴿فَسَيَفْقَرُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً...﴾ يضحون بكل غال ونفيس ليقضوا على الإسلام ، وبأبى الله سبحانه إلا أن ينصر الإسلام وبنبي الإسلام ، ويظهره على الدين كله .

٣٧- ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ لا يستقيم في عدله أن يستوي المجرم والبريء : «أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستويون - ١٨ السجدة» بل يبيد المؤمن ويعاقب الفاسق ﴿وَيَجْعَلُ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ﴾ يجمع سبحانه غداً المجرمين بعضهم فوق بعض متراكمين متراكبين ، ثم يلقي بهم في نار جهنم تماماً كحزمة من حطب تطرح في الأنثون دفعة واحدة .

٣٨- ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتُوبُوا﴾ إن يتوبوا ﴿يَغْفِرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ وفي نهج البلاغة : ما كان الله ليفتح على عبد باب التوبة ويغلق عنه باب المغفرة ﴿وَأَنْ يَتُوبُوا﴾ يعيدوا فقد مضت سنة الأولين ﴿أَيُّ مَضَتْ سَنَةُ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ وهي عقوبة الكافرين في الدنيا قبل الآخرة ، ونصر المرسلين إليهم .

٣٩- ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ...﴾ تقدم في الآيات ١٩٣ من البقرة .

٤٠- ﴿وَأَنْ تَتُوبُوا﴾ أصروا على الكفر والجحود بنبوته محمد (ص) ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ﴾ يحميكم ويرعاكم ﴿نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ بل لا نصر إطلاقاً إلا من عند الله بشرط واحد فقط ، وهو أن نطيعه في قوله : «ولا تنازعوا فتفشلوا - ٤٦ الأنفال ... وأعدوا لهم ما استطعتم

مُكَاءً وَتَصَدِيقَةً فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
فَسَيَفْقَرُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ
كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ
الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ
جَمِيعاً فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾
قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتُوبُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ
يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى
لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا فِتْنَةٌ فَإِنَّ أُنْتَهُوا فَإِنَّ
اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ * وَاعْلَمُوا
أَنَّكُمْ عَنِ اللَّهِ مَنَئِيءٌ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِي

٦٠ نفس السورة .

٤١- ﴿وَاعْمَلُوا إِنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ هذا اللفظ يشمل ويعم كل غنيمة دون استثناء ، لأن « ما » اسم موصول وهي تدل على العموم هنا ، و « من شيء » بيان لما تدل عليه « ما » أي من كل شيء . وعمل الشيعة بهذا العموم وأوجبوا الخمس في كل فائدة على البيان والتفصيل المذكور في كتبهم الفقهية ، وقال السنة : لا ريب في أن دلالة الآية عامة لكل فائدة ، ولكن ثبت عندنا تخصيصها بما أخذ من الكفار على وجه القتال والغلبة ، ولو ثبت هذا التخصيص عند الشيعة لعملوا بقول السنة ، وأيضاً لو لم يثبت عند السنة لعملوا بقول الشيعة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ خَمْسَهُ لِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ هذا بيان للذين يستحقون الخمس . وقال الشيعة : حيث لا نبي بعد محمد (ص) ولا إمام ظاهر يقسم الخمس نصفين : ينفق الأول في تأييد الدين ، وترويج الشريعة ، وكل ما تعلم علم اليقين بأنه يرضي الله ورسوله ، والنصف الثاني ينفق على اليتامى والمساكين وارب السبيل من بني هاشم بالخصوص عند أكثر علماء الشيعة ، وقال بعضهم بل لكل مسلم من الأصناف هاشمياً كان أو غير هاشمي . ولا يتسع المجال لأكثر من هذا البيان .

﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ﴾ حقاً وصدقاً فعليكم أن توجبوا الخمس في كل غنيمة وفائدة بلا استثناء ، وأن تفقهوا على الذين نصت عليهم هذه الآية ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ محمد وهو القرآن ، وأيضاً أنزل عليه النصر ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ وهو يوم بدر حيث فيه فرق سبحانه بين الكفر والإيمان باعلاء كلمة الاسلام على الشرك . ﴿يَوْمَ التَّقِيهِ الْجَمْعَانِ﴾ :

جمع المؤمنين وجمع المشركين ٤٢- ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدَّةِ الدُّنْيَا﴾ أي جانب الوادي ، والدنيا مؤثت الأدنى ﴿وَهُمُ الْمُشْرِكُونَ الْمُحَارِبُونَ بِقِيَادَةِ أَبِي سَهْلٍ الْجَهْلِيِّ الْمَعْرِ عَنْهُمْ بِالْفَيْرِ﴾ بالعدوة القصوى أي بالجانب الأبعد من الوادي ﴿وَالرَّكْبُ﴾ أي العير التي مع أبي سفيان ﴿أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ حيث سلك أبو سفيان ساحل البحر خوفاً من النبي (ص) ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَا خَطَفْتُمْ فِيهِ الْمِعَادَ﴾ لو خرجتم أنتم أيها المسلمون منذ البداية إلى قتال المشركين متواعدين معهم على ذلك في أمد معين ، ثم علمتم بأنهم أكثر منكم لأخفتم الميعاد ، ولم تذهبوا إلى القتال خوفاً منهم ﴿وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ ولكن دير هذا اللقاء للقتال على غير ميعاد حيث خرجتم للعير لا للفير ، فحول سبحانه عن العير إلى الفير ، ليقع ما أراد من إعزاز الدين وإذلال المشركين ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيْتِهِ وَيُحْيِيَ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيْتِهِ﴾ المراد بمن هلك من كفر ، وبمن حي ، من آمن ، والمعنى أن الله نصر أوليائه ليكون ذلك حجة قاطعة على أهل الكفر ، وقهر أعداءه ليكون ذلك حجة ظاهرة لأهل الإيمان ٤٣- ﴿إِذْ يَرْيَكُ اللَّهُ﴾ أي يريك المشركين المحاربين ﴿فِي مَنَامِكَ﴾ في عينك لأنها مكان النوم كما في بعض التفسيرات ﴿فَلَيْلًا﴾ كي تحسروا على قتالهم ﴿وَلَوْ أَرَأَيْتُمْ كَثِيرًا لَفُتِنْتُمْ﴾ لهنتم وجبتهم عن قتالهم ﴿وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأُمْرِ﴾ في الرأي ، وتفرقت كلمتكم ﴿وَلَكِنْ اللَّهُ سَلَّمَ﴾ أنعم عليكم بالسلامة من الفشل وتفتت الصفوف ٤٤- ﴿وَإِذْ يَرْيَكُمُوهُمْ إِذْ التَّفَتُّمِ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ ليشد من عزمكم أيها المسلمون على قتال المشركين ويقللكم في أعينهم كيلا يبالغوا في الاستعداد لقتالكم وإن سأل سائل عن هذا التكرار أجابه بأنه نوع من أساليب الدعاية ،

الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقِيهِ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدَّةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدَّةِ الْقَصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَا خَطَفْتُمْ فِي الْمِعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيْتِهِ وَيُحْيِيَ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيْتِهِ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يَرْيَكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَيْتُمْ كَثِيرًا لَفُتِنْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأُمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يَرْيَكُمُوهُمْ إِذْ التَّفَتُّمِ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً

قال غوستاف لوبون في كتاب الآراء والمعتقدات : « إن التوكيد والتكرار عاملان قويان في تكوين الآراء وانتشارها » .

٤٥- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً ﴾ باعية نسعى في الأرض فساداً ﴿ فَاقْتُلُوا ﴾ في جهادهم وقتلهم ﴿ وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ أي يجب أن يكون الجهاد خالصاً لوجه الله لا للغنمة أو السمعة ونحوها ﴿ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴾ فيه إيماء إلى أن النصر والظفر في القتال والجهاد لا يتحقق إلا مع شرف الغاية ونزاهة القصد .

٤٦- ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ أي قوتكم وهيبتكم ... إن جراحنا نحن المسلمين لا تلثم ، وأدواءنا لا تنحسم إلا أن نكون كالبنيان المرصوص . يشد بعضه بعضاً ، وهل من مسلم يجهل بأن هذا الخصام والإقسام بين قادة المسلمين هو أشد فتكاً بالإسلام والمنتمين إليه ، من أي سلاح حديث ؟ ونحن الذين صنعوا هذا السلاح للقاتل ، وقدمناه لعدونا وعدو ديننا بلا مقابل إلا الخزي والهوان ... لقد ابتدأ الإسلام من جمع الشمل ، وانطلق نبي الإسلام من المؤاخاة بين أصحابه وأتباعه ، ومن هنا يجب أن نبداً وننتقل وإلا فلا وزن للمسلمين وإن كانوا مئات الملايين وأغنى أغنياء الأولين والآخرين .

٤٧- ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا ﴾ يشير سبحانه بهذا إلى التغير بقيادة أبي جهل ، خرجوا من مكة ليحموا العير ، فقبل لهم : ارجعوا لقد سلمت العير ، فقال أبو جهل : لا نرجع حتى تقدم بدرأ ، ونشرب فيها الخمر وتعرف علينا القيان ، وهذا بطرهم وغرورهم الذي أشارت إليه الآية بكلمة « بطلاً » أما قوله تعالى : ﴿ وَرَاءَ النَّاسِ ﴾ فهو إشارة إلى قول أبي جهل : نريد أن يسمع الناس بشجاعتنا وعظمتنا .

٤٨- ﴿ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ ﴾ في عداوة رسول الله وحره ﴿ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ ﴾ فاقدموا على حرب محمد والصحابه ﴿ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ ﴾ مجبر ونصير ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَتْ ﴾ تلاقت ﴿ الْفِئَتَانِ ﴾ المسلمون والمشركون ﴿ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ ﴾ رجع إلى الوراء ﴿ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ ﴾ أشعل النار ونجا بنفسه ، أما الذين غرهم واغترخوا به فإل داهية ﴿ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ ﴾ من أن الله منجز وعده وناصر جند المسلمين لا محالة ، ونسي ما قاله للمشركين قبل ساعة : « لا غلب لكم » ولكن المناق يحبك الكلام بما يأتي على لسانه ، له كان أو عليه .

٤٩- ﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ وهم الذين حسدوا محمداً على ما آتاه الله من فضل النبوة : ﴿ غُرْهُوْلَاءَ ﴾ المسلمين ﴿ دِينَهُمْ ﴾ حيث تصدوا لقتال قوم أكثر منهم عدداً وأقوى عدة ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ليس النصر بالكثرة ، ولا الخذلان بالقلة ، وإنما النصر بالإخلاص والصبر على الجهاد والتفسيحة والتوكل على الله . ٥٠- ٥١- ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ ﴾

فَاقْتُلُوا وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِءَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غُرْهُوْلَاءَ دِينِهِمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ

من حياتهم وهم على فراش الاحتضار، ويمضي معهم إلى القبر والنشر والحشر ... إلى ما شاء الله ، والمراد بضرب الوجه والأفنية أن العذاب محيط بهم من كل ناحية .

٥٢ - ﴿ كَذَابُ آلِ فِرْعَوْنَ ... ﴾ أخذ سبحانه المشركين يوم بدر بالعذاب كما أخذ آل فرعون وغيرهم ، لأن الأشياء المتماثلة تؤدي إلى نتائج متماثلة ، وتقدم في الآية ١١ من آل عمران .

٥٣ - ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُ لَمْ يَكُ مَغْفِرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ ليس المراد بالنعمة هنا الرزق فإن محمداً كان أخص الناس بطناً ، وقال كليم الله : « رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير . - ٢٤ القصص » وإنما المراد بها الشأن والكرامة - مثلاً - كان للعرب هبة وسلطان حين اتحدوا وجاهدوا ولما تخاذلوا وتكاسلوا سقوا كأس المذلة والهوان بأيدي الأسافل والأراذل ... أبداً لكل حادثة سبب ، وما ربك بظلام للعبيد .

٥٤ - ﴿ كَذَابُ آلِ فِرْعَوْنَ ... ﴾ أعاد سبحانه لمجرد الإشارة إلى أنه قد كان لهم سلطان غالب فحقوا بعد أن غيروا وبدلوا .

٥٥ - ٥٦ - ﴿ إِنْ شَرَّ الدَّوَابِّ ... ﴾ قال المفسرون : المراد بهم اليهود ، لأنهم عاهدوا النبي (ص) أكثر من مرة ، ونقضوا عهدهم في كل مرة .

٥٧ - ﴿ فَمَا تَتْلِفُهُمْ ﴾ تصادفهم ﴿ فِي الْحَرْبِ ﴾ فشردهم بالشدّة والقسوة والاحتقار والجفوة ، ليس المراد إضرب اليهود من الخلف ،

وَأَذْبَرَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٢﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥٣﴾ كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ ۖ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٤﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مَغْفِرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَ عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ ۖ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ ۖ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٥٦﴾ إِنْ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٧﴾ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٨﴾ فَمَا تَتْلِفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ ۖ فَشَرَّ بِهٍم مِّنْ خَلْفِهِمْ لَعَلَّهِمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٩﴾

اللغة :

أصل الدابة لكل ما دب على وجه الأرض، ثم غلب استعماله في ذوات الأربع، والتغيب الطفر، والتشريد الإبعاد. والتبذ الطرح. ورباط الخيل حبسها واقتنؤها. وجنحوا مالوا. والسلم بفتح السين وكسرهما ضد الحرب، ويشمل الصلح والمهادنة، ويذكر ويؤث.

الإعراب :

جمله ﴿ذوقوا عذاب الحريق﴾ مفعول لغوم محذوف أي ويقول الملائكة للكفار ذوقوا . وظلام الباء زائدة ، وظلام خبر ليس، والمصدر المنسبك من ان الله ليس بظلام للعبيد مجرور بالباء المحذوفة أي بأن الله ليس بظلام . ﴿كذاب آل فرعون﴾ الكاف بمعنى مثل في موضع رفع خبراً لابتداء محذوف أي دأبهم مثل دأب آل فرعون . والمصدر المنسبك من ﴿ان الله سميع عليهم﴾ مجرور بحرف جر محذوف متعلقاً بمحذوف أي وذلك كائن بأن الله سميع عليهم . ﴿الذين عاهدتم منهم﴾ بدل بعض من الذين كفروا . ﴿واما تنفثهم واما تحافن﴾ اما مركبة من كلمتين ان الشرطية وما الزائدة ، ودخلت نون التوكيد على الفعل لوجود ما ، ومفعول ابتذ محذوف أي عهدهم .

بل المراد أن وراء اليهود قوماً مشركين يشدون أزهم . فإذا ضربت اليهود ضربة قاسية انعط واعتبر الذين يؤازرونهم .

٥٨ - ﴿ وَإِنَّمَا تَخَافْنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ ﴾ إذا كان بينك يا محمد وبين قوم عهد ، وأيقنت أنهم يتخذون من هذا العهد ستاراً يدبرون من ورائه الغدر والاختيال ﴿ فَأَنِبُوا إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾ عاملهم بالمثل في رد العهد حتى يكون تصرفك معهم وتصرفهم معك بمنزلة سواء : قال الإمام علي (ع) : الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله ، والغدر بأهل الغدر وفاء عند الله .

٥٩ - ﴿ وَلَا يَحْسِنُ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبْقُوا ﴾ فانوا وجوا من العقاب ﴿ إِنَّهُمْ لَا يَعْزُونَ ﴾ لا يعجزه من طلب ولا يفوته من هرب .

٦٠ - ﴿ وَأَعْدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ﴾ والمراد بهذا الرباط وتلك القوة كل ما يتم به النصر على الأعداء وأثبت العصر الراهن أنه لا حول ولا قوة لأبي مجاهد في ميدان القتال أو الإعلام إلا بالعلم ، بل لا حياة إلا به ، وأنه لا وسيلة للجهل إلا الاستسلام للعلم ... أجل ، إن العلم العملي وحده لا يقود البشرية إلى السعادة والهداية إلا مع الدين والتقوى ، ولكنه يصون من الصغار والهزيمة - على الأقل - وقد بين سبحانه في الكثير من آياته كيف أخذ المجرمين والظغاة بالبركان والظوفان والزلازل والصواعق ، ومعنى هذا أنه لاحق بلا قوة ، ونحن العرب والمسلمين نملك القوة كافية وافية ، ولكن لا نريد استعماها ! ولماذا ! لأن المخططين هكذا أرادوا .

﴿ وَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ ﴾ أي كما ترهبون بالقوة أعداء

الله وأعداءكم ، أيضاً ترهبون بها قوماً آخرين ، وهم الأذنان والصراصر الذين يعملون في الخفاء ﴿ لَا تَعْلَمُونَهُمْ ﴾ على حقيقتهم ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ بما ينطوون عليه من لؤم وحقد على كل مصلح ومخلص ﴿ وَمَا تَفْقَهُوا مِنْ شَيْءٍ ﴾ . تقدم مرات ، وذكر هنا حيث لا قوة ولا رباط إلا ببذل المال . ٦١ - ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلَامِ ﴾ القائم على العدل فاجنح لها . لأن القصد من القتال دفاع المعتدين . وتأديب المفسدين . ٦٢ - ﴿ وَإِن يَرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ ﴾ إن شككت يا محمد في نوايا الذين طلبوا منك المسألة ، ولم تجزم بمكرهم - فاستجب لهم ، والله كافيك ومعافيك .

٦٣ - ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ... ﴾ قد يملك الإنسان نفسه ، فينتلع أخطاء الآخرين ، ويكظم الغيظ ، وأيضاً قد يترك ما يحب ، ويفعل ما يكره . ولكنه لا يستطيع هو ولا أية قوة في العالم أن تسيطر على قلبه ، وتلجته قسراً على أن يحب أو يكره هذا دون ذلك أجل ، هناك أسباب طبيعية كالإساءة يتولد منها البغض والكراهية ، وكالإحسان يوجب الإلفة والمحبة . قال سبحانه : ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عداوة كَانَهُ وَلِيٍّ حَمِيمٍ ﴾ - ٣٤ فصلت ومن أهم الأسباب الموجبة لتأليف القلوب وحدة الإيمان والعقيدة ، قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ - ١٠ الحجرات ﴾ فالإيمان بمبدأ واحد ودين واحد ويوحد بين القلوب ، ويربط بين الصالح والمصائر ، والله سبحانه قد جمع قلوب أصحاب محمد بالإسلام والإيمان ، وجبه إليهم وزينه في قلوبهم كما في الآية ٧ من الحجرات ، ومن

وَأِنَّمَا تَخَافْنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ فَأَنِبُوا إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعْدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَغْلِبُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يَرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ

هنا صحت النسبة إليه تعالى .

٦٤- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ لا تبال يا محمد بمن نصب لك العداء وجمع لحربك ، لأنك في حصن حصين من توفيق الله ورعايته ، ومن اخلاص المؤمنين لك ودفاعهم عنك . وجاء في كتب التاريخ والسيرة : إن الصحابة كانوا يقتدون الرسول (ص) بالهيج والأرواح ، وكان الآباء يبارزون الأبناء من أجله ، كما كان الولد يتربص بوالده والأخ بأخيه ، وكانت المرأة تفقد زوجها وأولادها وأباها ، فتحمد الله على نجاة رسول الله (ص) .

٦٥- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حُرِّصَ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى الْقِتَالِ ﴾ دفاعاً عن الإسلام والمسلمين ﴿ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ ... ﴾ مرت دعوة الإسلام بالعديد من المراحل الأولى : مرحلة السخريّة والاستهزاء من الإيمان برب واحد والحياة بعد الموت والمساواة بين جميع الناس ، المرحلة الثانية : مرحلة المقاطعة والاضطهاد والإذناء بشئ ألوانه .. إلى مرحلة الحرب والقتال ، وكان المسلمون قلة ، والمناقفون ينشرون بينهم الخوف من المشركين ، ويشيعون الذعر حتى خاف المسلمون أن يخطفهم الناس من كل جانب كما تقدم في الآية ٢٦ من السورة التي نحن بصدها ، فثبت سبحانه قلوب الصحابة بعد عزيمتهم بشئ الوعود والأساليب ، ومنها هذه الآية .

٦٦- ﴿ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ ... ﴾ قياس الإقدام على الحرب أن لا يكون عملية انتحارية في نظر أهل الاختصاص أما كثرة العدد فليس بالشئ المهم ، كما جاء في الآية ٢٤٩ من البقرة : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، هذا ، إلى أن حرب اليوم بالعلم وأسلحته المهنمية ، ومحطات التجسس وطائراته وسفنه وغير ذلك ... ورب ضغط باصبع يدمر مدينة بكاملها أو يقني جيشاً عن آخره ، وعليه فلا موضوع اليوم لهاتين الآيتين ، وفوق ذلك هما مختصتان بالنبي والصحابة فقط - كما نرجح .

٦٧- ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُخْرِجَ فِي الْأَرْضِ ﴾ حتى يهلك الباطل وأهله ، ونزلت هذه الآية في أسرى المشركين يوم بدر ، وكانوا سبعين ، ولم يؤسر أحد من الصحابة ﴿ تَرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا ﴾ هذا عتاب موجه بصفة خاصة لمن أسر مشركاً بقصد الغنيمة وأخذ الفدية غافلاً أو غير مكترث بما يترتب على حياته من فساد في الأرض وعدائه للإسلام وأهله ، ولو قتلته لأراح الناس من شره . ﴿ وَاللَّهُ يَرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ وقطع كل أفك أئيم .

٦٨- ﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ ﴾ من لطفه بكم أيها الصحابة ورحمته لكم ﴿ لِمَسْكُمُ فِيمَا أَخَذْتُمْ مِنَ الْأَسْرَى وَالْقِدَاءِ ﴾ عذاب عظيم ﴿ وَسَلَامٌ عَلَى الْعَالَمِ بِلِلَّهِ حَيْثُ يَقُولُ : « لَا يَشْغَلُهُ غَضَبٌ عَنْ رَحْمَةٍ » .

٦٩- ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ بما جاهدتم واستجيتهم لدعوة الله ورسوله .

٧٠- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمُ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا ... ﴾ الله سبحانه يغفر لكم هذا الأسر ، بل ويزيدكم من فضله ، شريطة أن تكونوا صادقين في إيمانكم مخلصين في مقاصدكم خائفين من

الْمُؤْمِنِينَ ﴿ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّصِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ﴾ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مَائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿ أَلَمْ نَخَفْ اللَّهَ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِكْرَ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مَائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُخْرِجَ فِي الْأَرْضِ تَرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يَرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَكُمُ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمُ

ريكم .

٧١- ﴿ وَإِنْ يَرِيدُوا خِيَانَتَكَ ﴾ يا محمد ، واو الجماعة في « يريدوا » تعود للأمرى الذين أطلق سراحهم ﴿ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ ﴾ بحرهم لك ﴿ فَأَمَّا كُنْ مِنْهُمْ ﴾ ومعنى الآية في جملتها لا تخف يا محمد من خيانة من سرحت وأطلقت من أسرى ، إنهم حاربوك فسلطك الله عليهم ، ومن عاد فينتقم الله منه .

٧٢- ﴿ إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ يشير سبحانه إلى المهاجرين الأولين وقد ذكرهم جل وعز في العديد من آياته بأكرم الصفات ورفعههم إلى أعلى الدرجات ﴿ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ وهؤلاء هم الأنصار الذين آووا النبي ومن هاجر معه في مساكنهم ، وآثروهم على أنفسهم وأولادهم وقوله سبحانه : « أولئك بعضهم أولياء بعض » يشير أن يد المهاجرين والأنصار واحدة على أعدائهم وأعداء الإسلام ، وأمرهم واحد يتولى كل من شأن صاحبه ما يتولى من نفسه نصرة ودفاعاً ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهِاجِرُوا ﴾ تقدم الكلام عنهم عند تفسير الآية ٩٧ من النساء ﴿ وَإِنْ اسْتَفْزَكُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ ﴾ من قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله فهو في ذمة الإسلام والمسلمين جميعاً سنياً كان أم شيعياً عادلاً أم فاسقاً ، بمعنى أن من يعتدي عليه لأجل دينه وعقيدته ، ويحاول بطريق أو بآخر أن يردّه عن دينه - وجب على كل مسلم كفاية أن يبذل كل طاقته للذب عنه وبقائه على هدايته .

﴿ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ يَبِينُكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ ﴾ يختص هذا بالقتال ومعناه أن المسلمين الذين لم يهاجروا من ديار الشرك إذا طلبوا منكم أن تصارحهم بالقتال ، على قوم كافرين بينكم وبينهم عهد وميثاق على التعايش - فلا تستجيبوا لطلبهم ، لأن الإسلام يحرم الغدر والخيانة حتى بالكافر إلا إذا هو نكث وأخلف .

٧٣- ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ الكفرمة واحدة يناصر بعضهم بعضاً ، والمسلمون أمة واحدة كذلك . قال الرسول الأعظم (ص) : المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ ﴾ إلا - هنا مركبة من إن الشرطية ولا النافية ، وإلغاء في تفعلوه تعود إلى تواصل المسلمين وتعاصدهم ﴿ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ إذا تخاذلت أمة المسلمون أو اتخذتهم العدو الكافر ولياً يؤيدونه وتوازروا - فقد أعنتهم على أنفسهم وعلى دينكم ، وجعلتم كلمة الكفر والضلال هي العليا تماماً كما هو شأن العرب والمسلمين في هذا العصر ! ولولاهم لم يستطع الغرب في هذه الحضارة والشوكة ، فهم وحدهم الذين أعطوه العصا السحرية (أي الطاقة ورأس المال) .

٧٤- ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا ... ﴾ أعاد سبحانه هذا النص لمجرد المدح والثناء على المهاجرين والأنصار بقوله : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ لا الذين يكررون التسييح والتحميد بعدد حبات المسابح ، وهم يحسبون أنهم

اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧١﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمَّا كُنْ مِنْهُمْ ﴿٧٢﴾ إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهِاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يَهِاجِرُوا وَإِنْ اسْتَفْزَكُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا

المؤمنون حقاً من دون الخلق أجمعين ! لاحظ رسول الله (ص) أن رجلاً يربط في المسجد للعبادة من الفجر حتى العشاء ، فسأله : من يسعى عليك ؟ قال : أخي . قال له : أذهب وأعمل ، أخوك أعيد منك .

٧٥- ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ ﴾ كل من عمل أعمال الصالحين السابقين فهو مثلهم من حيث الأجر والحسنات ، والله يضاعف لمن يضاعف من خدماته للدين والإنسانية ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ٧٥

٧٥- ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ ﴾ كل من عمل أعمال الصالحين السابقين فهو مثلهم من حيث الأجر والحسنات ، والله يضاعف لمن يضاعف من خدماته للدين والإنسانية ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ هذه الآية واضحة الدلالة على أن من كان أقرب إلى الميت نسباً فهو أولى بميراثه من الأبعد ، سواء أكان الأبعد ذا سهم بنص القرآن أم لم يكن ، وسواء أكان عصبية أم غير عصبية ، فبنت الميت تحجب أخاه عن الإرث لأنها أقرب منه إلى الموت ، وأخته تحجب عمه لنفس السبب . أما قوله تعالى « في كتاب الله » فعناه في حكم الله ، وليس المعنى أن أصحاب القروض المنصوص عليهم في كتاب الله يرثون بالفرض المنصوص فقط ، ولا يرثون بالرحم والقراءة على وجه العموم كما قيل .

نَبِيُّ اللَّهِ مُحَمَّدٌ ﷺ

نَبِيُّ اللَّهِ مُحَمَّدٌ ﷺ

لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾

(٩) سُورَةُ النَّبِيِّ مَكِّيَّةٌ

وَأَيَّانَهَا تِسْعٌ وَعَشْرُونَ وَآيَةً

بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٦﴾ فَسَبِّحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَلِّمُوا أَتَّكُرُ غَيْرَ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ يُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴿٧٧﴾ وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُمْ

١- ﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ فتح النبي (ص) مكة في العام الثامن الهجري ، وفي العام التاسع نزلت هذه السورة ، تعلن البراءة من المشركين وتندد بالحرب كل مشرك يقيم في الجزيرة العربية ، وقال المفسرون : رسول الله دفعها إلى أبي بكر ليقرأها على المشركين ، ثم أخذها منه بأمر من الله وأعطاها لعلي بن أبي طالب .

٢- ﴿ فَسَبِّحُوا ﴾ أيها المشركون ﴿ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾ بعد إعلان الحرب على المشركين أمهلهم سبعمائة شهر ينتقلون فيها آمنين حيث يشاءون ، فإن أسلموا بعدد ما فقد سلبوا وإلا فجزاؤهم القتل ، وهذا الحكم لا يقاس عليه ، لأنه استثنائي خاص بسبب خاص ﴿ وَعَلِّمُوا ﴾ أيها المشركون ﴿ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ﴾ لاجابة لكم منهم .

٣- ﴿ وَأَذِّنْ ﴾ إعلام ﴿ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ ﴾ بالبراءة من المشركين ﴿ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ ﴾ وهو يوم النحر العاشر من ذي الحجة ، وكان ابتداء الأشهر الأربعة بهذا اليوم من العام التاسع الهجري ، وانتهائها في اليوم العاشر من ربيع الآخر من سنة عشر ، وبعد هذه المدة يكون مصير المشركين في الجزيرة العربية الإسلام أو القتل .

﴿ فَإِنْ تَبْتُمْ ﴾ أسلمتم أيها المشركون ﴿ فَهُمْ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ حيث يكون لكم ما للمسلمين ، وعليكم ما عليهم

خَيْرَ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ
وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ❶ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا
عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا الْبَيْعَ عَنْهُمْ إِلَىٰ مَدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ❷ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا
الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ
وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَوَاتُوا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ❸
وَأِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ
كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ أَمَنَةً ❹ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ❺
كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ
إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقْتُمُوا

٤ - ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ...﴾ استثنى سبحانه من قتل المشركين بعد الأشهر الأربعة قوماً كان بينهم وبين المسلمين عهد المهادنة والمسالمة ، وحافظوا على هذا العهد ، ولم يقدروا ويخونوا ولا تعاونوا مع أعداء المسلمين عليهم . استثنى سبحانه هؤلاء ، وأمهلهم إلى مدتهم جزاء على وفائهم . ومضت مع الزمن هذه الأحكام الخاصة بأهل الشرك والجاهلية وأصبحت من أخبار كان الناقصة ، ولا جدوى عامة من إطالة الكلام فيها .

٥ - ﴿فَإِذَا انسَلَخَ﴾ انقضى ﴿الأشهر الحرم﴾ والأشهر الحرم التي يحرم القتال فيها إطلاقاً وعموماً هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ، وليست هذه بمرادة هنا ، بل المراد في هذه الآية الأشهر التي حرم الله فيها قتال المشركين الذين نكلمنا عنهم في الأسطر السابقة ، وتبدأ من ١٠ ذي الحجة سنة ٩ هـ إلى ربيع الآخر سنة ١٠ هـ ، وقيل : هي شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، وقيل غير ذلك ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ قسراً ﴿وَاغْلُظْهُمْ﴾ أسراً ﴿وَاحْصُرُوهُمْ﴾ حساباً ﴿وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾ راقبهم في كل طريق يبرون به ، ولا تدعوا أحداً يفلت منهم .

﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ...﴾ إن أظهرها الإسلام قبل الأجل المضروب ، وأقاموا الشعائر الإسلامية ، وأهملها الصلاة وإيتاء الزكاة - فلا تتعرضوا لهم بسوء .

٦ - ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ ...﴾ إذا طلب المشرك الذي يحمل قتله أماناً من أي مسلم فعليه أن يجيره ويعطيه الأمان على نفسه وماله ، ويدعوه إلى الإسلام بالحكمة وسبيل الإقناع ، فإن أسلم فذاك وإلا فعلى المسلم أن يوصله إلى مكان يأمن فيه على نفسه ، وكان هذا يوم كان الإسلام قوياً بأهله ، أما اليوم فأهله يستجرون بأعدائه !

٧ - ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ﴾ الله والرسول لا يفيان بعهد الكاذب المحود ، والخابث العنود ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ يشير سبحانه بهذا الاستثناء إلى أن النبي كان قد عاهد قبيلة من العرب تدعى كنانة ، فعلى المسلمين أن يفوا لها بالعهد حتى ولو أصرروا على الشرك إلا أن ينكثوا العهد ، فعندئذ يسوغ قتلهم ، وإلى هذا أشار سبحانه بقوله : ﴿فَمَا اسْتَقْتُمُوا

الإعراب :

براءة خبر لمبتدأ محذوف أي هذه براءة . وأربعة أشهر ظرف متعلق بفسيحوا . وأذان خبر لمبتدأ محذوف أي وهي أذان . ورسوله مبتدأ والخبر محذوف أي ورسوله بريء ، ويجوز أن يكون معطوفاً على الضمير في بريء لأنه إسم فاعل . إلا الذين عاهدتم (الذين) منصوب على الاستثناء من المشركين وشيئاً مفعول مطلق . كل مرصد منصوب على الظرفية متعلقاً باقعدوا ، تماماً كالصراط في قوله : لأقعدن لهم صراطك المستقيم . وأحد فاعل فعل محذوف دل عليه ما بعده ، أي وإن استجارك أحد من المشركين استجارك . كيف يكون (كيف) خبر كان وعهد إسمها .

١٤- ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ دِينِهِمْ ﴾ قتلاً

﴿ وَيُخْرِجُهُمْ ﴾ أسراً ﴿ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾ حقاً
﴿ وَيُشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴾ وهم الذين استضعفهم
جبايرة الشرك قبل الهجرة وأذاقوهم ألواناً من التحير والتشكيل .

١٥- ﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ﴾ يشير إلى أن من أسلم بعد فتح مكة وأحسن . وكان قد طغى من قبل وعى .

١٦- ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا ﴾ دون حساب وجزاء
﴿ وَلَمْ يَعْلَمْ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَلُوا مِنْكُمْ ﴾ لنصرة الحق وإقامة العدل
﴿ وَلَمْ يَتَخَلَّوْا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وليجة
﴿ أَمْ بَطَانَةٌ ﴾ وأفضل الطاعات جهاد الفاسد المفسد،
وأكبر المعاصي الركوب إليه ، وعلى كل مؤمن بالله حقاً أن
يكشف هوية من يسعى في الأرض الفساد .

١٧- ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ ﴾
بزيارتها والتعبد فيها للأصنام ، كما كانوا يفعلون أيام الجاهلية .

١٨- ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ ... ﴾
أبداً لا يسوغ لأحد أن يدخل المساجد ، ويتعبد فيها ، أو
يتولى شيئاً من أمورها إلا من دان بدين الله الواحد الأحد ملتزماً
بكتابه وسنة رسوله .

١٩- ﴿ أَعْلَمْتُمْ سَقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾
كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يسترون

قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ دِينِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ
وَيُشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ
وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ أَمْ
حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمْ يَعْلَمْ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَلُوا مِنْكُمْ
وَلَمْ يَتَخَلَّوْا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ
وَلَيْجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ
أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ
أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿
إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى
أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿ * أَعْلَمْتُمْ سَقَايَةَ
الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ

اللغة :

وليجة الرجل خاصته وبطانته من دون الناس ، والمراد بها هنا بطانة السوء وتعلق على الواحدة والكثير . تطلق السقاية على الآلة تُنحدر
لسقي الماء ، وايضاً تطلق على سقي الناس الماء ، وهذا المعنى هو المراد هنا .

الإعراب :

﴿ ويتوب ﴾ بالرفع ، لأن الكلام مستأنف ، ولا يجوز عطف يتوب على يعذبهم لأن قبول التوبة ليست جواباً للقتال كالتعذيب
والخزي . قال الطبرسي : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ ﴾ معطوف على قوله : الا تقتلون في الآية ١٣ . وشاهدين حال من فاعل يعمروا . ﴿ وفي النار ﴾
متعلق بخالدون ، وفيه تقديم ، والاصل وهم خالدون في النار . سقاية الحاج على حذف مضاف أي اصحاب سقاية الحاج .

وَالْيَوْمَ الْآخِرِ وَجَهَدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٠﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢١﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَّهَتْ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ ﴿٢٢﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَآبَاءَ كُفْرٍ وَإِخْوَانَكُمْ أُولَئِكَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ كَانَ ءَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَبِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ

عند الله ﴿٢٠﴾ جاء في أكثر التفسير ، ومنها تفسير الطبري والرازي والسيوطي : « أن العباس بن عبد المطلب كان يسقي الناس في الحج ، وإن طلحة بن شبة كان يحمل مفاتيح الكعبة ، فقال طلحة : أنا صاحب البيت معي مفاتيحه ، وقال العباس : أنا صاحب السقاية ، فقال علي بن طالب : لا أدري ما تقولان ، لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد ، فأزل الله « أجمعتم سقاية الحاج . » ٢٠ - ﴿ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا ... ﴾ تقدم في الآية ٧٢ من الأنفال .

٢١ - ٢٢ ﴿ يبشروهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنت ﴾ في تفسير البحر المحيط : « اتصف المؤمنين بصفات ثلاث : الإيمان والهجرة ، والجهاد ، فقابلهم سبحانه بثلاث : الرحمة والرضوان والجنان » والأصل والأساس لكل منقبة وفضيلة هو الإيمان القوي الذي لا تقف دونه الحواجز . وبدافع منه يستهن بالديار والمال والعيال ، وبالحياة أيضاً . ٢٣ - ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ﴾ الوفاء للأهل والأصدقاء فضيلة ما في ذلك رب . ولكن بشرط أن لا يكون هذا الوفاء على حساب الدين والإيمان وإلا تحول إلى رذيلة ، قال الإمام (ع) « كنا مع رسول الله (ص) ، وإن القتل ليدور على الآباء والأبناء والإخوان والقرابات ، فما ازداد على كل مصيبة وشدة إلا إيماناً ، ومضياً على الحق ، وتسليماً للأمر ، وصبراً على مضض الجراح » .

﴿ ومن يتولهم منكم ﴾ في معصية الله وحرامه ﴿ فأولئك هم الظالمون ﴾ لانفسهم . قال الإمام أمير المؤمنين (ع) : « لا عدو أعدى على المرء من نفسه ، ولا عاجز أعجز من أمل نفسه فأهلكها » .

٢٤ - ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها ﴾ اكتسبتموها ﴿ وتجارة تخشون كسادها ومسكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله ﴾ أي من طاعة الله ورسوله ، فتؤثرون العاجلة على

اللغة :

استحب وأحب بمعنى واحد ، مثل استجاب وإجاب . والافتراق هنا الاكتساب . والترقب الانتظار . والمراد بأمر الله هنا عقوبته .

الإعراب :

« ودرجة » تمييز ، وخالدين حال من الضمير في لهم .

وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ ۖ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۖ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْرِجِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا الْمَشْرُكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَمِهِمْ هَذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِنْ شَاءَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ

الآحِلَةَ فِي جَمِيعِ نَصَرَاتِكُمْ ۖ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۖ كُلُّ مَا نَزَلَ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنْ آيَاتٍ وَثَبَتْ فِي سِتَّةِ نَبِيٍّ مِنْ رَوَايَاتٍ فِي ذِمِّ الدُّنْيَا - فالمراد بها دنيا الشيطان ومعصية الرحمن ، أما دنيا الله وطاعته فهي السبيل الوحيد إلى رضوانه وجنته ، قال رجل للإمام جعفر الصادق (ع) إني أحب الدنيا . فقال له تصنع بها ماذا ؟ قال : أتزوج منها ، وأصح وأتفق على عيالي ، وأبذل لإخواني وأصدق . قال الإمام : ليس هذا من الدنيا هذا من الآخرة ، وعليه معنى الآية : للإنسان أن يحب المال والأرحام والعيال وكل ماله وطاب ، على أن لا يتجاوز الحلال إلى الحرام ، ولا يكون شيء من ذلك على حساب الآخرين .

٢٥- ۖ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۖ فِي العديد من مواقف الحرب ، منها بدر وخيبر وفتح مكة ۖ ويوم حنين ۖ وإذ بين مكة والطائف ۖ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ۖ كان المسلمون آنذاك ١٢ ألفاً ، فقال بعضهم : لن تغلب اليوم من قلة ۖ فلم تغن عنكم شيئاً وضائق عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ۖ وهدي مي عاقبة الفرور ، فن الإعجاب بالعدة والعدد إلى أشنع الهزائم ، وثبت مع رسول الله علي بن أبي طالب حامل الراية يقاتلهم بسيفه دفاعاً عن رسول الله ، والعباس أخذ بلجام بقلته ، والفضل بن العباس عن عيين النبي والمغيرة بن الحارث بن عبد المطلب عن يساره في تسعة من بني هاشم أيمن بن أم أيمن ، وقصة حنين المذكورة في كتب التاريخ والسيرة .

٢٦- ۖ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ۖ تطلق كلمة السكينة على ثقة الإنسان واطمئنانه إلى رأيه وبرهانه وعقيدته وإيمانه ، ومن ذلك قوله تعالى : « فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى - ٢٦ الفتح » وأيضاً تطلق على التفاؤل بالخير والاطمئنان إلى الرزق والنصر وهذا المعنى هو المراد هنا بقرينة السياق ، ولا مانعة جمع بين المعنيين ، وعلى أية حال فإن السكينة هي المصدر والأساس للصبر والصمود في كل جهاد ونضال أبداً كان نوعه . ۖ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ۖ وليس من الضروري أن تكون هذه الجنود ملائكة من السماء ما دامت لم تذكر وتنطق الآية بذلك ، فإن كل شيء هو من جنوده تعالى حتى الرعب والحين وما إلى ذلك من أسباب الضعف والهزيمة ۖ وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ بالقتل والأمر .

٢٧- ۖ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ۖ بعد أن يسلك طريق الهداية والتوبة ، وقد جاء وفد من هوازن من الذين حاربوا المسلمين يوم حنين ، إلى رسول الله (ص) تائبين مسلمين ، فقبل إسلامهم ، ورد عليهم ما طلبوه من الغنائم ٢٨- ۖ يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا الْمَشْرُكُونَ نَجَسٌ ۖ نجاسة ذاتية ، لأن الشرك بالله ظلم عظيم من حيث هو لا بسبب طارئ ، ولا بد من الإشارة إلى أن القرآن الكريم يفرق في بعض أحكامه بين المشركين وأهل الكتاب ، ويعتبرهما صنفين لا صفناً واحداً ، وقد عطف المشركين على أهل الكتاب في أكثر من آية ، ومن ذلك : « ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين - ١٠٥ البقرة » . وأيضاً لا بد من الإشارة إلى أن أنصار الرأسمالية الغربية الحديثة هم

مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ
صَاغِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّيَ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ
النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ
يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْنَاهُمْ اللَّهُ أَمَّا
يُؤْفَكُونَ ﴿٣١﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ
دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا
إِلَٰهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣٢﴾
يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَبَغْيُوا اللَّهَ إِلَّا أَنْ
يُنْمِ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٣﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ
رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ
وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٤﴾ * يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ

بحكم المشركين تماماً كالشيعيين . وليسوا من أهل
الكتاب في شيء وإن تسوتوا بقناع مسيحي ، ذلك بأن
الشيعيين يؤمنون بأن المادة هي الموجود الوحيد ، أما أنصار
النظام الرأسمالي الاحتكاري الحديث فإنهم من وجهة عملية
لا يقيمون وزناً للمادة ، ويتسلطون على الناس عن طريق
العلم المعسلي ، ويعملون على تجهيلهم وإبعادهم عن الله
والحق بكل سبيل ووسيلة لا شيء إلا لاستغلالهم واستنزاف
مقدراتهم وأقواتهم .

﴿ فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ﴾ قال
أبو حنيفة : لا يمتنعون من المسجد الحرام ولا من غيره
بطريق أولى . وقال الشافعي : يمتنعون منه دون غيره من
المساجد . وقال مالك : يمتنعون منه ومن كل المساجد . ونحن
على ذلك . لأن علة المنع النجاسة واحترام المسجد ، وكل
مسجد طاهر ومحترم بمجرد نسبته إلى الله تعالى ﴿ وإن
خفتم عيلة ﴾ أي فقرأ حيث كان المشركون يجلبون
معهم الأطعمة إلى مكة المكرمة ﴿ فسوف يغنيكم الله من
فضله ﴾ لأن أسباب الرزق عنده بعدد أنفاس الخلائق ،
وقد فتح سبحانه على الإسلام والمسلمين البلاد وخيراتها ودخل
الناس في دين الله أفواجا ، وتوجهوا بقلوبهم وأموالهم إلى
مكة ، أما اليوم فخيرات الحجاز تجاوزت الحد والعد ، وساهمت
في حضارة الغرب بقسط وافر .

٢٩- ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ﴾

والمراد بهم أهل الكتاب : اليهود والنصارى كما يأتي البيان ،
ونفى عنهم الإيمان بالله الحق حيث ينسبون إلى إلههم التجسيم
وما إليه مما لا يليق بجلال الله تعالى وكماله وكذلك يؤمنون بالبعث كما هو في تصورهم لا كما هو في الواقع وعند الله ،
ومن هنا ساغ النفي ﴿ ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ﴾ كإبن الله والخمر ﴿ ولا يدينون دين الحق ﴾ الذي لا يفرق
بين أحد من أنبياء الله ورسله ﴿ من الذين أوتوا الكتاب ﴾ هذا بيان للذين لا يؤمنون ولا يدينون دين الحق ﴿ حتى
يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ﴾ والكلام الآن عن الجزية تكثير ألفاظ بلا جدوى ، وأيضا الخلاف بين المسلمين
وبعدهم الآن عن الدين ونظمهم الدكتاتورية وجمود الجامدين منهم - يلجئنا عن صغار الأولين وهو أن الآخرين .

٣٠- ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله ﴾ في قاموس الكتاب المقدس : « عزرا اسم عبري معناه عون ، والاسم
نشأ كاختصار لاسم عزريا ، وهو كاهن عاد من بابل إلى القدس » ﴿ وقالت النصارى المسيح ابن الله ﴾ في قاموس
الكتاب المقدس ص ٨٦٥ : « شعر (أي المسيح) في سن مبكرة أنه ابن الله الوحيد » وتقدم الكلام عن ذلك في تفسير
الآية ٧٣ من المائدة ﴿ ذلك قولهم بأفواههم ﴾ أما الدليل على صدق هذا القول فهو أن ألسنتهم نطقت به ١ . وبعضهم
يستدل على ربوبية السيد المسيح بالانجيل ، ويستدل على صحة الانجيل وصدقه بربوبية المسيح (ع) ﴿ يضاؤون ﴾
يشابهون ﴿ قول الذين كفروا من قبل ﴾ كاليونانيين وغيرهم من المشركين ﴿ قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾ لنعم كيف
يصرفون عن الحق إلى الباطل وعن الصواب إلى الخطأ .

٣١- ﴿ اتخذوا أحبارهم ﴾

في الأرض ﴿وذهبهم﴾ الذين اعتزلوا الناس في الأديرة للعبادة ، ﴿أرباباً من دون الله﴾ ويروى أن عدي بن حاتم قال لرسول الله : لسنا نعبدهم . فقال له : أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتستحلونه ؟ قال : بلى . قال النبي (ص) : فترك عبادتهم .

﴿والمسيح بن مريم﴾ أي واتخذوا المسيح رباً من دون الله ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو﴾ لأن الشريك لا يخلو من أحد فرضين : إما أن يسد نقصاً ، وهذا يناقض الكمال المطلق ، وإما أن لا يؤثر أثراً ، فيكون وجوده لغواً .

٣٢- ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله﴾ نبوة محمد والإسلام ﴿بأنفاههم﴾ بالكذب والافتراء ﴿ويأبى الله إلا أن يتم نوره﴾ بانتصار محمد (ص) وانتشار دينه .

٣٣- ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق﴾ أي بالإسلام العقلي في عقيدته ، الإلهي في شريعته ، العلمي في تجربته ، الحيائي في تطبيقه ﴿ليظهره على الدين كله﴾ لا بالسيف والعنف ، بل بشريعة الخير والحياة «وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً» - ٣٠ النحل .

٣٤- ﴿يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصلون عن سبيل الله﴾ كالرشوة على الحكم بغير الحق ، والربا الذي فشا بين اليهود ، وبيع صكوك الغفران وأذرعاً في الجنة عند الكاثوليك ، وفي قاموس الكتاب المقدس «وقد صنعت

أصنام كثيرة من الذهب كما صنعت تيجان وسلاسل» . ﴿والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾ على كل غني أن يعلم ويؤمن بأن في أمواله حقاً لازماً للفقراء والمساكين ، وأن هذا الحق هو أمانة في يده يجب عليه أن يؤديها كاملة لأهلها وإلا فجزاؤه عند الله سبحانه ما نص عليه بقوله :

٣٥- ﴿يوم يحصى عليها في نار جهنم فتكوى بها جهنم وجنوبهم وظهرهم وهذا ما كثرتم لأنفسكم فلو كانوا ما كتمت تكزون﴾ وهذا الوعيد والتهديد الغاضب أقوى وأوضح في الدلالة على ثبوت حق الفقراء في أموال الأغنياء من قوله تعالى : «والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم» ٢٢ المرسلات وأيضاً يدل هذا التهديد على أن للفقراء أو لوليهم الشرعي أن يقاتل الأغنياء لاستيفاء هذا الحق . وفي الدر المنثور للسيوطي وغيره من التفسير «أن عثمان لما كتب المصاحف أرادوا أن يحذفوا وأو العطف من قوله تعالى : «والذين يكتزون الذهب ...» كي يخص تحريم الكثر بأهل الكتاب أو بالأحبار والرهبان منهم ، فعارض بعض الصحابة وقال : لتلحقن الواو ، أو لأضعن سيني على عاتقي فالحقها ٣٦- ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض﴾ لا شيء في الوجود مستقل بذاته اسمه شبان أو نيسان ، أو يوم الاثنين والأحد وإما الموجود أرض تدور حول نفسها في اليوم وليته دورة كاملة ، فجاء الإنسان هذه الدورة إلى ٢٤ جزءاً ، واخترع الساعة كرمز إلى دورة الأرض بالثواني والدقائق والساعات المشار إليها بانتقال العقرب من رقم إلى رقم ، ثم أطلق على هذه العملية اسم الزمان الذي قسمه إلى أيام وشهور ، ومعنى

كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ﴿يوم يحصى عليها في نار جهنم فتكوى بها جهنم وجنوبهم وظهرهم هذا ما كثرتم لأنفسكم فلو قرأ ما كنتم تكزون﴾ إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقتلوا المشركين كافة كما يفتنونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين ﴿إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطعوا عدة ما حرم الله

فُجِحُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سَوْءَ أَعْمَلِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبَكُمُ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ

هذا في جوهره أن الزمان هو دورة الأرض أو الساعة بل عقربها ، ولا شيء وراء ذلك ، هذا ما أراده ابن كثير بقوله : « الزمان - مكان » وهذا المعنى لا يتناقض مع ظاهر الآية ، لأنه تعالى هو الذي خلق الأرض وغيرها من الكواكب ، وادّعى فيها النواويس التي تتحكم بحركاتها المنظمة المحكمة بحيث نعرف منها أن هذا متقدم ، وذاك متأخر ، وأن الذي بينهما هو الحاضر ، وهذا هو الزمان الذي فطر الناس على معرفته بلا كسب واستدلال ، والكل من خلقه تعالى المحكم أو تديره المتقن .

﴿ منها أربعة ﴾ أشهر ﴿ حرم ﴾ وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرّم ﴿ ذلك الدين القيم ﴾ أي أن تقسيم الأشهر إلى ١٢ شهراً وتحريم الأشهر الأربعة هذه هو الدين المستقيم ، وفي هذا النص دلالة قاطعة على أن علوم الدنيا هي علوم الدين بالذات ما دامت صالحة ونافعة في جهة من الجهات ﴿ فلا تظلموا فيهن أنفسكم ﴾ باستحلال القتال واعتداء بعضكم على بعض ﴿ وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ﴾ قاتلوا عدوكم بنفس السلاح الذي يقاتلكم فيه ، ونفس الطريقة التي يحاربكم بها ، فهل استجبتنا نحن المسلمين لأمره تعالى ونصحه ؟ ولو كنا مسلمين حقاً لسمعنا لله وأطعنا ، وكان معنا حافظاً ونصيراً ، كما قال سبحانه : ﴿ واعلموا أن الله مع المتقين ﴾ الذين وحدوا صفوفهم كافة ضد عدوهم المشترك ولم يتفرقوا شيعاً ، ويسفكوا دماءهم ، ويهدموا كيانهم وسلطانهم بأيديهم .

٣٧- ﴿ إنما النسيء ﴾ كان عسب الجاهلية

أصحاب حروب وغارات ، وأيضاً كانوا يعتقدون بتحريم القتال في الأشهر الحرم ، فإذا اضطروا إلى الحرب في شهر منها كالمحرم - مثلاً - قاتلوا فيه ، وحرّموا بدلاً عنه شهر صفر الذي لا يحرم فيه القتال ، وهذا هو المراد بالنسيء هنا ، وهو كما قال سبحانه : ﴿ زيادة في الكفر ﴾ بضم تحليل الحرام إلى الشرك أو إلى الحرب العدوانية ﴿ يضل به الدين كفروا يحلونه عاماً ﴾ حيث يريدون الحرب ﴿ ويعرمونه عاماً ﴾ حيث لا يريدونها . وبكلمة الدين أهواء تنبع ، وأحكام تبندع ﴿ ليواطئوا عدة ما حرم الله ﴾ ليوافقوا عدد الأشهر الأربعة ، كأن المهم هو عد الأشهر لأنفسها .

٣٨- ﴿ يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله أنفقتم إلى الأرض ﴾ بلغ النبي (ص) أن السروم اعتمروا غزو المدينة المنورة ، فأعلن النفر العام لغزوة تبوك فشق ذلك على فريق من الصحابة لبعد الشقة وكثرة العدو ، وآثروا الإقامة على أرضهم وبيوتهم ، فعاتبهم سبحانه أولاً بقوله : « ما لكم ... ؟ » وثانياً بقوله : ﴿ أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة .. ﴾ هل يلقى بإيمانكم أن تؤثروا العاجلة على الآجلة ؟

٣٩- ﴿ إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً ﴾ تدعون الإيمان ولا تنفرون إلى جهاد الكافرين ؟ فإن الله ينزل بكم العذاب تماماً كما ينزل بالجاحدين ، وينصر نبيه ودينه بأيدي غيركم ، ولا يضر الله ورسوله تناقل الخافين ونفاق المنافين . ٤٠- ﴿ إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الدين

كفروا ﴿ إشارة إلى هجرة النبي (ص) من مكة إلى المدينة التي كانت البداية لتحطيم قوى الشر والضلال ﴾ ثاني اثنين ﴿ رسول الله وأبو بكر ﴾ إذ هما في الغار ﴿ الكهف ﴾ إذ يقول لصاحبه لا تحزن ﴿ خاف أبو بكر فطمئنه النبي بقوله : ﴿ ان الله معنا ﴾ وفي تفسير الرازي أن أبا بكر قال قال للنبي (ص) : إن الله معنا ؟ قال الرسول : نعم ﴿ فأنزل الله سكينة عليه ﴿ على رسول الله حيث أوحى إليه بأن الله معه يحرسه ويرعاه كما أنجز النبي أبا بكر ﴿ وأيده ﴿ يوم بدر وغيره ﴿ بجودهم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا ﴿ وكلمة الله هي الإسلام ، وكلمة الكفر هي الأصنام :

٤١- ﴿ انفروا خفافاً ﴾ جمع خفيف ، وهو هنا من يستطيع الجهاد ببسر ﴿ وثقالاً ﴾ جمع ثقيل ، والمراد به هنا من يستطيع الجهاد بشيء من المشقة ﴿ وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ﴾ إن أمكن وإلا فبأحدهما وإلا فافعلوا على العاجز من حرج . ومن المسلمات الأولية في دين الإسلام أن أي عدو يحاول الاعتداء على الدين بتحريف كتاب الله أو بصد المسلمين عن إقامة الفرائض والشعائر الدينية أو بالاستيلاء على بلد من بلادهم ، وعجز أهل هذا البلد عن صد العدو ومقاومته - وجب كفاية الجهاد والدفاع عن كل مسلم : الذكر والانثى والسليم والمرضى والأعمى والأعرج ، من كل على قدر طاقته مادياً وأدبياً ، ولا يتوقف هذا الجهاد على إذن الإمام أو نائبه .

وَأَنْفُسَكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿ لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لَا تَتَّبِعُوا وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا مَخْرَجَنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿ عفا الله عنك لِرِأْذِنَتِ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿ لَا يَسْتَغْنِيكَ الَّذِينَ يُولُونُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿ إِنَّمَا يَسْتَغْنِيكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَبَتْ قُلُوبُهُمْ فَمَنْ فِي رَبِّهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿ * وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿

٤٢- ﴿ لو كان عرضاً قريباً ﴾ غنمة باردة ﴿ وسفراً قاصداً ﴾ غير شاق وبعيد ﴿ لا تتبعوا ﴾ وهذا من جبلة الإنسان وفطرته ، قال الإمام علي (ع) : « الناس أبناء الدنيا ، ولا يلام الرجل على حب أمه » ولكن إذا أدى هذا الحب إلى الضرر الأشد وجب دفعه بالضرر الأخف ، وفي الجهاد مصلحة عامة ، وهي مقدمة على مصلحة الآحاد ، لأن الضرر في قوات الأولى أعم وأشمل وأشد وأبلغ .

﴿ ولكن بعدت عليهم الشقة ﴾ المسافة شاقة بعداً وحرّاً مع قلة الزاد إلا التقوى ، وليسوا لها بأهل ﴿ وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم ﴾ هذا إخبار بالشيء قبل وقوعه وقال المفسرون : هو من المعجزات ! . ولكنه ليس منتهي شيء ، لأن هذا دأب المنافق ودينه ﴿ يهلكون أنفسهم ﴾ كل من يعصي الله في شيء فهو يسيء إلى نفسه بنفسه . ٤٣- ﴿ عفا الله عنك ﴾ الخطاب من الله لرسوله والمراد بالعوفا هنا العتاب على وضع المعروف في غير حقه وعند غير أهله ﴿ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ ﴾ كان بعض المنافقين تد استأذن رسول الله بالتخلف عن غزوة تبوك فأذن له ﴿ حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ﴾ كان المنافقون على نية التخلف عنك ، وإن لم تأذن به ، ولولا الإذن به لظهرت هذه النية الخبيثة المبيتة ، واقتضح أمرهم بعصيانهم لأمرك .

٤٤- ﴿ لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ﴾ إن مجرد طلب الإذن بالتخلف عن الجهاد تهاون بالدين وجراً على المعصية تماماً كطلب الإذن بالفسق والفجور .

٤٥- ﴿ إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله ﴾ هذه الآية من مضامين التي قبلها ، لأنك إذا قلت صاحب

البيت لا يستأذن ، تبادر إلى الأفهام أن الغريب هو الذي يستأذن . قيل للإمام علي (ع) : صف لنا العاقل . فقال : هو الذي يضع الشيء موضعه ، فقيل : صف لنا الجاهل . فقال : قد فعلت .

٤٦- ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُوا لَهُ عِدَّةٌ ﴾ لكل شيء موجب وسبب ، ولا موجب للجهد عندهم إطلاقاً إلا لاستعدوا له ولم يستأذنوا بالتخلف ﴿ ولكن كره الله انبعاثهم ﴾ لسلوكهم طرق الضلالة والخيانة ، وتمسكهم بأسبابها ﴿ فنبطهم ﴾ آخرهم ﴿ وقيل اعدوا مع القاعدین ﴾ بعد أن اختاروا لأنفسهم الكسل والخمول والتأخير والقفود ، تماماً كما هي حال العرب والمسلمين الآن حيث يقع الذنب عليهم لا على الإسلام في كل ما يعانونه من ويلات ومشكلات .

٤٧- ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِئَكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا ﴾ شرّاً وفساداً ﴿ ولأوضعوا خلالكم ﴾ سعوا بينكم بالنسيبة والفتنة ..

٤٨- ﴿ لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ ﴾ يشير بهذا إلى سيرة المنافقين مع النبي وإصرارهم على الكيد له والمكر به قبل تبوك ﴿ وقلوبكم للأموار ﴾ دبروها ضدك من كل وجه ولكن الله أبطل سعيهم ، وخاب من افترى

وبالمناسبة نشير بإيجاز أن ما ذكره القرآن الكريم من صفات أهل النفاق والشقاق ، ينطبق بالكامل على ما يسمى الآن بالحرب الباردة أو الحرب النفسية التي تثيرها وتتولاها قوى الشر والخيانة من نشر الشائعات المغرضة ، وتجريح الوطنيين ، وإثارة الفتن والقلاقل والاستنزافات ، ووصم الحركات الوطنية بالتهديم والتخريب ، وعملية الاغتيالات وتدمير المؤامرات والانتقابات ، كل ذلك وما إليه يقوم به المنافقون في عصرنا بطريقة محكمة ومنظمة ، بل وعلمية حيث يستخدمون أساليب تركز على علم النفس والاجتماع ، ويدخلون إلى كل قلب من نافذته وعاطفته ، أو كما قال الإمام علي (ع) : « أعدوا لكل باب مفتاحاً ، ولكل ليل مصباحاً » ٤٩- ﴿ ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ﴾ تشير هذه الآية إلى حادثة خاصة ، وهي أن الجدي بن قيس كان من شيوخ المنافقين ، وقد اعتذر من الذهاب إلى تبوك بأنه يحب النساء ، ويخشى إن هورأى الروميات الفاتنات أن يقع بغرامهن . فترلت الآية ﴿ ألا في الفتنة سقطوا ﴾ فر من سيء إلى أسوأ ، من الشهوات إلى جهنم وبئس المصير .

٥٠- ﴿ إِنْ تَصَبَّقْ حَسَنَةً تَوْهَمَ ﴾ شأن الحسود اللثيم ، يموت بغيظه إذا رأى نعمة على غيره ﴿ وإن تصبَّقْ مصيبة يقولوا قد أخذنا أمراً من قبل ﴾ حذرنا ﴿ ويتولوا وهم فرحون ﴾ بهزيمة المسلمين ولا يشمت بالمصيبة إلا خسيس وضع . وتقدم في الآية ١٢٠ من آل عمران . ٥١- ﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا .. ﴾ نحن نؤمن بالله ، وتعمل بأمره في كل شيء متكلين عليه وحده في جهادنا وسائر تصرفاتنا ، ولا نخاف حرباً ولا نجتمعاً ولا مكرّاً من ماكر ، وأيضاً لا نحزن على فشل وهزيمة ، ولا نفتربح ونصر ، لأننا نعتقد ونوقن بأن مقاليد الأمور كلها.

لَوْ خَرَجُوا فِئَكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِئَكُمُ سَمَّيُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٦﴾ لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونَ ﴿٤٧﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنْ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٨﴾ إِنْ تَصَبَّقْ حَسَنَةً تَسْؤُهُمْ وَإِنْ تَصَبَّقْ مُصِيبَةً يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَيتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بَنَا إِلَّا لِأَحَدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا

بيده تعالى .

٥٢- ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بَنَا إِلَّا أَحَدَى الْحَسَنِينَ ﴾
وهما النصر أو الشهادة ، والمعنى أن المقاتل من غيرنا قد ينجح
وقد يفشل ، أما المقاتل منا فهو الراجح الناجح على كل حال ،
لأنه إن ظفر بخصمه فذاك ، وإن قتل في سبيل الله فإلى الجنة
﴿ ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله ببعض ما عنده ﴾
في الدنيا أو الآخرة ﴿ أو بأبدينا ﴾ بأن نصرنا عليكم
﴿ فتربصوا إنا معكم متربصون ﴾ انتظروا فكل متوقع آت .
٥٣- ﴿ قُلْ أَنْفَقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً ﴾ حال أي طائعين
أو كارهين ، والمعنى بأي دافع أنفقتم أموالكم في سبيل الخير
﴿ لن يقبل منكم ﴾ ولماذا ؟ ﴿ إنكم كنتم قوماً
فاسقين ﴾ والله سبحانه يقبل من المؤمنين

٥٤- ﴿ وما منهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم
كفروا بالله وبرسوله ﴾ ولو أعلنوا هذا الكفر ، ولم يتظاهروا
بالإيمان قلنا : بعض الشر أهون من بعض ، ولكنهم تسروا
باسم الدين لمجرد الكيد والخداع وشق الصفوف في وقت
وساعة العسرة ، فكيف تقبل أموالهم ولا نجسط أعمالهم ؟
﴿ ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ﴾ لأن الصلاة
لله وهم لا يؤمنون به ، قال الإمام علي : نوم على يقين خير
من صلاة في شك ﴿ ولا ينفقون إلا وهم كارهون ﴾ لنفس
السب ، قال الإمام علي (ع) : من أبقن بالخلف جاد
بالعطية .

٥٥- ﴿ فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد

الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا ﴾ وتسال : كيف تجمع بين هذه الآية التي تقول : إن الله سبحانه يعذب المنافقين في الحياة
الدنيا بالأموال والأولاد ، وبين الآية ٤٦ من الكهف القائلة بوضوح : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » ؟ ولو كانت الزينة
في الحياة الدنيا والعذاب في الآخرة ، لاستقام الظاهر ، ولكن الآيتين جعلتهما معاً في الحياة الدنيا . الجواب : إن آية الكهف
نعم الناس أجمعين ، والآية التي نحن بصددنا تخص المنافقين الذين تركوا ذرية مؤمنة ، وقد عذب سبحانه هؤلاء المنافقين
بأولادهم لأن أبناءهم اعتنقوا الإسلام ، وصاروا أعداء أعداء آبائهم ، ولا شيء أثقل على المرء من أن يكون ولده سلباً
له في دينه وعقيدته . وأيضاً عذب سبحانه هؤلاء المنافقين بأموالهم لأنهم كانوا على يقين أنها ستؤول من بعدهم إلى الذين
لا يدينون بدينهم ، وعليه فلا منافاة بين ظاهر الآيتين .

﴿ وترهق أنفسهم وهم كافرون ﴾ لا يتوبون بل يموتون على الكفر ، ولا ترجى هدايتهم .

٥٦- ﴿ ويحلفون بالله إنهم لننكم وما هم منكم ﴾ بل من أعدائكم ، ﴿ ولكنهم قوم يفرقون ﴾ يخافون
منكم ٥٧- ﴿ لو يجنلون ملجأ ﴾ حصناً ﴿ أو مغارات ﴾ جميع مغارة ﴿ أو مدخل ﴾ نفقاً ﴿ لولوا إليه وهم يجمعون ﴾
يسرعون ٥٨- ﴿ ومنهم من يلزمك في الصلوات ﴾ بعبك على تقسيمها ﴿ فإن أعطوا منها رضوا ﴾ هذا هو مقياس
الحق والعدل عندهم ، أن يأخذوا ولا يعطوا ﴿ وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون ﴾ وإذا فن السفه أن تخاطب
بمنطق الدين والعقل من لا يؤمن بشيء إلا بذاته ومصالحته . ٥٩- ﴿ ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله ... ﴾

أَوْ كَرِهًا لَّنِ يَتَّخِذَ مِنْكُمْ إِنْكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٢﴾
وَمَا مِنْهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ
وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ
إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ ﴿٥٣﴾ فَلَا تَعْجَبْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ
إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ
وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٤﴾ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ
مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴿٥٥﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً
أَوْ مَغْرَبًا أَوْ مَدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَعُونَ ﴿٥٦﴾
وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْتَمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا
وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ
رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا
اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾

جواب لو محذوف تقديره لكان ذلك خيراً لهم ، والآية تحت الإنسان أن يعف عما في أيدي الناس ، ويتكل على الله وكند اليمين وعرق الجبين . وفي نهج البلاغة : كاد الضعيف يكون ملكاً من الملائكة .

٦٠- ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ ﴾ المراد بالصدقات هنا الزكاة المفروضة ، والفقر الشرعي من لا يملك بالفعل أو بالقوة مؤونة سنة كاملة له ولعاليه ﴿ وَالْمَساكِينَ ﴾ والفرق بينهم وبين الفقراء - كما في جوامع الجامع - أن الفقراء يتعففون ويسألون ، والمساكين يسألون . ومهما يكن فهما يشتركان في العجز عن قوت السنة ﴿ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا ﴾ وهم الجباة الذين يجمعون الزكاة ويحفظونها فيأخذون على عملهم الأجر من الزكاة ، وإن كانوا أغنياء ﴿ وَالْمَوْلُفَّةَ قُلُوبِهِمْ ﴾ وهم الذين يراد استمالتهم إلى الإسلام وتخدمة المسلمين . وفي نهج البلاغة : قلوب الرجال وحشة فمن تألفها أقبلت عليه ﴿ وَفِي الرِّقَابِ ﴾ أي تبذل الزكاة لتحرير العبيد من الرق ، وتجدر الإشارة أنه لا أمر في القرآن بالاسترقاق أو التبري ، بل عالج الرق بما شرع من أسباب العتق على أساس الحكمة ، ومنها البذل من الزكاة ، وما استغفل أمر الرق بعد الإسلام إلا على أيدي تجار الغرب والكثيسة . قال أَوْغسطين : « إن الله قد أدخل الرق على العالم كعقاب على الخطيئة ، وسيكون تمرداً على إرادته أن نحاول إلغائه هذا الرق » (مجلة الكاتب المصرية العدد ١٢٣ ص ١٢٣) .

﴿ وَالْعَامِلِينَ ﴾ وهم الذين تحملوا ديوناً عجزوا عن وفائها ، شريطة أن لا يكونوا قد صرفوها في وجه غير

مشروع ﴿ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ وهو سبيل الخير والصالح العام ﴿ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ المنقطع في سفره عن أهله وماله وبلده ، على أن لا يكون سفره في معصية .

٦١- ﴿ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْفُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ﴾ يسمع كل ما يقال له ويصدق ﴿ قُلْ أَذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ لأنه لا يستمع إلى ما فيه ضرر على أي إنسان ، ويرفض ما فيه ضرر . كالغيبة والنميمة ﴿ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ والسلام زائدة أي يصدق المؤمنين ، والمعنى الجملي أن النبي (ص) يؤمن بالله ، ومن حق المؤمن على أخيه المؤمن أن يصدق فيما لا ضير فيه على الآخرين حتى يثبت العكس ، ويأتي في آخر هذه السورة أن النبي « بالمؤمنين رؤوف رحيم » ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْفُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ لأن إيذائه إيذاء الله والحق والإنسانية .

٦٢- ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ ﴾ خوفاً منكم أيها المسلمون ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يَرْضَوْهُ ﴾ لأن رضا المؤمنين من رضا الله ورسوله ، وإذا تستر المنافقون من المؤمنين بحلف الأيمان فإن الله سبحانه لا تخفى عليه خافية .

٦٣- ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مِنْ إِحَادِدٍ ﴾ يعادي ويعاند ﴿ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ ﴾ أجل ، إنهم لا يعلمون لأن العلم مقرون بالعمل ، فمن علم عمل ، والعلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل عنه ، كما قال الإمام أمير المؤمنين (ع) فهل يتعظ الأعداء بقول إمام الأئمة .

٦٤- ﴿ يَحْلِفُونَ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تَنْبِيهِهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ أَسْتَهْزِئُ وَإِنَّ اللَّهَ يَخْرِجُ مَا تُخْفُونَ ﴾ وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ

* إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلُفَّةَ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْدُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أَذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْدُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مِنْ إِحَادِدٍ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَلِيداً فِيهَا ذَلِكَ الْخَبْرُ الْعَظِيمُ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تَنْبِيهِهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ أَسْتَهْزِئُ وَإِنَّ اللَّهَ يَخْرِجُ مَا تُخْفُونَ وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ

فيهم ، قال صاحب المعنى : تأتي على بمعنى في قوله تعالى : « ودخل المدينة على حين غفلة - ١٥ القصص » أي في حين غفلة ﴿ سورة تنبئهم بما في قلوبهم ﴾ لم يحذر المنافقون حقيقة واقعا من نزول الوحي في شأنهم لأنهم لا يؤمنون بالله حتى يؤمنوا بوحيه ورسوله ، ولكن قال بعضهم لبعض سائرا : اهدؤوا أن تنزل سورة في شأنكم ، والدليل على ذلك قوله تعالى بلا فاصل : ﴿ قل استهزؤا إن الله مخرج ما تحلرون ﴾ وقد فضح سبحانه أمر المنافقين ، وأظهر ما في نفوسهم في هذه السورة وغيرها ، وأنذرهم بغضبه وعذابه .

٦٥- ﴿ ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب ﴾ وهذا القول وحده كاف في فضيحتهم ، يدعو إلى الإيمان بالله ، وفي الوقت نفسه يعترفون باللعب في مقدساته !

﴿ قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزون ﴾ أبداً لا فرق بين هؤلاء المنافقين الذين استهزؤا بالله وكتبه ورسله وبين الذين يحرفون الدين تبعاً لغاياتهم وأهوائهم ، لأن كلا منهما أبطل غير ما أعلن ، وقال غير ما فعل .

٦٦- ﴿ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾ لم يؤمن المنافقون طرفة عين ، فكيف ساء خطابهم بقوله سبحانه « بعد إيمانكم » ؟ الجواب : قبل أن يعترفوا بالاستهزاء كانوا كافرين واقعا مسلمين ظاهراً للنطق بالشهادتين ، فجرى عليهم حكم الإسلام ، وبعد الاعتراف بالاستهزاء صاروا كافرين واقعا وظاهراً ، فجرى عليهم حكم المرتدين ، وعليه يكون معنى قوله : « قد كفرتم بعد إيمانكم » قد أظهرتم

الكفر بعد أن أظهرتم الإيمان ﴿ إن نعت عن طائفة منكم ﴾ لأنها اهدت وأنابت ﴿ نعلب طائفة ﴾ لأنها أضرت على الكفر والنفاق .

٦٧- ﴿ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ﴾ شرأ وكفراً ﴿ يأمرون بالنكر ويهون عن المعروف ﴾ وجاء في الحديث أن رسول الله (ص) قال : « كيف أنتم إذا رأيتم المعروف منكراً والمكفر معروفاً ؟ قالوا : أو يكون ذلك يا رسول الله ؟ قال : نعم كيف أنتم إذا أمرتم بالنكر ، ونهيت عن المعروف » ﴿ ويقبضون أيديهم ﴾ عن الإنفاق في سبيل الخير ﴿ نسوا الله ﴾ وهو موجود في كيانهم بصفته وآثاره ﴿ فنسيهم ﴾ بحرمانهم من رحمته .

٦٨- ﴿ وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار .. ﴾ بقصم الظهور والويل والثبور بعد الإعذار والإنذار .
٦٩- ﴿ كالذين من قبلكم ﴾ الخطاب للمنافقين المعاصرين لرسول الله (ص) وأنهم فعلوا مثلما فعل المنافقون الأولون مع أنبيائهم ﴿ كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا بخلافهم ﴾ بنصيبتهم من زينة الحياة الدنيا ﴿ فاستمتعتم بخلافكم ﴾ بنصيبتكم منها ﴿ كما استمتع الذين من قبلكم بخلافهم وخضتم كالذي خاضوا ﴾ أي أنتم أيها المنافقون في عهد محمد (ص) تماماً كالمنافقين الذين من قبلكم شرأ وقبلاً وضلالة ﴿ أولئك حطت أعمالهم ﴾ ودارت عليهم الدوائر وسيصيبكم ما أصابهم ، فاتعظوا بالذين خلوا من قبلكم قبل أن ينطق بكم من يأتي بعدكم .

وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾
لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ
مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ الْمُنَافِقُونَ
وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ
فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ اللَّهُ
الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ
فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ لِحَسَبِهِمْ ﴿٦٨﴾ كَالَّذِينَ
مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً
وَأَوْلَاداً فَاسْتَمْتَعُوا بِخُلُفِهِمْ فَاَسْتَمْتَعْتُم بِخُلُفِكُمْ كَمَا
اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ بِخُلُفِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي
خَاضُوا أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَكُودٌ وَإِرَهِمٌ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٍ طَيِّبٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدُ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ

٧٠- ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ من كان أطول منهم أعماراً ، وأعمار دياراً ، وأبعد آثاراً ﴿ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ أخذهم الطوفان ﴿ وَعَادٌ ﴾ قوم هود ، أهلكوا بريح صرصر عاتية ﴿ وَلَمُودٌ ﴾ قوم صالح ، أخذتهم الرجفة ، فأصبحوا في ديارهم جائعين ﴿ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ عوقبوا بسلب النعمة ﴿ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ ﴾ قوم شعيب أخذوا بعذاب الظلة ﴿ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ ﴾ قرى قوم لوط جعل عاليها سافلها ، وتقدم الكلام عن ذلك في سورة الأعراف ﴿ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ فكفروا بها ، فأخذهم الله بذنوبهم .

٧١- ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ يتناصر بعضهم بعضاً ، في مقابلة قوله تعالى : « المنافقون بعضهم من بعض ﴾ ﴿ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ على عكس المنافقين الذين يأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ ﴿ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ الإيمان عمل بمشيئة الله ، ولا إيمان بهذا إلا بهذا العمل ، هذا هو الإسلام : علم وعمل ، فبأي شيء يأتي الدين الجديد ، والشريعة الجديدة ؟

٧٢- ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ ... ﴾ هذا في مقابلة قوله تعالى : وعد الله المنافقين والمنافقات ... وجاء في وصف الجنة : « فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين مما لا عين رأت ولا أذن سمعت » وكفى بالجنة جزاء أوفى للمؤمنين والمؤمنين في عصرنا الراهن ، أن لا يروا فيها أحراباً متطاحنة ، وتكتلات متشاحنة ، ودولاً تتنافس على الحكم في الشعوب المستضعفة ، وأحلافاً عسكرية ،

وأسلحة جهنمية وشركات احتكارية ، ودسائس ومؤامرات ، ومشردين ولاجئين ... إلى العديد من النكبات والويلات .

٧٣- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ استعمل النبي (ص) معهم سياسة اللين ، فما أجدت فأمره الله سبحانه أن يعاملهم بما هم أهل له .

ان يغلظ عليهم ويجاهدهم ... ولكنه لم يبين نوع الجهاد: هل هو بالسيف أو باللسان أو بطريق آخر؟. ومعنى هذا ان الله قد ترك ذلك الى تقدير النبي (ص) فيجاهدهم بما يراه من الحكمة والمصلحة.

الإعراب :

﴿ وقوم نوح ﴾ بدل من الذين المجرور بإضافة نبا . والمصدر المنسبك ﴿ من ليظلمهم ﴾ متعلق بمحذوف خبراً لكان أي : فما كان الله مريداً لظلمهم .

٧٤- ﴿يَحْلِفُونَ بِاللّٰهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾

ما ذكر سبحانه كلمة الكفر التي نطقوا بها كيلا يتعبد المسلمون بقراءتها ، وما من شك - كما يبدو من سياق هذه الآية وما سبق وبأني من الآيات - أنها كلمة سوء في النبي (ص) والوحي والذين آمنوا ، أطلقها المنافقون حين خلا بعضهم إلى بعض ، وما أكثر الطعن وقول الزور والخيانة بالغيب - على ألسنة المنافقين والمذنبين !

﴿وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ أظهرها الكفر بعد اظهار

الإسلام ، انظر تفسير الآية ٦٦ من هذه السورة ﴿وهو ما لم ينالوا﴾ حين رجع النبي (ص) من نبوك تأمر عليه ١٢ رجلاً من الصحابة ٨ من قريش و ٤ من غيرهم . وهو بأن يدفعوه من راحلته إلى الوادي إذا تسنم العقبة ليلاً ، فأخذ عمار بن ياسر بزمام ناقته يقودها ، وحذيفة بن اليمان يسوقها وحين أوداوا البدو من النسي ضرب حذيفة وجوه رواحلهم حتى أنعدهم ﴿وما تقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله﴾ ضمير تقموا وأغناهم يعود لبعض المنافقين ، والمعنى أن هؤلاء الذين يدبرون الحبال لرسول الله كانوا فقراء فصاروا أغنياء من الغنائم وعطاء الرسول ، فجعلوا موضع الشكر هذه النعمة كفرانها ﴿فإن يتوبوا يك خيراً لهم...﴾ بالرغم من جرأة المنافقين على الله ورسوله ، وما قالوه من كلمة الكفر ، وما حاكوا من حبال أيام الحرب والسلام ، بالرغم من ذلك وفوق ذلك عرض سبحانه عليهم العلاج والدواء ، وهو الندم والتوبة التي لا تكلفهم أي شئ ، وتعود عليهم بكل خير دنيا وآخرة ... فهل هذا مجرد جود وحلم أو وراءه شيء آخر ؟ الجواب : هو حلم وجود ما في

الْمَصِيرُ ﴿يَحْلِفُونَ بِاللّٰهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ يَكِيدُونَ لِيُكَلِّمُوا نِعْمًا إِلَّا أَنْ أُغْنِيَهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾
* وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ لَا تُنْفِرَ مِنْ فَضْلِهِ لَنُصَدِّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿فَلَمَّا أَتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سَرَّهُمْ وَخَوَّبَهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ

ذلك ريب ، وأيضاً هو خير وقوة للإسلام والمسلمين بمن تاب منهم وأحسن ، وهذا هو الحد الفاصل بين صاحب العقيدة والمبدأ والمنافق الانتهازى الذاتي ، الأول ينظر المصلحة العامة ، ويعمل بموجبها ويفنى فيها ب كله ، فيفقر ويضعف ويفتح باب الخير لكل من أراد عملاً دينيه ومبدئه ، والثاني يجرم وينتقم عند النصر ، لأنه لا يرى إلا همهم وهم ذويه ... وأخيراً فقد تاب فريق من المنافقين ، وأبلوا البلاء الحسن في نصرة الإسلام

٧٥-٧٦- ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ لَا تُنْفِرَ مِنْ فَضْلِهِ...﴾ نزلت في ثلثة الأنصاري الذي قال لرسول الله (ص) : أدع الله أن يرزقني مالاً . فقال له : قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه . فأقسم ثلثة لئن رزقه الله ليعطين لكل ذي حق حقه . فدعا له النبي ، ولما كثر ماله تشاغل به حتى ترك صلاة الجمعة والجماعة ، وامتنع عن أداء الزكاة .

٧٧- ﴿فَأَعْقَبَهُمْ﴾ فخذلهم الله وأعرض عنهم ، فكانت عاقبة هذا الخذلان والإعراض ﴿نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقى الله﴾ تمكن النفاق في قلوبهم لا ينفك عنها إلى يوم يموتون وينشرون ﴿بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾ قال الرسول الأعظم (ص) : آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان

٧٨- ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سَرَّهُمْ﴾ الذي تنطوي عليه صدورهم ﴿ونجواهم﴾ التي يتهامون بها فيما بينهم ٧٩- ﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين﴾ اللز : الغيب ، والتطوع : التبرع ، وضمير الجماعة في

«يلمسون» للمنافقين ، وحديث القرآن عنهم تماماً كحديثه عن اليهود ، بلغ الغاية والنهاية ، والسر أن جرائم الفريقين ما أول بلا آخر ﴿ في الصلقات والذين لا يعملون إلا جهدهم فيسخرون منهم ﴾ إذا تصدق المؤمن للقل ببلغ طاقته ، سخروا منه وقالوا : إنه يذكر نفسه ﴿ سخر الله منهم ﴾ أي يعذبهم عذاب الساعرين ، فهو من باب تسمية العقوبة على الذنب باسم الذنب .

٨٠- ﴿ استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ... ﴾ جاء في صحيح مسلم والبخاري أنه لما مات المنافق عبد الله بن أبي طالب أنه أن يصلي عليه النبي صلى ، ولا قيل له في ذلك قال : إن الله خبرني فاخترت . النبي (ص) اختار . والله أعلم بأنه لا يغفر لا بن أبي ، وكلمة سبعين في الآية كناية عن الكثرة ، وقال طه حسين في كتاب مرآة الإسلام : « بعد أن أحصى الله من سوء أعمال المنافقين وفصح من ذات نفوسهم أظهر من غضبه شيئاً عظيماً فقال : استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ... »

٨١- ﴿ فرح المخلفون بمقعدهم ﴾ ذهب النبي (ص) والمؤمنون إلى تبوك ، وقعد المنافقون عن الغزو مع القواعد ، فابتهجوا بمقعدهم هذا أي ابتهاج ﴿ خلاف رسول الله ﴾ أي بعده ﴿ وكروها ... ﴾ الجهاد بالنفس والمال ، وكل من كره الجهاد في سبيل الله فهو منافق أو في حكمه ﴿ وقالوا لا تنفروا في الحر ﴾ ومن فر من الحر فهو من السيف أفر ﴿ قل نار جهنم أشد حراً ﴾ أعدت للمنافقين والمجرمين .

٨٢- ﴿ فليضحكوا قليلاً ﴾ في الدنيا الثانية ﴿ وليبكوا كثيراً ﴾ في الآخرة الباقية .
٨٣- ﴿ فإن رجعت الله ﴾ ردك ﴿ إلى طائفة منهم ﴾ وإنما قال إلى طائفة منهم ولم يقل إليهم ، لأن بعض الذين تخلفوا ندموا وتابوا إلى الله توبة نصوحاً ﴿ فاستأذنوك للخروج ﴾ أي إذا طلب منك يا محمد الذين تخلفوا عن غزوة تبوك بلا عذر ﴿ فقل ﴾ لهم : ﴿ لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي علواً ﴾ هذه المقاطعة من أشد العقوبات وقماً على النفوس ﴿ إنكم رضيتم بالقعود أول مرة ﴾ أي في غزوة تبوك ﴿ فاقعدوا مع الخالفين ﴾ النساء والصبيان والعجزة . وبهذا ألزمهم سبحانه بما ألزموا به أنفسهم .
٨٤- ﴿ ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم

الإعراب :

«الذين يلمزون» مبتدأ وخبره سخر الله منهم ، وفي الصلقات متعلق بيلمزون . وسبعين قائم مقام المفعول المطلق ، لأن المعنى سبعين استغفاراً . «خلاف رسول الله» ان كان بمعنى بعد فهو ظرف منصوب والعامل فيه مقعدهم ، وان كان مصدراً بمعنى المخالفة فهو مفعول لاجله لفرح «وحرأ» تميز . واللام في ليضحكوا لام الأمر وعملها الجزم . ومثلها اللام في ليبكوا . «وقليلاً» صفة للمفعول مطلق محذوف أي ضحكاً قليلاً . ومثله كثيراً أي بكاء كثيراً . وجزاء مفعول لاجله ليبكوا . وأبدأ منصوب على الظرفية ، ومعناه الاستقبال . وأول مرة قائم مقام الطرف ، أي في أول مرة .

على قبره ﴿ كَانَ النَّبِيُّ ﴾ (ص) يجري على المنافقين أحكام الإسلام عملاً بظاهر الحال ، وكان إذا صلى على ميت . أي ميت ، وقف على قبره يستغفر له ، فنهاه سبحانه عن الصلاة على المنافقين والوقوف على قبورهم لكفرهم وتناقضهم .

٨٥- ﴿ وَلَا تَعْبِكُمْ أَمْوَالُهُمْ ... ﴾ تقدم في الآية ٥٥ من هذه السورة .

٨٦- ﴿ وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهَلُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطُّولِ مِنْهُمْ ... ﴾ تشير هذه الآية إلى المترفين الأغنياء الذين يرون لأنفسهم حقوقاً مقدسة يمتازون بها على الفقراء ، وقد سماهم القرآن الكريم بأولي الطول أي القوة والسعة ويقال لهم في عصرنا الطبقة الرأسمالية ، والإسلام يرفض تقسيم الناس على أساس المال والاقتصاد ، ويساوي بين الجميع في كل الحقوق والواجبات ، ولا يرى لأحد من فضل إلا بما يقدم من جهاد وتضحيات لخدمة الإنسان والصالح العام ، وكان النبي (ص) يدعو أولي الطول إلى الجهاد كسائر الناس ، فتأخذهم العزة والغطرسة ، ويطلبون أن يعفيهم من ذلك .

٨٧- ﴿ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ ﴾ النساء والصبيان والمرضى ﴿ وَطِيعَ ﴾ أي طبع الزهو والغرور ﴿ عَلَى قُلُوبِهِمْ لَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ أنه لا طبقات مالية في دين الله ولا فوارق اجتماعية ، وأنه يساوي بين البشر دون النظر إلى الجنس والغنى والفقير .

٨٨- ﴿ لَكِنَّ الرُّسُلَ وَالَّذِينَ آمَنُوا ... ﴾ إذا تخلف المناقضون والمترفون عن فضيلة الجهاد فإن لها أهل أصفياء يضحون بالنفس والنفيس في سبيل الحق والعدلية خالصة مخلصة ، ويحرقون القاعدتين عن الجهاد حتى ولو عاشوا في رفاهية وترف .

٨٩- ﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ للأصفياء المجاهدين وهم الرسول والذين آمنوا معه ﴿ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ... ﴾ تقدم في الآية ٧٢ من هذه السورة و ١٥ من آل عمران .

٩٠- ﴿ وَجَاءَ الْمُعَذِّبُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ﴾ جاء قوم إلى النبي (ص) من سكان البادية ، ليأذن لهم بالتخلف عن الغزو معتذرين بالفقر وكثرة العيال ﴿ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ وهؤلاء جماعة من المنافقين ما جاءوا إلى النبي (ص) ولا اعتذروا إليه ﴿ سَيُصِيبُ ﴾

الإعراب :

﴿ مِنْهُمْ ﴾ متعلق بمحذوف صفة لأحد ، وجملة مات صفة ثانية . و﴿ أَبَدًا ﴾ ظرف متعلق بتصل . و﴿ إِنْ آمَنُوا ﴾ ﴿ إِنْ ﴾ للتضهير بمعنى أي

مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ
وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَعْبِكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ
إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِمَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ
وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٦﴾ وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةً أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ
وَجَاهَلُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطُّولِ مِنْهُمْ وَقَالُوا
ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْفَاعِلِينَ ﴿٨٧﴾ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ
الْخَوَالِفِ وَطِيعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ لَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٨﴾ لَكِنَّ
الرُّسُلَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ
وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٩﴾
أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩٠﴾ وَجَاءَ الْمُعَذِّبُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ
لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ

الذين كفروا منهم عذاب أليم ﴿٩٠﴾ وليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الأعرا ب وحدهم لأن الذين كذبوا الله ورسوله كلهم كافرون لا بعضهم ، أما أهل البادية المعتذرين فمنهم المؤمن الصادق في عذره ، ومنهم المنافق .

٩١- ﴿ ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج ﴾ أسقط سبحانه جهاد الغزو في سبيل الله عن الضعفاء ، والمراد بهم الشيوخ المتقدمون في السن ، والمرضى ، والذين لا يملكون نفقة الجهاد . ولا يجدون من يبدلها لهم ، أسقطها سبحانه عن هؤلاء مع الأجر والثواب أيضاً ﴿ إذا نصحوا لله ورسوله ﴾ بأن يؤدوا ما عليهم من واجبات كحراسة المدينة والمحافظة على عيال المجاهدين الغائبين وأموالهم ، وما إلى ذلك مما يطبقون .

﴿ ما على المحسنين من سبيل ﴾ أي من لوم وعتاب فضلاً عن الإثم وعقوبته ، وهذا أصل شرعي عام ، يتفرع عليه العديد من الأحكام - وعلى سبيل المثال - أن تستودع مالا عند آخر ، فإذا تلف فلا يضمن الوديع إلا إذا ثبت بالبيينة الشرعية أنه قصر وتهاون .

٩٢- ﴿ ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون ﴾ نزلت هذه الآية في جماعة من الفقراء أتوا النبي (ص) وهو ينهأ لغزوة تبوك ، وقالوا له : لا تملك راحلة للذهاب معك ، وطلبوا منه مركباً يحملهم ، فقال : لا أجد ما أحملكم عليه ، فسحت أعينهم بالدمع .

٩٣- ﴿ إنا السبيل على الذين يستاذنونك وهم أغنياء ﴾ الفقراء يتسابقون إلى الجهاد والنضال ، وهم لا يملكون شيئاً ، والأغنياء يملكون كل شيء ، وهم مع القواعد والحوالف ... ولا بدع فقد بنيت الجماهير الفقيرة العاملة وما زالت تبني المدن والمصانع ، وتشتق الطرق والأنهر ، وتقيم السدود والمعاهد ، والمترون بين العود والكأس . ﴿ رضوا بأن يكونوا مع الخوالف ﴾ ... تقدم قبل لحظة في الآية ٨٧ .

٩٤- ﴿ يعتذرون إليكم إذا رجعت إليهم قل لا تعتذروا لنؤمن لكم ﴾ يقول سبحانه لنبيه : بعد أن تعود أنت والمؤمنون من تبوك إلى المدينة ، يعتذر المنافقون إليكم عن تخلفهم ، فلا تقبلوا منهم عذراً ، وقولوا لهم : ﴿ قد نبأنا الله من أخباركم وسرى الله عملكم ورسوله ﴾ أبداً لا نصدقكم في شيء مما تعتذرون لأن الله سبحانه أوحى إلى نبيه بما تخفي صدوركم من شر ونفاق ، أجل إذا تبتم وأثبتتم بالأفعال لا بالأقوال أنكم صادقون في إيمانكم ، ورأى ذلك منكم الله ورسوله والمؤمنون ، فعندئذ تركز إليكم ونظمتم ﴿ ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة ﴾ ... لا مفر من موقف العرض والحساب وموضع الثواب والعقاب ، وهناك تبلى السرائر ، وتكشف الضمائر .

٩٥- ﴿ سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم ﴾ رجعت

الإعرا ب :

﴿ حرج ﴾ اسم ليس مؤخر ، وعلى الضعفاء خير مقدم . و﴿ إذا ﴾ ظرف متعلق بمحذوف أي لا يخرجون . ﴿ ولتحملهم ﴾ أي على الابل

الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٩٠﴾ لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ ﴿٩٢﴾ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَستَعِذُّونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رِضًا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكَ إِذَا رَجَعْتَ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنُؤْمِنَنَّ بِكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهَ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ

من غزوة تبوك ﴿إِلَيْهِمْ لَتَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ لكي نسكتوا عنهم ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ تجاهلوهم احتقاراً وازدراء ﴿إِنَّهُمْ رَجَسٌ﴾ هم أقدار ، وأنتم أطهار ، فابتعدوا عنهم ..

٩٦- ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لَتَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ حلف المنافقون في المرة الأولى طلباً للصفتح وخوفاً من العقاب ، كما دل قوله تعالى : « لتعرضوا عنهم » وحلفوا في المرة الثانية طلباً للرضا وطمعاً في الثواب ، ويسهمون معكم في المغانم كما قال سبحانه في الآية ١٥ من الفتح : « سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم » ﴿فَإِنْ تَرَوْهُوَ عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ وكذلك المؤمن ، لأن رضاه من رضا الله ، وفي الحديث : من رضي بفعل قوم كالأدخل فيه معهم .

٩٧- ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدَّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ ليس هذا تقسيماً للناس على أساس البداوة والحضارة ، كيف ؟ وقد أخبر سبحانه في الآية الآتية أن من الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ، ولو كانت البداوة إنما لحرمها الله تماماً كما حرم الكفر والنفاق ، إن القرآن يقسم الناس على أساس العلم والتقى والجهاد ، أما هذه الآية فهي مجرد إشارة إلى ما للظروف والبيئة من تأثير . وإنها تفعل بالأرواح كما تفعل بالأجسام . وإلى هذا يومئ قوله تعالى : ﴿وَأَجِدُوا إِلَّا يَعْلمُوا حُلُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ تبعدهم عن العلم وأهله والثقافة وأسبابها . وفي الحديث : من لم يتوبع في دين الله ابتلاه بسكنى الرساتيق .

٩٨- ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَخَدَّ مَا يَنْفِقُ مَغْرَمًا﴾ غرامة وخسراناً ، فلا ينفق إلا مكرهاً ، وكذلك من أهل المدينة والحضارة ، بل أكثرهم لا ينفقون إطلاقاً ﴿وَيَتَرَبَّصُّ بَكُمْ الدَّوَاتِرُ﴾ ينتظر القضاء على الإسلام والمسلمين ليستريح من الزكاة .

٩٩- ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ...﴾ وينفق في سبيل الله لوجه الله ﴿وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾ أي رغبة في دعائه بالبركة والاستغفار ، وعملاً بهذه الآية يدعو علماء الشيعة لمن يؤدي إليهم حقاً مالياً من حقوق الله ﴿إِلَّا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ...﴾ كل نفقة لوجه الله تقرب صاحبها من الله وتدخله في رحمته ، وفي الحديث : الصدقة تطفىء غضب الرب . وأفضل الصدقات كف الأذى عن الناس .

١٠٠- ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ الذين صلوا للقبليين : المسجد الأقصى والمسجد الحرام كما في الكبير من التفسير ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ يَأْخُصُّونَ﴾

الإعراب :

﴿وَجَزَاءٌ﴾ مفعول لأجله للمواهم لأنه بمعنى تحرقهم جهنم .

بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا أَنْفَلْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتَعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ وَمَا وَلَهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لَتَعْرِضُوا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرَوْهُوَ عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٧﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدَّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ إِلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَخَدَّ مَا يَنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمْ الدَّوَاتِرُ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٩﴾ الْأَعْرَابُ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَخَدَّ مَا يَنْفِقُ قُرْبَةً لِّهِمْ فَرُبَّتْ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتُ الرَّسُولِ إِلَّا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٠﴾ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ

اتَّبِعُوهُمْ بِإِحْسَنِ رَضَى اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠١﴾ وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يَرُدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٢﴾ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرُ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٣﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ اتَّوَابٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٥﴾ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ

وكل من آمن وعمل صالحاً فهو من التابعين للسلف الصالح . قال إمام المؤمنين وسيد الساجدين : اللهم احقني بصالح من مضي ، واجعلي من صالح من بقي ، وخذ بي سبيل الصالحين ﴿ رضي الله عنهم ﴾ بطاعتهم وإخلاصهم ﴿ ورضوا عنه ﴾ بما أفاض عليهم من رحمته ونعمته .

١٠١- ﴿ ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق ﴾ في قلب المدينة المنورة وضواحيها منافقون لا يقف شرهم عند حد ﴿ لا تعلمهم ﴾ يا محمد لأنهم يظهرون لك المودة ﴿ نحن نعلمهم ﴾ وما يضمرون من كيد وحقد لكل صالح وناصح ﴿ سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم ﴾ ومعنى هذا أنهم بعدون ثلاث مرات : الأولى عند قبض الأرواح حيث تضرب منهم الملائكة الوجوه والادبار كما نصت الآية ٥٠ من الأنفال . والمرة الثانية عذاب القبر لحديث « قبر الكافر حفرة من حفر جهنم ، وقبر المؤمن روضة من رياض الجنة » والعذاب الثالث يوم يقوم الناس لرب العالمين .

١٠٢- ﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم ﴾ ولم يعتذروا بالكاذب ، وفي الحديث : « من رأى أنه سمي فهو محسن » وفي نهج البلاغة : سيرة تسوءك خير عند الله من حسنة تعجبك ﴿ خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ﴾ أحسنوا أحياناً . وأسأوا حيناً ﴿ عسى الله أن يتوب عليهم ﴾ إن كانت كفة الحسنات أثقل وأرجح أو استوت الكفتان على الأقل .

١٠٣- ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ﴾ الخطاب في « خذ » للنبي (ص) وضمير الغائب

في « أموالهم » للأغنياء ، والمراد بصدقة ، الحق الإلهي المفروض كتاباً وستة وإجماعاً ، والإمام المعصوم يتوب عن النبي في هذا الأخذ ، فإن لم يوجد فعل الأغنياء أن يعطوا هذا الحق لأهله بنفس راضية تمام الرضا ﴿ وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم ﴾ المراد بالصلاة هنا الدعاء ، وبالسكن الراحة ، والمعنى ادع أيها الرسول بالبركة والمغفرة لكل غني يؤدي ما عليه من حقوق مالية ، لأنه يقتبط بدعاك هذا ، وتحتاج إليه نفسه .

١٠٤- ﴿ ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ﴾ وأنه بسطها ويسر أسبابها لجميع عباده ، ودعاهم إليها مرة بالترهيب ومرة بالترغيب ﴿ ويأخذ الصدقات ﴾ أي يقبلها ، ويثيب عليها ، وفي الحديث : تقع الصدقة في كف الرحمن قبل أن تقع في كف السائل ﴿ وأن الله هو التواب الرحيم ﴾ أي يهب الرحمة والمغفرة لمن تاب وآب . وجاء في الآثار : التواب هو الذي قابل الدعاء بالمعطاء ، والإعتذار بالإغفار ، والإنابة بالإجابة ، والتوبة بغفران الحوبة .

١٠٥- ﴿ قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله

الإعراب :

﴿ السابقون ﴾ مبتدأ والاولون صفة ، ﴿ رضي الله ﴾ خير المبتدأ . ﴿ ومن حولكم ﴾ خير مقدم ، ومنافقون مبتدأ مؤخر . ﴿ ومن أهل المدينة ﴾ خير مبتدأ محذوف ، أي من أهل المدينة قوم مردوا ، وجملة مردوا صفة لقوم . ﴿ وآخرون ﴾ مبتدأ ، واعتترفوا صفة ، وخلطوا خبر .

وَالْمُؤْمِنُونَ ﴿٩٤﴾ مَنْ يَعْمَلُ الْخَيْرَ فَهُوَ مُرَضًى عِنْدَ اللَّهِ وَالرُّسُولُ وَالطَّيِّبِينَ ، وَمَنْ يَعْمَلُ الشَّرَّ فَهُوَ مُكَرَّهٌ عِنْدَ الْجَمِيعِ ، وَفِي الْأَشْعَارِ : « لَا يَذْهَبُ الْعُزْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ » ﴿٩٥﴾ وَتَسْتَرْدُونَ إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ... ﴿٩٦﴾ وَبَاضِحٌ ، وَتَقْدَمُ قَبْلَ قَلِيلٍ فِي آيَةِ ٩٤ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ .

١٠٦- ﴿٩٦﴾ وَأَخْرَجُوا مَرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ ﴿٩٧﴾ مُؤْجِلُونَ ﴿٩٨﴾ يَعَذِّبُهُمْ ﴿٩٩﴾ إِنْ أَصْرُوا عَلَى الذَّنْبِ ﴿١٠٠﴾ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴿١٠١﴾ إِنْ تَابُوا .

١٠٧- ﴿١٠٧﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضَرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ ﴿١٠٨﴾ عَرَضَتْ آيَاتُ السَّاقِطَةِ الصَّرَاحِ بَيْنَ قُوَى الشَّرِّ وَالنَّفَاقِ مِنْ جِهَةِ وَقُوَى الْخَيْرِ وَالْإِيمَانِ مِنْ جِهَةِ ثَانِيَةٍ ، أَمَّا هَذِهِ الْآيَةُ فَإِنَّهَا تَعْرِضُ الْأَسْلُوبَ وَنَوْعَ الْمُؤَامَرَاتِ الَّتِي يَدْبُرُهَا وَيَحْكُمُهَا الْمُنَافِقُونَ بِدَقَّةٍ ضِدَّ الْمُؤْمِنِينَ الْمَجَاهِدِينَ ، وَأَنَّهُمْ يَرْفَعُونَ نَفْسَ الشُّعَارَاتِ وَنَفْسَ الْعِلْمِ الَّذِي تَرْفَعُهُ قُوَى الْحَقِّ وَانْصَارَ الْحَقِّ لِنُغْطِيَةِ الْمَقَاصِدِ الْعَدَوَانِيَةِ وَالْأَهْدَافِ الْمَضَادَّةِ ، وَهِيَ تَفْرِيقُ كَلِمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَالْإِضْرَارَ بِهِمْ ، وَجَعَلَ الْمَسْجِدَ مَكَانًا لِلْكَفْرِ وَمَعْقَلًا لِحَرْبِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَيُسَمَّى هَؤُلَاءِ فِي الْعَصْرِ الرَّاهِنِ بِأَنْصَارِ الثَّوْرَةِ الْمَضَادَّةِ .

وختلاصة الحكاية التي أشارت إليها آية مسجد ضرار أن منافقي المدينة بنوا مسجداً تحت ستار الاجتماع للعبادة، أما القصد الخفي منه فهو الهدم والتخريب وتحطيم قوى الاسلام والمسلمين ، فأخبر سبحانه نبيه بهذا القصد والعزم،

فأمر صلى الله عليه وآله بهدم المسجد ، وأن يتخذ مكاناً لإلقاء الجيف والقمامة ، وفي عالم اليوم العشرات من مساجد الضرر والضرار ، ولكن باسم معهد الدراسات أو نادي الثقافة والرياضة أو الجمعية الدينية أو المكتبة العامة أو في شكل كتاب أو صحيفة أو محاضرة ، وما إلى ذلك مما يهدف إلى محق الدين والوطن والقيم الإنسانية .

﴿١٠٨﴾ وَلِيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحَسَنَى ﴿١٠٩﴾ يَسِيءُ الْمُنَافِقُ وَيَحْلِفُ ، لِأَنَّهُ يَشْعُرُ مِنَ الْأَعْمَاقِ أَنَّهُ مَفْتَرٍ كَذَّابٌ ، فَيَسْتَرْ بِكَرَّةِ الْإِيمَانِ ، وَمِنْ هُنَا قَوْلُ سُبْحَانَهُ : « وَلَا تَطْعُ كُلَّ حِلَافٍ مِثْنٍ - ١٠ القلم » .

١٠٨- ﴿١٠٨﴾ لَا تَقِمُ ﴿١٠٩﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿١١٠﴾ فِيهِ أَبَدًا ﴿١١١﴾ فِي مَسْجِدِ ضَرَارٍ لَا لِلصَّلَاةِ وَلَا لَغَيْرِهَا ﴿١١٢﴾ لِمَسْجِدِ أُسَسَ عَلَى عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴿١١٣﴾ الْبِنَاءُ الْقَوِيُّ الْمَتِينُ مَسْجِدًا كَانَ أَوْ غَيْرَ مَسْجِدٍ هُوَ أَنْ يَوْضَعُ فِيهِ الْحَجَرُ الْأَوَّلُ ، حَجَرُ الْأَسَاسِ ، عَلَى تَقْوَى اللَّهِ ، وَعَلَيْهَا تَقُومُ دَعَائِمُهُ ، وَلَا عَفَا لِهَذَا الْبِنَاءِ مَهْمَا طَالَ الْأَمَدُ ﴿١١٤﴾ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ﴿١١٥﴾ وَأَحَقُّ هُنَا بِمَعْنَى حَقِيقٍ وَجَدِيرٍ ، وَلَيْسَتْ لِلتَّفْضِيلِ بَيْنَ مَسْجِدِ التَّقْوَى وَمَسْجِدِ ضَرَارٍ ، فَقَدْ رَوَى أَنَّ النَّبِيَّ (ص) كَانَ لَا يَمُرُّ بِطَرِيقِ هَذَا الْمَسْجِدِ ﴿١١٦﴾ فِيهِ رِجَالٌ يَحْبُونَ أَنْ يَتَّظَهَرُوا ﴿١١٧﴾ إِنْ مَسْجِدُ التَّقْوَى يُؤَمُّهُ الْمُتَّقُونَ لِلْعِبَادَةِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ لَا لِلنَّفَاقِ وَالْأَمْرِ .

١٠٩- ﴿١٠٩﴾ أَقْمِنَ أُسُسَ بِنْيَانِهِ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ ﴿١١٠﴾ إِنْ الَّذِي أَقَامَ عَمَلَهُ وَبِنْيَانَهُ بِالْكَامِلِ عَلَى الْخُطَّةِ وَالْخُرِيطَةِ الَّتِي رَسَمَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِعِبَادِهِ وَرَضِيَ عَنْهَا هُوَ ﴿١١١﴾ خَيْرٌ أَمِنْ مَنْ أُسُسَ بِنْيَانُهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴿١١٢﴾ وَالشَّقَا: حَرَفُ الشَّيْءِ وَطَرَفُهُ ، وَالْجُرْفُ : جَانِبُ الْوَادِي ، وَهَارُ

وَالْمُؤْمِنُونَ وَسْتَرْدُونَ إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنِيشُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٥﴾ وَأَخْرَجُوا مَرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٦﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضَرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلِيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحَسَنَى وَاللَّهُ يَسْهَدُ لَأَنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ﴿٩٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدِ أُسَسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّظَهَرُوا لِلَّهِ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿٩٨﴾ أَقْمِنَ أُسُسَ بِنْيَانِهِ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمِنْ مَنْ أُسُسَ بِنْيَانُهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٩٩﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَكُونَنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ

من الإنهيار ، والمعنى ليس البناء القائم على أساس قوي متين كالبناء القائم على حافة النهر وفي معرض السيل ، وهذا الفرق بين البنائين يصدق تماماً على الفرق بين المؤمن والمنافق ، والمخلص والخائن . وعلى كل مجال من مجالات الحياة كالحكومات والمؤسسات والشركات والصادقات وجميع العلاقات .

١١٠- ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمْ ﴾ أي هدم مسجد المنافقين الذي بناوا رية . ﴿ وَغِيظًا ﴾ في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم . والمعنى أن أهل مسجد ضرار امتلأت قلوبهم حقداً وغيظاً بسبب هدمه ، ولا يزال هذا الحقد والغيظ يفتك في قلوبهم حتى يقطعها إرباً إرباً .

١١١- ﴿ إِنْ اللَّهَ اشْتَرَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ﴾ بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن . المشتري هو الله سبحانه والباع المومنون ، والثنى الجنة ، والمثلن الأنفس والأموال ، والواسطة في إتمام الصفقة بين البائع والمشتري محمد (ص) . فهل من متجر رابح أزكى من هذا وأبقى ؟ وفي نهج البلاغة : كل نعيم دون الجنة محذور ، وكل بلاء دون النار عافية .

١١٢- ﴿ التَّائِبُونَ ﴾ أي أن الذين اشتري الله منهم أنفسهم وأموالهم هم التائبون من الذنوب . ﴿ الْعَابِدُونَ ﴾ وكل عمل صالح ونافع لوجه الله والخير فهو عبادة ، بل كف الأذى عن الناس من أفضل العبادات . ﴿ الْحَامِلُونَ ﴾ الله في السراء والضراء . ﴿ السَّائِحُونَ ﴾ في الأرض لطلب العلم أو الرزق الحلال أو أي عمل يخدم الإنسان وينفعه . ﴿ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ ﴾ المصلون . ﴿ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ أي ينشرون دعوة الحق ، ويناصرونه أينما كان ويكون ، ويعتبر الأمر بالمعروف أنجح وسيلة من وسائل الإعلام ، ولذا حث عليها الإسلام ، واستمسك بها الأنبياء وغير الأنبياء ، وكانت الخطة الإعلامية لمحمد (ص) ساحة الخلق ، ورعاية الصدر ، ورجاحة العقل ، والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، وبفضل حكمته وصفاته رُفِرت راية الإسلام على شتى بقاع العالم . ﴿ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ﴾ وهي حلاله وحرامه .

١١٣- ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ ﴾ جاء في تفسير الطبري والرازي والمنار والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي في سبب نزول هذه الآية : « أن جماعة من المؤمنين قالوا : نستغفر لموتانا ، فزل قول تعالى : « مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ الْخ ... » وهذا القول أرجح الأقوال وأصحها . وقيل : « نزلت في أبي طالب لأنه مات على غير الإسلام . وهذا أبعد ما يكون عن الحق والواقع ، لأن النبي (ص) حين مات عمه أبو طالب بكى وطلب له من الله الرحمة والمغفرة ، وأمر ولده علياً بتفسيه وتكفينه بشهادة ابن سعد في طبقاته ج ١ ص ١٢٣ طبعة سنة ١٩٥٧ ، وشهادة صاحب السيرة الحلبية ج ١ ص ٤٦٧ باب وفاة أبي طالب : « أن علياً حين أخبر النبي بموت أبيه أبي طالب بكى وقال لعلي : اذهب فاغسله وكفنه ووارو بخفر الله له ورحمه » . وفي سيرة ابن هشام ص ٢٤٧ من القسم

لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ * إِنْ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ الْجَنَّةَ يَفْتَئِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْقَوْلُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ التَّائِبُونَ الْعَبِيدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ اتَّخَذُوا الْحَرَامَ بَيْعًا وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ

الأول طبعة سنة ١٩٥٥ : « أن أبا طالب قال لولده علي : « ان محمداً لم يدعك إلا إلى خير فالزمه ، ولا معنى للإسلام إلا الإعراف بأن دعوة محمد خير يجب اتباعه وطاعته ١١٤ - ﴿ وما كان استغفار إبراهيم لأبيه ... ﴾ وعد إبراهيم الخليل (ع) أباه أن يستغفر له كما في الآية ٤ من الممتحنة ، فأوحى سبحانه إلى خليله أن أباك لن يؤمن ، بل يموت كافراً ، فاقطع رجاؤه وتبرأ منه ﴿ إن إبراهيم لأواه حليم ﴾ هو الذي يكثر التأوه والبكاء والدعاء خوفاً من الله .

١١٥ - ﴿ وما كان الله ليضلّ قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ﴾ إذا عمل المؤمن عملاً محرماً عن جهل بالتحريم كما لو استغفر لقريبه المشرك - فإن الله لا يضلّه (أي لا يؤاخذ) إلا بعد البيان والإعلام ، فإن خالف بعد هذا استحق العقاب .

١١٦ - ﴿ إن الله له ملك السموات والأرض ... ﴾ واضح ، وتقدم في الآية ١٥٨ من الاعراف .

١١٧ - ﴿ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة ﴾ المراد بالتوبة على النبي (ص) والذين أطاعوه في البسر والعسر - الرحمة والرضوان ، وليس الصفح عن الذنب .

﴿ من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ﴾ أصاب المسلمون قسوة وشدة في غزوة تبوك ، فكان العشرة يتناوبون على بغير واحد ، والرجلان يقتسمان ثمرة واحدة ، فانهارت أعصاب بعض الصحابة ، وهو أن يفارقوا الرسول (ص)

ولكنهم لم يفعلوا ، بل صبروا واحتسبوا ﴿ ثم تاب عليهم ﴾ أي تاب سبحانه على هؤلاء ، والمراد بالتوبة عليهم أنه تعالى يعاملهم معاملة الذين لم يهيموا بالفرار وترك الرسول . ١١٨ - ﴿ وعلى الثلاثة الذين خلفوا ﴾ هم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرار بن الربيع ، تخلفوا عن غزوة تبوك من غير عذر ولا تفاق ، بل عن تهاون وتكاسل ، فلما رجع رسول الله (ص) إلى المدينة عتب عليهم وأمر الناس بمقاطعتهم ﴿ حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ﴾ على سعتها كأنهم لا يجدون فيها مقراً ولا مراً ﴿ وضائق عليهم أنفسهم ﴾ من الغم والخوف من الله ﴿ وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ﴾ أبداً لا أحد ينال ما عند الله إلا بمعونه ومرضاته ﴿ ثم تاب عليهم ليتوبوا ﴾ أي أن الله تعالى يقبل التوبة لكي يتوبوا ، ولا يعتدروا ويقولوا : لو قبل الله منا التوبة لبئسنا .

وفي الصحيفة السجادية : « اللهم اقبل توبتي كما وعدت ، واعف عن سيئاتي كما ضمنت ، وأوجب لي مجيبك كما شرطت ولك يا رب شرطي أن لا أعود . ﴿ إن الله هو التواب الرحيم ﴾ تقدم بالحرف الواحد قبل قليل في الآية ١٠٤ .

الإعراب :

اسم ﴿كاد﴾ ضمير الشأن، وجلة يزيغ خبر، أي من بعد ما كاد الشأن أو الحال يزيغ قلوب فريق. ﴿وعلى الثلاثة﴾ عطف على

إِلَّا عَنْ مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَذُنَّبَيْنِ لَهُ - أَنتَ، عَدُوُّ اللَّهِ
تَبَرَأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ
قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ
وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ
وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ
يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ يَرْحَمُ
رَهْوًفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى
إِذَا ضَاقتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ
أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنْ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ
لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ

الصادقين ﴿ ليس المراد بالصدق هنا مجرد عدم الكذب في الحديث ، لأن كثيراً من الناس لا يكذبون ، ومع ذلك لا يجوز الإقتداء بهم في كل شيء ، بل المراد بالصادقين هنا النبي وأهل بيته المعصومون من الخطأ والخطيئة بنص الكتاب والسنة .

١٢٠ - ١٢١ - ﴿ ما كان لأهل المدينة ومن حولهم أن يتخلفوا عن رسول الله ﴾ إذا قاد الرسول الأعظم (ص) جيشاً لنصرة دين الله والحق ، فعل كل مسلم أن يسرع إليه ، ويضع نفسه وما ملكت يده رهن إشارته ، وبالخصوص أهل مدينة الرسول وضواحيها ﴿ ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ﴾ ولا يؤثروا راحتهم ومصالحهم ، ويدعوه يكابد الشدائد والمصائب من دونهم ﴿ ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ﴾ هذا بيان وتعليل لفضيلة الجهاد ، والظمأ العطش ﴿ ولا نصب ﴾ تعب ﴿ ولا مضجمة ﴾ جوع ﴿ ولا يطؤون موطئاً يغيظ الكفار ﴾ ولا يتصرفون تصرفاً يسيئهم ﴿ ولا ينالون من علو نيل ﴾ إصابة من أسر وقتل ونحوه ﴿ إلا كتب لهم به عمل صالح ﴾ وآلم شيء لقلب الوطني الحر أن نطأ قدم العدو تراب أرضه وبلده ... أبداً لا فرق عنده بين أن يطأ ذرة واحدة من وطنه أو يطأ رأسه وقلبه رغماً عن أنفه ، والتبيل الكريم يستهين بالموت والمال والعيال في هذه السبيل ، وما أباح الإسلام حرباً إلا دفاعاً ولغاية أفضل وأكمل .

١٢٢ - ﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة ﴾ لا يجب على الناس أن ينفروا بالكامل للتفقه بالدين أو الجهاد ، لأن ذلك خطر على الحياة ، بل الجهاد مع غير المعصوم فرض كفاية لا فرض عين إذا قام به البعض سقط عن الكل ، وكذلك طلب العلم تماماً كالتيجارة والصناعة والزراعة ﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ﴾ لا بد أن ينفر من كل بلد أو قبيلة جماعة إلى بلد العلم ، يتعلمون ويعلمون وينذرون وينتبهون من الدراسة التي تؤهلهم للإرشاد والتبليغ ﴿ لعلهم يحذرون ﴾ أي على الجاهل أن يسمع من المرشد ويطيع . وسئل الإمام جعفر الصادق (ع) عن معنى قول النبي (ص) : اختلاف أمي رحمة ؟ فقال : ليس المراد باختلاف النزاع وإلا كان اتفاقهم عذاباً ، بل المراد التردد في الأرض لطلب العلم .

١٢٣ - ﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ﴾ أي الذين تتصل أرضهم بأرضكم . وفيه حث على سد الثغور وبناء الخطوط الدفاعية على الحدود . وفي الصحيفة

ءَامِنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١٢٠﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يَصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْغُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَلَا يَنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِحَاجَتِهِمْ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ * وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ

الإعراب :

المصدر المنسبك من ان اوحينا اسم كان، وعجباً خيراًها، وللناس حال من العجب. وان انذر ﴿ان﴾ مفسرة بمعنى أي. والمصدر المنسبك من أن هم قدم صدق مجرور بالياء المحلوفة، ويتعلق ببشر. جملة ﴿يدبر﴾ حال من الضمير في استوى. ﴿وما من شفيع﴾ من زائدة وشفيع مبتدأ، ومن بعد اذنه ﴿من﴾ زائدة. وجميعاً حال من الضمير في مرجعكم. وعد الله منصوب على المصدر. ومثله حقاً.

السجادية : اللهم حصن ثغور المسلمين . واشغل المشركين
بالمشركين عن تناول أطراف المسلمين .

﴿ وليجدوا فيكم غلظة ﴾ قوة وشدة بتوحيد الصفوف
وجمع القلوب وتمام العدة وكرهم الأخلاق ﴿ واعلموا أن
الله مع المتقين ﴾ المجاهدين أهل البغي والفساد .

١٢٤- ﴿ وإذا ما أنزلت سورة ﴾ من القرآن
﴿ فمنهم ﴾ من المنافقين ﴿ من يقول أيكم زادته هذه
إيماناً ﴾ أي إعجاز أو جديد في هذه السورة . يستدعي

الإعجاب أو الإيمان بالقرآن أو زيادته ؟ هذا ما يقوله بعض
المنافقين لبعض إذا أنزلت سورة . وكتم رأينا بالوجدان والعيان
من حسود حقود يكذب على نفسه . ويستخف بفصائل أهل
الفضل . وينعتها بكل قبيح ... ولو كان له عشر واحدة منها
لتفاخر به على الأولين والآخرين ! وليس هذا بأعجب وأغرب
من الدماء التي تراق باسم الحرية ، والحقوق التي تهر باسم
الديمقراطية ، والأموال التي تنهب باسم الإنسانية !

﴿ فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون ﴾
يزداد المؤمن هدى وبقينا بآيات الله ، ويسترشد بها إلى طريق
الجنة والرضوان .

١٢٥- ﴿ وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً
إلى رجسهم ﴾ النفاق كداء السرطان يتفقم يوماً بعد يوم .

١٢٦- ﴿ أو لا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو
مرتين ﴾ المراد بالفتنة هنا انفضاح المنافقين على الملأ وإظهار
حقيقتهم لدى الجميع ، وذلك بأن الله سبحانه كان يخبر

نبيه الأكرم بما يبيتون ويمكرون ، وكان النبي (ص) بدوره يعانهم ويفضحهم ، وقد تكرر هذا في كل عام مرة أو أكثر .

١٢٧- ﴿ وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض ﴾ تكلموا بلغة العيون وعمزها مشاتلن . ﴿ هل يراكم من
أحد ثم انصرفوا ﴾ قد ينزل السوحي على رسول الله ، والمنافقون في مجلسه ، فيثقل عليهم سماعه . ويحاولون الفرار .
ولكن يخشون أن يراهم أحد المؤمنين عند خروجهم فيفتضحوا . ولذا يشاءلون : هل من سبيل إلى الفرار خفية ؟ ثم يتسللون

كاللصوص ﴿ صرف الله قلوبهم ﴾ عن رحمته ومغفرته . ١٢٨- ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم ﴾ رحمة
للعالمين . ولكن الرحمة لا تتم وتتحقق إلا أن تستجيب لها النفوس ، وتتفاعل معها الشاعر ﴿ عزيز عليه ما عنتم ﴾

يشق عليه أن يلقى كائن على وجه الأرض مكروها ﴿ حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ حتى بالجاني الغليظ المتوحش .
في ذات يوم جاءه أعرايي وشده ببرده في قسوة حتى أثرت حاشية البرد في عاتقه ، وقال : يا محمد احمل لي على بعيري
هذين من مال الله . فانك لا تعطيني من مالك ولا من مال أبيك . فلم يزد الرسول على أن قال : المال مال الله وأنا عبده

ويقاد منك ما فعلت . قال الأعرايي : لا . قال النبي : ولم ؟ قال : لأني لا تكافي السيئة بالسيئة . فضحك الرسول :

وأمر أن يحمل له على بعير شعير . وعلى الآخر تمر .

توكلت وهو رب العرش العظيم ﴿ هذي هي مهمة كل

وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٢٦﴾

وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَفَتَنَهُمْ مِنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ

هَذِهِ ۚ لِيَمْنَنَا ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ

يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ

رَجْسًا إِلَىٰ رَجْسِهِمْ وَمَأْوَاهُمْ كُفْرُونَ ﴿١٢٨﴾ أَوْ لَا يَرَوْنَ

أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ

وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً نَّظَرَ بَعْضُهُمْ

إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَيْكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا ۖ صَرَفَ اللَّهُ

قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣٠﴾ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ

مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ

رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٣١﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ

إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٣٢﴾

١٢٧- ﴿ وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض ﴾ تكلموا بلغة العيون وعمزها مشاتلن . ﴿ هل يراكم من

أحد ثم انصرفوا ﴾ قد ينزل السوحي على رسول الله ، والمنافقون في مجلسه ، فيثقل عليهم سماعه . ويحاولون الفرار .
ولكن يخشون أن يراهم أحد المؤمنين عند خروجهم فيفتضحوا . ولذا يشاءلون : هل من سبيل إلى الفرار خفية ؟ ثم يتسللون

كاللصوص ﴿ صرف الله قلوبهم ﴾ عن رحمته ومغفرته . ١٢٨- ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم ﴾ رحمة
للعالمين . ولكن الرحمة لا تتم وتتحقق إلا أن تستجيب لها النفوس ، وتتفاعل معها الشاعر ﴿ عزيز عليه ما عنتم ﴾

يشق عليه أن يلقى كائن على وجه الأرض مكروها ﴿ حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ حتى بالجاني الغليظ المتوحش .
في ذات يوم جاءه أعرايي وشده ببرده في قسوة حتى أثرت حاشية البرد في عاتقه ، وقال : يا محمد احمل لي على بعيري
هذين من مال الله . فانك لا تعطيني من مالك ولا من مال أبيك . فلم يزد الرسول على أن قال : المال مال الله وأنا عبده

ويقاد منك ما فعلت . قال الأعرايي : لا . قال النبي : ولم ؟ قال : لأني لا تكافي السيئة بالسيئة . فضحك الرسول :

وأمر أن يحمل له على بعير شعير . وعلى الآخر تمر .

توكلت وهو رب العرش العظيم ﴿ هذي هي مهمة كل

مبلغ أن يعرض عن أعرض . ويتوكل على الله . ومن يتوكل عليه كفاه . ومن شكره جزاه . ونستغفره من التقصير

سُورَةُ الْكَافِرَاتِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا الشَّعْرُ وَمَا شَاءَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْأَرْبَعُ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۝ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ۝ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مَنْ بَعْدَ إِذْنِهِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا

١ - ﴿الر﴾ تقدم نظيره في أول البقرة ﴿تلك﴾ إشارة إلى آيات هذه السورة أو ﴿آيات الكتاب﴾ على وجه العموم ﴿الحكيم﴾ الناطق بالحكمة والموعظة الحسنة .
٢ - ﴿أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم﴾ ليست المسألة عند الذين أنكروا الوحي والنبوة مسألة إعجاز وأن الله أعلم حيث يجعل رسالته كلا ، وإنما هي مسألة حسد «أبشراً واحداً منا تبعه - ٢٤ القمر ... ما نراك الا بشراً مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا - ٢٧ هود» ﴿أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا﴾ يعيش الناس في الجهل والخرافة والأوهام كما نرى بالحس والعيان ، وبالخصوص فيما يعود إلى الدين والعقيدة ، ولا يسوغ على حكمة الله سبحانه أن يترك عباده في الضلالة والجهالة بلا راع وهاد ، ولا على عدله أن يعاقب بلا بيان ﴿أن لهم قدم صدق عند ربهم﴾ أي كان سعيهم في الدنيا صادقاً ومشكوراً عند الله ﴿قال الكافرون إن هذا لساحر مبين﴾ ولماذا ساحر؟ أبداً لا شيء إلا لأن الله اختاره من دونهم ، ولو نزل الوحي عليهم لكان حقاً وصدقاً .

٣ - ﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ تقدم في الأعراف الآية ٥٤ ﴿يدبر الأمر﴾ أمر الكون ، لا شيء فيه إلا إزراه قضاء وتقدير بكلمة «كن» أو بالنواميس والعناصر التي أودعها سبحانه في الطبيعة ﴿ما من شفيع إلا من بعد إذنه﴾ وبالأولى لا شريك ، وخير شفيع عنده تعالى كف الأذى عن عباده وعباله ، وهل تغفر أنت وتصفح عن سيء إلى أهلِكَ وعيالك ؟
٤ - ﴿إليه مرجعكم جميعاً﴾ للحساب والجزاء . والمصلحة العامة تستدعي ذلك ، لأن من ينكر البعث يبرى الدنيا فريسة للغام ، ومن الحماية عنده أن يضع أية فرصة للسلب والنهب إذا ضمن السلامة وأمن العقاب ، أما المؤمن بالله واليوم الآخر حقاً وواقعاً فيقبل على عمله وهو على يقين من قوله تعالى : «يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً» ٣٠ - آل عمران ﴿وعد الله حقاً﴾ كل أقواله تعالى

الإعراب:

المصدر المنسبك من أن أوحينا إسم كان ، وعجباً خبرها ، وللناس حال من العجب وأن أنذر (ان) مفسرة بمعنى أي . والمصدر المنسبك من أن لهم قدم صدق مجرور بالياء المحذوفة ، ويتعلق ببشر . جملة (يدبر) حال من الضمير في استوى . ﴿وما من شفيع﴾ (من) زائدة وشفيع مبتدأ ، ومن بعد إذنه (من) زائدة . وجميعاً حال من الضمير في مرجعكم . وعد الله منصوب على المصدر . ومثله حقاً .

إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ۝ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّا فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْتَقُونَ ۝ إِنَّا الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَاتِنَا غَافِلُونَ ۝ أُولَٰئِكَ مَاوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ إِنَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ۝ دَعَوْنَهُمْ

وأفعاله حق لا وعده فقط « ذلك بأن الله هو الحق » ﴿ ٥ ﴾ يبدأ الخلق ثم يعيده ﴿ ٥ ﴾ وفي نهج البلاغة : عجبت لمن أنكر النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى ﴿ ٥ ﴾ ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات ... ﴿ ٥ ﴾ حيث لا يستقيم في عدله تعالى أن يستوي مصير الصالح والطالح .

٥ - ﴿ ٥ ﴾ هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً ﴿ ٥ ﴾ نور القمر من الشمس ، ولذا قيل : الضياء أقوى من النور والآية لم ترد لبيان شيء من ذلك ، بل تشير إلى قدرة الله وعظمته ﴿ ٥ ﴾ وقدره منازل ﴿ ٥ ﴾ أي قدر القمر وأحكم صنعه ، وجعل له منازل ثابتة لا تتغير ولا تبدل تماماً كغيره من سنن الطبيعة ، والهدف من ذلك ما أشار إليه سبحانه بقوله ﴿ ٥ ﴾ لتعلموا عدد السنين والحساب ﴿ ٥ ﴾ لتعلموا الأوقات التي تنظم وظائف الحياة بشئى نواحيها ، وأن هذا التنظيم خاضع للتدبير الإلهي ﴿ ٥ ﴾ ما خلق الله ذلك إلا بالحق ﴿ ٥ ﴾ الذي هو عين الواقع والحكمة وإلا لعجز العقل البشري أن يكتشف شيئاً من أسرار الطبيعة ، ويخترع أحقر الآلات والأدوات فضلاً عن سفينة البر والبحر والقضاء بل لم يكن هناك كون على الإطلاق .

٦ - ﴿ ٦ ﴾ إن في اختلاف الليل والنهار ... ﴿ ٦ ﴾ هذه الآية ونظائرها تحاطب أرباب العقول وتقول لهم : انظروا إلى الظواهر الكونية بشئى أنواعها . واربطوا بين الأسباب والحسب لتصلوا إلى السبب الأول . وتقدم في الآية ١٦٤ من البقرة .

٧ - ﴿ ٧ ﴾ إن الذين لا يرجون لقاءنا ﴿ ٧ ﴾ ويقولون :

من مات فات ﴿ ٧ ﴾ ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ﴿ ٧ ﴾ يضحكون إلى الدنيا ، وتضحك على عقولهم الغارقة في الشهوات واللذات ﴿ ٧ ﴾ والذين هم عن آياتنا ﴿ ٧ ﴾ الناطقة بوجود الخالق وعظمته ﴿ ٧ ﴾ غافلون ﴿ ٧ ﴾ .

٨ - ﴿ ٨ ﴾ أولئك ماواهم النار بما كانوا يكسبون ﴿ ٨ ﴾ هذا هو الهدف الأساس من يوم القيامة : أن توفي كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون .

٩ - ﴿ ٩ ﴾ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم ﴿ ٩ ﴾ أي يشيهم بسبب إخلاصهم في أعمالهم الصالحة النافعة . وفي الحديث : يقول سبحانه يوم القيامة : اليوم أضع نسكم ، وأرفع نسبي ... أين المقنون .

الإعراب :

﴿ وما كانوا ﴾ متعلق بمحذوف خبراً مبتدأ محذوف أي ذلك بما كانوا . الياء في ﴿ ضياء ﴾ منقلبة عن واو لأن الأصل ضوء . ﴿ وقدره ﴾ بمعنى صيره ، والهاء مفعول أول ، ومنازل مفعول ثان ﴿ لايات لقوم يعقون ﴾ ﴿ آيات ﴾ اسم ان مؤخر ، ﴿ وفي اختلاف الليل ﴾ خبر مقدم ﴿ أولئك ماواهم النار ﴾ فاولئك مبتدأ أول ، وماواهم مبتدأ ثان ، والنار خبره ، والجملة من الثاني وخبره خبر الأول ، والأول وخبره خبر ان الذين لا يرجون . ودعواهم مبتدأ .

١٠- ﴿ دَعَاهُمْ فِيهَا سَبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ... ﴾ دعاء أهل الجنة : تسبيح وتقديس ، وتحييتهم في دار السلام غبطة ومحة ، أما الحمد فهو على العتق من النار أولاً وقبل كل شيء ... أبداً ما خير بخير بعده النار .

١١- ﴿ وَلَوْ يَعْجَلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ ﴾ قال المشركون : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء . فقد استعجلوا وقسوع الشر تماماً كما يستعجلون الخير ، ولكن الله سبحانه لم يستجب إلى طلبهم ، لحكمة بالغة ، وهي أن بعضهم أسلم وأحسن ، وخرج من صلب آخرين كثير من المؤمنين ﴿ فَنُلْهِمُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ العمة : عمى البصيرة ، وكل نافر من الحق ، مكابر للنصح يترك وما اختار لنفسه حتى يلقى ربه ، ولا عدوان عليه في الدنيا إلا أن يعتدي ، هذي هي شريعة القرآن والانسان العارف المصنف . فهل يتعظ ويعتبر الذين يدعون إلى طاعة الله بالحماقة والموعظة السبئية ؟

١٢- ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لَجْنَهُ ﴾ مضطجماً ﴿ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَاتِماً ﴾ لو نزل أدنى مكروه بمن استعجل الشر لفقد الصبر ، ولجأ إلى الله خاضعاً متذللاً في شتى حالاته لكشف عنه ما نزل به ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَانْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّهِ ﴾ أبداً لا عهد له بمن استجاره واستجاب لنصرته ! وهكذا اللثيم يجحد الجميل بصلافة ، وببكر المعروف بكل وقاحة .

١٣- ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ تقدم

فِيهَا سَبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَحَيِّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۖ وَءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ * وَلَوْ يَعْجَلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَاتِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَانْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّهِ مَسَّهُ كَذَلِكَ زِينٌ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكَ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ۚ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ حَلِيفاً فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتَتْ بِقَرَأَةٍ

في الآية ٦ من الأنعام . لنظر هل تعملون خيراً أو شراً ، فنعاملكم بما تستحقون .

١٥- ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتَتْ بِقَرَأَةٍ ﴾ بكتاب آخر ﴿ أَوْ

الإعراب :

﴿وسبحانك﴾ منصوب على المصدر وهو ساد مسد الخبر ، أو إن خبر المبتدأ محذوف تقديره قولهم سبحانك . و﴿إن الحمد﴾ خفيفة من الثقلة ، واسمها ضمير الشأن المحذوف ، أي أنه الحمد ، والجملة خبر آخر وعوامهم مجرور بالإضافة . و﴿بالخير﴾ الباء للتعدية ، لجنبه في موضع الحال أي دعانا مضطجماً . و﴿كان﴾ خفيفة من الثقلة ، واسمها ضمير الشأن المحذوف أي كأنه لم يدعنا . و﴿كذلك﴾ الكاف بمعنى مثل في موضع نصب صفة لمفعول مطلق محذوف أي تزيئاً مثل ذلك . ومثله كذلك نجزي . والمصدر المنسبك من ليؤمنوا متملق بمحذوف على أنه خبر لكانوا أي وما كانوا مريدين للامان . و﴿كيف﴾ محل نصب بتعملون .

بدله ﴿ أو أبقيه ولكن احذف منه ما نكره ، وبالإجمال قال المشركون لرسول الله : كيف تؤمن بهذا القرآن وهو ينادي بالتوحيد والمساواة ، ويدعو إلى التجديد وترك العادات ، انت بما نريد ونهوى ، وعندئذ تؤمن بك وبه ... وهكذا المفسد المضلل يتخذ من هواه مقياساً للحق والإيمان ، وكل ما عداه زور وهذيان ﴿ قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن اتبع إلا ما يوحى إلي ﴿ هذا هو النبي في واقعه ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى 》 .

١٦- ﴿ قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به ﴿ ولا أعلمكم الله به ، والمعنى الله سبحانه هو الذي أنزل علي القرآن ، وأمرني أن أبلغه للعالمين ليخرجهم من الظلمات إلى النور ، وفيه كل الطاقات والمؤهلات لتحقيق ذلك ، ويستحيل على مخلوق أن يأتي بمثله ، بل وعلى كل الخلاق ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ... ومن أجل هذا تؤمن بأن القرآن من وحي السماء ، ومعجزة خاتم الأنبياء . ﴿ فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون ﴿ أن من عاش في قومه أربعين عاماً من قبل أن يوحى إليه لم يقرأ فيها كتاباً أو يلقن من أحد درساً ، وحياته كلها صدق وفضيلة وأمانة - فهو أبعد الناس عن الكذب والافتراء .

١٧- ﴿ فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ﴿ نسب إلى دين الله ما هو بريء منه ﴿ أو كذب بآياته ﴿ أنكر من دين الله ما هو منه في الصميم ، وهذي البدعة التي قال عنها الرسول الأعظم (ص) : « كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار 》 .

غَيْرَ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي بِنَفْسِي إِنْ أَتَّبَعْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ ﴿ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرِسُكُمْ بِهِ ۚ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَنْتَعِيزُونَ اللَّهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أَنْزَلَ

١٨- ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ﴿ كان أهل الطائف يعبدون اللات وأهل مكة يعبدون العزى ومناة وهبل ... ﴿ ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴿ إنكأ وزورا ﴿ قل أنتبشون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض ﴿ أنتخبرون الله بأن لديه شفعا لا يعلم عنهم شيئاً ، وهو بكل شيء عليم ؟ وإذن إنكم لمفترون .

١٩- ﴿ وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلّفوا ﴿ كل الناس يولدون على الفطرة النقية والسجدة النقية ، ومنهم من يستمر على فطرته التي فطره الله عليها بإرشاد من عقله السليم أو من رسول كريم ، ومنهم من يزوغ عنها لسبب أو لآخر . ويعبد حجراً أو كوكباً أو إنساناً وما أشبه ، فيقع الخلاف بين هؤلاء تبعاً لتعدد المعبود واختلافه ، وتقدم في الآية ٢١٣ من البقرة ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك ﴿ وهي تأخير الحكم بينهم إلى يوم القيامة ﴿ لفضي بينهم ﴿ في الدنيا وعرف الحق من المبطل ، ولكن سبق في حكمه تعالى وحكمته أن تكون الدنيا عملاً بلا حساب ، والآخرة حساباً بلا عمل .

٢٠- ﴿ ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه ﴿ على

شروطهم وأهوائهم ﴿ فقل إنما الغيب لله ﴾ والأمر بيده وحده ، ولا أملك شيئاً مما تقترحون وغيره ، وسيجيبكم سبحانه عما سألتهم واقترحتم ﴿ فانظروا إلي معكم من المنتظرين ﴾ لعقابكم على هذا التمادي في النفي والضلال .

٢١- ﴿ وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر في آياتنا ﴾ للمكر معانٍ ، والمراد به هنا ترك الشكر على النعمة ، والمعنى أن الله سبحانه إذا جعل عسر الإنسان يسراً نسي الله وأنه تعالى هو الذي وفق ويسر الأسباب ، بل يعتد بنفسه ، وينسب نجاحه إلى ذكائه ونشاطه تماماً كما قال قارون : إنما أوتيته على علم عندي ﴿ قل الله أسرع مكرًا ﴾ والمراد بمكره تعالى عقاب الماكرين على مكرهم تسمية للمسبب باسم سببه ، وتقدم في الآية ٥٤ من آل عمران .

٢٢- ﴿ هو الذي يسيركم في البر والبحر ﴾ إن الله سبحانه يمنح عبده العقل والإرادة والقدرة ، وبالعقل يميز ، وبالإرادة يختار ، وبالقدرة يفعل ، وعلى هذا الأساس ساع أن تنسب إليه أفعال العباد بالكامل ﴿ حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم ... ﴾ في الآية السابقة أخبر سبحانه عن وضع الإنسان إذا انتقل من عسر إلى يسر ، وفي هذه الآية أخبر عن وضع الإنسان وحاله إذا انتقل من يسر إلى عسر ، وأنه في الحال الأولى ينسى الله ولا يحمده على آلائه ونعمائه ، لأنه في نشوة الفرح من هبوب الريح المواتية له ، وفي الثانية يستغيث بالله جزعاً ومنقطعاً إليه ، ويكثر الأيمان والمواعيد إذا صرف عنه السوء ، أن يخلص الله ويشكر ويذكر

ولا بأس في شيء من ذلك شريطة أن يفي بالعهد ولكن : ٢٣- ﴿ فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق ﴾ استجاب سبحانه لدعائهم ، ونكثوا ولم يستجيبوا . بل انقادوا للشهوات والملمات يبغون ويفسدون ... ولا تفوتنا الإشارة إلى أن هذه الآية توحى بأن وجود الله مستقر حتى في كيان الملمد وفطرته ، وأن هذا الوجود الإلهي يتجلى بوضوح حين تضيق بالملمد مسالك النجاة ، وتسد في وجهه المنافذ ، لأن الحجب تطرح بكاملها في هذه الساعة تماماً كما هو الشأن عند نهاية الأجل ﴿ يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم ﴾ من سل سيف البغي قتل به .

٢٤- ﴿ إنما مثل الحياة الدنيا ... ﴾ شبه الدنيا في

عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ . فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءَ مَسْتَهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّا رُسُلُنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿ هُوَ الَّذِي يُسِيرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرْنَ بِيَمٍ يَبْرِجُ طَيْبَةً وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أُخِيتْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿ فَلَمَّا أُنْجِلَهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَتَأَيَّأُ النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ

الإعراب :

﴿ إذا ﴾ لم ﴿ إذا ﴾ للمفاجأة وقعت في جواب إذا أذقنا . و﴿ مكرًا ﴾ تمييز . والنون في جرين ضمير الفلك . وضمير بهم للناس . و﴿ مخلصين ﴾ حال من الضمير في دعوا . وإذا هم ﴿ إذا ﴾ للمفاجأة وقعت في جواب لا . و﴿ متاع ﴾ الحياة منصوب على المصير أي تمتعوا متاع الحياة ، ويجوز الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي ذلك متاع .

أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا
يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ
زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَنهَآ
أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ
بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾
وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٦﴾ * لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ
وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ
هُم فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ
سَيِّئَةٍ يَمْثِلُهَا وَيَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن عَاصِمٍ
كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قُطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا

سرعة انقضائها بنات الأرض في جفافه بعد خضرته ونضرته
﴿ حتى إذا أخلت الأرض زخرفها وازينت ﴾ إذا نزل
الماء على الأرض من السماء تصبح مثل العروس إذا لبست
الثياب من كل لون ، وزينت بالزينة من كل نوع ﴿ وظن أهلها
أنهم قادرون عليها ﴾ متمكنون من إتقانها ﴿ أنها
أمرنا ... ﴾ بالهلاك ، وتبخرت الأحلام .

٢٥ - ﴿ والله يدعو إلى دار السلام ﴾ إلى الإسلام ،
لأنه اسم سلامة ، وجماع كرامة ... فيه شفاء المشتفي ،
وكفاية المكفي كما في الخطبة ١٥٠ من خطب نهج البلاغة .

٢٦ - ﴿ للذين أحسنوا الحسنى ﴾ لكل من أحسن
وأصاب في رأي أو عقيدة وفي قول أو فعل وفي قصد أو
هدف - فله المثوبة الحسنى أجرا وجزاء ﴿ وزيادة ﴾ على
ما يستحق ﴿ ولا يرهق وجوههم قتر ﴾ غبرة فيها سواد ،
وهي هنا كناية عما يظهر في الوجه من الخوف والهلع ﴿ ولا
ذلة أولئك أصحاب الجنة ﴾ الذين جاهدوا وصبروا
وأخلصوا دينهم وعملهم لله وحده .

٢٧ - ﴿ والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها ﴾
ولا زيادة ، بل « ويفوق عن كثير - ١٥ المائدة ﴾ وتوفيقهم
ذلة ﴿ تلحق أو تلصق بالمسيئين ذلة الفضيحة ﴾ ما لهم
من الله من عاصم ﴿ يمنع عنهم سوء العذاب ﴾ كأنما
أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلماً ﴿ يحشر الله سبحانه
المسيئين يوم القيامة بوجوه كالليل الأبهم .

٢٨ - ٢٩ - ﴿ ويوم نحشرهم جميعاً ﴾ من أحسن

اللغة :

يرهق وجوههم أي يشاها ويغطيها . وقتر يفتح القاف والراء غبار أو دخان أسود ، والذلة الهوان ، والعاصم المنع . وزيلنا فرقنا
وميزنا .

الإعراب :

﴿ للذين أحسنوا ﴾ خبر مقدم ، والحسنى مبتدأ مؤخر . « والذين كسبوا » مبتدأ ، وجزاء سيئة خبر ، ومثلها متعلق بجزاء ، وقيل : جزاء
مبتدأ ثانٍ ، ومثلها خبره . وقطعاً مفعول ثانٍ لأغشيت لأنها بمعنى البست . « ومظلماً » صفة لقطع ، وقيل حال . وجميعاً حال من ضمير
نحشرهم .

ومن أساء ﴿ ثم نقول للذين أشركوا مكانكم ﴾ الزموا مكانكم ﴿ أنتم وشركاؤكم ﴾ وانظروا : هل يملكون لكم أو لأنفسهم نفعا ، أو يدرون عنكم أو عنهم ضرا ﴿ فزبلنا بينهم ﴾ أي أنه تعالى يميز يوم الحساب بين الحلائق ، ويظهر كل واحد على حقيقته ، وعندئذ يتبين للمشرك أن الأمر كله لله وحده لا شريك له .

﴿ وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون ﴾ بل كنتم تعبدون الشيطان الذي أمركم أن تتخذوا لله أندادا .

٣٠- ﴿ هنالك تبلو ﴾ تجد ﴿ كل نفس ما أسلفت ﴾ إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر .

٣١- ﴿ قل من يرزقكم من السماء ... فيقولون الله ﴾ وإذا اعترف للمشركون بهذه الصراحة أن الله هو الخالق والمالك ، والمحيي والمميت والمدير والمقتدر ، فإذن علام النزاع والصراع بينهم وبين أنبياء الله ورسله ؟ الجواب : أن الذين صدوا عن دين الله وحاربوا الرسل والأنبياء هم قادة الشرك وجبابرة الترف ، وليس المستضعفون الذين لا عم لهم ولا خصال ، وما من شك أن المترفين الأقوياء يعترفون بكل إله يخصهم وحدهم بالقوة والسطوة . ويختار لغيرهم البؤس والرق ، وجاء هذا جليا وصريحا في العديد من أقوالهم ، من ذلك ما جاء في الآية ٤٧ من يس : « قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو بشاء الله أطعمه » . ويأبى دين الله إلا الكف عن الفواحش والجرائم وعن الأذى وأكل المال بالباطل وإلا العدل والمساواة بين عباد الله وعياله في جميع

﴿ ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَزِيلَنَّا بِهِمْ ﴾ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيانا تَعْبُدُونَ ﴿ فَكُنِيَ بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يَدِيرُ الْأَمْرَ فَيَقُولُوا اللَّهُ فَعَلُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَآذًا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَيْدَتِ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُوا أَنْتَ لِتُنَادِيَهمْ

الحقوق والواجبات ومن هنا جاء العراك والشقاق بين المرسلين والمترفين أي بين الحق والباطل .

٣٢- ﴿ فذلکم الله ربکم الحق فماداً بعد الحق إلا الضلال ﴾ أبداً لا واسطة إما عدل ومساواة ، وإما ظلم وتعديات .

٣٣- ﴿ كذلك حقت كلمة ربك ﴾ وهي كلمة العذاب ﴿ على الذين فسقوا ﴾ وفي طليعتهم من لا يكف أذاه عن عيال الله ، ويرى لنفسه امتيازاً على سواه ﴿ أنهم لا يؤمنون ﴾ أي حقت عليهم كلمة العذاب لأنهم لا يتوبون ولا يهتدون .

٣٤- ﴿ قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده ﴾ الخلق بالنسبة إليه تعالى يعني إيجاد شيء من لا شيء ، وبالنسبة إلى غيره يعني إيجاد شيء من شيء كالدار من الأحجار .

الإعراب :

﴿ ومكانكم ﴾ في محل نصب قام مقام فعل الامر أي الزموا . ﴿ وأنتم ﴾ توكيد للضمير في الزموا . ﴿ وكفى بالله ﴾ الباء زائدة ، والله فاعل ، وشهداً حال ، ويجوز أن يكون مميّزاً على معنى من شهيد . ﴿ وإن كنا ﴾ وخفة من الثقلية ، واسمها ﴿ نا ﴾ محذوف وبجمله كنا خبر ، واللام في لغافلين للفرق بين ان النافية والمخففة .

يوم ، يكذبون ويسمون الكذب صدقاً ، ويظلمون ويسمون الظلم عدلاً ، ويمكرون ويسمون المكر عقلاً ، ويهدرون ويسمون الهذر علماً !

٤٠ - ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ﴾ بالقرآن ، يجاهدون في سبيله ، وجلهم من المغلوب على أمرهم ، ولا يملكون من القوة ما يتحكمون ويستبدون ، أولاً تصطدم مصالحهم مع الحق والعدل ، ومع ذلك فلا غبار على إيمانهم ، لأن الإسلام يقف دائماً مع المستضعفين والمظلومين ، ويعلم الحرب من أجلهم ، ثم هل من بأس في إيمان من آمن بالله وصفاته لا شيء إلا لأنه حرم العدوان على أي عبد من عباده ؟ ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ ﴾ جهلاً أو خوفاً على مكانتهم ومصالحهم .

٤١ - ﴿ وَإِنْ كَذَّبُوكَ ﴾ يا محمد ﴿ فَقُلْ لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلِكُمْ... ﴾ إن أصروا على معاندة الحق وتكذيبه قتل كلمة الله وامش « وما أنت بهدي العمي عن ضلالتهم - ٨١ النمل » .

٤٢ - ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾ بأذان صم وقلوب عمي ﴿ أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الصَّمَّ ﴾ علام تعب نفسك ، وتشغل قلبك من غير جدوى .

٤٣ - ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ ﴾ بعين الحقد والحسد فكيف تحاول أن يقتنوا منك ويقولوا ؟

٤٤ - ﴿ إِنْ اللَّهُ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ وأغرب من كل غريب أن يقول مسلم : الإنسان مسير لا مخير وهو يقرأ هذه الآية المحكمة الواضحة .. حتى ابليس يقول لأتباعه يوم لا كذب ولا خداع : « فلا

كَانَ عَقِبَهُ الظَّالِمِينَ ٢٦ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ٢٧ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيْعُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيْعٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ٢٨ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَفْقَهُوْنَ ٢٩ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ ٣٠ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ٣١ وَيَوْمَ يُخْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ٣٢ وَإِمَّا تُرِيدُكَ بَعْضُ الَّذِينَ نَعِدُهُمْ أَوْ تَتَوَقَّعُكَ فَاِلْبِنَا مَرْجِعَهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ ٣٣ وَلِكُلِّ

تولموني ولوموا أنفسكم - ٢٢ ابراهيم » .

٤٥ - ﴿ وَيَوْمَ يُخْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ ﴾ هذا تذكير وتحذير لمن يتعادى في الغي والضلال يتعارفون بينهم ﴿ يتعارف الموتى في موقف من مواقف يوم القيامة ، ثم ينقطع التعارف ، ويشغل كل نفسه لتراكم الأحوال ونقل الأغلال .

٤٦ - ﴿ وَإِمَّا تُرِيدُكَ بَعْضُ الَّذِينَ نَعِدُهُمْ ﴾ بحيث ترى بعينك يا محمد الانتقام في الحياة من الذين كذبوك أو تتوَقَّعُكَ ﴿ قبل أن تعذبهم في الدنيا أو تدع عذابهم فيها ﴾ فالينا مرجعهم ﴿ يوم الحشر ﴾ ثم الله شهيد على ما يفعلون ﴿ بعينك ، فمن تاب منهم وعمل صالحاً فقد فاز والا فحسبه جهنم وبئس المهاد .

الإعراب :

﴿ وعاقبة ﴾ اسمها مؤخر ﴿ يوم ﴾ مفعول لفعل محذوف أي أنذرهم يوم نحشرهم . ﴿ وكان ﴾ مخففة من الثقيلة ، واسمها محذوف أي كانوا . وساعة ظرف متعلق بيلبسوا . ﴿ ومن النهار ﴾ متعلق بمحذوف صفة لساعة ، وجملة كأنهم وما بعدها حال من ضمير يخشرون ، أي مشبهين من لم يلبث إلا ساعة . ﴿ وانما ﴾ مركبة من كلمتين ان الشرطية وما الزائدة ، وجواب الشرط فالينا مرجعهم .

٤٧- ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ ﴾ يشهرها وينذرنا حيث لا عقاب بلا بيان ﴿ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ ﴾ بالبينات الدالة على صدقه وكذبه ﴿ قُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ أي بين النبي ومن كذب برسالة ﴿ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ بنقص من ثواب من أطاع ، ولا بزيادة في عقاب من عصى .

٤٨- ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ ﴾ لا زلت تُهدد وتحذر ، فتى تفعل وتنفذ ؟

٤٩- ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ تقدم في الآية ١٨٨ من الأعراف ، وتكرر بأسلوب آخر ، وغير بعيد أن يكون القصد من هذا التكرار والتوكيد أن لا يقول المسلمون بمحمد ما قاله النصارى بعبسى . وفي الترجمة العربية لكتاب دراسات في حضارة الإسلام لـ « هاملتون » أستاذ اللغة العربية في جامعة أكسفورد : « فالإسلام حين وضع الإنسان أمام الله بلا واسطة ، أكد بالضرورة مدى التباين بين الله والإنسان ، ﴿ لكل أمة أجل ... ﴾ لفنائها وجزائها ، وتقدم بالحرف في الآية ٣٤ من الأعراف .

٥٠- ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا ﴾ ليلاً ﴿ أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ هذه الآية يحملتها جواب عن قول المجاحدين : متى هذا الوعد ؟ فأمر سبحانه نبيه أن يقول لهم : أي العذابين تستعجلون : الذي يأتيكم وأنتم نيام أو الذي يأتيكم وأنتم قيام بأعمالكم ؟ وإذا لم يكن شيء من ذا ولا ذلك ، فأين المفسر من يوم الجمع للحساب والجزاء .

٥١- ﴿ أَمْ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ الْآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ حذرناكم من سوء العاقبة : فسخرتم ولم تتحاطوا لأنفسكم ، فهل معنى هذا أنكم لا تؤمنون وتصدقون إلا بعد الهلاك والتدمير ؟ فذلك الحق بعينه .

٥٢- ﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ ﴾ الذي كنتم به تكذبون .

٥٣- ﴿ وَيَسْتَبْشِرُونَ أَحَقَّ هُوَ ﴾ العذاب الذي وعدت به يوم القيامة ، وما من شك أن هذا السؤال جاء بوحى من إيمانهم السابق بأن محمداً هو الصادق الأمين ﴿ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقُّ ﴾ وآمن الكثير بمحمد (ص) لصدقه وإخلاصه وخلقه .

٥٤- ﴿ وَلَوْ أَنَّ كُلَّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ ﴾ من هول العذاب وشدته ، ولكن لا فدية ولا معذرة في ذلك اليوم ﴿ وَأَسْرُوا الدَّامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ﴾

الإعراب :

﴿وَمَنْ﴾ هنا للترتيب لفظاً ، لا معنى . ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ ، هذا مبتدأ مؤخر ، ومتى خبر مقدم ، والوعد عطف بيان . وما شاء الله ﴿مَنْ﴾ مصدرية والمصدر المنسك مجرور بباء محذوفة ، أي بمشيئة الله . وبياتاً ظرف زمان أي ليلاً والعامل فيه أناكم .

أُمَّةٌ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٩﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿١٩٠﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٩١﴾ أَمْ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ ؕ آَلْقَنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٩٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿١٩٣﴾ * وَيَسْتَبْشِرُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقُّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٩٤﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ ؕ وَأَسْرُوا الدَّامَةَ لَمَّا رَأَوُا

حيث لا ينفع الندم سرّاً كان أم علناً ﴿ وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ﴾ تقدم بالحرف في الآية ٤٧ من هذه السورة .

٥٥ - ٥٦ - ﴿ ألا إن لله ما في السموات ... ﴾ هو مالك الملك ، وخالق الموت والحياة ، وإذا وعد أنجز وعده لا محالة .

٥٧ - ﴿ يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم ﴾ أي القرآن وهو عظة لأنه يأمر بالواجبات ، وينهى عن المحرمات ، وهو ﴿ وشفاء لما في الصدور ﴾ من الشكوك والشبهات والأحقاد والآفات ﴿ وهدى ﴾ للناس إلى حياة أفضل ﴿ ورحمة للمؤمنين ﴾ للطيّين الذين يحبون الخير ، ويعملون به لوجه الله والخير ، ولا يزيد الظالمين إلا خساراً - ٨٢ الأسماء .

٥٨ - ﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ﴾ المراد بفضل الله ورحمته هنا الهداية إلى الحق والخير والنجاة من عذاب الله وغضبه ، وما من شك أن العاقل يفرح بالآجلة لا بالعاجلة . وفي نهج البلاغة : « ما بالكم تفرحون باليسير من الدنيا تدركونه ، ولا يحزنكم الكثير من الآخرة تحرمونه » .

٥٩ - ﴿ قل أرايتم ﴾ أخبروني ﴿ ما أنزل الله لكم من رزق ﴾ أهله لكم بالكامل ﴿ فجعلتم منه حراماً وحلالاً ﴾ لا صلة لهذه الآية بحياة الناس في العصر الراهن ، وإنما هي إشارة إلى ما كان عليه أهل الجاهلية حيث كانوا

يحرمون بعض ما أحل لهم كما مر في الآية ١٠٣ من المائدة ، والكثيرون في عصرنا يحللون ما حرم الله ، فهم أسوأ حالاً من أهل الجاهلية .

٦٠ - ﴿ وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة ﴾ أي هل يتصور الذين يحللون ويحرمون من تلقائهم أن الله يتركهم غداً بلا عقاب على كذبهم واقترائهم ؟ إذن لا فرق عنده بين من اتقى ومن عصى ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

٦١ - ﴿ وما تكون في شأن وما تتلوا منه ﴾ أي الشأن ﴿ من قرآن ولا تعملون من عمل ﴾ أيها الناس أو أيها المسلمون ﴿ إلا كنا عليكم شهودا ﴾ شاهدين به علمين ، والمعنى ما من حال يكون عليها النبي وأمة إلا وهي في علم

الإعراب :

﴿ وشفاء ﴾ هنا مصدر بمعنى الفاعل أي شاف ، مثل رجل عدل بمعنى عادل . وبفضل الله وبرحمته متعلق بفعل مخلوف دل عليه الموجود ، أي قل : ليفرحوا بفضل الله وبرحمته . و﴿ فبذلك ﴾ إشارة إلى فضل الله ورحمته ، وتتعلق بـ « ليفرحوا » ، والفرض من هذا التأكيد الإيماء إلى أن الإنسان لا ينبغي له أن يفرح بشيء إلا بفضل الله ورحمته . وما في قوله تعالى : ما أنزل الله للاستفهام الإنكاري ، وموضعها النصب بأنزل . و﴿ وإله ﴾ مركب من كلمتين : همزة الاستفهام ، ولفظ الجلالة ، أي الله . و﴿ وما ظن الذين ﴾ ﴿ ما ﴾ مبتدأ ، وظن خبر

الله ﴿ إِذْ تَقْبِضُونَ فِيهِ ﴾ من أفاض في العمل إذا اندفع فيه ، وهذا أيضاً في علم الله ﴿ وما يعزب ﴾ يبعد ويغيب ﴿ عن ربك من مقال ذرة ... ﴾ وبالاختصار أن الله بكل شيء عليم .

٦٢- ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ وولي الله هو ولي محمد (ص) لقوله تعالى : « من يطع الرسول فقد أطاع الله - ٨٠ النساء » وطاعة العترة الطاهرة هي طاعة الله والرسول لأنهم عدل القرآن بنص حديث الثقلين على رواية مسلم وغيره كثير .

٦٣- ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ أي يترجمون العلم والدين بالأفعال لا بالأقوال .

٦٤- ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ والمراد هنا قوله تعالى : « فن يعمل مقال ذرة خيراً يره - ٧ الزلزلة » وكل ما يراده في كتاب الله وسنة نبيه .

٦٥- ﴿ وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً ﴾ دعا محمد (ص) الخلق إلى الحق والعدل والمساواة ، فقامت قيادة المستبدين والمستأثرين ، وعتوه بما هم به أخرى وأولى ، فاستشعر النبي الألم والحزن من كذبهم وبتاتهم ، فقال سبحانه لتبيه الأكرم : لا تبال بما يقولون ، فإن الله وحده هو المعز والمذل ، وسيدلك ومن اتبعك جبارة البغي والضلال .

٦٦- ﴿ أَلَا إِنَّ اللَّهَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ .. ﴾ كل شيء في قبضته تعالى ، وهو القادر على نصرته دينه ونبيه والإنقام من أعدائه ، أما الذين يدعون من دونه فهم لا يملكون نفعاً ولا ضرراً ولا حجة ودليلاً ﴿ وإن هم إلا يخرصون ﴾ يتصورون تصوراً باطلاً .

٦٧- ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ ﴾ مظلماً ﴿ لتسكنوا فيه ﴾ للاستراحة من متاعب النهار ﴿ والنهار مبصراً ﴾ تبصرون فيه للكدح من أجل الحياة ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ﴾ كل عاقل يدرك هذه الحكمة البالغة ويربط بينها وبين وجود عليم حكيم .

الإعراب :

﴿الآية أداة تنبيه﴾ والذين آمنوا مبتدأ ، ولهم البشرى خبر . ﴿وفي الحياة الدنيا وفي الآخرة متعلق﴾ بالبشرى . ولا تبديل ﴿لا﴾ نافية للجنس تعمل عمل أن ، وتبديل اسمها ولكلمات الله خبرها . ﴿إن العزة لله﴾ جملة مستأنفة ، وليست مفعولاً للقول لأن النبي (ص) لا يحزنه قورهم : العزة لله . ﴿وما يتبع﴾ ما ، نافية ، ومفعول يتبع محذوف أي ما يتبعون شريك الله حقيقة ، لأن الله لا شريك له . ﴿إن يتبعون﴾ إن ، نافية . وإن هم مثلاً . والمصدر المنسبك من لتسكنوا متعلق بمحذوف مفعولاً لجعل أي جعل الليل مظلماً لتسكنكم فيه .

يَسْمَعُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ
لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ
سُلْطٰنٍ بِهٰذَا أْتَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ قُلْ
إِنَّ الَّذِينَ يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٧٠﴾
مَتَّعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِقُهُمُ الْعَذَابَ
الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧١﴾ * وَأَنْتَ عَلِيمٌ نَبَأُ
نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمٌ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي
وَتَذَكِيرِي بِمَا يَتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ
وَشُرَكَاءَ كُرْهُمُ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا
إِلَيَّ وَلَا تَنْظُرُونَ ﴿٧٢﴾ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُمْ مِنْ
أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأَمَرْتُ أَنْ أُكُونَ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ

٦٨ - ٦٩ ﴿﴾ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿﴾ ولماذا الولد ؟
﴿﴾ سبحانه هو الغني ... ﴿﴾ في ذاته وصفاته عن كل شيء
وكل شيء يفقر إليه ، وفي نهج البلاغة : لم يلد فيكون مولوداً ،
ولم يولد فيصير محدوداً .

٧٠ - ﴿﴾ متاع في الدنيا ﴿﴾ أي ذلك متاع أو لهم متاع .
٧١ - ﴿﴾ وائل عليهم نبأ نوح ﴿﴾ اقصص يا محمد
على الذين كذبوك خبر نوح مع قومه : كيف أهلكهم الله
بالغرق ، عسى أن يحذر قومك من الهلاك ﴿﴾ إذ قال لقومه
يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله ﴿﴾
عظم وثقل عليكم ﴿﴾ فعلى الله توكلت ﴿﴾ ومن توكل على الله
كفاه ﴿﴾ فاجمعوا أمركم ﴿﴾ من أجمع الأمر إذا عزم عليه
﴿﴾ وشركاءكم ﴿﴾ الذين تعبدون واتفقوا على حربي ﴿﴾ لم
لا يكن أمركم عليكم غمة ﴿﴾ مستوراً ، بل افعلوا بي ما شئتم
أمام الملائكة إن استطعتم ﴿﴾ لم اقضوا إلي ﴿﴾ امضوا في
حزركم ﴿﴾ ولا تنظروا ﴿﴾ لا تنتظروا .

٧٢ - ٧٣ ﴿﴾ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُمْ مِنْ
رَحْلِهِ ... وأجري عند الله ومقامي هو هو أقبلتم أم أدبرتم ،
وتقدم في الآية ٧٢ من الأعراف .

اللغة:

(فإن توليتم فما سألتكم من أجر) أي فإن أعرضتم عن دعوتي
فلست مطالباً بأعراضكم، لاني عامل له، لا لكم.

النبأ الخبر الذي له شأن. واجمع الأمر عزم عليه من غير تردد. والعمّة ضيق الأمر الذي يجوب الحزن، وضده الفرجة، وتستعمل في
الستر، يقال: غم الهلال إذا حال الغيم دون رؤيته. وخلاف أي يخلفون من مضى. المين ص ٢٧٧.

الإعراب :

﴿وان عندكم من سلطان﴾ ﴿ان﴾ نافية، وعندكم خبر مقدم، ومن زائدة اعراباً، وسلطان مبتدأ مؤخر، وبهذا متعلق بسلطان.
﴿ومتاع في الدنيا﴾ خبر مبتدأ محذوف أي ذلك متاع. ﴿اذا﴾ ظرف في محل نصب نبأ. ﴿وشركاءكم﴾ بالنصب عطفاً على أمركم بتقدير
وأمر شركاءكم. ﴿وان أجري﴾ ﴿ان﴾ نافية. والمصدر المنسب من أن أكون مجروراً بالباء المحذوفة أي بكوني. ﴿وكيف﴾ في محل نصب
خبراً لكان، وعاقبة اسمها.

٧٤- ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ ﴾

يدعونهم بالحجة والرحمة إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم فقابلوهم بالكبرياء والبغضاء ، فصبروا وضحو وتسامحوا ولكن قومهم رفضوا حتى رأوا العذاب .

٧٥- ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ ﴾

تقدم بالتفصيل والتطويل في الآية ١٠٣ وما بعدها من الأعراف وبالأجمال فإن تجربة موسى (ع) مع فرعون قد أجدت فيما يعود إلى هلاك فرعون ، ولكن اليهود من بعده قد تركوا أسوأ الأثر والخبر .

٧٦- ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا ﴾ وهو المعجزات

المشار إليها ﴿ قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ تماماً كما قالت قريش عن محمد (ص) ، أما اليوم حيث لا إيمان بالسحر فإنهم يقولون عنه فوضوي خارج على النظام .

٧٧- ﴿ قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ ﴾ والحق

يستهدف هداية الناس إلى الواقع ﴿ أَسْحَرُ هَذَا ﴾ والسحر يزيف الواقع ويحرفه ﴿ وَلَا يَفْلَحُ السَّاحِرُونَ ﴾ وهل يفلح المشعوذ الدجال ؟

٧٨- ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتْنَا ﴾ نصرنا ﴿ عَمَّا وَجَدْنَا

عليه آباءنا ﴾ هذه معروفة يرددها من يحافظ على الأوضاع الفاسدة التي تضمن له منافعه ومكاسبه ... فالمسألة مسألة خوف على المصالح والسلطان ، لا مسألة آباء وأصنام ﴿ وَتَكُونُ لَكُمْ أَعْتَابًا ﴾ في الأرض ﴿ هَذَا قَوْلُ فِرْعَوْنَ وَجَلَّوْزِهِ لِمُوسَىٰ وَأَخِيهِ (ع) ، وبهذا يفصح فرعون وملأه عن تخوفهم على ملكهم وطيغياتهم ، ولذا قالوا ﴿ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ بل مقاومين ومحاربين دفاعاً عن منافعنا وامتيازاتنا .

٧٩- ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُؤْتُونِي لِكُلِّ شَيْءٍ عَاقِبَةً ﴾ وهو لا يعلم ما يجنيء الدهر له .

٨٠- ﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُّوسَىٰ ﴾ مستخفاً

وَجَعَلْنَاهُمْ خُلَافَ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ
كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا
إِلَىٰ قَوْمِهِمْ بِجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَكَانُوا لِيَوْمٍ أَعْتَابًا ﴿٧٥﴾
يَوْمَ نَبْلُوهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْيَوْمُ الْأَوَّلُ ﴿٧٦﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ
بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٧﴾
فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٨﴾
قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسْحَرُ هَذَا
وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٧٩﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتْنَا عَمَّا
وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونُ لَكُمْ أَعْتَابًا فِي الْأَرْضِ
وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨٠﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُؤْتُونِي لِكُلِّ
شَيْءٍ عَاقِبَةً قَالَهُمْ مُّوسَىٰ

الإعراب :

المصدر المنسكب من ﴿لِيُؤْمِنُوا﴾ متعلق بمحذوف خيراً لكانوا أي فما كانوا يريدون للايمان . ومفعول اتقولون جملة معذوفة أي اتقولون للحق هو سحر ، ثم استأنف مستكراً أسحر هذا ، وسحر خير مقدم ، وهذا مبتدأ مؤخر ، والجملة لا محل لها من الاعراب . وتكون عطفاً على لتلفتنا ، والكبرياء اسم تكون ، ولكنا خبرها ، وفي الأرض متعلق بالكبرياء . ﴿وَيُؤْمِنُونَ﴾ الباء زائدة اعراباً ، ومؤمنون خبر نحن .

أَقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَقُوا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُخَيِّطُ اللَّهُ الْحَقَّ يَكَلِّمُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَمَّا لِمُوسَى إِذَا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَى يُنْقِظُكُمْ إِن كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مَسْلُبِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَحْنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بَيْوتًا وَاجْعَلُوا بِيوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ

بهم وسحروهم وفرعونهم ﴿٨٠﴾ أقوا ما أنتم ملقون ﴿٨١﴾ لأن الله سبحانه وعده الفوز والنصر .

٨١- ﴿٨١﴾ فلما أقوا ﴿٨٠﴾ جالهم وعصبيهم ﴿٨١﴾ قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله ﴿٨١﴾ يظهر بطلانه للناس ، وهو باطل من أصله ﴿٨١﴾ إن الله لا يصلح عمل المفسدين ﴿٨١﴾ بل يزيله ويمحاه .

٨٢- ﴿٨٢﴾ ويخيط الله الحق بكلماته ﴿٨٢﴾ الحجج الدامغة والبراهين القاطعة ﴿٨٢﴾ ولو كره المجرمون ﴿٨٢﴾ لأن كراهيتهم لا تعطل مشيئة الله .

٨٣- ﴿٨٣﴾ فلما آمن لموسى ﴿٨٣﴾ قبل إلقاء العصا وإيمان السحرة ﴿٨٣﴾ الا ذرية من قومه ﴿٨٣﴾ الفتيان والشبان من بني اسرائيل لأن الشبان من كل قوم كانوا وما زالوا يتحسسون لكل جديد ، ولكنهم آمنوا بموسى ﴿٨٣﴾ على خوف من فرعون وملئهم ﴿٨٣﴾ رؤوس الاسرائيليين وأرباب المصالح من اليهود ﴿٨٣﴾ ان يفتنهم ﴿٨٣﴾ خافوا أن يضطهدوهم ويعذبوهم ليرتدوا عن دينهم ﴿٨٣﴾ وإن فرعون لعال في الأرض ﴿٨٣﴾ طاغية مستبد ﴿٨٣﴾ وإنه لمن المسرفين ﴿٨٣﴾ في استبداده وطيغانيه لا يقف عند حد .

٨٤- ﴿٨٤﴾ وقال موسى يا قوم ﴿٨٤﴾ لا قوة لي ولا لكم تصد طغيان فرعون عنكم ﴿٨٤﴾ ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ﴿٨٤﴾ ونفوا بوعده إن العاقبة للمتقين ﴿٨٤﴾ إن كنتم مسلمين ﴿٨٤﴾ وقد ذكر لهم ثلاثة أوصاف : الإيمان ، وهو التصديق في القلب ، والإسلام ، والمراد به هنا الانقياد والاستسلام لأمره تعالى ، والتوكل ، وهو الإخلاص والتفويض إلى الله وحده ... فن

جمع هذه الأوصاف كان الله معه .

٨٥- ﴿٨٥﴾ فقالوا على الله توكلنا ﴿٨٥﴾ وتركنا إليه أمرنا ﴿٨٥﴾ ربنا لا تجعلنا فتنة ﴿٨٥﴾ محل عذاب ﴿٨٥﴾ للقوم الظالمين ﴿٨٥﴾ الكافرين فرعون وقومه .

٨٦- ﴿٨٦﴾ ونجنا ﴿٨٦﴾ خلصنا ﴿٨٦﴾ برحمتك من القوم الكافرين ﴿٨٦﴾ الظالمين الذين اضطهدوهم وظلموهم .

٨٧- ﴿٨٧﴾ وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً ﴿٨٧﴾ لا تخرجا منها وأبقيا فيها واتخذوا مساكن لبني إسرائيل بأبواب إليها ، ويعتصمون بها ﴿٨٧﴾ واجعلوا بيوتكم قبلة ﴿٨٧﴾ متقابلة في جهة واحدة ، أي اسكنوا جميعاً . في حي واحد ﴿٨٧﴾ واقموا الصلاة ﴿٨٧﴾ لأنها ترمز إلى الاخلاص لله ، وتجمع القلوب على الإحساس المتحد ﴿٨٧﴾ وبشر المؤمنين ﴿٨٧﴾ بالنجاة من فرعون وملائه في الدنيا وبالجنة في الآخرة .

٨٨- ﴿٨٨﴾ وقال موسى ربنا أنك آتيت فرعون وملأه

الإعراب :

﴿وما جئتم به السحر﴾ ﴿وما﴾ استفهامية وعملها الرفع بالابتداء ، وجملة جئتم خبر ، والسحر بدلا من ﴿وما﴾ على تقدير الاستفهام أي

فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَنِ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمْ فَأَسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ * وَجَلَّوْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْنَاهُمْ فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَالَقْنِ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُخَيِّدُكَ بِعَذَابِكَ لِنَتَّكُونَ لِمَنْ خَلَقَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِمَّا أَطْيَبْتِ قَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى

زينة وأموالاً في الحياة الدنيا ﴿٨٨﴾ نزلت هذه الآية في زمن لم يكن الناس يعرفون شيئاً عما تحتويه قبور القراعنة ثم كشف الحفر والتفتيح فيها عن هذه الأموال والزينة التي نص عليها القرآن ، وهذا شاهد محسوس لا يقبل الشك والريب في أن القرآن وحي من علام الغيوب ﴿٨٩﴾ ربنا ليضلوا ﴿٨٩﴾ اللام للعاقبة مثل لدوا للموت ﴿٨٩﴾ عن سبيلك ﴿٨٩﴾ أي كان عاقبة الانعام عليهم من الله بالزينة والمال ، وإن ضلوا وعصوه بدلاً من أن يطيعوه ﴿٨٩﴾ ربنا اطمس على أموالهم ﴿٨٩﴾ بمحقها وتدميرها ﴿٨٩﴾ واشدد على قلوبهم ﴿٨٩﴾ من الشدة والبلاء ضد الراحة والرخاء ﴿٨٩﴾ فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم ﴿٨٩﴾ هذه الجملة معطوفة على ليضلوا عن سبيلك ، والمعنى : أن عاقبة قلب فرعون وملأته في نعم الله أن ضلوا وأصروا على الكفر ، وإن لا يؤمنوا إلا عند حدود العذاب حيث لا يقبل الإيمان .

٨٩- ﴿٨٩﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمْ ﴿٨٩﴾ ائزال الآفات على أموال فرعون وملأته والمصاب والشدائد على قلوبهم ﴿٨٩﴾ فاستقيما ﴿٨٩﴾ على الجهاد في سبيل الدعوة إلى الحق ﴿٨٩﴾ ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ﴿٨٩﴾ عظمة الله وحكمته . وجاز هنا بني المصوم عن الذنب لأنه من الله ، لا من سواه ، فإن من شأن الأعلى أن يأمر وينهي ما دونه كائنه ما تكون منزلته .

٩٠- ﴿٩٠﴾ وَجَلَّوْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْنَاهُمْ فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا ﴿٩٠﴾ سبق نظيره في سورة البقرة الآية ٥٠ وسورة الأعراف الآية ١٣٨ . ﴿٩٠﴾ حتى إذا أدركه الغرق ﴿٩٠﴾ وبالأمس كان ينتفخ ويقول : أنا ربكم الأعلى ﴿٩٠﴾ قال آمنتم أنه لا إله إلا الذي آمنتم به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين ﴿٩٠﴾ وهذا هو شأن الخسيس اللئيم يتعاطم عند النعماء ، ويتصاغر عند البأساء .

٩١- ﴿٩١﴾ ءَالَقْنِ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ ﴿٩١﴾ حيث كان الخيار يليلك في التوبة والرجوع إلى الحق ، ولكنك طغيت وبغيت ﴿٩١﴾ وكنت من المفسدين ﴿٩١﴾ فذق جزاء عملك بالفرق والهلاك .

٩٢- ﴿٩٢﴾ فَالْيَوْمَ نُخَيِّدُكَ بِعَذَابِكَ ﴿٩٢﴾ لا بروح ونلقي بجيشك على نجوة من الأرض ليشاهدها من كان يعظم من شأنك ﴿٩٢﴾ لتكون لمن خلقك آية ﴿٩٢﴾ يتعظ بها كل من تحدته نفسه بالسير على طريق الفساد ولكن ما أكثر العبر ، وأقل الاعتبار ﴿٩٢﴾ وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون ﴿٩٢﴾ وغير مغفل عنهم ٩٣- ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ ﴿٩٣﴾ أي منزل صدق ، والمراد بالصدق هنا الحصب بدليل قوله تعالى : ﴿٩٣﴾ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴿٩٣﴾ ولكنهم كفروا بأنهم الله ﴿٩٣﴾ فما اختلَفُوا حتى جاءهم العلم ﴿٩٣﴾ المراد بالعلم هنا توراة موسى التي تحتوي على الإخبار بنبوة محمد (ص) وكان اليهود قبل نزولها متقين جميعاً على دين الشيطان كفرةً وضلالاً ، وبعد التوراة اختلَفُوا فرقاً وشيعاً .

٩٤ - ٩٥ - ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ﴾

الخطاب في ظاهره لمحمد ، وفي واقعه لكل من يشك فيما تحدث عنه القرآن من قصة موسى وغيره من الأنبياء .

﴿ فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك ﴾ أي علماء التوراة التي نزلت على موسى وعلماء الإنجيل المنزل على عيسى ﴿ لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من المعتبرين ﴾ المراد بالامتراء الشك ، والمعنى بلغ الناس يا محمد أن من يشك أو يكذب بالذي أنزل إليك من ربك فهو من المعتبرين الخاسرين .

٩٦ - ﴿ إِنْ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ﴾ أي استحقوا عذاب ربك هم الذين ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

٩٧ - ﴿ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ أصروا على العناد والمكابرة حتى ولو قام ألف دليل ألهم إلا أن يشاهدوا العذاب ، ولا إيمان بلا طاعة ورضا .

٩٨ - ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ ﴾ قال الرواة والمفسرون : كان قوم يونس بنيوى من أرض الموصل يعبدون الأصنام ، فنهاهم عن الكفر ، وأمرهم بالتوحيد ، فأجابوه بالتمرد والعناد ، ولما شمس منهم رحل عنهم مغاضباً ، وما ابتعد عنهم إلا قليلاً حتى أتتهم طلائع الهلاك ، فتابوا إليه تعالى مخلصين ، فكشف عنهم عذاب العزى في الحياة ومتنهم إلى حين ﴿ أَيُّ أَهْلِهِمُ عَلَى عَذَابٍ مُدْتَرِجٍ ﴾ أي أبقاهم إلى آجالهم المكتوبة .

٩٩ - ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآتَيْنَا أَهْلَ الْمَدْيَنَ الْكِفْرَ وَبَدَّلْنَا الْمَدْيَنَ الْإِيمَانَ ﴾ لما وجد على ظهرها كافر. ولو فعل لم يكن للإنسانية عين ولا أثر حيث لا إنسانية بلا حرية ، وتقدم في الآية ٤٨ من المائدة وغيرها . ﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ أبداً لا جبر ولا إكراه في الإيمان ، لأنه من عمل القلب ، ولا سلطان عليه الا للذي خلقه هكذا ، وجعله في حى محمي حتى من صاحبه ، وأيضاً ليس لأحد - غير الله - وان كان نبياً أن يحاسب أو يعاقب إنساناً على رأي أو عقيدة إلا أن يسفك دماً أو يفسد في الأرض .

١٠٠ - ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَوْفِىَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ ما من نفس تؤمن بالله تلقائياً وبلا سبب موجب ، بل تؤمن بالنظر إلى لطائف صنعه وعجائب خلقه ، والدليل على إرادة

الإعراب :

النون في قوله : ﴿ فلا تكونن ﴾ للتأكيد ، ودخلت على المضارع لمكان لا النافية . ﴿ وحتى يروا ﴾ أي ان يروا . ويروا هنا تتعدى الى مفعول واحد لأنها بصرية ، لا قلبية .

هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ . والمراد بالرجس هنا الكفر المقابل للإيمان .

١٠١- ﴿ قُلْ انظُرُوا ماذا في السموات والأرض ﴾
والمعنى أن النظر في خلق السموات والأرض يؤدي إلى الإيمان بالله وترك هذا النظر يؤدي إلى الكفر به تعالى ، وعليه يكون الكافر مقصراً ومستحقاً للعقاب ، لأن الله يبين له الدليل القاطع ، فأعرض عنه ، وأبى أن ينظر إليه ﴿ وما تغني الآيات والنور عن قوم لا يؤمنون ﴾ أي الذين يعرضون عن الأنبياء المسيجة للإيمان ، وهي الآيات البينات التي أقامها سبحانه في الكون ، والكتب المنزلّة والأنبياء المرسلّة .

١٠٢ - ﴿ فَمَنْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ عاقبة أهل الفساد والضلال واحدة سواء أكانوا من الأوائل أم الأواخر ﴿ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظَرِينَ ﴾ واضح ، وتقدم في الآية ٧١ من الأعراف .

١٠٣ - ﴿ ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا ﴾ لأنهم كانوا مصدر خير في كل مجال من مجالات الحياة العامة ﴿ كذلك حقاً علينا ننج المؤمنين ﴾ المجاهدين الذين يعتر الإسلام بعلمهم وإخلاصهم وزاھنتهم .

١٠٤ - ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي ﴾
 أي تجهلون بقبولته فهذا هو في منتهى الوضوح والبساطة :
 ﴿ فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي
 يَتَوَفَّاكُم ﴾ وذكر النبي (ص) الوفاة بالخصوص لمجرد
 الإشارة إلى أنه تعالى هو الذي يحاسب ويعاقب بعد الوفاة ،

أما آفة المشركين فإنها لا تعقل ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع ﴿ وأمرت أن أكون من المؤمنين ﴾ أي أن النبي يبدأ بنفسه في كل ما يدعو الناس إليه .

﴿ ١٠٥ - ١٠٦ ﴾ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴿١٠٥﴾ أَخْلَصَ اللَّهُ فِي جَمِيعِ أَعْمَالِكَ مَنُحَرِّفًا عَنِ الْبَاطِلِ إِلَى الْحَقِّ ﴿١٠٦﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ... ﴿١٠٦﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ نَبِيَّهِ الْكَرِيمَ أَعْدَى أَعْدَاءِ الشُّرْكِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالظُّلْمِ وَالظَّالِمِينَ ، وَعَلَيْهِ فَلَيْسَ النُّهْيُ هُنَا لِلزُّجَرِ ، بَلْ لِجَرْدِ الْبَيَانِ أَنَّ الظُّلْمَ وَالشُّرْكَ شَيْءٌ عَظِيمٌ .

١٠٧- ﴿ وَإِنْ يَمْسُكِ اللَّهُ بُضْرًا فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ﴾ هذا درس بليغ لكل من يسعى على قدم الغرور ، ويذهل عن المصير ، وأنه بيد الله تعالى ، وما الطاقات والعضلات إلا وسيلة يسوقها سبحانه حيث يشاء . .

الإعراب :

ماذا ﴿ها﴾ استفهام مبتدا، وإذا بمعنى الذي، ويجوز أن تكون الكلمتان بمعنى أي شي مبتدا والخبر في السموات. وما تغني الآيات ﴿ها﴾ نافية وليست باستفهام. وكذلك الكاف بمعنى مثل مفعول ننج، أي مثل ذلك الانجاء، والاشارة هنا الى انجاء قوم يونس، وحفا منصوب على المصدر أي يحق حفاً، وعلينا متعلق بحق أو يحق. والمصدر المنسب من ان اكون مجرور بالباء المحذوفة. ومثله وان اقم أي وبالاستقامة وحذفت الياء من ننج للتخفيف، وحفاً حال من الدين.

١٠٨- ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾

وليس بعد الحق إلا الضلال ، وللإنسان أن يختار لنفسه
﴿ وما أنا عليكم بوكيل ﴾ ما أنا موكل بكم من الله سبحانه
حتى تكونوا به مؤمنين ، وإنما أنا بشير ونذير ..

١٠٩- ﴿ واتبع ما يوحى إليك ﴾ حتى ولو كفر
كل الناس ﴿ واصبر ﴾ على كل ما تعانیه في سبيل دينك
وإيمانك ﴿ حتى يعحكم الله ﴾ حتى يفتح الله بينك وبين
من نصب لك الحرب والبغضاء ﴿ وهو خير الحاكمين ﴾ بحسابه وجزائه .

سورة هود
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿ الر ﴾ انظر أول سورة البقرة ﴿ كتاب ﴾ هذا
كتاب ، إشارة إلى القرآن الكريم ﴿ أحكمت آياته ﴾ فأن
وعلماً ﴿ ثم فصلت من لئن حكيم خبير ﴾ بين سبحانه
في كتابه آيات العقيدة والأحكام والمواعظ والقصص وغيرها .
وقد دل سبحانه عباده على ذاته وشريعته بكتابين : كوني وهو
الكون ، وتدويني وهو القرآن ، وكل منهما يقول :

٢- ﴿ ألا تعبدوا إلا الله ﴾ لأن كل من وما عداه
فهو مصنوع له صانع مثلكم ، ونكرر هنا قول فولتير الذي
ذكرناه فيما سبق : « وجود الله فرض ضروري ، لأن الفكرة
المضادة حماقات .. »

لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرْذَكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ۚ يُصِيبُ
بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٨﴾ قُلْ
يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ فَمَنِ اهْتَدَىٰ
فَلِنَا مَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَلِنَا مَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ
وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٩﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ
وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١١٠﴾

(١١) سُورَةُ هُودٍ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا ثَلَاثٌ وَعَشْرُونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكِتُ أَهَكَتْ آيَتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ
حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ

ومن الصدف اني قرأت - وأنا أفسر هذه الآية - مقالاً عن كتاب وعهد للمستشرق الفرنسي مكسيم رودينسون، نشرته مجلة المصور
المصرية في عدد ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩٦٨، وفيه: « يؤكد المؤلف ان القرآن نقل إلى الأجيال التالية رسالة الانسان المقهور المستغل،
ذلك الانسان التائر على الظلم والقهر، وزوده بحافز التسليح بالقوة لكي يقهر المستبدن والظالمين والمنافين - ثم قال المؤلف - ان الاسلام
نظام ومعقدة وأسلوب حياة، ونظرة شاملة الى الكون والانسان ».

الإعراب :

﴿ إلا ﴾ أداة تنبيه .

نَذِيرٌ وَنَسِيرٌ ﴿١٠﴾ وَإِنْ أَسْتَعْفِفُوا رَبُّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ
يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي
فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ
يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿١١﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴿١٢﴾ أَلَا إِنَّهُمْ يَبْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا
حِينَ يَسْتَفْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُبْسِرُونَ وَمَا يَأْنِي لَهُمْ
عِلْمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ * وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ
إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ
فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١٤﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ
أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَعْبُودُونَ مِنْ بَعْدِ
الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾

٣-٤- ﴿ وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ﴾ من كل مأثم
ومحرم « لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً -
٥٣ الزمر ﴾ ﴿ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ ﴾ والفرق بين الاستغفار والتوبة
أن الاستغفار طلب الغفران عن الماضي وكفى ، أما التوبة ،
فإنها تدل بصلب تكونيها اللفظي على الندم وسؤال الصفح
عما كان مع العهد القاطع على ترك المعاصي في المستقبل .
﴿ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ أي في
الدنيا ، وليس من الضروري أن يكون حسن المتاع رزقا وسعة ،
فقد يكون حرية وكرامة بأن لا يسلط علينا باغية طاغية كإسرائيل
وأنصارها ، وما من شك أن الحرية أعز وأثمن من النفس والمال
﴿ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴾ يوم الحساب والجزاء
﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ خطاب لكل الناس ، وأصله تتولوا ،
فحذفت إحدى التاءين ﴿ فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ
كَبِيرٍ ﴾ حيث يقف العبد بين يدي خالقه للحساب خشوعاً
هلوعاً .

٥- ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ يَبْنُونَ صُدُورَهُمْ ﴾ يخفون ما تنطوي عليه
من العداوة والبغضاء للرسول الأعظم (ص) ﴿ لِيَسْتَخْفُوا
مِنْهُ ﴾ يظنون أن أمرهم يخفى على الله ، ولكنه تعالى فضحهم
في هذه الآية وغيرها ﴿ أَلَا حِينَ يَسْتَفْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا
يُبْسِرُونَ ﴾ إنه تعالى يعلم كذبهم ونفاقهم ، وإن حاولوا
:ياب الصالحين وشعارهم .

٦- ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾
أودع سبحانه في أرضه ما يحتاج إليه كل حي دب ويدب
عليها قل أو كثر ، ومن الضرورات والكماليات ، من الغذاء

والدواء إلى أدوات الزينة ولعبة الأطفال ... وأيضاً أودع في الإنسان طاقة يسيطر بها على الطبيعة ، ويكشف ما
فيها من موارد ويحولها لمصلحته وسد حاجاته . ومعنى هذا أن الرزق من الله وعلى الله ، ولكن عن طريق السعي والعمل
﴿ وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾ المستودع المكان الذي كانت فيه قبل أن تدب على الأرض ، والمستقر المكان قرت
فيه بعد الدبيب ﴿ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ وهو علم الله الذي لا يعزب عنه شيء .

٧- ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ تقدم في الآية ٥٤ من الأعراف ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ
عَلَى الْمَاءِ ﴾ المراد بعرش الله سبحانه ملكه وسلطانه ، وظاهر الآية يدل على أن الماء كان موجوداً قبل خلق السموات والأرض .
ومن جملة ما قرأت أن الهواء عند تكاثره الشديد يستحيل ماء ، وإذا تكاثف الماء يصبح أرضاً ، وإذا زاد تكاثره تحول
صخراً . وعلى أية حال فإنه لا آية محكمة ولا رواية ثابتة تنص على أصل الكون وعناصره . ولا شيء لدينا إلا الإيمان والإيقان
بقوله تعالى : « إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ » - ٨٢ يس ﴿ وفي مجلة عالم الفكر الكويتية ج ٣٤١ ص ٥ :
« أن الدكتور ماري الاستاذ في جامعة سبدي الذي يهتم اهتماماً بالغاً بالكون وأصله قال : كل ما لدينا من معلومات لا تصحح
نظرية واحدة عن الكون » وهذا يدعم ويؤكد إيماننا بأن كلمة الله « كن » هي الأصل والمصدر وفي أول إنجيل يوحنا :
في البدء كان الكلمة ... وبغيره لم يكن شيء مما كان » ﴿ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ أي أن الله سبحانه

وَلَيْنَ أَخْرَأْنَاهُمُ الْعَذَابَ إِلَيْنَا أُمَّةٌ مَّعْدُودَةٌ لَّيَقُولُنَّ
مَا يَحْسِبُهُمْ إِلَّا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ
بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨﴾ وَلَيْنَ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ
مِنَ رَحْمَتِنَا ثُمَّ نَنزَلْنَاهَا مِنْهُ لَنَأَكْفُوكَ كُفُورًا ﴿٩﴾
وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَتْ لَيَكْفُرُنَّ لَلَّهِ
السَّيِّئَاتُ عَنِّي لَأَنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾
فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ
أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ﴿١٢﴾
أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ
أَفْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا
مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤﴾

أودع في الإنسان وفي الأرض ما أودع من طاقات ليميز بين
الذين يعيشون بسبب مشروع وبين الذين يعيشون على حساب
المستضعفين ، فيعاقب هؤلاء على عصيانهم ، ويثيب أولئك
على طاعتهم لله ورسوله ﴿٨﴾ ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد
الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا الا سحر مبين ﴿٩﴾ إن
كثيراً من المشركين رفضوا الإيمان بمحمد (ص) لما وقع في
تصورهم من أن العظام لن تعود إلى الحياة وهي رميم ورفات ..
وما أبعد بين عقل هؤلاء وعقل الإمام علي (ع) الذي قال :
عجبت لمن أنكر النشأة الأخرى ، وهو يرى النشأة الأولى .
وسأل النبي (ص) سائل : كيف يبعث الله الموتى ؟ فقال :
أما مررت بوادي قومك جدبا ، ثم مررت به يهتر خضرا ؟
فقال السائل : بلى يا رسول الله . قال : كذلك يبعث الله الموتى
وإذن فأين السحر ؟

٨ - ﴿٨﴾ ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة ﴿٨﴾ مدة
﴿٨﴾ معدودة ليقولن ما يحسه ﴿٨﴾ ما الذي منع من وقوع
العذاب علينا الآن إن كان حقاً كما يقول ﴿٨﴾ ألا يوم يأتيهم
- العذاب - ليس مصروفاً عنهم ﴿٨﴾ لأن بأسه تعالى لا يرد
عن القوم المجرمين ﴿٨﴾ وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ﴿٨﴾
نزل بهم العذاب الذي استخفوا به .. وسخروا منه ﴿٨﴾ فليضحكوا
قليلاً وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون - ٨٢ التوبة .

٩ - ١٠ - ﴿٩﴾ ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها
منه أنه ليؤرم كفور ... ﴿٩﴾ هذه الأوصاف : اليأس والكفر
والفرح والفخر المذكورة في هاتين الآيتين ، وكذلك العجلة
وحب المال والنساء والمتاع كما في العديد من الآيات ، هذه الأوصاف ليست ذاتية للإنسان ولا تحديداً لطبيعته من حيث
هي وإلا لشمكت هذه الأوصاف وعمت الأنبياء والأئمة والأتقياء ، ولما صبح استثناء «الذين صبروا وعملوا الصالحات»
كما في آخر الكلام ، وإنما هي تفسير لسلوك الكثير من أفراد الإنسان الذين يتأثرون بما يحيط بهم من عوامل وظروف
اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية ، ولذا ربط سبحانه وصف اليأس والكفر بحدوث الضراء بعد النعماء ، ووصف الفرح
والفخر بحدوث النعماء بعد الضراء ، ولو كانت هذه الأوصاف ذاتية داخلية لا عرضية خارجية لكانت جنساً للإنسان أو
فصلاً لا تفارقه بحال . ومن هذا الباب قول الإمام (ع) في نهج البلاغة : إن أصابه بلاء دعا مضطراً وإن ناله رخاء أعرض
مفتراً ... إن استغنى بطر ، وإن افقر قط . ١١ - ﴿١١﴾ إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات ﴿١١﴾ فأنهم يمتازون عن
سائر أفراد الإنسان بالاستقلال في شخصيتهم . والاختلاص لدينهم ، والثبات على عقيدتهم في السراء والضراء والرضا والغضب ،
والفرح والترح ، ويتحملون كل المشاق ، والتكبات في سبيل ما يدينون ، ويقابلونها بشجاعة من غير تظلم وتأفف .

١٢ - ﴿١٢﴾ فلعلك ﴿١٢﴾ يا محمد ﴿١٢﴾ تارك بعض ما يوحى إليك ﴿١٢﴾ أبداً ، لا يترك النبي ولن يترك بيان الحق إلى
الخلق ، كيف وهو أمانة في عنقه ! ولكن بعض المشركين كانوا يستهزئون ويسخرون منه ومن القرآن إذا دعاهم إلى
الإيمان ، ويقترحون عليه معجزات حسب أهوائهم تمنعاً لا استرشاداً ، فر بخاطر النبي (ص) - كما نظن - أن

يترك دعوة هؤلاء بالخصوص بأساً منهم وكراهية أن يقولوا له : أنزل علينا كترًا أو ملائكة السماء وفجر العيون والأنهار تفجيراً ، فقال له سبحانه : امض في مهمتك ودعوتك العامة ، ولا تكثر بمن يسخر ويهزأ ﴿ إنما أنت نذير ﴾ وما عليك إلا البلاغ وبيان الحجة والدليل ﴿ والله على كل شيء وكيل ﴾ يحفظ ما يقولون ، ويفعل بهم ما يستحقون .

١٣ - ١٤ ﴿ أم يقولون افتراء ﴾ أي القرآن ﴿ قل أفأنو بعشر سور مثله ... ﴾ تحداهم أولاً بعشر سور فمجزوا فتحداهم بواحدة فمجزوا أيضاً ، ولا سر لهذا المعز إلا أن كلام الله سبحانه فوق كلام المخلوقين تماماً كما أن ذاته وصفاته فوق ذاتهم وصفاتهم ، وفي روايات أهل البيت (ع) : أن الله يتجلى في كلماته . وهذا حق وصدق لأن الكلام صفة المتكلم والإبانة بنضح بما فيه . وتقدم في الآية ٢٣ من البقرة .

١٥ - ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ﴾ ما من شك أن حب الحياة طبيعة وغريزة في الإنسان لا يسأل عنه ولا يحاسب عليه ، وأيضاً ما من ريب أن من يزرع يحصد ، ومن يتاجر متقناً فن التجارة يربح ، وهكذا كل من سعى لشيء سعيه يقطف ثمرة سعيه ، أو كما قال الإمام (ع) : « من طلب شيئاً ناله وبعضه » ولا بأس في ذلك ما دام في نطاق الحق والشرع ، وإنما الإثم على الذين انغمسوا في الشهوات واجتروا السيئات .

فَلَا يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٥﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَطُلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَنْ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾

١٦ - ﴿ أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار ﴾ لأن الشهوات والملاذات أعمت عقولهم عن الحق ، وأصمت آذانهم عن دعوته ﴿ وحبط ما صنعوا فيها ﴾ في الحياة الدنيا ﴿ وباطل ما كانوا يعملون ﴾ ومعنى الآية يجعلها أن الذين بذلوا كل ما يملكون من علم وذكاء ونشاط في سبيل غاية واحدة ، وهي مكاسبهم ومنافعهم الشخصية - لا جزاء لهم عند الله سبحانه إلا العذاب الأليم حتى ولو انتفع الناس ببعض أعمالهم ما دام القصد منها مجرد الربح والشهرة .

١٧ - ﴿ أفمن كان على بينة من ربه ﴾ وهو محمد (ص) وكل من آمن به ﴿ ويتلو شاهد منه ﴾ اختلف المفسرون في تحديد هذا الشاهد وتعيينه ، فمن قال : أنه جبريل ، وقال : هو القرآن ، وقال هو علي بن أبي طالب لحديث « علي مني وأنا من علي » كما جاء في صحيح البخاري والترمذي ومسند الإمام أحمد وخصائص النسائي وتاريخ الطبري والرياض النضرة وكنوز الحقائق وكثر العمال (أنظر فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ١ ص ٣٣٧ طبعة ١٣٨٣ هـ) ﴿ ومن قبله كتاب موسى ﴾ توراته ﴿ إماماً ﴾ يصلح المؤتمين والعاملين به ﴿ ورحمة ﴾ لأنه يهدي للتي هي أقوم ، ومن ذلك البشارة بمحمد (ص) ﴿ أولئك يؤمنون به ﴾ أي بمحمد (ص) وأولئك إشارة إلى الذين يعملون بدلائل الحق وبياناته كالقرآن وتوراة موسى وإنجيل عيسى ﴿ ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده ﴾ ضمير به يعود إلى النبي محمد (ص) أما المراد بالأحزاب فهم الذين أجمعوا على عداوة محمد (ص) وحربه ، وفي تفسير المنار

والشيخ المراغي : « قال مقاتل : الأحراب هم بنو أمية وبنو المغيرة بن عبد الله المخزومي وآل طلحة بن عبد الله ومن إليهم من اليهود والنصارى » .

﴿ فلاتك في مرية منه ﴾ المرية : الشك ، وضمر « منه » يعود لمحمد أو القرآن ، والخطاب في « لاتك » لكل من سمع بالاسلام ورسالة محمد (ص) والمعنى لا ينبغي لعاقل أن يشك في الإسلام لسهولة فهمه ، وسلامة أدلته ، وسعة شريعته الهادفة إلى خير الناس ورعاية مصالحهم والتيسير عليهم والعدل فيما بينهم .

١٨ - ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً ﴾ وللافتراء عليه تعالى مظاهر ، منها الشرك والتحليل والتحرير بلا كتاب وسنة ، والدعوان على عباد الله وعباده ﴿ أولئك ﴾ الذين افترؤا على الله كذباً ﴿ يعرضون على ربهم ﴾ في موقف عصيب رهيب ، لا خلاص منه ومن عذابه إلا لمن أطاع من يديه ، وتجنب من يرديه ﴿ ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ﴾ المراد بالأشهاد الملائكة والأنبياء ، يشهدون بأن هؤلاء افترؤا على الله كذباً ، والقصد من ذلك أن يزداد المفترون حسرة وأنهم يستحقون اللعنة والعذاب وإلا فإن الله بكل شيء عليم ، وعلى كل شيء قدير .

١٩ - ﴿ الذين يصدون عن سبيل الله ﴾ يصدون الناس عن طريق الهدى بالقوة أو بالدعايات الكاذبة ﴿ ويبغونها عوجاً ﴾ أي ينعتون سبيل الله بالاعوجاج والانحراف تماماً كما يفعل المظلون في أيامنا حيث يسمون الاستغلال ديمقراطية

والاحتكار حرية .

٢٠ - ﴿ أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض ﴾ كيف ؟ ولو شاء الله ما ترك على ظهرها من دابة ، ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى . ٢١ - ﴿ أولئك الذين خسروا أنفسهم ﴾ قال السيد المسيح (ع) : ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه .

٢٢ - ﴿ لا جرم ﴾ لا محالة ﴿ انهم في الآخرة هم الأخسرون ﴾ وفي نهج البلاغة : وما أخسر المشقة وراءها عقاب ، وأرجح الدعة معها أمان من النار . ٢٣ - ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم ﴾ خشعوا واطمأنوا إلى عدل الله سبحانه في كل ما جرى ويجري به حكمه وقضائه .

٢٤ - ﴿ مثل الفريقين ﴾ المؤمن والكافر ﴿ كالأعمى والبصير والسميع ﴾ من لا يعرف الباطل من الحق أو يعرف وينحرف عن الحق ومقاتله فهو كالأعمى والأصم الذي لا ينتفع بسمع وبصر ، أما من يعرف الحق ويعمل به فهو سميع بصير يزهو مصباح الهدى في قلبه ﴿ هل يستويان مثلاً ﴾ ومن يساوي بأنف الناقة الذئبا ؟

٢٥ - ٢٦ - ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه ... ﴾ عكف قوم نوح على عبادة الأصنام ، فأرسل سبحانه إليهم

الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَنُفَرُونَ ﴿١٨﴾ أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعِفُ لَهُمْ الْعَذَابَ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿١٩﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٠﴾ لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخْسَرُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٢﴾ * مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ۖ إِنِّي لَكَ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٤﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۚ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ

نوحاً هادياً ونذيراً .

٢٧ - ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ ﴾ الرؤساء والأدعياء : ﴿ مَا نَوَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا ﴾ فكيف اختارك الله من دوننا ؟ ﴿ وَمَا نَوَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يَنْفَكُوا ﴾ الذين لا جاه لهم ولا مال ﴿ بِأَدْيِ الرَّأْيِ ﴾ أوله من غير نظر وروية .

٢٨ - ٣٠ - ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّي ﴾ لبس المهم أن تؤمن بي الشخصيات المرموقة البارزة بل المهم أن أكون محققاً في دعوتي ورسالتي ﴿ وَأَتَانِي رَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِهِ ﴾ النبوة ﴿ فَعَمِيتَ عَلَيْكُمْ ﴾ خفيت عليكم ﴿ أَنْزَلْنَاهُمْ عَلَيْهَا ﴾ أنزلناهم على قلوبها ﴿ وَمَا

أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا ... ﴾ طلب جبايرة البغي من نوح أن يطرد المستضعفين أفقة من الاجتماع معهم ، فأبى خوفاً من الله .

٣١ - ﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ ﴾ حتى أوزع الأرزاق على عباده ﴿ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ ﴾ حتى أخبركم بما كان ويكون ﴿ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ ﴾ حتى تكذبوني فيما أقول ﴿ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا ﴾ على إيمانهم وأعمالهم ، لا شيء إلا لأنهم فقراء ، ﴿ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ إن قلت شيئاً من ذلك .

اللغة :

الردل الحفير، وجمعه أرذل، مثل كلب وأكلب، وأرادل جمع الجمع. مثل أكالب جمع لأكلب. وبأدي الرأي أوله أي قبل التأمل. وأرأيت أي أخبروني . وعميت خفيت . وأنزلناهم أي أنزلناهم عليها .

الإعراب :

﴿ بَشَرًا ﴾ مفعول ثانٍ لنراك إن كانت الرؤية قلبية، وحال من كاف نراك إن كانت بصرية. ﴿ وَمِثْلَنَا ﴾ صفة للبشر. ﴿ وَهُمْ أَرَادُوا ﴾ مبتدأ وخبر. ﴿ وَأَتَانِي ﴾ ظرف زمان أي وقت حدوث أول الرأي، وهو منصوب باتبعتك. ﴿ وَأَتَانِي ﴾ تحتاج إلى مفعولين لأنها بمعنى أعطاني، وباء المتكلم مفعول أول، ورحمة مفعول ثان. وأنزلناهم أي أيضاً إلى مفعولين الأول هنا كاف الخطاب، والثاني ضمير الغائب، وكلاهما متصلان، ويجوز فصل الثاني، فنقول، أنزلناهم أيها. وقد اجتمع في أنزلناهم ثلاثة ضمائر: ضمير المتكلم والمخاطب والغائب. ﴿ تَذَكَّرُونَ ﴾ وأصلها تذكرون.

٣٢- ﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا . . . ﴾ لما أفهمهم بالحجة والبرهان ضاقوا به وقالوا : إلى متى هذا النقاش والحجاج بالكلام ؟ عجل بما عندك من انتقام .
٣٣- ﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ ﴾ عجل وإن شاء أجبل .

٣٤- ﴿ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصْحِي ﴾ ما دمنتم مصرين على معصية الناصح الشفيق المحق ﴿ إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ ﴾ أي مهما بالغت واجتهدت في النصيحة ﴿ إِنْ كَانَ اللَّهُ يَرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ الهداية ، وأصررت على الغواية تماماً كما أهلك سبحانه من شرب السم القاتل عن رضا وطيب نفس ورفض النهي عنه والنصح بتركه .

٣٥- ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ لَفِي إِجْرَامٍ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْرَمُونَ ﴾ قال بعض المفسرين : هذا كلام معترض ، والمراد به محمد (ص) وقريش . وقال آخرون : هو من قصة نوح . وقال طه حسين في كتاب مرآة الإسلام : « هذه الآية معترضة ، وليست من القصة ، ولكنها أتت إليها بسبب ، كأن المشركين من قريش قد ارتابوا حين نليت عليهم الآيات في صدق النبي محمد (ص) ... فأمره الله أن يقول لهم : « لا عليكم إن كنتم مفترين ، فعلي وحدي تبعه ما أقترى ، وأنا على كل حال بريء من جرائمكم » . وهذا قريب جداً من مقتضى الحال .

٣٦- ﴿ وَأَوْحِي إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ ﴾ تفسيره على الظاهر الواضح ﴿ فَلَا تَبْتَئِسْ ﴾ فلا تحزن .

٣٧- ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ برأى منا وإرشادنا .

٣٨- ٣٩- ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ﴾ والذي أثار سخريتهم بعد السفينة عن الماء ﴿ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ . . . ﴾ . لفتنا بالله ووعدته .

الإعراب :

﴿ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصْحِي ﴾ قرينة دالة على جوابين مخدوفين لشروطين موجودتين : الأولى إن أردت ، والثاني إن كان الله . وقوله هو ربكم كلام مستأنف ، ولا يجوز أن يكون جواباً للشروط . المصدر النسب من « أنه » نائب فاعل لأوحى . ﴿ وَالْأَمَلُ مِنْ قَدْ آمَنَ ﴾ « من » في موضع نصب على الاستثناء المطلق لأن الكفر غير الإيمان . ﴿ وَكَلَّمَا ﴾ « ما » مصدرية ظرفية أي مدة مرور الملا عليه ، والظرف متعلق بسخروا منه . ﴿ وَتَعْلَمُونَ ﴾ هنا تتعدى إلى مفعول واحد لأنها بمعنى تعرفون .

٤٠- ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بالفرق ﴿وَفَارَ التَّنُورَ﴾ وللتنور معانٍ في اللغة ، منها وجه الأرض ، وهو المراد هنا ﴿فَلَمَّا أَحْمَلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ - ذكرنا ﴿وَأَنْثَىٰ - وَأَهْلَكَ إِلَّا مِنْ سَبْقٍ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ حمل أهلك في السفينة ولا تحمل منهم من نهلك عن حملة كزوجتك وبعض أبنائك ﴿وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ أي وحمل معه العصابة القليلة المؤمنة .

٤١- ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ مجراها من الجري والسير ، ومرساها من الإرساء والثبوت ، والمعنى جريها ورسوها يكون باسم الله .

٤٢ - ٤٣- ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه ... ﴿وَفِي الْأَشْعَارِ الْأَمْثَالِ﴾ أولادنا أكبادنا ... وقال بعض المفسرين : هو الابن الرابع لنوح واسمه يام ، وقال مفسر آخر : بل اسمه كنعان ، وفي قاموس الكتاب المقدس : أن كنعان هو ابن حام ابن نوح ، وهو جد القبائل التي قطعت فلسطين . وتساءل : كيف دعا نوح ابنه إلى سفينة النجاة وهو يعلم بكفره وتمرده ؟

الجواب : دعاه أن يؤمن أولاً ثم يركب ، ويرشد إلى هذا قول أبيه وهو يخاطبه : ﴿وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ ولكنه رفض أن يستجيب إلى الإيمان ، ورفض الأب - على عاطفته الأبوية - أن يصحبه كافرًا ، لأن الدين فوق الرحم وأعز ﴿فَكَانَ﴾ ابن نوح ﴿مِنَ الْمُفْرِقِينَ﴾ وأبوه ينظر إليه أسفًا ، لا من أجل حياته ، بل لموته على الكفر .

٤٤- ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ...﴾ أمر سبحانه الأرض أن تبتلع الماء ، والسماء أن تكف عن الصب ، واستقرت السفينة على جبل الجودي ، وانتهى الأمر بنجاة المؤمنين وهلاك المشركين .

الإعراب :

﴿ومن يأتيه﴾ مفعول لتعلمون ، وهي اسم موصول ، وقيل : استفهام بمعنى ايننا . نقل ابن هشام في كتاب المغني عن الجمهور ان حتى إذا دخلت على إذا تكون حرف ابتداء ، وإذا ظرفية في محل نصب بشرطها أو جوابها ﴿من كل زوجين اثنين﴾ وقرئ بتثنية كل ، أي من كل نوع ، وعلى هذا يكون زوجين مفعولاً لاجل واثنين تأكيداً له ، وقرئ بإضافة كل الى زوجين ، وعليه يكون اثنين مفعولاً لاجل ، ومن كل زوجين متعلق بمحذوف حالاً من اثنين . ﴿وأهلك﴾ معطوف على مفعول اجل ، ومثله ومن آمن ﴿بسم الله﴾ متعلق بمحذوف حالاً من ولو اركبوا أي متبركين باسم الله ، ومجراها ومرساها ظرفا زمان على حذف مضاف أي وقت جريها وإرسائها . ويجوز ان يكون ابتداء والخبر بسم الله ... ولا عاصم ﴿ولا﴾ نافية للجنس وعاصم اسمها ، واليوم متعلق بمحذوف خبرها ، وإلا من رحم الله ﴿من﴾ في محل نصب على الاستثناء المنقطع أي لكن من رحمه الله معصوم . ﴿وبعداً﴾ مصدر . مؤكّد أي بعداً بعداً .

مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ مُّجْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾
حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ
زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ
وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤١﴾ * وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا
بِسْمِ اللَّهِ يَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤٢﴾
وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوْحٌ ابْنَهُ وَكَانَ
فِي مَعَزٍ يَنْبِيئُ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٣﴾
قَالَ سَوَّيْتُ لِي جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ
الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ
فَكَانَ مِنَ الْمُقَرَّرِينَ ﴿٤٤﴾ وَقِيلَ يَارْأَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ
وَيَسْمَاءُ أَقْلَمِي وَغِيصَ الْمَاءُ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ
عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٥﴾

وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ
الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكُمُ الْخَبِيرِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَنْتَحِبُ إِنَّهُ
لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ
لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾
قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ
وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ
يَنْتَحِبُ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ
مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾
تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا
أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَتَقَوِّمُ عِبَادُوا
اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾

في عينه حتى الموت في سبيله تعالى .

٤٥ - ﴿ ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق ﴾ امر سبحانه نوحاً أن يحمل أهله والمؤمنين في السفينة إلا من سبق عليه القول ، وكان الإبن من هؤلاء الذين حقت عليهم كلمة الفرق ، ولكن الله ، عظمت كلمته ، لم يخبر نوحاً بهلاك ابنه لسبب أو لآخر وحين غرق سأل واستعلم عن حال ولده الغريق .

٤٦ - ﴿ قال ﴾ سبحانه : ﴿ يا نوح إنه ليس من أهلك ﴾ الذين وعدتك بنجاتهم ، بل هو من الذين سبق عليهم القول ، وبهذا يتبين خطأ من تخيل أنه ابن امرأة نوح لا ابن نوح ، لأن النفي هنا لم يتعلق بـ « أهلك » بل بوجد النجاة للابن وكيف ينسب إلى غير نوح والله يقول بكل وضوح : « ونادى نوح ابنه » ؟ .

﴿ إنه عمل غير صالح ﴾ أي ذو عمل غير صالح ﴿ فلا تسألني ما ليس لك به علم ﴾ هذه الجملة تومىء إلى الشدة في الجواب ﴿ إنني أعظك أن تكون من الجاهلين ﴾ وهذه تومىء إلى الرفق في الجواب ، ومعنى هذا أن الله سبحانه جمع في رده على سؤال نوح بين الرفق والشدة . فتاب نوح إلى نفسه وقال :

٤٧ - ﴿ قال رب إنني أعوذ بك أن أسلك ما ليس لي به علم ﴾ بأن ابني من المالكين في حكمك وقضائك ﴿ وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين ﴾ كل من آمن بالله حقاً وصدقاً يسأله تعالى الصفح والرحمة حتى أنقذ الأتقياء ، لأن من عظم الخالق في نفسه صغر ما دونه

٤٨ - ﴿ قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات علينا وعلى أمم ممن معك ﴾ من المؤمنين وعلى كل مؤمن ومؤمنة من ذريتك إلى يوم القيامة ﴿ وأمم سمعتهم ﴾ متاع الحياة الدنيا ، والمراد بهذه الامم الكفار بدليل قوله تعالى : ﴿ ثم يمسه من عذاب اليم ﴾ وما لهم من ناصرين .

٤٩ - ﴿ تلك ﴾ إشارة إلى قصة نوح ﴿ من أنباء الغيب نوحيها إليك ﴾ الخطاب لمحمد (ص) ﴿ ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل ﴾ ما سمعتموها من رאו ولا قرأتموها في كتاب ، وإذن هي من أنباء الغيب ووحى السماء ﴿ فاصبر إن العاقبة للمتقين ﴾ ادع إلى ربك ، واصبر على ما أصابك في سبيل الله ، وثق بالنصر من عنده .
٥٠ - ﴿ وإلى عاد أخاهم هوداً .. ﴾ واضح ،

الإعراب :

﴿ رب ﴾ منادى ، وأصلها ربي ، وحذفت الياء للتخفيف . وعمل غير صالح على حذف مضاف أي ذو عمل . ﴿ وبه ﴾ متعلق يعلم . والمصدر النسب من « أسالك » مجرور بمن محذوفة أي أعوذ بك من سؤالك . والا لكلمات ان الشرطية ولا النافية وادخلت النون باللام ،

يَنْقُومَ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي
فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَنْقُومَ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ
تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدَّكُمْ قُوَّةً
إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مَجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا
بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ
بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ
قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ وَاشْهَدُوا إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾
مِنْ دُونِهِ فَكِدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنِّي
تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ
بِنَاصِيَتِهَا إِنْ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِنْ
تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ
رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا إِنْ رَبِّي عَلَى كُلِّ

وتقدم في الآية ٦٥ من الأعراف ﴿ويا قوم استغفروا ربكم
ثم توبوا إليه﴾ مر في الآية ٣ من هذه السورة ﴿يرسل
السما﴾ المطر ﴿عليكم مدرارا﴾ من الدر ﴿ويزدكم
قوة إلى قوتكم﴾ كل المفسرين قالوا : كانت قبيلة عاد
ذات قوة في المال والرجال استناداً إلى ظاهر هذه الآية ، وأظهر
منها الآية ٧ من الفجر : « ألم تركيب فعل ربك بعد إرم
ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد » .

٥٣- ﴿قَالُوا يَا هود ما جئنا ببينة﴾ تنوها أنفسنا
كما في الآية ٧٠ من المائدة ﴿وما نحن بتاركي آلهتنا عن
قولك﴾ قال ابن هشام في الغني : معنى « عن » هنا
السببية والتعليل أي بسبب قولك .

٥٤- ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾
شنت أصنامنا . فاقتصت منك ، وأصابتك في عقلك
ورأيك .

﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ .

٥٥- ﴿مِنْ دُونِهِ فَكِدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونَ﴾
تجدهم هود وتحدى آلهتهم أن يسرعوا إليه دون انتظار بكل
ما يريدون به من أذى وضنى ثقة منه بربه واستخفافاً بأربابهم .

٥٦- ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ وهو
وحده بمنعمكم عني وأنا وجيد ، وينصرتي عليكم وأنتم أولو
عدة وعدد ﴿ما من دابة إلا وهو آخذ بناصيتها﴾ بيده
ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه - ٨٨ المؤمنون

﴿إِنْ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ على طريق الحق والعدل يهمل الظالم ولا يهمله وهو له بالمرصداً .

٥٧- ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي فإن تولوا معرضين عن قولي ﴿فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم﴾ وأديت واجبي
على أكمل وجه ﴿ويستخلف ربِّي قوماً غيركم﴾ ثم لا يكونوا أمثالكم آنذاً وأردالا ..

اللغة :

فطر الشيء فطراً أي شقه ، فظهر ما فيه . ومدار مبالغة في الدر ، وهو الفطر المتتابع غير المنسد . واعتراك أصابك . والناصية قصاص
الشعر ، والمراد بأخذها هنا ملك الأمر كله .

الإعراب :

﴿ومدراراً﴾ حال من السماء ، ولم يقل مدرارة لأن مفعلاً للمبالغة يستوي فيه الذكر والمؤنث . ﴿وقوة﴾ مفعول ليزدكم لأنها بمعنى
يعطكم . ﴿ومجرمين﴾ حال من فاعل تتولوا . ﴿إِنْ نَقُولُ﴾ إلا اعتراك ﴿إِنْ﴾ نافية ، وجملة اعتراك محكية لقول ، ولا داعي للحذف
والتقدير كما فعل صاحب جمع البيان . ﴿تولوا﴾ أصلها تتولوا . ويستخلف الجملة مستأنفة

ثُمَّ حَفِظْ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَحْنُ هُودًا وَالَّذِينَ
آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةِ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ يُصَلِّونَ ﴿٥٨﴾
وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا
أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً
وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۖ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ
فَقَرَمُ هُودٍ * وَإِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَلْبَابًا قَالُوا يَقْرَأُ
أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَ لَكُم مِّنَ
الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَ فِيهَا فَاسْتَفْقِرُوا لَهُم تَوْبُوا لَإِلَهِ
إِن رَّبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦٠﴾ قَالُوا يَصْلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا
مَرْجُوعًا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا
لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا يَقْرَأُ آرَاءَهُمْ
إِن كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَهَلْ يُنْصَرُّنِي

٥٨ - ﴿ ولما جاء أمرنا ﴾ وهو الريح العقيم ، أهلكتهم
عن آخرهم ﴿ نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا ﴾
هي النجاة الأولى من الريح العقيم في الدنيا ﴿ ونجيناهم من
عذاب غليظ ﴾ في يوم القيامة .

٥٩ - ﴿ وتلك عاد ... ﴾ أي تلك آثارهم وديارهم
الخالية ، فانتظروا بها أيها الجاحدون واعتبروا ﴿ واتبعوا أمر
كل جبار عنيد ﴾ هذا درس قرآني إلهي للمستضعفين أن
يقفوا صفاً واحداً في وجه من يستبد ويشط في غيه وبغيه ،
ولو علم الظالم أن المظلوم يستमित دون حقه لكف عنه ،
ومعنى هذا أن المظلوم مسؤول عن الدفاع عن نفسه بكل ما
يملك من جهد .

٦٠ - ﴿ واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ﴾
أي فعلوا ما يتوجبون به اللعن دنيا وآخرة من الله والناس علناً
وعلى رؤوس الأشهاد .

٦١ - ﴿ وإلى نعوذ أفعالهم صالحاً ... ﴾ تقدم
بالحرف الواحد في الآية ٧٣ من الأعراف ونظيره هود في الآية
٥٠ من هذه السورة ، والسر أن كل الأنبياء بعثوا بكلمة لا إله
إلا الله ﴿ هو أنشأكم من الأرض ﴾ منها خلقنا ، وعليها
نعيش أمدأ ، ثم نعود إلى زلزاة قائمة واجمة ﴿ واستعمركم
فيها ﴾ بمعنى العمران لا بمعنى الاستغلال والطغيان ،
﴿ فاستفقروه ثم توبوا إليه ﴾ أي عبدوا الله وحده
واشكروه على نعمه وفضله ﴿ إن ربي قريب ﴾ ممن
أخلص له في العمل ﴿ مجيب ﴾ لمن استجاب لأمره .

٦٢ - ﴿ قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا ﴾ كنا نتق بك ونظن فيك كل خير ، فإذا جرى لك وحل
بسك ؟ تماماً كما قالت قريش في محمد (ص) التي عرفته صادقاً وأميناً طفلاً وشاباً وكهلاً ﴿ انتهانا أن نعبد ما يعبد
آباؤنا ﴾ العنوى النفسية غريزة في الحيوان والإنسان ... فما أن يصبح ديك واحد حتى يتصايح العديد من الديكة ،
وفي الأشعار « تتأهب زيد إذ تتأهب خالد » ويكثر انتشار التقليد بين الناس في الآراء والمعتقدات ، وبخاصة للآباء
والأجداد ، وبصورة أخص في الدين سواء أكانوا يعبدون الرحمن أم الأصنام ، والفرق أن التقليد الأول سليم ، لأنه
على وفق العلم والحق تماماً كتقليد المريض للطبيب الناصح الماهر ، أما التقليد الثاني فجهالة وضلالة ، وإلى هذا أشارت
الآية ١٧٠ من البقرة : « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يقولون شيئاً
ولا يفتدون » ومعنى هذا أن الذين يقولون ويهتدون يسوغ تقليدهم ، ومن المعلوم بالنص والبديهة أن مهمة الأنبياء والمصلحين هي
الإرشاد إلى الحق وهداية الذين لا يقدرون على المعرفة والتمييز من يهدي إلى سواء السبيل ، ومن ضل عنه وأصل . قال
عز من قائل : « أفن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدي فإلهم كيف تحكمون - ٣٥ يونس » .

٦٣ - ﴿ قال يا قوم أرايتم ﴾ أخبروني ﴿ إن كنت على بينة من ربي ﴾ على يقين من أنه أرسلني إليكم
﴿ وآتاني منه رحمة ﴾ وهي النبوة ﴿ فمن ينصروني من

الله إن عصيته ﴿ في ترك دعوتكم إلى الحق ، وتقدم في الآية ٢٨ من هذه السورة ﴾ ﴿ فما تزيلوني غير تعسير ﴾ إن سكت عن إرشادكم لأن الساكت عن الحق شيطان أخرس كما في الحديث :

٦٤- ﴿ وباقوم هذه ناقة الله لكم آية .. ﴾ تقدم في الآية ٧٣ من الأعراف .

٦٥- ﴿ ففقروها فقال تمصوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكتوب ﴾ عقروا الناقة ولم يكتنوا فأهلهم سبحانه ٣ أيام عسى أن يندموا ويتوبوا ، ولما أصروا حقت عليهم كلمة العذاب .

٦٦- ﴿ فلما جاء أمرنا ... ﴾ تقدم مثله قبل قليل في الآية ٥٨ من هذه السورة .

٦٧- ٦٨- ﴿ وأخذ الذين ظلموا الصبيحة ﴾ ارتجفت لها قلوبهم ، واضطربت الأرض من تحتهم ، وأصبحوا جثثاً باردة هامة ، وتقدم في الآية ٧٨ من الأعراف .

٦٩- ﴿ ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاماً قال سلام ﴾ المراد بالرسول هنا ملائكة من السماء ، دخلوا على إبراهيم الخليل (ع) في صورة الآدميين ، فحيوه ورد التحية ، ﴿ فلما لبث ﴾ أسرع لم يتوقف ويتردد ﴿ أن جاء يعجل حين ﴾ مشوي ، وكان إبراهيم معروفاً بحب الأضياف .

٧٠- ﴿ فلما رأى أيديهم لا تصل إليه ﴾ إلى العجل ﴿ نكروهم ﴾ أنكروهم ولم يعرف حقيقتهم ﴿ وأوجس ﴾ أحس ﴿ منهم خيفة ﴾ امتنعوا عن الطعام لأنهم ليسوا بشراً ، وخاف إبراهيم منهم لأنهم ليسوا كما ظن ﴿ قالوا لا تخف إنا ﴾ ملائكة ﴿ أرسلنا إلى قوم لوط ﴾ ولا نريد بك سوءاً ولا بقومك .

٧١- ﴿ وامراته ﴾ سارة ﴿ قائمة فضحكت ﴾ قال بعض المفسرين : ضحكت لأن أضيافها لم يأكلوا من طعامها ، وقال آخر : بل ضحكت استبشاراً بهلاك قوم لوط لكثرة فسادهم ! وكل ذلك رجم بالغيب حيث لا آية متروكة ولا رواية ثابتة . وأطرف من ذلك وأغرب ما في تفسير آخر أن جبريل مسح العجل المشوي بجماعه ، فقام يدرج حتى وصل بامه الموجودة في الدار ! ولماذا هذا التكدير والتعكير لهما الإسلام وصفاته ؟ ﴿ فبشرناها باسحق ومن وراءه اسحق يعقوب ﴾ فتلد هي اسحق ، ويولد لإسحق يعقوب ، وفيه دلالة أن ولد الولد ولد .

الإعراب :

﴿ هذه ﴾ مبتدا وناقة الله خبر ، ولكم حال مقدم من آية ، وآية حال من ناقة الله ، والعامل فيه اسم الإشارة لأنه بمعنى أشير فإخذكم منصوب بأن مضمرة بعد الفاء . ﴿ أيام ﴾ أصلها أيام ، ثم قلبت الواو ياء ، وادغمت الياءان . فصارت أيام . ﴿ ومن خزي ﴾ معطوف على نجينا أي ونجينا من خزي ، وكان خفة من الثقلة ، واسمها ضمير الشأن المحذوف أي كأنهم لم يغنوا .

مِنْ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتَهُ ۖ فَا تَرِدُونِيْ غَيْرَ تَحْسِيرٍ ﴿٢٨﴾
وَيَقُومُ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ
اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا سَوْءَ فَبِأَخَذِ كَرَّ عَذَابٍ قَرِيبٍ ﴿٢٩﴾
فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعَدٌ
غَيْرُ مُكْدُوْبٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ
آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيٍ يُؤْمِيْدُ ۖ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٣١﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ
فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَنَشِينَ ﴿٣٢﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا
أَلَا إِنَّ تَحْمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۖ أَلَا بَعْدَ التَّحْمُودِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ
جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَّمَ
فَلَبِثَ أَنْ جَاءَ يَعْجَلَٰ حَنِيدٌ ﴿٣٤﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ
لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَّرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَمَخِفْ

٧٢- ﴿قَالَ يَا وَلِئْتَ﴾ كلمة للتضع والأصل

يا ولي . فأبدلت ياء المتكلم ألفاً ، ومثلها يا عجباً يا أسفا
﴿أَلَدَ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾ في بعض التفسير : كان عمرها
٩٩ سنة ، وقال الطبرسي في جوامع الجامع : ٧٨ ، وفي
قاموس الكتاب المقدس : ٨٩ ، وكل ما نعرفه نحن أنها كانت
متقدمة في السن كما نطقت الآية ، أما التحديد فعليه عند
ربي ﴿وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب﴾ لأنه
غير مألوف ومعروف بين الناس .

٧٣- ﴿قَالُوا - أَيُّ الْمَلَائِكَةِ - أَنْتُمْ جِنٌّ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾

كيف ؟ وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴿رحمة
الله وبركاته عليكم أهل البيت﴾ أي بيت النبوة ، وقد
خصكم الله بالكثير من نعمه ، وهذه واحدة منها . وما
هي بأعجب من جعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم .

٧٤- ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾ الخوف

﴿وجاءته البشري﴾ باسحق ويعقوب ﴿بجادلنا في
قوم لوط﴾ أي يستغيث بالله ، وإياه يرجو ، وله يدعو
أن يمهّل قوم لوط ، فهل في هذا شيء من الذنب ؟ حاشاه
ألف كلا ، بل العكس هو الصحيح .

٧٥- ﴿إِنْ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ﴾ رقيق القلب يكثر

التأوه والدعاء ﴿منيب﴾ يرجع إلى الله في كل أمر ،
ومن أجل هذا تضرع إليه تعالى أن يمهّل من عصاه وعبد سواه ،
ولكن الله سبحانه لو علم فيهم خيراً لأمهّلهم . ولذا قال
عظمت كلمته .

٧٦- ﴿يَا إِبْرَاهِيمَ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ وإن تلك الرحمة والرأفة دينك ودينك ﴿إنه قد جاء أمر ربك﴾
بعذاب المشركين للأيأس منهم ومن توبتهم .

٧٧- ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّئًا﴾ بهم وضمر بهم ، يعود إلى الملائكة ، والباء هنا للسببية ، والمعنى أن لوطاً لما رأى الملائكة استاء
وضاقت نفسه بسببهم ، حيث خشي من قومه عليهم ، لأنهم يتعاطون عمل الجنس القبيح ، وفي بعض التفسير : أن الملائكة
وردوا على لوط في أجمل صورة يكون عليها غلمان حسان الوجوه ابتلاء من الله لقوم لوط كي تكون لله الحجة البالغة
عليهم .

٧٨- ﴿وجاءه قومه يهرعون إليه﴾ أسرعوا إلى بيت لوط فرحين مستبشرين بهذه الغنيمة الباردة ، ودخلوا
عن الخبآت والمفاجآت ﴿ومن قبل كانوا يعملون السيئات﴾ المشار إليها في الآية ٨١ من الأعراف وأنكم لتأتون الرجال
شهوة من دون النساء ، ﴿قال - لوط - يا قوم هؤلاء بناتي﴾

يريد بنات أمته ، لأن النبي أبو الأمة ﴿ من أظهر لكم ﴾ وفي تصرفكم فتزوجهم حلالا ، ودعوا اللواط ﴿ فاقوا الله ﴾ وكيف يتعظون بمواظ الله وهم في المآثم إلى الآذان ؟ ﴿ ولا تخزون في ضيقي ﴾ لا تفضحوني في الإساءة إليه فإن من حق الضيف الإحسان إليه ﴿ أليس منكم رجل رشيد ﴾ يصدكم عن الضلال والفساد .

٧٩- ﴿ قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد ﴾ لماذا تعرض علينا النساء ؟ وأنت تعلم علم اليقين ما لنا بهن من أرب ورغبة ، وإن بغيتنا الرجال دون النساء .

٨٠- ﴿ قال لو أن لي بكم قوة ﴾ ناصر بنصري عليكم ﴿ أو آوي إلى ركن شديد ﴾ أو مجر يجبرني من شركم ، قال هذا وهو لا يعلم أن الناصر في بيته والمجير إلى جانبه ، ولما رأى الملائكة قلق لوط وحزنه أعلموه بحقيقة أمرهم .

٨١- ﴿ قالوا يا لوط إنا نرسل ربك لن يصلوا إليك ﴾ وقد جئنا هلاك القوم الفاسقين ﴿ فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا بلغت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيها ما أصابهم ﴾ طلب الملائكة من لوط أن يخرج ليلاً بأهله ، وأن لا ينظر أحد إلى ما وراءه ، وقد تكون الحكمة من ذلك أن الملتفت إذا رأى ما نزل في دياره من الدمار فربق ويحزن ، أما امرأة لوط ، فتركها مع القوم الكافرين لأنها منهم ، فكان عليها ما عليها .

٨٢- ﴿ فلما جاء أمرنا جعلنا سافلها ﴾ الماء لدائن لوط ﴿ وأمطرنا عليها حجارة من سجيل ﴾ طين متحجر ﴿ منضود ﴾ متراكم بعضه فوق بعض . أو ينزل متتابعاً بعضه أثر بعض .

٨٣- ﴿ مسومة ﴾ لها علامة خاصة تدل عليها ، ولا تصيب إلا من يستحقها ، والمعنى أنه تعالى أنزل على مدائن لوط عذابين : الخسف والمطر بحجارة من السماء . انظر تفسير الآية ٨٣ و ٨٤ من الأعراف .

٨٤ - ٨٦- ﴿ وإلى مدین أخاهم شعیباً . . . ﴾ كل الأنبياء ينطلقون في دعوتهم من التوحيد وعبادة الله الذي لا إله سواه ، ولا تختص هذه الدعوة بنبي دون نبي أو بأمة دون أمة أو بشعب دون شعب أو ببيل دون بيل ، ثم يمضي كل نبي في النهي عن المنكر ومساواة الأخلاق الشائعة الذائعة في عصره ، وكان قوم شبيب يفسدون في الأرض ، ويبيحسون الناس أشياءهم : إذا اکتالوا عليهم يستوفون وزيادة ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، أنكر عليهم شعب هذه المساواة ، فأنكروه ، وكان شأنهم معه كشأن غيرهم مع أنبيائهم ، وتقدمت قصة شعب مع قومه في الآية ٨٦ وما بعدها من الأعراف .

الإعراب :

﴿وجاهه﴾ بمعنى قصده ولذا تعدى الفعل الى مفعول . ﴿ومن قبل﴾ الواو للحال ويا قوم اصله يا قومي .

أَظْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكَ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٧٩﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٨٠﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨١﴾ قَالُوا يَلُوْطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرَأْ بِهَآكُ يَاقُطْعُ مِنَ الْبَيْتِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ إِنَّا نَعْرِضُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنْ مَوْعَدُهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنضُودٍ ﴿٨٣﴾ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٤﴾ * وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَتَقَوِّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أُرْسِلُكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ

٨٧- ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَانِكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ...﴾ ما من شك أن المؤمن حقاً وصدقاً تأمره صلاته بالمعروف وتنهائه عن المنكر كما . في الآية ٤٥ من العنكبوت ، وأيضاً تأمر بدعوة الخلق إلى الحق في نطاق قدرته ومؤملاته .

٨٨- ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ لِي أَخْبَرُونِي﴾ إن كنت على بينة من ربّي ﴿على بصيرة في ديني ودعوتي ، وتقديم في الآية ٢٨ من هذه السورة ﴿وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ عندي من المال الحلال الطيب ما يغنيني عنكم وعن أموالكم . وبكلام ثان أدعوكم إلى النجاة والحياة لوجه الله لا أريد منكم جزاءً ولا شكوراً ، وأيضاً ﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه﴾ بل أبدأ بنفسي قبل أي إنسان ، وكيف أنهاكم عن شيء ولا أنهي عنه . وهذا هو الشرط الأساس في كل مصلح ﴿إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت﴾ وإرادة الإصلاح والهداية في الأنبياء ليست مجرد شعار أو وصف طارئ ، يأتي ويذهب ، بل هي من مقومات العصمة أو الخصائص التي لا تنفصل عنها بحال ، وبعض الناس أو الأعداء ينعتون أنفسهم بهذا الوصف دون أن ينظروا إلى معناه بعين الاعتبار ، وإهم بذلك يدعون العصمة أو التشبه بالأنبياء من حيث لا يشعرون .

٨٩- ﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي﴾ لا يكسبكم خلافي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح ... أخشى إن تماديتكم في معصية الله ومخالفتي أن ينتقم منكم بالتنمير والإبادة وهل تتجاهلون تاريخ الماضي وما حدث لقوم نوح وغيرهم لما عصوا الرسل واستهزأوا بهم ؟

عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٌ ﴿٨٥﴾ وَيَقُولُوا أَوْفُوا بِالْعِمَالِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُقْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ بَقِيَتْ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿٨٧﴾ قَالُوا يَشُعَيْبُ أَصْلَانِكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَسْتَوُا إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٨﴾ قَالَ يَقُولُوا أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخْلِفُكُمْ إِلَيَّ مَا أَنْتُمْ كَرَهُوا إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٩﴾ وَيَقُولُوا لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمُ نُوحٍ أَوْ قَوْمُ هُودٍ أَوْ قَوْمُ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴿٩٠﴾

اللغة:

أنيب أرجع . ولا يجرمنكم أي لا يكسبكم . والشقاق شدة الخلاف ، حيث يكون كل طرف من المتخاصمين في شق غير الذي فيه الآخر .

الإعراب:

﴿والى مدين﴾ معطوف على ما قبله أي وإرسلنا إلى مدين إخوانهم ، وشعياً بدل من الأخ . ومن إله ﴿من﴾ زائدة إعراباً . ﴿ومحيط﴾ صفة ليوم لفظاً ، ولعذاب معنى ، وصح وصف اليوم بالاحاطة مع أنه وصف للعذاب لمكان الإضافة . واشتياهم بدل اشتغال من الناس . ﴿ومفسدين﴾ حال من واو لا تمنوا . و﴿بقية﴾ الله مبتدأ ، وخير خبر . والباء في بحفيظ زائدة إعراباً . المصدر المنسبك من ﴿أن تترك﴾ مجرور بالباء المحلوفة . والمصدر من أن تفعل معطوف على ما يعبد آبلونا ، والتقدير أصلاتك تأمرك بترك ما يعبد آبلونا أو بترك فعل ما نشاء في أموالنا . ﴿وما استطعت﴾ ﴿وما﴾ مصدرية ظرفية أي مدة استطاعتي ، ويجوز أن تكون اسم موصول في محل نصب بدلاً من الإصلاح أي إلا الإصلاح الذي استطعته . وشقائي فاعل يجرمنكم ، والمصدر من أن يعصيكم مفعول ثانٍ ليجرمكم .

٩٠- ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ اطبلوا منه الصفيح عما مضى ، وصمموا على طاعته فيما يأتي ﴿إِنْ رَبِّي﴾ الذي أدعوكم إلى طاعته ﴿رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ يحب عياله بالإحسان إليهم ، والغو عنهم والإمهال لعلهم يرجعون .

٩١- ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ﴾ هذا هو منطق القراصنة في كل زمان ومكان ، يجاهون به قول الحق ، ويقولون : إن هو إلا كلام فارغ لا يحتوي على مدلول ! ﴿وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ مستضعفاً ، نبطش بك ساعة نشاء ! فالحق عندهم مجرد عضلات وسواعد مفتولة ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ ورهط الرجل : أرحامه وأقاربه ، وحدث هذا بالذات لسيد الكوئين ، فلولا عمه أبو طالب سيد البطحاء لرجمه جابرة الشرك ، قال الرسول الأعظم (ص) : ما زالت قريش كاعة - أي ممتعة جنتاً - عني حتى مات أبو طالب .

٩٢- ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ وأي عجب في هذا عند أهل الضلالة والجهالة ؟ ﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ﴾ أي اتخذتم دين الله ﴿وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا﴾ نبذتموه ولم تعابوا به .

٩٣- ﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ أي طريقتكم ، أو استعملوا ما لكم من سلطة ومكانة ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ بما علمني ربي ﴿وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ لعذاب يُجزى من هو مسرف كذاب .

٩٤ - ٩٥- ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجِيتَا شُعَيْبًا﴾ تقدم مثله قبل قليل في الآية ٦٦ و ٦٨ من هذه السورة .

٩٦ - ٩٧- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ بالأدلة

اللفظة:

السلطان المبين الدليل الظاهر. والملا أشرف القوم. والمراد بأمر فرعون أفعاله وتصرفاته. والورد بلوغ الماء، والمورد الماء بالذات، واستعمل هنا في النار مجازاً. والرغد بكسر الراء العطاء، والمرفود المعطى.

الإعراب:

﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعْزِرٌ﴾ «ما» نافية وانت مبتدأ وعلينا متعلق بعزير، وعزير خبر والباء زائدة إعراباً. وظهرياً مفعول ثانٍ لاتخذتموه. ﴿وَمَكَانَتِكُمْ﴾ مصدر مكن. ومن استفهام في عمل رفع بالابتداء، وجملة يأتيه عذاب خبر، وتعلمون معلق عن العمل لمكان الاستفهام. ﴿وَكُنَّا﴾ خفيفة من الثقيلة، واسمها محذوف أي كانوا لم يغنوا فيها. ﴿وَبَعْدًا﴾ منصوب على المصدرية أي بعد بعداً.

وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعْزِرٌ ﴿٩١﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُجزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجِيتَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جَنِينَ ﴿٩٤﴾ كَانُوا لَا يَتَنَبَّهُونَ إِلَّا بَعْدَ الْمَدِينِ كَمَا بَعَدَتْ نَمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٩٦﴾

القاطعة إلى فرعون وجلاوزته ﴿فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾ منهجه في النبي ومسلكه ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ بل ضلال وفساد ، ومكابرة وعناد .

٩٨ - ٩٩ - ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْدَدَهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْسَ الْإِقْدُ الْمَرْفُودُ ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفُرَى نَقَصُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمْ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُهُمْ غَيْرَ تَنْبِيٍّ ﴿وَكَذَلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْفُرَى وَهِيَ ظَلِيمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ الْيَمُّ شَدِيدٌ﴾

١٠٠ - ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفُرَى نَقَصُهُ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنْهَا قَائِمٌ﴾ وعامر حتى الآن ﴿وَحَصِيدٌ﴾ ومنها هالك في خبر كان .

١٠١ - ١٠٢ - ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ فيما أصابهم ﴿وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بما كانوا يكسبون ﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ أي الآلة التي كانوا يدعون ويعبدون ﴿غَيْرَ تَنْبِيٍّ﴾ غير تخسير ، ومنه تبث بدا أبي لهب أي خسر

١٠٣ - ١٠٤ - ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾ هذا العذاب الذي أنزله سبحانه بالعصاة في الدنيا كطوفان نوح وغرق فرعون ، وغير ذلك هو عظة ودليل على صدق العذاب الموعود في اليوم الآخر ، ولا يسوغ القول بأن ما حدث في هذا الميدان هو من فعل الطبيعة وقوانينها ، لأن الأنبياء كانوا يندرون قومهم بالعذاب قبل وقوعه ويحددون وقته ونوعه ، ومن ذلك قول النبي صالح : «تتمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب - ٦٥ هود» وصدق الوعد ، ولا يمكن تفسير ذلك بالنبؤ العلمي حيث لا مراد وأدوات .

١٠٥ - ﴿يَوْمَ يَأْتُ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ للإنسان

في الحياة الدنيا أن يفعل ما يجب ، ويترك ما يكره ، ويدي نفسه ما يشاء ، ويشتم من أراد ، أما في الحياة الآخرة فلا

إِلَّا فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْدَدَهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْسَ الْإِقْدُ الْمَرْفُودُ ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفُرَى نَقَصُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمْ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادَهُمْ غَيْرَ تَنْبِيٍّ ﴿وَكَذَلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْفُرَى وَهِيَ ظَلِيمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ الْيَمُّ شَدِيدٌ﴾

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ تَجْمُوعُ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴿وَمَا نُوَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجْلِ مَعْدُودٍ﴾ يَوْمَ يَأْتُ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ

الإعراب :

﴿فَأَوْدَدَهُمُ﴾ ماضٍ لفظاً ، ومستقبل معنى أي فيوردهم ، وكل مستقبل محقق الوقوع يجوز التعبير عنه بصيغة الماضي . و﴿بِئْسَ﴾ من أفعال الذم ، والورد فاعل ، والورد مبتدأ ، وهو المخصوص بالذم . والجملة من الفعل والفاعل خبر مقدم . ﴿ذَلِكَ﴾ مبتدأ ، ﴿وَمِنْ أَنْبَاءِ الْفُرَى﴾ خبر ، ويجوز أن تكون ذلك مفعول لفعل محذوف أي نقص ذلك . وقائم مبتدأ ومنها خبر مقدم . و﴿حَصِيدٌ﴾ مبتدأ وخبره محذوف أي ومنها حصيد . وواو ﴿زَادَهُمُ﴾ للاستصنام على التنزيل منزلة العقلاء ، أو على غير الأهم الأغلب . و﴿غَيْرَ﴾ مر إعرابها في الآية ٦٣ من هذه السورة . و﴿كَذَلِكَ﴾ الكاف بمعنى مثل خبر مقدم ، وأخذ ربك مبتدأ مؤخر . ﴿ذَلِكَ﴾ يوم مبتدأ وخبر ، وجموع صفة ليوم ، والناس نائب فاعل لجموع . و﴿يَوْمَ يَأْتُ﴾ يوم متعلق بلا تكلم نفس ، وحذفت الياء من يأتي للتخفيف ، وفيها ضمير مستتر يعود إلى يوم جموع ، ولا يجوز أن يعود إلى يوم يأت لأنه مضاف إلى الاتيان ، والمضاف اليه بمنزلة الجزء من الكلمة .

فعل إطلاقاً ، ولا كلام إلا لمن أذن له الرحمن ﴿ فنعلمهم شقي وسعيد ﴾ تبعاً لسعيه وعمله ، وقال بعض العارفين : علامة السعادة الآخروية أن تطيع الله ، وتخاف أن تكون مردوداً وعلامة الشقاوة أن تعصي الله ، وترجو أن تكون مقبولا ، ثم حدد سبحانه مصير أهل الشقاوة بقوله :

١٠٦-١٠٧- ﴿ فَأما الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾ الزفير إخراج النفس والشهيق رده .

١٠٨- ﴿ وَأما الَّذِينَ سَعَوْا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ هذا هو مصير الصادق المخلص : ملك دائم ونعيم قائم .

١٠٩- ﴿ فَلَا تَكُ فِي مَرَّةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ ﴾ الخطاب لمحمد (ص) وهؤلاء إشارة إلى قومه الذين كذبوه ، وما شك النبي في ضلالتهم ، ولكن القصد توبيخهم وتحذيرهم .

١١٠- ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴾ فاختلف فيه ﴿ والذين اختلفوا في التوراة هم قوم موسى بالذات ، فمنهم من آمن به ، ومنهم من كفر ﴾ ولولا كلمة سبقت من ربك ﴿ وهي تأجيل الجزاء إلى يوم يبعثون ﴾ لقضي بينهم ﴿ الآن بالانتقام من المبطل ، والإعلاء على الحق ﴾ وانهم ﴿ الجاحدين ﴾ ﴿ لفي شك منه ﴾ من الكتاب ﴿ مرعب ﴾ ووصف الشك بالمرب كوصف العجب بالعجيب ، يراد منه مجرد التوكيد .

١١١- ﴿ وَإِنْ كَلَّا ﴾ من الجاحدين والمؤمنين

﴿ لِمَا لَوْفَيْنَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر .

١١٢- ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ ﴾ الخطاب لمحمد (ص) ولكل من آمن بالله ورسله ، والإستقامة بمعناها القرآني الثابت والإستمرار في العمل بكتاب الله وسنة نبيه وبحكم العقل الذي خاطبه سبحانه بقوله : « مَا خَلَقْتُ خَلْقاً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكَ ، وَلَا أَكْمَلْتُكَ إِلَّا فِيمَنْ أَحَبُّ » وقد أرشدنا سبحانه إلى من يحب بصراحة ووضوح في الآية ٥٤ من المائدة « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ » .

﴿ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ والمراد بالطغيان البغي والعدوان ، وهو من أكبر الجرائم والمآثم حتى ولو كان على مشترك .

الإعراب :

وفي النار متعلق بمحذوف أي فيستقرون في النار ، وخالدين حال من ضمير يستقرون . ﴿ وَمَا دَامَتْ ﴾ ﴿ وَمَا خَلَقْتُ خَلْقاً ﴾ دوام السموات والأرض ، والظرف متعلق بخالدين ﴿ وَعَطَاءٌ ﴾ منصوب على المصدرية ، وغير مجلوز صفة للعطاء . ﴿ وَنَصِيْبُهُمْ ﴾ مفعول لوفوهم ، وغير منقوص حال من نصيبهم . ﴿ وَمَنْ تَابَ ﴾ في موضع رفع عطفاً على الفاعل في استقم ، ويجوز النصب على أن تكون مفعولاً معه .

١١٣- ﴿ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَمْسِكُمُ النَّارُ ﴾

وقال ابن عباس حول هذه الآية : إذا كان هذا هو حال من لا يصدر عنه إلا مجرد ركون ، ولم يشترك في قول أو فعل ، فالويل كل الويل لمن أطرى وشارك ، وقال آخر : ولا يحسن الذين يسكتون عن الظالم أنهم في منجاة من سوء المنقلب ، فإن العقوبة لا تترك في ديار الظالمين وحدهم ، بل تتعداها إلى الساكت عنهم .

١١٤ - ١١٥- ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ أَلَيْسَ إِنَّ احْسَنْتَ يَذُوبَنَّ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلَّذِينَ ارْتَابُوا وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكَ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَالُونَ تَخْلُفِينَ ﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ

﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ تنقسم السيئات إلى نوعين : الإعتداء على حق من حقوق الناس ، وهذا النوع لا يمحوه شيء حتى التوبة إلا أن يؤدي المسيء إلى المخلوقين من حقوقهم حتى يلقى الله أمليس ليس عليه تبعة كما قال الإمام علي (ع) ومن هنا سمي هذا النوع بالحق الخاص . النوع الثاني أن ينهون المسيء بحق من حقوق الله سبحانه ، ولا ثابتة فيه لمخلوق وهذا يمحوه التوبة الصادقة الخالصة أيًا كان نوعه حتى الشرك ، ما في ذلك ريب ، وإذا مات المسيء المتناهون بحقه تعالى قبل أن يتوب ، وكان له شيء من الحسنات فتندشذ تجري عملية الموازنة والمقارنة بين حسناته وسيئاته «فن تقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم - ١٠٣ المؤمنين» .

وعليه يكون معنى الآية : بعض الحسنات يذهبن بعض

السيئات ، وهذا المعنى يستقيم ويتفق مع العدالة الإلهية ﴿ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلَّذِينَ ارْتَابُوا ﴾ ذلك إشارة إلى ما تقدم ذكره من الأمر بالاستقامة وإقامة الصلاة والنهي عن الركون إلى الظالمين والمقارنة بين الحسنات والسيئات .

١١٦- ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ ﴾ من أهل الدين والفضل ، يقال : فلان بقية السلف الصالح أو من بقية القوم أي من بقي منهم بعد ذهاب أكثرهم ﴿ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾ سبحانه : ظهر الفساد وكثر في الأمم الماضية ... وما من أحد جاهد وقاوم ضد من طغى وأفسد إلا قليلاً من الأفراد وهذا هو السبب الموجب والأساس لما حل بتلك الأمم من هلاك ودمار ، ومعنى هذا أنه لا يسوغ بحال أن نسكت وننهون مع اللذنب المخرب ، وأن مسؤوليتنا تحتم تكوين جبهة قوية تحاسب المعتدي حساباً عسيراً وإلا انتشر فساد كالوباء يسأني على الأخضر واليابس . قال سبحانه : «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة - ١٩٣ البقرة» ﴿ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ ﴾ قال الشيخ الطبرسي في جوامع الجامع : أراد سبحانه بالذين ظلموا تاركين النهي عن المنكرات ، لأنهم اكتفوا بالعيش الحلي ، ورفضوا ما وراء ذلك . وهذا ما لسنه بالحس والعيان ، فأكثر الناس إذا توفرت لهم لقمة العيش رضوا بها ، واطمأنوا إليها ، وليكن ما كان ١١٧- ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ بظلم الباء زائدة ، وظلم حال بمعنى ظالم أي لا يهلكها ظالماً بها ، بل يجري الأمور على أسبابها ، ويعامل الإنسان بما يختاره لنفسه ، فإذا أراد الخير والصلاح وسعى له سعيه سالكا إليه طريقه - أمده تعالى بتوفيقه وعونه ، ويستحيل في عدله وحكمته أن يصرفه عنه .

١١٨- ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾
لا يتدخل سبحانه بإرادته الشخصية والتكوينية في أفعال
الإنسان وتصرفاته ، ولو شاء لفعل ، ولكنه لن يشاء لتبقى
للإنسان إرادته وحرية التي يكون بها مسؤولاً ومستحقاً للمدح
والثواب أو الذم والعقاب ، وتقدم في الآية ٤٨ من المائدة
﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ هذا إخبار وحكاية عن أهل
الاديان والمذاهب ، وليس تعبيراً عن قضاء الله وقدره .

١١٩- ﴿إِلَّا مِنْ رَحْمِ رَبِّكَ﴾ بترك التعصب والنعرات
الطائفية والتزوير والتكفير ﴿وَلَدَلِكْ خَلْقُهُمْ﴾ أي ليتراحموا
لا ليلتاكموا .

﴿وَمَتَّ كَلِمَةَ رَبِّكَ لِأَمَلَانِ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ
أَجْمَعِينَ﴾ لا أحد يمس بعذاب إلا أن تقوم عليه الحجة
البالغة القاطعة ، وبخاصة عذاب جهنم ، وهنا يكمن السر
في شهادة الألسن والأيدي والأرجل والمبلعين والكرام الكاتنين
على من يستحق النار وغضب الجبار .

١٢٠- ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَبَتْ
بِهِ فُؤَادُكَ...﴾ كل ما قصصناه عليك يا محمد من
أخبار الأنبياء السابقين وما لاقوه من أمهم وقاسوه ، وكيف دارت
الدائرة على أعداهم - موحى لا ريب فيه ، أما الغرض من
هذه القصص والأخبار فهو أن يطمئن قلبك ، ويتعظ من
كان له قلب وإيمان .

١٢١- ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِهِمْ
إِنَّا عَامِلُونَ﴾ تقدم قبل قليل في الآية ١٢ من هذه السورة
و١٣٥ من الأنعام .

١٢٢- ﴿وَانظُرُوا﴾ أي الجاحدون ﴿إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ معكم من تكون له عاقبة الدار .

١٢٣- ﴿وَلَهُ غِيبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهُ﴾ فيجزئ كل نفس ما كسبت ﴿فَاعْبُدْهُ
وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ وفر منه إليه ، ولا تنق بسواه ختم سبحانه هذه السورة الكريمة بقوله لنبيه الكريم صلى الله عليه وآله:
وتوكل على الله ، ونحن نختم شرحنا ثلاث كلمات كان يدعو بها سيد الكائنات : «ألهم إني أعوذ بك من الفقر وال
إليك ، ومن الذل إلا لك ، ومن الخوف إلا منك» .

سُورَةُ الْيُونُسَ مَكِّيَّةٌ مِائَتَانِ وَخَمْسُونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿الر﴾ انظر أول البقرة «الم» ﴿تلك آيات الكتاب المبين﴾ تلك إشارة إلى آيات هذه السورة ، والكتاب
المبين هو القرآن ٢- ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ هو هذا إيماء إلى أن من يجهد اللغة العربية يتعذر عليه أو
يتعسر أن يعقل الإسلام على حقيقته وبعيدته وشريعته وأخلاقه وآدابه ، وحذا لو أن المراجع الدينية في إيران والعراق خصصوا
مبلغاً من الأوقاف العامة والحقوق الشرعية لا تنشر اللغة العربية وبناء كليات لهذه الغاية في البلاد الإسلامية وكل بلد
فيه مسلمون من غير العرب ، ولا أعرف خدمة للقرآن أجل وأعظم من هذه ، وهل من أحد يشك في أن إحياء اللغة العربية
إحياء لكلام الله سبحانه ، والعكس بالعكس ٣- ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿أَحْسَنُ

مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَنْبِتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ
الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا
يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿١١٩﴾ وَانظُرُوا
إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلِلَّهِ غِيبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهُ فَاَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ
بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾

(١٢) سُورَةُ يُونُسَ مَكِّيَّةٌ
وَأَنْبَاءُهَا الْخَمْسُونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١١٨﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ
قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٩﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ

القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن ﴿ الذي أثبت نبوتك وخلّد ذكرك ﴾ وإن ﴿ مخففة من الثقيلة ، والأصل وإنه ﴾ كنت من قبله ﴿ الوحي ﴾ لمن الغافلين ﴿ عن الوحي وأبناء الغيب ، وهذا دليل قاطع على أن ما جاء به محمد (ص) هو من عند الله .

٤- ﴿ إذ قال يوسف لأبيه ﴾ يعقوب بن إسحق بن إبراهيم الخليل (ع) ﴿ يا أبتِ إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ﴾ وفي قاموس الكتاب المقدس : « اسم يوسف عبري ومعناه يزيد ، وأمه راحيل ، والحادي عشر من أولاد يعقوب الاثني عشر » ، وفي ذات يوم رأى رؤيا قصها على أبيه ، وهي كما نطقت هذه الآية : رأى ١١ كوكباً والشمس والقمر سجداً له ، فاستبشر أبوه .

٥- ﴿ قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً ﴾ خشى عليه أبوه من حسد إخوته . فأمره بالكتمان ، والحسد موكل بأهل الفضل ، خاصة من الإخوان والأصدقاء والجيران .

٦- ﴿ وكذلك يجتبيك ربك ﴾ يختارك ويصطفيك ﴿ ويعلمك من تأويل الأحاديث ﴾ أي يعلمك ما لم تكن تعلم ﴿ ويتم نعمته عليك ﴾ ونعمه تعالى لا يبلغها الإحصاء ، وأكملها النبوة ، ﴿ وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل ﴾ وهما جده وجد أبيه ﴿ إبراهيم واسحق ﴾ ومعنى إتمام النعمة منه تعالى أنه وصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة .

٧- ﴿ لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين ﴾ في قصة يوسف مع إخوته عبر ومواعظ تستحق أن يسأل عنها

أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنَّ الْغَافِلِينَ ﴿١﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٢﴾ قَالَ يَبْنَىٰ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٣﴾ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ * لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِّلسَّالِفِينَ ﴿٥﴾ إِذْ قَالَُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا أَيْبَانَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَمْلِكُ

الناس ، وأيضاً في حديث النبي عنها دلائل قاطعة على صدقه في رسالته .

٨- ﴿ إذ قالوا ليوسف وأخوه ﴾ بنيامين لأبيه وأمه راحيل ، وفي قاموس الكتاب المقدس « وكان أصغر إخوته » ﴿ أحب إلى أينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين ﴾ تتحدث هذه الآية وما بعدها عن أول جيل نشأ من بني إسرائيل ، وهم أولاد يعقوب للنصب الذي يسمى إسرائيل ، وهذا هي بداية تاريخ بني إسرائيل : الطعن في أبيهم النبي المصوم وأنه في ضلال مبين ، والغدر بأخيه ، والبكاء المناق . والافتراء على من أحسن إليهم بأنهم سارق وما استسلموا إلا مفهوتين مرغبتين ... هذا هو تاريخ بني إسرائيل منذ يومهم الأول إلى آخر يوم .

٩- ﴿ اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجمايكم ﴾ لا أحد يشترك فيه معكم تماماً كما فعلت إسرائيل

الإعراب :

« وأحسن القصص » مفعول مطلق لنقص بالنظر إلى إضافة أحسن للقصص . « وما أوحينا » مصدرية أي بوحينا ، ويجوز أن تكون موصولة أي بالذي أوحينا . وهذا مفعول أوحينا . « والقرآن » عطف بيان من هذا . وإن كنت « إن » مخففة من الثقيلة ، واللام في « لمن الغافلين » للفرق بين إن المخففة وإن النافية

لَكَرَّ وَجْهَ أَبِيكَ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿١٠﴾
 قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهُ فِي غَيْبَتِ
 الْحَبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١١﴾
 قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ
 لَنَنْصَحُونَ ﴿١٢﴾ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ
 لَحَافِظُونَ ﴿١٣﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ
 أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ
 الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا نَلَّخُسِرُونَ ﴿١٥﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا
 بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْحَبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ
 لَتُنِينَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٦﴾ وَجَاءَ أَبَاهُمْ
 عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٧﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا
 يُوسُفَ عِنْدَ مَتْلَعِنَا فَأكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا

بالفلسطينيين ، قتلت من قتلت منهم ، وشردت البقية الباقية
 في شرق الأرض وغربها ، وبرغم أن إسرائيل ربحت الجولة
 الأولى والثانية والثالثة مع العرب ، فتحن على عين السيقين
 أن مصيرها سيكون أسوأ بكثير من مصير بني إسرائيل مع
 أخيه يوسف لا لأن العرب أكثر ملاً ونفراً ، بل لأن دولة
 العدوان إلى زوال ، وإن طال بها الأمد ، وفي التاريخ ألف شاهد ودليل .

١٠- ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ ﴾ في قاموس الكتاب المقدس
 هو راوبين ، اسم عبري معناه « هو ذا ابن » وكان بكر يعقوب
 ﴿ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهُ فِي غَيْبَةِ الْحَبِّ ﴾ قمر البئر
 وغوره الغائب عن عين الناظر ﴿ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ ﴾
 المارة ﴿ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ عازمين لا محالة .

١١-١٢- ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ .. ﴾
 استأذنوا أباهم في مصاحبة يوسف إلى المرعى ، يلعب ويسعى .

١٣- ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي .. ﴾ اعتذر إليهم
 بشيئين : الأول يصعب عليه فراقه . الثاني يخاف عليه من
 الذئب .

١٤- ﴿ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾
 جماعة ﴿ إِنَّا إِذَا نَلَّخُسِرُونَ ﴾ لا نصلح لشيء .

١٥- ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا ﴾ عزموا ﴿ أَنْ
 يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَةِ الْحَبِّ ﴾ جواب لما محذوف تقديره
 فعلوا ذلك غير مكترئين بغضب الله وعقوق الوالد ﴿ وَأَوْحَيْنَا
 إِلَيْهِ .. ﴾ ألقى الله في روع يوسف أنه ناج من محتته ،
 وأنه سوف يخبر إخوته بقيق ما فعلوا ، فسكنت نفسه ،
 واطمأن لمصيره .

١٦- ﴿ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴾ وهم القاتلون الغادرون . ويرى أن امرأة خاصمت رجلاً عند القاضي
 وبكت . فقال بعض من حضر للقاضي : ما أظن هذه البائسة إلا مظلومة . فقال له القاضي : إن إخوة يوسف جاءوا أباهم
 عشاءً يبكون .

١٧-١٨- ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ ﴾ تجري على أقدامنا لننظر أبنا يسبق الآخر ﴿ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ
 مَتْلَعِنَا فَأكَلَهُ الذِّئْبُ .. ﴾ وظل هذا الكذب والافتراء

الإعراب :

﴿ وَتَكُونُوا ﴾ عطف على يخل . ﴿ وَأَرْضاً ﴾ مفعول فيه لا طرحوه . ﴿ وَصَالِحِينَ ﴾ صفة للقوم ﴿ وَيَلْتَقِطُهُ ﴾ مجزوم بحواب الأمر ، ومثله
 يرتع . والمصدر من أن تذهبوا به فاعل يحزني . ومصدر أن يأكله مجرور عن محذوفة . ومصدر أن يجعلوه مجرور بعل أيضاً محذوفة .
 ﴿ عِشَاءً ﴾ ظرف زمان منصوب بجهادوا . وجلة ﴿ يَبْكُونَ ﴾ حال ، ومثلها جملة نستيق .

وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءُوا عَلَى قَبِيضَةٍ يَدِيهِ كَذِبٍ
 قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ
 وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ
 فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا غُلْمٌ
 وَأَسْرُوهُ بَضْعَةٌ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِمِثْقَلِ
 بَحْسِ دِرْهَمٍ مَّعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾
 وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَا مِرَّةَ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ
 عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَا أَوْ تَخْذَرَهُمَا وَلَدٌ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ
 فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ
 عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا
 بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي
 الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَوَدَتْهُ الْأَتْيَافُ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ

طبيعة في اليهود ، وسيبقى إلى اليوم الأخير ﴿ قال بل سولت
 لكم ﴾ زينت لكم ﴿ أنفسكم أمراً ﴾ جرمًا كبيراً
 ﴿ فصر جميل ﴾ وهو الذي لا شكوى فيه لمخلوق .

١٩ - ٢٠ - ﴿ وجاءت سيارة ﴾ قافلة ، تريد
 الماء ، وألقت بدلوها إلى البئر ، فعلق به يوسف ، وفرحت
 به القافلة ، وباعوه إلى عزيز مصر بشمن بخس زهيد .

٢١ - ﴿ وقال الذي اشتراه من مصر ﴾ وكان من
 أعوان الملك وأمنائه ﴿ لا مرأته أكرمي ﴾ مقامه ،
 واحسني إليه ، فقد تنتفع به في بعض الشؤون أو تبتئنه .
 لأن العزيز كان عقيماً ﴿ وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ﴾
 جعلنا له قوة ومكانة ﴿ ولنعلمه من تأويل الأحاديث ﴾
 نعلمه ما لم يكن يعلم ﴿ والله غالب على أمره ﴾ فعدا لما
 يريد بلا صادٍ وارد .

٢٢ - ﴿ ولما بلغ أشده ﴾ استكملت خصاله عقلاً
 وجسماً ﴿ آتيناه حكماً وعلماً ﴾ والمراد بالحكم هنا
 الحكمة ، وهي وضع الشيء في مكانه المناسب .

٢٣ - ﴿ ورادته التي هو في بيتها ﴾ يقاد
 المسرة في تصرفه وأعماله لا في أفكاره وأقواله ، يقاد من ميله
 لا من عقله ، ومن جيبه لا من قلبه ، ومن شهوته ومعدته
 لا من إيمانه وعقيدته إلا من رحم ربك بالعصبة أو بالقوى ..
 وضرب سبحانه مثلاً بامرأة العزيز للكثرة الكاثرة من النساء
 والرجال الذين يقادون بالعاطفة ، ويؤثرون الشهوة على الحق
 والخير والدين والعقل ، وأيضاً ضرب مثلاً للقللة القليلة بيوسف
 الذي يؤثر الحق والخير على كل شيء ، ويفني بكله ، بميوله وجميع غرائزه في طاعة الله . هذي هي يا بنيار الفلسفة السليمة
 الصحيحة لقصة يوسف وامرأة العزيز ، بل ولحياة كل مؤمن حقاً وصدقاً وسيرته ... أبداً لا يدخل في الباطل . ولا
 يخرج من الحق مهما كانت المغريات ، لأن بينه وبين ذلك قوة حاجزة رادعة من الدين والإيمان .

الإعراب :

﴿وعلى قبضته﴾ حال مقدم من دم كذب . فصر جميل ﴿صبر﴾ خبر لمبتدأ محذوف ، وجميل صفة لصبر أي فامري صبر جميل . ﴿ويا
 بشري﴾ منادى أي احضري يا بشارة فهذا أوانك . ﴿وربضاعة﴾ حال . ﴿ودراهم﴾ بدل من ثمن . ﴿مصر﴾ لا تنصرف للعلمية والتأنيث .
 ﴿وعسى﴾ تامة ، والمصدر من أن يفتنفا فاعل . ﴿ولنعلمه﴾ منصوب بأن مضمره ، والمصدر مجرور باللام ، ومتعلق بفعل محذوف أي
 ولتعليمه من تأويل الأحاديث مكانه .

٢٤- ﴿ ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان

ربه ﴾ والمراد هنا برهان الله تعالى نبيه عن الفاحشة ، وعليه يكون المعنى ما هم بها إطلاقاتاً تماماً كقولك : لولا فلان هلك ، وخير تفسير لهذه الآية قول الإمام علي (ع) : « قد يرى الحول القلب - البصير بتحويل الأمور الخيرية بتقلبها - وجه الحيلة ودونه مانع من أمر الله ونهيه فيدعها رأي العين بعد القدرة عليها ﴾ كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين ﴾ السوء : كيد امرأة العزيز ، والفحشاء الزنا ، وقد صمم يوسف منذ البداية أن يحجم عما نهى الله عنه مهما تكن النتائج ، فكان الله معه ، وأعانه على ما أراد بعد أن علم منه الصديق والإخلاص .

٢٥- ﴿ واستبقا الباب ﴾ أسرع يوسف إلى الباب هرباً منها ، فعدت وراءه لترده إليها ﴿ ولقد قميصه من دبر ﴾ جذبه من قميصه وهو مدير فقدته ﴿ وألقيا سيدها لدى الباب ﴾ وفي تلك اللحظة بالذات مر العزيز زوج المرأة فرأى موقفاً مريباً وعجيباً : قميصاً ممزقاً وامرأة بحال غير طبيعية .

وقبل السؤال ﴿ قالت - زوجها - ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً ﴾ أرايت إلى هذا الزور والبهتان ؟ هو الذي أراد السوء والفاحشة ، وألح واستمات من أجلها !... أما هي فأبت ورفضت ودافعت عن طهرها وقدمها دفاع المستميت حتى مزقت ثيابه ، وشكرت الله سبحانه الذي أرسل زوجها في هذه الساعة لينقذها من يوسف !... وهكذا

كل من لا يرى ويفكر إلا في قضاء شهوته سواء كانت شهوة الجنس أم المال أم المنصب أم أي شيء ، وخالف الإنسان أعلم حيث يقول : « قتل الإنسان ما أكفره - ١٧ عيس وفي الحديث الشريف : لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، فإنه إذا فعل ذلك خلع عنه الإيمان كخلع القميص » وكذلك سائر الشهوات المائلة ، لأن الحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً . وجاء في الأثر : لا يعذب الله من ترك شهوته لوجه الله .

٢٦- ﴿ قال - يوسف - هي راودتني عن نفسي ﴾ قال هذا حيث لم يجد بداً عن رد الاتهام الكاذب ، وبخاصة بعد قولها : « إلا أن يسجن أو عذاب أليم » فانتصر لنفسه بالحق ، وتبرأ صادقاً بما رمت به ﴿ وشهد شاهد من أهلها ﴾ من أسرتها أو من هوحجة عليها ، فقال : ﴿ إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين ﴾ .

٢٧- ﴿ وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين ﴾ فنظر العزيز إلى قميص يوسف .

٢٨- ﴿ فلما رأى قميصه قد من دبر ﴾ أيقن ببراءته والتفت إلى امرأته و ﴿ قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم ﴾ ويمكن الاستدلال بهذه الآية على جواز الحكم بكل وسيلة وقرينة قطعية ، وإن لم يرد فيها نص بالخصوص ، إضافة إلى العمومات ، ومنها قوله تعالى : « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل - ٥٨ النساء » أي بما تعلمون

أنه حق وعدل سواء أحصل لكم هذا العلم من النصوص أم من غيرها

وَعَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنُ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٧﴾ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَالْغَيَّا سِيدهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٩﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمِيصَ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٣١﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا

٢٩- ﴿يُوسُفُ﴾ أي يا يوسف ﴿أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكَ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ هذا من كلام العزيز ، ويبدو أن أمره كان هيناً وطبعه ليناً حيث قال لزوجته : توبي إلى الله من هذه الخطيئة واريجينا ، وأنت يا يوسف دع الخوض في هذا الحديث ، واكتم أمره ، ولك أجر الصديقين .

٣٠- ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ...﴾ ولكن الخبر شاع وذاع ، واتخذت منه أزواج الامراء والوجهاء موضوعاً للكلام الطويل العريض كالمألوف والمتعاد عند النساء ، وتوالت الحملات على امرأة العزيز ، وقلن : افتننت بعلامها ، ودعته إلى نفسها ، ولكنه عزف عنها وزهد فيها ... ولا شيء أشد وقعاً على قلب المرأة من هذا التلويح والتجريح ، وأرادت أن تبرر فعلتها أو تقتصص منهن ، ولذا :

٣١- ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكاً﴾ ما يتكأ عليه ﴿وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سَكِينًا﴾ حادة لتقطع بها اللحم والفاكهة ﴿وَقَالَتْ

- ليوسف - أخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن ﴿اشتغلن بالنظر إلى يوسف ، واندھشن من جماله حتى جرحن أيديهن من غير شعور ﴿قلن حاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم ﴿في صورة البشر .

٣٢- ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ﴾ ولو عابتن جماله من قبل لقلتن : لامرأة العزيز كل العذر .

﴿ولقد راودته عن نفسه﴾ على المكشوف ﴿فاستعصم﴾ انصرف عني وأعرض ﴿ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين﴾ وعند ذلك استعاذ يوسف من شرهن وكيدهن .

٣٣- ﴿وَقَالَ رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ آثر السجن لأنه على مرارته أحلى عاقبة من لذة الحرام ﴿وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلِينَ﴾ هذي هي لغة الأظهار حقاً والأبرار ، لا يثورون ويشتمون إذا عرض عليهم فعل الحرام ، بل يلجأون إلى الله ، يسألونه المعافاة مما ابتل به العصاة .

٣٤- ﴿فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن﴾ كما استجاب له من قبل وصرف عنه كيد إخوته ، ولا بأس بالبشر والسجن أيضاً ما دام على يقين من دبه .

الإعراب :

﴿وقال نِسْوَةٌ﴾ أي جمع النسوة . ﴿وحباً﴾ تمييز محول عن فاعل أي شغفها به . مثل طاب حمد نفساً أي طابت نفس محمد . ﴿ومتكاً﴾ أصله مونتكاً لأنه من توكأ ، فأبدلت الواو تاء وادغمت التاءان . ﴿وحاش لله﴾ أصلها حاشا ، وحذفت الألف تخفيفاً ، وهي فعل ماضٍ ، والفاعل ضمير مستتر يعود إلى يوسف . ﴿وه﴾ اللام حرف جر : والمعنى بعد يوسف عن المعصية لأجل طاعة الله . وقيل : ﴿الله﴾ فاعل واللام لبيان الفاعل أي حاشا الله .

٣٥- ﴿ ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ ۚ الدَّلِيلُ الْقَاطِعَةُ عَلَى بَرَاءَةِ يُوسُفَ وَزَوَّاجَتِهِ ۚ لَيْسَ جَنَّتُهُ حَتَّى رَأَى الْعَزِيزُ أَنْ يُضْحِيَ بِيُوسُفَ التَّزْيِيهِ الْبَرِيِّ ۚ وَيُسْجَنُهُ مُوقَفًا إِلَى حِينٍ ۚ لَا لَشَيْءٍ إِلَّا لَنَسَكْتِ الْأُنْثَى عَنْ زَوْجَتِهِ ۚ وَتَخَفُ الثَّغْمَةَ عَنْهَا ۚ

٣٦- ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٍ ۚ فِي قَامُوسِ الْكِتَابِ الْقُدُسِ : اِكْتَسَبَ يُوسُفُ ثَقَّةَ السَّجْنِ فَجَعَلَهُ وَكِيلًا عَلَى جَمِيعِ الْمَسْجُونِينَ ۚ أَمَّا الْفَتَيَانُ فَهُمَا : رَئِيسُ السَّقَاةِ وَرَئِيسُ الْخِيزَارِينَ عِنْدَ فِرْعَوْنَ ۚ ﴿ قَالَ أَحَدُهُمَا ۚ لِيُوسُفَ وَهُوَ السَّاقِي ۚ ﴿ إِنِّي أَرَانِي ۚ أَيُّ رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ ۚ أَعَصْرُ خَمْرًا ۚ عَنَاءً ۚ ﴿ وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِثًا ۚ بَنَّاوِيلُهُ ۚ أَخْبَرْنَا عَنْ تَفْسِيرِ مَا رَأَيْنَا ۚ وَكَانَ يُوسُفُ قَدْ اِكْتَسَبَ ثَقَّةَ الْمَسْجُونِينَ بِأَخْلَاقِهِ الْكَرِيمَةِ وَدَعْوَتِهِ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَإِرْشَادِهِ إِلَى الْحَقِّ ۚ

٣٧ - ٣٨- ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ ۚ مِنْ أَهْلِكُمَا فِي هَذَا الْيَوْمِ وَفِي كُلِّ يَوْمٍ ۚ ﴿ إِلَّا بِنَاتِكُمَا بَنَّاوِيلُهُ ۚ أَخْبَرْتُمَا عَنْ نَوْعِهِ ۚ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ۚ وَهَذَا مِنِّي إِخْبَارٌ بِالغَيْبِ ، وَلَا عَجَبٌ ۚ ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ۚ ﴿ اللَّهُ أَوْحَى بِهِ إِلَيَّ ، وَأَنَا أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ ، وَكَذَلِكَ تَفْسِيرِي لِلْمَنَامِ هُوَ وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، وَأَرَادَ يُوسُفُ بِذَلِكَ أَنْ يَثْبِتَ صَدَقَةَ وَبُيُوتِهِ كَيْ يَثْبُتُوا بِمَا دَعَوْهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ وَالْيَوْمِ الْآخِرَتِ ۚ كَمَا قَالَ السَّيِّدُ الْمَسِيحُ (ع) : « وَأَنْتُمْ كَمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُلُونَ فِي بُيُوتِكُمْ - ٤٩ آل عمران

وبعد أن مهد يوسف بهذه المقدمة لمعجزة تدل على صدقه ونبوته . شرع بالدعوة إلى الله والحق فقال :

٣٩- ﴿ يَا صَاحِبِي السَّجْنَ أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۚ الْمُرَادُ بِصَاحِبِي السَّجْنَ السَّاكِنَانِ فِيهِ مَعَ يُوسُفَ ، وَقَدْ دَعَاها بِقَوْلِهِ هَذَا إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ ، وَأَقَامَ عَلَيْهِمَا الْحُجَّةَ بِقَوْلِهِ :

الإعراب :

وما هذا بشراً ﴿ ما ﴾ نافية تعمل عمل ليس على لغة أهل الحجاز ، وهذا اسمها وبشراً خبرها . وإن هذا ﴿ إن ﴾ نافية بمعنى ما . وذلك ﴿ كن ﴾ للخطاب ، لا للضمير ولا محل له من الإعراب ، وهذا اسم إشارة مبتدأ ، والذي لمثنى فيه خبر . وليكونا من الصاغرين الأصل ليكونن بالنون الخفيفة ، وكتبت بالألف تيمناً لخط المصحف . مثل لنسفناً بالناسية . ورب أصله يا ربي . والسجن أحب مبتدأ وخبر . وإلا مركبة من كلمتين : إن الشرطية ولا النافية . ﴿ فوق ﴾ ظرف مكان والعامل فيه أحمل ، وجملة تأكل صفة للخبر . ﴿ وهم بالآخرة هم كافرون ﴾ ، هم الأولى مبتدأ ، والثانية تأكيد وكافرون خبر وبالآخرة متعلق بالخبر . ما كان لنا ﴿ ما ﴾ نافية ، ولنا خبر كان مقدم ، والمصدر من أن نشرك اسم كان ومن زائدة إعراباً ، وشيء مفعول مطلق . ﴿ لنشرك ﴾ أي شيئاً من الشرك .

مُتَّفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤٠﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا بِهِ إِنَّهُ ذَلِكَ الْدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ يَصْحَبِي السَّجْنَ أَمَّا أَحَدُكُمْ فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَنَّا كُلَّ الطَّيْرِ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السَّجَنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٣﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلْنَ سَبْعَ عَجَافٍ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابَسَاتٍ يَأْتِيَهَا أَمَلًا أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٤﴾ قَالُوا أَضْغَنْتُ أَحْلِمَ وَمَا نَحْنُ

بأن رؤياه :

٤٤- ﴿قَالُوا أَضْغَاتٍ أَحْلَامٍ﴾ مختلطة وملتبسة لا يمكن تفسيرها بحال . وعندها تذكر يوسف الساقى الذي أعيد إلى وظيفته ، وأوصاه يوسف أن يذكره عند ربه ، وإليه أشار سبحانه بقوله :

الإعراب :

﴿أرباب﴾ الهمة استفهام انكاري . ﴿مُتَّفَرِّقُونَ﴾ صفة . ﴿سَمَّيْتُمُوهَا﴾ تتعدى إلى مفعولين والثاني محذوف أي سميتموها آفة . وأنتم توكيد لضمير الفاعل ، ﴿يَأْكُلْنَ﴾ عطف عليه أو على الضمير المتصل . ومن سلطان ﴿من﴾ زائدة إعرابا وسلطان مفعول أنزل . وإن الحكم ﴿أن﴾ نافية . ولا تعبدوا ﴿الآ﴾ مركبة من كلمتين ان المصدرية ولا النافية ، والمصدر المنسبك مجرور بالباء المحذوفة ، أي أمر بعدم عبادة غيره . بضع من الأعداد ، ويطلق على الثلاثة إلى العشرة ، ونُصِبَ على أنه ظرف زمان لاضافته إلى سنين ، والعامل فيه لبث .

٤٠- ﴿ما تعبدون من دونه إلا أسماء﴾ لا تنفع ولا تضر ولا تدل عبادتها إلا على الجهل وسفه العقل ﴿إن الحكم إلا لله﴾ الذي يقول للشيء كن فيكون ، بيده ملكوت كل شيء ، وهو يغير ولا يجر عليه ﴿ذلك الدين القيم﴾ أي المستقيم على العقل والعدل والحق والخير وصالح الفرد والجماعة ، في عقيدته وشريعته وجميع أحكامه .

٤١- ﴿يا صاحبي السجن﴾ أما أحدهما وهو الساقى ﴿فيسقي ربه﴾ سيده فرعون ﴿خمرًا﴾ وأما الآخر وهو الخباز ﴿فيصلب فئاكل الطير من رأسه﴾ وهذا واقع لا محالة ﴿قضي الأمر﴾ قد بت ، وانتهى حكمه .

٤٢- ﴿وقال - يوسف - للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك﴾ متى رجعت إلى قصر فرعون فقل له . إن يوسف سجن من غير محاكمة أو سؤال ﴿فأنساه الشيطان ذكر ربه﴾ عاد الساقى إلى القصر ، ولكنه نسي في زحمة أعماله أن يذكر يوسف عند فرعون ﴿فلبث - يوسف - في السجن بضع سنين﴾ قال الشيخ الطبرسي : أصبح الأقوال أنه لبث في السجن سبع سنين .

٤٣- ﴿وقال الملك إني أرى ...﴾ رأى فرعون رؤيا عجيبة غريبة حالته وحيرته ، رأى سبع بقرات هزيلات تأكل سبع بقرات سمان ! ما هذا ؟ بقر يأكل بقرًا ؟ وفوق ذلك الضعيف الهزيل يأكل القوي السمين ؟ وأيضاً سنابل يابسات تلتوي على سنابل خضر في حقل واحد ! وهذا مدعش ومحير . فدعا فرعون رجال حاشيته وكهنة دولته ، وقص عليهم ما رأى ، وسأهم عن التأويل فلم يعرفوا واعتدروا

٤٥ - ﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا ﴾ وهو الساعي

﴿ وَاذْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ تذكر بعد مدة : ﴿ أَنَا أَنْبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴾ أرسلوني إلى يوسف الصديق . فأرسلوه إليه ولما جاء إلى السجن قال :

٤٦ - ﴿ يَوْسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَجٍّ ... ﴾ وقص عليه رؤيا فرعون .

٤٧ - ﴿ قَالَ - يَوْسُفُ - تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا ﴾ عل دأبكم وعادتكم في الزراعة ﴿ فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ فها حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلاً ، وتكون هذه السنين خصبة طيبة ، وهي المشار إليها بالبقرات السمان والسنايل الخضرة ، وأبقوا الحب في سنبله ليكون أبعد عن الفساد إلا المقدار الذي تأكلون مع مراعاة الكفاف وسد الحاجة الضرورية إ ذخاراً للسبع الشداد .

٤٨ - ٤٩ - ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعُ شِدَادٍ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ ﴾ تخزنون وتدخرون ، والمعنى أن السنين المخصبة تعقبها سبع سنين مجدة ، فتأكلون كل ما ادخرتم ، ولا يبقى إلا القليل للبذر ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِصُونَ ﴾ ثم يأتي من يوسف بأنه بعد الجذب سبع سنوات يأتي عام خصب ، يزل الغيث وهو المطر ، فينبت الزرع وينمو الشجر ، ويعصر الناس الفواكه والتمر خمرًا وزيتًا وأنواع الأشربة والدهون ، وهذا الإخبار بالغيب معجزة ظاهرة قاطعة لكل شك ورب في نبوة يوسف .

عاد الساعي إلى الملك فرعون ، وأخبره بما قال يوسف ، فرأى فيه العلم والحكمة .

٥٠ - ٥١ - ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ اتَّوْنِي بِهِ ... ﴾ ولكن يوسف البري الصديق رفض طلب الملك ، وأبى أن يخرج من السجن في ظلال الشك من حوله حتى عند الملك ، وأصر على إعلان براءته قبل كل شيء . ولذا قال لرسول الملك : أرجع إليه ، وقل له : فليحقق مع النسوة ، ويسألهن عن شأني وشأنهن . فأحضر الملك النسوة وبدأ التحقيق ، فاعترفن ببراءة

الإعراب :

﴿ لِلرُّؤْيَا ﴾ اللام زائدة لتقوية الفعل وبيان المفعول ، ومثلها لربهم يرهبون . ﴿ وَأَضْغَاثُ ﴾ خبر لبتدأ عذوف أي هذه أضغاث . ﴿ وَدَابًّا ﴾ مصدر وضع موضع الحال أي دائبين . وصاحب الحال واو تزرعون . ومفعول يعصرون عذوف أي ما من شأنه ان يعصر . ﴿ مَا بِالْنِّسْوَةِ ﴾ مبتدأ وخبر ، ومثله ما خطيكن .

الصادق القديس و ﴿ قالت امرأة العزيز الآن حصص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ﴾ وما أبعد ما بين موقفها هذا ، وموقفها الأول الذي قالت فيه لزوجها : « ما جزء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم » وأنصحك أيها القارئ أن تنظر ما ذكرناه حول قولها هذا لزوجها ، وتوازن بينه وبين موقفها الأخير ، لتعلم أن الإنسان الفرد لا ضابط له على الإطلاق ، وأنه يتقلب ويتحول تبعاً للظروف ، فهو في بعضها معتد أليم ، وفي آخر رؤوف رحيم تماماً كاللآلئ يصبح بخاراً أو ثلجاً تبعاً للبيئة الملائمة ، وإذن من الحق والرعاية أن نحدد ونحكم على الفرد بلا قيد وشرط إنطلاقاً من مشهد واحد ، ونتجاهل خصائصه الكامنة التي لا تبرز للوجود إلا بالملك والمفاجآت والمخبات .

٥٢- ﴿ ذلك ليعلم أنني لم أخنه بالغيب ﴾ للمفسرين أقوال حول هذه الجملة ، وذهب ابن كثير إلى أنها من كلام امرأة العزيز ، تعترف به على نفسها ليعلم زوجها أنها لم تخنه مع أي إنسان في غيبته سوى أنها راودت يوسف فامتنع . وما حدث منها إلا هذا الذنب ليعلم زوجها أنها بريئة . وليس هذا بعيد عن السياق ولا عن الاعتبار ، فإن الزوجة تهم قبل كل شيء أن تكون زانية عند زوجها .

٥٣- ﴿ وما أبرئ نفسي ﴾ لا شيء إلا أنني إنسان له نفس تهفو إلى ما لذ وطاب شيئاً كان أم حسناً ، ولا تسلم من عمل السوء إلا بشيء من رحمته تعالى وتوفيقه ، وقد تجاوزني هذا التوفيق حين راودت يوسف ، لأنني كنت في عصى عن الله ونبيه .

٥٤- ﴿ وقال الملك التوني به ﴾ يوسف ﴿ أستخلصه لنفسي ﴾ أجعله خالصاً لي وموضع تقني ومشورتي ، وحضر يوسف ﴿ فلما كلمه ﴾ الملك رأى فيه رجاحة العقل وغزارة العلم ﴿ قال إنك اليوم لدينا مكين أمين ﴾ ذو مكانة وأمانة على كل شيء . ثم قال الملك ليوسف : أيها الصديق نقلوا لي ما قلته في تأويل رؤياي ، وأجب أن أسمع ذلك منك ، فشرع يوسف في وصف ما رأى الملك وشاهد فتعجب الملك ودعش ، ثم قال له يوسف : عليك أن تزرع كثيراً في السنوات المخصصة وتبني العديد من مخازن الحبوب ، فيأتيك الناس من كل صوب ، ويجتمع لك من الكوز ما لم يجتمع لأحد . فقال الملك من لي بهذا ؟

٥٥- ﴿ قال - يوسف - اجعلني على خزائن الأرض اني حفيظ عليم ﴾ أنا أيها الملك أنقذ البلاد من شر المجاعة المقبلة لخبرتي الاقتصادية وإخلاصي وأمانتي ، وكان يوسف قد مهد إلى الثقة به وبأمانته على أرواح العباد وأقوات البلاد ، بما طلبه من الملك من إعلان براءته على رؤوس الأشهاد كما سبقت الإشارة ، ولولا هذا الإعلان لحاول حواشي الملك الطعن فيه كما هو المعتاد مستغلين الشبهة التي أدت إلى سجن يوسف حتى ولو كانت الشبهة كاذبة والسجن جوراً وظلماً ، فوافق الملك على اقتراح يوسف وجعله أميناً مطلقاً على خزائن

يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ
قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْقَنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَوَدْتُهُ
عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥٢﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ
أَنِّي آخُنُهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٣﴾
* وَمَا أَبرئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا
مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ
أَتُونِي بِهِ أَتَخْلُصَهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ
لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٥﴾ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ
إِنِّي حَفِيزٌ عَلِيمٌ ﴿٥٦﴾ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ
يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ
وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَلَا جُرْأَلَاءَ خَيْرٌ
الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٨﴾ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ

المال والاقتصاد . وأصبح الرئيس الثاني للبلاد بعد الملك ،
وإلى ذلك أشار سبحانه بقوله :

٥٦- ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَانَ يُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا ﴾
يختار النزول في أي جزء منها ، وسيطر عليها ﴿ حَيْثُ يَشَاءُ ﴾
بلا معارض ومنازع .

وقد استطاع يوسف الصديق بعون الله أن ينقذ البلاد من
الكارثة . ويوازن بين الانتاج والاستهلاك والإدخار بما يعجز
عن مثله رجال المال وأقطاب الاقتصاد في هذا العصر . ولا
سر لذلك إلا الأمانة والاخلاص والعناية الإلهية كما قال عز
من قائل ﴿ نَصِيبٌ بِرَحْمَتِنَا مِنْ نَشَاءٍ وَلَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾
أي أن رحمته تعالى تصيب لا محالة من أحلص في قصده .
وأحسن في عمله .

٥٧- ﴿ وَالْأَجْرَ الْآخِرَةَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾
وهل من شيء أزرى وأسى من نعيم قائم دينا وآخرة لا انقطاع
لمدته ولا عفاء لذته ؟

٥٨- ﴿ وَجَاءَ إِخْوَةَ يُوسُفَ ﴾ وصلت أخبار يوسف
إلى البلاد المجاورة . ومنها أرض كنعان حيث يقيم يعقوب أبو
يوسف وإخوته . فقال يعقوب لأولاده : يكاد الجذب يأتي

على كل ماملك . فافصدوا عزيز مصر ، لتبتاعوا منه
القوت والطعام . وكان يوسف لا يعطي الفرد إلا حمل بعير
توفيراً للمؤن . فراحوا جميعاً ما عدا أخاهم بنيامين . أبوه
عند أبيه يتعزى به .

﴿ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ عرفهم ولم يعرفوه ، وأنسى لهم معرفته ، وقد ألقوه في غيابة الحب ،
وهذا سلطان كبير وخطير ؟ وسأهم تمهيداً للحديث عن أبيه ما الذي أقدمكم إلينا ؟ قالوا : للميرة . قال : من أين أنتم ؟
قالوا : من بلاد كنعان . وأبونا يعقوب نبي الله . قال : هل له أولاد غيركم ؟ قالوا : كنا اثني عشر ، فهلك أصغرنا
في البرية . وبقي شقيقه . فاحتسبه أبوه يتسلى به . فأكرم يوسف وفادتهم ، وأمر رجاله بخدمتهم .

٥٩- ﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ ﴾ جهاز الإنسان : ما يحتاج إليه مسافراً كان أو حاضراً حياً أو ميتاً ، كل بحسبه ،
والمعنى بعد أن هيا يوسف لإخوته ما جاءوا من أجله ﴿ قَالَ اتَّوْنِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أُنْثَى ﴾ في المرة الثانية حيث جاء
ذكره من قبل في حديثهم مع يوسف ﴿ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾ أدبت إليكم ما ترغبون ، وكذلك
افعل حين تعودون .

٦٠- ﴿ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ ... ﴾ فلا تقربوا بلادي .

٦١- ﴿ قَالُوا سَرَّادُودَ عَنْهُ أَبَاهُ ﴾ نحرس ونجتهد لاقناع أبيه .

٦٢- ﴿ وَقَالَ - يَوْسُفَ - لِفَتَاتِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ ﴾ دسوا ما قدموا به من البضاعة عوضاً عن الطعام
الذي أحذوه - في أمتعتهم ﴿ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا ﴾ أي يعرفون هذه اليد الكريمة التي أعطت ولم تأخذ ﴿ إِذَا انْقَلَبُوا

فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ
بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أُنْثَى أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي
أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ
فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرُبُونِ ﴾ قَالُوا سَرَّادُودَ عَنْهُ
أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴾ وَقَالَ لِفَتَاتِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ
فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ ﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا
الْكَيْلُ فَأَرْسَلْنَا مَعَنَا آخَنَانَا نَكْتَلُ وَإِنَّا لَهُمْ لَخَفِظُونَ ﴾
قَالَ هَلْ ءَمِنْتُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ
قَالَ اللَّهُ خَيْرَ حَفِظَ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا
مَتْنَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي
هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَبِمِزْ أَمْثَلِكَ وَتَحَفُّظُ آخَنَانَا

إلى أهلهم لعلهم يرجعون ﴿٦٣﴾ لعل إرجاع البضاعة إليهم يعيّنهم إلى العودة إلينا ، وهذا ما حدث كما تأتي الإشارة .

٦٣ - ٦٥ ﴿٦٣﴾ فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل ﴿٦٤﴾ في المرة الثانية يشيرون بذلك إلى قول يوسف : فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ﴿٦٥﴾ فأرسل معنا أخانا ... ﴿٦٦﴾ ولا تخف عليه ، فذكرهم بما قالوا من قبل : يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصبون ﴿٦٧﴾ ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ﴿٦٨﴾ التي أمر يوسف بردها ووضعها في رحالهم ﴿٦٩﴾ ردت إليهم ﴿٧٠﴾ أسرعوا إلى أبيهم فرحين و ﴿٧١﴾ قالوا يا أبانا ما نبغي ﴿٧٢﴾ وراء هذا الإكرام والإنعام ﴿٧٣﴾ ونمير أهلنا ﴿٧٤﴾ نأتيهم بالبردة وهي الطعام زائدا ﴿٧٥﴾ كيل بعير ذلك كيل يسير ﴿٧٦﴾ نحن بحاجة ماسة إلى الزيادة في الطعام لحمل أباعر لا بعير واحد لكثرة العيال وسوء الحال .

٦٦ ﴿٦٦﴾ قال - لهم أبوهم - لن أرسله معكم ... ﴿٦٧﴾ اذن لهم بأخيهم بنيامين على أن يحلفوا باليهود والمواثيق أن يرجعوه إليه سليماً معافى إلا أن تنزل واقعة ليس لها دافعة ﴿٦٨﴾ فلما أتوه موثقهم ﴿٦٩﴾ واطمأن إليه ﴿٧٠﴾ قال الله على ما نقول وكيل ﴿٧١﴾ حافظ وشهيد بيني وبينكم ، فن نكت قائما ينكت على نفسه .

٦٧ ﴿٦٧﴾ وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة ﴿٦٨﴾ قال الشيخ الطبرسي وغيره من المفسرين :

كان أولاد يعقوب ذوي جمال وبهاء وهيبة وأبهة ، فخاف عليهم النظرة ، وليس هذا ببعيد عن عاطفة الأبوية ، ولكن عاد واستدرك ، وكما هو شأن الأنبياء والأقياء وقال : ﴿٦٩﴾ وما أغني عنكم من الله من شيء ﴿٧٠﴾ إن أراد بكم سوءاً فلا مرد له .

٦٨ ﴿٦٨﴾ ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ﴿٦٩﴾ من الأبواب المتفرقة ﴿٧٠﴾ ما كان يغني عنهم من الله من شيء ﴿٧١﴾ تماماً كما قال لهم أبوهم : « وما أغني عنكم من الله من شيء » حيث اتهموا بالسرقة ، وأخذ منهم أخوهم بنيامين ، يعقوب قضاها ﴿٧٢﴾ ولا حاجة له من الدنيا إلا سلامة يوسف ورجعوا إلى أبيهم من دونه متكررين ﴿٧٣﴾ الا حاجة في نفس وأخيه بنيامين ، واجتماعه بهما قرير العين ، وقد أتم الله له ما أراد له على أحسن حال ﴿٧٤﴾ وإنه لنوع علم لما علمناه ﴿٧٥﴾ ضمير أنه يعود إلى يعقوب ، وكل نبي يعلمه الله من لدنه علماً ، ويؤديه بأدابه ، ومنها الصبر الجميل على البلاء ، والتوكل عليه تعالى في السراء والضراء ، وعدم اليأس من رحمته ، وكل هذه الخصال توافرت في يعقوب .

٦٩ ﴿٦٩﴾ ولما دخلوا على يوسف ﴿٧٠﴾ ومعهم شقيقه بنيامين رحب بهم وأكرمهم ﴿٧١﴾ آوى إليه أخاه ﴿٧٢﴾ اختلى بنيامين و ﴿٧٣﴾ قال - له - إني أنا أخوك ﴿٧٤﴾ يوسف ﴿٧٥﴾ فلا تبتس ﴿٧٦﴾ فلا تحزن ولا تأسف ﴿٧٧﴾ بما كانوا يعملون ﴿٧٨﴾ في بلك فيما مضى ، فإن الله سبحانه قد أحسن إلينا وجمع شملنا ، ولا تخبرهم بما أعلمتك .

٧٠ ﴿٧٠﴾ فلما جهزهم بجهازهم ﴿٧١﴾ أعطاهم الطعام الذي جاءوا من أجله ﴿٧٢﴾ جعل السقاية في رحل أخيه ﴿٧٣﴾

وَزَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٣﴾ قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ لَتَأْتُنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٤﴾ وَقَالَ يَبْنِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أَغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لَمَّا عَلِمْتُه وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٧﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ

بنيامين ، والسقاية لغة : وعاء يسقى به ، والمراد بها هنا : الصواع بدليل قولهم : « نفقد صواع الملك ، والصواع والصاع بمعنى واحد » ثم أذن مؤذن « نادى مناد » أيتها العير « القافلة » انكم لسارقون « فدهش أولاد يعقوب هذه التهمة .

٧١ - ٧٣ - « قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون . قالوا نفقد صواع الملك ولن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم » ضمن المنادي حمل بعير من الطعام لمن يرجع الصاع من تلقاء نفسه « قالوا - أولاد يعقوب - نالقه لقد علمتم ما جئنا لنفصد في الأرض وما كنا سارقين » ويوسف يعلم بأنهم ليسوا بسارقين ، ولكنه أراد أن يفصل شقيقه بنيامين عنهم ، ويبقيه عنده ، ولا يمكن ذلك إلا بمبرر عند اخوته ، وكان من شريعة آل يعقوب استرقاق السارق ، ففسد غلمان يوسف بأمر منه الصاع برحل أخيه ، وقال للمنادي اذن « يا أيتها العير ... » .

٧٤ - « قالوا - غلمان يوسف - فما جزاؤه إن كنتم كاذبين » الخطاب لأولاد يعقوب ، والقصد من هذا السؤال أن يعترفوا صراحة بهذا الحكم :

٧٥ - « قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين » والجملة الثانية توضيح وتوكيد للجملة الأولى ، وهذا اعتراف صريح من أولاد يعقوب بأن السارق يؤخذ عبداً أو أسيراً ، وعليه يسوغ ليوسف أن يأخذ أخاه ويضمه إليه ، ولا يحق لهم أن يمانعوا ويعترضوا .

٧٦ - « فبدأ » المفتش تسوية « بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه » فأخذهم بحكم اعترافهم وإلزاماً لهم بما يدينون « كذلك كدنا ليوسف » أي أوجنا إليه بهذا التدبير كي لا يعترض أولاد يعقوب إذا أخذ يوسف أخاهم أسيراً . وسي كيداً لمكان التورية ، وهي جائزة شرعاً ، شريطة أن لا تحلل حراماً ، ولا تحرم حلالاً « ما كان » يوسف « ليأخذ أخاه في دين الملك » وهو فرعون مصر ، لأن عقوبة السارق في شرعه وقضائه السجن أو الضرب ، ولا يريد يوسف مكروهاً لأخيه ، فأوحى الله إليه بهذا التدبير . « نرفع درجات من نشاء » درجات بالعلم والأخلاق ، لا طبقات بالاستغلال والثروات .

٧٧ - « قالوا » إخوة يوسف : « إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل » يعنون يوسف ! ومن قبل هذه القرية قالوا : أكله الذئب ، وقالت امرأة العزيز : أراد بها السوء ! وغريبة الغرائب أن المفسرين أخذوا بتهمة إخوة يوسف له ، واختلفوا في تعيين الشيء المسروق أو المتهمة به حتى بلغت أقوالهم خمسة فيما رأيت ، وأطرفها قول بعض الصوفية : إن يوسف سرق قلب أبيه « فأفسرها » أي مقاتلهم : « سرق أخ له » يوسف في نفسه ولم يدها لهم « مر فيلسوف بسفيه فشتمه ، فسكت ولم يبلغث إليه ، وحين سئل الفيلسوف عن تجاهله قال : لا أتوقع من الغراب تغريد البلابل » قال « يوسف في نفسه : « أنتم شر مكاناً والله أعلم بما تصفون » من اتهامهم بالسرقة ، وإنها بكم أحق

ثم أذن مؤذن أيتها العير انكم لسارقون « قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون » قالوا نفقد صواع الملك ولعن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم « قالوا نالقه لقد علمتم ما جئنا لنفصد في الأرض وما كنا سارقين » قالوا فما جزاؤه « إن كنتم كذابين » قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين « فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم » * قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأفسرها يوسف في نفسه ولم يدها لهم قال أنتم شر مكاناً والله أعلم بما تصفون »

وَأَلْصَقَ ، والمؤمن الحق لا يزعجه الافتراء الكاذب ما دام على نقية من عدل الله وعلمه ، وهل من درس أبلغ وأنفع من قول الرسول الأعظم (ص) : « ان لم يكن بك غضب علي فلا أبالي » .

٧٨- ﴿ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا ﴾ .
بعد إلزامهم بأن العدل عندهم يقضي باسترقاق أخيهام النجاء إلى الرجاء أن يرحم ويصفح أو يأخذ الفداء والبدل .

٧٩- ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ﴾ . نعوذ به ونلوذ ﴿ ان نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده ﴾ . فهو وحده المطلوب دون سواه .

٨٠- ﴿ فَلَمَّا اسْتِأْذَنُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾ . بعد اليأس من تنازل العزيز عن بنيامين ، انفراد أولاد يعقوب عن الناس وتناجوا فيما بينهم : ماذا يصنعون ؟ وأي شيء يقولون لأبيهم ﴿ قَالَ كَبِيرُهُمْ ﴾ . سنأ : قد استحلقتكم أبوكم أن تردوا عليه بنيامين ، فإذا تقولون له بعد أن فجتموه ييوسف من قبل ، فهو لا يصدقكم ، وإن نطقتم بالصدق .

٨١- ﴿ ارْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ ﴾ . واخبروه بما حدث ﴿ وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴾ . ما توقعنا أن يحدث ما حدث حين أعطيناكم العهود والمواثيق .

٨٢- ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾ . اسأل أهل مصر فكلهم سمعوا حديث السرقة ﴿ وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ . والعير التي أقبلنا فيها ﴿ وَأَيُّضًا اسْأَلِ الْقَافِلَةَ الَّتِي جِئْنَا مَعَهَا ﴾ ، قالوا هذا وأكثر من هذا لأبيهم ، فقال لهم عين ما قال حين جاءوا على قميص يوسف

بدم كذب :

٨٣- ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ . وهل من وسيلة في هذا الموقف وأمثاله إلا الصبر

قَالُوا يٰٓأَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدُنَا مَكَانَهُ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مِنْ وَجْدِنَا مُتَعَانًا ۖ إِنَّآ إِذَا لَطَلَبُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا اسْتِئْذَنُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكَ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكَ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ ۖ وَمِنْ قَبْلُ مَا قَرْنْتُمْ فِي يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أُبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيَ أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي ۖ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ارْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَقُولُوا يٰٓأَبَانَا إِنَّ أَبْنَاكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَيْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسَعَلَ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَدُّقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۚ عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾

الإعراب :

﴿وَأَبَا﴾ اسم ان وشيخاً كبيراً صفة ، ﴿وله﴾ خبر ان . ﴿ومكانه﴾ ظرف منصوب يخذ . ﴿ومعاذ الله﴾ منصوب على المصدرية ، والمصدر من ان نأخذ مجرور بمن محذوفه ، والمصدر المجرور متعلق بمعاذ الله . ﴿وإذاً﴾ فيها معنى الجزاء اي ان أخذنا غيره فنحن ظالمون . ومن قبل متعلق بفرطتم وما في ﴿ما فرطتم﴾ زائدة اعراباً . ويأذن مضارع منصوب بأن بعد حتى . أو يحكم عطف على يأذن . ﴿واسأل القرية أي أهل القرية﴾ ، فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه . والعير أي وأسأل أهل العير . ﴿وصبر﴾ خبر لمبتدأ محذوف ، ﴿وجميل﴾ صفة لصبر أي فامرئ صبر جميل . ﴿وعسى الله﴾ لفظ الجلالة فاعل عسى ، والمصدر من ان يأتي مجرور بالباء المحذوفة أي عسى الله بأن يأتي ، قال ابن الناطم في شرح اللقية : «والحق ان أفعال المقاربة ملحقه بكان اذا لم يفتقر الفعل بعدها بأن ، أما اذا اقترن بها فلا . وجميع حال .

٨٤- ﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ ﴾
تجدد حزنه على يوسف . وترك الناس جانباً منصرفاً إلى همه
وحزنه ﴿ وَايَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ ﴾ أصيبت بالفرحة
﴿ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ لا يظهر حزنه لأحد . بل يتجرعه ويتجلد
على حساب جسمه وأعصابه .

٨٥- ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتُونَ ذَكَرَ يُوسُفَ ﴾ مالك لا تفارق
ذكر يوسف في ليل ونهار ﴿ حَتَّى تَكُونَ حُرَضاً ﴾ مريضاً
﴿ أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴾ مع الأموات . وأية جدوى
من الحزن والبكاء ؟ فارق نفسك وبأهلك . وبالمناسبة نشير
إلى أن الله سبحانه أدينا نحن أمة محمد (ص) بآداب القرآن
الكريم . وأمر أحدنا إذا أصيب بحسبة أن يقول : « إِنَّا لِلَّهِ
وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ أَوَّلُكُمْ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ
وَأَوَّلُكُمْ هُمْ الْمُجْتَنِبُونَ - ١٥٧ البقرة » .

٨٦- ﴿ قَالَ ﴾ يعقوب : ﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي
إِلَى اللَّهِ ﴾ لا إلى الناس . والمراد بالث هنا الهم الذي يقدر
صاحبه على كتمانها . فيثبته ويثبته بلسانه .

﴿ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أرجو من الله كل
خير . وأعلم أن رؤيا يوسف صادقة . ولكن لا أعلم أين هو ؟
وكيف حاله ؟ ولذا قال لبيه :

٨٧- ﴿ يَا بَنِي إِدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا ﴾ تعرفوا واستعلموا
﴿ مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُيَاسُ ﴾
من روح الله ﴿ أَيُّ مِنْ فِرْجِهِ ﴾ إلا القوم الكافرون ﴿
وَالْجَاهِلُونَ : لَأَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُيَاسُ : وَأَيْضاً الْعَاقِلُ لَا يُيَاسُ .

بل يحاول ويناضل . وليس تاريخ الإنسانية إلا جهاداً ومحاولة مستمرة . والنكسول الجبان هو الذي يقعد مع القواعد . ويلقي
اللوم والمسؤولية على الحظ أو على الذين من حوله . أما الشجاع الطموح فيسير إلى آخر الشوط مستعيناً بالله وجهاده والصبر
على كل شدة ومحنة . وهذا هو سبيل التاجين والخالدين أوصى يعقوب بنبيه أن يعودوا إلى مصر مرة ثالثة . فسمعوا ورجعوا
إلى العزيز ٨٨- ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَانَا الضَّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ عَلَى
يُوسُفَ وَبَعُونا . وأقربوه في غيابة الحب كأنه حصاة أو نواة . واليوم يقفون بين يديه يتذللون ويخضعون متوسلين : ﴿ فَأَوْفَ لَنَا
الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ فياله من درس لمن يستصغر الضعفاء . ويتحرك بكبرياء ؟ وهذا كتاب
الله والبيان والتاريخ من فرعون إلى نابليون . إلى هتلر . كل أولاء يقولون : ما من أحد تصور نفسه كبيراً أو عظيماً إلا
وأصبح بعد حين أحقر من حقير .

٨٩- ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ . هل علمتم : عتاب يحمل في أحشائه
النصح والرحمة . وفي الوقت نفسه ينفث فيه المصدورهم . ويشفي غيظه . وبهذا الموقف وأمثاله يثبت المرء قيمته
كإنسان يستحق التبجيل والاحترام .

٩٠- ﴿ قَالُوا أَنْتَ لَأَنْتَ يُوسُفَ ﴾ قالوا هذا وانتظروا الجواب . فكانت هذه المفاجأة التي لا تخطر لهم على بال :
﴿ قَالَ أَنَا يُوسُفَ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ بما ترون

وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَأْسَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ
مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتُونَ ذَكَرَ يُوسُفَ
حَتَّى تَكُونَ حُرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ
يَا بَنِي إِدْهَبُوا بَنِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا
تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ
وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُيَاسُ مِنْ
رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ
قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَانَا الضَّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ
مَرْجُئَةٍ فَأَوْفَ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ
يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يُوسُفَ
وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَنْتَ لَأَنْتَ يُوسُفَ
قَالَ أَنَا يُوسُفَ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مِنْ

٩٩- ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ ﴾

فضمهما إلى بيته وعائلته ، وأنزل إخوته في مكان آخر ، وفي قاموس الكتاب المقدس : أن اسم أم يوسف راحيل ، وهو اسم عبري معناه شاة ، وأنها ماتت عند ولادة بنيامين . وعليه فالمراد بأمه في الآية امرأة أبيه ، وقيل : إنها خالته أخت أمه .

﴿ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ ﴾ أي امكنوا معي في مصر ، واتخذوها وطناً لكم ، ولا يسوغ أن تبقى كلمة الدخول هنا على ظاهرها حيث لا يستقيم عجز الكلام مع صدره إذ يصبح المعنى هكذا بعد أن دخلوا مصر قال لهم : ادخلوا مصر ، وجاء في الأخبار أن فرعون أقطعهم أرضاً خصبة ، وظلت سلالة يعقوب فيها إلى عهد موسى .

١٠٠- ١٠١- ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ أجلسهما على سرير الملك ﴿ وَخَرُّوا لَهُ سُجُوداً ﴾ تكرّماً لا تعبداً ، لأن العبادة لا تسوغ إلا لله ﴿ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ يشير بهذا إلى قوله في أول السورة : يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي ... ﴾ يعدد آلاء الله عليه حامداً شاكراً ، وفي نهج البلاغة لم تعظم نعمة الله على أحد إلا ازداد حق الله عليه عظماً ﴿ أَنْتَ وَلِيِّيَ ﴾ تتولى أمري وتقسم به ﴿ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تُوفِّيْهِ مُسْلِمًا ﴾ لا يمتني إلا وأنت عني راض ، وهذه اللحظة هي الأصل والأساس ، وفيها يتقرر المصير .

١٠٢- ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ الخطاب

لمحمد (ص) والمعنى أن ما أخبر به محمد عن يوسف لم يشاهده بنفسه أو يقرأه في كتاب أو يسمعه من إنسان ، وإذن فهو وحى من الله دال على صدقه ونبوته ﴿ وَمَا كُنْتُ لَدَيْهِمْ ﴾ ما كنت حاضراً مع إخوة يوسف ﴿ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ ﴾ عزموا على إلقائه في الحب ﴿ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ يبيسون ويكيدون له ، ما كنت حاضراً معهم وعندهم ، ولكن الله سبحانه أخبرك بذلك وأوحى به إليك ، لتخبر عنه بدورك ، ويكون إخبارك هذا حجة لله ولك على من جحد برسالتك .

١٠٣- ﴿ وَمَا أَكْثَرَ النَّاسَ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ اجتهد محمد (ص) وحرص كل الحرص على دعوة الناس إلى الحق ، وأقام الأدلة الوافية الكافية على صدقه ، فأبى أكثر الناس أن يؤمنوا ويصدقوا كما قال سبحانه : « ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفوراً - ٨٩ الاسراء » وإذن فالذنوب ذنوبهم لا ذنب محمد (ص) وأدلته ، وفوق ذلك أن رسالة محمد أثبتت على مدى القرون وإلى آخر يوم ، سموها وكماها ، ومع هذا بقيت الكثرة الكاثرة على جحودها ، والسر أن الإنسان يقاد من شهوته ومعدته لا من عقله وفطرته كما أشرنا أكثر من مرة .

١٠٤- ﴿ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ وهنا يكمن سر الإعراض عنه ! إنه دعاء إلى الحق . والحق ثقيل إلا على الأبرار وهم أقل من القليل .

إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴿٩٩﴾
وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ مُجْتَدِعًا وَقَالَ تَبَّأَتِ
هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ
أَحْسَنَ بِي إِذْ أَنْزَلَنِي مِنَ السَّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنْ
الْبَدُونِ مِنْ بَعْدِ أَنْ تَرَجَّ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ
رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾
* رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ
الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَلِكَ
مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتُ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا
أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا أَكْثَرَ النَّاسَ وَلَوْ حَرَصْتَ
بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ

١٠٥- ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ ﴿كَأَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ يَقُولُ لِنَبِيِّهِ الْكَرِيمِ : هَيَّوْنَ عَلَيْكَ وَلَا تَحْزَنْ إِذَا كَفَرُوا بِكَ وَبِمَا تَمْلِكُ مِنَ الْأَدْلَةِ وَالْبَرَاهِينِ ، فَإِنِّي خَلَقْتَهُمْ مِنْ لَا شَيْءٍ ، وَرَزَقْتَهُمْ ، وَأَسْبَغْتُ عَلَيْهِمْ نَعْمِي ظَاهِرَةً وَرِبَاطَةً ، وَأَقَمْتُ لَهُمُ الْأَدْلَةَ عَلَى وَجُودِي فِي أَنْفُسِهِمْ وَفِي الْأَفَاقِ ، وَمَعَ ذَلِكَ جَادَلُوا وَعَانَدُوا وَجَحَدُوا .. فَأَمَلْتُ وَسَتَرْتُ وَمَا عَاجَلْتُ ، فَعَلَامَ تَحْزَنْ أَنْتَ وَتَبْتَنَسَ بِمَا يَفْعَلُونَ ؟ وَفِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ : « فَوَاللَّهِ لَقَدْ سَتَرْتُ حَتَّى كُنْتُ أَنَا قَدْ غَفَرْتُ » .

١٠٦- ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ ﴿مَنْ جَعَلَ لِلَّهِ أَكْثَرَ مِنْ آمَنَ بِهِ ، وَأَكْثَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ هُمْ وَالْحَاحِدُونَ بِمُتَرَلِّسَةٍ سِوَاهُ ، لِأَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا يُوحِدُونَ ، وَالشُّرَكَ فِي حُكْمِهِ تَعَالَى أَعْظَمُ مِنَ الْإِلْهَادِ ، وَلِلشُّرَكَ أَشْكَالٌ وَأَلْوَانٌ : مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ إِلَى تَحْرِيمِ الْحَلَالِ وَتَحْلِيلِ الْحَرَامِ ، وَمِنْ الرِّيَاءِ إِلَى عِبَادَةِ الْمَالِ ...

١٠٧- ﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾ أَيِ كَارِئَةٍ تَغْصِمُهُمْ وَتَبِيدُهُمْ .

١٠٨- ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي﴾ أَيِ طَرِيقَتِي وَسُنَّتِي ، وَفِي ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ وَالِدَعَاءِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى دَعَاءُ إِلَى الْعِلْمِ وَالْعَقْلِ وَالْحَقِّ وَالْعَدْلِ فِي حَيَاةِ النَّاسِ أَفْرَادًا وَجَمَاعَاتٍ . هَذَا هُوَ الْإِسْلَامُ فِي جَوْهَرِهِ ، فَهَلْ يَفْتَقِرُ إِلَى الدَّلِيلِ عَلَى صِحَّتِهِ وَصِدْقِهِ ؟ وَأَيُّ عَاقِلٍ يَقُولُ : مَا الدَّلِيلُ عَلَى وَجُوبِ الْعَمَلِ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَاتِّبَاعِ الْعِلْمِ وَالْعَقْلِ ؟ .

١٠٩- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿إِلَّا رِجَالًا﴾ لَا نِسَاءَ وَلَا مَلَائِكَةً ﴿نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ أَيِ كَسَائِرِ النَّاسِ مَعْرُوفِينَ بِأَنْسَابِهِمْ وَبِلَادِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ ... ﴿تَقْدِمُ فِي الْآيَةِ ١٣٧ مِنْ آلِ عِمْرَانَ ١١١ مِنَ الْأَنْعَامِ .

١١٠- ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَرَ الرَّسُولُ﴾ مِنْ إِيمَانِ الْمُشْرِكِينَ ، وَعَلِمُوا عِلْمَ الْيَقِينِ بِأَنَّهُ لَا أَحَدَ يُؤْمِنُ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ مِنْ قَبْلُ ﴿وَطَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا﴾ أَيِ بَعْدَ أَنْ طَالَ أَمَدُ الْعَذَابِ ظَنَّ الرَّسُولُ أَنَّ بَعْضَ أَتْبَاعِهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِمْ قَدْ ارْتَابُوا بِمَا وَعَدَ بِهِ أَنْبِيَائُهُمْ ﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ بَعْدَ أَنْ طَالَ الْإِنْتِظَارُ وَضَاقَ الْحَالُ ، وَظَنَّ النَّاسُ بِاللَّهِ وَأَنْبِيَائِهِ الظُّلُومَ جَاءَ الْفَرَجُ ، قَالَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ (ع) : عِنْدَ تَنَاهِي الشَّدَةِ تَكُونُ الْفَرَجَةُ ، وَعِنْدَ تَضَاقُكِ الْبَلَاءِ يَكُونُ الرَّجَاءُ

١١١- ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ قِصَصُ سَبْحَانَهُ عَلَى نَبِيِّهِ أَخْبَارِ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ ، وَمِنْهَا خَبَرُ يُوسُفَ مَعَ إِخْوَتِهِ ، وَفِي هَذِهِ الْقِصَصِ وَالْأَخْبَارِ الْعَدِيدِ مِنَ الْقَوَائِدِ الْجَدِيدَةِ بِالتَّفْكِيرِ وَالتَّنْدِيرِ ، مِنْهَا أَنَّ الْعَاقِبَةَ لِلصَّابِرِينَ الْمُتَّقِينَ ، وَأَنَّ دَائِرَةَ السُّوءِ تَدُورُ عَلَى الطَّغَاةِ الْمُفْسِدِينَ ، وَمِنْهَا أَنَّ هَذِهِ الْقِصَصَ حُجَّةٌ كَافِيَةٌ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ (ص)

لِّلْعَالَمِينَ ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ ﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ

عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾

(١٣) سُورَةُ الْاِنْعَامِ
وَايَاتُهَا ثَلَاثٌ وَارْبَعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَرْ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾
اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرَجَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بَلِّغَاءُ

لأنها إخبار بالغيب ، وغير ذلك ﴿ ما كان ﴾ هذا القرآن ﴿ حديثاً يُفترى ﴾ من دون الله ﴿ ولكن ﴾ كان ﴿ تصديق الذي بين يديه ﴾ من كتب سماوية ﴿ وتفصيل كل شيء ﴾ من العقيدة وأدلتها ، والشرعة وأحكامها . والأخلاق وتعاليمها ﴿ وهدى ﴾ لمن طلب الهداية ورغب فيها ﴿ ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ ولم يلبسوا إيمانهم بحقد وظلم ، وحسد ولؤم . وهو سبحانه المسؤول أن يعاملنا بلطفه ورحمته بالنبي وعترته ، عليه وعليهم أفضل الصلوات .

سُورَةُ الْاِنْعَامِ وَهِيَ ثَلَاثٌ وَارْبَعُونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ - ﴿ المر ﴾ تقدم في أول البقرة ﴿ تلك آيات الكتاب ﴾ آيات هذه السورة هي من القرآن ﴿ والذي أنزل إليك من ربك الحق ﴾ أجل القرآن حق لا ريب فيه ، لأنه يقول : « وأن ليس للانسان إلا ما سعى - ٣٩ النجم ... إن أكرمكم عند الله اتقاكم - ١٣ الحجرات ... إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك خير البرية - ٦ البينة » .

٢ - ﴿ الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ﴾ وجملة ترونها صفة للسموات لا للعمد ، والمعنى أن الكواكب التي ترونها في السماء لا تقوم على شيء ، بل وضعت منذ البداية في مكان محدد بكل دقة ، لا تحتاج معه إلى تكأة أو ركيزة . وقال الإمام علي في مستدرک نهج البلاغة : « رفع سبحانه السماء بغير عمد ، وسط الأرض على الهواء بغير أركان » ثم استوى على العرش ﴿ كتابة عن الملك والسيطرة وتقدم في الآية ٥٤ من الأعراف و ٣ من يونس ﴾ وسخر الشمس والقمر ... ﴿ تقدم في الآية ٥٤ من الأعراف ﴾ يدبر الأمر ﴿ المراد بالامر الخلق ، وبالتدبير الإحكام والمهينة ﴾ بفصل الآيات ﴿ في كتابيه : الكوني والقرآني .

الإعراب :

﴿ ما كان ﴾ فيها ضمير مستتر يعود الى القرآن أو المثلو ، ﴿ وحديثاً ﴾ خبر كان . ﴿ وتصديق ﴾ خبر لكان محذوف مع اسمها أي ولكن كان القرآن تصديق الذي بين يديه ، ﴿ وتفصيلاً ﴾ وهدى ورحمة . عطف على التصديق . ﴿ تلك آيات الكتاب ﴾ مبتدا وخبر . ﴿ والذي أنزل ﴾ مبتدا والحق خبر .

رَبِّكَ تُوقِنُونَ ﴿١٠﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ﴿١١﴾ وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٢﴾ وَفِي الْأَرْضِ قَطْعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صُنُونٌ وَغَيْرُ صُنُونٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٣﴾ * وَإِن تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَوَّارْنَا لَنُخْلِقَ جَدِيدًا أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ وَأُولَئِكَ الْأَعْلَىٰ ﴿١٤﴾ فِي أَغْصَانِهِمْ وَأُولَئِكَ أَتَخَبَّ السَّارِهِمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٥﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ ﴿١٦﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ

٣- ﴿ وهو الذي مَدَّ الأرض ﴾ بسطها ووسعها ﴿ وجعل فيها رواسي ﴾ ألقى في الأرض جبالاً راسخات شامخات ﴿ وأنهاراً ﴾ قرن سبحانه الأنهار بالجبال . لأن الماء يتسجر من تحتها ﴿ ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين ﴾ في التفسير القديمة أن الزوجين أو الاثنتين هما « أسود وأبيض وحلو وحامض ورطب ويابس » ! ونسي المفسرون القدامى أن في الثمر ما هو أصفر وأخضر ولا حلو ولا حامض . وفي التفسير الجديدة أن المراد بالزوجين الذكر والانثى ، وأن الشجر وغيره من النبات لا ينتج إلاً باللقاح بطريق أو بآخر ﴿ يغشى الليل النهار ﴾ في يغشى ضمير مستتر يعود إليه تعالى ، والليل مفعول أول والنهار مفعول ثانٍ . يأتي أحدهما بعد الآخر ويغويه ، وتقدم في الآية ٥٤ من الأعراف .

٤- ﴿ وفي الأرض قطع متجاورات ﴾ يلتصق بعضها ببعض ، ومع ذلك تتنوع إلى خصبة وجدة ، وسيكة ورقيقة ، وصفراء وبضياء ... ولا سر إلا أمر الله وتديره في خلقه .

﴿ وجنات من أعناب ﴾ بساتين من الكرمه ﴿ وزروع ﴾ من أنواع شتى ﴿ ونخيل صنوان ﴾ هي النخيلات من أصل واحد غير متنوع ، لأن النخل على أنواع ﴿ وغير صنوان ﴾ هي النخيلات من أصول متعددة متنوعة ، وخص سبحانه الأعناب والنخيل بالذكر ، لأنهما الثمر الغالب في ذاك العصر ﴿ يسقى بماء واحد ﴾ كالطرر أو النهر ، وأيضاً التربة واحدة ، ومع ذلك يختلف الثمر لوناً وحجماً ورائحة وطعماً ، والسر حكمة الله وتديره ﴿ ونفضل بعضها على بعض في

الأكل ﴾ طعماً ومذاقاً حتى ثمرات الشجرة الواحدة يختلف طعم بعضها عن بعض ، بل وجبات الرمان والعنب في علاقة واحدة .

٥- ﴿ وإن تعجب فعجب قولهم إذا كنا تراباً ... ﴾ أنتعجب يا محمد من الذين كذبوك ؟ إن تكذيبهم بالبعث أعجب وأغرب « فلينظر الإنسان مم خلق ، خلق من ماء دافق ... إنه على رجعه لقادر - ٨ الطارق » وتقدم في الآية ٣٦ من الأنعام و ٥٧ من الأعراف ، ويأتي .

٦- ﴿ ويستعجلونك بالسئية قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلثات ﴾ المراد بالسئية هنا العذاب ، وبالحسنة العافية ، وبالمثلثات العقوبات ، دعا رسول الله (ص) المشركين إلى التوحيد ، وتوعدهم بالعذاب إن استكفروا . فسخرُوا وقالوا : عجل بحسابك وعذابك . قالوا هذا ولم يتعظوا بعقوبات أمثالهم من المكذبين الأولين ﴿ وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب ﴾ جمعت هذه الآية بين الرجاء والخوف ، وهما وصفان متلازمان في المؤمن الحق ، لا ينصل أحدهما عن الآخر ، فمن صح رجاءه لرحمة الله صح خوفه من نقمته ، ومن صح خوفه من نقمته صح رجاءه لرحمته . أما من خاف من عقابه وبئس من رحمته أو رجا ثوابه دون أن يخاف من عقابه - فما هو من الإيمان في شيء .

٧- ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ﴿ رسول الله ﴾ آية من ربه ﴾ معجزة اقترحها عليه المشركون نعتناً ، وتقدم في الآية ٣٧ من الأنعام و ٢٠ من يونس ﴾ انما أنت منظر ﴾ تحذر الطغاة والعصاة من سوء العقابية ﴾ ولكل قوم هاد ﴾ يهديهم إلى الصراط القويم ، أما المعجزات فهي بيد الله وحده .

٨- ﴿ الله يعلم ما تحمل كل أنثى ﴾ من ذكر أو أنثى ﴾ وما تغيض الأرحام ﴾ أي تنقص عن مدة الحمل بحيث تلد أو تسقط لأقل من تسعة أشهر ﴾ وما تزداد ﴾ عن التسعة ، وافقت المذاهب الإسلامية على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر ، واختلفوا في أقصاها ، فقال أبو حنيفة : سنتان . وقال مالك والشافعي وابن حنبل : أربع سنين . وافقت الشيعة الإمامية على أن مدة الحمل لا تزيد ساعة عن السنة . وهذا ما أثبتته الطب الحديث ، وفي رأينا أن تحديد مدة الحمل يجب تركها للأطباء وأهل الاختصاص ، لأن الحمل موضوع طبيعي لا شرعي كالصلاة والصيام ، والشارع يقر ويمضي ما يقوله العلم ، وعلى هذا تحمل الأحاديث الواردة في باب الحمل ﴾ وكل شيء عنده بمقدار ﴾ يخضع في وجوه وجميع أوضاعه لنظام يلائمه ، ذبوه وأتقنه علمه حكيم ٩- ﴿ عالم الغيب ﴾ يعلم ما غاب عنا علمه ﴾ والشهادة ﴾ ما نراه نحن ونشاهده ﴾ الكبير ﴾ في ذاته وصفاته وأفعاله ﴾ المحال ﴾ العالي الذي لا شيء فوقه ، وكل شيء دونه .

لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ﴿ آية من ربه ﴾ لئما أنت منذر ﴿ ولكل قوم هاد ﴿ الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد ﴿ وكل شيء عنده بمقدار ﴿ علم الغيب والشهادة الكبير المتعال ﴿ سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارِبُ بالنهار ﴿ له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴿ وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال ﴿ هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً ﴿ ويُنشئ السحاب أنفالاً ﴿ ويسخّر الرعد بحمده والملائكة من خيفته ﴿ ويرسل الصواعق فيصيب بها

١٠- ﴿ سواء منكم من أسر كل سر عند الخلق علانية عند الخالق وكل غيب عنهم هو شهادة عنده تعالى .

١١- ﴿ له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ﴾ الهاء في « له » وما بعدها تعود إلى الإنسان ، والمعقبات كناية عن حواس الإنسان وغرائزه ، و « من » في قوله تعالى « من أمر الله » بمعنى الباء أي بأمر الله ، واذنه ، والمعنى أن الله سبحانه خلق الإنسان ، وجعل له السمع والبصر والفؤاد ليهتدي بها إلى ما يريد ، ويحترز عما يكره ، وقال المفسرون القدامى : المراد بالمعقبات ملائكة تنزل من السماء إلى الأرض لتحرس كل فرد من أفراد الإنسان في كل ثانية من حياته ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ ما من شك أن الله لا يغير ما بنا من جهل حتى نبني المدارس والجامعات والمختبرات ، والله لا يغير ما بنا من فقر حتى ننشئ المزارع ونقيم المصانع ، والله لا يغير ما بنا من ذل وهوان وعبودية حتى ننشق قلباً واحداً ونجاهد يداً واحدة ضد كل معتبر أثيم . والله لا يغير ما بنا من شتات حتى نتحرر من الأغراض والشهوات . قال عز من قائل : « من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجنيه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون - ٩٧ النحل » ﴿ وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال ﴾ المراد بالسوء هنا العذاب ، ومتى أراد الله سبحانه لإنسان أوفقة فلا منجى مما أراد ، والله عادل وحكيم لا يؤذّب ويعذّب إلا بحق وسبب موجب ، بل ويعفو عن كثير .

١٢- ﴿ هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً ﴾ البرق يبشر بالخطر ، وهو خير إن أنبت الزرع وأدر الضرع . وهو شر إن يك حوسماً وسوياً ، وكان الإمام علي (ع) يقول في صلاة الاستسقاء : « اللهم اسقنا ذلل السحاب دون صعبها . فإذا رأينا البرق رجونا أن يكون بشري بين يدي رحمة

وخفا أن يكون نذيراً بعذابه في آن واحد .

﴿ وينشئ السحاب الثقال ﴾ يرفعها من الأرض بخاراً ، ويحولها إلى ماء ، فتثقل به ، وأشرنا أكثر من مرة أن الله سبحانه يجري الأمور على أسبائها ، ويسيرها تبعاً للتواميس الكونية ، ثم يسندھا إليه مباشرة ، لأنه خالق كل شيء ومدبره .

١٣- ﴿ ويسبح الرعد بحمده ﴾ كل مخلوق يترجم بلغته عن قدرة الخالق وعظمته تماماً كالحسنات والصلحات تسبح بحمد من أصلح وأحسن ﴿ وهم يجادلون في الله ﴾ يجادل الجاحدون والمعادنون في وجوده تعالى أو في قدرته على البعث أو في نبوة محمد (ص) مع وضوح الدلائل والبيّنات ﴿ وهو ﴾ سبحانه ﴿ شديد المحال ﴾ أي شديد الأخذ والبطش ، قال تعالى : ﴿ إن بطش ربك لشديد - ١٢ البروج .. إن أخذه أليم شديد - ١٠٢ هود .

١٤- ﴿ له دعوة الحق والذين يدعون من دونه ... ﴾ إن الله سبحانه هو الحق ، فمن عمل له وتوكل عليه أجزل له الثواب ، ومن عصى وتمرد حقت عليه كلمة العذاب ، ومن دعا غيره فقد دعا باطلاً وسراباً تماماً كالظامئ يحسب الدخان سحاباً والسراب ماء ، فيمد كفيه ليمسها بالماء ، ويفتح فاه ليشرب ويبرد غلته ، وإذا بالآمال تنبخر إلى حشرات وزفرات .

١٥- ﴿ والله يسجد ﴾ أي يخضع وينقاد لأمره تعالى وقضائه ﴿ من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً ﴾ تقدم في الآية ٨٣ من آل عمران ﴿ وظلالهم بالغدو والآصال ﴾

ظلال : جمع ظل ، وهو خيال الجسم ، والغدو : جمع غدة وهي الصباح ، والآصال : جمع أصيل وهو المساء وهو العصر والمغرب ، والمعنى حتى ظلال الأشياء تنقاد لأمره تعالى ولو بالواسطة والتبعية ، أو كناية عن العموم والشمول لكل ماله نحو من أنحاء الوجود . ١٦- ﴿ قل ﴾ يا محمد لمن رأى التدبير حتى في نفسه وجحد المدير : ﴿ من وب السموات والأرض ﴾ الله أو غيره أو وجدت صدقة ؟ ﴿ قل الله ﴾ واحداً أحداً قبل أن يبيحوك بشيء ، لأن هذا السؤال يحمل في طبيعته الجواب الكسافي تماماً كقول القائل : المربع غير المربع ﴿ قل أفأتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرراً ﴾ أمر سبحانه نبيه الكريم أن يقول لعبدة الأصنام : إنكم تمسدون أحجاراً لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرراً ، فكيف تملك ذلك لغيرها ؟ ﴿ قل هل يستوي الأعمى والبصير ﴾ وأيضاً هذا السؤال يحمل جوابه في صلبه بوالمراد بالأعمى هنا من أنكر الحق وهو يرى بنيانه وبرهانه ، وضده البصير ﴿ أم هل تستوي الظلمات والنور ﴾ الظلمات كناية عن الضلال والفساد ، والنور كناية عن الهدى والصلاح ﴿ أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم ﴾ هل الأصنام التي يعبد المشركون مثل ما خلق الله تماماً بلا أدنى تفاوت ، فحملهم ذلك على الاشتباه والخلط بين خلق الله والأصنام حتى جعلوا مع الله إلهاً آخر ؟ ﴿ قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار ﴾ الإيمان بالله الواحد هو أصل الأصول في الإسلام ، ومن هنا تكرر التوحيد في العديد من آياته ، وبخاصة في الآيات المكية حيث كان للشرك أرباب وأقطاب .

١٧- ﴿ أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها ... ﴾ ضرب سبحانه في هذه الآية مثالين : مثلاً للحق في ثباته

مَنْ بَسَاءَ وَهُمْ يَحْدِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾
لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ
لَهُمْ شَيْءٌ إِلَّا كِبَاسٌ كُفٍّ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ
بِیَبْلُغِهِ وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾
وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا
وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿١٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ
لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسِهِمْ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي
الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ
أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ
قُلْ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾ أَنْزَلَ مِنَ
السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا

وفوائده ، ومثلاً للباطل في زواله ومفساده ، فالحق وأهل الحق تماماً كالماء ، ينزل من السماء فتسيل به أودية ، كل واد يحبس طولاً وعرضاً كما توحى كلمة « بقدرها » وتبقى آثار الماء في الأرض والعيون والآبار وفي الزرع والحبوب والشمار ، وأيضاً الحق وأهل الحق كالمدان والجواهر من ذهب وفضة يصاغ منها الحلي وأدوات الزينة ، ومن حديد ونحاس يصنع منها ما ينفع الناس . أما الباطل فهو تماماً كالزبد الذي يرمي به السيل وكالزبد الخبيث الرديء الذي يطفو فوق المعدن حين يذاب بالنار ﴿ كذلك يضرب الله الحق والباطل ﴾ أي يشبه الحق بالماء والمعدن اللذين ينتفع بهما الناس ، ويشبه الباطل بزبد السيل والمعدن ، ومعنى هذا أن الباطل لا يثبت أمام الحق ، وعلى حد تعبير الإمام علي (ع) : « من صارع الحق صرعه » .

هذا هو الإسلام : ﴿ فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ﴾ ومعناه في واقعه وجوهره حيثما تكون منفعة الناس يكون الإسلام بلا كلام ، وما هو مجرد أشكال وترتيل ولا تنجيم وصراخ بالتهليل وكفى .. هذا هو الفهم الإنساني الحيوي لدين الحق والقلب والعقل .

١٨ - ﴿ للذين استجابوا لربهم الحسنى ﴾ أي لدعوة ربهم ، وهي لمنفعة الناس وحياة أفضل ، والمراد بالحسنى الجزء الأحسن ﴿ والذين لم يستجيبوا له ﴾ وهم الذين لا خبير فيهم تماماً كالزبد والقمامة ﴿ لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه لاقتلوا به ﴾ ولمن تعطى هذه القدية أو الرشوة لله أم لجبريل أم لمحمد (ص) ؟ وتقدم في الآية ٩١ من آل عمران و٤٥ من يونس .

١٩ - ﴿ أفمن يعلم أنما ﴾ . أنما كلمتان : أن وما اسمها ﴿ أنزل إليك من ربك ﴾ يا محمد ﴿ الحق ﴾ خبر أن ﴿ كمن هو أعمى ﴾ من يؤمن بمحمد (ص) فهو البصير ، ومن أعرض فهو الأعمى . هل يستويان مثلاً ؟ أفلا تذكرن ؟ ٢٠ - ﴿ الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ﴾ الوفاء بشئى فروعه وأنواعه ، من خلق الأنبياء ، وهو من أمهات الفضائل ، فالوفاء للعقيدة دليل على صدق الإيمان وورسخه ، والوفاء للوطن يوحى بالأصالة والأمانة ، ووفاء الصديق لصديقه يبعث على حب الناس والثقة بهم ، والغدر على النقيض . وأقبح أنواع الغدر على الإطلاق من غدر بمن يحبه ويخلص له ، ولا يطلب ثمناً على ذلك إلا من الله ظناً منه أن صديقه المحبوب من أهل الله .

٢١ - ﴿ والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ﴾ وهو أن بناصر الإنسان أخاه ، ويتعاون معه على كشف الضر عنه ، وجلب المنفعة له ، وبكلمة أن يشعر بالمسؤولية عنه ﴿ ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ﴾ عملياً لا نظرياً ، وفعللاً لا قولاً فقط ، قال الإمام علي (ع) : بالإيمان يستدل على الصالحات ، وبالصالحات يستدل على الإيمان .

٢٢ - ﴿ والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم ﴾ يجاهدون في سبيل الله والحق ، ويصبرون على جراح الجهاد وآلامه ، ولا يبتغون جزاء ولا شكوراً إلا مرضاة الله وحده ﴿ وأقاموا الصلاة ﴾ يحدودها الشرعية المذكورة في كتب الفقه ، ولا فرق إطلاقاً بين من ترك الصلاة ، ومن اتبع الشهوات بنص القرآن الكريم : « أصاعوا الصلاة واتباعوا »

رَأْيَا وَمَا يُوقَدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ هُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أَوَلَيْكَ هُمْ سُوءَ الْحِسَابِ وَمَا وَنَهُمْ جَهَنَّمَ وَبُئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٨﴾ * أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقَّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَنْذَرُكَ أَوَلُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوَفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا

الشهوات فسوف يلقون غياً - ٥٩ مريم ﴿ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سراً وعلانية ﴾ وهذا الإنفاق حتى اجتماعي ، وليس إحساناً وتفضلاً ، قال سبحانه : ﴿ في أموالهم حق معلوم - ٢٤ معراج ﴾ ﴿ ويدرون بالحسنة السيئة ﴾ يدفعون القبيح بالحسن - وفي نهج البلاغة : عاتب أخاك بالإحسان إليه . وازداد شرفه بالإععام عليه ﴿ أولئك لهم عقبى الدار ﴾ أحسن الجزاء .

٢٣ - ٢٤ - ﴿ جنات عدن يدخلونها ﴾ إقامة دائمة . ونعمة قائمة ﴿ ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ﴾ يجمع الله بينهم في الجنة وبين الأقربين والأهلين - شريطة أن يكونوا جميعاً من الصالحين وإلا فلا أنساب وأصحاب يومئذ بنص الآية ١٠١ من « المؤمنين » و٦٧ من الزخرف ﴿ والملائكة يدخلون ﴾ على أهل الجنة مسلمين ومهشين بدار السلام وعز المقام .

٢٥ - ﴿ والذين ينقضون عهد الله ﴾ بعد أن ذكر سبحانه صفات الصالحين ومآلهم أشار إلى حال الفاسدين ومصيرهم وهم على الضد من أولئك . لا يعرفون إلا الغش والغدر . ولا يندسرون إلا البغي والجور . ويملاؤن الأرض شراً فساداً ﴿ أولئك لهم اللعنة ﴾ الخزي والهوان والحرمان من كل خير وفضيلة ﴿ ولهم سوء الدار ﴾ سوء العاقبة والجزاء .

٢٦ - ﴿ الله ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾ وتساءل : ظهر هذه الآية أن الرزق بيد الله وأنه هو الذي يوسع ويضيق

على من يشاء علماً بأن الله سبحانه أمر بطلب الرزق والسعي له في الآية ١٥ من الملك حيث سمع : « هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فمشوا في مناكبها وكلوا من رزقه فما هو وجه الجمع ؟ الجواب : لا تضاد بين الآيتين ، لأن الرزق كله من الله سواء أتى من السعي أم من غير احتساب . والفرق أن السعي وسيلة وأداة . وتكلمنا حول الرزق كثيراً في التفسير الكشف وفي ظلال نهج البلاغة . وأحسنه فيما نرى ما قلناه في تفسير قول الإمام (ع) : الرزق رزقان : رزق تظلمه ورزق يطلبك . فإن لم تأت أنتك ﴿ وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا ﴾ في الآخرة إلا منافع ﴿ لا مجبوه ولا مشككة بين الدين والدنيا ﴾ وبين المال والدين الحلال من جهة ثانية ، بل هدد مطية ووسيلة إلى تلك . وإنما التعارض والتضاد بين الدين والدنيا الحرام . بين السلب والاستغلال والزهادة والتقوى وتقدم في ١٨٥ من آل عمران - ٢٧ ﴿ ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه ﴾ تقدم في العديد من الآيات ١١٨ من البقرة ﴿ قل إن الله يضل من يشاء ﴾ ولن يشاء عبداً . بل لسبب موجب . وهو أن يسلك العبد طريق العبادة والضلالة بإرادته وسوء اختياره . وتقدم في الآية ٨٨ من النساء ﴿ ويهدي إليه من أناب ﴾ من أعرض عن الباطل ، وأقل على الحق ، وهدى دليل قاطع على أن الله سبحانه يعامل العبد بما يختاره لنفسه . من اهتدى فاهتدى بهتدى لنفسه ومن ضل فاهتدى بهتدى ضلها - ١٥ الأسراء - ٢٨ ﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم ﴾ . الإطمئنان أعلى مراتب الإيمان حيث تطيب النفس وتركن إلى الله وحده ولا ترضى بغيره بدبلاً ، وأوضح تحديد للقلب المؤمن المطمئن قول الإمام زين العابدين ومعدن العلم والتدين :

الصلوة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ويدرون
إحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار ﴿٢٣﴾ جنات عدن
يدخلونها ومن صلح من آباؤهم وأزواجهم وذرياتهم
والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ﴿٢٤﴾ سلم عليهم
بما صبرتم فنعيم عقبى الدار ﴿٢٥﴾ والذين ينقضون
عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن
يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم
سوء الدار ﴿٢٦﴾ الله ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر
وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة
إلا مناع ﴿٢٧﴾ ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية
من ربه قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه
من أناب ﴿٢٨﴾ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم يذكر الله

« اللهم اني إليك أفر ، ومنك أخاف ، وبك أستغيث ، وإياك أرجو ، ولك أعود ، وإليك ألتجأ ، وبك أتق ، وإياك أستعين ، وبك أؤمن ، وعليك أتوكل » .

٢٩- ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ أبداً لا فصل بين الإيمان والعمل الصالح . لأن الإيمان قوة دافعة إلى الخير لا يصددها عنه أي حاجز وراذع ﴿ طوبى لهم وحسن مآب ﴾ والمراد بطوبى الجنة والمآب : المرجع والمقلب .

٣٠- ﴿ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ ﴾ يا محمد ﴿ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ ... ﴾ أرسل سبحانه إلى الأمم الماضية رسلاً مبشرين ومنذرين ، وهذه الغاية بالذات أرسل محمداً ، فأنى بدع في ذلك ؟ فما هم بأول قوم أرسل الله إليهم رسولا ، ولا هو بأول رسول يتلو على الناس ما أوحى إليه من ربه ﴿ قل هوربي لا إله إلا هو ﴾ وأنتم به كافرون ﴿ عليه توكلت ﴾ في جميع أموري ﴿ وإليه متاب ﴾ من تاب بمعنى رجع .

٣١- ﴿ وَلَوْ أَن قَرَأْنَا سِيرَتِ بِهِ الْجِبَالِ ﴾ تحركت ومشت تلقائياً ﴿ أَوْ قَطَعْتَ بِهِ الْأَرْضِ ﴾ إلى أجزاء ، ويستقل كل جزء بنفسه عن الآخر ﴿ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتِ ﴾ أحياءها القرآن وأخرجها من القبور ، وجواب « لو » محذوف ، والتقدير لو حدث كل ذلك ما آمنوا بالقرآن ولا بمحمد (ص) والسر أن الحق يجذب إليه من يؤمن به وبوجوده مستقلاً عن ذاته وشهوته ، وهو يتوخاه ويبعث عنه ليعمل به ، أما من لا يرى الحق والخير إلا فيما يشتهي وهوى - فيستحيل أن يفهم إلا بلغة الهوى والغرض أو بلغة القوة حتى ولو تحول

الجليل قطارا ، والقطار جبلا ﴿ أَفَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعاً ﴾ المراد بالذين آمنوا هنا خصوص صحابة الرسول (ص) حيث تمنوا متلفين أن يؤمن المشركون بالله ورسوله ، فقال لهم سبحانه : ألم تياسوا من إيمان هؤلاء المعاندين ؟ وإلى متى تطعمون في هدايتهم ؟ ولو شاء ، جلت حكمته ، لأجأهم إلى الإيمان وإن كانوا له كارهين ، فدعواهم لشأنهم ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرْيَةً مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ ﴾ المراد بالذين كفروا هنا خصوص من كذب وحارب محمداً ، والمعنى أن هؤلاء الطغاة لا يتركهم الله في الدنيا من غير تأديب ، بل ينزل عليهم الكوارث والبلايا ، أو ينزلها بالقرب منهم حتى تمتلئ قلوبهم رعباً عسى أن يعظ بعضهم ويؤمن .

٣٢- ﴿ وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ بِرُسُلِكَ ﴾ يا محمد ﴿ فَأَمَلَيْتَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا لَمْ أَخْذْهُمْ ﴾ بالعذاب يقول سبحانه لنبيه مسلماً : هون عليك ما أصابك من قومك ، فلك أسوة بمن كان قبلك من الأنبياء ، فقد تألب عليهم أقوامهم ، وجعلوا يؤذونهم بأيديهم وألسنتهم . فأطلت لهم وأمهلته ، ثم أخذتهم أخذاً وبلا .

٣٣ - ٣٤- ﴿ أَفَمَنْ هُوَ ﴾ أي الله سبحانه ﴿ قَائِمٌ ﴾

أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٩﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسَنَ مَّآبٍ ﴿٣٠﴾ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُورَبِّی لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ ﴿٣١﴾ وَلَوْ أَنَّا سَأَرْنَا سِیرَتِ بِهِ الْجِبَالِ أَوْ قَطَعْتَ بِهِ الْأَرْضَ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتِ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعاً أَفَلَمْ يَأْتِیَسِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَن لَّوْیَسَّاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعاً وَلَا یَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِیبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرْیَةً مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى یَأْتِیَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا یُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴿٣٢﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَی بِرُسُلِ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمَلِیْتُ لِلَّذِیْنَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٣﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ

عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ
أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَبْظَهَرُ مِنْ الْقَوْلِ
بَلْ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ
وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿١٤﴾ هُمْ عَذَابٌ فِي
الْخَيْرَةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ
مِنْ وَاقٍ ﴿١٥﴾ * مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَكْثَرُ دَائِمٍ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ
اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اتَّبَعَتْهُمْ
الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ
يَنْكَرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أَمَرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أَشْرِكُ بِهِ
إِلَهِهُ أَدْعُو إِلَى إِلَهِهِ مَعَافٍ ﴿١٧﴾ وَكَذَلِكَ أُنْزِلَتْهُ حُكْمًا
عَمْرِيًّا وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ

رَقِيب ﴿١﴾ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴿٢﴾ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ
أَحَقُّ أَنْ يَعْبُدَ أَمْ هَذِهِ الْأَصْنَامُ ؟ ﴿٣﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ
سَمُّوهُمْ ﴿٤﴾ اكشِفُوا عَنْ أَسْمَاءِ مَا تَعْبُدُونَ ، لِنَنْظُرَ : هَلْ
هُمْ جَدِيرُونَ بِاسْمِ آلهَةٍ أَوْ اسْمِ شُرَكَاءِ مَعَ اللَّهِ أَوْ اسْمِ شَفْعَاءِ عِنْدَهُ ؟
﴿٥﴾ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ ﴿٦﴾ لَا وَجُودَ
لشُرَكَاءِ اللَّهِ وَإِلَّا لَعَلِمَ بِهِمْ ، وَذَكَرَ سُبْحَانَهُ الْأَرْضُ لِأَنَّ الشُّرَكَاءَ
الْمُزْعُومَةَ أَرْضِيَّةٌ لَا سَمَويَّةٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَبْظَاهِرُ مِنَ الْقَوْلِ ﴿٨﴾ أَمْ
أَنَّ شُرَكَاءَ اللَّهِ قَوْلُ فَارِغٍ مِنَ الْمَعْنَى وَظَاهِرٌ بِلَا وَاقِعٍ ﴿٩﴾ بَلْ زَيْنٌ
لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ ﴿١٠﴾ أَيُّ مَكْرِ الشَّيْطَانِ بَعْدَهُ الْأَصْنَامُ ،
وَزَيْنٌ لَهُمْ أَنَّهُمْ شُرَكَاءُ اللَّهِ ﴿١١﴾ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ بَعْدَ
أَنْ غَرِقَ الْمُشْرِكُونَ فِي الضَّلَالَةِ وَالْغَوَايَةِ ، ابْتَعَدُوا عَنِ الْحَقِّ
وَسَبِيلِهِ ﴿١٣﴾ وَمَنْ يَضِلِلِ اللَّهُ ﴿١٤﴾ لِأَنَّهُ أَصْرٌ عَلَى رَفْضِ الْهُدَايَةِ
﴿١٥﴾ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿١٦﴾ لَا أَحَدٌ يَهْدِيهِ إِلَّا أَنْ يُحَاسِبَ
نَفْسَهُ ، وَيَرْجِعَ إِلَى رَشْدِهِ ، وَيَتَوَبَّ إِلَى رَبِّهِ .

٣٥- ﴿١٤﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ ... ﴿١٥﴾ لَا ذِكْرَ سُبْحَانِهِ
عِقَابَ الْجَاهِلِينَ بِثَوَابِ الْمُتَّقِينَ : رُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ .

٣٦- ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ
إِلَيْكَ ﴿١٧﴾ يَقُولُ سُبْحَانَهُ لِنَبِيِّهِ ، إِنْ الَّذِينَ أَسْلَمُوا مِنَ الْيَهُودِ
كَعَبِدَ اللَّهُ بِنِ سَلَامٍ وَأَصْحَابِهِ وَمِنَ النَّصَارَى كَالنَّجَاشِيِّ وَأَتْبَاعِهِ
يَفْرَحُونَ كَثِيرًا بِالْآيَاتِ الَّتِي تَنْزِلُ عَلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ، لِأَنَّهُمْ
تَزِيدُهُمْ إِيمَانًا وَثِقَةً بِدِينِهِمُ الْجَدِيدِ .

﴿١٨﴾ وَمِنَ الْأَحْزَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ تَأْلَبَّوْا عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ ،
وَأَصْرُوا عَلَى الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ ﴿٢٠﴾ مَنْ يَنْكَرُ بَعْضَهُ ﴿٢١﴾ بَعْضُ
مَا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِأَنَّهُ مُخَالَفٌ لِهَوَاهُ ، وَيَعْتَرِفُ بِمَا يُوَافِقُهُ . وَمَنْ مِنْ شَكٍّ أَنْ اعْتَرَفَهُ وَإِنْ كَارَهُ بِمَنْزِلَةِ سِوَاهُ مَا دَامَ الْحَقُّ عِنْدَهُ
هُوَ مَا يَشْتَهِي وَيَهْوَى .

٣٧- ﴿٢٢﴾ وَكَذَلِكَ أُنْزِلَتْهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴿٢٣﴾ الْمُرَادُ بِالْحُكْمِ هُنَا الْقُرْآنُ لِأَنَّهُ حُكْمُ اللَّهِ . وَكَمَا أُرْسِلَ كُلُّ نَبِيٍّ قَبْلَ مُحَمَّدٍ
بَلْفَةٍ قَوْمَهُ فَقَدْ أُرْسِلَ مُحَمَّدٌ (ص) كَذَلِكَ ﴿٢٤﴾ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ ... ﴿٢٥﴾ تَقْدِمُ فِي الْآيَةِ ١٢٠ مِنَ الْبَقَرَةِ وَغَيْرِهَا .

الإعراب:

أَفْعَلْنِ (مَنْ) إِسْمٌ مُوصُولٌ مُبْتَدَأٌ وَالْخَبْرُ مَحْذُوفٌ أَيْ كَمَنْ لَيْسَ كَذَلِكَ . وَهُوَ قَائِمٌ مُبْتَدَأٌ وَخَبْرٌ ، وَالْجُمْلَةُ صِلَةُ الْمَوْصُولِ . أَمْ تُنَبِّئُونَهُ (أَمْ)
مَنْقُطَةٌ بِمَعْنَى بَلْ وَالْهَمْزَةُ أَيْ بَلْ تُنَبِّئُونَهُ . وَمَنْ يَضِلُّ (مَنْ) مُبْتَدَأٌ وَفِيهَا نَافِيَةٌ ، وَلَهُ مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ خَبْرًا هَادِيًا ، وَمِنْ الدَّخَالَةِ عَلَيْهِ زَائِلَةٌ
إِعْرَابًا ، وَالْجُمْلَةُ خَبْرٌ مِنْ يَضِلُّ اللَّهُ .

٣٨ - ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَفُرِيَّةً ﴾ . ترد هذه الآية على من أنكر نبوة محمد (ص) لأنه بشر يأكل الطعام . ويمشي في الأسواق . ويأتي الزوجات . ويولد له . ووجه الرد : ثم ماذا ؟ إن محمداً رسول قد خلت مسن قبله الرسل . وكلهم كانوا يفعلون كفعله تماماً كسائر الناس ﴿ وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله ﴾ . اقترحوا على محمد (ص) معجزات من وحي الهوى والشيطان . فقال لهم : ما أنا وذا ؟ الأمر كله بيد الله ﴿ لكل أجل كتاب ﴾ . مدة مضروبة بعلم الله . لا تتقدم ولا تتأخر .

٣٩ - ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْثِثُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ . المراد بأم الكتاب علمه تعالى . وللمفسرين في المحو والإثبات ثمانية أقوال . وفي رأينا أن ظاهر المحو والإثبات في هذه الآية . يعم ويشمل من كان على ضلال في دينه ثم اهتدى . أو بالعكس . وهذا محو لأن كلا من الكفر والإسلام يجب ما قبله . أما البقاء على الكفر أو الإيمان حتى الممات فهو إثبات ومثله أو قريب منه ظاهر الآية ٩٨ من الأنعام : « فسفر ومستودع » وأيضاً يشمل المحو نسخ بعض الآيات أو الأحكام والإثبات بقاءها إلى يوم يبعثون . وتقدم الحديث عن النسخ في تفسير الآية ١٠٦ من البقرة .

٤٠ - ﴿ وَإِنْ مَا تُرَبِّيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ ﴾ . أي نريك يا محمد ما يحل باعدائك من الخزي والفشل والهوان وأنت حي ﴿ أو نتوفيك ﴾ قبل ذلك .

٤١ - ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ . وفي الجزء الأول من أصول الكافي عن أهل البيت (ع) . أن المراد بنقص الأرض من أطرافها ذهاب العلماء وموتهم . ونحن نفهم من كلمة « العلماء » بلا قيد وإضافة في أحاديث أهل البيت - الأئمة المعصومين دون غيرهم . ﴿ والله يحكم لا معقب لحكمه ﴾ . متى حكم سبحانه حكماً فلا يتعقبه أحد برد أو تغيير أو تقليم أو تطعيم .

٤٢ - ﴿ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ . أي من قبل قولك يا محمد . مكروا برسولهم . وفعلوا بهم الأفاعيل . فكفر الله بهم . وأذاقهم سوء العذاب ﴿ فله المكر جميعاً ﴾ أي يبطل مكر كل مكر . ويعاقبه عقاب الماكرين . وتقدم في الآية ٥٤ من آل عمران .

٤٣ - ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا ﴾ . لأنك تقصف مع الضعفاء والمساكين . وتثور على الظلم والظالمين . أما الشواهد والدلائل على صدقك وأمانتك فهي لأحرار الصديق والحق لاجل جارية البغي والفساد ﴿ قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ﴾ . الله يشهد لي بأني رسول الصادق الأمين . ويحكم بأنكم على غي وضلال . وأيضاً يشهد لي على مدى العصور والأيام كل مؤرخ منصوكل عالم محايد بأني رسول الخير والانسانية . وأنكم مثال الشر والجاهلية . والله سبحانه المسؤول أن يشهدنا على دين محمد . ويوفقنا للعمل بسنته . عليه وعلى آله أفضل الصلوات .

مَالِكٍ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيِّ وَلَا وَاكِ ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِغَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ . يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْثِثُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿ وَإِنْ مَا تُرَبِّيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ نتوفيك فإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ وَاللَّهُ يَخْرُجُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُ لِمَنْ عَفَى الدَّارِ ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿

سُورَةُ اِبْرَاهِيمَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١٤) سُورَةُ اِبْرَاهِيمَ مَكِّيَّةٌ
وَاَيُّهَا النَّاسُ اِنَّا نَعْبُدُكَ وَنَعْبُدُ آبَاءَنَا وَنَحْمَدُكَ وَنَحْمَدُ آبَاءَنَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اَلرَّكَتُبُ اُنْزِلَتْهُ اِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ
اِلَى النُّورِ بِاِذْنِ رَبِّهِمْ اِلَّا صِرَاطَ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾
اَللّٰهُ الَّذِى لَهٗ مَا فِى السَّمٰوٰتِ وَمَا فِى الْاَرْضِ وَوَيْلٌ
لِّلْكَافِرِيْنَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيْدٍ ﴿٢﴾ الَّذِيْنَ يَسْتَحِبُّوْنَ
اَحْيَوةَ الدُّنْيَا عَلَى الْاٰخِرَةِ وَيَصُدُّوْنَ عَنِ سَبِيْلِ اَللّٰهِ
وَيَبْغُوْنَهَا عَوْجًا اُولٰٓئِكَ فِى ضَلٰلٍ بَعِيْدٍ ﴿٣﴾ وَمَا اَرْسَلْنَا
مِنْ رَّسُوْلٍ اِلَّا يَلْسَنُ قَوْمُهٗ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اَللّٰهُ
مَنْ يَشَآءُ وَيَهْدِى مَنْ يَشَآءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيْمُ ﴿٤﴾

١ - ٢ - ﴿اَلرَّكَتُبُ﴾ تقدم الكلام عن مثله في أول البقرة ﴿كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾ الخطاب لمحمد ، والمراد بالكتاب القرآن ، وبالظلمات الجهل والتخلف ، وبالنور العلم والتقدم ، وحين نزلت هذه الآية وأخواتها كان العرب أهل جاهلية وأمة أمية . يعبدون الأبحار ، ويأتون القبائح والفواحش ، ويأكل القوي منهم الضعيف ، وبعد القرآن أصبح العرب قادة العلم الحديث ورادة الخلق الكريم ، ومعنى هذا أن القرآن قد صدق بنبوءه هذه تماماً كما صدق بنبوءه عن وقعة بدر ، وعن انتصار الروم بعد هزيمتها وغيرها من النبوءات ، وأيضاً معنى هذا أن القرآن حق وصدق .

٣ - ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ يؤثرون الباطل على الحق لا لشيء إلا لأنهم ينقادون بمعذرتهم وشهوتهم لا بعقلهم وفطرتهم ﴿ويصلون عن سبيل الله﴾ قد ضلوا وأضلوا كثيراً عن سواء السبيل ﴿ويبغونها عوجاً﴾ يطلبون الاعوجاج لسبيل الله بالتحريف والترفيف والدس والمؤامرات ولا يختص هذا بالملاحدين والمشركين ، فإن كثيراً من المسلمين يكذبون ويخونون ويحرفون ويتآمرون على الإسلام والمسلمين مع أعدائهم واعدائهم .

٤ - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ سبيل الحق والنجاة ، ويفهموا عنه ، وتنحقق الغاية من رسالته وينبغي التنبيه إلى الفرق بين كلمة وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ، وبين كلمة ما أرسلنا رسولا إلا لأهل لسانه ولغته ، فالصيغة الأولى لا تمنع أن يكون الرسول عاماً ولغته خاصة ، على عكس الصيغة الثانية ، فإنها تحصر رسالة الرسول بقومه وحدهم ﴿فيضل الله من يشاء﴾ ولا يشاء إلا بعد البيان والعصيان . قال سبحانه : ﴿وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون - ١١٥ التوبة﴾ وتقدم في الآية ٢٦ من البقرة وغيرها .

الإعراب :

﴿كتاب﴾ خبر لمبتدأ محذوف أي هذا كتاب . وجملة أنزلناه صفة لكتاب . وإلى صراط العزيز بدل من قوله إلى النور إعادة حرف الجر . والله الذي ﴿الله﴾ بدل من العزيز ، والذي له ما في السموات الخ . صفة لله أي مالك السموات والأرض وما فيها . وله خبر مقدم وما مبتدأ مؤخر ، والجملة صلة الموصول . ﴿وويل﴾ مبتدأ ، وللکافرين خبر ﴿والذين يستحبون﴾ عطف ببيان من الکافرين أو صفة أي المستحبين . ﴿وعوجاً مصدر في موضع الحال أي معوجين ضالين . ويجوز أن يكون عوجاً مفعولاً به إذا قدرت ويغنون لها العوج . فيضل بالرفع ، ولا يجوز النصب بالعطف على ليبين ، حيث يصبر المعنى أن الله أرسل الرسول ليضل .

٥- ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا ﴾ كالعصا واليد البيضاء والجراد وغير ذلك ﴿ أَنْ أَخْرِجَ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ من الكفر والضلال إلى الهدى والإيمان تماماً كعباده من الأنبياء ﴿ وَذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ ﴾ ومنها التحرر من أسر فرعون وظلمه ، وإنزال المن والسلوى .

٦- ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ ... ﴾ ذكر موسى (ع) بني إسرائيل بنعمة الخلاص من الذبح والاسترقاق ومن كل بلاء ، فلم يذكروا ولم يشكروا . بل جحدوا وتمردوا على الله وعلى موسى .

٧ - ٨- ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبِّكُمْ ﴾ آذنتكم وأعلمكم ﴿ لَنْ شُكِرْتُمْ لِأَزِيدَنَكُمْ ﴾ من ثواب الآخرة بدليل قوله تعالى : ﴿ وَلَنْ كُفِّرْتُمْ ﴾ من الكفران لا من الكفر ﴿ إِنْ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ وما من شك أن المراد بهذا العذاب عذاب الآخرة ، وإذا كان جزاء كفران النعم في الآخرة فكذلك جزاء شكرها بدلالة السياق وطبيعة الحال . إضافة إلى أن اليوم عمل ولا حساب ، وغداً حساب ولا عمل ، وإلى قوله تعالى : « لعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون - ٣٣ الزخرف » .

٩- ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثمود ﴾ قال كثير من المفسرين : إن هذا من قول موسى لقومه ، والسياق لا ياباه ، ولكن ما رأيت في فهرس الكتاب المقدس ولا في قاموسه ، ذكراً لعاد وثمود ، وإذن فلا ذكر لهما في التوراة المعروفة ، وعليه يكون الكلام مستأنفاً لا من قول موسى ﴿ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ﴾ أي لا يعلم عدد أنبياء الله إلا هو ، وفيه تكذيب لمن قال : هم ١٢٤ ألفاً أو ألف أو ثلاثمائة ... إلى آخر الأقوال ، إضافة إلى قوله تعالى : « ورسلاً لم نقصصهم عليك - ١٦٤ النساء » ﴿ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ﴾ الضمير لقوم نوح ومن بعدهم ، ورد البديلى القم كناية عن الغيظ ، ومثله « عضوا عليكم الأنامل من الغيظ - ١١٩ آل عمران » .

الإعراب :

ان اخرج ﴿ان﴾ مفسرة بمعنى أي . وجملة يسومونكم حال من آل فرعون . وفي ذلكم بلاء مبتدأ وخبر . واذا تأذن معطوف على اذا أنجاكم . ﴿ولئن شكرتم﴾ اللام للتوطئة تدخل على الشرط لتدل على ان الجواب له وللشرط معاً . ﴿لأزيدنكم﴾ اللام وما دخلت عليه سادان مسد جواب القسم والشرط . ﴿قوم نوح﴾ من قبلكم ، وما بعده معطوف على قوم نوح . وجملة لا يعلمهم إلا الله حال من الذين من بعدهم . وقال كثيرون ، منهم الزغشري والبيضاوي قالوا : انها معترضة . ولم ندرك وجه الاعتراض لانه لا يكون إلا بين امرين يطلب كل منهما الآخر ، ولا شيء من ذلك هنا لأن جملة جاءتهم رسلهم استئناف لا محل لها من الاعراب ، فكان سائلاً يسأل : وما هو نبأ الذين من قبلكم ؟ . فاجاب : ﴿جاءتهم﴾ رسلهم الخ . وفي أفواههم قيل : في هنا بمعنى الى ، أي الى أفواههم .

١٠- ﴿ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ ﴾ أي ينبغي أن لا يكون في وجود الله شك ، لأن سلطانه وبرهانه قائم في كل شيء حتى في الجاحدين والمشككين ، وفي يقيني أن ما من جاحد بالله على وجه الأرض ، يتحرر من كل طارئ يصده عن معرفة الحق ويستهدف الكشف عنه لوجه الحق - الا تحول جحوده هذا إلى الإيمان الراسخ ، ولكن أين هو هذا ؟ ولماذا لا يوجد إلا قليلاً ؟ لأن الإنسان بطبعه أناني ينجذب ويتصرف على أساس المصلحة التي يحسها ويتنفع بها في الحياة الدنيا ، أما بعد الموت فهو غيب في غيب ! ﴿ قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ﴾ فكيف اختاركم الله لوحيه من دون الناس أجمعين ؟ ﴿ فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ بمعجزة تقترحها نحن كما نهوى ونريد .

١١- ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾ هل ادعينا نحن بأننا آله أو نصف آله أو ملائكة حتى تقولوا إن أنتم إلا بشر ؟ ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ إنه تعالى يختار من عباده البشر من هو كفه لوحيه ورسالته كما يختار أحدهم من هو أهل لوديعته وأمانته ؟ ﴿ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ لقد أتيناكم بالمعجزات الكافية الوافية في الدلالة على صدقتنا ، أما ما تقترحون علينا من الخوارق فهي في قبضة الله وحده ، وتقديم في الآية ٣٧ من الأنعام وغيرها .

١٢- ﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ ﴾ كيف لا نتوكل عليه وقد أتم علينا نعمته الكبرى ، وهي التي أشاروا إليها بقولهم : ﴿ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ﴾ التي يجب أن نسلكها إلى طاعته ومرضاته ﴿ وَلَنُصَبِّرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْنَاكُمْ ﴾ والصبر على الأذى في سبيل الله والحق من شيم الأحرار والصفوة الأخيار ، أما الذين ينهارون للصدمة الأولى فهم داء الحياة وأعداؤها ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ التوكل الأول في صدر الآية كان من أجل الشكر على الهداية ، أما التوكل الثاني في آخر الآية فهو للاستعانة بالله على وطأة الصبر وثقله .

١٣ - ١٤- ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوْدُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ في الآية ٨٢ من الأعراف : « أخرجوهم من قريبتكم إنهم أتأس يطهرون » هذا هو ذنب الطاهر عند العاهر ، والمخلص عند الخائف . ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ ... ﴾ أوحى سبحانه إلى رسله : لا تفكروا إطلاقاً بهديد الطغاة ووعيدهم . سقضي عليهم ، ونورث المؤمنين أرضهم وديارهم وأموالهم . وفي الحديث من آذى جاره ورثه الله داره .

الإعراب :

أي الله شك مبتداً وخبر ، والاستفهام للانكار ، وفاطر صفة لله . والمصدر المنسبك من ان نأتيكم بسلطان اسم كان ، ولنا خبرها . وما لنا ﴿ ما ﴾ استفهام في موضع رفع بالابتداء ، ولنا خبر ، والمصدر من ألا نتوكل مجرور بفي محذوفة . وقال أبو البقاء : يجوز أن يكون حالاً أي غير متوكلين .

أَرْسَلْتُمْ بِهِ ، وَإِنَّا لَنِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿١٠﴾
 * قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا
 عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ قَالَتْ
 لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ
 مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ
 إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا
 لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ
 عَلَىٰ مَا آذَيْنَاكُمْ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٣﴾
 وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا
 أَوْ لَتَعُوْدُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ

وفق السؤال ﴿ سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص ﴾
أبدأ لا مهرب من موقف العرض والحساب وموضع الثواب والعقاب . وتدلنا هذه الآية على أن ظلم الظالم ليس بأسوأ عند الله من صبر المظلوم على الظلم ، وأن عليه أن يجاهد في سبيل حقه بكل ما يملك من طاقة ، وما من شك أن الموت دفاعاً عن الحرية والكرامة خير ألف مرة من حياة الذل والهوان ، قال الإمام علي (ع) : « الموت في حياتكم مقهورين ، والحياة في موتكم قاهرين » . وأخيراً ، هل جرأ الظالم على ظلمه إلا سكوت المظلوم عنه ؟ ولو علم الظالم أن بين جوانح المظلوم نفساً أبية لتحاماه .

٢٢ - ٢٣ - ﴿ وقال الشيطان لما قضي الأمر ﴾ وجاء الحق وزهق الباطل ، ودالت دولة أنصار الشيطان وأعوانه : ﴿ إن الله وعدكم وعد الحق ﴾ في كتبه وعلى لسان رسله ، وأن الجنة لمن أطاع ، والنار لمن عصى ﴿ ووعدتكم ﴾ وقلت لكم : إن الجنة والنار كلام فارغ وحديث خرافة ﴿ فأخلفتكم ﴾ لأنه لا يملك إلا التضييل والتزوير ، ولا يصدقه ويتبناه إلا من عمي عن الحق لجهل أو هوى ﴿ وما كان لي عليكم من سلطان ﴾ من قوة قاهرة أو حجة ظاهرة .. هذا هو الشيطان في واقعه تماماً كالناجر ، يعرض السلعة في الأسواق على المستهلكين ، ويدعوهم إليها بكل ما يملك من وسائل الرواج والإغراء ، وللمستهلك أن يختار . ولكن العاقل لا يأخذ بشهادة من يجر النار إلى قرصه والمنفعة إلى نفسه . بل ينظر ويبحث ، ولا يقدم إلا بعد العلم واليقين ، نفسه ﴿ إلا أن دعوتكم ﴾ بلا حجة أو بحجة زائفة كاذبة حيث تركتم الحجة اللازمة

ودعوة الشيطان وحجته زور وبهتان بشهادته واعترافه ، ﴿ فاستجبت لي ﴾ بنفس راضية تمام الرضا إذن ﴿ فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ﴾ حيث تركتم الحجة اللازمة الكافية . واتبعتم الحجة الكاذبة الزائفة ﴿ ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي ﴾ الصارخ هو المستغيث ، والمصرخ هو المغيث ، والمعنى أن الشيطان يقول غداً لحزبه وأتباعه : ما أنا بمغف عنكم شيئاً ، وما أنتم مغفون عني شيئاً ، وليست بيني وبينكم أية صلة ﴿ إني كفرت بما أشركتمون من قبل ﴾ ابليس يمجّد بالشرك . ما في ذلك ريب . لأنه علامة وفهامة ! ولكنه إمام الدعاة إلى الشرك وأتباعه الذين على سنته ، يطرون ويدعون إلى من يفسد في الأرض ، وهم أعلم الناس بمساوئه ومثالبه . ٢٤ - ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة ﴾ وهي كلمة الحق والخير التي تشمل بمفهومها العام كل كلمة تهدي إلى التي هي أقوم ، وتدفع بالحياة إلى ما هو أفضل وأحسن ﴿ كشجرة طيبة أصلها ثابت ﴾ لا تززعها أعاصير الأكاذيب والافتراءات ، ولا معاول الدس والمؤامرات ﴿ وفرعها في السماء ﴾ بعيد عن أوباء الأرض وأقدارها . ٢٥ - ﴿ تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ﴾ لا تجود آتوتيهل آتاً ، بل تفيض بالخيرات ما بقي الليل والنهار ﴿ ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ﴾ فيشبه المعنى الباطن غير المحسوس بالمعنى الظاهر المحسوس ، ليفهم الناس الهدى فيتبعوه . والضلال فيجتنبوه .

٢٦ - ﴿ ومثل كلمة خبيثة ﴾ وهي كلمة السوء والشر ﴿ كشجرة خبيثة ﴾ بشارها وآثارها ﴿ اجتثت

هذبناكم سوءاً علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص ﴿ وقال الشيطان لما قضي الأمر ﴾ إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبت لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم ﴿ وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها بإذن ربهم تحييتهم فيها سلفهم ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ﴿ تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ﴿ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة

من فوق الأرض ما لها من قرار ﴿٢٦﴾ هذا أصدق مثل للباطل وأهله ، وأنهم يبنون من غير دعائم وأساس ، فإذا هبت رياح الحق أتت على بنيانهم من القواعد .

٢٧- ﴿٢٧﴾ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴿٢٧﴾ المراد بالمؤمنين هنا الذين ترجحوا إيمانهم بالإخلاص والعمل الصالح ، ومعنى تثبيتهم بالقول الثابت في الحياة الدنيا أن الله سبحانه قد أخرجهم في كتابه وعلى لسان نبيه أنهم في رعايته وعنايته ، أما تثبيتهم في الآخرة فهو بالأمن والأمان من الأفرع والأقسام والتعرض للأخطار ﴿٢٧﴾ ويضل الله الظالمين ﴿٢٧﴾ لأنهم ظالمون كما قال سبحانه : « وما يضل به إلا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله ... » ويفسدون في الأرض - ٢٦ و ٢٧ البقرة . .

٢٨ - ٢٩- ﴿٢٨﴾ ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار ﴿٢٨﴾ نقل الطبري في تفسير هذه الآية أن عمر بن الخطاب قال : الذين بدلوا نعمة الله كفراً . وأحلوا قومهم دار البوار هما الأفجرا : بنو المغيرة وبنو أمية ، فأما بنو المغيرة فكفبتهم يوم بدر ، وأما بنو أمية فتمسوا إلى حين . ومثله في تفسير ابن كثير نقلاً عن علي وعمر .

٣٠- ﴿٣٠﴾ وجعلوا لله أنداداً ﴿٣٠﴾ جمع ند ، وهو المثل والشريك ، والصد المخالف ، وأيضاً يطلق على المثل والنظير . وبعض الناس يجعلون مع الله شركاء في خلقه ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، ولكن النتيجة سفاهة وضلالة وعليه

تكون اللام في قوله ﴿٣٠﴾ ليضلوا عن سبيله ﴿٣٠﴾ للعاقبة لا للتعليل تماماً كاللام في قول القائل : لدوا للموت وابنوا للخراب ﴿٣٠﴾ قل ﴿٣٠﴾ يا محمد للمشركين : ﴿٣٠﴾ تمتعوا فإن مصيركم إلى النار ﴿٣٠﴾ وامتل النبي (ص) فذكر وحذر ، ولكن أخطر الناس لا يفهمون إلا بلغة المكاسب والأرباح .

٣١- ﴿٣١﴾ قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة ﴿٣١﴾ التي تذكر المصلي بالله ، وتردعه عن الجرائم والمآثم ، وتبعث فيهم روح الحرية وعدم العبودية إلا للواحد القهار ﴿٣١﴾ ويتفوقوا ما رزقناهم سرّاً وعلانية ﴿٣١﴾ وإتفاق المال في سبيل الله والصالح العام عزة وقوة للإسلام والمسلمين .

٣٢ - ٣٣- ﴿٣٢﴾ الله الذي خلق السموات والأرض - إلى قوله تعالى - وسخر لكم الليل والنهار ﴿٣٢﴾ كل ما جاء في هاتين الآيتين من ذكر السموات والأرض والبحر والفلك والشمس والقمر والليل والنهار - تقدم ويأتي ، وتساءل : لماذا يعيد القرآن الكريم ويكرر الآيات الكونية وهي واضحة بلا تفسير ؟ الجواب : فعل القرآن ذلك إيقاظاً للبصائر والأبصار لكي تستدل بمظاهر الموجودات على وجود الله تعالى ، وأن هذه الكائنات بنظامها وإتقانها ، لا تكون ويستحيل أن تكون صدقة واتفاقاً . بل استدلل بعض العارفين على نبوة محمد (ص) وصدقه ، بهذا الإمعان والإستغراق في الاستدلال بالكون وأسراره . حيث يستحيل على ذهن محمد (ص) بحكم بينه أن يدرك كل ما ذكره القرآن في هذا الباب . إضافة إلى التركيز عليه والاهتمام به . بالتكرار والإعادة مرات ومرات .

أَجْنَحْتُ مِنْ قَوْفِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يَثْبُتُ
اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي
الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾
* أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كَفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ
دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبَلَسَ الْقَرَارُ ﴿٢٨﴾
وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّا
مَصِيرُكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٢٩﴾ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا
الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِمَّا قَبْلِ أَن يَأْتِيَ
يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا يَخْلَى ﴿٣٠﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ
رِزْقًا لَكُمْ وَخَرَّكَرُ الْفُلْكِ لَنَجَرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ
وَخَرَّكَرُ الْأَمْهِرِ ﴿٣١﴾ وَخَرَّكَرُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ دَآبِّينَ

٣٤- ﴿وَاتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ أعطى سبحانه الإنسان كل ما يحتاج إليه في حياته حتى أسباب الكمال والرفاهية التي أشار إليها بقوله : « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده - ٣٢ الأعراف ﴾ ﴿وإن تعلموا نعمة الله لا تحصى﴾ نحن عاجزون عن تعداد أنعم الله علينا فكيف تؤدي شكرها ؟ وأفضل أنواع الشكر لله أن نطيعه ولا نصيه ﴿إن الإنسان لظلوم كفار﴾ كل من منع حقاً عن أهله ، أو بدد المال وأسرف للتضاهي والتباهي ، أو اغتر به واستكبر - فهو ظلوم ، أما الذي يحسب المال هو الدنيا والآخرة جميعاً فهو كفار ، ما في ذلك ريب .

٣٥- ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً﴾ من كل المخاوف ، واضح ، وتقدم بالحرف الواحد في الآية ١٢٦ من البقرة ﴿واجنبي وبني أن نعبد الأصنام﴾ ليس هذا خوفاً من الميل إلى عادة الأصنام ، كيف وقد حطّمها إبراهيم الخليل بيده ؟ وإنما هو خوف من الله تعالى لأن مجرد الخوف من سطوته طاعة وعبادة وتعظيم وتمجيد ، ومجرد الأمن من هذه السطوة معصية ورذيلة ، قال سبحانه : « فلا يأمن مكر الله - أي عذابه - إلا القوم الخاسرون - ٩٩ الأعراف » وقال : « إنما يخشى الله من عباده العلماء ٢٨ فاطر » والله سبحانه المسؤول أن يهدينا ويسدّدنا أو يقول : « من مثلي ! » ويقول الإمام السجاد وسيد العباد : أسألك اللهم خوف العابدين وعبادة الخاشعين .

٣٦- ﴿رب إنهن أضللن﴾ أي الأصنام ﴿كثيراً من الناس﴾ عبادة الأصنام سبب للخروج من الهدى ودين الحق ﴿فمن تبعني﴾ إيماناً وعملاً ﴿فإنه مني﴾ كناية عن أن القرب من الله ورسله من قربة الدين والخلق الكريم ﴿ومن عصاني فإنك غفور رحيم﴾ أترك أمر العاصي إليك ، تفعل به ما تشاء ، وأنت حلّيم كريم وغفور رحيم ، وكأنّ خليل الرحمن يسترحمه ويناشده الغفو عن عصاه وخالف أمره ورضاه ... هذا هو رب العباد ، وهذا كتابه ، وهؤلاء رسله وأنبيأؤه : رحمة وسعت كل شيء ، وعطاءه دونه كل عطاء ، وخير يعم ويشمل كافة الخلق التقى منهم والشقي .. ولن يكون الخالق وأنبيأؤه وأوليأؤه إلا هكذا. ٣٧- ﴿ربنا إنني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة﴾ ولكن ليس بالصلاة وحدها يحيا الإنسان ، فإن آفات الفقر ومساوىء المرض والجهل تسم الحياة ، وتهدمها من الأساس . ولذا قال إبراهيم لربه : ﴿فاجعل أئمة من عند بيت الله زرع وضرع فلتتوافد الناس عليه للعبادة أو وتصلي وتشكر ... هذا ما كان أيام الزمان ، أما اليوم فينازع الذهب الأسود تفور من هنالك ، ونسلك السبيل المقرر لها . السذي سألت لأهل بيتك المحرم إلا إخلاصاً لك واعتراضاً . ٣٨- ﴿ربنا إنك تعلم ...﴾ بآني ما سألتك بجودك وكرمك ، وأشار إبراهيم بقوله : « وما نعلم » إلى أشياء ومآرب أخرى لم يذكرها لأنه تعالى أعلم بها وأدرى . ٣٩- ﴿الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل﴾

وَحَرَّلَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿١٤﴾ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿١٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿١٦﴾ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَلَنِي كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ قَدْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنْ الثَّمَرِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿١٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿١٩﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٢٠﴾

واسحق ﴿٤٠﴾ تقدم في الآية ٧١ من هود .

٤٠- ﴿ رب اجعلني مقيم الصلاة ﴾ وصلاة خليل الرحمن تماماً كنفسه طهراً وصفاء حتى ولو كانت سريعة وخفيفة ... وما جدوى الإطالة في الصلاة إذا كانت نفس المصلي تغلي وتغور بالحقد والحسد ؟ يقول الإمام علي (ع) : ما طاب سقيه طاب غرسه وحلت ثمرته . وما خبت سقيه خبت غرسه وأمرت ثمرته .

٤١- ﴿ ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ﴾ طلب خليل الرحمن (ع) المغفرة لوالديه في يوم الحساب تماماً كما طلبها للمؤمنين ، أليس في هذا دليل على أن « آزر » المذكور في الآية ٧٤ من الأنعام - هو عمه أو جده لأنه كما قال كثير من علماء المسلمين ؟

٤٢- ﴿ ولا تحسن الله غافلاً عما يعمل الظالمون ﴾ بل هم الغافلون عن الله وحسابه . بل وعن أنفسهم . أما هو جل وعز فلا يفوته شيء من عدوانهم وطغيانهم ﴿ إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ﴾ وهو يوم يخرجون من الأحداث إلى ربهم ينسلون .

٤٣- ﴿ مهطعين ﴾ مسرعين تلبية لدعوة الداعي ﴿ مهطعين ﴾ لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء ﴾ يرفعون رؤوسهم إلى السماء لا يرى واحدهم موطئ قدمه من الدهول والدهشة ، أما قلوبهم فلا شيء فيها إطلاقاً إلا الملح والجزع ... فأنلهم ربنا ... ما أحملك ... صبرت على الظالم وأنت تسمع صراخ المظلوم ، يستغيث ولا يغاث حتى جاء اليوم الموعد ، فكان أشد على الظالم من يومه على المظلوم .

رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَفْلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ وَأُنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَحْبِ دَعَوَتِكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ أُولَئِكَ تَكُونُوا آفِسْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكَنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ

٤٤- ﴿ وأنذر الناس ﴾ يا محمد ﴿ يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخّرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل ﴾ بالأمس كانوا يسخرون من البعث ويضحكون على حديثه . واليوم يتذللون ويقولون صاغرين نادمين : هل إلى مرد من سبيل فنسمع ونطيع ما كان أغناهم عن الحالين ! ثم هل الخضوع بالعصا يسمى طاعة ؟ ﴿ أو لم تكونوا آفستم من قبل ما لكم من زوال ﴾ وانتقال من دار الدنيا إلى دار الآخرة وإنه لا جنة ولا نار . فذوقوا هذا بذاك ٤٥- ﴿ وسكنتم في مساكن الذين ظلموا ﴾ يقول سبحانه غداً للمكذِبين والمعاندين : أهلكنا من كان قبلكم لأنهم كذبوا الرسل وعادوا الحق ، وأنتم من بعدهم ، وسكنتم في ديارهم ، وسمعتهم بأخبارهم ، وكان الأجدران تنعظوا وتخافوا أن يصيبكم ما أصابهم ، ولكن أبيتُم إلا السير على طريق المالكين ، فذوقوا ما قدمتم لأنفسكم ٤٦- ﴿ وقد مكروا مكْرَهُمْ ﴾ ما أرسل الله رسولا إلا مكر به الجبابرة المترفون من قومه وتأمرؤا عليه ﴿ وعند الله مكْرُهُم ﴾ أي جزاء مكْرَهُم والعذاب عليه ﴿ وإن كان مكْرُهُم لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ مهما بلغ كيدهم ومكرهم من القوة والإحكام حتى ولو أزاح الجبال الرواسي فلن يضر دين الله شيئاً ، بل يعود عليهم بالهلاك والوبال .

الإعراب :

ومن دريتي عطف على الباء في اجعلني أي واجعل من دريتي مقيم الصلاة .

٤٧- ﴿ فَلَا تَحْسِنَ اللَّهُ مَخْلَفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ﴾ وهو قوله سبحانه لأنبيائه ورسله : إِنَّا مِنَ الْمَجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ . وقوله تعالى الصدق والعدل ، وحكمه الحق والفصل .

٤٨- ﴿ يَوْمَ ﴾ القيامة ﴿ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ ﴾ حيث تصبح هباء منبثاً كما في الآية ٦ من الواقعة ﴿ وَالسَّمَوَاتِ ﴾ أيضاً تبدل ، فإنها تتساقط وتتناثر بكل ما فيها من كواكب كما في سورة الانفطار وغيرها « إذا السماء انفطرت وإذا الكواكب انثرت » ﴿ وَبَرَزُوا ﴾ الخلاق ﴿ اللَّهُ الْوَاحِدَ الْقَهَّارَ ﴾ على المكشوف لا حجاب وحيل وألغاب ، وتقدم في الآية ٢١ من هذه السورة .

٤٩- ﴿ وَتَرَى الْمَجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ تربط بالقيود والأغلال ملائكة العذاب أيدي المجرمين وأرجلهم وأعناقهم بعضها ببعض ، كل صنف مع صنفه .

٥٠- ﴿ سَرَابِيلُهُمْ ﴾ جمع سربال وهو القميص ﴿ مِنْ قَطْرَانٍ ﴾ سائل أسود أشبه شيء بالحديد المذاب ، تن الرائحة ، تسرع فيه النار اشتعالاً ، تذهن به الإبل إذا جربت ﴿ وَتَغْشَى وَجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾ تغطيها .

٥١- ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ ﴾ لكل جرمة عقوبتها الخاصة بها ، ومن أجل هذا تفاوتت العقوبة وتنوعت كما وكيفاً ، قال سبحانه : « ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون » .

﴿ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ لا يحكم القاضي حتى يحقق ويدقق ، وتوافر لديه جميع الدلائل والوسائل ، ومن أجل هذا تعددت جلسات المحاكمة في دعوى واحدة ، وقد تبلغ العشرات ، والله سبحانه يحاكم الخلاق بالكامل ويحكم ويعاقب في سرعة تناسب وتفق مع علمه الذي لا يعزب عنه شيء وقدرته التي لا يعجزها أي شيء .

٥٢- ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ ... ﴾ يشير سبحانه بهذا إلى القرآن الكريم ، وأن فيه من التعاليم ما يكفل للانسان سعادة الدارين ، ومن الترغيب والترهيب ما فيه الكفاية وزيادة إذا هو أدرك معناه وعمل بمقتضاه . وبكلمة الله وقرآنه لا بكلام الشارحين له والمفسرين : « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر - ١٧ القمر » .

سُورَةُ الْحَجَرِ مَكِّيَّةٌ وَتَسْمَعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿ آلَ ﴾ تقدم في أول البقرة ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ ﴾ تلك إشارة إلى هذه السورة ، وآياتها من القرآن الكريم ﴿ وَقرآن مبین ﴾ بين الرشد من الغي والحق من الباطل ، وهو معطوف على الكتاب لمجرد التوضيح والتفخيم .

مُخْلَفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿١٧﴾
يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ^ط وَبَرَزُوا
لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٨﴾ وَتَرَى الْمَجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَّنِينَ
فِي الْأَصْفَادِ ﴿١٩﴾ سَرَابِلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ وَتَغْشَى وَجُوهَهُمُ
النَّارُ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
الْحِسَابِ ﴿٢٠﴾ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا
أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾

(١٥) سُورَةُ الْحَجَرِ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا تَسْمَعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقرآن مبین ﴿١﴾ رَبِّمَا

٢- ﴿رَبِّمَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾
 رب هنا للتكثير و «ما» زائدة تكف رب عن العمل ،
 والمعنى : حين تقوم القيامة وينكشف الغطاء ، يتمنى الذين
 كفروا بمحمد (ص) ونبوته لو أنهم آمنوا به وعملوا برسالته .
 ٣- ﴿ذُرِّهِمْ﴾ يا محمد ﴿يَا كُفُلًا﴾ من
 الطيبات ﴿وَيَتَمَتَّعُوا﴾ بالثروات ﴿وَيُلَهِّمُ الْأُمْلَ﴾
 يشغلهم ويصدهم عن الحق ، وينسهم الحساب والعقاب
 ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ تهديد لكل من لا يشعر بالمسؤولية
 وحقوق الآخرين ٤- ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ
 مَعْلُومٌ﴾ والمراد بهذا الكتاب المعلوم وقت العقوبة وأهلها وكان
 قاتلاً يقول : لماذا لم يعجل سبحانه العقوبة للمجرمين ؟
 فأجاب سبحانه بأن لكل عقوبة أجلها المعلوم عند الله ،
 وما من شك أنه تعالى لا يعاقب إلا بعد البيان وقيام الحجة
 اللازمة ٥- ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾
 واضح ، وتقدم في الآية ١٤٥ من آل عمران و٩٩ من
 يونس ٦- ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ
 لَمَجْنُونٌ﴾ هذه هي نادرة النادر ونكتة النكات ...
 محمد مجنون !.. وهل من شيء أصدق في الدلالة على
 جتونه من هذا القرآن معجزة المعاجز ومن سيرته وآثاره وانتشار
 الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ...
 ويقال : إن المجنون يرى كل الناس مجانين . وأيضاً العداوة
 والتعصب يعني ويصم ، ويرى صاحبه الحسنى أسوأ
 السيئات ٧- ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾
 هذا هو التكبر والعتو ... تحداهم القرآن أن يأتوا بسورة

يُودُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿١﴾ ذُرِّهِمْ يَأْكُلُوا
 وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلَهِّمُ الْأُمْلَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ وَمَا
 أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴿٣﴾ مَا تَسْبِقُ
 مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَعْجِرُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي
 نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٥﴾ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ
 إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ مَا نُنَزِّلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا
 بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مِنْظَرِينَ ﴿٧﴾ إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ
 وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٨﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ
 الْأَوَّلِينَ ﴿٩﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ
 يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١﴾
 لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا
 عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٣﴾

من مثله فقالوا : لا ، آتانا بالملائكة ، ولو جاءت الملائكة لقالوا : لا ، حتى نرى الله جهرة ، ومعنى هذا أنهم لا
 يريدون الإيمان بمحمد (ص) ، ولماذا ؟ لأن الإيمان به اعتراف بفضله ، والموت أخف من ذلك وأيسر .
 ٨- ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي بالمصلحة الموجبة لنزول الملئكة كتبليغ الرسول أو هلاك قومه المكذبين
 كما فعل بالأمم الخالية ﴿وَمَا كَانُوا إِذَا مِنْظَرِينَ﴾ لسأزل سبحانه الملئكة لا ستأصلوا الذين اقترحهم
 بالكامل لإصرارهم على الضلال ، وقد يكون في وجودهم إلى حين شيء من الخير كإيمان البعض منهم أو من
 ذرياتهم ٩- ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ المراد بالذكر هنا القرآن الكريم ، وضيمير «له» يعود عليه ،
 والمعنى أن هذا القرآن الموجود فعلاً بين الدفين المؤلف المعروف لدى كل الناس هو بالذات الذي نزل على محمد
 (ص) بلا تقليد وتطعيم ، على العكس من الكتاب المعروف الآن بالتوراة فإنه غير الذي جاء به موسى (ع)
 وكذلك الكتاب المعروف بالإنجيل ، فهو غير الذي نزل على عيسى (ع) . اقرأ كتاب الرحلة المدرسية للشيخ
 جواد البلاغي ١- ١١- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ﴾ وما يأتهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون
 هون عليك يا محمد قول الجبارة الطغاة : إنك لمجنون . فإرسلا قلبك من رسول أو نبي في فرق الأولين وطوائفهم
 إلا قالوا له مثل هذا وأكثر منه فصير واحتسب ، وكانت عاقبة الدار للصابرين المؤمنين ، فاصبر كما صبر الأولون ،
 والله على نصرك لتقدير ، وتقدم في الآية ٣٤ من الأنعام ١٢- ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾
 اختلف المفسرون في الضمير بنسلكه ، فقال قائل منهم : يعود إلى الشرك . وقال الشيخ الطبرسي : يعود إلى الذكر (أي القرآن)

والمعنى « يسلك القرآن في قلوب المجرمين مُكْذَبًا به وغير مقبول ، كما لو أنزلت بليثيم حاجة فلم يجيبك إليها - فنقول : هكذا اللثام تنزل الحاجة بهم مردودة غير مقضية .

١٣- ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ بيان وتفسير لنسلكه في قلوب المجرمين ﴿ وَقَدْ خَلَّتْ سِتَّةُ الْأُولِينَ ﴾ وهي فعله تعالى بمن كُذِّبَ الأنبياء حيث أهلك المكذبين الكافرين ، وأنجي الرسل والمؤمنين ١٤- ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴾ يصعدون .

١٥- ﴿ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ ﴾ سدت ﴿ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾ هذا بيان لشدة عناد الطغاة ومكابرتهم للحق ، وأن الله لو صعد بهم إلى السماء بلا سفينة فضاء لقالوا : إن هذا إلا سحر مبین ، وإننا به لكافرون ! ولا سر على الإطلاق إلا الذاتية والأنانية ، وأنهم ينظرون إلى القائل لا إلى القول ، ويرفضون كل ما يقوله عدوهم الشخصي ، وإن كان حقاً وصدقاً ، أما قول العلماء والحكماء : خذ الحكمة أنى كانت وتكون ، فكلام فارغ في مفهومهم .

١٦- ﴿ وَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزِينَاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴾ قل : المراد بالبروج هنا المنازل الاثنا عشر . وقيل : بل الكواكب ، ومهما يكن معنى البروج فإن الغرض الأول من الآية أن تنذير قدرته تعالى في آياته الباهرات وما فيها من نظام وإتقان يحمل الدلالة الواضحة على وجود المتقن والمنظم ، وتُغْنِي عن مجيء الجن ونزول الملائكة . وفي نهج البلاغة : الحمد لله الدال على وجوده بخلقه ، ومحدث خلقه على

أزليته ، وباشتباههم على أن لا شبه له ١٧- ﴿ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴾ كان أهل الجاهلية يعتقدون بأن لكل كاهن شيطاناً يأتيه بأخبار السماء ، فكذب سبحانه هذه الخرافة ، وإنها من وحي الجهل وسبات العقل .

١٨- ﴿ إِلَّا مَن اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴾ كناية عن أن شياطين الإنس أو الجان - على فرض صعودهم إلى القمر أو المريخ أو غيرها من الكواكب في سفينة الفضاء - فإنهم أعجز وأحق من أن يسترقوا السمع من ملائكة السماء كما زعم أهل الجاهلية ١٩- ﴿ وَالْأَرْضُ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ ﴾ تقدم في الآية ٣ من الرد ﴿ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾ يميزان العلم والحكمة شكلاً ومادة وتطوراً ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى - ٥٠ طه ٢٠- ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ﴾ جمع معاش ومعيشة ، وضمير فيها يعود إلى الأرض والمعنى أن الله سبحانه أودع في الأرض أسباب الرزق والعيش بشتى صنوفها . ومع الأيام تطورت هذه الأسباب مع تقدم العلم حتى زاد الإنتاج والدخل القومي أضعافاً مضاعفة عن ذي قبل . ولولا الإحتكار والاستئثار وما تستهلكه الأسلحة الجهنمية التي تهدد الأرض بكل من وما فيها - لما كان لكلمة الجوع من مدلول ﴿ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بُرَاقِينَ ﴾ كما جعلنا لكم في الأرض معاش أيضاً جعلنا فيها لغيركم من سائر المخلوقات الحية معاش ، فإن رزقها على الله لا عليكم وعلى هذا يكون « ومن لستم ... » معطوفاً على « ولكم » بتقدير حرف الجر أي ولن لستم له براقين ، لأن العطف على الضمير المحرور يستدعي تكرار حرف الجر ٢١- ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خُزَائِنُهُ ﴾ ليس لله صناديق وخزائن بدختر فيها الأرزاق للمستقبل كما تفعل نحن ، وعليه فالخزائن هنا مجرد تمثيل لاقتداره وإيجاد الشيء بكلمة

لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾
وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزِينَةً لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾
وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ
السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَالْأَرْضُ مَدَدْنَاهَا
وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾
وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعْيِشٍ وَمَنْ لَّسْتُمْ لَهُ بُرَاقِينَ ﴿٢٠﴾
وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خُزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِقَدَرٍ
مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيْحَ لَوَفِّعَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ
نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ
مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَخْرِبِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِن رَّبَّكَ هُوَ
يُخَشِّرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ

« كن » ﴿ وما ننزله إلا بقدر معلوم ﴾ لا يعطي سبحانه الرزق والمال اعتباراً وجزافاً ، بل كل شيء عنده بمقدار وسبب يستدعيه ويوجهه ٢٢ - ﴿ وأرسلنا الرياح لواقح ﴾ توصف الرياح باللقاح لأنها تحمل السحاب الماطر إلى الشجر والنبات وأيضاً تنقل لقاح الأزهار الذكور إلى الأزهار الإناث لتخرج الثمر والفاكهة ﴿ فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين ﴾ ينزل الماء في فصل الشتاء ، فتحيا به الأرض ، وما زاد عن ربتها بكل ما فيها في هذا الفصل ، يودعه الله سبحانه في الأرض للأسباب الطبيعية لا يستعمله والارتفاع في بقية الفصول .

٢٣ - ﴿ وإنا لنحن نحيي ونميت ﴾ يبدأ سبحانه الخلق ثم يميت ثم يعيده ﴿ ونحن الوارثون ﴾ الباقون ، كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام

٢٤ - ٢٥ - ﴿ ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين ﴾ ونجد تفسيره في نهج البلاغة : « علمه تعالى بالأحداث الماضية كعلمه بالأحياء الباقين ، وعلمه بما في السموات العلى كعلمه بما في الأرضين السفلى » .

٢٦ - ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون ﴾ الصلصال : طين يابس ، والحمأ : طين يميل إلى السواد ، والمسنون : طين يتكيف بسهولة ، والطين يشتمل أنواعه وصفوه ، ماء وتراب ، وأصل الإنسان تراب وماء ، خلقه الله منهما ومنحه الحياة .

٢٧ - ﴿ والجنان خلقناه من قبل ﴾ أي من قبل

الإنسان ﴿ من نار السعوم ﴾ ومن جملة ما قرأت أن أهل الإختصاص اكتشفوا نوعاً من الحشرات لا تحيا إلا بالهواء السام ، ونوعاً آخر لا يحيا إلا في آبار البترول والمواد الملتصقة ، وقد يكون في الشمس أحياء تنفق في تكوينها مع حرارة الشمس . وبعض الناس ألفوا كتاباً في الجن وعدد نفوسهم وبلادهم وعاداتهم وشعرائهم ورواسيتهم وزواج الإنس منهم وزواجهم من الإنس ! ونحن نؤمن بالجن لا لشيء إلا لأن الوحي أنشأه ، والعقل لا يفيقه ، ولكن لا نصدق أحداً يدعي رؤية الجن ، ورؤي عن الشافعي هذه الفتوى : « من زعم أنه يرى الجن أبطلنا شهادته » .

٢٨ - ٣٣ - ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني خالق ... ﴾ استنكف إبليس أن يسجد لآدم تكبراً وحسداً واقتخاراً ، وهو على علم اليقين أنه يعصي الله جهرة بذلك ، وأن له العذاب الأليم ، وعليه لعنة الله واللعائن ، فأثر هذا كله ومثله معه على التزول عن كبريائه ، فهل تعجب بعد قصة إبليس من فلاان وعلتان ونقول : كيف يستنكف عن الحق وهو منه على علم اليقين أو كيف أثر الهلاك على الخضوع لخاتم النبيين أو لغيرة من المؤمنين ؟ وتقدمت حكاية إبليس في الآية ٣٤ من البقرة ١١ والأعراف ٣٤ - ٣٥ - ﴿ قال ﴾ سبحانه لإبليس ﴿ فأخرج منها ﴾ من المنزل الرفيعة التي أنت فيها ﴿ فانك رجيم ﴾ مرجوم وملعون ٣٦ - ﴿ قال رب فأناظرني إلى يوم يبعثون ﴾ ليفعل غيلة وغوايته ٣٧ - ٣٨ - ﴿ قال فانك من المنظرين ﴾ تركه سبحانه محكاً يميز به بين الطيب والخبث ، وهو سبحانه العالم بمضمرات القلوب ، ولكن أسى سبحانه أن يشب إلا من جامد مبوله وأهواءه .

٣٩ - ﴿ قال رب بما أغويتني ﴾ أي ابتليتنى وامتنحتني به من الأمر بالسجود لآدم الذي أوقعني في النفي

مِنْ صَلَّصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْحَا أَن خَلَقْنَاهُ
مِنْ قَبْلُ مِنْ نَّارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ
إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ صَلَّصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا
سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾
فَسَجَدَ الْمَلَكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى
أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ
أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأُخْبِدَ لِشَيْءٍ
خَلَقْتَهُ مِنْ صَلَّصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَأَخْرِجْهَا
فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِن عَلَيْكَ اللَّعْنَةُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾
قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ
الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ
رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَرِيَنَّ هَمَّ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ

والمعصية ﴿لَا يَزِينُ لَهُمُ فِي الْأَرْضِ وَلَا غَيْرُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ .
٤٠- ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ قطع البليس عهداً على نفسه أن ينتقم لمأساته من ذرية آدم الذي كان السبب نظرده من رحمة الله .

٤١- ﴿قَالَ﴾ سبحانه : ﴿هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ هذه إشارة إلى تحصين المخلصين من شر الشيطان وغوايته ، وعلى أي ثابت عليه تعالى هذا الحفظ والتحصين تماماً كقوله : « كتب ربكم على نفسه الرحمة » ٥٤ الأنعام .

٤٢- ﴿إِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ...﴾
أبدأ لا سلطان على الإنسان إلا نفسه ، ولا يتبع الشيطان إلا حقود حسود أو متعصب جهول أو انتهازي يبيع الدين والضمير والبلاد لكل من يدفع الثمن .

٤٣ - ٤٤- ﴿وَإِنْ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾
يجتمع فيها حزب الشيطان بقيادته : يتباغضون ويتلاعنون ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ تشير هذه الآية إلى أن أهل النار فئات تماماً كأهل الجنة ، وهذا هو العدل ، لأن السيئات مراتب وكذلك الحسنات : « ولكل درجات مما عملوا وليوفينهم أعمالهم وهم لا يُظلمون - ١٩ الأحقاف » .

٤٥- ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ لما أشار سبحانه إلى الشيطان وحزبه الغاوين وأن جهنم لموعدهم

أَجْمَعِينَ ﴿١٥﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٦﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿١٧﴾ إِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٨﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٩﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٢٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢١﴾ أَدْخُلُوها بِسَلَامٍ ؕ آمَنِينَ ﴿٢٢﴾ وَزَعَنَّا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٢٣﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرِجِينَ ﴿٢٤﴾ نَبِيِّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٢٥﴾ وَأَنْ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٢٦﴾ وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفٍ يُرْهِمُ ﴿٢٧﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلَيْكَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَسْرُمْتُوْنِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ

أجمعين عطف عليهم أهل الجنة ، وأنهم في عزة وكرامة. تقول لهم ملائكة الرحمة :
٤٦- ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمَنِينَ﴾ الجنة دار الغنى عن كل شيء والأمان من كل خوف .
٤٧- ﴿وَزَعَنَّا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾ لا تعادي في مال ولا تحاسد على جاه ، فن أين يأتي الحقد والغل ؟
٤٨- ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ لا تعب ولا صخب . وقال قائل : إن آدم ملّ في الجنة من حياة الترف والفراغ والكسل والشلل ، فأكل من الشجرة عن قصد وعمد ، ليخرجه الله سبحانه إلى الأرض حيث الكفاح والنضال والأكل من كد البمين وعرق الجبين ٤٩ - ٥٠- ﴿نَبِيَّ عِبَادِي﴾ عني ﴿أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنْ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ حذو سبحانه وبشر في آن واحد كيلا ييأس العاصي ويقول متداعياً في الغي : أنا الغريق وما خوفي من البلل ؟ وأيضاً كيلا يفتخر العابد ويقول معجباً بنفسه : لا أحد مثلي في التاريخ اومعنى هذا أن الإنسان « لا يكون مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً ، ولا يكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملاً لا يخاف ويرجو » كما قال الإمام الصادق (ع) ومعنى قوله : « لما يخاف ويرجو » هو الخوف أن يكون عمله ناقصاً غير مقبول والرجاء أن يكون كاملاً ومرضياً ، وتقدم في الآية ٩٨ من المائدة و ١٦٥ من الأنعام و ١٦٧ من الأعراف ٥١- ﴿وَنَبِّئُهُمْ﴾ يا محمد ﴿عَنْ ضَيْفٍ إِبْرَاهِيمَ﴾ المراد بهذا الضيف الملائكة ٥٢- ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا﴾ فرد عليهم ﴿قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ لأنه قدم لهم الطعام فامتنعوا عنه فأنكرهم وأوجس منهم خيفة ٥٣- ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ﴾ لا تخف ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلَيْكَ﴾ بالله وشريعته بنص الآية ١١٢ من الصافات : « وبشرناه بإسحق نبياً من الصالحين » .

٥٤- ﴿ قَالَ أَبَشِّرْهُنِي عَلَىٰ أَن مِّنِي الْكَبِيرُ ﴾ في قاموس الكتاب المقدس : كان ابن مئة سنة ﴿ فِيمَ تَبَشِّرُونَ ﴾ فما هو السبب المبرر لهذه البشارة التي جاءت على غير المعروف والمألوف ؟

٥٥- ﴿ قَالُوا بِشْرْنَاكَ بِالْحَقِّ ﴾ واليقين من الله لا من عندنا ﴿ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَاطِنِينَ ﴾ ظن الملائكة من سؤال خليل الرحمن أنه قاطن ، فصحح هذا الوهم ، ونفى القنوط عن نفسه .

٥٦- ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ أعوذ بالله من القنوط ، وإني لأرجو من رحمة الله أكثر من ذلك ، ولكن أريد أن أثبت من سمي وأنه يتلقى البشارة من الله لا من سواه .

٥٧ - ٦٠- ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ هل من شيء عندكم غير البشارة بالسلام العليم ؟ ﴿ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا . . . ﴾ لإبادة الكفر والفجرة قوم لوط أجمعين ، أما هو وأهله فهم بسلام آمنين ما عدا امرأته المناقة المتأثرة على زوجها ، فإنه مصيبها ما أصابهم .

٦١ - ٦٢- ﴿ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطَ الْمُرْسَلُونَ ... ﴾ ذهب الملائكة من عند إبراهيم إلى لوط في صورة البشر ، قال لهم : ما الذي جاء بكم إلى هذا البلد ، وأهله معروفون بما يفعلون .

٦٣ - ٦٤- ﴿ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ كان لوط يتوعد قومه بالعذاب فيشكون ويسخرون .

٦٥- ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ ﴾ بعد أن يمضي بعض الليل لا كله ﴿ وَابْعِ ادْبَارَهُمْ ﴾ امش خلف أهلك لأن ذلك أهدأ لقلبك وقلوبهم لأنهم على مرأى منك ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ ﴾ إلى الوراء إذا سمع الصباح والعويل .

٦٦- ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ ... ﴾ أوحى سبحانه إلى لوط بأنه سيستأصل الكافرين وقت الصباح عن آخرهم .

٦٧- ﴿ وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ بهذا الصيد ، ولا يعلمون أنه عذاب السموم .

٦٨ - ٧١- ﴿ قَالَ ﴾ لهم لوط : ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ صِغِيرُ

الإعراب :

﴿وعلى أن مسني﴾ متعلق بمحذوف حالاً من الباء في بشرعوني أي بشرعوني كثيراً . ومن يقنط ﴿من﴾ مبتدأ ويقنط خبر . آل لوط منصوب على الاستثناء المنقطع من قوم مجرمين . وامراته على الاستثناء المتصل من ضمير «لننجوهم» .

صَنِي فَلَا تَفْضَحُونَ ﴿٧٨﴾ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنَ ﴿٧٩﴾
 قَالُوا أَوَلَمْ نَكُنْ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ قَالَ هَتُولَاءُ بَنَاتٍ إِنْ
 كُنْتُمْ فَعَلِينَ ﴿٨١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٨٢﴾
 فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٨٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلَهًا
 وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِّنْ جَبَلٍ ﴿٨٤﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ
 لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِنَّمَا لِّسِيلٌ مُّقِيمٌ ﴿٨٦﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ
 لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٨٨﴾
 فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّمَا لِيَآمِرٌ مِّبِينٌ ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ
 أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ ﴿٩٠﴾ وَءَاتَيْنَهُمْ ءَايَاتِنَا
 فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٩١﴾ وَكَانُوا يُخْتَنُونَ مِنَ الْجِبَالِ
 يَبُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٩٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٩٣﴾
 فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا

فلا تفضحون ﴿٧٨﴾ وخوفهم وحذرهم من غضب الله وعذابه ، فقالوا له : نحن أيضاً حذرناك ونهيناك أن تضيف أحداً ، فلم تنته ! ولا تعجب من هذا المنطق ، أليسوا أولاد آدم ؟ وما الذي يمنع أن أنطق أنا أو أنت بمثله من حيث لا ندرى ونعلم ؟ أبداً كلنا لآدم وآدم من تراب .

٧٢- ﴿٧٢﴾ لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون ﴿٧٢﴾ وليس من الضروري أن لا يسكر المرء إلا من شراب ، فإن سكر العمه والضلالة أشد قوة وأثراً .

٧٣- ﴿٧٣﴾ فأخذتهم الصيحة مشرقين ﴿٧٣﴾ عند شروق الشمس ، والصيحة الصوت العاصف القاصف ، وهذا مصير من كذب بالحق مقادراً لنزوته .

٧٤ - ٧٥- ﴿٧٤﴾ فجعلنا عاليها سافلها ... إن في ذلك لآيات للمتوسمين ﴿٧٤﴾ عبرة وعظة للمعتبرين ، وهي أبلغ من القول المسموع والكلام المقروء ..

٧٦ - ٧٧- ﴿٧٦﴾ وإنها لبسيل مقيم ﴿٧٦﴾ أي أن مدينة لوط وما حولها من القرى التي أهلكتها سبحانه - ما زالت آثارها قائمة يراها ويشاهدها الراجع والغادي ، وتسمى سدوم . وفي قاموس الكتاب المقدس : بحر سدوم ، ويسمى بحر لوط يمتد من العقبة إلى الحولة ، وطوله ٤٦ ميلاً ، وأقصى عرضه ١٠ أميال ونصف الميل ، ومساحته ٣٠٠ ميل مربع ، وأقصى عمقه ١٣١٠ أقدام . وكل ما جاء في الآيات السابقة عن ابراهيم ولوط تقدم ذكره في سورة هود من الآية ٧٠ إلى الآية ٨٣ .

٧٨ - ٧٩- ﴿٧٨﴾ وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين فانقمنا منهم ﴿٧٨﴾ الأيكة الشجر الملفف الكثيف ، وأصحابها هم قوم شعيب ، وكان ظلمهم بالشرك ونقص الميزان والمكيال وغير ذلك من الفساد والضلال ، فانقم سبحانه منهم بالصيحة والرجفة . وتقدم في الآية ٨٥ وما بعدها من الأعراف ﴿٧٩﴾ وإنهما ﴿٧٩﴾ أي موطن لوط وموطن شعيب ﴿٧٩﴾ لبإمام مبين ﴿٧٩﴾ في طريق واضحة سالكة يمر عليها كل من أحب وأراد أن يشاهد آثار الهلاك والعذاب في هذين الموطنين .

٨٠ - ٨٤- ﴿٨٠﴾ ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين ﴿٨٠﴾ هم ثمود ، ونبينهم صالح ، والحجر اسم بلادهم ، ومن كذب رسولاً واحداً فقد كذب جميع المرسلين ، لأن الكل ينطقون بلسان الله ، ومن هنا صح إطلاق الجمع على المفرد وهو صالح ، وتقدم الكلام عن صالح وقومه في الآية ٧٣ من الأعراف وما بعدها .

٨٥ - ٨٦- ﴿٨٥﴾ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق ﴿٨٥﴾ الله هو الحق ، ولا يصدر عنه إلا الحق ، وينجلي ذلك في لطائف صنعه وعجائب خلقه

الإعراب :

وعن العالمين على حذف مضاف أي عن ضيافة العالمين . ولعمرك مبتداً والخبر محذوف أي لعمرك قسمي .

﴿ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ﴾ وفيها يقذف بالحق على الباطل فيدفعه ويذهبه ﴿ فَاصْفَح ﴾ يا محمد ﴿ الصَّفْحُ الْجَمِيلُ ﴾ عن كذبتك وجمع لحربك ، ولماذا يصفح محمد عن هذا اللئيم الأثيم ؟ زبداً لا لشيء إلا لأن محمداً نبي وكفى .

٨٧- ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ ﴾ يا محمد ﴿ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي ﴾
والقرآن العظيم ﴿ وفي تحديد السبع المثنى خمسة أقوال ،
وأرجحها عندنا أنها سورة الفاتحة فهي سبع آيات ، والمثنى
بها في الصلاة ، وتجمع بين ذكر الربوبية والعبودية ، إذن
هي سبع آياتها ، ومثنى بصفاتهما .

٨٨- ﴿ لَا تَمْلِكُنَّ عَلَيْكُمُ إِلَى مَا مَتَّعَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ ﴾
 المراد بالأزواج هنا الأصناف ، وفي قواميس اللغة أن الزوج
 يأتي بمعنى الصنف والشكل . وفي الآية ٥٨ من ص :
 « وآخر من شكله أزواج » أي أصناف ، وفي الآية ٣٦ من
 يس : « سبحانه الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض »
 وعليه يكون المعنى استغن يا محمد بما آتاك الله من النوة
 والجاه والقرآن العظيم - عن كل أصناف الزينة وأسباب
 الترف التي يتمتع بها الجاحدون وغيرهم من سائر الأديان
 ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ أبداً لا يهتك عباد من كفر ،
 وكفر من أدبر ، فإنك في مقام أمين وكريم .

﴿ واعفُضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ والله سبحانه الذي خاطب نبيه الكريم بهذا الأمر ، شهد له في الآية ١٢٨ من التوبة بالرفقة والرحمة على كل مؤمن : « ولقد جاءكم

رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » وقال الرسول الأعظم (ص) لأصحابه : « إن أحبكم إلي يوم القيامة وأقر بكم مجلساً أحسنكم خللاً المواطنون أكتافاً الذين يألفون ويؤلفون » .

٨٩- ﴿إني أنا النذير المبين﴾ الداعي دعوة الحق بأدلتها وبراهينها القائمة ما قام الليل والنهار .

﴿ كما أنزلنا ﴾ ﴿ كما متعلق بآياتك سبعاً ﴾ ، والمعنى أنزلنا عليك كتاباً كما أنزلنا كتاباً ﴿ على المقسمين الذين جعلوا القرآن عضين ﴾ ﴿ جمع عضه عضه بمعنى جزء وعضو وبعض ، والذين جعلوا القرآن عضين هم اليهود والنصارى حيث جزأوه أجزاءً من حيث الكفر والإيمان ، فآمنوا ببعضه الذي يتفق مع أهوائهم ، وكفروا ببعضه الآخر الذي يصطدم معها ، وهؤلاء الذين جعلوا القرآن عضين هم عين المقسمين - أي قسوا القرآن أجزاءً كفراً أو إيماناً ببعض - وعليه يكون المعنى لماذا أهل الكتاب يكذبون بنزول القرآن ويفترون منه علماً بأنهم يعترفون بنزول التوراة والإنجيل ويؤمنون بها ٩٢ - ٩٣ ﴾ ﴿ فربك لنأنلهم أجمعين عما كانوا يعملون ﴾ ﴿ يتحمل الإنسان العديد من المسؤوليات ومنها المسؤولية عما يسمع ويصبر حيث يجب عليه أن لا يقبل أو يرفض شيئاً منها إلا بعد التأمل والروية . قال سبحانه : إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً ٣٦ الإسراء . » . وقد سمع المجاهدون المعاندون من محمد دعوة الحق وأدلتها ، وأبصروا هديه وأمانته فكان عليهم أن يستخدموا عقولهم في دعوته ويفكروا بروية قبل أن يسرعوا إلى القول : « حسبي ما وجدنا عليه آباءنا » ١٠٤ المائدة .

٩٤ - ٩٦ - ﴿ فاصدع بما تؤمر ﴾ اعلن يا محمد كلمة الحق - وادع ولا تخف لومة لائم ﴿ واعرض عن

رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٧﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٨﴾

(١٦) سُورَةُ النَّازِعَاتِ

وَأَسْمَاءُ ثَمَانٍ وَعَشْرُونَ وَبَارِعَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَنِّي أَمَرُ اللَّهَ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٧﴾ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٩٨﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٩﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿١٠٠﴾ وَالْأَنْعَمُ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ

المشركين ﴿٩٧﴾ والمستعجلين والثرثارين فإن يضروك شيئاً .
٩٧- ﴿ ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون ﴾ لا غرابة أن يتألم نبي الرحمة ويضيق صدره من الافتراءات والأكاذيب ، لأنه إنسان من لحم ودم ، ولكن ما هي العلاقة بين الحزن والعبادة حتى يأمره سبحانه بها إذا استشعر الحزن والضيق . يقول له :

٩٨- ﴿ فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين ﴾ الجواب : الأمر بالعبادة هنا كناية عن الإنكسار على الله والفرع إليه وحده إذا لم به ما يؤله ويزعجه .

٩٩- ﴿ وأعيد ربك حتى يأتاك اليقين ﴾ المراد باليقين هنا الموت ، والمعنى استقم كما أمرت حتى الموت ، وفي الآية ١٣٢ من البقرة : « فلاتحزنوا إلا وأنتم مسلمون » . وهو سبحانه المسؤول أن لا يمتنا إلا على طاعته ومرضاته بالنبي وعترته عليه وعليهم أزكى الصلوات .

سُورَةُ النَّازِعَاتِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿ أنى أمر الله ﴾ وهو وقت الحساب وجزاء الأعمال ، ووضع الفعل الماضي وهو أنى مكان الفعل المضارع لأنه واقع لا محالة ، وكل آت قريب ﴿ فلا تستعجلوه ﴾ إشارة إلى قول الجاحدين بالبعث وعقابه : « فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين - ٧٠ الأعراف » .

٢- ﴿ ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده ﴾ المراد بالروح هنا الوحي ، لأنه للنفس تماماً كالأرواح للأبدان ، ومثله ما جاء في الآية ٥٢ من الشورى : « وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان » ﴿ أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون ﴾ هذا هو الأصل الأصيل لدعوة الأنبياء بالكامل : آمنوا بالله الواحد الأحد واتقوا معصيته وعقوبته ٣- ﴿ خلق السموات والأرض ... ﴾ واضح وتقدم في العديد من الآيات ، وآخرها الآية ٨٥ من الحجر واتقوا معصيته وعقوبته ٣- ﴿ خلق السموات والأرض ... ﴾ واضح وتقدم في العديد من الآيات ، وآخرها الآية ٨٥ من الحجر وأيضاً يأتي ٤- ﴿ خلق الإنسان من نقطة فإذا هو خصيم مبين ﴾ أول الإنسان نقطة وآخره جيفة ، وهو ما بين ذلك ضعيف تؤله البقة ، وتقتله الشرقة ، وتنشه العرقه ، كما قال الإمام أمير المؤمنين (ع) ومع هذا يجادل في الله والحق بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ٥- ﴿ والأنعام خلقها لكم ﴾ في القرآن الكريم براهين وآيات متنوعة على وجود الله ، منها أن وجوده تعالى مستقر في كيان الإنسان وفطرته حتى في كيان الذين لا يؤمنون إلا بما يرون ويسمعون ، والدليل على ذلك أنهم يلجأون إلى الله تلقائياً إذا ضاقت بهم مسالك النجاة بعد أن فروا منه ، ومن هذا الباب الآية ٢٢ من يونس : « وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجانا من هذا لنكونن من الشاكرين فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض » . ومن البراهين على وجوده تعالى الآيات الكونية والمصنوعات الطبيعية . ومنها التذكير بآلاء الله ونعماته كالآيات التي نحن بصدددها ﴿ فيها ﴾ أي في الأنعام ، وهي الإبل والبقر والغنم ﴿ دفاء ﴾ والمراد به اتقاء البرد بما يصنع من جلودها

وأصوافها وأوبارها وأشعارها ﴿ ومنافع ﴾ ينسلها ودرها وركوبها وإثارة الأرض - أي حرثها - ﴿ ومنها تأكلون ﴾ اللحم المذكي .

٦- ﴿ ولكم فيها جمال ﴾ حسن المنظر ﴿ حين تريحون ﴾ حين رجوعها عشياً من الرعى إلى المأوى ﴿ وحين تسرحون ﴾ تبعثونها صباحاً من المراح إلى الرعى .

٧- ﴿ وتحمل أھالككم ﴾ والأثقال تشمل كل ما يمكن نقله من زاد وسلعة ومتاع ﴿ إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس ﴾ وأيضاً السفر ونقل الأمتعة على الإبل والدواب تستدعيه الكثير من المشاق . بخاصة إذا كان الطريق على الصحراء ... ولكن لا وسيلة للنقل أيام زمان إلا الأنعام ، وبدونها لا تسقيم الحياة ، وكان الناس يدركون هذه النعمة وعظمتها ، ولذا امتن سبحانه بها عليهم ، وفضل الله على انسان القرن العشرين أجل وأعظم حيث مهد له السبيل لصنع السيارة والطائرة وغيرها بما وهبه من عقل وطاقات ، يكشف به العناصر والأسرار التي أودعها سبحانه فيما خلق وصنع من أشياء الكون والطبيعة .

٨- ﴿ والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ﴾ بعد أن أشار سبحانه إلى منافع الأنعام الثلاث : الإبل والبقر والغنم ، أشار إلى منافع الخيل والبغال والحمير ، وأهمها الركوب والزينة في ذلك العصر .

﴿ ويخلق ما لا تعلمون ﴾ لله مخلوقات لا يحيط

العقل بعلمها ، وكذلك آلاؤه ونعمه ، لا عدّ لهذه ولا حد لتلك ، والعلة واضحة ، وهي قدرته التي توجد الشيء من لا شيء دون أن تستعين بشيء ٩- ﴿ وعلى الله قصد السبيل ﴾ أي عليه سبحانه البيان الواضح المقنع بطبعه الذي يميز الخبيث من الطيب والحلال من الحرام والخطأ من الصواب ﴿ ومنها جائر ﴾ ضمير منها يعود إلى السبيل ، لأن هذه الكلمة تذكر وتوثق ، وهي نوعان : مادية كالسبيل إلى السوق والمدرسة ، ومعنوية كالأراء والمعتقدات ، ومنها ما هو مستقيم كالإسلام ، ومنها ما هو معوج كغيره ، وإلى الرأي والدين المائل المعوج أشار سبحانه بكلمة جائر ﴿ ولو شاء ﴾ أن يلجئه ويقهر ﴿ لهداكم أجمعين ﴾ ولكنه ترك الإنسان وما يختار حرصاً على حريته وإنسانيته ، وتقدم في الآية ١١٨ من هود .

١٠- ﴿ هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ﴾ عذب فرات لا ملج إجاج ﴿ ومنه شجر فيه نسيمن ﴾ كل ما قام على ساق من نبات الأرض فهو شجر ونسيمن : ترعون فيه مواشيكم .

١١- ﴿ ينبت لكم به ... ﴾ أنبت سبحانه بالماء كل ما يأكله الإنسان والحيوان من حب وخضار وريع وتمار . وتقدم في الآية ٣٢ من إبراهيم و ٢٢ من الحجر ١٢- ﴿ وسخر لكم الليل والنهار ... ﴾ تقدم في الآية ٢ من الرعد و ٣٣ من إبراهيم .

١٣- ﴿ وما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه ﴾ سخر سبحانه لنا ما أودعه في الأرض من معادن جامدة ومائعة ونبات وغير ذلك .

وَمَنْفَعٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿ وَحَرَكَلُّهُ أَلِيلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴿ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿ وَمَا ذَرَأُكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ

١٤- ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لَنَا ... ﴾ نأكل منه السمك ، ونستخرج منه الجواهر ، ونمخر أي السفن الماء يمينا وشمالا ... إلى غير ذلك من المنافع والفوائد ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ولا تكفرون بالله ، وتتنخدون من دونه أشياء وأنادا ، وأنتم تتمتعون بخيره وفضله .

١٥- ﴿ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَواسِي ﴾ تقدم في الآية ١٩ من الحجر .

﴿ وَأَنْهَاراً ﴾ أي وجعل سبحانه في الأرض أنهاراً ينبع الواحد منها من بلد ، ويجري في أرض العديد من البلاد يمينا وشمالاً وشرقاً وغرباً زقاً للعباد والبواب والأعنام ﴿ وَسَبْلاً ﴾ طرقاً واضحة سالكة إلى ما تقصدون .

١٦- ﴿ وَعَلَامَاتٍ ﴾ كالجبال والوديان والتلال والنجم هم يهتدون ﴿ إِذَا سَافَرُوا فِي اللَّيْلِ بَرّاً وَبَحْراً .

١٧- ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ﴾ هذا إشكال وإفحام بالحجة لا سؤال واستفهام ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ وتميزون بين الخالق والمخلوق .

١٨ - ١٩- ﴿ وَإِنْ تَعْلَمُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴾ تقدم بالحرف الواحد في الآية ٣٤ من إبراهيم ﴿ إِنْ اللَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ يتجاوز ويغفو عن كثير .

٢٠- ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ من شأن المعبود أن يكون خالقاً لا مخلوقاً ، ولكن المشركين يتركون الخالق ، ويعبدون المخلوق .

٢١- ﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ﴾ الأصنام لا جماد لا حياة فيها ، فكيف تكون آفة ؟ ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ أَبَانٌ يَبْعَثُونَ ﴾ قال بعض المفسرين : ما يشعرون يعود للأصنام . وضمير أبان يبعثون للمشركين . وفي رأينا أن الضميرين يعودان إلى الأصنام ، على أن يكون معنى أبان يبعثون لا يبعثون إطلاقاً ، وما من شك أن الحي الذي يموت ثم يبعث أحسن حالاً من الذي لا حياة فيه ولا بعث له .

٢٢- ﴿ إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ ﴾ ولكن أرباب الأهواء يرفضون ذلك ويقولون : أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب ﴿ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ ﴾ تنكر التوحيد ، وتشتتر من ذكره كما جاء في الآية ٤٥ من الزمر وإذا ذكر الله وحده اشمزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة « ولا بشيء على الإطلاق إلا بالربح والمنفعة في الحياة الدنيا ، ولا يعملون إلا لها ﴾ وهم مستكبرون ﴿ عَنِ الْحَقِّ عَتَوْا وَعَنَادُوا .

٢٣- ﴿ لَا جَرَمَ ﴾ حقاً أو ما من شك ﴿ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَسِرُونَ وَمَا يَعْلَنُونَ ﴾ ويعاملهم بما يستحقون

الإعراب :

ومختلفاً حال من ﴿ مَا ﴾ والوأنه فاعل لمختلف ومواخر حال من الفلك لأن ترى هنا بصرية لا قلبية . والمصدر من أن تميد مفعول من أجله لآلئى ﴿ وَأَنْهَاراً ﴾ مفعول لفعل محذوف أي وأجري أنهاراً .

﴿انه لا يحب المستكبرين﴾ الذين يستكفون عن التسليم بالحق والخضوع له .

٢٤ - ﴿وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين﴾ إذا سألهم سائل عن القرآن الكريم نعتوه بما في عقولهم من جهل وسفه وما في نفوسهم من لؤم وحسد . وفي المقابل إذا سئل المقرون عن القرآن قالوا هو خير بما فيه من هداية وأحكام وآداب وثواب للذين أحسنوا في هذه الدنيا ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين كما يأتي في الآية ٣٠ من هذه السورة .

٢٥ - ﴿ليحملوا أوزارهم كاملة﴾ الأوزار : الجرائم والآثام ، وكاملة : يحكم عليهم بأشد العقوبات التي يستحقونها بلا تخفيف ورحمة ﴿يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم﴾ يؤخذ هؤلاء بعذابين لا بعذاب واحد : الأول . على بغيهم وضلالهم والثاني على إضلالهم وإغوائهم الآخرين التابعين ﴿ألا ساء ما يوزون﴾ حيث أضافوا وزراً إلى وزر ، وحملوا ثقلاً على ثقل .

٢٦ - ﴿قد مكر الذين من قبلهم﴾ حاول الطغاة أن تكون كلمتهم هي العليا ، وتحصنوا بالقلاع وخطوط الدفاع ! ولكن الله سبحانه أتى عليها من الأساس ، وهذا هو مصير كل طاغ وياغ .

٢٧ - ﴿ثم يوم القيامة يخزيهم﴾ بأنواع العذاب وأشدها ﴿ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم الخزي﴾ الذل والقضيحة ﴿اليوم والسوء﴾ التشكيل قال الذين أوتوا العلم ﴿بالحق وعملوا به﴾ : ﴿ان والعذاب﴾ على الكافرين ﴿بالله والحق والانسانية﴾ .

٢٨ - ٢٩ - ﴿الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾ بمعصيتهم لله وعدوانهم على عباده وعياله ﴿فأهواو السلم﴾ استسلموا حيث لا سبيل للثاق ولا للفرار ﴿ما كنا نعمل من سوء﴾ أي ما كنا نعتقد أننا ضالون مضلون ﴿بل ان الله عليم بما كنتم تعملون﴾ لا تعتذروا إن الله يعلم الفساد من المصلح

الإعراب :

﴿وأساطير﴾ خبر مبتدأ محذوف أي هذه أساطير والذي أنزله أساطير . ﴿وليحملوا﴾ مضارع منصوب بأن مضمرة والمصدر المنسبك مجرور باللام متعلقاً بقالوا ، واللام هنا معناها العاقبة مثل لدوا للموت وإبنوا للخراب . أي كان عاقبة قولهم حمل الأوزار . ﴿وساء ما يوزون﴾ أعربها النحاة والمفسرون كما أعربوا بش ونعم وما بعدهما ، وذكرنا ذلك في ج ٣ ص ١٨٨ . والذي نراه ان ما مصدرية والمصدر المنسبك منها ومن يوزون فاعل ساء أي ساء وزرهم . ﴿والذين تتوفاهم﴾ نعت للكافرين . ﴿وظالمي أنفسهم﴾ حال من ضمير تتوفاهم . ﴿وخالدین﴾ حال من واو أدخلوا . وفليس اللام للتأكيد ، وبش فعل ذم ، وفاعلها مستتر أي بش المشوى ، ومشوى المتكبرين تمييز ، والخصوص بالذم محذوف أي جهنم وهي مبتدأ جملة بش وفاعلها خبر .

﴿انه لا يحب المستكبرين﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ رَبُّكُمْ قَالُوا اسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلِيسَ مَا يَزِرُونَ﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُسْتَفُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّا أَخْزَيْنَا الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّيهِمُ الْمَلَائِكَةُ طَالِمًا أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَيْسَ مَشْئَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾

٣٠- ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا ﴾
 خيراً... ﴿ بعد الإشارة إلى الأشقياء المجرمين الذين
 وصفوا القرآن بالخرافة والأساطير - أشار سبحانه إلى الأتقياء
 المنصفين وأنهم إذا سئلوا عن القرآن ذكروه بكل تقديس
 وتعظيم... وليس الإنصاف وفقاً على المسلمين ، فكل
 من تحرر من الهوى والتعصب ، وفهم القرآن على حقيقته ،
 يقول : هو خير للناس وصلاح بهديه وتعاليمه .

٣١- ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ ﴾... ﴿ ملك دائم ونعيم
 قائم لمن أصلح وأحسن عملاً ﴾ كذلك يجزي الله المتقين ﴿
 لأنه لا يضيع عمل عامل من ذكر أو أنثى .

٣٢- ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُم الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ ﴾ أي
 راضين مرضيين حيث تقول لهم الملائكة فيما تقول : سلام
 عليكم لا تخافوا ولا تحزنوا ، أدخلوا الجنة بما كنتم
 تعملون .

٣٣ - ٣٤- ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ
 أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ ﴾ تقدم بالحرف الواحد في الآية
 ١٥٨ من الأنعام ﴿ كذلك فعل الذين من قبلهم... ﴾
 لجج وتمادى في البني والفضلال أسلاف هؤلاء وأشباههم ،
 فدارت دائرة السوء على رؤوسهم ، وهذي هي بالذات عاقبة
 الأنداد والأمثال لأن الأشياء المتماثلة تؤدي حتماً إلى
 نتائج متماثلة .

٣٥- ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ... ﴾
 وهكذا المجرم والمقصر يلقي المسؤولية على القضاء والقدر
 أو على الآخرين أو على الزمان أو الصدقة !. وتقدم في الآية

* وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا
 لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ
 وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى
 مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ
 الْمُتَّقِينَ ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ
 سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿ هَلْ
 يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ
 كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ
 كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا
 وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ
 أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ
 وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ

اللغة :

ينظرون ينظرون. وحق بهم أحاط بهم.

الإعراب :

﴿ماذا﴾ بمعنى أي شيء ، وعملها النصب بأنزل. ﴿وخيراً﴾ مفعول لفعل محذوف أي أنزل ربنا خيراً. ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ خبر مقدم ،
 ﴿وحسنة﴾ مبتدأ مؤخر ، والجملة مستأنفة ، ويجوز أن تكون بدلا من خير. ﴿وجنات عدن﴾ مخصوصة بالدخ ب نعم. جملة يدخلونها حال ،
 ويجوز أن تكون جنات عدن مبتدأ ويدخلونها خيراً ، والجملة مستأنفة ، والمخصوص بالدخ محذوف. ﴿وطييين﴾ حال من ضمير تتوفاهم.
 جملة يقولون حال من الملائكة.

١٤٨ من الأنعام ﴿فَهَلْ عَلَى الرَّسْلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾
إن الله سبحانه لا يتدخل في أفعال العباد بإرادته الشخصية
التكوينية ، بل يُشَرِّعُ ويبلغ بلسان رسله ، وقد بلغوا وأنكروا
على المتمردين الماندين أشد الإنكار ، فأعرضوا وسخروا ،
فحقت عليهم كلمة العذاب .

٣٦- ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ
وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ تدل هذه الآية بوضوح أن الله
سبحانه قد أرسل رسولاً لكل أمة في كل قرن وإلى كل
قطر ، وهذا ما يقتضيه العدل ، ويحكم به العقل ، حيث
لا عقاب بلا تكليف وبيان ، وليس من الضروري أن يكون
هذا الرسول نبياً ، له تاريخ مذكور وأثر مشهور ، فقد يكون
علماً بدين الله أو عقلاً خالصاً من الشوائب .

﴿فَمَنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ﴾ وهو الذي سلك طريق
الهدى والتقى «ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له
أجر» - ه الطلاق ﴿وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾
وهو الذي سلك طريق الضلال، وأسرف في الفساد «إن الله
لا يهدي من هو مسرف كذاب - ٢٨ غافر» .

٣٧- ﴿أَن تَحْرَصَ عَلَى هِدَاهِمُ﴾ لقد جاهدت
يا محمد ، وحرضت كل الحرص على هداية الناس بعامه
وقومك بخاصة ، ولكن مجرد الحرص ليس سبباً لوجود
الهداية ، وإنما السبب الأول هو رغبة الإنسان في الهدى
وتحرره من الهوى ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ﴾ وهو
مصر على الضلالة ﴿وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ﴾ إلا الندم
والتوبة قبل فوات الأوان .

٣٨- ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ ولا دليل على هذا النفي إلا الاستبعاد والشك ،
والشك عند العلماء باعث وسبب للبحث والتقصي لا للنفي بلسان الجزم ﴿بَلَى وَعَلَىٰ عَلَيْهِ حَقًّا﴾ لا مفر منه لأسباب، منها :

٣٩- ﴿لِّبَيْنِ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ﴾ تختلف الناس في ربهم وأنبياهم وفي عاداتهم وآرائهم وفي العديد
من الأشياء ، ولا بد من الحكم والفصل بين الحق والمبطل والطيب والخبيث ، ويوم القيامة هو يوم الحساب بالحق
والعدل حيث لا حجج زائفة ولا أعداء كاذبة .

﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾ في قسمهم : لا يبعث من يموت ، ويقولوا : يا ويلنا من
بعثنا من مرقدنا ، هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون .

٤٠- ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ تماماً بدأ الخلق بهذه الكلمة وبها يعيده ،
وتقدم في الآية ١١٧ من البقرة وغيرها .

٤١ - ٤٢- ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِمَّا ظَلَمُوا...﴾ وتصدق هذه الآية على الصحابة الذين
هاجروا إلى الحبشة والمدينة المنورة ، وأيضاً تشمل الذين شردوا عن ديارهم وأمواهم قسراً وعدواناً .

الَّذِينَ مِّن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسْلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٦﴾
وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا
الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّن حَقَّتْ عَلَيْهِ
الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ
عَقِبَ الْمُكْدِرِينَ ﴿٣٧﴾ إِن تَحْرَصَ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ
لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَأَقْسَمُوا
بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعَدَا
عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ لِّبَيْنِ
لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا
كَذِبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ
كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِمَّا ظَلَمُوا
لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جُزْءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا

٤٣- ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ ﴾ قال الماعنون لمحمد : أنت بشر ، والله فوق البشر باعتراك ، ومن كان فوق الناس لا يختار رسولا منهم ، فإذن ما أنت لله برسول ! هذا هو منطق الشيطان وحزبه ، فأبطل سبحانه زعمهم بأن جميع أنبياء الله ورسله كانوا رجالاً من أهل الأرض لا ملائكة من أهل السماء . هذا ، إلى أن رسالة محمد (ص) هي بذاتها تدل على أنها لسان الله وبيانه ، وهل من ذي لب عليم وسليم يجرا على القول بأن القرآن ينطق عن محمد لا عن الله ؟.

﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ قال جماعة كثر من المفسرين : إن المراد بالسؤال هنا سؤال خاص ومعين بدلالة سياق الآية ، وهو هل أرسل الله إلى الأمم السابقة بشراً أو ملائكة ؟ وعليه يتبين أن يكون المراد بأهل الذكر المسؤولين هم علماء أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، وفي تفسير ابن كثير القرشي : « أن محمداً الباقر قال : نحن أهل الذكر . وعلماء أهل بيت رسول الله عليهم السلام والرحمة من خير العلماء إذا كانوا على السنة المستقيمة » .

٤٤- ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ﴾ متعلق بأرسلنا : والبيّنات : الحجج والدلائل ، والزُّبُر : الكتب ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ﴾ يا محمد ﴿ الذِّكْرَ ﴾ القرآن ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ هذي هي مهمة الأنبياء أن ينقلوا عن الله لعباده حرامه وحلاله ونوابه وعقابه ، لأن يتبنا كل نبي ويمتد طبقاً لمزاجه وخواهيه وإلا كان الأنبياء تماماً كأبي حنيفة والمالكي والشافعي وغيرهم من أئمة المذاهب . وبهذا يتبين الخطأ في قول من قال من علماء السنة : يجوز للنبي أن يجتهد فيما لا نص فيه .

٤٥ - ٤٦- ﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ ﴾ قال المفسرون : المراد بالمكافرين هنا مشركو مكة ، لأنهم ألجوا على النبي (ص) وتآمروا على قتله ﴿ أَنْ يَخْضِفَ بِهِمُ الْأَرْضَ ﴾ فتبتلعهم أحياء كما فعل سبحانه بقارون ﴿ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ يهلكهم بشفة كما فعل بقوم لوط ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِيمِهِمْ ﴾ في أسفارهم وحال اشتغالهم في أمورهم الخاصة والعامة ٤٧- ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ ﴾ أي وهم خائفون يترقبون أن يحل بهم العذاب ﴿ فَإِنْ رَكِبُوا لُزُوفَ رَحِيمٍ ﴾ لا يعمل العقوبة لمن يستحقها ، بل يعمل ويفتح باب التوبة ، ويقول : من دخله كان آمناً ٤٨- ﴿ أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَتَّحُوا ظُلُمَاتُ الْغَيْبِ ﴾ قد يقال : وأي عجب أن يكون للشيء ظل وفيه ما دام هناك شمس وأرض تدور حولها ؟ الجواب : ليس القصد من ذلك مجرد الإخبار بأن لكل جسم ظلاً كي يكون تحصيلاً للحاصل وتفسير الماء بالماء ، وإنما القصد التشبيه إلى نظام الكون بأسره ، وأنه تعالى أنقذ كل شيء من خلقه ووضع في فلكه تماماً كما يقال : الرجل المناسب في المكان المناسب ، وضرب مثلاً لذلك بالظل ، وأنه لو لم تكن الشمس في فلكها والأرض في مكانها ما كان لكل جسم ظل ، وكذلك سائر المخلوقات ، كل في فلك يسبحون ﴿ سَجْدًا لِلَّهِ ﴾ أي كل الكائنات تخضع لتدبير الله ، وتنطق بكماله وجلاله وبالغ قدرته وحكمته ﴿ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾ أي مقادون صاغرون ولنسابة الإشارة إلى الفيء نقل هذه الكلمات من دعاء للإمام زين العابدين وسيد

يَعْلَمُونَ ﴿ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِيمِهِمْ فَهُمْ يَمْجِرُونَ ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنْ رَبَّرُوا لَكُرْهُوفٍ رَحِيمٍ ﴿ أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَتَّحُوا ظُلُمَاتُ الْغَيْبِ وَالشَّمَاةِ يَلْبِسْ دُخَانًا لَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْكَرُونَ ﴿

الساجدين (ع) «سبحانك تعلم وزن الظلمة والنور ، سبحانك تعلم وزن الفيء والهواء» فن أين جاء هذا العلم يومذاك إذا لم يكن عن أبيه عن جده عن جبريل عن الباري ؟

٤٩ - ٥٠ - ﴿ وَهُوَ يُسَبِّحُ مَا فِي السَّمَوَاتِ ... ﴾
قال الإمام الصادق (ع) : « السجود على نوعين : إرادي وطبيعي » والأول سجود العناء ، والثاني سجود سائر الموجودات بمعنى أنها في قبضة الله ، وتدل على قدرته وعظمته من باب دلالة المصنوع على الصانع . وتقدم في الآية ١٣ وما بعدها من الرعد .

٥١ - ٥٢ - ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَخَلَّوْا إِلَهِينَ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ ﴾ قال الإمام علي (ع) في وصيته لولده الحسن (ع) : « لو كان لربك شريك لأنتك رسله ، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه ولعرفت أفعاله وصفاته ، ولكنه إله واحد » وتقدم في الآية ١٧١ من النساء ٧٣ من المائدة ﴿ وَهُوَ إِلَهُ الْدِّينِ وَاصِبٌ ﴾ المراد بالدين هنا الطاعة . وبالواصب الدائم ، والمعنى تجب طاعة الله في كل شيء ، ومن أطاعه في الصوم والصلاة ، وعصاه عند بروق المطامع فما هو من دين الله في شيء ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾ وترجون أن يحقق ما في نفوسكم من ميول وريجات .

٥٣ - ٥٤ - ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ ﴾ مالا كانت أو ولداً أو جاهاً أو عاقبة ﴿ فَمَنْ اللَّهُ ﴾ لا من سواه ، فكيف تلجأون وتندللون إلى مخلوق مثلكم طمعاً بما في يده ﴿ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَاوَرُونَ ﴾ ترفعون أصواتكم

مستغيثين بالله أن يكشف عنكم الضر علماً منكم بأنه تعالى هو وحده الذي يدفعه ويزيله . وهنا مكان الغرابة : تلجأون إلى الله مضطرين ، وتبتعدون عن طاعته مختارين ! وتقدم في الآية ١٢ من يونس ٥٥ - ﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ﴾ المراد بالكفر هنا كفران النعمة وجودها ، واللام في ليكفروا للعاقبة ، والمعنى أن الله أنعم عليهم بالكثير ، فكانت عاقبة الحسنى كفرأ لا شكراً ﴿ فَمَتَّعُوا ﴾ بما أنعم الله عليكم واعملوا ما شئتم ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ عاقبتكم الوخيمة ، وتندمون حيث لا ينفع الندم ٥٦ - ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيحاً مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُبَشِّرُ سُبْحَانَهُ بِهَذَا إِلَى الْجَاهِلِيَّةِ الْمُرَكَّةِ وَأَنْ أَهْلَهَا كَانُوا يَعِدُونَ الْأَصْنَامَ ، وَيَجْعَلُونَ لَهَا نَصِيحاً فِي أَمْوَالِهِمْ ، وَتَقْدِمُ فِي الْآيَةِ ١٣٦ مِنَ الْأَنْعَامِ .

٥٧ - ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ قالوا : الملائكة إناث وهن بنات الله ، فنسوا إليه أحسن القسمين من الأولاد ، أما القسم الأفضل الذين يحبون وهو الذكور ، فنسبوه لأنفسهم كما في الآية ٢٢ من النجم : « أَلَمْ يَذْكُرْ وَلَهُ الْأُنثَى تِلْكَ إِذَا قَسَمَ ضَرِي » ٥٨ - ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوِداً وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ كناية عن الهم والكآبة ﴿ وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ ممتلئ ، بالغيط . ولكن يتجرعه ولا يظهره .

٥٩ - ﴿ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ﴾ حتى كأنه ارتكب أشنع الأفعال وفكر : ﴿ أَيْمَسْكُمْ عَلَى هُونٍ ﴾ هل يبقِي المولود المشؤوم صابراً على المذلة والمهانة

يَجَاوُونَ رَبَّهُمْ مِنْ قَوِّهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿ ٥٥ ﴾
* وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهِينَ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ ﴿ ٥٦ ﴾
فَإِلَىٰ قَارِهِيُونَ ﴿ ٥٧ ﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ
وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿ ٥٨ ﴾ وَمَا بِكُمْ مِنْ
نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْعَرُونَ ﴿ ٥٩ ﴾
ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ
يُشْرِكُونَ ﴿ ٦٠ ﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ
تَعْلَمُونَ ﴿ ٦١ ﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيحاً مِّمَّا
رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَنْهَا كُنتُمْ تَفَرُّونَ ﴿ ٦٢ ﴾ وَيَجْعَلُونَ
لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحٰنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿ ٦٣ ﴾ وَإِذَا بُشِّرَ
أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوِداً وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿ ٦٤ ﴾
يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ ۚ أَيَسْكُمْ عَلَىٰ

﴿ أَمْ يَدُسُّ فِي التُّرَابِ ﴾ حياً كما كانوا يصنعون في الجاهلية .

٦٠- ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مِثْلُ السَّوءِ ﴾ أي الوصف القبيح كقتل الأطفال وغيرهم من الأبرياء والسلب والنهب والسفه والجهل ﴿ وَلِلَّهِ الْمِثْلُ الْأَعْلَى ﴾ أي الوصف العلي العظيم . وتجدر الإشارة أن القصد من ذكره تعالى مع ذكر هؤلاء الرد على قولهم : لله البنات ولهم البنون .

٦١- ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾ اليوم عمل ولا حساب ، وغداً حساب ولا عمل ، ولو كان الجزاء منه تعالى في دار الدنيا لكانت الآخرة لزوم ما لا يلزم ، إضافة إلى أن الخضوع خوفاً من السيف المشهور فوق الرأس ، لا يُبد طاعة ومنقية ﴿ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ لتظهر أفعالهم التي يستحقون عليها الثواب والعقاب بعد تراكم الأدلة وتكرارها وقيام الحجة ولزومها وفتح باب التوبة بمصراحيه ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ ﴾ واضح ، وتقدم في الآية ٣٤ من الإعراف و٤٩ من يونس .

٦٢- ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾ لأنفسهم من البنات والشركاء في السيادة والرياسة ﴿ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذْبَ ﴾ ومنه ادعائهم ﴿ أَنْ لَهُمُ الْحَسَنَى ﴾ العاقبة الحسنة ، فرد سبحانه هذا الادعاء الباطل بقوله : ﴿ لَا جِزْمَ ﴾ لا شك في ﴿ أَنْ لَهُمُ النَّارَ ﴾ وبش القرار ﴿ وَأَنَّهُمْ مَفْرُطُونَ ﴾ بفتح الراء مع تخفيفها من الفرط بمعنى السبق لا من الافراط . بمعنى

هُنَّ أَمْ يَدُسُّ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٦٠﴾
لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مِثْلُ السَّوءِ وَلِلَّهِ الْمِثْلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦١﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦٢﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذْبَ أَنَّ لَهُمُ الْحَسَنَى لَا جِزْمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مَفْرُطُونَ ﴿٦٣﴾ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَرِيقٌ لَّهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَعُورٌ وَلِيَهُمْ الْيَوْمُ وَهُمْ عَذَابُ الْعِمْ ﴿٦٤﴾ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٥﴾ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ

التجاوز ، والمعنى أنهم السابقون إلى النار .

٦٣- ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا ﴾ رسلاً ﴿ إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ يا محمد فلم يستجيبوا لرسلكم ، بل قاسوا منهم ألواناً من الأذى ﴿ فَرِيقٌ لَّهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالُهُمْ ﴾ فاستمعوا له وأطاعوه ، وعصوا الرسل كما عصاك وأذاك مشركو قريش ، فهون عليك ولا تحزن ، فإن لك أسوة باخوانك النبين .

٦٤- ﴿ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ تشير هذه الآية إلى أن الله سبحانه أنزل القرآن على محمد (ص) لغايات ثلاث . الأولى : أن يرد إليه كل قضية دينية يختلف فيها الثنائ . الثانية : أن يهدي به من ضل سواء السبيل . الثالثة : أن شريعة القرآن عدل ورحمة للعالمين ، لأن أحكامها بالكامل تهدف إلى جلب المصلحة ودفع المفسدة ، فما من شيء فيه خير وصلاح إلا وأمرت به وجوباً أو ندباً ، وما من شيء فيه شر وفساد إلا ونهت عنه تحريماً لا كراهة .

٦٥- ﴿ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ... ﴾ كلنا يعلم أنه لا حياة بلا ماء ، ولكن القرآن يذكر بنعم الله وإفضاله من له أذن تسمع وقلب يخشع . وتقدم في العديد من الآيات منها الآية ٢٢ و ١٦٤ من البقرة .

٦٦- ﴿وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ ۞ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ
وَالغَنَمِ ۞ لَعِبْرَةٌ ۞ دَلَالَةٌ عَلَى قُدْرَةِ الْخَالِقِ وَحِكْمَتِهِ
۞ نَسْفِكُمْ مِمَّا ۞ مِنْ هُنَا لِلتَّبْعِيضِ أَيْ مِنْ بَعْضِ
الْأَنْعَامِ وَهُوَ الْإِنَاثُ لِأَنَّ الذَّكَوْرَ لَا لَبْنَ فِيهَا ۞ فِي بَطُونِهِ ۞

يعود الضمير إلى بعض الأنعام ۞ من بين فرث ودم لبناً خالصاً
سائغاً للشاربين ۞ والفرث ما يبقى في الكرش بعد الهضم ، ويقول
العارفون : إذا هضمت معدة الحيوان الغذاء طردت الفضلات
الصارة إلى الخارج ، وتمتص العصارة النافعة ، فتتحول إلى دم
يسري في العروق والعدد التي في ضرع الأنثى ، ويصبح لبناً خالصاً
من رائحة الفرث والدم ولونهما وطعمهما .

٦٧- ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِلُونَ
مِنْهُ سَكْرًا ۞ وَرِزْقًا حَسَنًا ۞ الظَّاهِرُ مِنْ كَلِمَةِ السَّكْرِ الشَّرَابُ
الْمُسْكِرُ خَمْرًا كَانَ أَوْ غَيْرَهُ ، وَلَا تَوِيءُ هَذِهِ الْآيَةُ مَسْنً
قَرِيبٌ أَوْ بَعِيدٌ إِلَى تَحْلِيلِ الْمُسْكِرِ أَوْ تَحْرِيمِهِ ، وَإِنَّمَا حَكَتِ
عَنِ عَادَةِ النَّاسِ وَابْتِغَاؤِهِمْ تَتَّخِلُونَ مِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ
شَرَابًا مُسْكِرًا . أَمَّا الرِّزْقُ الْحَسَنُ فَالْمُرَادُ بِهِ الثَّمَرُ وَالرُّطْبُ
وَالزَّبِيبُ وَالْعَنْبُ وَمَا إِلَى ذَلِكَ ، وَتَحَدَّثْنَا عَنْ حُكْمِ الْخَمْرِ
فِي الْقُرْآنِ وَالْإِسْلَامِ عِنْدَ تَفْسِيرِ آيَةِ ٢١٩ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ .
وَفِي الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنْ كِتَابِ فَهْمِ الْإِمَامِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ (ع)
بَابُ الْأَطْعَمَةِ وَالْأَشْرَبَةِ .

٦٨- ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ۞ الْمُرَادُ بِالْوَحْيِ
هُنَا الْغَرِيزَةُ ، لِأَنَّ الْحَيَوَانَ لَا يَفْكُرُ وَيَخْطُطُ بِعَقْلِ بَلْ بِغَرِيزَةٍ
تَقُوْدُهُ أَلْيَاً وَتَقْلَاطِبًا إِلَى مَا يَضْطَرُّ إِلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ وَيَقَاتِلُهُ تَمَامًا

كَالْحَيَوَانِ تَسِيرُهُ وَتَتَحَكَّمُ بِهِ التَّوَامِيسُ الطَّبِيعِيَّةُ الَّتِي أَوْدَعَهَا اللَّهُ فِيهِ ۞ أَنْ اتَّخَذِي مِنَ الْجِبَالِ بَيْوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا
يَعْرُشُونَ ۞ قَالَ الرَّازِي : « النَّحْلُ نَوْعَانِ : نَوْعٌ يَسْكُنُ فِي الْجِبَالِ وَالْفَيَاضِ - أَيْ يَجْتَمِعُ الشَّجَرُ - وَلَا يَتَعَهَّدُهُ أَحَدٌ ،
أَوْهُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : أَنْ اتَّخَذِي مِنَ الْجِبَالِ بَيْوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ ، وَنَوْعٌ يَسْكُنُ بَيْوتَ النَّاسِ ، وَيَكُونُ فِي تَعَاهُدِهِمْ وَهُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ :
« وَمِمَّا يَعْرُشُونَ » ٦٩- ﴿ ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۞ الطَّبِيعَةُ الْيَانِعَةُ ۞ فَاسْلُكِي سَبِيلَ رَبِّكَ ذَلَالًا ۞ سِيرِي أُنَى
تَشَاتَيْنِ ، فَكُلِ الطَّرِيقَ سَالِكَةً أَمَامَكَ وَمِثْلَهُ ۞ يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ ۞ بَيَاضًا وَحُمْرَةً وَبَصْفَةً تَبَعًا
لِلْمَرْعَى ۞ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ۞ مِنْ بَعْضِ الْأَمْرَاضِ كَقَفَرِ الدَّمِ وَسَوْءِ الْهَضْمِ وَالتَّهَابِ الْقَمِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ .

٧٠- ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يُوَفِّقُكُمْ ۞ كُلُّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ الْإِنْسَانِ كَانَ فِي طَيِّ الْعَدَمِ وَالْكُتْمَانِ ، ثُمَّ أَنْشَأَهُ
اللَّهُ حَيًّا يُقَاسِي عَذَابَ التَّرَبُّعِ وَالْإِحْتِضَارِ مِنْذُ وَلَادَتِهِ إِلَى سَاعَةِ أَجَلِهِ ، فَيَعُودُ إِلَى عَالَمِ الْعَدَمِ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا كَأَن لَمْ يَكُنْ
شَيْءٌ ۞ وَمِنْكُمْ مَنْ يَرُدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ۞ . ضَعِيفٌ فِي الْجِسْمِ ، وَقَلَّةٌ فِي الْعِلْمِ ، وَخَرَفٌ فِي
الْعَقْلِ ، وَسَوْءٌ فِي الْحِفْظِ ، وَفَوْقَ ذَلِكَ عِلٌّ وَأَسْقَامٌ أَشْكَالٌ وَأَلْوَانٌ حَتَّى كَرِهَ وَجُودَهُ وَضَاقَ بِهِ أَهْلُهُ ، وَمِلَّ مَرْمَضُهُ .

٧١- ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ۞ هَذَا مُجَرَّدُ تَعْيِيرٍ وَحِكَايَةٍ عَمَّا هُوَ الْوَاقِعُ بِالْفَعْلِ تَمَامًا كَمَا
لَوْ قَالَ : بَعْضُ النَّاسِ أَغْنِيَاءُ وَبَعْضُهُمْ فَقَرَاءُ ، وَأَسَدَتْ الرِّزْقَ إِلَى مِثْيَتِهِ تَعَالَى لِأَنَّهُ جَرَى عَلَى الْأَسْبَابِ الَّتِي تَنْتَهِي إِلَيْهِ
« وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ قَدْرَهُ تَقْدِيرًا » ٢ - الْفَرَقَانِ ۞ أَيْ بِنِظَامٍ وَحِكْمَةٍ ، وَفِي آيَةِ ٢٠ مِنْ الشُّورَى رِبْطُ سَبْحَانَهُ
رَزَقَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ بِإِرَادَةِ الْإِنْسَانِ : « مَنْ كَانَ يَرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يَرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا » .

وفي الآية ١٨ و ١٩ من الاسراء : « من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ... ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا » وأخيراً نكرر ونؤكد لا طبقات في الإسلام على أساس الجاه والمال والأنساب .

﴿ فما الذين فضلوا ﴾ وهم الأغنياء ﴿ يرادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم ﴾ على ممالكهم وعبيدهم ﴿ فهم فيه سواء ﴾ أي لا يرضي الأغنياء بالمساواة بينهم وبين العبيد في الأموال ، والآية يجملتها رد على المشركين الذين جعلوا لله أنداداً وأشباهاً من خلقه ، ووجه الرد أن هؤلاء لا يرضون بحال أن يشاركهم في أموالهم أحد من عبيدهم ، فكيف يرضي سبحانه بالمساواة بينه وبين عبيده في الالهوية والكمال والجلال ؟ وهل شأن الله تعالى دون شأنكم أيها المشركون ؟ وبكلمة هل لكم شركاء من عبيدكم فيما تملكون حتى نسبتم إلى الله شركاء من عبيده فيما خلق عبيدكم - ٧٢ - ﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ﴾

من جنسكم لا من جنس آخر ، كي يتم الإنس والمشاركة في الحياة الزوجية بين الزوجين ... هذا ما يجب أو ينبغي أن يكون ، أما ما هو كائن بالفعل فطلب آخر ... وبسبب أن تتألف الأخلاق والأرواح إلا إذا تعارف ، وتعاطفت كما في الحديث الشريف ﴿ وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ﴾ أولاً أولاد ، كان أكثرهم من قبل نعمة ، أما بعد « الخنافس والمنجيوب » فالكثير منهم تقمة . وفي سفينة البحار للقمي حديث طويل عن الذين يأتون في آخر الزمان ، جاء فيه : « فعند ذلك حلت العزوبة ، قالوا يا رسول الله أمرتنا بالتزويج ، قال : بلى

ولكن إذا كان ذلك الزمان فهلاك الرجل على يد زوجته وولده ... يكلفونه ما لا يطيق حتى يوردوه موارد الهلكة » .

﴿ رزقكم من الطيبات ﴾ قطعاً ومشرباً ، إضافة إلى الأزواج والأولاد وغير ذلك من المستلزمات .

٧٣ - ﴿ ويعلمون من دون الله ... ﴾ تقدم في الآية ١٨ من يونس .

٧٤ - ﴿ فلا تضربوا الله الأمثال ﴾ لا تجعلوا لله أمثالاً وأشباهاً في الخلق والالهوية .

٧٥ - ﴿ ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء ﴾ هذا مثل للأصنام التي يصنعها الوثنيون بأيديهم ثم يعبدونها ! أنها تماماً كالعبد المملوك الذي لا يرجي خيره ، ولا يخشى شره ، بل أسوأ منه وأضعف ﴿ ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً ﴾ هذا مثل لحر غني قوي وكرم ، يتصرف في نفسه وماله كيف يشاء ﴿ هل يستون ﴾ الحر القادر والعبد العاجز ، وإذا رفضت الفطرة والبديهة هذه المساواة ، فكيف صح في أفهام الوثنيين أن يساوا بين الخالق الرازق وبين وثنهم الذي تبول عليه القلط والكلاب ؟ وكل دين أو فكر أو مبدأ إذا لم يتجاوب مع الحياة ومطالبها ، ولم يحرها من الفاقة والحاجة ، ويعبر بها إلى الحرية والكرامة فهو جهالة وضلالة .

٧٦ - ﴿ وضرب الله مثلاً رجلين ﴾ هذا مثل آخر لعبادة الأصنام بالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء ، وشبهها هنا بالأيكم والكل في قوله ﴿ أحدهما أنكم ﴾ أخرس لا يفهم ولا يفهم ﴿ لا يقدر على شيء وهو كل ﴾ ثقل وعيال ﴿ على مولاة ﴾ الذي يعيله ﴿ أينما يوجهه لا يأت بخير ﴾ عجز أو قصوراً لا نهاوناً وتقصيراً ﴿ هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو

عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفْنِيعَمَهُ اللَّهُ يَجْعَدُونَ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿١٩﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢٠﴾ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ * ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمِنْ رَزْقِنَا مَنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يَنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكُرُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ

وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ
﴿٧٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٨﴾ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بَطُونِ
أُمَيْيَتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْعًا وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ
وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٩﴾ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ
مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْاءِ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ
سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُونَهَا
يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا
وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئْتًا إِلَى حِينٍ ﴿٨١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ
مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ
لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْبَأْسَ كَذَلِكَ

على صراط مستقيم ﴿٧٦﴾ هل يستوي الأخرس الكل العاجز الذي لا يقدر على شيء هو والقادر على كل شيء والحكيم العادل الذي أعطى كل شيء خلقه وحقه ؟ فكيف ساويتهم أيها الوثنيون في العبادة بين الله تعالى الجامع لصفات الكمال والجلال وبين أصنام صم بكم ؟ وجاء في التفسير المسمى بالتسهيل لمحمد بن أحمد الكلبي « أن الرجل أبو جهل ، والذي يأمر بالعدل عمار بن ياسر .

٧٧- ﴿٧٧﴾ والله غيب السموات والأرض وما أمر الساعة ﴿٧٧﴾ يوم القيامة ﴿٧٧﴾ إلا كلمح البصر أو أقرب ﴿٧٧﴾ بيان لقدرته تعالى ، وأن إعادة الخلق بعد فثائه أبسر عنده من رد الطرف عندنا .

٧٨- ﴿٧٨﴾ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم ﴿٧٨﴾ لا أحد يشك ويناقش في أن الإنسان يخرج من بطن أمه صحيفة بيضاء خالية من كل صورة ورسم إلا من الهداية لاجترار الغذاء من الثدي ، وإنما الخلاف بين الفلاسفة في أن المبادئ العقلية هل هي بالكمال وليدة الحس والتجربة أو أن بعضها وليد الفطرة يدرکہا العقل تلقائياً بلا دليل ومقدمات كمبدأ الذاتية الذي يقول : إن الشيء هو عين ذاته . ولا يمكن أن يكون شيئاً آخر ، وبعضها كسبي لا يدرك إلا بدليل ؟ وأكثر العلماء والفلاسفة على هذا الرأي . وهو الحق وإلا لم تكن لدينا قضايا يقينية على الإطلاق لأن القضية يقينية لا بد وأن تستند إلى البديهية مباشرة أو بالواسطة . وفي أية حال فإن مصدر المعرفة

الفطرية والنظرية لا يتجاوز ﴿٧٩﴾ السمع والأبصار والأفتدة لعلكم تشكرون ﴿٧٩﴾ الله على هذه النعم .
٧٩- ﴿٧٩﴾ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْاءِ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ﴿٧٩﴾ المراد بمسخرات مهيئات للطيران . وبالإمساك عدم السقوط على الأرض ، ومن الواضح أن الله يجري الأمور على أسبائها ، ويسندھا إليه لأنه سبب الأسباب . وقد اشتهر على الألسنة : إذا أراد الله أمراً هباً أسبابه . وعليه يكون المعنى أن الله خلق للطير جناحين وزوده بكل معدات الطيران وأدوات ٨٠- ﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا ﴿٨٠﴾ فهل أوجد سبحانه السكن بيده أو أرسل لبنائه ملائكة السماء أو قال له كن فكان ، كلا وإتماماً وحباً العقل وأرشدني إلى طريق العلم وقال : « واعملوا صالحاً أي بما تعملون عليهم » ﴿٨١﴾ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ﴿٨١﴾ تستخفونها : خفيفة الحمل . والظعن : السفر ، والإقامة المكث واللبث ، والبيوت بشئ أنواعها نعمة من الله على عباده ، لا يعرف قدرها إلا الذين لا بيوت لهم ، ولحضانة البيوت واحترامها أحكام خاصة في كتب الفقه الإسلامي ﴿٨٢﴾ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئْتًا وَمِئَةً إِلَى حِينٍ ﴿٨٢﴾ الصوف من الغنم ، والوبر من الإبل ، والشعر من المعز ، والأثاث محتويات البيت ، والمتاع كل ما ينتفع به سوى الذهب والفضة و « إلى حين » إشارة إلى أن الدنيا بالأكمل لا قرار لها ولا دوام .
٨١- ٨٢- ﴿٨١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ﴿٨١﴾ وجعل لكم من الجبال أكناناً ﴿٨٢﴾ حصوناً ومعاقل ﴿٨٢﴾ وجعل لكم سراويل ﴿٨٢﴾ قمصاناً ﴿٨٢﴾ تقيكم الحر ﴿٨٢﴾ والبرد أيضاً ، وحذف هذا دلالة ذلك عليه ﴿٨٢﴾ وسراويل ﴿٨٢﴾ دروعاً ﴿٨٢﴾ تقيكم بأسكم ﴿٨٢﴾ عند الطعن والضرب .

﴿ كَذَلِكَ يَتِمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْلُمُونَ ﴾ أي

تستسلمون للحق وتؤمنون بالله ، وقد يظن أن الله سبحانه دعا إلى الإيمان به عن طريق العقل فقط بالنظر إلى الكون وما خلق من شيء مع العلم بأننا قرأ في القرآن الكريم - إلى جانب الآيات العقلية الكونية - آيات من نوع آخر ، تحرك الإنسان وتؤثر به تأثيراً أبلغ وأعمق من تأثير العقل ومنطقه . وهي الآيات التي خاطبت العاطفة والمنفعة الشخصية الشرعية ، وما أكثرها في كتاب الله ، ومنها قوله تعالى : ﴿ يَتِمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْلُمُونَ ﴾ وقوله : ﴿ فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾ إلى غير ذلك مما سبق ويأتي . وتدل آيات هذا الباب معطوفاً عليها الحديث الشريف : كاد الفقر

نعمه تعالى وأفضاله إلى عباده المستضعفين ، هو جهاد في سبيل الله والإيمان به وإعلاء كلمته وانتشار دينه وإعزاز حوزته .

٨٣- ﴿ يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها ﴾ المراد

بمعرفة نعمة الله أنهم يستنعمون بها ، وإنكارهم إياها أنهم لا يؤدون حقها من الشكر ويحمدون الواهب على جوده وعطائه .

٨٤- ﴿ ويوم نبعث من كل أمة شهيداً ﴾ هذا دليل آخر على أن لكل أمة نبياً أو إماماً أو عالماً بدين الله ، وأنه يشهد عليها بما أجابت وفعلت حين أبلغها رسالة الله سبحانه ويشر وأنذر ﴿ ثم لا يؤفذن للذين كفروا ﴾ بالرد والإعتذار بعد أن قامت الحجة عليهم بشهادة الرسول ﴿ ولا هم يستعتبون ﴾ لا يطلب من الطغاة والعصاة

أن يسترضوا الله سبحانه بالتوبة والاستغفار حيث لا عمل واسترضاء في يوم القيامة ، بل حساب وجزاء .

٨٥- ﴿ وإذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ﴾ الظالم المعتدي على حقوق الآخرين لا ظلم عليه يوم القيامة ، بل يأخذه الله بظلمه وكفى من غير زيادة ، وأيضاً لا يرحمه ويلطف به بتخفيف العذاب وتقصانه ، ورحمته تعالى وإن اتسعت لكل شيء ، فإنها تضيق بالظالم لعباده وعياله ، وليس عندي في ذلك أدنى ريب ﴿ ولا هم ينظرون ﴾ بل يسرعون إلى جهنم ، فستقبلهم سعيها وزفيرها ٨٦- ﴿ وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم ﴾ وهم الذين كانوا يعبدونهم في الدنيا ، وتدل هذه الآية أن معبود المشرك يحشر معه يوم القيامة حتى ولو كان حجراً تأكيداً للحجة عليه ، وعن الإمام الباقر (ع) : لو أحبتنا حجر حشره الله معنا ، وهل الدين إلا الحب ﴿ قالوا ﴾ أي المشركون ﴿ ربنا هؤلاء ﴾ إشارة إلى الشركاء المعبودين : ﴿ شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك ﴾ ليس هذا مجرد اعتراف بالخطأ ، بل وأنهم لا يسمعون ولا يعقلون كما في الآية ١٠ من الملك : ﴿ لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ﴾ ﴿ فأتقوا إلههم القول ﴾ أنطق سبحانه الآلهة المزعومة وقالت : أيها المشركون ﴿ إنكم لكاذبون ﴾ ومفترون في جعلنا شركاء لله .

٨٧- ﴿ وألقوا إلى الله يومئذ السلم ﴾ استسلم العابد الجاهل والمعبود الزائف لحكم الله وعذابه .

٨٨- ﴿ الذين كفروا وصلوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون ﴾ عذاباً على كفرهم وضلالهم ، وعذاباً على إنسادهم في الأرض وإضلالهم الناس عن الحق واتباعه . وتقدم في الآية ٢٥ من هذه السورة .

يَتِمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْلُمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَمَا أَمَّا عَلَيْكَ الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يَنْكُرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَالْقَوَا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامُ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا

عَلَى هَؤُلَاءِ وَزَلَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ
وَهَدَىٰ رَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ * إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرٍ
بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكَ لَعَلَّكَ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾
وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ
تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ
مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَفَقَتْ غُرُهُمْ مِنْ
بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكُنَّا خَائِدُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلُوا بَيْنَكُمْ أَنْ
تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبُلُوكُمْ اللَّهُ بِهِ
وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ
وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتَسْلُطَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

٨٩- ﴿ ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم ﴾ تقدم في الآية ٨٤ من هذه السورة ، وأعاد الآن تهديداً للذين كذبوا محمداً ﴿ وجئنا بك شهيداً على هؤلاء ﴾ الخطاب لمحمد (ص) وهؤلاء إشارة إلى من حرف وزيف من أمته ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ﴾ في الجزء الأول من أصول الكافي أن الإمام الصادق (ع) قال : « ما خلق الله حلالاً ولا حراماً إلا وله حد ... حتى أُرش الخدش » وأن الإمام الباقر (ع) قال لأصحابه : « إذا حدثتكم بشيء فاسألوني أين هو من كتاب الله ، ثم قال في بعض حديثه : نهى رسول الله (ص) عن القيل والقال ، وفساد المال ، وكثرة السؤال . فقيل له : أين هذا من كتاب الله ؟ فقال : إن الله عز وجل قال : « لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس » - ١١٤ النساء ... وقال : ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً - ه النساء . وقال لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكن تسؤكن - ١٠١ المائدة . والآية الأولى نهت عن القيل والقال ، والثانية عن فساد المال ، والثالثة عن كثرة السؤال .

٩٠- ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ﴾ أمر سبحانه في هذه الآية بثلاث خصال حميدة : العدل وهو الإنصاف ، والإحسان وهو التفضل لوجه البر والإحسان . وسئل الإمام علي « أيها أفضل : العدل أو الجود ؟ فقال : العدل يضع الأمور مواضعها ، والجود

يخرجها من جبهتها - أي يتجاوز بالأشياء إلى جهة الإحسان - العدل سائس عام (أي نظام عام لا تسقيم الحياة بدونه) والجود عارض خاص ، فالعدل أشرفهما وأفضلهما ، والخصلة الثالثة إيتاء ذي القربى ، وهو من مظاهر الإحسان، ولكنه أعلاها ، ولذا خصه سبحانه بالذكر ﴿ وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ﴾ ونهى سبحانه عن ثلاث خصال قبيحة : الفحشاء ، وأفحش الفحش الزنا لأنه في الآخرة بين بدني عذاب شديد ، وفي الدنيا عار على الزاني والزانية وعلى أولادها وأمه وأبيه ، والمنكر : كل ما ينكره العقل والشرع ، والبغى : العدوان على حق من حقوق الناس ، وهو أكبر الكبائر ، وتصدق عليه كلمة الفحشاء والمنكر والإثم . وأيضاً الكفر ، قال سبحانه : « فأبى الظالمون إلا كفوراً » - ٩٩ الإسراء وتجمع هذه الآية أهميات الفضائل قال عثمان بن مظعون : أسلمت استحياء من رسول الله ، وما قر الإسلام في قلبي حتى نزلت هذه الآية : « إن الله يأمر بالعدل ... » ٩١- ﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ﴾ وكل من آمن بالله فقد أعطاه عهداً أن يأتمر بأمره ، وينتهي بنهيه ، ومن يعص الله في شيء فهو من التاكتين الناصتين لمهد الله تعالى ﴿ ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ﴾ الإيمان جمع يمين ، وتوكيدها : عهدها ﴿ وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً ﴾ رقيباً ومتكفلاً بالوفاء ٩٢- ﴿ ولا تكونوا كآلتي نفقت غرلها من بعد قوة أنكاثاً ﴾ شبه سبحانه ناقض العهد والأيمان بالمحققات التي تنقض الغرل بعد إبرامه ﴿ تتخلون ﴾ أي أنتخذون ﴿ أيمانكم دخلاً ﴾ غدراً ومكرراً ﴿ بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة ﴾ كانت القبيلة في الجاهلية تحالف أخرى ، فإذا جاءتها قبيلة أقوى منها غدرت بها ، وحالفت الثانية ، فهي سبحانه عن هذا وأنكره ﴿ إنما يبلوكم الله به ﴾ ضمير به

يعود إلى أمر الله بالوفاء ، والمعنى أنه تعالى يأمر العباد بالخير ، وينهاهم عن الشر ليمتيز المطيع من العاصي والطيب من الخبيث .

٩٣- ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ ﴿٩٣﴾ بالقسر والإلجاء أمة واحدة ﴾ . ولكنه ترك الانسان وما يختار ليتحمل مسؤولية عمله . وتقدم في الآية ٤٨ من المائدة و ١١٨ من هود .

﴿ ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ﴾ المراد بالفضلال هنا العذاب على العصية ، وبالهدى الثواب على الطاعة بقرينة قوله تعالى بلا فاصل : ﴿ ولستأن عما كنتم تعملون ﴾ وتقدم مراراً أن الله لا يحكم بالضلال إلا على من ضل ولا بالهدى إلا على من اهتدى : « فن اهتدى فإتاما يهتدي لنفسه ومن ضل فإتاما يضل عليها - ١٠٨ - يونس » .

٩٤- ﴿ ولا تتخلوا إيمانكم دَخَلًا بينكم ﴾ تقدم قبل لحظة في الآية ٩٢ ، وكرر سبحانه ليهدد الماكر الغادر بقوله : ﴿ فقول قلم بعد ثبوتها ﴾ أي يرجع المرء عن الحق والعهد الذي التزم به ، إلى النكث والباطل ، وتستعمل هذه الكلمة في الذي استقام على الحق ثم حاد عنه ﴿ وتلقوا السوء ﴾ العذاب ﴿ بما صدقتم ﴾ أعرضتم وانصرفتم ﴿ عن سبيل الله ﴾ .

٩٥- ﴿ ولا تشتروا بعهد الله ثمنًا قليلاً ﴾ لا تؤثروا والمراد به هنا الوفاء بالعهود والأيمان . متافعكم الخاصة على

وَلَا تَخْدُوا إِيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَسْتُرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ تَمَنَّا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٥﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنشَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٧﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطٰنٌ عَلَى الَّذِينَ ءٰمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٨﴾ إِنَّمَا سُلْطٰنُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿٩٩﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَا ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَبْزِلُ قَالُوا

الحق ، ولا تتناضوا عنه أي ثمن ، فإن متاع الدنيا قليل ، والآخرة خير وأبقى .

٩٦- ﴿ ما عندكم ينفد وما عند الله باق ﴾ بل نحن أيضاً نفد ، ولا بقاء لفرع بعد ذهاب أصله ، والباقي هو الله والعمل الصالح لوجه الله كما أشار سبحانه بقوله : ﴿ ولنجزين الذين صبروا أجورهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ أي صبروا على الجهاد في سبيل الله والنضال لإحقاق الحق وإبطال الباطل ، لا على الفقر والتفريط بالحق والعدل ، لأن الله سبحانه لا يعفي المظلوم من مقاومة الظالم وردعه بكل سبيل .

٩٧- ﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى ... ﴾ أبداً لا فرق لأن الكل من آدم وآدم من تراب . إن أكرمكم عند الله اتقاكم . وتقدم في الآية ١٢٤ من النساء ٩٨- ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ الاستعاذة من الشيطان راجحة ومستحبة في شتى الأحوال ، بخاصة عند تلاوة الذكر الحكيم ، ولكن السلاح الأقوى والأمضي الذي نستظهر به على الشيطان وحزبه هو الإخلاص في الدين والعمل باعتراف الشيطان وقوله : « لأعوينهم أجمعين لإعابادك منهم المخلصين ٨٣ ص » وصدق سبحانه قوله هذا في العديد من الآيات ومنها قوله جل وعز ٩٩- ﴿ إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا ﴾ وإن قال قائل : لقد شاهدنا سلطانه وأثره بعض الأحيان ، على من آمن بالله واليوم الآخر ، قلنا في جوابه : أجل ، ولكن المؤمن حقاً وصدقاً يتوب ويتوب ، ومن تاب من الذب كمن لا ذنب له ١٠٠- ﴿ إنما سلطانه على الذين يتولونه ﴾ وهم من أسسوا له القباد ولم يجاذبوه ويقاوموه ﴿ هم به ﴾ أي بسبب طاعة الشيطان ﴿ مشركون ﴾ وليس من الضروري أن يعملوه مع الله إلهاً آخر فإن يسر الرياء شرك ١٠١- ﴿ وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما يتزل ﴾

لله سبحانه أحكام أبدية ، تبقى ما بقي الدهر ،

لا يسوغ فيها النسخ والتغيير ولا التقليل والتعطيم ولا الخلاف والاجتهاد كالإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر ، والصوم والصلاة والحج والخمس والزكاة ، وأيضاً له سبحانه أحكام أممية لا أبدية ، تستدعي الحكمة أن يشرعها لأمد معين . وأيضاً تستدعي الحكمة أن لا يصرح سبحانه بهذا الأمد عند إنشاء الحكم حتى إذا انتهى الأمد ارتفع الحكم ، وشرع حكماً آخر مكانه . أيضاً على وفق الحكمة والمصلحة ، ويسمى هذا نسخاً ، وتقدم الكلام عنه في الآية ١٠٦ من البقرة ﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ عَلَى آٰلِهِنَّ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ كان المشركون إذا رأوا نسخ حكم بآخر يقولون هذا افتراء على الله ، ولو كان من عنده ما تبدل وتغير ، بل هم الجاهلون المفترون .

١٠٢- ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ ﴾ وهو جبريل . ولُقبَ بذلك لأنه نزل بقدس الأقداس - أي القرآن - على محمد (ص) ﴿ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾ بالصدق والعدل والهدى والرحمة .

﴿ لَبِثَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ من الإيمان ما هو زعم ووهم ، يذهب مع الريح لأدنى عارض وطارىء ومنه ما هو أرسى من الجبال الراسيات ، وهو القائم على الفهم عن الله ورسوله كتاباً وسنة ﴿ وَهُدًى ﴾ التي هي أقوم ﴿ وَبَشْرًى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ بأن هم من الله أجراً كبيراً .

١٠٣- ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ﴾ قال الذين تنكروا لكل خير وحق وصدق : هذا القرآن تعلمه محمد من فلان الفلاني ، فرد سبحانه عليهم بقوله :

﴿ لِسَانَ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي ﴾ المراد باللسان هنا اللغة والكلام ، وبالإلحاد النسبة والإستناد ، والمعنى . هذا القرآن عربي مبين ، والذين تسندون القرآن إلى مجهول اللغة العربية العربية ! فمن أين جاءته هذه المعجزة ؟ وعلى قولكم هذا ينبغي أن يكون الأعجمي الذي تزعمون هو النبي . فلماذا لا تتخذوه نبياً ؟ .

١٠٤- ﴿ إِنْ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ أي بالقرآن ونبوته محمد (ص) بعد الحجة الدامغة والبرهان القاطع ، أولئك ﴿ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ ﴾ أي لا يشتهم دليل قوله تعالى : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

١٠٥- ﴿ إِنَّمَا يُفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ إن الكذب والإفتراء بكم أتيق وألصق أبها الجاحدون المعاندون . لأنكم لا تؤمنون بحق ، ولا تنطقون بصدق . ولا تحفلون بخير ، أما محمد فهو أفضل وأكمل ما في البشرية من فضائل وأخلاق ١٠٦- ﴿ مِنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ ﴾ فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ، والدليل على هاتين الجملتين المحذوفين قوله تعالى في آخر الآية : ﴿ مِنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ ﴾ .

« من كفر » مبتدأ وخبره محذوف تقديره فعليهم غضب من الله ﴿ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ ﴾ وقوله مطعون بالإيمان ﴿ قَالَ الْمُسْرُونَ مِنَ السَّنَةِ وَالشَّيْعَةِ : إِنْ الْمَشْرِكِينَ عَذَّبُوا عِمَارُ بْنُ يَاسِرٍ حَتَّى يُعْطِيَهُمْ مِنْ لِسَانِهِ كَلِمَةً كَافِرَةً ، فَتَضَوْا بِهَا مَكْرَهُاً . فَقَالَ بَعْضُهُمْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ عِمَاراً كَفَرَ . فَقَالَ الرَّسُولُ (ص) : كَلَّا ، إِنْ عِمَاراً مَلَى إِيمَاناً مِنْ قَرْنِهِ إِلَى قَدَمِهِ . وَاخْتَلَطَ الْإِيمَانُ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ ، وَجَاءَ عِمَارُ إِلَى النَّبِيِّ (ص) بِأَكْبَا ، فَسَجَّ عَيْنَيْهِ وَقَالَ : مَا لَكَ ؟ إِنْ عَادُوا فَعَدَّ فَنَزَلَتْ « إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ » . » وقال ابن كثير الشافعي الدمشقي في تفسير هذه الآية اتفق العلماء على أن المكره يسوغ له النطق بكلمة الكفر إيقاعاً على

إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لَبِثْتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبَشْرًى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٣﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٠٤﴾ إِنْ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٥﴾ إِنَّمَا يُفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١٠٦﴾ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٧﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآٰخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٨﴾

مهجته . وتكلمنا عن التقية مفصلاً في كتاب الشيعة في الميزان .
﴿ ولكن من شر بالكفر صدراً ﴾ طابت له نفوسهم ،
واطمأنت به قلوبهم لا من نطق بالكفر خوفاً من القتل كعمار بن
ياسر أولئك عليهم غضب الجبار ولهم عذاب النار .

١٠٧ - ١٠٩ - ﴿ ذلك بأنهم ﴾ لا يدينون
بمبدأ أوصير ، ولا يفهمون ويتكلمون إلا لغة النافع والأرباح ،
أولئك شر أهل الأرض ذاتاً وعملاً .

١١٠ - ﴿ ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتوا
ثم جاهلوا وصبروا ﴾ يشير سبحانه بهذا إلى المؤمنين المستضعفين
الذين لم يهاجروا من مكة إلى المدينة مع من هاجر عن ضعف وعجز .
وقاسوا العنت والتكثير من أجل دينهم ، وأعطى البعض منهم
المشركين ما أرادوا ، ثم سنحت له القرصة ، فهاجر وجاهد وصبر
﴿ إن ربك من بعدها ﴾ أي بعد التوبة والهجرة ﴿ لغفور
رحيم ﴾ بخاصة لمن تاب ولم يعد إلى الجريمة والمعصية « ومن عاد
فينقم الله منه والله عزيز ذو انتقام - ٩٥ المائدة .

١١١ - ﴿ يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها ﴾
أبدأ « لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه - ٣٧ عبس » لا أم ولا
أب ولا عم ولا خال ولا جاه ولا مال ﴿ وتوفي كل نفس ما
عملت وهم لا يظلمون ﴾ في عقاب أو ثواب . وكيف يظلم
سبحانه ويوم القيامة يأمر ملكاً من ملائكته أن يقف بين أهل الجنة
والنار يتنادي بأعلى صوته ويقول : إن لعنة الله على الظالمين كما
نصت الآية ٤٤ من الأعراف .

١١٢ - ﴿ وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة
يأتيها رزقها رغداً ﴾ وإسعاً وهنيئاً ، وكانت هذه الأوصاف متوافرة في مكة المكرمة أيام البعثة حيث كان أهلها آمنين من الغزو
بفضل البيت المحرم ، وكان الرزق يأتيها من كل مكان استجابة لدعوة إبراهيم خليل الرحمن (ع) ﴿ فكفرت بأنعم الله ﴾
ورحمته للإنسانية جمعاء ، وهي نبوة محمد (ص) التي ملأت الأرض علماً وعدلاً وسلاماً ﴿ فأذاقها الله لباس الجوع والخوف
بما كانوا يصنعون ﴾ وذلك أن العتاة من أهل مكة أذاقوا النبي ألواناً من الأذى والتكثير : فدعا عليهم وقال من جملة ما قال
في دعائه : اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف . فاستجاب الله دعوته وأصابتهم شدة أذهبت كل شيء . فأكلوا الكلاب والجيف
أما الخوف فقد كان من سطوة محمد (ص) وسراياه وجيوشه .

١١٣ - ﴿ ولقد جاءهم رسول منهم ﴾ عاد سبحانه إلى الرسول الأعظم (ص) وقومه العناية الطغاة ليقول
﴿ فأخذهم العذاب وهم ظالمون ﴾ وفي نهج البلاغة : الله للظالم بالمرصاد على مجاز ريقه ، وبموضع الشجى « أي النضة »
من مساع ريقه .

١١٤ - ١١٥ - ﴿ فكلوا مما رزقكم الله الخ ﴾ تقدم في الآية ١٧٢ و ١٧٣ من البقرة .

الإعراب :

قرية بدل من « مثلاً » . « ورغداً » حال من رزقها أي واسعاً .

أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَصَمَّيَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْعَصِيُّونَ ﴿١٠٨﴾ لَاجِرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ
هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا
مِنْ بَعْدِ مَا فَتَنَّاوْا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ
بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾ * يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ
تُجَدِّلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً
مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ
بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَادَّارَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا
كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ
فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا
مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ

١١٦ - ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا

حلال وهذا حرام ﴾ الحلال ما أحله الله ، والحرام ما حرمه الله ، ومعنى هذا أنه لا يسوغ لأحد أن يقول : هذا حلال أو حرام إلا أن يكون عالماً بدين الله ، وإذا نقل الجاهل الحكم رواية عن العالم فلا إثم عليه وإن قال برأيه وتشبهه فقد اكتسب إثمًا وإن أصاب ، لأن الفتوى بالرأي محرمة من حيث هي للنبي عن القول بالجهل دون استثناء .

١١٧ - ﴿ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ﴾ في الدنيا ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ وكثير في الآخرة ، والمقصود بهذه الآية الذين يجلبون ويحرمون بلا كتاب وسنة .

١١٨ - ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا ﴾ اليهود ﴿ حَرَمًا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ ﴾ في الآية ١٤٦ من الأنعام ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ ﴾ فيما ضيقنا عليهم من التحريم ﴿ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ بما عصوا وكانوا يعتدون .

١١٩ - ﴿ ثُمَّ إِنْ رَبُّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ﴾ في مجمع البحرين للشيخ الطريحي « أجمعت الصحابة على أن كل ما عصي الله به فهو جهالة ... لأنه اختبار للذة القانية على اللذة الباقية » . وتقدم في الآية ٥٤ من الأنعام .

١٢٠ - ﴿ إِنْ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ بعظمته وأبوته للأنبياء ، وقال صاحب روح البيان عند تفسير هذه الآية : جاء في الحديث « الحسين سيط من الأسباط أي أمة من الأمم لأن السادات من نسل ولده زين العابدين » ﴿ قَانَتَا اللَّهَ ﴾ مطيعاً له ﴿ حَنِيفًا ﴾ مستقيماً على الحق ﴿ وَلَمْ يَكْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ هذا رد على المشركين الذين ادعوا أنهم على ملة إبراهيم .

١٢١ - ﴿ شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ ﴾ مخلصاً في شكره لنعم الله عليه ﴿ اجْتَنِبَاهُ ﴾ اختاره للنبوته ﴿ وَهَدَاهُ إِلَى

إِنْ كُنْتُمْ لِإِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِرِ وَمَا أَهْلَ لِيَغْيِرَ اللَّهُ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَنفَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنْ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿ ثُمَّ إِنْ رَبُّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ إِنْ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانَتَا اللَّهَ حَنِيفًا وَلَمْ يَكْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿ شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتَنِبَهُ وَهَدَاهُ إِلَى

الإعراب :

﴿ الكذب ﴾ مفعول لتصف ، وهو مبالغة في كذبهم لأن المعنى ان ألسنتهم تُعرّف الناس بحقيقة الكذب ، فهو تماماً مثل قولك : وجهه يصف للناس الجمال . والمصدر المنسبك من لتفتروا بدل من لما تصف مع إعادة حرف الجر لأن وصفهم الكذب هو افتراء على الله . ﴿ ومتاع قليل ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي بقاؤهم متاع قليل . . ﴿ أمة ﴾ خبر كان ﴿ وقاننا وحنيفاً وشاكراً ﴾ أخبار متعددة لكان ﴿ وحنيفاً ﴾ حال من إبراهيم .

صراط مستقيم ﴿ وهو دين الإسلام بنص الآية ٦٦ من آل عمران .

١٢٢- ﴿ وآتيناها في الدنيا حسنة ﴾ وهي تعظيم جميع الأديان لمكانته واعترافها بنبوته ﴿ وإنه في الآخرة لمن الصالحين ﴾ لأنه جاهد في دياه ، وأخلص وأصلح .

١٢٣- ﴿ ثم أوحينا إليك ﴾ يا محمد ﴿ أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً ﴾ هذا دليل قاطع على أن الإسلام وديانة إبراهيم شيء واحد في العقيدة ، بل وكل الأنبياء بلا استثناء .

١٢٤- ﴿ إنما جعل السبت ﴾ يوم عطلة وراحة

﴿ على الذين اختلفوا فيه ﴾ وفسر الشيخ الطبرسي هذا الاختلاف بأن بني إسرائيل « أحلوا الصيد في السبت تارة ، وحرموه أخرى ، وكان الواجب أن يحرموه على كلمة واحدة ﴾ وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة ﴿ واضح ، وتقدم في الآية ١١٣ من البقرة ، والآية ١٤١ من النساء .

١٢٥- ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة ﴾ ... ﴿ الهدف الأول من المناظرة العلمية أن يظهر الحق ويقتنع به الطرف الثاني بحيث إذا أبى وأصر على الإنكار كان في نظر العقلاء المنصفين مكابراً ومعانداً للحق وذكر سبحانه في هذه الآية ثلاثة شروط للمناظرة المثمرة (١) أن يكون بالحكمة ، والمراد بالحكمة هنا الحجة المحكمة والبرهان الواضح (٢) الموعظة الحسنة ، وهي أن يتجرد المناظر عن كل هوى وميل بحيث يفهم الطرف الآخر أن الذي يناظره من الناصحين والمخلصين له

وللحقيقة ، ولا يقصد المباحة وعرض المضلات (٣) أن يكون الجدال بالتي هي أحسن أي بالرفق واللين كما قال سبحانه لموسي وهرون : « قولا له قولاً لبناً لعل يتذكر أويخشى - ٤٤ طه » وشهد سبحانه لنييه محمد (ص) بأنه قد مكن لدين الله في الأرض بكماله وعظمة خصاله ، وسجل تقديست كلمته ، شهادته هذه في كتابه المجيد الآية ١٥٩ من آل عمران : فما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك » أنظر ما قلناه حول هذه الآية الكريمة ١٢٦- ﴿ وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ﴾ ﴿ ولئن صبرتم لهو خير للصبرين ﴾ (١) وأصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ﴾ (٢) إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴿ (٣)

١٢٧- ﴿ واصبر ﴾ يا محمد ﴿ وما صبرك إلا بالله ﴾ بأي بحوله وقوته ، فقال النبي (ص) : نصبر ولا ناعقب ﴿ ولا تحزن عليهم ﴾ لا تأسف على كفرهم وضلالهم ﴿ ولا تك في ضيق ﴾ في هم وغم ﴿ مما يمكرون ﴾ ويدبرون من المؤامرات لأن العاقبة لمن اتقى كما قال سبحانه :

١٢٨- ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ المراد بالتقوى التزاعة والكف عن الشرّ والحرام ، أما المحسنون فهم الذين يقفون مع كل مظلوم ومحروم ، ويجربون كل كبير وقبير .

صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿١﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنْ رَبُّكَ لَبَحْرٌ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤﴾ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّدْ لَهُم بِآيَاتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُو خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿٦﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿٨﴾

سورة الإسراء مكية وآياتها ثمانية عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿سَبَّحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ محمد روحاً وجسداً لظاهر الوحي ، ولا ينكره العقل ﴿لَيْلًا﴾ لمجرد التوضيح لا للإحتراز من الضد لأن الإسرء للسبر ليلاً لا نهاراً ﴿من المسجد الحرام﴾ في مكة المكرمة ﴿إلى المسجد الأقصى﴾ = بيت المقدس في فلسطين ، وسمي الأقصى لبعده عن مكة ، وقيل لمن يكن وراءه مسجد آنذاك . وكثير من المؤلفين يستعملون كلمة الإسرء في رحلة النبي (ص) من المسجد الأول إلى الثاني . والمعراج في رحلته من بيت المقدس إلى السموات العلى ﴿الذي باركنا حوله﴾ الضمير للمسجد الأقصى . والبركة بما كان فيه وفي ضواحيه ونواحيه من أنبياء ﴿لنبيه﴾ محمد ﴿من آياتنا﴾ عجباً ﴿إنه هو السميع البصير﴾ لقول من صدق أو كذب بهذا الإسرء والمعراج . والجزء موفور للثنتين : الثواب لمن آمن وصدق بهذه الرحلة المحمدية السماوية والعذاب لمن كفر بها وكذبها . ولا يسوغ له أن يتعلل ويعتذر بأن هذا الإرتقاء وصعود الإنسان إلى السماء كان في القديم غير مألوف ومعروف . لأن على العاقل أن يفرق بين ما هو خارق للعادة كتحويل العصا إلى حية وما هو مستحيل في ذاته مثل أن يكون الشيء غير نفسه ، وجزء الشيء أكبر من كله . والأول ممكن الوقوع ويثبت بخبر الصادق دون الثاني . قال الفيلسوف الإنكليزي دافيد هيوم ما معناه : إذا أخبرك مخبر عن معجزة فانظر : «إن كان تكذيب المخبر مستحيلاً عندك فصدقه حتى ولو كانت المعجزة المخبر عنها فوق ما تدرك وتنصّر . وإلا فكذب»

وإن كانت المعجزة ممكنة الوقوع في فهمك وعقلك » . ومحمد(ص) هو الصادق الأمين بشهادة خصومه ، وقد أخبر عن الإسرء والمعراج فوجب التصديق بغض الطرف عن الوحي . وفي جريدة أخبار اليوم المصرية ، تاريخ ١٩٧٢/٩/٢ : «أن الدراسات الأكاديمية في كثير من الدول بخاصة في أميركا يدرسونه هذه الرحلة بشيء كثير من الإمعان ، ويدققون طويلاً في كتب السيرة النبوية ٢- ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ وجعلناه هدى لبني إسرائيل ﴿هادياً لبني يعقوب بن إسحق بن إبراهيم﴾ ألا تتخلوا من دوفي وكيلاً ﴿نصيراً ومعبوداً﴾ ولكنهم حرقوا التوراة ، وانصرفوا بالطغاة ، وأتبعوا الشهوات ٣- ﴿ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ حمل نوح في السفينة أولاده الثلاثة : سام وحام ويافث ، وفي قاموس الكتاب المقدس «سام أكبر أولاد نوح . ومعناه في العبراني اسم . ومن نسله العرب واليهود والأموريون والأشوريون ، وتدعى اللغات التي يتكلم بها نسل سام اللغات السامية . ومنها اللغة العربية والعبرانية» ومعنى هذا أن العرب واليهود أولاد عم ، ولا فخر ، والله سبحانه نادى بني إسرائيل في هذه الآية بذرية ﴿من حملنا﴾ وحرف البداء محذوف أي يا ذرية من حملنا مع نوح ﴿إنه كان عبداً شكوراً﴾ كان جدكم نوح شاكراً ذاكراً أبها اليهود ، فلذا أنتم تكفرون ولا تشكرون .

٤- ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ أخبر سبحانه بني إسرائيل في كتاب التوراة : أنكم ﴿لتفسدن في الأرض مرتين﴾ ولتعلن علواً كبيراً ، لأن هؤلاء امتداد لأولئك ، والمقصود بالإفساد سلطان البغي والعنوان بدليل قوله تعالى بلا فاصل : ﴿ولتعلن علواً كبيراً﴾ وشهد بطغيان الدولة اليهودية التي أشار إليها سبحانه جماعة من المؤلفين والفلاسفة ، منهم الفيلسوف الهولندي اليهودي سبينوزا (١٦٧٧م) فقد أطال الحديث عن فساد وإفساد

(١٧) سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ
وَأَتَيْنَاهَا الْكِتَابَ وَمَا تَنبَأُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا
إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝ وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي
وَكِيلاً ۝ ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا
شَكُورًا ۝ وَقَضَيْنَا إِلَيَّ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ
لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝
فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ

الدولة اليهودية ، وعقد لذلك بالخصوص الفصل السابع عشر والثامن عشر من رسالته الكبيرة في اللاهوت والسياسة ، وترجمها إلى العربية حسن حنفي .

٥- ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا ﴾ إذا وجدت الدولة الأولى ، وغاثت في الأرض فساداً ﴿ بَعْثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ ... ﴾ لهم قوة وعدة وعدد . قتلوا واسروا وشردوا وسبوا ونهبوا ، أنظر التفسير الكاشف وكتاب التاريخ بني إسرائيل من أسفارهم لمحمد عزة دروزة ..

٦- ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ ... ﴾ إشارة إلى الدولة اليهودية الثانية الباغية المغسلة . وفي قاموس الكتاب المقدس : « أورشليم - أي القدس - كانت عاصمة يهوذا وفلسطين السياسية ... ونهب شيشق ملك مصر أورشليم ، وكذلك نهبها الفلسطينيون والعرب معاً في عصر يهورام - أحد ملوك اليهود واستمر ملكه من ٨٥٠ إلى سنة ٨٤٣ قبل الميلاد - أما نبوخذ نصر أي بخت نصر ملك بابل فقد أخذ المدينة مرتين . وأذن الملك كورش الفارسي وشجع كثيرين من اليهود للرجوع إلى أورشليم ... وضم الإسكندر الأكبر أورشليم إلى إمبراطوريته . وبعد موته صارت أولاً تحت حكم البطالسة في مصر ، ثم انتقلت إلى حكم السلوقيين في سوريا ، وفي عام ٦٦ قبل الميلاد ثار المكابيون من اليهود ، وأقاموا مملكة يهودية . وكانت عاصمتها أورشليم ، وبعد أخذ القائد الروماني يومياي أورشليم عام ٦٣ قبل الميلاد أصبحت المدينة تحت حكم الرومان »

ولم يبق لليهود حكم ولا سلطان من سنة ٦٣ قبل الميلاد إلى سنة ١٩٤٨ بعد الميلاد . وفي أول المجلد الخامس من التفسير الكاشف أثبتنا بالدليل القاطع أن اليهود الذين يحتلون الآن أرض فلسطين ليسوا من بني إسرائيل يعقوب بن إسحق . في شيء ، وإنما هم أشقات لا رابط بينهم وقد تجمعوا فرقاً من هنا وهناك . وتستروا وراء إسرائيل بوقاحة لا حد لها ٧- ﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أُحْسَنْتُمْ وَأَنْتُمْ لَأَنْفُسَكُمْ ﴾ كل من يفعل الخير لوجه الخير يأخذ من الله والناس أكثر مما فعل وأعطى . وفي الأشعار : لا يذهب العرف بين الله والناس ﴿ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ وكل من يفعل الشر يأخذ الشيطان منه دينه وآخرته وإنسانيته وكرامته ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ ﴾ إذا أفسد اليهودي الدولة الأخيرة ﴿ لِيَسْؤُوا وَجُوهَكُمْ ﴾ تظهر عليها آثار الهم والغم ﴿ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ ﴾ أي القدس ﴿ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّأُوا مَا عَلُوا ﴾ تتبرأ ﴿ التَّيْبَرُ : الهلاك ، وما علوا : ما استولوا وتسلطوا عليه ، والمعنى أن اليهود إذا ملكوا وحكموا أهلكوا ودمروا كل ما يقدرون على تدميره . صدق الله العلي العظيم ٨- ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ ﴾ على أن تتوبوا وترحموا لأن من لا يرحم لا يرحم ﴿ وَإِنْ عَذَبْتُمْ ﴾ إلى الضلال والإجرام ﴿ عَذَابًا ﴾ إلى العذاب والإنقام ٩- ١٠- ﴿ إِنْ هَذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي لِلَّذِينَ لَا يُلْمُونَ إِلَّا نَفْسَهُمْ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ إن هذا القرآن يهدي للذي لا يرمي نفسه ولا يرمي غيره . وفيه آيات كثيرة ﴿ وَإِنْ عَذَبْتُمْ ﴾ إلى الضلال والإجرام ﴿ عَذَابًا ﴾ إلى العذاب والإنقام ٩- ١٠- ﴿ إِنْ هَذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي لِلَّذِينَ لَا يُلْمُونَ إِلَّا نَفْسَهُمْ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ إن هذا القرآن يهدي للذي لا يرمي نفسه ولا يرمي غيره . وفيه آيات كثيرة ﴿ وَإِنْ عَذَبْتُمْ ﴾ إلى الضلال والإجرام ﴿ عَذَابًا ﴾ إلى العذاب والإنقام ٩- ١٠- ﴿ إِنْ هَذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي لِلَّذِينَ لَا يُلْمُونَ إِلَّا نَفْسَهُمْ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ إن هذا القرآن يهدي للذي لا يرمي نفسه ولا يرمي غيره . وفيه آيات كثيرة

شَدِيدٍ بِمَا سَأُوا خُلَلِ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أُحْسَنْتُمْ وَأَنْتُمْ لَأَنْفُسَكُمْ ﴾ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْئُرُوا وَجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّأُوا مَا عَلُوا ﴾ وَلِيُتَبَرَّأُوا مَا عَلُوا ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ ﴾ وَإِنْ عَذَبْتُمْ عَذَابًا جَبَرًا ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي لِلَّذِينَ لَا يُلْمُونَ إِلَّا نَفْسَهُمْ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالنَّفْسِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحْوَاةَ آيَةٍ

لم يجعله الله لكم ﴿١٢﴾ وكان الإنسان عجولاً ﴿١٣﴾ في دعائه بالشر ، والمراد بعض أفراد الناس ، وفي نهج البلاغة : فكم من مستعجل بما أدركه ودُّ أنه لم يدركه .

١٢- ﴿١٢﴾ وجعلنا الليل والنهار آيتين ﴿١٣﴾ دالّتين على وجود الله تعالى حيث يتعاقبان وفقاً لقوانين ثابتة ونظام دائم يدك على وجود مدير حكيم وقادر عليهم ﴿١٤﴾ فمحونا آية الليل ﴿١٥﴾ المراد بالمحو هنا الظلمة وعدم الإبصار فيه بدليل قوله تعالى : ﴿١٦﴾ وجعلنا آية النهار مبصرة ﴿١٧﴾ تيرة ، تبصر الأشياء في ضوئها ﴿١٨﴾ لتبتغوا فضلاً من ربكم ﴿١٩﴾ تسكن في الليل ، وننشر في النهار للأعمال والأسفار ، وتقدم في الآية ٦٧ من يونس ﴿٢٠﴾ ولتعلموا عدد السنين والحساب ﴿٢١﴾ تقدم بالحرف في الآية ٥ من يونس ﴿٢٢﴾ وكل شيء فصلناه تفصيلاً ﴿٢٣﴾ أبان سبحانه أصول الدين وفروعه بكل وضوح ، وما لأحد بعد هذا يأتي الناس بدين جديد ، كما ادعى غلام أحمد القادياني ، وقال في كتابه الإستفتاء ص ٤٦ : « لا جعلني الله مثل عيسى جعل السلطة البريطانية ربوة آمن وراحة ومستقراً حسناً » (عن كتاب المجددين في الإسلام لأمين الخولي ص ٢٧) .

١٣- ١٤- ﴿١٤﴾ وكل إنسان ألزمناه طائره ﴿١٥﴾ عمله الصادر الطائر عنه بإرادته واختياره ﴿١٦﴾ في عقه ﴿١٧﴾ كناية عن أن الإنسان هو وحده المسؤول عن عمله ﴿١٨﴾ ونخرج له يوم القيامة كتاباً ﴿١٩﴾ لا شك ولا ريب في يوم القيامة ، فكل شيء محسوس وملسوس ، ولذا يقول سبحانه لعبده : هذا عملك بالكامل ، وهذا كتابك يندك ، فحاسب نفسك لنفسك ، وادل بما لديك من حجة

إن كنت تملكها ١٥- ﴿١٦﴾ من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ﴿١٧﴾ هذا حكم ضروري طبيعي لا يتوقف على التشريع وهو توضيح وتوكيد لقوله تعالى : ألزمناه طائره في عقه ، وتقدم في الآية ١٠٤ من الأنعام ﴿١٨﴾ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴿١٩﴾ تقدم في الآية ١٦٤ من الأنعام ﴿٢٠﴾ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴿٢١﴾ أيضاً هذا حكم ضروري طبيعي ، ويتلخص بكلمة واحدة : لا عقاب بلا بيان . وفي الحديث الشريف : رفع عن أمتي ما لا يعلمون ، وقال الإمام الصادق (ع) : إن الله احتج على الناس بما آتاهم وعرفهم ١٦- ﴿٢٢﴾ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ﴿٢٣﴾ جمع مترف وهو الغني المنعم في الحياة الدنيا ، وأطلقت الآية كلمة المترفين هنا على جميع أهل القرية بلا استثناء لأن الأمر بالحق والعدل يعم ويشمل الفقراء والأغنياء ، وخص سبحانه المترفين بالذكر لأنهم إلى المعصية أسرع ، ولأنهم متبوعون لا تابعون ﴿٢٤﴾ ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناهم تدميراً ﴿٢٥﴾ بدران قال سبحانه ما معناه : لا عقوبة بلا نصّ فرع على هذا الأصل وقال - وهو الرحمن الرحيم والعدل الحكيم لا نهلك أهل قرية إلا بعد أن تقوم عليهم الحجة بإرسال الرسل بأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويشيرون وينذرون فإذا عصوا ما أمروا به أنزل بهم الهلاك والدمار ، ومعنى هذا أن الأمر بالخير والمعروف هو المحك الذي أظهر فسادهم وضلالهم ، فحق عليهم كلمة العذاب ١٧- ﴿٢٦﴾ وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح ﴿٢٧﴾ هذا تهديد ووعيد للذين كذبوا محمداً آنذاك بأن الله قادر على أن يجعل مصيرهم كمصير الذين كذبوا أنبياءهم من قبل .

١٨- ﴿٢٨﴾ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ﴿٢٩﴾ ما كل من طلب الدنيا بمذركها إلا أن يشاء الله ، ومن طلبها وعمل لها وحدها معرضاً عن الآخرة فإنه يستثمر نتيجة جهده وعمله ، ولكن بمشيئة الله لا بحول العبد وقوته ،

الْبَلِّ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ وَكُلُّ شَيْءٍ وَفَصَّلَتْهُ تَفْصِيلاً ﴿١٦﴾ وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبْعَهُ فِي عُقْبِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٧﴾ أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَتَبْنَا الْيَوْمَ يَوْمَكَ عَلَيْكَ حِسَابًا ﴿١٨﴾ مِّنْ أَهْتَدَىٰ فَأَمَّا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَأَمَّا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿٢٠﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَانَ رِيبُكَ بِذُنُوبٍ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٢١﴾ مَن كَانَ يَرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا

وفي نهج البلاغة : لا تملك مع الله شيئاً إلا ما ملكنا ، وهو أملك به منا ﴿ ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموراً ممدحوراً ﴾ لأنه لا يرى إلا ممدحاً وهم ذويه ، أما المبادئ والقيم فهي أداة للصوابية ووسيلة لشهوته .

١٩- ﴿ ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً ﴾ من أراد الجنة فعليه أن يدفع الثمن سلفاً ، وقد حدده سبحانه بقوله : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً - ١١١ التوبة » وأيضاً حقاً عليه سبحانه أن لا يدخل الجنة من دخل في جوفه شيء من الحرام ، فقد روى القسبي في سفينة البحار عن المعصوم أنه قال : « حبس شهيد على باب الجنة بثلاثة دراهم يهودي » وإذا كانت هذه هي حال الشهيد الذي يلقى الله مضرّجاً بدمه في سبيل الله ، من أجل ثلاثة دراهم يهودي ، فكيف بمن يأكل الألوף المؤلفة من أموال المساكين الموالين للنبي وآله (ص) ؟

٢٠- ﴿ كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء ﴾ إشارة إلى من عمل لدينياه دون آخرته ، ولمن عمل لهما معاً ﴿ من عطاء ربك ﴾ الكون بمن فيه وما فيه فيض من الله وعطائه حتى الجاحدين به يتنعمون بأفضاله وآلائه ، لأنه هو الذي خلقهم وأوجدهم ، وفعله عدل وحكمة ، ومن هنا أعطى كل شيء ما يحتاج إليه في وجوده وبقائه ﴿ وما كان عطاء ربك محظوراً ﴾ ويستحيل أن تقوم له الحجة على عباده إلا بعد المبة والعطاء بلا ثمن وعوض .

٢١-٢٢- ﴿ أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض ﴾

لا طبقات عند الله على أساس الجاه والمال واللون والنسب . كيف وهو القائل : إن أكرمكم عند الله أتقاكم ؟ وعليه يكون المراد بالفضل هنا في الصحة والموهبة والعمر والرزق عن طريق ما أحلّ الله وشرع ، أما المال الحرام والعيش على حساب الآخرين فمن الشيطان لا من الرحمن حيث لا ظلم وبغي عند الله ولا مجازفة وعبث ﴿ وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً ﴾ قد تكون دنيا الأشرار أفضل ألف مرة من دنيا الأخيار ، أما في الآخرة فلاهل الشر نار وجحيم ، ولأهل الخير أمان ونعيم ٢٢-٢٤ ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً ... ﴾ قضى ربك : أوصى وأمر بأن تكون العبادة خالصة لله لا شائبة فيها لسواه ، وقرن سبحانه البر والإحسان للوالدين بهذه العبادة الخالصة تماماً كما قرن النبوة بالألوهية ، والزكاة بالصلاة ، والعمل الصالح بالإيمان ، في العديد من آياته ، ومعنى هذا أن لبر الوالدين أكرم المنازل عند الله وأفضلها ، أمّا السرّ لذلك فقد أوضحه الإمام زين العابدين وقُدوة المتقين (ع) بدعائه لوالديه الذي قال فيه من جملة ما قال « أين طول شغلها بترتيبي ؟ وأين شدة تعبها في حراستي ؟ وأين إقارها على أنفسهما للتوسعة علي ؟ هيهات ما يستوفيان حقهما مني ، ولا أدرك ما يجب عليّ لهما ، ولا أنا بقاض وظيفة خدمتهما » ٢٥- ﴿ ربكم أعلم بما في نفوسكم ﴾ لأنه هو الذي خلقها ، وأودع فيها من جملة ما أودع غريزة الرضا والغضب ﴿ إن تكونوا صالحين ﴾ بارين محسنين للآباء والأمهات ثم بدرت من أحكم بادرة إلى أبويه لسبب أو لآخر . وندم بعدها واستغفر منهما فإن الله سبحانه يغفر لمن تاب وأصلح .

مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿ كُلًّا مِمَّا هَتَفُوا بِهِ هَوًىٰ وَإِنْ هُوَ إِلَّا وَعْدٌ رَّبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُورًا ﴿ * وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ؕ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تُنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿ رَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَا فِي نَفْسِكَ ﴿ إِنْ تُكَونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غُفُورًا ﴿

٢٦- ﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ نقل الشيخ الطبرسي في مجمع البيان عن السدي التابعي والمفسر الكبير : أن المراد بذي القربى هنا قرابة الرسول (ص) ، ومثله في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي . وفي أحكام القرآن لأبي بكر المغازي المالكي . وقيل : المراد بالقرى قرابة الرجل ﴿وَالْمَسْكِينِ﴾ المحتاج ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ المنقطع في السفر . واسمه يدل عليه ، وللاثنين حق لازم في الزكاة بنص الآية ٦٠ من التوبة ﴿وَلَا تُلْهِمْ تَبْدِيرًا﴾ والتبذير : الإتيان في غير الوجه المعروف لدى العقلاء .

٢٧- ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا﴾ وما زالوا ﴿إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ كل من تجاوز الحد المشروع والمعقول في النفقة أو في غيرها فهو من حزب الشيطان .

٢٨- ﴿وَمَا تَعْرَضْنَ عَنْهُمْ﴾ عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل ، ومعنى تعرضن تمنع المال عنهم لفقده ﴿ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ أي انتظرت ودعوت الله سبحانه أن يغنيك ويغنيهم من فضله ورحمته ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيَّسُورًا﴾ ومعنى الآية بجملتها إن كان لديك مال تصدقت وإلا فتوك معروف ، وفي الحديث : إن لم تسعوا الناس بأموالكم فسعوم بأخلاقكم .

٢٩- ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ لا تسرف ولا تقتر ﴿فَتَقْعِدَ مَوْلُومًا﴾ يلومك الناس على إسرافك وإضرارك بنفسك ﴿مَحْضُورًا﴾ نادماً على ما فرطت ، هذا إذا أسرفت ، أما إذا قترت وعشت في الدنيا عيش الفقراء ، وحاسبك الله في الآخرة حساب الأغنياء كما قال الإمام علي (ع) .

٣٠- ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَسِيطُ الرَّزْقَ﴾ ويقدر إنه كان بعباده خبيراً بصيراً ﴿ظَنَّ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفْسِرِينَ وَغَيْرِهِمْ أَنَّ مَشِيتَهُ وَتَشَبُّهًا بِكَلِمَةِ «يَشَاءُ» وَمَا يَشَبْهُا فِي الْعَدِيدِ مِنَ الْآيَاتِ وَغَابَ عَنْهُمْ أَنَّ اللَّهَ مَدْبَرٌ عَلِيمٌ وَعَدِلَ حَكِيمٌ ، يَنْتَزِعُ عَنِ النَّشْهِيِّ وَالْعَبَثِ بِحُكْمِ الْعَقْلِ وَنَصَرَ الْقُرْآنُ ، وَمَعْنَى هَذَا أَنَّ مَشِيتَهُ تَعَالَى مُقْبِلَةً بِالْحِكْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ وَالْأَسْبَابِ الطَّبِيعِيَّةِ ، وَيَكُونُ مَعْنَى الْآيَةِ أَنَّ رَبَّكَ يَسِيطُ الرَّزْقَ وَالْعِطَاءَ لِمَنْ يَشَاءُ بِأَسْبَابِهِ الْمَوْجِبَةِ كَالسَّعْيِ وَالْمِيرَاثِ وَالْهَبَةِ وَحَسَنَ التَّبَذِيرِ ، وَأَيْضًا يَمْنَعُ وَيَقْدِرُ تَبَعًا لِلْحِكْمَةِ وَالسَّنَنِ الَّتِي تَوْجِبُ الْمَنَعَ وَالْحَرَامَ كَتَرَكِ السَّعْيَ وَالْعَمَلَ وَسُوءَ التَّبَذِيرِ وَالتَّبَذِيرِ وَمَا يَشَبْهُ ذَلِكَ مِنْ مَوْجِبَاتٍ ، وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُهُ تَعَالَى : «نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ - ٨٣ الْأَنْعَامُ» علماً بأن المراتب والمنازل عنده لن تكون إلا على أساس العلم والتقوى : «هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ - ٩ الزمر ...» إن أكرمكم عند الله أتقاكم ١٣ - الحجرات » وكلمة حكيم وعليم في آية الأنعام تدلان أن رفع الدرجات سببه حكمة الله وعلمه بمن يستحقُّ الرفع والخفض ، وأيضاً من هذا الباب قوله تعالى : «فِيضِلْ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ - ٤ إِبْرَاهِيمَ» وتقدم أنه تعالى يهدي إليه من تاب وأتاب كما في الآية ١٣ من الشورى ، وأنه لا يضل إلا الفاسقين كما في الآية ٢٦ من البقرة ٣١- ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ ... ﴿تَقْدِمُ فِي الْآيَةِ ١٣٧ وَ ١٥١ مِنَ الْأَنْعَامِ .

٣٢- ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِذَا كَانَ فَاخِشَةً﴾ منتهى الفحش . وما فشا في مجتمع إلا كان مصيره إلى الفساد والانحلال .

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ
 أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٣﴾
 وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كُنْتُمْ وَزَنًا بِالْقَيْسَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ
 خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ
 عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ
 مَسْئُولًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ
 الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٦﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ
 سِيئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٧﴾ ذَلِكَ بِمَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ
 رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ
 فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٨﴾ أَفَأَصْفَكَ رَبُّكَ بِالْبَنِينَ
 وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْسَانًا إِنَّكَ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٣٩﴾
 وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ

٣٣- ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ ... ﴾ تقدم في الآية ١٥١ من الأنعام وغيرها ﴿ ومن قتل مظلوماً ﴾ لا قصاصاً أو حداً ﴿ فقد جعلنا لوليّه ﴾ وأولياء القتل قرابته من أبيه ﴿ سلطاناً ﴾ تسلطاً على القاتل ، إن شاء قتل أو أخذ الدية أو عفا ﴿ فلا يسرف في القتل ﴾ لا يسوغ للولي أن يمثل بالقتيل أو يسيء إلى أقاربه وذويه ﴿ إنه ﴾ الولي ﴿ كان منصوراً ﴾ محقاً في القصاص .
 ٣٤- ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ ... ﴾ تقدم بالحرف في الآية ١٥٢ من الأنعام ﴿ وأوفوا بالعهد ﴾ مع الله والناس مثله العقد . انظر تفسير الآية ١ من المائدة ﴿ إن العهد كان مسئلاً ﴾ عنه يوم القيامة .

٣٥- ﴿ وأوفوا الكيل إذا كنتم ﴾ وغير الكيل ، ولا تبهضوا الناس أشياءهم ﴿ وزنوا بالقسطاس ﴾ بالميزان ﴿ المستقيم ﴾ العدل ﴿ ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾ مآلاً وعاقبة . من آل إذا رجع .

٣٦- ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ نهي عن القول بلا علم ، وعن الحكم بالتهمة ، وعن القطع باللمحة ، وعن الرحم بالظنة ﴿ إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئلاً ﴾ فالويل كل الويل لمن قال : سمعت ولم يسمع ، ورأيت ولم ير ، وعلمت ولم يعلم .

٣٧- ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ الفرق بين الإنسان الواقعي والمخلوق الخرافي ، أن الواقعي يعرف نفسه ، ويعيش في عالمه ودنياه ، أما الخرافي فهو الذي يجهل نفسه ، ويفصله العجب والغرور عن واقعه ، وينتقل به إلى عالم الأحلام والأوهام ، فيرى نفسه أعلم الناس وهو أجهلهم ، وأقوى الناس وهو أضعفهم ، وخير الناس وهو شر من الشر ﴿ إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طويلاً ﴾ كناية عن ضعفه وعجزه وأنه محاط بكائنات من فوقه ومن تحته وأمامه ووراءه ، وعن يمينه وشماله هي أقوى منه وأعظم . إن في ذلك لذكرى لمن كان له عقل وقلب .

٣٨-٣٩- ﴿ كل ذلك ﴾ الذي نهينا عنه من التبذير ... إلى التعالي ﴿ كان سيئاً ﴾ كان قبيحاً ﴿ عند ربك مكروهاً ﴾ المراد بالكراهة هنا التحريم .

٤٠- ﴿ أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إنثاء ﴾ تقريع وتوبيخ لبعض عرب الجاهلية الذين قالوا للملائكة بنات الله ، وتقدم في الآية ٥٧ من النحل .

٤١- ﴿ ولقد صرفنا في هذا القرآن ﴾ ذكرنا فيه وكررنا الدلائل والشواهد على وجود الخالق المبدع ، ودعونا إلى الخير وزجرنا عن الشر مبشرين ومنذرين ﴿ ليدعوا ﴾ ليعلموا ويعملوا ﴿ وما يزيدهم ﴾ التذكير ﴿ إلا نفوراً ﴾ بعداً ونمرداً .

الإعراب :

﴿ وكل ﴾ مبتداً ، والخبر كان عنه ﴿ مسئلاً ﴾ ، وأولئك في محل جر باضافة كل ، ويشار بها إلى العقلاء وغيرهم .

٤٢-٤٣ ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتِغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلَّذِينَ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ لِيَقْرَبُوهُمْ إِلَى اللَّهِ زَلْفَى : إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا يَقُولُونَ فَعَنَى هَذَا أَنْ لِلْأَصْنَامِ شَأْنًا وَمَكَانًا عِنْدَ اللَّهِ أَنَّهُمْ سَمِعُوا لَهُ وَأَطَاعُوا ، فَاسْتَشْفَعُوا أَنْتُمْ لَدَى اللَّهِ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لَا بِالْأَصْنَامِ وَلِمَاذَا اللَّفُّ وَالِدُورَان .

٤٤- ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ وَتُسَبِّحُ كُلُّ شَيْءٍ بِحَسَبِهِ ، فَالْعَاقِلُ يُسَبِّحُ بِلسَانِ الْمَقَالِ ، وَغَيْرُهُ بِلسَانِ الْحَالِ ، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ أَوْ مِنْ بَيْنِ أَوْجَدَنِي ، وَأُزْهِرُهُ عَنِ الْعِزِّ وَالْقَصِّ ﴿ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ إِلَّا مَنْ كَانَ لَهُ عَقْلٌ يَفْهَمُ عَنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، مَا أَقَامَ مِنَ الْبَيِّنَاتِ عَلَى وَجُودِهِ وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ :

٤٥- ﴿ وَإِذَا قُرَأَتْ ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿ الْقُرْآنُ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴾ أَي سَاتَرًا . كَانَ النَّبِيُّ (ص) إِذَا قُرَأَ الْقُرْآنُ يَتَصَدَّى لَهُ الْمُشْرِكُونَ بِالْأَذَى وَيَسْخَرُونَ مِنْهُ وَمَا يَتَلَوُ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ لِنَبِيِّهِ وَنَجِيهِ : امْضُ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَالِدَعْوَةِ إِلَى اللَّهِ ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ بِحُجَّتِهِمْ عَنْكَ بِحَالِ بَيْنِكَ وَبَيْنَهُمْ .

٤٦- ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴾ جَمَعَ كِتَابًا وَهُوَ الْغَطَاءُ ﴿ فِي أَذَانِهِمْ وَقُرْأُ ﴾ صَمًّا ، وَأَسَدَّ سُبْحَانَهُ الْغَطَاءُ وَالصَّمُّ إِلَيْهِ تَحْجُزٌ لَا حَقِيقَةَ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَ الْقُلُوبَ وَالْأَذَانَ ، فَاسْتَعْمَلُوهَا فِي غَيْرِ مَا خَلَقَتْ مِنْ أَجْلِهِ ، وَتَقَدَّمَ فِي الْآيَةِ ٢٥ مِنْ الْأَنْعَامِ ﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوُا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴾ لَا شَيْءَ أَشَدَّ وَأَثْقَلَ مِنْ كَلِمَةِ « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » عَلَى قُلُوبِ الْجَبَابِرَةِ الطَّغَاةِ لِأَنَّهَا تَعْنِي الْمَسَاوَاةَ بَيْنَ الْجَمِيعِ فِي الْحَقِّقَاتِ وَالْوَاجِبَاتِ ، لَا أَسْوَدَ وَأَبْيَضَ ، - لَا غَنِيَّ وَفَقِيرَ ، وَخَقِيرَ وَكَبِيرَ إِلَّا أَنْ يَسْجُدَ لِلنَّاسِ يَدًا تَذَكَّرَ فَتَشْكُرَ .

٤٧- ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾ كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَسْتَرْقُونَ السَّمْعَ مِنَ النَّبِيِّ (ص) وَهُوَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، بِقَلْبٍ حَاقِدٍ وَعَقْلٍ مُعَانِدٍ ، فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ نَبِيَّهُ الْكَرِيمَ بِحَالِهِمْ هَذِهِ ﴿ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴾ يَسْتَمِعُونَ لِلْقُرْآنِ وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ وَلِلنَّاسِ أَيْضًا : إِنْ مُحَمَّدًا تَلَبَّسَتْهُ الْجِنُّ ، وَنَطَقَتْ عَلَى لِسَانِهِ هَذِهِ الْحِكْمَةَ وَالْبَلَاغَةَ .

٤٨- ﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ ﴾ أَي كَيْفَ مَثَلُكَ وَشَبُوهُكَ بِالسَّاحِرِ وَالْكَاهِنِ وَالشَّاعِرِ وَالْمَجْنُونِ ! وَلِمَاذَا مُحَمَّدٌ سَاحِرٌ ؟ أَبَدًا لَا لَشَيْءٍ إِلَّا لِأَنَّهُ نَطَقَ بِالْحَقِّ وَلَمْ يَخْشَ لَوْمَةَ لَائِمٍ . وَهَكَذَا الْمُحَقِّقُ عِنْدَ الْمُبْطِلِينَ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ ﴿ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ إِلَى تَكْذِيبِ الصَّادِقِ الْأَمِينِ إِلَّا بِالْتَفْضِيلِ وَالْإِقْرَاءَاتِ وَالِدَسِّ وَالْمُؤَامَرَاتِ .

الإعراب :

مفعول ﴿صرفنا﴾ عذوف أي صرفنا المواعظ . ﴿وليدذكروا﴾ أصلها يتذكروا فادغمت التاء بالذال لقرب غرجهما . ﴿وعلوأ﴾ أي تعالياً . وان من شيء ﴿إن﴾ نافية . ومن زائدة وشيء مبتدأ أي ما شيء .

٤٩- ﴿ وَقَالُوا أَثَلَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفَاتًا إِنَّا لَبَعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ تومئ هذه الآية إلى أن بعض المشركين كانوا على استعداد تام أن يؤمنوا بنبوة محمد (ص) لولا مسألة البعث ، لأنها فوق ما يتصورون ويدركون .

٥٠- ﴿ قُلْ كُنُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴾ قالوا : كيف نحيا ونبعث ونحن عظام بالية ؟ قال سبحانه لنبيه : قل لهم : لو كنتم صخوراً وفولاذاً لأعاديكم مرة ثانية ، فكيف بالعظام البالية ؟

٥١- ﴿ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ﴾ بل افترضوا في تصوركم أنكم أقوى وأصلب من الصخر والحجارة والحديد والفولاذ ، ومع هذا فإنه يعيدكم ويعيثكم ... أبداً لا فرق لدى قدرته بين خلق السموات والأرض وخلق الذرة أو جناح البعوضة ﴿ فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة ﴾ الذي خلقكم المرة الأولى قادر على خلقكم ألف مرة ومرة ﴿ فسنبغضون إليك رؤوسهم ﴾ يحركونها استبعاداً وإنكاراً ﴿ ويقولون متى هو ؟ قل عسى أن يكون قريباً ﴾ أي آت لا محالة وكل آت قريب ، وإن طال به الزمن .

٥٢- ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ ﴾ المراد باليوم يوم البعث ، وبالمدعاء النفخ في الصور ، والاستجابة كناية عن خروجهم من الأجداث ، وبحمده : طائعين متقادين ﴿ وتظنون إن لبثتم ﴾ في الدنيا ﴿ إلا قليلاً ﴾ « قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم - ١١٣ المؤمنون » .

٥٣- ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ وهي الكلمة التي توضع في محلها اللائق ، وأفضلها كلمة عدل عند إمام جائر كما في الحديث الشريف ، فإن تجاوزت الكلمة محلها فهي سفه وجهالة ، وفي كتاب الحكمة الخالدة : من بادر إلى الكلام عن كل ما يخطر بقلبه فقد استخف بنفسه واحقرها . وفي نهج البلاغة : لا تقل ما لا تعلم ، بل لا تقل كل ما تعلم ﴿ إن الشيطان يترغ بينهم ﴾ يتلمس عثرات اللسان ليتخذ منها وقوداً لنار العداوة والبغضاء بين الناس .

٥٤-٥٥ ﴿ رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يُرْحَمَكُم ﴾ يقتضى حكمته وعلمه إنكم أهل لرحمته ﴿ أو إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبِكُمْ ﴾ أيضاً بمنتهى عدله وعلمه إنكم أهل للعذاب « ولا يظلم ربك أحداً » ٤٩ الكهف » أنظر الآية ٣٠ من هذه السورة ﴿ ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ﴾ كل الأنبياء بمنزلة سواء في الطاعة والعصمة عن الخطأ والخطيئة ، والتفاوت إنما هو في الرتبة والمنزلة : عالم وأعلم وأعظم وأعظم ﴿ وآتينا داود زبوراً ﴾ الكتاب وداود اسم عبري معناه محبوب ، وأشار إليه سبحانه لمجرد التنبيه إلى مكانته .

٥٦- ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد للمشركين : ﴿ ادعوا الذين زعمتم ﴾ وعبدتم من دون الله وأسألوهم أن يكشفوا ضراً أو يحولوه إلى غيركم أو يجلبوا لكم نقماً ، فهم يستجيبون ؟ وتكرر هذا المعنى في العديد من الآيات .

سَبِيلًا ﴿ وَقَالُوا أَثَلَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفَاتًا إِنَّا لَبَعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ * قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنْ الشَّيْطَانُ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يُرْحَمَكُم أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبَكُم وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ

٥٧- ﴿أُولَئِكَ فِي الْآلَةِ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ أي يدعوها المشركون هم بالذات ﴿يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ إلى الله أي يتوسلون إليه ، ويسجدون له ويسبحون بحمده ، فكيف تؤلهون عبداً ضعافاً أمثالكم ؟ ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ إن الذين تعبدون كعيسى وأمه - مثلاً - يحرص كل منها أن يكون أقرب إلى الله من الآخر في الطاعة والاجتهاد ﴿وِيرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾ وعفوه أكثر مما ترجون ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ وغضبه أكثر مما يخافون ﴿إِنْ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ يحذره ويخافه الأنبياء والأولياء ، فكيف بغيرهم ؟ لأن الخوف من حيث هو من أفضل الطاعات والعبادات ، بل أفضلها إن أثر أثره ، وعمل عمله ، ولا فرق أبداً بين العجب والتباهي بالنسب والمال والعجب والتباهي بالطاعة والعبادة .

٥٨- ﴿وَأَنْ مِنْ قَوْمِهِ إِلَّا نَحْنُ مَهْلُكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ يأتي هذا اليوم ولا حي على وجه الأرض حيث تنفى الخلائق بالموت الطبيعي ﴿أَوْ مَعْذُوبُهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ لأنها ركست وتمادت في الفساد والانحلال ، والبغي والضلال .

٥٩- ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾ التي اقترحتها المشركون ﴿إِلَّا أَنْ كُتِبَ بِهَا الْأُولُونَ﴾ طلب الأولون من أنبيائهم آيات خاصة ، فاستجاب لهم سبحانه ، ومع هذا أصروا على موقفهم الأول من الكفر والعناد ، وضرب مثلاً على ذلك بقوله تعالى : ﴿وَأَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ فظلموا بها ﴿كَفَرُوا بِهَا وَهُمْ اقْتَرَحُوهَا . وَسَبَّ نَزُولَ هَذِهِ الْآيَةِ أَنْ قَرِيشًا اقْتَرَحُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ص) أَنْ

يجعل لهم هذا الجبل ذهباً ، فأخبر سبحانه أنه لم يفعل ذلك لئلا يكذبوا فيهلكوا تماماً كما جرى لثمود ﴿وَمَا نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ يخوف سبحانه عباده بما شاء من الآيات لعلهم يتقون . وفي نهج البلاغة : «احتجاجاً بالبيانات وتحذيراً بالآيات ٦٠- ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ﴾ يا محمد ﴿إِنْ رَبُّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ فهم في قبضته ، وهو سبحانه ناصرهم عليهم لا محالة ، فاصدع بما تومر ، ولا تكثر ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ جاء في تفسير الرازي ما نصه بالحرف الواحد «قال سعيد بن المسيب - من التابعين والفقهاء السبعة بالمدينة رأى رسول الله (ص) بني أمية يتزولون على منبره ، فساءه ذلك ، وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء» وأيضاً نقل هذا البيضاوي وصاحب البحر المحيط أبو حيان الأندلسي ، وصاحب التسهيل محمد بن أحمد الكلبي وغيرهم من المفسرين ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ هي الأسرة الأموية عند من فسر رؤيا النبي (ص) بهم ، وفي تفسير البيضاوي أن الحكم هو عظمهم في الدنيا ، يعطونه بإسلامهم ، وعلى هذا كان المراد بقوله تعالى : الا فتنة للناس ، ما حدث في أيامهم ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ وإن قال قائل : إذا كانت آيات التخويف والتحذير تزيدهم طغياناً فتركه خير وأفضل ، لأن الغرض منها الإقناع والسمع والطاعة - قلنا في جوابه : إن الله سبحانه أعلم بالأتقياء والأشقياء من أنفسهم ، ولكنه لا يأخذ أحداً إلا بقول أو فعل ظاهر ومحسوس ومن أجل هذا يأمر وينهي ، ويشر وينذر ، والمؤمن يسمع ويطيع ويزداد إيماناً وإيماناً ، والشقي يزيد كفرًا وعتوًا ، ومعنى هذا أن التخويف والتحذير ليس سبباً للعتو والطغيان بل كاشفاً عما هو كامن في الأعماق من طغيان ، وزائد عما كان ظاهراً للعيان ، وإلى هذا تشير الآية ١٢٣ من التوبة : «فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَزَقْنَاهُمْ إِمَانًا وَهُمْ يُسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي

قَالَ ءَأَتَجِدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿١٧﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ بَيْنَكَ هَذَا
الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَى لَيْنٍ آخَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْفِتْنَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ
ذُرِّيَّتَهُ ۖ وَلَا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ
فَلَمَّا جَهَنَّمَ جَرَّأُوهُ بِجَرَاءِ مَوْفُورًا ﴿١٩﴾ وَاسْتَفْزَزَ مِنْ
أَسْطَعَتَ مِنْهُمْ بَصُونِكَ وَأَجْلَبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجُلِكَ
وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّهُمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ
الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ
سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٢١﴾ رَبُّكَ الَّذِي يُزَيِّجُ
لَكَ الْفَلَكَ فِي الْبَحْرِ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِنَّهٗ كَانَ بِكُمْ
رَحِيمًا ﴿٢٢﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ
إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا نَجَّيْكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ
كَفُورًا ﴿٢٣﴾ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخَسِّفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ

قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم » .

٦١- ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا ... ﴾ تقدم في
الآية ٣٤ من البقرة وغيرها .

٦٢- ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ ﴾ أي أخبرني ، والكاف حرف
خطاب لا محل لها من الإعراب ﴿ لَأَحْتَنِكَنَّ ﴾ لأقودن
أو لأستولين .

٦٣- ﴿ قَالَ أَذْهَبَ ... ﴾ وافعل ما شئت أنت وحزبك
فالنار مثواكم ومأواكم .

٦٤-٦٥- ﴿ واستفزز ﴾ استخفف ، وفي الآية ٤٣
من الزخرف « فاستخفف قومه فأطاعوه » ﴿ من استطعت
منهم بصونك ﴾ وكل دعوة مسمومة وملغومة ، ومقالة خادعة
مضللة فهي صوت إبليس ، ومنها الأفلام ووسائل الأعلام
المغرضة المأجورة ﴿ وأجلب عليهم ﴾ هول عليهم بالأكاذيب ،
من الجلبة وهي الصباح ﴿ بخيلك ورجلك ﴾ جمع راجل ،
ولا جنود لإبليس ، بعضهم فارس ، وآخر راجل ، وإنما
المراد أهل الشر والفساد ، والفارس من كان للشيطان أطوع
وأسمع ﴿ وشاركهم في الأموال ﴾ بكسبها من الحرام وإنفاقها
في الآثام ﴿ والأولاد ﴾ كناية عن الزنا والتربية الفاسدة
﴿ وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورًا ﴾ زين لهم
الأضاليل وعللهم بالأباطيل ، فلن يغتر بك إلا من هو على
شاكلتك غيًّا وفسادًا .

٦٦- ﴿ ربكم الذي يزجي ﴾ يجري ﴿ لكم الفلك
في البحر ﴾ السفينة تجري بالرياح أو الطاقة ، ولكنه تعالى

هو الذي خلق الطبيعة بما فيها من عناصر وطاقات ، ومن هنا صحَّ الإسناد إليه تعالى ، وتقدم في الآية ٣٢ من إبراهيم

٦٧- ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ ... ﴾ تلجأون إلى الله في العسر ، وتنسونه في اليسر ، وتقدم في الآية ٢٢ من يونس .

٦٨- ﴿ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخَسِّفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ ﴾ خفتن من غضب الله في البحر دون البر ، وهما عنده بمنزلة سواء ،
إن شاء خسف بكم الأرض ﴿ أو يرسل عليكم حاصبًا ﴾ يحطركم حجارة من السماء أو غير ذلك من أنواع العذاب

الإعراب :

﴿ طِينًا ﴾ حال ، وقيل : تمييز . ﴿ وأرأيتك ﴾ الكاف حرف خطاب لا محل له من الإعراب مثل الكاف في ذاك ، وجاءت لتأكيد تاء
المخاطب ، ومعنى أرأيتك عرْفِي . وهذا مفعول لأرأيتك . والذي نعت لهذا أو عطف بيان . وجزاء منصوب على المصدر والمعامل فيه
جزاؤكم أو تجزون عذوبة . وبربك الباء زائدة إعرابًا ، وربك فاعل كفى ، ووكيلاً تمييز ﴿ ربكم ﴾ مبتدأ والذي خير . والمراد ﴿ بآيائه ﴾
الله جل وعلا ، وعمله النصب على الاستثناء المنقطع أي ذهب كل معبود إلا الله . والمصدر من أن ﴿ يخسف ﴾ مفعول امتنم .

وَالْوَانِءَ ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَا تَجْلُوا لَكُمْ وَيَكِلَا ﴿٧٠﴾ نَاصِرًا يَنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَغَضَبِهِ .

٦٩- ﴿٦٩﴾ أم أمنتُم أن يعيدكم فيه ﴿٦٩﴾ في البحر ﴿٦٩﴾ نارة أخرى ﴿٦٩﴾ إن رجوعكم إلى الله عند خوف الفرق دليل على إيمانكم به ، وعليه نسأل : ما الذي يمنع أن يوحجكم الله سبحانه إلى ركوب البحر ثانية ﴿٦٩﴾ فيرسل عليكم قاصفا ﴿٦٩﴾ كاسراً ومطحماً ﴿٦٩﴾ من الريح ﴿٦٩﴾ يحطم المركب ويفرقه بمن فيه ﴿٦٩﴾ فيفرقكم بما كفرتم لم لا تجلون لكم علينا تبعاً ﴿٦٩﴾ مطالباً يطالبنا بما فعلنا « لا يسأل عما يفعل وهم يسألون - ٢٣ الأنبياء - ٧٠ » ﴿٧٠﴾ ولقد كرّمنا بني آدم ﴿٧٠﴾ ولابن آدم كرامة ذاتية ، يستمدّها من طبيعته ، وتخلق معه منذ تكوينه وولادته ، وكرامة طارئة يكسبها بسعيه وإرادته ، ومن آثار الأولى ثمارها حقه في الحياة وصيانته من الأذى والإعتداء ... حتى إذا صار إنساناً راشداً كان له من الحقوق ما لكل الناس ، وعليه من الواجبات ما عليهم بلا امتياز واختصاص ذكره كان أم أنثى تولد من أسود أو أبيض مؤمن أو ملحد ، أما الكرامة الطارئة فنذكر منها ثلاث كرامات (١) كرامة الإخلاص والتقوى ، قال سبحانه : « إن أكرمكم عند الله اتقاكم » - ١٣ الحجرات ... والله العزة والرسوله وللمؤمنين - ٨ المنافقون » (٢) كرامة العلم : « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون - ٩ الزمر » وما من شك أن المراد بالذين يعلمون الذين يفتنون الناس بعلمهم بدليل قوله تعالى : « فأما الزبد فيذهب جفاً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض - ١٧ الرعد » (٣) كرامة العمل : « ولكل درجات مما عملوا ١٣٢

عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَيَكِلَا ﴿٧٠﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَ كُرَّ فِيهِ نَارَةٌ أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٧١﴾ * وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَرْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٢﴾ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنَسٍ بِأَسْمَائِهِمْ فَمَنْ أُوِّيَ كِتَابُهُ وَبِإِيمَانِهِ ۖ فَأُولَٰئِكَ يَفْرَحُونَ كِتَابُهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٣﴾ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٤﴾ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتَنُوكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ۖ وَإِذَا لَا تَجِدُوكَ حَلِيلًا ﴿٧٥﴾ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْعًا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ إِذَا لَا أَذْنُكَ ضَعْفَ

الأنعام ﴿٧٦﴾ وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴿٧٦﴾ ولا شيء على الإطلاق يوازي فضيلة العقل ، فيه يكون الإنسان مسؤولاً عن تصرفاته ، وبه تعرف نعمة الله على خلقه ، وبه يسيطر على الطبيعة ويسخرها تبعاً لأغراضه

٧١- ﴿٧١﴾ يوم ندعوا كل أناس بإمامهم ﴿٧١﴾ المراد باليوم يوم القيامة ، وفيه ينادي المنادي الأئمة والمؤمنين بهم ، فيأتي المشركون وأصنامهم ، والملحدون ومن أغرأهم بالإلحاد والفساد ، واليهود وموسى ، والنصارى وعيسى ، والمسلمون ومحمد ، ويجري الحساب والسؤال والجواب ﴿٧١﴾ فمن أوتي كتابه يمينه ﴿٧١﴾ وهو من اتبع إمام الهدى والحق ، وأحسن قولاً وعملاً ﴿٧١﴾ فأولئك يفرحون كتابهم ﴿٧١﴾ ويرون فيه أجورهم ونوابهم ، فيفرحون ويستبشرون ﴿٧١﴾ ولا يظلمون فتيلًا ﴿٧١﴾ بل يزيدهم الله من فضله ، والقتيل : ما كان في شق النواة . والتغير : النقطة في ظهرها ، والقطمير : القشرة عليها .

٧٢- ﴿٧٢﴾ ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً ﴿٧٢﴾ ليست الغاية من البعث مجرد البعث ، ولا هو غيب في غيب ، ولا الدنيا تناقض الآخرة وتعارضها ، بل هما متلازمان متلازمان ، فالخير في الدنيا خير في الآخرة ، والشر في الدنيا شر في الآخرة ، على فاعله ، وهل من شيء أوضح وأصدق في الدلالة على هذه القرابة القريبة من قوله تعالى : « من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى » ؟ إن الدنيا طريق ومطية وحقل وزرع ، والآخرة هي الغاية والنهاية : يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً - ٣٠ آل عمران .

٧٣- ٧٥- ﴿٧٣﴾ وإن كادوا ليفتنوك ﴿٧٣﴾ إن مخيفة واسمها محذوف أي إنه ، واللام في ليفتنوك هي اللام الفارقة بين إن المخيفة وإن النافية ﴿٧٣﴾ عن الذي أوحينا إليك - إلى -

الْحَيَوَةُ وَضَعَفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُكَ عَلَيْنَا نَصِيراً ﴿٧٥﴾
وَأِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا
وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَنْ قَدْ
أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾
أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ
الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ
فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا
مُعْمَدًا ﴿٧٩﴾ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي
مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴿٨٠﴾
وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ
زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ
وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى

علينا نصيراً ﴿٧٥﴾ تدل هذه الآيات الثلاث دلالة قاطعة على أن الله سبحانه هو الذي يتولى أمر نبيه محمد (ص) ويحفظه من كل سوء ، ولا يكله إلى نفسه ولا إلى أي مخلوق ، ومجمل الحكاية أن المشركين قالوا لرسول الله (ص) : اقبل بعض ما ندن ، وقبل بعض ما تدعو إليه ، وينتهي ما بيننا من خلاف تماماً كما يتم الصلح بين قبيلتين على الشريعة القبلية والطريقة العشائرية ! ولكن محمداً (ص) رفض هذا العرض منذ البداية وبلا تردد بدافع من العصمة التي منحها الله إياها ، وإليها أشار سبحانه بقوله : «ولولا أن ثبتناك » ولولا تدل على امتناع جوابها لوجود تاليها ، والتالي هنا بعد لولا مباشرة كلمة ثبتناك «أي العصمة » والجواب لقد كدت تركن ، ومعنى هذا أن محمداً ما ركن إليهم إطلاقاً تماماً كقول القاتل : لولا فلان هلكت ٧٦- ﴿٧٦﴾ وإن كادوا لiestفرونك من الأرض ليخرجوك منها ﴿٧٧﴾ قبل أن يهاجر النبي (ص) إلى المدينة تصدى له المشركون بألوان من الأذى ، وحاولوا بكل وسيلة أن يخرج من مكة فراراً من شرهم ، ولكنه تحمل وصبر ﴿٧٨﴾ وإذا لا يلبثون خلافاً إلا قليلاً ﴿٧٩﴾ أي لو أخرجوك يا محمد لأهلككم الله بعد خروجك بقليل ، ولما هاجر النبي (ص) إلى المدينة قُتل من مشركي مكة من قتل في بدر ، ومن بقي أسلم أو استسلم صاغراً ٧٧- ﴿٧٧﴾ سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ﴿٨٠﴾ هذي هي عادة الله سبحانه في الذين كذبوا برسله وأخرجوه من ديارهم ٧٨- ﴿٧٨﴾ أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر ﴿٨١﴾ تشير هذه الآية إلى أوقات الصلوات الخمس المفروضة ، ولها ثلاثة أوقات : الأول لصلاة الظهر والعصر ،

ويبدأ بزوال الشمس ، وينتهي بغروبها ، وأشار سبحانه إلى الزوال بالدلوك ، و إلى الغروب بالغسق ، الوقت الثاني لصلاة المغرب والعشاء ، ويبدأ بالغروب إلى نصف الليل ، ويدخل في غسق الليل وظلمته ، والثالث لصلاة الفجر ابتداء من بزوغه حتى شروق الشمس ﴿٨٢﴾ إن قرآن الفجر كان مشهوداً ﴿٨٣﴾ لأن الإنسان يقبل على صلاة الفجر حاضراً القلب والجوارح بعد أن يأخذ قسطاً من الراحة بالنوم ٧٩- ﴿٧٩﴾ ومن الليل فتهجد به نافلة لك ﴿٨٠﴾ يا محمد ، وتهجد اسهر ، والضمير في «به » للقرآن ، والنافلة الزيادة على الصلوات الخمس ، ولك اللام للإختصاص ، والمعنى أن الله فرض عليك يا محمد صلاة أخرى تصلبها في الليل زيادة على الصلوات الخمس ، ويؤيد إرادة هذا المعنى قوله تعالى : «يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلاً» ﴿٨١﴾ عسى أن يعينك ربك مقاماً محموداً ﴿٨٢﴾ عسى في كلام المخلوق تدل على الرجاء ، وفي كلام الخالق على الحتم والجزم ، ولا شيء فوق مقام محمد وآل محمد إلا خالق الخلق ٨٠- ﴿٨٠﴾ وقال ربني أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴿٨١﴾ وحتى في جميع ما أفعل ﴿٨٢﴾ وأخرجني مخرج صدق ﴿٨٣﴾ وحتى في جميع ما أترك ، ونذكر هنا ما نقله الكليني في أصول الكافي عن الإمام الصادق (ع) : «إنما المؤمن الذي إذا غضب لم يخرج غضبه من حق ، وإذا رضي لم يدخله رضاه في باطل ، وإذا قدر لم يأخذ أكثر مما له» ﴿٨٤﴾ واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً ﴿٨٥﴾ أعز به الحق وأمله ، وأذل به الباطل وأهله إذ لا حق بلا قوة وسلطان ٨١- ﴿٨١﴾ وقال جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ﴿٨٦﴾ يشير سبحانه بهذا إلى أن الله سينصر محمداً على أعدائه لا محالة ، ويظهر دينه على الدين كله ، ويقيم دعائمه في شرق الأرض وغربها ولو كره المشركون كما جاء في الآية ٣٣ من التوبة وغيرها ٨٢- ﴿٨٢﴾ ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ﴿٨٣﴾

القرآن دواء وشفاء من كل رذيلة ، ورحمة ونعمة على من استمسك بعروته ، وأخذ بشريعته ﴿ ولا يزيد الظالمين إلا خساراً ﴾ لأنه حجة الله عليهم ، فكلما عصوا حكماً من أحكامه ازدادوا عتوا وطغياناً .

٨٣- ﴿ وإذا أنعمنا على الإنسان ﴾ بمال أو جاه أو عافية وما يشبهها ﴿ أعرض ونأى بجانبه ﴾ لوى جانبه تكبراً ﴿ وإذا مسه الشر كان يئوساً ﴾ وفي نهج البلاغة : إن استغنى بطن وفطن ، وإن افتقر فط ووهن . وتقدم في الآية ١٢ من يونس ٨٤- ﴿ قل كل يعمل على شاكلته ﴾ للإنسان غرائز عامة يشاركه فيها جميع الأفراد دون استثناء كالحب والبغض والرضا والغضب ، ومنها تخصص بفتة دون فئة من الناس كالسخاء والبخل ، والشجاعة والجبن ، ومنها تخصص بالفرد وحده ، ولا يشاركه فيها مخلوق على الإطلاق ، ولا ضابط لها ومقياس إلا عدم الضابط لأن كل صفة منها قلعة مستقلة بنفسها تماماً كبصمة الأصابع : وقرأت في مجلة الحوادث البيروتية ١٠/٢ ١٩٧٨ : أن العلماء توصلوا إلى عزل جزئيات دم الإنسان بالكهرباء . فتبين لهم أن كل إنسان يستقل في تركيب دمه كما يستقل في بصمات أصابعه . وما من شك أن لنوع الدم تأثيره البالغ في تصرفات الإنسان .

٨٥- ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ﴾ المراد بالروح هنا الحياة . وسئل النبي (ص) عن حقيقتها ، فأمره الله تعالى أن يقول للساثلين : إن الروح من الأشياء التي يوجد لها سبحانه بأمره ، وهو قوله للشيء : « كن فيكون »

ومنذ القديم حاول العلماء وما زالوا أن يفهموا ويعرفوا أصل الحياة . فلم يصلوا إلى شيء ، قال الدكتور جيمس كونانت رئيس جامعة هارفارد في كتاب مواقف حاسمة ترجمة الدكتور أحمد زكي : « إن الآراء التي تحاول تفسير أصل الحياة كثيرة ، ولكن لا أستطيع أن أسميها بأكثر من خواطر ، وعلينا أن نترك الحديث عن أصل الحياة ﴾ ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ حتى ولو صعدتم إلى المريخ ، وملأتم السماء بعربات القضاء والأرض بالصواريخ والقنابل المدمرة - فإنكم أحقر وأعجز من أن تنجحوا في تركيب خلية حية من خلايا الذبابة ، تنصف بالصفات والمميزات المتوافرة في الخلية الطبيعية ، علاوة عن خلق الذبابة نفسها ٨٦- ٨٧- ﴿ ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ﴾ لقد أنعم الله عليك يا محمد بهذا القرآن الكريم العظيم ، ولو شاء لسلب هذه النعمة عنك ، فاشكر الواجب على هبته ، وأيضاً لشكره على بقائه واستمرارها ﴿ ثم لا تجد لك به علينا كيداً ﴾ تعتمد عليه في رد ما نأخذ منك ، و إرجاعه إليك ٨٨- ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن ﴾ هذا التحدي بهذا الأسلوب القاطع الجازم لا يكون إلا من خبير بأن الجن والإنس يعجزون عن مثل القرآن حتى ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، وما زال هذا التحدي قائماً وإلى آخر يوم ، وتقدم في الآية ٢٣ من البقرة وغيرها .

٨٩- ﴿ ولقد صرفنا للناس ﴾ يئاً وكرنا ﴿ في هذا القرآن من كل مثل ﴾ أي من كل شيء يعود إلى الدين والأخلاق والحجج والبراهين ، والدليل على إرادة هذا المعنى الآية ١٣٨ من آل عمران : « هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين » أي لمن أراد أن يبقى الله ٩٠- ﴿ وقالوا لن تومن لك ﴾ وظيفة الرسول أن يبلغ رسالة ربه مع معجزة تشهد بصدقه ، وما تجاوز محمد (ص) هذا الحد المحدود ، فدعا إلى الإسلام أول ما دعا عشيرته وقومه ، وتجاهم بالقرآن ،

الْإِنْسَانَ أَعْرَضَ وَنَفَى بَجَانِبِهِ ، وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَأْنِهِ ، فَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عِلًّا وَلَا كَيْدًا ﴿ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ، إِنْ فَضَّلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿ قُلْ لَئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ، وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ

لأنهم من أهل الفصاحة والبلاغة فكابروا وصادروا . وتحذوه بما لا يمت إلى وظيفته سبب . من ذلك قوله ﴿ حتى تنجر لنا من الأرض ينبوعاً ﴾ فواراً بملاً الجداول والأخاديد .
٩١- ﴿ أو تكون لك جنة ﴾ حديقة ذات أشجار وأنهار : تستنهن لنفسك بكلمة كوفي فتكون :

٩٢- ﴿ أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً ﴾ بشيرون إلى قوله تعالى : « إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء - ٩ سبأ » وكسفاً بكسر الكاف : جمع كسفة ، وهي القطعة من الشيء ﴿ أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً ﴾ أي مقابلين لنا وجهاً لوجه .

٩٣- ﴿ أو يكون لك بيت من زخرف ﴾ من ذهب ، والمال رب الأشرار : ومحمد (ص) نبي الأتقياء الأخيار قال أبو ذر (رض) : خرجت مرة مع رسول الله (ص) نحو جبل أحد ، فقال : يا أبا ذر أتبصر أحدًا ؟ قلت : نعم يا رسول الله . قال : ما أحب أن يكون لي مثله ذهباً أنفقته في سبيل الله ما عدا قيراطين أموت وأتركهما . قلت : أو قيراطين يا رسول الله . قال : بل قيراطين . .

﴿ أو ترقى في السماء ولن تومن لرقيق ﴾ حتى لو ارتقيت وصعدت إلى المريح أو ما هو أبعد منه بلا سلم أو أية وسيلة . قد تفكر ونظر إذا أنزلت معك صحيفة منشورة نقرأها وتندبرها ! وهذا الطراز من المشاكسين والمعاكسين موجود في كل زمان ومكان ، والقرآن الكريم يعبر عن هذه الظاهرة المنتشرة في كل المجتمعات ، لا في المجتمع القديم

فقط أو المجتمع الذي عاش فيه النبي بالخصوص ، وعند تفسير الآية ١١ من هذه السورة قلنا : إن لكل صنف وفرد من الناس صورة وهوية في كتاب الله . وهذي واحدة منها ﴿ قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً ﴾ يا تمر بأمر من أرسله وينتهي بنبيه . وتقدم في الآية ١١ من إبراهيم وغيرها ٩٤- ﴿ وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً ﴾ وفي الآية ٣٤ من « المؤمنون » : « ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذاً لخاسرون » والذين قالوا هذا يعبدون أصناماً من صنع أيديهم ! ومحمد يدعو إلى الله الذي ليس كمثله شيء ، وهكذا الجاهل الغر يناقش نفسه بنفسه من حيث لا يريد ولا يشعر

٩٥- ﴿ قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنن لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً ﴾ ولما كنتم بشراً لا ملائكة بعثنا فيكم رسولاً منكم لأن شبه الشيء منجذب إليه ، ومعنى مطمئنن هنا ساكنين . وتقدم في الآية ٩ من الأنعام .

٩٦- ﴿ قل كفى بالله شهيداً ... ﴾ تقدم في آخر الرد ٩٧- ﴿ ومن يهد الله فلا مضى ومن يضل الله فلا هادي ﴾ أي من كان يعلم الله والواقع مهتدياً لا باعقاده وزعمه ﴿ فهو المهتد ﴾ وبالأ فهد كذاب أشر ﴿ ومن يضل الله فلا هادي ﴾ أي من كان ضالاً يعلم الله والواقع ﴿ فلن تجد لهم أولياء من دونه ﴾ لا ناصر ولا شفيع عند الله لأهل الفساد والفضلال . وفي نهج البلاغة : الغنى والفقر بعد العرض على الله ﴿ ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم ﴾ كناية عن أليم العذاب وشدة لكل عات وباغ لا يكثر بدني وضيمير ولا بحساب وعقاب كما أشار سبحانه بقوله :

خَلَقَهَا تَجْعِرًا ۖ أَوْ تَسْقِطُ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا
كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بِنَاثٍ وَأَلْمَلِكَةِ قَبِيلًا ۖ أَوْ يَكُونُ لَكَ
بَيْتٌ مِّنْ زُخْرِفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ
حَتَّىٰ نُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا يَقْرَوُهُ قُلُوبُ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ
كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ۖ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ
جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ۖ
قُلْ لَوْ كَانُوا فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً يَّمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا
عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ۖ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا
بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۖ
وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَمُتَدٍ ۖ وَمَن يَضِلْ فَلَن يُجِدَ لَهُمْ
أَوْلِيَاءَ مِّنْ دُونِهِ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ
عُورًا ۖ وَبِكُمْ وَأَصْنَامًا مَا وَلَهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ

٩٨- ﴿ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ تقدم بالحرف الواحد في الآية ٤٩ من هذه السورة .

٩٩- ﴿ لَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَادِرٌ ... ﴾ لا شيء عند منكري البعث إلا أنه أدهش المدهشات في خيالهم وأفكارهم ، ولا جواب لهذه الدهشة إلا وجود الشبه والنظير ، وقياس الغائب على الشاهد ، ولخص الإمام على (ع) الجواب بقوله : عجبت لمن أنكر النشأة الأخرى ، وهو يرى النشأة الأولى . وتقدم مرات ، آخرها في الآية ٥١ من هذه السورة .

١٠٠- ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خِزَانِ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ ﴾ بخلتم ﴿ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ ﴾ خوف الفقر سبب الإنفاق ، ومجمل المعنى قل يا محمد للذين طلبوا منك أن تفجر لهم ينبوعاً فواراً : لو ملكتم خزائن الله التي لا تنفذ لها لبقين على الشح والتقتير والكفر وعدم الشكر ، وإذن علام تطلبون التتابع ؟

١٠١- ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى نَحْوَ آيَاتِ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾ تدل على صدقه في نبوته ، وهي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم ولفق البحر وانفجار الماء من الحجر وإنزال المن والسلوى ﴿ فَاَسْأَلُ ﴾ يا محمد ﴿ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾ أي من آمن منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه عن قصة موسى وما جرى له من فرعون وبني إسرائيل ، وانها كما أخبرناك كي يزدادوا إيماناً وإيقاناً ﴿ إِذْ جَاءَهُمْ ﴾ إذ جاء موسى ليحرر بني إسرائيل من ظلم فرعون .

﴿ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا ﴾ ساحراً أو لعب بقولك ساحر .

١٠٢- ﴿ قَالَ ﴾ له موسى : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ ﴾ المعجزات كالعصا واليد البيضاء ﴿ الْاَرْبَ السَّمَوَاتِ وَالْاَرْضِ بِصَٰئِرٍ ﴾ دلائل على صدقي في نبوتي ﴿ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ هالكا .

١٠٣- ١٠٤- ﴿ فَأَرَادَ ﴾ فرعون ﴿ أَنْ يَسْتَفْزِمَهُمْ ﴾ أن يخرج موسى وقومه ﴿ مِنَ الْاَرْضِ ﴾ من أرض مصر ﴿ فَأَغْرَقْنَاهُ ... ﴾ تقدم مرات ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ ﴾

الإعراب :

﴿ مِنْ يَدٍ ﴾ ومن يضل . ﴿ مِنْ ﴾ اسم شرط لفظها خاص ومعناها عام ، والضمير في يد ويضل يعود الى من على اللفظ ، وضمير لم ونحشرهم يعود اليها على المعنى . ومن الاولى مفعول به ، ومن الثانية مفعول يضل . وعمياً حال . ﴿ وَالَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ ﴾ صفة لله . وقادر خبر . وانتم فاعل محذوف يفسره الفعل الموجود ، والأصل لو تملكون ، فحذف تملك وانفصل الضمير وهو الواو فصار انتم ، هذا ما قاله بعض المفسرين ، وليس بجيد لأن المعنى يكون على هذا لو تملكون .

يوم القيامة ﴿ جئنا بكم ﴾ يا بني إسرائيل ﴿ ليفيأ ﴾ جماعات من فئات وقبائل شتى .

١٠٥- ﴿ وبالحق أنزلناه ﴾ أي القرآن ، وكل ما فيه حق وصدق ﴿ وبالحق نزل ﴾ أي ما نزل القرآن إلا لخير الناس ومصلحتهم ، وعليه فكل ما فيه خير وصلاح فهو عند الله حلال محلل بشرط أن لا يحل حراماً أو يحرم حلالاً ، وهذا الأصل ضروري للحياة ، وتوهم إليه الآية ٩ من الإسراء : « إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم » .

١٠٦- ﴿ وقرآنًا فرقناه لقراءة على الناس على مكثٍ ونزلناه تنزيلاً ﴾ لم ينزل القرآن على محمد (ص) جملة واحدة بل تدريجاً تبعاً للمصالح والوقائع ، أما قوله تعالى : إنا أنزلناه في ليلة القدر ، فعنا أن ابتداء نزوله كان في هذه الليلة .

١٠٧- ﴿ قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ﴾ قل يا محمد بلا اهتمام ومبالاة بالجاحدين بك وبالقرآن : من أنتم ؟ وما هو محلكم من الإعراب ؟ سواء آمنتم أم كفرتم فلا كفركم حجة على أو على القرآن ، ولا إيمانكم يزيدني ثقة بديني ﴿ إن الذين أوتوا العلم من قبله ﴾ أي من قبل القرآن ، والمراد بأهل العلم هنا المؤمنون الذين أسلموا من أهل الكتاب ﴿ إذا يتلى عليهم ﴾ القرآن ﴿ يخرون للأذقان سجداً ﴾ شكر الله على نعمة الهداية إلى الإسلام .

١٠٨- ﴿ ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً ﴾ واقعاً لا محالة .

١٠٩- ﴿ ويخرون للأذقان يبكون ﴾ كرر سبحانه

السجود لأن الأول كان شكراً وتعظيماً لله ، والثاني لتأثير القرآن في نفوسهم ﴿ ويزيدهم ﴾ القرآن ﴿ خشوعاً ﴾ على خشوع .

١١٠- ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ﴾ لأن الرحمن صفة لله ، وصفاته عين ذاته لا تعدد ولا تغاير ﴿ أيأ ما تدعوا ﴾ الله الأسماء الحسنى ﴿ أبدأ كل أسمائه وصفاته تعالى على مستوى واحد حسناً وكمالاً ، فلا حسن وأحسن ولا كامل وأكمل ، لأنه تعالى واحد أحد فرد صمد من كل الجهات إن صحَّ هذا التعبير .
﴿ ولا تجهر بصلاتك ﴾ لا ترفع صوتك بالقراءة في الصلاة ﴿ ولا تخافت بها ﴾ وأيضاً تسره وتخفيه ﴿ وابتغ بين ذلك سبيلاً ﴾ قال الإمام الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية : الجهر بها رفع الصوت ، والمخافة ما لم تسمع أذنك وقرأ قراءة بينهما .

١١١- ﴿ قل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدل وكبره تكبيراً ﴾ نحمده تعالى على عظيم إحسانه ، ونزّهه عن الولد والصاحب والشريك والولي الذي يفقر إليه ، لأنه تعالى الغني بذاته وصفاته ، والمغني لغيرة لا يفقر إلى شيء ، وكل شيء يفقر إليه في وجوده وبقائه . والحمد لله الذي من علينا بقرآنه ونبه محمد وآله عليه وعليهم أفضل الصلوات .

مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ
الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٥﴾ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلْ
وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٦﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ
لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴿١٠٧﴾
قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ
إِذَا يَتْلَى عَلَيْهِمْ نَجْوُونَ لِلْأَذْقَانِ بُحْدًا ﴿١٠٨﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ
رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٩﴾ وَيَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ
يَسْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١١٠﴾ قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا
الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُ
بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١١١﴾
وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ
فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الدَّلِّ وَكَبْرُهُ تَكْبِيرًا ﴿١١٢﴾

(١٨) سُورَةُ الْكَافِرَاتِ
وَأَنبَأْنَاهُنَّ عَشِيرًا وَمَا نَشَأُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ
لَهُ عِوَجًا ۖ قِيمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ
الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا
حَسَنًا ۖ مَّكِينٍ فِيهِ أَبَدٌ ۖ وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ
اللَّهُ وَلَدًا ۖ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ
كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۖ
فَلَعَلَّكَ بَئِيعَ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا
الْحَدِيثِ أَسَفًا ۖ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا

سُورَةُ الْكَافِرَاتِ وَمِنْ آيَاتِهِ وَبَشِيرًا وَنَذِيرًا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿الحمد لله﴾ قولوا : الحمد لله ﴿الذي أنزل على عبده الكتاب﴾ العبد : محمد ، والكتاب : القرآن ﴿ولم يجعل له عوجًا﴾ لا عوج في أحكامه ولا زيغ في نظامه .

٢- ﴿قِيمًا﴾ بل جعله مستقيماً معتدلاً ﴿لينذر﴾ القرآن الناس ﴿بأسًا﴾ منصوب بنزع الخافض أي بئس وهو العذاب ، والمعنى أنزل سبحانه القرآن على محمد (ص) لينذر من كذب الحق وأعرض عنه بعذاب شديد ﴿ويبشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾ لا الذين يؤمنون ويأكلون ولا يعملون ، ولا فرق إطلاقاً بين من يجاهد بالسيف في ميدان القتال ومن يعمل في أي حقل من أجل الحياة .

٣- ﴿ماكين فيه أبداً﴾ خالدين في نعيم الله وثوابه بلا انقطاع وزوال .

٤- ﴿وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً﴾ أب وابن .

٥- ﴿ما لهم به من علم ولا لآبائهم﴾ لا حجة لهم ولا لآبائهم فيما يدعون ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم﴾ انتصبت كلمة على التمييز ، والتقدير كبرت الكلمة كلمة ، أي كبر وعظم جرمها وعقابها .

٦- ﴿فلعلك﴾ يا محمد ﴿بائع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً﴾ لماذا تهلك نفسك بالهم والغم أسفاً أو تكاد تهلكها من أجل إعراض الجاحدين عنك وعن القرآن ؟ دعهم وشأنهم وارفق بنفسك ولا تقهرها .

٧- ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً﴾ في الدنيا زخرف وترف ، يميز بهما سبحانه بين الطيب المستقيم على صراط الحق والمهادية ، وبين الخبيث الذي تتحكم به الشهوات والمغريات .

الإعراب :

﴿الحمد﴾ مبتدأ وخبر والحملة مفعول لفعل محذوف أي قولوا الحمد لله . ﴿قيا﴾ مفعول لفعل محذوف أي بل جعله قيا ، أو حال من الكتاب أي أنزل على عبده الكتاب قيا ولم يجعل له عوجا . ﴿ولينذر﴾ منصوب بان مضمر بعد اللام ، والمصدر المجزور باللام متعلق بقيم أو بأنزل . وماكين حال ضمير ﴿لهم﴾ . وأبدأ ظرف منصوب بماكين . ومن علم ﴿من﴾ زائدة إعرابا وعلم مبتدأ مؤخر ، ولهم به خبر . وفاعل كبرت محذوف يدل عليه ﴿قالوا اتخذ الله ولداً﴾ أو كلمة ، والتقدير كبرت المقالة كلمة أو كبرت الكلمة كلمة . وكذبا صفة لمفعول مطلق محذوف أي قولوا كذبا . وأسفاً مفعول من أجله لبائع . وإيهم مبتدأ ، وأحسن خبر ، وعملا تمييز .

٨- ﴿ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا ﴾ على الأرض ﴿ صعيداً جزراً ﴾ كل من عليها فان ، ويبقى وجه الله سبحانه وعمل الخير لوجهه .

٩- ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ ﴾ المغارة الواسعة ﴿ وَالرَّقِيمِ ﴾ ومن معانيه الكتاب المرقوم ، وفي الآية ٩ من المطففين « كتاب مرقوم » فإن كان هذا هو المراد هنا فالملعى أن أسماء أصحاب الكهف مسجلة عندنا في لوح أو كتاب أو كناية عن علمه تعالى بأسمائهم ﴿ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً ﴾ يقول سبحانه لمن يرى العجب في قصة أهل الكهف : أنظن أن أمرهم عجب في قدرة الله ؟ إن سائر مخلوقاته أعظم وأعجب .

١٠- ﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ ﴾ لجأوا إليه ، واحتبأوا فيه فراراً بدينهم وضيمهم من الحيابرة الطغاة ﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ... ﴾ نسترحمك ، ونستغيث بك ، فاكشف عنا ما نحن فيه .

١١- ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً ﴾ ألقى سبحانه عليهم النوم الثقيل لا يستيقظون منه بحال العديد من السنين .

١٢- ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ ﴾ أيقظناهم من النوم ﴿ نَعْلَمُ ﴾ أي ليظهر علمنا للناس بمقدار ما لبث أهل الكهف ﴿ أَيِ الْحَزِينِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً ﴾ اختلف الناس على حزين أي على قولين في أهل الكهف وهم بعد في الكهف : كم مضى عليهم من السنين عدداً ؟ فن مقل ومن مكثر .

١٣- ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ ﴾ يا محمد ﴿ نَبَاهُمْ بِالْحَقِّ ﴾ كان الناس في عهد الرسول (ص) يتحدثون عن أهل الكهف رجماً بالغيب ، فقال سبحانه لنبيه : نحن نخبرك عن أمرهم ، وفيما يلي الحكاية من أولها : ﴿ إِنَّهُمْ فَتْيَةٌ ﴾ وليسوا كهولاً ولا شيوخاً بلغوا من الضلال والفساد عصباً ﴿ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزَدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ شباب على فطرة الله وصفائهم ، يستوحشون من الباطل والضلال ولا تركن نفوسهم إلا للحق والصدق ، رأوا قومهم في سكرتهم يعمهون ، فخافوا على دينهم من سوء العاقبة بعلاقة الجوار ، فتركوا الوطن والأموال ، واعتزلوا في كهف لا يراهم فيه أحد متوكلين عليه تعالى صابرين محسنين . ومن توكل على الله كفاه .

١٤- ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ بالثبات وقوة العزم ﴿ إِذْ قَامُوا ﴾ تمردوا على تقاليد قومهم الذين يعبدون الأصنام ﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴾ أي ابتعدنا عن الحق والواقع ، ثاروا على التقليد ، ونطقوا بكلمة الحق والتوحيد ، ولم يعدوا وراء الجاهلية الجهلاء ودين الأجداد والآباء ... وهذه صورة تيرة خيرة يرسمها القرآن الكريم للشباب الطيب الثائر على الضلال والباطل ، إلى جانب الصور المظلمة الشريرة للشيوخ الفاسدين والحيابة المترفين .

١٥- ﴿ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا ... ﴾ الأصنام أرباباً ، ولا دليل إلا العمى والجهل والإفتراء على الله والحق .

لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرًزًا ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَاهَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزَدْنَاهُمْ هُدًى ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبَّنَا رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمُ سُلْطَانٌ بَيِّنٌ مِّنْ أَظْهَرِ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿

١٦- ﴿وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ﴾ الخطاب من بعض فتية أهل الكهف لبعض ، وضمير الغائب «هم» لقوم الفتية ، والمعنى قال بعض الفتية لبعض : ما دمت قد تركتم قومكم ، وأيضاً تركتم الأصنام التي يعبدونها من دون الله ، والمشار إليها بقولهم : ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ أي غير الله ، ما دمت على هذا ﴿فَاوُوا إِلَى الْكَهْفِ﴾ حيث لا تملك مقرأ سواه ﴿يُنْشَرُ﴾ يسط ﴿لَكُمْ رَبِّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ ما زال الكلام للفتية ﴿وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَاقًا﴾ أي ترتفقون به ، من الرق ، وعندئذ دخلوا الكهف ، وأوكلوا أمرهم إلى الله راضين بما يختاره لهم .

١٧- ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَّوُّرُ﴾ تنحرف ﴿عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرُّصُهُمْ﴾ تعدل عنهم ﴿ذَاتَ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾ أي في مكان واسع من الكهف ، فقد كان كبيراً ، وله كوة ينفذ منها الهواء الطيب ونور الشمس وكانت الشمس لا تصل إلى أجسامهم لا عند طلوعها ولا عند غروبها ، لأنهم كانوا في مكان من الكهف لا يصل إليه نورها .

﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ كَأهل الكهف ، سلكوا طريق الهداية ، فأخذ الله يدهم ﴿وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ كالذين أرادوا التنكيل بأهل الكهف . وخير تفسير هذه الآية قول الإمام علي (ع) : من لم يعن على نفسه حتى يكون له منها واعظ وزاجر لم يكن له من غيرها لا زاجر ولا واعظ ... ومن له من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ .

١٨- ﴿وَحَسِبَهُمْ أَقْبَاطًا وَهُمْ رَكَودٌ وَنَقَلَهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ وَكَلِمَهُمْ بِاسْطِ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ﴾ باب الكهف ، كانت عيونهم مفتوحة كأنها تنظر إلى الأمام وأجسادهم طرية تجري الدم في عروقها ، يتقلبون من جنب إلى جنب ، وكلمهم ببناء الكهف أو بابو باسط ذراعيه كأنه الحارس الأمين ﴿لَوْ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِثْتَ مِنْهُمْ رُجْبًا﴾ لأنهم في وضع غير مألوف أو لأنه تعالى أحاطهم بصور من المهابة توفي كتاب التسهيل لعلوم التنزيل تأليف محمد بن أحمد الكلبي : أن معاوية بن أبي سفيان لما غزا الروم مر بالكهف ، فأراد الدخول إليه ، فقال له ابن عباس : لا تستطيع ذلك ، إن الله قال لمن هو خير منك : لو اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا ، فبعث معاوية إليهم ناساً ، فلما دخلوا الكهف بعث الله رجلاً فأحرقهم .

١٩- ٢١- ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ استمروا في نومهم ٣٠٩ كما يأتي في الآية ٢٥ ثم أيقظهم سبحانه من نومهم الطويل ليتساءلوا عن مدة نومهم ، ويزدادوا إيماناً بالله وبآلائه ﴿قَالَ قَاتِلْ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ حين استيقظوا من النوم تساءلوا عن أمده : أيوماً كان أو بعض يوم ؟ ثم تركوا ذلك ، إلى علمه تعالى ، وفي شتى الأحوال فإن قول من قال منهم : يوماً أو بعض يوم ، يوصي إلى أنه لم يتغير فيهم شيء على الإطلاق كطول الشعر والأظفار كما زعم بعض المفسرين وإلا لم يكن لهذا التساؤل أو القول من معنى ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِرِزْقِكُمْ هَذِهِ﴾ الدراهم المضروبة ، وكانت معهم حين خرجوا إلى الكهف ﴿إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ﴾ أحسوا بالجوع فاختاروا واحداً منهم ليشتري لهم طعاماً

وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَاوُوا إِلَى الْكَهْفِ
يُنْشَرُ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ
مَرْفَاقًا ﴿١٦﴾ * وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَّوُّرُ عَنْ
كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرُّصُهُمْ ذَاتَ
الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ
يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلَّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا
مُرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَحَسِبَهُمْ أَقْبَاطًا وَهُمْ رَكَودٌ وَنَقَلَهُمْ ذَاتَ
الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ وَكَلِمَهُمْ بِاسْطِ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ
لَوْ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِثْتَ مِنْهُمْ
رُجْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَاتِلٌ
مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ
أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِرِزْقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ

شياً ، وأوصوه بهذه الوصية : ﴿ ولينظفوا ﴾ في تنكره ذهاباً وإياباً ﴿ ولا يشعروا بكم أحداً إنهم إن يظهروا عليكم ﴾ إن علموا بمكانكم ﴿ يرجعوكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبداً ﴾ .

وخرج واحد من الفتية إلى المدينة ، يلتبس الطعام ، وما إن بلغها حتى رأى الأرض غير الأرض « ورأى رجال الحي غير رجاله » فثاء في سيرة وحار في أمره ، وأخيراً اهتدى إلى بعض المطاعم ، فابتاع وأعطى الثمن من دراهمه ، ولما رأى صاحب المطعم أنها قد ضربت منذ ثلاثة قرون أو تزيد تحيل أن الفتى عثر على كثر ، واجتمع الناس من حوله وأدلفوا إليه من كل مكان ، وسألوه عن الدراهم ، فأخبرهم بالقصة ، فترفقوا به وأكرموه حين علموا أنه من الفتية الشرفاء الذين يتحدث التاريخ عنهم بالتقديس والإكبار ، وهرعت الجموع إلى الكهف وكان الفتى قد سبقهم إلى أصحابه وأخبرهم بما كان ، فتضرعوا إلى الله أن يختارهم لجواره ، ويشملهم برحمته ، وما إن أتموا الدعاء حتى وقفوا أجساماً هامة ، أما أهل المدينة فقالوا : إن الله سبحانه أعثرنا على أصحاب الكهف أحياء لنؤمن بالبعث ، ولكنهم تنازعوا ماذا يصنعون لهذه الأجسام الطاهرة . وأخيراً بنوا عليهم مسجداً كما أشار سبحانه بقوله : ﴿ فقالوا ابنوا عليهم نبينا ﴾ قال بعض أهل المدينة : سدوا باب الكهف ، وذروهم على حالهم ﴿ قال الذين غلبوا على أمرهم ﴾ وهم الأكثر عدداً أو الأقوى سلطاناً ﴿ لتدخلن عليهم مسجداً ﴾ فوافق الآخرون أو سكتوا ولم يعترضوا .

فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْكُلْكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾ وَكَذَلِكَ أَثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ مِنْهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتًا رُبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴿٢٤﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْحًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهَرَ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٥﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا أَنْ يَسَاءَ اللَّهُ

٢٢- ﴿ سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ﴾ اختلف الناس منذ القديم في مكان أهل الكهف وفي أسمائهم وفي عددهم ، بل وفي لون كلبهم ، وذكر سبحانه في الكتاب المجيد ثلاثة أقوال : الأول أنهم ثلاثة ، الثاني أنهم خمسة ، ثم وصف هذين القولين بأنهما رجم بالغيب أي بلا علم بل بالحدس والظن . وإذن لا صحة لهما ولا وزن . أما القول الثالث فهو ﴿ ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ﴾ وهذا القول هو الأرجح لأمرين الأول : أنه تعالى وصف القول بالثلاثة والخمسة بالجهل والرجم بالغيب دون القول بالسبعة . الثاني أنه تعالى قال هناك : ثلاثة رابعهم كلبهم ... خمسة سادسهم كلبهم بلا واو ، وقال هنا : سبعة وثامنهم كلبهم بواو الإستثنا ، وهذه الواو تقطع الكلام ﴿ قل ربني أعلم بعدتهم ﴾ فيه إنباء إلى أن الأحسن والأفضل رد العلم بعددهم إلى الله تعالى حيث لا جدوى وراء هذا النزاع ، ولا يتصل بالحياة من قريب أو بعيد ، ولذا قال سبحانه لنبيه الكريم : ﴿ فلا تمار فيهم ﴾ لا تتجادل في أهل الكهف وعددهم ﴿ إلا مراء ظاهراً ﴾ إلا جدالاً سيراً بلا تعمق واهتمام حيث لا فائدة كبيرة أو صغيرة ﴿ ولا تستفت ﴾ لا تسأل يا محمد ﴿ فيهم ﴾ في أهل الكهف ﴿ منهم ﴾ من أهل الكتاب ﴿ أحداً ﴾ لأن الله قد أوحى إليك في شأنهم ما فيه الكفاية .

٢٣- ﴿ ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً ﴾ بلسان القطع والجزم تحزراً من المفاجآت والمخبات .

٢٤- ﴿ إلا أن يشاء الله ﴾ رد عزمك على فعل الشيء

في المستقبل إلى مشيئة علام الغيوب ﴿ واذكر ربك إذا نسيت ﴾ شيئاً من أمور الدنيا ﴿ وقل ﴾ عند النسيان : ﴿ عسى أن يهدينني ربي لأقرب من هذا ﴾ من المنسي ﴿ رشداً ﴾ وأدنى خير أو منفعة . وفي نسيان الأشياء بعض فوائد جمّة .

٢٥- ﴿ ولبنوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً ﴾ عاد سبحانه إلى فتية الكهف بعد الإستطراد بذكر النسيان والمشيمة ، وبين أنهم مكثوا في نومهم ٣٠٩ سنوات

٢٦- ﴿ قل الله أعلم بما لبثوا ﴾ عند ذكر العدد قال سبحانه : قل ربي أعلم بمدتهم . وعند ذكر المدة قال جلّ وعزّ : قل الله أعلم بمدتهم . وقد أعلمنا بعلومه هذا صراحة : ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً ﴿ أبصر به وأسمع ﴾ الفعل للتعجب . وإياه تعود إليه تعالى وهي فاعل . والباء زائدة . والمعنى ما أبصره تعالى وأسمعه ! ﴿ ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحداً ﴾ لا شريك لله في خلقه ، ولا للخالق من ناصر إلا هو .

٢٧- ﴿ وائل ﴾ يا محمد ﴿ ما أوحى إليك من كتاب ربك ﴾ بلغ أيها الرسول ما في القرآن من أنباء أهل الكهف وغيرها ﴿ لا يبدل لكلماته ﴾ لا يأتينا الباطل لا تغييراً ولا تقليماً ولا تعطياً ﴿ ولن تجد من دونه ملتحداً ﴾ ملجأ يمنعك من الله .

٢٨- ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم ... ﴾ كن يا محمد مع المؤمنين المخلصين الذاكرين الله في كل حين المطيعين له في أمره ونهيه طلباً لمرضاته وفضله ورحمته ﴿ ولا تعدّ عيناك عنهم ﴾ أي عن المؤمنين ، ويستحيل في حق النبي أن يزدري أحداً من المؤمنين ، كي يخاطب بالنهي عن ذلك .

كيف وسبحانه يشهد بأن محمداً بالمؤمنين رؤوف رحيم كما في الآية ١٢٨ من التوبة ؟ وعليه فالمراد بالنهي هنا مجرد التنويه بحرمة المؤمن وفضله ومكانته عند الله تعالى ﴿ تريد زينة الحياة الدنيا ﴾ يشير سبحانه بهذا إلى أن مكانة المؤمن الفقير عند الله هي أرفع وأفضل من مكانة أهل الجاه والمال إلا من أعطى واتفى وصدق بالحسنى .

﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا ﴾ آثر دنياه على آخرته ، وهواه على طاعة الله ﴿ واتبع هواه وكان أمره فرطاً ﴾ من الإفراط وتجاوز الحد في الأقوال والأفعال . وتقدم شبه ذلك في الآية ٨٨ من الحجر .

٢٩- ﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ قد تبين الرشد من الغي والخير من الشر ، ولكل إنسان أن يختار لنفسه ما أحبّ لها ، وأسلوب الآية ظاهر بالوعيد والتهديد ، ويؤيده قوله تعالى بلا فاصل : ﴿ إنا اعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها ﴾ البيت من الشعر

الإعراب :

﴿ ويهدين ﴾ الأصل يهدين ، والمصدر من ان يهدين فاعل عسى ، وهي هنا تامة . ورشداً تمييز أي أقرب من الرشد . وثلاثمائة قرىء بتثنية تاء مئة ، وعليه تكون ﴿ سنين ﴾ بدلاً من ﴿ ثلاثمائة ﴾ ، وقرىء بإضافة مئة إلى السنين على أن تكون ﴿ سنين ﴾ في موضع سعة ، لأن مئة لا تضاف إلا إلى مفرد . وتسعاً مفعول ازدادوا . أبصر به الضمير في ﴿ به ﴾ يعود إلى الله تعالى ، ﴿ واسمع ﴾ وأبصر للتعجب أي ما

وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴿٢٥﴾ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٦﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِدًا ﴿٢٨﴾ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشيِّ يَرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٩﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا

ونحوه ، والمراد به هنا الطمر والغمر ﴿ وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل ﴾ يشوي الوجوه ﴿ فصبح فحماً ﴾ بشب الشراب وساءت مرتفعاً ﴿ منزلاً ومنكاً وفاضاً . أَلْهَمَ إِنَّا نَسْتَجِيرُ بِكَ مِنْ نَارِكَ ، ونفر منها إلى رحمتك ، وننوسل إليك بنبيك وآله الأطهار ، عليهم أفضل الصلوات . ٣٠-٣١ ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ... ﴾ لما ذكر المجرمين الأشرار وعقابهم ، نبي بذكر الطيبين ونوابهم . والعدن : الإقامة ، والسندس : ضرب من الحرير الرقيق . والإستبرق : الغليظ منه ، والأرائك : جمع أريكة ، وهي السرير . وفي نهج البلاغة : كل نعيم دون الجنة محقور ، وكل بلاء دون النار عافية ، وتقدم مرات ؛ منها الآية ٨٢ من البقرة .

٣٢- ﴿ واضرب ﴾ يا محمد ﴿ لهم ﴾ للمجبرة الطغاة المتعاليين عن مجالسة الفقراء والمساكين ، والذين قالوا لك : اطرد من عندك من المؤمنين الضعفاء ، اضرب لهم ﴿ مثلاً ﴾ رجلين . أحدهما مؤمن والآخر كافر ﴿ جعلنا لأحدهما جنتين ﴾ حديقتين من أعناب ﴿ وحففناهما بنخل ﴾ أحيطت الحديقتان بالنخل من كل جانب ﴿ وجعلنا بينهما زرعاً ﴾ كالخضار والحبوب .

٣٣- ﴿ كلتا الجنتين آتت أكلها ﴾ نمرها ﴿ ولم نظلم منه شيئاً ﴾ لم تنقص من الثمر شيئاً ﴿ وفجرنا خللاً بينهما ﴾ يجري بطبيعته بلا آلة .

٣٤- ﴿ وكان له ثمر ﴾ وأيضاً كان يملك سوى الجنتين

أموالاً تنتج وتثمر ﴿ فقال لصاحبه وهو يحاوره ﴾ يراجعه . في الكلام : ﴿ أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً ﴾ ومنهما ينفع الشيطان بريح الكبرياء في أنوف المتغترسين .

٣٥- ﴿ ودخل جنته وهو ظالم لنفسه ﴾ بغطرسته

اللغة :

العدن الإقامة ، يقال : عدن في المكان إذا أقام فيه . والأساور جمع أسوار وسوار ، وأصل الجمع أساور وحذفت الياء للتخفيف . والسندس ضرب من الحرير الرقيق . والاستبرق الغليظ منه . والأرائك جمع أريكة السرير .

الإعراب :

﴿ إن الذين آمنوا ﴾ خبر إن الجملة من أنا لا نضيق والعائد محذوف أي منهم . ﴿ وعملوا ﴾ مفعول أحسن أي من عمل الحسن . ﴿ ومن ذهب ﴾ متعلق بمحذوف صفة لأساور ، ومن سندس صفة ثانية للثياب . ومتكئين حال من ضمير يلبسون . ﴿ وكلتا ﴾ مبتدأ ، وجلة ﴿ آتت ﴾ خبر ، وافرد الضمير في آتت مراعاة للفظ كل ، ويجوز كلتا بالثنية حملاً على المعنى .

وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه
ينس الشراب وساءت مرتفعاً ﴿٣٠﴾ إن الذين آمنوا
وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً ﴿٣١﴾
أولئك لهم جنت عدن تجري من تحتهم الأنهار يحلون
فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من
سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم
الثواب وحسنت مرتفعاً ﴿٣٢﴾ * وأضرب لهم مثلاً
رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما
بنخل وجعلنا بينهما زرعاً ﴿٣٣﴾ كلتا الجنتين آتت أكلها
ولم تظلم منه شيئاً وفجرنا خللاً بينهما نهراً ﴿٣٤﴾ وكان له
ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره ﴿٣٥﴾ أنا أكثر منك مالاً
وأعز نفراً ﴿٣٦﴾ ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ﴿٣٧﴾

وشموخه ﴿ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴾ هذه إشارة إلى جنته لقربية السياق لا إلى السموات والأرض كما في بعض التفسير ، لا غرابة في هذا الجهل والحق ، فإن الدنيا تغر وتضر كما قال الإمام علي (ع) .

٣٦- ﴿ وما أَظُنُّ الساعةَ قائمة ﴾ أيضاً هذا من وحي التخمّة والبطر ﴿ ولئن رددت إلى ربي لأجلدنّ غيراً منها ﴾ متقبلاً ﴿ مرجعاً ، والمعنى على فرض أن هناك جنة وناراً ، فإن جنتي في الآخرة خير منها في الدنيا . ولماذا ؟ أبداً لا شيء إلا أن الممرور يرى الخطأ صواباً ، والصواب خطأ .

٣٧- ﴿ قَالَ لَهُ صاحبه ﴾ المؤمن واعظاً وزاجراً : ﴿ أَكَلْتُ بِالْغَدْرِ خَلْقَكَ مِنْ تَرَابٍ ... ﴾ بالأمس كنت نقطة ، ولك اليوم عقل وسمع وبصر ، فمن أين لك هذا ؟ هل هو من صنعك أم من لا شيء ؟ وهل عندك من جواب معقول إلا الرجوع إلى العلة الأولى لكل موجود .

٣٨- ﴿ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي ﴾ ولكن أنا أقر وأعترف بأن ربي الله الذي لا إله سواه .

٣٩-٤١- ﴿ ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله ﴾ هلا إذ أعجبتك حديقتك قلت : الحمد لله على فضله ونعمته ، وأستعينه على شكره وطاعته كي يدوم لك هذا الرخاء والهناء .

﴿ إن تورني أنا أقل منك مالا ... ﴾ ما يدريك أيها الغر الجهول أنني عند الله أغنى منك وأكرم ، وأنه أدخر لي في دار البقاء ما هو خير منك ومن جنتك ، بل ما يدريك أن يجعلني غنياً بعد الفقر ، ويجعلك فقيراً بعد الغنى بين عشية وضحاها ؟ والحسبان من السماء : الآفة والصعيد الزلق : أرض ملساء لا تثبت عليها قدم ولا يثبت فيها شيء ، وماء الغور : الغائر في الأرض .

٤٢- ﴿ وأحيط بنمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ﴾ وأخيراً وقعت الواقعة ، ونزلت الصاعقة على رأس العنود المتكبر تماماً كما حذره المؤمن المخلص ، فهلك السزغ ، وهوت الأشجار ، وغار الماء في الأرض ، وأصبحت الحديقة قاعاً صفصفاً . وحلّ الفقر مكان الغنى ، والنل والإنكسار محل التعاظم والكبرياء . هذا هو مصير البغاة والعاة لمن قبل ومن بعد ﴿ ويقول ياليتني لم أشرك بربي أحداً ﴾ وليس براجع ما فات مني - بلهف أو بليت أو لو أني .

٤٣-٤٤- ﴿ ولم تكن له فئة ينصرونه ﴾ أبداً لا ناصر ولا جابر إلا الأحد المتوحد .

الإعراب :

ومثل ﴿ أتت لم تغلظ ﴾ في أفراد الضمير ، وشيئاً مفعول تغلظ . وخلالها ظرف لأنه بمعنى وسط أو بين ، وهو منصوب بفجرنا . ومالاً تميز ، ومثله نقرأ ومتقبلاً . ولكنّا هو الله ربي الأصل لكنّ أنا هو الله ربي وأنا مبتدأ أول ، وهو مبتدأ ثانٍ والله مبتدأ ثالث ، وربّي خبر للثالث وهو وخبره خبر للثاني وهو وخبره خبر للاول .

مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴾ ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَفْثَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴾ ﴿ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ ﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقْلَ مِنْكَ مَالًا وَلَدًا ﴾ ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُوَفِّيَنَّ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فُتُصِيعُ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾ ﴿ أَوْ يُصْهِرَ مَاؤَهَا غُورًا فَلَنْ يَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴾ ﴿ وَأَحِيطَ بِنَمْرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّهُ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ ﴿ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ

٤٥- ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مِّثْلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَتْرَكْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ ﴾ شبه سبحانه الدنيا في نضرتها بماء نزل على الأرض ، فأخضبت وأنبت من كل زوج بهيج ، ولكن ما أسرع أن ذوى وجف وصار هشيمًا تنتثره الرياح .

٤٦- ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ والمراد بهذه الزينة كل ما تشتهي الأنفس ، وتلذذ الأعين من مأكل طيب ، وملبس جيد ، وامرأة جميلة ، وصحة كاملة ، ومترلة عالية ، وأمن وأمان ، وما يشبه ذلك من طيبات الدنيا وملذاتها ، كل ذلك حلال محلل إلا أن يكون على حساب الآخرين أو محرماً بنص البلاغ المبين ، وخير وأفضل من كل الطيبات في الحياة الدنيا ما أشار إليه سبحانه بقوله : ﴿ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ ونفهم من هذه الكلمة الرائدة الهادية أن العمل لن يكون من الباقيات الصالحات إلا أن يكون له مثوبة ومكافأة رفيعة عند الله ، وأن يحقق أملاً من الآمال وأمنية من الأمانى النافعة . وتقدم في الآية ١٤ من آل عمران .

٤٧- ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ ﴾ يشير سبحانه بهذا إلى أهوال يوم القيامة ، وأنه يقتلع الجبال من أماكنها ، ويسيرها في الجو كالسحاب ﴿ وَتَوَّى الْأَرْضُ لَازِقَةً ﴾ بادية ظاهرة لا حجر وشجر ولا بناء وخياء يحجب الأبصار ﴿ وَحُشِرْنَاهُمْ فَلَمْ تَفَارِقْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ من الأولين والآخرين لنقاش الحساب والجزاء على الأعمال والأقوال .

٤٨- ﴿ وَعَرَضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا ﴾ يقف الخلاق بالكامل بين يدي الخالق بنظام محكم ودقيق بلا فوضى وعرقلة سير ﴿ لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَنَّ لَنَا نَجْدًا لَكُمْ مَوْعِدًا ﴾ بهذا يفتح سبحانه جلسة المحاكمة : قلتم في الحياة الدنيا : من مات فات ، والآن ماذا نرون ؟ لقد خلقناكم ورزقناكم وأمتناكم ثم أحييناكم كي نسأل ونحاسب ونثيب أو نعاقب على ما كنتم تعتقدون وتقولون وتعلمون . ثم يبدأ الحساب بوضع ﴿ الْكِتَابِ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ ﴾ خائفين ﴿ مِمَّا فِيهِ ﴾ يعطي سبحانه كل مجرم صحيفة أعماله ، ويقول له : « اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً - ١٤ الإسراء » فيقرأ ونفسه مفعمة بالخوف .

﴿ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا ﴾ يا حسرتنا ﴿ مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾ بالأمس لا كتاب ولا حساب ، على القطع والجزم ، واليوم يا حسرتنا يا ويلتنا على ما فرطنا ... ما كان أغناهم عن الحالين ! والعاقل لا يجرم بما هو فوق تصوّره وإدراكه نفياً ولا إثباتاً ، بل يضعه في عالم الإمكان حتى يصدقه أو يكذبه الدليل والبرهان ، ولا شيء أكثر من الشواهد على هذه الحقيقة . ومن كان يتصور أن الإنسان يصعد إلى القمر ، وهو الآن من الأشياء العادية ، إذن فالكثير مما هو فوق التصور يمكن وجوده ، ولا يعنى عن ذلك إلا جهول متخلف .

الإعراب :

وهناك ظرف مكان للبعد خبر مقدم ، والولاية مبتدأ مؤخر ، وفيه متعلق بمحذوف حالاً من الولاية، والحق صفة لله . وثواباً تمييز ،

وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا ﴿١٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿١٤﴾ وَاضْرِبْ لَهُم مِّثْلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَتْرَكْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿١٥﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿١٧﴾ وَعَرَضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَنَّ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿١٨﴾ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَجَدُوا مَا عَمِلُوا

٥٠- ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا...﴾ تقدم مرات ، منها في الآية ٣٤ من البقرة ﴿أَفَتَخْلَوْنَ ذَرْيَتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي﴾ المراد بذرية الشيطان حزبه وأنصاره الذين يضللون الناس عن الحق والخير وكل من يسمع لهم ويطيع فقد اتخذهم أولياء من دون الله ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ هم يعود للشيطان وأوليائه ، ولكم خطاب لمن أطاعهم ، وبئس للذم والتوبيخ ، والظالمون كل من استبدل طاعة الشيطان وأوليائه بطاعة الرحمن وكتبه وأنبأته .

٥١- ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ﴾ ضمير متكلم لذات الله القدسية ، وضمير الغائب للشيطان وحزبه وغيرهم من الأصنام والشركاء المعبودة الموهومة ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يقول سبحانه : أنا وحدي خلقت الكون ، ولم يكن معي حين أوجلت وأبدعت نظير أو مشير ولا شاهد أو ناظر .

﴿وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ﴾ وكذلك حين خلقت إبليس وأوليائه والشركاء الزعومة ، ما أشهدت بعضهم خلق بعض ﴿وَمَا كُنْتُ﴾ أيضاً ضمير المتكلم للذات القدسية ﴿مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ أعواناً ، كيف والله سبحانه يعين ولا يستعين .

٥٢- ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ سبحانه للمشركين : ﴿نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ بأنهم ينفعون ويضررون في هذا اليوم العصيب ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ لأنهم صم بكم ، ولو استجابوا لأنكروهم وتبرأوا منهم ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾ مهلكاً ، والمعنى لا صلة ولا جامع مشترك غداً بين التابع الضال والمتبوع المضل إلا الهلاك والعذاب .

٥٣- ﴿وَرَأَى الْمَجْرُمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا﴾ حين رأوا جهنم أيقنوا بأن الواقعة واقعة على رؤوسهم لا محالة ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ مهرباً ، كيف والإله الطالب ؟

٥٤- ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ أي بيّنا بشتى الأساليب ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ في العقيدة والشريعة والأخلاق بالحجج والبراهين . وتقدم بالحرف في الآية ٨٩ من الإسراء ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرُ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ المراد بالإنسان هنا أكثر أفراده أو الكثير منهم ، من باب إطلاق الكلي على بعض الجزئيات والمراد بالجدل هنا مجرد المعاكسة وعرض العضلات إن كان الجدل مع الدارسين والمتعلمين ، لأن القرآن حق لا ريب فيه .

٥٥- ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ بالحق ﴿إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾ القرآن ﴿وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ﴾ يتوبوا إليه ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ العذاب والهلاك ﴿أَوْ﴾

الإعراب :

﴿كَانَ مِنَ الْجَنِّ﴾ الخبر محذوف أي كان أصله من الجن . ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ فاعل بئس ضمير مستتر وبدلاً تمييز أي بئس البديل بدلاً ، والمختص بالذم محذوف ، وهو إبليس وذريته . ويوم منصوب بفعل محذوف أي واذكر يوم يقول . ﴿جَدَلًا﴾ تمييز . والمصدر من ﴿إِنْ يَأْتِيَهُمْ﴾ مجرور بمن محذوف . والمصدر من ان ﴿تَأْتِيَهُمْ﴾ فاعل منع .

حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٥٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذَرْيَتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥١﴾ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥٢﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴿٥٣﴾ وَرَأَى الْمَجْرُمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٤﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرُ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ

سُةَ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيهِمْ أَعْدَابُ قُبُلَا ۖ وَمَا نُرْسِلُ
الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ وَجَعَلْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا
يَنْبُطِلَ لِيدْحَضُوا بِهِ الْحَقَّ ۖ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا
هُزُوءًا ۖ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ بَعَائِتِ رَبِّهِ ۖ فَأَعْرَضَ
عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۖ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً
أَنْ يَفْقَهُوهُ ۖ وَفِي آفَاتِهِمْ وَقُرْ ۖ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى
فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ۖ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ
لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمُ الْعَذَابَ ۖ بَلْ لَهُمْ
مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلًا ۖ وَتِلْكَ الْقُرَى
أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ۖ
وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَا أَرْجُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ
أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ۖ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا

يَأْتِيهِم الْعَذَابُ قُبُلًا ۖ وَجَعَلْنَا لُوحَهُ ، ومعنى الآية بجملتها أنه تعالى بعد أن قال عن الإنسان أنه كثير الجدل ، قال : أتدرون لماذا يتمرد أكثر الناس على الحق المبين الظاهر لأنهم لا يؤمنون بل منهم من يصّر على الضلال حتى الهلاك كما جرى لكثير من الأولين بمنطق الحق والعقل ، بل بمنطق القوة والعذاب .

٥٦- ﴿ وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ﴾ بالنعيم من يسمع لأمر الله ويطيع ﴿ ومنذرين ﴾ بالجحيم من تمرد وعصى وتقدم مرات ، منها في الآية ١٦٥ من النساء ﴿ ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق ﴾ يخذلون الحق ويناصرون الباطل قولاً وعملاً ﴿ واتخذوا آياتي وما أُنذِرُوا هُزُوءًا ﴾ أقام سبحانه الشواهد والدلائل وأنذر من تمرد بعذاب أليم ، فاتخذ المجرمون من الأدلة والإنذار موضوعاً للهو واللعب ، وكل من عرف الحق ولم يعمل به فقد اتخذ دين الله هُزُوءاً ولعباً ٥٧- ﴿ ومن أظلم ممن ذكر آيات ربّه فأعرض عنها ﴾ لأن الحق عنده هواه ومناه ﴿ ونسي ما قبّمت يده ﴾ يستهين بكل كبيرة وجريمة وكأنها أحلّ الحلال تماماً كما كان يأكل الربا ويسميه اللباً ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ۖ أَنْ يَفْقَهُوهُ ﴾ القرآن ﴿ وفي آفَاتِهِمْ وَقُرْ ﴾ صمماً ، والقصد في هذه الحكاية والإخبار عما هو واقع وكائن وليس الخلق والإيجاد . وتقدم بالحرف في الآية ٢٥ من الأنعام وغيرها .

﴿ وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إِذًا أَبَدًا ﴾ لأنهم يرمون سلفاً إلى هدف معين ، لا يهتدون عنه بحال ، وإذن فمن العيب أن تتعب نفسك في إرشادهم وهدايتهم .

٥٨- ﴿ وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب ﴾ ولكن يؤجلهم عسى أن يرجعوا إلى السمع والطاعة ﴿ بل لهم موعد ﴾ وهو يوم القيامة ﴿ لن يجدوا من دونه موئلاً ﴾ ملجأ ، وتقدم في الآية ٦١ من النحل .

٥٩- ﴿ وتلك القرى ﴾ كقوم نوح وعاد وتمود ﴿ أهلكتهم لما ظلموا ﴾ هذا تهديد لمن حارب دعوة التوحيد وكلمته : أن يأخذهم سبحانه كما أخذ الذين من قبلهم . وفعلوا مثل ما فعلوا ٦٠- ﴿ وإذ قال موسى لفتهاه ﴾ إذا أطلقت كلمته موسى في القرآن الكريم فهم منها موسى بن عمران (ع) أما فتاه فالمراد به يوشع بن نون أو يشوع كما في التوراة . وفي قاموس الكتاب المقدس : أنه كان خادماً لموسى ، ثم عينه لقيادة بني إسرائيل ، ثم خليفة له ﴿ لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين ﴾ لا أزال سائراً حتى أصل إلى هذا المكان وقيل : هو ملتقى البحر الأبيض والبحر الأحمر ﴿ أو أمضي حقباً ﴾ زمناً طويلاً ، والمعنى إما أن أبلغ مجمع البحرين . وإما أن أبقى سائراً إلى ما شاء الله .

٦١- ﴿ فلما بلغا ﴾ موسى وفتاه ﴿ مجمع بينهما ﴾ بين البحرين ﴿ نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سرباً ﴾ قيل : إن سائلاً سأل موسى : أي الناس أعلم ؟ قال : أنا . فأوحى سبحانه إليه : عند مجمع البحرين رجل يعلم ما لا تعلم . قال : كيف لي به ؟ قال تعالى : تحمل ملك حوتاً ميتاً فحيث تفقده فالعالم هناك ، فحمل الحوت وجداً في السير هو وفتاه حتى بلغا مجمع البحرين ، فأخذت موسى سنة فنام ، وفي أثناء نومه قفز الحوت إلى البحر ، فكانت هذه آية من آيات الله لموسى ، وكان ذلك بمرأى من يوشع ، وحين استيقظ موسى من نومه قال له : هلمّ نتابع السير .

٦٢- ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَامَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾ ﴿ تَبَا ﴾ ، طلب موسى من يوشع الغداء ، بعد أن تجاوزا المكان الذي قفز منه الحوت إلى البحر .

٦٣- ﴿ قَالَ ﴾ ﴿ يوشع ﴾ ﴿ أَرَأَيْتَ ﴾ ﴿ أَخْبِرْنِي مَا رَأَيْتَ ﴾ فيما حدث ﴿ إِذْ أَوْيَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ﴾ ﴿ أَنْ أَحْدِثُكَ عَنْ قِصَّةِ ﴾ ﴿ الْحَوْتِ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ ﴿ كَيْفَ عَادَتِ الْحَيَاةُ إِلَيْهِ بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَاهْتَدَى تِلْقَائِيَا إِلَى الْبَحْرِ .

٦٤- ﴿ قَالَ ﴾ ﴿ مُوسَى ﴾ ﴿ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ﴾ ﴿ هَذَا هُوَ الْمَكَانَ الَّذِي نَزِيدُهُ بِالذَّاتِ ﴾ ﴿ فَارْتَدَّا ﴾ ﴿ رَجْعًا ﴾ ﴿ عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ ﴿ يَقْصَانِ آثَرَهُمَا وَيَسِيرَانِ عَلَى هَدَايَتِهِ .

٦٥- ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عَدْنَا وَعِلْمَنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ ﴿ قَالَ الْمُسَرُّونَ : المراد بالعبد هنا الخضر ، وبالرحمة النبوة ، وبالعلم الوحي بالغيب ، وسواء أكان المراد الخضر أم غيره فإن هذا الوصف الجليل يجري على الأنبياء من دون رب .

٦٦- ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴾ ﴿ مُوسَى كَلِمَةُ اللَّهِ وَمِنْ أَوَّلِي الْعَزْمِ وَالشَّرَافِ ، لَا يَسْتَكْفِ أَنْ يَتَعَلَّمَ مَا خَفِيَ عَنْهُ مِنْ هُوَ دُونَهُ مَكَانَةً أَوْ يَسْتَوِيَانِ ، ذَلِكَ بَأَنَّ الْعِلْمَ النَّافِعَ كَالْتَعْبُدِ اللَّهِ ، بَلْ أَفْضَلُ ، وَفِي الْحَدِيثِ : مَنْ رَأَى أَنَّهُ قَدْ عَلِمَ - مُسْتَفْتِيًا بِمَا لَدَيْهِ - فَقَدْ جَهَلَ . وَفِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ : مَا أَكْثَرَ مَا يَجْهَلُ ... وَمَنْ تَرَكَ قَوْلَ لَا أُدْرِي أَصَبَّحْتَ مَقَاتِلَهُ .

٦٧- ﴿ قَالَ ﴾ ﴿ الْخَضِرُ لِمُوسَى ﴾ ﴿ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ ﴿ نَفَى اسْتَطَاعَةَ الصَّبْرِ مَعَهُ عَلَى وَجْهِ التَّأَكُّيدِ ، وَعَلَّلَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ :

٦٨- ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَيْرًا ﴾ ﴿ لِأَنِّي أَعْلَمُ مِنْ غَيْبِ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُ أَنْتَ ، وَهُوَ مُنْكَرٌ فِي ظَاهِرِهِ دُونَ وَاقِعِهِ ، وَأَيْضًا أَنْتَ تَعْلَمُ مِنْ غَيْبِهِ تَعَالَى مَا لَا أَعْلَمُهُ أَنَا .

٦٩- ﴿ قَالَ ﴾ ﴿ مُوسَى لِلْخَضِرِ : ﴾ ﴿ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ ﴿ اسْتَشَى مُشِيتَةَ اللَّهِ خَشْيَةً أَنْ لَا يَمْلِكَ نَفْسَهُ إِذَا رَأَى مُنْكَرًا وَلَوْ فِي الظَّاهِرِ .

٧٠- ﴿ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ ﴿ شَرْطِي عَلَيْكَ أَنْ لَا تَسْأَلَنِي عَنْ شَيْءٍ مِمَّا تَنْتَكِرُ حَتَّى أَكُونَ أَنَا الْمَقْسُورُ .

الإعراب :

﴿ وَصَرِيًّا ﴾ مفعول ثانٍ لا تخذ ، أو في البحر يتعلق بمحذوف مفعولاً ثانياً ، ﴿ وَصَرِيًّا ﴾ منصوب على المصدرية أي سرب الحوت سرياً . وهذا عطف بيان من سفرنا . والمصدر من أن أذكره بدل اشتغال من هاء ﴿ إِنْسَانِيَّةً ﴾ أي ما إنساني ذكرني إليه إلا ﴿ الشَّيْطَانُ ﴾ . ﴿ وَعَجَبًا ﴾ صفة لمفعول مطلق محذوف أي اتخذاً عجباً . ﴿ وَقَصَصًا ﴾ منصوب على المصدرية أي يقصان الآثار قصصاً أو في موضع الحال

٧١- ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾

سار موسى والخضر على ساحل البحر حتى مرت بهما سفينة فحملتهما ولكن الخضر خرق السفينة بلا مرر ظاهر ، فثارت العاطفة الإنسانية في نفس موسى ﴿وَقَالَ﴾ للخضر : ﴿أَخْرَقْتُا لِمَنْ خَرَقَ أَهْلُهَا لَقَدْ جِئْتُمَا بِشَيْءٍ أَمْرًا﴾ عجباً ، وأخذ موسى ثوبه ، وحشا به الخرق على عهدة الراوي .

٧٢- ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾

فاعتذر موسى .

٧٣- ﴿قَالَ لَا تَأْخُذْ بَمَا نَسِيتَ﴾ وتدل هذه الآية

بظاهاها أن النسيان في غير التبليغ عن الله جائز على الأنبياء ، أما فيه فحال ، لأن النبي في هذه الحال بالخصوص هو لسان الله وبيانه ﴿وَلَا تَرْهَقْنِي مِنْ أَمْرِي عَسْرًا﴾ لا تضيق عليّ في صحتي لك .

٧٤- ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَتَنَّهُ﴾ ثار موسى

على خرق السفينة فكيف يقتل النفس ، ولذا غضب ﴿وَقَالَ﴾ للخضر : ﴿أَقْتُلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا نَكِرًا﴾ ينكره الدين والعقل والناس .

٧٥- ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾

مرة ثانية يذكره الخضر بالشرط ، وأيضاً مرة ثانية يعتذر موسى .

٧٦- ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْلَهَا فَلَا تَصَاحِنِي﴾

من قبل كان الشرط من الخضر على موسى أن لا يسأله والآن موسى بنفسه يشترط على نفسه ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ قطعت عليّ كل عذر أتمل به .

٧٧- ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا كُمُطْلَبًا مِنْهُمْ طَعَامًا﴾ فأبوا أن يضيفوهما ﴿بِجَلٍّ وَلُؤْمًا﴾ وشر

الفرى قرية لا يضاف الضيف فيها ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ﴾ أن ينقض ﴿فَأَقَامَهُ﴾ الخضر وأصلحه بلا مقابل ، فعجب موسى من ذلك ﴿وَقَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَخذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ أنصلح الجدار مجاناً لقوم رفضوا ضيافتنا ؟ هلا طلبت أجراً على عملك لنشتري به ما يسد الرمق وجوعة المضطر ؟

٧٨- ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ فارقه بعد أن أخبره بحكمة ما أنكر وقال :

فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقَهَا
لِمَنْ خَرَقَ أَهْلُهَا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا أَمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ
إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تَأْخُذْ بِي
نَسِيتُ وَلَا تَرْهَقْنِي مِنْ أَمْرِي عَسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّى
إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَتَنَّهُ قَالَ أَقْتُلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ
لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا نَكِرًا ﴿٧٤﴾ * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ
لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ
بَعْدَهَا فَلَا تَصَاحِنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾
فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا
أَنْ يُضْفِيَوهَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ
قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَخذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي
وَبَيْنَكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِيعَ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾

الإعراب :

﴿عَسْرًا﴾ مفعول ثانٍ لترهقني لأنها بمعنى تحملني . و﴿بغير نفس﴾ متعلق بقتل . وعذراً مفعول بلغت . والمصدر من أن ينقض مفعول يريد أي يريد الانقضاء . و﴿هذا﴾ مبتدأ و﴿فراق﴾ خبر ، وبينك وبينك بمنزلة الكلمة الواحدة أي فراق بيننا .

٧٩- ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾
فيسيون بها رزقاً يعينهم على مطالب الحياة ، ولكن ملكاً ظالماً
كان يغتصب كل سفينة ، فخرقتها رحمة بالمساكين ، حتى
إذا رآها الملك الطاغية زهد فيها ، وتركها لأهلها .

٨٠- ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ وكان هوني سن
البلوغ ، وقد كفر بالله ، وعاث في الأرض فساداً ، وفي رواية
عن الإمام جعفر الصادق (ع) : أنه كان يعمل جاهداً لحمل
أبويه على الكفر والإلحاد ، ويؤيد ذلك قوله تعالى :
﴿فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ أن يستبد بهما ويظني
عليهما في تكليف الكفر ، ولهذا استحق القتل ، وعن الإمام
علي (ع) : ما زال الزبير معنا حتى أدرك فرحه عبد الله .

٨١- ﴿فَارْدَنَا أَنْ يَدْلُهُمَا رِبَهُمَا خَيْرًا مِنْهُ﴾ فرجونا
الله سبحانه أن يرزقهما مولوداً مطيعاً لله باراً بأبويه ، ولا نعمة
من الله على عبده بعد الإيمان أفضل من هذه ﴿زَكَاةٍ﴾
طهراً ﴿وَأَقْرَبَ رَحْمًا﴾ لأن القرب من قربة الدين والخلق
الكريم لا من قربة النسب أو السب .

٨٢- ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ﴾
قال سبحانه في آية سابقة : «أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ» وقال هنا : في
المدينة » ومعنى هذا أن القرية تطلق على المدينة ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ﴾
تحت الجدار ﴿كَتَرُ لَهُمَا وَكَانَ أَبَاهُمَا صَالِحًا﴾ فيه إيماء
إلى أن لصلاح الأب بعض الأثر لحفظ الابن والعناية به
﴿فَارَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ أن يبلغا الحلم والرشد
﴿وَيَسْتَخْرِجَا كِتْمَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ كان تحت الجدار

مال مدفون ، ومتى سقط الجدار طهر المال للعيان ، وترك للغصب والنهب ، فأقمت حرصاً على المال ، حتى إذا كبر
الغلامان استخرجاه بطريق أو بآخر وانتفعا به ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ بل بوحى من تعالى ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ﴾ ما أنكرت
وعارضت ، وعليك أن تنتفع بهذا الدرس ، ولا تحكم على الشيء بقول مطلق . وأنت لا تعرف منه إلا وجهه الظاهر ،
بل تمهل وانظر إلى الشيء من جميع جهاته ، فإن لكل ظاهر باطناً قد يكون على مثاله ، وقد يكون على الضد منه .

وقد تساءل كثيرون عما فعله الخضي من خرق السفينة وقتل الغلام ، وإقامة الجدار بلا سبب ظاهر ؟ وملخص الجواب :
أولاً هذه حوادث خاصة في وقائع معينة ، تحت بوحى من الله إلى نبي من أنبيائه ، وليست مبادئ عامة وقواعد كلية ،
يطبقها الفقيه حسب نظره واجتهاده . ثانياً إن خرق السفينة يتفق تماماً مع قاعدة دفع الضرر الأشد بالضرر الأخف .
 وإقامة الجدار تفضل وإحسان على كل القروض والتقادير . أما قتل الغلام فقد كان على جرمه المادي المشهور ، حيث كان
شاباً تجاوز سن القصور والطفولة ، بدليل أنه كان يجاهد أبويه على الكفر والإلحاد كما سبق الإشارة ، والآية الكريمة
ظاهرة في ذلك ، لأن الطفل الصغير أعجز من أن يظني على أبويه ٨٣- ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ
ذِكْرًا﴾ سأل اليهود محمداً (ص) عن أخبار ذي القرنين لمجرد الإحراج ، وما دروا أن الله يسأله وبعبه بالجواب المضم
المخرس ، وعلى السنة المألوفة المعروفة : اختلف العلماء والمفسرون من الأولين والآخرين في هوية ذي القرنين وحقيقته دون أن
يأتوا بنتيجة مقنعة ٨٤- ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ أعطاه سبحانه في الدنيا الملك العظيم ،
وهيأ له من أسباب القوة كل سبب من العدة والعدد ، ووفى ذلك توفيق الله وعنايته .

أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ
أَنْ أَعْيِبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾
وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا
طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ
زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحَمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ
يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا
صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا
رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ
تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ
قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ
وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْنَحَّ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّى
إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ

٨٥- ﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ استعمل أسباب القوة في مواضعها بدقة وحكمة ، ومن أجل هذا أُمِر عمله . وعم نعمه : وخذ أثره ٨٦- ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ ﴾ ذهب ذو القرنين إلى بلاد المغرب مجاهداً في سبيل الله ﴿ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ الحمأ : الطين الأسود ، والمعنى انتهى ذو القرنين في سيره إلى بحر على شاطئه طين أسود بحيث يترأى للعين أن الشمس تغيب فيه وتختفي ﴿ وَوَجَدَهَا قَوْمًا ﴾ أمة ضالة كافرة ﴿ قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾ تدعو يا ذا القرنين هذه الأمة الضالة إلى الإيمان وصالح الأعمال فمن استجاب فلا سبيل لك عليه فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين ١٩٣ البقرة : ومن أصر على الكفر والضلال فأنت مخير بين عقابه وإمهاله حتى أن يتوب ويؤوب إلى الرشد ، وإن قال قائل : إن الآية لم تنشر إلى من سمع وأطاع فكيف حشرته في تفسيرها ؟ قلنا في جوابه : إن كثيراً من المفسرين قالوا : إن الله ترك لذي القرنين التصرف في أهل تلك البلاد دون استئذنه ! وهذا لا يتفق مع عداله تعالى بحال : وإذا كان سبحانه ترك ذكر السامع المطيع فلأنه معلوم لذي القرنين وغيره بحكم القطرة والبدية .

٨٧- ﴿ قَالَ ﴾ ذو القرنين : ﴿ أَمَا مِنْ ظَلَمٍ ﴾ نفسه بالإصرار على الفساد والضلال ﴿ فَصَوَّفَ نَعْدَبَهُ ﴾ بما يستحق ﴿ ثُمَّ يَرُدُّ إِلَى رَبِّهِ ﴾ يحاسبه ويعاقبه .

٨٨- ﴿ وَأَمَّا مِنْ آمِنٍ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جِزَاءُ الْحُسْنَى ﴾ هذا هو الحق والعدل : فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره - ٨ الزلزلة .

٨٩- ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ ثم رجع ذو القرنين من بلاد الغرب إلى بلاد الشرق مجاهداً في سبيل الله كما قال سبحانه : ٩٠- ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ ﴾ أي بلاد الشرق ﴿ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سَبِيلًا ﴾ لا بيوت تسترهم ولا أشجار تظلمهم من الشمس ، وكانوا أشبه شيء بوحوش القلوات ، ولم يذكر سبحانه ماذا فعل ذو القرنين هؤلاء ٩١- ﴿ كَذَلِكَ ﴾ إشارة إلى أمر ذي القرنين ﴿ وَقَدْ أَحْطَا بِمَا لَهُمْ خَيْرًا ﴾ لا رب في أنه تعالى أحاط بكل شيء علماً . ٩٢- ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ ثم رحل ذو القرنين رحلة ثالثة ٩٣- ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَيْنِ ﴾ بين جبلين في طرف من أطراف الأرض . وفي مجلة العربي الكويتية العدد ١٨٤ ص ١٣٤ : أن الجبلين في القوقاز ﴿ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴾ لا هم يفهمون لغة ذو القرنين ولا هو يفهم لغتهم ، ولكنه فهم مطالبهم بالحركات والإشارات أو بواسطة مترجم بدليل قوله تعالى ٩٤- ﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّا يَا جُوجُ وَمَا جُوجُ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُكَ خُرْجًا عَلَى أَنْ نَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ في العدد المذكور قبل لحظة من مجلة العربي نقل عبد المنعم التمر مدير البعثات والثقافة بالأزهر عن أبي الكلام آزاد أن الموطن الأصلي لياجوج و ما جوج مغوليا وقبائل الرحل وأن مكان السد بين بحر قزوين والبحر الأسود حيث توجد جبال القوقاز ، وأن سد الصين غير سد ذي القرنين لأن الأول بُني سنة ٢٦٤ ق . م والثاني في القرن السادس ق . م ونحن هنا وفي التفسير الكاشف نروي عن الآخرين ، ولا نجزم بشيء إلا بما يدل عليه صريح القرآن الكريم .

٩٥- ﴿ قَالَ ﴾ ذو القرنين للذين طلبوا منه أن يبني لهم سداً ويجعل لهم خرجاً : ﴿ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي ﴾ من سلطان ومال ﴿ عَمِير ﴾ من خرجكم ومالكهم ، فأنتم أحوج

وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَأْذَنُ الْقُرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٥﴾ قَالَ أَمَا مِنْ ظَلَمٍ فَصَوَّفَ نَعْدَبَهُ ثُمَّ يَرُدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَكْرًا ﴿٨٦﴾ وَأَمَّا مِنْ آمِنٍ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جِزَاءُ الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَأْذَنُ الْقُرْنَيْنِ إِنَّا يَا جُوجُ وَمَا جُوجُ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُكَ خُرْجًا عَلَى أَنْ نَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ

إليه مني ، ولكن ﴿ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ ﴾ من يد عاملة وما أشبه ﴿ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ سداً وحاجزاً .

٩٦- ﴿ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ﴾ قطعاً منه ، وفيه إيماء إلى أن سد ذي القرنين كان من الحديد لا من الحجر ﴿ حتى إذا ساءى بين الصدفين ﴾ أي جانبي الجبلين المحيطين بالفتحة التي سدها ﴿ قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً ﴾ أي أشعلوا النار على السد ، وانفخوا فيها بالكير ، ففعلوا حتى صار الحديد ناراً ﴿ قال آتوني أفرغ عليه قطراً ﴾ وهو النحاس المذاب ، فأتوه به ، فصبه على الحديد المحمي ، فالتصق ببعضه ببعض ، وصار جبلاً من حديد .

٩٧- ﴿ فما استطاعوا ﴾ يأجوج ومأجوج ﴿ أن يظهروه ﴾ أن يصعدوا عليه ﴿ وما استطاعوا له نقباً ﴾ لصلابته وكثافته .

٩٨- ﴿ قال هذا رحمة من ربي ﴾ شكر الله سبحانه على فضله وتوفيقه لخدمة الناس والقيام بما يعود عليهم بالخير والصلاح ﴿ فإذا جاء وعد ربي ﴾ وهو الأجل المحدد لهذا السد ﴿ جعله دكاء ﴾ مستوياً مع الأرض كأن لم يكن شيئاً .

٩٩- ﴿ وتركنا بعضهم يومئذ يموج ﴾ في بعض ﴿ أي أن يأجوج ومأجوج ينتشرون في الأرض بعد خراب السد ، ويفسدون على الناس حياتهم ﴾ ونفخ في الصور فجمعناهم جميعاً ﴿ وهذا اليوم هو خاتمة المطاف للحياة الدنيا .

١٠٠- ﴿ وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً ﴾ تبرز جهنم للمجرمين قبل دخولها ليرؤا ما فيها من عذاب ونكال ، فيكتنوا بنارين : نار الرعب ونار الحريق .

١٠١- ﴿ الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى ﴾ تنافلوا عن الهدى ، وتعاموا عن الحق ﴿ وكانوا لا يستطيعون سمعاً ﴾ أثقل شيء على مسامعهم أمر الله بالخير والمعروف ونهى عن الشر والمنكر ، ولا بدع فلكل من الهوى والتقى أهل .

١٠٢- ١٠٤- ﴿ أفحسب الذين كفروا ... ﴾ أحسر الناس صفقة ، وأخيبهم سعياً من يرى جهله علماً ، وشره خيراً ، وإساءته إحساناً ، وسفهو حليماً ، وخداعه عقلاً ، وهذره بلاغة ، وجبهه حذراً ... وما أكثر هذا الصنف في أولاد آدم . ومن أحق الحق أن تحدثه وتستمتع لحديثه .

الإعراب :

﴿ رَدْمًا ﴾ مفعول أول لأجعل ، و﴿ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ ﴾ متعلق بمحذوف مفعولاً ثانياً . و﴿ اسْتَطَاعُوا ﴾ أصلها ها استطاعوا فحذفت التاء تخفيفاً . والمصدر من أن يظهروه مفعول لاستطاعوا . و﴿ جَمِيعاً ﴾ مفعول مطلق . ﴿ حَسِبَ ﴾ تتعدى إلى مفعولين ، والمصدر من أن يتخذوا ساءً مسدماً . و﴿ أَعْمَالاً ﴾ تمييز . و﴿ الَّذِينَ ضَلَّ ﴾ خبر لمبتدأ محذوف ، فكأنه قيل : من هم الآخرون ؟ فقيل : هم الذين ضل الخ ..

١٠٥- ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ ...﴾
أُولَئِكَ إشارة إلى الآخرين أعمالاً ، سواء أكفروا بالله واليوم
الآخر من الأساس ، أم آمنوا بهما ، ولكن رأوا سيئاتهم حسنت
وجهالاتهم بينات .

١٠٦- ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَلَوْا
آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُؤًا﴾ وكل من يدعي العلم بدين الله كذباً واقتراء
فهو والساحرين الهازئين بآيات الله ورسله - بمنزلة سواء
عند الله .

١٠٧-١٠٨- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ...﴾
بعد تهديد الكافر بعذاب أليم وعد سبحانه المؤمن العامل
بجنات النعيم ، على سنة الله في الترشيد والترهيب .

١٠٩- ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي﴾
البحر هنا : الجنس يشمل كل البحار ، والمداد : الحبر
وكلماته تعالى : قدرته على إيجاد الشيء لا من شيء ﴿لنفد
البحر قبل أن تنفذ كلمات ربِّي ولو جئنا بمثل مدد﴾ أي
زدنا على البحر أضعافاً مضاعفة ، ذلك بأن الكون ومن فيه .
وما فيه من فيض قدرته تعالى ، وهي غير ذاته التي لا أول لأولها
ولا آخر لآخرها .

١١٠- ﴿قُلْ يَا مُحَمَّد : ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾
فلا تقولوا ما قاله النصاري في المسيح بن مريم ، ولا امتاز
عنكم بشيء إلا أنه ﴿يُوحَى إِلَيَّ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ﴾ وإلهي ﴿إِلَهُ
واحد﴾ يستوي عنده كل البشر في الحقوق والواجبات لا
فضل أو امتياز إلا بالقوى والعمل الصالح النافع ﴿فمن
كان يرجو لقاء ربه﴾ ويستفي عنده مقاماً محموداً ﴿فليعمل عملاً صالحاً﴾ ومنه كف الأذى عن الناس ﴿ولا يشرك
بعبادة ربه أحداً﴾ ومن الشرك بالله أن يعبد المرء هواه . أَللَّهُمَّ أَنْتَ الْوَاحِدُ بِلَا شَرِيكَ ، وَالْمَالِكُ بِلَا تَمْلِيكَ ، نَسْأَلُكَ الْعَوْنَ
عَلَى طَاعَتِكَ وَشُكْرِكَ بِالنَّبِيِّ وَآلِهِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَفْضَلُ الصَّلَوَاتِ .

الَّذِينَ صَلَّى سَعِيمٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ
يُحْسِنُونَ صُعًا ﴿١٠٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ
وَلِقَائِهِ فَخَطَبُوا أَعْمَلَهُمْ فَلَا نَقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِسْمَةِ
وَرَزْنَا ﴿١٠٦﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا
آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُؤًا ﴿١٠٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٨﴾
خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ لَوْ كَانَ
الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ
كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١١٠﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا
بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ قَن
كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ
بِعبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١١﴾

اللغة :

نُزُلًا ما يُيَوِّزُ للنزِيل ، وهو الضيف . وايضاً يطلق على المنزل .

الإعراب :

﴿وَرَزْنَا﴾ مفعول ﴿نقيم﴾ أي فلا نجعل لهم نُفْلًا ، وقال أبو البقاء : تمييز أو حال . وذلك مبتدأ ﴿جَزَاؤُهُمْ﴾ خبر ، ﴿وَجَهَنَّمُ﴾
بدل من ﴿جَزَاؤُهُمْ﴾ . ﴿خَالِدِينَ﴾ حال . ﴿وَمَدَدًا﴾ تمييز .

(١٩) سُورَةُ زَكَرِيَّا
وَأَنبِئْنَا هَٰؤُلَاءِ نَحْنُ وَنَسْعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَهَيْصَ ۝ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ۝
إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ
الْعَظْمُ مِنِّي وَآسْتَعَلَّ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ
رَبِّ شَقِيًّا ۝ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ
أُمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ
مِنْ عَالٍ يَعْقُوبُ ۝ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝ يَزَكَرِيَّا إِنَّا
نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ۝
قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ أُمْرَأَتِي عَاقِرًا

سورة زكريا من كتاب زكريا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- ١- ﴿كهيعص﴾ تقدم في أول البقرة .
- ٢- ﴿ذكر رحمة ربك عبده زكريا﴾ يقص سبحانه على نبيه محمد (ص) في هذه الآيات كيف رحم عبده ونبيه زكريا .
- ٣- ﴿إذ نادى ربه نداءً خفياً﴾ دعا الله سبحانه بينه وبينه حيث لا تسمعه أذن سامع .
- ٤- ﴿قال ربني إني وهن العظم مني﴾ ضعفت وخارت قواي ﴿واشتعل الرأس شيباً﴾ ولم أكن بدعائك ربني شقياً ﴿ما طردتني قبل اليوم عن بابك﴾ ولا تمنعني من فضلك وثوابك .
- ٥- ﴿وإني خفت الموالى من ورائي﴾ الموالى : العمومة وبنو العم . ومن ورائي : بعد موتي ، وخاف زكريا إذا ورثه أن يسيثوا إلى الناس ، ويسفدوا عليهم دينهم ودنياهم ﴿وكانت امرأتي عاقراً﴾ عقيماً ﴿فهب لي من لدنك ولياً﴾ وارثاً .
- ٦- ﴿يرثني ويرث من آل يعقوب﴾ العلم والنبوة ﴿واجعله رب رضياً﴾ مرضياً عندك وعند خلقك .
- ٧- ﴿يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى﴾ في قاموس الكتاب المقدس : «يوحنا المعمدان : مهية طريق المسيح وابن زكريا الشيخ وزوجه إليصابات .. ولد قبل المسيح بستة أشهر .»
- ٨- ﴿قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقراً﴾

اللغة :

الوهن الضعف . واشتعل الرأس شيباً استعاره من اشتعال النار للشيب . والمراد بالشقي هنا الخائب أي ما خيبتي من قبل في دعائي اياك . والموالي أقارب الرجل من جهة الأب . ومن ورائي من بعدي . وولياً أي وارثاً . ورضياً مرضباً عندك .

الإعراب :

﴿ذكر﴾ خبر مبتدأ محذوف أي هذا ذكر . و﴿عبده﴾ مفعول لرحمة لأن المعنى ان ربك رحم عبده أو مفعول لفعل محذوف أي أعني عبده . و﴿زكريا﴾ بدل من عبده . وشيئاً تميز محول عن فاعل ، لأن المعنى اشتعل شيب الرأس . «اسمه يحيى» مبتدأ وخبر ، والجملة صفة لغلام . «وأنى» خبر مقدم ليكون . و﴿سويّاً﴾ حال من ضمير تكلم . و﴿ان سبحوا﴾ «ان» مفسرة بمعنى أي .

وَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ
هُوَ عَلَيَّ هَيْنَ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿٩﴾
قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ
ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ نَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ
فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَسْمَعُونَ خُذِ
الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْخُكْرَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِنْ
لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَرَأَى يُولَدَ لَهُ وَلَمْ يُكُنْ
جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ
يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ وَأَذْكُرِي الْكِتَابَ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ
مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْفِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ
حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾
قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾

لردعه سوى التوكل عليه تعالى ، فهذا جبرائيل من روعها

اللغة :

المراد بالكتاب هنا التوراة . والحنان العطف والرحمة . والزكاة الطهارة . والتقوى طاعة الله . والجبار المتعالي الذي لا يخضع لشيء .
والمعصي المعاصي والسلام الامان .

الإعراب :

﴿بقوة﴾ متعلق بمحذوف حالاً من يجس . و﴿صبيّاً﴾ حال . و﴿حناناً﴾ عطف على الحكم . وبرا عطف على ﴿تقياً﴾ . ﴿مريم﴾ على حذف مضاف أي خبر مريم . و﴿مكاناً﴾ ظرف منصوب بالتبذرت أي في مكان شرفي . و﴿بشراً سويّاً﴾ حال لأن المعنى تمثل كأنها على صورة البشر السوي . وإن خبر مقدم ليكون . وكان أمراً اسم كان محذوف أي وكان خلقه أمراً ﴿مفضياً﴾ .

ليس هذا استبعاداً بل تعظيماً لقدرة الله ﴿ وقد بلغت من الكبر عتياً ﴾ تجاوزت عمر من يولد له .

٩- ﴿ قال كذلك قال ربك هو علي هين ﴾ يخلق الشيء من لا شيء .

١٠-١١- ﴿ قال رب اجعل لي آية ﴾ علامة على وجود الحمل ، وتقدم في آل عمران من الآية ٣٨ إلى ٤١ .

١٢-١٤- ﴿ يا يحيى خذ الكتاب بقوة ﴾ اعمل بالتوراة مخلصاً ومجاهداً ﴿ وآتيناه الحكم ﴾ التفقه في الدين ﴿ صبيّاً وحناناً من لدنا ﴾ رحمة بعباد الله ﴿ وزكاة ﴾ طهارة وقداسة .

١٥- ﴿ وسلام عليه ﴾ هو في رعاية الله وعنايته وأمنه وأمانه في كل المواطن ، وهي ثلاثة : ﴿ يوم ولد ﴾ حيث انتقل من العدم إلى الوجود ﴿ ويوم يموت ﴾ حيث ينتقل إلى حياة ثانية ﴿ ويوم يبعث حياً ﴾ للحساب والجزاء .

١٦- ﴿ واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً ﴾ اعتزلت للعبادة في مكان شرقي بيت المقدس أو شرقي دار أهلها ، ولذلك يصلي النصارى إلى المشرق .

١٧ ﴿ فاتخذت من دونهم حجاباً ﴾ استترت عن الأعين وتوارت ﴿ فأرسلنا إليها روحنا ﴾ وهو جبرائيل بدليل قوله تعالى في الآية ١٩٣ من الشعراء : ﴿ نزل به الروح الأمين على قلبك ﴾ . فتمثل لها بشراً سويّاً ﴿ فرعت منه .

١٨ - ﴿ قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً ﴾ خوفاً من الله إن يك من المؤمنين به حيث لا تملك أية وسيلة

١٩- ﴿وَقَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ ١٩
ملاك لا إنسان وقديس لا شيطان . جئت ﴿لأهب لك﴾
لأقول لك . إن الله سبحانه قد وهبك ﴿غلاماً زكياً﴾ طاهراً
مطهرأ

٢٠- ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ
أَكُ بَغِيًّا﴾ ٢٠ كيف ؟ ومن أين الغلام ؟ ولا زوج لي ، أما السفاح
فكل شيء دونه حتى الموت

٢١- ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ﴾ ٢١ وقوله الفصل ﴿هو
عليَّ هَيْنَ وَلَنَجْعله آيَةً لِلنَّاسِ﴾ ٢١ على عظمة الله وقدرته حيث
خلقه من أنثى بلا ذكر ﴿ورحمة منا﴾ ٢١ للعالمين ، وتقديم
في الآية ٤٥ وما بعدها من آل عمران .

٢٢- ﴿فَحَمَلَتْهُ فَاتَّبَعَتْهُ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ ٢٢ أحست
مريم بالحمل ، فاستسلمت لأمره تعالى ، وابتعدت بحملها
عن الناس .

٢٣- ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ﴾ ٢٣ الطلق ، وأصل الفعل
جاءها ، فنخلت حمزة التعدية فصار أجاءها ، مثل أقامه
وأقعدمه ، والمعنى ألجأها الطلق ﴿إلى جذع النخلة﴾ ٢٣ قالت يا
ليتي متى قبل هذا وكنت نسياً منسياً ﴿كلمة تقال ، يُنْقَسُ
بها الميموم عن كربه ، وما عليه من غضاضة ما لم يكن شاكاً
في دينه ولا مرتاباً بيقينه .

٢٤- ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ
تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ ٢٤ جدولاً من ماء .

٢٥- ﴿وَهَـزِي إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ ٢٥ لم يسقط سبحانه الرطب على مريم تلقائياً . بل أمرها
بالحركة والأخذ بالجذع للتنبيه إلى أنه يسطر الرزق بالسعي والعمل .

٢٦- ﴿فَكَفَىٰ﴾ ٢٦ من الرطب ﴿واشربي﴾ ٢٦ من الجدول ﴿وقري عينا﴾ ٢٦ طيبي نفساً بالمولود المبارك ﴿فإمّا ترين
من البشر أحداً﴾ ٢٦ وسألك عن المولود ﴿فقولي﴾ ٢٦ بالإيماء والإشارة : ﴿إني نذرت للرحمن صوماً﴾ ٢٦ بالسكوت ،
وكل ما تقدم ، وبأنّي أيضاً ، في غاية الوضوح ، وإذن علام طول الشرح وتوضيح الواضحات .

٢٧- ﴿فَأَنتَ بِهِ قَوْمُهَا تَحْمِلُهُ﴾ ٢٧ وضعت مريم وليدها . وحملته إلى أهلها ، ورأسها في السماء تجر ذيول العزة والكرامة ،
وقلبها عامر بالأمان والإيمان ، وعلى يدها روح الله ورحمته ، وكل بريء هو في ثقته وشجاعته كعريم ، وإن تراكت عليه
الإقتراء والتهم ﴿قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً﴾ ٢٧ بدعواك الحمل بلا دنس ، إنها محض الإقتراء .

الإعراب :

إن لا تحزني ﴿إن﴾ مفسرة بمعنى أي ولا ناهية . و﴿يجذع النخلة﴾ الباء زائدة إعراباً . وفاعل ﴿تساقط﴾ ضمير مستتر يعود إلى
النخلة . و﴿رطباً﴾ حال منه . وإما مركبة من كلمتين ﴿إن﴾ الشرطية وما الزائدة . و﴿ترين﴾ مضارع خوطبت به المرأة ، ودخلت عليه
نون التوكيد . جملة ﴿تحملة﴾ حال .

٢٨- ﴿ يَا نُحْت هَارُونَ ﴾ أي هي من بيت النبوة والشرف وفي التوراة سفر الزمير الإصحاح ١٠٦ بقرة ١٦ « هرون قدوس الرب » ﴿ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءَ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بِغِيًّا ﴾ خرجت من أفضل المعادن منبتاً . وفي الحديث : إياكم وخضراء الدمن . قالوا : يا رسول الله ، ومن خضراء الدمن ؟ قال : المرأة الحسناء في منبت السوء .

٢٩- ﴿ فَأُشَارَتْ إِلَيْهِ ﴾ تستشهد به على براءتها ، وهو أصدق الشاهدين ﴿ قَالُوا كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ ما هذا الهرؤ والإستخفاف ؟ ولكن الذي في المهد كلمهم قبل أن يكلموه .

٣٠- ﴿ قَالَ إِنْ عِيسَى ﴾ أول كلمة نطق بها عيسى تنزيه الخالق عن الولد ، وإثبات العبودية لله وحده لا شريك له ﴿ آتَانِي الْكِتَابَ ﴾ الإنجيل ﴿ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ أي سيجعلني في المستقبل بديل أن الإنجيل لم ينزل عليه وهو في المهد ، وكيف يكون الرضيع حجة على الناس وهو غير مكلف ومسؤول عن شيء ، وكنا في غنى عن هذه الإشارة الواضحة لولا تمويه مجرم آثم بأن عيسى بُعث وهو في المهد ، ولم يُبعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلا بعد الأربعين . أنظر التفسير الكاشف ج ٣ ص ١٤٤ .

٣١-٣٣- ﴿ وَجَعَلَنِي مَبَارَكًا ﴾ وكل من ينفع الناس بجهة من الجهات فهو مبارك ، وكل من يضار بواحد منهم فهو شؤم ورجس-٣٤- ﴿ ذَلِكَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي هو قول الحق ﴿ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ أي

يشكون ويحتفلون ، هذي هي كلمة الحق في عيسى : لا هوجبار ومحتال كما قال اليهود ، ولا هو ابن الله وشريكه في الخلق كما قال النصارى ، إنه نبي يبلغ رسالات ربه وعبد من عباده الصالحين .

٣٥- ﴿ مَا كَانَ لَهُ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ ﴾ وهو الغني ؟ ولماذا الولد ؟ ﴿ إِذَا قُضِيَ أَمْرًا ... ﴾ تقدم في البقرة ١١٧ وفي آل عمران ٤٧ .

٣٦- ﴿ وَإِنْ اللَّهُ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ هذا من كلام عيسى (ع) يأمر فيه بدين التوحيد لأنه الدين القويم من سلكه نجا ، ومن ضل عنه هوى .

٣٧- ﴿ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ﴾ وهم المنتمون إلى عيسى وديانته ، قالت طائفة منهم : هو الله هبط إلى الأرض ثم صعد إلى السماء ، وذهبت ثانية إلى أنه ابن الله ، وثالثة أنه عبد الله ، ورابعة يجمع بين اللاهوت والناسوت . كان هذا الخلاف في العصور الخالية ، واليوم الكل على وفاق بأن عيسى أحد الأقانيم الثلاثة .

٣٨- ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ تَأْتُونَنَا ﴾ يخبر سبحانه عن حال الكافرين والمجرمين يوم القيامة ، وأنه لا أحد أسمع منهم وأبصر للحق آنذاك ، وكانوا في الدنيا الصم البكم العمي .

الإعراب :

وكيف ﴿ نكلم ﴾ كيف ﴿ حال أي على أي حال ﴿ نكلم ﴾ ، أو مفعول مطلق على معنى أي كلام ﴿ نكلم ﴾ .

يَتَّخِذَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءَ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بِغِيًّا ﴿ فَأُشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ قَالَ إِنْ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ الْكَتَبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿ وَجَعَلَنِي مَبَارَكًا إِنْ مَا كُنْتُ وَأَوْصَيْتِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ وَرَبًّا يُولِّدُنِي وَلَدًا يَجْعَلُنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوْلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ تَأْتُونَنَا

٣٩- ﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ وهو يوم القيامة . وانتصب على المفعول به لا على الظرفية ، لأن التخويف منه لا فيه ، وسمي بذلك لأن المجرم يقول غداً : يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله - ٥٦ الزمر ﴿إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ الآن ، وعليهم أن يستيقظوا منها بالتوبة والإجابة ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي لا يستيقظون من غفلتهم .

٤٠- ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ ابتدع سبحانه الخلق من العدم المحض ، ثم يقنيه ويبقى وحده . ثم يعيده إليه بلا حرية ولا قدرة وإرادة .

٤١- ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾ اقرأ يا محمد القرآن الذي ذكرنا فيه إبراهيم الخليل ، واتل ذكره على قومك الذين يزعمون أنهم على ملته ، كلا إنهم يعبدون الأصنام إبراهيم يبرأ منها ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ صادقاً في عقيدته ومقاصده وفي أقوال وأفعاله ، وفوق ذلك اختاره الله لنبوته ورسالته .

٤٢- ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ...﴾ تقدم في الآية ٧٤ من الأنعام .

٤٣- ٤٥- ﴿يَا أَبَتِي إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ أنتضر سني بالقياس إلى سنك - إني أعلم من الله ما لم تعلم ﴿فَاتَّبَعْنِي﴾ أقودك إلى سبيل الخير والهداية .

٤٦- ﴿قَالَ﴾ أبوه الحقيقي أو المجازي على الخلاف كما سبقت الإشارة ﴿أَرَأَيْبَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمَ﴾ بعد كل الحجج البينة والمحاولات الجادة كي يترك عبادة الأصنام ، يواجهه بهذا الجواب : كأنك لا تريد أن تعبد الأصنام ! ﴿لَقَدْ لِمَ تَنْتَه﴾ عن التوحيد والدعوة إليه ﴿لَأَرْحَمَنَّكَ﴾ بالحجارة ﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ أبداً أو طويلاً .

٤٧- ﴿قَالَ﴾ إبراهيم مجيباً عن التهديد والوعيد ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ﴾ افعل ما شئت ، أما أنا فلا ينالك مني مكروه ولا أذى ﴿سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي﴾ أسأل الله فيك أن

الإعراب :

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ اللفظ لفظ الأمر ، والمعنى الخير مع التعجب ، والباء زائدة والضمير في محل رفع فاعلاً لأسمع ، ومثله أحسن يزيد أي حسن زيد ، أو ما أحسنه . ﴿إِذْ﴾ بدل من يوم الحسرة . إذ قال ﴿إِذْ﴾ ظرف متعلق بصديق . ﴿أَبَتْ﴾ أصلها أبي فحذفت ياء التكلم وعوض عنها بإلتاء المكسورة ولا يقال ذلك إلا في النداء ، فلا يجوز قال ابني ، وقالت امتي - كما في مجمع البيان - وشيئاً مفعول مطلق . ﴿وَأَرَأَيْبَ﴾ مبتدأ وأنت فاعل ساد مسد الخبر مثل أقائم زيد . ﴿وَمَلِيًّا﴾ ظرف منصوب باهجرني والمصدر من ان لا أكون فاعل عسى ، وهي هنا تامة . وكلاً مفعول مقدم لجعلنا .

لَكِنَّ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٩﴾ وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٠﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤١﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِتَمَّ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤٢﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبَعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٥﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ أَرَأَيْبَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمَ لَئِنْ لَمْ تَنْتَه لَأَرْحَمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٧﴾ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي

يَهْدِيكَ ﴿٤٨﴾ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٩﴾ عودني سبحانه على فضله وإحسانه .

٤٨- ﴿٤٨﴾ وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ... ﴿٤٩﴾ هاجر إبراهيم قومه وأهله في الله ، وزهد فيها وفي الدنيا لوجه الله ، فأبدله سبحانه في الدنيا خيراً منهم حيث وهبه إسماعيل وإسحق ومن بعده يعقوب ، وشرّفهم بالنبوة .

٤٩- ٥٠- ﴿٥٠﴾ فَلَمَّا أَعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٥١﴾ وفي الآية ١٦٣ من النساء : « وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب ، وهبنا لهم من نعمة أجل من هذه وأعظم ؟ : الوالد وولدان للصلب والخفيد كلهم أنبياء ، بل وأحفاد الأحفاد ، ومن هنا كُتِبَ إبراهيم الخليل أبو الأنبياء .

٥١- ﴿٥١﴾ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ ﴿٥٢﴾ فِي الْقُرْآنِ ﴿٥٣﴾ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا ﴿٥٤﴾ بمعنى المختار والمصطفى .

٥٢- ﴿٥٢﴾ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ ﴿٥٣﴾ الطُّورُ هُوَ الْجَبَلُ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى عَلَيْهِ ، والمراد بالأيمن يمين موسى لأن الجبل لا يمين له وشمال ﴿٥٤﴾ وَفَرَيْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٥﴾ خاطبه الله مباشرة وبلا واسطة .

٥٣- ﴿٥٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ المراد بوهبنا هنا أن الله سبحانه شَدَّ عضد موسى بأخيه هرون كما في الآية ٣٥ من القصص ، وكان هرون أكبر من موسى بثلاث سنوات ، وعينه في جميع أعماله . وتقدم الحديث عن موسى مرات ومرات .

٥٤- ٥٥- ﴿٥٥﴾ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ... ﴿٥٦﴾ كَانَ وَفِيًّا بَطْنِهِ ، يفعل ما يقول ، ولا يقول ما لا يفعل ، وأيضاً كان وفياً لدينه وللإنسانية جمعاء دون أي مقابل إلا مرضاة الله سبحانه ، ومن أجل هذا كان رسولاً نبياً وعند ربه مرضياً .

٥٦- ٥٧- ﴿٥٧﴾ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيْسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٨﴾ وَوَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٩﴾ هذا كل ما نعرفه وتؤمن به عن إدريس ، أما ما جاء في التفسير من أنه رفع إلى السماء وأول من خط بالقلم وتعلم الحساب وما يشبه ذلك - فهو من الإسرائيليات .

٥٨- ﴿٥٨﴾ أُولَئِكَ إِلَى كُلِّ مَنْ ذُكِرَ فِي هَذِهِ

الإعراب :

﴿نَجِيًّا﴾ حال من ضمير ﴿فَرَيْنَاهُ﴾ . وهرون بدل من ﴿أَخَاهُ﴾ و﴿نَبِيًّا﴾ حال من هرون . وعند رب متعلق ﴿مَرْضِيًّا﴾ . ومكاناً ظرف منصوب برفعناه . ومسجداً وبكياً حال أي ساجدين باكين .

السورة من ذكرها إلى إدريس ﴿ ومن حملنا ﴾ في السفينة ﴿ مع نوح ﴾ وقد حمل معه من جملة من حمل ابنه سام ، ومن ذرية إبراهيم ، أما إسماعيل وإسحق ويعقوب فهم من ذرية إبراهيم ، وإليه الإشارة بقوله سبحانه : ﴿ ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل ﴾ أما إسرائيل - أي يعقوب - فن ذرية موسى وهرون وذكريا ويحيى وعيسى من جهة الأم ﴿ ومن هدينا واجتبينا ﴾ كل هؤلاء وغيرهم من المؤمنين الأتقياء ﴿ إذا تلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً ﴾ إذا ذكر الله سبحانه خروا ساجدين باكين خوفاً من العقاب ورجاء الثواب .

٥٩- ﴿ فخلف من بعدهم خلف ﴾ يسكون اللام ، والمراد به النسل الطالح كما قال سبحانه : ﴿ أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ﴾ ذكر سبحانه الأنبياء ومن اتبعهم من الصالحين ، وأثنى عليهم ، وعقب بمن جاء بعدهم كاليهود والنصارى ، ونعتهم بالضلال والفساد ... وعين الشيء يقال في المسلمين بنص القرآن الكريم : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم - ١٤٤ آل عمران » وفي الحديث : بدأ الإسلام غريباً ، وسيعود كما بدأ غريباً ... لتبتن سنن من كان قبلكم . ﴿ فسوف يلقون غياً ﴾ شراً وعذاباً جزاء على تمردهم وضلالهم . ٦٠-٦١- ﴿ إلا من تاب ﴾ ... لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له .

٦٢- ﴿ لا يسمعون فيها ... ﴾ لا حقد ولا حسد ولا كذب وخداع في الجنة ، ومن أجل هذا لا يدخلها حاسد وحاقد وكاذب ومخادع ، كما قال سبحانه : ٦٣- ﴿ تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً ﴾ والتقيا هو الذي يراعي الله والحق في سلوكه وتصرفاته وحتى في حال الغيب قال سبحانه : « إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كريم - ١٢ الملك » والمراد بالغيب هنا أن تقيا الله ، وأنت في أمن وأمان من سوء العاقبة في الحياة الدنيا . ٦٤- ﴿ وما تنتزل ﴾ الوحي من السماء ﴿ إلا بأمر ربك ﴾ استبطأ رسول الله (ص) نزول الوحي عليه ، لما جاء به جبريل قال له : ما منعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا ؟ فنزلت هذه الآية ، والمعنى الأمر لله وحده ﴿ وما كان ربك نسياً ﴾ بل يفعل أو يترك بحكمة وعلم . ٦٥- ﴿ رب السموات والأرض وما بينهما ﴾ ومن

الإعراب :

إلا من ﴿تاب﴾ استثناء متصل من ضمير يلقون . وشيئاً مفعول مطلق . و﴿جنات﴾ عدن بدل من الجنة في قوله : يدخلون الجنة . وبالغيب متعلق بمحذوف حالاً من ﴿جنات عدن﴾ أي كائنه بالغيب . وضمير انه يعود الى الله . و﴿سلاماً﴾ مستثنى منقطع أي ولكن يسمعون سلاماً . و﴿رب السموات والأرض﴾ بدل من رب ، ويجوز أن يكون خبراً مبتدأ محذوف أي هو رب السموات .

عليهم من النبيين من ذرية آدم ومن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل ومن هدينا واجتبينا إذا تلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً ﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً ﴾ إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً ﴿ جنّت عدن التي وعد الرحمن عبادهم بالغيب إنه كان وعدهم مائياً ﴾ لا يسمعون فيها لغواً إلا سلباً وهم رزقهم فيها بكرةً وعشياً ﴿ تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً ﴾ وما تنتزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسياً ﴿ رب السموات والأرض

كان للكون رباً يستحيل النسيان في حقه ﴿ فاعبده واصطبر لعباده ﴾ الأمر لرسول الله (ص) بأن يصدق بما يؤمر ، ويصبر على الأذى في سبيل مهمته ﴿ هل تعلم له سمياً ﴾ مثلاً وشبهها ٦٦-٦٧- ﴿ ويقول الإنسان إذا مات ... ﴾ الإشكال هو الإشكال والجواب هو الجواب من يحيي العظام وهي رميم ؟ يحييها الذي أنشأها أول مرة ، ويقول من لا يؤمن إلا بالمشاهدة والتجربة : لقد شاهدنا وجربنا نشأة الأولى ، أما الثانية فلا يمكن فيها التجربة والمشاهدة . ولا جواب لمؤلاه الجاحدين المعاندين إلا قوله تعالى : « فانظروا إلي معكم من المنتظرين - ٧١ الأعراف » .

٦٨- ﴿ فوردك لنحسرنهم والشياطين ﴾ الذين كانوا يعبدونهم من دون الله ، ويؤمن هذا القسم إلى أشد الغضب منه تعالى على من أنكر النشور والحشر ﴿ ثم لنحسرنهم حول جهنم جنياً ﴾ يخرجون من القبور على أسوأ حال ، ثم يساقون إلى جهنم ، وقبل دخولها يتحلقون حولها جاثين على الركب ينظرون إليها ، وتنتظر إليهم .

٦٩- ﴿ ثم لننزعهن من كل شعبة أيهم أشد على الرحمن عتياً ﴾ يبدأ سبحانه بالقادة العتاة ، يلقي بهم في جهنم الأعلى فالأعلى ، يأخذ كل واحد منهم المكان اللائق من عذاب الحريق. ٧٠- ﴿ ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صلياً ﴾ يعلم سبحانه ما يجترح الإنسان من سيئات في سره وعنه ، ويجازيه بما يستحق .

٧١- ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ المراد بالورود هنا

مجرد الرؤية والمشاهدة لأن المؤمنين عن النار مبعدون عقلاً وقللاً .

٧٢- ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ﴾ من عذاب النار ﴿ ونذر الظالمين فيها جنياً ﴾ ولا يظلم ربك أحداً ، أما الحكمة في مشاهدة المؤمن الصالح نار جهنم فهي أن يفرح ويتعبط حامداً شاكراً نعمة النجاة والخلاص من لها وكلها . ٧٣- ﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ﴾ عليهم يعود إلى مشركي قريش ، وآيات الله هي حجته البالغة ، ودلائله القاطعة ﴿ قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين ﴾ المؤمنين أو الجاحدين ﴿ خير مقاماً ﴾ حالاً ووضعا ﴿ وأحسن ندياً ﴾ نادياً بكثير رواده ورجاله ، وخلاصة المعنى أن الجبابرة لا شرار يجابهون دعوة الله والحق بقولهم لمن سمع لها وأطاع : نحن نعيش في المال والجاه ، وتعيشون أنتم فقراء مساكين ، فكيف تزعمون أنكم المحقون ونحن المبطون ؟ ومن قبل قال فرعون عن موسى : فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب معتبر الحق بالغنى والباطل بالفقر !

٧٤- ﴿ وكم أهلكنا قبلهم من قرن ﴾ أهل عصر ، كانوا أكثر مالا ، وأشد قوة ، وأغز ثراء ﴿ هم أحسن أئاماً ﴾ متاع البيت وأدواته الضرورية والكمالية ﴿ ووليا ﴾ صورة ومنظراً .

٧٥- ﴿ قل ﴾ يا محمد لمن يتخذ من الترف مقياساً للحق : ﴿ من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدداً ﴾ إن الله سبحانه يمتحن عباده بالدنيا وزينتها ، ويمهلهم حتى

وَمَا يَنْهَمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ
سَمِيًّا ﴿٦٨﴾ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَاتَ لَسَوْفَ أُنْخَرُجُ
حَيًّا ﴿٦٩﴾ أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ
وَلَرَبَّكَ شَيْعًا ﴿٧٠﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ
لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ
شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴿٧٢﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ
بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٣﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ
عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧٤﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ
الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٥﴾ وَإِذَا نُتِلَّىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ
قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا
وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ
أَحْسَنُ أَثْنَاءَ وَرِعِهِ ﴿٧٧﴾ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ

تظهر الأفعال التي يستحقون بها الثواب والعقاب ﴿ حتى إذا رَأَوْا ﴾ أي المترفون الطغاة ﴿ ما يوعدون ﴾ أي الشيء الموعود به وهو ﴿ إما العذاب ﴾ في الدنيا ولو بالقتل والأسر ﴿ وإما الساعة ﴾ الحشر والحساب . وعندئذ ﴿ فسيعلمون ﴾ من هو شر مكاناً وأضعف جنداً ﴿ الكافرون الأغنياء أو المؤمنون الفقراء ؟ إن الغنى والترف ليس مقياساً للخير والفضل ، والفقير والخصاصة ميزاناً للشر والضعف ، وإنما العمل وحده هو الميزان والمقياس ٧٦- ﴿ ويزيد الله الذين اهتلموا هدى ﴾ المسببات تجري على أسبابها ، فمن أخذ بسبب الخير الهداية أخذ الله بيده ، وشمله بعنايته ، ومن أخذ بسبب الشر والضلالة يعامله جلت حكمته ، بما احتار لنفسه .

﴿ والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير مرداً ﴾ أي عاقبة ، وليست الجمعيات والأحزاب من الباقيات الصالحات في شيء إلا أن تعمل لخير الأجيال ، لا للهتاف والتصفيق لرئيس الجمعية أو الحزب :

٧٧- ﴿ أفرايت الذي كثر باياتنا وقال لأوتين مالاً وولداً ﴾ جاء في الأحاديث النبوية والتفسير القرآنية : أن العاص بن وائل والد عمرو بن العاص ، لما سمع بذكر البعث قال ساحراً : لأوتين في الآخرة مالاً وولداً ، وظاهر الآية يدل على أن زنديقاً قال هذا .

٧٨- ﴿ اطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً ﴾ من أين جاء هذا العلم ؟ هل عنده مفاتيح الغيب أم أخذ ميثاقاً من الله بذلك ؟

٧٩- ﴿ كلا ﴾ لا هذا ولا ذاك ﴿ سنكتب ما يقول وننمذ له من العذاب مداً ﴾ حفظنا أقواله ، وسنزيده من أجلها عذاباً فوق عذاب ٨٠- ﴿ ونرثه ما يقول ﴾ نسلبه أمواله وأولاده بموته وهلاكه ﴿ وبأيتنا فرداً ﴾ بلا مال ولا بنين ، ونمثل ابن كثير عند تفسير هذه الآية بقول الشاعر : فليت فلاناً مات في طرأه . وليت فلاناً كان ابن حمارة .

٨١- ﴿ واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا ﴾ يعترفون ويستنصرون بغير الله والحق .

٨٢- ﴿ كلا ﴾ من اعتز بغير الله ذك ﴿ سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً ﴾ غداً يتبرأ المعبودون من العابدين ويكون أولئك على هؤلاء خصماء أشداء ، وفي هذا المعنى الآية ٦٣ من القصص : تبارأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون .

٨٣- ﴿ ألم تر أنا أرسلنا الشياطين ﴾ أي تركناهم ولم نردعهم بالقهر والجبر ﴿ على الكافرين تؤزهم أزا ﴾ تزعمهم إزعاجاً وتغريهم إغراء أو تطفئ عليهم طغياناً ، قلت ما شئت .

٨٤- ﴿ فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عداً ﴾ لا تستعجل يا محمد نزول العذاب بمن جحد وأفسد ، فنحن نحصي عليه أنفسه إلى أجل ، وعنده يكون الحساب وفضل الخطاب .

٨٥- ﴿ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً ﴾ يفدون عليه سبحانه معززين مكرمين .

الإعراب :

﴿ إما العذاب وإما الساعة ﴾ بدل من ﴿ ما ﴾ في قوله تعالى : رَأَوْا ما يوعدون . ومن هو شر ﴿ من ﴾ اسم موصول مفعول لسيعلمون ،

لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٦﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَغْيِ نُسُتُ الصَّالِحِينَ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٧﴾ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَوَلَدًا أَطْلُعُ الْغَيْبِ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ

٨٦- ﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ ضرباً بالسياط ﴿ إلى جهنم ورداً ﴾ ﴿ يردونها عطاشاً ، فينهلون من الحميم والعذاب الأليم ٨٧- ﴾ ﴿ لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً ﴾ ﴿ قلنا ونكرر بلا ملل : ان الشفيع الوحيد لدى الله سبحانه هو الحسنات وفعل الخيرات ، وعليه يكون الإنسان الشفيع مجرد شاهد أو مدافع يتوسل بما فعل المشفوع له من خير ليعال الله أو بأية طاعة ترضي الله .

٨٨- ٩١- ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلِداً ﴾ ﴿ أبى النصارى إلا أن يجعلوا لله ولداً بصريح العبارة ، وهذا ما قالوه بنصه الحرفي : « الله الأب ، والله الابن ، والله الروح القدس ، فالأب هو الذي خلق العالمين بواسطة الابن ، والابن هو الذي أتم القداء ، والروح هو الذي يطهر القلب والحياة غير أن الأقانيم الثلاثة يشتركون معاً في جميع الأعمال الإلهية على السواء - قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٧ وما بعدها طبعة سنة ١٩٦٤ ، وغضب سبحانه من هذا القول أشد الغضب ووصفه بالإد : الأمر القطيع ، بأن السماء تكاد تنشق وتنصدع ، والأرض تخسف وترعزع ، والجبال تسقط وتنتهار لمجرد النطق بهذا الإقتراف .

٩٢- ﴿ وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً ﴾ ﴿ أولاً لأن الولد يشبه أباه ، والله سبحانه ليس كمثل شيء . ثانياً لأن كل من ولد له فهو متولد من غيره بالتناسل المعروف أو بطريق النشوء كتولد النبات من البذر ثالثاً لقوله تعالى : :

٩٣- ٩٥- ﴿ إن كل من في السموات والأرض إلا

آتي الرحمن عبداً ... ﴾ مملوكاً ، والمملوك غير الولد ، والمالك شيء والوالد شيء آخر .

٩٦- ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً ﴾ ﴿ حباً ومودة في قلوب الناس جيلاً بعد جيل ، وجاء في بعض التفاسير وكتب الفضائل أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب ، والتاريخ والواقع المحسوس يشهدان بذلك ، ومن التفاسير الكشاف للزمخشري والدر المنثور للسيوطي والتسهيل لمحمد بن أحمد الكلبي ، وتفسير المراغي ، ومن كتب الفضائل فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ١ ص ٢٧٧ نقلاً عن الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٠٧ .

٩٧- ﴿ فإنما يسرناه ﴾ القرآن الكريم ﴿ بلسانك ﴾ يا محمد ﴿ لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لداً ﴾ ﴿ جمع ألد ، وهو الذي يتشدد في الخصام والجدل . والمعنى أن الله سبحانه أنزل القرآن بلغة العرب ، ليسهل عليهم فهمه ومضمه ، ويكون بشيراً لمن آمن واتقى ، ونذيراً لمن جحد وبغى ، وتقدم في الآية ٢ من يوسف .

٩٨- ﴿ وكم أهلكنا قبلهم من قرن ﴾ ﴿ أهل عصر ﴾ هل تحس منهم من أحد ؟ هل ترى أحداً من نسلهم ؟ ﴿ أو تسمع لهم زكراً ﴾ صوتاً أو همساً وختاماً نشير أن معجزة القرآن الكريم لا تستمد من لغته وبلاغته وكفى ، بل ومن عقيدته وشريعته وأخلاقه ، وسائر تعاليمه . والصلاة والسلام على كل من فهم وأفهم علم القرآن ، وعمل به .

الإعراب :

فاعل ﴿ ينبغي ﴾ . وان نافية وكل مبتدأ وآتي خبر أي ما منهم أحد ﴿ إلا آتي ﴾ .

وقَدْ ﴿ ٨٥ ﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِداً ﴿ ٨٦ ﴾ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿ ٨٧ ﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿ ٨٨ ﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْعًا إِذَا تَكَادُ السَّمٰوٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَخُجِرُ الْجِبَالِ هُدًى ﴿ ٨٩ ﴾ أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿ ٩٠ ﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿ ٩١ ﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿ ٩٢ ﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿ ٩٣ ﴾ وَكُلَّهُمْ إِلَيْنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ﴿ ٩٤ ﴾ إِنْ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿ ٩٥ ﴾ فَإِنَّمَا يَسْرُنَا بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدُنَّا ﴿ ٩٦ ﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ يُحْسِنُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿ ٩٧ ﴾

سُورَةُ طه مَكِّيَّةٌ مِنْ ثَمَانِيَةِ ثَلَاثِينَ آيَةً بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(٢٠) سُورَةُ طه مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا خَيْرُ ثَلَاثِينَ وَابْنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طه ﴿ مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿١﴾ إِلَّا
تَذَكُّرًا لِّمَن يَحْتَسِبُ ﴿٢﴾ نَزِيلًا مِّنْ خَلْقِ الْأَرْضِ
وَالسَّمَوَاتِ الْأَعْلَى ﴿٣﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٤﴾
لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ
الْثَّرَى ﴿٥﴾ وَإِن تَجْهَر بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَ وَأَخْفَى ﴿٦﴾
اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٧﴾ وَهَلْ أَتَاكَ
حَدِيثُ مُوسَى ﴿٨﴾ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي
أَسْتَسْتَأْذِنُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدَلٍ عَلَى النَّارِ

١- طه ﴿ جاء في تفسير الرازي عن الإمام جعفر
الصادق (ع) : « أن الطاء طهارة أهل بيت رسول الله والهاء
هدايتهم » والرسول الأعظم (ص) هو رب البيت وأبوه ،
وهو دون سواه المخاطب بقوله تعالى :

٢- ﴿ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾ ومن أجل هذا
نحن مع القائلين : إن طه من أسماء النبي (ص) . والمراد
بالشقاء هنا التعب ، وكان صلى الله عليه وآله قد أجهد نفسه
بالعبادة حتى تورمت قدماء ، فقال له سبحانه : ما لهذا نزل
عليك القرآن ٣- ﴿ إلا تذكرة لمن يخشى ﴾ إلا رحمة
ونورا لمن ينشد الخير والهداية .

٤- ﴿ تنزيلا ممن خلق الأرض والسماوات العلى ﴾
جمع العليا ، والمذكر الأعلى ، ومثله الدنيا جمع الدنيا وفي
الآية إيماء إلى أن الله كتابين : الأول كتاب الخلق والإيجاد
والثاني أنزله على محمد (ص) لهداية العباد .

٥- ٦- ﴿ الرحمن على العرش استوى ... ﴾ كناية
عن الإستيلاء والتدبير ، وتقدم في الآية ٥٤ من الأعراف وغيرها .

٧- ﴿ وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى ﴾
أنا وأنت تعلم ما نضمر الآن دون القدر . والله عليم بذات الصدور
الآن وبما يوسوس فيها غداً . لأن كل غيب عنده شهادة ،
وكل سر عنده علانية .

٨- ﴿ الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى ﴾ لأنها تميز عن

أجل المعاني وأكمل الصفات. وتقدم في الآية ١٨٠ من الأعراف وغيرها ٩- ﴿ وهل أتاك حديث موسى ﴾ ؟ أجل ، مراراً
وتكراراً ، أما السر لهذا التكرار فهو أن أكثر السور والآيات التي تحدثت عن موسى نزلت في مكة حيث كان المسلمون
قلّة مستضعفة يلاقون أشد الإيذاء وألوان التنكيل من المشركين أصحاب الحول والسلطان . فتكررت قصة موسى وبني إسرائيل
وإذلالهم بيد فرعون ، ثم دارت عليه الدائرة ، وكانت العاقبة لبني إسرائيل علماً بأن فرعون أقوى وأظنى من صناديد المشركين
وأيضاً سيتنصر المسلمون على المشركين لا محالة إذا صبروا واثقوا تماماً كما انتصر موسى وقومه على فرعون وملئه ... هذا إلى
أن حياة موسى (ع) كلها غير منذ ولادته وقذفه في اليم إلى قصته مع فرعون وشعب والخضر والسامري وقومه المشاكسين
المعاكسين وارتدادهم وعجلهم وبقرتهم وتبهم إلى ما له أول بلا آخر ١٠- ﴿ إذ رأى ناراً فقال لأهله امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً
لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدَلٍ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾ استأذن موسى شعباً بالخروج إلى أمه في مصر وسار بأهله ، فولد له
في الطريق ابن في ليلة شاتية مظلمة ، وكان قد ضل الطريق ، وحاول أن يقدر زناده فلم يخرج منه شر ، والليل دامس
والبرد قارص ، فحار في أمره ، وبينا هو كذلك إذ رأى ناراً ، فقال لأهله : مكانكم . أتى الفرج بوجود النار أو الهداية إلى
الطريق . وما درى أنها البشريّ سيعادة اللقاء بالعلي الأعلى ، وذهب ليأتي بمجدوة من نار . فرجع بالنبوة ولقب كليم الله ...
وهكذا تفعل المفاجآت والمخبات : إمّا إلى العلى وسدرة المنتهى ، وإمّا إلى الدرك الأسفل والأرذل . قال الإمام علي (ع) :
كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو : فإن موسى بن عمران خرج يقبّس لأهله ناراً فكلّمه الله . ورجع نبياً .

١١-١٢- ﴿ فَلَمَّا آتَاهَا نُودِي يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ﴾
دنا موسى بما ظنّه نارا ، فإذا هو نور أبهى من نور الشمس ،
وإذا بصوت رهيب : أنا ربك ﴿ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾ تأدباً
وتواضعاً ﴿ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى ﴾ في المكان المطهر
المبارك .

١٣- ﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴾ ولا يختار
سبحانه لدينه وحيه إلا صفوة الأئمة ، وتقدم في الآية ١٤٤
من الأعراف ، ثم بين سبحانه أن الدين الذي أوحى به إلى
موسى يقوم على أصول ثلاثة : الأول التوحيد ، وإليه الإشارة
بقوله تعالى :

١٤- ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ﴾ الأصل الثاني التبعيد
لله وحده : ﴿ فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ لا تذكر
فيها شيئاً سواي . الأصل الثالث البعث :

١٥- ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ أي أكاد أخفي
وقتها حتى عن نفسي ، مبالغة في كتمانها وعدم إظهارها ،
ونعطف تفسيرنا هذا على العديد من التفسيرات المضطربة لهذه
الآية ﴿ لتجزى كل نفس بما تسعى ﴾ أخفى سبحانه العلم
بوقت الساعة ليتربص العباد وقوعها في كل حين ، فيخافوا
منها ويعملوا لها ويستوفوا جزاء المقاصد والأعمال .

١٦- ﴿ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا ... ﴾
لا تتبع أيها الراشد البالغ سبيل من كذب بالبعث ، قبلك
كما هلك .

١٧- ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴾ لكل نبي معجزة

يقتنع هو بها أولاً وقبل الناس ، ثم يعرضها عليهم ، ويتحداهم بها وهو على عين اليقين ، ولذا سأل سبحانه موسى : ما تلك ؟
على وجه التقرير والتأكيد بأنها هي عصاه بالذات التي يعرفها دون سواها ، وبعد أن

١٨- ﴿ قَالَ ﴾ موسى : ﴿ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي ﴾ أضرب بها الشجر فينساقل الورق
للغصم ، بعد هذا الإيقان والعيان .

١٩-٢٠- ﴿ قَالَ ﴾ له القادر المقدر : ﴿ أَلْقَاهَا مُوسَى فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حِجَابٌ مَبْنُوعٌ ﴾ فجاءه إلى حية ! بآية مناسبة وقراءة ؟ ومن هنا ارتاع موسى وولى مديراً كما في الآية ١٠ من النمل .

٢١- ﴿ قَالَ ﴾ سبحانه لموسى : ﴿ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَتُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾ إلى حالها كما كانت أول مرة .

٢٢-٢٣- ﴿ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ ﴾ أدخل يدك في جيبك كما في الآية ١٢ من النمل ﴿ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ
من غير سوء آية أخرى ﴾ من غير آفة وعامة ، وتقدم في الآية ١٠٨ من الأعراف .

الإعراب :

إذ ظرف يتعلق بحديث «موسى» . وفي نودي ضمير مستتر يعود إلى موسى ، وهو نائب فاعل . وأنا تأكيد . «وطوى» بدل من
الوادي . و«لذكركي» متعلق بأنم . و«لتجزى» متعلق بآية . و«فتردى» في محل نصب بحواب النهي .

هُدًى ﴿ فَلَمَّا آتَاهَا نُودِي بِمُوسَى ﴾ ﴿ إِنِّي أَنَا
رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾ ﴿ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى ﴾
وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ
لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾
﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا
تَسْعَى ﴾ ﴿ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ
هُوَ فَتَرَدَّى ﴾ ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴾ ﴿ قَالَ هِيَ
عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا
مَآبِرُ أُخْرَى ﴾ ﴿ قَالَ أَلْقَاهَا يَا مُوسَى ﴾ ﴿ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا
هِيَ حِجَابٌ مَبْنُوعٌ ﴾ ﴿ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَتُعِيدُهَا
سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾ ﴿ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ
بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةٌ أُخْرَى ﴾ ﴿ لِنُرِيكَ مِنْ

٢٤- ﴿إِذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ ادَّعَى الرِّبَوِيَّةَ وَذَبَحَ الْأَطْفَالَ ، وَبَطَشَ بَطْشَةَ الْأَشْرَارِ .

٢٥- ﴿قَالَ﴾ موسى : ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ رِبَاطَةَ الْجَاشِ وَرِحَابَةَ الصَّدْرِ ، لِأَنَّهُ عَصَبِي الْمَزَاجِ ، وَكَرَّ الْفِرْعَوْنِي فَقَضَى عَلَيْهِ ، وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ ، وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجْرَهُ .

٢٦- ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ فِي هَذِهِ الْمَهْمَةِ الشَّاقَّةِ الَّتِي بَعَثَنِي بِهَا ، فَإِنَّ فِرْعَوْنَ أَطْفَى الطَّغَاةَ تَمَرُدًا ، وَأَقْوَى الْمُلُوكَ جُنُودًا ، وَأَنَا لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ... وَلَا أَدْرِي كَيْفَ ذَهَلَ مُوسَى (ع) عَنْ عَصَاهُ الَّتِي تَبْتَغِ مَلِكَ فِرْعَوْنَ بِالْكَامِلِ ؟

٢٧- ٢٨- ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي﴾ بِفَقْهُوا قَوْلِي ﴿كَانَ فِي لِسَانِهِ نَقْلٌ ، وَالْمَرْءُ بِأَصْغَرِهِ : قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ .

٢٩- ٣٠- ﴿وَاجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾ هَرُونَ أَخِي ﴿مِنْ أُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾ .

٣١- ﴿اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ أَيُّ ظَهَرِي ، وَالْمُرَادُ الْقُوَّةُ .

٣٢- ٣٥- ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ أَيُّ الرِّسَالَةِ ، وَفِي بَعْضِ التَّفَاسِيرِ أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ : «لَا أَخَ فِي الدُّنْيَا أَنْفَعُ لِأَخِيهِ مِنْ مُوسَى لِهَرُونَ حِينَ سَأَلَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَشْرَكَهُ مَعَهُ فِي النَّبُوَّةِ» . وَلَكِنْ هَذَا الْأَعْرَابِيُّ ذَهَلَ عَنِ الْعِلَّةِ الْمَوْجِبَةِ لِذَلِكَ ، وَهِيَ الْعُقْدَةُ فِي لِسَانِ مُوسَى . نَقُولُ هَذَا ، وَنَحْنُ عَلَى عِلْمِ الْبَقِيَّةِ أَنَّ الْمَدْفُوعَ الْأَسَاسَ لِمُوسَى (ع) إِعْلَاءُ كَلِمَةِ اللَّهِ وَالِدَيْنِ ، وَأَنَّهُ مَعْصُومٌ عَنِ الذَّاتِيَّةِ وَالْأَنَانِيَّةِ ، لَكِنْ نُلَوِّحُ مِنْ بَعِيدٍ لِلْعَدِيدِ مِنَ الْإِخْوَانِ وَالْخِلَافِ ، عَسَى أَنْ يَتَعَفَّوْا وَيَعْتَبِرُوا .

٣٦- ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ لَقَدْ أَعْطَاكَ رَبُّكَ كُلَّ مَا طَلَبْتَ مِنْ سَعَةِ الصَّدْرِ ، وَتَبَسَّرَ الْأَمْرَ وَشَدَّ الْأُزْرَ وَغَيْرَ ذَلِكَ ٣٧- ﴿وَلَقَدْ مَنَّا﴾ أَنْعَمْنَا ﴿عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾ ٣٨- ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ﴾ بِالْإِلْهَامِ أَوْ الْمَنَامِ ﴿مَا يُوْحَى﴾ مِنَ التَّنْذِيرِ الْمَحْكَمِ لِسُلَامَتِكَ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ وَمِنْ ذَلِكَ .

٣٩- ﴿أَنَّ الْقُدْفَةَ فِي التَّابُوتِ﴾ ضَمِيهِ فِي الصَّنْدُوقِ ﴿فَالْقُدْفَةَ﴾ الَّتِي الصَّنْدُوقُ ﴿فِي الْيَمِّ﴾ فِي الْبَحْرِ وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا التَّلِيلُ ، فَضَعْتَ ذَلِكَ ﴿فَلْيَلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾ يَقْذِفُهُ الْمَوْجُ إِلَى السَّاحِلِ ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوِّي وَعَدُوُّ لِي﴾ وَهُوَ فِرْعَوْنٌ ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ جَعَلْتُكَ مَجْبُوبًا عِنْدَ عَدُوِّي وَعَدُوِّكَ ﴿وَلَتُصْنَعَنَّ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ أَيُّ تَتِمَّ حَضَانَتُكَ وَتَرْيِثُكَ بِرِعَايَتِي وَعَنَائَتِي .

٤٠- ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ﴾ كَانَ مُوسَى لَا يَقْبَلُ لَدَيْهِ امْرَأَةً ، فَحَارَ فِرْعَوْنٌ ، وَبَدَّلَ الْجَهْدَ فِي طَلَبِ مَرْضَعَةٍ لَهُ ، فَذَهَبَتْ أُخْتُهُ إِلَى قِصْرِ فِرْعَوْنَ وَقَالَتْ : أَنَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَرْضَعُهُ ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ عَرَضْتُ عَلَيْهِ لَدَيْهَا فَقَبِلَهُ . وَرَضِعَ مِنْهُ ، فَفَرَحَ فِرْعَوْنٌ ، وَأَجْزَلَ لَهَا الْعَطَاءَ .

الإعراب :

﴿وَيَفْقَهُوا﴾ مجزوم بجواب الأمر . ﴿وَأَخِي﴾ بدل من هرون . وكثيراً صفة لفعل مطلق محذوف أي نسحك نسيحاً كثيراً ، ﴿وَنَذْكُرْكَ﴾ ذكراً ﴿كثيراً﴾ .

وَإِنَّمَا الْكَبِيرُ ﴿١﴾ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢﴾
قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٣﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٤﴾
وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي ﴿٥﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٦﴾
وَاجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٧﴾ هَرُونَ أَخِي ﴿٨﴾ أَشَدُّ
بِهِ أَزْرِي ﴿٩﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿١٠﴾ كَيْ تَسْحَكَ
كَثِيرًا ﴿١١﴾ وَنَذْكُرْكَ كَثِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿١٣﴾
قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ
مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿١٦﴾
أَنَّ الْقُدْفَةَ فِي التَّابُوتِ فَاقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيَلْقَهُ الْيَمُّ
بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوِّي وَعَدُوُّ لِي وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً
مِّنِّي وَلَتُصْنَعَنَّ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿١٧﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ
هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ﴿١٨﴾ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ

﴿ وَفَلَّتْ نَفْسًا ﴾ وهو الفرعوني الذي وكره موسى فقضى عليه ، وتأتي إليه الإشارة في الآية ١٥ من القصص ﴿ فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ ﴾ من الخوف الذي أصابك بعد قتل الفرعوني أن يأخذوك به ويقتلوك ﴿ وَفَلَّاتِكَ فُتُورًا ﴾ امتحانك واختبرناك بالعديد من الشدائد ، فوجدناك أهلاً للنبوة والرسالة ﴿ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ﴾ إشارة إلى ما يأتي في الآية ٢٧ من القصص . وأن موسى رعى غنم شعيب في مدين عشر سنين ﴿ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى ﴾ أتيت إلى هذا المكان الذي أنت فيه الآن بالوقت المحدد والمقدر لنبوتك .

٤١- ﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ اخترتك للوحي وتبليغ رسالتي ٤٢- ﴿ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي ﴾ بالمعجزات الخارقة الدالة على رسالتكما ، وأمعها العصا واليد البيضاء ﴿ وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴾ لا تضعفا وتقصرا في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ٤٣- ﴿ أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ في البلاد ، وأكثر فيها الفساد ٤٤- ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ هكذا يعلمنا رب السماء أسلوب الدعوة إلى الحق : بالرفق واللين ، لا بالقسوة والحماقة حتى مع فرعون الذي قال : أنا ربكم الأعلى . فهل يتعظ الزاهد الطمأن والواعظ الغضبان ؟ وفي الآية ١٤٧ من الأنعام ﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبِّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ ﴾ والخطاب لمحمد (ص) .

٤٥- ﴿ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴾ إنك تعلم يا إلهنا جبروت فرعون وعتوه ، ولا رادع له عن قتلنا أو التنكيل بقومنا .

كَى تَقَرَّعَيْنَهَا وَلَا تَحْزَنَ وَفَلَّتْ نَفْسًا فَنجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَمْؤُوسٍ ٤١ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ٤٢ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ٤٣ أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ٤٤ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ٤٥ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ٤٦ قَالَا لَا تَحْفَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمِعُ وَأَرَى ٤٧ فَأَتَيْنَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مِمَّا آتَيْتَ أَهْدَى ٤٨ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ٤٩ قَالَا فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمْؤُوسٍ ٥٠ قَالَا رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ

٤٦- ﴿ قَالَا ﴾ سبحانه لهما : ﴿ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمِعُ وَأَرَى ﴾ لا تخافا سلطان فرعون ويطشه ، فأننا لكما في النصر عليه ، ومعكم في الحفظ منه .

٤٧-٤٨- ﴿ فَأَتَيْنَاهُ فَقُولَا ... ﴾ تقدم في الآية ١٠٤ من الأعراف .

٤٩- ﴿ قَالَا ﴾ فرعون : ﴿ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى ﴾ قال موسى وهرون لفرعون ما أمر الله به . فأجاب منكراً وجود إله سواه كما في الآية ٣٨ من القصص ...

٥٠- ﴿ قَالَا ﴾ موسى : ﴿ رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ ربنا الذي خلق فرعون وكل الخلائق من الذرة الصغيرة إلى المجرات الكبيرة ... إلى كل شيء ، وأودع في كل مخلوق ما يحفظ كيانه وبقاءه وسيره إلى حاجته والغاية التي خلق من أجلها .

الإعراب :

﴿وعلى قدر﴾ متعلق بمحذوف حالاً من الضمير في ﴿جئت﴾ . ﴿أنت﴾ تأكيد للضمير ﴿أذهب﴾ . وأخوك عطف على الضمير المستتر . والمصدر من أن يفرط مفعول تخاف . ويجوز أن وانتي ، وأنا وإنا .

٥١- ﴿ قَالَ ﴾ فرعون : ﴿ فما بال القرون الأولى ﴾ إذا كان هناك رب كما وصفت وزعمت فلماذا الأولون عبدوا الأصنام ولم يعبدوه ؟ وهذا الجواب يحمل في صلبه الدليل على نقضه وفساده ، لأنه تماماً كقول القاتل : لو كان للشمس وجود لرآها من لا يبصر !

٥٢- ﴿ قَالَ عَلِمَهَا عِندَ رَبِّي ... ﴾ لماذا تروغ عن الجواب ، وتفرغ من موضوع إلى موضوع ، من كفرك وطغيانك إلى القرون الخالية ... إن علمها عند الله الذي لا تخفى عليه خافية .

٥٣- ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا ﴾ فراشاً ومستقراً فأين أنت يا فرعون من خلق ذرة فما دونها ﴿ وسلك لكم فيها سبلاً ﴾ طرقاً تسلكونها ﴿ وأنزل من السماء ماء ﴾ فأنزل أنت قطرة واحدة .

٥٤- ﴿ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ ﴾ خلق سبحانه الإنسان والحيوان ، وهما لهما أسباب الحياة من الأرزاق والأقوات .

﴿ إن في ذلك لآيات ﴾ دلائل وبراهين على أنه لا إله إلا الله ﴿ لأولي النهي ﴾ لأرباب العقول الذين ينتهون عن القبائح والجرائم .

٥٥- ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾ واضح ، وتقدم في الآية ٢٥ من الأعراف .

٥٦- ﴿ ولقد أريناه ﴾ فرعون ﴿ آياتنا كلها فكذب وأبى ﴾ عرض موسى على فرعون المعجزات الواضحة والحجج البالغة ، فرفضها ككراً وغبياً وعتوراً وتمرداً . ولماذا هذا العناد ؟

للحرص على الجاه والسلطان . ولا يختص هذا بفرعون موسى وعمرود إبراهيم ، بل يشمل الكل أو الجمل ، كما جاء في الأشعار « كلنا يطلب ذا حتى أنا » .

٥٧- ﴿ قَالَ أَجِئْنَا لِنُخْرِجَنَّهُ مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِك يَا مُوسَى ﴾ ضيق موسى على فرعون ، وأخذ بخناقه ، ولم يدع له أية حجة أو جواب ، فلجأ إلى التهم والإقراء بأنه ساحر ، يريد أن يطرد أصحاب الجاه والسلطان من مصر ، ويستولي على الملك .

٥٨- ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ ... ﴾ لا يفرنك ما أنت فإن عندنا مثل ما عندك وزيادة ، فاجعل بيننا وبينك يوماً للمباراة .

٥٩- ﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضَحًى ﴾ اختار موسى يوم العيد لأنه يوم عطلة ، يكثر فيه الحشود والشهود ، واختار الضحى من يوم العيد لأنه أظهر وأجمع . ويدل هذا على ثقته وبقينه ، وأن الله ناصره لا محالة .

٦٠- ﴿ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ﴾ جد واجتهد في جمع السحرة . وأتى بهم حاشرون كما في الآية ١١٢ من الأعراف .

الإعراب :

﴿ وكل شيء ﴾ مفعول أول لأعطى ، و﴿ خلقه ﴾ مفعول ثانٍ . ﴿ فما بال القرون ﴾ مبتدأ وخبر . و﴿ علمها ﴾ مبتدأ وخبره ﴿ في كتاب ﴾ ، وعند ﴿ رب ﴾ تعلق بما تعلق به في كتاب ، أي علمها ثابت في كتاب عند رب . و﴿ الذي جعل ﴾ صفة لربي أو عطف بيان .

٦١- ﴿قَالَ لَهُم مُوسَىٰ ۖ وَاَعْظَاءُ وَمَحْذَرًا : أَيُّهَا السَّحَرَةُ ۖ وَيَلِكُمْ لَا تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۖ لَا تَمُوهَا هَلْ أَعِينَ النَّاسَ فَتُظْهِرُوا الْأَوْهَامَ فِي ثُوبِ الْحَقَائِقِ ۖ فَيَسْحَتُكُمْ ۖ فَيَسْتَأْصِلُكُمْ اللَّهُ وَيَهْلِكُكُمْ ۖ يَعَذَابُ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى ۖ عَلَى الْمَخْلُوقِ فَكَيْفَ بِنِ افْتَرَى عَلَى خَالِقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ؟ وَكَانَ هَذَا النَّدَاءُ مِنْ مُوسَى أَثَرُهُ عِنْدَ بَعْضِ السَّحَرَةِ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى :

٦٢- ﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى ۖ اِخْتَلَفَ السَّحَرَةُ فِيمَا بَيْنَهُمْ سِرًّا ، وَفِي الْخَفَاءِ عَنْ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ قَالَ بَعْضُهُمْ : مَا هَذَا التَّحْذِيرُ يَقُولُ سَاحِرٌ ، وَعَارِضُ الْبَعْضِ الْآخَرَ وَفِي النِّهَايَةِ تَلَقَّبَ أَضْغَارُ الضَّلَالِ الَّذِينَ ..

٦٣- ﴿قَالُوا إِنْ هَٰذَا لَسَاحِرَانِ ۖ إِنْ مَخْفَفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ ، وَاسْمُهُمَا مَحْذُوفٌ أَيْ أَنَّهُ هَٰذَا مَبْتَدَأٌ وَسَاحِرَانِ خَبِرٌ ، وَالْجُمْلَةُ خَبَرٌ ، وَاللَّامُ لِلْفَرْقِ بَيْنَ الْإِنِّ الْمَخْفَفَةِ وَإِنِّ النَّافِيَةِ . -

﴿يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكَ مِنْ أَرْضِكَ بِسِحْرِهِمَا ۖ يُرِيدَانِ أَنْ يُتَّبِعَهُمَا النَّاسَ عَنْ طَرِيقِ السَّحْرِ ، وَيَتَغَلَّبُوا عَلَى فِرْعَوْنَ ، وَيَسْتَوْلُوا عَلَى مِصْرَ ۖ وَيُذْهِبُوا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمَثَلِ ۖ أَنْ يُتَغَلَّبُوا عَلَيْكُمْ بِالسَّحْرِ ، وَيَتَفَرَّدُوا بِهِ مِنْ دُونِكُمْ ، وَلَا يَبْقَى لَكُمْ أَيْ طَرِيقٌ لِلرِّزْقِ وَالْعَيْشِ .

٦٤- ﴿فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ۖ مَكْرَمٌ وَدَعَاءُكُمْ ۖ ثُمَّ اتَّوُوا صَفًّا ۖ أَلْقُوا مَا فِي أَيْدِيكُمْ مَرَّةً وَاحِدَةً لِنَهَرُوا الْأَبْصَارَ .

٦٥-٦٦- ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ ... ۖ تَقْدِمُ فِي الْآيَةِ ١١٥ مِنَ الْأَعْرَافِ .

٦٧- ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَىٰ ۖ أَنْ يُلَاقِيَهُ

الْأَمْرُ عَلَى النَّاسِ ، وَيَخْدَعُوا بِهَذَا الظَّاهِرِ الْمَوْهُ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ قَطَعَ مَخَافَتَهُ بِنِدَائِهِ :

٦٨- ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ۖ لِأَنَّكَ الْحَقُّ وَهُمْ الْمَبْطُولُونَ .

٦٩-٧٣- ﴿وَأَلْقَىٰ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفَ مَا صَنَعُوا ... ۖ فَانْتَصَرَ الْحَقُّ ، وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ، وَتَقْدِمُ فِي الْآيَةِ ١١٧ مِنَ الْأَعْرَافِ

الإعراب :

﴿وَيَلِكُمْ﴾ منصوب على اضممار الفعل أي الزموا الويل ، لأنه مضاف ، فإذا لم يضاف مثل ويل لكم فمبتدأ وخبر . وإن هذان لساحران ﴿إن مخففة مبهمة ، وهذان مبتدأ وساحران خبر ، واللام هي الفارقة بين ان النافية والمخففة . والمصدر من يخرجكم مفعول يريدان . وصفًا حال من واو ﴿اتوا﴾ . ﴿إما بالكسر ، ومعناها هنا التخيير ، وهي مركبة من ان وما ، ويجب تكرارها ، والمصدر من ان تلقي مفعول لفعل محذوف أي اختر اما القاءك ، والمصدر من ان تكون معطوف على المصدر من ان تلقي . وإذا للمفاجأة ، وحبالهم مبتدأ ، وعصيمهم عطف على حبالهم ، وجملة يخيل وما بعدها خبر . والمصدر من انها تسعى مفعول يخيل . وخيفة مفعول أوجس . و﴿تلقف﴾ مجزوم جواباً لأن . ﴿انما صنعوا كيد﴾ مركبة من كلمتين : ﴿ان﴾ المشددة ، و﴿ما﴾ الموصولة ، وهي اسم إن ، وصنعوا صلة الموصول ، وكيد خبر إن والمائد محذوف ، والتقدير ان الذي صنعوه كيد ساحر . وسجداً حال أي ساجدين .

وما بعدها ﴿ فاقض ما أنت قاض ﴾ افعل ما شئت ، فإن الغالب بالشر مغلوب ﴿ إنما تقضي هذه الحياة الدنيا ﴾ حلوة كانت أو مرة ﴿ والله خير وأبقى ﴾ منك ومن ثوابك .
٧٤- ﴿ إنه من يأتي ربه مجزوماً ﴾ يلقى الله يوم القيامة بالأوزار والآثام ﴿ فإن له جهنم لا يموت فيها ﴾ حتى يجد الراحة ﴿ ولا يحيى ﴾ إلا في العذاب وشدة .

٧٥-٧٦- ﴿ ومن يأتيه مؤمناً قد عمل الصالحات ﴾ من يلق الله يوم القيامة بقلب سليم وعمل صالح نافع ﴿ فأولئك لهم الدرجات العلى ﴾ في الجنة منازل ومراتب تبعاً للإخلاص والأعمال ، ونحن ننتقي أعلاها بالتصحية والإستشهاد في سبيل الله والحق .

اللغة:

(ومن يأتيه مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى). حيث قرن سبحانه الإيمان بالعمل الصالح، ومعنى هذا أن الإيمان بلا عمل لا يجدي صاحبه شيئاً. ويكلام آخر: إن المؤمنين هم الصالحون في مقاصدهم وأعمالهم، أما الذين يسمون في الأرض فساداً فهم في زمرة المحرمين، وإن ملأوا الدنيا تيللاً وتكبيراً.

(جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى). الجنات والدرجات عند الله هي للذين زكت أنفسهم بالحلب والأخلاص للناس كل الناس، وتطهرت من شوائب الحياة والطمع والكراهية، ومثت الأيات من آي الذكر الحكيم تتضمن هذا المعنى تصريحاً أو تلويحاً.

الإعراب:

وفي جلوع النخل ﴿في﴾ هنا بمعنى عل. وأينا مبتدأ، وأشد خير، وعذاباً تميز. والذي ﴿فطرنا﴾ عطف على ما جاءنا. ﴿فاقض﴾ ما أنت قاض ﴿وما﴾ اسم موصول مفعول لاقض. وأنت مبتدأ ﴿وقاض﴾ خبره والجملة صلة الموصول والعائد محذوف أي فاقض ما أنت قاضيه. إنما تقضي هذه ﴿إنما﴾ مركبة من كلمتين: إن المشددة وما الكافة عن العمل، وتقضي فعل مضارع والفاعل ضمير المخاطب أي أنت والمراد فرعون، وهذه مفعول تقضي، والحياة عطف ببيان من هذه، والدنيا صفة للحياة. وما أكرهتنا عطف على خطايانا. والضمير في إنه للشان، وعمله النصب اسم إن. ومن يات ﴿من﴾ شرطية، والجملة من الشرط وجوابه خبر إن. وجنات عدن بدل من الدرجات العمل وخالدين حال.

يَرْبُّ هَرُونَ وَمُوسَى ﴿ قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرٌ كُرِّ الدِّى عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا قِطْعَنَ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا صُلْبَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴾ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿ إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِئَاتِنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ إِنَّهُ مِنْ يَأْتِ رَبُّهُ مُجِرِّمًا فَإِنْ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴾

٧٧-٧٩- ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي ... ﴾

تقدم في الآية ٥٠ من البقرة و١٣٨ من الأعراف و ٩٠ من يونس .

٨٠- ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ ﴾

فرعون الذي كان يسومكم سوء العذاب ، يذبح أبناءكم ويستحيي نساءكم ﴿ وواعدناكم جانب الطور الأيمن ﴾ يشير سبحانه بهذا إلى الوعد الذي وعده موسى بعد أن أغرق فرعون ، وهو أن يأتي موسى وبنو إسرائيل إلى جانب الطور سيناء ، فينزل سبحانه عليه التوراة ﴿ ونزلنا عليكم المن والسلوى ... ﴾ تقدم بالنص الحرفي في الآية ٥٧ من البقرة .

٨١- ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ ﴾

في الطيب من الرزق ﴿ فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى ﴾ لا ذكر سبحانه بني إسرائيل يتيمه الجسام ، قال لهم : لا تتخذوا منها أداة للعتو والفساد وإلا فعلنا بكم ما فعلنا بفرعون وجنوده ويدلنا التاريخ والعيان - في الأعم الأغلب - أن المظلوم إذا قوي وانصر على ظالمه طغى طغيانه وزيادة ، ومن أصدق من الله حديثاً : « إن الإنسان ليطغى إن رآه استغنى » أي رأى نفسه غنياً .

٨٢- ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ

اهتدى ﴾ ومع هذا فإن الله سبحانه لا يعجل بالقيمة من طغي وبغى ، بل يمهل ويؤجل ، عسى أن يؤوب ويتوب ، وهو يقبل التوبة بشروط أربعة كما في هذه الآية وهي : (١) الندم على ما كان ؛ (٢) الإيمان بالحق أينما كان ؛ (٣) العمل بموجب الإيمان ؛ (٤) الإتهناء أي الإستمرار على الإيمان

والعمل الصالح .

٨٣- ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى ﴾ بعد هلاك فرعون أمر سبحانه موسى أن يسير هو وبنو إسرائيل إلى جبل الطور ، فأسرع موسى عَجْلاً ومشتاقاً إلى مناجاة ربه ، واستخلف على قومه أخاه هارون ، وأمرهم أن يلحقوا به ، ولذا سأل سبحانه موسى : لماذا سبق قومه وهو أعلم ، ولكن ليخبره عما أحدثوا من بعده .

٨٤- ﴿ قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾ لتريدي رضا ، وأزداد منك أجراً .

٨٥- ﴿ قَالَ ﴾ سبحانه لموسى : ﴿ فَإِنَا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ ﴾ امتحانهم ليظهروا على حقيقتهم ﴿ وأضلهم السامري ﴾ الذي صنع لهم العجل .

٨٦- ﴿ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ﴾ واضح ،

الإعتراب :

﴿ طريقاً ﴾ مفعول اضرب و﴿ يسأاً ﴾ صفة له لأنه بمعنى يابساً . فيحل منصوب باضمار أن في جواب النبي . ﴿ ما ﴾ استفهام مبتدأ ، وجلة ﴿ أعجلك ﴾ خبر . وهم مبتدأ وأولاء اسم إشارة خبر . و﴿ عل أثري ﴾ متعلق بمحذوف خبراً بعد خبر أو حالاً والعامل فيه معنى الإشارة .

وتقدم في الآية ١٥٠ من الأعراف ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ﴾ هل نسيتم فضله عليكم ، وأخيراً وعده بأن تصلوا إلى جبل الطور ؟ ﴿ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ ﴾ أي مدة غيابي عنكم ﴿ أَمْ أُرَدْتُمْ أَنْ يُحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ عذابه في الدنيا والآخرة ، وإذا ارتد اليهود عن دين موسى وهو قائم على رؤوسهم ، فماذا تكون الحال من بعده ؟ ﴿ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي ﴾ وعدتموني بالثبات على دين الله ، فنكثتم وارتددتم .

٨٧-٨٩- ﴿ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا ﴾ نحن لا نملك أمرنا لأننا مسيرون لا مختيرون ! هكذا يلقي المجرم تبعة سلوكه على القضاء والقدر أو على الآخرين ﴿ وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ ﴾ المراد بالأوزار : الأثقال ، وزينة القوم : حلي النساء الفرعونيات التي استعاروها للعرس أو للعيد ، وحملوها معهم ﴿ فَقَدْ فَانَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴾ صنع عجلاً من ذهب بطريقة إذا مرَّ عليه الريح أحدث صوتاً وخوَّاراً ، وبهذا يتيقن لنا أن القرآن ينسب صنع العجل إلى السامري ، أما التوراة المتداولة فتسند صنع العجل إلى هرون النبي بكل صراحة ، فقد جاء في سفر الخروج أول الإصحاح الثاني والثلاثين ما نصه بالحرف الواحد :

« ولما رأى الشعب - بنو إسرائيل - أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هرون وقالوا له : قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن هذا موسى الرجل الذي أضعفنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه ، فقال لهم هرون ازعروا أفرط الذهب التي في آذان نساءكم وبناتكم ، وأتوني بها ، فترع كل الشعب أفرط الذهب ، وأتوا بها إلى هرون ، فأخذ ذلك ، وصوره بالإزميل ، وصنعه عجلاً مسبوكاً ، فقالوا : هذه آلهتك يا إسرائيل ، فلما نظر هرون بنى مذبحاً أمامه ، ونادى غداً عيد للرب » . نقلنا هذا النص بحرفه وعلى طوله علماً بأن هذا الموجز يفسق عنه ، ولكن سنطوي الكلام حول الآيات الآتية لوضوحها وتقدم ذكرها ، ومن جهة ثانية أردنا أن يوازن القارئ أو يقارن بين نص التوراة المنسوب إليه تعالى في حق نبيه المعصوم هرون ، وبين نص القرآن الكريم في هرون وقصته مع العجل ، وهو قوله تعالى :

٩٠- ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ ﴾ لعبدة العجل ﴿ هرون من قبل ﴾ أن يعود موسى : ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ ﴾ ضلتمت بعبادة العجل ﴿ وَإِنَّ رَبَّكُمْ الرَّحْمَنُ ﴾ الذي خلق كل شيء ﴿ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴾ في ترك العجل وعبادته .

٩١- ﴿ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ ﴾ مقبمين على عبادة العجل ﴿ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴾ جاء في تفسير الرازي سجع البلاغة : أن يهودياً قال للإمام علي (ع) : « ما دفتنم نبيكم حتى اختلفتم فيه ؟ قال عليه السلام : إنما اختلفنا عنه لا فيه ، ولكنكم ما جفت أرجلكم من البحر حتى قلتم لنبيكم : اجعل لنا آلهة فقال : إنكم قوم تجهلون .

٩٢-٩٤- ﴿ قَالَ يَا هَرُونَ مَا مَنَعَكَ ... ﴾ تقدم في الآية ١٥٠ من الأعراف .

الإعراب :

﴿ غَضِبْنَا ﴾ حال و﴿ أَسْفَا ﴾ حال ثانية . فكذلك الكاف بمعنى مثل وعلمها النصب صفة لمفعول مطلق محذوف أي ألقى السامري الغاة

غَضِبْنَا أَسْفَا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا
أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أُرَدْتُمْ أَنْ يُحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ
مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي ﴿٨٧﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ
بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَدْ فَانَاهَا
فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٩﴾ فَأَتْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَدِيدًا
لَهُمْ خَوَّارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِنَّهُ مُوسَى فَنَاسَى ﴿٩٠﴾
أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ صَرًّا
وَلَا نَفْعًا ﴿٩١﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَرُونَ مِنْ قَبْلِ يَقَوْمِ
إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا
أَمْرِي ﴿٩٢﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا
مُوسَى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَهْرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٤﴾
أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٥﴾ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ

٩٥- ﴿ قَالَ ﴾ موسى : ﴿ فما خطبك يا سامري ﴾
ما حملك على ما صنعت ؟.

٩٦- ﴿ قَالَ بصرت بما لم يبصروا به ﴾ رأيت ما لم ير غيري ﴿ فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها ﴾ ألقيتها ولم يبين سبحانه أين ألقاها ، ولكن المفسرين قالوا : ألقاها على الحلي فتحولت عجلًا ! ... ونحن غير مسؤولين عما لا نص فيه ، فندعه في طي الكتمان .

٩٧- ٩٨- ﴿ قَالَ فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس ﴾ أي عقابك في الدنيا أن تكون منبذًا من كل الناس لا مخالطة أو مكاملة أو مؤاكلة أو أي شيء تمامًا كوحش في صحراء لا شيء فيها إطلاقًا ﴿ وإن لك موعداً لن تخلفه ﴾ وهو لقاءك مع الله ، وجزاؤك على ما أسلفت واقترفت ﴿ وانظر إلى إلهك .. ﴾ حرق موسى العجل ، وألقى برماده في البحر مع القمامة على مرأى من الذين صنعوه وعبدوه وهذي نهاية كل مزيف ماكر ومخادع غادر .

٩٩- ﴿ كذلك ﴾ إشارة إلى قصة موسى وغرائبها ﴿ نقص عليك ﴾ يا محمد ﴿ من أنباء ما قد سبق ﴾ من الأمم الماضية ، وهي عبرة وعظة لمن يتذكر أو يخشى ﴿ وقد آتيناك من لدنا ذكراً ﴾ القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

١٠٠- ﴿ من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزراً ﴾
إنما ، ويكون الإعراض بالتكذيب وترك العمل بموجبه .

١٠١- ﴿ خالدين فيه ﴾ في عقاب الوزر والإثم ﴿ وساء

لهم يوم القيامة حملًا ﴾ بشت الأحمال الثقال التي يروحون تحتها وهم ذاهبون إلى الله تعالى .

١٠٢- ﴿ يوم ينفخ في الصور ﴾ كناية عن بعث ما في القبور ، وتقدم في الآية ٧٣ من الأنعام و٩٩ من الكهف

اللغة:

ذكرأ يعني القرآن. ومن أعرض أي من كذب. والوزر في اللغة الثقل، والمراد به هنا العذاب. والصور قرن ونحوه ينفخ فيه.

الإعراب :

﴿فما خطبك؟﴾ مبتدأ وخبر. وفي البحر المحيط لأبي حنيفة الأندلسي ان ﴿لا مساس﴾ نفي بمعنى النفي أي لا تمسني، وعليه يكون لا مساس اسم فعل، وقيل: بل هو مصدر ماسه، ولا نافية للجنس ومساس اسم لا، والخبر محذوف أي لا مساس بيننا. ﴿خالدين﴾ حال من ضمير يحمل على معنى الجماعة. ﴿حملًا﴾ تمييز أي ساء الحمل حملًا. ويوم ينفخ بدل من يوم القيامة.

يَلْحِثَنِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٥﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يُسْمِرِي ﴿٩٦﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٧﴾ قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ يُخْلَفَ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٨﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٩﴾ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿١٠٠﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ﴿١٠١﴾ خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا ﴿١٠٢﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ

وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ۖ يَخْفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ۖ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ۖ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۖ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۖ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ۖ يَوْمَئِذٍ يَبْعَثُ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ ۖ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ۖ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفِيعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ۖ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ عِندَهُ ۖ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ۖ

﴿ ونحشر المجرمين يومئذ زُرْقًا ﴾ زرق الألوان من هول الطلع وروحات المفرع ﴿ يخفون بينهم ﴾ يقول بعضهم لبعض في السر : ﴿ إن لبثتم إلا عشراً ﴾ إن مكثتم في القبور إلا عشر ليال أو ساعات أو لحظات .

١٠٤- ﴿ نحن أعلم بما يقولون ﴾ وإن أسروا وأخفوا ﴿ إذ يقول أمثلهم طريقة ﴾ أعقلهم وأعلمهم : ﴿ إن لبثتم إلا يومًا ﴾ كل ما مضى وكان من أمرنا على وجه الأرض وفي بطنها يعادل يوماً واحداً ، والحياة الحقّة هي هذه التي نحن فيها الآن حيث لا أمد لها ولا نهاية .

١٠٥- ﴿ ويسألونك عن الجبال فقل ينفسها ربي نسفًا ﴾ .

١٠٦-١٠٧- ﴿ فيلدها قاعاً صاففاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ﴾ قيل للنبي (ص) : كيف تكون الجبال غدداً ، فجاء الجواب من السماء : يقتلعها سبحانه من أصولها ويصيرها غباراً ، ويدع أماكنها من الأرض لمساء لا عوج فيها ، والمراد به هنا الإنخفاض ولا أمتاً وهو الإرتفاع السير .

١٠٨- ﴿ يومئذ يبعثون الداعي ﴾ إلى الحساب والجزاء فيسرعون إليه حشياً أمر وأراد ﴿ لا عوج له ﴾ أي لدعوة الداعي أو لا أحد يميل عنها ﴿ وخشعت الأصوات للرحمن ﴾ خضعت وضعت ﴿ فلا تسمع إلا همساً ﴾ صوتاً خفياً .

١٠٩- ﴿ يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ﴾ في نهج البلاغة : لا شفع أنجح من التوبة ، أنظر تفسير الآية ٨٧ من مريم .

١١٠- ﴿ يعلم ما بين أيديهم ... ﴾ يحيط سبحانه علماً بخلقه ، ولا يحيطون بشيء من علمه ، وتقدم في الآية ٢٥٥ من البقرة .

١١١- ﴿ وعنت الوجوه للحي القيوم ﴾ قائم دائم لا يغفل ولا يذهل عن تدبير كل شيء ، وعنت : خضعت واستسلمت ﴿ وقد خاب من حمل ظلماً ﴾ للعباد معه إلى يوم القيامة ، قال الإمام علي (ع) : بش الزاد إلى المعاد العدوان على العباد .

١١٢- ﴿ ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً ﴾ عند الله سبحانه شرط ان يكون دائم الخوف من الله عز وجل ، على أن هذا الخوف يستحيل أن يفصل عن الإيمان والإيقان به تعالى بنص الآية ٢٨ من فاطر : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » وفي نهج البلاغة من خاف أمن .

الإعراب :

وزرقاً حال . وجلة يخفون حال ثانية . ﴿ وعشراً ﴾ نصب على الظرفية بتقدير مضاف أي مدة عشر ليالٍ أو ساعات . وطريقة تمييز . ﴿ قاعاً ﴾ حال . ولا عوج له ﴿ لا ﴾ نافية للجنس وعوج اسمه وله خبرها .

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَى وَلَهُ عِزًّا عِزًّا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَنْتَظِمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِرِزْوِكَ فَلَا يَخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿١١٩﴾ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَنْتَظِمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَآ يَبْئَلُ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لُهُمَا سَوْءٌ تُهْمَا وَطَفِيقًا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا

١١٣- ﴿ وكذلك ﴾ وكذلك ﴿ عطف على الآية ٩٩ وهي ﴾ كذلك نقص عليك ﴾ ﴿ أنزلناه قرآنًا عربيًا ﴾ ﴿ لأن محمداً عربي وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم - ٤ إبراهيم ﴾ ﴿ وصرفنا فيه ﴾ ذكرنا وكررنا في القرآن ﴿ من الوعيد لعلمهم يتقون ﴾ ويطيعون الله في جميع أحكامه ﴿ أو يحدث لهم ذكراً ﴾ يتذكرون الله ، إذا أذنبوا ويسألونه العفو والصفح .

١١٤- ﴿ فتعالى الله الملك الحق ﴾ يتصرف في ملكه بالحق والعدل والحكمة ﴿ ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يُقضى إليك وحيه ﴾ كان النبي يتابع جبريل في قراءة الوحي خوفاً أن يفوته شيء منه ، فأمره تعالى أن يصني ولا يتابع ، ولا يخشى النسيان ، وفي الآية ٦ من الأعلى : « ستقرئك فلا تنسى » ولا هنا نافية وليست ناهية أي لا تنسى أبداً ،

فكن في أمان ﴾ ﴿ وقل رب زدني علماً ﴾ على علم أنضع به وأنفع الآخرين ، وكان النبي (ص) يقول : إذا أتني عليّ يوم لا أزداد فيه علماً يقربني إلى الله فلا بارك الله لي في طلوع شمس .

١١٥- ﴿ ولقد عاهدنا إلى آدم من قبل ﴾ المراد بالعهد هنا قوله تعالى : « ولا تقربا هذه الشجرة - ٣٥ البقرة » ﴿ فَنَسَى ﴾ فاقتراب من الشجرة وأكل منها ﴿ ولم نجد له عزماً ﴾ قوة إرادة .

١١٦- ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا ... ﴾ واضح ، وتقدم في الآية ٣٤ من البقرة وغيرها ..

١١٧- ١٢٠- ﴿ قلنا يا آدم إن هذا عدو ... ﴾

حذر سبحانه آدم من الشيطان ، وأنه عدوه اللدود ، يريد له كل شر ، بل ويريد أيضاً أن يقول الله : إن هذا الذي فضله عليّ وأمرتني أن أسجد له قد عصاك وخالفك كما خالفتك وعصيتك ، وإذن لا معنى لأمرك ولا مبرر لتفضيلك تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . وأيضاً بين سبحانه لآدم بصريح العبارة أنه يشقى هو وذريته بالخروج والطرود من الجنة إن استمع لوسوسة الشيطان ، ومع كل ذلك أقدم آدم وزوجته على ما حذرنا منه .

١٢١- ﴿ فأكلا منها فبنت لهما سواتهما ... ﴾ تقدم في الآية ٢٢ من الأعراف .

الإعراب :

﴿ قرآنًا ﴾ حال ، و﴿ عربيًا ﴾ صفة . و﴿ علمًا ﴾ تمييز لأنه بمعنى زاد علمي ، ويجوز أن يكون مفعولاً ثانياً لزدي على أن تكون زدي متضمنة معنى العطاء . والمصدر من لا تجوع اسم ان ولك خير . والمصدر من أنك لا تطعم عطف على المصدر من ان لا تجوع .

١٢٢- ﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَقَتَبَ عَلَيْهِ ﴾ أيضاً تقدم في الآية ٣٧ من البقرة .

١٢٣- ﴿ قَالَ اهْبِطْ مِنْهَا جَمِيعاً ﴾ الخطاب لآدم وإبليس ، ومنها اللجنه ﴿ بعضكم لبعض علو ﴾ وعداوة الشيطان بترين السيئات ، عداوة آدم وأبنائه بتكرار اللعنات ﴿ فإِذَا يَأْتِيَكُم مِّنِّي هُدًى ﴾ بلسان الأنبياء والعلماء ﴿ فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ﴾ وهدى الله سبحانه أن تعمل لأخرك ودينك ، وتكف عن الناس أذاك .

١٢٤-١٢٥- ﴿ ومن أعرض عن ذكرى ﴾ عن الحق والعدل ﴿ فإن له معيشة ضنكاً ﴾ ضيقة حتى ولو رأوا أنفسهم ورأهم الناس في بحبوحة العيش وسعته ، لأن الأمور بخواتيمها ، قال سبحانه : ﴿ فلا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله ليُعَذِّبَهُمْ بها في الحياة الدنيا وترحق أنفسهم وهم كافرون - ٥٥ التوبة ﴾ وقال الإمام علي (ع) : ما قال الناس لشيء : طوبى له ، إلا وقد خيأ له الدهر يوم سوء ﴿ ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ لأنه في الحياة الدنيا لم ير إلا ذاته ومنافعه الشخصية .

١٢٦- ﴿ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴾ وليس المراد هنا نسيان الأعمى كلمات القرآن وآياته اللفظية ، بل المراد عدم العمل بموجبها ، وأن الأعمى أهلها وأعرض عنها ، فكذلك يهمله سبحانه غداً ويعرض عنه جزاءً وفاقاً .

١٢٧- ﴿ وكذلك نجزي من أسرف ﴾ في طغيانه وترده على الحق ﴿ ولم يؤمن بآيات ربه ﴾ أو آمن قولاً لاعمالاً وظاهراً لا واقعاً .

١٢٨- ﴿ أفلم يهد لهم ﴾ بين الله ورسوله للمجرمين المعاندين ﴿ كم أهلكنا قبلهم من القرون ﴾ كفوم نوح وعاد وثمود ﴿ يمشون في مساكنهم ﴾ أي أن المجرمين المعاندين يشاهدون آثار من أهلكنا قبلهم لظلمهم ، ويمشون في ديارهم ومع ذلك لا يعتبرون ويتعظون .

١٢٩- ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك ﴾ وهي قوله تعالى : ﴿ يدعوكم ليعفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى - ١٠ إبراهيم ﴾ قضى سبحانه وقدر أن لا يعاجل المذنب بالقوبة ، بل يدعوه إلى التوبة ، فإن استجاب فكأنه لم يذنب وإلا ﴿ لكان ﴾ العقاب ﴿ لزماً ﴾ لازماً لا محالة ﴿ وأجل ﴾

الإعراب :

﴿إِذَا﴾ كلمتان : ان الشرطية وما الزائلة . و﴿أَعْمَى﴾ حال من هاه نحشره . وفاعل يد عذوف أي أفلم يد الله لهم . و﴿كَمْ﴾ في موضع نصب بأهلكنا . وأجل مسمى عطوف على كلمة ، أي ولولا كلمة ﴿وأجل مسمى﴾ .

مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَقَتَبَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٢٣﴾ قَالَ اهْبِطْ مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَلِمَا بَأْسْتُمْ مَنِّي هُدًى فَنَزَعْتُهُمْ هُدًى فَلَآ يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١٢٥﴾ قَالَ رَبِّ لِرَحْشَرَتِي أُعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً ﴿١٢٦﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴿١٢٧﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿١٢٨﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى ﴿١٢٩﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَاماً وَأَجَلٌ

مسمى ﴿ أي يقع العذاب في الوقت المحدد .

١٣٠- ﴿ فاصبر ﴾ يا محمد ﴿ على ما يقولون ﴾ بأنك ساحر وشاعر وما يشبه ذلك ﴿ وسبح بحمد ربك ﴾ لا على حبات المساح ، بل بالاتجاه إليه ، والتوكل عليه ، والصلاة الخالصة المخلصة التي تنهى عن الفحشاء ﴿ قبل طلوع الشمس ﴾ صلاة الفجر ﴿ وقبل غروبها ﴾ صلاة العصر ﴿ ومن أناء الليل ﴾ صلاة المغرب والعشاء ﴿ وأطراف النهار ﴾ صلاة الظهر ، وأطلق سبحانه طرف النهار على الزوال بالنظر إلى أنه الطرف الأخير للنصف الأول من النهار ، والطرف الأول للنصف الثاني منه ﴿ لعلك ترضى ﴾ بما يعطيك ربك على طاعتك وجهادك وإخلاصك .

١٣١- ﴿ ولا تمننن عنيك ... ﴾ تقدم في الآية ٨٨ من الحجر .

١٣٢- ﴿ وامر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ﴾ أي لا يؤثر عليها أي عمل من الأعمال ﴿ لا نسألك رزقاً ﴾ لا تظن أن الصلاة تمنحك عن العمل من أجل الرزق ، فانت لا ترزق نفسك حتى مع العمل ، بل ﴿ نحن نرزقك ﴾ الكثير بالعمل اليسير ﴿ والعاقبة للتقوى ﴾ للمؤمنين معاصي الله ومحارمه في السر والعلانية .

١٣٣- ﴿ وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه ﴾ تقدم مرات ، منها في الآية ١١٨ من البقرة ﴿ أولم تأتوهم بيعة ما في الصحف الأولى ﴾ إن كان الجاحدون يطلبون البيعة حقاً لا تمتناً ، فهذا القرآن هو بيعة النيات ومعجزة المعجزات ، وفيه من العقائد

والأحكام والأخلاق والعلوم والقصص ، ما في الكتب المتقدمة وزيادة فإنه المهيمن عليها والمصدق بما فيها من وحي السماء .
١٣٤- ﴿ ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله ﴾ لو أن الله سبحانه عاقب المكذبين في الدنيا أو الآخرة قبل أن يرسل إليهم رسلاً وينزل عليهم قرآناً ﴿ لقالوا لولا أرسلنا رسلاً فنتبع آياتك ﴾ ولكنه تعالى قطع كل عذر يتعللون به بما أراهم من آياته في أنفسهم وفي الآفاق والكتب وعلى ألسنة الرسل ، ومع ذلك جحدوا وعاندوا ، وما آمنوا حتى مسهم العذاب .

١٣٥- ﴿ قل كل متربص فتربصوا ... ﴾ قل يا محمد للذين كذبوا بك وبالقرآن : مهلاً فستعلمون من هو المحق الرابع غداً . انظروا ، إننا منتظرون . وتقدم في الآية ١٥٨ من الأنعام وغيرها .

الإعراب :

﴿ زهرة ﴾ مفعول لفعل محذوف أي جعلناها زهرة الحياة الدنيا ، ويمحز أن تكون عطف بيان من الأزواج . ﴿ وللتقوى ﴾ على حذف مضاف أي لاهل التقوى . ﴿ لولا ﴾ من أدوات الطلب بمعنى ملاً . والمصدر من أنا أهلكناهم فاعل لفعل محذوف أي لو ثبت أهلكنا إياهم . ﴿ فنتبع ﴾ منصوب بأن مضمر بعد الفاء لوقوع الفعل في جواب الطلب . وكل أي كل واحد . ﴿ ومن أصحاب الصراط ﴾ ومن استقاهم مبتداً ، وأصحاب خبر ، والجملة في محل نصب يستعلمون . ﴿ ومن اهتدى ﴾ عطف على من أصحاب الصراط .

مُسْمًى ﴿ فَاَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَاهُ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلَكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى ﴿ قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَبُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى ﴿

سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَمِنْهَا الْفَتْحَةُ وَالْجُزْءُ الْخَامِسُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(٢١) سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ مَكِّيَّةٌ
وَأَنْبِيَائُهَا اثْنَتَا عَشْرَةً وَمِنْهَا الْفَتْحَةُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾
مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا أَسَمَعُوهُ وَهُمْ
يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأَ النَّجْوَى الَّذِينَ
ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَاءَ أَنْتُمْ
تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قُلْ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلْ
أَفْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أَرْسَلْنَا وَلُونَ ﴿٥﴾
مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾

١- ﴿ اقرب للناس حسابهم ﴾ في يوم القيامة ،
والمراد بالقراب أن كل آت قريب ، وفي نهج البلاغة : من
كانت مطيته الليل والنهار فإنه يسار به وإن كان واقفاً ، ويقطع
المسافة وإن كان مقبياً ، وادعاً ﴿ وهم في غفلة ﴾ عما يرد
بهم ﴿ معرضون ﴾ عن سبيل الهدى والنجاة .

٢- ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ﴾ المراد
بالذكر القرآن ، وبمحدث التجديد في الحياة والتقاليد ﴿ إلا
استمعوه وهم يلعبون ﴾ لأنهم أعداء التطور والتجديد وإن
كان الأفضل والأكمل ، وأنصار الجمود والجلود وإن كانوا
لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون .

٣- ﴿ لاهية قلوبهم ﴾ عن الحق والخير ﴿ وأسروا
النجوى الذين ظلموا ﴾ الذين بدل من واو أسروا ، والنجوى :
حديث السر ﴿ هل هذا إلا بشر مثلكم أفأتأتون السحر وأنتم
تبصرون ﴾ أسر بعض المشركين لبعض وقالوا : من هو محمد
حتى يُسمع له ويُطاع ؟ إنه تماماً كأحدكم ، فكيف اختص
بالوحي من دونكم ؟

٤- ﴿ قال ﴾ محمد : ﴿ ربِّي يعلم القول في السماء
والأرض ﴾ ومن أحاط علماً بكل قول وفعل يعلم أن قول
محمد (ص) حق وصدق ، وقول أعدائه زور وبهتان .

٥- ﴿ بل قالوا أضغاث أحلام ﴾ أضغاث منامات لا
أصل لها ولا أساس من الواقع ﴿ بل افتراه بل هو شاعر ﴾
وإن دل هذا الإضطراب والتخبط في الأقوال والآراء عن

محمد (ص) والقرآن على شيء - فإنه يدل على أنهم هم الحاملون الواهمون وأن محمداً (ص) هو الصادق المحق .

٦- ﴿ ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون ﴾ قال أعداء محمد (ص) : نرفض كل معجزة يأتيها بها إلا
معجزة تقترحها نحن . فأجابهم سبحانه بأن بعض الأمم اقترحوا على أنبيائهم نوعاً معيناً من المعجزات كثافة صالح ، ولما استجابوا
لهم رفضوا الإيمان ، وأصروا على الكفر ، فأهلكهم الله سبحانه ، وعين الشيء يحدث لأعداء محمد (ص) لو استجاب
لاقتراحهم .

الإعراب :

من ذكر ﴿ من ﴾ زائدة إعرابياً وذكر فاعل يأتيهم . ﴿ ومن ربهم ﴾ متعلق بمحذوف صفة للذكر . ومحدث صفة ثانية . ﴿ ولاهية ﴾ حال
من واو يلعبون . والذين ظلموا بدل من واو أسروا . ومثلكم صفة لبشر . واضغاث أحلام خبر مبتدأ محذوف أي هو اضغاث احلام .

٧- ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ

تقدم بنصه الحرفي في الآية ٤٣ من النحل .

٨- ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴾ ليس الأنبياء أرواحاً بلا أجسام ، ولا خالدين لا يموتون ... إنهم تماماً كغيرهم من الناس لا يمتازون عنهم في شيء إلا في التبليغ عن الله سبحانه .

٩- ﴿ لَمْ يَصِدْقَاهُمْ الْوَعْدَ ﴾ وهو أن الله يهلك أعداء الأنبياء ﴿ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمِنْ نَشَاءٍ ﴾ أنجى المسلمين من الهلاك ومن تبعهم من المؤمنين ﴿ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴾ في الضلال والفساد .

١٠- ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ أيها العرب ، وكنتم من قبله من الضالين المتخلفين . قال المفكر الفرنسي « بيزدويه » : إن محمداً أزكى ثمرة لأطيب شجرة نبتت في جزيرة العرب ، بيده كتاب لا يزال غضاً نضراً ، لم يطرأ عليه الذبول ، ولم تغيّرهُ الأيام رغم مرور أربعة عشر قرناً .

١١- ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾ كان في القرون الخالية أمم غرّتهم الحياة الدنيا ، فأهلكهم سبحانه بذنوبهم ، وأتى بغيرهم من عباده ، وفيه تهديد للذين كذبوا محمداً (ص) وتقدم في الآية ٦ من الأنعام .

١٢- ﴿ فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسَآ إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴾

حين أيقنوا بوقوع العذاب حاولوا الهروب والنجاة ، ولكن أين المفر والإله الطالب ؟

١٣- ﴿ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ ﴾ حين ينزل العذاب بالطغاة يفرون هاربين لا يلون على مال وبنين ، فيقال لهم نهكماً وتوبيخاً : إلى أين ؟ ارجعوا إلى ترف الحياة وبهجتها التي ركنتم إليها واعتزتم بها ﴿ لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ ﴾ كيف تركتم ما كنتم به تباهون وتفتخرون .

١٤- ﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ ولكن الحشرات لا ترجع ما قد فات .

١٥- ﴿ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴾ يكررون الدعاء بالويل على أنفسهم ، و نكرر تعذيبهم حتى تجمد حركاتهم ، وتخمد أصواتهم .

١٦- ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴾ بل لحكم بالفة ، منها الدلالة على ذاته تعالى وصفاته كما في الآية ٤٤ من العنكبوت ، ومنها أن تجزى كل نفس بما كسبت كما في الآية ٢٢ من الجاثية .

١٧- ﴿ وَلَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَآتَخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا ﴾ اللهو والعبث محال في حق من يقول للشيء كن فيكون ، ولو أراد اللهو خلقه بقدرته ، ولكنه لا يريد ولا يفعله .

الإعراب :

﴿ جَسَدًا ﴾ مفرد في موضع الجمع أي ذوي أجساد ، ولذا أعاد عليه ضمير الجمع في يأكلون . فيه ذكركم مبتدأ وخبر ، والجملة صفة

١٨- ﴿بَلْ تَقِفْ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ سبحانه لا يلهو ولا يهزأ أو يعث ، بل ينزل القرآن ، وفيه الدليل القاطع الذي يحق به الحق ، ويبطل الباطل﴾
﴿ولكم الويل مما تصفون﴾ وتفترون من نسبة الصاحبة إليه تعالى والولد والبنات والله وما إلى ذلك من صفات المصنوعين .

١٩- ﴿وَلَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لماذا الله والولد ؟ وفي قبضته كل شيء ، وإليه مصير العباد ﴿ومن عنده﴾ أي ومن له وجاهة ومكانة عند الله ﴿لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون﴾ لا يعيرون ولا يملكون .

٢٠- ﴿يَسْجُدُونَ لِلَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَا يَفْتُرُونَ﴾ لا يسامون بل هم دائبون على الطاعة في القول والعمل .

٢١- ﴿أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ﴾ من أنخص خصائص الآله وصفاته أن يوجد الأحياء وينشر الموتى ، وآلهة المشركين أضعف وأقر .

٢٢- ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ ضمير فيها للسموات والأرض وإلا بمعنى غير صفة للآلهة ، ووجه الاستدلال في هذه الآية على التوحيد ما أشار إليه سبحانه في الآية ٩١ من «المؤمنون» : «وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق - أي لتمييز ملك كل إله عن ملك الآخر وهو خلاف الواقع - ولعلأ بعضهم على بعض» أي لحدث بين الآلهة تحارب وتغالب تماماً كما هو الشأن في الملوك والرؤساء ، وبيئاً فيما سبق أن كل واحد من الإلهين لا يخلو من أحد فرضين : إما قادر على الإستقلال في الخلق فوجود الثاني لزوم ما لا يلزم ، وإما عاجز عنه فالعجز نقص ، وتعالى الله عن هذا وذلك .

٢٣- ﴿لَا يُسألُ عَمَّا يُفْعَلُ وَهُمْ يُسألُونَ﴾ فعله وقوله سبحانه هما الحق والعدل والصدق ، والحق دليل لا مدلول والعدل حاكم لا محكوم ، والصدق سائل لا مسؤول وإلا فلا صدق ولا عدل ولا حق أول ولا مبدأ على الإطلاق .

٢٤- ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾ تقولون : لله شريك ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ وأنا أول العابدين إن كنتم صادقين ﴿هذا ذكر من معي﴾ أي هذا القرآن الذي معي ﴿وذكر من قبلي﴾ والكتب التي قبلي ليس فيها للشرك عين ولا أثر ﴿بل أكثرهم لا يعلمون الحق﴾ ويقولون بالجهل والعمى .

٢٥- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ وقالوا

الإعراب :

ام اتخذوا ﴿أم﴾ هنا منقطعة بمعنى بل والهمزة . وإلا الله ﴿إلا﴾ بمعنى غير صفة للآلهة ، ولا يجوز أن تكون ﴿إلا﴾ للاستثناء ، حيث يصير المعنى أنه لو كان الله مع الآلهة لا يقع الفساد ، وإنما يقع إذا كانوا وحدهم فقط . هاتوا اسم فعل بمعنى اتوا . هذا ذكر من معي مبتدأ وخبر ، ومعني صلة لمن . و﴿عباد﴾ خبر لمبتدأ محذوف ، هـ . هم عباد .

٢٦- ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ... ﴾ تقدم مراراً
منها في الآية ١١٦ من البقرة .

٢٧- ﴿ لَا يَسْقُونَهُ بِالْقَوْلِ ﴾ لا يسقونهم بين يديه
تعالى بشيء ﴿ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ ولا يخالفونه في شيء .

٢٨- ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ ما هم فيه الآن ﴿ وَمَا
خَلْفَهُمْ ﴾ وما كانوا عليه بالأمس ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ
ارْتَضَى ﴾ أعماله ومقاصده ، ولكن بدر منه بعض الفلوات .

٢٩- ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ ﴾ فجزاؤه جهنم .

٣٠- ﴿ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ كان الكون بمجموعه كتلة واحدة ،
ثم فتقت إلى ذوات تسبح في القضاء الربح ، وكل من الأرض
والشمس والقمر والزهرة والمريخ وغير ذلك من الكواكب
ذرة من هذه الذرات . وهذه الحقيقة التي أعلنها القرآن الكريم
منذ ١٤ قرناً ، اهتدى إليها العلم الحديث منذ أمد قريب .

والحقيقة الثانية التي أثبتتها العلم هي لا حياة بلا ماء ، وإليها
أشار سبحانه بقوله : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا
يُؤْمِنُونَ ﴾ بالله وعظمته ومعجزات كتابه وقرآنه تزداد قوة
ووضوحاً مع الزمن وتقدم العلم إلى الأمام .

٣١- ﴿ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا ﴾ جبلاً أرسى بها
الأرض وثقلها ﴿ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ ﴾ لتلا تضطرب بأهلها
﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا ﴾ فجوة وثرة هنا وهناك ليسلك الناس
فيها من بلد إلى بلد لأن الجبل حائل يصعب التسلسق إلى قمته ،
ثم المربوط إلى أسفله ﴿ سَبَلًا ﴾ طرقات ﴿ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ في

أَتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾
لَا يَسْقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ
خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ * وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ
دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾
أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا
رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ حَتَّى
أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا أَنْ تَمِيدَ
بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سَبَلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾
وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفًاقًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا
مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ
وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ

أسفارهم إلى ما يقصدون .

٣٢- ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفًاقًا ﴾ أي مثل السقف في رؤية البصر ﴿ مَحْفُوظًا ﴾ فكل كوكب يدور في فلكه ،
ولا يتعداه بفعل الجاذبية .

٣٣- ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴾ تقدم في الآية ١٢ من النحل ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾
كل كوكب يدور في فلكه الخاص به وحده . وفي تفسير ابن كثير أن ابن عباس تلميذ الإمام علي (ع) قال : يدور الكوكب
كما يدور المنزل في الفلكة ، وفلكة المنزل : قطعة صغيرة مستديرة في أعلاه .

٣٤- ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ ﴾ تمنى لخصوم

الإعراب :

﴿ فَلَذَلِكَ ﴾ مبتدأ ، وجملة نجزية خبر . وكذلك الكاف بمعنى مثل ، وهي في محل نصب صفة لمفعول مطلق محذوف أي جزء مثل
ذلك . المصدر من ﴿ أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ مفعول يَز . ﴿ وَرَتْقًا ﴾ على حذف مضاف أي ذواتي رتق . وهي صفة لشيء . والمصدر من أن
تميد مفعول من أجله لجعلنا ، وجعلنا هنا بمعنى خلقنا . وسبلاً مفعول ، ﴿ وَفِجَاجًا ﴾ حال من سبل ولو تأخر فِجَاج لكان وصفاً .

محمد (ص) أن يموت ، فقال سبحانه : ﴿ أَفَأَنْ مَت ﴾
يا محمد ﴿ فَمِ الْخَالِدُونَ ﴾ الموت سبيل كل حي .

٣٥- ﴿ وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ كل إنسان يُبْتَلَى وَيُمْتَحَنُ بالشدة والرخاء والصحة والأدواء ، وأيضاً بالحلال والحرام والطاعة والمعصية ، وهنا يعرف الأصيل من الدخيل والتقي من الدعي ﴿ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ لتجزى كل نفس بما كسبت .

٣٦- ﴿ وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَخْلُتُوا إِلَّا هَرْوَاءً ﴾ ولماذا الهراء والسخرية بمحمد ؟ لأنه يقول : الناس سواسية كأسنان المشط ، وأيضاً يقول : الذين المعاملة ! وفوق ذلك أنكروا عبادة الأحجار والأصنام ! ولهذا المنطق الآن وفي كل زمان أنبياء وأنصار ! والإختلاف في المظهر لا في الجوهر ، أوما سمعت أولئك الذين يسمون من ينصرون العدالة والمساواة مخرباً وهداماً ، والمؤمن المخلص جامداً ورجعياً ﴿ أَهْلُوا الَّذِينَ يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ ﴾ بأنها أحجار لا تضر ولا تنفع ! لقد تجاوز كل حد ! وكل مصلح ومجدد له خصوم من هذا النوع .

٣٧- ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ سَأَرَيْكُمْ سَاءَ بَآئِي فَلَاسْتَغْبِطُونَ ﴾ لما استهزئوا بالرسول الله (ص) ظن بعض المؤمنين أن الله سبحانه سيعاجلهم بالإنقام ، فقال ، عظمت كلمته : إن الله يهمل ولا يهمل . وفهم بعض المفسرين من الآية الدلالة على أن الإنسان عجول بالطبع والفترة ! وهذا يناقض النهي عن العجلة ، لأن ما بالذات لا يكون موضوعاً لأمر أو نهي وعليه ففتت الإنسان بالعجول أو الكفور أو البؤوس وما أشبهه - وهو تفسير لسلكه بالنظر إلى بعض مواقف ، وليس تحديداً لطبيعته وهويته .

٣٨- ﴿ يَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ واضح ، وتقدم مرات ، منها في الآية ٧٠ من الأعراف .

٣٩- ﴿ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ ﴾ يستعجلون عذاب النار ، وهم أضعف من أن يستطيعوا عليها صبراً ، ولها رداً أو يجدوا منها مهرباً ، وكمن مستعجل أمراً لو أتاه لضاق به ، وتمنى أنه لم يأت .

٤٠- ﴿ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً تَتَنَجَّلُونَ ﴾ تأتيتهم الساعة فجأة بلا سابق إنذار ﴿ فَتَنَهُمْ ﴾ فتذرعهم ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا يَسْتَظْهِرُونَ ﴾ أبداً لا حيلة ولا وسيلة ، ولا إيهال وقيل وقال :

٤١- ﴿ وَلَقَدْ اسْتَهْزِئَ بِرَسُولٍ مِنْ قَبْلِكَ ... ﴾ واضح ، وتقدم في الآية ١٠ من الأنعام .

٤٢- ﴿ قُلْ مَنْ يَكْذِبُكُمْ ﴾ يحرسكم ويحفظكم ﴿ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ ﴾ مهما احتاط الإنسان ، وبالع في التحفظ من المخبات والمفاجآت فلا ينجو منها إلا بعناية من الله وتوفيقه فكيف يحترس ويسلم من قضائه وقدره .
الإعراب :

وقال صاحب مجمع البيان فجاءاً مفعول ، ﴿ وَسَبِيلًا ﴾ بدل منه ، والمعنى صحيح على الإعراب . وكل مبتدأ وجملة يسبحون خبر وبي فلك متعلق بيسبحون . ﴿ وَفِتْنَةً ﴾ مفعول مطلق لتبلوكم مثل قمت وقفوا ، وإن يتخذونك ﴿ أَنْ ﴾ نافية ، وهزواً مفعول ثانٍ . وهم الأولى مبتدأ ، وكافرون خبر ، وبذكر الرحمن متعلق بكافرين . وهم الثانية تأكيد لفظي لهم الأولى . حين مفعول به يعلم أي يعلم الوقت . وجواب لو محذوف أي لو يعلم الكافرون .. لانتهوا . وبنته مصدر في موضع الحال من مفعول تأتيتهم أي تأتيتهم مبغوتين

قَبْلَكَ الْخُلْدَ أَفَلَا يَنْ مَتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَا ذِيقَةٍ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَخْلُدُونَكَ إِلَّا هَرْوَاءً أَهْلُوا الَّذِينَ يَذْكُرُوا إِلَهَتَكُمْ وَهُمْ يَذْكُرُوا الرَّحْمَنَ هُمْ كَافِرُونَ ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ سَأَوْرِيكُمْ ءَايَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿ وَلَقَدْ اسْتَهْزِئَ بِرَسُولٍ مِنْ قَبْلِكَ فَخَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ قُلْ مَنْ يَكْذِبُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ

٤٣- ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا﴾ إذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ﴾ هؤلاء الذين تستجيرون بهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ، وتقدم في الآية ٧٦ من المائدة وغيرها ﴿وَلَا هُمْ مِنْنا يَصْحَبُونَ﴾ يجارون فكيف يجيرون .

٤٤- ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ قل إنما أنذركم بالوحي ﴿لَا يَسْمَعُ الصَّمُ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُبْدُرُونَ﴾ ولين مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يويلنا إنا كنا ظالمين ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرنا للمتقين ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ وهذا ذكر مبارك أنزلناه

٤٥- ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾ قل يا محمد هؤلاء الجاحدين الساعرين : أنهرأون بي وبالقرآن ؟ وما أتيتكم بشيء من عندي . إنه لقول الفصل وما هو بالهزل من العلي القدير ، أنذرهم به وكفى ، وهو أعلم بي وبكم ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصَّمُ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُبْدُرُونَ﴾ وكيف تسمعون التحذير والإنذار ، وفي أذانكم وفر وصمم .

٤٦- ﴿وَلَنْ مَسْتَهْمُ نَفْحَةٍ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾ لذعة خفيفة من نار جهنم ﴿لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا ...﴾ تقدم في الآية ١٤ من هذه السورة .

٤٧- ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ وليس المراد بالموازين هنا ما لكل واحد منها كفتان وعمود ولسان ، بل المراد أحكام الله وشريعته ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ بل

إن تلك حسنة بضاعها ، وإن تلك سيئة فواحدة بواحدة يعيפו عن كثير ﴿وَكُلُّي بِنَا حَاسِبِينَ﴾ حتى عدد أنفاس الخلائق بلا عقل الكروني ، وفي نهج البلاغة : أن عليكم حفاظ صدق يحفظون أعمالكم ، وعدد أنفاسكم ، لا تستركم منهم ظلمة ليل داج ، ولا يكتنكم منهم باب ذو رجاج .

٤٨-٤٩- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾ وصف الله سبحانه بصفات يهتر لها العرش .

٥٠- ﴿وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكٍ﴾ القرآن الكريم الذي أنقذ الإنسانية من دياجير الجهل والضياغ ، وهداها الطريق السوي السليم ﴿أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ ؟ فاتوا بسورة من حطابن كتتم صادقين .

الإعراب :

وام لهم ﴿ام﴾ مقطعة بمعنى بل ، وجملة تمنعهم صفة للآفة ، وجملة لا ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾ مستأنفة لا محل لها من الإعراب . والمصدر من أنا ناتي مفعول يرون أي أفلا يرون آياتنا الأرض . ﴿إِذَا مَا﴾ زائدة إعراباً . ﴿وَالْقِسْطُ﴾ صفة للموازين على حذف مضاف أي ذوات القسط . ﴿وَشَيْئًا﴾ مفعول مطلق لتظلم لأنه بمعنى ظلماً . والباء في بنا زائدة وضمير ﴿نَا﴾ فاعل ، وحاسبين تمييز لأنه بمعنى من حاسبين ، ويجوز أن يكون حالاً . ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ﴾ بدل من المتقين .

٥١- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾ الهداية صغيراً ،
والنبوة كبيراً ﴿مِنْ قَبْلِ﴾ الذين جاؤوا بعده كموسى وعيسى
﴿وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ إنه أهل للنبوة «الله أعلم حيث يجعل
رسالته - ١٢٤ الأنعام» .

٥٢- ﴿إِذْ قَالَ لِأَيُّهُ وَقَوْمَهُ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ﴾
هذا هو الرشد الذي آتاه الله لإبراهيم : الثورة على الجبل
والخرافة .

٥٣- ٥٤- ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾ ولا
تبديل وتغيير لما كانوا يفعلون .

٥٥- ﴿قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ﴾ ؟ استبعدوا أن يكون
جاداً لأنهم لم يسمعوا مثل هذا من قبل .

٥٦- ﴿قَالَ بَلْ رِبِّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
وليست هذه التماثيل إلا أسماء من غير سميات .

٥٧- ﴿وَنَالَهُ لَكِبْدٌ أَصْنَامِكُمْ بَعْدَ أَنْ تَوَلَّوْا مَدِيرِينَ﴾
لأنركنها محطمة مهشمة من حيث لا تشعرون .

٥٨- ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾
يرجعون ﴿حَطَمَ إِبْرَاهِيمُ الْأَصْنَامَ﴾ وجعلها قطعاً متلاشية ،
وترك أكبرها عن قصد كي يسأله عن الجاني ، ولا يجب كما
تأتي الإشارة .

٥٩- ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾
وكان الأجدر أن يتساءلوا : لماذا لم تدافع الآلهة عن نفسها ،
وتفعل بالجاني قبل أن يفعل بها ، أو يسخروا منها - على الأقل -

كما سخر الأعرابي من صنمه حيث قال : «أرب يسول الثعلبان بوجهه

لقد ذلَّ من بالث عليه الثعلاب

٦٠- ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ يذم الأصنام ومن يعبدها ، ويقول : لأكيدنها وأحطمنها .

٦١- ﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ أرادوا أن يستجوبوه ويحاكموه محاكمة علنية ، ويعاقبه
على جريمته ليتعظ به من يحاول النيل من مقام الآلهة .

٦٢- ﴿قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا﴾ ؟ أتوا بإبراهيم على ملأ من الناس ، وكانت هذه أمنيته ليقيم عليهم الحجة بأنهم
في ضلال مبين ، وحين وجهوا إليه هذا السؤال .

الإعراب :

﴿التماثيل﴾ حطف بيان أو بدل من هله ، والتي بدل من التماثيل . والذي فطرهن بدل ﴿من رب السموات﴾ . و﴿مدبرين﴾ حال
مؤكدة . و﴿كبيراً﴾ مستثنى متصل . وله خبر مقدم وإبراهيم مبتدأ مؤخر . ﴿عل أعين الناس﴾ متعلق بمحذوف حالاً من ضمير به أي
مربياً على أعين الناس .

٦٣- ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ ومن الواضح أن إبراهيم ما أراد الخبر والحكاية عن الواقع كما يقال : كذب في ذات الله كما روى أبو هريرة عن النبي ، وإنما أراد توبيخهم وإقامة الحجة عليهم بدليل قوله : ﴿ فاسألوهم إن كانوا ينطقون ﴾ ما هذا التناقض ؟ آفة ولا تشعر ! ولا غرامة فإن العقل الخرافي يقبل التناقض والأساطير ، وينأى عن التحليل والتحليل حتى ولو رجع إلى الصواب في لحظة طارئة ، فإنه يرتد عنه إلى الخرافة والجهالة كما قال سبحانه :

٦٤- ﴿ فرجعوا إلى أنفسهم ﴾ تساءلوا : كيف نعيد أحجاراً لا تدفع السوء عن نفسها ؟ فقالوا إنكم أنتم الظالمون ﴿ وليس إبراهيم ، ولكن سرعان ما عادوا إلى الخرافة التي غمرت عقولهم ونفوسهم .

٦٥- ﴿ ثم نكسوا على رؤوسهم ﴾ والنكسة : الوقف على الرأس ، والمراد بها هنا الرجوع عن الإقرار بالحق إلى الباطل وإصرارهم عليه في قولهم : ﴿ لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ﴾ انتزع إبراهيم (ع) الإقرار بأن أربابهم لا تحس ولا تشعر ليقول :

٦٦-٦٨- ﴿ قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم ﴾ وهذه حجة مفحمة ، وبينة لازمة ولكن ثم ماذا ؟ ما داموا لا يدركون ويتدبرون كما خاطبهم إبراهيم (ع) : ﴿ أفلا تعقلون ﴾ بأن هذه أحجار صماء ؟ ﴿ قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ﴾ وهنا العكس والنكس حيث ينتصر المربوب لربه والمخلوق لخالفه ! ولكن العقل ٦٩- ﴿ قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم ﴾ وإن قال قائل : كيف بردت النار وهي محرقة بالطبع ؟ قلنا في جوابه : إن القوانين العقلية الرياضية هي التي يجب إطرادها ويستحيل نقضها وخرقها مثل الدور غير المربع والمثلث له ثلاثة أضلاع ، أما القوانين الطبيعية فنقضها وتحالفها ممكن عقلاً ممنوع عادة مثل الحديد يتمدد بالحرارة ، فإن العقل لا يرى أي تناقض في أن توجد الحرارة ولا يتمدد الحديد ، وأن لا تؤدي النار إلى الإحراق ، وشرب السم إلى القتل ، ولا شيء أدل على ذلك من أن العلم بالقضايا الطبيعية مصدره الحس والتجربة أما القضايا الرياضية فمصدر العلم بها القطر وبديه العقل ٧٠- ﴿ وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأَخْسَرِينَ ﴾ وأوقدوا النار لحرقوه بها ، فكانت من معجزاته والدليل القاطع على صدقه ونبوته وعلى كذبهم وضلالهم ٧١- ﴿ ونجيناه لوطاً إلى الأرض ﴾ ارتحل إبراهيم (ع) هو وابن أخيه لوط من العراق إلى فلسطين ﴿ التي باركنا فيها ﴾ لكثرة أنبيائها .

٧٢- ﴿ ووهبنا له ﴾ لإبراهيم ﴿ إسحق ﴾ وهوب سبحانه لإسحق ﴿ يعقوب نافلة ﴾ عطية من غير سؤال ٧٣-٧٤- ﴿ وجعلناهم أمة يهلون بأمرنا ﴾ الإمام الحق هو الذي يبدأ بنفسه ، ويكون القدوة الحسنة والمثل الأعلى في العمل بما يدعو إليه ، وتنحصر مهمته بالهداية إلى طاعة الله سبحانه التي تنير إليها كلمة « بأمرنا » وحده ، جل وعز ، هذه الطاعة بقوله : ﴿ وأوحينا إليهم فعل الخير وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ﴾ والمراد بالخيرات كل ما ينفع به الناس من قول أو رأي أو عمل ، وبالصلاة والزكاة الفروض المالية والجسدية المذكورة في كتب الفقه .

فَعَلَتْ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٣﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَلُّوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٦﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٧﴾ أَفِ لَكُمْ لَذَّةٌ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٩﴾ قُلْنَا يَنْتَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿٧٠﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧١﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴿٧٣﴾ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٤﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ

٧٥- ﴿وَلَوْطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ فاصلاً في النزاع والخلاف بين الناس ﴿وعلمًا﴾ بدين الله وشريعته ﴿ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الفجائث ...﴾ تقدم مفصلاً في الآية ٨٠ وما بعدها من الأعراف والآية ٧٧ وما بعدها من هود .

٧٦-٧٧- ﴿ونوحاً إذ نادى من قبل فاستجبنا له ...﴾ يشير سبحانه إلى قول نوح : « رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً » ٢٦ نوح ... أتى مغلوب فانتصر - ١٠ القمر ﴿ فآغرقناهم أجمعين ﴾ تقدم في الآية ٢٦ - ٤٩ من هود .

٧٨- ﴿وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث﴾ في الرزق ﴿إذ نفثت فيه﴾ رعت الرزق ليلاً ﴿غنم القوم وكنا لحكمهم﴾ لحكم داود وسليمان على أن يكون أقل الجمع اثنان .

٧٩- ﴿ففهمناها سليمان﴾ قال المفسرون ما يتلخص بأن رجلين تخاصما إلى داود : أحدهما صاحب زرع ، والآخر صاحب غنم ، فقال الأول : إن غنم هذا أفست زرعى . واعترف الثاني ، فقضى داود أن يأخذ صاحب الزرع الغنم عوضاً عن زرع ، لأن قيمة الزرع كانت تعادل قيمة الغنم . ولما علم بذلك سليمان قال لأبيه : الأرقق بالرجلين أن يأخذ صاحب الزرع الغنم ينتفع بها ، ويأخذ صاحب الغنم الأرض يصلحها حتى يعود الزرع كما كان ، وعندئذ يترادان ، فاستحسن داود حكم ولده . وقد تكون الحكمة في ذلك التنبيه إلى مكانة سليمان ، أو أن الحكم كان على ما قال داود ثم نسخ بما قال سليمان ، ويؤيد قوله تعالى : ﴿وكلّآ آتينا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ حيث شهد سبحانه لكل منهما أنه محق ومصيب . ولا وجه لذلك إلا النسخ كما نظر وفهم .

﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير﴾ ما من شيء إلا ويسبح بحمد الله تعالى بلسان ناطق أو بالدلالة على وجود الخالق أو بهما معاً كما في الآية ٤٤ من الإسراء : « وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » .

٨٠- ﴿وعلمناه صنعة لبوس لكم لنحفظنكم من بأسكم﴾ المراد بصنعة اللبوس الدروع وفيه إيماء إلى أن أول من صنع الدروع هو داود وفي مجمع البيان أن لقمان الحكيم رآه يصنعها ولم يعرف الهدف منها ، ومع ذلك تراث ولم يسرع إلى سؤاله حتى فرغ داود ، فلبسها فقال : نعم لبوس الحرب ، ففهم لقمان وقال : الصمت حكمة وقليل فاعله .

الإعراب :

واقام أصلها إقامة . ولوطاً مفعول لفعل محذوف أي آتينا لوطاً آتياه . وفاسقين صفة لقوم سوء . ونوحاً معطوف على لوط .

أَخْبَرْتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا
عَبِيدِينَ ﴿٧٦﴾ وَلَوْطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ
الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْفَجَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ
سَوَاءٍ فَلْيَسِقِينَ ﴿٧٧﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ
الصَّالِحِينَ ﴿٧٨﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ
فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٩﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنْ
الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوَاءٍ
فَآغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٠﴾ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ
فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَثَتْ فِيهِ غَمَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ
شَاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَفَهِمْنَاهُمَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَاهُ
حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ
وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٨٢﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لَتَحْفَظَنَّكُمْ

٨١- ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ﴾ أي وسخر له الريح ﴿عاصفة﴾ شديدة الهبوب تارة وخفيفة تارة تبعاً لإرادته كما قال سبحانه : ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾ وطلع إرادته ﴿إلى الأرض التي باركنا فيها﴾ وهي فلسطين .

٨٢- ﴿ومن الشياطين﴾ الجن ﴿من يفوضون له﴾ في البحار ، يستخرجون اللؤلؤ والمرجان وغيرهما ﴿ويعملون عملاً دون ذلك﴾ كبناء المحارب والتماثيل والجفان والقصور الراسيات كما في الآية ١٣ من سبأ .

٨٢-٨٣- ﴿وأيوب إذ نادى ربه﴾ في قاموس الكتاب المقدس : «أيوب اسم عبري ، ولا يعرف معناه على وجه التحقيق ، ويقول بعضهم : انه قريب من اللفظ العربي آيب ، فرمما يعني الراجع إلى الله والتائب إليه » ﴿أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾ قالوا : كان لأيوب مال وأولاد ، فهلكوا بالكامل ، ثم تسلطت على جسمه الأسقام والآلام ، فصبر صبر الأحرار ، ولما تناهت الشدة ، وطالت المدة قال : ربِّ مسني الضر . ولم يقل تغافم وتراكم كيلا تشعر شكواه بالصحر .

٨٤- ﴿فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر﴾ استجاب سبحانه دعوته ، ورد عليه عافيته ، لأنه صبر على بلاء الله صبر الأحرار ، وثبت على الإيمان ثبوت النبي المختار ﴿وآتيناه أهله﴾ حيث ولدت امرأته عند أولاده الموتى ﴿ومثلهم معهم﴾ وزاده الله من فضله أمثالهم عدداً ، وأخلف عليه أكثر مما ذهب من ماله ﴿رحمة من عندنا﴾ لأنه المثل الأعلى للصبر والإيمان ﴿وذكرى للعابدين﴾ المخلصين إذا أصابتهم مصيبة تأسوا

بأيوب

٨٥-٨٦- ﴿وإسماعيل وإدريس وذا الكفل﴾ اتقاد إسماعيل واستسلم للذبح طاعة لله ولأبيه ، وإدريس مر ذكره في الآية ٥٦ من مريم ، أما ذو الكفل فلا نعرف عنه شيئاً إلا انه من الصابرين الصالحين .
٨٧-٨٨- ﴿وذا النون﴾ يونس ﴿إذ ذهب مغاضباً﴾ قوله ﴿فطن أن لن نقدر عليه﴾ لن نضيق عليه ﴿فنادى في الظلمات﴾ في بطن الحوت ﴿فاستجبنا له ونجيناها من الغم﴾ أخرجناه من بطن الحوت ، وتقدم الكلام عنه في سورة يونس .

الإهراء :

﴿وتجلا﴾ مفعول أول لآتيناه وحكياً مفعول ثانٍ . ومع منصوبة ييسبحن . ﴿والطير﴾ عطف على الجبال . ﴿ولسليمان﴾ متعلق بفعل محذوف أي وسخرنا لسليمان . وعاصفة حال من الريح ومن الشياطين متعلق بفعل محذوف . ومن يفوضون ﴿ومن﴾ مفعول لفعل محذوف أي وسخرنا من الشياطين ، ويبرز أن تكون ﴿ومن﴾ مبتداً ومن الشيطان خبر والجملة مستأنفة . ﴿ودون﴾ ذلك متعلق بمحذوف صفة لعمل .

مِنْ بَاسِكٍ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿١﴾ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٢﴾ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٣﴾ * وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ ۖ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٤﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذَكَرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴿٦﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧﴾ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨﴾

فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَحْيْنَاهُ مِنَ الْقَمَرِ ۖ وَكَذَلِكَ نُخَيِّمُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٩﴾
وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ
خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٩٠﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ
وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ
وَيَدْعُونَ رَبًّا وَرَبًّا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ ﴿٩١﴾ وَالَّتِي
أَحْصَيْنَا فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا
وَأَبْنَاءَ آيَةٍ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٢﴾ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً
وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٣﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ
كُلُّ الْإِنسَارِ رَاجِعُونَ ﴿٩٤﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيهِ ۖ وَإِنَّا لَهُ كَنُتُبُونَ ﴿٩٥﴾
وَحَرَّمَ عَلَىٰ قَرِيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا
فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٧﴾

٨٩-٩٠ ﴿﴾ وذكروا إذ نادى ... ﴿﴾ تقدم في الآية ٣٨ من آل عمران وما بعدها والآية ٦ وما بعدها من مريم ﴿﴾ انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا ﴿﴾ هذي هي هوية الانبياء : ليسوا سحرة أو منجمن ولا ملائكة أو سلاطين ، إنهم أناس يطيعون الله في كل شيء رغبة في ثوابه ، وخوفاً من عقابه ، ومن أجل هذا جعلهم الله خزانة علمه ، وحفظه دينه ، وخلفاء في أرضه ، وحجة على عباده ، ولا يسوغ لأحد أن يتكلم باسم نبي أو وصي نبي ولا أن يوصف بالحجة والقُدوة في دين الله إلا أن يكون عالماً به : مخالفاً لخواه ، مطيعاً لأمر مولاه .

٩١- ﴿﴾ والتي أحصنت فرجها ﴿﴾ هي مريم بنت عمران تنزهت عن كل ما يشين ﴿﴾ فنفخنا فيها من روحنا ﴿﴾ أجرنا فيها روح عيسى ، وتقدم في الآية ٤٥ من آل عمران ١٦ من مريم .

٩٢- ﴿﴾ إن هذه أمتكم أمة واحدة ﴿﴾ أمتكم : ملتكم ودينكم ، والخطاب : للناس كافة دون استثناء ، والمعنى أيها الناس هذي هي ملتكم وهذا هو دينكم الذي شرعه الله لكم وبلغه بلسان الأنبياء جميعاً ، وهو التوحيد عقيدة ، والصلاة الخالصة المخلصة لوجه الله عبادة ، وفعل الخير والחסنات وترك الشر والسيئات شريعة ، ولا شيء إطلاقاً خرج عن هذا الإطار أو دخل فيه عند ما شرع الله دينه الحق لعباده ، وفي الحديث الشريف : « نحن معاشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد » وأولاد العلات أخوة ، أبوهم واحد ، وأمهاتهم شتى .

وإذن لا سبب لتعدد الأديان والطوائف إلا الجهل أو المنفعة الشخصية ﴿﴾ وأنا ربكم فاعبدون ﴿﴾ ولا تعبدوا الأهواء والأدعياء . ٩٣- ﴿﴾ وتقطعوا أمرهم بينهم ﴿﴾ ولكن الناس تمزقوا قطعاً ، وتفرقوا شيعاً ، لكل أمة قائد وإمام ﴿﴾ كل الإنسار راجعون ﴿﴾ هذا تهديد ووعيد على الشقات والتفريق ٩٤- ﴿﴾ فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن ﴿﴾ لا إيمان بلا عمل صالح نافع ، والعمل بلا إيمان كالبنين بلا أساس ، ومن جمع بينهما ﴿﴾ فلا كفران لسعيه ﴿﴾ بل يشكر ويذكر بالخير والأجر ﴿﴾ وإنا له كاتبون ﴿﴾ فلا يضيع شيء منه عليه ٩٥- ﴿﴾ وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون ﴿﴾ كأن قائلاً يقول هل يبعث الله ثانية الذين أهلكهم في الدنيا بكفرهم ؟ الجواب : أجل ، لا استثناء من البعث ، وتمنع على الذين هلكوا إن لا يرجعوا إلى الله ، بل يرجعوا إليه لا محالة ، ويحاسبهم على ذنوبهم وكفرهم ، أجل لا يعاقبهم على تكذيب الأنبياء من حيث هو ، لأن الإهلاك في الدنيا هو العقاب على هذا التكذيب ، وما عداه يشمل الحساب والعذاب . هذا ما ندركه بعقلنا من حيث الاستحقاق في ظاهر الأمر ، والواقع لله وحده .

٩٦- ﴿﴾ حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج ﴿﴾ لا نعرف شيئاً عنهما إلا ما نقلناه عن المفسرين عند تفسير الآية ٩٤ من الكهف ، وربما يكون يأجوج ومأجوج مشتقين من الأجاج بمعنى نار الفتنة والفساد في الأرض ، وعليه يكون يأجوج ومأجوج إشارة إلى دولة تسيطر بسلطانها المدمر على أهل الأرض بكاملها ، قتلها الحرث والنسل ، وعندئذ تقوم القيامة كما أشار سبحانه بقوله :

وَأَقْرَبَ الْوَعْدِ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ
كَفَرُوا بَيُّوتُهُمْ قَدْ كُفِّيَتْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلَّ كَأَنَّ ظُلْمِينَ ﴿٩٧﴾
إِنْكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا
وَرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ إِلَهًا مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَوْجٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنْ
الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾
لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ
خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ
هَذَا يَوْمَ تَكُونُ الْأَلْدَىٰ كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي
السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نَعِيدُهُمْ
وَعْدًا عَلِيمًا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ
بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾

٩٧- ﴿﴾ والقرب الوعد الحق ﴿﴾ فإذا هي شخِصَةٌ أبصر الذين كفروا أبصار الذين كفروا ﴿﴾ من هول المطلع وشدة الخزع ، وتقدم في الآية ٩٢ من إبراهيم ﴿﴾ يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين ﴿﴾ أي يقولون : يا ويلنا ... وتقدم في هذه السورة مرتين في الآية ١٤ والآية ٤٦ وهذي هي الثالثة ، وأيضاً تقدم في الآية ٥ من الأعراف وأيضاً يأتي ، والقصد من هذا التوكيد والتكرار أن تنقي الله ونحدر هذه النهاية الخاصة المخزية .

٩٨- ﴿﴾ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ﴿﴾ وإن قال قائل : وأية جدوى من حرق الأصنام ، وهي لا تحس وتشعر ؟ - قلنا في جوابه : إنها وقود لتعذبها كما في الآية ٢٤ من البقرة .

٩٩- ﴿﴾ لو كان هؤلاء الأصنام إلهة ما وردوها ﴿﴾ إله يحرق في النار . !

١٠٠- ﴿﴾ لهم ﴿﴾ لعبدة الأصنام والأهواء ﴿﴾ فيها زفير ﴿﴾ النفس شدة ﴿﴾ وهم فيها لا يسمعون ﴿﴾ لأنهم في شغل شاغل بآلامهم وأوجاعهم .

١٠١- ﴿﴾ إن الذين سبق لهم منا الحسنى ﴿﴾ لما ذكر سبحانه أهل النار عطف عليهم أهل الجنة ، وأنهم عن النار ﴿﴾ مبعدون ﴿﴾ .

١٠٢- ﴿﴾ لا يسمعون حسيسها ﴿﴾ مجرد توكيد لبعدهم عنها ونجاتهم منها ﴿﴾ وهم فيما اشتهدت أنفسهم خالدين ﴿﴾ حياة دائمة وسعادة قائمة .

١٠٣- ﴿﴾ لا يحزنهم الفزع الأكبر ﴿﴾ لا عند الموت ولا في القبر ولا عند البعث والنشر ﴿﴾ وتلقاهم الملائكة ﴿﴾ تستقبلهم ملائكة التشریفات بالحفاوة والتكريم ، أما تشيدهم فهو ﴿﴾ هذا يومكم الذي كنتم توعدون ﴿﴾ بالرضوان والجنان . وتقدم العديد من الآيات المنذرة والبشرة .

١٠٤- ﴿﴾ يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب ﴿﴾ السجل : الصحيفة ، والمراد بالكتب هنا الكلمات المسجلة فيها ، والمعنى أن الله سبحانه بطوي جميع الكواكب يوم القيامة كما تطوي الصحيفة الحروف والكلمات ، ومثله تماماً الآية ٦٧ من الزمر : « والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه » ﴿﴾ كما بدأنا أول خلق نعيده ﴿﴾ يحيي سبحانه ، ويميت ثم يعيد الخلق إلى الحياة وهو على كل شيء قدير .

١٠٥- ﴿﴾ ولقد كتبنا في الزبور ﴿﴾ كتاب داود ﴿﴾ من بعد الذكر ﴿﴾ من بعد صحائف إبراهيم وتوراة موسى ﴿﴾ أن الأرض يرثها ﴿﴾ في آخر الزمان ﴿﴾ عبادي الصالحون ﴿﴾ جاء في الكتب الصحاح ، منها سنن أبي داود : « قال رسول الله (ص) : « لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً » .

الإهراء :

والحق صفة للوحد . فإذا للمفاجأة ، و﴿﴾ ضمير القصة مبتدأ ، وإبصار الذين كفروا مبتدأ ثان ، وشاخصة خبر المبتدأ الثاني .

١٠٦- ﴿إِنْ فِي هَذَا لَبَلَاغٌ لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ في هذا إشارة إلى أن الأرض يرثها العباد الصالحون ولو بعد حين ، والعابدون هم الذين يتعظون بالعبر ، وينتفعون بالنذر .

١٠٧- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ بأخلاقك وسيرتك وشريعتك وتعاليمها وأهدافها ، قال صلى الله عليه وآله : إنما أنا رحمة مهداة . وقيل له : ادع على المشركين . فقال : إني لم أبعث ناعناً ، وإنما بعثت رحمة وأيضاً قال : إن أحكم إليّ وأقربكم مني مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً .

١٠٨- ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ وموقنون بدين التوحيد ؟ .

١٠٩- ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ﴾ أعلمتكم بأن الدين عند الله هو التوحيد ﴿عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ في التبليغ والإعلام ، لم يختص به واحد دون آخر أو فئة دون فئة ﴿وَإِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ﴾ إن هنا نافية ، والمعنى أنا على يقين من عذابكم أيها الجاحدون والمشركون ، ولكن لا أدري متى يكون .

١١٠- ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ ووضح ، وتقدم في الآية ٧ من طه .

١١١- ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لِّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ إن نافية ، والفتنة : الإمتحان والإختبار والمتاع : ما ينفع به قليلاً ، والضمير في لعله للإمهال والتأخير والمعنى لا أدري : هل أمهلكم سبحانه ليظهر كلاً منكم على حقيقته فيتوب الطيب ، ويتمرد الخبيث ، أو أراد ، عظمت حكمته ، أن تستمتعوا أياماً بقيت من أعماركم ؟ وهذا الإبهام من أساليب الدعوة بالحكمة ، لأنه في صورة الإنصاف المسكت للخضم المشاغب .

١١٢- ﴿قَالَ رَبُّ أَحْكُمِ بِالْحَقِّ﴾ انصر الحق أهله واخذل الباطل وأعوانه ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ من الإقراء على الله وكتبه ورسله .

إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغٌ لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لِّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قُلْ رَبِّ أَحْكُمِ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

(٢٢) سُورَةُ الْحَجِّ فَتَنَاتُهَا وَأَسْبَابُهَا وَأَمَّا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ الساعة : يوم القيامة ، وزلزلتها : خراب الكون بأرضه وسماؤه .

الإعراب :

﴿يَا أَيُّهَا﴾ بالكسر للحصر ، وإثما بالفتح كلمتان ﴿أَنْ﴾ المشددة وما الكافة عن العمل ، وإلحكم مبتدأ وإله واحد خبر ، ومعنى الجملة نائب فاعل ليوحى ، أي يوحى إليّ الوحداية . ﴿وَعَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ متعلق بمحذوف حالاً من المفعول في آذنتكم أي مستتين في الأيدان

٢- ﴿يَوْمَ تَرْوِيهَا تَدْلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِكَارَىٰ ۖ وَهَذَا كِتَابٌ عَنْ هَوْلِ السَّاعَةِ وَشِدَّتِهَا حَيْثُ لَا مَرْضِعٌ وَلَا حَامِلٌ يَوْمَذَٰكَ ، وَعَلَيْهِ يَكُونُ الْمَعْنَىٰ لَوْ كَانَ ثَمَّةَ مَرْضِعٍ لَدَعَلَتْ أَوْ حَامِلٌ لَوَضَعَتْ .

٣- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ إِنَّ الْقَاشِ وَالْجِدَالَ بِمَعْنَى الْكَلِمَةِ لَا يَكُونُ وَلَنْ يَكُونَ إِلَّا بَيْنَ عَالِمِينَ ، لِأَنَّ الْعَالَمَ يُضِلُّ عَقْلَهُ عِنْدَ مُحَاوَرَةِ الْأَحْمَقِ ۖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ۖ كُلُّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ۖ كُلُّ مَن أَخْفَى حَقِيقَتَهُ بِالْعُدْوَةِ وَالرِّيَاءِ لِيُضِلَّ النَّاسَ عَنِ الطَّرِيقِ السَّوِيِّ فَهُوَ شَيْطَانٌ ، أَمَّا الْمَرِيدُ فَهُوَ الَّذِي يَبْلُغُ الْغَايَةَ مِنَ الْفَسَادِ وَالْعِنَادِ .

٤- ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ۖ مَن قُلِدَ الضَّالُّ الْمُضِلُّ قَادَهُ فِي الدُّنْيَا إِلَىٰ كُلِّ سُوءٍ وَفِي الْآخِرَةِ إِلَىٰ عَذَابِ الْحَرِيقِ بِحُكْمِ مَبْدَأِ الْعَالِيَةِ .

٥- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَيْتِ ۖ مِمَّنْ شَكَ فِي الْبَيْتِ فَلْيَنْظُرُوا إِلَىٰ أَيْدِيهِمْ أَنَّىٰ خَلَقَهُمْ ۖ وَبَلَا وَاسْطَةً كَخَلْقِ أَينَا أَدَمَ ، أَوْ يَوْسَاطٍ كَخَلْقِنَا نَحْنُ ، فَكُلُّ مَا بِهِ حَيَاتُنَا وَبِقَاوُنَا يَنْتَهِي إِلَىٰ الْمَاءِ وَالتُّرَابِ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْمُنَاصِرِ ، وَلَكِنَّ التُّرَابَ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْأَسَاسُ ۖ ثُمَّ مِّنْ نُّطْفَةٍ ۖ ثُمَّ مِّنْ عِقْلٍ ۖ ثُمَّ مِّنْ عِلْقَةٍ ۖ تَتَحَوَّلُ النُّطْفَةُ إِلَىٰ دَمٍ جَامِدٍ ۖ ثُمَّ مِّنْ مَّضْغَةٍ ۖ تَسْتَحِيلُ الْعِلْقَةُ قِطْعَةً لِّحْمٍ كَأَنَّهَا مَمْضُوعَةٌ ۖ مَخْلُوقَةٌ ۖ أَيُّ بَعْضِهَا تَامَ الْخَلْقَةِ ۖ وَغَيْرِ مَخْلُوقَةٍ ۖ وَبَعْضُهَا الْآخِرُ نَاقِصُ الْخَلْقَةِ ۖ لِنَبْنِيَنَّ

لَكُمْ ۖ قَدَرَةَ اللَّهِ عَلَى الْبَيْتِ وَغَيْرِهِ ۖ وَنَقَرَ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مَُّسْمُوعٍ ۖ وَهُوَ الَّذِي تَلِدُ فِيهِ الْمَرْأَةُ ۖ ثُمَّ نَخْرِجُكُمْ طِفْلًا ۖ ضَعِيفًا نَفْسًا وَجَسَدًا ۖ ثُمَّ لَتَبَلَّغُوا أَشَدَّكُمْ ۖ تَتَكَامَلُ الْقُوَى ، وَتَتَرَادَى شَيْئًا فَبَشَاءً حَتَّى الْبُشَابِ ۖ وَمِنْكُمْ مَن يَتَوَفَّى ۖ قَبْلَ ذَلِكَ ۖ وَمِنْكُمْ مَن يَرُدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مَبْعَدَ عِلْمٍ شَيْئًا ۖ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ ۖ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً ۖ لَا حَيَاةَ فِيهَا ۖ فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ ۖ تَبْضُتُ بِالْحَيَاةِ ، وَارْتَفَعَتْ

الإِهْرَابُ :

﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ ۖ حُلَّ حَلْفٍ مُّضَافٍ إِلَى عَذَابِ رَبِّكُمْ . ﴿يَوْمٍ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِتَدْلُ . ﴿وَتَرَى﴾ ۖ هُنَا بَصِيرَةٌ ، لَا قَلْبِيَّةٌ ، وَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ وَهُوَ النَّاسُ ، وَسُكَارَى حَالٌ مِنْهُمْ . الضَّمَائِلُ الثَّلَاثَةُ فِي عَلَيْهِ وَأَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ تَعَدَّى إِلَى الشَّيْطَانِ ، وَضَمِيرٌ فَانَهُ يُضِلُّهُ لِلشَّانِ ، وَالْمَصْدَرُ مِنْ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ نَائِبٌ فَاهِلٌ لِكُتِبَ . وَمِن تَوَلَّاهُ ﴿مَن﴾ مَبْتَدَأٌ ، وَالْمَصْدَرُ مِنْ فَانَهُ يُضِلُّهُ خَبَرٌ لِمَبْتَدَأٍ مَحْلُوفٍ أَيِّ قَالَتِ الشَّيْطَانُ لَهْ ، وَالْجُمْلَةُ مِنْ هَذَا الْمَبْتَدَأِ وَخَبَرُهُ خَبَرٌ مِنْ تَوَلَّاهُ ، وَجُمْلَةُ مَن تَوَلَّاهُ وَخَبَرُهُ خَبَرٌ أَنَّهُ الْأَوَّلَى . وَنَقَرَ كَلَامَ مُسْتَأْنَفٍ ، وَجُمْلَةُ نَقَرَ خَبَرٌ لِمَبْتَدَأٍ مَحْلُوفٍ أَيِ نَقَرَ الْوَلَدَ . وَمَا نَشَاءُ ﴿مَا﴾ مُصَدَّرَةٌ ظَرْفِيَّةٌ أَيِ مَدَّةٌ مُّشَبَّهَةٌ بِالظَرْفِ مُتَعَلِّقَةٌ بِنَقَرَ . وَطِفْلًا ۖ حَالٌ ، وَلَفْظُهُ مُفْرَدٌ وَمَعْنَاهُ الْجَمْعُ . وَشَيْئًا مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ . وَ﴿هَامِدَةً﴾ حَالٌ لَّان تَرَى هُنَا بَصِيرَةٌ تَعَدَّى إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ .

بالنبات ﴿ من كل زوج ﴾ صنف ﴿ بهيج ﴾ يسر الناظرين ، وهذا دليل آخر على إحياء الموتى .

٦-٧- ﴿ ذلك ﴾ الذي ذكرناه من أمر الأرض والإنسان دليل قاطع ﴿ بأن الله هو الحق ﴾ القائم بذاته ، ولا يقوم سواه إلا بقدرته الله وإرادته .

٨- ﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ﴾ قال الماديون : لا طريق إلى العلم والمعرفة إلا الحس والتجربة ، وقال المثاليون : الطريق إلى المعرفة هو العقل وكفى ، أما القرآن فقد قرر بوضوح أن مصادر المعرفة ثلاثة : (١) التجربة (٢) العقل ، لأن الإنسان عيناً ترى وعقلاً يدرك (٣) الوحي ، لأن الله بكل شيء عليم ، وهذه الآية جمعت المصادر الثلاثة ، فالعلم إشارة إلى التجربة ، والهدى إلى العقل ، والكتاب المنير هو الوحي .

٩-١٠- ﴿ ثاني عطفه ﴾ العطف : الجانب أو الرقبة . ثنى عطفه لوى جانبه أو رقبته ، والمراد بثاني عطفه هنا المتكبر المعرض عن الحق .

﴿ ليضل عن سبيل الله ﴾ أي إن جادله بغير علم يؤدي إلى الضلال عن الطريق السوي .

١١- ﴿ ومن الناس من يعبد الله على حرف ﴾ لأمر كان يأمله ﴿ فإن أصابه خير ﴾ السرّاء ﴿ أطمان به وإن أصابته فتنة ﴾ الضراء ﴿ انقلب على وجهه ﴾ ارتد عن دينه ، وفي التفاسير : أن هذه الآية نزلت في بعض الأعراب الذين أسلموا ، فإذا اتفق لأحدهم ما يعجبه من مال و ولد قال :

هذا دين حسن وإلا تشامم وارتد عن الإسلام ﴿ خسر الدنيا ﴾ لأنه لم يحصل منها على شيء كما هو القرض ﴿ والآخرة ﴾ حيث أقدم على ربه كافرًا به .

١٢- ﴿ يدعو من دون الله ﴾ أصناماً لا تضر ولا تنفع وتقدم مرات .

١٣- ﴿ يدعو لمن ضره أقرب من نفسه ﴾ عبد المشرك الأصنام لئلا حيث كانت السبب الموجب لعذابه ﴿ لبئس المولى ولبئس العشير ﴾ الصنم ناصراً أو صاحباً فالصنم الهاوية .

الإعراب :

ثاني ﴿ عطفه ﴾ حال ﴿ من ﴾ ضمير ﴿ يجادل ﴾ . والمصدر المجرور باللام في ليضل متعلق بيجادل . ﴿ له في الدنيا ﴾ خبر مقدم ، وخزي مبتدأ مؤخر . ويدعو لمن ضره أقرب من نفسه . اختلّفوا في اللام الداخلة على من : أي لام هي ؟ وذكروا لها وجوهاً ، وأرجحها أن مفعول يدعو مخلوف أي يدعو الأصنام ، ومن مبتدأ واللام لام الابتداء ، وضره مبتدأ ثاني وأقرب خبر المبتدأ الثاني . والجملة من الثاني وخبره صلة لمن .

مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٌ ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّمُ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ ثَانِي عَطْفُهُ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهٗ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلِيمٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ؕ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ ؕ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴾ يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ

١٤- ﴿إِنْ اللَّهُ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ لما ذكر سبحانه أهل الضلالة وعذابهم عطف عليهم أهل الهداية وثوابهم كما هو شأنه ، عظم سلطانه ﴿إِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَرِيدُ﴾ وإرادته تعالى عليمه وحكيمه ، تضع الأمور في مواضعها .

١٥- ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيطُ﴾ المراد بالسبب هنا الجبل ، وبالسماء ما يعلق به الجبل سقفاً كان أو غيره ، وبالقطع الحق والشق ، والمعنى من نزلت به نازلة ، وضاق عليه مخرجها ، ويش من عون الله في الدنيا وثوابه في الآخرة مع الصبر - فليتنحر شقاً وخفياً ، ثم يرى هل تذهب آلامه ، ويتحقق مرامه ؟

١٦- ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ فِي الْقُرْآنِ﴾ آيات بينات ﴿حَجْجاً بَاضِحاً عَلَى التَّوْحِيدِ وَالبَعثِ وَغير ذلك﴾ وان الله يهدي ﴿إلى هذه الآيات البينات﴾ من يريد ﴿وهو سبحانه لا يريد تشهياً وعبثاً ، وإنما يعطي الهدى لمن يعلم منه صدق النية في طلب الهدى كما قال سبحانه : «إِنْ رِبْكَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى - ٣٠ النجم» .

١٧- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ اليهود ﴿وَالصَّابِئِينَ﴾ طائفة كانت على دين نوح ، وتحولت منه إلى عبادة الملائكة أو الكواكب كما قيل ﴿وَالْمَجُوسَ﴾ يعبدون النار ويقولون : الخير من النور والشر من الظلمة ﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ إن الله يفصل بينهم يوم القيامة ﴿فَيَجَازِي كُلَّ طَائِفَةٍ بِمَا كَسَبَتْ ، وَتَقْدِمُ فِي الْآيَةِ ٦٢ مِنَ الْبَقَرَةِ .

١٨- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ...﴾ المراد بالسجود هنا الإنقياد لأمره تعالى وما يجريه على الخلق من تقدير وتدير ﴿وكثير من الناس﴾ يؤمنون بالله ويسجدون له ﴿وكثير من الناس امتنع وأبى﴾ حق عليه العذاب ﴿يوم القيامة﴾ ومن يهن الله فما له من مكرم ﴿أبداً لا رافع

مِنْ نَفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَى وَلَيْسَ الْعَبِيرُ ﴿١٤﴾ إِنْ اللَّهُ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَرِيدُ ﴿١٥﴾ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيطُ ﴿١٦﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِيَ مَنْ يُرِيدُ ﴿١٧﴾ إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنْ اللَّهُ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنْ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ

الإعراب :

وليس المولى اللام واقعة في جواب القسم المحذوف ، والجملة من القسم وجوابه خبر المبتدأ الأول ، وهو لمن ﴿من كان﴾ اسم شرط ، وفليمدد جوابه ، واللام في يمد ويقطع وينظر للامر مجزوم فعلاً واحداً . ﴿وما يغيط﴾ ما مصدرية ، والمصدر المنسبك مفعول يذهبن أي هل يذهبن كيد غيلة . والمصدر من ان الله يهدي من يريد مفعول لفعل محذوف أي وأنزلنا ان الله يهدي من يريد . وجملة ان الله يفصل خبر ان الذين آمنوا .

لن وضع ، ولا واضح لن رفع ﴿ إن الله يفعل ما يشاء ﴾ من إكرام الصالح وإهانة الطالح .

١٩- ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا ﴾ وعاد الجمع على المتى حملاً على المعنى كما يتضح من التفسير الآتي ﴿ في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار ﴾ جاء في العديد من التفاسير ، منها تفسير الرازي والطبري وابن كثير : أن هذه الآية نزلت في فريقين : فريق من المؤمنين وهم حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث وفريق من المشركين وهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة ، وأن الخصومة بينهم كانت في القتال والمبارزة يوم بدر ، وأن الله نصر المؤمنين على المشركين .

﴿ يصب من فوق رؤوسهم ﴾ الضمير للمشركين ﴿ الحميم ﴾ يشبه الماء المغلي .

٢٠-٢١- ﴿ يصهر به ما في بطونهم ﴾ أي يذيب اللحم والشحم والأنعاء ﴿ والجلود ولهم مقامع ﴾ جمع مقمعة أي مقرعة ﴿ من حديد ﴾ .

٢٢- ﴿ كلما أرادوا أن يخرجوا منها ﴾ من النار ﴿ من غم ﴾ يأخذ بأنفاسهم ﴿ أعيوا فيها وذوقوا عذاب الحريق ﴾ أين المفر من حكم الله ومشيئته ؟

٢٣- ﴿ إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ لما ذكر سبحانه حال أهل النار عطف عليهم حال أهل الجنة وإن لهم جنات وكل ما يشتهون من طعام وشراب ولباس وزينة .

٢٤- ﴿ وهذوا ﴾ أي هداهم الله ﴿ إلى الطيب من القول ﴾ مثل الحمد لله على ما تفضل وأنعم ﴿ وهذوا إلى صراط الحميد ﴾ وهو الإسلام الذي انتهى بهم إلى روح وريحان وهما الراحة مع الرزق الطيب .

٢٥- ﴿ إن الذين كفروا ويصلون عن سبيل الله ﴾ يتمتعون الناس من الدخول في الإسلام ﴿ والمسجد الحرام ﴾ وأيضاً يتمتعون من الحج إلى بيت الله ﴿ الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه ﴾ المقيم في مكة ﴿ والباد ﴾ العابر والقاصد ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نلقه من عذاب أليم ﴾ والإلحاد : الانحراف عن الحق والعدل ، والمراد بالظلم هنا القصد والعمد والمعنى من يرتكب شيئاً من الكبائر والمعاصي في المسجد الحرام عن قصد وعمد - فحسبه جهنم وبئس القرار .

الإلحاد :

فما له من مكرم ﴿ ما ﴾ نافية ، وله خبر مقدم ، ومن زائدة ، ومكرم مبتدأ مؤخر . الحصر مصدر يستوي فيه الواحد والاثنتان والجمع والذكر والأنثى ، يقال : هو أو هي أو هما أو هم أو من خصمي ، وجاءت التثنية في وهذان بالنظر إلى اللفظ ، وجاءت الواو الجماعية في ﴿ اختصموا ﴾ بالنظر إلى المعنى مثل وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا . ﴿ وكلما ﴾ منصوبة على الظرفية لأنها مضافة إلى ما المصدرية الظرفية ، والمعامل فيها أهملوا . ومن غم بدل اشتغال من ضمير منها بإعادة حرف الجر . ومن ذهب بحذف صفة لأساور . ولؤلؤاً عطف على حل أساور لأن كل جرور لفظاً هو منصوب حملاً ، وقيل : مفعول لفعل محذوف أي ويمطون لؤلؤاً . وإن الذين كفروا ، خبر إن محذوف أي إن الذين كفروا نلقهم العذاب . وسواء مفعول ثانٍ لجعلناه ، وهو اسم فاعل بمعنى « مستوياء » والعاكف فاعل له . وإلحاد الباد زائدة أحراباً ، وإلحاد مفعول يرد .

٢٦- ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا ۖ وَجَدْنَا الْمُسْجِدَ هَرَامًا لِعِبَادَةِ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ ﴿٢٦﴾ وَطَهَّرَ بَيْتِي لِّلطَّائِفِينَ ۚ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعَ السُّجُودَ ﴿٢٧﴾ وَالطَّوَافَ حَوْلَ الْبَيْتِ مَعْرُوفًا ، وَلَا يَجِبُ فِي أَيِّ بَقْعَةٍ مِنَ الْأَرْضِ سِوَاهُ ، الْمُرَادُ بِالْقَائِمِينَ الْقَائِمُونَ فِي مَكَّةَ وَضُوحِهَا وَلَيْسَ الْمَصْلُحِينَ كَمَا قِيلَ ، لِأَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ قَدْ عَطَفَ عَلَيْهِمُ الرُّكْعَ السُّجُودَ أَيُّ الْمَصْلُحِينَ ، وَالْمَطْفُفَ يَسْتَعْدِي الْمَغَايِرَةَ - فِي الْغَالِبِ - .

٢٧- ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ۚ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَرِّمَاءٍ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْبَاسِ الْفَقِيرِ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نَدْوَرَهُمْ وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَتَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ۚ وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يُبْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ

٢٨- ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ دِينِيَّةً وَإِجْتَاعِيَّةً وَاقْتِصَادِيَّةً وَسِيَاسِيَّةً حَيْثُ يَكُونُ هُنَاكَ الْإِتِّصَالُ وَالتَّلَاقُ بَيْنَ الْعَدِيدِ مِنَ الشُّعُوبِ ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ عِنْدَ ذَبْحِ الْبَهَائِمِ وَنَحْرِهَا ﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ وَأَيَّامُ الذَّبْحِ وَالنَّحْرِ عِنْدَ الشَّيْعَةِ أَرْبَعَةٌ مِنَ الْيَوْمِ الْعَاشِرِ إِلَى الثَّلَاثِ عَشَرَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ، وَعِنْدَ غَيْرِهِمْ ثَلَاثَةٌ تَنْتَهِي بِالثَّلَاثِ عَشَرَ مِنْهُ ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ مِنْ ذَبِيحَةِ الْحَجِّ ، وَالْأَمْرُ هُنَا لِلرَّخْصَةِ وَالْإِبَاحَةِ ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ لَا يَأْكُلُونَ مِنْ ذَبَائِحِهِمُ الْمُرَادُ بِهَا النَّسَكُ ، فَرَخَّصَ سَبَّحَانَهُ بِالْأَكْلِ ، وَلَمْ يُوجِبْهُ ﴿وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْبَاسِ الْفَقِيرِ﴾ وَهَذَا هُوَ الْمَهْدَفُ مِنَ الذَّبْحِ فِي رَأْيِنَا ، وَلَيْسَ إِرَاقَةُ الدَّمِ مِنْ حَيْثُ هُوَ .

٢٩- ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ التَّفَثُ : الْوَسْخُ ، وَالْمَعْنَى بَعْدَ أَنْ يَحِلَّ الْحَاجُّ مِنْ إِحْرَامِهِ ، يَحْلِقُ ، وَيَقْلِمُ أَظْفَارَهُ ، وَيَتَوَضَّأُ ، وَيَطِيبُ ﴿وَلِيُوفُوا نَدْوَرَهُمْ﴾ إِنْ كَانُوا قَدْ نَذَرُوا شَيْئًا مِنْ أَعْمَالِ الْبَرِّ ﴿وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ الْقَدِيمِ ، وَيَسْتَحِبُّ الْإِكْتَارَ مِنَ الطَّوَافِ حَوْلَ الْبَيْتِ لِأَنَّهُ تَمَامًا كَالصَّلَاةِ .

٣٠- ﴿ذَلِكَ﴾ خَبَرٌ لِمَبْدَأِ مَحْذُوفٍ أَيُّ الْأَمْرِ ذَلِكَ ﴿وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَتَ اللَّهِ﴾ وَهِيَ مَا حَرَّمَ سَبَّحَانَهُ مِنْ تَرْكِ مَا أُوجِبَ وَفَعَلَ مَا حَرَّمَ ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ لِأَنَّ تَعْظِيمَ أَحْكَامِ اللَّهِ بِالطَّاعَةِ ، يَرْفَعُ مِنْ شَأْنِ الْمَطِيعِ عِنْدَ اللَّهِ دَرَجَاتٍ ﴿وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يُبْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ مِنْ تَحْرِيمِ الْمَيْتَةِ وَالدَّمِ وَلَحْمِ الْخَنَزِيرِ وَمَا أَهْلُ الْغَيْرِ لِلَّهِ وَالْمُخْتَلَفَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا جَاءَ فِي آيَةِ ٣ مِنَ الْمَائِدَةِ ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ ابْتَعَدُوا عَنْهَا وَعَنِ عِبَادَتِهَا ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ يَعْمُ وَيَشْمَلُ الْكُذْبَ وَالغِيْبَةَ وَالنَّمِيَّةَ وَالشُّنْمَ وَالْفَحْشَ وَكُلَّ كَلِمَةٍ تَغْضَبُ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ .

٣١- ﴿حُفَاءَ لِلَّهِ﴾ وَهُمْ الْمُخْلِصُونَ لَهُ الدِّينَ الْقَائِمُونَ بِالْحَقِّ الْمَائِلُونَ عَنِ الْبَاطِلِ ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ غَيْرَ مُطِيعِينَ لِأَعْدَائِهِ ، وَلَا لِأَنْفُسِهِمُ الْأَمَارَةَ بِالسُّوءِ الَّتِي تَحْمِلُهُمْ عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَمُخَالَفَتِهِ ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ

الإِهْرَابُ :

﴿بَوَّأْنَا﴾ مُتَضَمِّنَةٌ مَعْنَى هَيَّأْنَا وَلِلَّذَلِكَ دَخَلَتْ اللَّامُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، وَمَكَانٌ مُنْصَوْبٌ بِبَوَّأْنَا . إِنْ لَا تُشْرِكْ ﴿إِنْ﴾ مَفْسُورَةٌ لِفَعْلٍ عُلُوفٍ أَيُّ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِ إِنْ لَا تُشْرِكْ . وَ﴿رِجَالًا﴾ حَالٌ أَيُّ مَشَاءَ عَلَى أَرْجُلِهِمْ . وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ أَيْضًا حَالٌ أَيُّ مَشَاءَ وَرُكْبَانًا .

الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ﴿ هذا مثل لمن تجرأ على معصية الله في الشرك أو غيره من الكبائر التي هي بحكم الشرك كالأذى والإساءة إلى الناس ، وأنه في ضلاله وهلاكه تماماً كمن يسقط من السماء . فتقطعه الطيور الكاسرة إرباً إرباً أو تدفع به الريح العاتية إلى مكان عميق وسحيق .

٣٢- ﴿ ذلك ﴾ أي الأمر ذلك ﴿ ومن يعظم شعائر الله ﴾ وشعائره تعالى وحدوده وحرماته وأحكامه وفرائضه كلها مترادفات أو مقاربات ﴿ فإنها ﴾ على حذف مضاف أي فإن تعظيم الشعائر ﴿ من تقوى القلوب ﴾ في نهج البلاغة : لو أن السموات والأرضين كانتا على عبد رتقاً - ضد الفتق - ثم اتقى الله لجعل له منها مخرجاً .

٣٣- ﴿ لكم فيها ﴾ في الأنعام المهيأة للذبح في الحج ﴿ منافع إلى أجل مسمى ﴾ للحاج أن ينتفع بلبن أضحيه وظهرها إلى حين الذبح ﴿ ثم محلها إلى البيت العتيق ﴾ أي أن مكان ذبح الأنعام وهو الحرم ومنه منى ومكة .

٣٤- ﴿ ولكل أمة ﴾ من الأمم الماضية ﴿ جعلنا منسكاً ﴾ بذبح الأنعام لوجه الله لا للأضنام ، وإلى هذا أشار سبحانه بقوله : ﴿ ليدكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ﴾ وذكر الجلالة على الذبيحة للدلالة على أنها خالصة لله وحده . وسئل النبي (ص) : ما هذه الأضاحي ؟ قال : هي سنة أبيكم إبراهيم . قالوا : ما لنا منها ؟ قال : بكل شرة حسنة ﴿ فإلهكم الله واحد ﴾ وأصول العقيدة واحدة ، وإن تعددت الأنبياء ، وتنوعت الشرائع السابقة في أحكامها الشرعية .

﴿ فله أسلموا ﴾ اتقادوا لأمره تعالى قولاً وعملاً ﴿ وبشرا المخيتين ﴾ المتواضعين الواقفين بربهم ودينهم .

٣٥- ﴿ الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾ لا مكان للشيطان في القلب التقى النقي ، لأنه في شغل شاغل بالخوف من عذاب الله والرجاء لثوابه والشكر لنعمائه والصبر على بلائه والإيمان الصادق الواقف بجموده وعطائه ، أنا إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة فهما أثر من آثار هذا الإيمان ونمازه . قال الإمام علي (ع) : لا يصدق إيمان عبد حتى يكون بما في يد الله أوثق منه بما في يده ٣٦- ﴿ والبلدين ﴾ جمع بدنة وهي الناقة السمينة ويلحق بها البقرة في الحكم ﴿ جعلناها لكم من شعائر الله ﴾ أي جعل نحرها أو ذبحها من أحكام الشريعة التي شرعها الله ﴿ لكم فيها خير ﴾ دنيا بمنافعتها وآخرة بثواب الله على ذبحها لوجهه الكريم ﴿ فاذكروا اسم الله عليها صواف ﴾ قامتان قد صفقن أيديهن وأرجلهن ﴿ فإذا وجبت جنوبها ﴾ فإذا سقطت أرضاً عند الموت ﴿ فكلوا منها ﴾ على الرخصة والإباحة لا على الوجوب ﴿ وأطعموا ﴾ على الوجوب ﴿ القانع ﴾ الراضي بما تطع به المتعفف عن المسألة والتسول ﴿ والمعتز ﴾ الذي يتعرض لك بطريق أو آخر لتعطيه ﴿ كذلك ﴾ كما أمرناكم بهذا ﴿ سخرناها لكم ﴾ في كل ما تريدونه منها حتى الذبح ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ فوجب الشكر على هذه النعمة الجليلة ٣٧- ﴿ لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ﴾ لأنه الغني عن كل شيء ، وإليه يفقر كل شيء ﴿ ولكن يناله التقوى منكم ﴾ أي يناله تعالى الرضا عنكم ، لأنه يريد من عبده أن يكون مرضياً لديه تماماً كما يريد الوالد من ولده أن يكون ناجحاً في دروسه وسلوكه . وفي الحديث : « تقع الصدقة في يد الرحمن قبل أن تقع في يد السائل » . والله سبحانه هو المالك

أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحَلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّدِكْرُومِ اسْمِ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَاذْكُرُوا إِلَهَ وَاحِدًا فَلَهُ أَسْلَبُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿ وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجِبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ

كَذَلِكَ سَخَرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُمْ وَبَشِّرِ
 الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٥﴾ * إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا
 إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ أَذِنَ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ
 بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٧﴾ الَّذِينَ
 أُتْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ
 وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صُرُومُ
 وَيْجٍ وَصَلَوْتُ وَمَسْجِدُ يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمَ اللَّهِ كَثِيرًا
 وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٣٨﴾
 الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا
 الزَّكَاةَ وَآمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
 الْآمُورِ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ
 نُوحٍ وَعَادٌ وَنَمُودٌ ﴿٤٠﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤١﴾

والرازق ولكن يريد من عبده أن يكون كريماً ﴿٣٥﴾ كذلك سخرها لكم
 لكم ﴿٣٦﴾ ولا هدف من هذا التكرار والتوكيد إلا التذكير بأنعمه
 وإلا ﴿٣٧﴾ لتكبروا الله على ما هداكم ﴿٣٨﴾ لتعرفوا عظمة الله في
 قدرته ، وقضيه في هدايته لكم من الضلال والظلام إلى النور
 والفلاح ﴿٣٩﴾ وبشر ﴿٤٠﴾ يا محمد ﴿٤١﴾ المحسنين ﴿٤٢﴾ لا بالأضاحي
 وكفى ، بل بشئ مظاهر الإحسان ، وبالأخص من ترك شيئاً
 جديداً ومفيداً لأخيه الإنسان .

٣٨- ﴿٣٨﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴿٣٩﴾ هذه الآية
 خاصة بالمؤمنين في صدر الإسلام حيث كان الإسلام غريباً
 وضعيفاً ، وكانت كلمة الإيمان تؤدي بقائلها إلى القتل والهلاك
 أو التعذيب والتنكيل ، ومن هنا كان التصديق بمحمد (ص)
 من حيث هو موجباً لدخول الجنة ، فقد جاء في المجلد الثاني
 من أصول الكافي عن المصوم (ع) : أن ما من أحد مات
 في السنين العشر من البعثة ، هو يشهد أن لا إله إلا الله ومحمد
 رسول الله إلا أدخله الله الجنة بإقراره ، وهو إيمان التصديق ، ولم
 يعذب الله أحداً ممن هو متبع لمحمد (ص) ﴿٤٠﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
 كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٤١﴾ خَوَّانٌ : يخون دينه وضميره ، ووطنه
 وأمنه ، وصديقه وإنسانيته . كَفُورٌ : يجهل المعروف والإحسان ،
 ويسيء لمن نصحه له بلا مقابل .

٣٩- ﴿٣٩﴾ أَذِنَ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا ﴿٤٠﴾ هذه آية
 آتت في الإذن بالقتال دفاعاً عن النفس ، ومعناها إذن
 بالقتال الذين يستطيعون حمل السلاح والجهاد ، بسبب ما حلَّ
 بهم من الظلم والعدوان ، فقد تحمّل النبي والصحابه ألوأناً
 من الأذى والتنكيل دون أن يقاوموا . لأن المقاومة كانت
 آنذاك أشبه بعملية إبتحارية لضعف المسلمين وقوة المشركين . وبعد الهجرة إلى المدينة من عصبة الشرك والظلم ، أصبح
 المسلمون أهل قوة رادعة ، ولذا أذن سبحانه لنبيه وللمسلمين أن يقاتلوا . ووعدهم بالنصر بعد التنكيل بهم والتشريد الذي أشار
 إليه سبحانه بقوله ٤٠- ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴿٤١﴾ شرد المشركون بالمسلمين إلى الحيشة والمدينة لا شيء
 ﴿٤٢﴾ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴿٤٣﴾ وهذه الكلمة أشد وقعاً من الصاعقة على قلوب الجبابرة الطغاة لأنها تضع الجميع على مستوى
 واحد في الحقوق والواجبات ، ولا تُبقي فضلاً لأحد إلا بما يُقدّمه من عمل صالح ينفع به الفرد والمجتمع ولو وقف الأمر على
 مجرد النطق بكلمة التوحيد لمان عليهم سماعها ، بل واستسلموا ونطقوا بها ، ولكن وراءها العدالة والمساواة وهم أعدى أعدائنا .
 ﴿٤٤﴾ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صُرُومُ وَيْجٍ وَصَلَوْتُ وَمَسْجِدُ يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمَ اللَّهِ كَثِيرًا . في مجمع البيان للشيخ الطبرسي :
 الصومع أيام شريعة عيسى ، والبيع أيام شريعة موسى . والمساجد أيام شريعة محمد . والمعنى لولا القوة الرادعة لفسدت الأرض ،
 وأهلك القوي الضعيف . قال الإمام علي (ع) : السلطان وزعة الله في أرضه ، أي يأوي إليه كل مظلوم . وأيضاً قال :
 لا بد للناس من أمير بر أو فاجر ، تأمن به السبل ويؤخذ به للضعيف من القوي ﴿٤٥﴾ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ﴿٤٦﴾ هذا ترغيب
 في الجهاد لنصرة الحق وأهله ، وأيضاً يسوغ تفسيره أن المظل إذا غلب الحق في الدنيا فإن الله سبحانه ينصر هذا غداً .
 ويحذر ذلك ، هذا فيما يعود إلى الفرد العادي ، أما الدولة ورجالها فقد أشار إليهم سبحانه بقوله :

٤١- ﴿٤١﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ بِالْحَكْمِ وَالسُّلْطَانِ ﴿٤٢﴾ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَآمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ﴿٤٣﴾
 أقسم سبحانه أن ينصر الحاكمين شريطة أن يؤدوا حق العباد لله صوماً وصلاة وحجاً وزكاة ، وأن يحقوا الحق ، ويبطلوا

الباطل ، وهذا هو المراد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
 قيل للملك زال ملكه : ما الذي أزال ملكك ؟ قال : أضعت
 حق الله والناس فضايع ملكي .

٤٢-٤٤- ﴿ وَإِنْ يَكْذِبُوكَ ﴾ يا محمد ﴿ فَقَدْ كَذَبَتْ
 قَلْبُهُمْ ... ﴾ لست النبي الوحيد الذي جاء بالبينات والمعجزات
 فكذبه قومه ، فثلك وقبلك كثير وكثير ﴿ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ
 كَانَ نَكِيرِ ﴾ أي إنكاري عليهم بالهلاك والعذاب .

٤٥- ﴿ فَكَاثِنٍ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ﴾ أي كم قرية
 أهْلَكْنَاهَا ﴿ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ﴾ مكذبة لرسالها ، وتقدم في الآية ٤
 من سورة الأعراف ﴿ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾ تهدمت
 حيطانها ، وخرت سقوفها ، وتقدم في الآية ٢٥٩ من سورة
 البقرة ﴿ وَبِئْسَ مَعْطَلَةٌ ﴾ عامرة بالماء ، ولكن لا يردّها وارد
 ﴿ وَقَصْرِ مُشِيدٍ ﴾ ولكنه خافت صامت لا نفس فيه إلا
 لليوم والرباح .

٤٦- ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ... ﴾ تقدم في الآية
 ١٣٧ من آل عمران و ٣٦ من النحل .

٤٧- ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ ﴾ يا محمد ساخرين
 ﴿ وَلَنْ يَخْلَفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾ فالتعجيل أو التأجيل ليس بالشيء
 المهم ما دام العذاب نازلًا بهم لا محالة ﴿ وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ
 كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعْتَوْنَ ﴾ علام تستعجلون عذاب الآخرة ؟
 ويوم واحد منه أشد عليكم من عذاب ألف سنة من سني الدنيا .

٤٨- ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ ... ﴾ تقدم قبل قليل في الآية
 ٤٥ من هذه السورة ، وأعاد سبحانه لتوكيد الإنذار .

٤٩- ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ هذه هي مهنتي ، أما تعجيل العذاب أو تأجيله
 فهو بيد الله وحده ، وتكرر هذا المعنى بالعديد من الأساليب .

٥٠- ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ... ﴾ واضح ، وتقدم مرات .

٥١- ﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا فَإِنَّا بَالِغُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ﴾ معاجزين ﴿

الإعرا ب :

﴿ نَكِيفٌ ﴾ خبر كان مقدم ، و﴿ نَكِيرٌ ﴾ اسمها ، والأصل نكيري وحذفت الياء تخفيفاً . و﴿ كَاثِنٌ ﴾ أصلها أي دخلت عليها
 الكاف كما دخلت حل ذا ، وصارت كلمة واحدة ، وهي بمعنى كم الخيرة ، وكتبت بالنون في المصحف - كما في تفسير البحر المحيط -
 وحملها الرفع بالابتداء ، وجلة ﴿ أَهْلَكْنَاهَا ﴾ خبر خلافاً للزحشري . وهي ﴿ ظَالِمَةٌ ﴾ مبتدا وخبر ، والجملة حال من هاء أهْلَكْنَاهَا . فهي
 خالوية مبتدا وخبر ، والجملة عطف حل جملة أهْلَكْنَاهَا . وبئر وقصر عطف حل القرية . فتكون منصوب بأن مضمرة لوقوع الفعل في
 جواب الاستفهام . والتي في الصدور صفة للقلوب . ﴿ وَمُعَاجِزِينَ ﴾ حال من واو سَمِعُوا .

وَأَصْحَابُ مَدِينٍ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ
 ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّنْ مِنْ
 قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا
 وَبِئْسَ مَعْطَلَةٌ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ
 فَتَنُوكُنَّ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا
 فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي
 فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ
 وَعْدَهُ وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعْدُونَ ﴿٤٧﴾
 وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْنَاهَا
 وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ
 نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
 مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ

مُشَاسِكِينَ مُعَاكِسِينَ ﴿٥١﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥٢﴾ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ .

٥٢- ﴿٥٢﴾ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ﴿٥٢﴾ وقيل في الفرق بينهما : إن كل من نزل عليه الوحي من الله سبحانه ، يُسمى نبياً ، ولا يسمى رسولاً حتى يؤمر بتبليغ الوحي إلى الناس ، وعليه فكل رسول نبي ، وليس كل نبي رسولاً ﴿٥٢﴾ إلا إذا تعنى ألقى الشيطان في أمنيته ﴿٥٢﴾ وأعلى أمنيته لأنبياء الله ورسله أن يؤمن أهل الأرض بالله ، ويعملوا بطاعته وشريعته ، بل ذهبت نفس النبي حسرات على تمرد الناس وكفرهم بالله حتى عاتبه ، جلَّ وعزَّ ، بقوله : « فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون - ٨ فاطر » ولكن شياطين الإنس من أرباب الأطماع والأغراض يحولون بين النبي وأمنيته الخيرية ، بالتصويه والتزييف . وهذا هو معنى إلقاء الشيطان في أمنية الرسول والنبي ، هو بيني والشيطان يحاول الهدم .

﴿٥٢﴾ فينسخ الله ما يلقى الشيطان ﴿٥٢﴾ وحزبه من اختلاف الأكاذيب وأدعاء الأباطيل ﴿٥٢﴾ لم يحكم الله آياته ﴿٥٢﴾ يشنها ويصونها من التحريف كما جاء في الآية ٣٢ من التوبة : « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره » .

٥٣- ﴿٥٣﴾ ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة ﴿٥٣﴾ محك يميز بين الخيث والطيب ﴿٥٣﴾ للذين في قلوبهم مرض ﴿٥٣﴾ وهم المنافقون ﴿٥٣﴾ والقاسية قلوبهم ﴿٥٣﴾ وهم اليهود والمشركون ، وخلاصة المعنى لاسوق للدعابات الكاذبة إلا عند المرتزة والهمج الرعاع .

٥٤- ﴿٥٤﴾ وليعلم الذين أوتوا العلم ﴿٥٤﴾ بدين الله ، ويميزون بينه وبين البدعة والضلالة ﴿٥٤﴾ أنه ﴿٥٤﴾ أن القرآن هو ﴿٥٤﴾ الحق من ربك فيؤمنوا به ﴿٥٤﴾ ويعملوا بموجبه ، ولا تريد لهم أقاويل للمفترين إلا إيماناً وتسليماً لله وكتبه ورسله ﴿٥٤﴾ فتخبت له قلوبهم ﴿٥٤﴾ أي تخشع وتخضع للحق ، لأنها واعية زاكية .

٥٥- ﴿٥٥﴾ ولا يزال الذين كفروا في مرية منه ﴿٥٥﴾ يأبى الطغاة إلا الشك والإرتياب في الحق وأهله ﴿٥٥﴾ حتى تأتيهم الساعة بغتة ﴿٥٥﴾ حتى تقوم القيامة وهم في غفلة معرضون ﴿٥٥﴾ أو يأتيهم عذاب يوم عقيم ﴿٥٥﴾ وهو اليوم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون ولا تقبل من الذين ظلموا معذرة ، ولا هم ينظرون ، ومن هنا سُمي عقيماً :

٥٦- ٥٧- ﴿٥٦﴾ الملك يومئذ لله ﴿٥٦﴾ وحده لا أنصار ولا مستشار ﴿٥٦﴾ يحكم بينهم ﴿٥٦﴾ بالحق والعدل ، ولكل جزاء عمله .

الإعراب :

﴿من قبلك من رسول﴾ ﴿من﴾ الأولى والثانية زائدتان إعراباً ، وقال صاحب البحر المحيط : من الأولى لا ابتداء الغاية ، والثانية زائدة . ﴿فيؤمنوا﴾ عطف على يعلم ، وظله ﴿فتخبت﴾ . وبغية حال من الساعة أي بغتة .

٥٨- ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ من ترك الأهل والأوطان لجهاد أهل البني أو لطلب الرزق الحلال أو للتفقه بالدين أو شرد من دياره بالعنف والبني ثم قتل أو مات حتف أنفه - فقد وقع أجره ورزقه على الله ﴿وإن الله لهو خير الرازقين﴾ لمن يعمل ويسعى في سبيل الرزق تماماً كما هو الشأن في رزق الآخرة وثوابها .

٥٩- ﴿لِيَدْخُلْنَهُمْ مُدْخِلًا يَرْضَوْنَهُ﴾ المراد بالمدخل هنا الجنة ، وبداعة أن من دخلها لا يبغى عنها حولاً .

٦٠- ﴿ذلك﴾ إشارة إلى ما تقدم ، ثم استأنف سبحانه إلى كلام آخر وقال : ﴿ومن عاقب بمثل ما عوقب به﴾ من جارى الظالم بمثل ظلمه أو قاتله دفاعاً عن نفسه ﴿ثم يبغى عليه﴾ لا لشيء إلا لأنه أبى أن يقر للظلم واهتأ ﴿لينصرونه الله﴾ على من طغى وبغى ، ومعنى هذا أن من رضي بالذل والهوان يدعه الله وما رضي لنفسه .

٦١- ﴿ذلك بأن الله يولج الليل﴾ ... ﴿تقدم في الآية ٢٧ من آل عمران .

٦٢- ﴿ذلك بأن الله هو الحق﴾ أي أن وصفه تعالى بالإله الخالق المالك هو وصف بالحق والواقع ﴿وأن ما يدعون﴾ ويعبدون ويطيعون ﴿من دونه هو الباطل﴾ لأنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً .

٦٣- ٦٤- ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ...﴾ كل ما في الكون من أعيان وصفات وعلاقات هي نتيجة السنن الكونية ، ما في ذلك ريب ، وهذه السنن الكونية هي بالذات سنن إلهية ، لأن الله سبحانه هو الذي قدرها وأرادها وأودعها بالكون حين أظهره إلى عالم الوجود ، وتقدم ذلك مراراً .

٦٥- ﴿ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض﴾ من حيوان وزرع وثمار وغير ذلك ﴿والفلك تجري في البحر

اللغة:

المدخل بضم الميم من ادخل ، وهو اسم مكان ، والمراد به هنا الجنة

الإعراب :

﴿ليرزقنهم الله﴾ اللام جواب لقسم محذوف ، والقسم وجوابه خبر الذين هاجروا . و﴿مدخلًا﴾ مفعول فيه . وذلك خبر مبتدأ محذوف أي الأمر ذلك . فتصيح بالرفع لأن ألم تر لفظه الاستفهام ومعناه الخبر .

مُهِنٌ ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قَتِلُوا أَوْ مَاتُوا لِيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ ﴿لِيَدْخُلْنَهُمْ مُدْخِلًا يَرْضَوْنَهُ﴾ ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ * ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرْنَاهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوءٌ غَفُورٌ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ تَجْرِي

بأمره ﴿ يتيسره وتسخيره ﴾ ويمسك السماء ... ﴿ بنظام الجاذبية كما أمسك الطير جناحيه .

٦٦- ﴿ وهو الذي أحياكم ﴾ بعد العدم ﴿ ثم يميتكم ﴾ بعد الحياة ﴿ ثم يحييكم ﴾ بعد الموت ، والقصد من هذه الإشارة أن يعرف الإنسان قدره ، ولا يتجاوز حده ﴿ إن الإنسان لكفور ﴾ بنعمة الله ، بخيل بحق الله ، متعمر على أمر الله ، ولا مفر له من غضب الله إلا رحمة الله .

٦٧- ﴿ لكل أمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه ﴾ أي فاعلوه وملتزمون به ، وللمنسك معان ، منها الشريعة والمناهج وهو المراد هنا لقوله تعالى بلا فاصل ﴿ فلا يئازعك في الأمر ﴾ ما دام لكل أمة شريعة ، فلماذا بعض أهل الأديان يئازعون محمداً في شريعته ، ومثله « قل ما كنت بدعا من الرسل - ٩ الأحقاف » ﴿ وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم ﴾ إذن فلا تهتم بإعراض من أعرض ، وزاع من نازع ، وفي نهج البلاغة : ما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوماً ما لم يكن شاكاً في دينه ، ولا مرتاباً بقيته .

٦٨- ﴿ وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون ﴾ هذا إصناف مسكت للخصم المشاغب ، وأيضاً تهديد ، ولكن برق .

٦٩- ﴿ الله يحكم بينكم يوم القيامة ... ﴾ واضح ، وتقدم في الآية ١١٣ من البقرة .

٧٠- ﴿ ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب ﴾ محفوظ عند الله سبحانه ، والخطاب لرسول الله (ص) والمراد به تهديد الجاحد المعاند بأن كل ما يضر

فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ . وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ . إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٦﴾ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٧﴾ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُكَ فِي الْأَمْرِ وَاذْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٨﴾ وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ اللَّهُ يُحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٧٠﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ ﴿٧١﴾ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٧٣﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا

ويقول ويفعل هو عليه مسجل ، وسيؤخذ به لا محالة .

٧١- ﴿ ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطاناً ﴾ حجّة وبرهاناً ، بل البرهان قائم على العكس ، وهو كل معبود من دونه تعالى لا يستطيع دفع الضرر عن نفسه ﴿ وما ليس لهم به علم ﴾ بل تلقوه عن أسلافهم وآبائهم جهلاً وتقليداً باعترافهم وقولهم : « حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا - ١٠٤ المائدة » .

٧٢- ﴿ وإذا تلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر ﴾ أثقل شيء على أسماعهم كلمة الحق

الإهراب :

﴿ الفلك ﴾ بالنصب معطوفة على ما في الأرض أي وسخر الفلك ، وجلة ﴿ غجري ﴾ حال من الفلك . والمصدر من ان تقع مفعول من أجله ليمسك أي كراهة الوقوع ﴿ على الأرض ﴾ . ﴿ وهم ناسكوه ﴾ مبتدأ وخبر والجملة صفة لنسكاً . ﴿ سلطاناً ﴾ تمييز لانه بمعنى من سلطان ، وفي الآية ٧١ من سورة الأعراف وما نزل الله بها من سلطان . ﴿ ومن نصير ﴾ ومن زائدة إعراباً ونصير مبتدأ ، و﴿ للظالمين ﴾ خير مقدم . و﴿ بينات ﴾ حال من آياتنا .

وَالْمُنْكَرُ يَكَادُونَ بِسُطُونٍ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا
 قُلْ أَفَأَنْتُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ
 كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧١﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ
 فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ
 يَخْلُقُوا ذَبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ۚ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذَّبَابُ شَيْعًا
 لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٢﴾
 مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٣﴾ اللَّهُ
 يَصْطَلِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ
 بَصِيرٌ ﴿٧٤﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۚ وَإِلَى اللَّهِ
 تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٥﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَوًا وَعَبُدُوا
 وَأَعْبَدُوا رَبَّهُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٦﴾
 وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ

والقرآن ، تصفر وجوههم منها وتغير ﴿ يكادون يسطون ﴾
 يبطشون ﴿ بالذين يتلون عليهم آياتنا ﴾ يحتاج المؤمنون المحقون
 بالدلائل القاطعة على الجاحدين ، ويجب هؤلاء بالسنة السوء
 وعرض العضلات ! وهكذا جل الأقوياء المبطلين يضعون حداً
 للنقاش بالسجن أو المشقة ، ولا يعترفون بالخطأ ، ومن أبرز
 الشواهد على هذه الحقيقة محاكم التفتيش التي أنشئت في
 أوروبا لمحاكمة العلم والعلماء .

﴿ قُلْ أَفَأَنْتُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكُمُ النَّارُ ... ﴾ وهي أشد
 وأشق عذاباً على الكافرين مما يهددون به المؤمنين .

٧٣- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ﴾ سماع
 وعناية ودراسة ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَابًا
 وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ﴾ حتى ولو تعاون المعبودون والشركاء بالكامل
 على خلق ذرة أو ذبابة - لتراجعا خاسئين ﴿ وَأَنْ يَسْلِبَهُمُ
 الذَّبَابُ شَيْعًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ﴾ وفوق ذلك أن الذبابة لو سلبت
 الأصنام ذرة ما عليها من طيب وغيره لمعجزت عن مقاومة
 الذبابة والإنصار عليها ﴿ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ وهو المعبود من
 دون الله ﴿ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ وهو الذبابة ، وقال أديب شعير
 فيما قال حول هذه الآية : « هو مثل ما زال معجزاً للعلم والعلماء
 بعد ألف سنة من تطور العلم ، فمن يستطيع أن يخلق ذبابة على
 تفاهتها ، وإذا سلبتك الذبابة حياتك بمرض تنقله إليك ، فمن
 يستطيع أن يرد لك تلك الحياة » .

٧٤- ﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ ما عرفوا عظمة الله

حق المعرفة حيث تركوا عبادته ، وعبدوا من يعجز عن خلق

الذبابة ، بل ومقاومتها والإنصار عليها ! وبعد فهي من عجب إذا ترك الناس أهل العلم والقداسة ، وأتبعوا أسعور الدجال
 الذي تحدث عنه صاحب البحار وغيره من العلماء الأبرار ٧٥٩- ﴿ اللَّهُ يَصْطَلِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا ﴾ كجبرائيل ينزل بالوحي
 على النبيين ﴿ وَمِنَ النَّاسِ ﴾ مبشرين ومنذرين ٧٦- ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ يعلم سبحانه ماضي الرسل وحاضرهم
 ومستقبلهم ، وانهم أهل لكرامته وتبليغ رسالته ٧٧- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ بالله ورسوله واليوم الآخر لا جدوى من إيمانكم
 هذا إلا أن تتوافر فيكم مع الإيمان أربعة أوصاف : الأول أن تقيموا الصلاة لله وحده ، وإليها أشار بقوله تعالى : ﴿ ارْكَعُوا
 واسجدوا ﴾ الثاني أن تطيعوا الله في أمره ونهيه ، وهذا هو المراد بقوله : ﴿ وَاَعْبُدُوا رَبَّكُمْ ﴾ حيث لا عبادة من غير
 طاعة ، الثالث : ﴿ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ ﴾ كإغاثة الملهوف وإصلاح ذات البين والتعاون على الصالح العام الرابع أن يجاهدوا بأنفسكم
 وأموالكم ضد القفر والجهل والإستغلال والعدوان على عباد الله وعياله ، وهذا المعنى هو المقصود من قوله سبحانه .

٧٨- ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ ﴾ اختاركم ، والخطاب للذين ناداهم سبحانه في صدر الآية
 السابقة بقوله : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا ... وعليه يكون السبب المرجع للإختيار هو الإيمان بالله ورسوله والعمل بشريعته
 ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ والمراد بالحرَج هنا الضيق ، والمعنى أن الله سبحانه ما شرع حكماً فيه عسر ومشقة
 على أحد من عباده ، وأيضاً معناه أن الحكم الواحد يختلف تبعاً لطاقة الفرد وظروفه . وفي الحديث : إذا اجتمع أمران
 فأحبهما إلى الله أيسرهما ، والتفصيل في كتب الفقه وأصوله

عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٣٣﴾

(٣٣) سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ مَكِّيَّةٌ وَأَنبَأَ أَنبَاءُهَا فِي عَشِيرَةٍ وَمَاتَ شَبَابُهَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾ الملة : الدين ، وإبراهيم (ع) أب حقيقي للأنبياء ، وروحي لأهل الأديان لاتفاقهم على نبوته وتعظيمه . وقال الشيخ الطبرسي : « إبراهيم أبو الأمة لأن العرب من ولد إسماعيل ، وأكثر العجم - أي غير العرب - من ولد إسحق » ﴿ هو ﴾ إبراهيم ﴿ سماكم المسلمين ﴾ إشارة إلى ما جاء على لسانه في الآية ١٢٨ من البقرة : ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ﴿ من قبل ﴾ أي تسميتكم بالمسلمين موجودة قبل القرآن في الكتب السابقة ﴿ وفي هذا ﴾ أيضاً هذه التسمية موجودة في القرآن ﴿ ليكون الرسول ﴾ هو محمد (ص) ﴿ شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس ﴾ أرسل سبحانه محمداً (ص) داعياً إلى الحق ، وشاهداً على الخلق ، فبلغ رسالات ربه ، وبلغها من بعده أهل بيته وصحابته الذين استنوا بسيرته وعملوا بسنته ، وحمل عبء التبليغ من بعدهم العلماء بدين الله وشريعته ، فمنهم من بلغ حسب طاقته غير وإن ولا مقصر ، ومنهم من تجاهل وتخاذل ، ولكل كتابه عند الله ، وسيرته في التاريخ وعند الناس ﴿ واعتصموا بالله ﴾ والدليل الصادق على هذا الاعتصام هو العمل بالحق ، والإذعان له ، والتعاون مع كل إنسان على إقامته والجهر بكلمته مهما كانت النتائج ، ولا يضعف ويحج عن مقالة الحق إلا من يخشى المخلوق دون الخالق ﴿ هو مولاكم ﴾ يتولى أمر من اعتصم به وتوكل عليه ﴿ فنعيم المولى ونعم النصير ﴾ لمن انتصر به دون سواه . وهو سبحانه أن ينصر دين الحق وأهله بالنبي وآله ، عليهم أزكى الصلوات والتحيات ..

- ١- ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ الفلاح بمعنى النجاح ، وهو الظفر بالمراد ، وكل من قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله فهو في حكم المسلم ديناً ، أما في الآخرة فلا نجاح ولا فلاح إلا للذين تتوافر فيهم هذه الخلال :
- ٢- (١) ﴿ الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾ والمراد بالخشوع هنا الإقبال على الصلاة بنفس راضية بها تمام الرضا ، وما زاد كالنضج فهو خير ، واستوحينا هذا المعنى من حديث « قرءة عيني الصلاة » ومن قوله تعالى : « وإذا أقاموا إلى الصلاة قاموا كسالى - النساء ١٤٢ » .
- ٣- (٢) ﴿ والذين هم عن اللغو معرضون ﴾ واللغو ناباطل ، ويشمل ما لا فائدة فيه ، وباللغة المهذبة : مضغ الهواء ، ومعنى الإعراض عنه عدم الدخول فيه والاستماع إليه .
- ٤- (٣) ﴿ والذين هم للزكاة فاعلون ﴾ وللزكاة معنيان : الأول أن يخرج الغني زكاة ماله ، ومنه قوله تعالى : وآتوا الزكاة . الثاني أن تكون أفعال الإنسان بعيدة عن الإثم والدنس ، ومنه وما عليك ألا يركب ، والمراد بالزكاة في الآية كلاً للمعنيين ، وإن أوتيت كلمة « فاعلون » إلى المعنى الثاني .
- ٥- (٤) ﴿ والذين هم لفروجهم حافظون ﴾ عن الزنا وغيره من المحرمات . وفي سفينة البحار للشيخ القمي عن النبي (ص) أن الزنا يوجب الخلود في النار ، وأن الله سبحانه لا يسمي الزاني مؤمناً ولا الزانية مؤمنة .

٨- (٥) ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ جاء في الحديث الشريف : « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان » والمؤمن بالعكس وتقدم الكلام حول الأمانة في الآية ٥٨ من النساء وحول الوفاء بالعهد في الآية ٤٠ من البقرة .

٩- ١١- (٦) ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يَحْفَظُونَ﴾ يواظبون عليها في مواقيتها .

١٢- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ السلالة من حيث هي : خلاصة ما يستخرج من الشيء ، والمعنى خلق الإنسان الأول وهو آدم من صفوة الماء والتراب .

١٣- ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَفْثَةً﴾ أي خلق نسل آدم من نطفة ﴿فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ يعني الرحم .

١٤- ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَاقَةً﴾ قطعة من دم جامد ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ قطعة من لحم ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا﴾ تحولت المضغة أو بعضها إلى عظام ﴿فَكُسُونَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾ ثم أنشأناه خلقاً آخر ﴿إِنْسَانًا سَوِيًّا﴾ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴿شَكْلًا وَمَحْتَوًى﴾ .

١٥- ١٦- ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ قبل لحكيم : فلان في الترع . قال : هو في الترع منذ ولد ، أي من طريقه إلى القبر منذ ولادته .

١٧- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ أي بعضها فوق بعض تماماً كما يقول الناس «طوابق» أما عدد السبعة فلملأه مثزل على ما اعتاد الناس أن يتخاطبوا به فيما بينهم .

ونقل المراغي في تفسيره حديثاً عن النبي (ص) أنه قال : «ما السموات السبع وما فيهن وما بينهن والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن إلا كحلقفة ملقاة في أرض فلاة» .

اللغة :

السلالة ما يستخرج من الشيء . والمراد بالطرائق السموات لأن بعضها فوق بعض ، يقال : طارق بين الثوبين اذا لبس أحدهما على الآخر .

الإعراب :

﴿الذين هم في صلاتهم﴾ عطف بيان من «المؤمنون» . ﴿وعلى أزواجهم﴾ متعلق «بالحافظون» . وما ملكت استعملت «ما» فيمن يعقل . والذين يرون بدل من «الوارثون» . وحمله هم فيها خالدون حال . ﴿من سلالة﴾ متعلق «بخلقنا» ، و﴿من طين﴾ بمحدوف صفة للسلالة . و﴿جعلناه﴾ متعدى الى مفعولين لأنه بمعنى صيرناه ، وكذلك خلقنا النطفة علقه ، فخلقنا المضغة عظاماً . وكسونا أيضاً متعدى الى مفعولين . و﴿خلقنا﴾ مفعول مطلق لأنشأناه لأنه مثل قمت وقوماً .

١٨- ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ، لَا هُوَ الْكَثِيرُ فِيهِلِكَ وَيَسْمَرُ ، وَلَا بِالْقَلِيلِ فَيَنْضُرُ الزَّرْعَ وَالضَّرْعَ ﴿ فَاَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ ﴿ فِي الْعَيُونِ وَالْآبَارِ وَالْجُدَاوِلِ وَالْأَنْهَارِ لِنَنْفَعُوا بِهِ ﴿ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَاهِرُونَ ﴿ فَيَجْعَلُهُ غَوْرًا فِي الْأَرْضِ إِلَى مَدَى لَا يُمْكِنُ الْوَصُولُ إِلَيْهِ بِشَى الْوَسَائِلِ .

١٩- ﴿ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ ... ﴿ مِنْ أَشْجَارٍ وَثَمَارٍ ... إِلَى مَا هُوَ ظَاهِرٌ لِلْعَيَانِ .

٢٠- ﴿ وَشَجَرَةٍ ﴿ هِيَ شَجَرَةُ الزَّيْتُونِ ﴿ تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ الَّذِي نَاجَى فِيهِ مُوسَى رَبَّهُ ، وَالْمُرَادُ هُنَا الْبُقْعَةُ الَّتِي كَانَتْ تُعْرَفُ بِالشَّامِ حَيْثُ تَكْثُرُ فِيهِ هَذِهِ الشَّجَرَةُ ﴿ وَصَيَّغَ ﴿ مَا يَصْطَلِغُ بِهِ مِنَ الْإِدَامِ أَيْ يَغْمَسُ فِيهِ الْخَبِزَ وَيُؤْكَلُ .

٢١-٢٤- ﴿ وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ ... ﴿ تَقْدَمُ فِي الْآيَةِ ٥ وَمَا بَعْدَهَا مِنَ النَّحْلِ ﴿ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ ﴿ فَكَيْفَ يَكُونُ نَبِيًّا ؟ وَهَذَا حَقٌّ مَثَلُهُ لَوْ كَانَ الرَّبُّ حَجَرًا كَالَّذِي يَعْبُدُونَ ! قَالَ الْقَضَاءُ فِي كِتَابِ خِلَاصَةِ الْيَوْمِيَّةِ : لَا يَسْلُمُ إِنْسَانٌ تَحْتَ قَبَةِ السَّمَاءِ مِنْ جُنُونٍ خَفِيِّ ، يَقُولُ الْمَثَلُ الْإِنْكِلِيزِي : لَوْ كَانَ الْجَنُونُ مَرْضًا يُؤْلَمُ لَسَمِعْتَ الصَّرَاخَ مِنْ كُلِّ بَيْتٍ .

وَهَلْ مِنْ شَيْءٍ أَدْلَى عَلَى جُنُونِهِمْ مِنْ قَوِّهِمْ عَنْ نُوحٍ :

٢٥- ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فُتِرَ بِصَوَاهِ حَتَّى حِينٍ ﴿ انْتَظَرُوا حَتَّى يَمُوتَ أَوْ يَرْجِعَ عَنْ دَعْوَتِهِ أَوْ يَشْفَى مِنْ جُنُونِهِ .

غَفْلِينَ ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَاَسْكَنَهُ ﴿ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿ فَاَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْنَبْنَا لَكُمْ فِيهَا قَوَّكُمُ كَثِيرَةً وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿ وَجَعَلْنَا تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَيَّغَ لَكُمْ كَلِينَ ﴿ وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لِيُفَكِّرُمْ تَسْقِيَكُمْ مِمَّا فِي بَطُونِهَا وَلَكُمُ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿ فَقَالَ الْأَمْلُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا

اللغة :

يقدر أي مقدار معلوم . والمراد بالشجرة هنا شجرة الزيتون . وطور سيناء الجبل الذي ناجى فيه موسى ربه ، وعبر سبحانه عنه في الآية ٢ من سورة التين بطور سينين . والصيغ الغمس ، والمراد به هنا الزيت يغمس فيه الخبز .

الإعراب :

﴿ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴾ صفة لله ، وإن كانت الإضافة هنا لا تفيد تعريفاً لأن كلمة أحسن الخالقين لا تطلق إلا عليه تعالى ، بل لا خالق سواه . وبعد ظرف متعلق بمجتون . ﴿ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ ﴾ ﴿ مِنْ ﴾ زائدة إعراباً وإله مبتدأ . والمصدر من أن يتفضل مفعول يريد أي يريد الفضل . ﴿ إِنْ هُوَ ﴾ ﴿ إِنْ ﴾ نافية وهو مبتدأ وخبره رجل .

٢٦-٣٠- ﴿ قَالَ ﴾ نوح : ﴿ رَبِّ انصُرني بما
كذبون ﴾ وعند هذا الدعاء أمره الله أن يصنع السفينة ، فصنعها ،
وحمل معه من كل زوجين اثنين ... إلى آخر ما جاء في سورة
هود من الآية ٢٥ إلى الآية ٤٨ .

٣١-٣٤- ﴿ ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين ﴾
أوجد سبحانه من بعد أمّة نوح أمّة ثانية ، وأرسل منها رسولا .
وقال لهم : ألا تعبدون الله وحده ، وتتقون ؟ فقال المتفرون :

اللغة:

الملا رؤوس القوم . أن يتفضل أن يكون له الفضل . جنة
جنون . فتربصوا فانتظروا . بأعيننا برعايتنا . والمراد بالتور هنا وجه
الأرض . والاستواء الاستقرار . واسلك ادخل . ومبتلين مختبرين .
القرن أهل العصر الواحد ، والمراد بهم عاد قوم هود . وأترفناهم
نعمناهم من الترف وهي النعمة . هيهات بُعد . يصبحن يصرن .
والصيحة العذاب . والغناء ما يجمله السيل مما يمر به من الأشياء
الحفيرة البالية . وبعداً هلاكاً .

الإعراب:

﴿وبه جنة﴾ مبتدأ وخبر والجملة صفة لرجل . و﴿رَبِّ﴾ أصلها يا رب . و﴿ان اصنع﴾ مفسرة ﴿لاوحينا﴾ .
و﴿بأعيننا﴾ متعلق بمحذوف حالاً من الفلك أي محفوظة بأعيننا . وكلّ بالتثنية أي ﴿من كل﴾ نوع . و﴿زوجين﴾ مفعول اسلك .
والثنية تأكيد لزوجين . و﴿منزلاً﴾ مفعول فيه لأنه اسم مكان ، وإذا كان بمعنى انزال فهو مفعول مطلق . وان كنا ﴿ان﴾ مخففة
وأصلها إنا واسمها ﴿نا﴾ وجلة كنا خير . ﴿ان اعبدوا﴾ ﴿ان﴾ مفسرة لأن الارسال يتضمن معنى القول .

رَجُلٍ بِهِ جَنَّةٌ مَّا بَصُرُوا بِهٖ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٦﴾ قَالَ رَبِّ
انصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ
بِأَعْيُنِنَا ووَحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا
مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ
مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٨﴾
فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَعَكَ عَلَى الْفُلْكَ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي نَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغُورِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ وَقُلْ رَبِّ أُنزِلْنِي
مُنْزَلاً مَّبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٣٠﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ
قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٣٢﴾ فَارْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا
اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ
مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا الْآخِرَةِ وَاتَّرفَتْنَهُمْ

فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا
تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ
بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا عُلِّيسْتُمْ ﴿٣٤﴾ أَيْعِدُكُمْ أَنْكُمْ
إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْكُمْ تُحْرَجُونَ ﴿٣٥﴾
* هَيَّاتِ هَيَّاتِ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا
الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا
رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ لِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾
قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبْتُ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْحَرَنَّ
نَدِيمِي ﴿٤٠﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غَنَاءً
فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا
ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْقِي مِنْ أَمَةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ﴿٤٣﴾
ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلٌّ مَّا جَاءَ أُمَّةً رُسُلَهُمْ كَذَّبُوهُ

﴿ ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما
تشربون ﴾ وإذن فأى فضل له على غيره ، ولو أكل الألف
والأطب ، وشرب الأحل والأشهى ، وليس الأثمن والأعلى ،
وسكن العلاءي والقصور - لكان له الأفضلية على سواه !
وهذا هو منطق الناس حتى في عصرنا هذا ، وقرأت من جملة ما
قرأت أن معبود الجماهير في أمريكا وأوروبا هو الأكثر
والأعظم مالا وثراء !

٣٥-٣٨ ﴿ أيعدكم أنكم إذا متم - هيهات هيهات
لما توعدون ... ﴾ إنه كذاب أو مجنون ، ولماذا ؟ لأن تنفيذ
الوعد والتهديد محال وممتنع بالذات تماماً كقول القاتل :
سأفعل كذا وكيت بالذي لا عين له ولا أثر أو سأعذب وأشتق
هذا الحجر !... قالوا هذا ذاهلين عن وجود الله وعظمته ،
وأن الذي أوجد الشيء من لا شيء على رجعه لقادر ، وأن إعادة
البيت المهدم أهون وأيسر من إيجاده وإنشائه .

٣٩-٤١ ﴿ قال ﴾ الرسول ﴿ رب انصُرني بما كذبتون ﴾
فسمع سبحانه دعاء رسوله واستجاب له .
٤٠-٤١ ﴿ قال عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْحَرَنَّ نَادِمِينَ ﴾ على كفرهم
وعنادهم .

٤١-٤٢ ﴿ فأخذتهم الصيحة ﴾ وهي صيحة العذاب
﴿ بالحق ﴾ أي بما كسبت أيديهم ﴿ فجعلناهم غناء ﴾
هلكت كزبد السيل .

٤٢-٤٣ ﴿ ثم أنشأنا من بعدهم قرونًا آخرين ﴾ أممًا
وخلائق كثيرة ، منها معلوم ومنها مجهول .

٤٣-٤٤ ﴿ ما تسقى من أمة أجلها وما يستأخرون ﴾ كل ما عدا الله سبحانه له أجل مكتوب وأمد معين ، لا يقدم
عليه أو يتأخر عنه ، ومنه هلاك الأمة وانقراضها ﴿ ثم أرسلنا رسلنا تترًا ﴾ بعثنا الرسول بعد الرسول ﴿ كلما جاء أمة رسلها
كذبوه ﴾ ومن الأسباب الموجبة لهذا التكذيب أن الأنبياء والرسل يخاطبون الجمهور وسواد الناس ، ويحاولون إقناعهم
بلغة العقل والقيم والأريحية النبيلة ... وقد تجدي هذه اللغة مع النسخة المختارة من ذوي العقل والعلم ، أما السواد فلا يفهم
- في الغالب - إلا بلغة الرغبة والرهبة أو المحاكاة والتقليد « إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ - ٢٢
الزخرف » أمّا من أسلم واتبع الرسل من السواد فإنه أسلم في البداية رغبة في التحرر من الرق والجور - غالباً كما أشرنا -
ثم تمكن الإيمان في نفسه ورسخ مع الأيام ، ولا بأس ، لأن الإسلام وكل دين سماوي يقف إلى جانب المعذبين في الأرض ،
ما في ذلك رب .

الإعراب :

﴿ وخرجون ﴾ خبر ﴿ انكم إذا متم ﴾ ، وانكم الثانية تأكيد لأنكم الأولى ، وتكررت للفواصل الطويل ، والمصدر من انكم الأولى
واسمها وخبرها مفعول ثانٍ ليعدكم أي ﴿ يعدكم ﴾ الإخراج . ﴿ هيهات ﴾ اسم فعل بمعنى بُعد ، ويحتاج الى فاعل ، وفاعله ضمير
مستتر يعود الى الإخراج أي بُعد إخراجكم . وعما قليل ﴿ وما ﴾ زائدة إعراباً وقليل مجرور بمن ، والمجرور متعلق بيصبحن واللام لا تمنع
من ذلك لأنها لمجرد التأكيد كما قال أبو البقاء في كتاب الاملاء . و﴿ بعداً ﴾ مصدر في موضع الفعل أي بعدوا بعداً .

٤٥-٤٩- ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى ... ﴾ بالحجج والبيانات إلى فرعون ، فأعرض ونأى فكان من المالكين ، وتقدم مرات . أما هذا التكرار فقد ذكرنا شيئاً من أسبابه عند تفسير الآية ٩ من طه ، هذا وقد يكون التكرار لسبب خاص أوجب نزول الآية وتكرارها .

٥٠- ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ﴾ أي حجة قاطعة على أن الله على كل شيء قدير ، فعبى معجزة لأنه من غير أب ، وأمه معجزة لأنها حملت من غير ذكر ﴿ وَأَوْنَاهُمَا إِلَى رِبْوَةٍ ﴾ مكان مرتفع من الأرض ، وهذه الربوة ﴿ ذَاتِ قَرَارٍ ﴾ يستقر فيها الإنسان ويطمئن ﴿ وَمَعِينٍ ﴾ وهو الماء الجاري . وجاء في الأناجيل أن الناصرة مسقط رأس السيدة مريم ، وفيها بشرت بالسيد المسيح (ع) أيضاً فيها نشأ وترعرع ، وقضى القسم الأكبر من الثلاثين سنة الأولى من حياته ، ولذلك لقب يسوع الناصري نسبة إليها . وفيها العديد من الأديرة والكنائس وهي أكبر مدن الجليل ، وتقوم على جبل ، يرى منها جبل الشيخ والكرمل ، وتبعد عن عكا شرقاً تسعة عشر ميلاً ، وعن القدس شمالاً ستة وعشرين ميلاً .

٥١- ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ كلُّ حلال فهو طيب ، وكل حرام فهو خبيث ﴿ وَاعْمَلُوا صَالِحاً ﴾ كل ما فيه خير للناس فهو صالح ، وكل ما فيه شر فهو فساد في الأرض ، وإن سأل سائل : كيف خاطب سبحانه الرسل بصيغة الجمع علماً بأنهم بُعثوا على التراخي والتتابع في العديد من الأزمنة ؟ - أجابه بأن الغرض من هذه الآية أن يقول سبحانه

لمن يشق ويتأفف من المذات والطبائيات : إن الورع والتقوى بالعمل الصالح والزهدي في الحرام لا في الحلال . قال الإمام علي (ع) : لا ورع كالوقوف عند الشبهة ، ولا زهد كالزهد في الحرام .

٥٢- ﴿ وَإِنْ هَذِهِ أَمَّتْكُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ ... ﴾ تقدم في الآية ٩٢ من الأنبياء ، وأعيد تمهيداً لقوله تعالى :

٥٣- ﴿ فَفَقَطَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُوراً ﴾ جمع زبور وهو الكتاب ، والمعنى تفرق أصحاب الكتب شيئاً متشابهة متطابقة ، هذه تنتسب إلى موسى ، وتلك إلى عيسى ، ونحن إلى محمد ، ودين الأنبياء الثلاثة واحد ، وهدفهم واحد ، وهم إخوان الولاء والصفاء ، فإذا من أين جاء التباغض والشقاق ؟ .

﴿ كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فِرْعَوْنٌ ﴾ علماً بأن الحق واحد لا ينجز ، وأنه ما اختلفت دعوتان إلا كانت إحداها ضلالة ، والعقل هو الحاكم الحاسم ، ولذا احتكم إليه القرآن وخاطب خصومه بقوله : أفلا تعقلون وتفقهون وتندبرون وتفكرون ؟ وكرر ذلك مرات ومرات .

٥٤- ﴿ فَذَرِهِمْ فِي غَمَرِهِمْ ﴾ في جهلهم وضلالهم ﴿ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ هلاكهم وعذابهم .

٥٥-٥٦- ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ ﴾ نعطهم ﴿ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ نَسَارُهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾ وإنها فضيلة لهم

الإعزاز :

﴿ تَتَرَىٰ ﴾ مصدر وضع موضع الحال من الرسل أي متواترين متتابعين ، والفعل تواتروا . ﴿ وَبَعْضُهُمْ ﴾ مفعول أول وبعضاً مفعول ثان .

فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ۖ فَبِعَدَا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبينٍ ﴿٤٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۖ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٧﴾ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِكَ وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَبِيدُونَ ﴿٤٨﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٥٠﴾ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ۖ وَأَوَيْنَهُمَا إِلَىٰ رِبْوَةٍ ۖ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥١﴾ يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥٢﴾ وَإِنْ هَذِهِ أُمَّةٌ أَمَّتْكُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ ۖ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٣﴾ فَفَقَطَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُورًا ۖ كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فِرْعَوْنٌ ۖ فَذَرِهِمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ

وكرامة كلا ﴿٥٧﴾ بل لا يشعرون ﴿٥٨﴾ بأنها سبب النعمة والعذاب ،
وتقدم في الآية ١٧٨ من آل عمران .

٥٧- ﴿٥٧﴾ إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون ﴿٥٨﴾ لما
أشار سبحانه إلى الأحزاب والطوائف التي تعيش في الجهل
والضلال ، ذكر العارفين المهتدين بأنهم يجتهدون في العمل
الصالح ، وينهمون أنفسهم بالتقصير .

٥٨- ﴿٥٨﴾ والذين هم بآيات ربهم يؤمنون ﴿٥٩﴾ المراد
بالآيات هنا الدلائل على وجوده تعالى ، ونبوة أنبيائه ، وصدق
كتبه ٥٩- ﴿٥٩﴾ والذين هم بربهم لا يشركون ﴿٦٠﴾ لا يدلسون
ويرادون ٦٠- ﴿٦٠﴾ والذين يؤتوا ما آتوا وقلوبهم وجة أنهم
إلدرهم راجعون ﴿٦١﴾ يفتقون بما رزقهم الله وهم خائفون أن
لا يتقبل منهم .

٦١- ﴿٦١﴾ أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ﴿٦٢﴾
لقد أسرعوا من دون الناس إلى عمل الخيرات في الدنيا ، ومن
أجل هذا يسبقونهم إلى الجنة في الآخرة .

٦٢- ﴿٦٢﴾ ولا تكلف نفساً إلا وسعها ﴿٦٣﴾ واضح ، وتقدم
مرات ، منها في الآية ١٥٢ من الأنعام ﴿٦٤﴾ ولدنيا كتاب ينطق
بالحق وهم لا يظلمون ﴿٦٥﴾ المراد بالكتاب هنا كتاب الأعمال
الذي لا يغادر كبيرة ولا صغيرة ، أما الظلم فهو محال في
حقه تعالى ، وقد لعن الظالمين في كتابه أكثر من مرة . والويل
كل الويل لمن تناله لعنة الواحد القهار .

٦٣- ﴿٦٣﴾ بل قلوبهم في غمرة من هذا ﴿٦٤﴾ الغمر في
اللغة الماء الكثير ، والمراد بالغمرة هنا غطاء الجهل والغفلة والضلال ،

وهذا إشارة إلى سبيل المؤمنين وما هم عليه من التوحيد ومكارم الخصال ، والمعنى أن المجرمين في سكرة وعمى عن كل خير
وفضيلة ﴿٦٥﴾ ولهم أعمال دون ذلك ﴿٦٦﴾ كالتدليس وتحريف الكلام عن مواضعه والإقتراف على الأبرياء ﴿٦٧﴾ هم لها عاملون ﴿٦٨﴾
أي عليها يصرون وفيها يتمادون ، ولا يتعظون بواعظ .

٦٤- ﴿٦٤﴾ حتى إذا أخذنا مترفهم ﴿٦٥﴾ تكررت هذه الكلمة ومشتقاتها في القرآن الكريم سبع مرات ، وفي نهج البلاغة
ست مرات ، واستعملت بالكامل في أسوأ المعاني وأقبح الصفات هذا بالإضافة إلى قوله تعالى : « وذريني والمكذبين أولي النعمة -
١١ المزل » وفي هذا المعنى كثير من الآيات ﴿٦٦﴾ بالعذاب إذا هم يجأرون ﴿٦٧﴾ يستغيثون ويصيحون .

٦٥- ﴿٦٥﴾ لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون ﴿٦٦﴾ لاستغيثوا ، فلا خلاص لكم اليوم ولا مجير .
٦٦- ﴿٦٦﴾ قد كانت آياتي تلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون ﴿٦٧﴾ دعوناكم من قبل إلى النجاة من الهلكة ، فأعرضتم
ساخرين فذوقوا اليوم ما كنتم به تستهزئون .

٦٧- ﴿٦٧﴾ مستكبرين به سامراً تهجرون ﴿٦٨﴾ سامراً : من السمر وهو الجلوس بالليل للحديث ، وتهجرون : من
المجر في الكلام وهو الهذيان أو الفحش في المنطق ، والمعنى استكبرتم وتمردتم على الحق ، وذكرتموه في سمركم بالسوء والباطل

وَبَيْنَ ۙ تُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ۖ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٧﴾
إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ
هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ
لَا يُشْرِكُونَ ﴿٦٠﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ
أَنْهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦١﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ
فِي الْخَيْرَاتِ ۖ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦٢﴾ وَلَا تَكْلَفُ نَفْسٌ إِلَّا
وَسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٣﴾
بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا ۖ وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ
ذَٰلِكَ ۖ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٦٤﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ
فِي الْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعَرُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَجْعَرُوا الْيَوْمَ ۖ إِنَّكُمْ
مِنَّا لَا تَنْصَرُونَ ﴿٦٦﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُنَلِّىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ
عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكَصُونَ ﴿٦٧﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ ۖ سَامِرًا

٦٨- ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ في القرآن ، وفيه النور والعلم والهداية إلى كل خير وفضيلة ، وما أنزل الله على نبي من أنبيائه كتاباً أجمع منه وأكمل عقيدة وشريعة وآداباً ﴿أَمْ جَاءَهُمْ﴾ محمد (ص) ﴿مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ هل ابتدع محمد فكرة النبوة من عنده وإنزال الكتب من وهمه ؟ فمن قبله نزلت الكتب ، وبعثت الرسل ، ولهم أم وأتباع « قل ما كنت بدعاً من الرسل - ٩ الأحقاف » .

٦٩- ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ ماذا عدا بما بدا ؟ بالأمس نعت مشركو قريش محمداً (ص) بأنه أرجحهم عقلاً وأصدقهم قولاً ، وأعظمهم أمانة ، واليوم يتهمونهم بالكذب والإفتراء .

٧٠- ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ حِجَّةٌ﴾ لا يدري ما يقول ؟ فهل القرآن من هذي المجانين وحي الشياطين ؟ ﴿بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَكَثُرَ لَهُمُ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ جاءهم محمد (ص) بالعدل والمساواة في جميع الحقوق والواجبات ، ولا امتياز للإنسان على إنسان إلا بما يسديه من خيرات وخدمات للمجتمع والأفراد . ومن هنا جاء الحقد والغيط والكراهية .

٧١- ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ الحق هو المصدر الأول للأديان والقوانين والشرائع ، ولو نزلت الأديان على ما يشتهون ، وشرعت القوانين كما يهونون - لعُتِمَ القوضى ، وساد الضلال ، وهلك الحرث والنسل ، واحتكروا الكون بمن فيه وما فيه لأنفسهم وأولادهم وأصهارهم ، وقد رأينا وقرأنا ما فعل ويفعل الأقوياء المجرمون

من البغي والفساد والتخريب والتدمير والسلب والنهب وما يفوق التصور ﴿بَلْ أَنْتَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾ لقد أنشأ محمد (ص) برسالته وعظمته للبشرية كلها تاريخاً جديداً ، وبخاصة للعرب ، وبصورة أحسن لقريش الذين أنقدهم من دياجير الجهل والضلال ، فأنكروه وحاربوه ، ولولاه لم يكونوا شيئاً مذكوراً ٧٢- ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خُرْجاً﴾ أي أنت يا محمد تعمل لخير الناس ، وتضحي بالكثير من أجلهم ، ولا تبني منهم جزءاً ولا شكوراً ﴿فَخَرَجَ رِبْكَ خَيْرٌ﴾ بل تحسب ذلك عند الله ، وعليه وخذه أجرك وثوابك ٧٣- ٧٤- ﴿وَأِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَيِّبُونَ﴾ يقول سبحانه لنبية محمد (ص) : إن الله زدك بالحجج الكافية الوافية على أن دعوتك هي النور والحق المبين ، وإن من رفضها وأعرض عنها فقد ضل عن نهج السبيل ، وبحسبك هذا ناصراً على عدو الله وعدوك .

٧٥- ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لِلْجَوَافِ طُغْيَانُهُمْ بِمَعْهُونَ﴾ بعد هجرة النبي (ص) من مكة إلى المدينة فراراً من الجور والأذى - أخذ سبحانه أهل مكة بالقسط والمحل والجوع والشدة حتى أكلوا دم القراد مع وبر البعير ومعنى الآية أن الله سبحانه لو رحم أهل مكة ، وكشف عنهم ما بهم من بأساء وضراء لتماذوا في الفجور والضلال ، ولم يتنصروا بالبلاء ودروسة ٧٦- ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ أنزل سبحانه بهم المصائب والشدائد عسى أن يؤوبوا إلى الرشd ، ولكنهم « ما استكانوا » أي ما خضعوا وتواضعوا ولا تضرعوا في الدعاء إلى الله .

٧٧- ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ وهو عذاب الجحيم الأليم ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبَسْوُونَ﴾ متحيزون فيما حل بهم من عذاب آيسون من النجاة .

تَهْجَرُونَ ﴿٧٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ حِجَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَكَثُرَ لَهُمُ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٨١﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خُرْجاً فَخَرَجَ رِبْكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزْقِينَ ﴿٨٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَيِّبُونَ ﴿٨٤﴾ * وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لِلْجَوَافِ طُغْيَانُهُمْ بِمَعْهُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٨٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ

٧٨- ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمْ ...﴾ يذكرهم سبحانه
بأنعمه وكفرائهم بها .

٧٩-٨٠- ﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ ينشركم
فيها ﴿وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ هما من عجائب قدرته
وأثار حكمته .

٨١- ﴿بَلْ قَالُوا﴾ لمحمد (ص) ﴿مِثْلَ مَا قَالَ
الْأَوَّلُونَ﴾ لأنبيائهم .

٨٢-٨٣- ﴿قَالُوا إِذَا مِتْنَا ...﴾ «اسطوانة» مسجلة
وموروثه أباً عن جد . وتقدم مراراً ، منها في الآية ٥ من الرعد
و ٤٩ من الإسراء .

٨٤- ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا﴾ من هو الخالق
والرازق والمالك ؟ أجيبوا ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ وإن كنتم
تجهلون علمناكم .

٨٥- ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ وإذن لزمهم الحجة بأن الله
قادر على أن يحيي الموتى ، لأن المرء يؤخذ بإقراره ، والإعتراف
بالشيء إقرار ببلوازمه .

٨٦- ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ﴾ سبق الكلام عن
عدد السموات عند تفسير الآية ١٧ من هذه السورة ﴿وَرَبُّ
الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ كناية عن سلطانه تعالى وسيطرته .

٨٧- ﴿سَيَقُولُونَ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ إذا أقرتم واعترفتم
بأن كل شيء يتقلب في قبضته تعالى حتى أنتم ، فلماذا لا
تحدرون من حسابه وعقابه ؟

٨٨- ﴿قُلْ مَنْ يَدَّ مِلْكُوتٍ﴾ أعظم الملك ، والناء للمبالغة ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ ولا أحد يملك معه شيئاً حتى أنفسنا
هي ملك لله وليست لنا ﴿وَهُوَ يَجْعَلُ وَلَا يَجْعَلُ عَلَيْهِ﴾ يغيث من يستجير به ويمنعه من كل قوي ، بل ومن أهل الأرض
والسماء مجتمعين ولا شيء إطلاقاً يغيث أحداً ويحميه من الله « فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضرراً - ١١ الفتح » .

٨٩- ﴿سَيَقُولُونَ قُلْ﴾ ملكوت السموات والأرض ﴿قُلْ فَاتَى تَسْحَرُونَ﴾ من الذي سحركم ، وأعمى عقولكم
عن النشر والحشر ما دمتم تعتزون بأن الله على كل شيء قدير ؟

الإعراب :

﴿قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ «قليلًا» صفة لمفعول مطلق محذوف أي شكرًا قليلًا ، وما زائدة إعراباً . ﴿مِثْلَ﴾ صفة لمفعول مطلق محذوف
أي قولاً مثل ما قالوا . ﴿وَإِنْ هَذَا﴾ «إن» نافية . ﴿وَلِلَّهِ﴾ في جميع الآيات متعلق بمحذوف خبراً لمبتدأ محذوف يقدر بما دل عليه
السياق أي الأرض ومن فيها لله ، والسموات والعرش لله ، وملكوت كل شيء لله . فان تسحرون «أن» بمعنى كيف في موضع نصب
على أنها حال ، وقيل : بمعنى أين أي من أين تسحرون .

٩٠- ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ﴾ يَتَّاه وأوضحناه بالحجة البالغة والأدلة القاطعة حتى أصبح كنور الشمس ﴿وَانْهَم لَكَادِبُونَ﴾ بدعوى الإيمان والإعتراف بالله ، لأن الإيمان عمل كله ولا إيمان بلا عمل علماً بأنه لا عين ولا أثر لهذا الإعتراف والإيمان في أعمالهم . وبهذه تكون الآية واضحة الدلالة على أن من يدعي الإيمان بالله ويصرّ على مصيبته فهو منافق يكذب على الله في دعواه .

٩١- ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ﴾ وإلا لكان هو متولداً عن غيره بالتناسل المعروف أو لنشوء كتولد النبات من الحب ، وتقدم مراراً ، منها في الآية ٢٦ من الأنبياء ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ لو تعددت الآلهة لانفرد كل واحد منهم بجزء من الكون ، له حدوده وخصائصه مع أن النظام واحد ، فالخالق إذن واحد إضافة إلى التنازع والتنازع بين الآلهة على السلطان ، ولو كان شيء من ذلك لفسدت الأرض والسماء .

٩٢- ﴿عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ وكل غيب عنده شهادة ، وكل سرّ عنده علانية كما قال الإمام أمير المؤمنين (ع) . وعليه يكون التقسيم بالنسبة إلينا لا إليه تعالى علواً كبيراً .

٩٣-٩٤- ﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِينِي مَا يَوْعُدُونَ . رَبُّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ وعد سبحانه الظالمين بالعذاب وفي ذات الوقت أمر نبيه أن يدعو لنفسه أن يريه عذاب الظالمين دون أن يناله شيء منه ، والغرض من ذلك تهديد الطغاة العتاة .

٩٥- ﴿وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيكَ مَا نَعْدُهُمْ لَقَادِرُونَ﴾ الله

قادر على عقاب العاصي في أول ما يهيم بالمصيبة ، ولكن يمهله عسى أن يحدث بعد ذلك ما يحدث ، وأنت يا محمد .

٩٦- ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ ويختلف الدفاع بالأحسن تبعاً لحال المسيء وطبيعته ، فإن أغراه الإحسان بالمزيد من الإساءة والعدوان - فتركه أفضل وأحسن . قال الإمام علي (ع) : الوفاء لأهل الغدر غدر والغدر بأهل الغدر وفاء ، وإن كان الإحسان علاجاً لداء المسيء وسبباً لتدمه وتوبته ، كان هو الأفضل والأكمل .

٩٧-٩٨- ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ . وَأَعُوذُ بِكَ رَبُّ أَنْ يَحْضُرُوا﴾ أصلها يحضرون في أصلها يحضرون ، فحذفت إحدى التوئين لمكان أن الناصبة ، وحذفت الباء للتخفيف ، ومعنا أن يقرّبوا مني ، وهمزات الشياطين : وسواسهم ، والشيطان وحزبه في شغل شاغل بالغاوين عن عباد الله المخلصين بنص الآية ٤٢ من الحجر : «إِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعْتُمْ مِنَ الْغَاوِينَ» وعليه يكون معنى قول النبي (ص) : أعوذ بالله من الشياطين : وألجأ إليه من أهل السوء وشر كل ذي شر .

٩٩-١٠٠- ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ...﴾ يطلب الرجعة عند انتهاء الأجل ! وهيئات قد فات ما فات ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ وكفى أي لا تغني عنه شيئاً ، لأن من مات فقد قامت قيامته ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي يوم القيامة ، والبرزخ الحائل ، والمعنى دون رجعة الموتى إلى الدنيا مانع بإرادة الله ومشيئته ، وأيضاً معنى هذا أن الروايات الواردة في الرجعة مخالفة لظاهر هذه الآية ، وفي الخطبة ١٠٧ من خطب نهج البلاغة «حيث لا إقالة ولا رجعة» والخطبة ١٨٨ «فلا رجعة تأنلون ، ولا عثرة تقالون» .

١٠١- ﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾

تُسْحَرُونَ ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِينِي مَا يَوْعُدُونَ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿وَإِنَّا عَلَى أَنْ تُرِيكَ مَا نَعْدُهُمْ لَقَادِرُونَ﴾ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُوا حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿فَإِذَا نَفَخَ

ولا يتساءلون ﴿ في الصور كناية عن قيام القيامة ولا أنساب : لا تعاطف وتحالف بين الأرحام والإخوان ، ولا سؤال ومقال ، ولا شيء إلا الدهشة والرهبة .

١٠٢- ﴿ فمن ثقلت موازينه ﴾ بصدق الإيمان أولاً وقبل كل شيء ، وأقوى الدلائل على صدقه ورسوخه كفى الأذى عن الناس ، فإنه أرجح ما وزن ﴿ فأولئك هم المفلحون ﴾ حيث فازوا بما طلبوا .

١٠٣-١٠٤- ﴿ ومن خفت موازينه ﴾ وهو من كفر بالله أو آمن به وما كفى الأذى عن عياله ﴿ فأولئك الذين خسروا أنفسهم ... ﴾ حيث ألقوا بها إلى التهلكة والعذاب الأليم .

١٠٥- ﴿ ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون ﴾ من الذي جنى عليكم ؟ لقد حُذِرتُم من هذا فسخرتم .

١٠٦-١٠٧- ﴿ قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا ﴾ ولماذا لم تغلب عليكم العظات والدلائل البينات ؟ .

١٠٨- ﴿ قال اخسئوا فيها ﴾ سألوه سبحانه الخروج من النار والرجعة إلى الدار . فقال : امكنوا فيها صاغرين ﴿ ولا تكلمون ﴾ لا تطمعوا في مدبر .

١٠٩- ﴿ إنه كان فريق من عبادي ... ﴾ أتقياء مخلصون .

١١٠- ﴿ فاتخذتموهم سخرياً حتى أنسوكم ذكري ﴾ حيث كنتم في شغل شاغل بالضحك منهم .

١١١- ﴿ إني جزيتهم اليوم بما صبروا ﴾ وضحوا بالكثير من أجل الحق وإقامة العدل ﴿ إنهم هم الفائزون ﴾

في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ﴿
فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ﴿
ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون ﴿
تلقح وجوههم النار وهم فيها كالحون ﴿
ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون ﴿
قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين ﴿
ربنا أخرجنا منها فإن عدنا لنادون ﴿
قال اخسئوا فيها ولا تكلمون ﴿
إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا فاعفر لنا وارحمنا أنت خير الرحيم ﴿
فاتخذتموهم سخرياً حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون ﴿
إني جزيتهم اليوم بما صبروا إنهم هم الفائزون ﴿
قل كر لئنم في الأرض عدد سنين ﴿

بالسلامة والكرامة .

١١٢- ﴿ قال ﴾ سبحانه المنكري البعث الذين سخروا منه ومن آمن به : ﴿ كم لبثتم في الأرض عدد سنين ﴾ والغرض من هذا السؤال مجرد التوبيخ على جحودهم والتذكير بقولهم : هيهات هيهات .. ما نحن بجمعين .

الإعراب :

﴿ فأولئك ﴾ مبتدأ ، و﴿ الذين ﴾ عطف بيان و﴿ خالدون ﴾ خبر أولئك ، وفي النار متعلق بـ «خالدون» ويجوز أن يكون الذين خبر أولئك وخالدون خبر بعد خبر . وسخرياً مفعول ثانٍ لاتخذتموهم . والمصدر من انهم هم الفائزون مفعول ثانٍ لجزيتهم ، قال تعالى : وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً . ﴿ كم ﴾ خبرية تتضمن معنى ظرف الزمان ، وعملها النصب بليثم . و﴿ عدد ﴾ منصوب على التمييز ، وجاز نصب ﴿ كم ﴾ هنا لوجود الفاصل بينها وبينه ، ولولاه لوجب الجر ، لأن عيز الخبرية واجب الحذف إلا إذا فصل بينها فاصل . وسنن مجرورة بالإضافة ، وقرئ : عدداً سنين وعليه تكون سنين بدلاً من عدد .

قَالُوا لَبَنَّا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِ الْعَادِينَ ﴿١١٣﴾ قُلْ إِنْ
لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا
خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ لَا تَرْجِعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ
الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾
وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا
حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾
وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾

(٢٤) سُورَةُ التَّوْبَةِ مَكِّيَّةٌ وَأَنزَلْنَاهَا أَنْزِلًا وَفُصِّلَتْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفُصِّلَتْ وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ

١١٣- ﴿ قَالُوا لَبَنَّا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِ الْعَادِينَ ﴾ كما نظنّ
ونتصور ﴿ فاسأل العادين ﴾ الذين يحصون علينا أعمالنا
وأيامنا .

١١٤- ﴿ قَالَ إِنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ كل أمد ينقطع
ويستهي بالزوال فهو قليل مهما طال .

١١٥- ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ﴾ كل ما فيكم
من عقل وحواس وأعضاء وغرائز ، وجد باطلاً ومن غير هدف .

١١٦- ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ﴾ التَّوَهُّدُ عن العبث
والباطل ، خلق فسوّى ، وقَدَّرَ فهدى .

١١٧- ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ﴾
بل البرهان قائم على العكس ، فكل شيء يدل على أنّه الواحد
الأحد ، ولا يتصور أن يشاركه غيره في شيء من خلقه . ونقدم
البيان في تفسير الآية ٧٣ من المائدة و ٢٢ من الأنبياء وغيرها .

﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ افتتح السورة بفلاح المؤمنين
وختمتها بضرال الكافرين مع الأمر بهذا الدعاء :

١١٨- ﴿ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾
ولا تفصيل في كلمة خير هنا حيث لا رحمة ورحيم إلا هو ،
ولا غافر وناصر سواه . وهو وحده المسؤول أن يشتنا على دينه ،
ويهب لنا مغفرة ورحمة من فضله بالنبي وآله عليهم أركى الصلوات .

سُورَةُ التَّوْبَةِ مَكِّيَّةٌ وَأَنزَلْنَاهَا أَنْزِلًا وَفُصِّلَتْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿ سورة ﴾ خبر لمبتدأ محذوف أي هذه السورة . وقال الشيخ الطريحي في مجمع البحرين : المراد بها مجموعة
من أي الذكر الحكيم ، أقلها ثلاث آيات ، وهي مأخوذة إيمان سور المدينة ، وإما من السورة بمعنى المترلة والرتبة - أي
الفصل والشرف - . ﴿ أَنزَلْنَاهَا فُورَضْنَاهَا ﴾ أوجبتنا ما فيها من الحدود والأحكام الآتية ﴿ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ واضحات
غير متشابهات .

الإعراب :

﴿ قَلِيلًا ﴾ صفة لمفعول محذوف أي زماناً أو لبثاً قليلاً . والمصدر من انكم تعلمون فاعل لفعل محذوف أي لو ثبت علمكم . ﴿ عَبَثًا ﴾
مصدر في موضع الحال من خلقناكم أي عبثين . وأنما خلقناكم ﴿ أَنَّمَا ﴾ كلمتان أنّ المشددة وما الكافة عن العمل . وانكم عطف على أنما
خلقناكم . وهو يدل على الضمير المستتر في الخبر المحذوف أي لا إله موجود إلا هو ، ورب العرش خير بعد خير . ومن يدع ﴿ مَنْ ﴾ من
شرطية . وحمله لا برهان له صفة ﴿ إِلَهًا ﴾ . فإنما حسابه جواب الشرط .

لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشْهَدَ عَدَاؤُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ

٢- ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا ﴾ الخطاب لأولي الأمر الذين أوجب الله طاعتهم دون غيرهم ﴿ كل واحد منهما مئة جلدة ﴾ وهذا الحكم يختص بالأعزب والعزباء عند الإمامية والمالكية والشافعية ، أما المتزوج والمتوجة فحكمهما الرجم إجماعاً وسنة ، بل جاء في صحيح مسلم والبخاري أن عمر ابن الخطاب قال : إن الله أنزل آية الرجم ، ومع ذلك قال أبو حنيفة : لا رجم إطلاقاً ، وحكم الجلد يعم الأعزب والمتزوج ، والمتوجة والعزباء ﴿ ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ﴾ خذوهما بالشدة والألم ضرباً ورجماً ﴿ وليشهد عداؤهما طائفة من المؤمنين ﴾ أقيموا الحد عليهما علانية لأن ذلك أبلغ في الردع والزجر عن الفاحشة .

٣- ﴿ الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة ﴾ لا تستجيب لدعوة الفاجر العاهر إلا موسى على شاكلته أو مشركة لا تؤمن بكتاب وشرعة ﴿ والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك ﴾ وهكذا الشأن في المومن ، شبه الشيء منجذب إليه ، وقوله « أو مشركة .. أو مشرك » يَوْمِي إلى أن الزنا والشرك بمنزلة سواء ﴿ وحرم ذلك ﴾ إشارة إلى الزنا لا إلى زواج المؤمن غير الزاني بزانية ﴿ على المؤمنين ﴾ والمؤمنات أيضاً .

٤- ﴿ والذين يرمون المحصنات ﴾ المراد بالرمي هنا القذف بالزنا ، والمحصنات جمع محصنة وهي المرأة العفيفة متزوجة كانت أو عزباء ، وفي حكمها الرجل العفيف متزوجاً كان أو أعزب ، وقد أوجبت هذه الآية بجملتها ثلاثة أحكام على القاذف أو القاذفة إذا لم يأت أحدهما بأربعة شهود عدول يشهدون بالكامل أنهم رأوا المثل بالمكحلة : الحكم الأول أن يجلد ٨٠ جلدة . الثاني أن ترد شهادته في غير القذف أيضاً .

الثالث أن يحكم بفسقه .

٥- ﴿ إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا ﴾ من تاب بعد الحكم بفسقه ، وأصلح بحسن السيرة ، قبلت شهادته ، وغفر الله له سواء أتأب بعد الحد أم قبله .

٦- ﴿ والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهاد إلا أنفسهم ﴾ إذا قذف الرجل زوجته بالزنا ، ولا بيّنة لديه ﴿ فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله أنه لمن الصادقين ﴾ يقول الزوج عند الحاكم الشرعي أربع مرات أشهد بالله أني لمن الصادقين فيما رميت به زوجتي فلانة .

٧- ﴿ والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ﴾ ثم يقول الزوج في الشهادة الخامسة : عليه لعنة الله إن كان من الكاذبين في دعواه .

الإعراب :

﴿ سورة ﴾ خبر لمبتدأ محذوف أي هذه سورة . ﴿ وتذكرون ﴾ أي تذكرون . ﴿ والزانية ﴾ والزاني مبتدأ والخبر فاجلدوا ، ودخلت عليه

٨- ﴿يَدْرُؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ﴾ يدفع الحد عن الزوجة بشرط ﴿أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ أَنَّهُ لَمَنِ الْكَاذِبِينَ﴾ فنقول عند الحاكم أربع مرات : أشهد بالله أنه لمن الكاذبين فيما قذفني به .

٩- ١٠- ﴿وَالْخَامِسَةُ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فيما رماني به من الفاحشة .

١١- ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ بالكذب المحض ﴿عَصَبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسِبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ الذين رموا البريئة بالخيانة هم جماعة تظاهروا كذباً بأنهم على ملة الإسلام ، وليسوا منه في شيء إلا ظاهراً ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾ ضمير منهم يعود إلى أهل الإفك ، والمعنى لكل واحد من الأفاكين عذاب بقدر ما أشاع وأذاع من الكذب والإفتراء ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾ كان له الحظ الأكبر من إشاعة الإفك ونشره ﴿مِنْهُمْ﴾ من العصابة ﴿لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الدنيا بإظهار كذبه ، وفي الآخرة بحريق الجحيم .

١٢- ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ ينبغي للمؤمن إذا سمع شراً عن أخيه المؤمن أن يظن به الخير ، وينفي السوء عنه قياساً على نفسه .

١٣- ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ﴾ على الزنا ﴿بِأَرْبَعَةِ شَهَادَةٍ﴾ وإلا فلا ترتب عليه آثار الزنا كإقامة الحد واللغو فيه .

١٤- ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَكْتُمْ فِيهَا أَفْضُسُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أفضسُم : خضتم ، وضمير فيه للإفك وحديثه ، ورحمته تعالى في الدنيا على من عصاه هي السر والإمهال ، وفي الآخرة العفو إذا تاب وأناب .

اللغة :

الإفك أشد الكذب . والعصبة الجماعة . والذي تولى كبره أي تحمل معظم الإفك . وأفضسُم فيه خضتم فيه .

الإعراب :

﴿أنفسهم﴾ بدل من شهداء . فشهادة أحدهم أربع . . قرئ بنصب ﴿أربع﴾ ورفعها ، وعمل النصب تكون شهادة أحدهم خيراً مبتدأ محذوف وأربع قائم مقام المفعول المطلق لشهادة ، والتقدير فالحكم أن يشهد أحدهم أربع ﴿شهادات﴾ ، وعمل الرفع تكون شهادة مبتدأ ثانياً وأربع خبره ، والجمله خبر المبتدأ المحذوف ، والمبتدأ المحذوف وخبره خبر الذين يرمون . وبالله متعلق بشهادات . والخامسة الأولى مبتدأ وما بعدها خبر . والمصدر من أن تشهد فاعل يدرأ . والخامسة الثانية بالنصب معطوفة على أربع شهادات الثانية وبالرفع مبتدأ وما بعدها خبر . ﴿ولولا فضل الله﴾ جواب لولا محذوف أي هلكتكم . ﴿عصبة﴾ خبر ان . ﴿لا تحسبوه﴾ كلام مستأنف . ﴿لولا﴾ أداة تخصيص بمعنى هلا .

١٥- ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ مَأْفُوهُكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾^{١٥} ، وينقله بعضكم عن بعض من غير دليل ، وتظنون ذلك سهلاً ، وهو عند الله من كباير الآثام .

١٦- ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾^{١٦} ، ولولا إذا سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا لا ينبغي للمؤمن أن يشارك في حديث الفاحشة إذا خاض فيه الأراذل والأشرار ، بل الأليق به أن ينهى عنه ﴿سبحانك هذا بهتان عظيم﴾ هذا إشارة إلى اتهام الأبرياء بالإفك ، وأنه من أكبر الآثام وأعظمها عند الله .

١٧- ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا﴾^{١٧} المراد بالوعظ النهي عن التكرار والإصرار على حديث الإفك وأمثاله من المنكرات .

١٨- ﴿وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^{١٨} بين سبحانه لعباده الأحكام ، وبث المواعظ عن علم بما يصلحهم وينفعهم .

١٩- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَعْجَبُونَ أَنْ تَشْعِبَ الْفَاحِشَةُ﴾^{١٩} أي حديث الفاحشة ﴿فِي الدِّينِ آمَنُوا﴾^{٢٠} الأبرياء الأطهار ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا﴾^{٢١} بإقامة الحد ﴿وَالْآخِرَةِ﴾^{٢٢} بنار جهنم ، وإن قال قائل : إن عوقب المجرم على جريمته في الدنيا لم يعاقب عليه في الآخرة كما في الحديث ، وأيضاً لا يستقيم في عدالته تعالى أن يجمع بين عقوبتين على ذنب واحد - قلنا في جوابه : القذف بالفاحشة شيء ، وإشاعتها ونشرها بين الناس شيء آخر ، فإذا قذف المجرم وأشاع يحدث على القذف في الدنيا ويعذب فإذا قذفه على القذف في الآخرة لا تعلمون ﴿فِي الدِّينِ آمَنُوا﴾^{٢٣} من الأمور إلا ما ظهر منها .

٢٠- ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾^{٢٠} لعاجل العصاة منكم بنقمته ، ولكنه بعباده رؤوف رحيم

٢١- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾^{٢١} بإشاعة الفاحشة في الأبرياء ، ولا بشيء مما يدعوكم إليه ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾^{٢٢} الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً ﴿كَلِّمُوا يَسُوسَ﴾^{٢٣}

عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^{٢٤} إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ مَأْفُوهُكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾^{٢٥} وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾^{٢٦} يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^{٢٧} وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^{٢٨} إِنْ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^{٢٩} وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَإِنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^{٣٠} * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ

الإعراب :

والصدر من ان نتكلم اسم يكون . والمصدر من ﴿أن تعودوا﴾ مفعول من أجله ليعظكم . والمصدر من ﴿أن تشيع﴾ مفعول يحبون . ﴿من احد﴾ ﴿من﴾ زائدة إعراباً واحد مفعول زكى .

له الشيطان ، وبهم بطاعته إلا من عصم الله ﴿٢١﴾ ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم ﴿٢٢﴾ بأهل الخير الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وهؤلاء هم الذين يزكهم الله ويشبههم دون عباده ، أما الصم البكم عن الخير فإن الله لهم بالمرصاد .

٢٢- ﴿٢٢﴾ ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليصفوا وليصفحوا ﴿٢٣﴾ يأتل : يحلف من آتيت إذا حلفت ، وأولو الفضل : أهل الفضل في الدين والإحسان ، والسعة : الإتياع في المال ، والمعنى لا يحلف المؤمنون والمحسنون أن يقطعوا أرحامهم الفقراء المهاجرين إلى الله ، وإن تجردت بادرة من أحد هؤلاء فالعفو أقرب للتقوى ﴿٢٤﴾ ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ﴿٢٥﴾ من أحب أن يصحح الله عنه فليصحح هو عن أساء إليه ، ومن لا يرحم لا يرحم .

٢٣- ﴿٢٣﴾ إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات ﴿٢٤﴾ ذوات الصون والغفلة عن الزنا ، وكذلك من يرمي المؤمن الغافلين ﴿٢٥﴾ لعنوا ﴿٢٦﴾ طردوا من رحمة الله و رضوانه ﴿٢٧﴾ في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم ﴿٢٨﴾ إلا أن يتوبوا ولا يعودوا لمثله أبداً .

٢٤- ﴿٢٤﴾ يوم تشهد عليهم ألسنتهم ﴿٢٥﴾ بما نطقت ﴿٢٦﴾ وأيديهم ﴿٢٧﴾ بما فعلت ﴿٢٨﴾ وأرجلهم ﴿٢٩﴾ إلى ما سعت .

٢٥- ﴿٢٥﴾ يومئذ يوفيه الله دينهم ﴿٢٦﴾ أي الجزاء الذي يستحقون ﴿٢٧﴾ ويعلمون أن الله هو الحق المبين ﴿٢٨﴾ وعداً ووعداً وحساباً وجزاءاً .

٢٦- ﴿٢٦﴾ الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات ﴿٢٧﴾ المراد بالخبيثات السيئات من الأقوال والأفعال ، وبالخبيثين السيئون رجالاً ونساءً تعلياً للذكور على الإناث ، والمراد بالطيبات : الحسنات من الأقوال والأفعال . وبالطيبين المحسنون رجالاً ونساءً أيضاً تعلياً للذكور على الإناث ، وعليه يكون المعنى : بالسيئات يستدل على المسيئين ، وبالمسيئين يستدل على السيئات ، وبالحسنات يستدل على المحسنين ، وبالمحسنين يستدل على الحسنات . وقال كثير من المفسرين : المعنى الزوجة الخبيثة للزوج الخبيث هي له وهو لها ، والزوجة الطيبة للزوج الطيب هي له وهو لها ؟ وينتقض هذا التفسير طرداً وعكساً بزوجة فرعون الشهيدة الطيبة ، وزوجة نوح الخبيثة ، وكذلك زوجة لوط .

﴿٢٧﴾ أولئك ﴿٢٨﴾ الطيبون والطيبات ﴿٢٩﴾ مبرعون مما يقولون ﴿٣٠﴾ أي مما يقوله عنهم الخبيثون والخبيثات ، وأيضاً هم عند ربهم الدرجات العلى .

الإعراب :

والصدر من ﴿٢٦﴾ ان يؤتوا ﴿٢٧﴾ منصوب بنزع الخافض أي على الإتياء . واللام في ﴿٢٨﴾ وليصفوا وليصفحوا ﴿٢٩﴾ لام الأمر . والا تحبون ﴿٣٠﴾ لا هنا للتحيض مثل هلا . والمصدر من أن ﴿٣١﴾ يغفر ﴿٣٢﴾ مفعول ﴿٣٣﴾ تحبون ﴿٣٤﴾ . يوم تشهد ﴿٣٥﴾ يوم ﴿٣٦﴾ متعلق بما تعلق به لهم عذاب اليم . ويومئذ ﴿٣٧﴾ متعلق بيوفيههم .

مَا رَكِبَ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُرِيّ مَنْ يَشَاءُ
وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ
وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ
اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ
الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنَوا فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تُشْهَدُ عَلَيْهِمْ
أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾
يَوْمَئِذٍ يُؤْفِكُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ
الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ
لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ
مُبرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾

٢٧- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا ...﴾
 هذه من آداب القرآن وأخلاقه ، وهي أن لا يدخل أحد بيت غيره حتى ولو كان رحماً قريباً إلا أن يستأذن من أهل البيت ، وبعد الإذن يدخل ويسلم ، والإستئذان واجب ، والسلام ندب ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ تعلمكم هذه الآداب لتعملوا بها .

٢٨- ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ بإذن سابق ، كما لو أقام صاحب البيت وكيلاً عليه في غيابه ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا﴾ دون أن تحملوا في نفوسكم أية حزازة على صاحب البيت .

٢٩- ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾
 بأسرة خاصة ، بل معدة للجميع كالفلندق والمضيف بفتح الميم ﴿فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ﴾ فمن كان متاعه في فندق أو مصيف ، فله الدخول إليه وأخذ المتاع بلا استئذان خاص .

٣٠- ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ عن الأجنبية إلا الوجه والكفين ، ولا بأس بالنظر إلى شعور غير المسلمات ما دام دينهن لا يحرم السفور ، ولا إلى شعور المسلمات من أهل البوادي ، لأنهن لا ينتهين إذا نهين ، شريطة أن يكون النظر من غير رغبة ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ عن المحرم ﴿ذَلِكَ﴾ الغض عن المحرمات ﴿أَزْكَى﴾ للنفس وأبعد عن الذنب وأقرب للتقوى .

٣١- ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ وفي هذه المساواة بين الرجال والنساء من غير تفاوت - دلالة واضحة على أنه يحرم على المرأة أن تنظر من الرجل ما يحرم عليه أن ينظر منها ، ويحل لها أن تنظر منه ما يحل له أن ينظر منها أي الوجه والكفين فقط دون سواهما ﴿وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ المراد بالزينة هنا موضعها ، والمراد من موضع الزينة الوجه والكفان ، وعليه يكون المعنى أن جميع بدن المرأة عورة يحرم النظر إليه إلا الوجه والكفين .
 ﴿وَلِيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ يضربن : يلقين ، والخمار : غطاء الرأس ، والجيب : فتحة القميص ، والمراد به هنا الصدر ، وهذا أمر من الله تعالى للمؤمنات أن يسترن الشعور بدلالة «خمرهن» والصدر والنحو بدلالة «جيوههن» وكل اجتهد يخالف هذه الدلالة الواضحة فهو أشبه بمضغ الهواء ، لأنه في قبال النص وضده لا في تفسيره وقصده على أصول اللغة وقواعدها ﴿وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ لكل من الزوجين أن يرى للآخر ما يشاء ﴿أَوْ آبَائِهِنَّ﴾ ومنهم الأجداد للأب والأم ﴿أَوْ أَبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ﴾ وإن علوا

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَكُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلِيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ

الإعراب:

﴿تَسْتَأْذِنُوا﴾ منصوب بإم مضمرة بعد حتى ، ومثله ﴿حَتَّى يُؤْذَنَ﴾ . و﴿تَذَكَّرُونَ﴾ أصليه تذكرون . والمصدر من ﴿أَنْ تَدْخُلُوا﴾ مجرور بنفي محذوف . ﴿يَغُضُّوا﴾ مضارع مجزوم بلام الأمر المحذوفة أي ليغضوا . واللا يبدین زینتهن لأحد إلا لبعولتهن .

أَوْ أَبْنَاءٍ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتَيْنِ أَوْ إِخْوَانٍ أَوْ بَنِي إِخْوَانٍ
أَوْ بَنِي أَخَوَاتٍ أَوْ نِسَاءٍ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ
النَّسَبِ غَيْرِ أُولَى الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الطِّفْلِ الَّذِينَ
لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ
لِيُعْلَمَ مَا يَخْفَيْنَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ
الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ
وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ
يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَغْفِرِ
الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ
وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْكِتَابَ يَمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ
إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۚ وَآتُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي
ءَاتَاكُمْ وَلَا تَنْكِحُوا فَتَيَانَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ

﴿ أَوْ أَبْنَاءَهُنَّ ﴾ : وابن الابن ابن ومثله ابن البنت ﴿ أَوْ أَبْنَاءَ
بُعُولَتِهِنَّ ﴾ : وإن نزلوا ﴿ أَوْ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ ﴾ : وإن نزلوا
﴿ أَوْ نِسَائِهِنَّ ﴾ : يحرم على المسلمة أن تكشف عن سوانها
أمام مثلها حتى ولو كانت أمها أو بنتها ، ويحل لها أن تتجرد
أمام مسلمة ما عدا السواة ، ولا يحل ذلك أمام غير المسلمة .

﴿ أَوْ النَّسَبِ غَيْرِ أُولَى الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ ﴾ : وهم الذين
يخالطون الاسرة ، ويتبعونها في أكثر الأحيان ، ولا يشتهون
النساء والجنس لهم أو عن وما يشبه ﴿ أَوْ الطِّفْلِ ﴾ : أي جنس
الطفل ﴿ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ﴾ : أي لا يعرفون
بأن هذا العضو لذلك الآخر الحساس ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ
لِيُعْلَمَ مَا يَخْفَيْنَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ﴾ : كانت المرأة في الجاهلية تلبس
الخلخال ، وكانت بعض النسوة تضرب الأرض برجلها إذا
رأت رجلاً كي يسمع طنينه ، فنهى سبحانه عن ذلك
﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا ﴾ : اتركوا المحرمات ، ومن سبقت
منه خطيئة فليتركها بالتوبة ، فإن الصلاح والفلاح في طاعة
الله ومرضاته .

٣٢ - ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ ﴾ : هذا أمر - على
الاستحباب - بتزويج من لا زوجة له من المسلمين ، الأيما
جمع أيم وهو من لا زوج له من النساء والرجال سواء أكان
متزوجاً من قبل أم غير متزوج كما في مجمع البحرين للشيخ
الطبري ﴿ وَالصَّالِحِينَ ﴾ : أي المؤمنين ﴿ مِنْ عِبَادِكُمْ
وَأِمَائِكُمْ ﴾ : وأيضاً يستحب أن تزوجوا ما تملكون من العبيد
والإماء ، لا موضوع اليوم لهذا الحكم .

﴿ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ : إذا جاءكم من ترزقون دينه وخلقه فزوجوه ، ولا تردوه فقره ، فإن
الله سبحانه يغني الفقراء ، ويفقر الأغنياء .

٣٣ - ﴿ وَلْيَسْتَغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ : المقصود بالآية السابقة أولياء المرأة ، وأنه
لا ينبغي أن يردوا الخاطب الفقير ، أما المقصود بهذه الآية فهو الفقير بالذات ، وأن الناس إذا ردوه ولم يزوجه ، فعليه
أن يصبر عن الحرام ، ويسمى متكلاً على الله حتى ينهأ له أسباب الزواج ﴿ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ
فَكَاتِبُوهُمْ ﴾ : الكتاب هنا مصدر بمعنى الكتابة ، وخلاصة الآية أن من كان عنده عبد مملوك فله أن يتفق معه على أن
يؤدي مبلغاً من المال قسماً واحداً أو أقساطاً ثمناً لحريته . ولا موضوع اليوم لذلك ﴿ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ : والمراد
بالخير هنا القدرة على الاستقلال والعيش بكد اليدين وعرق الجبين لا على التسول واللصوصة ﴿ وَآتُوهُمْ مِنْ مَّالِ اللَّهِ ﴾ :
يستحب لمالك العبد أن يحيط عن المملوك شيئاً من المال المتفق عليه ، ويعينه على التحرر من العبودية .

﴿ وَلَا تَنْكِحُوا فَتَيَانَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِمْ ﴾ : عرض

الإعراب :

﴿ تَسْتَأْذِنُوا ﴾ : منصوب بأن مضرة بعد حتى ، ومثله ﴿ حَتَّىٰ يُؤْذَنَ ﴾ : ﴿ وَتَذْكُرُونَ ﴾ : أصله تذكرون . والمصدر من ﴿ أَنْ تَدْخُلُوا ﴾ :
مجرور بفي محذوفة . ﴿ يَغْفُوا ﴾ : مضارع مجزوم بلام الأمر المحذوفة أي يغفوا . والا ما ظهر بدل من ﴿ زِينَتِهِنَّ ﴾ .

الحياة الدنيا في المراد بالفتيات هنا الإماء ، والبغاء : الزنا ، وكان أهل الجاهلية يكرهون إماءهم على الزنا التماساً للمال ، فنهى سبحانه عن ذلك ، وتجدر الإشارة بأن كلمة (إن) هنا لا يراد منها الشرط والقيد ، بل مجرد البيان بأن الفتاة إذا أرادت العفة والصون فبالأولى أن تريدوا ذلك أنتم ﴿ ومن يكرههن ﴾ فهو وحده المعاقب ، أما المكروهات ﴿ فإن الله من بعد إكراههن لغفور رحيم ﴾ لهن لا لمن دفع بهن إلى البغاء .

٣٤- ﴿ ولقد أنزلنا إليكم ﴾ في القرآن الكريم ﴿ آيات مبینات ﴾ أحكاماً واضحة ﴿ ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم ﴾ أي من أخبار الماضين وقصصهم ، عسى أن تعتبروا وتتفعلوا .

٣٥- ﴿ الله نور السموات والأرض ﴾ المراد بنوره تعالى قدرته وعلمه وحكمته ، وتجلّى بالكامل في خلق الكون وتديره ونظامه «الذي خلق فسوى ، والذي قدر فهدى» ﴿ مثل نوره كمشكاة ﴾ وهي خرق في الحائط غير نافذ ، ويسمى كوة ﴿ فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري ﴾ يشبه الدر في صفاته ﴿ يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية ﴾ هذا مثال لوضوح الأدلة وظهورها على وجود الله ، ويتلخص مثال الوضوح والظهور بسراج وضع في كوة بجدار البيت ، تحضر نوره وتجمعه ، ولا ينفذ إليه الهواء ، وهذا السراج داخل قنديل من الزجاج الصافي ، أما الزيت الذي فيه فهو من زيتونة لا هي شرقية تصيبها الشمس عند الشروق فقط ولا هي غربية تصلها عند الغروب فقط ، بل هي شرقية غربية لأنها تواجه الشمس صباحاً ومساءً لا يظلمها شجر ولا جبل ونحو ذلك ، ومنها جاء زيتاً نقياً صافياً يكاد يضيء من غير إحراق ، فإذا مسه النار أشرق نوره وتأنق ﴿ نور على نور ﴾ نور الصباح ونور الزجاج ونور الزيت ﴿ يهدي الله لنوره من يشاء ﴾ ولا يشاء الهدى والخير إلا لمن أحبه وأرادَه بصدق وإخلاص «ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم - ٢٣ الأنفال» .

٣٦-٣٧- ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ﴾ المراد بالبيوت هنا المساجد ، ورفعها : بناؤها ، أما اسمه وذكره تعالى فهو كتابة عن العبادة ﴿ يسبح له فيها بالغدو والآصال ... ﴾ مؤمنون صالحون ، يتاجرون ويزرعون ويقومون بشتى أنواع الحرف والصناعات حتى إذا جاء وقت الصلاة وغيرها من العبادات والواجبات ، تركوا كل عمل وبادروا إليها ، فإذا انتهوا منها انصرفوا إلى شؤونهم الدنيوية ، وهي لا تقل أجراً وثواباً عن الصوم والصلاة حيث لا فاصل في دين الإسلام بين عبادة الله والنضال في سبيل الأهل والعيال .

الإعراب :

﴿ منكم ﴾ متعلق بمحذوف حالاً من الأيامي ، ﴿ ومن ﴾ للبيان ، ومثلها من عبادكم . ﴿ وحتى يغنيهم الله ﴾ الفعل منصوب بأن بعد حتى . والمصدر المجرور بلام ﴿ لتبتغوا ﴾ متعلق بتكروها .

تَحْصِنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ
فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا
إِلَيْكَ آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكَ
وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ * اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
مِثْلُ نَوْرِهِ كَمِثْكَوَةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ مِّصْبَاحٌ فِي زُجَاجَةٍ
الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّي يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ
زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَّا
تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ
وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٦﴾
فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ
لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٧﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ
وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ

٣٨- ﴿لِيَجْزِيَهمَ اللهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ يثيبهم على صالح أعمالهم ، ويتجاوزوا عن سيئاتهم إلا أذى الناس ، فلا كفره له ، ولا صفح عنه ، ولا شفاعه فيه عند الله ﴿ويزيدهم من فضله﴾ أضعافاً مضاعفة ﴿والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ تقدم مرات ، منها في الآية ٢١٢ من البقرة .

٣٩- ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾ سراب : شعاع من ضوء الشمس ﴿يَحْسِبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾ وبقيعة : كدستان : باء الجر ، وقبعة جمع . واحده قاع بمعنى الأرض المستوية الخالية ﴿حتى إذا جاءه﴾ الماء للسراب ﴿لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه﴾ لما ذكر سبحانه حال المؤمنين . وأن أعمالهم من أجل الحياة الدنيا لا تلهمهم عن العبادة والقيام بحق الله سبحانه ، أشار إلى أعمال الكافرين وأنها تماماً كالسراب الخادع لا تجددهم شيئاً حين يقفون غداً بين يدي الله لبقاش الحساب ، بل يجدون عنده تعالى المقت واللعذاب الأليم على أسوأهم وآلامهم .

٤٠- ﴿أَوْ كظلمات﴾ هذا مثال ثان لأعمال الكافرين وأنها كظلمات ﴿في بحر لحي﴾ عظيم في مائه وعمقه وأمواجه ﴿يفشاه موج من فوقه موج﴾ يغطي البحر موج ، ومن فوق الموج موج ﴿من فوقه سحب ظلمات﴾ وفوق الأمواج المتراكمة سحب ثقيل كثيف ﴿بعضها فوق بعض﴾ الأمواج والظلمات ركب بعضها بعضاً حتى بلغت الظلمة الغاية والنهاية بحيث ﴿إذا أخرج﴾ الإنسان ﴿يده لم يكدرها﴾ وهذا أبلغ تشبيه لأهل الأغراض الذين غرقوا في بحر من الكذب

والحقد والتبعية والحسد والغيبة والفرور والكبرياء ... إلى مالا نهاية من القبايح والردائل .

﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾ لا تقوم الحجة لله على واحد من خلقه إلا إذا أعطاه النور والعقل ، وهده إلى طريق الخير والشر ، وعليه يكون معنى الآية من لم يطع الله سبحانه فيما أرشده إليه ، وأمره به ، فإنه يعيش مدى حياته في حيرة الجهل والضلالة .

٤١- ٤٢- ﴿ألم تر أن الله يسبح له من في السموات﴾ ألم تر : ألم تعلم ، وتقدم في الآية ٤٤ من الإسراء ﴿كل قد علم صلاته وتسبيحه﴾ وفي هذه دلالة واضحة على أن للطيور والحشرات وغيرها من الحيوانات ، حظاً من الإدراك ، وكذلك في الآية ١٨ من النمل : « قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده » وقال المهدد سليمان : « أحطت بما لم تحط به - ٢٢ النمل » وفي الآية في ٣٨ من الأنعام « وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير إلا أتم أمثالكم .

الإعراب :

والفصدر من ان ترفع منصوب بترع الخافض أي بأن ترفع . ﴿وفي بيوت﴾ متعلق يسبح ، وفيها بدل من في بيوت مثل : ﴿وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها - ١٠٨ هود﴾ . ورجال فاعل يسبح .

يَخْفُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهمَ اللهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدهمَ مِنْ فَضْلِهِ وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسِبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللهُ عِنْدَهُ فُوقَهُ حِسَابَهُ وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لَحِيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فُوقِهِ مَوْجٌ مِنْ فُوقِهِ حَتَّى إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتْ كُلُّ قَدَمٍ صَلَاتَهُ وَتُسَبِّحُهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾

فريق منهم معرضون ﴿ وأوضح تفسير لهذه الآية ما قيل في سبب نزولها : أن منافقاً يهودياً تخاصماً على شيء فدعاه اليهودي إلى المحاكمة عند محمد (ص) ودعاه المنافق إلى كعب الأخبار اليهودي .

٤٩- ﴿ وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين ﴾ كل محق يطلب المحاكمة عند محمد (ص) حتى ولو كان جاحداً بالله ورسوله ، وكل مبطل معاند للحق يطلب المحاكمة إلى الجبت والطاغوت حتى ولو نطق بالشهادتين وهذا أسوأ حالاً عند الله من الجاحد الكافر ، ما في ذلك ريب .

٥٠-٥١- ﴿ أفى قلوبهم مرض ﴾ بغض وكراهية لرسول الله (ص) ﴿ أم ارتابوا ﴾ وشكوا في نبوته وعصمته ﴿ أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله ﴾ كلا ، إن الله ورسوله مبرران من الحيف والجور حتى على كل من كفر بهما ﴿ بل أولئك ﴾ الذين رفضوا حكم الله والرسول ﴿ هم الظالمون ﴾ للناس ولأنفسهم الماندون للحق وأهله .

٥١- ﴿ إنما كان قول المؤمنين ... ﴾ المؤمن لا يستنكف وينكص عن دعوة الحق حتى ولو ضحى بنفسه من أجلها ، وهذه الصلابة وقوة الإرادة المؤمنة يفوز بالخير والدرجات عند الله تعالى .

٥٣-٥٤- ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن ﴾ حلف المنافقون الأيمان المخلطة لئن أمرهم النبي بالغزو والحرب ليمعن له طائعين ، فزجرهم سبحانه عن الأيمان الكاذبة بقوله : ﴿ قل لا تقسموا طاعة معروفة ﴾ لا تحلفوا ،

إن طاعتكم هذه طاعة كذب ونفاق ﴿ قل أطيعوا الله والرسول ﴾ قولاً وعملاً ، وظاهراً وباطناً ، لا كذباً ورياء ﴿ فإن تولوا ﴾ فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم ﴿ على الرسول البلاغ ، وعليكم السمع والطاعة ، ومن اعتدى فلنفسه ، ومن ضل فاعليه .

٥٥-٥٦- ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا

الإعراب :

﴿ إذا ﴾ فريق ﴿ إذا ﴾ فجائية وقعت في جواب الشرط لأنه جملة اسمية . ﴿ ومذعنين ﴾ حال من واو يأتوا . والمصدر من أن يحيف مفعول يخافون . ﴿ وقول المؤمنين ﴾ خبر كان ، والمصدر من أن يقولوا سمعنا اسمها ، أي إنما كان قول السمع والطاعة قول المؤمنين . ويتقه الأصل يتقيه فحذفت الياء للجزم لأن الفعل المطفوف عليه مجزوم . وجهد مفعول مطلق لأقسموا لأنه مضاف إلى الأيمان ، وهي بمعنى القسم . وطاعة خبر لبتداً محذوف أي أمرنا طاعة أو مبتداً والخبر محذوف أي طاعة معروفة أمثل ، ومعروفة صفة طاعة .

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ
وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي
شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٧﴾
وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاطِيعُوا الرُّسُلَ لَعَلَّكُمْ
تُرحَمُونَ ﴿٥٨﴾ لَاحْسِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ
وَمَا لَهُمْ أَلْنَا وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٩﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لِيَسْتَعِذَّكَ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا
أَحْلُمَ مِنْكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ
تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ
ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ
طَوُفُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ

الصالحات ليستخلفنهم في الأرض ﴿٥٧﴾ هذا وعد وعهد منه تعالى لنبيه محمد (ص) والذين آمنوا معه ، أن يبدلهم من بعد الخوف أمناً ، ومن بعد الذل عزاً ، وقد فعل سبحانه إنجازاً لوعده وانتصاراً لجنده ، وحين تخلى المسلمون عن طاعة الله بالشئات والخلافات تخلى الله عنهم وجاء في نهج البلاغة : أعطوا الله طاعتكم ... والله ليفعلن أو ليفعلن الله عنكم سلطان الإسلام ثم لا يبقه إليكم أبداً . وإلى هذا أشار سبحانه بقوله : ﴿٥٨﴾ ومن كفر بعد ذلك ﴿٥٩﴾ من خرج عن طاعة الله بعد أن منحه الغز والسلطان ﴿٥٧﴾ فأولئك هم الفاسقون ﴿٥٨﴾ الخارجون من كل خير ، المبدعون عن الصلاح والفلاح .

٥٧-٥٨- ﴿٥٧﴾ لا تحسن الذين كفروا معجزين في الأرض ﴿٥٨﴾ لا يبدؤا لا يعجزه من طلب ، ولا يفوته من هرب .

٥٨- ﴿٥٨﴾ يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم ﴿٥٩﴾ قبل الدخول عليكم ﴿٥٩﴾ الذين ملكت أيمانكم ﴿٥٩﴾ أي العبيد ، ولا وجود لهم اليوم ، ولكن الحكم يشمل الخدم من الذكور والإناث ﴿٥٩﴾ والذين لم يبلغوا الحلم ﴿٥٩﴾ الإحتلام ﴿٥٩﴾ منكم ثلاث مرات ﴿٥٩﴾ يقول سبحانه : مروا الخدم والصغار - وبالأولى الكبار - أن يستأذنوا قبل الدخول عليكم في ثلاثة أوقات ، لأنها مظنة انكشاف العورة ، وهذه الأوقات هي (١) ﴿٥٩﴾ من قبل صلاة الفجر ﴿٥٩﴾ حيث يكون الإنسان آنذاك نائماً أو في ثياب النوم (٢) ﴿٥٩﴾ وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ﴿٥٩﴾ وقت القبلولة والإستراحة (٣) ﴿٥٩﴾ من بعد صلاة العشاء ﴿٥٩﴾ حيث يتجه الإنسان إلى فراشه أو إلى شأنه الخاص ﴿٥٩﴾ ثلاث عورات ﴿٥٩﴾ جمع عورة ، وهي كل ما يستره الإنسان من أعضائه

حياء من الناس ﴿٥٩﴾ ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن ﴿٥٩﴾ لا بأس على الخدم والصبيان ولا على ذويهم في الدخول من غير استئذان في بقية الأوقات ﴿٥٩﴾ طوافون عليكم بعضكم على بعض ﴿٥٩﴾ وترددون عليهم ، وترددون عليكم ، فيغتفر لهم ما لا يغتفر لغيرهم . وفي هذا إيماء إلى أن المخالطة الجائرة شرعاً عذر يسقط معه بعض الأحكام تماماً كالضرورات التي تبيح المحظورات .

الإعراب :

اللام في ﴿ليستخلفنهم﴾ وما بعده جواب لقسم محذوف . ﴿وكما استخلف﴾ الكاف بمعنى مثل صفة لمفعول مطلق أي استخلفاً مثل استخلاف الخ . وجلة ﴿يعبدونني﴾ حال من ضمير ليدلنهم . و﴿شيئاً﴾ مفعول مطلق . ﴿ثلاث مرات﴾ مفعول فيه ليستأذنكم لأن المراد بالمرات هنا الأوقات . ﴿وثلاث عورات﴾ برفع ثلاث خبر لبتدا محذوف أي هي ثلاث عورات ، وبالنصب بدل من ثلاث مرات . و﴿طوافون﴾ خبر لبتدا محذوف أي هم طوافون .. وبعضكم على بعض ﴿بعضكم﴾ فاعل لفعل محذوف دل عليه طوافون أي يطوف بعضكم على بعض أو خبر لبتدا محذوف أي بعضكم يطوف على بعض .

٥٩- ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾^١ في جميع الأوقات دون استثناء لوقت من الأوقات الثلاثة وغيرها ﴿كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ وهم الرجال الكبار من الأبعد والأقارب كما سبق في الآية ٢٧ من هذه السورة .

٦٠- ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾^٢ الواو في يرجون حرف علة ، النون للنسوة ، والمراد بالقواعد المعجزة اللاتي لا طمع لأحد بهن ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ لا بأس على المعجزة أن تخلع العباءة وما أشبه مما يغطي اللباس ، شريطة أن لا تقصد بذلك إظهار زينتها للرجال لينظروا إليها ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ﴾ الأولى أن لا تخلع المعجزة الرداء الذي يلبس فوق الثياب .

٦١- ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾^٣ ولا على المريض حرج ﴿قِيلَ فِي بَعْضِ التَّفَاسِيرِ : إِنْ أَهْلَ هَذِهِ الْأَعْدَارُ كَانُوا يَتَجَبَّوْنَ الْأَكْلَ مَعَ النَّاسِ الْأَصْحَاءِ لِثَلَاثَتِ أَهْلِ بَيْتِهِمْ ، فَزُلْتِ الْآيَةُ مِيسَّةً لَهُمُ الْأَكْلُ مَعَ النَّاسِ .

﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾^٤ المراد بأنفس الأزواج والأولاد لأن الولد امتداد للوالد ، وكل من الزوجين شريك للآخر في الحياة ، ولا بد من هذا التأويل ، لأن ظاهر الآية يدل على أن للإنسان أن يأكل من بيته دون أن يستأذن من نفسه ، وهذا كلام غير مستقيم ﴿أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بَيْتِكُمْ﴾ أي من بيوت أزواجكم وأولادكم كما أشرنا ﴿أَوْ بَيْتِ آبَائِكُمْ ... أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ مَفَاتِحُهُ﴾ يسوغ للوكلاء والأجراء الذين يمسكون مفاتيح البيوت والمخازن أن يأكلوا منها بالعرف ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ كان بعض العرب يرى أن الأكل وحده مخزاة عليه ، فأباح سبحانه ذلك ﴿فَإِذَا

اللغة :

ملكتم أيماكم العبيد والاماء . والحلم البلوغ . وكل شيء يستره الانسان من أعضائه حياة فهو عورة . والجناح الاثم والقواعد من النساء المعجزة . وتبرج المرأة اظهار حاسنها .

الإعراب :

﴿وَالْقَوَاعِدُ﴾ مبتدأ ، واللاتي صلة ، وجملة ليس عليهن جناح خبر . والمصدر من ﴿أَنْ يَضَعْنَ﴾ مجرور بفي محذوفة . والمصدر من ﴿أَنْ يَسْتَعْفِفْنَ﴾ مبتدأ ، وخبر خبر ، أي الاستعفاف ﴿خَيْرٌ لَهُنَّ﴾ ﴿جَمِيعًا﴾ حال من واو تأكلوا . و﴿تَحِيَةً﴾ مفعول مطلق لسلموا .

الْآلِيتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَعِذُوا كَمَا اسْتَعِذَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكَ آيَاتِهِ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ ۖ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِهْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ مَفَاتِحُهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۖ فَإِذَا دَخَلْتُمْ

ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً ۖ كان بعض العرب يرى أن الأكل وحده مخزاة عليه ، فأباح سبحانه ذلك ۖ فإذا

دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة ﴿٦٥﴾ على أنفسكم معناه يسلم بعضهم على بعض ، مثل « ولا تقتلوا أنفسكم - ٢٩ النساء » ولا بأس في سلام الإنسان على نفسه فنحن نقول في آخر الصلاة : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .

٦٢- ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع ﴾ وهو ، الذي يستدعي أن يتعاون عليه الجميع ﴿ لم يذهبوا حتى يستأذنه ﴾ كان المناقون يهربون ويتسللون من مجلس الرسول دون الإشتذان كلما دعا المسلمين لأمر مهم ، فنهى سبحانه عن ذلك ، وأوجب الإشتذان من النبي قبل الإنصراف ﴿ إن الذين يستأذنونك ﴾ يا محمد ﴿ أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله ﴾ حقاً وواقعاً ، أما الذين لا يستأذنون أو يتسللون بالأعذار الكاذبة فهم أبعد الناس عن الإيمان والإسلام ، ولا ينطقون بكلمته إلا كذباً ونفاقاً ﴿ فإذا استأذنتك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم ﴾ فوض سبحانه تقدير العذر الموجب للإذن إلى نبيه الكريم ، فإن رآه مبرراً أذن لصاحبه ، ودعا له بالمغفرة وإلا رده وأعرض عنه .

٦٣- ﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً ﴾ لا تدعوا النبي باسمه وكنيته ، بل بأعظم صفاته وأجلها مثل يا نبي الله ويا رسول الله ﴿ قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لوأذا ﴾ تسلل وانسل : انطلق في استخفاء ، ولاذ به : التجأ إليه أو استتر به ، وهذا هو المراد هنا ، والمعنى أن الله سبحانه يعلم كيف يتسلل المناقون من مجلس الرسول ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب آليم ﴾ هذا تهديد وعيد للطفاة والعصاة أن تصيبهم في الدنيا فتنة كالحرب الأهلية تطحنهم وتبيدهم ، أو يؤجل عذابهم ليوم عظيم .

٦٤- ﴿ ألا إن لله ما في السموات ... ﴾ الله هو الغني لأنه مالك الملك ، والعليم بكل باطن وخفي ، ومنتم بقسم ظهور الطغاة ، وينكل بالعصاة ، وتقدم تكراراً ، ومن ذلك الآية ٤٢ من هذه السورة . ونسأله تعالى التمام بالنبي وآله خير الأنام عليهم أفضل الصلوات والسلام .

الإعراب :

﴿ المؤمنون ﴾ مبتدأ ، ﴿ والذين آمنوا بالله ورسوله ﴾ خبر . ﴿ كدعاء بعضكم بعضاً ﴾ دعاء مصدر مضاف الى فاعله ويعضاً مفعول ، والمعنى لا تدعوا الرسول كما يدعو بعضكم بعضاً . ولو أذا مصدر في موضع الحال أي ملاوذين . والمصدر من أن تصيبهم مجرور بن محذوفة ويتعلق بيجذر . ويوم معطوف على ما أنتم عليه ويعلم يوم يرجعون .

بَيُوتًا فَسَلِمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً
كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا
مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ
يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا
اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ
لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٦﴾ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ
بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْلُطُونَ
مِكْرًا لَّوْ أَذَا فَلَاحِظٍ الَّذِينَ يَخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ
فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ
وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ
فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٨﴾

﴿ المؤمنون ﴾ مبتدأ ، ﴿ والذين آمنوا بالله ورسوله ﴾ خبر . ﴿ كدعاء بعضكم بعضاً ﴾ دعاء مصدر مضاف الى فاعله ويعضاً مفعول ، والمعنى لا تدعوا الرسول كما يدعو بعضكم بعضاً . ولو أذا مصدر في موضع الحال أي ملاوذين . والمصدر من أن تصيبهم مجرور بن محذوفة ويتعلق بيجذر . ويوم معطوف على ما أنتم عليه ويعلم يوم يرجعون .

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(٢٥) سُورَةُ الْفُرْقَانِ كِتَابُهُ
وَأَنبَأْنَا مَا تَسْتَعِجُ وَتَسْتَعِجُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ
نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ يَخْجُذُ
وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ
فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَأَن تَأْخُذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَّا يَخْلُقُونَ
شَيْعًا وَهُمْ يَخْلُقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا
وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا إِنَّا هَذَا إِلَّا فَاكٌ أَفْتَرْتَهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ
فَقَدْ جَاءَ وَظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا أَسْطِطِيرُ الْأَوَّلِينَ

١- ﴿ تبارك ﴾ فعل ماض ، ولا يُنطق بصيغة المضارع ،
ويختص بالله وحده ، ومعناه تنزه وتعالى وتقدس في ذاته
وصفاته ﴿ الذي نزل الفرقان ﴾ القرآن الذي يفرق بين الحق
والباطل ﴿ على عبده ﴾ محمد (ص) والإضافة هنا للتشريف
والإختصاص ﴿ ليكون ﴾ محمد والقرآن ﴿ للعالمين نذيرًا ﴾
من يومه إلى يوم يبعثون .

٢- ﴿ الذي له ملك السموات والأرض ﴾ مالك كل
شيء وإله كل شيء ﴿ ولم يتخذ ولدًا ﴾ لم يتخذ عن صاحبة
الولد والشريك ﴿ وخلق كل شيء فقدره تقديرًا ﴾ ومعنى
التقدير : التنظيم والتخطيط لهدف معين - مثلاً - لا بد
للبناء من أرض ومواد ، والمهندس يقدر مساحة الأرض طولاً
وعرضاً والمواد كمّاً وكيفاً ، والله سبحانه « قدر ما خلق فأحكم
تقديره ، ودبره فأطلف تدبيره ، ووجهه لوجهه فلم يتعد
حدود منزله ، ولم يقصّر دون الإنتهاء إلى غايته » كما في
الخطبة ٨٩ من خطب النهج .

٣- ﴿ واتخذوا من دونه آلهة ... ﴾ أعرضوا عن
خلق وقدر وأحيا وأمات ونشر ، وعبدوا أصناماً صماء عمياناً
وتقدم مرات .

٤-٥- ﴿ وقال الذين كفروا إن هذا القرآن
﴿ إلا إفك ﴾ كذب ﴿ افتره ﴾ محمد ﴿ وأعانه عليه قوم
آخرون ﴾ ضاقت قوى الشر بمحمد والقرآن ، ولم تجد
سلاحاً إلا التزوير والتشهير بالباطل وأن محمداً جمع القرآن
وألّفه من أساطير الأوائل وأقوال اليهود والكهان ﴿ فقد جاءوا ظلمًا وزورًا ﴾ ولا شيء أدل على هذا الإقتراء من أن القرآن
الكريم خلق من العرب أمة غابت وجه الأرض في أقل من نصف قرن ، إضافة إلى التحدي بأن يأتيوا بسورة من مثله .

اللغة :

تبارك عظمت بركته . والفرقان ما يفرق بين الحق والباطل ، والمراد به هنا القرآن . والإفك الكذب . وأساطير خرافات سطرها
الأولون . واكتتبها كتبها . ويكرة صباحاً ، وأصيلًا مساءً .

الإعراب :

اسم ﴿ ليكون ﴾ ضمير مستتر يعود الى عبده لأنه أقرب من الفرقان ، والمصدر من ليكون مجرور باللام ويتعلق بنزل . ﴿ الذي له
ملك السموات ﴾ بدل من الذي نزل . ﴿ وظلماً ﴾ مفعول جاءوا لأنها معني أتوا . ﴿ وأساطير ﴾ خبر لمبتدأ محذوف أى هذه أساطير

٦- ﴿قُلْ﴾ يا محمد : ﴿أنزله﴾ القرآن ﴿الذي يعلم السر في السموات والأرض﴾ كيف يكون القرآن خرافة وأساطير ، وفيه آيات بينات تدعو للتحكيم إلى العقل ، وتحكي أسرار الحياة ، وتجدد مفهوم الخير والشر ، وتخبر عن أحوال الأمم الماضية والقرون الخالية بما يتفق وينطبق مع الحق والواقع ؟ وكفى بذلك دليلاً قاطعاً على أن القرآن من عند الله الذي خلق السموات والأرض ، وأحاط بكل شيء علماً ﴿إنه كان﴾ وما زال ﴿غفوراً رحيماً﴾ هذه دعوة كريمة من رحمة الله الواسعة إلى من كفر به وبكتبه ورسله ، أن يقلع عن غيه ، ويأتي إليه تعالى آمناً ومكرماً أيضاً ... ولا بدع ، فهذا شأن من لا يعبد إلا هو ، ولا حاجة له إلى شيء أصلاً وإطلافاً .

٧- ﴿وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق﴾ يريدون من رسول الله أن يتعالى على الخلق ، ويحتجب في برج من عاج تماماً كالجبابرة الطغاة ! وهل بُعث الرسول إلا لتتبرهنهم ذلك عروشهم ؟ وكيف يقوم الراعي والمرشد بالرقابة على أعمال الرعية وهو في منزل عنهم ؟ وتقدم في الآية ٩٤ وما بعدها من الإسراء ﴿لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً﴾ يشهد بصدقه ، وينذر من كذبه بالعذاب .

٨- ﴿أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها﴾ هذا هو منطق أرباب المال : بنك وعقار ، وجيب ومعدة ! فكيف يؤمنون برسالة من يقول : الناس سواسية كأسنان المشط في جميع الحقوق والواجبات ؟ ﴿وقال الظالمون﴾ المعاندون للمؤمنين المنصفين : ﴿إن تبعون إلا رجلاً مسحوراً﴾ مغلوباً

أَكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلِكُ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٦﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧﴾ وَقَالُوا مَا هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٨﴾ أَوْ يُنَزِّلُ إِلَيْهِ كَنْزًا أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٩﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿١٠﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴿١١﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِذَا رَأَوْهُمُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهُمْ تَغِيظًا وَزَفِيرًا ﴿١٣﴾ وَإِذَا الْقَوْمُ مِنْهَا مُكِنَّا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٤﴾

على أمره وعقله ، وتقدم في الآية ١٠١ من الإسراء .

٩- ﴿انظر﴾ يا محمد ﴿كيف ضربوا لك الأمثال﴾ أي قالوا أقوالاً كاذبة باطلة ، مثل انك ساحر أو مسحور ، ولو كنت نبياً لكنت غنياً ! ﴿فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً﴾ أبداً لا حجة لهم عليك ، بل الحجة لك عليهم ، لأنك على الحق من ربك ، وماذا بعد الحق إلا الضلال .

١٠- ﴿تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك﴾ قال الجبابرة الطغاة لمحمد (ص) : كيف تكون رسولاً ، ولا تملك جنة أو كنزاً ؟ فرد عليهم سبحانه بأنه قادر على أن يمنحنيبه أعظم من ذلك ﴿جنان تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً﴾ ولكن العظمة لا تقاس بالمال ، بل بالعلم وصالح الأعمال ، وفي الحديث : لو كانت الدنيا ترز عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء .

١١- ﴿بل كذبوا بالساعة﴾ يوم القيامة ، وفيه دلالة على أن المشركين كانوا على استعداد تام للإيمان بنبوة محمد (ص) لولا دعوته إلى الإيمان باليوم الآخر .

١٢- ١٣- ﴿إذا رأتهم﴾ جهنم ﴿من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً﴾ كناية عن سوء العذاب وشدة ، وتقدم في الآية ١٩ وما بعدها من الحج .

١٤- ﴿ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا ... ﴾ الثبور : الهلاك ، والمعنى يقال لهم : لا تدعوا اليوم على أنفسكم بهلاك واحد بل بالعديد من الولايات والهلكات .

١٥- ١٦- ﴿ قُلْ أَذْكَاءٌ ﴾ إشارة إلى عذاب الحريق ﴿ خَيْرٌ ﴾ لا تفضيل هنا بل توبيخ ﴿ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ ... ﴾ بنعيمها القائم ، وملكتها الدائم ﴿ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ﴾ أي لا بد أن يقع ، وأن للمتقي كل الحق في أن يسأل الله سبحانه الوفاء بوعده ، ولكنه تعالى يعطي بلا امتنان من سألته ومن يسأله .

١٧- ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ وَمَا يَعْلَمُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ... ﴾ يجمع سبحانه عدداً بين المشركين والذين اتخذوهم شركاء لله . ثم يسأل الفريق المعبود : أنتم دعوتهم هؤلاء الضالين إلى عبادتكم ؟

١٨- ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾ كيف ندعومهم إلى عبادتنا ، ونحن نعبدك ونخافك ؟ ﴿ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ ﴾ أنت يا إله العالمين أمهلتهم طويلاً ، كما أمهلت آباءهم من قبل ﴿ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ ﴾ وهو الذي أنزله سبحانه على لسان رسله ﴿ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴾ هلكت بما كسبت أيديهم ، وما لنا عليهم من سلطان .

١٩- ﴿ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ ﴾ يخاطب سبحانه المشركين ، ويقول لهم : هؤلاء الذين عبدتم من دون الله قد كذبوكم فيما زعمتم أنهم شركاء يقربونكم من الله زلفى ﴿ لَمَّا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا ﴾ أن تصرفوا عنكم العذاب ﴿ وَلَا نَصْرًا ﴾ ولا الإنصاف لأنفسكم .

٢٠- ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ ﴾ يا محمد ﴿ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا أَنَّهُمْ لِيَأْكُلُوا الطَّعَامَ وَيَمْشُوا فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ إن الشرط الأساس في الرسول أن يكون أميناً على الرسالة ، وقادراً على الصبر في أداها الكامل ، وأية علاقة لهذه المهمة بأكل الطعام والمشي في الأسواق ؟ وتقدم في الآية ١٠٩ من يوسف وغيرها ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ﴾ الخطاب لجميع الناس ، والمراد بالفتنة الإمتحان والاختبار ، فيختبر سبحانه الأغنياء بالفقر : هل يؤدون إليهم عن طيب نفس الزكوات والأحماس الواجبة في أموالهم ؟ ويبتلي الأغنياء بالضعفاء : هل يعاملونهم

الإعراب :

وثبوراً مفعول به . و﴿خالدين﴾ حال من واو ﴿يشاءون﴾ . واسم كان على ربك ضمير مستتر يعود إلى ما يشاءون أي كان الذي يشاءونه وعداً على ربك . ﴿هؤلاء﴾ بدل من عبادي . و﴿سبحانك﴾ منصوب على المصدرية : ﴿ومن أولياء﴾ ﴿من﴾ زائدة إعراباً وأولياء مفعول أول لتتخذ ، ومن دونك مفعول ثانٍ مقدم ، والمصدر من أن تتخذ فاعل ينبغي . والجملة من ﴿أنهم ليأكلون﴾ الخ حال من المرسلين أي إلا وهم يأكلون ، ولا وجه لجعل الجملة مستثنى كما قال صاحب جمع البيان لأن جمع الرسل يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق دون استثناء .

لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾
قُلْ أَذْكَاءٌ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ لَمَّا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمِ مَسْكُودًا نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لِيَأْكُلُوا الطَّعَامَ وَيَمْشُوا فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

بالعدل أو الجور ؟ ويمتحن الأنبياء المرسلين بتدبير المرسل إليهم وصنوف الإيذاء والبلاء ، وهكذا يتلّى المؤمن الصالح بمرأة سوء أو ولد عاق أو جار مضار ﴿ أنصبرون ﴾ ومن لم يصبر على بلائه تعالى فليخرج من أرضه وسماه ، أو كما قال الإمام علي (ع) : فاصبر مغموماً أو مت متأسفاً .

٢١- ﴿ وقال الذين لا يرجون لقاءنا ﴾ بعد الموت : ﴿ لولا أنزل علينا الملائكة ﴾ فزاهم عياناً ، فيخبرونا أن محمداً هو نبيه ونجيه ، وتقدم في الآية ٩٢ من الإسراء ﴿ لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً ﴾ وكلنا يحمل هذه الروح العاتية المتعادية إلا قليلاً ، ولكن نجعل بجعلنا .

٢٢- ﴿ يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ﴾ طلب هؤلاء من محمد (ص) أن تنزل عليهم الملائكة ، فأجابهم سبحانه بالإيجاب ، وأن الملائكة نازلة عليهم لا محالة ، ولكن لا بما يشتهون ، بل بعذاب النار وغضب الجبار من الساعة الأولى للترع إلى ما لا نهاية ﴿ ويقولون حجراً محجوراً ﴾ يسوغ في التفسير وأصوله أن يكون هذا من أقوال الملائكة العذاب للمجرمين : يحرم اليوم عليكم كل شيء إلا العذاب الأليم ، وأن يكون من أقوال المجرمين للملائكة العذاب : يحرم عليكم تعذيبنا والتشكيل بنا .

٢٣- ﴿ ولقدنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً ﴾ الهباء : الغبار ، والمثبور : المتفرق ، والمعنى أن الجاحد المعاند قد يفعل الخير كإغاثة ملهوف أو صلة رحم ، ولكن هذا لا ينجيه من عذاب أليم ، وإن انتفع به في شأن

من شأنه ٢٤- ﴿ أصحاب الجنة ﴾ وهم المقنون في حصن حصين ومقر أمين .

٢٥- ﴿ ويوم تشقق السماء بالغمام ﴾ المراد باليوم القيامة ، وبالإشفاق الإنفطار ، وبالغمام الكواكب ، وانها تنحول إلى ذرات ، وتصبح كالسحاب والضباب ، واستوحينا هذا المعنى من قوله تعالى : « إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت - ٢ التكويز ... إذا السماء انفطرت وإذا الكواكب انثرت - ٢ الإنفطار » .

٢٦- ﴿ الملك يومئذ الحق للرحمن ﴾ وحده لا دول عظمى تحل مركز الصدارة ، وثانية صغرى تخضع للأوامر ، وثالثة نامية تستجدي وتتسول ، ولا هيئة للأمر ومجلس للأمن ... أبداً لا شيء ولا شأن لأحد إلا لمن أتى الله بقلب سليم وعمل

كريم ٢٧- ﴿ ويوم بعض الظالم على يديه ﴾ كناية عن شدة الحسرة والتدامة ، وهي نهاية كل من حاد عن طريق الحق والعدل ٢٨- ﴿ يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً ﴾ المراد بفلان كل من أضلّ عباد الله عن الحق إلى الباطل ، وعن الخير

إلى الشر .

٢٩- ﴿ لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني ﴾ والذكر هنا يعم ويشمل كل ما فيه خير وصلاح ، أما المهيء فالمراد به التبليغ ، والمعنى أرشدني أهل العلم بدين الله إلى طريق النجاة ، فأعرضت وابتعت الغواية ، وتنطبق هذه الآية على من تابع وأيد الغوة المناهقين طمعاً في الفئات وتلبية للشهوات .

٣٠- ﴿ وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن

مَهْجُورًا ﴿٣١﴾ من المهجر والترك ، أي أعرضوا عن الاستماع له والنظرة إليه نظرة الفاحص الباحث عن الحقيقة فضلاً عن الإيمان به .

٣١- ﴿٣١﴾ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين ﴿٣١﴾ هذا مجرد تعبير وحكاية عما هو واقع بالفعل ، لأنه تعالى ينهى عن عداوة الأنبياء والأتقياء ويأمر بطاعتهم وموالاتهم . بل قرن ، طاعتهم وموالاتهم ويطاعة وموالاة ، ومعنى الآية في واقعها أن كلا من الحق والباطل والخير والشر والصدق والكذب والطهر والرجس - حرب على الآخر بحكم الطبيعة والبدنية .

٣٢- ﴿٣٢﴾ وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ﴿٣٢﴾ تكاثرت الطعون والردود من المجرمين على القرآن الكريم ، ومنها قولهم ، هذا : لماذا لم ينزل دفعة واحدة كالطهارة والإنجيل والزبور ؟ فأجابهم سبحانه بقوله : ﴿٣٢﴾ كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً ﴿٣٢﴾ نزل القرآن مفرقاً للعديد من القوائد : منها أن حفظه كذلك وفهم معناه أسير واسهل على النبي والصحابة . ومنها أن نزول أحكامه تبعاً للحوادث والوقائع أوضح بياناً وأبلغ أثراً . ومنها أن فيه ناسخاً ومنسوخاً ، ولا يتأتى ذلك لو نزل جملة .

٣٣- ﴿٣٣﴾ ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق ﴿٣٣﴾ الخطاب لمحمد (ص) وضمير الجماعة في يأتونك لأعداء الله وأعدائه الذين يعترضون على القرآن ، والمعنى لا ينطقون بأية شبهة وضلالة حولك أو حول القرآن إلا وأوحينا إليك بجواب الحق الذي يفهمهم ويلجمهم .

٣٤- ﴿٣٤﴾ الذين يحشرون على وجوههم ... ﴿٣٤﴾ سألت رجل رسول الله (ص) : كيف يحشر الكافر على وجهه ؟ فقال : إن الذي أمشاه على رجلين قادر أن يمشيه على وجهه .

٣٥- ﴿٣٥﴾ ولقد آتينا موسى الكتاب ... ﴿٣٥﴾ التوراة . وقصته تقدمت وتكررت من البقرة إلى المائدة ومنها إلى الأعراف وطه ﴿٣٥﴾ وقوم نوح ... ﴿٣٥﴾ تقدم في هود .

٣٨- ﴿٣٨﴾ وعاداً ﴿٣٨﴾ أنظر هود الآية ٥٠ - ٦٠ ﴿٣٨﴾ وشمود ﴿٣٨﴾ أنظر هود الآية ٦١ - ٦٨ ﴿٣٨﴾ وأصحاب الرسي ﴿٣٨﴾ اسم بئر وأصحابه قوم شيب وقصته في هود الآية ٨٤ - ٩٥ ﴿٣٨﴾ وقرونايين ذلك كثيراً ﴿٣٨﴾ أيضاً أهلكتنا من الأمم أضعاف من ذكرنا لأنهم كذبوا الأنبياء والمرسلين . وفي مجلة العربي الكويتية عدد ٢٣٢ مقال بعنوان سيرة النبي بقلم الدكتور عبد العزيز كامل ، جاء فيه : « المجددون الدينيون في فارس نعرفهم فقط عن طريق الشاهنامة . ولقد ضاع أنبياء الهند في القصص والأساطير » .

٣٩- ﴿٣٩﴾ وكلاً ضربنا له الأمثال ﴿٣٩﴾ ما أهلكتنا قوماً إلا بعد قيام الحجة عليهم بالأدلة والنصائح وضرب الأمثال عن كان قبلهم ، ولكنهم عموا وصموا فحقت عليهم كلمة

الْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣١﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٣﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٦﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمْغْنَاهُمْ تَدْمِيمًا ﴿٣٧﴾ وَقَوْمُ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً ﴿٣٨﴾ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٩﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرِّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٤٠﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ

العذاب الذي أشار إليه سبحانه بقوله : ﴿ وَكَلَّا تَبَرَّنَا تَبِيرًا ﴾ ﴿٤٠﴾ أهلكنا إهلاكاً .

٤٠- ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوِيًّا ﴾ ﴿٤١﴾ ولقد أنزلنا على القرية التي أمطرت مطر السوء ﴿٤١﴾ لعد مر عتاة قريش بقري قوم لوط ، وشاهدوا ما فيها من آثار العذاب والهلاك ، وكان عليهم أن يعتبروا ويتعظوا ﴿٤١﴾ بل كانوا لا يرجون نشوراً ﴿٤٢﴾ كيف يتعظون وهم لا يؤمنون ببعث وحساب وجزاء ؟ .

٤١- ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِذَا بُعْثَ رَاسُكَ ﴾ ﴿٤٣﴾ يا محمد ﴿٤٣﴾ إلا هزواً أهذا الذي بعث الله رسولا ﴿٤٣﴾ يهزؤون ويستخفون بسيد الكونين ! ولماذا ؟ لأنه ساوى بين الأسود والأبيض ، وثار على الجهل والبيعي ... وأين هؤلاء الساحرون الهازنون الآن من حياة الناس وفي سجلات التاريخ ؟

٤٢- ﴿ إِنْ كَادَ أَنْ يَنْفِرَ ﴾ ﴿٤٤﴾ يا محمد ﴿٤٤﴾ لبضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها ﴿٤٤﴾ التوحيد شر وضلال في منطقتهم ، وعبادة الأصنام هدى وخير ! وكل أو حل الذين آمنوا بمحمد (ص) كانوا من قبل على هذا الجهل بالجهل ، والتعصب للأعشى لما توارثوه عن الأجيال . ومع ذلك أقمهم محمد وجدهم إليه بخلقه العظيم وأسلوبه الحكيم الرحيم ، وهنا يكمن السر لعظمة محمد ، وأيضاً من هنا قال حر خير : لو تسلم محمد زمام الحكم المطلق اليوم في العالم كله لحل مشكلاته بالكامل ، وحقق للعالم السلام والرخاء المنشود .

٤٣- ﴿ أَرَأَيْتَ مِنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾ ﴿٤٥﴾ أرايت من يتخذ عن الإيمان بالله وعده لم يثبت له فيما يحب ويهوى من جاه أو مال أو غير ذلك من ملذات وشهوات ﴿٤٥﴾ أفأنت تكون عليه وكيلاً ﴿٤٥﴾ حافظاً له من الضلال والفساد .

٤٤- ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنْ أَكْثَرُهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٤٦﴾ أنت يا محمد تحاول إقناعهم بالعقل والموعظة الحسنة ، وهم لا يفهمون إلا بمنطق القوة أو الرغبة والرهبة ﴿٤٦﴾ إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً ﴿٤٦﴾ لأن الأنعام تؤدي ما عليها . وتطلب ما ينفعها . وتنتفي ما يضر بها ، وتنفاد لصاحبها أمراً وزجراً ، وهؤلاء لا يؤدون ما عليهم ، ولا يتقادون لخالقهم ، ولا يتقون عذابه ويعلمون لغوايه .

٤٥- ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾ ﴿٤٧﴾ الظل يمتد وينقلص تبعاً لحركة الأرض ودورانها حول الشمس ، وأسندنا سبحانه إليه لأنه خالق الأرض والكون ، كما أشرنا أكثر من مرة ﴿٤٧﴾ ولو شاء لجعله ساكناً ﴿٤٧﴾ أي لجعل الأرض ساكنة ، وسكنها يسكن الظل . لأن التابع لا ينفرد بالحكم . بل يسري عليه ما يسري على المتبوع ﴿٤٧﴾ ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً ﴿٤٨﴾ لولا الشمس لم يكن للأجسام ظل بحكم البديهة ٤٦- ﴿ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ ﴿٤٩﴾ بسط سبحانه الظل رويداً رويداً ، وأزاله كذلك تبعاً لحركة الأرض ونعود إلى التكرار بأن هذا وصف للسنن الكونية ، وريظها سبحانه بإرادته لا بأعين الأشياء الطبيعية لأنه هو الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً ، أنظر تفسير الآية ٢ من هذه السورة .

٤٧- ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ ﴿٥٠﴾ ساتراً كاللباس ﴿٥٠﴾ والنوم سباتاً ﴿٥٠﴾ سكناً وانقطاعاً عن العمل ﴿٥٠﴾ وجعل النهار نشوراً ﴿٥١﴾ حركة وعملاً .

الْأَمْثَلُ وَكَلَّا تَبَرَّنَا تَبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوِيًّا أَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِذَا بُعْثَ رَاسُكَ إِلَّا هُزُوعًا أَلْهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِنْ كَادَ لَيُبْضِلُنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلَّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنْ أَكْثَرُهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْلَمُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سَبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ

٤٨- ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا...﴾ ﴿يَنْزِلُ الْمَطَرُ ، وَهُوَ طَاهِرٌ فِي نَفْسِهِ ، مَطْهَرٌ لِّغَيْرِهِ عَلَى حَدِّ تَعْبِيرِ الْفُقَهَاءِ .

٤٩- ﴿لَنُجِيبَ بِهِ بَلَدَهُ مِيتًا...﴾ ﴿وَاضِحٌ . وَتَقْدِمُ فِي الْآيَةِ ٥٧ مِنَ الْأَعْرَافِ .

٥٠- ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ﴾ الْقُرْآنَ وَقِيلَ الْمَطَرُ ﴿بَيْنَهُمْ لِيَذْكُرُوا أَنَّهُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ أَنْعَمَ سُبْحَانَهُ عَلَى عِبَادِهِ بِكُلِّ نِعْمَةٍ مِنَ الْعَقْلِ إِلَى إِزَالِ الْكُتُبِ وَإِرْسَالِ الرِّسْلِ ، وَمِنْ إِزَالِ الْمَاءِ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى بِنَائِيعِ النِّفْطِ تَنْفُجَرُ مِنَ الْأَرْضِ ... إِلَى مَا لَا نَهَايَةَ ، وَمَعَ ذَلِكَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَنَفَرُوا مِنَ الْحَقِّ ! وَلِمَاذَا ؟! وَتَرَكُوا الْجَوَابَ لِنَافِئِي حَيْثُ قَالَ فِي كِتَابِ هَذَا مَذْهَبِي : «طَرِيقُ الْحَقِّ ضَيِّقٌ مِثْلًا هُوَ مُسْتَقِيمٌ ، وَالسَّبِيلُ عَلَيْهِ يَسْتَدْعِي الْإِحْفَاطَ بِالتَّوَازُنِ تَمَامًا كَالسَّبِيلِ عَلَى حَدِّ السَّيْفِ ... فَأَقْلَ سَبُوهُ تَرْدِي بِالْإِنْسَانِ إِلَى الْمَضْيِضِ ، وَلَا يَسْتَطِيعُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَدْرِكَ الْحَقَّ إِلَّا بِالْكَفَاحِ الَّذِي لَا يَقْطَعُ» .

٥١- ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ ﴿كَانَ عَدَدُ الرِّسْلِ قَبْلَ مُحَمَّدٍ (ص) مِثْلًا لِعَدَدِ الْأَنْبِيَاءِ كَمَا جَاءَ فِي الْآيَةِ ٤٧ مِنْ يُوسُفَ «وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ» ثُمَّ خَتَمَ سُبْحَانَهُ بِمُحَمَّدٍ جَمِيعَ الرِّسْلِ حَيْثُ أَرْسَلَهُ بِشَرِيعَةٍ تَسَعُّ الْإِنْسَانِيَّةَ بِكَامِلِهَا ، وَبِهَذَا التَّكْرِيمِ وَالتَّعْظِيمِ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ كَانَ لِمُحَمَّدٍ (ص) الْمَنْزِلَةُ الْعُلْيَا عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ وَالْأَنْبِيَاءِ ، وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ الْأَعْظَمَ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ حَيْثُ قَالَ لَهُ : «لَوْ شِئْنَا لَبعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا» وَلَكِنَّا لَمْ نَفْعَلْ ، وَخَصَصْنَاكَ بِالْبَعْثَةِ إِلَى جَمِيعِ

أَهْلِ الْأَرْضِ ، فَاصْبِرْ فِي أَنْهَاءِ الرِّسَالَةِ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ٥٢- ﴿فَلَا تَطْعُ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿فِي السَّكُوتِ عَنْ دَعْوَتِهِمْ إِلَى الْحَقِّ وَإِلَّا قَالُوا : خَافَ مُحَمَّدٌ (ص) وَجَرَ ، وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَى إِرَادَةِ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى بَلَا فَاصلُ ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾ أَيُّ بِالْقُرْآنِ ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ ﴿بَلَا هُوَادَةَ ٥٣-﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ ﴿فَخَلَطَهُمَا وَأَسْأَلَا أَحَدُهُمَا فِي الْآخِرِ﴾ ﴿هَذَا غَلَبَ فِرَاتٌ وَهَذَا مَلَحَ أَجَاجٌ﴾ ﴿جَعَلَ سُبْحَانَهُ الْمَاءَ الْمَلْحَ فِي أَرْضٍ مُنْخَفِضَةٍ ، وَالْمَاءَ الْعَذْبَ كَالْجُدَاوِلِ وَالْأَنْهَارِ فِي أَرْضٍ مُرْتَفَعَةٍ عَنْ سَطْحِ الْبَحْرِ ، وَلَوْ أَنَّكَسَ الْأَمْرَ لِأَفْسَدَ الْمَلْحَ الْعَذْبَ ، وَأَصْبَحَ الْمَاءُ كُلُّهُ مَرًّا ، وَوَقَعَ النَّاسُ فِي الْعَسْرِ وَالْحَرْجِ﴾ ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَجَحْرًا مَحْجُورًا﴾ ﴿أَيُّ فَاصِلًا بَيْنَ الْمَاءَيْنِ ، وَهُوَ ارْتِفَاعُ أَرْضِ الْعَذْبِ ، وَانْتِفَاضُ أَرْضِ الْمَلْحِ .

٥٤- ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ ﴿النَّسَبُ : الْقَرَابَةُ بِالتَّوَالُدِ ، وَالصَّهْرُ : الْقَرَابَةُ بِالْمُصَاهَرَةِ ، وَالْمَعْنَى خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نَظْفَةٍ فَهُوَ بِذَلِكَ وَلَدٌ نَسِيبٌ ، ثُمَّ يَتَزَوَّجُ فَيَصِيرُ صِهْرًا ، وَيَصِيرُ لَهُ بَعْدَ الزَّوْاجِ أَنْسَابٌ وَأَصْهَارٌ .

٥٥- ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾ ﴿أَصْنَامًا لَا تَضُرُّوهُ تَنْفَعُ﴾ ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ ﴿أَيُّ يَعْينُ حِزْبَ الشَّيْطَانِ وَالْبَاطِلَ عَلَى حِزْبِ الرَّحْمَنِ وَالْحَقِّ ، وَكُلٌّ مِنْ أَغَاثِ الْبَاطِلِ فَقَدْ أَغَاثَ عَلَى اللَّهِ وَنَصَبَ لَهُ الْعِدَاءَ .

٥٦- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿وَاضِحٌ وَتَقْدِمُ بِالْحَرْفِ فِي الْآيَةِ ١٠٥ مِنَ الْإِسْرَاءِ .

٥٧- ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ ﴿لَا مَطْعَ لِي فِي شَيْءٍ وَرَاءَ دَعْوَتِي لَكُمْ إِلَى الْحَقِّ وَالْهُدَى﴾ ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ

الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٥٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلَدَهُ مِيتًا وَنُسْقِيَهُ بِمَا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَنَاسِيًّا كَثِيرًا ﴿٥٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذْكُرُوا أَنَّهُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٦٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٦١﴾ فَلَا تَطْعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٦٢﴾ * وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فِرَاتٌ وَهَذَا مَلَحٌ أَجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَجَحْرًا مَحْجُورًا ﴿٦٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٦٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٦٥﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٦٦﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ

يتخذ إلى ربه سبيلاً ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْخَيِّ الْأَدِيِّ
لَا يَمُوتُ وَسَيَحْيِيهِمْ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ
خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا
فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ
خَيْرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ
أَنْسَجِدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ
فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٦١﴾
وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ
أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى
الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾
وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ
رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾

٥٨- ﴿٥٨﴾ وتوكل على محمد ﴿٥٨﴾ على الحي الذي لا يموت
وسبح بحمده ﴿٥٨﴾ اقرن التوكل بالعبادة الخالصة لوجه الله ﴿٥٨﴾ وكفى
به بذنوب عباده خبيراً ﴿٥٨﴾ ولا يضرك من أكبر واستكبر ،
فحنن له بالمرصاد .

٥٩- ﴿٥٩﴾ الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في
سنة أيام ﴿٥٩﴾ تقدم في الآية ٥٤ من الأعراف وغيرها ﴿٥٩﴾ ثم
استوى على العرش ﴿٥٩﴾ استوى على الملك ، وتقدم مرات
﴿٥٩﴾ فاسأل به ﴿٥٩﴾ قال ابن هشام في المعنى « الباء هنا بمعنى عن
بدليل قوله تعالى : يسألون عن أنبيائكم - ٢ الأحزاب » وعليه
يكون المعنى اسأل عن خلق السموات والأرض ﴿٥٩﴾ خبيراً ﴿٥٩﴾
وهو الذي خلق كل شيء .

٦٠- ﴿٦٠﴾ وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن ﴿٦٠﴾
نحن لا نعرف عنه شيئاً .

٦١- ﴿٦١﴾ تبارك الذي جعل في السماء بروجاً ﴿٦١﴾ ومي
منازل الشمس والقمر ، أنظر تفسير الآية ١٦ من الحجر
﴿٦١﴾ وجعل فيها سراجاً ﴿٦١﴾ الشمس .

٦٢- ﴿٦٢﴾ وهو الذي جعل الليل والنهار خِلْفَةً ﴿٦٢﴾ يخلف
أحدهما الآخر ، يأتي الليل ويذهب النهار ، ثم يأتي هذا ويذهب
ذاك ، وهكذا دواليك ﴿٦٢﴾ لمن أراد أن يذكر ﴿٦٢﴾ من طلب
الدليل على وجود الله وجهه في جميع الأشياء ، ومنها تعاقب
الليل والنهار . وفي نهج البلاغة : أنظر إلى الشمس والقمر ... واختلاف الليل والنهار ... فالويل لمن أنكر المقدر ؛ وجحد
المدير ، زعموا أنهم كالنبات ما لهم زارع ، ولا لاختلاف صورهم صانع ، ولم يلجأوا إلى حجة ... وهل يكون بناء من
غير بان أو حنانية من غير جان ؟

٦٣- ﴿٦٣﴾ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هَوْنًا ﴿٦٣﴾ بلا استعلاء وخيلاء ، قال الإمام الصادق (ع) في تفسير هذه
الآية : « هو الرجل يمشي على سجيته التي جبل عليها لا يتكلف ولا يتصنع » . والإنسان هو المخلوق الوحيد الذي ينصور
نفسه فوق حقيقتها وواقعها ، أما سائر المخلوقات الحية فلها حد لا تتعداه بحكم الطبيعة ، فالأشجار مهما ارتفعت لا تصل
إلى السماء ، والحيوانات لا تعرف العجب والغرور ، ولا حبال الجاه والشهرة ، ولا الحقد والحسد ، ولا شيء يحركها إلا
الجوع ، فإذا شبت سكنت ولم تغلب المزيد وسالت حتى الوحوش المفترسة ﴿٦٣﴾ وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ﴿٦٣﴾
إذا سمعوا من سفيه كلمة سوء تجاهلوه ولم يقابلوه . قال الإمام علي (ع) : إن لم تكن حليماً فتحلم . وشم سفيه حكيماً
فأعرض عنه ، وحين قيل له : لم لا تبالي ؟ قال : لا أتوقع من الغراب تغريد اللبلاب .

٦٤- ﴿٦٤﴾ والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً ﴿٦٤﴾ ينصرفون في ظلمة الليل إلى طاعة الله بالصلاة أو بالدعاء أو بتلاوة القرآن
أو بالعلم والعمل به ونشره وتعليمه .

٦٥- ﴿٦٥﴾ والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً ﴿٦٥﴾ لازماً لا مفر لنا منه إلا إلى عفو
الله ورحمته ، وهذا كناية عن خوفهم من عذابه تعالى على إخلاصهم له وجهادهم في سبيله .

٦٦- ﴿٦٦﴾ والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً ﴿٦٦﴾ ينصرفون في ظلمة الليل إلى طاعة الله بالصلاة أو بالدعاء أو بتلاوة القرآن
أو بالعلم والعمل به ونشره وتعليمه .

٦٥- ﴿٦٥﴾ والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً ﴿٦٥﴾ لازماً لا مفر لنا منه إلا إلى عفو
الله ورحمته ، وهذا كناية عن خوفهم من عذابه تعالى على إخلاصهم له وجهادهم في سبيله .

٦٧- ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يَسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ لا تقتير ولا تبذير في الإنفاق ، بل قوام واعتدال وأمر بين أمرين : إفراط وتفریط ، والاعتدال هو الذروة في دين الإسلام عقيدة وشريعة ، لا بالقيم الروحية وحدها ولا بالخير وحده يحيا الإنسان بل بهما معا ، وفي الحديث الشريف : « ليس خيركم من عمل لديناه دون آخرته ولا من عمل لآخرته وترك ديناه ... اعمل لديناك كأنك تعيش أبداً ، وأعمل لآخرتك كأنك تموت غداً » .

٦٨- ٧٠- ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ لا يجعلون له نداً في العبادة والطاعة ، فكيف حال من يطعم المخلوق في معصية الخالق ؟ ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ وقتلها بالحق أن تسعى في الأرض فساداً أو تزي عن إحسان أو ترتد عن فطرة أو تقتل نفساً بغير حق ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾ لأن الزنا من أكبر الكبائر والمآثم ، ولذا ساءى سبحانه بينه وبين الشرك وقتل النفس المحرمة ﴿إِلَّا مِنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ من تاب من الذنب كمن لا ذنب له ، وفوق ذلك يشبه الله على توبته .

٧١- ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ مرجعاً حسناً ومرضياً ، وأعاد سبحانه آية التوبة للتنبيه والإشارة إلى أنه تعالى يجب التواين ، شريطة أن لا يرجعوا إلى المعصية بعد أن رجعوا إلى خالقهم الغفور الرحيم .

٧٢- ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ لا يعتمدون الكذب في أقوالهم ، بل لا ينطقون بما يجهلون ، ولا يحضرون مجالس السوء والباطل ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ تماماً كالنحلة إذا مرت بالجيف والروائح الكريهة .

٧٣- ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ لم يعرضوا عنها ، بل قبلوا عليها باسماهم وقلوبهم ، وفي الآية ٢ من الأنفال : « وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً » .

٧٤- ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ كناية عن السرور ، يدعون الله سبحانه أن يرزقهم أزواجاً وأولاداً أبراراً وأتقياء سامعين لله ومطيعين ، ليكونوا في منجاة من غضبه تعالى وعذابه ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ هداة إلى الخير والحق ، وقادة في العمل بهما .

الإعراب :

﴿وَمُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ تمييز . وكان بين ذلك أي وكان الاتفاق . ويضعاف بالجزم بدلاً من يلق . ﴿وَمُهَانًا﴾ حال . وكذلك كراماً وصلاً وعُمياناً . ﴿وَدَعَاؤُكُمْ﴾ مبتداً محذوف الخبر أي لولا دعاؤكم موجود .

إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يَسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٩﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٧٠﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧١﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٥﴾

٧٥- ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ...﴾ أولئك يجزون ... في يوم القيامة بأعلى المراتب والدرجات ﴿قُلْ مَا يَعْزَا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ لستم عند الله وفي الواقع بشيء يستحق الذكر والعناية لولا شيء واحد ، وهو دعاء الرسول لكم إلى الإيمان كي تترككم الحجة عند الحساب والجزاء إذا لم تسمعوا وتطيعوا ، والدليل على إرادة هذا المعنى قوله تعالى بلا فاصل مخاطباً للمجرمين المعاندين : ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ فقد كذبتم ﴿دُعَاةَ الرَّسُولِ﴾ دعوة الرسول وأعرضتم عنها ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِرَأْمَا﴾ أصبح عقابكم لازماً لا مفر منه ، ومن يعمل سوءاً يجز به .

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- ١- ﴿طَسَمَ﴾ انظر أول سورة البقرة .
- ٢- ﴿تِلْكَ آيَاتُ﴾ إشارة إلى آيات هذه السورة ﴿الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ القرآن الجلي الواضح في الدعوة إلى الحق والفصل بينه وبين الباطل .
- ٣- ﴿لَعَلَّكَ﴾ يا محمد ﴿بِاخْبَعْ﴾ مهلك ﴿نَفْسِكَ﴾ ألا يكونوا مؤمنين ﴿بِالْهُدَى وَالْحَقِّ﴾ ، وتقدم في الآية ٦ من الكهف وغيرها .
- ٤- ﴿إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ﴾ أعانقهم لها خاضعين ﴿تُرِيدُ أَنْ يَمْلِكَا الْطَرِيقَ الْقَوِيمَ﴾ عن رضا وقلب ملؤه الإيمان لا بقوة سماوية ، وهل يلبجأ إلى القوة والغلبة من يدعو إلى الحرية ؟
- ٥- ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ﴾ إلا كانوا عنه معرضين ﴿كَلِمَاتٍ نَزَلَتْ آيَةً جَدِيدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ أدبروا واستكبروا .

اللغة :

البائع المهلك ، ويخضع نفسه أهلكتها . والاعناق الرقاب ، وتطلق على الجماعات . والزوج الصف .

الإعراب :

﴿تِلْكَ﴾ مبتدأ وفي آيات الكتاب ﴿خَيْرَ﴾ . ولعل تتضمن هنا معنى الاشفاق . و﴿نَفْسِكَ﴾ مفعول به بائع . والمصدر من ﴿أَلَا يَكُونُوا﴾ مفعول من أحده . وظل للنهار ، تقول : ظل أي قام نهرا ، وبات لليل تقول : بات أي أقام ليلا . وهما من أحوات كان يرفعان الاسم وينصبان الخبر ، وأعانقهم اسم ظلت وخاضعين خبر ، وأصل الكلام فظللوا لها خاضعين ، ثم حذفت واو الجماعة وأقيمت الاعناق مقامها لأنها موضع موضع الخضوع ، وتركزت كلمة خاضعين على أصلها . ومن ذكر ﴿من﴾ في زائدة إعراباً وذكر فاعل بأنهم .

(٢٦) سُورَةُ الشُّعَرَاءِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا نَسِجَ وَخَشَفُونَ وَمَا نَنَاقُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَمَ ١ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢ لَعَلَّكَ
بِخَبْرٍ نَفْسِكَ ٣ أَلَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ٤ إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ
عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ٥
وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ ٦ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ

٦- ﴿فَقَدْ كَذَبُوا﴾ واستهزؤا بما جاءهم من الحق
فسبأتهم بآ هذا التكذيب بعد حين .

٧-٩- ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ﴾ كفسروا بالله
وهم يرون عجائب قدرته في النبات أشكالا وألوانا ، وتقدم
في الآية ٩٩ من الأنعام وغيرها .

١٠-١٢- ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى﴾ ورد اسم
موسى (ع) في القرآن الكريم أكثر من ١٢٥ مرة ، وعند
تفسير الآية ٩ من طه أشرنا إلى سبب هذا التكرار كما نظن
ونتصور « والله يعلم وأنتم لا تعلمون » وستنخطى هنا بعض
الآيات لوضوحها وتقدم الكلام عنها ، ونوجز في بعضها الآخر .

١٣- ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ ولكن محمداً (ص) لم
يعتذر ويتعلل بهذا ومثله ، بل وسع صدره للناس ، كل الناس
وصمد أمام العتاة والجبابرة من المشركين ، وأمام اليهود الغادرين
وأهل النفاق الماكرين .

١٤-١٨- ﴿وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ﴾ وهو قتل الفرعوني
الذي كان السبب الموجب لخروجه وفراقه من مصر ، وقد
غيره فرعون بذلك حيث قال له :

١٩- ﴿وَعَلْتَ فَعَلْتُكَ الَّتِي فَعَلْتُ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾
بفضلنا عليك وتربيتنا لك ، أبهذا تقابل ذلك الإحسان ؟

اللغة:

قصة موسى مع الهجري: دخل موسى المدينة دون أن يشعر به أحد، فرأى رجلين ينشاجران ويقتلان: أحدهما قبطي من اتباع
فرعون والآخر إسرائيلي من جماعة موسى، وكان الاقباط بوجه العموم يضطهدون الاسرائيليين، ويسببونهم خدماً لهم وعبيداً، فاستنجد
الاسرائيلي بموسى، فركز موسى المصري بيده أو بعضاه بقصد التأديب والردع عن البغي لا بقصد القتل، فوقع هذا جثة هامدة، ويسمى
هذا بالقتل الخطأ.

الإعراب:

﴿إِذْ﴾ في محل نصب بفعل محذوف أي اذكر. ﴿وَإِذَا أَنْتَ﴾ أي ﴿أَنْتَ﴾ مفسرة بمعنى أي . ﴿وَقَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ بدل من القوم الظالمين .
﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ عطف على أخاف، ومثله لا ينطلق . وأفرد الرسول مع أنها اثنان لأن المرسل واحد، والرسالة واحدة . والمرسل
إليه واحد ، بالإضافة إلى أن موسى هو الأصل . ان أرسل ﴿أَنْ﴾ بمعنى أي مفسرة لمضمون الرسالة المفهومة من كلمة الرسول .

٢٠- ﴿ قَالَ ﴾ موسى لفرعون ﴿ فَعَلَيْهَا إِذَا أَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ أي الجاهلين بأن وكرتي تؤدي إلى القتل ، لأنني قصدت بها الردع والتأديب فأخطأت القصد ... وبالمناسبة تشير إلى أن العمد ركن من أركان الجناية عند أهل التشريع .

٢١- ﴿ فَفُرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خَفْتُكُمْ ﴾ ما فرت من العدالة بل من الظلم ﴿ فَوَهَبَ لِي ربي حُكْمًا ﴾ أي علماً بدينه وأحكامه ﴿ وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ حيث وجدني أهلاً لرسالته ، ذكره فرعون بالفقر والتشريد فقال له موسى : تقاس الكرامة والفضيلة بالعلم والعمل الصالح لا بالجاه والمال .

٢٢- ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَن عِبَدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ أتمن علي يا فرعون بالتربية وليداً ، وتنسى أنك أنت السبب الموجب لوصولي إليك حيث كنت تذبح أبناء بني إسرائيل ، وتستعبد الكبار أرقاء لك ؟ وأي وزن لتربيتي بالنسبة إلى ما فعلت وأسات ؟

٢٣- ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ زعمت يا موسى أنك رسول رب العالمين ، فمن هو هذا الذي زعمت ؟ وما هو جنسه وفصله ؟

٢٤- ﴿ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أجاب موسى بأن الله لا يعرف بالذات بل بالآثار والأفعال ، والكون بمن فيه وما فيه من صنعه وإبداعه وحده لا شريك له ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴾ إن كان لكم عقول تترك الحق وتؤمن به .

٢٥- ﴿ قَالَ ﴾ فرعون ﴿ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ ألا تعجبون من هذا ؟ يزعم أن غيري خلق الكون وأنا موجود ؟ ... ولا تعجب أيها القارئ من هذا العجب ، فكم واحد يقول : أنا ربكم الأعلى إذا وجد من يسمع له ويقبل منه إلا من شذ كما أشار سبحانه في الآية ٥٤ من الزخرف « فاستخف قومه فأطاعوه » ٢٦- ﴿ قَالَ ﴾ موسى الله ﴿ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴾ الذين خلقوا ووجدوا قبل أن يخلق فرعون ويوجد ، فهل خلقهم وهو عدم في عدم !

٢٧- ﴿ قَالَ ﴾ فرعون ﴿ إِنْ رَسُولُكُمْ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ تماماً كما يقول اليوم حكام البغي والضلal للحر الأمين : أنت مخرب وهدام ، ولا فرق إلا في الشكل والكلام .

٢٨- ﴿ قَالَ ﴾ موسى مُصْرًا وَمُؤَكَّدًا : الله ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ ذكر موسى شروق الشمس وغروبها حيث لا يجرأ فرعون أن يقول : أنا الذي أسيرها من المشرق إلى المغرب . ولذا بُهت وأفهم تماماً كما بهت نمرود حين تحداه إبراهيم الخليل (ع) بقوله : « فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ » ٢٥٨ البقرة .

٢٩- ﴿ قَالَ ﴾ فرعون لموسى ﴿ لئن اتخذت إلهًا غيري لأجعلنك من المسجونين ﴾ لما انقطعت حجة فرعون أخذ يهدد بسلاح الجور والإعتساف ... ولكن هذا سلاح لا تراه الأعين . وأقواه وأمضاه على الإطلاق الصمود والإخلاص مهما كانت النتائج وتكون ٣٠- ﴿ قَالَ ﴾ موسى مخاطباً فرعون ﴿ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِرَأْسِ النَّعَمِ فَأَنْتَ أَبْهَمُ بِاللَّيْلِ الْقَاطِعِ عَلَى نَبِيِّ ٣١- ٣٣- ﴿ قَالَ فَأَتَتْ بِهِ ﴾ أرنا ذلك ، فتحولت العصا إلى ثعبان واليد السمراء إلى كهرباء ، فأصر فرعون على التكذيب .

وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٠﴾ قَالَ فَعَلَيْهَا إِذَا أَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢١﴾ فَفُرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خَفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٢﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَن عِبَدْتَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٣﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ أَلَدِي أَرْسَلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٨﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٩﴾ قَالَ لَنْ أَخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٣٠﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِرَأْسِ النَّعَمِ فَأَنْتَ أَبْهَمُ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَتَتْهُ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ

٣٤-٣٧ ﴿ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ عجيب السحر ، بارع فيه ؟ .

٣٨- ﴿ فَجَمَعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ... ﴾ هو يوم العيد بنص الآية ٥٩ من طه .

٣٩- ﴿ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴾ لتشهدوا هذه المباراة .

٤٠- ﴿ لَعَلْنَا نَتَّبِعَ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ ﴾ أي لعلنا نغلب موسى ولو بالتدجيل والتحويل .

٤١-٤٥- ﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ ﴾ ساوموا فرعون فوعدهم بأكثر مما طلبوا ورغبوا ، فألقوا ما عندهم ، وألقى موسى العصا .

٤٦-٤٩- ﴿ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴾ مؤمنين برب العالمين ، فثارت ثائرة فرعون وازداد عتواً وعداواً ، وشرع يبرق

إشارة:

جاء في الآية ١٠٩ من سورة الاعراف وقال الملا من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم وجاء هنا في الآية ٣٤ من سورة الشعراء وقال للملا حوله ان هذا لساحر عليم والفرق كبير بين المعنيين - كما يبدو - لأن آية الاعراف نسبت هذا القول الى جماعة فرعون ، لا إلى فرعون ، وآية الشعراء نسبت الى فرعون بالذات ، لا

الى جماعته ، فما هو وجه الجمع ؟ .

وما وجدت أية إشارة الى ذلك فيما لدي من التفسير والمصادر ، ولا أدري ما هو السبب . وأياً كان فالذي أراه في الجواب ان فرعون هو الذي ابتدأ وقال لجماعته : وان هذا لساحر عظيم . ثم أخذ جماعته يتداولون قوله هذا فيما بينهم ، ويقول بعضهم لبعض : حقاً ان موسى لساحر عليم . كما هو شأن المرءوسين في تقليدهم لرؤسائهم بكل شيء ، وعنايتهم بأقوالهم وحفظها والاستشهاد بها . وعليه فلا تنافر بين الآيتين . قال فرعون ذلك لجماعته ، وجماعته أيضاً قالوه تقليداً له .

الإعراب :

﴿ أن هنا ﴾ أن مصدرية ، والمصدر المنسبك مجرور باللام المحذوفة ، والمعنى نطمع في غفران ربنا لكوننا أول من آمن بالله في هذا المشهد الحافل ..

مبين ﴿ وَزَرَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلشَّاطِرِينَ ﴾ ﴿ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ ﴿ يُرِيدُ أَنْ يُجْرِكَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمُدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾ ﴿ يَأْتُونَكَ بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ ﴾ ﴿ جُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴾ ﴿ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴾ ﴿ لَعَلْنَا نَتَّبِعَ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ ﴾ ﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنْ لَنَا أَجْرٌ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾ ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنِمْ كُنْتُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ ﴿ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴾ ﴿ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾ ﴿ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ ﴿ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ

ويرعد ويتوعد ويهدد السحرة بقوله : ﴿لَأَطْعِمَنَّ أَبْدِيَكُمْ ...﴾
ولكنهم لم يكثرثوا بفرعون وسلطانته وتنكيله وطيغانه .

٥٠-٥١- ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ﴾ ألسنا على الحق ، إذن لا نبالي بالموت ... وهكذا شهداء العقيدة لا يبالون بسيوف الجلال ، بل يشتدون صلابة في صمودهم وإخلاصهم ، ورسوخاً في دينهم وإيمانهم ، أما الذين ينهارون ويستسلمون باللمحة والنظرة ، بل ويعجز الوهم ، فإهم من الدين والإيمان في شيء ، وإن انتحلوه وانتسبوا إليه ... ألههم ما أحكمك ، وأحكمك ، وأمهلك على من يعيش بالرياء والتفاق .

٥٢- ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي أَنْكُمْ مُتَّبِعُونَ﴾
أمر سبحانه موسى أن يخرج ليلاً مع بني إسرائيل وأخبره أن فرعون وجنوده لاحقون بهم ، فامتثل موسى ما أمر به .

٥٣- ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ لما علم فرعون بخروج موسى وبني إسرائيل حشد لهم لكي يرغمهم على الرجوع إلى سلطانه ، وقال فيما قال :

٥٤- ﴿إِنْ هَؤُلَاءِ لَشُرُومَةٌ قَلِيلُونَ﴾ وظريف جداً ما قاله هنا بعض المفسرين : كان مع موسى ستمائة وسبعون ألفاً ، وكان جيش فرعون ألف ألف ملك أي قائد مع كل ملك ألف ومعنى هذا أن جيش فرعون كان ألف مليون ، وكلهم غرقوا في البحر !

٥٥- ﴿وَأَنَّهُمْ لَنَا لَافِظُونَ﴾ يخلقون لنا المرجعات والمشكلات .

سَجِدِينَ ﴿١﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٣﴾ قَالَ آمَنْتُمْ لَمْ يُقَبَلْ أَنْ ءَاذَنْ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ^٤ لَأَطْعِمَنَّ أَبْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صُلْبَيْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥﴾ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٦﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٧﴾ * وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ ﴿٨﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٩﴾ إِنْ هَؤُلَاءِ لَشُرُومَةٌ قَلِيلُونَ ﴿١٠﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَافِظُونَ ﴿١١﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴿١٢﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامِرٍ كَرِيمٍ ﴿١٤﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٥﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿١٦﴾ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ

٥٦- ﴿وَأِنَّا لَجَمِيعٌ حَافِرُونَ﴾ مستعدون لاستصالحهم وإبادتهم ٥٧- ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ﴾ من جنات وعيون .

٥٨- ﴿وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ خرج فرعون وجنوده للإنتقام من موسى ومن معه ، فانتقم الله منهم ، ودارت عليهم دائرة السوء ! فرعون الذي قال بالأسم : « أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون - ٥١ الزخرف » فرعون الذي طغى وبغى وقال : « أنا ربكم الأعلى - ٢٤ النازعات » أخذه الله في لحظة بتكال الفرق في الدنيا وعذاب الحريق في الآخرة ... فهل يتعظ الجبابرة الطغاة والمتعالمون العتاة ؟ وعلى كل عاقل أن ينتفع بهذا الدرس ، وأن لا يدخل في شيء حتى يهيء الخروج منه . دخل فرعون البحر ليقتل موسى فغرق فيه .

٥٩- ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ وظاهر الكلام وسيافه يدل أن الله سبحانه أورث بني إسرائيل ديار فرعون وقومه ، ومهما يكن فإن محل الشاهد أن الظلم لا يدوم ، وأن الأشياء تتغير شتأ أم أرباب .

٦٠- ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾ أدرك فرعون بني إسرائيل عند شروق الشمس .

٦١-٦٢- ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ﴾ جمع موسى

الإعراب :

﴿حافرون﴾ صفة لجمع . ﴿ومشرقين﴾ حال من واو اتبعوهم . و﴿كلا﴾ حرف ردع وزجر .

وَجَمَعَ فرعون ؛ عند ذلك ﴿ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُرْكُونَ ﴾
لحق العدو بنا ولا طاقة لنا به ﴿ قَالَ ﴾ موسى لأصحابه :
﴿ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ وعدني ربي وهو لا يخلف
الميعاد .

٦٣- ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ﴾
فصره بها ﴿ فَانْفَلَقَ ﴾ انشق ﴿ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾
العظيم ﴿ انشق البحر اثني عشر طريقاً ، وقام الماء بين طريق
وطريق كالجبل المرتفع ، وتجاوز موسى وقومه إلى الشاطئ
الثاني . وتجدر الإشارة أن القوانين الطبيعية يمكن نقضها عقلاً
باتفاق علماء الطبيعة - مثلاً - قانون الطبيعة يستدعي أن تحترق
هذه الورقة إذا أُلقيت في النار ، ومع ذلك لا مانع في حكم
العقل أن تكون في النار ولا تحترق .

٦٤- ﴿ وَأَوَّلْنَا قَوْمَ الْآخِرِينَ ﴾ قربنا فرعون وقومه
من البحر لنغرقهم فيه .

٦٥- ﴿ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴾ وما هلك
منهم واحد .

٦٦-٦٨- ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴾ فرعون وقومه
وما سلم منهم واحد .

٦٩- ﴿ وَآتَىٰ عَلَيْهِمُ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ الخطاب لرسول
الله (ص) وضمير عليهم يعود لقريش الذين زعموا أنهم من
نسل إبراهيم وعلى دينه .

٧٠- ﴿ إِذْ قَالَ لِأَيُّهُ وَقَوْمُهُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ كان لسقراط
منهج خاص في الجدل والحوار ، كان يتظاهر بالجهل والتسليم بأقوال الخصم ، ثم يلقي عليه سؤالاً بهدف أن يعرفه بجهله
وأخطائه ، فإذا أجاب وجهه إليه سؤال آخر لازماً لنفس الجواب... وهكذا حتى يوقفه في التناقض ، ويحملة على الإقرار بالجهل ،
وسؤال إبراهيم (ع) لأَيُّه وقومه من هذا الباب .

٧١- ﴿ قَالُوا نَعْبُدُ ... ﴾ هذه الأصنام التي ترى .

٧٧-٧٧- ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ ﴾ من شأن المعبود أن يرى ويسمع ، ويضر وينفع ، وهذه الأصنام صم بكم !
فكيف ترجون منها الخير ؟ قالوا : نحن نحيا ونموت على دين الآباء والأجداد .

فقال لهم إبراهيم : أنتم وآلهتكم وآباؤكم وأجدادكم ﴿ عُدُو لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ لا أؤمن بسواه ولا أخاف غيره

الإعراب :

كلمة عُدُو تطلق على الواحد والاثنتين والجماعة ، ومثلها كلمة الصديق . و﴿ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ مستثنى منقطع .

٧٨- ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ وهني عقلاً أهتدي به ، فلا أفلد أباً وجدأ .

٧٩- ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ بتيسير الأسباب لي ولجميع خلقه .

٨٠- ﴿وَإِذَا مَرَضْتُ هُوَ يَشْفِينِ﴾ بما خلق من الدواء قال رسول الله (ص) : « لكل داء دواء ، فإذا أصاب الدواء الداء برئ بإذن الله » .

٨١- ﴿وَالَّذِي يَمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ لأحد يقدر على ذلك سواه

٨٢- ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خِطِيئِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ وإبراهيم معصوم عن الخطأ والخطيئة ، ومن عصمته أن يعظم خوفه من الله ، هذا إلى أنه لا نجاة من عذاب الله إلا لمن خاف من عذابه .

٨٣- ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً﴾ علماً بالأحكام والحقني بالصالحين ﴿عِلاً وَتَوَّاباً﴾ .

٨٤- ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ جميل الأحداث إلى يوم الدين .

٨٥- ﴿وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ إبراهيم هو خليل الرحمن ، ومثله هي الدين الخفيف بنص القرآن الكريم ومن خرج عنها فهو من الكافرين ، ومع هذا يخضع وينضرع ويتذلل ويتوسل أن يمن عليه سبحانه بالجنة ، وأن يغفر له خطيئته كما في الآية ٨٢ و٨٧ من هذه السورة . تذكرت وأنا أفسر هذه الآية جملة كتبها قائلها على جلد كتابه ، وهذا نصها : « وإيماني جعلني سعيداً في الدارين معاً ، وبقراءتك لهذا الكتاب يمكنك أن تصبح سعيداً مثلي من غير ارتياب » ! ولا أدري : ما هو الدليل والمصدر على أن قراءة الكتاب المشار إليه تدخل قارئه الجنة علماً بأن تلاوة القرآن الكريم لا تكفي وحدها لدخول الجنة ، والغدق من هذه الإشارة التحذير من زلة القدم بعد ثبوتها .

٨٦- ﴿وَإِغْفِرْ لَأَيِّئِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ وبيئتي هذا الإستغفار على وعد منه لإبراهيم (ع) بأن يؤمن بالتوحيد كما جاء في الآية ١١٤ من التوبة ٨٧- ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ هذا هو منطق المعصومين والمؤمنين عن العجب والغرور .

٨٨- ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ أبداً لا أحد ينجم من غضب الله وعذابه غداً .

٨٩- ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ لا دين ولا إيمان ولا أخلاق بل ولا إنسانية إلا بسلامة القلب من الحقد والحسد والفاق وكل دنية ورذيلة ، وتقدم الكلام حول إبراهيم (ع) في سورة البقرة والانعام والتوبة وإبراهيم والحجر ومريم والأنبياء .

٩٠- ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ دنت وقربت من الذين يجاهدون في سبيل الله ، ولا يخافون لومة لائم .

٩١- ﴿وَبُورِزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ استعدت لاستقبال كل طاغ وباغ ، وكل حسد حقود ، ومشارك عنود .

٩٢- ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَتَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُعْبَدُونَ﴾ ومنه تقبضون وله تهفون وتصفقون ؟

٩٤- ٩٥- ﴿فَكَبِّهُوا﴾ تكرار لكب ، ومعناه الطرح والإلقاء ﴿هَمَّ﴾ أي آلهتهم ﴿وَالْغَاوُونَ﴾ وجنود إبليس أجمعون ﴿هَوُوا﴾ بالكامل في جهنم بعضهم فوق بعض .

الْعَلَّيْنِ ﴿١٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿١٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿١٩﴾ وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِي يَمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خِطِيئِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٢٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٢٣﴾ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٢٥﴾ وَأَغْفِرْ لَأَيِّئِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٢٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٢٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٢٩﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ وَبُورِزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٣١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَتَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُعْبَدُونَ ﴿٣٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكَ أَوْ يَنْصُرُونَ ﴿٣٣﴾ فَكَبِّهُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٣٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٣٥﴾

٩٦-٩٩ ﴿ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ تَاللهِ إِن كُنَّا لِنَظُنُّكَ لَمِنَ الضَّالِّينَ إِذْ نَسَوَيْكُمْ رَبَّ الْعَالَمِينَ وَمَا أَضَلُّنَا إِلَّا لَمِنْ يَوْمٍ نَأْتِيهِمْ جُحُشٌ مِّمَّنْ لَهُمْ فَيَقُولُوا فُتِنَّا الَّذِي كُنَّا نَسْوِيهِ رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا ضَالِّينَ لِمَا كُنَّا نَعْمَلُ لَغْوًا فَيُؤْخَذُ بِمَا كُنَّا كُفَرًا ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ﴾

١٠٠ ﴿ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ كَلَّا ، إِلَّا الْعَمَلُ الصَّالِحُ ١٠١ ﴾ وَلَا صَدِيقٌ حَمِيمٌ إِلَّا الْقَلْبُ السَّلِيمُ .
١٠٢ ﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةٌ رِجْعَةً هِبَاتٍ قَدْ فَاتَ مَا فَاتَ .

١٠٣-١٠٤ ﴿ إِن فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن أَبْصَرَ وَفَكَرَ فِي الْعَاقِبَةِ وَالنَّهَآئَةِ .

١٠٥ ﴿ كَذَبْتَ قَوْمَ نوحِ الْمُرْسَلِينَ الْمُرْسَلِ الْبَهِيمِ وَاحِدٌ وَهُوَ نوحٌ ، وَلَكِنْ مِنْ كَذِبٍ رَّسُولًا وَاحِدًا لَّهِ فَقَدْ كَذَبَ جَمِيعَ رُسُلِهِ لِأَنَّ الرِّسَالَةَ وَاحِدَةٌ مِنْ وَاحِدٍ .

١٠٦ ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿ غَضِبَ اللهُ وَعَذَابُهُ ؟

١٠٧-١٠٨ ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿ كَانَ مَعْرُوفًا بَيْنَ قَوْمِهِ بِالْصِّلْقِ وَالْأَمَانَةِ كَسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ دُونَ اسْتِثْنَاءٍ .

١٠٩ ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴿ كُلُّ رَسُولٍ أَجْرُهُ عَلَى الْمُرْسَلِ لَا عَلَى الْمُرْسَلِ إِلَيْهِ .

١١٠ ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿ كَرَّرَ الْأَمْرَ بِالْقَوَى لِأَنَّهَا الْأَصْلُ وَكُنَى ، بَلْ لِأَنَّ طَبِيعَةَ الدَّعْوَةِ تَقْتَضِي التَّكْرَارَ .

١١١ ﴿ قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿ وَمَاذَا ؟ أَرَدَلُونَ ؟ لَأَنَّهُمْ يُظْلَمُونَ وَلَا يَظْلَمُونَ ، وَلَأَنَّهُمْ يَأْكُلُونَ مِنْ كَدِّ اليمينِ وَلَا يَنْهَوْنَ ... وَكَانَ أَرَسُطُو وَاسْتَاذُهُ أَفْلَاطُونٌ عَلَى مِلَّةِ قَوْمِ نوحٍ وَمَنْطَقُهُمْ حَيْثُ أَكْدَا عَلَى نِظَامِ الرِّقِّ ، وَقَالَا : أَنِ الْعَمَلُ الْيَدَوِيُّ لَا يَلِيقُ بِالْأَحْرَارِ ، وَإِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ يَنْصَرَفَ هَؤُلَاءُ إِلَى التَّأَمُّلِ الْعَقْلِيِّ الصَّرْفِ ! وَمَا أَبْعَدَ هَذِهِ الْفَلَسَفَةَ الذَّاتِيَّةَ الْأَثَانِيَّةَ عَنِ الْإِسْلَامِ وَنَبِيِّهِ الَّذِي قَالَ : « مَا أَكَلُ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ عَمَلٍ يَدِهِ ... إِنَّ اللَّهَ يَجِبُ الْمُؤْمِنَ الْمُحْتَرَفَ » وَصَافِخَ النَّبِيِّ يَدًا خَشَنَةً مِنْ أَثَرِ الْمَسْحَاةِ فَقَالَ : هَذِهِ يَدٌ مُحَرَّمَةٌ عَلَى النَّارِ ، هَذِهِ يَدٌ يَجِبُهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ .

١١٢ ﴿ قَالَ ﴿ نوحُ بِالْمُتَرَفِّينَ الَّذِينَ غَيَّرُوا بِالْأَرْذَلِينَ ﴿ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ مَا عَلَيَّ سِوَى الْعَمَلِ بِالظَّاهِرِ وَلَسْتُ مَسْئُولًا عَنْ فَحْصِ الْقُلُوبِ وَالسَّرَائِرِ .

١١٣ ﴿ إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي ﴿ فَهُوَ وَحْدَهُ يَعْلَمُ السِّرَ وَأَخْفَى ، وَعَلَيْهِ يَحْسَابُ ، فَيُثَبِّتُ أَوْ يَعْاقِبُ .

الإعراب :

﴿ أَن كُنَّا ﴾ : أَن كُنَّا ﴿ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴾ : لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿ إِذْ نَسَوَيْكُمْ ﴾ : إِذْ نَسَوَيْكُمْ ﴿ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ : رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿ وَمَا أَضَلُّنَا ﴾ : وَمَا أَضَلُّنَا ﴿ إِلَّا لَمِنْ يَوْمٍ ﴾ : إِلَّا لَمِنْ يَوْمٍ ﴿ نَأْتِيهِمْ ﴾ : نَأْتِيهِمْ ﴿ جُحُشٌ مِّمَّنْ لَهُمْ ﴾ : جُحُشٌ مِّمَّنْ لَهُمْ ﴿ فَيَقُولُوا ﴾ : فَيَقُولُوا ﴿ فُتِنَّا ﴾ : فُتِنَّا ﴿ الَّذِي كُنَّا نَسْوِيهِ ﴾ : الَّذِي كُنَّا نَسْوِيهِ ﴿ رَبَّنَا ﴾ : رَبَّنَا ﴿ إِنَّا كُنَّا ﴾ : إِنَّا كُنَّا ﴿ ضَالِّينَ ﴾ : ضَالِّينَ ﴿ لِمَا كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ : لِمَا كُنَّا نَعْمَلُ ﴿ لَغْوًا ﴾ : لَغْوًا ﴿ فَيُؤْخَذُ ﴾ : فَيُؤْخَذُ ﴿ بِمَا كُنَّا كُفَرًا ﴾ : بِمَا كُنَّا كُفَرًا .

١١٤-١١٥- ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لأن هذا ليس من شيمتي ولا هو من وظيفتي ، وما عليّ إلا البلاغ .
١١٦- ﴿قَالُوا لئن لم تنته يا نوح لتكون من المرجومين﴾ عجزوا عن دحض الحجة بالحجة ، فلجأوا إلى عرض العضلات .
١١٧-١٢٢- ﴿قال﴾ نوح : ﴿رب إن قومي كاذبون فافتح ...﴾ فاحكم بيني وبينهم ، وأيضاً عجز نوح ردع القوة بالقوة ، فاستعان بجأله ، فاستجاب له ، وبجاءه وأهله ، وأغرق القوم الظالمين أجمعين ، وهنا تبرز شخصية محمد (ص) التي تنعكس منها الفضائل عملياً بكاملها ، تألب عليه قومه ، وأذاقوه ألواناً من الأذى ، نعتوه بالكذب والجنون وقاطعوه وحاصروه وشرده ، ثم جمعوا الجيوش لحربه مرات فلم يدع عليهم بل دعا لهم وقال : اللهم اهد قومي إهم لا يعلمون ، وتقدم الحديث حول نوح وقومه في سورة الأعراف وهود وغيرهما .

١٢٣-١٢٧- ﴿كذبت عاد المرسلين ... إلا على رب العالمين﴾ قبل لحظة ذكرت هذه الآيات الخمس بالكامل وبالنص الحرفي بلا تعليل وتطعيم أو تغيير إلا في الإسم ، هناك قوم نوح ، وهنا عاد وهود ، والسر أن رسالة الأنبياء واحدة والمرسل واحد .

١٢٨- ﴿أنبتون بكل ريع آية تعبثون﴾ الريح : المكان المرتفع ، ومعنى الآية هنا : البناء ، وكل بناء لسد الحاجة فهو من صميم الدين ، أما البناء للتضاهي والتباهي فهو من وحي الشيطان . وبالمناسبة نشير أن أعلى بناية اليوم على وجه الأرض والمرسل واحد .

١٢٩- ﴿وتتخللون مصانع لعلكم تخللون﴾ والمصانع التي تنتج الغذاء والكساء والدواء والتركتورات والسيارات والطائرات وسائر الأدوات التي تسهل الحياة الإجتماعية - هي تماماً كالمساجد والمعابد ، أما مصانع الأسلحة الحديثة المدمرة فجرمتها تفوق الجرائم مجتمعة ، ولا حد لأسوائها وأدوائها ، لأنها تنتج الموت والقضاء بالجملة ومصدر البؤس والفساد والشقاء في شرق الأرض وغربها .

١٣٠- ﴿وإذا بطشتم بطشتهم جبارين﴾ متعاطفين متسلطين بسلطان السوء والبغي ، ونزلت هذه الآية حيث كان البطش باليد ، وأقصاه بالسيف والرمح ، فكيف لو نزلت اليوم والأسلحة الجهنمية النووية تدمر الأرض ومن عليها في ساعة أو بعض ساعة ؟

الإعراب :

﴿بطارد﴾ الباء زائدة إعراباً وطارداً خبر أنا . ﴿إن هذا﴾ ﴿إن﴾ نافية .

﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾
﴿قَالُوا لئن لَمْ تَنْتَهِ يَنْتُحُ لَسَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذِبُونَ﴾ ﴿فَأَفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحًا وَيَخُجِّي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿فَأَنْجَيْتَهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾ ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ﴾
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾
﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهْوَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿كَذَبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾
﴿إِنِّي لَكُرْسُولُ آمِينَ﴾ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾
﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِن أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾
﴿وَتَخْذُلُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ ﴿وَإِذَا بَطِشْتُمْ

١٣١- ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في البطش بعباده وعباله ،
والتحكم في دمائهم وبلادهم وأرزاقهم ، والتلاعب بقولهم
وتضليلها عن نهج الخير والهدى .

١٣٢- ١٣٤- ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾
من أنعام وبنين وجنات وعيون .

١٣٥- ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾
كذبتم وخالفتم .

١٣٦- ﴿قَالُوا سِوَاهُ عَلَيْنَا أَوْعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ
الْوَاعِظِينَ﴾ فما نحن لك بمؤمنين ، ولا لوعظك بسامعين .

١٣٧- ١٣٨- ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ الذي نحن عليه من عبادة
الأصنام ﴿إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ وكفى به حجة ودليلاً .

١٣٩- ١٤٠- ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ بريح صرصر
أي شديدة الصوت عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية
أيام كما جاء في الآية ٦ من الحاقة ، وتقدم الكلام عن
هود وعاد في سورة الأعراف وهود .

١٤١- ١٤٥- ﴿كَذَبْتَ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ... إِلَّا عَلَى
رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ تقدمت هذه الآيات الخمس ، بحروفها في
الكلام عن نوح وهود قبل أسطر .

١٤٦- ١٤٨- ﴿أَتَتْرَكُونَ فِيمَا هَذَا آمَنِينَ﴾ من

إشارة:

ان قوم صالح سألوه أن يخرج لهم ناقة من الصخرة ،
وأنه سأل ربه ذلك ، فتمخضت الصخرة كالمرأة يأخذها الطلق ، فولدت ناقة عشراء وبراء . ونحن نؤمن إجمالاً بأن الناقة كانت بينة وآية
من الله ، وإياها لم يأت بسبب معتاد ، وإن الله سبحانه أضافها إليه تعظيماً لأشأنها . نؤمن بهذا ولا نزيد شيئاً ، حيث لم ينزل به وحى ولا
جاء به خبر متواتر عن المعصوم . المئين ص ٤٨٨ .

الإعراب :

﴿مُعَذِّبِينَ﴾ الباء زائدة ومُعَذِّبِينَ خبر نحن . ﴿آمَنِينَ﴾ حال من واو ﴿تَتْرَكُونَ﴾ . ﴿وَفِي جَنَاتٍ﴾ بدل من فيها ما هنا بإعادة حرف
الجر .

بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣١﴾ فَأَتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣٢﴾ وَاتَّقُوا
الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٣﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٤﴾
وَجَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٥﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ
عَظِيمٍ ﴿١٣٦﴾ قَالُوا سِوَاهُ عَلَيْنَا أَوْعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ
الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٧﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٨﴾ وَمَا نَحْنُ
بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٩﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ ﴿١٤٠﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ
لِّمَنْ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤١﴾ وَإِنْ رَبُّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ
الرَّحِيمُ ﴿١٤٢﴾ كَذَبْتَ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ
أَخُوهُمْ صَلِّحُوا وَلَا تَنْتَقُبُوا ﴿١٤٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٥﴾
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٤٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ
إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٧﴾ أَتَتْرَكُونَ فِي مَا هُنَا
مَأْمَنِينَ ﴿١٤٨﴾ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٩﴾ وَزُرُوعٍ وَنَحْلٍ

جَنَاتٍ وَعَيْونَ وَزَرْعٍ وَنَخْلٍ ﴿١٤٩﴾ طَلْعُهَا ﴿١٤٩﴾ عِنَقُودُ التَّمْرِ فِي أَوَّلِ تَكْوِينِهِ وَطَلْعُوهَا ﴿١٤٩﴾ هَضِيمٌ ﴿١٤٩﴾ يَنْبَعُ نَاضِجٌ بَعْدَ أَمَدٍ .

١٤٩ - ١٥٠ - ﴿١٤٩﴾ وَتَنْحَتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بَيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾ بطريين ، وفي نهج البلاغة : إن استغنى بطر وقتن ، وإن افتقر قنط ووهن .

١٥١ - ﴿١٥١﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ وهم .
١٥٢ - ﴿١٥٢﴾ الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ﴿١٥٢﴾ بِإِثَارَةِ الْحَرْبِ وَالْفِتَنِ ، وَبِالدَّعَايَاتِ الْكَاذِبَةِ ، وَبِالتَّجَسُّسِ وَالْمُؤَامَرَاتِ ، وَبِالسُّلْبِ وَالنَّهْبِ .

١٥٣ - ﴿١٥٣﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ ﴿١٥٣﴾ لَقَدْ سَحَرَكَ سَاحِرٌ فَأَفْسَدَ عَقْلَكَ .

١٥٤ - ١٥٩ - ﴿١٥٤﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ﴿١٥٤﴾ فَلَا فَضْلَ لَكَ عَلَيْنَا حَتَّى نَخْضَعَ لِأَمْرِكَ وَنَهْيكَ ، وَمَعَ هَذَا ﴿١٥٤﴾ قَاتَ بَايَةَ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ فَأَتَاهُمُ بِالنَّاقَةِ فَعَقَرُوهَا ، فَأَخَذَهُمْ سَبْحَانَهُ أَخْذًا وَبَيْلًا ، وَتَقَدَّمَ كُلُّ ذَلِكَ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ وَهُوَ .
١٦٠ - ١٦٤ - ﴿١٦٠﴾ كَذَبْتَ قَوْمَ لُوطَ الْمُرْسَلِينَ ... إِلَّا

إشارة:

إن قوم لوط كانوا كفاراً ، وقد دعاهم إلى التوحيد ، ونهاهم عن الكفر والشرك كما نهاهم عن اللواط ببديليل قوله تعالى : «كذبت قوم لوط المرسلين» ، إذ قال لهم أخوهم لوط

طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٩﴾ وَتَنْحَتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بَيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٥١﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥١﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ ﴿١٥١﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا قَاتَ بِعَايَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥١﴾ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ هَآ هَآ شَرِبَ وَلَكِنَّ شَرْبَ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥١﴾ فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدِمِينَ ﴿١٥١﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥١﴾ كَذَبْتَ قَوْمَ لُوطَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٥١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٥١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٥١﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٥١﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا

أَلَا تَتَّقُونَ ، إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا - ١٦٣ الشعراء . وإنما اهتم بهذه الرذيلة لأنها كانت فاشية فيهم ، وأدت بهم إلى غيرها من القبائح والرذائل ، وحثهم على التمسك بالعناد للحق ، وجراهم على تكذيب أنبياء الله ورسله .

وقد أجمعت المذاهب الإسلامية قولاً واحداً على تحريم اللواط ، وأنه من الكبائر ، واختلفوا في عقوبته ، قال الحنفية : إنها التعزير بما يراه الحاكم ، وقالت بقية المذاهب : إنها القتل لحديث : «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به» .

الإعراب :

﴿فارهم﴾ حال من واو تنحتون .

على رب العالمين ﴿١٦٦﴾ قال لوط لقومه ما قاله من قبله نوح وهود وصالح ، وقتلنا نحن ونكر : ان الأنبياء سفراء ووكلاء لواحد أحد يحمل كل منهم مثل ما يحمله الآخر .

١٦٥-١٦٦- ﴿١٦٦﴾ أَنَا تَوْنُ الذِّكْرَانِ ﴿١٦٦﴾ وتتركون النساء ﴿١٦٦﴾ بل أنتم قوم عادون ﴿١٦٦﴾ تجاوزتم بذلك حدود الفطرة والطبيعة والشريعة .

١٦٧- ﴿١٦٧﴾ قَالُوا لئن لم تنته يا لوط ﴿١٦٧﴾ عن نصحك وإرشادك أقصيناك وأبعدنا نواك .

١٦٨- ﴿١٦٨﴾ قَالَ إِنِّي لَمَمْلِكٌ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ أكرمه ، وأبرأ إلى الله منه .

١٦٩-١٧٥- ﴿١٧٥﴾ رَبِّ نَجِّنِي ... ﴿١٧٥﴾ فنجاه ، وحاق بقومه سوء العذاب ، وتقدمت قصة لوط ، في سورة الأعراف وهود والحجر .

١٧٦- ﴿١٧٦﴾ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ الأيكة : الشجر الكثيف الملتف .

١٧٧-١٨٠- ﴿١٨٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ ﴿١٨٠﴾ مَا قَالَهُ نوح لقومه ، وهود لعاد ، وصالح لثمود ولوط لجماعته .

إشارة :

وأباحت الحكومة الانكليزية للواط ، وأقره مجلس العموم البريطاني سنة ١٩٦٧ ونقلت جريدة الأهرام تاريخ ٦-٩-١٩٦٧ عن التايمز اللندنية ان جماعة من كبار الشخصيات في انكلترا أقاموا احتفالاً عاماً ابتهاجاً بإباحة اللواط ، وتماطوا فيه هذه العملية أمام المئات من المتفرجين . . وليس من شك ان وجود السيدات والأنسات في هذا الحفل يزيد من بهجته وروعه . «حسب اعتقادهم» .

الإعراب :

﴿كذب أصحاب الأيكة المرسلين﴾ قال المفسرون : أصحاب الأيكة طائفة من الناس كانوا يسكنون في مكان قريب من مدين ، فيه سجر كثير ﴿إذ قال لهم شعيب ألا تنقون﴾ . لم يقل سبحانه أخوهم شعيب كما قال : أخوهم هود ، وأخوهم صالح لأن شعيباً ليس من مدين نسباً ، ولا صلة له بأصحاب الأيكة إلا صلة الجوار ، وقد بعث الله اليهم كاهنهم إلى قومه أهل مدين ﴿إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعوا﴾ وما أسألكم عليه من أجر أن أجري إلا على رب العالمين . تقدم هذا بالحرف في الآيات السابقة على لسان نوح وهود وصالح ولوط ، وهو كلام كل نبي دون استثناء . ضمير (إنه) للقرآن بدلالة سياق الكلام .

١٨١- ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾

يضم الميم وكسر السين والراء ، جمع المخسر ، وهو الذي يخس الناس أشياءهم وحقوقهم .

١٨٢- ١٩١- ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطِ﴾ الميزان ﴿الْمُسْتَقِيمِ﴾

العدل ﴿والجيلة﴾ الطبيعة ﴿الأولين﴾ أي أن الله سبحانه خلقكم وخلق آباءكم الأولين فاعبدوه واشكروه ﴿من المسحورين﴾ المسحورين ﴿كسفاً من السماء﴾ الكسف : جمع الكسفة ، وهي القطعة ﴿فأخذهم عذاب يوم الظلة﴾ وهي سحابة من نار أحرقتهم كما قال المفسرون ، وتقدم قصة شعيب في سورة الأعراف وهود .

١٩٢- ﴿وأنه﴾ القرآن ﴿لتنزيل رب العالمين﴾

لا من قرائح البشر وأفكارهم ، ونوره تعالى ينجلي فيه ، قال الإمام الصادق (ع) يظهر الله للناس في كلامه :

١٩٣- ﴿نزل به الروح الأمين﴾ وهو جبريل ، وسمي

بالروح لأنه نزل بالقرآن وهو شفاء للأرواح ، ونعت بالأمين لأنه مطيع لله ، حريص على تأدية رسالاته إلى أنبيائه .

١٩٤- ﴿على قلبك﴾ يا محمد بلا تزيف وتحريف

وتقليم وتطعيم ، نزل كذلك على قلبك أنت يا محمد ، وليس على قلب أهل بيتك ولا على قلب أحد من الصحابة والتابعين وفي قاموس الكتاب المقدس : إن الإنجيل نزل على قلب متى ومرقس ولوقا ويوحنا . (انظر مادة وح ي ص ١٠٢١ من هذا الكتاب ، وأيضاً إقرء ما جاء فيه عن هؤلاء الأربعة أصحاب الأنجيل .

الذين أنذروا بلسان عربي خمسة أنبياء هود وصالح وشعيب :

* ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾

﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ

أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿وَاتَّقُوا

الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْحَبِيلَةَ الْأُولِينَ﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ

الْمُفْسِدِينَ ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَطَّلُكَ

لَعَنَ الْكَافِرِينَ﴾ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ

كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿قَالَ رَبِّيَ عَلَّمَ جَمَاعًا يَعْمَلُونَ﴾

فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ

يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ

مُؤْمِنِينَ ﴿وَإِنْ رَبُّكَ فَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ وَإِنَّهُ

لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾

عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ

١٩٥- ﴿بلسان عربي مبين﴾ قال الشيخ الطبرسي

وإسماعيل ومحمد وتقدم في الآية ٢ من يوسف .

الإعراب :

ضمير ﴿أنه﴾ و﴿به﴾ للقرآن بدلالة سياق الكلام .

١٩٦- ﴿وَإِنَّ لِي زُبُرَ الْأَوَّلِينَ﴾ زُبُرٌ : كتب ، والمعنى أن الكتب السماوية المنزلة قبل القرآن ، والأنبياء القدامى قد ذكروا القرآن ، ونوهوا به .

١٩٧- ﴿أَوَّلُ مَا يَكُنْ لَهُمْ﴾ للجاحدين ﴿آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ﴾ علماء بني إسرائيل ﴿الْمُتَّقُونَ وَالْمَعْرُوفُونَ بِالصَّدَقِ﴾ ، والمعنى أي شيء أصدق في الدلالة وأوضح على نبوة محمد (ص) ورسالته الثقة بالقرآن وأصالته - من شهادة علماء اليهود كعبد الله ابن سلام وأصحابه ، أن محمداً مذكور في التوراة بصفاته .
١٩٨-١٩٩- ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين ﴿لَوْ نَطَقَ بِهَذَا الْقُرْآنَ الْعَرَبِيَّ آخَرَسٌ أَوْ جَمَادٍ أَوْ جَاهِلٌ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ كَمَعْجَزَةٍ خَارِقَةٍ عَلَىٰ صَدَقِهِ﴾ - لأبي المعاندون إلا كفوراً .

٢٠٠- ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي هكذا تسرب ودخل التكذيب بالقرآن والجهود بنبوة محمد إلى القلوب المنحجرة العمياء ، والدليل على إرادة هذا المعنى قوله تعالى بلا فاصل .

٢٠١- ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ فإنه تماماً كقوله سبحانه : «لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ» - يونس «أما نسبة السلوك إليه عظمت كلمته ، فهي للإشارة إلى أنه خالق القلوب وأربابها والكون كله ، وتكرر ذلك مراراً «ولو علم الله فيهم حيراً لأسمهم» - ٢٣ الأفعال .

٢٠٢- ﴿فَيَأْتِيهِمْ﴾ العذاب ﴿بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنذروا من قبل بالعذاب ، فأعرضوا وسخروا ، فأتاهم فجأة بلا إنذار ٢٠٣- ﴿فَيَقُولُوا﴾ حين يرون العذاب : ﴿هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾ أمهلونا ولو قليلاً .

٢٠٤- ﴿أَفِعْدَابُنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ عند رؤية العذاب عياناً طلبتم الإمهال ، ومن قبل كنتم به تستعجلون ! فما أغناكم عن الحاليين ٢٠٥-٢٠٦- ﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ أخبرني ﴿إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ ... ﴿طَلَبُوا الْإِمَهَالَ حِينَ رَأَوْا الْعَذَابَ﴾ ، فلو استجبتنا وأمهلنا أمداً طويلاً ، يستغنون ويتنعمون .

٢٠٧- ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ﴾ الإمهال والتمتع بالنعم شيئاً لأن العذاب نازل بهم لا محالة .

٢٠٨- ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذَرُونَ﴾ كيلاً يقول أهلها : «ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين» - ٤٧ القصص ٢٠٩- ﴿ذَكَرَىٰ﴾ عسى أن يتذكر متذكر ويزدجر مزدجر .

٢١٠- ﴿وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ﴾ بالقرآن ﴿الشَّيَاطِينُ﴾ بل نزل به الروح الأمين من رب العالمين ، وهذا رد على من قال : إنه كهانة من وحى الشياطين ٢١١- ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ﴾ أي للشياطين ، لأن القرآن نور وهدي لا سحر وخرافة ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ بل هم أصغر وأحققر .

٢١٢- ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ﴾ أي عن سماع الغيب والعلم به «فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول» - ٢٧ الجن .

٢١٣- ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُذَبِّبِينَ﴾ هذا مجرد إخبار بأن من يشرك بالله فهو من المالكين .

٢١٤- ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ في كتاب فضائل

الخمس من الصحاح الستة ج ٢ ص ١٩ وما بعدها نقلاً عن تاريخ الطبري ج ٢ ص ٦٢ طبعة سنة ١٣٥٧ هـ : « انه حين نزلت هذه الآية دعا النبي (ص) بني عبد المطلب وقال لهم : جئتمكم بخير الدنيا والآخرة ، وأمرني الله أن أدعوكم إليه ، فأبيكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى ووصيى وخليفتي فيكم ؟ فأحجم القوم جميعاً إلا علياً قال : أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه . فأخذ النبي برقبة علي ثم قال : إن هذا أخى ووصيى وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا . وأيضاً نقل صاحب فضائل الخمسة من الصحاح الستة عن كثر العمال ج ٦ ص ٣٩٢ طبعة سنة ١٣١٢ هـ - الحديث المذكور باختلاف سبيل ، وأسندته صاحب الكثر إلى ابن إسحق وابن جرير وابن أبي حاتم وأبي نعيم والبيهقي « وأنا قرأت هذا الحديث في تفسير ابن كثير . وقال المرحوم العقاد في كتاب عبقرية الإمام : « لو كان علي يرتاع لارتاع يومئذ بين أولئك الشيوخ الذين رفعتهم الوجاهة ، ولكنه كان علياً في السن الباكرة كما كان وهو في الخمسين أو الستين ، فما تردد وهم صامتون أن يصيح صيحة الواثق الغضوب : أنا نصيرك ... وعلم القدر وحده أن تأييد ذلك أعظم وأقوم من حرب أولئك القروم . علي هذا هو الذي نام في فراش النبي ليلة الهجرة ، وقد علم من تأتمر به مكة كلها من قتل النائم على الفراش . وعلي هذا تصدى لعمر بن ود ... كأنه لا يعرف من يخاف ولا كيف يخاف » .

٢١٥- ﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

الغرض من هذا الأمر التنويه بحرمه المؤمن وإنها عظيمة عند الله ورسوله ، وإلا فإن محمداً (ص) متواضع بطبعه ، ورؤوف رحيم بكل المخلوقات حتى بالحيوان ، رأى كلبة مع صغارها فأمر برعايتها ، وهذا شيء رائع في ذلك العصر ، كما قال الكاتب الإنكليزي منتوجمري ، ومن أقواله : رب دابة مركوبة خير من راكبها ٢١٦-٢١٨- ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ ﴾ عشيرتك الأقربون ﴿ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ قال الإمام علي (ع) وهو أقرب الأقرباء إلى محمد (ص) : ان ولي محمد من أطاع الله وان بعدت لحمته أي نسبه وان عدو الله من عصي الله وإن قربت قرابته ٢١٩-٢٢٠- ﴿ وَتَقَلِّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ جاء في أخبار أهل البيت (ع) أن محمداً (ص) تقلب في أصلاب النبيين بسبي بعد نبي حتى أخرجه من صلب أبيه من نكاح غيرسحاق من لدن آدم . وبعضهم فسر الآية بهذا الخبر ، ولكن السياق يدل على أن الله رأى نبيه الكريم حين يصلي منفرداً وحين يصلي جماعة ، وكل من التفسيرين صحيح في ذاته ومن حيث هو ٢٢٢- ﴿ هَلْ أَنْتُمْ عَلَىٰ مَا تُنْزَلُ الشَّيَاطِينُ ﴾ هذا الخطاب موجه لمن زعم أن القرآن من وحي الشياطين ، ورد سبحانه عليهم بقوله :

٢٢٢- ﴿ تَنْزِيلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ ﴾ الشياطين توحى وتوسوس للأشقياء والسفهاء لا للأنبياء والأتقياء .

٢٢٣- ﴿ يُلْقُونَ السَّمْعَ ﴾ أي المشركون يستمعون . ويصدقون الكهان وشياطين الإنس ، وأكثر هؤلاء يكذبون

٢٢٤- ﴿ وَالشُّعْرَاءَ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ قال المشركون عن محمد (ص) من جملة ما قالوا : انه شاعر . فرد عليهم سبحانه أولاً أن الشعراء يتبعهم أهل الجهل والضلال ، والذين آمنوا بمحمد واتبعوه إنما اتبعوه عن علم بصدقه ، ودليل على نبوته ثانياً ٢٢٥- ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ ﴾ الشعراء ﴿ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾ يتخيلون وينظّمون كلاماً لا أساس له إلا ما يدور

إِلَيْهَا أَنْزَلْنَاهُ فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿ الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ وَتَقَلِّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ هَلْ أَنْتُمْ عَلَىٰ مَا تُنْزَلُ السَّابِطِينَ ﴿ تَنْزِيلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ ﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُهُمْ كَذِبُونَ ﴿ وَالشُّعْرَاءَ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكُّوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿

(٢٧) سُورَةُ الْبَقَرَةِ
وَأَيُّهَا ثَلَاثٌ وَتِسْعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَّ تِلْكَ ءَايَتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابِ مُبِينٍ ① هُدًى
وَبُشْرَى الْمُؤْمِنِينَ ② الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ③ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ④
أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ
الْأَخْسَرُونَ ⑤ وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ
عَلِيمٍ ⑥ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا
سَعَاتِيكُمْ مِنْهَا خَبِرَ آوَاءُ اتَّيَكُم بِشَهَابٍ فَبَيْسَ لَعَلَّكُمْ

في رؤوسهم ! وأين هذا من الوحي القائم على أساس الحق والواقع . ثالثاً :

٢٢٦- ﴿ وانهم ﴾ الشعراء وبخاصة القدامى ﴾ يقولون ما لا يفعلون ﴿ أما محمد فإنه يقول ما يفعل ، ولا يقول ما لا يفعل .

٢٢٧- ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ... ﴾ استثنى سبحانه من الشعراء الذين يعبرون عن أماني المستضعفين ويقفون مع المظلومين ، ويثورون على الطغاة والعتاة ، وعلى الجهل والتخلف ، لأن هؤلاء في طليعة المجاهدين ، ويثورون في سبيل الله . قبل لرسول الله (ص) ما تقول في الشعر ؟ فقال : « إن المؤمن مجاهد بسيفه ولسانه ، والذي نفسي بيده لكأنما ينضجونهم بالنبل » ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أي مقلب ينقلبون ﴾ سينتقم الله ممن ظلم لا محالة ، وإذا أمهله فإلى حين . والحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد وآله الطاهرين .

سُورَةُ الْبَقَرَةِ (٢٧) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿ طَسَّ ﴾ أنظر أول البقرة ﴿ تلك آيات القرآن وكتاب مبين ﴾ تلك إشارة إلى هذه السورة . والقرآن والكتاب بمعنى واحد ، فهو قرآن لأنه مقروء ، وهو كتاب لأنه مكتوب ، وهو مبين لأنه واضح .

٢-٣- ﴿ هدى وبشرى للمؤمنين ﴾ يهدي هذا القرآن إلى حياة أفضل كل من أراد هذه الحياة ، وأيضاً يبشره بالجنة إن آمن بالله ورسوله ، وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، وكفاداه عن الناس ..

٤-٥- ﴿ إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون ﴾ من ينكر الآخرة وعقابها يرى الدنيا فرصته الوحيدة للإنتفاع والإستمتاع بكل ما يقدر عليه خيراً كان أم شراً ، فيتمادى في غيه ، وينتهى في ضلاله ، وهو عند نفسه من المحسنين صنعاً تماماً كأي مجرم يأمن العقوبة في الحياة الدنيا ، فإنه ينطلق مع رغبته وشهوته إلى كل فساد وجريمة ... وما من شك أن الله سبحانه قادر على أن يردع بالقوة والإلجاء الشقي عن شقائه والمجرم عن جريمته ، ولكنه لا يفعل لأن الحرية حق طبيعي لكل إنسان ، وبها يكون مسؤولاً عن تصرفاته ، وعليه يكون معنى قوله تعالى : « زينا لهم أعمالهم » تركناهم وما يعملون ويعمهون - طبعاً بعد البيان والتحذير - ولم نردعهم عن القبح والحرام بالقهر والقوة . أنظر تفسير الآية ٤٨ من المائدة : ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة .

٦- ﴿ وانك ﴾ يا محمد ﴿ لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم ﴾ وما هو من عندك أو من وحي الكهان والشياطين كما يزعم الجاحدون .

٧- ﴿ إذ قال موسى لأهله إني آنست نارا ﴾ تقدم في الآية ١٠ من طه .

الإعراب :

﴿ تلك آيات ﴾ مبتدأ وخبر . ﴿ وهدى وبشرى ﴾ مصدر في موضع الحال من القرآن أي هادياً ومبشراً ، والعامل بالحال معنى الإشارة .

تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مِنْ فِي النَّارِ
وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ يَمْوَسَّى
إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا
رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَّى يُعْقَبُ يَمْوَسَّى
لَا تَخَفْ إِنِّي لَا أَبْخَافُ لَدَى الْمَرْسُولِ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ
ثُمَّ بَدَّلْ حَسَنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ
يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تَسْعِ
ءَايَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾
فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ ءَايَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾
وَحَدَّوْا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُلوًّا فَانْظُرْ
كَيْفَ كَانَ عِقَابُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُودَ
وَسُلَيْمَانَ عَلَمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ

٨-١٠ ﴿ فلما جاءها نودي ﴾ ان هذا الذي ظننته
ناراً هو نور مقدس ﴿ فلما رآها تهتز كأنها جان ﴾ كناية
عن السرعة والخفة في الحركة ، كما يقال : فلان عفريت
في حركته ﴿ ولم يعقب ﴾ لم يرجع أو يلتفت ﴿ اني لا يخاف
لدي المرسلون ﴾ بل هم في حراسة الله وأمانه من المخاوف
والمهالك ، وإلا فإن الخوف من طبيعة الإنسان ، والنسي كسائر
البشر ، والسبب الأساس لعظمة النبي عند الله هو شدة خوفه
منه تعالى ، ومن خاف ربه عمل بطاعته ، وانتهى عن معصيته
قال الإمام علي (ع) : إن العبد إنما يكون حسن ظنه بربه على
قدر خوفه من ربه ، وإن أحسن الناس ظناً بالله خوفاً لله ..

١١-١٤ ﴿ إلا من ظلم ﴾ استثناء منقطع ، والمعنى
لكن من عصى الله من سائر الناس فهو من المالكين ﴿ ثم
بدل حسناً بعد سوء ﴾ أي إلا من تاب بعد معصيته ، وأخلص
في نيته فإن الله غفور رحيم ﴿ وأدخل يدك ... ﴾ تقدم في
الآية ١٠٨ من الأعراف وغيرها ﴿ في تسع آيات ﴾ وهي
العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وقلق البحر وانفجار
الماء من الحجر وإنزال المن والسلوى . وتقدم في الآية ١٠١
من الإسراء ﴿ آياتنا مبصرة ﴾ واضحة الدلالة على صدق
موسى ونبوته .

١٥- ﴿ ولقد آتينا داود وسليمان علماً ﴾ يتفان به
في طاعة الله وخدمة الإنسان ، ولا يتخذان منه أداة للصوصية
أو اختراع أسلحة القناء والإبادة .

اللغة :

تُلْقَى القرآن تُعْطَاهُ . وَأَنْتَ أَبْصَرْتَ . وشهاب شعلة . وقبس قطعة من نار . وتصطلون تستدثنون . ولم يُعْقَبْ لم يرجع وبمبصرة
واضحة . المين ٤٩٥ .

الإعراب :

﴿إذ﴾ في محل نصب باذكر المحذوف . ﴿وإن﴾ بورك ﴿ان﴾ بمعنى أي مفسرة للنداء . ﴿وسبحان﴾ منصوب على المصدر . ورب
العالين بدل من الله . وضمير انه للشأن . وإنا الله مبتداً وخبر ، والجملة خبر ان . وجملة تهتز حال من عصاك . ومدبراً حال من الضمير
المستتر في ولَّى . وبيضاء حال من يدك . وإلى فرعون متعلق بحال محذوف أي مرسلأ إلى فرعون . وبمبصرة حال من آياتنا . وظلماً مفعول
من أجله لمحذوا . وكيف خير كان ، وعاقبة اسمها .

١٦- ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ ﴾ في الملك والنبوة ﴿ وَقَالَ ﴾ سليمان : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ ﴾ لكل نبي معجزات وخوارق تدل على صدقه في نبوته ، وتختلف في نوعها تبعاً للعصر والبيئة في أفكارها وتقاليدها . وكانت معجزة داود إلانة الحديد ، ومعجزة سليمان تسخير الريح وبعض الجن والمعرفة بلغة بعض الطيور والحشرات . وقبل : ان "الحيوانات بشتى أنواعها كانت تنطق بكلام الآدميين . ومع الزمن حدث التطور المقلوب على العكس من نظرية دارون ﴿ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ نحتاج إليه في حياتنا .

١٧- ﴿ وَحِشْرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ ﴾ نحن نؤمن بوجود الجن لأن القرآن يشته والعقل لا يفيقه ، ونقل عن الشافعي أنه كان يطل شهادة من زعم رؤية الجن ﴿ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ المراد بالتوزيع أنه كان لكل صنف من هذه الأصناف قائد ووزاع ، يحافظ على السير وغيره .

١٨- ﴿ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ ... ﴾ قرأت في مجلة عالم الفكر الكويتية العدد الثاني من المجلد السابع مقالاً مطولاً بعنوان لغة الحيوان ، جاء فيه : استمر العلماء العديد من السنوات وهم يحاولون تفسير سلوك الحيوان ، حتى استطاع علماء هذا العصر متعاونين أن يحلوا ما استعصى على من سبقهم . وأنشأوا علماً جديداً . سموه علم سلوك الحيوان وأثبتوا أن لكل صنف من الحيوانات والحشرات طريقة خاصة في التفاهم ، وهذا بالذات ما نطق به القرآن منذ ١٣٠٠ عام أو أكثر . فمن أين جاء محمد (ص) بهذا وما هو أعظم

إن لم يكن من عند الله ! ﴿ لَا يَحْطُمْنَكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ ﴾ نملة لا تقتحمها الأعين تخاف على رعيتهما أو جماعتهما من الأقرى ومن أي أذى ، فتبذل ما في وسعها من جهد لصيانة أمتها و سلامتها ، وسجل ذلك سبحانه في كتابه ، عسى أن يعتبر ويتعظ كل من بيده زمام أمر من الأمور : « ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل . حتى بالنمل والذباب - فأبى أكثر الناس إلا كفوراً - ٨٩ الإسراء » .

١٩- ﴿ فَتَبَسَّمَ ﴾ سليمان ﴿ ضَاحِكاً ﴾ من قولها وقال رب أوزعني ﴿ أَلْهَمْنِي ﴾ أن أشكر نعمتك ﴿ وَمِنْ أَفْضَلِ الشُّكْرِ كَفِّ الْأَذَى عَنِ النَّاسِ ، وَأَكْمَلَهُ عَلَى الْإِطْلَاقِ أَنْ تَسْدِيَ إِلَيْهِمْ خِلْمَةً أَوْ تَرُدَّ عَنْهُمْ نَكْبَةً .

٢٠- ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ ﴾ هل أخطأ بصري ؟ ﴿ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَالِبِينَ ﴾ كان سليمان صنوف من الطيور تأتمر بأمره ، وما هي في قصص أو أشبه : وفي ذات يوم تعهد الطيور فلم يجد الهدهد من بينها فقال :

٢١- ﴿ لِأَعَذِبْنَهُ عَذَاباً شَدِيداً ﴾ بالسجن أو تنف الريش ونحوه ﴿ أَوْ لِأَذْبَحْنَهُ ﴾ حكم بالإعدام ﴿ أَوْ لِأَيِّنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ بخنجة وافية ومعذرة كافية .

٢٢- ﴿ فَكُتِّ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ غاب الهدهد سيراً ، ثم

الإعراب :

﴿ لَا يَحْطُمْنَكُمْ ﴾ في موضع الجزم جواباً للأمر وهو ادخلوا . ﴿ وَضَاحِكاً ﴾ حال مؤكدة .

مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَىُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنْ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿ وَحِشْرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَتَىُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطُمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ آلِيَّ وَإِنِّي أَفْعَلُ صَلَاحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَالِبِينَ ﴿ لِأَعَذِبْنَهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لِأَذْبَحْنَهُ أَوْ لِأَيِّنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿ فَكُتِّ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ

أَنَّى وَقَالَ لِسُلَيْمَانَ ﴿ أَطَعْتَ بِمَا لَمْ تَحِطْ بِهِ ﴾ اِكْتَشَفَتْ شَيْئاً مَهْماً لَا تَعْرِفُهُ عَلَى سَعَةِ عِلْمِكَ ﴿ وَجَنَّتْكَ مِنْ سُبَا بَنِي يَقِينٍ ﴾ .

٢٣-٢٦- ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً ... ﴾ تحكم بلاداً كبيرة ، ويعيش أهلها في نعمة ، ولكنهم يعبدون الشمس من دون الله ﴿ الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ﴾ المراد بالخبء هنا خيرات الكون . والله سبحانه يخرجها لعباده بأيدي العلماء وعقولهم وأدواتهم الفنية ومختراتهم العلمية .

٢٧- ﴿ قَالَ ﴾ سليمان للهدد : ﴿ سَنَنْظُرُ أَصْدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ سنختبر مقاتلك لعرف مكانها من الصدق .

٢٨- ﴿ أَذْهَبْ بِكَتَابِي هَذَا فَأَلْقَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ كتب سليمان إلى القوم بالطاعة ، وقال للهدد أوصله إليهم بطريق أو بآخر ، وراقب ما يقولون وما يعزمون ، وارجع إليّ بخبرهم ، فألقى الهدد إليها الكتاب ولا قرأته الملكة جمعت وزراءها وكبراء دولتها .

٢٩-٣١- ﴿ قَالَتْ : يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ كِتَابٌ كَرِيمٌ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَأَنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلِيٌّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ عرضت عليهم الكتاب ، ووصفته بالكريم لأن صاحبه عظيم الجاه ، وفيه الدعوة بالطاعة بأيسر عابثها وأوجزها ، وهذا هو شأن الأنبياء في رسائلهم ، يقتضرون فيه على الهدف المطلوب ، وكان الرسول الأعظم يكتب للملوك بعد البسملة هذه الكلمة : « أسلم تسلم » وكفى .

أَحْطَطُ بِمَا لَمْ أَحِطْ بِهِ . وَجَنَّتْكَ مِنْ سُبَا بَنِي يَقِينٍ ﴿٢٣﴾
إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٤﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٥﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٦﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٧﴾
* قَالَ سَنَنْظُرُ أَصْدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٨﴾
أَذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٩﴾ قَالَتْ يَأْيُهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٣٠﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣١﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلِيٌّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٢﴾

وبعد أن قرأت على الوزراء والأمراء استشارتهم في أمرها .

اللغة :

تَوَلَّ تَنَحَّ . ماذا يرجعون ماذا يدور بينهم . والملأ أشراف القوم . مسلمين متقدين . أفنوني أشيروا عليّ . وتشهدون تحضرون .

الإعراب :

﴿ مَا لِي ﴾ مبتدأ وخبر . ﴿ وَام ﴾ هنا منقطعة بمعنى بل والهمزة . والا بالتشديد كلمتان ان ولا ، والمصدر مفعول من أجله لزَيْن أو لصدهم أي زَيْن لهم الشيطان أصنامهم لعدم السجود ، أو صدهم عن السبيل لذلك . ﴿ مَاذَا ﴾ يجوز أن تكون كلمة واحدة للاستفهام ، وعملها النصب بيرجعون ، وان تكون كلمتين ما للاستفهام مبتدأ وذَا بمعنى الذي خبر ، وجملة يرجعون صلة الموصول . أَلَا بالتشديد كلمتان ان المفسرة لكتاب ولا التاءية . ﴿ وَمُسْلِمِينَ ﴾ حال من واو اتوني .

٣٢- ﴿قَالَ : يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ هذه النون للوقاية لأن الأصل تشهدوني ، وحذفت النون الأولى لمكان النصب بأن المضمر بعد حتى . والمعنى أشيروا عليّ ، فلا أبت بأمر حتى تحضروا وتشيروا .

٣٣- ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ والبأس يرادف القوة ، ولكن المراد بالبأس هنا النجدة والشجاعة . وبالقوة العدد والعدة ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ نحن مستعدون للقتال نخوضه حتى الموت إن شئت وإلا سكنا وصبرنا طاعة لأمرك .

٣٤- ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَاجَهَا أَذْلَةً﴾ ما قالت لهم : ان سليمان أقوى منكم وأعظم بما سخر له من الريح والإنس والجن والطير كيلا تثير فيهم النخوة والحماس ، ويلقوا بالبلاد والعباد إلى النهلكة . بل عبرت عن هذا المعنى بالذات بأسلوب أحكم وأسلم حين قالت : ان الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوا وأذلوا .

٣٥- ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظَرَنَاهُ فِي مَرْسَلِ النَّاسِ﴾ والمرسلون من نجر ، هذا الرجل بالقيس من الأموال ، فإن رضي به فهو طالب صيد ، وإن رفضه فهو نبي تبعه وتدخل في دينه .

٣٦- ﴿فَلَمَّا جَاءَ الرَّسُولُ بِهَدِيَّةٍ الْمَلِكَةِ﴾ سليمان قال أتمدون بمال ﴿وَلَدِيَ مِنْهُ الشَّيْءُ الْكَبِيرُ﴾ وأنتم عليّ سبحانه بما هو خير وأفضل هل من شيء يعادل النبوة والعلم ؟ ﴿بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ أنتم تتقادون بالمال ، أمانا فقائدي الحق والعدل .

٣٧- ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا﴾ ارجع أيها الرسول بهديتك إلى قومك ، فسأغزوهم في عقر دارهم ، وأجعل أعزة أهلها أذلة تماماً كما قالت الملكة إلى الملأ من قومها تحذرهم ، ولما رجع الرسول ، وأخبر قومه بما كان ساروا والملكة إلى سليمان خاضعين مستسلمين .

٣٨- ﴿قَالَ﴾ سليمان : ﴿أَبِكُمْ يَأْتِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ طلب سليمان عرش الملكة التي تركته في حرز حريز ، لأنه أحب أن يريها آية تدل على نبوته وعظمته .

٣٩- ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾ ويحكى أن سليمان كان يجلس للقضاء وإدارة الشؤون من طلوع الشمس إلى زوالها .

الإعراب :

أمرًا مفعول قاطعة . «وتشهدون» بأن بعد حتى . والنون للوقاية لأن الأصل تشهدوني . فاعل «جاء» عذوف يدل عليه قول الملكة : وإني مرسله إليهم ، والتقدير فلما جاء الرسول سليمان . «فما أتاني» مبتدأ وخير خير . وأذلة حال من ضمير الغائب في لنخرجهم ، وجلة هم صاغرون حال .

قَالَتْ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ أَمْلَهُنَّكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَاجَهَا أَذْلَةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظَرَنَاهُ فِي مَرْسَلِ النَّاسِ ﴿٣٥﴾ قَالَتْ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٦﴾ قَالِ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَتِيكَ يَأْتِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٧﴾ قَالِ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ﴿٣٨﴾ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾

٤٠- ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ

أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ ولا إنكار ولا غرابة ، فإن سفينة الفضاء تقطع في الساعة ثلاثين ألف كيلو متر ، وقال علماء الذرة : ان الإلكترون يدور حول قطبه ، ويقطع في دورانه مسافة ثلاثمائة ألف كيلو متر في الثانية باعتبار فلكه ... وفي شتى الأحوال فإن العلم الحديث قد تجاوز كل مألوف ومعروف ومن كان يصدق أن الإنسان يصعد إلى القمر ، وأن الزراعة في الفضاء ومن غير تراب ممكنة ومنتجة علماً بأنها موجودة الآن في اليابان وإيطاليا والكويت ، ويدرس علمها في الجامعات . وبعد ، فإن القرآن الكريم ذكر الكثير الكثير من مبادئ العلوم بالعبارة أو بالإشارة ، أدركت الأجيال المتعاقبة طرفاً منها ، وسوف تدرك الأجيال الآتية الكثير من خفايا القرآن وكوزه : « هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور - ٩ الحديد » .

﴿ فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ ﴾ ما شعر سليمان إلا وعرش الملكة بين يديه ﴿ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي ﴾ وحوله وقوته لا من ملكي وسلطاني ، ولا من الجن والعفاريت كلا . فهو وحده الذي أمد عباده بالعلم والقدرة والسلطان ﴿ لِيَبْلُوَنِي أَشْكُرَ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ المؤمن لا يطفئ إذا استغنى ، لا يكفر إذا ابتلى ٤١- ﴿ قَالَ ﴾ سليمان ﴿ نَكْرُوا لَهَا عَرْشَهَا ﴾ غيردوا شيئاً منه لنرى ﴿ وَنَظَرَ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ أعرفه أم يخفى عليها .

٤٢- ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ ﴾ نكروا

عرشها وسألوها عنه ﴿ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾ لم تنف ولم تثبت تحزراً من الكذب ، لأن العالم أو العاقل لا يثبت ولا ينفي على الجزم إلا بدليل إذا لم تكن القضية بديهية ﴿ وَأَوْتَيْنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا ﴾ وكنا مسلمين ﴿ قَالَ سُلَيْمَانُ وَقَوْمُهُ لَمَّا رَأَوْا الْمَلِكَةَ قَدْ آمَنَتْ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَرَفَنَا بِوَحْدَانِيَّتِهِ ، وَهَدَانَا إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ .

٤٣- ﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنهَا صَرَحَ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ ﴾ عيب فيها إلا الشرك الذي ورثته عن الآباء والأجداد .

٤٤- ﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ﴾ القصر ﴿ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرَحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ ﴾ اللجة : كثرة الماء ، والممرد : المملس ، والقوارير الزجاج . كان لسليمان قصر عظيم من زجاج شفاف بحري الماء من تحته يحسب الرائي أنه لا حائل بين الماء والمائي . ولذا كشفت المسكينة عن ساقها لتخوض الماء . فأعلمها سليمان بالحقيقة ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ أسلمت وحسن إسلامها . وفي قاموس الكتاب المقدس ص ٤٥٢ : ما نضه بالحرف « تقول التقاليد العربية : ان اسمها بلفظ ، وانها ولدت ابناً لسليمان ، ولكن لا يوجد دليل تاريخي صحيح يبرهن هذه التقاليد » . اطلعت على هذا النقد بعد أن طبع المجلد الخامس من التفسير الكاشف .

٤٥- ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾ تقدم

الإعراب :

﴿نَظَرَ﴾ مجزوم بجواب نكروا . و﴿مَا كَانَتْ﴾ «ما» فاعل صدَّها . ورب العالمين بدل من كلمة الجلالة .

قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَشْكُرَ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَكْسِرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكْرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَظَرْنَا أَنَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأَوْتَيْنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرَحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ

في الأعراف وهود والشعراء ﴿ فَإِذَا هـ فَرِيقَانِ ﴾ : فريق اهتدى ، وفريق غوى .

٤٦- ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ﴾ لماذا تطلبون العذاب دون الرحمة ، وتقدم في الآية ٥٧ من الأنعام وغيرها .

٤٧- ﴿ قَالُوا أَطِيرْنَا بِكَ ... ﴾ ما رأينا خيراً على وجهك ووجوه الذين اتبعوك وآمنوا بك ﴿ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ كل ما ينزل بي وبكم من بلاء هو من الله لا منكم ولا مي ﴿ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾ تختبرون بالسراء والضراء لتظهر أفعالكم التي تستحقون بها الثواب أو العقاب .

٤٨- ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ ﴾ نفر ﴿ يَفْسُدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يَصْلَحُونَ ﴾ كانوا من الرؤساء الأوغاد ، ولا هم لهم إلا الصد عن الحق والخير بشهادة المستضعفين والاتباع « قالوا ربنا إنا أطلعنا ساداتنا وكبراءنا فأصلونا السبيل - ٦٧ الأحزاب » .

٤٩- ﴿ قَالُوا ﴾ قال بعض التسعة المفسدين لبعض : ﴿ تَقَاسَمُوا ﴾ أقسموا واحلفوا ﴿ بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ ﴾ بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لولييه ما شهدنا مهلك أهله ﴿ نَقْتُلْ صَالِحًا وَأَهْلَ بَيْتِهِ لَيْلًا ، ثُمَّ نَقُولُ لِقَوْمِهِ وَأَوْلِيَاءِهِ مَا قَتَلْنَاهُمْ وَلَا نَعْرِفُ مَنْ قَتَلَهُمْ .

٥٠- ﴿ وَمَكْرُوهًا مَكْرًا وَمَكْرًا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ مكروا بالمؤامرة على اغتيال صالح ، ومكر سبحانه حيث أبطل مكروهم ، وعاقبهم عقاب الماكرين ، ومثله تماماً قوله تعالى : « فأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين - ٧٠ الأنبياء » .

٥١-٥٧- ﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ ... ﴾ من سلَّ سيف النبي قتل به ، وتقدمت قصة صالح وثمود في سورة الأعراف وهود والشعراء ﴿ وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ وهي اللواط ﴿ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ ﴾ تعلمون أنها

اللغة :

المراد بالسبيته هنا العذاب ، وبالخسة الرحمة . اطيروا تشاءنا . والرهط من ثلاثة رجال الى تسعة . وخاوية خالية .

الإعراب :

صالحاً بدل من «أخاهم» . وإذا للمفاجأة وما بعدها مبتدأ وخبر . «وتقاسموا» فعل أمر أي قال بعضهم لبعض : احلفوا . وكيف خبر كان وعاقبة اسمها . والمصدر من أتا مدرناهم بدل من عاقبة .

تَبْصُرُونَ ﴿٥٦﴾ أَيْسَرَ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ
النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّجْهَلُونَ ﴿٥٧﴾ * فَكَانَ جَوَابَ
قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَنْتُمْ جَوَاءُ آلِ لُوطٍ مِنْ قَرَبِكُمْ إِنَّهُمْ
أَنْاسٌ يَبْطِطُوهُمْ ﴿٥٨﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ
قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ
مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ ﴿٦٠﴾ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ
الَّذِينَ اصْطَفَى ؕ اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦١﴾ أَمَنْ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا
بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا
أَوَلَمْ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَنْ جَعَلَ
الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خَلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ
وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَوَلَمْ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ

فاحشة ومع ذلك تفعلونها علناً وجهرة ﴿٥٦﴾ بل أنتم قوم تجهلون ﴿٥٧﴾ من الجهالة بمعنى السفاهة والذلالة ﴿٥٨﴾ انهم أناس يتطهرون ﴿٥٩﴾ ينتزهون عن الفاحشة وينكرونها ﴿٦٠﴾ قدرناها من الغابرين ﴿٦١﴾ المالكين الباقين في العذاب .

٥٨- ﴿٥٨﴾ وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين ﴿٥٩﴾ بالحجة والعذاب قبل وقوعه . وتكررت قصة لوط في سورة الأعراف وهود والشعراء ، ولا جديد في هذه الآيات الخمس ولذا أوجزنا .

٥٩- ﴿٥٩﴾ قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ﴿٦٠﴾ لما ذكر سبحانه بعض الأنبياء وما خصهم به من الفضل ، أمر نبيه محمداً (ص) أن يحمد الله على ما أنعم عليه ، وأن يسلم على جميع الأنبياء الذين اصطفاهم لرسالاته ﴿٦١﴾ الله خير أمّا يشركون ﴿٦٢﴾ أيهما خير وأعظم : الله خالق كل شيء أم الأصنام التي لا تفن عن شيء .

٦٠- ﴿٦٠﴾ أَمَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴿٦١﴾ فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ﴿٦٢﴾ ذات جمال تنبتهج النفوس بمرآها ﴿٦٣﴾ ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ﴿٦٤﴾ نحن غرسنا الحدائق وزرعنا الحقول ، ما في ذلك ريب ، ولكن هل أوجدنا الأرض التي نغرس فيها ونزرع ، أو خلقنا البذر والغرس والماء والفضياء والهواء ، وجعلنا هذه النبتة ذكراً وتلك أنثى ، وقتلنا للرريح : لقحي الإناث من الذكور ؟ وبكلمة نحن نوجد شيئاً من شيء ، والله وحده هو الذي يوجد شيئاً من لا شيء .

٦١- ﴿٦١﴾ أَمَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا ﴿٦٢﴾ أي مستقرة في

المكان الذي هي فيه وعلى حجمها الملائم للجذب المطلوب . ولو زاد أو نقص لتعذرت الحياة على وجه الأرض ﴿٦٣﴾ وجعل خلالاتها أنهاراً ﴿٦٤﴾ عذبة طيبة ، وسيرها لمصلحة العباد والبلاد ﴿٦٥﴾ وجعل لها رواسي ﴿٦٦﴾ جبالاتاً ترسيها كيلا تزول عن موضعها وتميد بأهلها ﴿٦٧﴾ وجعل بين البحرين حاجزاً ﴿٦٨﴾ بين ماء القرات وماء الأجاج لئلا يفسد ذلك بهذا ، أنظر تفسير الآية ٥٣ من الفرقان .

اللغة :

ذات بهجة أي ذات منظر حسن يتبتهج به من يراه . والمراد يبعدلون هنا يحيدون عن الحق لأنهم جعلوا لله عديلاً ومثيلاً ، وخلالها بين أماكنها . والرواسي الجبال .

الإعراب :

﴿الله﴾ الأصل الله والهمزة للاستفهام والله خير مبتدا وخبر .

لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۖ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۖ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٥﴾ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ أَذْرَكَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا ۚ بَلْ هُمْ مَنْتَهُنَّ مُنْجُونَ ﴿٦٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا أَنَا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٨﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا لُنْحُ وَءَابَاؤُنَا مِن قَبْلُ ۖ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ

٦٢- ﴿﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَا وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴿﴾ المراد بالمضطر العاجز الذي لا يجد عملاً ولا وسيلة يلجأ إليها إلا الله وحده . وفي الجزء الثاني من أصول الكافي عن الإمام الصادق (ع) : أربعة لا تستجاب لهم دعوة : رجل جلس في بيته يقول : اللهم ارزقني . فيقال له : ألم أترك بالطلب أي السعي ، ورجل دعا على زوجته ، فيقال له : ألم أجعل أمرها إليك أي طلاقها ، ورجل كان له مال فأفسده أي بذره وأسرف فيقال له : ألم أترك بالإقتصاد ؟ ورجل كان له مال فأدانه من غير بينة ، فيقال له : ألم أترك بالشهادة ﴿﴾ ويجعلكم خلفاء الأرض ﴿﴾ أي يجعلكم خلفاء لسلف في ملك الأرض وعمارتها .

٦٣- ﴿﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴿﴾ بالدلائل الأرضية كالجبال ، والسموية كالكواكب ، وغير ذلك من الأدوات الفنية ﴿﴾ ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته ﴿﴾ أي بين يدي السحاب التي تسقي البلاد و العباد .

٦٤- ﴿﴾ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴿﴾ تماماً كما بدأه أو لا يعيده ، وهو أهون عليه ، والدليل الكون الصحيح ، وتقدم مرات ﴿﴾ ومن يرزقكم من السماء ﴿﴾ بالماء ﴿﴾ والأرض ﴿﴾ بما أخرجت من نبات وغير ذلك .

٦٥- ﴿﴾ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿﴾ هدد النبي الجاحدين بعداد الآخرة ، فقالوا له : متى هذا الوعد ؟ فقال سبحانه لنبيه : قل : علمه عند ربّي ، وتقدم في الآية ١٨٧ من الأعراف .

٦٦- ﴿﴾ بَلْ أَذْرَكَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ ﴿﴾ اذارك : تنابع ، والمعنى أن الأسباب الموجبة للإيمان باليوم الآخر هي كثيرة ، وبعضها يتبع بعضاً ، ومع ذلك ، كله لم يؤمنوا تماماً كما تقول : فلان عنود وجحود لا يقنعه شيء ﴿﴾ بل هم في شك منها ﴿﴾ كيف يؤمنون بالآخرة ، وقد اتخذوا الشك فيها ديناً وعقيدة حتى أصبح جزءاً من كيانهم ؟ ﴿﴾ بل هم منها عمنون ﴿﴾ جمع عم وهو أعمى القلب ، والمعنى لا يؤمنون بالآخرة لأنهم عمي القلوب صم الأنماع .

٦٧- ٦٨- ﴿﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَذَا كُنَّا تُرَابًا ... ﴿﴾ تقدم في الآية ٥ من الرعد وغيرها .

الإعراب :

﴿وَأَمَّا﴾ كلمتان أم العاطفة المتصلة وما بمعنى الذي أي أم الذي يشركون . وأَمَّنْ كلمتان أم المنقطعة بمعنى بل والمهزة ومن اسم موصول ، وهي في محل رفع بالابتداء والخبر محذوف أي بل الذي خلق السموات والأرض خير . وكذا ما بعدها من نظائرها . والمصدر من أن تنبؤا اسم كان . وإله مبتدأ والخبر محذوف أي إله تثنيتن مع الله . وقليلاً صفة لمفعول مطلق محذوف وما زائدة إعراباً أي تذكرون تذكراً قليلاً . ﴿أَيَّانَ﴾ ظرف زمان يتضمن معنى الاستفهام ، وهو مبني على الفتح في محل نصب ﴿يبعثون﴾ . ﴿وإذارك﴾ فعل ماضٍ وأصله تدارك . وإنذا كلمتان مهزة الاستفهام وإذا وهي متعلقة بفعل محذوف أي أنخرج من القبور إذا كنا تراباً . وهذا إشارة إلى الإخراج وهي مفعول ثانٍ لوعدنا .

٦٩- ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَاصْطَبُوا عَنْ آثَارِ
الْمَاضِينَ أَوْ اِقْرَءُوا التَّارِيخَ لَتَعْلَمُوا كَيْفَ حَلَّتْ نَقْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى
عَلَى مَنْ طَغَى وَبَنَى وَكَفَرَ وَتَجَبَّرَ ، وَتَقَدَّمَ فِي الْآيَةِ ٣٧ مِنْ آلِ
عِمْرَانَ .

٧٠- ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ...﴾ لِمَاذَا الْحَزَنُ وَضِيقُ
الصَّدْرِ مَا دَمَّتْ يَا مُحَمَّدٌ فِي رِعَايَةِ اللَّهِ وَعِنَايَتِهِ ، وَتَقَدَّمَ بِالْحَرْفِ
فِي الْآيَةِ ١٢٧ مِنَ النَّحْلِ .

٧١- ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ وَعِدَّتْنَا وَهَدَدْتْنَا
بِالْعَذَابِ ، فَأَيْنَ هُوَ ؟ .

٧٢- ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدْفٌ لَكُمْ﴾ رُبَّمَا كَانَ
الْعَذَابُ وَرَاءَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَتَشْعُرُونَ ، وَتَقَدَّمَ فِي الْآيَةِ ٥١ مِنَ
الْإِسْرَاءِ وَغَيْرِهَا .

٧٣- ﴿وَإِنْ رَبُّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ بِمَا أَنْعَمَ
وَتَكْرَمَ ، وَأَمَلَى وَأَمْهَلَ .

٧٤- ٧٥- ﴿وَإِنْ رَبُّكَ لَيَعْلَمُ﴾ مَا يَسْرُونَ وَمَا يَظُنُّونَ ،
وَلِكُلِّ جَزَاءٍ مَعْلُومٌ .

٧٦- ٧٧- ﴿إِنْ هَذَا الْقُرْآنُ يَقْضِي عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ
أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ وَمِنْ ذَلِكَ اخْتِلَافُهُمْ فِي عِبَادَةِ
الْعَجَلِ وَالْعَمَلِ بَعْضُ مَا فِي التَّوْرَةِ مِنْ أَحْكَامٍ ، وَاخْتِلَافُهُمْ
فِي السَّيِّدِ الْمَسِيحِ حَيْثُ آمَنَ بِهِ فَرِيقٌ وَكَفَرَ بِهِ فَرِيقٌ ، وَأَيْضًا
اخْتِلَافُو فِي مُحَمَّدٍ ، وَمَا آمَنَ بِهِ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ .

٧٨- ﴿إِنْ رَبُّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وَقَضَاؤُهُ الْعَدْلَ ، وَحُكْمُهُ الْقَضْلُ .

٧٩- ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ وَمَنْ لَا يَقْتَنِعَ بِالْحَقِّ
الرَّاضِعِ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَقْتَنِعَ مِنْهُ عَاقِلٌ .

إشارة:

مَنْ أَغْرَبَ مَا قُرِئَ مَا نَقَلَ عَنْ كِتَابِ التَّلْمُودِ، وَهُوَ كِتَابُ مِثْرَ كَالْتَّوْرَةِ عِنْدَ الْيَهُودِ أَوْ الْكَثِيرِ مِنْهُمْ: «وَأَنَّ اللَّهَ إِذَا نَزَلَ بِهِ مَسْأَلَةٌ
مِمَّضِلَّةٌ اسْتَشَارَ الْخَاطِمَاتِ فِي حُلِّهَا، وَفِيهِ إِذَا يَوْمَ رَأَى رَأْيًا خَاطِمًا، فَفِيهِ إِلَى خَطِّهِ أَحَدَ الْخَاطِمَاتِ، فَاعْتَرَفَ وَأَذْعَنَ».

الإعراب:

وَالْمَصْدَرُ مَنْ أَنْ يَكُونَ اسْمُ «عَسَى». وَاسْمُ «يَكُونُ» ضَمِيرُ الشَّانِ، وَ«رَدْفٌ» فِعْلُ مَاضٍ، وَلَكُمْ اللَّامُ زَائِدَةٌ إِعْرَابًا وَالْأَصْلُ
رَدْفَكُمْ أَيْ لِحْفَكُمْ .

٨٠-٨١- ﴿انك لا تسمع الموتى﴾ من يصر على رأيه ، ولا يتوقع الخطأ من نفسه يستحيل أن ينفع شيء من الهدى والعلم ، والكلام معه تماماً كالكلام مع الأموات ﴿ولا تسمع الصم الدعاء﴾ أبداً لا أحد يصغي لمنطق الحق إلا إذا كان ضالته التي يطلبها ، وحاجته التي يسأل عنها ﴿ان تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون﴾ إنما يستجيب لك ويؤمن بك يا محمد طلاب الحق والهداية ، أما الإتهزيون فهم طلاب ربح وصيد ، وما لهم فيك من مطعم .

٨٢- ﴿وإذا وقع القول عليهم﴾ إذا حان وقت عذاب المجرمين ﴿أخرجنا لهم دابة من الأرض﴾ ما بين سبحانه حقيقة هذه الدابة في كتابه ، ولا ثبت ذلك عندنا في سنة نبيه الكريم ، ولا يسوغ الكلام بغير علم ، فلم يبق إلا الوقوف عند ظاهر الآية الذي يدل على أن الله سبحانه يخرج من الأرض عند النشر مخلوقاً يعلن أن ما من أحد جحد بالله إلا مع قيام البينات والآيات الواضحات على وجوده تعالى . نقول هذا في تفسير هذه الدابة ، ونسكت عما سكت الله عنه .

٨٣- ﴿ويوم نحشر من كل أمة فرجاً ممن يكذب بآياتنا﴾ من يكذب «من» هنا بيانية وليست للتبعض تماماً كخاتم من حديد ، والمعنى أن في الأمم مصلقين ومكذبين بآيات الله وبياناته ، وهو يحشر للحساب والجزاء جميع المكذبين بلا استثناء ، وخصهم بالحشر مع أنه يعم الجميع لأنه تعالى قصد التهديد والوعيد ﴿فهم يوزعون﴾ يدفعون سوقاً إلى السؤال والحساب .

٨٤-٨٥- ﴿حتى إذا جاءوا﴾ ووقفوا بين يدي قهار يقسم الظهور ويخلع القلوب ﴿قال﴾ سبحانه لهم : ﴿أكلتم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً﴾ لماذا عرضتم عن رسلي ولم تستجيبوا لدعوتي ، وقد أعددت برسل صادقة وكتب ناطقة وبيانات ظاهرة سافرة ؟ فهل جهلتم هذا كله ولم تحيطوا بشيء منه علماً ؟ ﴿أم ماذا كنتم تعملون﴾ ؟ عملنا يا إلهي كل شيء ، ولكن للدنيا لا الآخرة وللشيطان لا للرحمن .

٨٦- ﴿ألم يروا إنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه﴾ ونستريح من تعب النهار ﴿والنهار مبصراً﴾ لننسى فيه المعاش والمكاسب ، وتقدم في الآية ٦٧ من يونس .

٨٧- ﴿ويوم ينفخ في الصور ...﴾ إيداناً بقيام

الإعراب :

﴿بهادي﴾ الباء زائدة وهادي خبر أنت على لغة تميم ، وخبر ﴿ما﴾ على لغة أهل الحجاز . والمصدر من ان الناس مجرور بالباء المحذوفة أي تكلمهم بكون الناس غير موقنين بآياتنا .

الساعة ، فتخلع قلوب الخلائق إلا من اتقى وأصلح ﴿ وكل
أنوه داخرين ﴾ أذلاء صاغرين .

٨٨- ﴿ وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرمر
النسحاب ﴾ قال الإمام علي (ع) : « بسط الأرض على الهواء ...
ورفعها بغير دعائم ... وعدل حركاتها بالرايات » أي بالجبال ،
فالجبال تتحرك بحركة الأرض . وحركة الأرض تستقيم وتنظم
بواسطة الجبال . وقال حفيذه الإمام جعفر الصادق (ع) :
إن الأشياء تدل على حدوثها من دوران الفلك وتحرك الأرض .
أنظر نهج البلاغة وكتاب الهيئة والإسلام للسيد الشهرستاني .
والذي يقرأ أحاديث أهل البيت (ع) ويتتبع آثارهم يجد
الكثير من حقائق العلم التي ينسب اكتشافها إلى علماء متأخرين
عن أهل البيت ألف عام أو أكثر ﴿ صنع الله الذي أتقن كل
شيء ﴾ ونرى هذه الصنعة الدقيقة المحكمة في الذرة الصغيرة
والمجرة الكبيرة ، وهي تترجم ترجمة كاملة وواضحة عن
وجود الصانع وعظمته ، فالويل لمن جحد وعاند .

٨٩- ﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها ﴾ وفي الآية
١٦٠ من الأنعام « فله عشر أمثالها » ولا غرابة فإن من سنة خالق
الخلق الإفضال على عباده ، وللحسنة عند الله سبحانه مظهران :
الأول كف الأذى عن الناس ، وهو الأصل والشرط الأساس
في كل حسنة ، وبدونه لا إحسان ولا حسنة ، قال عز من
قائل : « قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى -
٢٦٣ البقرة » وأوضح من هذه الآية في الدلالة ما جاء بعدها
بلا فاصل « يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالبن والاذى »
حيث دلت على أن الأذى يحبط الأعمال تماماً كالكفر والإرتداد المظهر الثاني للحسنة كل ما فيه للناس نفع وصلاح من غير
أذى فهو حسنة .

٩٠- ﴿ ومن جاء بالسئية ﴾ بلا حسنة إطلاقاً أو رجحت سيئاته على حسناته ﴿ فكبت وجوههم في النار ﴾ وهم لا
يظلمون .

٩١- ﴿ إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرّمها ﴾ المراد بالبلدة مكة المكرمة ، وأضافها سبحانه إلى
نفسه تعظيماً لها ، ووصفها بالتحريم لأن من دخلها كان آمناً ومن انتهك حرمتها كان ظالماً ﴿ وله كل شيء ﴾ ولا أحد
يملك معه أي شيء حتى نفسه ﴿ وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾ أي أن أدعو إلى الإسلام ، لأنني أرسلت من أجل هذه الدعوة
ونشرها والجهاد في سبيلها ، والدليل على إرادة هذا المعنى قوله بلا فاصل :

٩٢- ﴿ وأن أنلو القرآن ﴾ داعياً إلى العمل بموجبه والسير على نهجه ﴿ فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن
ضلّ فقل إنما أنا من المنذرين ﴾ تماماً كغفري من الرسل الأولين ، عليّ البلاغ ، وعلى الله الحساب .

٩٣- ﴿ سيريكُم آياته فتعرفونها ﴾ تنتشرون من القبور ، وتحشرون إلى الحساب ، وعندئذ تعرفون ما أنكرتم . وتندمون
على ما فرطتم ، والحمد لله الذي لا يضيع عمل عامل ، ولا يستغذه سؤال سائل . والصلاة على أشرف الخلق وآله الأطهار .

إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَنْوَهٍ دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى
الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ
اللَّهُ الَّذِي أَنْتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرُ خَيْرٍ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾
مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ
ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ
فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾
إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا
وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾
وَأَنْ أَنْتَلُوا الْقُرْآنَ أَنْ فَمِنْ هَتْدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدَى لِنَفْسِهِ
وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرَ بَكْرَةٍ آيَتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ
عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

سُورَةُ الْقَصَصِ فِي ثَمَانِ فُرُقٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(٢٨) سُورَةُ الْقَصَصِ مَكِّيَّةٌ
وَأَنبَأَهَا ثَمَانُ فُرُقٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَّ ۖ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ تَنَلُّوْا
عَلَيْكُمْ مِنْ نَبْلِ مُوسَىٰ ۖ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝
إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ
طَائِفَةً مِنْهُمْ يَذِخُّ أُنْيَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ
مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۝ وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا
فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝
وَنُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا
مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ۝ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ

١- ﴿ طَسَّ ﴾ أنظر أول البقرة .

٢- ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ تلك إشارة إلى هذه
السورة ، والكتاب المبين القرآن .٣- ﴿ تَنَلُّوْا عَلَيْكُمْ ﴾ يا محمد ﴿ مِنْ نَبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ
بِالْحَقِّ ﴾ كل ما نحدثك به هو نفس الواقع .٤- ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ أسد فيها وطفى
وفي كل عصر فراغة وأكاسرة وقياسرة . والآن تحدث
دولة كبرى عن اختراع قبلة التورتون وهي أشد وأعظم تلعباً
من القبلة الذرية والهيدروجينية . نحن الآن سنة
١٩٧٨ م ﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ ساذة وعبيداً . آكلين
ومأكولين ﴿ يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً ﴾ أي بني إسرائيل ﴿ مِنْهُمْ
يَذِخُّ أُنْيَاءَهُمْ ﴾ أي الذكور كيلا يثوروا عليه ﴿ وَيَسْتَحْيِي
نِسَاءَهُمْ ﴾ يبغي الإناث للمتعة والخدمة .٥- ﴿ وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ ﴾
وهم الذين يضطهدهم الأقوياء الأدياء ظالماً وعدواناً ، وما
من شك أن الله سبحانه يمن على كل قوم مستضعفين ، بالعهدة
والحرية والنصر والغلبة إذا جاهدوا وصبروا واستماتوا من
أجل تحريرهم وحياتهم وكرامتهم سواء أكانوا من نسل
إسرائيل أم من نسل عمه إسماعيل تماماً كما يمن سبحانه بالشفاء
على المريض إذا شرب الدواء الثاني مؤمناً كان أو كافراً
لأن الله سبحانه للجميع وليس لبني إسرائيل وحدهم كما يزعمون .٦- ﴿ وَنَرَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ خاف فرعون ووزيره هامان ولأما أن يثور نافر
عليهم من بني إسرائيل ، ويتبرع منهم الملك . فقتلوا كل مولود إسرائيلي ، إلا موسى أبوه قرة عين لهم ، فأنامه الخطر
من مكنته والحنف على يده . وفي ذلك عظة وعبرة .

٧- ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ المراد بالوحي هنا الإلهام ، ومنه « وأوحى ربك إلى النحل - ٦٨ النحل »

اللغة:

شيعاً فرقاً مختلفة متناحرة. المبين ص ٥٠٦.

الإعراب:

بالحق متعلق بمحذوف حالاً من فاعل تنلوا أي متكلمين بالحق . وضمير منهم يعود إلى الذين استضعفوا.

﴿ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ ﴾ من فرعون ﴿ فَأَلْقَاهُ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِ ﴾ ان الله هو الحافظ له والوكيل ، وفي التوراة سفر الخروج والإصحاح ٦ فقرة ٢٠ : ان اسم أم موسى يوكابد .
٨- ﴿ فَالْتَقِطْهُ آلَ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ اللام في ليكون للعاقبة مثل لدوا للموت ، والمعنى ربوه لينتفعوا به فكان عاقبة أمره ان صار عدواً لهم وحزناً لقلوبهم .

٩- ﴿ وَقَالَتْ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قَرَّةَ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلْهُ ﴾ وهذي السيدة العظيمة التي صدت فرعون عن موسى وحبيته به هي آسية بنت مزاحم التي أثنى سبحانه عليها في الآية ١١ من التحريم ، وفي الحديث الشريف : خير نساء العالمين أربع : مريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم ، وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد .

١٠- ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِعًا ﴾ من كل شيء إلا من الخوف على موسى ، وكيف لا وقد ألقته في البحر ليلتقطه غير فرعون وإذا به في بيته وقبضته ؟ ولكن الله سبحانه رزقها الصبر والجلد .

١١- ﴿ وَقَالَتْ لِأَخْتِهِ قَصِيهَ ﴾ تنبئ أثره وخبره . فخرجت تبحث عنه ﴿ فَصُرَتْ بِهِ عَنْ جَنْبِ ﴾ نظرت إليه من بعيد بطرف خفي كأنها لا تريد لئلا يعلموا بها .

١٢- ﴿ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ ﴾ فكان ينظر منهم بحكمة الله ليجمع الشمل بينه وبين أمه ، ولما رأت أخته حيرة آل فرعون في أمر موسى قالت لهم : ﴿ هَلْ أَدْلَكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ ﴾ فقالوا : هذا ما ننبئ .

١٣- ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ ﴾ رجع موسى إلى أمه بتدبيره تعالى ، وأجرى عليها فرعون راتباً . وهكذا أرضعت ولدها بأجر من أعدى أعدائه : وفي الحديث الشريف : « من المؤمن كأم موسى ، ترضع ولدها وتأخذ أجرها » وفي حديث آخر : « عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كله خير ، وليس ذلك إلا للمؤمن ، إن أصابه سوء شكر ، فكان خيراً له . وإن أصابه ضراء صبر ، فكان خيراً له » .

الإعراب :

ان أرضعته ﴿ان﴾ بمعنى أي مفسرة لاوحينا . ويكون اللام للعاقبة مثل : لدوا للموت وابنوا للخراب ، والمصدر المنسك من ان المضمر وما دخلت عليه متعلق باللقطة . وقرة خير مبتدأ محذوف أي هو قرة عين . وعسى تامة والمصدر من ان ينفعنا فاعل . وان كادت ﴿ان﴾ مخففة واسمها محذوف أي انها كادت . والمصدر من ان ربطنا مبتدأ وخبره محذوف ، وأيضاً جواب لولا محذوف أي لولا ربطنا على قلبها حاصل لأبدت به . وعن جنب متعلق بمحذوف حالاً من فاعل بصرت أي بصرت به بعيدة .

١٤- ﴿وَمَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾ استكمل قوته جسداً وعقلاً ﴿آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً﴾ احتاره سبحانه أميناً على رسالته وحافظاً لبعله ، وأمر الناس أن تسمع له وتطيع .

١٥-١٦- ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا﴾ خرج من قصر فرعون ، ودخل العاصمة دون أن يشعر أحد به ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ إِسْرَائِيلَ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ قبطي ، فاستنجد به الإسرائيلي فضرب موسى القبطي بقصد التأديب والردع لا بقصد القتل فوق جنة هامدة ، وندم موسى وطلب المغفرة من ربه .

١٧- ﴿قَالَ﴾ من جملة ما قال : ﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾ هذا عهد من موسى على نفسه لخالفه أن يكون حرباً على كل ظالم ، وعوناً لكل مظلوم . وأفضل العبادة على الإطلاق كف الأذى وردة عن الناس والعون على كل من يؤذي ويعتدي .

١٨- ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ﴾ : إن موسى أن يؤخذ بالقبطي المقتول ، وتوقع الشر من فرعون وقومه وبينما هو في حاله هذه ﴿فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾ يطلب النصر من موسى بصياح وصراخ ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِي مُبِينٌ﴾ ما شأنك تشبك كل يوم مع قبطي ؟ ألا ترعوي عن غيك ؟

١٩- ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا﴾ لموسى ولخصم القبطي ، لأن الأقباط هم الذين كانوا يعتدون على الإسرائيليين ﴿قَالَ﴾ القبطي : ﴿يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ

اللغة :

بلغ أشده استكمل قوته جسداً وعقلاً . وعلى حين غفلة أي دخل موسى المدينة والناس ذاهلون عنه . وظهيراً معنياً . ويتربص ينتظر . واستنصره طلب نصره . ويستصرخه يطلب غوثه ومعونه . والغوي الضال .

الإعراب :

على حين غفلة متعلق بمحذوف حالاً من فاعل دخل . وهذا من شيعة وهذا من عدوه بدل مفصل من مجمل . وما أنعمت الباء للقسم وما مصدرية أي بانعامك علي . وجملة يتربص حال من فاعل أصبح . فلما أن أراد ﴿أن﴾ زائدة إعراباً . والمصدر من أن يبطش مفعول أراد . وأن تريد ﴿أن﴾ نافية .

وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى ؕ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَحْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ؕ فَاسْتَنْجَدَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ؕ فَوَكَّرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ؕ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ؕ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٧﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ؕ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِي مُبِينٌ ﴿١٩﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوَسَى

تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس ﴿٢٠﴾ ان هذا شأن الجبارين لا شأن المصلحين .

٢٠- ﴿٢٠﴾ وجاء رجل من أقصا المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ﴿٢١﴾ ترصد قوم فرعون بموسى ليقتلوه ، فأخبره واحد من المؤمنين .

٢١-٢٢- ﴿٢٢﴾ فخرج منها خائفا ﴿٢٣﴾ هارباً من الظلم وأهله متوجهاً إلى أرض مدين وحيداً فريداً مسلماً أمره إلى الله وحده .

٢٣- ﴿٢٣﴾ ولما ورد ماء مدين وجد عليه ﴿٢٤﴾ جماعة يسقون ماشيتهم إلا امرأتين معهما غنيمات لا ترد الماء ، وكلما حاولت وروده والشرب منه دفعت المرأتان الغنيمات عنه فأثار هذا المنظر الغريب انتباه موسى وقال لهما : لماذا تصدان غنمكما عن الماء ، وهي عطاش ؟ قالتا : لا نقدر على مزاحمة الرجال وأبونا نعمة الشيوخوخة عن الرعي والسقي ، فننتظر حتى يفرغ الجميع .

٢٤- ﴿٢٤﴾ فسقى لهما ﴿٢٥﴾ غنمهما حتى رويت ﴿٢٦﴾ ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير ﴿٢٧﴾ في الخطبة ١٥٨ من نخطب نهج البلاغة : « والله ما سأله إلا خبزاً يأكله لأنه كان يأكل قلة الأرض . وقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه خزاله وتشذب لحمه » : الصفاق : الجلد الأسفل تحت الجلد الذي عليه شعر ، والتشذب انهمام اللحم

٢٥- ﴿٢٥﴾ فجاءه إحداهما ... ﴿٢٦﴾ رجعت الفتاتان إلى

أبيهما ، وأخبرتاه ما كان . فقال لواحدة منهما : اذهبي وأدعيه أنجره على إحسانه ، فجاءته بكسوها الحياء والخفاف ،

اللغة :

أقصى المدينة آخرها . ويسعى يسرع في المشي . وتلقاه مدين حذاءها وجهنها . وسواء السبل وسط الطريق . تذودان تمتعان غنمهما عن ورود الماء . ما خطبكما ؟ ما شأنكما ؟ حتى يصدر الرعاء حتى تنصرف الرعاء ، والرعاء والرعاء بمعنى واحد . والاستحياء شدة الحياء . والفصص الحديث المفصوص . والحجج جمع حجة ، وهي السنة

الإعراب :

ليقتلوك منصوب بأن مضمره والمصدر متعلق بياتمرون . وخائفاً حال من فاعل خرج . وجملة نب حال . وتلقاه ظرف مكان . وجملة تذودان صفة لامرأتين . وفقير خبر ان ، ولما أنزلت متعلق بفقير .

أُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمْوَسَّى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِلَى لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٣﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٥﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى

وقالت له ما قال أبوها ﴿ فلما جاءه وقص عليه القصص ﴾ ذكر له ما كان من أمره والسبب الذي خرج من أجله . ولما انتهى موسى من قصته قال له الشيخ : ﴿ لا تخف نجوت من القوم الظالمين ﴾ وانك عندنا لفي مكان أمين .

٢٦- ﴿ قالت إحداهما يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الأمين ﴾ وما شهدت إلا بما رأت من قوته وهو يسقي الغنم ، ومن عفنه حين توجهت إليه بالدعوة إلى أبيها .
٢٧- ﴿ قال ﴾ الشيخ لموسى : ﴿ اني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين ﴾ على أن تدعى غنمي ثمانى سنين . فإن تبرعت بزيادة سنتين فذاك إليك ﴿ وما أريد أن أشق عليك ﴾ وألزمك بالسنتين ولا بينت معينة من البنتين ، بل أترك لك الخيار .

٢٨- ﴿ قال ﴾ موسى للشيخ : ﴿ ذلك ﴾ الشرط أو العهد ﴿ بيني وبينك أيما الأجلين قضيت ﴾ الثمانى أو العشر ﴿ فلا عدوان علي ﴾ لا حرج علي بعد الثمانى سنين . وفي الحديث الشريف : ان موسى (ع) أجر نفسه بغفة فرجه وطعمة بطنه .

٢٩- ﴿ فلما قضى موسى الأجل ... ﴾ وفي بعض التفسيرات قضى أتم الأجلين ، وليس هذا بعيد عن خلق الأنبياء وفي شتى الأحوال جمع موسى أشنات متاعه ، وسافر إلى مصر بأهله ، وفي ليلة مظلمة ضل الطريق ، فرأى نوراً ظنه ناراً .

أَسْتَحْيَا قَالَتْ إِنَّ ابْنِي يَدْعُوكَ لِجِزْيِكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَحَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَبْنَوتُ اسْتَفْجِرُهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَعْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٧﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكَحَكُ إِحْدَى ابْنَتَي هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمْنَيْنِ سِنِينَ فَإِنْ آثَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُشْكَعَ عَلَيْكَ سَعَتِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّالِحِينَ ﴿٢٨﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتَ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَيَّ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٩﴾ * فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ

إشارة:

اختلف المفسرون في هذا الشيخ من هو؟ فأكثروا على أنه شعيب، وقال فريق منهم: انه غيره... ولا مستند لهؤلاء وأولئك إلا مرجحات لا تخفى عن الحقي شيئاً... ولستنا نهتم بمثل هذه الاختلافات، ما دامت لا تمت إلى العقيدة والحياة بسبب. وقد اخترنا اسم شعيب لهذه الشخصية لمجرد التعبير عنها، ولأن هذا الاسم هو الشائع بين الأكثرية كما شاع بين طلاب النجف وعلمائها: ليس النزاع في التسمية من دأب المحصلين.

الإعراب:

وعلى استحياء في موضع الحال أي مستحبة. والقوي الأمين خبر ان. وهاتين عطف بيان من ابنتي. وعل ان تأجرتني في موضع الحال أي مشروطاً عليك. وثمانى ظرف لأنها مضافة إليه وعشر أيضاً ظرف لأن المعنى فإن آثمت العمل في عشر سنين. فمن عندك متعلق بمحذوف خبراً ليتبدأ محذوف أي فالتام كائن من عندك. وذلك مبتدأ وبيني وبينك خبر أي بيننا. أيما كلمتان (أي) الشرطية (وما) الزائدة، وعمل أي نصب بقضيت. فلا عدوان جواب الشرط.

٣٠- ﴿ فَلَمَّا أَنهَا نُوْدِي مِنْ شَطِيطِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ ﴾
من مريم ١١ من طه .

٣١- ﴿ وَإِنْ الْقِيَامَةُ الْأَمْنِيَّةُ ﴾ تقدم في الآية ١٠ من النمل .

٣٢-٣٤- ﴿ اسْلُكْ يَدَكَ ... ﴾ تقدم في الآية ١٢ من النمل ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا ﴾ وهو القبطي المذكور في الآية ١٥ من هذه السورة ﴿ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾ فررت من فرعون خوفاً من سطوته فكيف أذهب إليه ؟ ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْضَلُ مِنِّي لِسَانًا ﴾ جاء في وصفت سيد الأنبياء محمد (ص) أنه كان يجمع المعاني الكبار في كلمات قصار ﴿ فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا ﴾ معينا لي على بث الدعوة . واشتهر عن النبي (ص) أنه قال لعلي : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى . ومن رواية هذا الحديث البخاري في صحيحه كتاب بدء الخلق ، وسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة والترمذي وابن ماجه وابن خنبل والنسائي وابن سعد وغيرهم كثير . أنظر كتاب فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ١ ص ٢٩٩ وما بعدها .

٣٥- ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾ نقولك به ، والفرق بين علي وهارون أن علياً ناصر محمداً والإسلام باللسان والحسام ، أما هارون فكان ترجماً عند موسى .

٣٦- ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِالدَّلِيلِ الْفَاطِعِ قَالُوا : سَاحِرٌ مَآكِرَ . ﴾

تَسْطُلُونَ ﴿ فَلَمَّا أَنهَا نُوْدِي مِنْ شَطِيطِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ ﴾
فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمُوسَى إِنْ أَنَا اللَّهُ
رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا
جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَرَّى يَعْصَبُ يَمُوسَى أَقْبَلَ وَلَا
إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿ أَسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ
بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَصْنَمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ
فَدَلَيْكَ بِرَهْنَانٍ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا
قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا
فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْضَلُ مِنِّي
لِسَانًا فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنْ أَخَافُ أَنْ
يُكَذِّبُونِ ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَ
سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكَ يَقَابِلْنَا أَنْتَ وَمَنْ أَتَّبَعَكَ

إشارة:

قيل : ان هارون أكبر من موسى بثلاث سنين . ولا ندري كيف نجا من الدبح ، وغير بعيد ان هارون وقد قيل أن يأمر فرعون بذبح كل مولود يولد لبي اسرائيل . وفي التوراة الاصحاح ٣٢ من سفر الخروج ان هارون هو الذي صنع العجل لبي اسرائيل ، وبني له مذبحاً ، وليس السامري كما جاء في الآية ٩٦ من سورة طه .

الإعراب :

ردءاً حال من الهاء في أرسله .

الْغَلْبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ
قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا جَحْرٌ مُفْتَرٍ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا
الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا جَاءَ بِهَٰذِهِ
مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ
الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ بَنَاتِيَا أَلَمُلَا مَا عَلِمْتُ لَكُمْ
مِنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْنَمُنْ عَلَى الظِّلِّينِ فَاجْعَلْ لِي
صَرْحًا لَعَلِّي أَطْلُعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ
الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَاسْتَكَبَرَهُ وَجُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ
الْحَقِّ وَظَنُوا أَنَّهُمُ إِلَيْنَا لَارْجِعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ
وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ
الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً

٣٧- ﴿ وقال موسى ربى أعلم ﴾ أبداً لا شيء إلا الله
إلا الدين والعقيدة ... إلا راحة الضمير والوجدان ... ماني
وللناس ، كل الناس ، حتى الملوك منهم والمتألهين ، الله
أعلم وكفى كما قال له الرسول الأعظم : إن لم يكن بك غضب
على فلا أبالي ، وعلى الإمام المقدم : صانع وجهاً واحداً يكفك
الوجوه كلها ، والحسين الشهيد الأكرم : ماذا فقد من وجدك ؟
وما وجد من فقدك ؟

٣٨- ﴿ وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من
إله غيري ﴾ قال هذا لأنه وجد من يصدقه بنص الآية ٥٤ من
الزخرف : « فاستخف قومه فأطاعوه » وأكثر الناس يتفرعون
لو وجدوا أعواناً ﴿ فأوقد لي يا هامان على الطين ﴾ برجاً
عالياً ، أصعد منه إلى السماء ، أبحت عن إله موسى ... ولم
يستجب هامان فيما نظر ، لأنه على يقين من مكر فرعون
وتدليس ، وأي عاقل يحاول البناء إلى ما لا نهاية ؟ وهل للسماء
والقضاء من حد ؟ وعلى أية حال فإن فرعون لما عجز عن مجابهة
الحجة بالحجة موه على شعبه الجهول بأنه سيفعل شيئاً ولن
يسكت ، شأنه في ذلك شأن الأدعياء والزورين .

٣٩- ﴿ واستكبر هو ﴾ أي فرعون ﴿ وجنوده في
الأرض ﴾ تعاطفوا فيها وتعالوا واستبدوا وأفسدوا والسبب
الأول والأخير أنهم لا يؤمنون بدين ولا بمبدأ وضمير ... أبداً
لا بشيء إلا بأنفسهم ومنافعهم ، ولذا أخذهم سبحانه أخذ
عزيز مقتدر .

٤٠- ﴿ فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم ﴾ أغرقهم
سبحانه في نفس البحر الذي ألقته فيه أم موسى وليدها خوفاً من فرعون وشياطينه ﴿ فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ﴾
فكر واعتبر واحذر المفاجآت والمخبات . قال الإمام علي (ع) : « من حذرك كمن بشرك » وما بعد القرآن من محذر ومبشر .

٤١- ﴿ وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ﴾ صمموا وأصروا على الكفر والفساد حتى حكمنا عليهم بأنهم أصبحوا
دعاة وقادة إلى نار جهنم كما قال سبحانه عن فرعون في الآية ٩٨ من هود : « يقدم قومه يوم القيامة فأوردتهم النار وبش
الورد المورود » .

٤٢- ﴿ واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ﴾ لعنة الله ولعنة

الإعراب :

من إله (من) زائدة إعراباً وإله مفعول علمت، وغيري صفة له.

اللاعنين عليهم وعلى كل مضل مفسد وكل مرء حاسد ﴿٤٠﴾ ويوم القيامة هم من المقيوحين ﴿٤١﴾ المخزين المهلكين بنار الجحيم .

٤٣- ﴿٤٢﴾ ولقد آتينا موسى الكتاب ﴿٤٣﴾ التوراة ﴿٤٤﴾ من بعد ما أهلكنا القرون الأولى ﴿٤٥﴾ وهم فرعون وملاء وغيرهم من استحققت عليهم كلمة الهلاك .

٤٤- ﴿٤٦﴾ وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ﴿٤٧﴾ يشير سبحانه بهذا إلى الدليل القاطع على نبوة محمد وصدقه ، وخلاصته أن محمداً (ص) قد أخبر وحدث بكل ما جرى لموسى وعليه بالتفصيل وعلى طبق الواقع حتى كان قد رأى وقد سمع علماً بأنه ما رأى ولا سمع ، وإذن هناك سر ، وهو أن كل ما قاله محمد (ص) عن موسى ، وحي من السماء ، ويستحيل أن يكون إلا وحياً إلهياً لأن محمداً ما شاهد موسى ولا كان معه على الطور ، ولا قرأ ذلك في كتاب أو سمعه من محدث ، ومثل هذه الآية قوله : « وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم - ٤٤ آل عمران » .

٤٥- ﴿٤٨﴾ ولكننا أنشأنا قروناً فتطاول عليهم العمر ﴿٤٩﴾ قروناً : أمماً ، وتطاول : طال ، والعمر : الأمد ، والمعنى خلقنا قبلك أمماً يا محمد ، وأرسلنا إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين ولكن الأمم بعد الأنبياء كانت تتسى الرحي أو تحرفه ، وقد طال أمد ذلك حتى أصبح الناس في جاهلية جهلاء ، واحتاجوا إلى نبي يخرجهم من الظلمات إلى النور ، فأرسلناك لهذه الغاية ، وأيضاً أنت تخبر وتبين ما نزل من الرحي على العديد من الرسل ، وما جرى لهم وعليهم ﴿٥٠﴾ وما كنت ثاوياً ﴿٥١﴾ مقيماً ﴿٥٢﴾ في أهل مدين تلو عليهم آياتنا ﴿٥٣﴾ لقد أخبرت الناس يا محمد عن مدين وأهلها ونبيها وما قال لهم وقالوا لهم علماً بأنك ما ذهبت إلى مدين داعياً إلى الله ولا كنت فيها مع نبيهم وإذن فمن أين أتاك العلم بذلك ؟ أجاب سبحانه بقوله ﴿٥٤﴾ ولكننا كنا مرسلين ﴿٥٥﴾ أي نحن بعثناك رسلاً ، وأوحينا إليك بذلك لتخبر الناس به لعلهم يتذكرون ويؤمنون بأن ما تقوله هو وحي من الله ﴿٥٦﴾ وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى ﴿٥٧﴾ ولا فرق بينهما إلا وهذه الآية في محتوى الآية المذكورة قبل لحظة وهي « وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى » ، وفي معناه « وما أرسلناك في اللفظ والمعنى ، وتكرار المعنى بأساليب شتى من دأب القرآن الكريم ﴿٥٨﴾ ولكن رحمة من ربك ﴿٥٩﴾ وفي معناه « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - ١٠٧ الأنبياء » ﴿٦٠﴾ لتتلوا قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك ﴿٦١﴾ في أمد معين ، كما قال سبحانه في الآية ١٩ من المائدة « قد جاءكم رسولنا بين لكم على فترة من الرسل ٤٧١- ﴿٦٢﴾ ولولا أن نصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم ﴿٦٣﴾ لولا هنا للامتناع ، والمعنى أرسلنا إلى الناس رسلاً مبشرين ومنذرين لنقيم عليهم الحجة وقطع عنهم الأعدار حين نصيبهم مصيبة العذاب عند الحساب والعقاب في يوم القيامة ﴿٦٤﴾ فيقولوا ربنا ﴿٦٥﴾ لولا أرسلت إلينا رسلاً فنتبع آياتك ﴿٦٦﴾ لولا هنا للسؤال والطلب ومثل هذه الآية قوله تعالى : « ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله - أي قبل الرسول - لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسلاً فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى - ١٣٤ طه » .

٤٨- ﴿٦٧﴾ فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا ... ﴿٦٨﴾ هذه الصورة القرآنية تعكس واقع المشاكسين والمعاكسين لكل حق وخير : ان لم يأتهم رسول قالوا : لو أتى الرسول ، وان أتى الرسول قالوا : لو كان كذا وكيت ! وفي الآية ٢٤٦

وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَافٍ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤١﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِمَّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ وَلَوْلَا أَنْ نُصِيبَهُمْ مُصِيبَةً بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيَهُمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أَوْنِي مِثْلَ

من البقرة : « قالوا لنبي لهم ابث لنا ملكاً يقاتل في سبيل الله ... فلما كتب عليهم القتال تولوا » ﴿ أولم يكفروا بما أوتي موسى ﴾ قال المعاندون لمحمد (ص) : لو جئت بعضا كما جاء موسى فأجابهم سبحانه بأن أمثالكم كفروا بموسى وعصاه ، ولو جاء بها محمد لكفرتم به ، وتعلمتم بالأباطيل كما فعل الأولون . ﴿ قالوا سحران تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون ﴾ سحران : القرآن والإنجيل المنزل على عيسى أو التوراة المنزلة على موسى : وتظاهرا : تعاونا ، والمعنى قال المجرمون المعاكسون : نكفر بالقرآن والإنجيل ، لأن كلا منهما سحر ومكر بعضد أحدهما الآخر .

٤٩- ﴿ قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه ﴾ إن تلك الكتب السماوية شرأ وضلالاً كما ترعمون ، فأتوا بكتاب خير وهداية ونحن معكم ، إن كنتم صادقين .

٥٠- ﴿ فإن لم يستجيبوا لك ﴾ ولن يستجيبوا ، فقد تحدى القرآن بكل ما فيه البشرية على مدى العصور والأجيال وإلى آخر يوم ، فأين الداحض والناقض بمنطق الحس والعقل ؟ بل على العكس فقد شهد بعظمة القرآن أقطاب الفكر في هذا العصر من غير المسلمين ، وقتلنا طرفاً منها في هذا الوجيز وغيره مما نشرنا ﴿ فاعلم ﴾ أن الذين يكذبون بالقرآن ﴿ إنما يتبعون أهواءهم ﴾ بلا حجة ودليل .

٥١- ﴿ ولقد وصلنا لهم القول ﴾ وهو التحدي ، ومنه « فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار - ٢٤

البقرة - ٥٢- ﴿ الذين آتيناكم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ﴾ يعلن القرآن على الأجيال أن علماء أبراراً من اليهود والنصارى قد آمنوا بمحمد والقرآن ، وليس هذا إخباراً عن الغيب . بل عن شيء مادي محسوس وملحوس ، فلماذا يخرس المكذبون بالقرآن ولا يقولون : هذه دعوى بلا أساس ؟

٥٣- ﴿ وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق ﴾ إذا تلى القرآن الكريم على العلماء الأبرار من أهل الكتاب ، يؤمنون بمحمد (ص) لأنهم قرأوا أوصافه في توراة موسى وإنجيل عيسى ، والحق باب من أبوابه تعالى يفتح له لكل من طلب الحق بقصد العمل به ﴿ انا كنا من قبله مسلمين ﴾ بمحمد (ص) لأنهم يؤمنون بالتوراة والإنجيل والإيمان بهما إيماناً بمحمد « الذين يتبعون الرسول الأمي الذي يجعلونه مکتوباً عندهم في التوراة والإنجيل - ١٥٧ الأعراف .

٥٤- ﴿ أولئك يؤتون أجراً مبرتين ﴾ : مرة على إيمانهم بالتوراة والإنجيل الصحيحين ، ومرة على إيمانهم بالقرآن صابرين على أذى السفهاء والمجرمين في سبيل الحق ﴿ ويدعون بالحسنة السيئة ﴾ لا يقابلون السيئة بمثلها ، بل يتزهدون ويصفحون ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ لوجه الله لا للسمعة وحياً بالشهرة .

٥٥- ﴿ وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا

مَا أوتِيَ مُوسَىٰ ۖ أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ۚ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ فَاتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥٠﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمِنْ أَضَلِّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ * وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٢﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٤﴾ أُولَٰئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ

وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ لَا تَبْتَغِ
الْجَاهِلِينَ ﴿٥٦﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ
يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا إِنْ
تَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ تَنْتَخِطُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَرْتَمِكُنْ لَهْمُ
حَرَمًا أَمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ فَمَرَّتْ كُلُّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا
وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٨﴾ وَكَرَّ أَهْلُكَا مِنْ قَرْيَةٍ
بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَنَلَّكَ مَسْكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ
إِلَّا قَلِيلًا وَكَأَنَّ الْوَارِثِينَ ﴿٥٩﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ
الْقُرَى حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا عَلَيْهِمْ ءَايَتِنَا
وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا أَوْتِيتُمْ
مِنْ شَيْءٍ فَفَتَحَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ
وَأَبْقَىٰ أَفْلا تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا

ولكم أعمالكم سلام عليكم لا تبغى الجاهلين ﴿٥٦﴾ ان وقتنا
أعز وأثمن من اللغو والعبث ، ومن مخاطبة السفهاء ومخالطتهم
في شيء ، وكل من يادر إلى الكلام بما يخطر على ذهنه أو
يتكلم بما لا ينفع ويقول بما لا يعلم فهو أحمق . فكيف إذا
أساء إلى الناس بسفاهته وسفاته .

٥٦- ﴿٥٦﴾ انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي
من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ﴿٥٧﴾ كل شيء بيد الله تعالى ومشيته
حتى مع وجود سببه الكافي الوافي الذي لا يفصل عنه السبب
بحال ، لأنه تعالى هو خالق الأسباب وإليه ينتهي كل شيء ،
ولكنه تعالى لا يشاء ولن يشاء إلا بموجب علمه وحكمته لأن
العبث والشبهة والمجازفة تستحيل في حقه ، وعليه يكون معنى
الآية أنت يا محمد تريد الهداية لكل الناس القريب منهم
والبعيد ، ولكن العديد من الناس لا يريدونها ، وأيضاً الله
لا يريد الهداية ممن يابأها ويعرض عنها ، بل يريد بها ممن
علم فيه الخير والرغبة في الهداية والسعي وراءها ، ولذا ختم
الآية بقوله تعالى : « والله أعلم بالمهتدين » أي يهدي من يشاء
بموجب علمه بأن هذا العبد يريد الهداية ويسلك سبيلها حقاً
وواقعاً ، ولا يشاء الهداية سبحانه عبثاً وجرافاً ، ومثله تماماً
الآية ٢٣ من الأنفال : « لو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم »
أما الحكمة في أن الله سبحانه لا يريد الهداية إلا ممن أرادها
فهو أن مفهوم الدين لا يمكن أن يتحقق بحال إلا مع الإرادة
والرضا التام ، لأن من أخص خصائص الدين أن يتحمل
الإنسان مسؤولية عمله ، ولا مسؤولية مع الجبر والإكراه .

٥٧- ﴿٥٧﴾ وقالوا ان تبع الهدي معك تنتخط من أرضنا ﴿٥٨﴾ قال بعض مشركي مكة للرسول : ان دعوتك هدى وحق ،
ولكن العرب يابونها ويفرون منها ، فلو آمننا بها واتبعناك لتألبوا علينا ، وأهلكونا بالقتال ﴿٥٩﴾ أولم تمكن لهم حرماً آمناً يجيى
إليه ثمرات كل شيء ﴿٦٠﴾ لا حجة في هذا العذر ، لأن الحرم المكي في أمن وأمان من الحرب والقتال ومن الجوع والحصار .
٥٨- ﴿٥٨﴾ وكما أهلكنا من قرية ... ﴿٥٩﴾ ما لكم ؟ تمردون وتعاذلون الله ورسوله ، ألا تنتظون بالهالكين من قبلكم ؟
عصوا وتمردوا ، فأهلكناهم وتلك ديارهم خالية وآثارهم عافية .

٥٩- ﴿٥٩﴾ وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أممها ﴿٦٠﴾ أي أخبرها أو عاصمتها كمكة آنذاك ﴿٦١﴾ رسولاً
يتلو عليهم آياتنا ﴿٦٢﴾ والرسول هنا يعم ويشمل النبي والعقل والكتاب السماوي والسنة المعصومة ، وتقدم في الآية ١٥ من
الإسراء .

٦٠- ﴿٦٠﴾ وما أوتيتم من شيء ففتح الحياة الدنيا وزينتها ﴿٦١﴾ ولا فجوة بين الآخرة وزينة الحياة الدنيا إن تلك حلالاً ﴿٦٢﴾ وما
عند الله خير وأبقى ﴿٦٣﴾ لأن نعيم الدنيا زائل ونعيم الآخرة دائم .

٦١- ﴿٦١﴾ أفمن وعدناه وعداً حسناً ... ﴿٦٢﴾ وعد سبحانه المتقين بالنعيم ، والعصاة بالجحيم ، وهو منجز وعده لا محالة
فمن هو الراجح عدأ ؟

٦٢- ﴿ وَيَوْمَ يَنَادِهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ ﴾ أين الآلهة التي كنتم تعبدون ؟ هل ينصرونكم أو ينتصرون ؟ .

٦٣- ﴿ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ﴾ بالعذاب : ﴿ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ ﴾ إشارة إلى الأتباع الضعاف ﴿ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا ﴾ أغويانهم كما غوينا ﴿ وَمَعْنَى الْآيَةِ بِجَمَلَتِهَا أَنَّ أَقْوِيَاءَ الشَّرِّكَ وَالْبَنِي يَقُولُونَ غَدًا اللَّهُ بِكُلِّ صِرَاحَةٍ : نَحْنُ دَعَوْنَا هَؤُلَاءِ الضَّعَافَ إِلَى الْغَوَايَةِ فَاسْتَجَابُوا وَغَوُوا وَالَّذِي دَفَعْنَا إِلَى غَوَايَتِهِمْ هُوَ غِيَا وَشَقَاؤُنَا تَمَامًا كَمَا قَالَ إِبْلِيسُ : « رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لِأُزَيِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ - ٣٩ الْحَجَرِ » وبعد هذا الاعتراف الصريح من طغاة الشر والشرك قالوا : ﴿ تَبَرَأْنَا إِلَيْكَ ﴾ يا إلهنا من هؤلاء الأتباع ﴿ مَا كَانُوا إِيمَانًا يَعْلَمُونَ ﴾ بل دعوناهم إلى الغواية والضلالة فاستجابوا وهم يملكون القدرة على طاعتك ومعصيتنا .

٦٤- ﴿ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ﴾ القول في الآية السابقة موجّه للمتبوعين ، أما القول هنا فوجه للتابعين .

٦٥- ﴿ وَيَوْمَ يَنَادِهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجْنَبْتُمُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ألقينا الحجة عليكم فمعيتم ، فإِذَا هُوَ عَذْرُكُمْ ؟

٦٦- ﴿ فَمَعِيتَ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ ﴾ أي الحجج ، فلا يدرون ما يقولون ﴿ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ يسأل بعضهم بعضاً : هل من حجة وجواب ؟

٦٧- ﴿ فَأَمَّا مَنْ تَابَ ﴾ من الشرك والبنی ﴿ وَآمَنَ ﴾ بالله واليوم الآخر ﴿ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ فلا خوف عليه .

٦٨ - ٧٠- ﴿ وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾ ما شاء كان وما لم يكن ﴿ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾ لا أحد يملك مع الله

اللغة :

حق عليهم وجب عليهم . والمراد بالقول هنا العذاب . والغواية الضلال فمعيتم خفيت . والمراد بالأنباء الأجرية والاعذار . والخيرة الاختيار .

الإعراب :

هؤلاء مبتدأ والذين أغويانهم صفة ، وأغويانهم كما غوينا خبر . وإيماننا مفعول مقدم ليعلمون .

فَهُوَ لَنَقِيبِهِ كَمَنْ مَتَعْنَهُ مَتَعَ الْخَيْرَةُ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ
الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦٢﴾ وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ
شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ
الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا
تَبَرَأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيْمَانًا يَعْبُدُونَ ﴿٦٤﴾ وَقِيلَ ادْعُوا
شُرَكَاءَكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ
لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٥﴾ وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا
أَجْنَبْتُمُ الْمُسْلِمِينَ ﴿٦٦﴾ فَمَعِيتَ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ
فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٧﴾ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ
صَالِحًا فَعَدْنِي أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ
مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَنَ اللَّهِ وَتَعَالَى
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٩﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ

شيئاً كي يشاء ويختار ﴿وله الحكم﴾ وحده ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون والظالمون والقاسقون كما في الآية ٤٤ و٤٥ و٤٧ من المائدة .

٧١-٧٢- ﴿قل أرأيتم﴾ أخبروني ﴿ان جعل الله عليكم الليل سرمداً﴾ دائماً ، الليل للقرار والسكن ، والنهار للمعاش والعمل ، ولو دام الليل أو النهار لما قام للحياة قائمة .

٧٣- ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار﴾ واضح ، وتقدم في الآية ١٢ من الإسراء .

٧٤- ﴿ويوم يناديهم فيقول أين ...﴾ تقدم بالحرف الواحد في الآية ٦٢ من هذه السورة ، والغرض من هذا التكرار مجرد التخويف من يوم كان شره مستطيراً .

٧٥- ﴿ونزعنا من كل أمة شهيداً﴾ يشهد بتبليغ الفرائض والشرعية ، وانهم أعرضوا وعاندوا بعد إقامة الحجة وتقدم في الآية ١٤٣ من البقرة ﴿فعلموا أن الحق لله﴾ وأن الحجة عليهم قائمة ولازمة .

٧٦- ﴿إن قارون كان من قوم موسى﴾ ومؤمناً به ، ثم ارتد عن دينه ، وكان ذا نراه فاحش وقدره وفطنة ﴿فبغى عليهم﴾ بالتكبر والبذخ ﴿وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه

وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٣٨﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَضِيءٌ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٤٠﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَلْبَلٌ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٢﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٤٣﴾ وَتَزَعَّانِ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدٌ فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٤٤﴾ * إِنَّ قُلُوبَكُمْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ

إشارة: الحكمة من الليل والنهار

لا بد للإنسان من العمل والراحة بالنوم ، والعمل يحتاج إلى ضياء ، والنوم في الظلام أعمق وأصح للجسم ، فخلق سبحانه النهار للعمل ، والليل للراحة ، وقد ذكر ، جلت حكمته ، عباده بنعمة الليل والنهار ، وانه لو استمر الليل بلا صباح ، أو النهار بلا ليل لكانت الحياة إلى بوار .

الإعراب :

غير الله صفة لإله . وفي معنى ابن هشام ان جماعة من النحاة ، منهم الأخفش والكسائي قالوا: أن لعل تأتي بمعنى كي مثل لعلكم تشكرون . وهاتوا اسم فعل بمعنى قلموا .

لنتوء ﴿ تنقل ، يقال : ناء به الحمل إذا أثقله ﴾ بالعصبة ﴿ الجماعة يتعصب بعضهم لبعض ﴾ إذ قال له قومه لا تفرح ﴿ كل الناس يسرون ويفرحون تماماً كما يتألمون ويحزنون لأن الحزن والفرح طبيعة وغريزة في الإنسان ، وعليه فلا يسوغ النهي عن الفرح إلا إذا أدى إلى جريمة ورذيلة كالغبي والعبدان ، والمباهاة والمضاهاة ، والتبذير والإسراف .

٧٧- ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾ اجمع بين الدنيا والآخرة ، فلا تناقض وتضاد بينهما ، بل هما شيء واحد في الحكم إذا كانت الدنيا قوة ودعامة للدين ، وذلك بأن تحسن إلى عباد الله وعياله بما ﴿ أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض ﴾ بما أنعم الله عليك ، وأن لا تغير بالحياة الدنيا ﴿ فكم من مستدرج بالإحسان إليه ، ومغرور بالستر عليه ، ومفتون بحسن القول فيه ! وما ابتلى الله أحداً بمثل الإملاء له ﴾ كما قال الإمام أمير المؤمنين (ع) .

٧٨- ﴿ قال إنما أوتيته على علم عندي ﴾ هذا المال والنجاح الذي هو فيه ، من موهبه ومهارته ، وليس لله ولا لغير الله فيه يد ومشئته ... وهكذا يبعث الغنى والمال الطائل الشعور في نفس الخسيس اللئيم بأن له الفضل والتفوق على خلق الله وعياله ﴿ أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله ﴾ من هو أقوى وأغنى من قارون ، أمهله الله حتى إذا طمع وأمن المواقب أخذه أخذ عزيز مقتدر ﴿ ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون ﴾ الذين يتعالون ويفسدون ويظلمون الناس ولا يشتهون ، فهؤلاء وحدهم يدخلون النار بلا حساب ، أما سائر المجرمين فإنهم يعرضون لنقاش الحساب .

٧٩- ﴿ فخرج ﴾ قارون ﴿ على قومه في زينته ﴾ في مراكيبه وركائبه وخدمه وحشمه ، يعرض على الناس ثراه وكبرياه تحدياً للذين نصحوه بالإعتدال ﴿ قال الذين يريدون الحياة الدنيا ﴾ ويأمنون المواقب : ﴿ يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون ﴾ ليغرقوا في الشهوات والملذات .

٨٠- ﴿ وقال الذين أوتوا العلم ﴾ بالله وأنه يهمل ولا يهمل : ﴿ ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ﴾ وفي الحديث الشريف : « يقول الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » .

٨١- ﴿ فحسبنا به وبداره الأرض ... ﴾ قال الإمام علي (ع) : « رب مغبوط في أول النهار قامت بواكيه في آخره » ، وأيضاً قال : « ما قال الناس لشيء طوبى له إلا وقد خيأ له الدهر يوم سوء » والعكس صحيح ، فكم من ضعيف أصبح قوياً وفقير صار غنياً ! والعاقلة لا ييأس من أجل ولا يفرح بما جلت .

مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِن مَفَاحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ
إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٧﴾
وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ
مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ
الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ
إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ
أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مَنَ الْقُرُونِ مَن هُوَ أَشَدُّ قُوَّةً وَكثُرَ
جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَخَرَجَ عَلَى
قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا
يَلْبِثْ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٨٠﴾
وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَن ءَامَنَ
وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨١﴾ فَحَسْبُنَا بِهِ

وَبَدَارِهِ الْأَرْضُ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ
دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْصَرِّينَ ﴿٨٢﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ
تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَانَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ
لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا
لَخَسَفَ بَنُو وَكَانَهُمْ لَا يَفْلَحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾ تِلْكَ
الْدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يَرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ
وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٤﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ
فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا
السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ إِنْ الَّذِي فَرَضَ
عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ
بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٨٦﴾ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو
أَنْ يُلَاقِيَ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ

٨٢- ﴿ وَأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس . يقولون
وي ﴾ كلمة تعجب لا محل لها من الإعراب ، شاهد ضعفاء
العقول دائرة السوء تدور على رأس الطاغية قارون ، فأدركوا
الحقيقة ، وحمدوا الله الذي لم يؤتهم مثل ما أوتي الطغاة ، وإلا
أصابهم ما أصابهم من النكبات والمخبات . وفي نهج البلاغة :
فكم من منقوص رابع ، ومزيد خاسر . ومن هنا قيل : الأمور
بخواتيمها .

٨٣- ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون
علوًّا في الأرض ولا فسادًا ﴾ لا يتعالون على عباد الله ، ولا
يتحكمون بهم ، ولا يفسدون فيهم بالعدوان والسلب والنهب .
وقال الإمام علي (ع) برواية الشيخ الطبرسي : من يعجبه
أن يكون شريك نعله أجود من شريك نعل صاحبه فيدخل تحتها .
٨٤- ﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها ﴾ الواحدة
بعشر أمثالها ﴿ ومن جاء بالسئنة ﴾ فواحدة بواحدة ، وقد
يعفو ويصفح ، وتقدم في الآية ١٦٠ من الأنعام .

٨٥- ﴿ إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد ﴾
يقول سبحانه لنبيه الكريم : إن الذي أوجب عليك أن تعمل
وتذكر بالقرآن هو الذي سيردك إلى مكة التي أخرجك منها
قومك . وقيل : المراد بالمعاد هنا الجنة لأن السورة هذه مكية
وأي مانع أن تكون السورة مكية ما عدا هذه الآية ؟

﴿ قل ري أعلّم من جاء بالهدى ﴾ قل يا محمد للذين لا
يقتنعون منك بحال ، ويصرون على معاندتك والصد عن
دعوتك بلا هوادة : الله وحده هو الذي يميز المحق من المبطل

والضال من المهتدي ، وسوف تعلمون لمن عقبى الدار .

٨٦- ﴿ وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك ﴾ كيف يقال عنك يا محمد : إنك تفتري
على الله بادعاء الرسالة مع أنها لم تمر بخاطرك من قبل إطلاقاً ولكن الله سبحانه هو الذي أنعم عليك بالنبوة والقرآن ؟ ﴿ فلا
تكونن ظهيراً للكافرين ﴾ الخطاب في هذه الآية وما بعدها للنبي (ص) والظاهر : المعين أما الكافرون فالمراد بهم هنا
كل من جحد الحق وعانده ، والمعنى لا تهادن أعداء الحق وتسكت عنهم لأن الساكت عن الحق شيطان أخرس .

اللغة:

فرض أوجب . والمراد بمعاد هنا بلدة الرسول الأعظم (ص) وهي مكة . وظهيراً معنياً .

الإعراب :

ويي كلمة تعجب ولا محل لها من الإعراب .

ظَهيراً لِلْكَافِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ ءَابِئِ اللَّهِ
بَعْدَ إِذْ أَنْزَلْتَ إِلَيْكَ وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ ﴿٣٩﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً ءَاخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ
تَرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾

(٢٩) سُورَةُ الْعَنْكَرِ مَكِّيَّةٌ
وَأَنبَأَنَا لِنُفُوحٍ وَسُيُونٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَ ﴿١﴾ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا
وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾

٨٧- ﴿ وَلَا يَصُدُّكَ ﴾ بضم الدال مع التشديد ،
أي ذكر يا محمد بالقرآن ، وإن حاول المجرمون أن يصدوك
عن وظيفتك هذه ، فإن الله مظهرك وناصرك عليهم ﴿ وادع
إلى ربك ﴾ ببيان وتفسير لقوله تعالى : وَلَا يَصُدُّكَ ... ﴿ وَلَا
تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً ءَاخَرَ ﴾ هذا
تنزيه لله عن الشرك بصيغة النهي أي لا تسوغ العبادة إلا لله
وحده ، ولا الخوف إلا منه ، ولا التوكل إلا عليه . وهو سبحانه
المسؤول أن يهبنا صدق المتوكلين عليه وخوف المخلصين له
بمحمد وآله الطاهرين ، عليهم أزكى الصلوات .

سُورَةُ الْعَنْكَرِ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿ أَلَمْ ﴾ تقدم في أول البقرة .

٢- ﴿ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ
لَا يُفْتَنُونَ ﴾ لا يبتلون ويمتحنون بالضراء والسرء ، وخلاصة
المعنى أن الإيمان ليس لمعاً على اللسان ، ولا صورة وشكلاً ،
ولا تسبيحاً وتهليلاً على عدد حبات المسابح ، وإنما هو فعل
الواجب وترك الحرام ، وعلى سبيل المثال : إن كنت غنياً أديت
حق الله والناس من أخماس وزكوات عن طيب نفس ، وإن
كنت فقيراً لم تبع دينك للشيطان ، ورضيت بأي عمل ..
الأعمال المحللة السائقة لسد الحاجة والجوعة .

٣- ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ وجاء في التفسير
أن هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر وغيره من المذنبين على
الإسلام ، والقصد منها أن يوطنوا النفس على الأذى من أجل الحق ، ويتألموا الدرجات عند الله ، ويؤيد هذا قوله تعالى
بلا فاصل : « وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ » أي من قبل المذنبين على الإسلام فصبروا صبر الأحرار ﴿ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ
صَدَقُوا ﴾ الله يعلم الصادقين والكاذبين لأنه يعلم ما هو كائن وما كان وما يكون وما لا يكون ، ولكن لنظهر الأفعال التي
يستحق عليها الإنسان الثواب والعقاب .

اللغة:

لا يفتنون لا يمتحنون . يرجو لقاء الله يؤمن بحسابه وجزائه بعد الموت . وأجل الله الوقت المعين عند الله لهذا اللقاء . جاهداك
حرصاك مجتهدين .

الإعراب:

حسب تحتاج إلى مفعولين ، والمصدر من ان يتركوا ساذ مسدداً . والمصدر من ان يقولوا بدل من مصدر أن يتركوا . فليعلمن تحتاج إلى
مفعول واحد لأنها بمعنى ليميزن واللام للتمييز .

٤- ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا﴾
أن يمتنعوا منا بهرب أو حصن أو حيلة ؟ .

٥- ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَكَ﴾
من آمن باليوم الآخر وعمل له ، فإيمانه حق وصدق ، وعمله
خير وأجر ، وسرى ذلك لا محالة ، وكل آت قريب .

٦- ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ الله يقول ،
والعقل يقول ، والقطرة والناس والأديان والشرائع كلها تقول :
ليس للإنسان إلا ما سعى . أما العمل والتفكير فكل يعمل على
شاكلته أو منفعة أو دينه وعقيدته وإنسانيته . وما ربك بغافل
عما يعملون .

٧- ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ﴾
سيئاتهم ﴿هَذِهِ آيَةٌ تَخْتَصُّ بِمَنْ كَفَرَ أَوْ أَذْنَبَ﴾ ، ثم ندب
وتاب ، فيغفر سيئاته عما سلف ، ويزيده من فضله ، ومن
عاد فينتقم الله منه .

٨-٩- ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَسَنًا﴾ الوالد
يحسن إلى ولده بالإتفاق والإشفاق ، لا يريد منه جزاء ولا
شكوراً ، وكل الذي يبتغيه أن يكف أذاه عنه ، وهذا وحده
في عصرنا من أحسن الإحسان ﴿وَأِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي﴾
ما ليس لك به علم فلا تطعهما ﴿إِنْ كُنْتَ مُوحِداً﴾ ، وكان
أبواك مشركين ، وحرصاك على دينهما فاباك وإياهما ، وفيما
عدا ذلك لا تغضبهما ﴿إِنِّي مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ﴾
تعملون ﴿حَسَابَ الشُّرَكَ وَالْكَفَرِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا لَوْلَادَ أَوْ﴾
ولد ولا لشريك أو خوري .

١٠-١١- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ وماهو من الإيمان الحق في شيء ، ولكن إبليس حاك له خرافة
على منواله ، وصيغها بلون الإيمان وشكله ، وباعها لأبله مسكين ، فانطلت عليه الحيلة ، وأخذ ينشر ويذيع من مثله
إيماناً بوحى من الشيطان وهو على يقين بأنه من إملاء الدين أو كيف يكون من الدين وما دخل العجب شيئاً إلا أفسده وأهلكه ،
وفي الحديث : لولا العجب ما ابتلى المؤمن الحق بذبذب . وفي ثان : ضحكك وأنت خائف أفضل من بكائك وأنت
مدل ، إن المدل لا يصعد من عمله شيء ﴿فَإِذَا أَوْفَى فِي اللَّهِ ...﴾ يذهب إيمانه مع الريح ، لأنه مجرد لون ومظهر
﴿وَلَنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ﴾
﴿تَقْدِمُ فِي آيَةِ ١٤١ مِنَ النَّسَاءِ .

الإهراء :

سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (سَاءَ) بمعنى قبيح و(مَا) مصدرية ، والمصدر المنسبك فاعل ساء أي قبح حكمهم . وحَسَنًا صفة للمعول مطلق محذوف
أي ووصيئناه ايضاً حَسَنًا . وما ليس (مَا) اسم موصول مفعول لتشرك .

١٢- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾ قال الذين كفروا بمحمد (ص) للذين آمنوا به : ما أمتنم به إلا خوفاً من نار جهنم ، ارتدوا عن دينه إلى ديننا ، ونحن نحمل العذاب عنكم . قالوا هذا سآخرين من خرافة النشر والحرش ﴿وما هم بحاملين﴾ أبداً لا أحد يحمل على أحد ، كل امرئ وما كسب .

١٣- ﴿وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ كل من ضلّ وأضلّ آخرين بيوم يوزرين : وزر نفسه ، وزر من اغتر به دون أن ينقص من وزر هذا شيئاً .

١٤- ١٥- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ قيل : هذه تسلية من الله لمحمد (ص) أن لا يأسف ويحزن لإعراض من أعرض عنه ، فإن نوحاً مكث في قومه يدعوهم ليلاً ونهاراً فما زادهم ذلك إلا فراراً ، وتقدم الحديث عن نوح مرات منها في الأعراف ومود والشعراء .

١٦- ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ...﴾ دعا إبراهيم (ع) إلى التوحيد ، ولاقي الكثير في سبيل دعوته حتى ألقي في النار ، وما زاده ذلك إلا قوة وصلابة في دينه وحزماً وثباتاً على ثورته وقال لقومه من جملة ما قال :

١٧- ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ يتبتدون أشياء لا أساس لها إلا الجهل والضلال .

اللَّهُ يَأْعْلَمُ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿وَلِيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلِيَعْلَمَنَّ الْمُنْكَفِرِينَ﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَاهُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ﴿وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلِيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَبَ السَّيْفِينَةَ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ

إشارة:

يدل ظاهر الآية بوضوح ان نوحاً عاش ٩٥٠ عاماً ، والعقل لا يأتى ذلك ، فوجب التصديق أما التعليل بأن عدد البشرية كان قليلاً يومذاك ، والنسل كان معدداً ، وأنه كلما قل العدد والنسل طالт الأعمار ، كما قال بعض المفسرين الجدد ، أما هذا التعليل ونحوه فلا يصح الركون اليه في تفسير الوحي أو توجيهه . . وفي قاموس الكتاب المقدس ان نوحاً اسم سامي ، ومعناه وراحة ، وأبوه هو الذي سماه بذلك .

الإعراب :

لنحمل اللام للامر ولذا جزم الفعل . ويحملين الباء زائدة . ومن خطاياهم (من) للتبعيض . ومن شيء (من) زائدة وشيء مفعول حاملين ، ومن خطاياهم متعلق بمحذوف حال مقدّم من شيء ، والأصل وما هم حاملين شيئاً من خطاياهم . وألف سنة ظرف زمان منصوب بلبث . وخمسين منصوب على الاستثناء . وعاملاً تمميز .

١٨- ﴿وَإِنْ تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَبَ أُمٌّ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾
وبلغكم ما حلَّ بهم من بوار ودمار .

١٩- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يَخْلُقُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾
أما الخلق الأول فتذكره بالحس والعيان ، ونحن منه والخلق الثاني نذكره بالعقل ، لأن الذي أحيأ وأمات يهون عليه أن يحيي الأموات بحكم البديهة .

٢٠- ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾
أي من لا شيء مادي ، بل بكلمة « كن » وإلا لما وجد شيء إطلاقاً ، لأن السؤال يبقى قائماً إلى ما لا نهاية تماماً كسؤال السائل لماذا لا تسقط الأرض في الفضاء ؟ فأجيب بأنها تستند إلى قرن الثور . ثم سأل ثانية ولماذا لا يسقط الثور ؟ فأجيب بأنه يستند إلى سلحفاة . فسأل للمرة الثالثة ولماذا لا تسقط السلحفاة ؟ ... ﴿ثُمَّ اللَّهُ يَنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ حيث تجزى كل نفس الجزء الأوفى على ما قدمت .

٢١- ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾ وما من شك أن مشيئته تعالى تصدر عن علمه وعدله وحكمته لا يشغله غضب عن رحمة ، ولا توليه - أي تذهله - رحمة عن عقاب كما قال الإمام أمير المؤمنين (ع) :

٢٢- ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾
لا ملجأ ولا مهرب من الله لأهل الأرض والسماة إلا إليه .

٢٣- ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ الدالة على وجوده وقدرته على إحياء الموتي ﴿أُولَئِكَ يَسْأَوْنَ مِنْ رَحْمَتِي﴾ لا نصيب لهم فيها .

٢٤- ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ عجزوا عن رد الدليل بالدليل والحجة بالحجة فهددوا وتوعدوا ، ولكنه كان في حصن أمين من حول الله وقدرته وتقدم في الآية ٦٩ من الأنبياء .

اللغة :

الانشاء الایجاد . وتقلبون ترجعون

الإعراب :

بمعجزين الباء زائدة ومعجزين خبر أنتم أي ما أنتم معجزين . ومن ولي (من) زائدة وولي مبتدأ ولكم خبر . والمصدر من ان قالوا خير كان .

الرِّزْقِ وَأَعْبُدُوهُ وَأَشْكُرُوا لَهُ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمٌّ مِنْ قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَنْ يَبْلُغَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ أَنْخَلَقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۖ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ ۖ أُولَئِكَ يُسْأَوْنَ مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ۖ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾

٢٥- ﴿ وَقَالَ ﴾ إبراهيم لقومه : ﴿ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا ﴾ كرمز وعنوان لوحدتكم وكيانكم الإجتماعي ، وانكم قلب واحد ويد واحدة على عدوكم ، ولكنكم غداً وفي دار الحق سترون أن هذه الأصنام هي السبب الأساس والأصل لعذابكم وتباغضكم حيث ﴿ يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ﴾ ان ذلك لحق تخاصم أهل النار - ٦٤ ص . على العكس من أهل الجنة الذين قال عنهم سبحانه : « ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين - ٤٧ الحجر .

٢٦- ﴿ فَأَمَّا لَهُ لُوطُ ﴾ ابن أخي إبراهيم ﴿ وَقَالَ ﴾ إبراهيم : ﴿ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي ﴾ داعياً إليه وإلى العمل بدينه وشريعته .

٢٧- ﴿ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ بن إسحاق ، وتقدم في الآية ٤٩ من مريم و٧٢ من الأنبياء .

٢٨-٢٩- ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ﴾ أنكر عليهم هذا الفعل القبيح الشنيع ، وقوله : ﴿ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ ﴾ يدل بصرامة أنهم أول من اكتشف ومارس ، ومعنا وقرأنا أن في الغرب والشرق أسافل وأراذل على دين قوم لوط ! فبعداً لهم وسحقاً ﴿ وَهَاطُونَ السَّبِيلَ ﴾ أي سبيل النسل بترك النساء ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ النادي : مجلس تجتمع فيه الرجال ، والمنكر : فعلهم بالذكور .

٣٠- ﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي ﴾ بتزول العذاب عليهم استغاث بالله ، وتضرع إليه أن يتولى حربهم بنفسه لأن الله سبحانه لم يهمل له أسباب الجهاد والقتال كالسلاح والرجال .

إشارة:

ويعد اللف السنين بعيد تاريخ اللواط والفساد نفسه في مجلس العموم البريطاني حيث أقر واستحلت هذه الفاحشة التي تنفر منها طباع الوحوش والحشرات . . ونحن على يقين بأن نوعاً من العذاب سيحل على هذا المجتمع وأمثاله عاجلاً أم آجلاً تماماً كما حل على الذين من قبلهم . المين ٥٢٤ .

الإعراب :

وأوثاناً مفعول أول لاتخذتم والمفعول الثاني محذوف أي اتخذتم من دون الله أوثاناً آلهة . ومودة مفعول من أجله لاتخذتم .

وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَلَيَعْنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾ * فَأَمَّا لَهُ لُوطُ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُم لَأَتُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَتُنْكِرُ لَأَتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّيْنَاهُ بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ

٣١-٣٣ ﴿ ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى ﴾
المراد بالرسول هنا الملائكة ، وبالبشرى البشارة بولده إسحق
﴿ إلا امرأته كانت من الغابرين ﴾ الباقين مع المالكين ،
ودخل الملائكة على لوط في هيئة شبان حسان ، ولما رأهم
﴿ سيء بهم وضاق بهم ذرعاً ﴾ المراد بالذرع هنا الطاقة
والمعنى أن لوطاً أضافهم ، ولكنه أحس بكابوس على قلبه
مخافة أن ينالهم أذى من قومه .

٣٤-٣٧ ﴿ انا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً ﴾
عذاباً من السماء لا يبقون منهم إلا الآثار عبرة الأولى الأبصار ،
وتقدمت هذه الآيات في سورة الأعراف وهود ﴿ وأرجوا
اليوم الآخر ﴾ على حذف مضاف أي ثواب اليوم الآخر
﴿ فأخذتهم الرجفة ﴾ الزلزلة الشديدة ﴿ جامعين ﴾ جاعلين
على الركب ميتين ، وتقدم في سورة الأعراف .

٣٨- ﴿ وعاداً ونموداً ﴾ وقد تبين لكم من مساكنهم ﴿
عاد قوم هود ، ونمود قوم صالح ، قال ابن كثير في تفسيره
كانت العرب تعرف مساكنهما جيداً وتمر عليها كثيراً .

اللغة:

الرجفة الحركة والاضطراب. والجنوم البروك على الكربة
والمراد به هنا الملاك. والخاصب من الرمي بالخصباء أي الحجارة
الصغيرة.

الْمُفْسِدِينَ ﴿٣١﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى
قَالُوا إِنَّا مَهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّا أَهْلُهَا كَانُوا
ظَالِمِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِن فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا
لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا تُرَى كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾
وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقَهُمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا
وَقَالُوا لَا تَحْزَنْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِيكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرًا تَكُ
كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ
رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا
مِنْهَا آيَةً يَبِينَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٦﴾ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ
شُعَيْبًا فَقَالَ يَنْقُمِ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ
وَلَا تَعْتَدُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٧﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ
الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِينَ ﴿٣٨﴾ وَعَادًا وَنَمُودًا

إشارة:

أرسل الله لوطاً الى مجتمع ما عرف التاريخ القديم له مثيلاً في انحلاله وشاعته . يأتون الرجال شهوة دون النساء، ويقطعون
الطريق على المارة بالأذى ضرباً وسلباً واعتصاماً، أما أنديتهم ومجالسهم فلا تعرف إلا الفحش والمنكر والأثام . فحذرهم لوط، وأنذرهم
بعذاب الله . وهذا كل ما يملكه ويقدر عليه، فسخروا منه، وقالوا: أرأنا هذا العذاب لنؤمن بك . فالتجأ الى الله يستنصره على القوم
المفسدين . فاستجاب سبحانه الى تضرعه، ودخل الملائكة على لوط بوجوه وضاعة ناضرة، فأوجس في نفسه خيفة عليهم من قومه الأشرار،
فكشفوا له عما قصدوا اليه . وتمت كلمة العذاب على المفسدين، وأصبحوا أثراً بعد عين، وعبرة لأولي الأبصار .

٣٩- ﴿ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ ﴾ مثلث الرجس والعنوت والضلال : قارون الغني الشقي العالمي ، وتقدم عنه الحديث في الآية ٧٦ من القصص . وفرعون الرب الغريق الصفيق ، وسبق ذكره في سورة الأعراف وهامان وزير فرعون ، وأشير إليه في القصص .

٤٠- ﴿ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ ﴾ ولا مناص ولا محالة . فكل مجرم مرتين يجرمه ، وحسب بآثمه ﴿ ففمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ﴾ كقوم لوط ، والحاصب : الرمي بالحصاء ﴿ ومنهم من أغرقنا ﴾ كقوم نوح وفرعون ﴿ وما كان الله ليظلمهم ﴾ كيف وهو القائل : « ان لعنة الله على الظالمين - ٤٤ الأعراف ﴾ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴿ قال رجل لأبي ذر : عطني ، قال : لا تسيء إلى نفسك . قال : وهل من أحد يسيء إلى نفسه ، قال : من يعرضها للمهلكات والعثرات .

٤١- ﴿ مثل الذين اتخلوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت ... ﴾ جاء في كتاب القرآن محاولة لفهم عصري ما شرحه وتوضيحه : كشف العلم الحديث أن الإنسان لو اتخذ لنفسه خيمة من حيوط الصلب بدقة خيط العنكبوت لكان بيتها بالنسبة إليها أقوى ثلاثة أضعاف من خيمة هذا الإنسان بالنسبة إليه ، ومعنى هذا أن بيت العنكبوت حصن حصين لها ، ولكن إذا تحصن به الإنسان والنتج إليه يكون هذا الحصن « العنكبي » بالنسبة إليه لا شيء على الإطلاق تماماً كما لو تحصن بالضياء أو بالهواء ... وهذا شأن من اعترى بغير الله ، وتوكل على سواه .

٤٢- ﴿ إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء ﴾ ليس هذا إخباراً بأن الله يعلم هوية المعبود من دونه كلا ، بل هو تهديد ووعيد للعابدين المعاندين .

٤٣- ٤٤- ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس ﴾ تلك إشارة إلى بيت العنكبوت ونظائره ﴿ وما يعقلها إلا العالمون ﴾ هذا هو دين الحياة والإنسانية والحق والواقع ، يخاطب العلماء والعقلاء المفكرين لا الجهمية المقلدين الذين يريدون من أهل العلم بالدين أن يشفوا المرضى ، ويردوا الضائع ، ويقعد اللسان الوحش بالرقية والتميمة .

الإعراب :

وفاعل تبين ضمير مستتر يعود إلى هلاكهم المفهوم من سياق الكلام . والمصدر من يظلمهم متعلق بمحذوف خبراً لكان ، أي ما كان الله مريداً لظلمهم . جواب لو محذوف أي لو كانوا يعلمون ان هذا مثلهم . يعلم ما تدعون (ما) اسم موصول مفعولاً يعلم أي يعلم الذين يدعون ، وقيل (ما) استغناء وعملها نصب يبدعون ، ويعلم معلقة عن العمل .

وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكِنِهِمْ^{٣٩} وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ^{٤٠} أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ^{٤١} عَنِ السَّبِيلِ^{٤٢} وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ^{٤٣} وَقُرُونُ^{٤٤} وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ^{٤٥} وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ^{٤٦} فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ^{٤٧} وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ^{٤٨} فَكَلَّا^{٤٩} أَخَذْنَا بِذَنبِهِ^{٥٠} فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا^{٥١} وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ^{٥٢} وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ^{٥٣} وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا^{٥٤} وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ^{٥٥} مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ^{٥٦} كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ^{٥٧} اتَّخَذَتْ بَيْتًا^{٥٨} وَإِنْ أَوْهَنَ الْيُوتُ لَيَكُنْ^{٥٩} الْعَنْكَبُوتُ^{٦٠} لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ^{٦١} إِنْ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ^{٦٢} مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ^{٦٣} وَالَّذِينَ الْأَمْثَلُ^{٦٤} نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ^{٦٥} وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ^{٦٦}

٤٥- ﴿ اَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ القرآن ،
وتقدم في الآية ٢٧ من الكهف ﴿ إِن الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ ﴾ لتشريع وجوب الصلاة علة وحكمة ، وعلة الوجوب
مشيئة الله وكفى ، أما الحكمة منه فهي أن يتعد المصلي في
جميع تصرفاته ومقاصده عن الفحشاء والمنكر أي عن الحرام
بشئ أنواعه ، ومعنى هذا أن الإتياء عن المنكر حكمة لوجوب
الصلاة في عالم التشريع لا لوجود الصلاة في الخارج ، فمن
صلى وانتهى يسقط عنه وجوب الصلاة ويثاب عليها أيضاً ،
ومن صلى ولم ينته يسقط عنه الفرض قطعاً ، أما الثواب فيعلم
الله ، تقول هذا علماً بأن الفقهاء ربطوا بين الثواب على
الصلاة ، والتوجه إليها فكراً وقلباً لا بين الثواب والإتياء ﴿ ولذكر
الله أكبر ﴾ أي ذكر الله تعالى للمصلي بالرضا بالأجر أكبر
من ذكر المصلي لله في قيامه وقعوده وركوعه وسجوده ، ومثله
قوله تعالى : « فاذكروني أذكركم - ١٥٢ البقرة » .

٤٦- ﴿ وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾
أهل الكتاب : اليهود والنصارى ، والأحسن : الأصلح والأمنح
الذي يقرب ولا يبعد ، ويشير ولا ينفر ، وإنما خص سبحانه
أهل الكتاب بالذكر علماً بأن الأسلوب هو المطلوب من
غير قيد ؟ لأن المفروض في أهل الكتاب أن يقبلوا الحق ما
داموا يؤمنون بالله واليوم الآخر كما يزعمون ﴿ إلا الذين
ظلموا منهم ﴾ وهم الذين إذا سمعوا القول لا يتبعون أحسنه
تعتنا وتعصاً . فهؤلاء لا يسوغ الحديث معهم بحال ﴿ وقولوا ﴾
أي المسلمون لأهل الكتاب : ﴿ آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل
إليك ... ﴾ لماذا التعصب والتباغض ؟ فعلى الصعيد الإنساني نحن وأنتم سواء في الحقوق والواجبات ، أما على الصعيد
الديني فكلنا تؤمن بوحى السماء . هكذا ينظر الإسلام إلى أهل الكتاب نظرة التسامح والإخاء لا نظرة التعصب والعداء ،
وشهد بذلك العديد من أقطاب المسيحيين المنصفين منهم « جيلر بامات » في كتابه مجالي الإسلام تعريف عادل زعير ،
قد جاء في الفصل الثاني نظرة في مذهب الإسلام « من النادوان لاقى دين ما لاقى الإسلام من جحود وتنشويه من المبررات
البالغة الغلظة والمقترحات البالغة الواقعة حول محمد وتعاليمه ... مع العلم بأن المسلمين منعوا من أن يمس النصارى بسوء ،
وتركوا المغلوبين أحراراً في المحافظة على دينهم ، ولا صار الصليبيون سادة ذبحوا المسلمين بلا رحمة » .

٤٧- ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابِ ﴾ أي كما أنزلنا على من قبلك من الرسل كذلك أنزلنا عليك يا محمد هذا
القرآن ﴿ فالذين آتيناهم الكتاب ﴾ يريد سبحانه العلماء المنصفين من أهل الكتاب ﴿ يؤمنون به ﴾ يصدقون كل ما
جاء في القرآن ﴿ ومن هؤلاء من يؤمن به ﴾ هؤلاء إشارة إلى مشركي قريش فقد أسلم بعضهم عن صدق وإخلاص .
٤٨- ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَا رَتَابَ الْمُبْطُلُونَ ﴾ هل يخطر على ذهن عاقل بأن
هذا القرآن من إنشاء محمد وفيه من الحقائق والعلوم ما يجعله محمد وغيره قبل نزول القرآن إضافة إلى أنه لا يقرأ ولا يكتب
كمن ينشئ ويتحدث جاهل سافل بأن محمداً قرأ ونقل بقلمه من أسفار الأولين .

٤٩- ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فِي صُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ وهم محمد وأهل بيته (ص) الذين هم خزنة علمه ،
والعلماء المتمسكون بعروته .

خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿ اَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ
الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ * وَلَا تَجِدُوا أَهْلَ
الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ
وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْنَا لَهَا
وَالنَّهْكَرُ وَحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا
إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ
بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا
الْكَاذِبُونَ ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا
تَخْطُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَا رَتَابَ الْمُبْطُلُونَ ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتُ
بَيِّنَاتٍ فِي صُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا

٥٠- ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ يريدون بالآيات ما يقترحون ويشتهون كتحويل الجبل ذهباً ، وتقديم في الآية ٣٧ من الأنعام ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ وليس لي من الأمر شيء ﴿وإنما أنا نذير مبين﴾ مهمتي التبليغ وكفى .

٥١- ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ، وكل ما فيه من حقائق علمية وشريعة حياتية وتحذيرات ونبوءات حدثت وتحقق - تشهد بأنه من عند الله هدى لعباده على مدى الحياة .

٥٢- ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً﴾ بأنه أرسلني إليكم ، وأني قد بلغت رسالته على أكمل وجه ، وأنكم قد كذبتم وأعرضتم ﴿والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله﴾ كل ما نهى الله عنه فهو باطل ، وكل من عصى الله فهو فاسق وكافر . والكل جائر وخاسر .

٥٣- ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ أن يحل بهم ﴿ولولا أجل مسمى﴾ أي تأخير العذاب إلى يوم القيامة ﴿لجاءهم العذاب﴾ قريباً وسريعاً .

٥٤- ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ وان جهنم لمحيطه بالكافرين ﴿هم يستعجلون العذاب ويسخرون ؟﴾ وهو آت لا محالة .

٥٥- ﴿يَوْمَ يَفْشَاهُمُ الْعَذَابُ﴾ من كل جهة ، فتأكل النار الجلود واللحم والعظام والقلوب تماماً كما تأكل الحطب ... رحماك يا رحيم . وشفيبي إليك قلبي الذي يحبك ، ودليل حبه لك نصحه لعيالك ، وأنت أعلم بذلك مني ومنه .

٥٦- ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةً فَإِذَا يَدْعَوْنَكُمْ﴾ على كل مسلم ، بنص هذه الآية ، أن يهجر ويفر من أي أرض يتعذر عليه فيها أن يفعل الواجبات ويترك المحرمات حتى ولو كانت الأرض بلده ووطنه .

٥٧- ﴿كُلْ نَفْسٌ ذَا ذِقَّةٍ الْمَوْتِ﴾ مقيمة كانت أم مهاجرة .

الإعراب :

لولا أنزل هلا أنزل . والمصدر من أنا أنزلنا فاعل يكفهم . وجملة يتل حال من الكتاب أي متلوأ عليهم . والله الباء زائدة والله فاعل كفى . وشهيداً فمميز . وليأتينهم اللام جواب قسم محذوف أي والله ليأتينهم . وبغنة مصدر في موضع الحال من العذاب . ويوم متعلق بمحيطه . فإذا ي فاعبدون (إياي) مفعول لفعل محذوف يفسره الفعل الموجود ، وفاعبدون الأصل فاعبدوني .

٥٨- ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُؤْتِيَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا ﴿٥٨﴾ مُقِيمِينَ فِيهَا أُمَمًا مَّهَجَرِينَ ۖ بَلْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ دَرَجَةً وَكَلَّا ۚ وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ ۚ

٥٩- ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ثَبِتُوا عَلَىٰ دِينِهِمْ وَهَاجَرُوا بِهِ ، وَتَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ فِي كُلِّ حَالٍ ، وَقَدْ رَأَيْنَا أَرْزَاقَ الْمُهَاجِرِينَ أَكْثَرَ وَأَوْسَعَ ، وَأَطْيَبَ وَأَنْفَع .

٦٠- ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رَزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ الله سبحانه هو الذي يعطي كل نفس جميع ما تحتاج ، ولكن مع الحركة والعمل لأنه أبى سبحانه إلا أن يربط المسببات بأسبابها والتناجح بمقدّماتها ، وحركة كل حي بحسبه ، كما نرى من سعي النحلة والتملة والطير ووحش الغاب ، ومن الإنسان وكل حيوان أما المريض أو الكسيف فإن الله يسخر له من يقوم بحاجته ، وفي شتى الأحوال فإن أسباب الرزق وغيره تنتهي إليه لأنه خالق كل شيء . وكتب كثير حول الرزق ، ولعل أفضله - فيما أظن - ما ذكرته في شرح الحكمة ٣٧٨ من حكم نهج البلاغة . أنظر في ظلال نهج البلاغة ج٤ ص ٤٤٠ .

٦١- ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ... ﴾
المسؤولون هم الجبابرة المترفون ، وقد أعلنوا إيمانهم بالله الذي
منحهم الحرية المطلقة في أن يزلزلوا الأمن والأمان ، ويذهبوا
العالم ، وينهبوا الأمم ! وما من شك أن هذه الفئة الحرة القذرة
هي أسوأ حالاً عند الله ممن كفر به أو أشرك .

٦٢- ﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾
 أي يضيّق ، وقلنا فيما تقدم ونكرر أن مشيئة الله منزّهة عن العيب والمجازفة وعليه يكون معنى الآية أن الله سبحانه يوسع الرزق أو يضيّقه تبعاً لأسبابه الساتئة شرعاً وعقلاً ، أما المال الحرام فما هو من رزق الله في شيء ، بل هو غضب ونهب وسوم ويحوم .

٦٣- ﴿ وَلَقَدْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَأَهُ الْأَرْضُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولَنَّ اللَّهُ ﴾ الماء هو السبب الأول والأساس للرزق ، وقد أنزل الله من السماء باعتراف المحتكرين والمستأثرين والله للجميع لا لقلة دون فئة أو لفرد دون فرد ، فالرزق كذلك لا يسوغ لأحد أن يحتكره ويتحكم به .

٦٤- ﴿ وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب ﴾ المراد بالدنيا هنا القصور والفجور والصباه واليالي الحمراء ، والبدخ على حساب الصفاء ، وإلا فإن المال الحلال أحد السبل لمرضاة الله وطاعته ، وتقلوا عن الإمام الشافعي أنه كان لا يحسن التفكير في مسألة إذا شعر أن بيته خلا من الدقيق . وقال الرسول الأعظم (ص) : « كاد الفقر يكون كفرة » ﴿ وإن الدار الآخرة لهي الحيوان ﴾ الحياة الطيبة الدائمة وهذه الحياة وقف على الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ومعنى هذا أن الإسلام يربط بين دنيا الخير والآخرة بحيث تدور هذه مع تلك وجوداً وعلماً .

٦٥- ﴿ فَإِذَا رَكَبُوا فِي الْفُلِكِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ ... ﴾ تقدم في الآية ٢٢ من يونس .

فَإِنَّمَا إِلَهُ الْبَنَاتِ مُرْجُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
لَنَجْزِيَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرًّا فَاصِحَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَانَ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا
وَإِنَّا كَرَّمُوهَا السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ
السَّمْنَوتِ وَالْأَرْضَ وَخَرَجَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ
فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
وَيَقْدِرُ لَهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ
مَنْ زَلَّ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾
وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ
لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوَ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ

٦٦- ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾
هذا تهديد ووعد للطغاة من أرباب الجاه والمال ، وأن مآلهم شر مآل .

٦٧- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا لَهُمْ حَرَمًا مَأْمُورًا وَأَوْصَلُوا فِي حَرْبِهِ وَيُؤْتَاهُ خِزْيًا عَظِيمًا وَيَقُولُ سُبْحَانَ هَؤُلَاءِ لَا يَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ طَاعَةَ اللَّهِ وَقَدْ أَحْلَمَكُمُ فِي حَرَمِهِ دَارَ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ؟﴾ وَيُخْطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَي وَأَعْرَابُ الْجَاهِلِيَّةِ حَوْلَ مَكَّةَ يُقْتَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَيَنْهَبُونَ وَيَسْلُبُونَ وَلَا أَحَدٌ مِنْهُمْ يَمَسُّ أَهْلَهَا بِسُوءٍ ، أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ، وَلِلْأَصْنَامِ يَعْبُدُونَ؟

٦٨- ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ حيث جعلوا له أضداداً وأنداداً ﴿أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ﴾ بالقرآن ونبوة محمد (ص).

٦٩- ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ ومنهم من تعلم العلم النافع وعمل به وعلمه الناس ، وأيضاً منهم من أتى بجديد مفيد لأخيه الإنسان ، ومن جاهد الضلال والفساد ، وكافح في سبيل العيش الحلال ﴿وَأَنْ لَّعَلَّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ولا يختص الإحسان بأداء الفرائض فقط ، ولا بالصدقات ، بل يعم ويشمل الشعور باحترام الإنسان وكرامته وكف الأذى عنه .

سُورَةُ الرُّومِ مَكِّيَّةٌ مِائَتُهَا ثَلَاثُونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿الْأَمَّ﴾ تقدم في أول البقرة .

٢- ﴿غَلَبَتِ الرُّومُ﴾ غلب كسرى ملك الفرس جيش قيصر ملك الروم .

٣- ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ والمراد بها أرض الأردن وفلسطين ، وهي أقرب البلاد إلى جزيرة العرب ، وحدث ذلك في عهد رسول الله (ص) وكان المسلمون يجهلون أن تظهر الروم على فارس لأنهم مثلهم أصحاب كتاب ، والمشركون يهودون أن تظهر فارس على الروم لأنهم مثلهم أصحاب أصنام ، ولما جاءت الأخبار بانتصار الفرس شق ذلك على المسلمين ، وفرح المشركون ، فزلت هذه الآيات تبشر المسلمين بأن الروم ستنتصر على الفرس في جولة ثانية ، وإلى هذا أشار سبحانه بقوله : ﴿وَهُمْ﴾ أي الروم ﴿مَنْ بَعْدَ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ الفرس .

الإعراب :

مخلصين حال من فاعل دعوا . ليكفروا وليتمتعوا : اللام للأمر ويحذف أن تكون للعاقبة ، مثل لتوا للموت ... وكذباً مفعول مطلق لاتفرى .

(٣٠) سُورَةُ الرُّومِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا ثَلَاثُونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَ غَلَبَتِ الرُّومُ ۝ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ

مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيِّئَاتُ ۖ فِي بَضْعِ سِنِينَ ۖ اللَّهُ الْأَمْرُ
 مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۖ يَنْصُرُ
 اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۖ وَعَدَ اللَّهُ
 لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۖ
 يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ
 غَافِلُونَ ۖ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ
 السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى
 وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ۖ أَوَلَمْ
 يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن
 قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا
 أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ
 لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۖ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ

٤ - ﴿في بضع سنين﴾ والبضع أقل من عشرة وأكثر من ثلاثة، وقد حدث ذلك بالفعل. وهنا يكمن سر الإعجاز حيث أخبر القرآن على سبيل اليقين باستئناف الحرب، وحدد وقتها وبأن الدائرة تدور على فارس، فكان كما قال علام الغيوب. وفرحت قلوب المسلمين، وزلزلت قلوب المشركين.

٥ - ﴿ينصر الله ينصر من يشاء﴾ من الذين يعدون العدة للنصر، ولو كانت هذه العدة هي الروح المستميتة وحدها فقط.

٦ - ﴿وعد الله لا يخلف الله وعده﴾ وهو أن يجري المسيلات على أسبابها والنتائج على مقدماتها، ولا شيء عنده يحدث صدفة جزافاً وإلا لصدق قول الجاحدين بأن الكون وجد صدفة.

٧ - ﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا﴾ كالالتجارة والصناعة والزراعة وكل ما يتصل بمصالحهم ومنافعهم ﴿وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ ولكن غير مغفول عنهم، حنت الدنيا في أعينهم فأعمتهم عن الآخرة.

٨ - ﴿أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض...﴾ كيف يستبعد الإنسان المعاد، ويكفر به وهو يملك عقلاً مفكراً لو استعمله في النظر إلى هذا الكون ونظامه ونواميسه لأدرك أن الذي أبدع الكون قادر على فئاته وإعادته.

٩ - ١٠ - ﴿أولم يسيرا في الأرض...﴾ تقدم في الآية ١٣٧ من آل عمران ﴿وأنشأوا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها﴾ كانت الأمم السابقة أكثر حضارة من العرب، ولما ظلموا أنفسهم بتكذيب الأنبياء والمصلحين أخذهم الله بعذاب... ألا يخشى الذين كذبوا محمداً أن يصيبهم ما أصاب الذين أقوى وأرقى؟؟

﴿ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوء﴾ أي الحالة السيئة تأتيت الأسوأ، والسوء اسم كان مؤخر وعاقبة خبر مقدم، والمعنى كانت السوء عاقبة المسيئين لأنهم كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون.

١١ - ﴿الله يبدأ الخلق ثم يعيده...﴾ تقدم مرات، منها في الآية ٤ من يونس ﴿ويوم تقوم القيامة يئس المجرمون﴾ يسكتون ويأسون من الخلاص والنجاة.

١٢ - ١٦ - ﴿ويوم تقوم الساعة - يومئذ يتفرقون﴾ العلاقات بين الناس في الحياة الدنيا متنوعة وكثيرة: رحمة واقتصادية، وسياسية وثقافية وغير ذلك، أما في الآخرة فلا شيء من ذلك على الإطلاق حيث يذهب كل إنسان بعد الحساب إلى مقره، إما إلى جنة، وإما إلى نار.

١٧ - ﴿فسبحان الله﴾ يرشدنا، عظمت كلمته، إلى العبادة في الأوقات الآتية: ﴿حين تمسون﴾ إشارة إلى صلاة المغرب والعشاء ﴿وحين تصبحون﴾ إشارة إلى صلاة الصبح.

الَّذِينَ اسْتَفْهَمُوا السَّوْأَىٰ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا
بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٨﴾ اللَّهُ يُبْدِئُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٢٠﴾
وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ
كَافِرِينَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُؤْمِرُ بِتَفْرِقِهِمْ
فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ
يُحْبَرُونَ ﴿٢٢﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ
الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٢٣﴾ فَسَبِّحْ
اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ
فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿٢٥﴾
يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُخْرِجُ
الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ

١٨- ﴿﴾ وله الحمد في السموات والأرض ﴿﴾ جملة
مترضة ﴿﴾ وعشيًا ﴿﴾ إشارة إلى صلاة العصر ﴿﴾ وحين تظهرون ﴿﴾
إشارة إلى صلاة الظهر ، وهذا التفسير نقله الشيخ الطبرسي
عن ابن عباس .

١٩- ٢٠- ﴿﴾ يخرج الحي من الميت ويخرج الميت
من الحي ﴿﴾ يشير بهذا إلى أن الحياة من عنده تعالى لا من
التركيب والتأليف بين عناصر مادية معينة كما يزعم الماديون .
قال توفيق الحكيم في كتابه فن الأدب ص ١٠١ : انك
العلماء في معاملهم يجربون كي يأتوا بخلية حية ، فاستنبطوا
من الأملاح ونظائرها شيئاً يشبه الأحياء ، وبعدئذ اتضح لهم
أنه لا يدخل في نطاق الكائنات الحية بمعناها الحقيقي ﴿﴾ ويحيى
الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ﴿﴾ جاء أعرابي إلى رسول
الله (ص) وسأله كيف يحيى الله الموتى . ٢ قال له : أما
مررت بوادي قومك ممحلاً أي جذباً مقفراً . قال الأعرابي :
بلى . قال (ص) : فكذلك يحيى الله الموتى . وهذه معرفة
حسية لواقع مشهود بالعيان ، ومنه ننقل إلى تقرير مبدأ عام
وهو أن إحياء الميت ممكن في ذاته .

اللغة :

تُظْهِرُونَ تدخلون في وقت الظهيرة تماماً مثل تمسون وتصبحون .
ومن أنفسكم من جنسكم . لتسكنوا إليها لتطمئنون إليها ، فسكن إليه
من سكنوا الروح ، وسكن عنده من سكنوا الجسم .

الإعراب :

والسواى إسم كان أي كان السواى عاقبة الذين أساءوا ، ومن رفع عاقبة فهي الاسم والسواى الخبر . والمصدر من أن كذبوا مفعول
من أجله . ويومئذ بدل من يوم تقوم الساعة . تُظْهِرُونَ تدخلون في وقت الظهيرة تماماً مثل تمسون وتصبحون .

أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿١٠﴾
وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا
إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ وَاخْتَلَفَ أَلْسِنَتَكُمْ وَالْوَنُزُكُ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
يَسْمَعُونَ ﴿١٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا
وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ
أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً
مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿١٥﴾ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ

٢١- ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودةً ورحمةً ﴾ من أنفسكم أي من جنسكم تبادلكم عطفاً بعطف ، والمراد بالرحمة والمودة التعاون قلباً واحداً ويداً واحدة على خير الأسرة لتجيا حياة طيبة صالحة لا مشكلات فيها ومشاحنات . وعلى أية حال فإن الحياة الزوجية لا تكون مرضية عند الزوجين إلا إذا نظر كل منهما إلى الآخر على أنه شيء يذكر .

٢٢- ﴿ ومن آياته خلق السموات والأرض ﴾ الدال على وجود الخالق وعظمته ﴿ واختلاف ألسنتكم ولوانكم ﴾ اختلاف القوميات باللغة ، وأهل الأقطار بالألوان ، والأفراد بالملامح والأصوات وبصمة الأصابع ﴿ إن في ذلك لآيات للعالمين ﴾ على وجود المقدر والمدير .

٢٣- ﴿ ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغائكم من فضله ﴾ وتقدير الكلام هكذا : منامكم ليلاً ونهاراً ، لأن الإنسان قد ينام في النهار للراحة ، وابتغائكم من فضله تعالى أيضاً ليلاً ونهاراً ، لأن الإنسان قد يسعى لرزقه في الليل .

٢٤- ﴿ ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً ... ﴾ قد يكون البرق منيراً بالصاعقة ، وقد يكون مبشراً بالغيث ، تقدم في الآية ١٢ من الرد .

٢٥- ﴿ ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ﴾ والمراد بأمره هنا قوانين الطبيعة ونواميسها لانه هو الذي طبعها وقوتها ، ومثله تماماً قوله في الآية ٧١ من يس : «مما عملت أيدينا أنعاماً» حيث أطلق أيديّه تعالى على الأسباب الطبيعية

التي تنتهي إليه ﴿ ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون ﴾ إن دعوة الله للإنسان في الحياة الدنيا هي مجرد نصيح وتوجيه ، وللإنسان الخيار في أن يعصي أو يطع ، أمادعوته في الآخرة فهي تكوين وتنفيذ لا مفر منها بحال ، وتقدم في الإسراء الآية ٥٢ .

٢٦- ﴿ وله من في السموات والأرض كل له قانون ﴾

اللغة:

تظهرون تدخلون في وقت الظهيرة ثماً مثل تمسون وتصيحون . ومن أنفسكم من جنسكم . لتسكنوا إليها لتطمئنون إليها ، فسكن اليه من سكنوا الروح ، وسكن عنده من سكنوا الجسم .

الإعراب:

ومن أنفسكم من جنسكم . لتسكنوا إليها لتطمئنون إليها ، فسكن إليه من سكنوا الروح ، وسكن عنده من سكنوا الجسم .

طائعون منقادون ، يعرفنا سبحانه بعظمته لتقدسته ونخلص له في التوحيد والعبادة .

٢٧- ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ﴾ من لا شيء . ﴿ ثُمَّ يَعِيدُهُ ﴾ بعد أن يصبح هبأباً ونياباً ﴿ وَهُوَ أَمْرُهُ عَلَيْهِ ﴾ لا تفضيل في كلمة أمون لأن خلق الكون والذرة سواء في قدرته تعالى كل شيء يكون بكلمة « كن » ، ﴿ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾ أي الصفة العليا التي لا يشاركه فيها شيء .

٢٨- ﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتَكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ تَخِيفَتَكُمْ أَنْفُسُكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ بل اتَّبِعِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمِنْ أَضَلِّ لَكُمْ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَصِيرِينَ ﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الَّذِينَ الْفَقِمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ * مُبَيِّنِينَ إِلَيْهِ وَآقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا

٢٩- ﴿ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ حيث خيَّل إليهم أن الحق فيما يهونون ، والعدل فيما يشتهون ! وهذا هو الجهل بالجهل ﴿ فَمَنْ يَهْدِي مِنْ أَضَلِّ لَكُمْ ﴾ أي من رآه الله ضالاً في واقعه وحقيقته لا من رآه الناس ضالاً من ظاهر تصرفاته وهو في واقعه من المهتدين .

٣٠- ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ

الناس عليها ﴾ حنيفاً : مائلاً إلى الحق ، أما تحديد الدين بالفطرة فيتضح بهذا البيان : كل إنسان حتى أكثر الخلق شراً وفجوراً يود تلقائياً وبدافع من أعماقه أن يصون الناس دمه وماله وعرضه ، ولا يمس أحد بسوء ، وأيضاً يحب بغريزته أن يحسنوا إليه ويتعاونوا معه على خيره وصلاحه . ومعنى هذا أنه يطلب من جميع الناس أن يكونوا متدينين من حيث لا يشعرون ، لأن مهمة الدين القويم أن يحمل كل فرد من أفراد الإنسان على أن يستجيب لهذه الفطرة في معاملاته وتصرفاته : بحسن ولا يسيء ويتعاون مع الآخرين ولا يتهاون في شيء من حقوقهم تماماً كما يريد هو أن لا يتهاون أحد في حقوقه . ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ خلق سبحانه الإنسان على هذه الفطرة . ولا يمكن زوالها من الأساس ، أجل للإنسان أهواء غير مشروعة وكثيراً ما تصطدم مع الفطرة ، وتتغلب عليها ، ولكن لا تمنعها وتستأصلها من الجذور . ﴿ ذَلِكَ الَّذِينَ الْفَقِمُ ﴾ أي الذي ينسجم مع الفطرة ، وكل ما ينفصل عنها ، ويضطرب معها فاهو من الدين القيم في شيء .

٣١-٣٢- ﴿ مُبَيِّنِينَ إِلَيْهِ وَآقُوهُ ﴾ ارجعوا إلى هذا الدين الإنساني القطري ، واعملوا بجميع أحكامه ﴿ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ ... ﴾ تقدم في الآية ١٥٩ من الأنعام .

الإعراب :

لکم عما ملکتم متعلق بمحذوف خبراً مقدماً لشركاء، ومن زائدة إعراباً. ومثله وما لهم من ناصرین.

كُلُّ حَرْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذَا مَسَّ النَّاسُ ضُرٌّ
دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةٌ إِذَا
فَرَّقَ مِنْهُمْ بَرِيضَهُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٤﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ
فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ أَتَزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا
فَهُوَ يَسْكَرُ بِمَا كَانُوا بِهِ يَشْرِكُونَ ﴿٣٦﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا
النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيْئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ
أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ
الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ ﴿٣٨﴾ فَكَأَيَّ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ
السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٩﴾ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لَّيْرَبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ
فَلَا يَرَبُّوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ

٣٣- ﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسُ ضُرٌّ ... ﴾ تقدم في الآية ١٢ من يونس .

٣٤- ﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ... ﴾ تقدم في الآية ٦٦ من العنكبوت .

٣٥- ﴿ أَمْ أَتَزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا ﴾ برهانا يشهد للمشركين والمجرمين بأن الذي هم عليه حق وصواب .

٣٦- ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا ﴾ ولا بأس ، شريطة أن لا ينجم عن الفرح أي مكروه ﴿ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيْئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ بعض الناس يلقي نفسه إلى التهلكة ، وبصيح : لو كان في الدنيا وأهلها شيء من الخير ما سني السوء ، وتقدم في الآية ٩ من هود .

٣٧- ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ ... ﴾ تقدم في العديد من الآيات ، منها الآية ٢٦ من الرعد و ٦٢ من العنكبوت .

٣٨- ﴿ فَكَأَيَّ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ ﴾ العطف والصلة والمسكين ﴿ أَحَدُ الْمُسْتَغْنِينَ لِلزَّكَاةِ وَمِثْلُهُ ﴾ وابن السبيل ﴿ وَابْنُ الْمَسْجِدِ ﴾ وهو المسافر المحتاج إلى نفقة ، أنظر تفسير الآية ٦٠ من التوبة .

٣٩- ﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لَّيْرَبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَبُّوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ﴾ خسران ونيران . ﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ الزَّكَاةِ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ﴾

اللغة:

منيبين إليه أي راجعين إليه. والمراد بالسلطان هنا الحجة أو الكتاب. ويقدر يضيق. وابن السبيل هو الذي سافر في غير معصية، وانقطع عن ماله وأهله. والربا الزيادة. والمضغفون الذين يضاعف لهم الأجر والثواب.

الإعراب:

منيبين حال من وار دعوا. إذا فريق (إذا) للمفاجأة. وما آتيتم (ما) في محل نصب بآتيتم.

فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٤٠﴾ أَيُّ الَّذِينَ يَضَاعِفُ اللَّهُ لَهُمُ الثَّوَابَ وَالْجَزَاءَ .

٤٠- ﴿الله الذي خلقكم ثم رزقكم ...﴾ ﴿الله سبحانه هو الذي خلق وأعطى ، وأمات وأحيا ، وهو الخافض والرافع والضاير والنافع ، وما من أحد سواه يقدر على ذلك ، فكيف تقبلون على غيره ، وتذللون لمخلوق مثلكم ؟﴾ .

٤١- ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس﴾ قال بعض المفسرين : المراد بالفساد في البحر قلة صيد الأسماك وكساد التجارة . وقال آخر : بل المراد أخذ السفينة غصباً ، وإذا كان كل إنسان يفسد ويعبر عما يقع في حياته ، ويسوحي من ظروفه ومحيطه ، يسوغ لنا أن نفسر الفساد في البحر بالأساطيل الحربية ، وشاحنات الجيوش وأسلحة الدمار والإبادة ﴿ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون﴾ كلمة «بعض» إشارة إلى عذاب الدنيا ، وأن الله سبحانه يوقعه على بعض العصاة كسوط يؤدبه ويوقفه من غفلته .

٤٢- ﴿قل سيروا في الأرض﴾ أو اقرأوا التاريخ ﴿فانظروا كيف كان عاقبة﴾ الطغاة ومصير الجبابرة العتاة ، وتقدمت هذه الموعظة مرات .

٤٣- ﴿فأقم وجهك للدين القيم﴾ أقبل وتوجه بكلك على الدين السليم وأعمل به واجاهد في سبيله قبل أن تقف بين يديه تعالى لنقاش الحساب ﴿يومئذ يصدعون﴾ يفترق الناس إلى فريقين : فريق في الجنة ، وفريق في السعير .

٤٤- ٤٥- ﴿من كفر فعليه كفره﴾ ولا أحد يحمل وزره ﴿ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يعملون﴾ قال الإمام جعفر الصادق (ع) : إن العمل الصالح يسبق صاحبه ليمهد له كما يمهد الخادم لسيدته ، وتقدم في الآية ٦٢ من البقرة وغيرها .

٤٦- ﴿ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات﴾ بنزول الغيث ﴿وليديقمكم من رحمته﴾ كل ما في الطبيعة رحمة

اللغة :

يصدعون أصلها يتصدعون من التصدع ، والمراد هنا الضربة ، يقال تصدع القوم أي تفرقوا . ويعملون من مهد بمعنى وطأ وهما .

ونعمة لخلق الله عباده ، يستعملونها في متطلبات الحياة ، وبالخصوص الماء ﴿ وتجري الفلك بأمره ﴾ والمراد بأمره هنا الريح والطاقة وكل دافع ومحرك ، لأنه تعالى خالق كل شيء .

٤٧- ﴿ ولقد أرسلنا من قبلك ﴾ يا محمد ﴿ رسلاً إلى قومهم ... ﴾ بالبينات والدلائل على صدقهم ونبوتهم ، فكذبوهم تعتاً وعناداً ، فأخذهم الله بذنوبهم ، وما كان لهم من واق .

٤٨- ﴿ الله الذي يرسل الرياح ﴾ ﴿ فتحرك السحاب ، وتشر في السماء ، ثم تقسمه إلى قطع ، وتدفع بكل قطعة إلى بلد ، فإذا وصلت إليه تساقط الماء على البلد المقصود فيهتر ويروى ويفرح أهله بعد اليأس والقسوط ، وتقدم في الآية ٥٧ من الأعراف ٤٣ من النور .

٥٠- ٥١- ﴿ فانظر إلى آثار رحمة الله ﴾ قال ابن كثير : « أشد الأمور غموضاً في الكون أنه غير غامض » وهكذا رحمة الله ونعمته لما وسعت كل شيء ذهل الناس عنها . ويدور على كل لسان : لا تعرف النعمة إلا بعد فقدها . وإذا استمرت اللذة فلا تبقى لذة . والطحان لا يبق من جعجة رحاه بل من انقطاعها ﴿ ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفراً ﴾ الهاء تعود إلى الزرع المفهوم من سياق الكلام ، ومصفراً صفة له ﴿ لظلوا من بعده يكفرون ﴾ يعبدون الله على أساس الريح ، فإذا مُحْصُوا بالبلاء ارتابوا بالخالق وحكمته .

٥٢- ﴿ فانك لا تسمع الموتى ... ﴾ واضح ، وتقدم بالحرف الواحد في سورة النمل الآية ٨٠ - ٨١ .

مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ بِآيَاتِنَا فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّحَ فَتُفْثِرُ السَّحَابَ فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَنَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٥٣﴾ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُخْرِجُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٤﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٥٥﴾ فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ الْقَمَمَ

اللغة:

كسفاً جمع كسفة، وهي القطعة من الشيء. والودق المطر. ومبلسين جمع مبلس، وهو المتحسر الأيس.

الإعراب :

مبشرات حال من الرياح. وليذيقكم عطف على معنى مبشرات أي ليشركم وليذيقكم. وحقاً خبر كان، ونصر اسمها. وكيف مفعول مطلق وتقديره أي مشيئة يشاء، ومثله كيف يحيي الأرض. وإن كانوا (إن) مخففة واسمها محذوف أي أنهم كانوا. واللام في مبلسين اللام الفارقة ومبلسين خبر كانوا وجملة كانوا مع خبرها خبر إن. واللام في لئن لام التوطئة للقسم. واللام في لظلوا واقعة في جواب القسم، وظلوا فعل سد مسد جواب القسم والشرط معاً.

٥٣- ﴿ وما أنت بهاد العمي ﴾ عن الحق وردعهم عن الضلال ﴿ إن سمع إلا من يؤمن بآياتنا ﴾ أي من يريد الإيمان بالحق لوجه الله والحق ، أما الإبتهازيون فدينهم في بطونهم وجوبهم لا في رؤوسهم وقلوبهم .

٥٤- ﴿الله الذي خلقكم من ضعف﴾ وهو ضعف الإدراك والجسم في الأطفال ﴿لم يجعل من بعد ضعف قوة﴾ وهي قوة الشباب وزهرة الحياة ﴿لم يجعل من بعد قوة ضعفاً﴾ وهو ضعف الهرم والشيخوخة ، والغرض من هذه الإشارة أن الإنسان يمر بالعديد من الأطوار والأدوار ، وكلها تذهب بسرعة مع الريح ، والعاقلة ينتهز فرص الخير والعمل الصالح ليوم الخوف الأكبر وحسابه وجزائه .

٥٥- ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ ﴾ القيامة ﴿ يَنْصَبُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا ﴾ في الدنيا أو في القبور ﴿ غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ تقسم في الآية ١١٣ من «المؤمنون» .

٥٦- ﴿وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبستم
في كتاب الله إلى يوم البعث﴾ يرد آنذاك العلماء المؤمنون
على المجرمين بأنكم لبستم على وجه الأرض وفي بطنها منذ ولدتم
إلى هذا اليوم الذي بعثتم فيه .

٥٧- ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا ظُلْمُهُمْ ﴾ لا
عذر يدفع ، ولا حميم ينفع أبداً لا شيء إلا العمل الصالح
﴿ وَلَا هُمْ يَسْتَعِينُونَ ﴾ اراد بالاستعاب هنا الإقالة ، أي
أن المجرمين يستقبلون ربه فلا يقبلهم .

٥٨- ﴿ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن ... ﴾
تقدم في الآية ٥٤ من الكهف ﴿ ولئن جنتهم ﴾ يا محمد
ولماذا الأنبياء والمصلحون مظلون ؟ لأنهم يقطعون سبيل النبي على

٥٩- ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

الإعراب :

الله الذي خلفكم مبتدأ وخبر. وما لبثوا جواب القسم. ولئن اللام للتوطئة. وليقولن اللام في جواب القسم، ويقولن يسد مسد جواب الشرط والقسم.

بأن جميع الناس على مستوى واحد في الحقوق والواجبات ، وأنه لا استعلاء وسيطرة على الإطلاق ، بل ولا فضل وامتياز لأحد إلا بما يقدم من عمل صالح ومفيد لأخيه الإنسان .

٦٠- ﴿ فاصبر ﴾ يا محمد ﴿ إن وعد الله حق ﴾ ما هي إلا أيام حتى تنتشر رسالة الإسلام في شرق الأرض وغربها ويقترب اسمك باسم الله تعالى وبالصلوات والتحيات . جاء في تفسير ابن كثير : أن الإمام علي (ع) كان يصلي صلاة الفجر ، فناداه خارجي « لئن أشركت ليحبطن عملك » فأجابه الإمام وهو في الصلاة ﴿ فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفك الذين لا يوقنون ﴾ أي أعرض ولا تكثر بسفاهة البهائم والأرذل . والحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله . وأتم نعمته علينا بالولاء له ولأهل بيته الطاهرين ، صلوات الله عليهم أجمعين .

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿ ألم ﴾ تقدم في أول البقرة .

٢- ﴿ تلك ﴾ إشارة إلى هذه السورة التي جاءت فيها آيات الكتاب الحكيم ﴿ العليم المتزهد عن الجهل والعبث .

٣-٤- ﴿ هدى ورحمة للمحسنين ﴾ وهم الذين يكسبون أنفسهم عن الأهواء والأسماء ، ويؤمنون بالله واليوم الآخر ، ويؤدون فرائض الله بالكامل .

٥- ﴿ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾

لأنهم ما دخلوا في باطل ، ولا خرجوا من الحق في قول أو فعل .

٦- ﴿ ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً ﴾ قال أكثر المفسرين : المراد بلهو الحديث هنا الفناء ! وبلاحظ بأن كلمة « ليضل » وهزواً » يدلان على أن المراد بلهو الحديث هنا الطعن بالحق والخير والإستعزاء بهما بهدف التزييف والتضليل وإغراء الناس بالشر والباطل ، ويؤيد ذلك قوله تعالى بلا فاصل :

الإعراب :

تلك آيات الكتاب مبتدأ وخبر . وهدى ورحمة حال من الآيات والعامل معنى الإشارة في تلك . ومن الناس خبر مقدم ، ومن يشتري مبتدأ مؤخر .

قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ فَاَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوْقِنُونَ ﴾

(٣١) سُورَةُ الْفَاتِحَةِ كَبِيرَةٌ
وَأَسْيَأُهَا مَا نَجَّيْنَا مِنْكُمْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

آلَمْ تَكُنْ أَتَى الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ يَغْيِرَ عَلَيْهِ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿

٧-٩- ﴿ وَإِذَا تَلَّى عَلَيْهِ آيَاتَنَا ﴾ أدير واستكبر ، وتصام وما به من صم ، ولكن الحق صاعقة على رأسه وقلبه .

١٠- ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ مرثية ولا غير مرثية ﴿ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ لتلا تهرت وتضطرب ، وتقدم في الآية ٢ وما بعدها من الرد .

١١- ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ ﴾ هذا هو الكون ، فهل من أحد يقول : لا عين ولا أثر لهذا الكون ؟ اللهم إلا من أنكر وجود نفسه وقال : ان الشيء ليس هو عين ذاته بل شيئاً آخر ، ومن يعترف بوجود الكون يلزمه حتماً وجزماً أن يعترف بوجود المكون وإلا كان شأنه تماماً كشأن من يعترف بوجود الكهرباء ، وينكر وجود أديسون ، بل كشأن من ينكر وجود الكهرباء مع الإقرار بها ! وهذا هي البلاءة والحماقة ﴿ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ لا يفرقون بين ما يعترفون به وما ينكرون .

١٢- ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لَقَمَانَ الْحِكْمَةَ ﴾ والمراد بها هنا معرفة أفضل الأشياء ، وكان لقمان ذا عقل ناضج وراسخ يفيض بالحكم البالغة النافعة ، فيلقها في أسماع الناس بكلمات جذابة قصار ، ومعاني قوية كبار ، ولذا تداولتها الأمم والشعوب على مدى الأجيال .

١٣- ﴿ وَإِذْ قَالَ لَقْمَانُ لَابَنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ﴾ هذا هو الأصل الأصل لكل مذهب ودين سليم ، لأن الإيمان بالله إلهاً واحداً متفرداً بصفات الجلال والكمال يجعل الناس كلهم سواء في الحقوق والواجبات .

١٤- ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى

اللغة :

المراد بلهو الحديث هنا كل ما يصد عن الحق الذي عبر عنه سبحانه في نفس الآية بسبيل الله . الورق الصمم . والرواسي الجبال . ويث فرق . وزوج كريم صنف حسن .

الإعراب :

ويتخذها عطف على ليشل . وبغير علم متعلق بمحذوف حالاً من فاعل يضل أي جاهلاً . ومستكبراً حال . وكان ، أصله كانه . وخالد بن حال من الضمير في هم . وعد الله منصوب على المصدرية أي وعد الله وعداً حقاً ، وحققاً صفة للوعد المحذوف . وماذا بمنزلة الكلمة الواحدة وعملها النصب بخلق والتقدير أي شيء خلق .

وهن ﴿ هذه الآية والتي بعدها استطراد في سياق وصية لقمان لابنه ، والوهن : الضعف ، وعلى وهن أي يستمر الضعف ويزداد يوماً بعد يوم كما قال الشاعر : عدنا وعادت حالنا الراكدة ﴾ وفصاله في عامين ﴿ والوالدة تحضن وترضع وليدها بعد وضعه حولين كاملين ، وقال الفقهاء : أقل مدة الحمل ستة أشهر مستدلين بهذه الآية معطوفة على الآية ١٥ من الأحقاف » وحمله وفصاله ثلاثون شهراً ، .

١٥- ﴿ وإن جاهدك على أن تشرك ... ﴾ حيث لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، وتقدم في الآية ٢٣ من الإسراء و٨ من العنكبوت .

١٦- ﴿ يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل ... ﴾ كناية عن قدرته تعالى التامة المطلقة التي تخرج الأشياء من لا شيء ودون استعانة بأي شيء ، وعن علمه الذي لا يعزب عنه ظاهر ولا باطن وغائب أو حاضر ، ودقيق وجليل . ومن جملة ما قرأت أن الكيلوغرام من الخردل يبلغ ٩١٣ ألف حبة ، وعليه تكون الحبة جزءاً من ألف من الجرام فهي أصغر وزن لحب النبات .

١٧- ﴿ يا بني أقم الصلاة ﴾ وهي أن تعبد من يراك ولا تراه بصدق وإخلاص ، ولا يغنيك عن الصلاة المفروضة شيء عند الله حتى لو أتته بقلب سليم وحسنات الأولين والآخرين ﴿ وأمر بالمعروف ﴾ وأتمر به ﴿ وأنه عن المنكر ﴾ وأنه عنه ﴿ واصبر على ما أصابك ﴾ من فقد عزيز أو داء لا دواء له ، ولا شيء أصعب من الصبر ، ومع هذا يجب في أداء الفرائض ، وما عداها مستحب ﴿ إن ذلك من عزم الأمور ﴾ ومن العزم والإباء ، والدين وعلو الهمة ، وقوة النفس والإرادة أن ترضى باليسير ، وتستنكف عن الحرام ، بل وعن سؤال الخلق وإن كان حلالاً .

١٨- ﴿ ولا تصغر عليك للناس ... ﴾ لا تحطم نفسك بغرورها والشموخ بها فوق قدرها ، ولا نهو بها إلى الذل والمهوان ﴿ كل مخال فخور ﴾ معجب بنفسه ، فخور على غيره .

١٩- ﴿ واقصد في مشيك ﴾ لا تبطئ ولا تسرع ﴿ واغضض من صوتك ﴾ إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴿ أنكرها : أوحشها وأقمحها ، وقال بعض المفسرين : ان التشبيه بصوت الحمير يقتضي أن يكون رفع الصوت محرماً ! ولو أخذنا بهذا القههم والعلم لوجب المشي المعتدل وحرم البطيء والسريع عملاً بوحدة السياق .

الإعراب :

ان اشكر (ان) مفسرة بمعنى أي . وجملة حملته حال على تقدير قد حملته . وثمنا مصدر في موضع الحال من أمه أي موهونة . ومعروفاً صفة لمحدوف أي مصاحباً معروفاً بمعنى مصاحبة معروفة كما في جمع البيان . والضمير في انها يعود إلى فملة الانسان من خير وشر . وتلك أصلها تكون فمذلت الواو لالتقاء الساكنين والنون للتحفيف ، واسمك تك ضمير مستتر يعود إلى الفملة ومقال خبرها .

حَمَلَتْهُ أُمُّهُ، وَهَنَّا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَلَّهُ، فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَا ذَلِكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٥﴾ وَإِنْ جَاهِدَكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبَعَ سَبِيلَ مَنْ أَنْابَ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ إِلَى مَنْ رَجَعُكُمْ فَأَنْبِئْكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ يَبْنِيْ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٧﴾ يَبْنِيْ أَيْمِ الصَّلَاةِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨﴾ وَلَا تَصْغِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٩﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ

٢٠- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾

يهتدي الإنسان بنجوم السماء ويستضيء بنور القمر ويستفح كثيراً بضياء الشمس ، ويحيا بالسحاب والأمطار وغير ذلك من المصالح والفوائد السماوية ، ولكن ليس معنى هذا أن الكون بكل ما فيه مسخر للإنسان ، وانه ما وجد إلا من أجله ، لأن الكشوف الفلكية الحاسمة قصت على هذا الاعتقاد والخرافة فهناك مجرات وكواكب وكائنات علوية وسفلية لا يعرف الإنسان عنها شيئاً ﴿وما في الأرض﴾ من زرع وثمار ومعادن وبحار وطاقات ومبات ﴿وأوسع عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾ قال بعض المفسرين : المراد بالظاهرة الصحة والمال ، وبالنعم الباطنة ستر القبح من الأعمال أو نعم الآخرة ، ولكن هذا العصر قد كشف عن هذه النعم التي كانت في الغيب المحجوب عن الآباء والأجداد ، وفسرهما بالمخترعات الحديثة والأدوات العلمية كسفينة الفضاء والعقل الإلكتروني والكهرباء والتلفزيون وغير ذلك كثير ، إضافة إلى اكتشاف النفط ومشتقاته وغيره من المعادن والأدوية ... إلى ما نعلم وما لا نعلم مما تكشف عنه الأجيال على مدى الدهر ، ويؤثر عن ابن عباس أنه قال : في القرآن معان سوف يفسرها الزمان . وفي نهج البلاغة : القرآن حمال ذو وجوه . أي يحمل معاني كثيرة .

﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم﴾ والمراد بالعلم هنا الحس والعيان ﴿ولا هدى﴾ من العقل ﴿ولا كتاب منير﴾ أي الوحي ، وتقدم بالحرف في الآية ٨ من الحج .

٢١- ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ...﴾ تقدم في الآية ١٧٠ من البقرة وغيرها .

٢٢- ﴿ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ يسلم : يستسلم وينقاد ، وجهه : قصده ونيت ، والعروة من الدلو : ما يمسك به القايض ، والوثقى : مؤثت الأوثى ، والمعنى من آمن بالله ، واتقاد لأمره ونبيه ، وأخلص له في عمله - فقد أخذ من الله موثقاً قريباً وموثباً أنه في أمنه وأمانه

٢٣-٢٤- ﴿ومن كفر فلا يحزنك كفره﴾ لأنه في قبضة الله ، بمهله قليلاً من الدهر ، يتمتع فيه كما يشتهي ثم يقذفه إلى عذاب السعير .

٢٥-٢٦- ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض﴾ الغرض من هذا السؤال هو انتزاع الاعتراف منهم بأن الله هو الخالق ﴿ليقولن الله قل الحمد لله﴾ الذي رد سهمكم إلى نحركم حيث اعترفتم على أنفسكم بأنفسكم أن الله وحده هو الخالق ، ومع ذلك تعبدون غيره ، وتقدم في ٦١ من العنكبوت .

الإعراب :

ظاهرة وباطنة حال من نعم الله . أولو الهمة للاتكثار والواو للمطف ولو للامتناع ، وجوابها مخلوق والتقدير لاتبعوهم ، وضمير الجمع يعود للآباء .

٢٧- ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ... ﴾
لا حد لقدرة الله إلا بأنها لا حد لها ، وفي نهج البلاغة : لو
فكروا في عظيم القدرة وجسيم النعمة لرجعوا إلى الطريق ،
وخافوا عذاب الحريق وتقدم في الآية ١٠٩ من الكهف .

٢٨- ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كُنُفُسًا وَاحِدَةً ﴾
هذا رد على من قال : البعث محال . وجوابه أن خلق الناس
بالكامل وبعثهم بعد الموت كذلك هو عند الله سبحانه خلق
النفس الواحدة وبعثها حيث ينساوي في قدرته إيجابه القليل
والكثير والخطير والحفير ، فكل شيء يوجد بكلمة « كن » .

٢٩- ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ... ﴾
الليل والنهار وما يتصل بهما تابع لكروية الأرض ودورانها
ولو كانت مسطحة لما كان شيء من ذلك ، وتقدم في الآية
٢٧ من آل عمران ﴿ كل يجري إلى أجل مسمى ﴾ لكل من
الشمس والقمر حركته الخاصة به إلى ما شاء الله ، وتقدم في
الآية ٢ من الرعد .

٣٠- ﴿ ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ﴾ لأنه ما خلق شيئاً
ولا شرع حكماً ولا أنجز عن حادثة سابقة أو لاحقة إلا بالحق
والصدق وإلا لمصلحة وحكمة بالغة ، وتقدم بالحرف في
الآية ٦٢ من الحج .

٣١- ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ نِعْمَةً مِنَ اللَّهِ ﴾
يكرر سبحانه ويذكر عباده بأن كل ما يتمتعون به من أسباب
الحياة هو منه لا منهم أو مما يرجون من دون الله كيلا يغفلوا
ويذهلوا عن الخالق والرازق والميسر والمدير ، ومتى آمنوا
وأيقنوا بذلك شكروا في السراء ، وصبروا على البلاء مع الشعور بالأمل بأن الله سبحانه قد يفتح لهم باب الخلاص والفرج .

٣٢- ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَجٌ كَالظَّلْلِ ﴾ جمع ظلمة وهي ما يعلو ويظلل من كل شيء ، والمعنى إذا ارتفع فوق السفينة موج
كالجبال ﴿ دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ التجأوا إليه خاشعين متضرعين ﴿ فَلَمَّا نَجَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمَنْهُمْ مَقْتَصِدٌ ﴾ معتدل

لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ
الْحَمِيدُ ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ
بِمُدَّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعُ أَبْحُرٍ مَانَقِدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كُنُفُسٍ
وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ
فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتَخْرُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ كُلٌّ
يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ ﴿
ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطِلُ
وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي
فِي الْبَحْرِ نِعْمَتٌ مِنَ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلْلِ
دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمْ يَنْجِهِمْ إِلَى الْبَرِّ فَمَنْهُمْ

الإعراب :

وجملة وهو عسح حال ، وجملة فقد استمسك خبر من يسلم . وقليلاً صفة لمفعول مطلق محذوف أي تمتعاً قليلاً . مخلفين حال من
فاعل دعوا . ونقل ابن هشام في كتاب المغني عن ابن مالك أن (لما) هنا بمعنى اذا ، بدليل دخول الفاء على جوابها .

مَقْتَصِدٌ وَمَا يَجْعَدُ يَجْنِيهِ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَا أَيُّهَا
النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ
وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا
تَغْرُوكَ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرُّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ
عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ
وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ
أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾

(٣٢) سُورَةُ الشُّجَرَةِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا ثَلَاثُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَارِيبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ

لَقُحْتُ بِهِ ... أبداً لا شيء يحدث من خلقه تعالى إلا بعلمه وإرادته سواء أكان بسبب الإنسان أم الطبيعة أم بكلمة «كن»
﴿ وما تلدري نفس ماذا تكتسب غداً ﴾ الإنسان كل يوم هوفي شأن شاء أم أبى ، فكل شيء حوله يتحرك ويتغير ، وهو
جزء من كل ، ومعنى هذا أن ما يحدث للإنسان في غده فهو من الغيب المحجوب ﴿ وما تلدري نفس بأي أرض تموت ﴾
ولا بأي زمن أو سبب ، وليس هذا بالشيء المهم ، والأهم من كل شيء ماذا يحدث للإنسان بعد الموت في لحدّه وموقف
العرض وأهواله .

سُورَةُ الشُّجَرَةِ مَكِّيَّةٌ وَفِيهَا ثَلَاثُونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- ١- ﴿ ألم ﴾ تقدم في أول البقرة .
- ٢- ﴿ تنزيل الكتاب ﴾ القرآن ﴿ لا ريب فيه ﴾ إلا عند جاهل أو معاند .

الإعراب :

يوماً مفعول به أخشوا . ولا مولود عطف على والد ، ويجوز أن يكون مبتدأ أول «وهو» مبتدأ ثانٍ وجازي خبر الثاني والثاني وخبره خبر
الأول . وشيئاً مفعول جازي .

حيث وفي بمعهده مع الله ، وثبت على الإيمان ﴿ وما يجعله
بآياتنا إلا كل ختار كفور ﴾ غدار جاحد بنعمة الله وفضله .
٣٣- ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم وأخشوا ﴾ العواقب
وشرها ، واحذروا ﴿ يوماً لا يجزي والد ... ﴾ أسس وأعمل
ليوم القيامة ، فلا والد ولا ولد يعني عنك شيئاً في هذا اليوم .
فمملك خير لك وأجدى من أمك وأنيك ووليك وأخيك .
إن بك صالحاً وإلا فلا أم تحزن وتبكي من أحلك ، ولا والد
يهمه همك . ويشغله أمرك ﴿ ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ وهو
الشیطان ، والمعنى احذروا كل شیطان رجيم يغريكم بمصيبة
الله ونقمته .

٣٤- ﴿ إن الله عنده علم الساعة ﴾ يوم القيامة ، وقد
استأثر سبحانه بعلمه ، وحجبه عن جميع خالقه حتى الأنبياء
والملائكة ﴿ وينزل الغيث ﴾ أي يعلم متى ينزل المطر قبل
أن تظهر دلائله وعلاماته ، أما الإنسان فلا يعلم ذلك إلا
بعد ظهور الدلائل والعلامات .

﴿ ويعلم ما في الأرحام ﴾ من ذكر أو أنثى ، وقبيح
أو جميل ، وسخي أو بخيل ، وشقي أو سعيد . وسألني سائل :
هل يسوغ للزوجين أن يختارا - بعملية طبية - نوع الجنين
من ذكر أو أنثى ؟ قلت : لا نص على هذا الموضوع بالذات ،
ولا حرام بلا نص . قال : كيف القرآن يقول : « الله يعلم
تحمل كل أنثى - ٨ الرعد » قلت : وأيضاً الله يعلم أن
شجرة المشمش تحمل ممشأً ، وإذا لقحت بالخوخ تحمل
خوخاً ، وأن كرمه العنب الأبيض تتحول إلى الأسود إذا

٣- ﴿أَمْ يَقُولُونَ اقْرَأْ مَا يُلْقِي الْغَلِيظُ﴾ أم يقولون اقراهم محمد ﴿بل هو الحق﴾ والدليل القاطع على ذلك أن القرآن يحثكم إلى العقل ، ويقول للذين جحدوا وعاندوا : « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها - ٢٤ محمد .. أفلا تعقلون - ٥١ هود » وقرأت الكثير من أقوال الغربيين عن عظمة القرآن وأكثني هنا بما جاء في جريدة أخبار اليوم المصرية ت ٢٨ - ١٠ - ١٩٧٢ : قال « هيرشفيلد » : ليس للقرآن مثيل في قوة إقناعه وبلاغته وتركيبه ، وإليه يرجع الفضل في ازدهار العلوم بكافة أنواعها ﴿ ما أناهم من نذير ﴾ في الفترة الكائنة بين عيسى ومحمد جمعاً بين هذه الآية والآية ١٩ من المائدة « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل .. »

٤- ﴿الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام﴾ كناية عن الأطوار أو الدفعات ﴿ثم استوى على العرش﴾ أي سيطر واستولى ، وتقدم مرات ، منها الآية ٥٤ من الأعراف .

٥- ﴿يدبر الأمر من السماء﴾ والمراد بها هنا الرفعة والعلو ، لأن الله سبحانه وراء الطبيعة بأرضها وسماها ، والمعنى هو وحده الخالق والمدير ﴿إلى الأرض ثم يرجع إليه﴾ أي يرجع الأمر كله إليه وحده كما قال سبحانه : « وإلى الله ترجع الأمور - ١٠٩ آل عمران » ﴿في يوم﴾ وهو يوم القيامة ﴿كان مقداره ألف سنة مما تعدلون﴾ كناية عن طول الأمد ، أو أن العمل الذي يستغرق في الآخرة ٢٤ ساعة يحتاج في الدنيا إلى ألف سنة .

٦- ﴿ذلك عالم الغيب﴾ أي أن الذي خلق ودبر وإليه ترجع الأمور هو العالم العزيز الذي ليس كمثلته شيء الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء .

٧- ٨- ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه﴾ كل شيء متقن ومحكم من أعلى السموات إلى أدنى الترى ، فهل هذا صدقة ومجازفة ؟ : « سريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق - ٥٣ فصلت » بهذا يفتح سبحانه باب العلم به لا بالغيب المحض لأن المدلول لا يكون دليلاً ﴿وبدأ خلق الإنسان﴾ آدم الأب الأول ﴿من طين ثم جعل نسله من سلاله﴾ من سل شيئاً من شيء أي انتزعه برفق « من بين الصلب والترائب » ﴿من ماء مهين﴾ ضعيف وهو المني .

٩- ﴿ثم سواه﴾ الضمير لآدم ﴿ونفخ فيه من روحه﴾ وهبه الحياة ، وتقدم في الآية ٢ من الأنعام و ١٢ من المؤمنين .

١٠- ﴿وقالوا إذا ضللنا﴾ تفرقت أجسامنا وصارت تراباً ، وتقدم مرات ، منها في الآية ٥ من الرعد .

الْغَلِيظِينَ ١٠ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ١١ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ١٢ يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ١٣ ذَلِكَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ١٤ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ١٥ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ١٦ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ١٧ وَقَالُوا إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ

الإعراب :

تنزيل خبر مبتدأ محذوف أي هذا تنزيل ، وقال أبو حيان الأندلسي : تنزيل مبتدأ ، ومن رب العالمين خبر ، ولا ريب فيه جملة معترضة . أم يقولون (أم) منقطعة بمعنى بل والمهمزة . ومن ربك والمصدر من لتندبر يتعلقان بمحذوف حالاً من الحق .

١١- ﴿ قُلْ يَتُوفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ لَمَّا إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ قُلْ لَهُؤَلاءِ يَا مُحَمَّدُ : أَنْتُمْ مَيِّتُونَ لَا مُحَالَةَ ، وَعِنْدَ الْمَوْتِ تَنْكَشِفُ لَكُمْ الْحَقِيقَةُ . النَّاسُ نِيَامٌ ، فَإِذَا مَاتُوا انْتَبَهَوْا .

١٢- ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُرْجُومُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ حَذَرُوا مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ ، فَسَخَرُوا وَفَقِهُوا ، وَحِينَ عَابَتِهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَقَامُوا بَيْنَ يَدَيْهِ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ انْهَارُوا وَوَلَّوْا ، وَقَالُوا خَاضِعِينَ : ﴿ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا ... ﴾ الْآنَ وَقَدْ فَاتَ مَا فَاتَ ، وَتَقَدَّمَ فِي الْآيَةِ ٢٧ مِنَ الْأَنْعَامِ ١٠٠ مِنْ « الْمُؤْمِنِينَ » .

١٣- ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هَدَاهَا ﴾ لَوْ شَاءَ سَبْحَانَهُ لَأَلْجَوْهُمْ إِلَى الْإِعْتِرَافِ بِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَلَكِنْ لَا إِيمَانَ وَلَا مَسْئُولِيَّةَ مَعَ الْإِلَهَاءِ وَإِكْرَاهِهِ ، وَسَبَقَ مِنْهُ الْقَوْلُ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ لَا يَتَعَامَلُ مَعَ عِبَادِهِ بِإِرَادَتِهِ الشَّخْصِيَّةِ وَالتَّكْوِينِيَّةِ ﴿ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ الَّذِينَ أَفْسَدُوا وَتَمَادَوْا فِي النَّفْسِ بَعْلَاءَ اخْتِيَارِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ ، أَمَّا الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ فَلَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَرِيمٌ .

١٤- ﴿ فَلَوْ قُورُوا بِمَا نَسِيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ﴾ الَّذِي كَفَرْتُمْ بِهِ ، وَسَخَرْتُمْ مِنْهُ ﴿ إِنَّا نَسِينَاكُمْ ﴾ أَهْمَلْنَاكُمْ وَحَرَمْنَاكُمْ مِنَ الْأَمَانِ وَالرَّحْمَةِ .

١٥- ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا ﴾ يَصَلُّونَ وَيَسْتَجِيبُونَ بِدَافِعٍ مِنَ التَّقْوَى وَالشُّعُورِ بِالْوَاجِبِ ... وَمِنَ الْوَرَعِ وَالتَّقْوَى أَنْ نَبْتَغِدَ عَنْ كُلِّ شَرٍّ وَبَاطِلٍ ،

وَنَقُصِّلَ الْخَيْرَ جَاهِدِينَ ، وَنَتَعَامَلُ عَلَى إِقَامَةِ الْحَقِّ مُتَنَاصِحِينَ لَا مُسْتَعْلِينَ ، وَإِلَّا فَإِنَّ التَّقْوَى لَا تَنْجِي ، وَالْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ فِي رَدْعِ النَّفْسِ عَنِ الْهَوَى فِي إِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَكَفَى ... أَبَدًا لَا دِينَ وَلَا إِيمَانَ لِمَنْ سَكَتَ عَنِ الْحَقِّ مَهَادِنًا أَوْ مَدَاهِنًا حَتَّى وَلَوْ صَلَّى وَصَامَ ، فَكَيْفَ إِذَا ظَلَمَ أَوْ أَغَاغَ عَلَى الشَّرِّ وَالْبَغْيِ ؟ وَبِجِبِّ السُّجُودِ عِنْدَ تِلَاوَةِ هَذِهِ الْآيَةِ أَوْ الْإِسْتِمَاعِ إِلَيْهَا .

١٦- ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ يَتَرَكُونَ بِاللَّيْلِ فِرَاشَهُمْ إِلَى مَا هُوَ أَهْمٌ وَأَفْضَلُ ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا ﴾ مِنْ سِوَةِ الْعَاقِبَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴿ وَطَمَعًا ﴾ فِي ثَوَابِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَنَالُهُ إِطْلَاقًا إِلَّا الَّذِينَ تَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْمَلُونَ بِنَصِّ سُورَةِ الْعَصْرِ ﴿ وَبِمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ فَكَيْفَ بِالَّذِينَ سَرَقُوا أَمْوَالَ الْمُعْذِنِينَ وَالْمُشْرِدِينَ ، وَهُمْ مُنْتَحَمُونَ ؟ .

١٧- ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ أَبَدًا ، لَا أَحَدٌ يَعْلَمُ مَا أَعَدَّ اللَّهُ مِنْ تَقْدِيرٍ لِلَّذِينَ تَزَهَتْ نَفْسُهُمْ عَنِ الْحَرَامِ ، وَكَمَلَتْ بِأَدَامِ الْوَاجِبِ ، لِأَنَّ هَذَا التَّقْدِيرَ فَوْقَ التَّصَوُّرِ ... هَذَا هُوَ هَدْيُ الْقُرْآنِ أَبْيَاهَا الدَّاعُونَ إِلَيْهِ .

١٨- ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا ﴾ يَعْرِفُ مَا لَهُ وَمَا عَلَيْهِ ، وَيُشْعِرُ بِالْوَاجِبِ وَالْمَسْئُولِيَّةِ عَنْ حَقِّ اللَّهِ وَحَقِّ الْآخَرِينَ ، وَيَعْلَمُ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّهُ مُحَاسَبٌ أَمَامَ اللَّهِ وَالضَّمِيرِ وَأَمَامَ الْمُجْتَمَعِ

يَلْقَاءَ رَبَّهُمْ كَنَفِرُونَ ﴿ * قُلْ يَتُوفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ لَمَّا إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُرْجُومُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا

الذي يعيش فيه لو تهاون وفرط ﴿كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا﴾ لا يشعر إطلاقاً بأي واجب عليه إلا بهمه وهم ذويه ﴿لا يستون﴾ وهل يستوي القراصنة الذين يصدون عن كل خير ، ويقترون كل إثم وجريمة ، مع الذين يستميتون من أجل الحق ، ولا تأخذهم لومة لائم ؟ وجاء في العديد من التفسيرات : أن المراد بالؤمن هنا علي بن أبي طالب ، وبالفاسق الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، ونذكر من هذه التفسيرات جامع البيان للطبري والبحر المحيط للأندلسي وروح البيان لحفي وتفسير القرآن العظيم لابن كثير والدر المنثور للسيوطي والتسهيل لمحمد بن أحمد الكلبي .

١٩- ﴿أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ وأدوا أمانة الله والناس ، وجاهدوا لإعلاء كلمة الحق - فلا شك أن لهم عند الله الدرجات العلى .

٢٠- ﴿وأما الذين فسقوا﴾ وناقضوا وساموا على دينهم وأمتهم وبلادهم فلم عند الله أليم العذاب وشر مأب ، وتقدم مراراً وتكراراً .

٢١- ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى﴾ يعذب سبحانه المجرمين في الدنيا بأفة من آفات ، فإن تابوا فذاك وإلا فأمامهم ﴿دون العذاب الأكبر﴾ وهو جهنم وبئس القرار .

٢٢- ﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه﴾ فسي الذكر ﴿ثم أعرض عنها﴾ مغترأ بجاه أو مال ، فإن الله سبحانه ينتقم منه أشد انتقام .

٢٣- ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ المراد به جنس الكتاب المنزل لا التوراة بالخصوص ﴿فلا تكن﴾ يا محمد ﴿في مرية من لقائه﴾ أي من لقاء الكتاب لا من لقاء موسى لأن الضمير يعود للأقرب والمعنى أن الله سبحانه نزل الكتاب على موسى وعليك أيضاً ، ولا شك في ذلك .

٢٤- ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا﴾ أي جعل سبحانه أنبياء من بني إسرائيل كموسى وعيسى ﴿لما صبروا﴾ على أذى قومهم ، فاصبر أنت يا محمد على أذى قومك .

٢٥- ﴿إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة ...﴾ وأوضح ، وتقدم في البقرة الآية ١١٣ ويونس الآية ٩٣ والنحل ١٢٤ .

٢٦- ﴿أولم يهد لهم كم أهلكنا ...﴾ ألم يتعظ

الإعراب :

أفمن (من) مبتداً وكمن خبر . ولا يستون الجملة مستأنفة . ونزلاً حال أو مفعول مطلق .

كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴿١٩﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِءُ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَآئِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٤﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كُرَّ

الذين كذبوا محمداً (ص) بما أصاب الأمم الماضية لأنهم كذبوا الرسل ؟ وتقدم في ١٢٨ من طه وغيرها .

٢٧- ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزِ ﴾ اليابسة التي لا نبات فيها .

٢٨- ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ يقول الطغاة لمحمد : ﴿ متى هذا الفتح ﴾ متى تنتصر علينا وأنت وأصحابك فقراء مساكين لا تملكون مالاً ولا سلاحاً ؟

٢٩- ﴿ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ ﴾ آت لا محالة ، إن لم يكن في الدنيا فالقضاء الفصل في يوم القيامة حيث ﴿ لا ينفع الدين كفروا ﴾ وبغوا في الدنيا ﴿ إيمانهم ﴾ في الآخرة ، لأن اليوم عمل ولا حساب ، وغداً حساب ولا عمل ﴿ ولا هم ينظرون ﴾ لا يمهلون لأن الله أمهلهم في الدنيا طويلاً ، فأصروا على الضلال .

٣٠- ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ يا محمد ﴿ وانتظر إنهم منتظرون ﴾ اصبر قليلاً لترى حكم الله فيك وفيهم ، وهو أحكم الحاكمين .

سُورَةُ الْاِجْرَاتِ نِسْفٌ مِّنْ مَّا نُنَزِّلُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَنَاقِبُ النَّبِيُّ أَنْتَنِي اللَّهُ وَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ

١- ﴿ يا أيها النبي اتق الله ﴾ ليس هذا أمراً بالتقوى وإلا يكون المعنى يا أيها النبي اتق الله حيث لا نبوة بلا تقوى ، وإنما هو إخبار بصيغة الإنشاء والأمر ، والمعنى نحن نريد ما أنت عليه من التقوى ونحبه منك ، وقال المفسرون : تعلق الأمر هنا بالبقاء والإستمرار على التقوى لا بأصلها وإيجادها ﴿ ولا تطع الكافرين والمنافقين ﴾ لا تساعدكم على شيء ولا تقبل منهم رأياً ومشورة ، وفي الآية ٧٣ من التوبة : ﴿ يا أيها

النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم » .

الإعراب :

فاعل يحد حذف أي أولم يحد الله لهم . وعمل كم التصب بأهلكتنا . والزرع مصدر والمراد به اسم المفعول أي مزروع .

٢-٣- ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۚ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ، وَاصْبِرْ فِي سَبِيلِ دَعْوَتِكَ ، وَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ عَلَىٰ مَهْمَتِكَ .

٤- ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جُوفِهِ ۚ يَتَّبِعِ اللَّهُ وَطِيعَهُ فِي قَلْبٍ ، وَيَرْضَىٰ قُوَى الشَّرِّ وَأَعْدَاءَ اللَّهِ فِي قَلْبٍ ، وَمَعْنَىٰ هَذَا أَنَّ الَّذِي لَا يَنْصُرُ الْحَقَّ وَيُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ فَهُوَ مَعَ الْبَاطِلِ ، وَلِذَا قَالَ الرَّسُولُ الْأَعْظَمُ (ص) : السَّكَتُ عَنْ الْحَقِّ شَيْطَانٌ آخَرُ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ اللَّائِي تَظَاهَرُونَ مِنْهُنَّ أَمَهَاتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۝

٥- ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ كَانَ الرَّجُلُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَتَّبِعُ الْمَوْلُودَ مِنْ غَيْرِهِ ، وَيُلْحَقُهُ بِنَسَبِهِ ، فَحَرَّمَ الْإِسْلَامُ التَّبَنِيَّ ، وَقَالَ مِنْ جُمْلَةٍ مَا قَالَ : ﴿ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۚ وَالْأَقْوَالُ لَا تَجْعَلُ الْبَاطِلَ حَقًّا ، وَغَيْرَ الْوَالِدِ وَالِدًا .

٥- ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ ۚ الَّذِينَ وَلَدُوهُمْ لَا لِلَّذِينَ تَبَنَوْهُمْ ۚ هُوَ أَفْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ۚ أَيُّ نَسَبِ الْوَلَدِ إِلَىٰ وَالِدِهِ الْأَصِيلِ أَعْدَلُ حُكْمًا وَأَصْدَقُ قَوْلًا مِنْ نَسَبِهِ إِلَى الدَّخِيلِ ۚ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ۚ إِنْ جَهِلْتُمْ آبَا الْمُتَّبَنِيِّ وَاسْمُهُ فَقُولُوا : هَذَا أَخِي فِي الدِّينِ أَوْ مَوْلَايَ بِإِشَارَةِ إِلَى الْمَوَدَّةِ أَوْ مَوْلَىٰ إِنْ كَانَ رَقًّا وَأَعْتَقَهُ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ ... ۚ كُلُّمَا يَخْطِئُ لِسَبِّ وَاضِحٍ وَبَسِيطٍ ، وَهُوَ أَنَّ الْإِنْسَانَ غَيْرَ مَعْصُومٍ ، وَلَكِنْ الْخَطَأُ أَنْوَاعٌ ، مِنْهَا خَطَأُ الْفُرُورِ وَالْجَهْلِ بِالْجَهْلِ ، وَمِنْهَا خَطَأُ الْحُبِّ أَوْ الْبَغْضِ الَّذِي يَصُورُ الشَّيْءَ لِصَاحِبِهِ كَمَا يَجِبُ هُوَ أَنْ يَتَصَوَّرَهُ عَنْ ذَلِكَ الشَّيْءِ الْمَحْبُوبِ أَوْ الْمُبْغُوضِ ، لَا كَمَا هُوَ فِي وَاقِعِهِ ، وَمِنْهَا الْخَطَأُ النَّاشِئُ عَنِ التَّهَوُّنِ وَالْتِقَاصِيرِ بِحَيْثُ يَنْتَهِي الْخَطَأُ إِلَى إِرَادَةِ الْخَطِئِ ، وَمِنْهَا الْخَطَأُ بَعْدَ التَّحْفِظِ وَاسْتِفْرَاقِ الْوَسْعِ . وَكُلُّ أَنْوَاعِ الْخَطَأِ تَسْتَحِقُّ الْمُوَاخَاةَ مَا عَدَا الْأَخِيرَ .

٦- ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ۚ لِلْوَلَايَةِ مَعَانٍ تَخْتَلِفُ تَبَعًا إِلَىٰ مَنْ تَنْسَبُ إِلَيْهِ ، فَوَلَايَةُ اللَّهِ سَبْحَانَهُ مَعْنَاهَا السُّلْطَةُ الَّتِي لَا تَغْلِبُ ، وَمَعْنَىٰ وَلَايَةِ النَّبِيِّ الطَّاعَةُ مِنْ غَيْرِ اعْتِرَاضٍ ، وَمَا مِنْ شَكٍّ أَنَّ تَصَرُّفَاتِ النَّبِيِّ بِكَامِلِهَا هِيَ لِخَيْرِ الْفَرْدِ وَالْجَمَاعَةِ ۚ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ - ١٢٨ التَّوْبَةُ ۚ وَأَزْوَاجُهُ أَمْهَاتُهُمْ ۚ فِي الْإِحْتِرَامِ وَالْمِرَّةِ وَتَحْرِيمِ الزَّوْجِ ، وَلَا يَسِرُّ هَذَا التَّحْرِيمَ وَيَنْتَشِرُ إِلَى أَرْحَامِهِمْ ۚ وَأَوَّلَى الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ۚ فِي الْمِيرَاثِ ۚ فِي كِتَابِ اللَّهِ ۚ فِي حُكْمَتِهِ شَرِيعَتُهُ ، وَتَقْدَمُ فِي آيَةِ ٧٥ مِنَ الْأَنْفَالِ ۚ إِلَّا أَنَّ

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جُوفِهِ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۝ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَفْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ۚ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ ۚ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ۚ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ

الإعراب :

اللَّائِي صفة لأزواجكم، وهي جمع النِّسْبَةِ. ذلكم أي دعاءكم. وما تعمدت عطف على فِيمَا أَخْطَأْتُمْ أي ولكن فِيمَا تَعَمَّدَتْ.

تَفْعَلُوا إِلَيْكُمْ أُولِيَاكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ
مَسْطُورًا ﴿١﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ
وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا
مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢﴾ لَيْسَ لِلصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ
وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣﴾ يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا
أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٤﴾
إِذْ جَاءَ وَكَرَّمِينَ فَوْقَكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ
الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ
الظُّنُونًا ﴿٥﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا
شَدِيدًا ﴿٦﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٧﴾ وَإِذْ قَالَتْ

تفعلوا إلى أولياتكم معروفاً ﴿ وهم الأصديقاء والمعتقون آنذاك والأرحام غير الوارثين والمراد بالمعروف هنا أن تبروا هؤلاء بصدقة أو هبة أو وصية ﴾ كان ذلك ﴿ أي إرث أولي الأرحام والمعروف لغیرهم ﴾ في الكتاب مسطوراً ﴿ ثابتاً في حكم الله وشريعته .

٧- ﴿ وإذ أخذنا من النبيين ﴾ كل النبيين ﴿ ميثاقهم ومنك ﴾ أن تقيموا الدين ، وتبلغوا رسالة الحق إلى الخلق ، وهذا هو المراد بالميثاق الغليظ وذكر سبحانه محمداً بالخطاب ، وبالإسم نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ، لأنهم أولو العزم أي لكل شريعة خاصة ، ويأتي البيان في تفسير الآية ٣٥ من الأحقاف .

٨- ﴿ ليسأل الصادقين عن صدقهم ﴾ أي عن مقاصدهم بأعمالهم هل كان القصد وجه الله الكريم أو شيئاً آخر .

٩- ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ﴾ الخطاب للصحابه ، ونزلت هذه الآية وما بعدها إلى الآية ٢٧ في وقعة الخندق ، وقصتها مدونة بالتفصيل في التفسير المطولة وكتب السيرة والتاريخ ويضيق عنها هذا الوجيز ، لذا تقتصر على تفسير الجملة والكلمة المفردة ﴿ إذ جاءكم جنود ﴾ من قبائل شتى بقيادة أبي سفيان ، إلى المدينة المنورة ﴿ فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها ﴾ قال المفسرون : هم ملائكة أما الريح فكانت عاتية أطفأت نيرانهم ، وأكفأت قلوبهم ، واقتلعت خيامهم ، وأفسدت كل شيء حتى عجزوا معها على القرار ، فولوا مخذولين .

١٠- ﴿ إذ جاءكم من فوقكم ومن أسفل منكم ﴾ حاصر جيش الأحزاب المدينة وعسكر المسلمين من كل جهة ، ولم يدع منفذاً ﴿ وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ﴾ كناية عن شدة الخوف ﴿ وتظنون بالله الظنونا ﴾ ظن بعض الصحابة أن الله لن ينصر دينه ونبيه .

١١- ﴿ هنالك ابتلي المؤمنون ﴾ امتحنوا بالشدائد والمكاره ﴿ وزلزلوا زلزالاً شديداً ﴾ ارتعدوا واضطربوا .

١٢- ﴿ وإذ يقول المنافقون ﴾ الذين أبطنوا الكفر ، وأظهروا الإيمان ﴿ والذين في قلوبهم مرض ﴾ أي ضعف في العقل والإيمان ولذا يتأثرون بالدعايات الكاذبة المضللة .

١٣- ﴿ وإذ قالت طائفة منهم ﴾ من المنافقين : ﴿ يا

الإعراب :

أماهم على حذف مضاف ، أي مثل أمهاتهم . وأولو الأرحام مبتداً وبعضهم مبتداً ثانٍ وأولى خبره والجملة خبر المبتداً الأول . والمصدر من أن تفعلوا مبتداً وخبره محذوف والجملة في محل نصب على الاستثناء المنقطع ، والتقدير ولكن فعملكم إلى أولياتكم معروفاً جائز .

أهل يثرب في اسم المدينة في لا مقام لكم فارجعوا في قيل :
كان جيش الشرك ما يقرب من عشرة آلاف ، ومع النبي
سبعمائه مقاتل - وقيل : بل أكثر . فقال بعض المنافقين لجيش
الإسلام : لا طاقة لكم بهذا الجيش الحرار ، ولا نجاة منه
إلا بالفرار في ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا
عورة في أي منكشفة للصوص ، كان بعض المنافقين يطلبون
الإذن من النبي بالإنصراف ، ويتعللون بهذه الأعذار ، فأكدبهم
سبحانه بقوله : في وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً في من
الجهاد ونصرة الحق .

١٤- في ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة
لأنفوسهم وما لتبليها بها إلا يسيراً في لو دخلت جيوش الشرك المدينة
منتصرة ، وأحاطت بها من كل جانب ، وقال المشركون للمنافقين
وضعاف الإيمان : أعلنوا العداء لمحمد والإرتداد عن الإسلام -
لاستجابوا فوراً من غير تردد ، أو ترددوا قليلاً ثم خضعوا وخضعوا .

١٥- في ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل في هذا الخوف
أن يشنوا مع رسول الله حتى الموت ، ولكنهم تركوه من النظرة
الأولى إلى جيش الأحزاب .

١٦- في قل في للمنافقين يا محمد : في لن ينفعكم
الفرار في من الموت فإنه ملائكم لا محالة .

١٧- في ولعل من ذا الذي يعصمكم من الله في أبداً
لا عاصم من أمره ، ولا ناصر من دونه .

١٨- في قد يعلم الله المعوقين منكم في الشيطان في والقائلين
لإخوانهم في أي أصحابهم وعشائرهم في هلم إلينا في تعالوا
إلى ما نحن فيه من الضلال والتمار في ولا يأتون البأس في القتال في إلا قليلاً في إذا اضطروا إلى القتال قاتلوا

١٩- في أشعة عليكم في بأموالهم وأنفسهم وقت الحرب وساعة العسرة في فإذا جاء الخوف في ساعة القتال نظر المنافقون
إلى رسول الله (ص) نظر المغشي عليه من سكرات الموت

طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَأْهَلُ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا
وَيَسْتَعْذِرُونَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا
هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٤﴾ وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ
مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْنَهَا وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا
بِئْسَ إِسْرَارًا ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ
الْأَدْبَرَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٦﴾ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ
الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ
إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٧﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ
أَرَادَ بِكُمْ سُوًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ
دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٨﴾ * قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعُوقِينَ
مِنْكُمْ وَانْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ
إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٩﴾ أَفَحُجَّتْ عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ

الإعراب :

ويثرب لا تنصرف للعلمية ووزن الفعل . ويسيراً صفة لظرف زمان محذوف أي الا زمناً يسيراً . ولا يولون جواب عاهدوا لأنه بمعنى
اقسموا . لا تمتعون إلا قليلاً أي إلا زمناً قليلاً . وهلم اسم فعل بمعنى أقبل ونعال عند أهل الحجاز ، وتقال بلفظ واحد للمفرد والمثنى
والجمع والمذكر والمؤنث . وأشعة حال في الموضعين .

خَوْفًا وَجَبًا ، ولأذاوا به ليحرسهم ويدود عنهم ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ ﴾ وكفى الله المؤمنين القتال ملأوا الدنيا بشجاعتهم ونجدتهم ﴿ وَهُمْ سَلْفُكُمْ بِالسَّيِّئَةِ حِدَادٍ ﴾ يزرون بمواقف الأبطال وشجاعة الشجعان ! وما أشبه هؤلاء بأهل الشعارات الدينية المزينة والوطنية المزخرفة في هذا العهد ! ولكن للناس الطيبين حاسة خفية في أعماقهم لا تخفى عليها هذه الأغشية الكاذبة ﴿ أَشْجَعُ عَلَى الْخَيْرِ ﴾ المراد بهذا الخير الغنيمة ، أي أن المنافقين جنباء عند الحرب ، وأهل جرأة وصلافة عند تقسيم الغنائم ﴿ أُولَئِكَ لَمْ يَأْمُرُوا ﴾ منذ البداية بل نافقوا ﴿ فَأَحْطِ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ﴾ لم يقبل منها شيئاً لأنها لغير الله . وفي الحديث : من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه .

٢٠- ﴿ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا ﴾ سيطر الملع والفرع على المنافقين الجنباء حتى خيل إليهم أن جيش الأحزاب لن يجلو عنها ويسحب منها إطلافاً علماً بأنه هزم وولى الدبر ﴿ وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابَ ﴾ لغزو المدينة مرة ثانية ﴿ يَهُودُوا ﴾ أي المنافقون الجنباء ﴿ لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ ﴾ قائمون في البادية مع الأعراب بعيدون عن المدينة ﴿ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ ﴾ من ورد عليهم : ماذا حلَّ بالمدينة وأهلها من جيش الأحزاب ؟

٢١- ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسُوءَ حَسَنَةٍ ﴾ عليكم أن تقتنوا برسول الله (ص) ، في الصبر عند الجهاد ﴿ لَمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ بأمل ثواب الله ونعيم الآخرة ﴿ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ كناية عن إقامة الفرائض الخمس .

٢٢- ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فَنَهُم مِّن قَضَىٰ نَحْبِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا

٢٣- ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَلُّوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ الإيمان عهد وميثاق ورابطة متينة بين الله وعبده على الطاعة ، والشرط الأساس في هذه الطاعة أن لا يتساهل المؤمن الحق مع نفسه ولا مع أولاده وذويه في أي شيء لا يرضي الله سبحانه ، ومتى تحقق هذا الشرط لم يبق في وجه المؤمن أي حاجز يصد عنه مرضاته تعالى ، وبدون هذا الشرط فلا إيمان إلا في اللون والشكل ، وكان لرسول الله (ص) رجال كثرة على الإيمان الحق . يقدونه بالمهج والأرواح ، وكان الآباء يبارزون الأبناء كما كان الولد يتربص بأبيه وأخيه وكانت المرأة تفتدي زوجها وولدها وأباها وأخاها ، وهي تحمد الله على نجاة رسول الله (ص) وهذه الآية نزلت في هؤلاء الصفوة ﴿ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ ﴾ استشهد يوم بدر وأحد ﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ ﴾ الشهادة أو النصر .

يَنْتَظِرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَنَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُكُمْ بِالسَّيِّئَةِ حِدَادٍ أَشْجَعُ عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يَأْمُرُوا فَأَحْطِ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَو أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسُوءَ حَسَنَةٍ لَمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَنَهُم مِّن قَضَىٰ نَحْبِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا

تَبْدِيلًا ﴿٣٣﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ
الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا
رَحِيمًا ﴿٣٤﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَيْثِهِمْ لَدَيْنَاوَا خَيْرًا
وَكُنِيَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْفِتَالُ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٣٥﴾
وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ
وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ
فَرِيقًا ﴿٣٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ
تَطْعُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٣٧﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ
قُلٌّ لِأَزْوَاجِكُ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا
فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُمْ وَأَسْرِحْكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٣٨﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ
تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ
مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٩﴾ يٰنِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ

٢٤- ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ﴾ أي يوفائهم
للعهد جنات تجري من تحتها الأنهار ﴿ ويعذب المنافقين ﴾
لأنهم نقضوا العهد والميثاق ﴿ إن شاء ﴾ أي شاء ﴿ وهذا التعليق على
المشيتة هو استثناء ، والمعنى يعذب الله المنافقين إلا من تاب
﴿ أو يتوب عليهم ﴾ أي ومع توبتهم يتوب عليهم .

٢٥- ﴿ ورد الله الذين كفروا بغيظهم ﴾ وهم أحزاب
الشرك بقيادة أبي سفيان ، ردهم سبحانه ويصدهم عن مدينة
الرسول حائقين من القتل والخذلان ﴿ لم ينالوا خيراً ﴾ أي
لم ينالوا النبي والمسلمين بسوء وشر تراه أحزاب الشرك نصراً
لها وخيراً ﴿ وكفى الله المؤمنين القتال ﴾ قال ابن كثير عند
تفسير « وزلزلوا زلزالاً شديداً » : « إن عمرو بن ود اقتحم
الخذلق ومعه فوارس ، فندب رسول الله خيل المسلمين إليه ،
فيقال : أنه لم يبرز إليه أحد . فأمر النبي (ص) علياً (رض)
فخرج إليه ، فتجاولا ساعة ، فقتله علي ، فكان علامة النصر .

٢٦- ٢٧- ﴿ وأنزل ﴾ الله سبحانه ﴿ الذين ظاهروهم ﴾
وهذا الضمير يعود لأحزاب الشرك ﴿ من أهل الكتاب من
صياصيهم ﴾ أي من حصونهم ، نزلت هذه الآية في يهود
بني قريظة ، وكانوا قد عاهدوا رسول الله (ص) وهم يساكنونه
بالمدينة أو بضواحيها - أن لا يعينوا عليه عدواً ، ولما حاصرت
الأحزاب المدينة تقضوا عهد رسول الله ، وأعلنوا عليه الحرب
وحين انصرفت الأحزاب عن المدينة حاصروا رسول الله ،
وعرض عليهم الإسلام على أن يكون لهم ما للمسلمين ، فأشار
عليهم رئيسهم كعب بن أسد أن يسلموا ، فأبوا ، وطلبوا من
النبي بملء إرادتهم أن يتركهم على حكم سعد بن معاذ ، فاستجاب النبي لطلبهم ، فحكم عليهم بنص توراتهم الذي جاء في إصحاح
عشرين من سفر التثنية ، وخلصه أن تقتل رجالهم المقاتلون ، وتقسم أموالهم ، وتسبي نساؤهم وذرياتهم .

٢٨- ٢٩- ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك ... ﴾ شك أزواج النبي (ص) له من قلة النفقة ، وطلبين التوسعة ، فنزلت
هذه الآيات ، وخلصتها أن يخير النبي نساءه بين الطلاق أو الصبر على ضيق الحال ، ولهن جزاء ذلك الثواب الجزيل ،
فاخترن رضا الله والرسول وثواب الآخرة .

٣٠- ﴿ يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة ﴾

الإعراب :

وكفى هنا تتعدى الى مفعولين مثل كفاك الله شر الأعداء ، والمؤمنين مفعول أول ، والقتال مفعول ثانٍ .

أي بمصيبة واضحة ثابتة من أي نوع تكون ﴿ يصاعف لها العذاب ضعفين ﴾ أي يكون عذابها في الآخرة مثلي عذاب غيرها لعل مكاتبا .

٣١- ﴿ ومن يفتن منكنا لله ورسوله ﴾ من تطع الله والرسول ﴿ وتعمل صالحاً نؤتيها أجراً ﴾ غداً ﴿ مرتين ﴾ من كان عليه الغرم فله الغنم ، وأيضاً إذا كانت عقوبة الكبير أعظم كانت مثوبته أجزل .

٣٢- ﴿ يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن ﴾ أنتن فوق النساء شرفاً برسول الله (ص) بشرط التقوى وإلا انقطعت الصلة بينكن وبين الرسول ﴿ فلا تخضعن بالقول ﴾ لا يسوغ لأي امرأة أن تخاطب الأجنبي بالأسلوب الذي تخاطب به زوجها ، أو تنظر إليه نظرة توحى بالريبة وإلا طمع فيها الشباب العاهر الفاسد .

٣٣-٣٥- ﴿ وقون في بيوتكن ... ﴾ حث سبحانه كل النساء على الإستقرار في المنزل وتديريه ، وتربية الأطفال وعدم التبرج والتهاك ، وعلى تلاوة القرآن ، والتفقه في أحكام الصلاة والصيام والطهارة والحيض .

﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾ المراد بالرجس هنا الذنوب وأن الله سبحانه قد طهر أهل البيت من كل ذنب وخطيئة ، ولكن لا بإرادته التكوينية حيث لا فضل مع الجبر ، ولا بإرادته التشريعية لأن العصمة موضوع كالعادلة ونحوها ، وليست حكماً كالوجوب وغيره من الأحكام الخمسة ، وعليه يكون معنى الآية أن أهل

يَفْتَحُشَ مُبَيَّنَةً يُضَعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۖ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣١﴾ * وَمَنْ يَفْتِنِ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِيهَا أَجْرًا مَرَّتَيْنِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣٢﴾ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ ۚ إِنَّ اتَّقِيْنَ فَلََّا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٣﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ۚ وَأَقِنَّ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٤﴾ وَأَذْكُرْنَ مَا يُبْتَلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ

البيت عند الله هم صديقون مطهرون من كل ذنب ، وجاء في صحيح مسلم القسم الثاني من الجزء الثاني ص ١١٦ طبعة سنة ١٣٤٨ هـ : أن هذه الآية نزلت في النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين ، ومثله في صحيح الترمذي ومسند الإمام أحمد وغيرهما من كتب الحديث عند السنة ﴿ إن المسلمين والمسلمات ... ﴾ جاء في التفسير أن بعض النساء قلن : ذكر سبحانه في كتابه الرجال : ولم يذكرنا فترتل هذه الآية لتقرر وتؤكد أن الناس سواء في الحقوق والواجبات وفي الحساب والجزاء ، وأنه لن يفوز بالخير إلا عامله ، ولا ييثر جزاء الشر إلا فاعله ذكرأ كان أم أنثى ، أسود أم أبيض ، غنياً أم فقيراً .

الإهراب :

مرتين نائب المفعول المطلق لأنه بمعنى مثلين . وقال كأحد ولم يقل كواحدة لأن (أحد) هنا بمعنى غير ، أي لستن كغيركن من نساء . والمصدر من ليذهب متعلق بيريد . وأهل البيت منادى أي يا أهل البيت .

زيد وطلاقه وزواج النبي (ص) واقعاً لا محالة والهدف إجتماعي وإنساني محض .

٣٨- ﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ ﴾ أي فيما أمره به من تزويجه بزَيْنَب بعد طلاقها من زيد ، وفي هذا رد على من تكلم وطعن ﴿ سنة الله في الدين خلوا من قبل ﴾ هذا هو دأبه تعالى وحكمه في الأنبياء السابقين ، هو يأمر ، وهم بأمره يعملون ، فعلام الإنكار وإثارة الغبار حول هذه القصة ؟ .

٣٩- ﴿ الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رَسُولَاتِ اللَّهِ ﴾ إلى عبادته ، ويؤدونها بأمانة وإخلاص ، ويتحملون في سبيلها ألواناً من الأذى ، ومع ذلك يمحضون ولا يكتنون ﴿ ولا يخشون أحداً إلا الله ﴾ ولك يا محمد ياخوانك الأنبياء أسوة وعزاء .

٤٠- ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾ بالنسب والولادة كي نحرم مطلقة زيد عليه ﴿ ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ فلا نبي بعد محمد (ص) ولا شريعة لله بعد شريعة الإسلام ، وفي تفسير روح البیان لإسماعيل حضي : « لو جاء بعد رسول الله (ص) نبي لجاء علي بن أبي طالب ، لأنه كان منه بمنزلة هرون من موسى » .

٤١-٤٢- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ فِي كَفِّ الْأَذَى عَنْ عِبَادِهِ وَعِيَالِهِ أَوَّلًا وَقَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ ، ثُمَّ فِي التَّعَبُدِ وَالتَّضَرُّعِ لَهُ وَحْدَهُ .

٤٣- ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ ﴾ بالتوفيق والرحمة ﴿ وملائكته ﴾ تصلي عليكم بالدعاء ﴿ ليخرجكم من ظلمات ﴾ الجحيم ﴿ إلى نور ﴾ النعيم .

٤٤- ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ... ﴾ تقدم في الآية ١٠ من يونس وغيرها .

٤٥-٤٦- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ ﴾ داعياً إلى الحق ، وشاهداً على الخلق .

٤٧- ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ بالمثوبة ، وأنذر الكافرين بالعقوبة .:

الإعراب :

وسته منصوب على المصدرية أي سن الله سنة . والذين يبلغون صفة للذين خلوا ، والمراد بهم الأنبياء السابقون ، جملة وكان أمر الله معترضة . وحسياً تمهيز . ورسول الله خير كان مخلوقة أي ولكن كان محمد رسول الله . وملائكته عطف على الضمير المستتر في يصلي . وشاهداً حال .

اللَّهُ مَفْعُولًا ﴿٣٨﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رَسُولَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٤٠﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤٢﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٣﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٤﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٥﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٦﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٧﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ

٤٨- ﴿ وَلَا تَطْعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾ لا تصنع لأحد منهم فيما يقول ويشير ﴿ ودع أذاهم ﴾ أعرض وتجاوز عنهم ، فإن الله يكفيك شر كل ذي شر .

٤٩- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ أجريتم عليهن عقد زواج ﴿ لم تطلقتموهن من قبل أن تمسوهن ﴾ بالدخول فلا عدة للمطلقة غير المدخول بها ، ولما أن تزوج إن شاءت من فورها ﴿ فمتوهن وسرحوهن سراحاً جميلاً ﴾ والمتعة في الشرع عبارة عن منحه يقدمها المطلق لمطلقة تبناً ليسره وعسره ، ولا تجب عليه إلا بشرطين : الأول أن يجري العقد مجرداً عن ذكر المهر . الثاني أن يقع الطلاق قبل الدخول ، ونطقت بهذين الشرطين الآية ٢٣٦ من البقرة . أنظر تفسيرها .

٥٠- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَعْلَمْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ ﴾ ذكر سبحانه في هذه الآية وما بعدها الأزواج الحلال على التفصيل الآتي : (١) ﴿ اللاتي آتيت أجورهن ﴾ المراد بالأجور هنا المهور ، والأفضل تعجيل المهر كما توحى كلمة «آتيت» والمعنى كل امرأة لا زوج لها فلك أن تتزوجها متى أدبت المهر (٢) ﴿ وما ملكت يمينك ﴾ كالسراري من غنائم الحرب مع المشركين ، ولا موضوع لهذا الحكم في العصر الراهن (٣) ﴿ وبنات عمك ﴾ وعماتك وخالك وخالاتك ﴿ اللاتي هاجرن معك ﴾ وإنا خصصنا بالذكر علماً بأنهن من القسم الأول - لمجرد الإشارة أن المهاجرات من القرابة أفضل من غير المهاجرات (٤) ﴿ وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي ﴾ بلا مهر ﴿ أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين ﴾ أي

لا يسوغ لغير النبي أن يتزوج امرأة بلا مهر إطلاقاً ، أجل للزوجة أن تهب مهرها لزوجها بعد ثبوته في ذمته ﴿ قد علمنا ما فرضنا عليهم ﴾ أي غيرك من المسلمين ﴿ في أزواجهم وما ملكت أيماهم ﴾ يقول سبحانه لنبيه : حدد الله للمسلمين الزواج بأربع حرائر ، والتمتع بما يشاءون من الإماء ، أما أنت يا محمد فقد رخص الله لك أن تتزوج بأكثر من أربع حرائر لئلا يكون عليك أي حرج وضيق فيما أردت من النساء مكافأةً لجهادك وجهودك ، ولما قاسيت وعانيت في سبيل الدين وإعلاء كلمته .

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّ اللَّهَ فَضَّلَا كَبِيرًا ﴿ وَلَا تَطْعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾ وَدَعِ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكُنْ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَعْلَمْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِكَ وَبَنَاتِ عَمَتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْكُمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِيَجْزِيَكَ اللَّهُ حَرْجٌ وَكَانَ اللَّهُ

الإعراب :

ومن عدة (من) زائدة إعراباً وعدة مبتدأ مؤخر، ولكم خبر مقدم. وجملة تمتدونها صفة لعدة. «وامرأة» عطف على أزواجك أي وأحللنا لك امرأة. «وخالصة» حال من الضمير المستتر بوهبت. «والكيلا» متعلق بخالصة.

٥١- ﴿ تَرْجِي مِنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ وَتُؤَيِّ إِلَيْكَ مِنْ تَشَاءُ ﴾

ترجي : تؤخر ، وتؤوي : تضم ، والمعنى لا يجب عليك أن توزع لياليك يا محمد بين أزواجك بالسوية ، بل الخيار لمشيتك ﴿ ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ﴾ ابتغيت : عاشرت ، وعزلت : هجرت أي لك أن تعود إلى معاشرة من هجرت ، وهجر من عاشرت ، وفي تفسير ابن كثير نقلاً عن البخاري : أن عائشة قالت لرسول الله (ص) : أرى ربك يسارع لك في هواك ﴿ ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتينهن كلهن ﴾ متى علمت أزواجك يا محمد أن الأمر بيدك ، وليس القسمة والتوزيع بالسوية فرض عليك ، ولا يحق لواحدة منهن أن تعترض - رضيت منك بما تشاء أنت ، وتراه تفضلاً وليس حقاً لازماً ... ومع هذا فقد كان النبي يساوي بين أزواجه .

٥٢- ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدِّلَ بَيْنَ أَزْوَاجٍ لَوْ أَنْعَمْتَ كَسْتُمْ مِنْهُنَّ حَسَنَةً ﴾

من أزواج ولو أنعمت كسستم منهن حسنة ﴿ بعد أن أباح سبحانه لنبيه أنواعاً من النساء كما سبقت الإشارة ، أوجب عليه في هذه الآية الإكفاء بمن في عصمته فعلاً ، وكُنَّ تسعاً ، وحرم عليه أن يطلق واحدة منهن ، ويتزوج مكانها أخرى حتى ولو أعجبه ، وذلك مجازاة لأزواج النبي على حسن صنعهم مع رسول الله واختيارهم الله ورسوله حين خبر بين الطلاق أو الصبر على الضيق مع الرسول ﴿ إلا ما ملكت يمينك ﴾ من الإمام والسراري ، فتمتع بهن ما شئت ، ولا وجود لهن في هذا العصر .

٥٣- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ ﴾

أن يؤذن لكم إلى طعام ﴿ كل بيت لا يسوغ دخوله إلا بإذن من أهله سواء أكان البيت للنبي أم لشقي ، كما في الآية ٢٧ من النور ، ولكن لهذه الآية سببها الخاص ، وهو أن قوماً من الطفيليين كانوا ينجسون وقت الطعام ، ويدخلون بيت النبي (ص) وينظرون ، فإذا جاء أكلوا ولم ينصرفوا ، فزلت الآية بالنهي عن ذلك ﴿ غير ناظرين ﴾ أي منتظرين الطعام ﴿ إنا ﴾ بكسر الهمزة بمعنى وعاء الطعام ، وفتحها بمعنى وقت الطعام ﴿ ولكن إذا دعيت فادخلوا ﴾ أما من غير دعوة فلا تدخلوا ﴿ فإذا طعمتم فانتشروا ﴾ انصرفوا إلى شأنكم ﴿ ولا مستأنسين لحديث ﴾ يدخلون قبل الطعام بلا استئذان ويمكثون ، فإذا آن الأوان أكلوا ، وإذا انتهوا من الأكل جلسوا للحديث والسر ﴿ إن ذلكم كان يؤذي النبي ﴾ الله والملائكة والناس أجمعين ﴿ فيستحي منكم ﴾ النبي يكره وجودكم ، ولا يصارحكم بذلك حياء منكم ، ولكن أنتم لا تستحون ولا تغفلون ، وفي الحديث : من لا حياء له لا إيمان له ﴿ والله لا يستحي من الحق ﴾ أي من النهي عن الأذى والتطفل .

﴿ وإذا سألتهم عن عائشة فليسل عنها ويتناولها ﴾ فسألوه من وراء حجاب ﴿ ولا يختص بهذا بيت النبي وحده . بل يعم ويشمل كل البيوت . وإنا ذكر بيت النبي ، لأنه السبب الموجب لتزول الآية ، والدليل

الإعراب :

﴿ وامرأة ﴾ عطف على أزواجك أي وأحللنا لك امرأة . ﴿ وخالصة ﴾ حال من الضمير المستتر بوجهت . ﴿ وكليلاً ﴾ متعلق بخالصة .

على الشمول قوله تعالى في بيان علة الحكم : ﴿ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِمْ ﴾ وأبعد عن الفساد والفتن والأفكار السوداء عند الرجال والنساء ﴿ وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً ﴾ لأنهن بمنزلة أمهات المؤمنين وفي تفسير الرازي وروح البيان : « أن هذه الآية نزلت حين قال طلحة بن عبيد التيمي : لئن مات محمد لأتزوجن عائشة » ويؤيد ذلك قوله تعالى بلا فاصل :

٥٤- ﴿ إِنْ تَبَدَّلُوا شَيْئاً أَوْ خَفَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾ هذا تهديد ووعيد لمن أعلن أو أبطن الزواج بنساء النبي من بعده .

٥٥- ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ ... ﴾ لا أوجب سبحانه الحجاب على النساء أباح لهن السفر والظهور لذوي المحارم المذكورين في الآية ٣١ من النور بتفصيل أشمل .

٥٦- ﴿ إِنْ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يَصُلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ سئل الإمام الرضا عليه السلام عن معنى صلاة الله والملائكة والمؤمنين على النبي فقال : « الصلاة من الله الرحمة ، ومن الملائكة التريكة ، ومن المؤمنين الدعاء » . وفي صحيح البخاري ج ٨ باب الصلاة على محمد قيل : يا رسول الله كيف نصلي عليك ؟ قال : قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ... والشيعه يقرنون بين النبي وآله في الصلاة عليه عملاً بهذا الحديث ، والسنة يجمعون على صحة الحديث هذا ، ولكن لا يقرنون بين النبي والآل - في الغالب - وعلى أية حال فإن أفضل الصلوات على محمد وآله هو أن نتعلم سنته ونعمل بها ،

ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٣٣﴾ إِنْ تَبَدَّلُوا شَيْئًا أَوْ خَفَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٤﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا بَنَاتِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٥﴾ إِنْ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يَصُلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٣٦﴾ إِنْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ مَا أَكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٣٨﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ

ونعلمها للناس .

٥٧- ﴿ إِنْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ والناس ، كل الناس ، ﴿ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ المراد بإيذاء الله سبحانه غضبه على من عصاه وبقمته منه ، أما رسول الله (ص) فقد أودى في الله أشد الإيذاء ، ومع هذا ضاعف الجهاد حتى ظهر دين الحق على الدين كله .

٥٨- ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ مَا أَكْتَسَبُوا ﴾ أي ظلماً وعدواناً ﴿ فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾ الأذى والظلم حرام محرم من حيث هو سواء أوقع على مؤمن أم كافر . فقد جاء في المجلد الثاني من أصول الكافي عن المعصوم (ع) : أن الله سبحانه لا يدع ظلامة المظلومين وإن كانوا كفاراً . وإنا خصص سبحانه المؤمنين بالذكر لأن الكفار والأشرار يقصدون المؤمنين الأتقياء بالظلم والأذى أكثر مما يقصدون الفاسقين الأشقياء ، بل هؤلاء من الأقربين الأنصار .

٥٩- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

الإعراب :

المصدر من أن يؤذن لكم في موضع الحال أي إلا ما دونكم لكم . ﴿ وإلى طعام ﴾ متعلق بيؤذن . ﴿ وغير ناظرين ﴾ حال من فاعل تدخلوا . ولا مستأنسين عطف على غير ناظرين أي غير ناظرين ولا مستأنسين .

يدين عليهن من جلايين ﴿ جمع جلاب يغطي رأس المرأة وجعبها ، ويدنين : يرسلن ، وهذه الآية أوضح في الدلالة على وجوب الحجاب ، من قوله تعالى : « ولا يبدن زينتهن إلا لبعولتهن - ٣١ النور » وقوله : « وإذا سألتوهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب - ٥٣ الأحزاب » ويؤيد قوة هذه الدلالة ورسوخها قوله سبحانه في علة الحكم : ﴿ ذلك أدنى أن يعرفن ﴾ بالعفة والصون ، فإن الحجاب حاجز بين المحتجبة وطعم المعاكس المشاكس ، وفي بعض التفسير القديمة : « إذا احتججن عرفن أنهن حرائر ، ولسن بإماء ولا عواهر » ﴿ فلا يؤذين ﴾ بالنظرات المريية والكلمات البذيئة .

٦٠- ﴿ لئن لم ينته المنافقون ﴾ وهم أشد الناس كفراً في الواقع ، وفي الظاهر مع المؤمنين ﴿ والذين في قلوبهم مرض ﴾ للصوص والزناة وجلاوزة المتزعمين المنطفلين ﴿ والمرحفون في المدينة ﴾ يثيرون الفتن ، ويشيرون الأباطيل ، يضللون البسطاء ﴿ لتغريبنكم بهم ﴾ تأمرلك يا محمد بتأديبهم ، كانت هذه الحثالة تعيث في الأرض فساداً ، فهددها سبحانه بأقسى العقوبات إلا أن تحجم وتكف ، ولا علاج لهذا الداء العياض إلا الإبتصال من الجذور ، ولذا قال سبحانه :

٦١- ٦٢- ﴿ ملعونين أينما ثقفوا ﴾ وجدوا ﴿ أخذوا وقتلوا تقتيلاً ﴾ حيث لا وسيلة لخلاص الإنسانية من شرورهم ولا نجاة لها من ويلاتهم إلا السيف ... ولكن ما الحيلة إذا كانت القوة والسيطرة بالقهر للذين تعاني منهم الإنسانية كل ويل وشر ، كما هو الشأن في هذا القرن - العشرين - ؟

٦٣- ﴿ يسألك الناس عن الساعة ... ﴾ تقدم في الآية ١٨٧ من الأعراف وغيرها .

٦٤- ٦٥- ﴿ إن الله لعن الكافرين ﴾ بإبعادهم من رحمته إلى تقته .

٦٦- ﴿ يوم قلب وجوههم في النار ﴾ تماماً كما تدور الحبة في الماء حين غليانه .

٦٧- ﴿ وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا ﴾ المنحرفين

الإعراب :

جمله ﴿ يدين ﴾ مفعول قل . وذلك أدنى مبتدأ وخبر ، والمصدر من ﴿ أن يعرفن ﴾ مجرور بمن محذوف . ﴿ ولتغريبنكم ﴾ اللام واقعة في جواب قسم محذوف . ثم ﴿ لا يجاورونك ﴾ عطفت على لتغريبنكم . ﴿ إلا قليلاً ﴾ صفة لمحذوف أي إلا زمناً قليلاً . ﴿ وملعونين ﴾ حال من دحل يجاورونك ، أو منصوب على الذم والشتم أي اشتهم وأذم . وأينما في محل نصب بثقفوا وثاني أخذوا . وسنة الله منصوبة على المصدر أي سن الله ذلك سنة في الأمم الماضية . ﴿ وما يدريك ﴾ ﴿ ما ﴾ استفهام في موضع رفع بالابتداء ، ومعناها النبي ، وجمله يدريك خبر وقاعل الفعل محذوف أي وما يدريك بيا أحد . و﴿ قريباً ﴾ صفة لمحذوف أي زمناً قريباً . و﴿ خالدين ﴾ حال من الكافرين . ويوم متعلق بلا يجدون . يا ليتنا ﴿ بيا ﴾ لمجرد التوبيخ وقيل : المنادى محذوف أي يا هؤلاء .

لَا زَوْجَكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبٍ ۚ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَعْرِفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ ۖ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦٠﴾ * لئن لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ فِيهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦١﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أَخَذُوا وَقَتَلُوا قَتِيلًا ﴿٦٢﴾ سَنَةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسَنَةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٣﴾ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عَلَيْهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٦﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٧﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا

من رجال الدنيا والدين ﴿ فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴾ بضلالهم حيث سيطروا بالكذب والخداع أو بالقهر والغلبة ، وشمخوا واستكبروا ونهبوا وسلبوا .

٦٨- ﴿ رَبَّنَا آتِهِمْ ضَعِيفِينَ ﴾ ربنا آتهم ضعفين من العذاب ﴿ الأول لضلالهم والثاني لإضلالهم عبادك ، وتقدم في الآية ٣٨ من الأعراف ٦٩- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ ﴾ يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا ﴿ والذين آذوا موسى هم اليهود ، ما في ذلك رب ، وفي بعض التفسير : أن موسى وهرون صعدا الجبل ، فات هرون فقال له اليهود : أنت قتلتهم وما هذا يبعيد على من قال : الله الفقير ونحن الأغنياء . وفي أية حال فإن قوله تعالى للذين آمنوا بمحمد (ص) : لا تكونوا كالذين آذوا موسى - يشير إلى أن بعض الصحابة افترى على رسول الله ونسب إليه ما هو بريء منه .

٧٠-٧١- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ باتقاء الشبهات في الأقوال والأفعال ، فإن الوقوع فيها يجر إلى التهلكة ﴿ ومن يطع الله ورسوله ﴾ الذي قال : دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ﴿ فقد فاز ﴾ بالسهم الأوفر .

٧٢- ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿ للآمانة ثلاثة أركان : الركن الأول نفس الآمانة التي يجب حفظها والوفاء بها ، والمراد منها هنا التكليف بفعل الواجبات وترك المحرمات ، وبكلمة : الدين . الركن الثاني صاحب الآمانة ، وهو الخالق والمشرع جل وعلا ، ولذا أضافها إلى نفسه في قوله : « إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ » . الركن الثالث الأمين أو المؤمن ، وهو الإنسان ، لأنه المخلوق الوحيد الذي تتوافر فيه شروط المسؤولية كالعقل والحرية والقدرة على التصرف قبضاً وحرصاً ووفاء ، ولذا وضعها سبحانه عند الإنسان دون سواه « الله أعلم حيث يجعل رسالته » - ١٢٤ الأنعام « وقال : حملها الإنسان ولم يقل : حملناها للإنسان للتنبيه إلى استعداده واقتداره على حملها ، وقضاها عن السماء والأرض والجبال لأنها لا تملك هذا الاستعداد وقال : أبين للتنبيه إلى عظمة الآمانة في قدرها ، وأنها فوق ما تطيقه المجرات والجبال الراسيات ﴿ انه كان ظلوماً ﴾ لنفسه حيث استهان بالآمانة ، ولم ينتزه عن الخيانة ﴿ جهولاً ﴾ بقدر الآمانة وعظمتها وبما ينجم عن التهاون بها .

٧٣- ﴿ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ ﴾ اللام هنا للعاقبة أي أن الله كلف الإنسان فعصى بالشرك والتفارق والفسق ، فاستحق العذاب ﴿ ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات ﴾ أي يرحمهم ويحسن إليهم ، لأنهم أبصروا آمانة الله ، وآمنوا بأنها حق يجب أن يؤدى وبصان ، وأنهم محاسبون عليها لا محالة .

الإعراب :

والسبيل مفعول ثانٍ لأضلوها فكان همة التعبدية ، ويجوز أن يكون السبيل منصوباً بنزع الخافض أي عن السبيل . ﴿ يصلح ﴾ مضارع مجزوم بحواب قولوا ﴿ واشفقن ﴾ منها على حذف بضاف أي من حملها

سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٧٠﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضَعِيفِينَ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٧١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٧٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٣﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٥﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٦﴾

سُورَةُ النَّازِعَاتِ فِي كِتَابِ مَا نَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ
بِشَرِّ الْأَلْفَاظِ الْحَسَنَةِ

(٣٤) سُورَةُ النَّازِعَاتِ
وَأَنبَأْنَاهَا أَنِيجَ وَخَشَعْنَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ۝ يَعْلَمُ
مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ
وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَنِيمٌ
الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا
فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ
مُّبِينٍ ۝ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

١- ﴿الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض ..﴾ له الحمد في الدنيا وفي الآخرة ، والملك كله ، والحكم المطلق ، ولا أحد يملك معه شيئاً إلا ملكه مالك الملك .

٢- ﴿يعلم ما يلج في الأرض﴾ من أسرار ومعادن وعناصر ، وأكثرها طي الكتمان حتى الآن ﴿وما يخرج منها﴾ من أزراق وخيرات ﴿وما ينزل من السماء﴾ من رحمة أو عذاب ﴿وما يعرج فيها﴾ أي يصعد ويرتقي من أقمار اصطناعية ومركبات وطيور وطاقرات ، وتقدم في الآية ٥٩ من الأنعام وغيرها .

٣- ﴿وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى ...﴾ أنتم تجهلون المعاد ، ونحن به مؤمنون ، والله يعلم الحق من المبطل فإلى اللقاء ، وتقدم في الآية ٥٣ من يونس .

٤- ﴿ليجزى الذين﴾ أحسنوا بالحسنى ، والذين أساءوا بما كانوا يعملون .

اللغة:

الولوج الدخول. والعروج الصعود. ولا يعزب عنه لا يغيب عنه. ومعجزين من عاجزه أي سابقه ليظهر عجزه. والمراد بالرجز هنا أسوأ العذاب، ومن بيانية.

الإعراب:

الحمد لله مبتداً وخبر. والذي عطف بيان من لفظ الجلالة. وعالم الغيب صفة لربي. ولا أصغر ولا أكبر عطف على مثقال ذرة. والمصدر من ليجزي متعلق بلا يعزب عنه. والذين سموا مبتداً أول وأولئك مبتداً ثانٍ ولهم وعذاب خير والمبتداً الثاني وخبره خير المبتداً الأول. ومعجزين حال من فاعل سموا. والذي أنزل اليك مفعول أول ليرى الذين أتوا العلم، والحق مفعول ثانٍ، وهو ضمير الفصل، ويهدي عطف على الحق لأن الفعل هنا بمعنى الاسم أي والهدى إلى صراط العزيز الحميد.

أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا
فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن
رَّجَزٍ أَلِيمٌ ﴿٢﴾ وَبَرَى الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ
إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ
الْحَمِيدِ ﴿٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نُنْذِرُكَ عَلَى رَجُلٍ
يُسَبِّحُكَ إِذَا مَرَّقْتَ كُلَّ مَرْقٍ أَنْ تُكْرِيَ لِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٤﴾
أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ حِجَابٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى
مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ شَأْنَهُمْ
نَحِيفٌ ﴿٦﴾ أَوْ تُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا
دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجْعَالُ فِيَّ الطَّيْرِ وَالنَّارِ ﴿٨﴾

٥- ﴿والذين سَعَوْا في آياتنا معاجزين﴾ عملوا بكل وسيلة أن يظهروا أنبياء الله بظهر المعاجزين عن إثبات الحق ، ومثله تماماً « يريدون أن يطفئوا نور الله بأهوائهم » .

٦- ﴿ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد﴾ ما من عالم منصف مسلماً كان أو غير مسلم يدرس القرآن دراسة واقعية إلا وينتهي إلى أن كل ما فيه حق وصديق ، وأنه يهدي إلى حياة أقوم أجل أن القرآن ليس كتاباً علمياً أو فلسفياً ، لكن هل من عالم يستطيع أن يتجاهل هذه الحقيقة وهي أن العلماء والفلاسفة ما عثروا على شيء في القرآن يصطدم مع العلم والواقع ؟ وقد أعلن ذلك الكثير من علماء الغرب ، وعلى سبيل المثال نذكر ما قاله الفرنسي «لوازون» : خلف محمد كتاباً آية في البلاغة وسجلاً في الأخلاق ، وليس بينه وبين المسائل العلمية المكتشفة حديثاً أي تعارض . - من مقال بعنوان انتظروا معجزة من السماء نشرته جريدة أخبار اليوم المصرية ت٢٨/١٠١٩٧٢ م .

٧- ﴿وقال الذين كفروا﴾ بالمعاد : أيها الناس ﴿هل ندلكم على رجل﴾ أي محمد (ص) ﴿ينشئكم إذا مرقم كل مرقى أنكم لفي خلق جديد﴾ عظام بالية ، وأجزاء مبعثرة تعود بشراً سوياً ! لن يكون ذلك أبداً ، ولماذا ؟ لا شيء إلا لشعورهم الذاتي بالمحال ، ولا عجب من أهل الجاهلية أن يقولوا هذا ، فنحن في القرن العشرين ، وقال أكثر الناس أو الكثير منهم : محال أن يصعد الإنسان إلى القمر حتى صعد .

٨- ﴿افترى على الله كذباً أم به جنة﴾ كل من آمن بالمعاد ، أو جعل الآلة لها واحداً ، أو ساوى بين الناس في الحقوق والواجبات وقال : ان للطاغين لشر مآب - فهو مجنون أو كذاب ! وهذا المنطق يشهد على نفسه بالجهالة والضلالة

٩- ﴿أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ وعن يمينهم وشمالهم من عظمة الله في خلقه ، ويعلمون أن الله قادر على البعث بعد الموت تماماً كقدرته على إيجاد الكون وخلقته ؟ ﴿إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء﴾ إن الله قادر على البعث ، وأيضاً قادر أن يأمر الأرض فتبلعهم والسماء فتطرهم قطعاً من العذاب ﴿إن في ذلك لآية لكل عبد منيب﴾ راجع إلى عقله ، والمعنى كل ذي لب إذا فكّر وأمن الفكر في قدرة الله ينتهي حتماً إلى الإيمان بالبعث وإمكانه .

١٠- ﴿ولقد آتينا داود ...﴾ تقدم في الآية ٧٩ - ٨٠ من الأنبياء .

الإعراب :

﴿والذين سَعَوْا﴾ مبدأ أول وأولئك مبتدأ ثانٍ و﴿هم وعذاب﴾ خبر والمبتدأ الثاني وخبره خبر المبتدأ الأول . و﴿معاجزين﴾ حال من فاعل سَعَوْا . والذي أنزل إليك مفعول أول ليرى الذين أوتوا العلم ، والحق مفعول ثانٍ ، وهو « ضمير الفصل ، ويهدي عطف على الحق لأن الفعل هنا بمعنى الاسم أي والهدى إلى صراط العزيز الحميد .

١١- ﴿أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ﴾ دروعاً كاسية وافية
﴿وَقَدَّرَ فِي السَّوْدِ﴾ أحكم صنعها لكي تقي المقاتل من
الطنن والضرب ، ولا تمنعه من الحركة .

١٢- ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غَدُوها شهر ورواحها شهر﴾
كانت الريح تحمل سليمان ، وتقطع في الصباح مسيرة شهر
كامل على الأقدام ، وكذلك في المساء ﴿وَأَسْلَمْنَا لَهُ عَيْنَ
الْقَطْرِ﴾ أسلما : أذنا ، عين : نفس الشيء ، تقول : هذا
عين كتابي أي هو بالذات ، والقطر : النحاس أو الحديد ،
وقد أذابه سبحانه لسليمان كما ألان الحديد لأبيه داود ﴿وَمَنْ
يَزِغْ﴾ ينحرف ويخرج عن الطاعة .

١٣- ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ﴾ جمع محراب
وهو المعبود وما أشبهه ﴿وَتَمَائِيلٍ﴾ جمع تمثال وهو صورة
الشيء ﴿وَجَفَانَ﴾ جمع جفنة وهي القصة ﴿كَالْجَوَابِ﴾
جمع جابية وهي الحوض الكبير ﴿وَقَلْبُورٍ﴾ جمع قدر
﴿وَأَسْيَافٍ﴾ ثابته ، وتقدم في الآية ٨٢ من الأنبياء .
وتجدر الإشارة أنه قد كان ما كان لسليمان من قصور وجفان
وتماثيل وأكاليل ولكن ما كان ذلك أو شيء منه على حساب
العبادة والجاهلين كلا ولا بأيديهم كالأهرام في مصر ، وقصر
بلدز في القسطنطينية أو قصر الآس في غرناطة أو الحمراء في
قرطبة أو قصور الملوك في عصرنا أو عصر البائدين ، بل كان
من عمل الجن لا من الإنسان بنص القرآن الكريم .

١٤- ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ﴾ على سليمان ﴿الْمَوْتَ
مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ السوسة التي تأكل الخشب

﴿فَأَكَلَتْ مِنْ ثَمَرِهِ﴾ وهي العصا ، وخلاصة المعنى : مات سليمان منكناً على عصاه وبقي كذلك إلى ما شاء الله ، وكان
الإنس والجن ينظرون إليه ويحسبونه حياً ، إلى أن دت السوسة في عصاه ، وأكلت جوفها فانكسرت وسقط سليمان . وعلم
الجميع بموته ، وقضى على الخرافة القائلة بأن الجن يعلمون الغيب ، ولو علموه ﴿مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ وأخيراً
فنحن نؤمن ونصدق كل ما دل عليه ظاهر هذه الآيات . وإن كان بعيداً عن الأفهام ، لأنه يتفق مع النقل ولا يخالف العقل .

١٥- ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ قبيلة من العرب . سميت باسم أبيها ، وفي قاموس الكتاب المقدس : أن بلاد سبأ في
جنوب جزيرة العرب ﴿فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ﴾ آية أي دلالة وعلامة على نعم الله الوافرة ، وعن
يعين وشمال كناية عن الخصب والإزدهار في كل جزء من

الإعراب :

﴿بِأَجْبَالٍ أَوِيٍّ﴾ أي قلنا يا جبال أوي . ﴿وَالطَّيْرِ﴾ بالنصب لأنه معطوف على محل الجبال . والمصدر من ﴿أَنْ أَعْمَلَ﴾ مفعول من
أجله لأننا أي أننا له الحديد لأجل عمل الدروع ، وقيل : أن مفسرة بمعنى أي . ﴿وَالرِّيحِ﴾ مفعول لفعل محذوف أي وسخرنا لسليمان
الريح . وغدوها شهر مبتدا وخبر ، والجملة حال من الريح . ومن الجن من يعمل « من » مفعول لفعل محذوف أي وسخرنا له من الجن
من يعمل . وال داود أي يا آل داود ، ومفعول اعملوا محذوف ، وشكراً مفعول من أجله أي اعملوا الخيرات شكراً لله .

طَيْبَةً وَرَبُّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرِضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُحْزِنُنِي إِلَّا الْكُفُورُ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَنَزَّلْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزِّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لَنَعْلَمَ مَنْ يُوَفِّيهِ بِالْآخِرَةِ مَنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ

أجزاء أرضها ﴿ بلدة طيبة ﴾ رزقاً وماء ﴿ ورب غفور ﴾ لمن آمن واتقى ، وقد أرسل سبحانه لقوم سيأ رسله وأنبياءه مبشرين ومنذرين .

١٦- ﴿ فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم ﴾ بكسر الراء ، ومعناه السد الذي يمسك الماء فيرتفع ويسقي الزرع ﴿ وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط ﴾ شجر الأراك ﴿ وأثل ﴾ الطرفاء ، ﴿ وشيء من سدر قليل ﴾ أرسل سبحانه على قوم سيأ عذاباً خرب السد ، وأهلك الزرع والضرع ، وأبدلهم بالحدائق الغناء أشجاراً ضرها أكثر من نعمها كالطرفاء والسدر وما أشبه مما لا تستسيغه إلا الحيوانات .

١٧- ﴿ ذلك جزيناهم بما كفروا ﴾ أطعاهم الغنى . وكفروا بأنعم الله ، فكان جزاؤهم الذل والهوان بالجوع والفقر ﴿ وهل نجازي إلا الكفور ﴾ أبداً لا يجزي جزاء الشر إلا فاعله ١٨- ﴿ وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير ﴾ كان من نعم الله على قوم سيأ أن قراهم كانت متواصلة متقاربة بعضها من بعض مع كثرة الأشجار والثمار ، فإذا ما سافر أحدهم لا يحمل طعاماً ولا شرباً ، فحيث نزل وجد الماء والتمر ﴿ سيروا فيها ليلي وأياماً آمنين ﴾ وفوق ذلك كله الأمن والا ، للحاضر والمسافر ليلاً ونهاراً .

١٩- ﴿ فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا ﴾ طلبوا من الله سبحانه أن يبعد القرى عن بعضها ، ويجعل بينها مفاوز وفلوات كي يركبوا الرواحل ويحملوا ، ويبدو من هذا أن للسفر متعة وفوائده على ما فيه من مشاق ﴿ وظلموا أنفسهم ﴾

بالطغيان وكفران النعم ﴿ فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ﴾ شتمهم سبحانه وزعهم في أقطار شتى حتى صاروا أحداثاً للأحبال ومضرب الأمثال ، ومن ذلك : « تفرقوا أيدي سيأ وأبناء عاملة - أي أهل جبل عامل المعروف اليوم بجنوب لبنان - جاء ذكرهم في حديث لرسول الله (ص) ذكره ابن كثير في تفسيره ج ٣ ص ٥٣١ ، وهذا نصه : « لسباً من الولد عشرة : سكن اليمن منهم ستة وأربعة في الشام ، أما اليمانيون فذبح وكندة والأرد والأشعريون وأنمار وحمير ، وأما الشامية فلقح وجذام وعاملة وغان .

٢٠- ﴿ ولقد صدق عليهم إبليس ظنه ﴾ حيث قال : « ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين - ٣٩ الحجر ﴾ ﴿ فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين ﴾ وتسمى كلمة « فريق » أُنْكَارُ الكثرة الكثيرة من أهل الأديان وغيرهم من حزب إبليس .

٢١- ﴿ وما كان له ﴾ لإبليس ﴿ عليهم ﴾ على العباد ﴿ من سلطان ﴾ من حجة وبرهان أو إكراه وإرغام ﴿ إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك ﴾ لا شيء عند الشيطان إلا الترين والوسوسة بالباطل ، ولا يستجيب له إلا من كان دينه في معدته وحيثه ، أما من رسخ دينه في عقله وقلبه فيدعه الشيطان إلى من يستهويه ويغازله .

٢٢- ٢٣- ﴿ قل ادعوا الذين زعتم من دُونِ اللَّهِ ﴾ قل يا محمد للمشركين : نادوا واستغيثوا بالذين زعتموهم شركاء لله أو شفعاء عنده ، ثم انظروا هل يسمعون وينفعون

لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ
وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ نِيرَةٍ وَلَا مِنْهُم مِّنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾
وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَن أَذِنَ لَهُمْ حَتَّىٰ إِذَا
فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ
الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ * قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ
مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أُحْزِمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا
تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ
وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أُحْصِمْتُ بِهِ
شُرَكَاءَ ۖ لَا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ
إِلَّا كَافَّةً لِّنَّاسٍ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ

أو يضررون ؟ كلا انهم ﴿ لا يملكون مثقال ذرة ﴾ أي لا يملك
آلهة المشركين زنة ذرة من خير أو شر أو نفع أو ضر ولا معين لهم
وشفيح . وفي هذا إبطال لقولهم : « ما نعبدهم إلا ليقربونا
إلى الله زلفى » - ٣ الزمر ﴿ حتى إذا فزع ﴾ - بتشديد
الزيم - أي ذهب الفزع ﴿ عن قلوبهم ﴾ قالوا ماذا قال ربكم
قالوا الحق ﴿ للمفسرين في شرح هذه الجملة كلام غامض
ومتضارب، ولعل أوضحه ما معناه أن الله سبحانه إذا
تكلم وأوحى بشيء خاف أهل السماء والملائكة، فإذا
انتهى سبحانه من وحيه وكلامه انكشف عنهم الفزع
وذهب، وعندئذ يشال أهل السماء : ما قال سبحانه ؟ يقول
لهم الملائكة المقربون : قال، تقدست كلمته : الحق وهو
العلي الكبير.

٢٤ - ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ﴾
جاء السؤال والجواب من رسول الله (ص) حيث لا
خلاف بين السائل والمؤولين - أي المشركين - على أن الله
وحده هو خالق الأرزاق والمرتقة، وعليه فيجب أن يكون
الإله الهاً واحداً في ذاته وسفاته ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ
أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ هذا الاستنباط في الحوار والنقاش من
خصائص العالم الواقعي من نفسه كمن الثقة، وكأنه يقول
لخصمه : إبحث ودقق لتعلم أي الفريقين أهدى سبيلاً .

٢٥ - ﴿ قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أُحْزِمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾
هذا هو الإسلام نصاً وروحاً في دعو إلى الله وشريعته . يكشف
عن الحق ، ويدعمه بالأدلة ، ويدفع المدعوين على النظر
وإعمال العقل ، ويقول لهم من جملة : « إنما أعظكم
بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرداً ثم تنفركوا - ٤٦ سبأ » وتختاروا لأنفسكم ما تشاءون ، فمن اهتدى منكم فليحمله
ومن ضل فليحمله .

٢٦ - ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ﴾ يوم القيامة ﴿ ثم يفتح ﴾ يحكم ﴿ بيننا بالحق ﴾ ويجزي كل عامل بعمله .

٢٧ - ﴿ قُلْ أَرُونِي ﴾ الأنداد والأشباه والأضداد ﴿ فلا ﴾ بل أنتم تجهلون وتفترون .

٢٨ - ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ ﴾ يا محمد ﴿ إلا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ يكرر هذا المعنى في القرآن الكريم بأساليب شتى ، من ذلك :
قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً - ١٥٨ الأعراف ... وما أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ - ١٠٧ الأنبياء « والسر أن
الإسلام بعقيدته وشريعته يسع الإنسانية في كل زمان ومكان ، لأنه يرفع من شأن الإنسان وكرامته وحرية ، ويعتمد في أصوله
ومبادئه وأحكامه العقل والعدل ، وكلٌّ منهما يأبى بطبعه التخصيص والتقييد بالزمنة والأمكنة أو بأي شيء ، وتقدمت
الإشارة إلى ذلك في شتى المناسبات .

٢٩ - ٣٠ - ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ ... ﴾ تقدم في يونس ٤٨ وفي الأنبياء الآية ٣٨ وفي النمل ٧١ .

الإعراب :

﴿ آية ﴾ اسم كان ، و﴿ لسبأ ﴾ خبرها وفي مسكنهم متعلق بما تعلق به لسبأ . و﴿ جنتان ﴾ بدل من آية .

٣١- ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُؤْمِنَ بِهِذَا الْقُرْآنُ ﴾
لأنه جعل الآلهة إلهاً واحداً ، وفوق ذلك يهدد بالنشر والحشر
﴿ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ من التوراة والإنجيل ، فرد سبحانه
مهتداً متوعداً بقوله : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ ﴾
يوم القيامة في موقف الخزي والموان والضنك والخذلان ﴿ يَرْجِعُ
بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلِ ﴾ أي يتداولون الكلام غداً فيما
بينهم ، وأوضح سبحانه نوع الحوار بين المستضعفين والمستكبرين
بقوله : ﴿ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ
لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾ أنتم أيها القادة الطغاة صددتمونا عن الإيمان
برسل الله ، وأضدتمونا وضللتتمونا .

٣٢- ﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنْتُمْ
صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهَدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ
دُعَوَانَا إِلَى الشَّرِّ ، وَدَعَاكُمْ الرَّسُلُ إِلَى الْخَيْرِ ، فَاسْتَجِمْ
لِدَعْوَةِ الشَّرِّ لَأَنْتُمْ مِنْ أَهْلِهِ وَمَعْدَنِهِ .

٣٣- ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ
الَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ مكر فاعل لفعل محذوف أي صدنا عن
الحق مكرهم بنا في الليل والنهار ﴿ إِذْ تَأْمُرُونَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ ﴾
ونحنونا بالأباطيل والأكاذيب . وهكذا يجسم سبحانه
أعيننا : كيف يتعاطف ويتعاضد الضال والمضل والقاسد
والمفسد في دار الدنيا ، ثم كيف يتباغضون ويتلاعنون في
دار الحق ﴿ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا
فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ وهكذا يعرض سبحانه في كتابه
صوراً شائخة ماثلة لمصير الدعاة المضللين ومن يتق بهم .
ولعاقبة المترعمين وأذنانهم الإنتهازين ، عسى أن نتعظ ونعتبر .

صَادِقِينَ ﴿ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَفْهِرُونَ عَنْهُ
سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴾ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُؤْمِنَ
بِهِذَا الْقُرْآنَ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ
مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلِ
يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا
مُؤْمِنِينَ ﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا
أَنْتُمْ صَدَدْتُمْ عَنْ الْهَدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ
مُخْرِجِينَ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا
بَلْ مَكْرُ الْيَلِيلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ
وَنَجْعَلَ لَهُ إِندَاداً وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ
وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ
إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ

٣٤- ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا

الإعراب :

مفعول ﴿ تَرَى ﴾ محذوف وكذلك جواب ﴿ لَوْ أَيْ وَلَوْ تَرَى الظَّالِمِينَ ﴾ آنذاك ﴿ لَرَأَيْتَ عَجَاباً ﴾ . و﴿ مَكْرُ ﴾ فاعل لفعل محذوف أي
﴿ صدنا عن الحق مكرهم بنا في الليل والنهار ﴾ . وأضاف المكر إلى الليل والنهار على سبيل المجاز . وإذ تأمرونا وإذ ، في محل نصب بمكر
والصدر من أن تكفر بمرور بياء محذوفة أي تأمرونا بالكفر بالله .

إنا بما أرسلتم به كافرون ﴿ ليس المراد بالترفين الأغنياء على وجه العموم ، كيف ورسول الله (ص) تعوذ من الفقر وقال : كاد الفقر يكون كهنراً . إعمل لديك كأنك تبشش أبدأ . المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف . وكان خليل الرحمن كثير المال حتى ضاقت بلدته بمواشيه ، وإنما المراد بالترفين المحتكرون لموارد العباد والمحتكمون بالأسواق والأسعار .

٣٥- ﴿ وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين ﴾ هذا هو منطق المترفين المحتكرين : العيش الأكثر رفاهية ، والمال الأكثر جمعاً وتراكماً ولو عن طريق النهب والإغتصاب - هو مقياس الحق والعدل ، بل ومرضاة الله أيضاً حيث يستحيل من حقه وعده أن يعطيهم هذا الثراء في الحياة الدنيا ثم يعذبهم عليه في الآخرة ! وجهلوا وتجاهلوا أن هذا الثراء من الحرام لا من الحلال ، وأن الله سبحانه يحاسب عليه من أين أتى ؟ وفيما أنفق ؟ إضافة إلى قوله تعالى : « إنما نمل لهم ليزدادوا إثماً - ١٧٨ آل عمران ... يوم يحى عليها في نار جهنم فتنكوى بها جماهم وجنوبهم وظهرهم - ٣٥ التوبة .

٣٦- ﴿ قل إن ربي ... ﴾ تقدم في الآية ٢٦ من الرد وغيرها .

٣٧- ﴿ وما أموالكم ولا أولادكم ﴾ ولا شيء على الإطلاق يقربكم من الله إلا العمل الصالح النافع للفرد والجماعة ، فهو وحده المقياس لمرضاة الله وجناته .

٣٨-٣٩- ﴿ والذين يسعون في آياتنا معاجزين ﴾

تقدم في الآية ٥١ من الحج و٥ من السورة التي نحن بصدها ﴿ وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ﴾ ويضاعفه أيضاً بنص الآية ٢٦١ من البقرة : « مثل الذين يتفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة منه حبة والله يضاعف لمن يشاء » وجرت بنفسى وقرأت وسمعت كثيراً أن الصدقة دفعت أعظم البلايا والرزايا ، وفي الحديث أن الصدقة نفع في يد الرحمن قبل أن نفع في يد السائل ، وفي نهج البلاغة الصدقة دواء منجع .

٤٠- ﴿ ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ﴾ القصد من هذا السؤال مجرد تقرير المشركين وتوبيخهم ، وتدل الآية أن بعض العرب كانوا يعبدون للملائكة .

٤١-٤٢- ﴿ قالوا سبحانك أنت ولينا ﴾ نحن عبادك .

الإعراب :

﴿ كافرون ﴾ اسم اتأ ، ﴿ وبما أرسلتم ﴾ متعلق بكافرين ، وبه متعلق بأرسلتم . ﴿ وأموالاً وأولاداً ﴾ ممييز . ومعذبين الباء زائدة عراباً ، ﴿ بمعذبين ﴾ خبر نحن . ﴿ ولزلفى ﴾ مفعول مطلق لتفريقكم . إلا من آمن وعمل صالحاً على الاستثناء المنقطع أي لكن من آمن بعمل صالحاً فإيمانه وعمله الصالح يقربانه من الله زلفى . فأولئك مبتدأ أول وجزاء مبتدأ ثان والضعف مجرور بالإضافة من إضافة المصدر إلى مفعوله فأولئك تضاعف لهم الجزاء ، ولهم خبر الثاني ، والحملة من الثاني وخبره خبر الأول ، وهؤلاء مبتدأ وإياكم مفعول يعبدون .

نَذِيرٌ إِلَّا قَالُوا مَتَرُفُوهُمَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٥﴾
وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٢٦﴾
قُلْ إِنْ رَبِّي يَسْطُرُ الرَّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِآلَتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ لِّضَعْفٍ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٢٩﴾ قُلْ إِنْ رَبِّي يَسْطُرُ الرَّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٠﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ

وأعداء لمن عبد سواك ﴿٤٢﴾ بل كانوا يعبدون النجم ﴿٤٣﴾ المراء بالجن هنا من زين الشرك والتعبد لغير الله .

٤٣- ﴿٤٢﴾ وإذا نزل عليهم آياتنا .. ﴿٤٣﴾ كان رسول الله (ص) إذا نزل القرآن على العتاة المماندين يقولون للناس : إن دين الآباء والتعبد للأصنام هو الحق والصلىق ، والذي جاء به هذا الرسول سحر وزور . وما يدري أن محمداً (ص) نزل به عصرا الراهن لقالوا عنه مثل هذا القول . وريدة لأنه يرى ما لا يرى أهل الأرض في شرقها وغربها . ويشعر بغير ما يشعرون .

٤٤- ﴿٤٤﴾ وما آتيناكم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك ﴿٤٥﴾ يا محمد ﴿٤٦﴾ من نذير ﴿٤٧﴾ لهم ، وفي من السماء بدين الشرك ولا أمرهم رسول بذلك من قبل محمد (ص) والعقل الخاص بحكم بالتوجب لا بالشرك . وإذن لا أساس لما هم عليه إلا الجهل بالجهل .

٤٥- ﴿٤٥﴾ وكتب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناكم فكذبوا رسل فكيف كان نكير ﴿٤٦﴾ ما بلغ الذين كذبوا محمداً (ص) من المال والقوة معشار ما ملك الأولون ، ومع هذا لما كذبوا رسل الله أخذهم سبحانه بالهلاك والدمار ، فليتعظ بأخبارهم وما حل بهم من كان له قلب وعقل . وتقدم في الآية ٦٩ من التوبة .

٤٦- ﴿٤٦﴾ قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تفكروا ما بصاحبكم من جنة ﴿٤٧﴾ أعظكم : أنصحكم ، بواحدة : بخصلة واحدة وهي أن تقوموا : من

القيام بالأمر مثل قوله تعالى : «كونوا قوامين بالقسط - ١٣٥ النساء» مثنى : يسأل بعضكم بعضاً ويراجعه ، وفرادى : يرجع كل فرد منكم على عقله وضميره ، والمعنى قل يا محمد للذين نعتوك بالجنون : ادروا وفكروا في أمري من البداية حتى النهاية مجتمعين ومنفردين ، هل تجدون في حياتي كلها من قول أو فعل - ما يومئ من قريب أو بعيد إلى الجنون ؟ هذا هو العدل ومنطق العقل ، ومن كفر به وصدا عنه فهو المجنون . وأعجب ما قرأت من الإقراء على سيد البشر وحدثهم الرسل ما جاء في مجلة عالم الفكر الكويتية ج ٨ عدد ٤ ص ١٣٨ ، وهذا نصه بالحرف الواحد : «أكد الكثير من الكتّاب - المسيحيين - أن محمداً كان كروينلاً مسيحياً طموحاً اخترع الإسلام نتيجة عجزه عن الوصول إلى كرمي البابوية !»

الإعراب :

﴿كيف﴾ خبر كان ونكير اسمها وأصلها نكيري . والمصدر من «أن تقوموا ﴿٤٦﴾» بذل من واحدة . و﴿مثنى وفرادى﴾ حال من فاعل تقوموا . بين يدي ظرف منصوب بنذير . ما سألتكم «ما» اسم موصول مبتدأ . وجملة فهو لكم خبر والعائد على الموصول محذوف أي ما سألتكموه . وعلام الغيوب خبر مبتدأ محذوف أي هو . فيها يوحى متعلق بمحذوف خبر مبتدأ محذوف أي فاهتداني كائن بالوحي إلي .

٤٧- ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ ... ﴾ تقدم في الآية ٧٢ من يونس وغيرها .

٤٨- ﴿ قُلْ إِنْ رَبِّي يَغْلِبُ بِالْحَقِّ ﴾ يوحى به إلى رسله وأنبيائه .

٤٩- ﴿ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ ﴾ أي دين الحق وهو الإسلام ﴿ وَمَا يَدْعُوا بِالْبَاطِلِ ﴾ أي دين الباطل وهو الكفر والشرك ﴿ وَمَا يَعْبُدُ ﴾ لا يتكلم بكلمة بادة ولا عائدة ، بل الشرك ذهب واضمحل .

٥٠- ﴿ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ ومن هذه الآية استوحى العالم المتخلف بأخلاق القرآن قوله حين يفني بمسألة شرعية : إن يكن هذا صواباً فمن الله وهدايته ، وإن يك خطأ فمني ومن الشيطان .

٥١- ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فُزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخْلِفُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ سترى بعينيك يا محمد كيف تأخذ بسهولة قادة البغي وعتاة الجبروت ، إلى أخذ العذاب ، ولا مفر لهم من نكاله وضرواته ، والمكان القريب كناية عن أنهم في يد الله وقبضته .

٥٢- ﴿ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ ﴾ يقولون حين يرون الطامة الكبرى : آمنا بمحمد ﴿ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاقُشُ ﴾ أين وكيف يتناولون الإيمان وهم في الآخرة ، والإيمان في الدنيا التي ذهبت كالأمس الدابر .

٥٣- ﴿ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ ﴾ يكفرون بالحق حيث يجب الإيمان به ، ويؤمنون به ساعة الحساب عليه

﴿ وَيَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ فيقولون : لا نشر وحشر ولا جنة ونار رجماً بالغيب ﴿ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ بحيث لا يصل السهم إلى هدفه ومرماه .

٥٤- ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ اشتها وطلبوا المحال ، وهو الخلاص من أليم العذاب تماماً كالآدم الماضية آمنت وطلبت النجاة حين رأت المهلكات ! ما كان أغناها عن الحالين لو آمنت بالتوحيد حين دعاها الرسل إليه وهي في الحياة الدنيا ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ ﴾ حيث وضع في تصورهم أن الحياة الثانية محال ، كيف وقد صار الإنسان تراباً وهَيَاً ؟ وما أبعد هذا التصور من تصور الإمام (ع) حيث قال : عجبت ممن أنكر النشأة الأخرى ، وهو يرى النشأة الأولى ! .

الإعراب :

جواب ﴿ لَوْ ﴾ محذوف أي ﴿ لرايت عجباً ﴾ . ﴿ وَفُوتَ ﴾ اسم لا خبرها محذوف أي لهم . ﴿ وَالتَّنَاقُشُ ﴾ مبتدا ، ﴿ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ﴾ أي من أين لهم وهو متعلق بمحذوف خبراً للتناوش .

إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٥٥﴾
قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ
وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ
بِالْحَقِّ عَلَماً الْغُيُوبِ ﴿٥٧﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِّلُ
الْبَاطِلَ وَمَا يُعِيدُ ﴿٥٨﴾ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ
عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَحْمَةً وَسَمِيعٌ
قَرِيبٌ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فُزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخْذُوا
مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٦٠﴾ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ
التَّنَاقُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٦١﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ
وَيَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٦٢﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ
وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ
كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ ﴿٦٣﴾

سُورَةُ فَاطِرٍ مَكِّيَّةٌ مِنْ ثَمَانِ وَأَرْبَعَةِ آيَاتٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(٣٥) سُورَةُ فَاطِرٍ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا الْمَاهِجِينَ وَالْمَجْرُومِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِئَةِ
رُسُلًا أُولَى أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّى وَتَلَّتْ وَرَبَّعَ زَيْدٌ فِي الْخَلْقِ
مَا يَسَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ
لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ
لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ يَتَأَيَّبُ النَّاسُ
أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكَ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ
مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ ۝
وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ ۖ وَإِلَى اللَّهِ

١- ﴿الحمد لله فاطر السموات والأرض﴾ خالق الكون على غير شبيه ومثيل من قبل ، ويرادف كلمة الفاطر كلمة المبدع والمخترع ﴿جاعل الملائكة رسلاً﴾ أي اتخذ منهم رسلاً بينه وبين أنبيائه ﴿أولي أجنحة متنى وثلاث ...﴾ ومعنى هذا أن للملائكة أجساماً وليسوا مجرد أرواح ، لأن لهم أجنحة ، والفرق أن للطير جناحين وبعض الملائكة لهم أكثر من ذلك ، ونحن على يقين من هذا لأننا عبيدٌ لظاهر النص إلا أن يتعارض مع العقل والواقع فلجأ إلى تأويل الظاهر بما يتفق معهما على أساس المحافظة عن قوانين اللغة .

٢- ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له﴾ هو وحده المعطي والمانع ، ولا مانع لما أعطى ، أو معطي لما منع أنشأ ما شاء كان وإن لم يشأ لم يكن ، ومعنى هذا أن على المؤمن العاقل أن لا ييأس من روح الله مهما ضاقت الحلقات ، وأيضاً عليه أن لا يأمن بالمحبات والمفاجآت حتى ولو أقبلت الدنيا عليه بكاملها .

٣- ﴿يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم﴾ بالطاعة له وحسن السلوك مع عباده بكف الأذى عنهم ﴿هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض﴾ كلا ، وإذن علام تتبع دينك للشيطان .. أيها الإنسان - طمعاً بالحرام ، وتندلل للأغنياء حتى ينصدقوا عليك بالفتات .

٤- ﴿وإن يكذبوك﴾ يا محمد ﴿فقد كذبت رسل من قبلك﴾ واضح ، وتقدم في الآية ١٨٤ من آل عمران .

اللغة :

فاطر السموات والأرض خالقها على غير مثال سابق . ومتنى وثلاث ورباع معدولة عن اثنين اثنين وثلاثة وثلاثة وأربعة أربعة ، وم يسمع فيها زاد عن هذه الأعداد مثل خمس . والمراد بما يفتح هنا ما يعطي . وتؤفكون تصرفون عن الحق إلى الضلال .

الإعراب :

﴿فاطر السموات﴾ صفة لله . و﴿جاعل﴾ صفة ثانية ، وقيل : ﴿أنه يعمل﴾ عمل الفعل لأنه مضاف فأشبه المقرون باللام ، وعليه يكون مضافاً إلى المفعول الأول وهو ﴿الملائكة﴾ ، و﴿رسلاً﴾ مفعول ثانٍ . و﴿أولي أجنحة﴾ بدل من رسل ، ومتنى وما بعدها صفات للملائكة . وما ينسخ وما شرطية في محل نصب يفتح . فأن تؤفكون أي فلى أين ، والمجرور متعلق بتؤفكون .

٥- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ الحساب والجزاء بعد الموت واقع لا محالة ﴿ فلا تغرنكم الحياة الدنيا ﴾ ببهجتها وحلاوتها ﴿ ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ الشيطان ووسوسته وتقدم في الآية ٣٣ من لقمان .

٦-٧- ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ... ﴾ نستفيد من هذه الآية أن علة الوصف بالشيطنة هي عداوة الإنسان ، وعية فكل من أضمر الأذى وأساء لأي فرد من أفراد الإنسان فهو شيطان رجيم ولعن حتى ولو صلى وصام وحج إلى بيت الله الحرام .

٨- ﴿ أَفَمَنْ زِينَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ﴾ جواب الشرط محذوف وتقديره كمن لم يزين له ؟ والأول ضال عن نهج السبل ، والثاني على الصراط الحميد ، وقال العقاد في التعريف بالمغرور : لو قال الإنسان وإلجان جميعاً للمغرور : أنت أجمل الناس وأحق الناس وشر الناس أضعف الناس - لكذبهم وصلى الغرور ، لأن فيه العزاء والسلوى عن جحود التقليل بخلافه الجلي ، ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ ﴾ هذا تعليل لقوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ زِينَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ ﴾ أي أن الله أضله لأنه سلك طريق الضلال تماماً كما يبيت من شرب السم المبيت ﴿ ويهدي من يشاء ﴾ لأنه سلك نهج الهداية تماماً أقوله : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا - ٦٩ العنكبوت » وتقدم مراراً ، منها الآية ٢٧ السرعد ﴿ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴾ النبي بشر يفرح ويحزن . وقد تأسف وتألم لإعراض من أعرض عن دعوته ، فقال له سبحانه :

هَرُونَ عَلَيْكَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ، وسوف يأخذهم بما يستحقون ، وتقدم في الآية ٦ من الكهف .

٩- ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ ﴾ تقدم في الآية ٥٧ من الأعراف .

١٠- ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ لأنه غني بالذات عن كل شيء ، وإليه يفتقر كل شيء في كل شيء . ومن اعترى بغير الله وتقواه قلته إلى الذل والهوان ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب ﴾ والكلام الطيب الذي يصعد إليه تعالى ويكون مقبولاً ومدحوراً - هو ما أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس أو ترك أي أثر مفيد للفرد أو المجتمع كما جاء في الآية ١١٤ من النساء ﴿ والعمل الصالح يرفعه ﴾ وأصلح الأعمال على الإطلاق ما بحرر الحياة من العوز والفقر والمرض والجهل ، وينصر الحق والعدل ﴿ والذين يمارسون

الإعراب :

﴿ أَفَمَنْ زِينَ لَهُ ﴾ ومن مبتدأ والخبر محذوف أي كمن لم يزين له . و﴿ حسرات ﴾ مفعول من أجله لتذهب ، وعليهم متعلق بتذهب لا بحسرات لأنها مصدر . والمصدر لا يقدم معموله عليه . هكذا قال النحاة .

السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يور ﴿١٠﴾ لا يجديهم شيئاً حيث يقتضون . وتزل عليهم لعنة الله واللائعنين . وكتب الأديب اليوناني الشهير « نفوس كازندزياكي » عن أبيه ما نصه : حين كنت في المدرسة كان أبي يسأل : هل إبنك كذب على أحد ؟ وهل أساء إلى أحد . هذا ما كان يهيم من تربيته ، وما عدا ذلك فأمر ثانوي .

١١- ﴿ الله خلقكم من تواب ... ﴾ تقدم في الآية هـ من الحج ﴿ ثم جعلكم أزواجاً ﴾ أصنافاً أسود وأبيض وذكرنا وأنتي ﴿ وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ﴾ لأنه محيط بكل شيء ﴿ وما يعمر من معمر ﴾ طویل العمر ﴿ ولا ينقص من عمره ﴾ قصير العمر ، والماء في « عمره » يعود لطلق الإنسان لا لطویل العمر ﴿ إلا في كتاب ﴾ أي في علم الله .

١٢- ﴿ وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ﴾ ذكر سبحانه في كتابه النجوم والكواكب والإنسان والحيوان والبحار وكل أشياء الكون لتنظر وتفكر وتستنتج بأن وراء الكون مهيم ومدير ، وتقدم في الآية ٥٣ من الفرقان ﴿ ومن كل تأكلون لحماً طرياً ﴾ يعني السمك ﴿ وتستخرجون حليه ﴾ ... ﴿ تقدم بالنص الحرفي في الآية ١٤ من النحل .

١٣- ﴿ يولج الليل في النهار ... ﴾ كل ذلك وغيره يدل على قدرة الخالق التي صنعت كل شيء ، وتقدم في الآية

٢٧ من آل عمران وغيره ﴿ من ظمير ﴾ قشر رقيق على نوى التمر .

١٤- ﴿ ان تدعوهم ﴾ الآلهة من دون الله ﴿ لا يسمعون دعاءكم ﴾ إن كانت الآلهة أحجاراً وكواكب وما أشبه ﴿ ولو سمعوا ﴾ إن كانوا من الإنس أو الملائكة ﴿ ما استجابوا لكم ﴾ لأنهم يملكون شيئاً ﴿ ويوم القيامة يكفرون

السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يور ﴿١٠﴾ والله خلقكم من تواب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير ﴿١١﴾ وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حليه تلبسونها وترى الفلك فيه مواجر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴿١٢﴾ يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وتحوّل الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ذلك الله ربكم له الملك ﴿١٣﴾ والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ﴿١٤﴾ إن تدعوهم لا يسمعون دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا

الإعراب :

﴿ جميعاً ﴾ حال من « العزة » . و﴿ مكر ﴾ مبتدأ وهو ضمير فصل ، وجملة « يور » خبر . ومن معمر « من » زائدة إعراباً ومعمر نائب فاعل « ليعمر » . ونائب فاعل لا ينقص علوف أي لا ينقص شيء من عمره . وفي كتاب متعلق بمحلول خبراً مبتدأ محلول أي ألا هو كائن في كتاب . « شرابه » فاعل « سائغ » . وجملة « تلبسونها » صفة « حليه » . والمصدر من « لتبتغوا » متعلق « بمواضع » . « ذلكم » مبتدأ واه خبر أول « ويحكم » خبر ثان ، وله الملك مبتدأ وخبر والجملة خبر ثالث . ومن دونه متعلق بمحلول حالاً من مفعول تدعون المحلول أي والذين تدعونهم كائنين من دونه .

بشرككم ﴿ يَرَاوْنَ مِنْكُمْ وَيُوْخَوْنَكُمْ عَلَى الشَّرْكِ وَالضَّلَالِ .

١٥- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ افتقار المخلوق إلى خالقه دون العكس قضية ضرورية الصلح واليقين ، تستمد هذه الضرورة من صلب تكوينها اللفظي تماماً كما تقول : للمثلث زوايا ثلاث ، وعلى هذا يكون الغرض من الآية أن يتوكل الإنسان في جميع أموره على خالقه ويتضامل أمام عظمتة ، ويتجرد عن كل كبير وعجب وغطرسة حتى ولو كان أقوى الأقوياء ملاً وسلطاناً وهذا النوع من الفقر محبوب ومطلوب عند الله والعقلاء ، لأن الشعور به يبدع إلى الخير ، ويمنع عن الشر .

١٦- ١٧- ﴿ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ لا تضرة تعالى معصية من عصاه ، ولا تنفع طاعة من أطاعه وإلا لأتى بقوم لا يعصون ما أمر ، وتقدم في الآية ١٩ من إبراهيم .

١٨- ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ لكل امرئ عمله ، ولا يعذب عذابه أحد ، وتقدم بالحرف في الآية ١٦٤ من الأنعام ﴿ وَإِنْ تَدْعُ مِثْلَهُ إِلَى حِمْلِهَا ﴾ كل نفس تحمل أوزارها وأنقالها ، وإذا طلب من قريب أو حبيب أن يحمل عنها ويخفف من حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى ﴿ لَأَنْ كُلَّ إِنْسَانٍ فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ بِنَفْسِهِ عَنْ غَيْرِهِ .

﴿ إِنَّمَا تَتْلُو الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ ﴾ الدليل الأقوى على الإيمان والتقوى أن يتورع المرء عن الحرام ومعصية

الله ، والناس كل الناس يعبدون عنه وغائبون ، لا يخشى منهم عتاب أو عقاب ، وهؤلاء هم الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

١٩- ٢٣- ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ... ﴾ ليس سواء عند الله وفي الواقع من إنحرف عن الحق إلى الباطل وعن العلم إلى الجهل ، وعن مرضاة الله ونعيمه إلى غضبه وجحيمه ﴿ إِنْ اللَّهُ يَسْمَعُ مِنْ يَشَاءُ ﴾ وهم الطيبون الذين يبحثون عن السبيل المؤدية إليه كما قال سبحانه : ﴿ لَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ - ٢٣ الْأَنْفَالُ ﴾ ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمَسْمُوعٍ مِنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ المراد بهم هنا الذين لا يدينون بأي دين ولا يفهمون أية لغة إلا لغة « أنا ومن بعدي الطوفان » .

٢٤- ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ داعياً إلى

الإحزاب :

وكل من وازرة وأخرى ومثقلة صفة لنفس مخلوقة أي ولا تزر نفس وازرة ووزر نفس أخرى . ولو كان ذا قرى « لو » لوصل واسم كان مخلوف أي ولو كان للدعو ذا قرى .

لَكَرَّ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكَ وَلَا يَنْبُتُكَ مِثْلُ
خَبِيرٍ ﴿١٥﴾ * يَتَأَيَّبُ النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ
وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٦﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ
بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٧﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٨﴾ وَلَا تَزِرُ
وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴿١٩﴾ وَإِنْ تَدْعُ مِثْلَهُ إِلَى حِمْلِهَا لَا يَحْمِلُ
مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ﴿٢٠﴾ إِنَّمَا تَتَذَرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ
رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى
لِنَفْسِهِ ﴿٢١﴾ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٢﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى
وَالْبَصِيرُ ﴿٢٣﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٤﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ
وَالنُّورُ ﴿٢٥﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴿٢٦﴾
إِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَنْ يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ
فِي الْقُبُورِ ﴿٢٨﴾ إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ

هدي البشر وإسعاده ﴿ وان من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾ من نبي مرسل أو كتاب منزل أو حجة من عقل أو سنة فاضلة عادلة ، وتقدم في الآية ٣٦ من النحل وغيرها .

٢٥-٢٦- ﴿ وان يكذبوك ... ﴾ تقدم مرات منها في الآية ١٨٤ من آل عمران ﴿ وبالزور ﴾ الكتب أو الحكم والمواعظ ﴿ وبالكتاب المنير ﴾ كتورة موسى وإنجيل عيسى وصحف إبراهيم الأولى .

٢٧- ﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ﴾ فاهترت الأرض ونمت وأنبئت أشكلاً وألواناً وتقدم مرات ، منها الآية ٥ من الحج ﴿ ومن الجبال جدد ﴾ جمع جدة بضم الجيم وهي الطريق والجادة ﴿ بيض وحمر مختلف ألوانها وغرايب سود ﴾ بعض هذه بيض ، وبعضها حمر ، وبعضها سود ، وإذا وصف العرب الشيء بكثرة السواد قالوا أسود غريب .

٢٨- ﴿ ومن الناس والنبات والأنعام مختلف ألوانه كذلك ﴾ أي وكذلك كل ما دب على قوائم ، ومنها الأنعام : الإبل والبقر والغنم هي مختلفة في ألوانها ، وهذا التفاوت في الألوان دليل على قدرة الله وحكمته ولا أثر له إطلاقاً في الإمتاز والفاضل .

﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ وكلمة « يخشى » توحى بأن العلم الخالص من كل شائبة يؤدي حتماً إلى معرفة الله وخشيته ، وما من شك أن نكران الذات والأنانية من لوازم الخوف من الله وآثاره ، ومعنى هذا أن من يكفر بالله أو آمن به نظرياً وجحدته عملياً فما هو من العلم الخالص في شيء . واستوحيت تفسيرى هذا لعلماء الخشية من قول أمير المؤمنين وإمام المتقين في وصفهم : « عظم الخالق في أنفسهم فصخر ما دونه في أعينهم » .

٢٩- ﴿ إن الذين يتلون كتاب الله ﴾ ويعملون به وإلا فكهم قارئ للقرآن والقرآن بلغنه كما جاء في الحديث الشريف . لأن القرآن يلعن الكاذبين في الآية ٦١ من آل عمران والظالمين في الآية ٤٤ من الأعراف والمفسدين في الآية ٢٥ من الرعد ، بل ويلعن كل مجرم وآثم ، فإذا قرأ الفاسق والمجرم القرآن فقد لعن نفسه بنفسه إضافة إلى لعنة الله وقرآنه ﴿ وأقاموا الصلاة وأنفقوا ... ﴾ تدخل الصلاة والزكاة في العمل بموجب القرآن ﴿ يروجون تجارة لن تبور ﴾ لأنها مع الله ولوجهه الكريم .

٣٠- ﴿ ليوفيهم أجورهم ... ﴾ لأنه لا يضيع أجر المحسنين بل ويزيدهم من فضله ورحمته .

الإعراب :

﴿ ان ﴾ نافية ، و﴿ من ﴾ زائدة إعراباً ، و﴿ أمة ﴾ مبتداً ، و﴿ جملة ﴾ خبر ، و﴿ مختلفاً ﴾ صفة لثمرات والألوان فاعل مختلف . ومن الجبال جدد مبتداً وخبر ، و﴿ بيض وحمر ﴾ صفة لجدد . وتختلف ألوانها صفة لحمر . وبيض موصوفة بمختلف محذوف .

بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿١﴾
وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ
رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالْزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢﴾
ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٣﴾ أَلَمْ
تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ
مُتَحَلِّفًا لَوْنُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ
أَلْوَنُهَا وَغَرَايِبُ سَوْدٌ ﴿٤﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالْأَنْبِيَاءِ
وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ
مِنْ عِبَادِهِ الَّذِينَ عَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٥﴾ إِنَّ
الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ ﴿٦﴾
لِيُوفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ

٣١- ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ﴾
لأنه يقوم على أساس من الواقع ، ولا يدعو إلا إلى خير ، ولا
ينهى إلا عن شر ﴿مُصَلِّاً مَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من كل كتاب
يسطق بالصدق والعدل .

٣٢- ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾
المراد بالكتاب القرآن ، وقد ورثه كدين كل مسلم يقول :
الله الذي لا إله إلا هو ربي ومحمد رسول الله نبيي ، - القرآن
المنزل عليه كتابي ، أما الإصطفاء فالمراد به اختياره تعالى
لصفوة الخلق الذين تجب طاعتهم تماماً كطاعة القرآن وهم
أهل بيت محمد (ص) بنص حديث الثقلين الذي يقول :
«إني تارك فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي : كتاب
الله وعترتي أهل بيتي » وهو مروى بالعديد من الطرق ، منها ما
جاء في صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل
علي بن أبي طالب وصحيح الترمذي ج ٢ ص ٣٠٨ طبعة بولاق
سنة ١٢٩٢ هـ نقلاً عن كتاب فضائل الخمسة من الصحاح
الستة ، ومنها ما قاله الشيخ محمد عبده في التعليق على الخطبة
٨٥ من خطب نهج البلاغة ، وهذا نصه بالحرف : «التقل
هنا بمعنى النفيس من كل شيء ، وفي الحديث عن النبي
(ص) قال : تركت فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي»
﴿فَمِنْهُمْ﴾ من المسلمين الوارثين للقرآن أباً عن جد لا من
الصفوة لأن الشيء الواحد لا ينقسم إلى نفسه وغيره ﴿ظَالِمٌ
لِنَفْسِهِ﴾ وهو المهاون في فعل بعض الواجبات وترك بعض
المحرمات ﴿وَمِنْهُمْ مَقْتَصِدٌ﴾ أي معتدل ، وهو الذي
زحرج عن النار لخروجه عن عهدة ما كلف به ﴿وَمِنْهُمْ

سابق بالخيرات﴾ وهو من جاهد وضحى في سبيل الحق والدين أو ترك أثراً ينتفع به الفرد والمجتمع .

٣٣- ٣٥- ﴿جَنَاتِ عَدْنٍ...﴾ للسابقين إلى الخيرات ، والذين لم يقرءوا السيئات أو اقترفوا شيئاً منها ، ولكن حسناتهم
أرجح . أما الذين استوت حسناتهم مع سيئاتهم فعسى الله أن يتوب عليهم كما في الآية ١٠٢ من التوبة ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا
حَرِيرٌ﴾ وإن سأل سائل : لماذا أحل الله للرجال من أهل الجنة لبس الذهب والحريز ، وحرمه عليهم في الدنيا ؟ قلنا في جوابه :
لأنه تعالى حرمه عليهم في الدنيا .

٣٦- ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوْنُوا﴾ بل «كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها
٥٦ النساء﴾ ولا يخفف عنهم من عذابها ﴿لَا كَيْفًا وَلَا قِرَّةً﴾ استراحة .

٣٧- ﴿وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا﴾ يصيحون مستغيثين

الإعراب :

﴿هو﴾ ضمير الفصل لا محل له من الإعراب ﴿الحق﴾ خبر الذي ، ومصداقاً حال . ﴿جنان عدن﴾ خبر لمبتدأ محذوف ي ثوابهم
جنان عدن . وجلة ﴿يدخلونها﴾ حال ، ومثلها جملة ﴿يجلّون﴾ ، ومن أساور متعلق بيجلّون .

أَخْرَجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلْ أَوْ لَمْ نَعْمَرْكُمْ
مَا يَسْذَكُرْ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَ كُرَّ النَّذِيرُ فَذُوقُوا قَسَا
لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ الَّذِي
جَعَلَكُمْ خُلَافَةً فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ
وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا
يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ
شُرَكَاءَ كُرَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أُرُونِي مَاذَا خَلَقُوا
مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ
كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ
بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ * إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ

﴿ ربنا أخرجنا نعمل صالحاً ﴾ الآن وكنتم في الدنيا بالعذاب
تستعجلون ، وتقدم في الآية ١٠٠ من « المؤمنون » ﴿ أولم
نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ﴾ ما يتذكر « ما » : مصدرية
ظرفية ، ومن تذكر : العاقل المتذكر ، والمعنى أمهلناكم
في دار الدنيا أمداً طويلاً لكي تتذكروا وتندبروا ﴿ وجاءكم
النذير ﴾ بين لكم الحق ويدعوكم إليه ، فأمهلتم وسوفتم
﴿ فلو فلقوا ﴾ ما كنتم تكسبون ، وبه تكفرون ، ومنه تضحكون
وفي نهج البلاغة : العمر الذي أعذر الله إلى بني آدم ستون سنة .
٣٨- ﴿ إن الله عالم غيب السموات والأرض ﴾ وما
في السرائر والضمائر ، وهو يجازي بموجب علمه تعالى كل
عامل بما يستحق .

٣٩- ﴿ هو الذي جعلكم خلائف في الأرض ﴾
يرثها جيل عن جيل ، ومنحكم العقل والحرية والقدرة على
التحكم بها وبخيراتنا ، وسواي بينكم في جميع الحقوق
والواجبات ، ونهاكم عن البغي والفساد والمشاحنات ، فمن
أحسن واتقى فله أجر كريم ، ومن أعرض ونأى فله عذاب
الجبم .

٤٠- ﴿ قل أرايتم شركاءكم الذين تدعون من دون
الله ﴾ إحتج سبحانه في هذه الآية على المشركين بأمر ثلاثة
(١) ﴿ أروني ماذا خلقوا في الأرض ﴾ ﴿ الله آثار تدل على
وجوده ونفي الشريك أيضاً ، لأن القانون الذي يسير الذرة
الصغيرة هو نفس القانون الذي يسير المجرات الكبيرة ، فهل
لشريك المزعوم من آثار ؟ وأين هي ؟ (٢) ﴿ أم لهم شرك

في السموات ﴾ المراد بالشرك هنا النصيب والأثر ، والمعنى أيضاً لا أثر للشريك في السماء (٣) ﴿ أم آتيناكم ﴾ أي
أم أنزلنا على المشركين ﴿ كتاباً ﴾ من السماء يقول : ان لله شركاء ﴿ بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلا غروراً ﴾
كان المستكبرون يقولون للمستضعفين ان الأصنام سوف يشفعون لكم غداً عند الله ، وما من شك أن هذا الوعد زور
وغرور .

٤١- ﴿ ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ﴾ أمسك سبحانه الكواكب بقانون الجاذبية تماماً كما سير الطائر
بجناحيه ، وجعل الإنسان بصيراً بقله وعينه ، وحركه برجليه وتقدم في الآية ٦٥ من الحج .

الإعراب :

﴿ فيموتوا ﴾ منصوب بأن مضمره لأن الفعل وقع جواباً للنفي ، والمصدر المنسبك فاعل لفعل محذوف أي فيحصل لهم الموت .
﴿ وصالحاً ﴾ صفة لفعل محذوف أي عملاً صالحاً . وما يتذكر « ما » مصدرية ظرفية أي ألم نعمركم أمداً كافياً للتذكر . ﴿ ومقتاً ﴾
﴿ وخساراً ﴾ تمهيز .

٤٢- ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللّٰهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ جمع يمين . وكان عتاة قريش قبل محمد (ص) يحلفون بالله وببائعون في الحلف والأيمان ﴿لئن جاءهم نذير﴾ رسول من الله ﴿ليكوننَّ أهدى﴾ وأطوع له ﴿من إحدى الأمم﴾ أي من أمة من الأمم أي من كل الأمم وأكثر منها اقتياداً لأنبيائها ﴿فلما جاءهم﴾ محمد رسولاً من ربهم يتلو عليهم آياته - نفروا واستكبروا وبالعوا في حربه وإيدائه .

٤٣- ﴿استكباراً في الأرض ومكر السيء ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله﴾ من سلَّ سيف البغي قتل به ، ومن حفر حفرة لأخيه وقع فيها ، والحقيقة الناعمة من الحق والواقع لا تموت ، وإنما تموت الخرافات والأكاذيب ، ولذا نصّر سبحانه عبده محمداً ، وأظهر دينه على الشرك كله ﴿فهل ينظرون﴾ وهم أعداء محمد (ص) والإسلام ﴿الأسنة الأولين﴾ وهي هلاك من كذب أنبياء الله ورسله أو يخذل سبحانه المكذبين كما يخذل عتاة الشرك حين استسلموا في النهاية لرسول الله صاغرين .

٤٤- ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة﴾ البغي والباغين وقرأت من جملة ما قرأت «أن قانون الفعل يقابله رد الفعل ، وأن هذا الرد يعم ويشمل الأشياء الطبيعية والحياة الاجتماعية» وهذا صحيح من غير شك . لأن العلم رد فعل للجهل ، والإصلاح رد فعل للفساد تماماً كالدواء بالنسبة إلى الداء ، وتقدم مراراً ، منها في الآية ١٠٩ من يوسف ﴿وما كان الله ليعجزه من شيء﴾ لأنه قادر على كل شيء ، وإذا قدر غيره على شيء فإنه يعجز عن أكثر الأشياء .

٤٥- ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهورها من دابة﴾ ... جاء في الكتب الخاصة بأسمائه تعالى اسم الصبور وهو غير وارد في القرآن ، والفرق بينه وبين الحلم أن الصبور لا تؤمن العقوبة منه ، وصفة الحلم وحي بالعفو ، ومعنى صبره تعالى أنه لا يعجل لأنه لا يخشى القوت ، وأنه يحدد العقوبة أجلاً معيناً لا تتقدم عليه ولا تتأخر عنه . وفي نهج البلاغة : الحذر الحذر ، فوالله لقد ستر حتى كأنه قد غفر ، وتقدم في الآية ٦١ من النحل .

الإعراب :

وجهد مفعول مطلق لأقسموا لأنه مضاف إلى الإيمان . واستكباراً مفعول من أجله ، ومكر السيء معطوف عليه . ﴿قوة﴾ تمييز . والبلاد في ﴿ليعجزه﴾ لجمرد تأكيد النفي . ومن زائدة إعراباً وشيء فاعل يعجزه . والضمير في ظهورها يعود إلى الأرض التي دل عليها سياق الكلام . ﴿ومن﴾ زائدة ودابة مفعول ترك .

مِنْ بَعْدِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَوْرًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللّٰهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ ۚ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۚ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۚ فَلَنْ نَحْدِثَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَنْ نَحْدِثَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكُنُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمٰوٰتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ دَابَّةً ۖ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ ۖ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾

(٣٦) سُورَةُ بُرُجٍ مَكِّيَّةٌ وَأَسْمَاءُهَا ثَلَاثَةٌ وَشَاهِدٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

س ١ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ١ إِنَّكَ لَمِنَ
الْمُرْسَلِينَ ٢ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٣ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ
الرَّحِيمِ ٤ لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرُوا أَبَاوَهُمْ فَهُمْ
عَافِلُونَ ٥ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ٦ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى
الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ٧ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا
وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ٨
وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنْذِرْتَهُمْ أَمْ لَا تُنْذِرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٩

سُورَةُ بُرُجٍ مَكِّيَّةٌ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- ١- ﴿س﴾ يسّ قيل : هذان حرفان من حروف التهجى مثل «حم» وقال الشيخ الطبرسي : روي عن الإمام علي (ع) أن كلمة يس اسم من أسماء النبي (ص) .
- ٢- ﴿والقرآن الحكيم﴾ المحكم بكل ما فيه .
- ٣- ٤- ﴿انك﴾ يا محمد ﴿لن المرسلين﴾ على صراط مستقيم وهو .
- ٥- ﴿تنزيل العزيز الرحيم﴾ لا من عندك أو عند قوم آخرين .
- ٦- ﴿لننذر قوما ما أنذر أبائهم﴾ هذى هي مهمتك يا محمد : تأمر بالفضائل و تنهى عن الرذائل .
- ٧- ﴿لقد حق القول على أكثرهم﴾ وجب العذاب على أكثر السابقين حيث ماتوا على الكفر والشرك .
- ٨- ﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون﴾ الأغلال : جمع غل وهو طوق من حديد . والأذقان : جمع ذقن وهو مجتمع اللحيين ، ومقمحون : رافعون رؤوسهم غاضون أبصارهم ، كل ذلك لنمردهم على الحق وفسادهم في الأرض .
- ٩- ﴿وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا﴾ من نار جهنم . وفي الخطبة ١٨١ من خطب النهج : «أفرأيتم جزع أحدكم من الشوكة تصيبه . والعذرة تدميه . والرمضاء تحرقه ؟ فكيف إذا كان بين طابقين من نار ؟ ضحيح حجر . وقرين شيطان . ولا يخص هذا العذاب بالكافر والمشرک . بل يعم كل مؤذ ومعتد على كرامة الإنسان وحرية أو حق من حقوقه .

١٠- ﴿وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم﴾ فإنهم لا يفهمون إلا بلغة الشهوة والمنفعة الفردية ، وتقدم في الآية ٦ من البقرة .

الإعراب :

﴿على صراط﴾ متعلق «بالمُرسلين» . ﴿تنزيل﴾ نصب على المصدرية . والمصدر «لتنذر» متعلق بتنزيل . وما نافية وجملة ما أنذر صفة لقوم . وسواء مبتدأ وجملة أنذرهم خبر ، والمهمزة هنا للتسوية لا للاستفهام .

١١- ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَوَّيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ
وَدِينَ الْحَقِّ بِإِيمَانٍ وَإِخْلَاصٍ .

١٢- ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قُلْتُمْ وَأَنَّا نَهْدِيكُمْ
اللَّهُ يَبْعَثُ فِي الْقُبُورِ لَا مَحَالَةَ ، وَيَحْصِي جَمِيعَ أَعْمَالِهِمْ
مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ، وَمَا تَرَكُوا مِنْ آثَارٍ نَافَعَةٍ أَوْ ضَارَةٍ ، وَيَجْزِي
كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ، وَلَا يَنْجُو مِنْ عَذَابِهِ وَغَضَبِهِ إِلَّا مَنْ
آمَنَ بِالْحَقِّ ، وَكَفَّ أَذَاهُ عَنِ الْخَلْقِ ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ
فِي إِمَامٍ مَبِينٍ ﴾ الإمام كناية عن علمه الذي لا يعزب عنه شيء .

١٣- ﴿ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ ﴾ قال
كثير من المفسرين : إنها أنطاكية ﴿ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾
قيل : هم من حوارى عيسى (ع) وتلاميذه ، والظاهر أنهم
رسل الله سبحانه حيث أسند الإرسال إليه في قوله :

١٤- ﴿ إِذَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ ﴾ إلى أصحاب القرية ﴿ التَّيْنِ
فَكَذَّبُوهُمَا فَعُزِّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾ نهي الإثنين عن المنكر ، وأمرنا
بالمعروف ، فقامت قيامة قوى الشر ولم تقعد ، فشدد سبحانه
أُزْرَ الإثنين برسول ثالث ﴿ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴾ من
ربكم لتوحده وتعبده .

١٥- ﴿ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ﴾ تماماً كما قال
الأولون ، والجواب هو الجواب .

١٦-١٧- ﴿ قَالُوا رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُم لَمُرْسَلُونَ ﴾ وقد
بلغنا الرسالة ، وعلى الله الحساب ، وتقدم هذا المضمون في
العديد من الآيات .

١٨- ﴿ قَالُوا إِنَّا نَطَّيَّرُكُمْ بِكُم لَن لَّمْ تَنْتَهُوا لِنَرْجِمَنَّكُمْ وَلِيَمْسَكنَّكُمْ مِّنَّا عَذَابُ أَلِيمٍ ﴾ قال المكذبون للرسل : تشامتنا
من دعوتكم حيث نفرق مجتمعنا إلى فئتين : معكم وعليكم ، فسكونكم خير لنا ولكم وإلا أسكنناكم بالرجم وأليم العذاب .

١٩- ﴿ قَالُوا طَائِفُكُمْ مَعَكُمْ ﴾ أي أنتم تحملون سبب شؤمكم وتعاتبكم ، وهو إقامتكم على الكفر والشرك ، أما
الإيمان والتوحيد فهو يُمن وخير وبركة ﴿ أَفَنُذَكِّرُكُمْ ﴾ انتشاءمون من التذكير بالخير والدعوة إلى الله والحق ؟ ﴿ حَقًّا
إِنكُمْ ﴾ قوم مسرفون ﴿ وَتَمَادُونَ فِي الْجَهْلِ وَالضَّلَالِ .

٢٠-٢١- ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى ﴾ لم يشر سبحانه إلى اسم هذا الرجل ، ومع ذلك قال المفسرون
اسمه حبيب النجار ، وأيا كان اسمه ونسبه فهو من الصالحين المصلحين بشهادة القرآن حيث أخبر عنه أنه أسرع إلى قومه
الكافرين ﴿ قَالَ ﴾ ناصحاً ومحذراً : ﴿ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا

الإعراب :

﴿ اضرب ﴾ بمعنى اجعل ، ﴿ وأصحاب القرية ﴾ مفعول أول ﴿ ومثلاً ﴾ مفعول ثانٍ . وإذ الثانية بدل من إذ الأولى . ومفعول عززنا
محذوف أي ﴿ فعززناهما ﴾ . وجواب ﴿ أئن ذكركم ﴾ محذوف أي أئن ذكركم تطيرتم .

المرسلين انجروا من لا يسألكم أجراً وهم مهتلون ﴿٢١﴾ إن هؤلاء الرسل من الأطياب الأخيار والهداة الأبرار . استجبوا لهم ترشدوا وتأمّنوا من عذاب النار وغضب الجبار ، ثم أكد الوعظ والنصح لقومه بأسلوب أبلغ وأنفع وقال متحدثاً عن نفسه :

٢٢- ﴿ وما لي لأعبد الذي فطرني ﴾ ثم التفت إلى قومه وخاطبهم ﴿ وإليه ترجعون ﴾ يشير بذلك أنهم المقصودون بالذات من كلامه .

٢٣- ﴿ أتخذ من دونه ﴾ أصناماً لا تضر ولا تنفع ؟

٢٤- ﴿ إني إذن لفي ضلال مبين ﴾ أي أنتم في عمى وضلال واضح .

٢٥- ﴿ إني آمنت بربكم فاسمعون ﴾ أقول كلمة الحق ، وأجابه بها كل مبطل ، ولا أبالي بالموث ، فاصنعوا بي ما تشاءون . وفي الأخبار أن قومه رموه بالحجارة . و في مجمع البيان نقلاً عن تفسير الثعلبي أن رسول الله (ص) قال : سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين : علي بن أبي طالب وصاحب يس ومؤمن آل فرعون . ومثله في كشف الزمخشري .

٢٦-٢٧- ﴿ قيل ادخلوا الجنة ﴾ في الكلام حذف يدل عليه السياق كمادة القرآن ، والتقدير مات هذا العبد الصالح المخلص قيل له : ادخل الجنة ، ولما دخلها ﴿ قال يا ليت قومي ﴾ الذين قتلوني لأنني نصحتهم وحذرتهم ﴿ يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين ﴾ قتلوه ونكلوا به أشد التنكيل ، وفي اللحظة التي مات فيها عاين ما عاين من كرامة الله وثوابه ، ففرح واستبشر بأنعم الله ، وأيضاً تأم وتحسر على قومه ، وتمنى لو أن مخبراً يحدثهم عما هو فيه من أنعم الله كي يتوبوا ويشاركوه هذه السعادة الجليلة ... أهذا مؤمن ونحن مؤمنون ، بل وحماة الدين ؟ وبعضنا يفخر بمنصبه وآخر بسيارته ، وثالث بما أشبه من زخرف الحياة !!

٢٨- ﴿ وما أنزلنا على قومه من بعده ﴾ أي من بعد قتل المؤمن الصالح ﴿ من جند من السماء وما كنا منزلين ﴾ لأن الله سبحانه يهلكهم بطريق أيسر من نزول ملائكة العذاب .

٢٩- ﴿ إن كانت ﴾ العقوبة ﴿ إلا صيحة واحدة ﴾ بمن جبريل أو غيره ، فلم تبق روح في الجسم .

٣٠- ﴿ يا حسرة على العباد ﴾ هذه الحسرة تعبير عن سوء المصير والعاقبة الوخيمة .

الإعراب :

ولا يغفلون الأصل ينقلوني . فاسمعون النون للوقاية والأصل فاسمعوا قولي ثم حذف المضاف وهو القول للتخفيف فصار الفعل فاسمعوني ثم حذفت الياء للوقف . يا ليت وباء للتنبيه . اسم كانت محذوف أي ﴿إن كانت الصيحة أو العقوبة إلا صيحة واحدة﴾ . ﴿ وحسرة ﴾ منادى أي (احضري يا حسرة فهذا وتلك) ونُصبت لأن على العباد يتعلق بها . وكم خبرية ومعللها نصب ﴿بأهلكنا﴾

٣١- ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ ۖ لَا يَنْظُرُونَ إِلَّا بَاسًا يَوْمَ الْقِيَامِ ۚ وَكَمْ يَرْجُوهُمْ إِلَّا الْيُسْرَىٰ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِسُونَ ۚ﴾
أي لم يبق من الهالكين المتقدمين أحد يخبر المتأخرين عما جرى وكان فيمن سبق كي يتعظوا ويعتبروا ، ولكن آثار الهالكين تدل عليهم ، وكفى بها عبرة وعظة .

٣٢- ﴿وَأَن كُلِّ لَمَّا جُمِعَ لَدُنَّا مُحْضَرُونَ ۖ﴾
بمعنى إلا ، أي ما من أمة ماضية أو حاضرة أو آتية إلا وتقف بين يدي الله لنقاش الحساب .

٣٣- ٣٤- ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ ۚ﴾
من آيات البعث والنشور ، وفيها الدلالة الكافية الوافية على إمكان الحياة بعد الموت . بل ووقوعه أيضاً كما نرى الحياة الأرض بعد موتها ، وقد تردد ذلك وتكرر في العديد من الآيات . ومنها الآية ٩٩ من الأنعام .

٣٥- ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۚ﴾
إيلاء إلى أن النعمة حقاً هي المال الحلال المكتسب من كد اليمين وعرق الجبين ، وفي الحديث الشريف : « إن من الذنوب ذنوباً لا يكفرها صوم ولا صلاة ولا حج ، وإنما يكفرها سعي الرجل على عياله » .

٣٦- ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا ۚ﴾
المخلوقات من نبات وإنسان وحيوان ... إلى غير ذلك مما نهجل في السماء والقضاء وتحت الترى .

٣٧- ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ ۚ﴾
هنا وجود النهار عقب الليل وبعده لا انتزاعه وتجريده منه ، فإذا هم مظلومون داخلون في الظلام .

٣٨- ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ﴾
المراد بالجري هنا حركة الشمس في فلكها الخاص ، وبالمستقر النظام المحكم لا المستقر المكاني كما قال المفسرون القدامى ، والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۚ﴾ أي حركة الشمس بنظام في فلكها الذي لا تتجاوزته هي من تقديره تعالى وتديره ٣٩- ﴿ وَالْقَمَرُ قَدَرًا مِّنَ الْمَنَازِلِ ۚ﴾
ومعنى هذا أن القمر غير ثابت في مكانه ، بل يتدرج تبعاً للأرض ودورانه حولها حتى عاد كالعرجون القديم في دقة وانحناء في رؤية العين . والعرجون : غصن النخلة .

٤٠- ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي أَن تَدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۚ﴾
لكل من الشمس والقمر فلكه الخاص يدور فيه بنظام . ويجري في منازل مقدرة إلى ما شاء الله . وتقدم في الآية ٣٣ من الأنبياء . وأخيراً فلما من علماء الفلك حتى نجول في هذا الميدان . والمهم أن نعلم بأن القرآن نبي من خالق الكون . ويستحيل أن ينطق بشيء على خلاف الواقع . فإن اتفق ظاهر الوحي مع واقع الطبيعة فذاك والأوجب تأويل الظاهر بما يتفق مع الواقع . وهذه قاعدة عقلية ودينية مطلقة ترفض التفسير والتقييد ٤١- ﴿ وَأَيَّةٌ لَهُمُ أَنَّا حَمَلْنَا فَرِيضَتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْهُونِ ۚ﴾
المملوء منهم وما يبتنون . وتقدم في الآية ١١٩ من الشعراء ٤٢- ﴿ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ۚ﴾
وصمير « مثله » يعود إلى الفلك . والطارئة والسيارة به أشبه من البغال والحمير والإبل والخيول .

بِمَجْمَعٍ لَدُنَّا مُخَضَّرُونَ ۚ ﴿٣١﴾ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ ۚ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٢﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٣﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَسْأَلُونَ ﴿٣٤﴾ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٥﴾ وَآيَةٌ لَهُمُ الْبَلَدُ الْمَيِّتُ سَلَخْنَا مِنْهُ النَّهَارَ فَمَّاذَا هُمْ مُقْتَبِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٧﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرًا مِّنَ الْمَنَازِلِ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٨﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٩﴾ وَآيَةٌ لَهُمُ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْهُونِ ﴿٤٠﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ

٤٣- ﴿وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾ ولو كانوا في المدرعات وحملات الطائرات ، والغرض من هذه الإشارة مجرد التذكير بنعمة النجاة ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ لا مغيث يستجيب لصراخهم حين الإشراف على الغرق .

٤٤- ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا﴾ حتى المشي على اليابسة يفقر إلى رحمة الله وعنايته ﴿وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ إلى الأجل المعلوم عند الله وهو درع وحجة .

٤٥- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ للجاحدين المعاندين : ﴿اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ من الذنوب والمحرمات ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ من العذاب على المعاصي ، وجواب إذا محذوف تقديره اعرضوا .

٤٦- ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ عنوا وعداً .

٤٧- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ للمتفرقين المحتكرين : ﴿انْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ﴾ على المحاويج قالوا : كيف ؟ وقد قضى الله عليهم بالفقر والعوز ، وقدر لنا العز والغنى ، ونحن لا نخالف ما قضى الله وقدر ! قالوا هذا وتجاهلوا أن الفقر من صنع الأرض لا من صنع السماء ، ومن فساد الأوضاع وأنظمة الطغيان لا من شريعة الرحمن وفي كتاب الوسائل عن الإمام الصادق (ع) : ان الله جعل للفقراء من أموال الأغنياء ما يكفيهم ، ولولا ذلك لزادهم ، وإنما يؤتون من منع من منعهم ... إن الناس ما افقروا ولا احتاجوا ولا جاعوا ولا عروا إلا بذنوب الأغنياء ..

مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ ﴿٤٩﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥١﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ انْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْطَعِمُ مِنْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ أَنْطَعِمَهُمْ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٣﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥٤﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٥٥﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٦﴾ وَنَفِخْ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا يَا بُولُوكُنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا

٤٨- ﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ بقيام القيامة .

٤٩- ﴿ما ينظرون إلا صيحة واحدة﴾ وهي صيحة البعث والنشر ﴿نأخذهم وهم يخصمون﴾ يتشاجرون ويتنافسون على الدنيا والشهوات .

٥٠- ﴿فلا يستطيعون توصية﴾ ولم يوصون ولا من باق وباقية .

٥١- ﴿ونفخ في الصور﴾ كناية عن النشور . والأحداث القبور . وينسلون : يسرعون في العدو .

٥٢- ﴿قالوا يا بولوكنا من بعثنا من مرقدنا﴾ قد يقال : إن هذا التعجب من الأموات يشعر بأنهم لم يحاسبوا في قبورهم بل كانوا في رقدة وسبات حتى من كفر منهم . الجواب يبدأ حساب القبر بعد الدفن بلا فاصل ثم ينتقل الأموات إلى حالة ثانية يطول أمدها ، ثم يحدث النشر ، وقد عبروا عن الحالة الثانية بالرقاد لسبب أو لآخر .

الإعراب :

﴿رحمة﴾ مفعل من أجله ومتاعاً عطفت على رحمة . جواب ﴿وإذا قيل لهم اتقوا﴾ محذوف أي اعرضوا بدلالة قوله : معرضين في الآية التالية .

٥٣- ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ الصيحة الأولى لقيام القيامة لذا قال سبحانه : «وهم يخصمون» أي في الحياة الدنيا كما أشرنا ، وهذه الصيحة الثانية للحضور بين يدي الله للحساب بدليل قوله تعالى : ﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ للسؤال عما كانوا يعملون .

٥٤- ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظَلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً﴾ بتزده سبحانه عن ظلم عباده ، ولماذا الظلم والأمر كله لله وحده ، وكل له خاشعون .

٥٥- ﴿إِنْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ﴾ فرحون مرحون حيث لا خوف ومشكلات ، ولا مشاحنات طائفية وخلاقات عائلية ، ولا حسد على المناصب والرياح .

٥٦- ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ﴾ الحوريات ، لا بنات حواء المشاكسات .

٥٧-٥٨- ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ . سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ هذا السلام يهديه سبحانه لأهل الجنة ، ومعناه الأمان والرحمة ، والسعادة والنعمة .

٥٩- ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمَجْرُمُونَ﴾ كنتم من قبل تستترون بالنفاق والشعارات الكاذبة ، أما اليوم فكل شيء على المكشوف ، فلا رياء ولا رداء ، وقد فضحككم سبحانه بالخيزي والعذاب المهي .

٦٠-٦١- ﴿أَلَمْ أَعْهِدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ ...﴾ يقول سبحانه لعباده بالعموم ولأهل النار بالخصوص : لقد أعذرت إليكم بما أنذرت وحذرت ، وأقمت الحجج والبراهين بالبصيرة والبصر وبالوحي على لسان الأنبياء والرسل ، فقتس قلوبكم ، وأبت الهداية ، فعمل من تقع الملامة ؟

٦٢-٦٤- ﴿وَلَقَدْ أَضَلُّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ خلقاً كبيراً ﴿أَلَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ طريق الهداية والرشاد . وقد ردد القرآن هذه الجملة : «تَعْلَمُونَ وَيَعْلَمُونَ» وكررها عشرات المرات ليؤكد أن العقل هو أصل الأصول لدين الإسلام وعقيدته .

الإعراب :

وويلنا منادي أي يا ولينا احضر هذا أوانك . هذا ما وعدنا الرحمن مبتدأ وخبر والكلام مستأنف . ﴿في شغل﴾ خبر ان ﴿فكاهون﴾ خبر ثانٍ ﴿وهم﴾ مبتدأ ﴿أزواجهم﴾ عطف عليه ، وفي ظلال خبر ، ﴿متكئون﴾ خبر ثانٍ ﴿على الأرائك﴾ متعلق به . ﴿وسلام﴾ بدل من ما يدعون . وثقلاً منصوب على المصدرية . أن لا تعبدا ﴿أن﴾ مفسرة للمهد . وإن اعبدوني عطف على أن لا تعبدا الشيطان .

٦٥- ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَجْعَلُ أَرْجُلَهُمْ مُدْخِلَاتٍ ۚ﴾
 بما ضربت وسرقت وكتبت وأشارت ﴿وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ﴾
 بما مشت وسعت . وتسال : كيف تجمع بين قوله تعالى هنا :
 نختم على أفواههم « وقوله في الآية ٢٤ من النور : » تشهد
 عليهم ألسنتهم « ؟ وأجيب بأن للعباد غداً مواقف يؤذن لهم
 بالكلام في بعضها دون بعض . ونعطف على هذا الجواب :
 أن الله سبحانه يختم على أفواه المجرمين حين شهادة الأيدي
 والأرجل كما هو الشأن في أصول المحاكمات عندنا ، فإذا
 انتهت الأعضاء من شهادتها ، أطلق سبحانه الأفواه ، وسأل
 أربابها : ماذا تقولون في هذه الشهادة ؟ تأكيداً للحجة والزامهم
 بها .

٦٦- ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ﴾
 الأصل إلى الصراط ﴿فَأَنَّى يَصِيرُونَ﴾ أي لو أراد سبحانه
 أن يعاقب المجرمين في الدنيا لأعمى أبصارهم حتى إذا أرادوا
 السير على الطريق والإهداء إليه لتعذر ذلك عليهم .

٦٧- ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا
 مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ أيضاً لو أراد سبحانه أن يعاقبهم في
 الدنيا لجعلهم أجساداً بلا أرواح ، لا يستطيعون الحركة ذهاباً
 ولا إياباً .

٦٨- ﴿وَمَنْ نَعْمَرِهِ نَنكَسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾
 الشيخوخة آفة . تحول الإنسان من الإدراك إلى الخرف ،
 ومن القوة إلى الضعف وقد يصبح كالطفل الرضيع يعجز حتى
 عن قضاء حاجته الضرورية ، والموت أيسر من هذه الحياة
 وأفضل ، والغرض من هذه الإشارة أن يبادر الإنسان إلى التوبة والصالحات من الأعمال قبل فوات الأوان .

٦٩- ٧٠- ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ﴾ حاول أعداء الله والحق تكذيب محمد (ص) بشئى الوسائل ، منها الرمي
 بالجنون ، فرد عليهم سبحانه بقوله : « وما صاحبكم بمجنون ٢٢- التكوير » ومنها أنه أخذ القرآن من أعجمي ، فقال لهم ،
 تقدمت كلمته : « لسان الذي يلحدون إليه أعجمي ، وهذا لسان عربي مبين - ١٠٣ النحل » ومنها أنه شاعر ، فقال
 عز من قائل : « وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين » أين الشعر من القرآن ؟ فالشعر شعور يختلف
 ويتنوع تبعاً لذات الشاعر وميوله وتربيته ، والقرآن إرشاد وهداية إلى العمل بالعلم ومنطق العقل ، ومصدر لشريعة إنسانية
 خالدة ، ومقياس للأخلاق الفاضلة ، ومعجزة من السماء أنارت الطريق أمام العرب إلى حضارة عالمية شهدت كل
 الأمم بأنها النواة التي انطلقت منها أوروبا والغرب إلى التقدم العلمي الحديث .

٧١- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾ وهي الإبل والبقرة والغنم ، وكانت من وسائل الإنتاج ومن
 مقومات الحياة ، وما زال لها أبعد الأثر ، والمراد بالأيدي هنا أيدي الأسباب التي خلقها سبحانه ، وتقدم في الآية ١٤٢ من
 سورة الأنعام وغيرها .

٧٢- ٧٤- ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾ تنقاد حتى للطفل الصغير ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ في الأسفار ، وعليها يحملون
 الأثقال .

تَكْفُرُونَ ﴿١٥﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا
 أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٦﴾ وَلَوْ
 نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى
 يُصِيرُونَ ﴿١٧﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا
 اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ وَمَنْ نَعْمَرِهِ نَنكَسْهُ
 فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿١٩﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا
 يَنْبَغِي لَهُ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿٢٠﴾ لِيُنذِرَ
 مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢١﴾ أَوَلَمْ
 يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا
 مَالِكُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا
 يَأْكُلُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا
 يَشْكُرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهًا لَعَلَّهُمْ

٧٥- ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ﴾
 الأصنام لا تنصر من اتخذ منها أرباباً ، ومع ذلك يتجند
 المشركون للذب عنها كل حين ، وهنا مكان الجهالة والغرابة .
 ٧٦- ﴿فَلَا يَحْزَنكَ﴾ يا محمد ﴿قَوْلُهُمْ﴾ قول
 المشركين إنك شاعر ومجنون ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يَسِرُونَ وَمَا يَعْلَنُونَ﴾
 وسوف نعاملهم بما يستحقون .

٧٧- ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نَظْفَةٍ فَإِذَا هُوَ
 خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ يخاصم ويجادل في البعث ، وهو على علم بأنه
 من نطفة ثم صار إنساناً في أحسن تقويم ، فلماذا لا يفهم
 ويعقل بأن الذي فعل هذا في النشأة الأولى قادر على أن يفعله
 في النشأة الثانية ؟ .

٧٨-٧٩- ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي
 الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ قل يحييها الذي أنشأها أول مرة ﴿جاء
 في التفسير أن رجلاً جاء بعظم بال إلى رسول الله ، فضغط
 عليه حتى صار تراباً ، وسأله : أيعحي الله هذا ؟ فتزلت هذه
 الآية ، وأياً كان سبب التزول فإن هذه الرواية أوضح من أي
 تفسير للآية الكريمة .

٨٠- ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾
 استبعد المشركون فكرة البعث لأن الشيء لا يتولد منه ما هو
 ضد له كما يعتقدون ، فأقام سبحانه الدليل عليهم بالشجر
 الأخضر المحتل بالماء المضاد للنار علماً بأن هذه تتولد من ذلك .
 ٨١- ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي ...﴾ خلق الكون من لا شيء
 بقادر أن يخلق مثله ساعة يشاء .

٨٢- ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ذرأ الخلق بكلمة « كن » وبها يعيده ، فالإعادة والبدابة لديه
 تعالى بمنزلة سواء .

٨٣- ﴿فَسَبَّحَانَ الَّذِي يَبْدَأُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وإليه ينتهي كل شيء ويجزي كل نفس بما كسبت وهم لا
 يظلمون .

الإعراب :

﴿أول مرة﴾ نصب حل الظرفية ، والعامل فيه أنشأها . و﴿جعل لكم﴾ بدل من الذي ﴿أنشأها﴾ . ويلي حرف جواب ، ويختص
 بالاجاب ، سواء أكان قبلها مثبتاً أو منقياً أي أنها تؤكد الانيات ، وتبطل النفي .

سُورَةُ الصَّافَاتِ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّافَاتِ صَفَا ۖ قَالَ أَتَىٰ لِجَارِثٍ وَهَارٍ ۖ فَالْتَلَيْتَ
 ذُرًّا ۖ إِنَّ إِلَٰهَهُمْ لَوَاحِدٌ ۖ رَبُّ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ رَبُّ الْمَشْرِقِ ۖ إِنَّ زَيْنًا لِّلسَّمَاءِ
 الذُّنْبِ بِرَبِّةِ الْكَوَاكِبِ ۖ وَحَفَظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ
 مُّارِدٍ ۖ لَا يَسْمَعُونَ إِلَىٰ الْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ وَيَنْذَرُونَ مِّنْ
 كُلِّ جَانِبٍ ۖ دُحُورًا ۖ وَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ ۖ إِلَّا مَن
 خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۖ فَاسْتَفْتِهِمْ
 أَهَمْ أُنْشِدْ خَلْقًا مِّنْ خَلْقِنَا ۖ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّنْ طِينٍ

من الغيب المحجوب .

١١- ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهَمْ أُنْشِدْ خَلْقًا مِّنْ خَلْقِنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّنْ طِينٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ شديد يقيني بالحجج وندوة يقول سبحانه
 أنبيه الكريم : سل الذين ينكرون البعث : أيها أعظم ؟ حييؤهم بعد الموت أم إيجاد هذا الكون معجزة ؟ وما من
 شك أن خلق الكون أعظم ، وإذن كيف أنكروا البعث . وناقضوا أنفسهم بأنفسهم ؟

الإعراب :

﴿وَالصَّافَاتِ﴾ الواو للقسمة . ﴿صَفَا﴾ مفعول مبالغ ومثله ﴿زَجَرًا﴾ ، أما ذكرنا أنشغل به . ﴿وَرَبِّ السَّمَوَاتِ﴾ بدل من واحد .
 والدنيا صفة للسيا . و﴿حَفَظًا﴾ مفعول مطلق للفعل محذوف أي وحفظناهما حفظاً . ودحوراً مصدر في موضع الحال أي مدحورين
 وصاحب الحال الواو في يقافون . ومن حفظ « من » في محل رفع بدلاً من واو لا يسمعون أو في محل نصب على الاستثناء .

سُورَةُ الصَّافَاتِ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١-٢- ﴿وَالصَّافَاتِ صَفَا﴾ قال أنكر المفسرين .
 المراد بالصافات الرجاثر والحيات الملائكة . والله أعلم بما
 أراد .

٤- ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ تنفر في صفات الجلال
 والكسان نفراً لا يشركه فيها غيره .

٥- ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا رَبُّ الْمَشَارِقِ﴾
 تنشق الشمس في كل يوم من أديم الله من مشرق وتغرب
 في مغرب سبعة لدوران الأرض حول نفسها مرة كل ٢٤
 ساعة ، واكتفى سبحانه بذكر المشارق هنا عن ذكر المغرب
 للتلزام بينهما .

٦- ﴿إِنَّا زَيْنًا لِّلسَّمَاءِ الذُّنْبِ بِرَبِّةِ الْكَوَاكِبِ﴾ يذكر
 سبحانه عباده بأفعله عليهم . وما أن جعل الكواكب في
 سماه دنياهم جملاً بأشكالها وألوانها . إضافة إلى الإهداء
 بها في خدمات البر والبحر .

٧- ﴿وَحَفَظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مُّارِدٍ﴾ قال صاحب
 مجمع البيان : المعنى وحفظناهم من نوكل شيطان للإغتراب .
 ٨-١٠- ﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَىٰ الْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ﴾ هذه
 الآية من المشاهات عذنا ، وإذ تلك من الواضحات عند
 غيرنا . وفي النقطة ٨٩ من خطب النهج حدد الإمام (ع)
 الراشدين بأعلم أهم الذين يقرؤن « جملة ما جهلوا بقدره

١٢- ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾ أنت تعجب من كفرهم بالبعث وهم يعجبون من إيمانك به ، بل ويسخرون منك ومنه .

١٣-١٤- ﴿ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخَرُونَ ﴾ لا شيء لديهم إلا الإسترسال مع الغرور والإصرار على الجهل ، ولا جدوى من وعظهم وإرشادهم ولا من إيراد البيئات والدلائل .

١٥- ﴿ وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مَبِينٌ ﴾ هذا القرآن أو هذا المنهج الكامل لحياة الإنسان سحر ! ولا كلام بعد هذا الكلام .

١٦-١٧- ﴿ أَلَمْ نَكُنْ مِنْكُمْ نَارًا وَكُنَّا نَارًا ... ﴾ كيف يبعث من عفت القرون آثاره ، وأصبح أشلاء وهباء .

١٨- ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد هؤلاء : ﴿ نَعَمْ ﴾ سنتبون ﴿ وأنتم دنحون ﴾ صاغرون .

١٩- ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ دعوة أو -سيحة واحدة ﴿ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ العذاب الذي كانوا به يكذبون .

٢٠- ﴿ وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ أي الجزاء على الأعمال .

٢١- ﴿ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ هذه الآية من كلام الله تعالى أو من ملائكته والخطاب للمكذبين والمراد بالفصل تمييز الحق عن الباطل .

٢٢-٢٣- ﴿ احْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ المراد بالأزواج هنا الأنبياء والنظائر ، والمعنى يحشر غداً المشرك مع المشرك ومعبوده في مكان واحد من أمكنة جهنم ، والسارق مع السارق ، وهكذا كل شكل مع شكله قرين وضيع .

٢٤- ﴿ وَقَفَّوهُمْ أَنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾ كلنا مسؤولون حتى عن النظرة والكلمة وسماعها والقصد بها كما في الآية ٣٦ من الإسراء .

٢٥-٢٦- ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴾ أي تتناصرون أيها المجرمون وكنتم في الدنيا متحابين متضامنين ، والغرض من هذا التقرير والتوبيخ .

٢٧- ﴿ وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ يتلاوم المجرمون حين يرون العذاب ، ويقول الضعفاء للرؤساء :

٢٨- ﴿ قَالُوا أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴾ أي حببتم إلينا الكفر بما نراه خيراً وهو في واقعه شر ، وكانت العرب تتفاد بما يأتي من جهة اليمين .

٢٩- ﴿ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ ما حببنا الكفر

لَا زَبِ ١١ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ١٢ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ١٣ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخَرُونَ ١٤ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مَبِينٌ ١٥ أَوْءَا بَاؤُنَا الْآوَلُونَ ١٦ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ١٧ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ١٨ وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ ١٩ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ٢٠ * احْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ٢١ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ٢٢ وَقَفَّوهُمْ أَنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ٢٣ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ٢٤ بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُتَسَلِّبُونَ ٢٥ وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ٢٦ قَالُوا أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ٢٧ قَالُوا بَلْ لَمْ

إليكم ، بل قلوبكم كانت تنكروا الإيمان وتنفر منه .

٣٠- ﴿ وما كان لنا عليكم من سلطان ﴾ ما كنا نملك أية حجة أو قوة تصدكم عن الإيمان بصدق وإخلاص ﴿ بل كنتم قوماً طاعين ﴾ مجرمين ، ولذا تركتم الحق إلى الباطل .
٣١-٣٢- ﴿ فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون ، فأغويناكم إنا كنا غاوين ﴾ دعوناكم للكفر بلا إكراه فاستجبتم ، فنحن وأنتم في الجريمة سواء ، فلا لوم لكم علينا ولا لوم لنا عليكم . وتقدم في الآية ٢٥ من العنكبوت وغيرها .
٣٣-٣٤- ﴿ فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون ﴾ لكل من التابع والمتبوع سعيه جزاؤه العادل من العذاب .
٣٥- ﴿ إنهم كانوا إذا قيل لهم ﴾ قولوا : ﴿ لا إله إلا الله يستكبرون ﴾ عن النطق بالحق وإعلانه ، ويرون ذلك سفهاً وحمقاً .

٣٦- ﴿ ويقولون أننا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ﴾ وما من شك أن المجنون خير وأفضل عند الله والعقلاء ممن وصف سيد الكونين الذي أخرج الناس من الظلمات إلى النور - بالجنون .
٣٧- ﴿ بل جاء بالحق ﴾ في كل ما أخبره عن الله ﴿ وصدق المرسلين ﴾ من قبله ، لأن المرسل واحد وهو الله ، والرسالة واحدة وهي هدى البشر وإسعاده وبث روح الفضيلة بين أفرادها .

٣٨-٣٩- ﴿ إنكم ﴾ أيها المجرمون ﴿ لذائقوا العذاب الأليم ﴾ جزاء بما كنتم تعملون .

٤٠-٤١- ﴿ إلا عباد الله المخلصين أولئك لهم رزق معلوم ﴾ هذا على طريقة القرآن الكريم ، يذكر عقاب المجرمين ، ويعقب بثواب الطيبين وهو :

٤٢- ﴿ فواكه ﴾ مما يشتهون ﴿ وهم مكرمون ﴾ يشعرون بالرعاية والعناية بهم .
٤٣-٤٤- ﴿ في جنات النعيم . على سرر متقابلين ﴾ يتلاطفون ويتآسسون .
٤٥- ﴿ يطاف عليهم بكأس من معين ﴾ يحمل الولدان إليهم كؤوساً لا تنقطع ولا تفرغ من ألوان الشراب .
٤٦- ﴿ بيضاء لذة للشاربين ﴾ مشربة اللون طيبة الطعم .
٤٧- ﴿ لا فيها غول ﴾ لا صداع من شربها ولا

الإعراب :

جملة ﴿ إنا لذائقون ﴾ مفعول القول . ومفعول ذائقون محذوف أي العذاب . إلا ما كنتم تعملون «الاء» أداة حصر . وإلا عباد الله المخلصين استثناء منقطع من ذائقوا العذاب ، وما بين المشتى والمشتى منه اعتراض . فواكه بدل من رزق . على سرر متعلق بمقابلين ومتقابلين حال من «مكرمون» . وبيضاء صفة للكأس .

تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۝ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ ۝ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِيْنَ ۝ لَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَٰئِقُونَ ۝ فَأَغْوَيْنَاكُمُ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ۝ فَلَمَّ نَسَمُ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ۝ إِنَّا كَذَلِكْ لَنَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ۝ إِنَّمَا كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا آلِهَتَنَا لِشَاعِرٍ يَّجْنُونَ ۝ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ۝ إِنَّمَا كُنْتُمْ لَدَٰئِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ۝ وَمَا تُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ۝ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ۝ فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ۝ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝ عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ۝ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ ۝ بَيَضَاءُ لَذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ ۝ لَا فِيهَا غَوْلٌ

أَوْجَحُ ۝ زَلَّ تَمَّ قَبْلُ يَرْفُونَ ۝ لَا تُرَابِي بَقِي دَا صَبْرِي ۝
نَعِي

٤٨- ۝ وَعِنْدَهُمْ قَاضِيَاتُ الْظُرُوفِ عَيْنٌ ۝ عَفِيفَاتٌ
جَمِيلَاتٌ وَسَمِعَاتُ الْعِيُونِ .

٤٩- ۝ كَانْهِن بَيَضٌ مَكْنُونٌ ۝ صِبَاةٌ وَصَفَاءٌ .

٥٠- ۝ فَأَقْبَلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝ سَجْدَةً
غَدَا أَهْلُ الْجَنَّةِ عَمَّا كَانُوا يَعْتَدُونَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .

٥١- ٥٣- ۝ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ ... ۝ كُنْتُ فِي فِي الْبَيْتِ
صَاحِبٌ يَسْأَلُنِي سَاحِرًا ۝ كَيْفَ تَقُومُ بِالْعِبَادَةِ وَهِيَ صَلَاةٌ
وَحِرَافَةٌ ؟ ثُمَّ أَرَدْتُ حَدِيثَهُ مِنْ صَاحِبِهِ فِي الدُّنْيَا وَقَوْلَ لَا يُجَاوِزُهُ
فِي الْبَيْتِ :

٥٤- ۝ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَاعُونَ ۝ إِلَى النَّارِ لَأُرِيَكُمْ صَبْرِي
هَذَا الْكَافِرُ السَّاسِرُ ٢

٥٥- ۝ فَاصْطَفَعُ فِرَاقَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ۝ فِي وَسْطِهِ .

٥٦- ۝ قَالَ ۝ لَوْ مَوْجِعًا ۝ تَالَلَّهِ إِنْ كُنْتُ لَتَرْدِينِ ۝
تَهْلِكُنِي لَوْ أَطْعَمْتُكَ ، وَلَكِنْ اللَّهُ لَطُفٌ وَاسِعٌ .

٥٧- ۝ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ۝ مَعَكَ
فِي الْعَذَابِ الْأَلِيمِ .

٥٨- ٥٩- ۝ أَفَمَا نَحْنُ بِمَبِيتِينَ إِلَّا عَوْنَنَا الْأَوَّلَى ۝
مَا رَأَى الْكَلَامَ لِلْمُؤْمِنِ النَّحْبِتِ عَنْ قَرِيبَةٍ وَهَتْ ، تَهْبِيتٍ
مِنَ الْمَوْتِ وَسُكْرَاتِهِ وَالْحِسَابِ وَأَقَاتِهِ ، وَنَحْنُ الْيَوْمَ وَإِلَى آخِرِ
يَوْمٍ فِي أَمْسٍ وَأَسَانٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْفَرَقِ .

٦٠- ۝ إِنْ هَذَا لَهْوُ الْفُورِ الْعَظِيمِ ۝ بِالْأَمْسِ مِنْ كُلِّ غَائِلَةٍ وَنَازِلَةٍ .

٦١- ۝ لِمَثَلٍ هَذَا فَيُجْعَلُ الْعَامِلُونَ ۝ لَا لِلدَّيْنَةِ تَقَرُّ وَنَعِيمٌ لَا يَبْقَى .

٦٢- ۝ أَذُنَاكَ ۝ إِشَارَةً إِلَى نَعِيمِ الْجَنَّةِ ۝ خَيْرٌ بَرَاءً ۝ كَمَا يَهْبَأُ لِلصَّيْفِ النَّازِلِ ۝ أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ ۝ وَبَعْرِفٍ بِالرَّصِيفِ
فِي قَوْلِهِ تَعَالَى .

٦٣- ۝ إِنْ جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ۝ الرَّادُّ بِالْفِتْنَةِ هَذَا الْعَذَابُ . وَبِالظَّالِمِينَ الْآمِنِينَ كَمَا فِي الْآيَةِ ٤٤ مِنْ الدُّخَانِ :
« إِنْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ وَنَعَامُ الْآمِنِينَ » .

٦٤- ۝ إِنْهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ۝ هَذِهِ هِيَ أَرْضُهَا وَمَنْتِهَا . فِي الْخُطْبَةِ ١٥٢ مِنْ خُطْبِ التَّهْنِجِ :
« وَمَا نَحْنُ بِمَقْبِيَةٍ حَتَّى غَرَسَهُ وَأَمَرَتْ لِمَرْتَتِهِ » .

الإعراب :

وعندهم خبر مبتدأ محذوف أي - دور ، وقاضيات الطرف صفة الحور ، وعين صفة ثانية . ومكنون صفة للبيض . ان كنت « ان »
مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي - لك . ولتردين « اللام » هي الفارقة بين المخففة والثاقبة . وتردين أصلها ترديني . ونعمة ربي مبتدأ
والخبر محذوف أي - كانت . وازلاً شيئاً

لَا هُمْ عَنْهَا يُزْفُونَ ۝ وَعِنْدَهُمْ قَاضِيَاتُ الْظُرُوفِ
۝ كَانْهِن بَيَضٌ مَكْنُونٌ ۝ فَأَقْبَلُ بَعْضُهُمْ عَلَى
بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنْ كُنْتُ فِي
تَرْدِينَ ۝ يَقُولُ أَأُنْكَ لِمَنْ أَنْتَ صَدِّيقٌ ۝ أَوْ مَا مِسَا
رُكُنَا تُرَابًا وَعِطْصًا أَوْ مَا لَعْدِينُ ۝ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ
عَظِيمُونَ ۝ فَأَطْلَعُ فِرَاقَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ۝ قَالَ
لَلَّهِ إِنْ كُنْتُ لَتَرْدِينَ ۝ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ
مِنَ الْمُحْضَرِينَ ۝ أَفَمَا نَحْنُ بِمَبِيتِينَ ۝ إِلَّا مَوْنَتَنَا
الْأَوَّلَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ۝ إِنْ هَذَا لَهْوُ الْفُورِ
الْعَظِيمِ ۝ لِمَثَلٍ هَذَا فَيُجْعَلُ الْعَامِلُونَ ۝ أَذُنَاكَ
خَيْرٌ بَرَاءً أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ ۝ إِنْ جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً
لِلظَّالِمِينَ ۝ إِنْهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ۝

٦٥-٦٦ ﴿ طَلَعَهَا كَأَنَّه رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ ٦٥ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُ مِنْهَا
الحمل ، ورؤوس الشياطين : مبالغة في القبح والشناعة .

٦٧- ﴿ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ ﴾ ٦٧ الشوب :
الخلط والمزج ، والحميم : الحار ، والمعنى يأكلون جحيماً ،
ويشربون سموماً ، وبعد أن ذكر سبحانه طعامهم وشرابهم
أشار إلى مقرهم الدائم والأخير بقوله :

٦٨- ﴿ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لِإِلَى الْجَحِيمِ ﴾ ٦٨ فتوهج وتأجج :
٦٩- ﴿ أَنَّهُمْ أَفْلَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴾ ٦٩ فاتبعهم على
الجهالة والعمى .

٧٠- ﴿ فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴾ ٧٠ يسرعون بلا وعي
وروية ، وما زالت الإنسانية تعاني من وباء التقليد بشتى أنواعه ،
والعاقل الواعي يشك في كل شيء حتى يثبت بالعلم أنه حق
أو باطل ، خير أو شر .

٧١-٧٢ ﴿ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأُولِينَ ﴾ ٧١ السابقين
لعهد محمد (ص) ثم أشرقت برسالته شمس العلم والهداية
إلى الخير ، ثم كان الذي نراه اليوم في أمته .

٧٣-٧٤ ﴿ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَدْرِينَ ﴾ ٧٣
من الخزي والهوان ، والتمزيق والتفريق .

٧٥- ﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴾ ٧٥ لندائه ودعائه .

٧٦- ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴾ ٧٦
قومه الذين كذبوه وآذوه .

٧٧- ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ ٧٧ كل الناس بعد

الطوفان من نسل أولاد نوح الثلاثة : سام ومن نسله العرب والآراميون والآشوريون واليهود ، ويافث ومن ذريته الذين
سكنوا الجبال الغربية من جنوبي بحر قزوين والبحر الأسود حتى شواطئ جزائر البحر المتوسط ، وحام ومن نسله السود ،
كما في تفسير الطبري وقاموس الكتاب المقدس .

٧٨-٨٢ ﴿ وَتَوَكَّنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴾ ٧٨ أبقى سبحانه لنوح الذكر الجميل مدى الحياة . وتقدمت قصة نوح في
العديد من الآيات منها الآية ٢٥-٤٨ من هود .

الإعراب :

﴿ فلنعم المجيبون ﴾ اللام في جواب قسم محذوف وجلة نعم خير لابتداء محذوف أي نحن . وأهل مفعول معه . وهم الباقيون وهم
ضمير فصل لا محل له من الإعراب .

٨٣- ﴿وَإِنْ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ كان إبراهيم الخليل (ع) على سنة نوح (ع) قولاً وعملاً .

٨٤- ﴿إِذْ جَاء رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ من كل ما يشين .

٨٥- ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ أنكر عليهم عبادة الأصنام .

٨٦- ﴿أَفَأَنْتُمْ آلَ اللَّهِ تَدِينُونَ﴾ أتطلبون الزور والباطل بالتعبد لغير الله .

٨٧- ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي شيء تظنون بالله أن يفعل بكم إذا لاقيتموه غداً ؟

٨٨- ﴿فَنَظَرْنَا نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ بهم قومه أنه يبحث عن رب العالمين كما في الآية ٧٦ من الأنعام .

٨٩- ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ للمفسرين أقوال في معنى السقيم هنا ، وأزجحها للإعتبار أنه في شك وحيرة من أجل قومه وهدايتهم .

٩٠- ﴿فَقُولُوا عَنْهُ مَدِيرِينَ﴾ غير صاغرين إليه ولا مكترئين .

٩١- ﴿فَرَاغَ إِلَى آلِهِمْ﴾ مال إليها ﴿فَقَالَ﴾ للأصنام ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ من هذا الطعام الموضوع بين أيديكم .

٩٢- ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْتَقُونَ﴾ قال هذا احتقاراً للأصنام واحتجاجاً على من يعبدونها .

٩٣- ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ مال على الأصنام تدميراً وتحطيماً .

٩٤- ﴿فَأَقْبَلُوا عَلَيْهِ يَزْفُونَ﴾ أسرع إليه قومه ، وأنكروا عليه ما فعل بالهتهم .

٩٥-٩٦- ﴿قَالَ اتَّعْبُدُوا مَا تَنْتَحُونَ﴾ بأيديكم وتحرسونها من الإعتداء ، لعجزها أن تدافع عن نفسها ، وكيف تكون آلهة ؟

٩٧- ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا﴾ أنوثاً : واملأوه وقوداً ، وأنقوه فيه .

٩٨- ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ الإحراق بالنار ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ المغلوبين حيث جعل سبحانه النار برداً وسلاماً على إبراهيم ، وتقدم في الآية ٥١-٧٠ من الأنبياء .

٩٩- ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ بعدما نصره الله على قومه فارقهم وسأل الله أن يشملهم بتوفيقه وعنايته .

١٠٠- ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ بلغ إبراهيم (ع) من الكبر عتياً ، ولم يرزق ولداً ، فسأل ربه ذرية مؤمنة صالحة .

١٠١- ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ وهو إسماعيل .

١٠٢- ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ لما كبر إسماعيل وترعرع ، واستطاع أن يساعد أباه في عمله ﴿قَالَ﴾ إبراهيم

* وَإِنْ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَفَأَنْتُمْ آلَ اللَّهِ تَدِينُونَ ﴿٨٦﴾ فَتَنَظَّرْنَا نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٧﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٨﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٨٩﴾ فَرَاغَ إِلَى آلِهِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾ فَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ ﴿٩١﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿٩٢﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ

يَبْنِيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى^٥
 قَالَ يَبْنَابِ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ
 الصَّابِرِينَ^٦ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ^٧ وَنَدَيْتُهُ
 أَنْ يَلْمِزْهُمْ^٨ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي
 الْمُحْسِنِينَ^٩ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ^{١٠}
 فَدَيْتُهُ يُدْجِ عَظِيمٍ^{١١} وَتَرَكَّا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ^{١٢}
 سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ^{١٣} كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ^{١٤}
 إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ^{١٥} وَبَشَرْتُهُ بِإِخْتِقَ نَبِيًّا مِنْ
 الصَّالِحِينَ^{١٦} وَبَشَرَكَّا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِخْتِقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا
 مُحْسِنٌ وَطَالِرٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ^{١٧} وَلَقَدْ مَنَّآ عَلَىٰ مُوسَىٰ
 وَهَارُونَ^{١٨} وَجَنَّاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ^{١٩}
 وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ^{٢٠} وَءَاتَيْنَاهُمَا

لإسماعيل : ﴿ يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك انظر
 ماذا ترى ﴾ عزم إبراهيم من غير تردد أن يحقق رؤياه بالفعل ،
 لأن النبي لا يرى رؤيا إلا وهي وحى من عليم حكيم ، وأخبر
 ولده إسماعيل بعزمه ، وطلب منه أن يبدي رأيه في ذلك بعد
 النظر والتأمل ﴿ قال ﴾ إسماعيل : ﴿ يا أبت الفعل ما تؤمر
 ستجديني إن شاء الله من الصابرين ﴾ هذا هو سبيل المؤمنين
 حقاً وصدقاً : امض على أمر الله بصبر وشجاعة حتى ولو
 كان أمراً بالذبح بلا تحريف وتأويل واعتذار وتعليل ، وقال
 سيد الشهداء الحسين (ع) حين ذهب للإستشهاد : أمضي
 على دين النبي ، وقال ولده الشهيد علي الأكبر (ع) : لا
 نبالي بالمولوت ما دمنا على الحق ، وكل أئمتنا الأطهار ازدروا
 الدنيا واستهانوا بالحياة طاعة لأمر الله تعالى ، ومن أجل هذا
 ندين لهم بالولاء ، لا من أجل النصوص وكفى .

١٠٣-١٠٤ ﴿ فلما أسلما ﴾ استسلم إبراهيم وإسماعيل
 وانقادا لأمر الله ﴿ وتله للجبين ﴾ صرعه بالأرض ، فوقع
 على أحد جنبيه .

١٠٤-١٠٦ ﴿ وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت
 الرؤيا ﴾ جواب لما محذوف ، وتقديره كما في جوامع الجامع :
 « كان ما كان مما لا يحيط به الوصف من شكرهما لله على ما
 أنعم به عليهما من دفع البلاء العظيم » .

١٠٧- ﴿ وفديناه بذبح عظيم ﴾ المراد بالذبح المذبح
 والمشهور أنه كبش ، وطريف قول بعض المفسرين : انه كان
 أملح ، ورعى في الجنة أربعين خريفاً .

١٠٨-١١١ ﴿ وتركنا عليه في الآخرين ... انهم من عبادنا المؤمنين ﴾ تقدم هذا النص في الآية ٧٨ وما بعدها
 من هذه السورة .

١١٢-١١٣ ﴿ وبشرناه بإسحق نبياً من الصالحين ﴾ جزاء لإقدامه على ذبح ولده الوحيد إسماعيل آنذاك ، وفي
 الإسرائيليات أن الذبيح المقدس هو إسحق أبو الإسرائيليين ، وصدقهم بعض الشذاذ ، والشاذ من الناس للشيطان كما أن
 الشاذ من الغنم للذئب كما قال الإمام أمير المؤمنين (ع) . وجاء في الحديث عن الرسول الأعظم (ص) أنه قال : أنا
 ابن الذبيحين أي إسماعيل وعبد الله بن عبد المطلب . أنظر ما قلنا حول هذا الموضوع في التفسير الكاشف ج ٦ ص ٣٥١ ،
 وتقدمت قصة إبراهيم مراراً ، منها في الآية ٥١-٧٣ من الأنبياء .

١١٤-١٢٢ ﴿ ولقد مَنَّآ على موسى وهرون ... ﴾ أنعم سبحانه عليهما بالنبوة والنجاة من العدو الألد والإنتصار
 عليه وهو فرعون وقومه الذي كان يقتل الأنبياء ويستحيي النساء وأبقى ، عظمت حكمته ، لها الذكر الجميل والثناء
 العاطر ، ووفق ذلك أنزل على موسى التوراة ، وفيها أحكام الله الواضحات ، وتقدمت قصة موسى مرات ، منها في الآية
 ١٠٣-١٥٦ من الأعراف .

١٢٣- ﴿وَإِن يَاسِيسَ لِّلْمُرْسَلِينَ﴾ قال المفسرون : هو واحد من أنبياء بني إسرائيل ، وينتهي نسبه إلى هرون .
١٢٤- ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تُتَّقُونَ﴾ الله ، وتخافونه في عبادة سواه .

١٢٥-١٢٦- ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ بسم صنم ، وفي تفسير ابن كثير : كان لأهل بعلبك صنم يعبدونه اسمه بعل ﴿وَتَلْبَثُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ أي من يستحق العبادة وحده لا شريك له .

١٢٧-١٢٨- ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ للحساب والعذاب .

١٢٩- ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ ذكراً طيباً .
١٣٠- ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ﴾ في الجزء الثاني من كتاب فضائل الخمسة ص ٦٧ : جاء في الدر المنثور للسيوطي : أخرج ابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى : «سلام على آل ياسين» نحن آل محمد (ص) آل ياسين .

١٣١-١٣٥- ﴿وَإِن لُّوطًا لِّمَن الْمُرْسَلِينَ ...﴾ إلى قومه ، فكذبوه فنجاه الله سبحانه من الهلاك الذي نزل بهم إلا امرأته .

١٣٦- ﴿لَمْ دَعَرْنَا الْآخِرِينَ﴾ من قوم لوط بعد نجاة من آمن منهم .

الْكِتَابَ الْمُنِيرَ ﴿١٢٣﴾ وَهَدَيْنَهُمَا الْقُرْآنَ ﴿١٢٤﴾ وَالْمُغْنِيمَ ﴿١٢٥﴾ وَرَكَّاعًا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٦﴾ سَلَامٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٧﴾ وَهُمْ فِي عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٨﴾ وَإِن لِّبَاسٍ لِّمَن الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٩﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تُتَّقُونَ ﴿١٣٠﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٣١﴾ اللَّهُ رَبُّكَ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴿١٣٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٣٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٣٤﴾ وَرَكَّاعًا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٣٥﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنَّا كَذَّلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٧﴾ إِنَّمَا مِن عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٨﴾ وَإِن لُّوطًا لِّمَن الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَلِيلِ ﴿١٤١﴾ ثُمَّ دَعَرْنَا الْآخِرِينَ ﴿١٤٢﴾

اللغة:

الغابرين أي الباقين مع الذين كفروا، وأيضاً تأتي كلمة غير بمعنى ذهب. ومصبحين داخلين في الصباح. وابن فر. وساهم أقرع من القرعة. والمدحفين المغلوبين. ومليم فعل ما يستحق عليه اللوم والعتاب. والعراء المكان الخالي. المئين ٥٩٤.

الإعراب:

﴿الله وربكم﴾ بدل من أحسن ﴿الخالقين﴾.

١٣٧-١٣٨ ﴿ وَإِنَّمَا لَكُمْ لَمُتُونَ ... ﴾ على ديار قوم لوط ليلاً ونهاراً ، وترون آثار الملاك ، فانتظروا واعتبروا وتقدمت قصة لوط مراراً منها في الآية ٨٠-٨٤ من الأعراف .
١٣٩- ﴿ وَإِن يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ إلى قومه فكذبوه .
١٤٠- ﴿ إِذْ أَبَقَ ﴾ فر ﴿ إِلَى الْفَلَكِ الشُّحُونِ ﴾ بالناس والأمتة .

١٤١- ﴿ فَسَاهِمَ ﴾ قارع ﴿ لَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ الغلويين ، لعبت الأمواج بالسفينة ، ولكي تخف بمن فيها اقتدروا فوقعت القرعة على يونس .
١٤٢- ﴿ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ بخروجه مغاضباً قومه .

١٤٣- ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ مكرراً ومردداً : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين .

١٤٤- ﴿ لَلْبُتِّ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ هذه الآية نص قاطع على أن الدعاء يرد البلاء والقضاء بعد إبرامه ، ولكن بشرطين : أول أن يكون الداعي من الأنبياء والأقياء . الثاني أن تغلق دونه أبواب الحركة والعمل وتنقطع أسبابه بالكامل تماماً كما انقطعت وأغلقت دون يونس الذي استغاث وهو غارق في ظلمة البحر والليل وبطن الحوت ، ولا مغيب على الإطلاق إلا الله .

١٤٥- ﴿ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾ استجاب سبحانه لدعاء يونس ، وألقاه على اليابسة ضعيفاً كالفرخ بلا ريش .

وَإِنَّمَا لَكُمْ لَمُتُونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِأَيِّ لَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِن يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفَلَكِ الْمَشْهُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهِمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلْبُتِّ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ * فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِطِ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَاسْتَفْتِهِمَ الرِّبِّكَ الْبَنَاتُ وَهُمْ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَلَهُمْ لَكُذِّبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ

١٤٦- ﴿ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِطِ ﴾ يستظل بها .

١٤٧- ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ أي بل يزيد عددهم عن المئة ألف ، فأعرضوا في البداية ثم .

١٤٨- ﴿ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾ إلى أن وافاهم الأجل المحتوم ، وتقدمت الإشارة إلى قصة يونس في الآية ٨٧ وما بعدها من الأنبياء .

١٤٩- ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ ﴾ يا محمد ﴿ أَلَرَبُّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴾ زعم بعض العرب أن الملائكة بنات الله ، ولأنفسهم الذكور .

١٥٠- ﴿ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴾ من أين جاءهم هذا العلم ؟ هل من أحد منهم رأى الله سبحانه حين خلق الملائكة ١٥١-١٥٣- ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ ... ﴾ كذب الظالمون بأن الله ولد تعالى عن ذلك وتقدس ﴿ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴾ ولماذا الإنثاء دون الذكور ؟ أليصاهرين ؟

١٥٤- ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ وتقولون ما لاتقولون .

١٥٥- ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ وتخافون أن يكون قولكم هذا رجماً بالغيب .

١٥٦-١٥٧- ﴿ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴾ حجة ودليل .

١٥٨- ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِجَالًا﴾ جاء في الأساطير : أنه تعالى علواً كبيراً ، خطب إلى سادات الجن ، فزوجه من أحسن بناتهم ، فولد له الملائكة ! ويقول المري : كذب الناس على أنفسهم ، وعلى بعضهم ، وعلى الجن والملائكة ، وعلى الكون ومن فيه وما فيه ، ثم على خالق الكون .

١٥٩-١٦٠- ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ ويسبون إليه ما يجهلون .

١٦١- ﴿فَإِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ ما اسم موصول ومحطها النصب عطفًا على اسم إن .

١٦٢- ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ﴾ ما نافية . وبفاتنين الباء زائدة ، والمراد بالفتنة هنا التضليل والإفساد .

١٦٣- ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ والمعنى أنكم أيها المجرمون أنتم وكل ما تعبدون وما تدبرون - أعجز وأحق أن تقسدا وتضلوا أحداً من الناس إلا من هو مثلكم من الضجار وأهل النار .

١٦٤- ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ هذا من كلام الملائكة يردون به على من قال : لله بنات من الملائكة ، والمعنى نحن عباد الرحمن ، ولكل منا حله وعمله لا يتجاوزُه ويتعداه .

١٦٥- ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ الواقفون صفوفاً للعبودية والطاعة .

١٦٦- ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ بحمد الله وعظمته .

١٦٧-١٦٩- ﴿وَإِن كَانُوا لَيَقُولُنَّ لَوْ أَن عِندَنَا ذِكْرًا

من الأولين لكننا عباد الله المخلصين﴾ عاد الكلام عن المشركين ، وهذا القول قولهم ، وخلاصته أنهم كانوا قبل محمد (ص) يقولون : لو جاءنا رسول من عند الله لآمنا به ، وأخلصنا لله وله ، ولما جاءهم الرسول ، وهو محمد (ص) كفروا به وأعلنوا عليه الحرب ، وإلى هذا أشار سبحانه بقوله :

١٧٠- ﴿فَكُفِّرُوا بِهِ﴾ أي برسول الله محمد ، أما قوله سبحانه : ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ فهو تهديد ووعيد ، وتقدم في الآية ٤٢ من فاطر .

١٧١-١٧٢- ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ ينصر سبحانه أنبياء ورسله بالحجة الكافية والبيانات الواضحة على نبوتهم ورسالتهم وإلا كانت الحجة عليهم لا لهم .

١٧٣- ﴿وَإِن جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الآية السابقة تخص المرسلين في صريح العبارة كما أشرنا ، أما هذه فتعم وتشمل كل من أطاع الله في قوله : «ولا تزاغوا فتفشلوا وتذهب ربحكم واصبروا إن الله مع الصابرين - ٤٦ الأنفال ... وتعاونوا على البر والتقوى - ٢ المائدة ... وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة - ٦٠ الأنفال .

١٧٤- ﴿فَقُولْ لَهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أعرض يا محمد عن المجرمين ، واصبر على أذاهم إلى أمد معلوم عندنا ، فسيجعل الله العاقبة لك عليهم والظفر بهم لا محالة .

١٧٥- ﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصَرُونَ﴾ انتظر ما سوف تراه من النصر ، ويراها أعداؤك من الخزي وسوء العذاب .

سُلْطٰنٌ مُّبِيْنٌ ﴿١٥٨﴾ فَأَتُوْا يٰكُتٰبَٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ صٰدِقِيْنَ ﴿١٥٩﴾
وَجَعَلُوْا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِجَالًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ اِيْنَهُمْ
لَمُحْضَرُوْنَ ﴿١٦٠﴾ سُبْحٰنَ اللّٰهِ عَمَّا يُصِفُوْنَ ﴿١٦١﴾ اِلَّا عِبَادَ
اللّٰهِ الْمَخْلَصِيْنَ ﴿١٦٢﴾ فَاِنْ كُنتُمْ تُعْبَدُوْنَ مَآ اَنْتُمْ
عَلَيْهِ بِفَتٰنِيْنَ ﴿١٦٣﴾ اِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيْمِ ﴿١٦٤﴾ وَمَا
مِنَّا اِلَّا لَهٗ مَقَامٌ مَّعْلُوْمٌ ﴿١٦٥﴾ وَاِنَّا لَنَحْنُ الصّٰفُوْنَ ﴿١٦٦﴾
وَاِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُوْنَ ﴿١٦٧﴾ وَاِنْ كَانُوْا لَيَقُوْلُوْنَ ﴿١٦٨﴾
لَوْ اَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْاَوَّلِيْنَ ﴿١٦٩﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللّٰهِ
الْمُخْلِصِيْنَ ﴿١٧٠﴾ فَكُفِّرُوْا بِهِۦ فَسَوْفَ يَعْلَمُوْنَ ﴿١٧١﴾
وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِيْنَ ﴿١٧٢﴾ اِيْنَهُمْ هُمُ
الْمَنْصُورُوْنَ ﴿١٧٣﴾ وَاِن جِئْتَهُمُ الْغٰلِبُوْنَ ﴿١٧٤﴾ فَتَوَلَّ
عَنَّهُمْ حَتّٰى حِيْنٍ ﴿١٧٥﴾ وَاَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصَرُوْنَ ﴿١٧٦﴾

١٧٦- ﴿أَفَعِدَابُنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصَرَ فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

١٧٧- ﴿فَإِذَا نَزَلَ﴾ العذاب ﴿بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾ إن صباح اليوم الذي ينتقم الله منهم هو بش الصباح ، ومساءهم شر مساء .

١٧٨- ١٧٩- ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ ...﴾ هذا تأكيد لما تقدم من الوعيد ، وأنه لا مفر منه ولا مجيد .

١٨٠- ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ هي له وحده إلا أن يرفع الذين آمنوا وعملوا الصالحات بلا عجب وغرور بإيمانهم وأعمالهم ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ بما لا يليق بعزته وجلاله .

١٨١- ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ وسيدهم محمد وآله الطاهرين .

١٨٢- ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

سُورَةُ النُّورِ كَذِبٌ بَنِيَّةٌ لِّأُولِ الْأَنْفُسِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿ص﴾ ﴿تَقْدِمُ فِي أَوَّلِ الْبَيْتِ﴾ ﴿وَالْقُرْآنُ ذِي الذِّكْرِ﴾ أقسم سبحانه بالقرآن . وجواب القسم محذوف أي أنه الحق ، وللذكر معان ، والمراد به هنا الهداية إلى الطريق لحياة أفضل ، والدليل هو إرادة هذا المعنى قوله تعالى : «إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم - ٩ الإسراء» وغير ذلك من الآيات .

٢- ﴿بِلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ المراد بالعزة هنا الحمية الجاهلية والتعصب الأعمى لدين الآباء ، والشقاق المعاندة والمكابرة للحق ، ولا سب وراء ذلك لكفرهم .

٣- ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ هذا إخبار يتضمن التهديد لمن كفر وكذب بنبوة محمد (ص) ومعناه أنكفرون وتكذبون محمداً ، ولا تخشون أن ينتقم الله منكم كما انتقم من الأمم الماضية التي كذبت الرسل ﴿فَنَادَوْا حِينَ رَأَوْا الْعَذَابَ﴾ ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ لا مفر ولا نجاة .

٤- ٥- ﴿وَعِجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ محمد (ص) من قریش فكيف يكون له الفضل عليهم ؟ تماماً كما لو قال المريض للطبيب : كيف أقبل منك النصيحة وأنا

الإعراب :

﴿وَالْقُرْآنُ﴾ قسم وجوابه محذوف أي انه الحق أو لقد جاء الحق . وكيم في محل نصب ﴿بِأَهْلَكْنَا﴾ . ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ نافية تعمل عمل ليس والثاء زائدة مثلها في رُبْتُ وَنَمْتُ ، واسم لا محذوف وحين مناص خبرها أي لات الحين حين مناص ، ولا تدخل لات إلا على زمان .

(٣٨) سُورَةُ النُّورِ كَذِبٌ بَنِيَّةٌ
وَأَنبَأْنَا بِمَا بَنَيْنَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ بِلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَكَادُوا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعِجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ

وأنت من ولد آدم ! ﴿ وقال الكافرون هذا ساحر كذاب ﴾ ولما ذاهو ساحر كذاب ؟ أبداً لشيء إلا أنه جعل ﴿ إجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب ﴾ تلقوا الشرك أباً عن جد ، وجرى منهم مجرى الروح والدنم ، وهذا التقليد والتعصب هو السبب الموجب لكفر من كفر بمحمد و الإسلام من قبل ومن بعد وإلا فهو دين العقل والإنسانية والحياة بشهادة العديد من العلماء المصنفين في كل عصر ، ونقلنا فيما سبق أمثلة من أقوالهم .

٦-٧- ﴿ وانطلق الملائ منهم ﴾ وهم رؤساء المشركين ، وقالوا للأتباع المستضعفين : ﴿ أن امشوا واصبروا ﴾ مستعيرين ﴿ على ﴾ عبادة ﴿ آلهتكم ﴾ ولا تصغوا لقول محمد ﴿ إن هذا إلا اختلاق ﴾ لا أساس له على الإطلاق .

٨- ﴿ أنزل عليه الذكر من بيننا ﴾ وأي عاقل يصدق أن يختار الله محمداً لرسالته ، وهو لا يملك شيئاً من المال ؟ ﴿ بل هم في شك من ذكري ﴾ لا حجة لمن أنكر نبوة محمد إلا الجهل بالله وأنه الواحد الأحد ﴿ بل لما يلقوا عذاب ﴾ فإذا رأوه زال عنهم الجهل والشك .

٩- ﴿ أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب ﴾ قالوا : الله لا يخص محمداً بالنبوة من دوننا ، فأجابهم سبحانه : هل خزائن الخيرات بيدكم أم بيده ، يعطي منها ما يريد لمن يريد ؟

١٠- ﴿ أم لهم ملك السموات والأرض ﴾ من أنتم ؟ وماذا تملكون ؟ حتى تهبوا النبوة لمن تشاءون ﴿ فليرقوا في الأسباب ﴾ إن كان لهم الملك فليجلسوا على العرش ، ويدبروا الكون ، ويتزولوا الوحي على من يشاءون .

١١- ﴿ جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب ﴾ ستدور دائرة السوء على جنود الشر وأحزاب الضلال لا محالة .

١٢-١٤- ﴿ كذبت قبلهم ... ﴾ أي قبل قريش الذين كذبوا محمداً ، والله سبحانه ينذرهم بعذاب الأمم الماضية إذا أصرروا على موقفهم من رسول الله (ص) وتقدم الكلام أكثر من مرة عن نوح وهود وصالح ولوط وموسى وأصحاب الأيكة قوم شعيب .

١٥- ﴿ وما ينظر هؤلاء ﴾ الذين كذبوا محمداً ﴿ إلا

الإعرا ب :

والصبر من أن جاءهم مجرور بمن عذوبة أي عجبوا من عجبتهم منذر . ان امشوا « ان » مفسرة لقول عذوف ، والمعنى وانطلق الملائ منهم بقول هو امشوا . ولما أداة جزم . وعذاب أي عذابي . وجند مبتداً وخبره مهزوم . وهنالك ظرف مكان يشار به للبعيد والمعامل به مهزوم . ﴿ أولئك ﴾ مبتداً والأحزاب عطف بيان ، وان نافية وكل مبتداً ثانٍ ﴿ وكذب ﴾ خبر ، والجملة خبر المبتداً الأول والعائد عذوف أي منهم . ﴿ وعقاب أي عقابي ﴾ .

صِيحَةً وَاحِدَةً مَّا هَكَ مِنْ فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا رَجُوعَ
بَعْدِنَا إِلَى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .

١٦- ﴿﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْعَانًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿﴾
المراد بالقط هنا النصيب من العذاب ، والمعنى لماذا تهدد
بالعذاب غداً ، ولا تأتي به الآن ، إن كنت عليه مقتدرًا ،
وهذه هي الحجة لكل جاحد وجاهل باليوم الآخر . الجواب
إن الله سبحانه يريد الإيمان والخير من عباده بالرضا لا بالعصا ،
ليميز الخبيث من الطيب وإنهما لا يستويان .

١٧- ﴿﴾ اصْبِرْ ﴿﴾ يَا مُحَمَّد ﴿﴾ عَلَى مَا يَقُولُونَ ﴿﴾ مِنْ
بُهْتَانٍ ، وَيَضْمُرُونَ مِنْ أَضْغَانٍ ، فَلَكَ أَمْرٌ عَاقِبَةٌ عَلَيْهِ
﴿﴾ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِيِّ ﴿﴾ أَيُّ ذَا قُوَّةٍ عَلَى طَاعَةِ
اللَّهِ ﴿﴾ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿﴾ يَرْجِعُ فِي أُمُورِهِ كُلِّهَا لِلَّهِ .

١٨- ٢٠- ﴿﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ ... ﴿﴾ تَقْدِمُ فِي
الآيَةِ ٧٩ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَ ١٠ مِنْ سَبَأٍ .

٢١- ٢٢- ﴿﴾ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ ﴿﴾ الْمُدْعَى ﴿﴾ إِذْ
تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ﴿﴾ فِي ذَاتِ
يَوْمٍ كَانَ دَاوُدُ فِي مَحْرَابِهِ مُنْقَطِعًا إِلَى عِبَادَةِ رَبِّهِ ، وَإِذَا بَاثِنِ
أَمَامِهِ ، فَرَاغَتْ هَذِهِ الْمَفَاجَةُ ، وَفَوْقَ ذَلِكَ دَخُولُهُمَا مِنْ أَعْلَى
الْحَائِطِ ﴿﴾ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ عَلَى بَعْضٍ
فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ ﴿﴾ لَا بَأْسَ عَلَيْكَ مَنَا ، جِئْنَاكَ لِلْقَاضِي
عِنْدَكَ ، فَاحْكُم بِحُكْمِ اللَّهِ ﴿﴾ وَلَا تَشْطِطْ ﴿﴾ لَا تَتَجَاوَزَ
الْحُدُودَ وَطَرِيقَ الْعَدْلِ .

٢٣- ﴿﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعِجَةً ﴿﴾ أُنْتِى الضَّأْنُ

﴿﴾ وَلِي نَعِجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكَلْنَاهَا ﴿﴾ أَعْطَيْنَاهَا ﴿﴾ وَعَزَّنِي ﴿﴾ غَلْبَتِي ﴿﴾ فِي الْخَطَابِ ﴿﴾ فِي الْكَلَامِ .

٢٤- ٢٥- ﴿﴾ قَالَ ﴿﴾ دَاوُدُ : ﴿﴾ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسْؤَالِ نَعِجَتِكَ إِلَى نَعَاجِهِ ﴿﴾ قَالَ هَذَا قَبْلُ أَنْ يَطْلُبَ الْبَيْتَ مِنَ الْمُدْعَى ،
وَيَسْتَجِيبَ الْمُدْعَى عَلَيْهِ ﴿﴾ وَإِنْ كَثُرَ مِنَ الْخَطَاةِ ﴿﴾ الشُّرَكَاءُ

صِيحَةً وَاحِدَةً مَّا هَكَ مِنْ فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا
قِطْعَانًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾ اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَذْكُرْ
عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِيِّ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ
مَعَهُ يُسَيِّجْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً
كُلُّ لَهْوٍ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ
وَفَضَّلْنَا الْخَطَابِ ﴿٢٠﴾ * وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ
تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ
قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم
بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تَشْطِطْ وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾
إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعِجَةً وَلِي نَعِجَةٌ وَاحِدَةٌ
فَقَالَ أَكَلْنَاهَا وَعَزَّنِي فِي الْخَطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ
بِسْؤَالِ نَعِجَتِكَ إِلَى نَعَاجِهِ وَإِنْ كَثُرَ مِنْ أَسْوَاطِ الْخَطَاةِ

الإعراب :

وداود بدل من عبدا . وذا الأيد صفة . والطير عطف على الجبال . وعشورة حال من الطير . ﴿إذ دخلوا﴾ بدل من ﴿إذ تسوروا﴾ .
﴿خصمان﴾ خبر مبتدأ محذوف أي نحن خصمان . ﴿لقد ظلمك﴾ اللام في جواب قسم محذوف .

الأقوياء ﴿ ليبيي بعضهم على بعض ﴾ فيأخذ الشريك الأقوى سهمه وزيادة ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم ﴾ القوة على الحق إن تكن في أيدي الأشرار ، والحق إن ملكها الأخيار ، ولكن أين هم ؟ وقد تجد واحداً منهم ، ولكن في زوايا الحرمان والسيان ﴿ وظن داود أنما فتناه ﴾ ابتليناه ﴿ فاستغفر ربه ﴾ بعدما حكم داود لأحد الخصمين فظن وتنبه إلى أنه حكم له قبل أن يبلي الخصم الآخر بحجته ، فقدم وطلب العفو من الله ، فغفر له ، لأنه غير قاصد وعامد .

٢٦- ﴿ يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض ﴾ كل راشد عاقل هو خليفة الله في أرضه ، بمعنى أنه مسؤول أمام الله ومجتمعه عن العمل الذي يحدد نوعه ومداه ما يملك من طاقة ومؤهلات ، وروى الكليني في أصول الكافي عن الإمام الصادق (ع) : إن الله يحتج على الناس بما آتاهم وعرفهم ... ويوم القيامة يضرب الفقراء باب الجنة . فيقال لهم : من أنتم ؟ فيقولون : نحن الفقراء . فيقال : كيف تأتون قبل الحساب ؟ فيقول الفقراء : ما أعطينا شيئاً تحاسبونا عليه . فيقول الله : صدقوا ، ادخلوا الجنة ﴿ فاحكم بين الناس بالحق ... ﴾ على كل عالم أن يقضي ويفتي بالحق وإلا شمله الحساب الدقيق العسير والعذاب الشديد الأليم ، ولا فرق بين حاكم وآخر سوى ان تبعات الأنبياء والأوصياء تقدر بمكانتهم وبمخزنتهم .

٢٧- ﴿ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ﴾ لا كريم بلا بذل وعطاء ، ولا قادر بلا مقدور عليه ، ولا خالق بلا خلق وإيجاد وإلا تعطلت الصفات وكان وجودها

وعدمها بمنزلة سواء ، ومن الحكم البالغة لوجود الكون بنظامه وأحكامه أنه الأسلوب الوحيد للكشف عن وجود الله سبحانه وقدرته وعلمه وحكمته ، وتقدم في الآية ١٩١ من آل عمران ١١٥ من المؤمنين ؟ ﴿ ذلك ظن الذين كفروا ﴾ ذلك إشارة إلى زعم الماديين بأن الكون وجد صدفة وبلا حكمة وقصد ، وهذه شنشة الذين لا يؤمنون إلا بما تراه العيون ، أما العقل فهو خادماً للعيون وأداة لها .

٢٨- ﴿ أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين ... ﴾ أبداً لا يستقيم مع العدل الإلهي أن يستوي مصير المؤمن والكافر والبار والفاجر . وفي أحكام القرآن للقاضي المالكي أبي بكر المعروف بابن العربي : أن هذه الآية نزلت في بني هاشم المتقين وفي المفسدين التجار من بني عبد شمس .

٢٩- ﴿ كتاب أنزلناه إليك ﴾ يا محمد ﴿ مبارك ﴾ على من تدبره وظهر أثره في أخلاقه وأعماله وإلا فكم من قارئ للقرآن والقرآن يلغنه .

الإعراب :

﴿ إلا الذين استثناء من بعضهم ﴾ . وقليل خير مقدم وماء زائدة وهم مبتدأ . ورواها حال . وإنما فتناه الأصل أننا فتناه وماء كافة . وذلك مفعول غفرنا .

لِيَبْنِيَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٦﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَقَابٍ ﴿٢٧﴾ يٰدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٨﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٩﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٣٠﴾ كَتَبْنَا أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا لِّدَّبَرُوا ءَايَاتِنَا وَلِيَذَّكَّرَ

٣٠- ﴿ وَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ ﴾ ثناء على سليمان بأنه سمع لله وطمع .

٣١- ﴿ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ الْغَاسِقَاتِ الْغَاسِقَاتِ الْجِيَادِ ﴾
بدأ لسليمان في مساء يوم من الأيام أن يستعرض ما أعده للحرب من رباط الخيل ، فعرضت عليه بأمره .

٣٢- ﴿ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي ﴾ حتى توارت بالحجاب ﴿ أَمَرَ أَنْ يَجْرِيَهَا قُرْصَانُ آمَامَ عَيْنَيْهِ ، وقال أفل هذا عن أمري لا عن هوى في نفسي ، ولما غابت عن بصره في ركضها قال :

٣٣- ﴿ رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾
فلما رُدُّوها عليه شرع يمسح بيده سوقها وأعناقها مباركاً لها ومسروراً بها ، وهذا التفسير يقبله ظاهر اللفظ ، ولا يصطدم مع الدين والعصمة ، أما القول بأن سليمان تشاغل بالخيل حتى فاتته الصلاة ، فتألم وارادت عليها بالسيف لأنها أنسته وصدته عن العبادة - فإنه يتنافى مع النبوة وعصمتها ، ومع قوله تعالى : « نعم العبد إنه أواب » .

٣٤-٣٥- ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ﴾ ابتلى سليمان بمرض عضال ألقى به على سريره كجسد بلا روح ﴿ ثُمَّ أَنَابَ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي ﴾ أناب أي دعا الله راجعاً إليه ومتوسلاً أن يغفر له ويشفيه مما هو فيه ، ومثله الآية ٨ من الزمر : « وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منياً إليه » ﴿ وَهَبَ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾ طلب ملكاً لا مثيل له في الكيف لا في الكم كتسخير الرياح

أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿ وَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ ﴾
إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّغِفَاتُ الْجِيَادُ ﴾
فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿ رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾
وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾
فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿ وَإِنْ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنُ مَقَابٍ ﴿ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ

والطير والجن ، فاستجاب سبحانه لدعوته .

٣٦- ﴿ فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً ﴾ طيعة ﴿ حَيْثُ أَصَابَ ﴾ إلى أية جهة يشاء .

٣٧- ﴿ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ ﴾ لمحارِب وتماثيل وغيرها ﴿ وَغَوَّاصٍ ﴾ في البحر على اللؤلؤ والجواهر .

٣٨- ﴿ وَآخَرِينَ ﴾ من الشياطين ﴿ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ لأنهم خرجوا عن أمره وطاعته ، وتقدم في الآية ١٢- ١٣ من سبأ .

٣٩-٤٠- ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ عطاء الله ينبوع قوار ، لا ينضب ولا ينقص ، فالإنفاق منه تماماً كالإمساك .

٤١- ﴿ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ ﴾ وما عاناه من الضر في جسمه وماله وأهله ﴿ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ

الإعراب :

جملة «نعم العبد» خبر مبتدأ محذوف أي هو . ﴿ إِذْ ﴾ في محل نصب بفعل محذوف أي إذكُرْ إذ عرض . وقيل : «أحببت هنا» بمعنى أثرت وعليه يكون حب الخير مفعولاً به لأحببت . ﴿ وَطَفِقَ ﴾ من أفعال المقاربة واسمها ضمير مستتر وخبرها محذوف .

وعذاب ﴿النَّصَبِ﴾ : التعب والمشقة ، وأياً كان المراد من إسناد العذاب ظاهراً إلى الشيطان فإنه لا يسوغ بحال أن يراد منه المعنى الحقيقي للعذاب ، لقوله تعالى : « إن عبادي ليس لك عليهم سلطان - ٦٥ الإسراء » ومن الجائز أن يكون الشيطان قد وسوس لأيوب بأن الله قد فعل بك ما فعل وأنت على طاعته ، فتعود أيوب منه وشكاه إلى الله ، وعلى هذا تكون نسبة العذاب إليه على المجاز .

٤٢- ﴿ أَرْكُضْ بِرَجْلِكَ هَذَا مَغْسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ استجاب سبحانه لنداء أيوب ودعائه ، وأمره أن يضرب الأرض برجله ، فيخرج منها ماء يغتسل به ويشرب منه ، ففعل وذهب الداء عنه .

٤٣- ﴿ وَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُ ﴾ من عليه سبحانه بالشفاء ، ووزقه من الأولاد والأحفاد ضعف ما فقد منهم ، وتقدمت الإشارة إلى قصة أيوب في الآية ٨٣- ٨٤ من الأنبياء .

٤٤- ﴿ وَخَذَ بِيَدِكَ ضَغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ ... ﴾ الضغث : القبضة من العيدان ونحوها ، ويبدو أن أيوب كان قد حلف لسب أو لآخر أن يضرب إنساناً بعض الضرب ، ثم ندم . فأمره سبحانه أن يضربه بمجموعة من الأغصان وما أشبهه فيتحلل من يمينه ، وأخذ بعض الفقهاء بهذه الآية ! وقد فات أوانها .

٤٥- ﴿ وَادْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴾ المراد بالأيدي هنا القوة في طاعة الله ، وبالأبصار معرفة الحق .

٤٦- ٤٧- ﴿ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرَى الدَّارِ ﴾ كانوا يعملون لله وللدار الآخرة ، ويدكرون الناس به وبها ، ومن أجل ذلك أخلصهم سبحانه أي اختارهم واصطفاهم .

٤٨- ﴿ وَادْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴾ تقدم ذكرهم في الآية ٨٦ من الأنعام ٨٥ من الأنبياء .

٤٩- ٥١- ﴿ هَذَا الَّذِي تَقْدُمُ هُوَ ﴾ ذكر ﴿ لمن يتذكر وأراد أن يتقي الله ﴾ وإن للمؤمنين لحسن ... ﴿ مرجع حسن وجنات وسرور وفاكهة وشراب .

٥٢- ٥٤- ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطُّرُفِ ﴾ على الأزواج فقط ﴿ أثواب ﴾ متساويات في السن .

الإعراب :

﴿أيوب﴾ بدل من ﴿عبدنا﴾ . والمصدر من ﴿أن مستي﴾ مجرور بياء محذوفة . و﴿رحمة﴾ مفعول من أجله لوهبتنا . و﴿إبراهيم﴾ وما بعده بدل مفصل من مجمل والمبدل منه عبدنا . وذكرى الدار خبر لمبتدأ محذوف أي هي ذكرى . متعلق بمحذوف خبراً لأنهم .

يُنْصَبُ وَعَذَابٌ ﴿١١﴾ أَرْكُضْ بِرَجْلِكَ هَذَا مَغْسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿١٢﴾ وَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لَأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٣﴾ وَخَذَ بِيَدِكَ ضَغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٤﴾ وَادْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿١٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرَى الدَّارِ ﴿١٦﴾ وَإِنَّمْ عِنْدَنَا لِمَنِ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ ﴿١٧﴾ وَادْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿١٨﴾ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّا لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنُ مَقَابٍ ﴿١٩﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمْتَعَةٍ لَّهُمُ الْأَنْبُوبُ ﴿٢٠﴾ مُتَكَبِّينَ فِيهَا يُدْعَوْنَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٢١﴾ * وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطُّرُفِ أَتْرَابُ ﴿٢٢﴾ هَذَا

٥٥- ﴿ هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَأْبٍ ﴾ كافح القرآن الطغاة ، ونعنتهم بأقبح الصفات ، وتوعدهم بأقضى العقوبات وفسرت القرآن الكريم مرتين فانتهت إلى علم اليقين بأن أي إنسان يقهر ويتحكم بمن هو أضعف منه فإن الله سبحانه يعامله يوم القيامة معاملة من كفر به وأشرك وإن جرت عليه في الدنيا أحكام المسلم ، بل هو عند الله أسوأ حالاً ممن جحد إن لم يظلم أحداً من عيال الله ، وتعال معي لنقرأ ونعتبر قول القهار الجبار لبيبه الرؤوف الرحيم : « وما أنت عليهم بجبار - ٤٥ ق ... لست عليهم بمسيطر - ٢٢ العاشية ... وما أنت عليهم بوكيل - ١٠٧ الأنعام » وضمير عليهم للمشركين بالنص القاطع لكل احتمال .

٥٦- ﴿ جهنم يصلونها فبئس المهاد ﴾ الفراش .
٥٧- ﴿ هذا فليوقوه حميم ﴾ شديد الحرارة وهو خير لهذا ﴿ وغساق ﴾ قيح شديد التن .

٥٨- ﴿ وآخر من شكله أزواج ﴾ أشكال وألوان من العذاب للطغاة أيضاً غير الحميم والغساق .

٥٩- ﴿ هذا فوج مقتحم معكم لا مرحباً بهم انهم صالوا النار ﴾ يدخل المجرمون إلى جهنم أفواجا ، كلما دخلت أمة لعنت أختها .

٦٠- ﴿ قالوا بل أنتم لا مرحباً بكم ﴾ هذا من كلام اللاحقين المستضعفين ، وهو جواب للسابقين المستكبرين الذين استقبلوهم بالشر ، فردوا عليهم بمثله وزادوا ﴿ أنتم قلمتموه ﴾ أي العذاب ﴿ لنا ﴾ حيث منعتمونا عن الإيمان

يرسل الله .

٦١- ﴿ قالوا ﴾ مازال القول للمستضعفين : ﴿ ربنا من قلم لنا هذا فزده ضعفاً في النار ﴾ طلبوا زيادة العذاب وكيفاً لمن خدعهم وغر بهم ، وتكرر هذا المعنى في العديد من الآيات ، منها الآية ٣٨ من الأعراف .

٦٢- ٦٣- ﴿ وقالوا ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار ﴾ إذا قرأت - أيها المسلم - هذه الآية فتصور معها وتدبر الآية ١١١ من الشعراء : « قالوا أتؤمن لك واتبعك الأرذلون » كان أهل النار الطغاة يسمون المؤمنين الاخير الأرذلين ، ولما دخلوا النار ما رأوا واحداً من الذين كانوا يعدونهم من الأرذلين الاشرار ، فدهشوا وتساءلوا أين هم ؟ اقرأ واعتبر كي لا ترى نفسك كبيراً ، فيصبح الناس صغارا في عينيك ، وسلام على من قال : الغنى والفقر بعد العرض على الله .

٦٤- ﴿ إن ذلك لحق تخاصم أهل النار ﴾ هذا التساؤل من أهل النار عن الأخير وتلاعن الأشرار واقع لا محالة .

٦٥- ٦٦- ﴿ قل إنما أنا منذر ... ﴾ أدعو إلى عبادة الواحد القهار الذي يقصم ظهور الجبابرة الطغاة . والعزير الذي ليس كمثل شيء ، والغفار الذي يستر القبيح . ويظهر الجميل ، ويقبل التوبة .

مَا تُوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٦﴾ إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنْ تَفَادٍ ﴿٥٧﴾ هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَقَابٍ ﴿٥٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٥٩﴾ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَاقٌ ﴿٦٠﴾ وَآخَرِينَ شَكْلَهُ أَزْوَاجٌ ﴿٦١﴾ هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمَّمْتُمْ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٦٣﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦٤﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا لَنَرِي رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنْ الْأَشْرَارِ ﴿٦٥﴾ أَخَذْنَاهُمْ بَغْرِبًا أَنْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴿٦٦﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٧﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَنْ إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٨﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٦٩﴾

٦٧- ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ النبا : الخبر ، والمراد به هنا القرآن ، وهو عظيم بعلمه وعقيدته وشرعيته .

٦٨- ﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ والخطاب هنا موجه لمن يدين بالقرآن ولا يعمل بموجبه ، ولغير المسلم الذي أهمل البحث والنظر في حقيقة القرآن وصدقه .

٦٩- ٧٠- ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ المراد بالملأ الأعلى على ما يأتي من الإشارة إلى خلق آدم وسجود الملائكة له إلا إبليس ، والمعنى أن محمداً (ص) قال للمجاهدين بنبوته : لولا الوحي من أين يأتيني العلم بقصة آدم والملائكة وإبليس .

٧١- ٧٢- ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ أعلمهم سبحانه بخلق آدم قبل أن يخلق تمهيداً للأمر بالسجود له .

٧٣- ٧٦- ﴿فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ اعترضته الحمية ، فافتخر على آدم بخلقه ، وتعصب لأصله ، فعذو الله إمام المتعصين . كما قال الإمام علي (ع) ﴿قَالَ﴾ سبحانه لإبليس :

٧٧- ٨٥- ﴿فَاحْجِزْ مِنْهَا ...﴾ أي من السماء ، وقيل : من الجنة ، وتقدمت قصة خلق آدم وذيلوها بكل ما جاء في هذه الآيات - في البقرة والأعراف والحجر والإسراء والكهف .

اللغة:

المراد بالملأ الأعلى الملائكة . وخلقْتُ بيدي أي من غير أب وأم بل بأسباب أخرى أنا أوجدتها . ومن العالمين أي من أهل الرفعة والعلم .

الإعراب:

﴿رب السموات﴾ بدل من الله الواحد . ان يوحى «ان» نافية . وانما «ما» زائدة ، والأصل اني نذير مبين ، والمصدر من ان واسمها وخبرها نائب فاعل ليوحى أي ما يوحى إلي إلا الانذار . و«ساجدين» حال . وأجمعون تأكيد . والمصدر من أن تسجد مجرور بمن محذوفه . «واستكبرت» الأصل استكبرت همزة الأولى للاستفهام والثانية همزة الوصل ، وحذفت هذه لكان تلك .

سُورَةُ الزُّمَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٨٦- ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾
المدين النبوة كذباً على الله ، وتسال : لماذا يكرر كل نبي هذا القول ويردده على مسامع الرسل إليهم ؟ الجواب : أولاً لو طلب منهم الأجر على التبليغ لقل ذلك عليهم وتهربوا منه ، وإلى هذا أشارت الآية ٤٠ من الطور : « أم تسألهم أجراً فهم من مغرم مثقلون » ، ثانياً إن الارتفاق بالدين لا يسوغ بحال سؤال ثان : ولكن الله سبحانه أمر نبيه الكريم أن يقول لأمته : « ولا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى - ٢٣ الشورى » ؟ الجواب : هذه المودة ليست أجراً على تبليغ الدين ، بل هي من الدين في الصميم تماماً كالصوم والصلاة .

٨٨- ﴿ ولتعلمن نبأه بعد حين ﴾ سيتبين لكم عما قليل أيها المكذبون بالقرآن أنه الحق الذي لا ريب فيه ، ومن قرأ ما كتبه الغريون عن محمد والإسلام في العصور الوسطى يجد اللغو والجهل والنصب الأعمى ، أما في هذا العصر فقد أنصف محمداً والإسلام كثير من الغربيين ، ولا سر إلا الحضارة والروح العلمية الحديثة .

سورة الزمر مكية ٧٥ آية بسم الله الرحمن الرحيم

١- ﴿ تنزيل الكتاب ﴾ مبتداً ، وخبره ﴿ من الله العزيز الحكيم ﴾ القرآن من عند الله الذي ليس كمثل شيء ذاتاً وصفاتاً .

٢- ﴿ إنا أنزلنا إليك ﴾ يا محمد ﴿ الكتاب بالحق ﴾ لأنه من عند الحق ، وكل ما فيه على طبق الواقع ﴿ فاعبد الله ﴾ في الدعوة إليه أيضاً ﴿ مخلصاً له الدين ﴾ حيث لا

دين بلا إخلاص .

٣- ﴿ ألا لله الدين الخالص ﴾ أما المشوب بالأهواء والأغراض فهو للشيطان ﴿ والذين اتخلوا من دونه أولياء ﴾

الإعراب :

﴿ تنزيل ﴾ مبتداً ، وخبره « من الله » ويجوز أن يكون تنزيل خبراً لمبتداً محذوف ومن الله متعلق بتنزيل أي هذا تنزيل الكتاب . وبالحق متعلق بأنزلناه . « وعخلصاً حال من ضمير فاعبد . « وألا » أداة تنبيه . والذين مبتداً والخبر لا محذوف أي يقولون ما نعبدهم . وزلفى مفعول مطلق مثل قمت وقوفاً .

الْمَعْلُومِ ﴿٨٦﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا تُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿٨٩﴾ لَا مَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٠﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٩١﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٢﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٩٣﴾

(٣٩) سُورَةُ الزُّمَرِ مَكِّيَّةٌ

وَأَنبَأْنَا خَمْسِينَ وَكِسْفَيْنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ

وقالوا : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ ليشفعوا لهم عند الله ، وتقدم في الآية ١٨ من يونس ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ ﴾ بين أهل الأديان في يوم القيامة ، أما في الدنيا فليعلم أن يعيشوا بسلام بلا إراقة دماء وسلب ونهب ، وتقدم في الآية ١١٣ من البقرة وغيرها ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ الهداية من الله لعبده أو من الوالد لولده أو من العالم للجاهل لا تكون وتتحقق إلا لنفس ترضى بالهداية تمام الرضا ، وعلى هذا يكون معنى الآية أن الله سبحانه لا يُلجئ إلى الهداية من يصير على الكفر والفضلال والكذب والفاق حيث لا هداية مع الجبر والإكراه .

٤- ﴿ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾ هذا من باب فرض المحال ، وفرض المحال ليس بمحال ، والوجه في منعه واستحالاته أن اتخاذ الولد يستدعي الإفتقار إليه ، والله الغني عن كل شيء ﴿ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ يفهم كل شيء بالقدرة عليه والخضوع له .

٥- ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ أي بنظام محكم ومستقر ، وما من شك أن مثل هذا النظام لا يحدث إلا من قادر عليم ومدبر حكيم ﴿ يَكُونُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيَكُونُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ ﴾ وكلمة « يَكُونُ » تشير إلى أن الأرض كروية ، وأن جانبها الذي يحاذي الشمس حين دوران الأرض يكون نهاراً ، وغير المحاذي يكون ليلاً ﴿ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ... ﴾ تقدم في الآية ٢ من الرعد وغيرها .

٦- ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ... ﴾ فأنتم أخوان

لأب وأم على اختلاف ألسنتكم وألوانكم ، وعليكم أن تتواصلوا وتعاونوا وأن يرجو كل واحد منكم الخير لأخيه ، ويكف الأذى عنه ، وتقدم في الآية ١ من النساء وغيرها ﴿ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ﴾ تقدم في الآية ١٤٣ من الأنعام ﴿ يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ ﴾ وفي ظلمة البطن والرحم والمشيمة ﴿ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ ﴾ الذي خلقكم وخلق كل شيء ولا شريك له في ملكه وخلق ﴿ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ وتحولون عن عبادة الخالق إلى عبادة المخلوق ؟

٧- ﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ ﴾ لا تضره معصية من عصي ، ولا تنفعه طاعة من أطاع ﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾ كيف وقد نهاهم عنه ، ويعاقبهم عليه ،

الإعراب :

ذلكم مبتدأ والله عطف بيان و«ربكم خير» ، و«إله الملك» مبتدأ وخبر والجملة خبر ثانٍ لذلك . «وَأَنَّى تُصْرَفُونَ» أي إلى أين تُصْرَفُونَ . ومنياً حال من ضمير دعا . وقليلاً أي زماناً أو تمتعاً قليلاً .

تَشْكُرُوا رِزْقَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ * وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْ رَبِّهِ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّبُضْلِ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿١١﴾ أَمَّنْ هُوَ قَلْبُتِ ۚ إِنَّآءَ الْبَلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٢﴾ قُلْ يَعْبَادُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفُسَآءَ رَبِّكَ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ﴿١٣﴾ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا

وما هو بظلام للعبيد ﴿١٠﴾ وإن تشكروا يرضه لكم ﴿١١﴾ ويزدكم من فضله ﴿١٢﴾ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴿١٣﴾ لا تجزي نفس عن نفس شيئا ، وتقدم بالنص الحرفي في الآية ١٦٤ من الأنعام وغيرها ٨١- ﴿١٤﴾ وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا إليه ﴿١٥﴾ يتضرع ويستثني في ساعة العسرة ﴿١٦﴾ ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل ﴿١٧﴾ ينسى تضرعه إلى خالقه ساعة البسرة ، وتقدم في الآية ١٢ من يونس ﴿١٨﴾ وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله ﴿١٩﴾ أي كانت نتيجة جعله الله أندادا الضلال عن سبيل الله والحق ﴿٢٠﴾ قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار ﴿٢١﴾ هذا تهديد شديد لكل كافر ، وبالخصوص من يؤمن عند الشدة والضراء ، ويكفر ساعة اليسر والرخاء .

٩- ﴿٢٢﴾ أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما ﴿٢٣﴾ من مبتدأ وخبره محذوف أي كخبره ، وهو قانت مبتدأ وخبر والجملة صلة من ﴿٢٤﴾ يحذر الآخرة ﴿٢٥﴾ بترك الحرام خوفا من العقاب ﴿٢٦﴾ ويرجو رحمة ربه ﴿٢٧﴾ بفعل الواجب رغبة في الثواب ونفهم من مجموع هذا الكلام أن العبادة بالقيام ليلا والصيام نهارا ، لا وزن لها إلا منضمة إلى فعل الواجبات وترك المحرمات بالكامل ، ويؤكد هذا قول الإمام أمير المؤمنين (ع) : نوم على يقين خير من صلاة في شك . ومعناه أن نوم من يطيع الله في جميع أحكامه أحب إلى الله من صلاة من يعصيه في بعض أحكامه ﴿٢٨﴾ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴿٢٩﴾ إذا أننى القرآن أو أنى إنسان على العلم والعلماء فهم العالم والجاهل من هذا الثناء أن المراد به العلم النافع وبهم العلماء العاملون في طاعة الله وخدمة عباده وعباله

أيا كان نوع العلم والمعرفة . هذا إضافة إلى سياق الآية حيث قال سبحانه بلا فاصل :

١٠- ﴿٣٠﴾ قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم ﴿٣١﴾ في العمل الصالح النافع وكف الأذى عن عباده وعباله ﴿٣٢﴾ للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ﴿٣٣﴾ والمحسن هو الذي يتعاطف مع الناس ويعمل من أجلهم ولخمتهم ، وما من شك أن إشباع الجائع وإيواء المشرود وما إلى هذه الأعمال الجزئية الفردية - من الإحسان ، ولكن أفضل من ذلك وأعظم العمل من أجل الإنسانية بوجه العموم كالحرص على كرامة الناس وحريتهم وصيانة حقوقهم الكاملة العادلة ، وكل ما يحل مشكلة إجتماعية ويحقق غاية إنسانية ﴿٣٤﴾ وأرض الله واسعة ﴿٣٥﴾ فمن ضاق عليه بلده ، وعجز عن القيام فيه بواجبه الديني أو الدنيوي ، فلهاجر إلى ١١- ﴿٣٦﴾ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴿٣٧﴾ وهم الذين صبروا على الجهاد والكفاح لنصرة الحق وطلب الرزق الحلال للأهل والعيال ، أما الذين قعدوا ورضوا بالفقر والموت ، فما لهم عند الله سبحانه إلا ما اختاروه لأنفسهم . ١١- ١٣- ﴿٣٨﴾ قل ﴿٣٩﴾ يا محمد : ﴿٤٠﴾ إني أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا ... ﴿٤١﴾ هذا هو الإسلام في حقيقته ، يضع محمداً وأهل بيته وسائر الناس على مستوى واحد في العبودية لله ووجوب الإخلاص له والعمل بأمره ونهيه ، ونقل الشيعة الإمامية عن الإمام جعفر الصادق (ع) أنه قال : « ما نحن إلا عبيد الذي خلقنا واصطفانا ، والله ما لنا على الله حجة ، ولا معنا من الله براءة ، وإننا لمتون وموقوفون ومسؤولون ، من أحب الغلاة فقد أبغضنا ، ومن أبغضهم فقد أحبنا ، الغلاة كفار » .

١٤- ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْبَدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي﴾ وقد يسأل سائل : لماذا كل هذا التردد والتوكيد الشديد على أن محمداً عبد من عباد الله مخلص في دينه وعقيدته ؟ الجواب لأمرين : الأول أن يفهم الناس والأجيال ، وبخاصة أعداء محمد الذين حاولوا أن يشوهوا عن دعوته بكل وسيلة - أن محمداً هو رجل الحق والإيمان الراسخ ، وأن غايته من حياته أبعد الغايات وأسمها ، وهي هداية الخلق إلى الحق واحترام الناس وتحريره من العبودية لغير الله ، وخلاص الإنسانية من كل ما تعانیه وتقاسيه . الأمر الثاني أن لا يقول المسلمون في محمد ما قاله النصارى في السيد المسيح .

١٥- ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ انه لكم بالمرصاد ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ لأنها إلى جهنم وبئس المصير ﴿وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لأنهم إن كانوا من أهل النار فالخسارة مشتركة وإن كانوا من أهل الجنة تنقطع كل الصلات والعلاقات .

١٦- ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ﴾ جمع ظلة أي ما يستظل به من حر أو برد ﴿فَإِنَّ النَّارَ مِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ يترد العذاب من فوقهم إلى أسفلهم ، ويصعد من أسفلهم إلى فوقهم ﴿ذَلِكَ يَخَوْفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ﴾ يعلن سبحانه نعمته على المجرمين عسى أن يكفوا ويعفوا .

١٧- ١٨- ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ﴾ مصدر بمعنى الطغيان ، ويطلق على رأس الضلال ، والمراد به هنا الأصنام ، ولذا زاد الضمير مؤنثاً في ﴿أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ

البشرى﴾ أي النجاة لمن نبذ الشر وعمل صالحاً وإن بددت منه خطيئة ناب إلى الله ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ هذا هو الإسلام في مبادئه وشريعته ، لا يمين ويسار ، ولا شيوعية ورأسمالية ، ولا ماضي وحاضر ، بل الأحسن والأفضل والأقوم والأكمل عقلاً وإنسانية لحياة الفرد والمجتمع ، وفي الحديث الشريف : «الحكمة ضالة المؤمن ، أتي وجددها فهو أحق بها» تماماً كالمرضى يفتك به الداء . ويريد له الدواء الشافي سواء أجه من موسكو أو من واشنطن ، وقد حدد القرآن الكريم رسالة النبي الأعظم بهذه الآية : «يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم» ١٥٧ الأعراف .

١٩- ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ كمن أنجاه الله منه ﴿أَفَأَنْتَ﴾ يا محمد ﴿تَقْدَرُ فِي النَّارِ﴾ كلا ، لا خلاص منها إلا بالعمل الصالح .

٢٠- ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ﴾ هذا على المألوف من كتاب الله ، يقرن الوعد بالوعيد ، فللمجرمين عذاب الجحيم ، وللمتقين جنات النعيم .

الإعراب :

﴿وَلَنْ أَكُونَ﴾ أي من أجل أن أكون وقيل اللام زائدة . الله أعبد ، الله مفعول مقدم ﴿ومخلصاً﴾ حال .

لَهُ الَّذِينَ ﴿وَأَمَرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾
قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٢﴾
قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي ﴿١٣﴾ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ
دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٤﴾ لَهُمْ
مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ
اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَنْعَبُدُونَ مَا تَشَاءُونَ ﴿١٥﴾ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا
الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ
عِبَادِ ﴿١٦﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ
أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٧﴾
أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴿١٨﴾
لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ

مَبْنِيَّةٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ
الْعَيْدَادُ ﴿٢١﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ
بَنَاتِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ
يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْلًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا
لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢٢﴾ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ
فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ مِنْ ذِكْرِ
اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٣﴾ اللَّهُ تَزَلَّ أَحْسَنَ
الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ
يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ
ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا
لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٤﴾ أَفَمَنْ يَتَّبِعِ بَوَجهَهُ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ
الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٥﴾

٢١- ﴿﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ...
نُفِدَ فِي جُوفِ الْأَرْضِ ، ثُمَّ خَرَجَ عِيُونًا صَغَارًا وَكِبَارًا ، يَسْقِي
الزَّرْعَ الْمُخْتَلِفَ لَوْنًا وَطَعْمًا ، كُلُّ ذَلِكَ وَغَيْرِ ذَلِكَ يَجْرِي
عَلَى سَنَنِ اللَّهِ الْكُونِيَّةِ الَّتِي لَا تَتَغَيَّرُ وَلَا تَتَبَدَّلُ ﴿﴾ ثُمَّ يَهِيِجُ فَتَرَاهُ
مُصْفَرًّا ﴿﴾ يَذْهَبُ شِبَاهُهُ وَنَضَارَتُهُ ﴿﴾ ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْلًا ﴿﴾
هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ ﴿﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿﴾
بَأَنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ صَانِعٍ قَدِيرٍ وَحَكِيمٍ ، يَقْدِرُ وَيُدَبِّرُ .

٢٢- ﴿﴾ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴿﴾ مِنْ مَبْتَدَأٍ
وَاخِرِهِ مَحْذُوفٍ أَيْ كَالْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِ ، وَالْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ
إِذَا عَلِمَ مِنْ عِبْدِهِ الْإِخْلَاصَ وَصَدَّقَ النِّيَّةَ فِي طَلَبِ الْهُدَايَةِ -
هُدَاهُ إِلَى الْخَيْرِ ، وَأَخَذَ بِيَدِهِ إِلَى بَغْيَتِهِ ﴿﴾ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ
رَبِّهِ ﴿﴾ أَيْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ دِينِهِ وَإِيمَانِهِ ﴿﴾ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ
مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴿﴾ كُلٌّ مِنْ عَائِدٍ وَتَمَرَّدٍ عَلَى الْحَقِّ فَهُوَ كَالصَّخُورِ
الْقَاسِيَةِ وَالْأَنْعَامِ السَّائِمَةِ .

٢٣- ﴿﴾ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ﴿﴾ الْقُرْآنَ الْعَلِيمَ
الْحَكِيمَ فِي عَقِيدَتِهِ وَشَرِيعَتِهِ وَمَوَاضِعِهِ وَحُكْمِهِ وَجَمِيعِ تَعَالِيمِهِ
وَمُبَادَرَتِهِ ﴿﴾ كِتَابًا مُتَشَابِهًا ﴿﴾ مَبْنِيٍّ وَمَحْتَوًى ، لَا تَهَافُوتُ وَتَتَنَافَرُ
بَيْنَ مَعَانِيهِ لِأَنَّهَا مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿﴾ مَثَانِي ﴿﴾ أَيْ تُتَنَبَّئُ
أَحْكَامُهُ وَمَوَاضِعُهُ فَيَجْمَعُ بَيْنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ، وَالْوَعْدِ وَالْوَعْدِ
وَالْكَفْرِ وَالْإِيمَانِ ، وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ ﴿﴾ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ
يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴿﴾ إِذَا تَلَيْتَ عَلَيْهِمْ آيَةَ الْعَذَابِ ﴿﴾ ثُمَّ تَلِينُ
جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴿﴾ إِذَا سَمِعُوا آيَةَ الثَّوَابِ ،
وَأَوْضَحَ تَفْسِيرَ هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلَ الْإِمَامِ عَلِيِّ (ع) فِي وَصْفِ
الْمُتَّقِينَ : « فِهِمُ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا فَهَمُ فِيهَا مُنْعَمُونَ ، وَهَمُ

وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا فَهَمُ فِيهَا مُعَذِّبُونَ » ﴿﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ ﴿﴾ عِلْمُ سَبِّحَانِهِ فِيهِمْ خَيْرٌ فَأَسْمِعَهُمْ وَهَدَاهُمْ كَمَا جَاءَ فِي الْآيَةِ
٢٣ مِنْ الْأَنْفَالِ ﴿﴾ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿﴾ اللَّهُ سَبَّحَانَهُ يَدْعُ الْإِنْسَانَ بِمَا يَخْتَارُ حَيْثُ لَا دِينَ
وَإِيمَانَ مَعَ الْجَبْرِ وَالْإِكْرَاهِ ، فَإِنْ اخْتَارَ لِنَفْسِهِ الْهُدَى شَمَلَهُ بَعَائِنَاتُهُ ، وَمَنْ أَرَادَ الضَّلَالَةَ تَخَلَّى عَنْهُ بَعْدَ الْبَيَانِ وَالْإِنْدَارِ .

٢٤- ﴿﴾ أَفَمَنْ يَتَّبِعِ بَوَجهَهُ سُوءَ الْعَذَابِ ﴿﴾ قَالَ الشَّيْخُ الطَّبْرَسِيُّ : الْمُرَادُ بِبَقِيَّتِي هُنَا يَسْتَقْبِلُ ، وَالْمَعْنَى أَنَّ الْإِنْسَانَ يَبْقَى
الضَّرَرُ بِيَدِهِ ، وَلَكِنْ الَّذِي فِي النَّارِ مَغْلُولُ الْيَدَيْنِ ، فَيُضْطَرُّ أَنْ يَبْقَى النَّارَ بِبَوَجهِهِ ﴿﴾ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿﴾
تَمَامًا كَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ .

الإعراب :

المصدر من «ان يعبدوها» بدل اشتمال من الطافوت . و«الذين يستمعون» مبتدأ وأولئك «الذين هداهم الله خبره» . و«أولئك هم
أولو الألباب» مبتدأ وخبر وهم ضمير الفصل . أفمن ومن : مبتدأ وخبره محذوف أي كمن نجا من العذاب . والوأنه فاعل مختلفا وحطاما
مفعول بان ليجمعه . «أفمن» شرح «من» مبتدأ وخبره محذوف أي كمن قسا قلبه ، «ومثله أفمن يتي» . و«كتابا» بدل من أحسن
الحديث . «ومتشابه» صفة كتاب . ومثاني صفة ثانية . وجلة تقشعر صفة ثالثة .

٢٥-٢٦- ﴿كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاْتَتْهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَاذْقَهُمْ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ اَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ لِنَنْزِعَنَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكَ تَحْتِصُمُونَ ﴿٣١﴾ * فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۖ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾

٢٧- ﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن ...﴾ بين سبحانه معاني القرآن بآيات واضحات ، وزيادة في التوضيح ضرب لها العديد من الأمثال ، لتعلم ونعمل ، وتقدم في الآية ٥٤ من الكهف .

٢٨- ﴿قرآنًا عربيًّا﴾ في ألفاظه ، إنسانياً في معانيه ، وعليه فلا يحق لأحد أن يقول : القرآن لقوم دون قوم أو لقرن دون قرن ﴿غير ذي عوج﴾ مستقيماً بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، وبكل ما في القرآن من حقائق وتوجيهات ومعلومات .

٢٩- ﴿ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً﴾ هذا المثل ضربه سبحانه للفرق بين المشرك والمؤمن ، فالشرك يشبه رجلاً مستعبداً لرجال لا يتفقون على رأي ، وأحد يأمره بهذا الفعل ، والثاني ينهاه عنه ، والثالث يريد له فعل آخر ، والعبد المأمور حائر في أمره ، ومثل المؤمن الموحد كالعبد المملوك لواحد حكيم فيما يأمره وينهاه ، فلا يستوي هذا وذاك ، أيضاً لا يستوي من يعبد الواحد الأحد ، ومن يعبد أرباباً أشكالا وألواناً ﴿الحمد لله الذي هدى المؤمنين به إلى أدلة التوحيد .

٣٠-٣١- ﴿إِنَّكَ يَا مُحَمَّدٌ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ الكل إلى ربهم منقلبون ، ويحكم فيما كانوا فيه يخلفون من الجحود والإيمان ، والشرك والتوحيد ، والبعث والنشر .

٣٢- ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ فجعل له أنداداً أو صاحبة أو ولداً أو ابتدع أحكاماً ونسبها إليه تعالى ﴿وكتب بالصديق إذ جاءه﴾ من الله مدعوماً بالحجج والبيانات .

٣٣- ﴿والذي جاء بالصديق﴾ المراد «الذي» محمد(ص) وبالصدق القرآن ﴿وصلق به﴾ أي ومن صدق به بدليل قوله تعالى : ﴿أولئك هم المتقون﴾ قال سبحانه المتقون ولم يقل المسلمون للإشارة إلى أن مجرد التسليم بالقرآن لا يجدي ، بل لا بد من العمل بموجبه ، ويعزز ذلك قوله سبحانه بلا فاصل :

الإعراب :

﴿قرآنًا﴾ حال مؤكدة من القرآن . و﴿عربيًّا﴾ صفة . وغير ذي عوج صفة بعد صفة . و﴿ضرب﴾ هنا بمعنى جعل ومثلاً مفعول أول ورجلاً مفعول ثانٍ وقيل : إن رجلاً بدل من «مثلاً» . وفيه خبر مقدم وشركاء مبتدأ مؤخر ومتشاكسون صفة لشركاء . ويستويان مثلاً ، «مثلاً» تمييز . «فمن» استفهام انكاري وحلها الرفع بالابتداء وأظلم خبر . «والذي جاء» مبتدأ ، والمراد به الجنس حيث أخبر عنه بالجمع ، «وهو أولئك هم المتقون» .

﴿ ٣٤- ﴾ لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ﴿
للمحسن عند الله كل ما يشتهي ويريد بلا عد وحد .

﴿ ٣٥- ﴾ ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ﴿ من
تاب من الذنب كمن لا ذنب له حتى ولو كان من المشركين .

﴿ ٣٦-٣٧- ﴾ أليس الله بكاف عبده ﴿ المراد به هنا
رسول الله بالخصوص تقوية لقلبه كيلا يهنم بعبادة الشرك
وحزبه ﴿ ويخوفونك بالذين من دونه ﴿ بالذين من دونه ﴿
هددوه بالأصنام وأنها سوف تقتص منه لا محالة ﴿ ومن
يضل الله فما له من هاد ... ﴿ المراد بالضلال هنا الهلاك ،
وبالهدى النصر ، والمعنى أن الله سبحانه سينصر محمداً ،
ويهلك أعداءه ، والدليل على أن هذا هو المقصود بالذات
سياق الكلام وقوله تعالى : ﴿ أليس الله بعزيز ذي انتقام ﴿
من كفر به وعاند المرسلين .

﴿ ٣٨- ﴾ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض
ليقولن الله ﴿ يعترفون بأن الله خالق كل شيء ، ومع ذلك
يعبدون سواه ، ولا بدع فإن الجاهل بجهله يدين بالتنافر
والتناقض ﴿ قل أفأرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني
الله بضرب هل من ﴿ أي الأصنام ﴿ كاشفات ضربه أو أرادني
برحمة هل من ممسكات رحمته ﴿ قل يا محمد للمشركين :
أصنامكم هذه ليست بشيء ، لأن الله لو أراد بعبد شراً فلا
تدفعه عنه أصنامكم ، وإن أراد به خيراً لا تسلبه منه ﴿ قل
حسبي الله ﴿ عن كل ما عداه .

﴿ ٣٩-٤٠- ﴾ قل يا قوم اعملوا على مكانتكم ﴿

منهجم وطريقتم ﴿ إني عامل ﴿ بما أنا عليه مدى حياتي ، ولن أحيده عنه ولو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري
﴿ فسوف تعلمون ﴿ إلى أي خزي تنتهون ، وبأية عاقبة تؤخذون ، وتقدم في الآية ١٣٥ من الأنعام .

اللغة :

حسبي كافياً . ومكانتكم الحال التي أنتم عليها . وأصل التوفي الإيفاء وهو أخذ الشيء كاملاً وافيةً ، ومن مات فقد استوفى عمره .
واشمازت انقبضت ونفرت .

الإعراب :

والصدر من ﴿ ليكفروا ﴾ متعلق بيشاؤون . ويكاف الباء زائدة إعراباً وكاف خبر ليس ومثله بعزير . وعبد مفعول كاف لأنه بمعنى
يكفي . ﴿ الله ﴾ فاعل لفعل عذوب أي ﴿ خلّفهن الله ﴾ . وحسي مبتدأ والله فاعل ساذ مسد الخبر . ﴿ فلنفسه ﴾ متعلق بمحذوف خبر
لمبتدأ عذوب أي فاهندأوه كائن لنفسه .

٤١- ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدٌ﴾ الكتاب للناس بالحق ﴿وبلغت الرسالة على أكمل وجه﴾ فمن اهتدى فلنفسه ﴿أجر الهداية لا لك ولا لغيرك﴾ ومن ضلَّ ﴿فعلينا وزر الضلالة لا عليك ولا على غيرك﴾ ، وتقدم في الآية ١٠٤ من الأنعام .

٤٢- ﴿الله يتوفى الأنفس﴾ للوفاء نوعان : الموت الذي يترك الجسم جثة هامة ، والنوم الذي يسلب الإدراك واليقظة فقط ، وأشار سبحانه إلى النوع الأول بقوله : ﴿حين موتها﴾ أي يقبض الروح حين يأتي الأجل ، وأشار إلى الثاني بقوله : ﴿والتي لم تمت في منامها﴾ أي ويقبض هذه أيضاً حين النوم ﴿فيمسك التي قضى عليها الموت﴾ ولا يردها إلى الجسم إلى يوم يبعثون ﴿ويرسل الأخرى﴾ يردها إلى الجسم ، ولكن على أمد معين ، وفي تفسير المراغي أن الإمام علي (ع) قال : الله يتوفى الأنفس كلها ، فما رآته وهي عنده فهي صادقة ، وما تراه بعد إرسالها فهي كاذبة . فعجب عمر من قول الإمام .

٤٣-٤٤- ﴿أم اتخلوا من دون الله شفعاء ...﴾ ينتحون بأيديهم أجباراً ، ويقولون : هذه تشفع وتنفع عند الله ، وأقسم مرتين أن هؤلاء الجاهلين يجهلهم هم أفضل عند الله من الذين اتشموا على طعام الجياع ، وكساء العراة وأجرة المأوى للمشردين ، فخافوا الأمانة ، واغتصبوا أرزاق المساكين وهم متخمون ، وتركوا المعبدين في الأرض يموتون من الجوع والبرد ، وتقدم في الآية ١٨ من يونس .

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّٰ فَلِنَافْسِهِ ۚ فَمَا تَأْمُرُ بِصُلَىٰ عَلَيْهَا ۖ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٤﴾ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٠٥﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٦﴾ قُلِ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا ۖ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٠٧﴾ وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذَكَرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٠٨﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا

٤٥- ﴿وإذا ذكر الله وحده اشمأزت﴾ انقبضت ونفرت ﴿قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ يوحشهم الحق لأنهم ليسوا من أهله ﴿وإذا ذكر الذين من دونه﴾ الأصنام ﴿إذا هم يستبشرون﴾ يأخذ الباطل موخذه في كل مجتمع يفقد الوعي ويسوده الجهل ، وأي فرق بين هؤلاء وبين الذين يختارون الآن من اللصوص والقراصنة نواباً وحكاماً ؟

٤٦- ﴿قل اللهم فاطر السموات والأرض﴾ استدعاهما من غير مثال سابق ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ السر والعلانية ﴿أنت تحكم بين عبادك﴾ وحكمك الفصل .

الإعراب :

أولو كانوا الهمة للاتكار والواو للحال أي تتخذونهم شفعاء وهم لا يعقلون . وجميعاً حال من الشفاعة . ﴿اللهم فاطر السموات﴾ أي يا الله يا فاطر السموات يا عالم الغيب .

٤٧- ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ وهم عتاة الشرك وظفأة الجور ﴿ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَلَوْا بِهِ ﴾ لا يُفَادَى أَسِيرُ جَهَنَّمَ إِلَّا قَاتًا ، كان ذلك على ربك حتمًا مقضيًا ، وتقدم في الآية ٩١ من آل عمران وغيرها ﴿ وبدا لهم من الله ﴾ أي من عذابه ما لم يخطر لهم على بال ، ونعوذ بالله من المخبات والمفاجآت .

٤٨- ﴿ وبدا لهم سيئات ما كسبوا ﴾ من آثام وعدوان وحقاق ﴿ نزل وأحيا ﴾ بهم ما كانوا به يستهزئون ﴿ ما كفاهم الجحود بالبعث حتى سخروا منه ، فكان جزاؤهم مقطعات النيران وسرايل القطران .

٤٩- ﴿ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضَرُّ دَعَا ﴾ خاضعًا مضرعًا ، وتقدم في الآية ٦ من هذه السورة ﴿ لم إذا حولناه نعمة منا ﴾ كاللآل وما أشبه ﴿ قال إنما أوتيته على علم ﴾ مني ، هذا هو الغرور واللغو والجهل والسهو عن الخالق والرازق ! أبدأ ما من شيء جليل أو حقير إلا والله فيه قدرة فاعلة ، ونعمة ظاهرة من الإبرة إلى سفينة القضاء ، وأمن عود الثقاب إلى العقل الإلكتروني ، وهل في مقدور قادر من الناس بالغا ما بلغ من العلم أن يوجد شيئاً من لا شيء مستغنياً عن الله وخالقه ؟ ولو سلما - جدلاً - أنه قادر على ذلك فهل أوجد هو نفسه بنفسه ؟ ﴿ بل هي فتنة ﴾ أي انه تعالى أنعم عليه بما هو فيه لتظهر مقاصده وأفعاله التي يستحق عليها المدح أو الذم والعقاب والثواب .

٥٠-٥١- ﴿ قد قالها ﴾ أي تلك المقالة أو الدعوى

بأن نعمته من علمه لا من فضل الله ﴿ الذين من قبلهم ... ﴾ فكان مآثم إلى الهلاك والوبال ، وتقدم في الآية ٧٢ من القصص ﴿ والذين ظلموا من هؤلاء ﴾ الذين كذبوا محمداً (ص) ﴿ سيصيبهم سيئات ما كسبوا ﴾ كما أصاب قوم نوح وعاد وثمود ﴿ وما هم بمُعْجِزِينَ ﴾ كيف وكل الخلائق رهن بمشيئته تعالى .

٥٢- ﴿ أولم يعلموا ان الله يسطر الرزق ... ﴾ تكرر في العديد من الآيات ، منها الآية ٢٦ من الرعد .

٥٣- ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا

فِيهِ يَحْتَلِفُونَ ﴿ ٥٠ ﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿ ٥١ ﴾ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَالٌ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿ ٥٢ ﴾ وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿ ٥٣ ﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضَرُّ دَعَا ثُمَّ إِذَا حَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ ٥٤ ﴾ قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مَّا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿ ٥٥ ﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿ ٥٦ ﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿ ٥٧ ﴾ * قُلْ يٰٓعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ

الإعراب :

والمصدر أن ﴿ للذين ظلموا ﴾ فاعل لفعل محذوف أي لو ثبت ملك الذين ظلموا ﴿ جميعاً ﴾ حال من ما في الأرض . ويل هي أي النعمة .

تَشْطُلُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴿٥٣﴾ تَفْتَحْ هَذِهِ الْآيَةَ بَابُ التَّوْبَةِ عَلَى مَصْرَاعِهِ لِكُلِّ مَذْهَبٍ مِمَّا عَظَّمَ الذَّنْبَ وَفُحِّحَ ، وَلَا تَدْعُ لَهُ مِنْ عَذْرِ وَكَذَلِكَ آيَاتُ التَّخْوِيفِ وَالتَّحْذِيرِ فَإِنَّهَا تَتَضَمَّنُ الدَّعْوَةَ إِلَى التَّوْبَةِ ، وَقَدْ وَصَفَ سُبْحَانَهُ نَفْسَهُ بِالتَّوَابِ - بِمَعْنَى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ وَيَهَيِّئُ أَسْبَابَهَا - فِي أَكْثَرِ مِنْ عَشْرِ آيَاتٍ مَعْلُوفَةً عَلَى كُلِّ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : « إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ - ٨٧ يوسف ... وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ - ٥٦ الحجر » .

٥٤- ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ ... ﴾ بعدما دَعَا سُبْحَانَهُ الْمَذْنِبِينَ إِلَى التَّوْبَةِ وَرَدَّدَ وَأَكْرَدَ الْأَمْرَ بِهَا وَالْإِخْلَاصَ فِيهَا عَمَلًا لَا قَوْلًا ، فَإِنَّهَا الدَّرَجُ الْوَاقِعَةُ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ يَوْمَ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ .

٥٥- ﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً ﴾ مَا زَالَ الْكَلَامُ مَعَ الْمَذْنِبِينَ وَعَنْهُمْ وَكُلُّ الْآيَاتِ الَّتِي نَزَلَتْ فِي حَقِّهِمْ نَهْيٌ وَذَمٌّ وَتَهْدِيدٌ ، وَأَحْسَنُهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِمْ آيَاتُ التَّوْبَةِ وَالبَّشَارَةُ بِقَبُولِهَا وَإِلَّا فَلَا شَيْءَ مِمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ أَحْسَنَ مِنْ شَيْءٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ تَعَالَى .

٥٦- ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى ... ﴾ مِنْ أَهْمَلِ التَّوْبَةِ فِي ذِيهَا يَشْعُرُ غَدًا بِالْخَسْرَانِ ، وَتَذْهَبُ نَفْسُهُ حَسْرَاتٍ عَلَى مَا فَاتَ .

٥٧- ﴿ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ وَهَكَذَا الْمَهْمَلُ الْفَاشِلُ يُلْقِي التَّبْعَةَ عَلَى اللَّهِ أَوْ الْحِظَّ أَوْ الزَّمْنَ أَوْ عَلَى النَّاسِ وَالْمَجْتَمَعِ .

٥٨- ﴿ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً ﴾ رَجْعَةً إِلَى الدُّنْيَا لِاتَّقِيَتْ وَأَحْسَنْتِ . هِيَ بَاتُ أَنْ يَرْجِعَ مَا قَدْ فَاتَ .

٥٩- ﴿ بَلَى قَدْ جَاءَكَ آيَاتِي ... ﴾ كَيْفَ تَقُولُ : لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي ! لَقَدْ دَعَاكَ سُبْحَانَهُ إِلَى الْهُدَايَةِ ، فَأَيَّتَ عَنْ إِرَادَتِهَا بِإِرَادَتِكَ ، وَعَلَيْهِ فَأَنْتَ الْمُسِيءُ إِلَى نَفْسِكَ بِنَفْسِكَ .

٦٠- ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا ﴾ مِنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ أَوْ حَلَلَ وَحَرَّمَ مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ أَوْ تَوَلَّى مَنَصَّبًا عَامًّا بِلَا أَهْلِيَّةٍ وَكَفَاءَةٍ أَوْ ادَّعَى الْعِلْمَ بِدِينِ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ حَقٍّ - فَقَدْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ بِلَا شَكٍّ ، وَجَهَنَّمَ مَقَامَهُ وَمَتَوَاهٍ .

٦١-٦٢- ﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمِثْلِ هَؤُلَاءِ ﴾

الإعراب :

﴿ جَمِيعًا ﴾ حَالٌ مِنَ الذُّنُوبِ . ﴿ وَبَغْتَةً ﴾ مَصْدَرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ مِنَ الْعَذَابِ أَيْ بَغْتًا . وَالْمَصْدَرُ مِنْ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ مَفْعُولٌ مِنْ أَجْلِهِ لِاتَّبِعُوا . ﴿ يَا حَسْرَتَا ﴾ الْأَصْلُ يَا حَسْرَتِي ثُمَّ قَلِبْتُ الْيَاءَ أَلِفًا ، وَأَنْ كُنْتُ - وَأَنْ « خَفِيفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ وَاسْمُهَا عَذْرُوفٌ أَيْ وَأَنْ كُنْتُ وَالْوَلَامُ فِي « مِنْ » هِيَ الْفَارِقَةُ بَيْنَ أَنْ النَّافِيَةِ وَالْمُخَفِّفَةِ . فَأَكُونُ مُضَارِعٌ مُنْصَوِّبٌ بِأَنْ مُضْمَرَةٌ فِي جَوَابِ لَوْ الَّتِي تَقِيدُ التَّمَنِّيَ . وَبَلَى وَاقِعَةٌ فِي جَوَابِ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لِأَنَّ لَوْ تَتَضَمَّنُ مَعْنَى التَّنْيِ . تَرَى هُنَا بِصَرِيحٍ لَا قَلْبِيَّةٍ وَلَهَا مَفْعُولٌ وَاحِدٌ وَهُوَ الَّذِينَ كَذَبُوا . ﴿ وَجَهَنَّمَ مَسْجُودَةً ﴾ مُبْتَدَأٌ وَخَبَرٌ وَالْجُمْلَةُ حَالٌ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا .

أي بسبب فوزهم في طاعة الله ورضوانه ﴿ لا يمسهم سوء ولا هم يحزنون ﴾ يوم القيامة ﴿ الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل ﴾ كل الأمور موكولة إليه تعالى وهو قائم عليها

٦٣- ﴿ له مقاليد السموات والأرض ﴾ بيد الله خزان الكون ومفاتيحها .

٦٤- ﴿ قل أغفیر الله تأمروني أعبد ﴾ دعاهم إلى الإيمان بالله بالحجة والبرهان القاطع ، فدعوه إلى الكفر جهلاً وحقاً ، فقال : أخطأتم القصد أيها الجاهلون .

٦٥- ﴿ ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك ﴾ أي وإلى كل نبي من الأنبياء السابقين وقيل له مثل ما قيل لك ﴿ لئن أشركت ليحبطن عملك ﴾ الإبط : بطلان العمل وسقوط حكمه حتى كأنه لم يكن ، والقضية هنا شرطية . تصح وإن كان فعل الشرط محالاً تماماً كقوله تعالى : « إن كان للرحمن ولد فانا أول العابدين - ٨١ الزخرف » .

٦٦- ﴿ بل الله فاعبد ﴾ أيها الإنسان أو يا محمد بمعنى امض على ما أنت عليه من عبادة الله وشكره والدعوة إليه ، والله يحفظك من الناس .

٦٧- ﴿ وما قلروا الله حق قلده ﴾ ما أطاعوه وشكروه كما يجب ، ولا زهوه عما لا يليق ، فبعضهم صوره في شكل إنسان ، وآخرون في هيئة كوكب ... إلى أمثال هذه الخرافات وقال الإمام علي (ع) : كيف يصف الخالق من يعجز عن وصف المخلوق ؟ ﴿ والأرض جميعاً قبضته ... ﴾

المقصود من هذا مجرد تعظيم الذات الفلسفية وصفاتها ، وانها فوق النصور والأوهام وأنها لا تعرف إلا بالآثار البارزة للعبان

٦٨- ﴿ ونفخ في الصور فصعق ﴾ أي مات ، وعليه يكون النفخ هنا كناية عن سبب الموت الشامل لكل مخلوق حي ﴿ من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ﴾ قال المفسرون : هذا استثناء لبعض الملائكة كجبريل ﴿ ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ هذه الصيحة الثانية كناية عن قيام القيامة حيث يحيي سبحانه الأموات وهي رميم - فتنتظر زلزال هذا اليوم وأهواله .

٦٩- ﴿ وأشرق الأرض بنور ربها ﴾ المراد أرض المحشر ، وهي مشرقة بالحق والعدل ، وطاهرة مطهرة من

الإعراب :

وجملة ﴿ لا يمسهم ﴾ حال من الذين اتقوا . وغير الله مفعول أعبد ، وجملة ﴿ تأمروني ﴾ معترضة ، وتقدير الكلام أغفیر الله أعبد تأمروني . بل الله فاعبد « الله » مفعول مقدم . وحق قدره مفعول مطلق . وجميعاً حال من الأرض ، واختلف النحاة في العامل بالحال ، والذي نراه ان هذه الحالة لا تحتاج الى عامل لأنها حال إعراباً وتأكيد واقعاً ، والمعنى الأرض كلها . وقبضته خبر للأرض . والسموات مطويات مبتدأ وخبر ، ويبيّنه متعلق بمطويات .

الظلم والعدوان ﴿ وَوَضِعَ الْكِتَابَ ﴾ كتاب الأعمال وصفحاته ﴿ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ ﴾ وهم نواب الأنبياء في البيان والتبليغ ، فيشهد النبي على نائبه أنه أخذ العلم منه ليعمل به ويبلغه إلى الناس ، ثم يشهد العالم النائب بدوره عليهم أنه علم وبلغ ، فيقضي الله بين الخلق بالحق .

٧٠- ﴿ وَوَفِيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ ﴾ لا ينقص من ثواب المطيع بل يزيد ، ولا يزيد في عقاب العاصي وقد يغفو ، وتقدم في الآية ٢٥ من آل عمران وغيرها .

٧١-٧٢- ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ وأيضاً الذين نهوا أوقات المستضعفين ، والذين كذبوا واعتدوا وحسدوا وكل آثم ومجرم ﴿ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ﴾ جمع زمرة وهي الجماعة ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاوَوْهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ أبواب جهنم مفتوحة للداخلين على مصراعها ليل نهار لا حاجب عنها ولا مانع ، على العكس من أبواب الجنة ﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا ﴾ الذين يقدمون لها الوقود : ماذا فعلتم بأنفسكم ؟ ولماذا عن رسل الله أعرضتم ؟ قال أهل النار : ﴿ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ ندموا واعترفوا حيث لا جدوى ، والعاقل يحذر ولا يسلك الطريق إلا على بينة ﴿ فَبِئْسَ مَثْوًى ﴾ مقام المتكبرين ﴿ الْمُتَمَرِّدِينَ عَلَى الْحَقِّ وَالْعَدْلِ .

٧٣- ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ ﴾ للمجرمون إلى عذاب الجحيم ، والطيبون إلى جنات النعيم . وبعد فإن الجنة محرمة إلا على من ضمى في سبيل الحق ، ولا تنحصر هذه التضحية بالقتال وحمل السلاح ، فكل مكروه يتحملة

الإنسان ويصبر دفاعاً عن الحق والعدل فهو تضحية في سبيل الله والحق حتى ولو كان الدافع بكلمة يجابه بها مبطلاً . ويناصر محققاً ، وفي الحديث : حفت الجنة بالمكاره ، والنار بالشهوات .

٧٤- ﴿ وَقَالُوا ﴾ أي أهل الجنة : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَّقَنَا وَعْدَهُ ﴾ لا رأوا الجنة فرحوا وشكروا الله ، وتذكروا ما قرأوه في الدنيا من آيات الجنة وصورها وأنهارها وثمارها وأمنها وأمانها ، فعاينوا أكثر مما سمعوا . قال الإمام أمير المؤمنين (ع) : « كل شيء في الدنيا سماعه أعظم من عيانه ، وكل شيء في الآخرة عيانه أعظم من سماعه .

الإعراب :

﴿ زُمَرًا ﴾ حال من الذين كفروا . ﴿ وَخَالِدِينَ ﴾ حال من واو ادخلوا . ﴿ زُمَرًا ﴾ حال . وجواب إذا محذوف أي إذا جأهوها اطمانوا . وفتحت الواو للحال أي وقد فتحت . وسلام عليكم مبتدأ وخبر والجملة مفعول قال . ﴿ وَخَالِدِينَ ﴾ حال .

٧٥- ﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ حَوْلَ الْعَرْشِ ﴾ المراد بالعرش أن الأمر كله بيد الله ﴿ يَسْبُحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ يقدسونه ويتزهونه عن الظلم والجور ﴿ وَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ بين أهل الجنة وأهل النار ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ حيث حل كل فريق منهما المكان اللائق به والصالح له ﴿ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الكون بأكمله من أعلى ملكوت السماء إلى منتهى الترى يحمد الله على عدله الذي أعطى كل شيء خلقه ، ثم هدى .

نَسَاءً فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ ﴿٧٥﴾ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾

(٤) سُورَةُ غَافِرٍ مَكِّيَّةٌ
وَأَنبِئَانَهَا جَسَنٌ وَمُنَافِقُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿ حم ﴾ تقدم في أول البقرة .
٢- ﴿ تنزيل الكتاب ﴾ القرآن ﴿ من الله العزيز العليم ﴾ الذي لا يخفى عليه شيء ، وليس كمثله شيء ذاتاً وصفاتاً وسلطاناً .
٣- ﴿ غافر الذنب وقابل التوب ﴾ قدّم الذنب وأخر التوبة ، لأنها العفو عما سلف ﴿ شديد العقاب ﴾ لمن طغى وعمل بما يهوى ﴿ ذي الطول ﴾ ذي النعم التي لا يحصيها العادون ، ويعجز عن شكرها المجتهدون .
٤- ﴿ ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا ﴾ لا يعاكس الحق إلا الجحود والعنود ﴿ فلا يغرك ﴾ ما يملكون من أموال يتاجرون بها في البلاد ، فإنها إلى زوال ونفاد .

حَمْدٌ ۝ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ۝ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝ مَا يَجِدُلُ فِيءَ آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبَلَدِ ۝ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ

٥- ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب ﴾ وهم كل قوم تحزبوا ضد الحق وأهله ﴿ وهمت كل أمة برسولهم

اللغة:

التوب والتوبة كلاما مصدر تاب. وذو الطول ذي الفضل. وتقلبهم في البلاد تصرفهم فيها بالذهاب والإياب للتجارة ونحوها. ليدحضوا ليطلوا. وحقت وجبت

الإعراب:

﴿والملائكة﴾ مفعول ترى البصرية وحافين حال من الملائكة.

﴿تنزيل﴾ خبر مبتدأ محذوف أي هذا تنزيل . و﴿العزيز﴾ وما بعده صفات لله تعالى . والمصدر من ليأخذوه متعلق بهمت .

لِيَأْخُذُوهُ ﴿ بِالْقَتْلِ وَالتَّنْكِيلِ ﴾ وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ﴿ يحاولون توهين الحق بالشبهات الباطلة والأقوال الكاذبة ﴾ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿ حقاً كان الهلاك شديداً مدمراً

٦- ﴿ وكذلك حقت كلمة ﴾ العذاب على كل طاغ وباغ .

٧- ﴿ الذين يحملون العرش ﴾ إله العالم لا يحمل جالساً على العرش أولاً لأنه منزّه عن المادة ثانياً لأن الحامل أقوى من المحمول ، وإذن لا بد من تأويل الظاهر بما يتفق مع العقل والقوانين اللغوية وجلال الذات القدسية ، والذي نصوره الآن أن العرش وحملته ومن حوله كل ذلك وما إليه كتابة عن العظمة والجلال والسلطان المطلق والدائم ﴿ ويستغفرون للذين آمنوا ﴾ أمر سبحانه الملائكة أن يستغفروا ويدعوا للذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فاستجابوا ودعوا ومن جملة ما قالوا :

٨- ﴿ ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ﴾ اجمع غداً شمل الأسرة المؤمنة تماماً كما كانوا في الدنيا ، ليزدادوا سروراً على سرور .

٩- ﴿ وفيهم السيات ﴾ من الوقاية بمعنى الصيانة ، تقول : وذاك الله من كل سوء أي صانك من كل مكروه وعليه يكون المراد بالسيات المكروهات .

١٠- ﴿ إن الذين كفروا ينادون ... ﴾ بالبناء للمجهول والمعنى يقال غداً للكافرين وهم في قعر جهنم : أنتم الآن تكفرون أنفسكم حيث أدت بكم إلى هذا المصير ، وكنتم نحويها وأنتم في الدنيا ، ولكن الله كان آنذاك يمقتها ويمقتكم مقتاً أشد من مقتكم لها اليوم حيث كان يدعوكم إلى النجاة والحياة الطيبة ، فتعرضون وتنفرون ، فذوقوا اليوم ما قدمتم لأنفسكم .

الإعراب :

ومن انهم أصحاب النار بدل من كلمة ، ويجوز جره بلام محذوفة أي لأنهم من أصحاب النار . ﴿ ومن حوله ﴾ عطف على الذين يحملون . ﴿ رحمة وعلياً ﴾ تمييز محول عن فاعل أي وسعت رحمته وعلمه . ومن صلح « من » مفعول لفعل محذوف أي وادخل من صلح . واللام في لقت في جواب قسم محذوف أي والله لقت . وأنفسكم مفعول مقتكم . وإذا في محل نصب بفعل محذوف أي مقتكم الله إذ يدعوون .

كُلُّ أَمْرٍ رَسُولُهُمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَيْمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿ الَّذِينَ يَمْعَلُونَ أَعْرَاشَ وَمِنْ حَوْلِهِمْ يُسْبِحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ ۖ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿ رَحْمَةً مِنَّا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿ وَفِيهِمُ السَّيِّغَاتُ وَمَنْ تَبَى السَّيِّغَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ ۖ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ينادونَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكَ أَنْفُسَكَ

١١- ﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ ﴾ : المنة الأولى قبل خروجهم من بطون الأممات ، والثانية الموت الممهود ﴿ وأحييتنا اثنتين ﴾ : الأولى في الدنيا ، والثانية في الآخرة ﴿ فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل ﴾ بيدك الموت والحياة والنعيم والجحيم ، وقد أدخلتنا النار بالحق والعدل ، ونحن لها أهل ، فأخرجتنا منها بجدوك وكرمك ! ولو كان هذا الضرع في الدنيا وقبل أن يذوقوا العذاب - لأثر وأثر ، أما أن يعترفوا وهم يتلظون في النيران فلا ينفعهم شيئاً تماماً كالإقرار ، يتنزع بالضغط والإجبار .

١٢- ﴿ ذَلِكُمْ بَأْهَ إِذَا دَعَىٰ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ ... ﴾ دعوناكم في الدنيا فلم تستجيبوا لنا ، وتدعونا في الآخرة فلا نستجيب لكم ، وكما تكونون يولى عليكم .

١٣- ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ ﴾ أَرَأَا سُبْحَانَهُ الْكثير من عجاب خلقه ، وقال لنا فيما ذكر وأرشد : « وفي أنفسكم أفلا تبصرون - ٢١ الداربات » ولكن لا يبصر ويعتبر ﴿ إلا من ينيب ﴾ أي يتحرر من التقليد ، ويرجع إلى الحق لوجه الحق .

١٤- ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ كونوا من أهل الدين واقعاً لا شكلاً ، وفضلاً لا قولاً ﴿ ولو كره الكافرون ﴾ أي حتى ولو عاتبتهم من أعداء الله والإنسانية الأذى والتكليل .

١٥- ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ ﴾ كتابة عن الجلال والكمال ﴿ يَلْقَى الرُّوحَ ﴾ الوحي ﴿ على من يشاء من عباده ﴾ وهم الرسل والأنبياء ﴿ لينزل ﴾ الله أو الوحي

بالعذاب ﴿ يوم التلاق ﴾ يوم القيامة حيث يلتقي الإنسان بجزاء عمله .

١٦- ﴿ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ ﴾ لا سر ولا حجاب يوم القيامة ، فكل شيء على المكشوف ﴿ لمن الملك ﴾ من يمضي حكمه وينفذ يوم القيامة ؟ الله الذي يبطش البطشة الكبرى بكل معتد وجبار أثيم ، وكل حسود وحقوق لثيم .

١٧- ﴿ اليوم تجزي كل نفس بما كسبت ... ﴾ هذه قضية رياضية عقلية ومن المسلمات الأولية ، وليس للدين والشرعية إلا إمضاؤها والعمل بموجبها .

١٨- ﴿ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْآزَةِ ﴾ اسم ليوم القيامة مثل عبد الكريم أو عبد الكرامة ، والآزة : القرية الدانية لأن

الإعراب :

﴿ اثنتين ﴾ صفة لمفعول مطلق محذوف أي إمامتين اثنتين وإحياتين اثنتين . ﴿ ذَلِكُمْ ﴾ مبتدأ ، وبأنه متعلق بمحذوف خبراً . ﴿ وحده ﴾ مصدر في موضع الحال من الله . ومخلصين حال من فاعل فادعوا ، ﴿ رفيع الدرجات ﴾ خبر ثانٍ هو الذي يريكم . والمصدر من ليندر متعلق بيلقي . ويوم هم « يوم » بدل من يوم التلاق وهم مبتدأ وبارزون خبر . والمملك فاعل فعل محذوف أي ثبت الملك . وه متعلق بمحذوف أي ثبت لله . اليوم تجزي اليوم ظرف لتجزي . لا ظلم اليوم ظلم اسم لا واليوم خبرها .

هذا اليوم آت ، وكل آت قريب ﴿ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ ﴾
 هلماً وجزعاً ﴿ كَاطِمِينَ ﴾ محزونين ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ ﴾
 صديق ينفع ولا شفيع يشفع .
 ١٩- ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ ﴾ كغمزات السخرية
 والإحتقار ، ونظرات الخبث والرغبة .

٢٠- ﴿ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ ﴾ يجزي السينة بمثلها
 والحسنة بالأحسن ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ﴾ الأصنام
 ونحوها ﴿ لَا يَقْضُونَ شَيْئاً ﴾ لأنهم لا يملكون أي شيء
 حتى السمع والبصر .

٢١- ﴿ أُولَئِكَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ... ﴾ تقدم في الآية
 ١٠٩ من سورة يوسف وغيرها .

٢٢- ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ ... ﴾ أهلك .
 سبحانه الأئم الماضية لأنها كذبت المرسلين ، وتقدم مرات .

٢٣- ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾
 أي بالمعجزات ، ومنها العصا واليد .

٢٤- ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ ﴾ الأول تعالى
 وترتب ، والثاني شيطانه المقرب ، والثالث أطفاه المال وأرداه .

٢٥- ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ
 الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ... ﴾ أمر فرعون بقتل الذكور من بني
 إسرائيل ، وإبقاء الإناث منهم قبل موسى ، ولما جاء وثار
 على فرعون أكد أمره السابق ، وأصر على استمراره والتشدد فيه .

اللغة:

الأزفة القرية الذاتية لأن يوم القيامة آت ، وكل آت قريب . وكاظمين محزونين . وحميم صديق . وخائنة الأعين هي التي تنظر ما لا
 يحل . وواق حافظ .

الإعراب :

﴿يَوْمَ الْأَرْفَةِ﴾ مفعول به لأنذرهم . ﴿وَإِذِ الْقُلُوبُ﴾ بدل من الأرفة . و﴿كَاطِمِينَ﴾ حال من القلوب . ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ خبر مقدم .
 ومن حميم « من » زائدة إعراباً وحميم مبتدأ ، وجملة يطاع صفة لشفيع . هم ضمير فصل . وأشد خبر كانوا . وقوة تمييز .

الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ مَالِلِ الظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ
 وَلَا شَفِيعَ يُطَاعُ ﴿١٩﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي
 الصُّدُورُ ﴿٢٠﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ
 دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢١﴾
 * أُولَئِكَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
 الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا
 فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ يُذَوِّبُهُمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ
 مِنْ وَاقٍ ﴿٢٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ
 فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٣﴾
 وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
 وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَابٌ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ
 بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ

٢٦-٢٧- ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرِّيَّتِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۚ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ۚ﴾
 ربه ﴿أي لا يبالي بموسى ولا بمن أرسله ، وقريب من هذا قول بني إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك ، وعبدا العجل ، وليس العجل كعمود بأفضل من فرعون كمربوب ﴿إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد﴾ ! أرايت هذا المنطق ! : رسول الله يحرف الدين ويفسد الأرض ومدعي الربوبية يقيم الدين ويصلح الأرض تماماً كقوى الشر في عهدنا تعمل للقضاء على الدين بكل سبيل وتدعي أنها من حماة ، وتمتص دماء المستضعفين خوفاً من إراقتها !

٢٨- ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّن آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ۚ أَهَذِهِ جُرْمَةٌ لَّا تَنْفَرُ ؟﴾
 كيف وقد جاءكم بالبرهان القاطع على ما جاء به من الحق ؟ ﴿وإن يك كاذباً فعليه كذبه﴾ لا بد أن يفتضح به ، ويعاقبه الله عليه ﴿وإن يك صادقاً يصيبكم بعض الذي يعدكم﴾ سواء أقتلتموه أم تركتموه لشأنه ﴿إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب﴾ بل يخرجه ويفضح في الدنيا قبل الآخرة بل هو يفضح نفسه بنفسه ، لأنه يقف دائماً على شفير الهاوية .

٢٩- ﴿يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ...﴾ ﴿أنتم الآن في قوة ومناعة ، ولكم الحكم والطاعة ، ولكن هل تأمنون على أنفسكم من غضب الله وضرباته ، ومن تقلب الدهر ونكباته﴾ ﴿قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾ هذا رد من فرعون على قول المؤمن الناصح ومعناه ما أشير عليكم إلا بما أراه خيراً وصلاًحاً لي ولكم ولا أدعوكم إلا إلى السداد والرشاد .

٣٠- ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ

وَأَسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۚ﴾
 وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرِّيَّتِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۚ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ۚ
 وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ يَوْمَ الْحِسَابِ ۚ
 وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّن آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ۚ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ۚ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ ۚ
 يَنْقُومُ لَكُمْ أَلْمُلُكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَضُرُّنَا مِنْ بَاسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ۚ
 وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَنْقُومُ

اللغة :

سلطان مبین حجة واضحة . وهامان وزير فرعون . وقارون أغنى الأغنياء في زمانه . وعذت لذت وتحصنت . والمسرّف هنا من تجاوز الحد في معاصي الله . وظاهرين غاليين . وما أريكم إلا ما أرى : أشير عليكم إلا بما أراه حقاً وصواباً .

الإعراب :

﴿وليدع﴾ اللام للأمر . والمصدر من أن يبدل مفعول أخاف ، ومن أن يظهر معطوف على أن يبدل . ما أريكم «ما» نافية . وإلا ما أرى «ما» اسم موصول مفعول ثانياً لأريكم .

يوم الاحزاب في وهي الأمم الماضية حيث اتفقت كل أمة وتحزبت ضد نبيها ، وذكر منها المؤمن الناصح .

٣١- ﴿ مثل دأب قوم نوح وعاد في قوم هود في ولعود في قوم صالح وغيرهم في وما الله يريد ظلماً للعباد في ولكن الناس أنفسهم يظلمون .

٣٢- ﴿ وما قوم ابي اخاف عليكم يوم التناد في وهو يوم القيامة حيث يدعو سبحانه كل أناس بإمامهم .

٣٣- ﴿ ويوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم في من مانع يمنع عذابه عنكم في ومن يضل الله فما له من هاد في المراد - بقرينة السياق - من الضلال هنا الهلاك ، ومن هاد : من منقذ ومخلص

٣٤- ﴿ ولقد جاءكم يوسف في على حذف مضاف أي جاء آباءكم أيها المصريون ، لأن الكلام ما زال للمؤمن آل فرعون في فما زلتم في شك مما جاءكم به في أي في شك من نبوة يوسف ، وكذلك أنتم تشكون في نبوة موسى .

٣٥- ﴿ الذين يجادلون في آيات الله في كل برهان قاطع على وجود الحق فهو آية من آيات الله وحجة على عباده سواء أجاه بالحق مؤمن أم غير مؤمن بشرط واحد وهو أن لا يراد به باطل كما فعل الخوارج الذين نطقوا بكلمة الحق كذريعة للخروج عن طاعة الحق . قال سبحانه : « ويصح الله الباطل ويحق الحق - ٢٤ الشورى » ... وقل جاء الحق وزهق الباطل - ٨١ الإسراء في كبر مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا في الله ورسله وملائكته والمؤمنون يكرهون أشد الكره من يعاند الحق ، ويجادل بالباطل في كذلك يطع الله على كل قلب متكبر جبار في العتو والتكبر من حيث هو يمرض القلب ويعمي العقل .

٣٦-٣٧- ﴿ وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً .. تقدم في الآية ٣٨ من القصص ، وبالنسبة قرأت لكتاب مصري يعظ قومه بقوله : « استخف فرعون قومه بالذهب وواسع الملك ، وغدعهم فتبعوه ، وانتهى بهم إلى ضياع ودمار ... لا جعل الله مصر بعد السلف ، تستخف بالظواهر والخوادم » .

الإعراب :

﴿ مثل يوم الاحزاب ﴾ « مثل » صفة لمفعول محذوف أي اخاف عليكم يوماً مثل يوم الاحزاب . ومثل « دأب » بدل من مثل يوم الاحزاب . و﴿ يوم تولون في بدل من يوم التناد . ومدبرين حال . والذين يجادلون بدل من « من هو مسرف » لأن « من » هنا اسم موصول بمعنى الجمع . وكذلك يطع أي مثل ذلك الطيع يطع . « أسباب السموات » بدل من الأسباب . فاطلع بالنصب جواباً للترجي الذي يشبه الطلب .

٣٨-٣٩- ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ﴾ من قوم فرعون :
 ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ...﴾ حذر قومه
 أولاً وثانياً ، وهدي هي المرة الثالثة ، وقال لهم من جملة ما
 قال : الدنيا تمر لا مفر ، والآخرة هي الغاية والنهاية . فاعملوا
 لها تنجوا وتفلحوا ... وما من شك أنه لولا فرعون وعتاته
 المتفرون لوجد من الناس من يسمع ويطيع ، وقصة هذا الرجل
 المؤمن - كما نعته القرآن الكريم - هي حجة كافية على
 كل من يدعي الإيمان بالله ، ثم يستكت عن كلمة الحق فقد
 جابه المؤمن الصالح الطاغية فرعون بكلمة الحق غير مرتاع
 ولا هباب وهو لا يملك إلا نفسه وعقيدته ، وكل نبي من
 أنبياء الله ناضل أمته وحيداً فريداً . وقال سبحانه لنبيه الكريم :
 « فقاتل في سبيل الله لا تكلف الينا نفسك - ٨٤ النساء »
 وفي الحديث الشريف : « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان
 جائر » أجل ، إعلان الحرب لا بد أن يسبقه إعداد العدة ،
 ولكن الحرب شيء ، والأمر بالمعروف في كلمة حق شيء آخر .

٤٠- ﴿من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثله﴾ بلا
 زيادة لأن الله عادل ، وقد يغفر لأنه كريم ﴿ومن عمل
 صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن﴾ بالله واليوم الآخر
 ﴿فأولئك يدخلون الجنة﴾ وفي هذا إيحاء على أن الجنة
 محرمة إلا على من آمن بها وبخالقه وخالقها .

٤١-٤٤- ﴿ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني
 إلى النار ...﴾ أيضاً هذا الكلام لمؤمن آل فرعون مع قومه
 ويستمر إلى قوله : « ان الله بصير بالعباد » ويرتكز على أن
 الجزاء حتم لا مفر منه ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر .
 وأنه يدعوه إلى الهدى وهم يصرون على الضلال ، ولكنهم قادرين الآن - كما أفهمهم - أن يستدركوا
 وينجوا من الهلاك بخطوة واحدة وهي التوبة ، وعليهم أن ينتهزوا الفرصة وإلا فمصيرهم إلى الضياع والدمار .

وإني لأظنه كذباً وكذلك زين لفرعون سوء عمله
 وصدد عن السبيل وما كيد فرعون إلا في تباب ﴿٣٧﴾
 وقال الذي آمن يقوم أتبعون أهدكم سبيل الرشاد ﴿٣٨﴾
 يقوم إنما هذه الحية الدنيا متنع وإن الآخرة هي دار
 القرار ﴿٣٩﴾ من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثله ومن عمل
 صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون
 الجنة يرزقون فيها بغير حساب ﴿٤٠﴾ * وينقوم مالي
 أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار ﴿٤١﴾ تدعونني
 لا كفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم
 إلى العزيز الغفار ﴿٤٢﴾ لا جرم إنما تدعونني إليه ليس
 له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وأن مردنا إلى الله
 وأن المرء فريه ثم اصحب النار ﴿٤٣﴾ فسدد كرون ما أقول

اللغة :

مردنا مرجعنا . وحاق به أحاط ونزل به . غداً وعشياً صباحاً ومساءً .

الإعراب :

«والحياة الدنيا» عطف بيان من هذه . وهي ضمير الفصل ، جملة وهو مؤمن حال من «من عمل صالحاً» . «جرم» اسم لا مبني
 معها على الفتح ، والمعنى لا محالة ، والمصدر من «أن ما تدعونني» مجرور بحرف جر محذوف متعلق بمحذوف وهو خير لا . «وهم»
 أصحاب النار «هم» ضمير فصل . والنار بدل من سوء العذاب .

٤٥- ٦٦- ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا﴾ أضر فرعون السوء لهذا الناصح الأمين ، فكف الله بأسه عنه ﴿وَحَاقَ بِالْأَفْرُونِ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ وهو الفرق في الدنيا ، والجحيم في الآخرة ، وهكذا كل مؤمن استكمل شمائل الإيمان ، وجاهد الطغيان بكلمة الحق ، فإنه يرمي بيد الله لا يده .

٤٧- ﴿وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ﴾ في النار فيقول الضعفاء ﴿الَّذِينَ غَرَّ بِهِمُ الْأَقْيَاءُ﴾ للذين استكبروا ﴿وَهُمُ الْأَقْيَاءُ الْمُنْتَبِعُونَ﴾ : ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ أي لولا أنتم لكانا مؤمنين ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ﴾ هل تحملون عنا ولو شيئاً قليلاً من العذاب ؟ وتقدم في الآية ٢١ من إبراهيم .

٤٨- ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾ بنا ما بكم -زيادة ، ولا حول لنا ولا طول ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ ولا راد لحكمه ، وهكذا تعلن العدالة الإلهية بلسان أعداء الله الذين اتخذوا آلهة من دونه ، ومعنى هذا أن الحق لا بد أن ينجلي وينتصر ولو بعد حين .

٤٩- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ...﴾ بالأمس أنكروا البعث والنار ، ولما جاءوها ودخلوها استغاثوا حتى بخزنة النار ، عسى أن يسمح لهم بالتنفس ، ولكن هؤلاء وبخوهم .

٥٠- ﴿قَالُوا : أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُم رُسُلِكُمْ﴾ تقدم في الآية ٧١ من الزمر .

٥١- ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ وهو يوم القيامة حيث تشهد على المجرمين

أعضاؤهم والكرام الكاتِبون ، والنصر في هذا اليوم للمحققين لا ريب ، أما نصرهم في الدنيا فقد يكون بالعلبة على الأعداء وقد يكون بانتشار دينهم وعقيدتهم ، وعلو الشأن وجميل الذكرومدى الحياة ، وفي شتى الأحوال ما ظفر من ظفر الإثم به ، والغالب بالشر مغلوب كما قال الإمام أمير المؤمنين (ع) وتقدم في الآية ٣٨ من الحج .

الإعراب :

وأدخلوا إن كان أمراً للملائكة فال فرعون مفعول ادخلوا ، وإن كان أمراً لآل فرعون قال فرعون منادى ، وفي الحالين أشد العذاب منصوب بنزع الخافض أي في أشد العذاب مثل دخلت الدار أي في الدار . ﴿تَبَعًا﴾ خبر كنا وهو مصدر في موضع اسم الفاعل أي تابعين . ﴿وَنَصِيبًا﴾ مفعول مطلق لـ «مغنون» لأنه بمعنى شيء فيعرب اعرابه ، ونحوه قوله تعالى : ﴿فَلَمْ تَغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا - ٢٥ التوبة .﴾ ﴿وَكُلٌّ﴾ مبتدأ وفيها خبر . والخملة خبر أنا . ومفعول يخفف محذوف ويوماً منصوب على الظرفية أي يخفف عنا شيئاً من العذاب في يوم من الأيام . واسم تلك ضمير مستتر يعود الى القصة ، وتأيتكم رسلكم تفسير للقصة . ويوم لا ينفع بدل من يوم الأشهاد .

لَكَرُّ وَأَفْوُضُ أُمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٥﴾
فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِفِرْعَوْنَ سُوءُ
الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ
تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٧﴾
وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ يَقُولُ الضَّعَفَاءُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا
إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴿٤٨﴾
قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ
الْعِبَادِ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا
رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ﴿٥٠﴾ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُنْ
تَأْتِيكُم رُسُلِكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا
دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥١﴾ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا
وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥٢﴾

٥٢- ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ﴾ ويستحيل أن تكون للظالم معذرة مقبولة بعد القرض بأنه ظالم ، لأن الشيء لا يمكن أن يكون غير ذاته ونفسه .

٥٣-٥٤- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى﴾ المعجزات الدالة على نبوته ﴿وَأَوْثَرْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾ التوراة الصحيحة الصادقة ، فحرفوها تبعاً لأهوائهم .

٥٥- ﴿فَاصْبِرْ﴾ يا محمد على الأذى من قومك ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ إشارة إلى قوله تعالى : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله - ٣٣ التوبة » ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِدُنْيِكَ﴾ الاستغفار من حيث هو عبادة مستحبة مع عدم الذنب ، ومعه واجبة ، بل قوله تعالى : « هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروا - ٦١ هود » يدل بظاهره على أن الاستغفار يجب على العباد مطلقاً وفي كل حال ، لأنه تعالى هو الذي خلق ورزق ، والاستغفار شكر على نعمة الخلق والرزق ٥٦- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾ وهي الأدلة على الإيمان بالله واليوم الآخر وكتبه ورسله ﴿بغير سلطان أنهام﴾ بل يردون البرهان القاطع بالكلام الفارغ ﴿إِنْ فِي صُلُوبِهِمْ إِلَّا كِبَرٌ﴾ أي إلا تكبر على اتباع الحق ، وبإلا عناد له ولن جاء به ﴿مَا هُمْ بِبَالِغِهِ﴾ لا يبلغون مراده بحال من الانتصار على الحق والنيل منه ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ من التكبر وأهله ، ومن شرهم وشر كل ذي شر .

٥٧- ﴿لَخَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ حقيقة الكون وأنه أكبر

وأعظم من خلق الإنسان ، والدليل الحسي على أن أكثر الناس يجهلون الكون أن العلماء القدامى كانوا يعتقدون بأن الإنسان أعجب الكائنات العلوية والأرضية ، وأن الكون بكامله مسخر له ، وأن الأرض هي مركز الكون ، ثم بدد العلم الحديث هذا الاعتقاد ، وأثبت أن الإنسان ليس أعظم الكائنات ، ولا الأرض مركزاً للكون ، ولا الكون مسخراً للإنسان بكل ما فيه ومن فيه ، لأنه لا حد له ولا نهاية ، ولأن فيه بلايين البلايين من الكائنات التي يستحيل على الإنسان الوصول إليها بالكامل فضلاً عن تسخيرها لخدمته ومصلحته .. وهذا ما نطق به القرآن الكريم منذ ١٤ قرناً ، وهكذا كلما تقدمت العلوم ازدادت معاني القرآن وضوحاً في الأذهان .

٥٨-٥٩- ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ...﴾ هذا طبيعي وبديهي ، لا يحتاج إلى بيان ، وإنما بين سبحانه لمجرد التذكير بأن الكفاءة هي بالعلم والخلق الكريم والعمل الصالح النافع لا بجاه أو حسب أو مال ، وتقدم في الآية ٥٠ من الأنعام وغيرها .

٦٠- ﴿وَقَالَ رَبِّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ المراد

يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَوَرَّثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِدُنْيِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبَرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَنْذَرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ السَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ لَّارِيبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُ

٦٧-٦٨- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يَتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قُضِيَ أَمْرُ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ٦٨ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يَصْرَفُونَ ٦٩ الْعَجَبُ مِمَّنْ جَادَلَ فِي اللَّهِ وَهُوَ يَرَى هَذَا الْكَوْنَ فِي نِظَامِهِ وَانْسِجَامِهِ وَاسْتِمْرَارِهِ فِي جَمِيعِ أَشْيَائِهِ وَمَحْتَوَاتِهِ . كَيْفَ غَفَلَ وَذَهَلَ عَنْ كُلِّ ذَلِكَ ؟

٦٩-٧٠- ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ﴾ بِالْقُرْآنِ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ﴾ مِنَ الْوَحْيِ وَالْأَحْكَامِ ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ٧٠﴾ مَا يَحِلُّ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ ، وَمَنْهُ :

٧١-٧٢- ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي الْقِيُودِ الَّتِي لَا يَرْجَىٰ خَلَاصَهُمْ مِنْهَا﴾ فِي أَعْنَاقِهِمُ وَالسَّلَاسِلُ يَسْجُونَ ﴿بِهَا إِلَىٰ نَارِ الْجَهَنَّمَ .

٧٣-٧٤- ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ؟ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَضَعُونَكُمْ أَوْ يَضْرِبُونَ ؟ ﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾ غَابُوا عَنْ أَعْيُنِنَا ﴿بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا﴾ أَيَّ تَبَيَّنَ لَنَا الْآنَ أَنَّ الَّذِينَ عِبَدْنَا لَيْسُوا بِشَيْءٍ ﴿كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ أَيَّ يَهْلِكُهُمْ بِضَلَالِهِمْ .

٧٥- ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ

الْعَالَمِينَ ٦٦﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يَتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ٦٧ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قُضِيَ أَمْرُ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ٦٨ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يَصْرَفُونَ ٦٩ الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَمِمَّا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلًا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ٧٠ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْجَبُونَ ٧١ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ٧٢ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ٧٣ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ٧٤ ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ

اللغة :

قرراً مستقراً . وتبارك تقدس وتعالى . وطفلاً اسم جنس يشمل جميع الأطفال ، ويكون المعنى يخرج كل واحد منكم طفلاً .

الإعراب :

ثم ﴿لتبْلُغُوا﴾ متعلق بمحذوف أي يتيقّم لتبْلُغُوا . ﴿ثم لتكُونُوا﴾ أيضاً متعلق بمحذوف أي فعل ذلك لتكُونُوا . ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا﴾ بدل من ﴿الَّذِينَ يَجَادِلُونَ﴾ . وإِذْ في محل نصب يعلمون . ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ و﴿أَيْنَ﴾ خبر مقدم و﴿مَا﴾ موصول بمعنى الذين مبتدأ . وذلك مبتدأ ومما كنتم خير .

الحق وبما كنتم تمرحون ﴿٧٦﴾ الفرح : السرور ، والمرح : شدة الفرح ، والآية تخاطب المشركين ، ولكن الحكم والتوبيخ ، يعم ويشمل الكثير ممن يدعون الإيمان ، ثم يفرحون باليسير ينالونه من الدنيا ، ولا يحزنهم الكثير مما يفوتهم من خير الآخرة . بل هذا الذم والتفريع ، بهم الصق وألق ، لأن المشركين والكافرين أقبلوا على الدنيا وهم كافرون بالدين ظاهراً وباطناً ونحن امتطينا الدين إلى الدنيا !

٧٦- ﴿أَدْخِلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ اتفق المسلمون قولاً واحداً على أن الكفر بالله يوجب الخلود في النار ، واختلفوا في المسلم الذي لا ينتهي عن كبار الذنوب والآثام ، وأكثر المذاهب الإسلامية على أنه لا يخلد ، بل يدخل النار إلى أمد . ولكن الله سبحانه قال في الآية ٩٣ من النساء : « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها » وفي الآية ٣٢ من المائدة : « فكأنما قتل الناس جميعاً » ومهما شككت فإني لا أشك إطلاقاً أن من يتجر بالدين ، ويمتطيه إلى الدنيا وحطامها فهو في حكم الكافر من حيث الخلود في النار لقوله تعالى : « ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها - ١٤ النساء » وأي عصيان وتعد أعظم من هذا التعدي والعصيان ؟

٧٧- ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ تقدم في الآية ٥٥ من هذه السورة ﴿فَإِذَا نُفِثَ﴾ يا محمد ﴿بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ﴾ من العذاب في الدنيا لأنهم كذبوك وأذكوك ، أو نختارك إلينا قبل ذلك ، وتشهد عذابهم في الآخرة .

٧٨- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ﴾ تقدم في الآية ١٦٤ من النساء ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ المعجزة بيد الله لا بيد رسوله ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ وهو يوم القيامة ، رأيت المكذبين في عذاب الجحيم .

٧٩- ٨١- ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ﴾ ... ﴿لَا حَكْمَ شَرْعِي هُنَا وَلَا أَيُّ غُرْضٍ سِوَى أَنْ تَذَكَرَ وَتَشْكُرَ﴾ إفضاله وإنعامه تعالى ، ولا يلهيها عنه الأموال والأولاد والأشغال ، وتقدم في الآية ١٤٢ من الأنعام وغيرها .

٨٢- ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا﴾ ... ﴿قَرَأْتُ مِنْ جُمْلَةٍ مَا قَرَأْتُ مَا نَشَرْتَهُ جَرِيدَةً أَخْبَارِ الْيَوْمِ الْمَصْرِيَّةِ ٢٨- ١٠ ١٩٧٢﴾ مقالاً بعنوان انظروا معجزة من السماء ، جاء فيه : « فقد أُنْجِجَ للأجيال أن تترك أن كل ما جاء به القرآن هو الحق ، من ذلك أن الحفريات والعلوم والآثار استطاعت تحقيق موقع انفلاق البحر عندما خرج موسى باليهود من مصر ، وسفينية نوح ، وآثار مدينة سبأ ، وحفريات سيدنا يوسف ... إلى جانب العلوم الحديثة » وهنا يكمن السر لتوكيد القرآن وحته على النظر في حياة الأمم الماضية وما تركته من آثار - في هذه الآية والآية ١٠٩ من يوسف و٤٦ من الحج و٩ من الروم و٤٤ من فاطر ، وأيضاً يأتي .

الإعراب :

﴿وأبواب﴾ منصوبة بنزع الخافض أي ادخلوا في أبواب ﴿فنبس مئوى المكبرين﴾ المخصوص بالذم محذوف .

فِي الْأَرْضِ يَغْيِرُ الْحَقُّ وَيَمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٦﴾ أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَنُفِثَ مِثْوَى الْمُكْبَرِينَ ﴿٧٧﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِذَا نُفِثَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ تُتَوَفَّيْنِكَ فَإِلَيْنَا يَرْجِعُونَ ﴿٧٨﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فَفُتِنَى بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُفْطِلُونَ ﴿٧٩﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَكَرَّ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفَالِكِ تَحْمِلُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

٨٣- ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ بالحجج والدلائل القاطعة ﴿ فرحوا بما عندهم من العلم ﴾ المراد بفرحوا هنا اغتروا ، والمعنى أعرضوا عن الرسل ومعجزاتهم وأولئهم ، واستغنوا جهلاً وغروراً بما يملكون من أسباب العيش .

٨٤-٨٥- ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ حين كانوا في أمان كفروا بالله ، ولما رأوا العذاب قالوا : آمنا ! كيف وهل يجتمع الإيمان ويستقيم مع الضغط والقوة القاهرة ؟ وفي الحديث : « لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه » ﴿ سنة الله ﴾ والعقل والناس والطبيعة أن الإيمان لا يكون ولن يكون إلا بإرادة مختار للإيمان ، أما إرادته حين العذاب فهي إرادة الخلاص من العقوبة ، ولا صلة لها بالإيمان من قريب أو بعيد .

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ فَصَّلَتْ وَهِيَ الْفَاتِحَةُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿ حم ﴾ تقدم في أول البقرة .

٢- ﴿ تنزيل من الرحمن الرحيم ﴾ القرآن رحمة نزل به روح القدس الأمين جبريل من الرحمن على قلب محمد الرؤوف الرحيم .

كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدُّ قُوَّةً وَآتَانَا فِي الْأَرْضِ قَلِيلًا
أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ
بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ
مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٤﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا
آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٥﴾ فَلَمْ
يَكُنْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ
خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَا لِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٦﴾

(٤١) سُورَةُ فَصَّلَتْ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ٤٥ نَزَلَتْ بَعْدَ غَافِرٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ كِتَابٌ

اللغة :

فُصِّلَتْ بُيِّنَتْ . وَاكْتَنَ جَمْعُ كَتَنَ وَهُوَ الْغَطَاءُ . وَالْوَقْرُ الصَّمَمُ . وَغَيْرُ مَعْنُونَ أَي لَا يَمُنْ بِهِ عَلَيْهِمْ . وَقِيلَ : غَيْرُ مَقْطُوعٍ .

الإعراب :

﴿فَإِي آيَاتِ اللَّهِ﴾ مفعول ﴿تَنَكَّرُونَ﴾ ، ويَجُوزُ فَايَةُ بَالْتِئَاءٍ ، وَقِيلَ : إِنْ التَّذْكِيرُ أَشْهُرُ وَأَكْثَرُ . وَ﴿قُوَّةً وَآتَانَا﴾ تَمْيِيزٌ . ﴿وَحْدَهُ﴾ حَالٌ مِنَ اللَّهِ . وَسُنَّةٌ مَنْصُوبَةٌ عَلَى الْمَصْدَرِ أَي سُنَّتَهُمْ سُنَّةَ اللَّهِ . ﴿تَنْزِيلٌ﴾ خَبَرٌ لِبَتْدَاءِ مَحْلُوفٍ أَي هَذَا تَنْزِيلٌ . ﴿وَكِتَابٌ﴾ بَدَلٌ مِنَ ﴿تَنْزِيلٍ﴾ أَوْ خَبَرٌ ثَانٍ .

٣- ﴿ كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ ﴾ يَنْتِ أَحْكَامُهُ وَمَعَانِيهِ ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ لِأَنَّ الرُّسُولَ عَرَبِيٌّ ، وَأُنْذِرُ بِهِ عَشِيرَتَهُ الْأَقْرَبِينَ أَوَّلَ مَنْ أُنْذِرُ - بِأَمْرِ اللَّهِ - ثُمَّ أُنْذِرُ بِهِ قَوْمَهُ ، وَأَمْرُهُمْ أَنْ يَلْفُتُوا الْعَالَمَ كُلَّهُ رِسَالَةُ الْإِسْلَامِ ، كَمَا هُوَ دَابُّ أَصْحَابِ الْمِبَادِي وَالْعَقَائِدِ ، فَاسْتَجَابُوا لِأَمْرِهِمْ ، وَدَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا مِنْ شُعُوبِ الْعَالَمِ ، ثُمَّ أَهْلُوا بِلَ وَعَمِلُوا بِتَنَاهِيهِمْ ، عَلَى ضَعْفِ الْإِسْلَامِ بَلْ أَجْهَزُوا عَلَى تَطْيِيقِ أَحْكَامِهِ وَتَعَالِيهِ ! وَلَا أُدْرِي هَلْ يَسْتَقْبِلُونَ أَوْ يَسْتَمْرُونَ فِي هَذِهِ الْحَبْنَةِ ؟

٤- ﴿ بِشِيرًا ﴾ بِمَجْدِ قَائِمٍ ، وَسُلْطَانٍ دَائِمٍ أَنْ اسْتَمْسَكُوا بِعُرْوَةِ الْقُرْآنِ ﴿ وَنَذِيرًا ﴾ بِالضَّعْفِ وَالْخِزْيِ وَالْمَذَلَّةِ وَالْمُهَانَةِ أَنْ أَعْرَضُوا عَنْهُ ﴿ فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ ﴾ فَسَاءَتْ عَاقِبَةُ الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ .

٥- ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْثَنِ ﴾ جَمْعُ كَتَانٍ وَهُوَ الْغَطَاءُ ﴿ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ ﴾ صَمٌّ عَمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ﴿ وَمَنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ ﴾ أَبَدًا لَا حِجَابَ إِلَّا قَاعَةُ الْجَهْلِ وَالْبَنِي وَالسُّوءِ وَلَا حَيَاةَ لِقَوْمٍ يَقُودُهُمْ هَؤُلَاءِ .

٦- ﴿ قُلْ ﴾ يَا مُحَمَّدُ : ﴿ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ ﴾ هَذِي هِيَ رِسَالَتِي أُعَلِّمُ عَلَى الْأَجْيَالِ ، فَادْرُسُوهَا بِتَجَرُّدٍ وَإِنْصَافٍ ، تَجَلُّبُوهَا دَعْوَةَ الْحَقِّ وَالْعَقْلِ وَالصَّلَاحِ وَالْإِصْلَاحِ ، وَتَقَدَّمْ فِي الْآيَةِ ١١٠ مِنَ الْكَهْفِ .

٧-٨- ﴿ الَّذِينَ لَا يَأْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ هَذِي الْآيَةُ مَكِّيَّةٌ لِأَنَّ السُّورَةَ مَكِّيَّةٌ بِالْكَامِلِ ، وَزَكَاةُ الْمَالِ الْوَاجِبَةُ نَزَلَتْ بِالْمَدِينَةِ وَفِي تَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ الْمُرَادَ بِالزَّكَاةِ هُنَا التَّوْحِيدَ . وَلَيْسَ هَذَا يَبْعِيدُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى بَلَا فَاصل : ﴿ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ وَهُمْ « الثَّانِيَةِ مَجْرَدُ تَوْكِيدٍ لِلأُولَى .

٩- ﴿ قُلْ أَنْتُمْ لَكُمْ تَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ أَيِ دَفْعَتَيْنِ أَوْ طَوْرَيْنِ حَيْثُ لَا أَيَّامَ قَبْلَ خَلْقِ الْأَرْضِ .

١٠- ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي ﴾ جِبَالًا ﴿ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا ﴾ حَيْثُ أَخْرَجَ مَاءَهَا الْأَبْيَضَ وَالْأَسْوَدَ ، وَأَنْبَتَ مَرْعَاهَا لِلْأَنْعَامِ وَالْإِنْسَانَ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْعُنَاصِرِ وَالْمَعَادِنِ ﴿ وَقَلَّصَ فِيهَا أَنْهَارَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ﴾ قَالَ الْمَفْسُورُونَ : كَانَ خَلْقُ الْأَرْضِ فِي يَوْمَيْنِ وَتَقْدِيرُ الْأَنْهَارِ فِي يَوْمَيْنِ ، فَالْمَجْمُوعُ أَرْبَعَةُ أَيَّامٍ ﴿ سِوَا لِلْسَّائِلِينَ ﴾ الْمُرَادُ بِالْسَّائِلِينَ هُنَا الْمَحْتَاجُونَ ، وَالْمَعْنَى أَنَّ الْخَلْقَ بِالْكَامِلِ سِوَا فِي خَيْرَاتِ الْأَرْضِ وَبِرَكَاتِهَا .

١١- ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى ﴾ تَصَدَّ ﴿ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾

الإعراب :

﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ صِفَةُ لِقُرْآنٍ وَبَشِيرًا وَنَذِيرًا صِفَةُ أُخْرَى هُمْ كَافِرُونَ « هَمْ » تَاكِيدٌ لـ « هَمْ » الْأُولَى . « سِوَا » مُتَصَرِّبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ أَيِ « اسْتَوَى سِوَاً وَاسْتَوَاهُ » .

في الآية ٧ من هود « وكان عرشه على الماء » وتدل هذه الآية أن الماء كان موجوداً قبل خلق السموات والأرض ، وعليه يكون المراد بالدخان بخار الماء كما ذهب إليه بعض الفلاسفة القدامي ﴿ فقال لها ﴾ للسماء ﴿ وللأرض اتنيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين ﴾ هذا القول ينطق به لسان الحال والواقع ويعلن في كل حين أن الكون بما فيه ومن فيه منقاد لأمره تعالى ، ومستسلم لمشيئته .

١٢- ﴿ ففصاهن سبع سموات ﴾ المراد بالسموات السبع الأكران السبعة لا الكواكب السبعة ، وقد يكون ذكر السموات السبع منزلاً على عادة الناس في مخاطبتهم حيث يقولون السموات السبع والأرضون السبع قبل نزول القرآن ﴿ وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح ﴾ خلق في كل سماء ما فيها من الكواكب وغيرها مما علمه عند خالقه ﴿ وحفظاً ﴾ يحفظ الله الكون بسنن محكمة وثابتة ﴿ ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ وفي الآية ٢٣ من الرسائل « فقدرنا نعم القادرون » على أن نعطي كل كائن جميع ما يحتاج إليه في عالمه .

١٣- ﴿ فإن أعرضوا قل أنزلتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ﴾ قل يا محمد لمن أعرض عنك وعن دعوتك : اني أخاف أن يصيبكم الله بعذاب من عنده مثل ما أصاب الأولين .

١٤- ﴿ إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ﴾ أي بالغوا واجتهدوا في الإرشاد والتبليغ وسلكوا إليه كل

سبيل ، فما كان جواب الرسل إليهم إلا أن ﴿ قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة ﴾ لا يرسل الله بشراً من الأرض ، بل يرسل ملائكة من السماء ، وتقدم في الآية ٢٤ من « المؤمنون »

١٥- ﴿ فاما عاد ﴾ قوم هود فأخذتهم العزة بالإثم ﴿ وقالوا من أشد منا قوة ﴾ فأجابهم ﴿ أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة ﴾ ؟ وهل المخلوق بشيء يذكر إذا نسب إلى خالقه ؟ قال الإمام علي (ع) : كل عزيز غير الله ذليل ، وكل قوي غير الله ضعيف ، وكل مالك غير مملوك ، وكل عالم غير متعلم ، وكل قادر غير بقدر ويعجز .

١٦- ﴿ فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً ﴾ باردة مهلكة ﴿ في أيام نحسات ﴾ نكدات ، وتقدم في الآية ١٦ من فصلت .

الإعراب :

طوعاً أو كرهاً مصدر في موضع الحال أي الطائعين أو كارهين . « وسبع سموات ﴾ حال من ضمير فصاهن . وحفظاً منصوب على المصدر . المصدر من « ألا تعبدوا » مجرور بباء الجر المحذوفة أي جاءتهم بعدم العبادة لغير الله . و « عاد » مبتدأ واستكبروا خبر . « وقوة » تميز .

إِلَى السَّمَاءِ وَمِمَّى دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا
أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١٢﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ
سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا
السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ
الْعَلِيمِ ﴿١٣﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً
مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٤﴾ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ
بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ
شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٥﴾
فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ
أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ
أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَحْمَدُونَ ﴿١٦﴾ فَأَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَبْلُوهُمْ عَذَابَ

١٧-١٨ ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴿١٧﴾ دَعَوْنَاهُمْ إِلَى الْهُدَى ، فَاخْتَارُوا الْعَمَى ، وَتَقَدَّمَ فِي الْآيَةِ ٦٢ وَمَا بَعْدَهَا مِنْ هُودٍ .

١٩- ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ يُجَسِّسُونَ فِي الْعَذَابِ أَوْ يَدْفَعُونَ إِلَيْهِ بِعُتْفٍ .

٢٠- ﴿ حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا ﴿٢٠﴾ أَيَّ جَاءُوا لِلشَّهَادَةِ ﴿٢٠﴾ شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ ﴿٢٠﴾ أَنَّهُمْ سَمِعُوا التَّبْلِغَ وَالْإِشْرَادَ ﴿٢٠﴾ وَأَبْصَارُهُمْ ﴿٢٠﴾ أَنَّهُمْ رَأَوْا الْمُبْلَغَ وَالْمُرْشِدَ ﴿٢٠﴾ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ يَمَارِسُونَ مِنَ الْمَحْرَمَاتِ .

٢١- ﴿ وَقَالُوا لَجُلُودُهُمْ لَمْ شَهِدَتْ عَلَيْنَا ﴿٢١﴾ وَكُنَّا نَحْرَصُ عَلَيْكُمْ حِرْصًا عَلَى أَنْفُسِنَا ﴿٢١﴾ قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ ﴿٢١﴾ بِالْحَقِّ ، وَمَنْ أَلْقَى بِيَدِهِ إِلَى الْهَلَاكِ فَلَا يُلَومُنْ إِلَّا نَفْسَهُ .

٢٢- ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ ... ﴿٢٢﴾ حِينَ اقْتَرَفْتُمُ الْجَرَائِمَ وَالْآثَامَ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ وَسْتَارٍ - مَا خَطَرَ لَكُمْ عَلَى بَالِ أَنْ أَعْضَاءَكُمْ سَوْفَ تَشْهَدُ عَلَيْكُمْ ﴿٢٢﴾ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ ﴿٢٢﴾ أَيَّ اعْتَقَدْتُمْ ﴿٢٢﴾ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ أَيَّ لَا يَعْلَمُ مَا تَسْرُونَ ، بَلْ يَعْلَمُ مَا تَعْلَنُونَ فَقَطْ .

٢٣- ﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ ﴿٢٣﴾ هُوَ الَّذِي ﴿٢٣﴾ أَرَادَكُمْ ﴿٢٣﴾ أَهْلَكَكُمْ وَقَادَكُمْ إِلَى جَهَنَّمَ وَبَشِ الْمَصِيرِ ، وَيَنْطَبِقُ هَذَا عَلَى كُلِّ مَنْ يَسْتَرُ فِي الْمَعَاصِي خَوْفًا مِنَ النَّاسِ وَلَا يَخْشَى اللَّهَ حَتَّى وَلَوْ آمَنَ بِهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ .

الْحَزَى فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٧﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٨﴾ وَنَحْنُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٢٠﴾ حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢١﴾ وَقَالُوا لَجُلُودُهُمْ لَمْ شَهِدَتْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تَرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ أَنْ

إشارة:

إن هذا الاعتقاد الباطل هو الذي قادكم إلى جهنم وبئس المصير . وهذا ينطبق أيضاً على الذين يؤمنون باليوم الآخر نظرياً، ويكفرون به عملياً حيث يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله، بل هو أسوأ حالاً ممن أنكر البعث وقدرته الله لأنهم عصوا وهم على يقين بأن الله معهم يسمع ويرى، وأنه لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء .

الإعراب :

﴿ويوم﴾ منصوب بفعل محذوف أي واذكر ﴿يوم﴾ بمشعر . وحتى للغاية . وإذا ما « ماء زائدة . وذلك مبتدأ ، ﴿وظننكم﴾ بدل أو عطف بيان من ذلكم ، والذي صفة لظننكم ، وأرادكم خبر ذلكم .

٢٤- ﴿فَإِنْ يَصِيرُوا﴾ أي المجرمون على النار فهي نصيبهم ومقرهم ﴿وَإِنْ يَسْتَعْبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ أي أن يطلبوا الرضا من الله تعالى فلن يرضى عنهم .

٢٥- ﴿وَقِضْنَا لَهُمْ قَرْنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ المراد بالقرناء هنا النفس الأمارة وبما بين أيديهم أعمالهم في الماضي والحاضر ، وبما خلفهم أعمالهم في المستقبل والمعنى من يعرض عن الله سبحانه يرى الشر خيراً والقيح حسناً والحرام حلالاً في كل ما يقول ويفعل ويقصد ويعتقد ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ العذاب ﴿فِي أُمِّ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من قبل الذين كذبوا محمداً ﴿مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ بمردهم على الله ورسوله .

٢٦-٢٨- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ كان لإعجاز القرآن أبلغ الأثر في النفوس ، فتواصى عتاة الشرك والبيغي أن بلغوا ويهدؤا بصوت عال عند تلاوته كي يضلوا السامع عنه ، فتوعدهم سبحانه بأسوأ العذاب لأن أعمالهم أسوأ السيئات .

٢٩- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من الضعفاء التابعين ﴿رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ الأقوياء المتبوعين ﴿نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ يتبرأ المضل من الضال عند الحساب والعقاب ، ويحاول الضال التشتي من المضل بكل سبيل ، ولو استطاع لداسه بالأقدام ، وقطعه بالأسنان .

٣٠- ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَاهُ﴾ على

فَأَصْبَحَتْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٦﴾ فَإِنْ يَصِيرُوا فَالْنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٥﴾ * وَقِضْنَا لَهُمْ قَرْنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٣١﴾ إِنَّ الَّذِينَ

إشارة:

دهش الطفلة حين رأوا أثر القرآن وسلطانه على النفوس، وماجوا في حيرة: ماذا يصنعون بعد أن عجزوا عن مقارعة بالبرهان، ومقابلة الحق بالهجة... ثم اتفقوا أن يجاربوه بالباطل، ويصفوه بالسحر والأساطير، ويقابلوا تلاوته بالتشويش والهديان... بهذا السخف والجهل يتصرفون لباطلهم، ويريدون أن يطفئوا نور القرآن... وإذا دل قومه: «والغوا فيه لعلكم تغلبوه» إذا دل على شيء. فلما يدل على اعترافهم بالعجز إلا عن اللغو والهديان، وأن القرآن هو حصن الله الحصين الذي أعجز ويمجز الفكر الانساني على مدى العصور والأزمان.

الإعراب:

﴿ذلك﴾ مبتدأ وجزاء أعداء الله خبر. ﴿والنار﴾ بدل من ﴿جزاء﴾. وجزاء منصوب على المصدر أي يجزي بالنار جزاء.

طاعة الله حتى النفس الأخير فهم المؤمنون حقاً ﴿ تَتَوَلَّوْنَ عَلَيْهِمْ ﴾ عند الموت ﴿ الْمَلَائِكَةُ ﴾ بالبرى من الله بأن لهم عنده لزلفى وحسن المآب ، أما الذين قالوا : ربنا الله ، ثم قاسوا كل ما في الوجود بالمنافع والنقود ، فهم شر من الشر لهم في الدنيا خزي ، ولهم في الآخرة ما هو أخزى وأشد تنكيلاً .

٣١- ﴿ نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ ما زال الكلام للملائكة الرحمة مع الذين أطاعوا واستقاموا على الطاعة ، وتقول الملائكة هؤلاء عند الإحتضار : لا تخافوا ، فمما قليل تجدون ما تشتهي أنفسكم وتلذذ الأعين .

٣٢- ﴿ نَزَلْنَا ﴾ ضيافة وإكراماً ، وانصب على الحال من اسم الموصول وهو « ما » ﴿ من غفور ﴾ لذنوبكم ﴿ رحيم ﴾ بكم ٣٣- ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً ﴾ وقال إنني من المسلمين ﴿ وإذا قرأنا هذه الآية منضمة إلى قوله تعالى : « قالوا ربنا الله ثم استقاموا » تبين لنا أن الإيمان على ثلاث شعب : الأولى إعلان الإيمان بالله ولو كره الجاحلون ، الثانية العمل بشريعة الله بإخلاص ، الثالثة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أما قوله : انني من المسلمين فمعناه أنا على علم اليقين أي من المهتدين ، وإن ديني هو دين الله القويم .

٣٤- ﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ﴾ بحكم الطبيعة والبدئية وإلا كان المحسن والمسيء والتقي والشقي بمنزلة سواء ﴿ ادفع ﴾ يا محمد من أساء إليك ﴿ بالتي هي أحسن ﴾ فإذا الذي يبك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴿ تعاطف مع الناس ، واصبر على أذاهم ، فإن بعضهم إذا تسامحت معه عاد إلى رشده ولا م نفسه ، وانقلب عداوته لك إلى حب وولاء ، وقد استفاضت كتب السيرة والتاريخ أن شمائل محمد (ص) وأخلاقه هي أخلاق القرآن ، ولا بدع فإن على كل مصلح أن يكون قدوة في دعوته عملاً قبل أن تكون قولاً ، وفعل قبل أن تكون أمراً ونهياً .

٣٥- ﴿ وما يلقاها ﴾ أي فضيلة تدفع السيئة بالحسنة ﴿ إلا الذين صبروا ﴾ صبر الأقوياء الأحرار ﴿ وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾ من الفضائل والمكارم .

٣٦- ﴿ وإما يترغّبك من الشيطان ... ﴾ «إما» كلمتان : إن الشرطية وما الزائدة ، والتعليق على محال ليس بمحال ، فقوله تعالى : لئن أشركت ليحبطن عملك - ٦٥ الزمر ، يخاطب به من لا يشرك حتى ولو شق ، وتقدم بالحرف في الآية ٢٠٠ من الأعراف .

٣٧- ﴿ ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجلوا للشمس ولا للقمر ... ﴾ الخطاب للصائبة وكل من يعبد الكواكب . والمعنى ما هذه إلا مخلوقات لله تعالى خاعبده وحده لا شريك له ، ويجب السجود عند تلاوة هذه الآية أو الإستماع إليها ، والآية ١٥ من سورة السجدة و٦٢ من النجم و١٩ من العلق .

قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا نَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣١﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣٢﴾ نَزَلْنَا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٣﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٤﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٦﴾ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٧﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ

وَلَا لِقَمَرٍ وَانْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ
تَعْبُدُونَ ﴿٣٨﴾ فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ
يَسْتَحْسِنُونَ لَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْخَمُونَ ﴿٣٩﴾
وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا
عَلَيْهَا الْمَاءَ أَهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي
الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ
فِي آيَاتِنَا لَا يَحْفَظُونَ عَلَيْنَا أَفَنُيْلَقَ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ
مَنْ يَأْتِي بِنَارٍ وَأَمَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ
وَأَنَّهُمْ لَكِنِّي عَزِيزٌ ﴿٤٢﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ
وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٣﴾ مَا يَقُولُ
لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ

٣٨- ﴿ فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا ﴾ أي إن أصر عبدة الكواكب،
على الشرك فإن الله غني عنهم وعن عبادتهم ، وعنده عباد
من الملائكة وغيرهم ﴿ يَسْتَحْسِنُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا
يَسْأَمُونَ ﴾ عن عبادته مهما طال الأمد .

٣٩- ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً ... ﴾
هامة ، وتقدم في الآية ٥ من الحج وغيرها .

٤٠- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا ﴾ يطعنون في
القرآن ويقولون : هو كذب وسحر ، فليقولوا ما يشتهون ،
ويعملوا ما يشاءون ، فإن الله بهم عليهم ، وأعد لهم ما يستحقون
من عذاب الجحيم .

٤١- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ ﴾ وهو القرآن ،
وخير إن محذوف أي معذبون .

٤٢- ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾
المراد بالباطل هنا المبطل ، والمعنى لا قوة في الكون لاحقة
أو سابقة تستطيع أن تبطل حقيقة من حقائق القرآن أو أي
شيء مما نطق به ، وتقدم في الآية ٩ من الحجر .

٤٣- ﴿ مَا يَقُولُ لَكَ ﴾ يا محمد ﴿ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ
لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ كذبت رسل من قبل فصرخوا ، وكذبت
أنت فاصبر ، والعاقبة لك على من كذبك وآذاك ، وتقدم
في الآية ٤ من فاطر .

اللغة :

خاضعة هامة لا حياة فيها . وريت زادت . والإلحاد الانحراف عن الحق والمراد به هنا الطعن في القرآن . وحيد محمود . والفرق بين
الاعجم والعجمي ان الاعجم من لا يفصح وان كان عربياً ، والعجمي المنسوب الى العجم . وقد يطلق أحدهما على الآخر . والوقر
الصمم .

الإعراب :

المصدر من انك ﴿ ترى ﴾ مبتداً وخبره من آياته . و﴿ ترى ﴾ هنا بصرية تحتاج الى مفعول واحد وهو الأرض . و﴿ خاشعة ﴾ حال .
و﴿ آمناء ﴾ حال من ضمير يأتي . وان ﴿ الذين كفروا ﴾ بدل من ان ﴿ الذين يلحدون ﴾ ، وخبر ان محذوف أي معذبون أو لا يحفظون علينا ،
وقد حذف من الثاني دلالة الأول عليه . وعزيز صفة لكتاب ، وجلة لا يأتيه صفة ثانية ، وتنزيل صفة ثالثة .

٤٤- ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَبِيَّا﴾ الفرق بين الأعجمي والعجمي أن الأعجم لا يفصح ويبين وإن كان عربياً ، والعجمي المنسوب إلى العجم وإن كان فصيحاً ﴿لَقَالُوا لَوْلَا فَصَلَتْ آيَاتُهُ أَعْجَمِي وَعَرَبِي﴾ نزل القرآن مفصلاً بلغة العرب ، فأنكره المماندون منهم للحق ، ولو نزل بغير لغتهم لقالوا : أنسي عربي وكتاب أعجمي ، فهم منكرون له طاعون فيه على كل حال ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى﴾ لعقل من طلب الحق لوجه الحق ﴿وَشَفَاءٌ﴾ لصدر من يشكو من داء الشك والريب ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ولا يفكرون إلا بمتعتهم وحشعهم أولئك ﴿فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ أي يستحيل أن يستجيبوا لدعوة الحق أياً كان مصدرها ﴿أُولَئِكَ يَتَنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ لا يسمعون نداء الحق حتى كأن بينهم وبينه بعد المشرقين ، وإن كان أقرب إليهم من حبل الوريد .

٤٥- ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلعه فيه ﴾ اعترفت به فئة ، وأنكرته أخرى تماماً كما هو الشأن في القرآن والإنجيل ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك ﴾ بتأجيل العذاب إلى يوم القيامة ﴿ لقضي بينهم ﴾ بتعجيل العقاب ﴿ وإنيهم لفي شك منه ﴾ من القرآن ﴿ مرعب ﴾ يحادلون في القرآن وهم على غير بصيرة من أنفسهم ، بل ويعلمون أنهم يخطئون خيط عشاء ، ولكنهم يتظاهرون بالعلم والمعرفة وما أكثر هذا النوع .

٤٦- ﴿ من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ... ﴾

ما من أحد يؤخذ ويعاقب بالعدل في الدنيا والآخرة إلا إذا كان هو بالذات السبب الموجب للأخذ والعقاب بحيث لو كان هو الحاكم العادل لحكم على غيره بنفس ما حكم الغير عليه .

٤٧- ﴿إِلَيْهِ يَرْجِعُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ لا أحد يعلم متى تقوم القيامة إلا هو ، ولا تخفى عليه من خافية ، وتقدم في الآية ٥٩ من الأنعام و ٣٤ من لقمان وغيرها .

٤٨- ﴿ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ ﴾ قد يكون للإنسان في الدنيا صمم أو مال أو شيء يعتز به حتى إذا قامت القيامة لم يجد شيئاً إلا عمله

٤٩- ﴿لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دَعَاءِ الْخَيْرِ﴾ يلح في طلب المال والجاه والصحة والأمان .

الإعراب :

ولولا أداة تحضيض بمعنى هلا . وأعجمي خبر لمبتدأ محذوف وكذلك عربي أي أكتاب أعجمي ونبي عربي . فلفنسه متعلق بمحذوف خبراً لمبتدأ محذوف أي فعمله نفسه ﴿وما تخرج وما تحمل﴾ «ما» نافية ﴿من ثمرات﴾ «من» زائدة وثمرات فاعل تخرج . ومن أكمأها متعلق بمحذوف صفة لثمرات . ويعلمه متعلق بمحذوف حالاً أي إلا كائنًا بعلمه . وما لهم من محيص «من» زائدة ومحيص مبتدأ وخبره لهم .

الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَعْوِضْ .
 قَنُوطٌ ﴿٥٠﴾ وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَّسَّهُ
 لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ
 إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَاحْسَنَ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
 بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥١﴾ وَإِذَا
 أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَا بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَإِذَا مَسَّهُ
 الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ
 عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ
 بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ
 يَتَّبِعُنَّ لَهُمُ اللَّهُ أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
 شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيبَةٍ مِّنْ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ
 أَلَّا يَنْهَوُا عَنِ كُلِّ شَيْءٍ مَّحِطٌ ﴿٥٥﴾

﴿ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَعْوِضْ ﴾

يعطّر صوابه وتنهار أعصابه .

٥٠- ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَّسَّهُ ﴾
 يقولون هذا لي ﴿ حق لازم ، ولا فضل لأحد علي ، لأني
 أملك كل المؤهلات والكفاءات لهذا الغنى والخير الذي أنا
 فيه ! وما من شك أن هذا كافر إلا أن يستثني ويقول : لا
 فضل علي إلا لله ﴾ وما أظن الساعة قائمة ﴿ فيه إيماء إلى
 أن الغنى قد يؤدي بالمرء إلى إنكار البعث ﴾ ولئن رجعت
 إلى ربي ﴿ وإن صَحَّ أن هناك نشرًا وحشرًا فمكاني مضمونة
 عند الله ، لأن العظيم عظيم أينما كان ويكون ، وإذا لم يكن
 لهذا المغرور الكفور إلا هذه العطرسة لكفى بها جرماً وجريمة ،
 وتقدم في الآية ٣٢ - ٤٤ من الكهف ﴿ فلننبئ الذين كفروا
 بما عملوا ... ﴾ كل الأقوال والأفعال والمقاصد هي في
 علم الله ، دقيقها وجليلها ، خيرها وشرها ، وبمثلها وقدرها
 يكون الثواب والعقاب .

٥١- ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ ... ﴾ إن استغنى

بطر وفتن ، وإن افقر قنط ووهن كما قال الإمام علي (ع)
 وتقدم مراراً ، منها الآية ٩ وما بعدها من سورة هود .

٥٢- ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ
 بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ قل يا محمد للذين
 كذبوا بالقرآن : أخبروني ماذا يكون حالكم ومآلكم لو كان
 القرآن حقاً من عند الله ؟ أستم عندئذ مخالفين للحق مكابرة
 وعناداً ؟ ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ ﴾ أي في أشياء الكون

كله أرضاً وسماً ﴿ وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه ﴾ أي القرآن هو ﴿ الحق ﴾ يقوم منهج القرآن للرد على خصومه
 ومخالفيه - على أمرين : الأول النظر إلى الشيء المختلف فيه نظرة موضوعية مجردة عن التقليد وكل رأي سابق كما جاء
 في آيات التقليد للآباء والأجداد - الثاني الإعتماد على منطق الحس والعقل سلماً وإيجاباً ، وعلى هذا الأساس قال لعلدة
 الأصنام : إنها لا تنفع ولا تضر ، ولئن آله الكواكب : إنها تأفل وتغيب ، وللمشركين : لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ،
 ولئن قال : البعث محال : من أوجد النشأة الأولى يوجد الثانية ، أما الذين أنكروا وجود الله سبحانه فقد وعدهم أن يكشف
 لهم عن الأدلة الناطقة بوجوده في أنفسهم بالذات ، وفي أشياء الكون بأرضه وسماه ، وصدق بوعده حيث اهتدى
 العلماء قديماً وحديثاً في الكون والإنسان إلى قوانين وسنن وحقائق لا يمكن ويصح تفسيرها إلا بوجود الله ، لأن الفكرة المضادة
 حماقات ، وأشرنا إلى ذلك مراراً فيما سبق ، ووضع العلماء فيه كتباً خاصة ، ومنها على سبيل المثال : الله يتجلى في عصر
 العلم ، والعلم يدعو إلى الإيمان ، والدين في مواجهة العلم .

﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ أودع سبحانه في كل شيء آية ظاهرة واضحة تدل على أنه واحد .

٥٤- ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيبَةٍ مِّنْ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ ﴾ يقول سبحانه : الذين يرتكبون القبائح والمحرمات ، ولا يشعرون بالمسؤولية
 وسوء العاقبة هم الذين يشكون في كل حق ، وإن قام عليه ألف دليل ودليل ، وقد هدد سبحانه هؤلاء بقوله : ﴿ أَلَا
 إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴾ ومنه كتاب المجرمين الذي لا يغادر كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها .

(٤٢) سُورَةُ الشُّورَى مَكِّيَّةٌ وَأَنبِئَانَهَا ثَلَاثٌ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ① عَسَى ② كَذَلِكَ يُوحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ③ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ ④ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ⑤ تَكَادُ السَّمَوَاتُ
يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِنَّ
وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ⑥ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ ⑦ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِظَ
عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ⑧ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا

سُورَةُ الشُّورَى مَكِّيَّةٌ وَأَنبِئَانَهَا ثَلَاثٌ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١-٢- ﴿حَمْدٌ ① عَسَى ②﴾ تقدم في أول البقرة .

٣-٤- ﴿كَذَلِكَ يُوحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ الله العزيز الحكيم ﴿اللَّهُ سبحانه قادر وحكيم ، وبقدرته وحكمته بعث الأنبياء بالحق إلى الخلق ، وجعلهم حجة له على عباده لئلا تجب الحجة لهم بترك الإعذار إليهم .

٥- ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾ وتتشقق الأرض ، وتخر الجبال هدأ من قول المشركين : اتخذ الرحمن ولداً كما أشارت الآية ٩١ من مريم ﴿من فوقهن﴾ أي يحدث انشقاق السموات من أعلاهن ﴿والملائكة يسبحون بحمد ربهم﴾ يزهوونه عن الشريك والولد ﴿ويستغفرون لمن في الأرض﴾ من أهل التوحيد ، ويطلبون الهداية لمن جحد أو أشرك .

٦- ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَلَوْا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ الله حفيظ عليهم ﴿الله يعلم المؤمنين والكافرين والبر والفاجر ، ويجزي كلأ بما يعمل ويدين﴾ وما أنت ﴿يا محمد﴾ عليهم بوكيل ﴿بل أنت بشير ونذير ، وتردد هذا في العديد من الآيات ، منها الآية ١٠٨ من يونس .

٧- ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ واضحاً جلياً . أنظر الآية ٢ من يوسف و٣ من فصلت ﴿لننذر أُمَّ الْقُرَى﴾ مكة المكرمة ﴿ومن حولها﴾ أي والعرب ، ومنهم

اللغة :

حفيظ رقيب . وما أنت عليهم بوكيل أي لست موكلأ بهم . وأم القرى مكة .

الإعراب :

كذلك الكاف بمعنى مثل وجعلها نصب صفة لمفعول مطلق محذوف أي إحياء مثل ذلك . ﴿والله﴾ فاعل ﴿يوحى﴾ . ﴿والذين اتَّخَلَوْا﴾ مبتدأ أول والله مبتدأ ثانٍ ﴿وحفيظ﴾ خبر المبتدأ الثاني والجملة خبر المبتدأ الأول . و﴿قُرْآنًا﴾ مفعول أوحينا .

تنتطق الدعوة وتنتشر في أرجاء العالم كما حدث بالفعل ﴿ وتندبر يوم الجمع ﴾ تدعو الناس إلى الإيمان بيوم القيامة والخوف من حسابه وعذابه .

٨- ﴿ ولو شاء الله لجلهم أمة واحدة ﴾ لو كان الناس مسيرين لا مخيرين لم يكن هناك كفر وإيمان ولا خير وشر ، وتقدم مرات ، ومنها الآية ٤٨ من المائدة ﴿ ولكن يدخل من يشاء في رحمته ﴾ وهم المؤمنون المطيعون لقوله تعالى : « ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرهم الله - ٧١ التوبة » .

٩- ﴿ أم اتخذوا من دونه أولياء فإله هو الولي ﴾ الله ولي العبد بمعنى الناصر له والمتولي لأمواره ، والعبد ولي الله بمعنى المطيع له ولوالي لمن والاه والمعادي لمن عاداه .

١٠- ﴿ وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ﴾ هذه حكاية لكلام الرسول الأعظم (ص) بدليل قوله بلا فاصل : ﴿ ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب ﴾ كل شيء يختلف الناس فيه فمرجه إلى كتاب الله وسنة نبيه ، وتقدم في الآية ٥٩ من النساء : ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول » .

١١- ﴿ فاطر السموات والأرض ﴾ خلق الكون بأرضه وسماؤه ﴿ جعل لكم من أنفسكم أزواجا ﴾ كي تتعاطفوا وتبادلوا الرحمة والمودة ﴿ ومن الأنعام أزواجا ﴾ أصنافاً وذكروراً وإناثاً ، وتقدم في الآية ١٤٣ من الأنعام ﴿ يلدوكم فيه ﴾ يكثركم في هذا التدبير نسلًا بعد نسل وجيلاً بعد جيل .

﴿ ليس كمثله شيء ﴾ ذاتاً ووصفاً ، لأنه خالق كل شيء وفوق كل شيء .

١٢- ﴿ له مقاليد السموات والأرض ﴾ أمور الكون كلها في قبضته ﴿ يسقط الرزق ... ﴾ تقدم في الآية ٢٦ من الرعد .

١٣- ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً ... ﴾ الخطاب في « لكم » للمسلمين ، والمعنى أن الذي جاء به محمد هو امتداد لما جاء به نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ، وإنما خص سبحانه هؤلاء بالذكر لأن لكل واحد منهم شريعة تتفق مع شريعة الآخرين بعقيدتها كالوحيد والبعث ، وبمبادئها وأحكامها كوجوب الواجبات وتحريم المحرمات ، وتدعيم القيم الأخلاقية ومحاربة الانحراف والزبيلة وتفرق عن الأخرى في بعض الفروع الاجتماعية والإقتصادية التي تصلح لزمان الإعراب :

وجهة لارب فيه صفة ليوم الجمع . ﴿ وفريق ﴾ مبتدا وخبره محذوف أي منهم فريق . ومن ولي « من » زائدة إعراباً وولي مبتدا وما لم خبر مقدم ، والجملة خبر الظالمون . أم اتخذوا « أم » بمعنى بل للانتقال من كلام إلى كلام ، وقيل هي بمعنى الهمة فقط . وما اختلفتم « ما » اسم متضمن معنى ان الشرطية ، ويحتاج إلى فعل الشرط وجوابه . ومن شيء « من » بيان لما ، أي كل شيء يختلفون فيه . وذلكم مبتدا والله خبر وربي بدل وفاطر خبر آخر . ويذروكم فيه ضمير فيه يعود إلى الجعل المفهوم من قوله تعالى جعل لكم . وكمثله الكاف زائدة إعراباً أي ليس مثله .

إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا
الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ
إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ
يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ
بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ
مُسَمًّى لَفُصِّى بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكُتُبَ مِنْ
بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مِرْيَبٌ ﴿١٤﴾ فَلَذَلِكَ فَادَعُ وَاسْتَقِمْ
كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا
أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا
وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَالَّذِينَ
يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُمْ جَحْتُهُمْ دَاخِضَةٌ

دون زمان ﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ ﴾ الإسلام ، والمصدر من
أَنْ أَقِيمُوا بدل من « ما وصى » ﴿ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ شعباً
ومذهباً ، إِنْ كُنْتُمْ حَقًّا مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَالْقُرْآنِ ، وَالَّذِينَ
لَا يَجْمَعُهُمُ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ
وَالْإِنْسَانِيَةِ - محال أَنْ يَجْمَعَهُمْ شَيْءٌ إِلَّا جَبْفَةً يَنْكَالِبُونَ عَلَيْهَا
تَمَاماً كَوَحْشِ الْغَابِ ﴿ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾
يَا مُحَمَّد ، أَوَّلَ لَأَنْكَ لَا تَمْلِكُ مَالاً وَلَا سُلْطَاناً ، ثَانِياً لَأَنْكَ
تَدْعُو إِلَى الْحَقِّ ، وَمَا هُمْ مِنْ أَهْلِهِ وَلَا فِي مَعْدَنِهِ ﴿ اللَّهُ يَجْتَبِي
إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ كَبُرَ وَثَقُلَ عَلَى الْعِتَاءِ أَنْ تَكُونَ رَسُولاً يَا مُحَمَّد ،
وَلَكِنْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِشِمَائِلِكَ وَفَضَائِلِكَ ، وَلِذَا اخْتَارَكَ سَيِّدَا
لِلرُّسُلِ وَخَاتَمَا لِلْأَنْبِيَاءِ ﴿ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ مَنْ يَلْجَأُ
إِلَيْهِ بِصُلُقٍ وَإِخْلَاصٍ ، وَفِي الْآيَةِ ١١ مِنَ الْغَابِ : « وَمَنْ
يُؤْمِنِ اللَّهُ يَهْدِ قَلْبَهُ » .

١٤- ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا
بَيْنَهُمْ ﴾ اختلفنا في الحق ونحن أعلم الناس به ، وإِذْنٌ لَا سَبَبَ
مُوجِبَ لِلخِلَافِ إِلَّا خَبَثُ السَّرَائِرِ ، وَتَقَدَّمَ فِي الْآيَةِ ٢١٣
مِنَ الْبَقَرَةِ ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ ... ﴾ شَاءَتْ
حُكْمُهُ أَنْ يَرْجَى الْعَذَابُ لِيَوْمِ الْمَعَادِ وَإِلَّا لَأَخَذَ بِهِ الطَّعَاةُ فِي
هَذِهِ الْحَيَاةِ ، وَتَقَدَّمَ فِي الْآيَةِ ١٩ مِنْ يُونُسَ ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ
أُورِثُوا الْكُتُبَ ﴾ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى الْمَعَاصِرُونَ لِمُحَمَّدٍ (ص)
﴿ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ مَنْ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ أَوِ الْأَجْيَالِ السَّابِقَةِ ﴿ لَفِي
شَكٍّ مِنْهُ ﴾ مِنْ مُحَمَّدٍ .

١٥- ﴿ فَلَذَلِكَ ﴾ إِشَارَةٌ إِلَى دِينِ اللَّهِ وَإِقَامَتِهِ ﴿ فَادَعُ

وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ اثبت على الدين الحنيف والدعوة إليه ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ أَيْ أَهْوَاءَ الْمُشْرِكِينَ ، وَالخِطَابُ
لِمُحَمَّدٍ (ص) وَتَسْأَلُ : قَالَ سُبْحَانَهُ فِي الْآيَةِ ٨٠ مِنَ النَّسَاءِ : « مَنْ يَطْعُ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ » وَمَعْنَى هَذَا أَنَّ الرَّسُولَ مَعْصُومٌ ،
وَقَالَ سُبْحَانَهُ هُنَا لِلرَّسُولِ نَفْسُهُ : لَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الْمُشْرِكِينَ يَتَوَكَّرُ هَذَا النَّهْيُ فِي الْعِيدِ مِنَ الْآيَاتِ ، مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى :
« يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ - ١ الْأَحْزَابِ » فَكَيْفَ سَاغَ النَّهْيُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ مَعَ وَجُودِ الْعَصْمَةِ ؟ الْجَوَابُ :
ذَكَرْنَا فِيمَا سَبَقَ الْوَجْهَ الْمُسَوِّغَ لِهَذَا النَّهْيِ ، وَالْآنَ نَعْلِفُ عَلَيْهِ : جَعَلَ سُبْحَانَهُ طَاعَةَ الرَّسُولِ طَاعَةَ اللَّهِ لِأَنَّ الرَّسُولَ
لَا يَنْطِقُ إِلَّا بِأَمْرِ اللَّهِ ، وَكُلٌّ مِنْ نَطْقِهِ بِحَبِّ طَاعَتِهِ ، وَنَهْيِ سُبْحَانَهُ الرَّسُولَ عَنِ الْمَعْصِيَةِ تَقْرِيراً وَتَوْكِيداً لِشُعُورِ الرَّسُولِ
بَأَنَّهُ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ ، وَتَنْبِيهاً لَنَا نَحْنُ بِأَنَّهُ عَبْدٌ لِلَّهِ كَيْلَا نَتَّخِذَهُ شَرِيكاً أَوْ نَصِفَ شَرِيكَ اللَّهِ ، كَمَا فَعَلْ غَيْرُنَا مِنْ
الطَّوَائِفِ ، وَيُؤَكِّدُ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ : ﴿ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ﴾
أَعْلَنَ يَا مُحَمَّدُ إِيمَانَكَ بِالْكَتَبِ الْمُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ وَعَدْلِكَ بِالْحُكْمِ النَّاسِ بِإِذْنِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ﴾
لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرُنَا ، وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ لَا جِدَالَ وَلَا مَنَاطَرَةَ ﴿ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ﴾ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ ، وَيُحْكِمُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ .

١٦- ﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ ﴾ أَيِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، وَالْمَعْنَى أَنَّ الَّذِينَ نَاصَبُوا الْعِدَاءَ لِلَّهِ وَالْإِسْلَامَ
لَمَّا رَأَوْا النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِيهِ ، وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ ، أَخَذُوا يُجَادِلُونَهُمْ فِيهِ بِالْهَوِيشِ وَالْبَاطِلِ الَّذِي لَا يَسْعَفُهُمْ شَيْءٌ ، وَلِذَا قَالَ
سُبْحَانَهُ : ﴿ جَحْتُهُمْ دَاخِضَةٌ ﴾ زَائِفَةٌ بَاطِلَةٌ .

١٧- ﴿الله الذي أنزل الكتاب﴾ القرآن ﴿بالحق والميزان﴾ العدل أي إن كل ما فيه حق ، ويفصل بين الناس بالعدل ﴿وما يدريك لعل الساعة قريب﴾ ومن مات فقد قامت قيامته ، لأن الموت آخر ساعة من ساعات الدنيا وأول ساعة من آخره الميِّت .

١٨- ﴿يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها﴾ وعليه يكون هذا الاستعجال لمجرد التهكم والسخرية ، وكثير من الناس يستخفون بأنفسهم ، ويخوضون بها المهالك من حيث لا يشعرون ﴿والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق﴾ لا يشعرون بالبعث والحساب يشعر بأنه مسؤول عن عمله ، فيقبل على الخير طمعاً بالنجاة وحسن الثواب ، ويتعدى عن الشر خوفاً من شر المآب ، ومن يكفر بالبعث والحساب يرى الحياة الدنيا فرصته الوحيدة للإستمتاع بكل ما لذ وطاب من حلال أو حرام ، لا يصدده خلق أو قانون إذا ضمن السلامة وأمن العقاب ﴿ألا إن الذين يمارون في الساعة﴾ يجادلون في وجودها ﴿لفي ضلال بعيد﴾ أوعلوا في التوابع والمجاهلة .

١٩- ﴿الله لطيف بعباده﴾ يرفق بهم ﴿يرزق﴾ يخلق الأزواق كلها ، وأعظمها سلامة العقول وصدق العقيدة وصحة الأبدان ﴿من يشاء﴾ أي ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن .

٢٠- ﴿من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه﴾ المراد بالحرث هنا العمل ، والمعنى من كافح وناضل صامداً محتسباً لإقامة العدل وإحقيق الحق لا يهرب طاعياً وباغياً -

أمدّه الله بعونه وتوفيقه ، وزاد في حسناته أضعافاً مضاعفة .

﴿ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب﴾ أما من عمل لنفسه وكفى ، وقاس الحق والعظمة بسيارته والعدل والخير كله بمعاشه «وبدلته» - فإنه ينال ما أراد كله أو بعضه ، ولكنه عند الله والناس يقدر بما قاس به الحق والعدل ، «ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون» - ١٩ الأحقاف «وتقدم في الآية ١٤٥ من آل عمران وغيرها .

٢١- ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾ على أي شيء يعتمد ويستند الذين لا يعملون إلا لأنفسهم وذويهم متكرين البعث والحساب ؟ هل لهم قرناء مظلون وضعوا لهم ديناً يأمرهم بالمنكر وينهاهم عن المعروف ؟ ﴿ولولا كلمة الفصل﴾ وهي «اليوم عمل ولا حساب ، وغداً حساب ولا عمل» ﴿لقضي بينهم﴾ بتعجيل النعمة والعداب .

٢٢- ﴿توى الظالمين﴾ يوم القيامة ﴿مشفقين﴾ خائفين ترتعد فرائضهم لسوء أعمالهم ﴿وهو واقع بهم﴾ العذاب الذي خافوا منه بعد النشر والحشر ﴿والذين آمنوا﴾ بالله واليوم الآخر ، وعملوا له ، في ملاذ مما لا عين رأت ولا

أذن سمعت .

عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد ﴿الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان﴾ وما يدريك لعل الساعة قريب ﴿يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها﴾ والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ﴿ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد﴾ الله لطيف بعباده رزق من يشاء وهو القوي العزيز ﴿من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه﴾ ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾ ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم ﴿إن الظالمين لهم عذاب أليم﴾ ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا

٢٣- ﴿ ذَلِكِ الَّذِي بَشَّرَ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ ذلك إشارة إلى نعيم الآخرة ، أعدّه سبحانه للمؤمنين ، وبشرهم به ليفرحوا ويعملوا له جاهدين .

﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ قال ابن كثير من شرح وكلام طويل لهذه الآية ما نصه بالحرف الواحد : « ثبت في الصحيح أن رسول الله قال في خطبته بغدير خم : إني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي وأنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض » وفي تفسير البحر المحیط لأبي حيان الأندلسي وروح البيان لإسماعيل حقي : « لما نزلت هذه الآية قيل يا رسول الله من هم قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم ؟ قال : عليّ وفاطمة والحسن والحسين » وفي الجزء الأول من كتاب فضائل الخمسة : أن الطبري والسيوطي والزمخشري فسروا القرني في هذه الآية بقرابة الرسول الأعظم (ص) ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْعَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ قال المفكرون : محمد مفتي بدعوى النبوة ! فردّ سبحانه على هؤلاء بقوله : ﴿ فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخْتِمْ عَلَى قُلُوبِكُمْ ﴾ لو حاول محمد الإفتاء على الله لطمس على قلبه وسلبه الوعي والشعور ولكنه مثّر عن الكذب بعصمته بل ويطعمه ﴿ وَيَمْحُو اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ ﴾ محمد على حق وأعدّاه على باطل ، ولذا جعل سبحانه كلمتهم هي السفلى ، وكلمة محمد هي العليا .

٢٥- ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ أي يعلم سبحانه هل صديق التائبون ما عاهدوا الله عليه من ترك المعاصي أو نقضوا العهد من بعد ميثاقه ؟ وفي الحديث : المقيم على المذنب وهو يستغفر للمستغفر . أي يضيف إلى ذنبه ذنباً آخر أخطر وأكبر .

٢٦- ﴿ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا ... ﴾ يدعو سبحانه إلى سبيل الحق ، فيستجيب الطيبون ، وينفر المجرمون ، فيعاقب هؤلاء . وينيب أولئك .

٢٧- ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَا فِي الْأَرْضِ ﴾ هناط سبحانه أرزاق الناس بالأعمال لينصرف الفلاح إلى حقله والعامل إلى معمله ، والتاجر إلى متجره ... ولو أنه تعالى رزقهم من غير عمل لملاوا الحياة ، واشتغل بعضهم ببيع ، وتلهوا بالفسق وقضاء الشهوات ، وبأعمال لا جلبوى منها ولا هدف لها ﴿ وَلَكِنْ يَنْزِلُ بِقَدْرِ مَا يَشَاءُ ﴾ أي بقدر عمل الإنسان ، لأنه تعالى أبى أن يجري الأمور إلا على أسبابها أما الثراء الحرام بالغش والإحتكار والسلب والنهب فهو من رزق الشيطان لا من عطاء الرحمن .

الإعراب :

ذلك الذي مبتدأ وخبر ﴿ بَشَّرَ اللَّهُ عِبَادَهُ ﴾ صلة الموصول والعائد محذوف أي يبشر الله به عباده . ﴿ إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ استثناء منقطع أي لكن أسألكم المودة في القرى . وكذباً مفعول لا فترى لأن الكذب والافتراء بمعنى واحد . ﴿ وَيَمْحُو ﴾ مستأنف وغير معطوف على جواب الشرط وهو يجتم لأن محو الباطل مطلق لا يجوز تعليقه على شيء ، وحذفت الواو من محو للاختصار مثل قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَكْرًا ٦٠ الْقَمَرِ ﴾ .

٢٨- ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا ﴾

للمطر أسبابه الطبيعية ، ولكن كل سبب طبيعي هو سبب إلهي ، لأنه تعالى هو خالق كل شيء . وإذا تأخر المطر لسبب أو لآخر قنط الناس ، فيندأركهم سبحانه برحمته التي وسعت كل شيء .

٢٩- ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ ﴾ تعالى الدالة على قدرته وعظمته

﴿ خلق السموات والأرض ﴾ المراد بالسموات هنا الأشياء العالية المترفة سواء أكانت من الكواكب أم غيرها ﴿ وما بث فيها من دابة ﴾ أي كل ما فيه حياة أيأ كان نوعه ، وكلها تنطبق بوجود بارئها ومصورها ﴿ وهو على جميعهم إذا يشاء قدير ﴾ تماماً كما قدر على خلقهم وبثهم في الأرض والسماء .

٣٠- ﴿ وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ﴾

تدل هذه الآية بوضوح أن الظلم والبؤس والضعف والإنحطاط من الأنظمة الجائرة والأوضاع الفاسدة لا من صنع الله العادل ولا من شريعته الحنيفة السمحة التي لا حرج فيها ولا ضرر .

٣١- ﴿ وما أنتم بمعجزين في الأرض ﴾ لا يعجزه من

طلب ، ولا يفوته من هرب ، وتقدم في الآية ٢٢ من العنكبوت

٣٢- ﴿ ومن آياته الجوار ﴾ السفن ﴿ في البحر

كالأعلام ﴾ جمع علم وهو الجبل ، وإذا كانت السفينة من تركيب الإنسان فإن ربانها وموادها من صنع الرحمن ، معطوفاً عليه وعليها الماء والهواء ، حتى السيارة وسفينة الفضاء والكهرباء كانت موجودة في الطبيعة ، واكتشفها الإنسان واستخدمها

لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقُدْرِ مَا يُشَاءُ إِنَّهُ يُعَادِدُهُ خَيْرٌ بَصِيرٌ ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَكِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ ؕ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿ أَوْ يُوقِنَ فَيَسْكَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ

في مصلحته .

٣٣- ﴿ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ ﴾ أو يجمد الماء ﴿ ان في ذلك لآيات ﴾ باهرة واضحة على أن وراء الكون مدبراً

مقتدراً .

٣٤- ﴿ أَوْ يُوقِنَ فَيَسْكَبُوا ﴾ يهلك أصحاب السفينة بذنوبهم ، ولكنه يهلك ولا يهلك .

٣٥- ﴿ ويعلم ﴾ بالنصب على حذف اللام أي ليعلم ﴿ الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص ﴾ أي أنه

تعالى أشار إلى السفينة وقدرته على هلاكها بمن فيها ليذكر الجاحدين بأنهم يكفرون بالله وهم آمنون ، وإذا أهدت بهم المخاطر ولم يجدوا بداً منها ولا محيصاً عنها ، اعترفوا بالله ولجأوا إليه تلقائياً .

الإعراب :

﴿ الجوار ﴾ مبتدأ وأصلها الجواري وحذفت الياء تخفيفاً وفي البحر متعلق بها . ﴿ كالأعلام ﴾ الكاف بمعنى مثل حالاً من الجواري . ﴿ يظللن محلها الجزم جواباً للشرط . ﴿ وراكد ﴾ حال . والضمير في ظهره إلى البحر . أو يوقن ويغف عطف على يظللن .

٣٦- ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ كالجاء والمال والصحة ﴿فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وزينتها ، وهو حلال طيب ، تمنعوا به هنيئاً مريئاً بشرط واحد وهو أن لا يؤدي إلى الحرام قال سبحانه : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ - ٣٢ الأعراف﴾ ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ وليس معناه أن عدم المتاع خير من وجوده ، بل معناه اتفق منه في سبيل الله والصالح العام لتنفع به عند الله يوم تلقاه ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله ، أما الذين كفروا به فأجرهم عند من عملوا له .

٣٧- ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ﴾ كالظلم والزنا والفساد في الأرض ، وتقدم في الآية ٣١ من النساء ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ يردون جهل الجاهل بتجاهله .

٣٨- ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ يؤدون العبادات ، ويتورعون عن المحرمات ، أما من ينفي الله في طهارته وصلاته وينتج الهوى في ملذاته فهو من حزب الشيطان .

﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ طال الكلام وكثر حول هذه الآية ، ولكن القرآن ينطق بعضه ببعض ، ونقول الآية ١٥٩ من آل عمران لرسول الله (ص) : «واشاورهم في الأمر» وعليه يكون المراد بالأمر في قوله : «وأمرهم شورى» عين الأمر الذي شاور فيه النبي الصحابة ، وثبت أنه شاورهم في الحرب وما جرى مجراها ، فينبغي تفسير أمر الشورى بذلك ولا يتعداه .

٣٩- ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ ليسوا أكلة لكل راغب ولا مطية لكل راكب ، بل يستميتون من أجل حربتهم وكرامتهم والذود عن حياضهم وبلادهم .

٤٠- ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ١٩٤ البقرة ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ وإن تعفوا أقرب للتقوى ٢٣٧ البقرة

٤١- ﴿وَلَمَّا انتَصَرُوا بَعْدَ ظَلْمِهِمْ...﴾ فلا عتاب ولا عقاب . لأن البادي هو الظالم .

٤٢-٤٣- ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ لا كفارة إطلاقاً لمن اعتدى على واحد من عيال الله ، فكيف بالذين زلزلوا الأمن بأسلحتهم الجهنمية ، وأرهبوا الدنيا بظفائهم وجبروتهم ، وأساءوا إلى الأمم بدسائسهم ومطامعهم ؟ ﴿أَوَلَيْسَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وهذا التهديد والوعيد نوع من الكفاح القرآني لعنات البغي والفساد ، ودرس لنا نحن الناهين عن المنكر أن نجابه بكلمة الله والحق كل جائر ومفسد ، ولا نخاف لومة لائم .

الإعراب :

ويعلم بالنصب على حذف اللام أي ليعلم ، وقيل بالعطف على محذوف أي لينتقم منه ويعلم الذين الخ .

مِنْ مَخِصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَّا انتَصَرُوا بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾

وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ ۖ وَتَرَى
الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ
سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعِينَ مِنَ
الدَّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ
الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُمْ
مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ
فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ
يَوْمٌ لَا مَرَدَ لَهُ مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلَجٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ
مِنْ نَكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ
حَفِظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ۚ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ
مِنْ رَحْمَةِ فَرَحَ بِهَا وَإِنْ نُسَبِّحُ سَيِّئَهُ بِمَا قَدَّمَتْ

٤٤- ﴿ ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده ﴾
من سلك طريق الضلال بفعل مجرم أو ترك واجب بسوء
اختياره - حقت عليه كلمة الله بأنه من الضالين ، وعاقبه
على ضلاله ، ولا يجد له ناصراً ﴿ وتري الظالمين لما رأوا
العذاب ﴾ يوم القيامة تمنوا الخلاص منه وقالوا : ﴿ هل
إلى مرد من سبيل ﴾ ؟ الجواب : هل يعود ما فات من العمر ؟

٤٥- ﴿ وتراهم يعرضون عليها ﴾ على النار ﴿ خاشعين
من الدل ﴾ بما قدمت أيديهم ﴿ ينظرون من طرف خفي ﴾
يسترقون النظر إلى جهنم وفراصمهم ترتعد من شدة الخوف ،
ومن قبل كانوا بها يستهزئون ﴿ وقال الذين آمنوا ﴾ لما رأوا
المجرمين يساقون إلى جهنم : هؤلاء أخسر الناس صفقة ،
وأخيبهم سعياً . وتقدم في الآية ١٥ من الزمر .

٤٦- ﴿ وما كان لهم من أولياء ينصرونهم ﴾ بقذونهم
من النكال والوبال ﴿ ومن يضلل الله ﴾ المراد بالضلال هنا
العذاب بقرينة السياق ﴿ فما له من سبيل ﴾ إلى الخلاص .

٤٧- ﴿ استجيبوا لربكم ﴾ تزودوا من طاعة الله سبحانه
ليوم لا مناص منه ولا مفر ﴿ ما لكم من ملجأ يومئذ ﴾
تلوذون به ﴿ وما لكم من نكير ﴾ لا تنكرون ذنوبكم ،
بل تعترفون بها كاملة .

٤٨- ﴿ فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً ﴾
مهيئاً تحفظ أعمالهم وتحاسبهم عليها ، وتقدم في الآية ٨٠
من النساء ، وغيرها ﴿ وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة ﴾ رخاء
ونعمة ﴿ فرح بها وإن نصيبهم سيئة ﴾ بلاء ونقمة ﴿ فإن

اللغة

مرد مرجع . ونكير أي لا تنكرون أعمالكم . وحفيظ وكيل .

الإعراب :

ضمير عليها يعود الى النار المدلول عليها بكلمة العذاب ﴿ وخاشعين ﴾ حال من مفعول تراهم لأن الرؤيا هنا بصرية تتعدى الى مفعول
واحد . ﴿ وحفيظاً ﴾ حال من كاف ﴿ أرسلناك ﴾ .

الإنسان كفور ﴿ بنعمة الله عليه ، وهي لا تُعد ولا تحصى وتقدم في الآية ٩ من هود وغيرها .

٤٩- ﴿ الله ملك السموات والأرض ﴾ هو مبدع الكون ومالكه ﴿ يخلق ما يشاء ﴾ ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ﴿ يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور ﴾ .

٥٠- ﴿ أو يزوجهم ذكراً وإناثاً ﴾ ليس المراد يزوجهم الزواج المعروف ، بل المراد العطاء من صف الإناث وصف الذكور ، ومعنى الآية يجعلها أنه لا اختيار للإنسان في أن يجعل كل أولاده ذكراً أو إناثاً أو هما معاً ولكنه تعالى هو الذي قسم عبادَه أربعة أقسام : منهم له البنون فقط ، ومنهم البنات وكفى ومنهم هما معاً ، ومنهم لا شيء .

٥١- ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً ... ﴾ ذكر سبحانه في هذه الآية ثلاثة طرق للوحي : القذف في القلب أو الرؤيا في المنام كما حدث لإبراهيم (ع) في ذبح ولده إسماعيل (ع) وهذا هو المراد بقوله : « إلا وحياً » . الثاني أن يخلق الكلام كما يخلق غيره من الكائنات ، فيسمع النبي الكلام ولا يرى المتكلم لأنه تعالى في ذاته غير مرئي كما كلم موسى (ع) . وهذا هو المقصود بقوله : « من وراء حجاب » . الثالث أن يرسل إلى النبي ملكاً يبلغه رسالات ربه ، كما أوحى سبحانه القرآن إلى رسوله محمد (ص) بلسان جبريل (ع) ، وهذا هو المراد بقوله : « يرسل رسولاً » .

٥٢- ﴿ وكذلك أوحينا إليك ﴾ يا محمد ﴿ روحاً من أمرنا ﴾ المراد بالروح هنا القرآن ، لأنه حياة للأرواح

والعقول ﴿ ما كنت تدري ما الكتاب ﴾ القرآن ﴿ ولا الإيمان ﴾ بكل ما جاء في القرآن وشرعية الإسلام وآدابه وأخلاقه ﴿ ولكن جعلناه ﴾ القرآن ﴿ نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا ﴾ وهم الذين طلبوا الهداية بإخلاص ومعرفة الحق للعمل به ﴿ وإنك ﴾ يا محمد ﴿ لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾ وفي الخطبة ١١٤ من نهج البلاغة : « أرسله داعياً إلى الحق وشاهداً على الخلق ، فبلغ رسالات ربه غير وان ولا مقصر ، وجاهد في الله أعداءه غير واهن ولا معذر . امام من اتقى وبصر من اهتدى » .

الإعراب :

المصدر من أن يكلمه اسم كان ، ﴿ ولبشر ﴾ متعلق بمحذوف خبرها أي ما كان تكليم الله واقعاً لبشر . ﴿ وإلا وحياً ﴾ استثناء منقطع لأن الوحي غير التكليم . أو يرسل بالنصب عطفاً على « وحياً » لأن المعنى إلا أن يوحى . ولا يجوز عطف يرسل على أن يكلمه إذ يصير المعنى أن الله لا يكلم بشراً ولا يرسل إليه رسولاً . وصراط الله بد من صراط مستقيم .

أَيَدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٩﴾ اللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِثَاءً
وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ﴿٥٠﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا
وَإِنِثَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥١﴾
* وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ
حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ
عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ
أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ
جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ
لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٣﴾ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي
لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ
الْأُمُورُ ﴿٥٤﴾

سُورَةُ الْاَنْعَامِ [٤٣]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- ١- ﴿حَم﴾ تقدم في أول البقرة .
- ٢- ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ أقسم سبحانه بقرآنه الجلي الواضح في بيان عقيدة الحق وشريعته .
- ٣- ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ معانيه - أيها العرب - ومقاصده ، وتعملون بموجبها ، وتبلغونها لسانر الأمم ، وتقدم في الآية ٢ من يوسف وغيرها .
- ٤- ﴿وَانَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾ المراد بالأُم هنا الأصل وبالكتاب علم الله ، والمعنى القرآن من الله وعلمه لا من وضع محمد وغيره ﴿لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ﴾ القرآن عند الله عالٍ في منزلته حكيم في مبادئه وأحكامه .
- ٥- ﴿أَنْضَرْبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا إِنْ كُنْتُمْ مُسْرِفِينَ﴾ الخطاب للمشركين ، وصفحاً : إعراضاً ، والمصدر من أن وما بعدها مفعول من أجله ، والمعنى أتريدون أن نسكت عن دعوتكم إلى الحق غير منذرين لا شيء إلا لأنكم جهلاء أشقياء ؟
- ٦- ٧- ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾ لأن الله سبحانه ما خلق الناس عبثاً ولا يتركهم سدى بلا زاجر وأمر .
- ٨- ﴿فَاهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ أهلك من كان أقوى وأعنى من الذين كذبوا محمداً (ص) ﴿وَمَضَى مِثْلَ الْأَوَّلِينَ﴾ وتقدم في القرآن ذكر الأمم الماضية وما حلَّ بها

من وبال .

- ٩- ﴿وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ مِنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ ...﴾ تقدم في الآية ٦١ من العنكبوت وغيرها .
- ١٠- ١٣- ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ فراشاً

الإعراب :

﴿وَالْكِتَابِ﴾ الواو للقسام . ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾ هنا بمعنى أنزلناه كما في الآية ٢ من سورة يوسف و١١٣ من سورة طه ، ﴿وَقُرْآنًا﴾ حال ، ﴿وَعَرَبِيًّا﴾ صفة . ﴿وَلَعَلِّي حَكِيمٌ﴾ خبر انه . ﴿وَفِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾ متعلق ﴿وَلَعَلِّي﴾ واللام لا تنع من ذلك على حد تعبير البيضاوي . ولدينا بدل أم الكتاب . وصفحاً مفعول مطلق لنضرب لأنها بمعنى واحد . وأن كنتم «أن» مصدرية والمصدر المنسبك مفعول من أجله لنضرب أي أنضرب عنكم الذكر صفحاً من أجل كونكم قومًا مسرفين . وكما خبرية ومحلها النصب بأرسلنا ، ومن نبي تمييز . وبطشاً تمييز .

وقرأ ﴿ والذي خلق الأزواج ﴾ الأصناف من حيوان ونبات وجماد ، وتقدم مرات ، منها في الآية ٥٣ طه ﴿ لتستووا على ظهوره ﴾ الماء تعود إلى ما تركبون ، والإستواء : الإستقرار ﴿ سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ﴾ أي مستطيعين ، والمعنى أن الله أودع في الحيوان غريزة الإقتياد للإنسان ، ولولاها لتعذر عليه أو تعسر أن يسخره في الركوب والحمل والحرق .

١٤- ﴿ وإنا إلى ربنا لمقلبون ﴾ فيه إيماء إلى أن الركوب مظنة الخطر ، وربما أدى إلى الموت ، فكيف يركوب السيارة والطيارة وسفينة الفضاء ؟

١٥- ﴿ وجعلوا له من عباده جزءاً ﴾ ولذا لأن الولد بضعة من والده .

١٦- ﴿ أم اتخذ مما يخلق بنات ﴾ إشارة إلى ما يأتي في الآية ١٩ ، وتقدم في الآية ٤٠ من الإسراء .

١٧- ﴿ وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً ﴾ أي بالأنثى ، وتقدم في الآية ٥٧ من النحل .

١٨- ﴿ أو من ينشأ في الحلية ﴾ المراد به الأنثى تحلى بالزينة وهو ﴿ يعود إلى اسم الموصول باعتبار اللفظ ﴾ في الخصام غير مبين ﴿ عاجزة عن بيان الحجة والدليل والمعنى ما لكم أيها المشركون ؟ اتنسبون إلى الله من يترين بالحلية والحلل ويعجز عن البيان ؟

١٩- ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً ﴾

وهذا تماماً كقول من تفلسف وتعسف في أن أصل الإنسان قرد ! ومن الذي رأى هذه الولادة وشاهدها « هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء - ٦ آل عمران » .

اللغة:

مسرفين متجاوزين الحد. مثل الأولين يفتح الثاء وصفهم وحالمهم. مهدأً فرأشاً. بقدر بمقدار. فأنشأنا فاحيينا. والأزواج الأصناف. لتستووا مثل واستوت على المجودي. سخر ذلل. مقرنين مطيقين. ومنقلبون راجعون.

الإعراب:

﴿ بنات ﴾ مفعول ﴿ اتخذ ﴾ ، وفي الكلام تقديم وتأخير أي أم اتخذ بنات مما يخلق . ﴿ مسوداً ﴾ خبر ظل . وجلة وهو كظيم حال . أو من ينشأ المهزمة للانكار والتوبيخ ومن مفعول لفعل محذوف ، والمراد بها الأنثى ، أي أو قد جعل الأنثى لله . وإن هم « ان » نافية . وكذلك خبر مبتدأ محذوف أي الأمر مثل ذلك .

لَكَرَ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مِّثْلَ كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٧﴾ لِيَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٨﴾ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٩﴾ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّا لِلْإِنسَانِ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿٢٠﴾ أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَحَكُمْ بِالْبَنِينَ ﴿٢١﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ أَوْ مَن يَنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا

٢٠- ﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عِبَدْنَاهُمْ ﴾ تماماً كما قال الأشاعرة بأن الإنسان مسير لا مخير ﴿ إِنَّ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ يكذبون ، وعلى الله يفترون .

٢١- ﴿ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ ﴾ قبل القرآن ، كلا ، لا خير جاء بذلك ولا وحى نزل ، وإذن من أين جاءهم هذا الشرك ؟ الجواب :

٢٢- ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا ﴾ وكفى بذلك شاهداً ودليلاً ، لأن قول الآباء هو الحق الذي يستدل به لا عليه !

٢٣- ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ ﴾ يا محمد ﴿ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا ﴾ إذا تحدث أو أشار مسلم قرآني إلى شرور المترفين تقول عليه من يعيش على فئاتهم بما يرضيهم ... هذا وهو يقرأ القرآن الكريم الذي ذم المترفين في العديد من آياته ، منها هذه الآية ! وثبت في الحديث الشريف : « كم من قارئ للقرآن ، والقرآن يلعه » .

٢٤-٢٥- ﴿ قَالَ أُولُو جِثْتِكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ ﴾ فيه إيماء إلى صحة التقليد المطابق والموافق للواقع ﴿ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ حتى ولو كان حقاً ميئاً ! ولا كلام بعد هذا الكلام .

٢٦-٢٧- ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ ... ﴾ تراء خليل الرحمن من قومه وما يعبدون ، ولجأ إلى الله الواحد الأحد .

٢٨- ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً ﴾ التوحيد ﴿ بِالْقَلْبِ ﴾ خالدة ﴿ فِي عَقِبِهِ ﴾ ذريته ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ إلى التوحيد ، ويعملون بموجبه .

خَلَقَهُمْ سَنُكَتِبُ لَهُمْ مَا عِبَدْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١﴾ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُتَمَسِكُونَ ﴿٢﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُهُتَدُونَ ﴿٣﴾ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴿٤﴾ * قُلْ أُولَئِكَ جِثَّتُمْ إِيَّاهُ مِنْ قَبْلِهِمْ فَبِمَا كَفَرْتُمْ قُتِلْتُمْ وَلَوْ جِثَّتُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قُلْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٥﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظَرْنَا كَيْفَ كَانَ عَذَابُ الْكَافِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٧﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٨﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ

إشارة:

كان قوم إبراهيم يعبدون الأصنام، ومنهم أبوه كما يدل ظاهر الآية، فنهاهم عن عبادتها، وأعلن براءته منهم ومن آلهتهم، وأنه يعبد الله الذي خلقه على فطرة التوحيد، وأنه سيهديه ويرشده إلى ما فيه خيره وصلاحه، وقوله: «سيهدين» يومئذ إلى يقينه وثقته بالله... وهكذا كل من طلب الهدى والحق بإخلاص يتق بأن الله معه وكافيه وهاديه لقوله تعالى: «واعلموا أن الله مع المتقين».. إن الله مع الصابرين... إن الله مع المحسنين». ولقد وصى إبراهيم بنه بكلمة التوحيد ليعملوا بها، وإذا أشرك واحد منهم أو حاول يُذكر بوصية أبيه، ويقال له: إنك خالفت ما وصى به إبراهيم.

٢٩- ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ هَؤُلَاءَ إشارة إلى مشركي قريش ، والمراد بالحق هنا القرآن ، وبالرسول محمد ، وهو مبين برسالة الواضحة في دلالتها على صدقه وأمانته .

٣٠- ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ عاندوه وقالوا من جملة ما قالوا : ﴿هَذَا سِحْرٌ مُّفْتَرٍ﴾ ، أما عبادة الأصنام فحق لا ريب فيه ! وهكذا تعكس الحقائق منذ آدم وإلى قيام الساعة .

٣١- ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ القرية عظيم في مكة ليس بنبي في منطق الجبايرة المترفين والدليل أن محمداً لا يملك مالا ولا جاهاً عريضاً ، والنبوة لا تكون ولن تكون إلا لعظماء المظاهر والألقاب مثل الوليد ابن المغيرة بمكة ، وعروة بن مسعود بالطائف ، فأحدهما يجب أن يكون نبياً وينزل عليه القرآن ! فرد سبحانه عليهم بقوله :

٣٢- ﴿أَمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ أنتم تعرفون مكان الخير والفضل والعظمة ، أو تفهمون معنى القيم التي ترفع الناس درجات ، أو أن الله فوض إليكم توزيع المناصب والمراتب ؟ الله هو الذي يقسم فضله بالعدل ، ويعلم وزن العظمة ، وأين هي ؟ ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا﴾ من التسخير في الخدمة لا من السحرية والإستهزاء ، والمعنى أن أسباب الرزق على أنواع : صناعة وتجارة وزراعة وخدمات في الدولة أو المصنع ، أو المصرف أو المتجر أو عند طبيب

أو مهندس ، وفي مفهوم الناس أن رب العمل أرفع من العامل أما عند الله فالأرفع هو الأتقى كما نصت الآية ١٣ من الحجرات .

٣٣- ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا﴾ جمع سقف ﴿مِّنْ فَضَةٍ وَمَعَارِجٍ﴾ جمع معراج وهو الدرج ﴿عَلَيْهَا يَطْفَرُونَ﴾ يصعدون .

٣٤- ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابٌ﴾ أيضاً من فضة ﴿وَسُرُرًا﴾ من فضة ، جمع سرير .

٣٥- ﴿وَزُخْرُفًا﴾ ذهباً وزينة ، وهذا رد على من قال : إن المناصب الإلهية وغيرها من المراتب العليا ، وقف على عظماء البذخ والمظاهر ، وخلاصة الرد لولا أن الناس يؤثرون نعيم الدنيا على كل شيء لأعطى سبحانه الكافر بيوتاً من فضة بأرضها وجدرانها وسقفها وأبوابها ومضاعدها وأثاثها . وزادهم على ذلك ما يشاءون من الذهب والزينة لهوان الدنيا على الله ، ولأن الكافر لا حظ له في غيرها فهي جنة الوحيدة . ومن حكم الإمام علي (ع) : من هوان الدنيا على الله أنه لا يعصي إلا فيها ، ولا يتألم معانده إلا بتركها .

الإعراب :

﴿هَؤُلَاءَ﴾ إشارة إلى مشركي مكة . ولولا نزل ﴿لَوْلَا﴾ أداة طلب مثل هلا . ولولا أن يكون هَؤُلَاءَ هذه تدل على امتناع الثاني لوجود الأول .

٣٦- ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ المراد بالشيطان هنا كل ما يقود إلى الشر والفساد والمخاطر والتهلكة ، هوى كان أو وهماً أو إنساناً أو أي شيء ، والمعنى من يتعاضى عن دعوة الحق والخير ، وينطلق مع أهوائه ، يتخذ الله عنه ، ويكمله إلى نفسه وشيائنه ، وتقدم في الآية ٢٥ من فصلت .

٣٧- ﴿ وَانْتَهُم ﴾ أي قرناء السوء ﴿ لِيَصْطَلُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ ﴾ طريق الهدى والحق .

٣٨- ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَنَا ﴾ الذي اتبع هواه وشيئانه ، ورأى عذاب الخزي والهوان ﴿ قَالَ ﴾ لمن ضلله وأفسده : ﴿ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ ﴾ كناية عن أبعد الأماكن وأقصاها ﴿ فَيَنْفَسُ الْقَرِينُ ﴾ كنت والخذلن .

٣٩- ﴿ وَلَنْ يَضَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ ﴾ أنفسكم ﴿ إِنْكُمْ فِي الْعَذَابِ مَشْتَرِكُونَ ﴾ قد يتعزى الإنسان في مصابه حين يرى مصيبة غيرة في الحياة الدنيا ، أما في عذاب الآخرة فلا نصبر وعزاء .

٤٠- ﴿ أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الصَّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمَى ﴾ لمن تنادي ، وتبذر السبيل ؟ ولا سمع وبصير .

٤١- ﴿ فَمَا نَهَيْتُكَ بِكَ ﴾ يا محمد إلى الرفيق الأعلى قبل أن تنتقم من المجرمين ولا بد من الإشارة إلى أن «إما» هنا ليست أداة تفصيل مثل إما شاكراً وإما كفوراً ، بل هي كلمتان : ان الشرطية وما الزائدة ﴿ فَمَا مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَقِمُ ﴾ من بعدك .

٤٢-٤٣- ﴿ أَوْ نُرِيكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ ﴾ أي وإن بقيت حياً يا محمد أظهر لك الله عليهم ، وأخضعهم لأمرك مرغبين ، وهذا ما حدث بالفعل حيث دخل الرسول مكة فاتحاً . واستسلم له عتاتها .

٤٤- ﴿ وَانَّهُ ﴾ أي القرآن ﴿ لَذِكْرٌ لَكَ ﴾ يا محمد ﴿ وَلِقَوْلُكَ ﴾ العرب حيث رفع من شأنهم ، ونشر سلطانهم ولغنتهم في شرق الأرض وغربها .

٤٥- ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ ... ﴾ جميع الأنبياء والرسل دعوا إلى ما دعا إليه محمد ، ونهوا عما نهى فعلم أيها المعاندون تعلمون الحرب عليه وعلى دعوته ؟

٤٦-٤٧- ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى ﴾ هذي هي المرة السادسة عشرة التي تتكرر فيها قصة موسى . وتأتي أيضاً وتكلمنا فيما سبق عن السبب الموجب لهذا التكرار عند تفسير الآية ٩ من طه . والآلآن نعطف على ما تقدم هذا السبب على سبيل الإحتمال ، وهو أن اليهود كانوا يجاورون محمداً (ص) في المدينة ، وقد عانى الكثير من مكروهم وغدرهم . فذكروهم سبحانه بهذا التكرار والتوكيد أن محمداً تماماً كموسى في دعوته وأهدافه ، فكيف تكفرون به ، وأنتم على دين موسى كما ترعمون ؟

٤٨- ﴿وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ﴾ من آيات العذاب كالجراد والقمل والضفادع ﴿أَلَا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ أبلغ وأشدّ عذاباً من التي قبلها ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن الضلال إلى الهدى .

٤٩-٥٠- ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهُ السَّاحِرُ﴾ يعنون موسى ﴿إِذْ دَعَا لَنَا رَبِّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ من كشف العذاب عننا اهتدى ﴿إِنَّا لَمُهْطُونَ﴾ أخذهم سببانه بالعذاب ، فاستغاثوا بموسى ، وعاهدوا أن يتوبوا إن كشف العذاب ، ولما كشفه عنهم إذا هم يبتكون .

٥١- ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ ...﴾ يضحك على ذقونهم ، ويلعب بقولهم بوسع الملك وسلطة الحكم .

٥٢- ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَٰذَا﴾ من موسى ﴿الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾ حقير لفقره ﴿وَلَا يَكَادُ يَبِينُ﴾ لا يفصح ولا يوضح عما يريد .

٥٣- ﴿فَلَوْلَا أَلْقَيْنَا عَلَيْهِ آسُورَةً﴾ من ذهب ﴿الْمُفْسِرُونَ﴾ جرت عادة قوم فرعون إذا اختاروا رئيساً لهم أن يسروه بسوار من ذهب ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ به لا يفارقونه تماماً كالرجل العظيم مع حاشيته .

٥٤-٥٦- ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ﴾ بأسورة من ذهب وما إليها من مظاهر وأكثر القادة في عصرنا حملة ألقاب ومظهر خلاب ، دينهم إعلان ، وإصلاحهم كلام بكلام . ﴿فَلَمَّا

وَمَلَإْنَاهُ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بَيِّنَاتٌ إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهُ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْطَدُونَ ﴿٥١﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ بِقَوْمِ الْيَسْرِ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥٣﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يَبِينُ ﴿٥٤﴾ فَلَوْلَا أَلْقَيْنَا عَلَيْهِ آسُورَةً مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٥﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٦﴾ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٧﴾

اللغة:

بَيِّنَاتٌ بمعجزاتنا التي أظهرناها على يد موسى . وملئه أشرف قومه . ومهين حقير . وبين يفصح . وأسورة جمع سواراة مثل أخرة جمع خمار . ومقترنين ملازمين . وآسفونا أغضبونا . وسلفاً أي سابقين إلى النار . ومثلاً عبرة وموعظة .

الإعراب:

﴿أَمْ أَنَا﴾ بل أنا . ﴿فَلَوْلَا فَهَلَا﴾ ومقترنين حال من الملائكة . ﴿وَأَجْمَعِينَ﴾ تأكيد لضمير أغرقناهم . ﴿لِلْآخِرِينَ﴾ متعلق بـ ﴿مَثَلًا﴾ .

آسفونا ﴿٥٦﴾ أغضبونا حقت كلمة العذاب على المجرمين ﴿٥٧﴾ فجعلناهم سلفاً ﴿٥٨﴾ السابقين إلى الجحيم ﴿٥٩﴾ ومثلاً للآخرين ﴿٦٠﴾ عبرة وعظة لمن يأتي بعدهم .

٥٧- ﴿٥٧﴾ ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون ﴿٥٨﴾ بكسر الصاد بمعنى يصيحون ويصخبون ، وضرب ميني للمجهول ، والمراد بقومك قريش ، والمعنى كما في جوامع الجامع « لا نزل قوله تعالى : انكم وما تبعون من دون الله حصب جهنم - ٩٨ الأنبياء قبل لرسول الله : ألسنت ترعم أن عيسى نبي ؟ فإن كان هو في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا في النار ، فنار لقريش جلبة وضجيج فرحاً وجدلاً وضحكاً » وفي بعض الروايات أن النبي (ص) قال للمعترض ما أجهلك بلغة قومك ؟ أما فهمت أن « ما » لما لا يعقل ؟

٥٨- ﴿٥٨﴾ وقالوا آلهتنا خير أم هو ﴿٥٩﴾ أي عيسى ، انه خير منها عندك ، فعلام إذن تنكر علينا عبادة الأصنام ؟ ﴿٦٠﴾ ما ضربه لك إلا جدلاً ﴿٦١﴾ ما تقضوا واعترضوا بعيسى إلا تهريباً من الحق ، وإلا فهم يعلمون أن المراد من « وما يعبدون » أصنامهم بالخصوص ﴿٦٢﴾ بل هم قوم خصمون ﴿٦٣﴾ يبالغون في اللجاج والخصومة بالباطل .

٥٩- ﴿٥٩﴾ إن هو ﴿٦٠﴾ عيسى ﴿٦١﴾ إلا عبد أنعمنا عليه ﴿٦٢﴾ بالنبوة ﴿٦٣﴾ وجعلناه مثلاً ﴿٦٤﴾ آية على قدرة الله وعظمته .

٦٠- ﴿٦٠﴾ ولو نشاء لجعلنا منكم ﴿٦١﴾ أي بدلکم أيها المشركون ﴿٦٢﴾ ملائكة في الأرض يخفون ﴿٦٣﴾ أي يخفونكم فيها .

٦١- ﴿٦١﴾ وانه لعلم للساعة ﴿٦٢﴾ الضمير في أنه للقرآن ، والمراد بالعلم هنا الكشف والبيان ، والمعنى أن القرآن يلقي الأضواء على يوم القيامة ، أحواله وأهواله ، وما أعد الله فيه للمطيعين من نعيم ، وللعاصين من جحيم ، وأيضاً يقف طويلاً مع الذين أنكروا البعث ، ويذكر أقوالهم ، ويجادلهم فيها أشد الجدل ﴿٦٣﴾ فلا تمتزج بها ﴿٦٤﴾ لا شك في وقوع الساعة .

٦٢- ﴿٦٢﴾ ولا يصدنكم الشيطان ﴿٦٣﴾ عن الإيمان بالقرآن والبعث .

٦٣- ﴿٦٣﴾ ولما جاء عيسى بالبينات ﴿٦٤﴾ بالمعجزات الدالة على نبوته ﴿٦٥﴾ قال قد جئتكم بالحكمة ﴿٦٦﴾ بدين الله وشريعته ﴿٦٧﴾ لا بين لكم بعض الذي تختفون فيه ﴿٦٨﴾ كالأحكام الدينية . أما الشؤون الدنيوية كالزراعة والصناعة والتجارة فارجعوا فيها لأهل الخبرة والاختصاص .

٦٤- ﴿٦٤﴾ ان الله هو ربي وربكم ﴿٦٥﴾ وما أنا إلا عبد من عباده أخاف منه أكثر مما تخافون .

٦٥- ﴿٦٥﴾ فاختلف الأحزاب من بينهم ﴿٦٦﴾ اختلف اليهود والنصارى في عيسى (ع) ، ثم اختلف النصارى في طبيعته هل هي واحدة أو أكثر ﴿٦٧﴾ فويل لليهود الذين قالوا : هو ابن زنا ، وللنصارى الذين قالوا : هو الله أو ابنه .

الإعراب :

﴿مثلاً﴾ مفعول ثانٍ ﴿لضرب﴾ لأن الفعل هنا بمعنى جعل ، وهو يعود الى ابن مريم . و﴿ما ضربه﴾ كلام مستأنف ، و﴿ماء نافية . و﴿جدلاً﴾ مفعول لأجله .

جَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ * وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصُدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا ءَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكَ مَلَكًا فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمُوتُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُون هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُرْ عَدُوٌّ مَّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ

٦٦- ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً ﴾
هذا تهديد لليهود والنصارى معاً ، وتقدم ما قيل حول عيسى
(ع) مرات ، منها في الآية ٣٠ من التوبة .

٦٧- ﴿ الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾
كل الصداقات والعلاقات تتبخر يوم القيامة ، وتذهب مع
الريح إلا ما كان منها للتعاون على الخير والصلاح العام ، وفؤلاء
يقول سبحانه غداً :

٦٨- ﴿ يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ﴾ لأنكم في
دار السلام والراحة .

٦٩- ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ وعملوا بموجب إيمانهم وإسلامهم
٧٠- ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ ﴾ الصالحات
﴿ تحبسون ﴾ تسرون بلطف الله وضيافته .

٧١-٧٣- ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصَحَافٍ ﴾ جمع صحفة
وهي الآية ﴿ وَأَكْوَابٍ ﴾ جمع كؤوب وهي الكؤوز أو ما
أشبهه ﴿ وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ﴾ لا حد لخزائن
الله ولا نهاية ، وهي في تصرف أهل الجنة كميال الرجل الفني
يطلق لهم اللتان فيما يشتهون بلا قيد أو شرط ، وإن بعد
التشبيه .

٧٤-٧٦- ﴿ إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ ﴾ لما
ذكر سبحانه سعادة الصالحين أشار إلى المجرمين ، وأنهم
في عذاب دائم يزيد ولا يخف ، ويستمر ولا ينقطع ﴿ وهم
فيه ملبسون ﴾ آيسون من النجاة .

٧٧-٧٨- ﴿ وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾

يطلبون الرحمة بالإعدام بدلاً من السجن المؤبد في قعر جهنم ﴿ قَالَ ﴾ مالك : شاء الله تعالى أن لا يقضى عليكم فتموتوا
وأن لا يخفف عنكم العذاب ، دعوناكم إلى الفوز بالجنة والنجاة من الهلكة ، فرفضتم ، فلا يلومن من أساء إلى نفسه
إلا نفسه .

الإعراب :

وان هو « ان » نافية . فلا تمرن النون للتوكيد . واتبعون أي واتبعوني ومثله وأطيعون . والمصدر من أن تأتيهم بدل من الساعة لأن
المعنى هل ينظرون إلا آتيان الساعة . وبغته صفة لمفعول مطلق محذوف أي آتياناً بغته أو في مكان الحال أي مباغته . ﴿ الأخلاء ﴾ مبتدا
وبعضهم مبتدا ثان وعدو خبره ، والجملة خبر الأول ، ويومئذ متعلق بعدو . وجملة ﴿ يا عباد ﴾ الخ مفعول لقول محذوف ، والأصل يا
عبادي وحذفت الباء تخفيفاً . ﴿ الذين آمنوا ﴾ بدل من يا عبادي . وفيها ما تشتهي مبتدا وخبر . وتلك الجنة مبتدا وخبر . وهم الظالمين
« هم » ضمير فصل لا محل له من الإعراب .

٧٩-٨٠- ﴿أَمْ أَمْرًا أَمْراً فَإِنَّا مِيرَمُونَ﴾ دبروا وأمرمو الكيد والمكر لرسول الله ، ففقد سبحانه ما دبروا وأمرمو .

٨١-٨٣- ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ نحن . مع الدليل ، فهو ضالتنا ندين بموجه أبي كان ويكون ، ولا دليل على هذا ، بل قام على الصد والعكس .

٨٤- ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ الله وحده إله الكون وخالقه بأرضه وسماؤه ومدبره بعلمه وحكمته .

٨٥- ﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ تقدس سبحانه وتزه عن الولد ، ولماذا الولد وهو خالق الكون بكلمة « كن » وعنده علم الساعة وإليه ترجعون ﴿ فيجزى الذين جعلوا له ولداً بما يستحقون .

٨٦- ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ﴾ المشركون عبدوا الأصنام لتشفع لهم عند الله ، فقال سبحانه : كلا ، لا شفاعة عنده لصنم ولا لمن يدين به ، ولكن يشفع عنده من آمن بالتوحيد وعمل بموجب إيمانه ، والشفاعة بمعناها القرآني ، هي أن يشهد الشافع عند الله بأن المشفوع له قد فعل كذا وكذا من الخيرات والحسنات ، على أن تكون هذه الشهادة عن علم اليقين ، وهذا المعنى يدل عليه بوضوح قوله تعالى : ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ .

٨٧- ﴿وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ ...﴾ تقدم مراراً منها في الآية ٩ من هذه السورة .

لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴿٨١﴾
أَمْ أَمْرًا أَمْراً فَإِنَّا مِيرَمُونَ ﴿٨٢﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَالِدِينَ ﴿٨٤﴾ سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٥﴾ فَذَرَهُمْ يَحْزَنُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٦﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٧﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَبْئُتَنَّ اللَّهُ فَآنِي يُؤْفَكُونَ ﴿٩٠﴾

إشارة:

ان الذين يعرضون عن الحق على نوعين: الأول يعرض عنه لجهله به . والثاني يعرض عنه لانه يصادم أمراءهم وأغراضهم . وهذا النوع من الناس هم الأكثرية الغالبية . . وكل من يدخل النار غداً يدخلها لانه أعرض عن الحق ولم يفعل به ، ولكن القليل منهم استحق العذاب لانه قصر في طلب العلم بالحق ، والأكثر استحقوا العذاب لانهم تركوا الحق لتصادمه مع أهوائهم ، لا لجهلهم به .

الإعراب :

أم أمرمو اضطرب ومثلها أم يحسون . ﴿هو﴾ مبتدأ والذي خبر وفي الساء متعلق بإله لانه بمعنى معبود ، وإله ﴿ خير لمبتدأ محذوف أي هو إله في الساء . وقيله على حذف مضاف عطفاً على وعنده علم الساعة أي وعنده علم قبيله أيضاً .

٨٨- ﴿وَقِيلَ﴾ مصدر تماماً كالقول ، -الضمير يعود إلى النبي (ص) : ﴿يَا رَبَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ القوم الذين بعثتي إليهم لم يستجيبوا لدعوتي ، فأجابه سبحانه بقوله :
 ٨٩- ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ تألفهم بالعفو ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ما يحل بهم حين يلقون جزاءهم المحتوم .

سُورَةُ الدَّخَانِ كَذِبِيَّةٌ وَمِنْ سُورَاتِ الْفُتُوخِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿حَم﴾ تقدم في أول البقرة

٢- ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ الواضح .

٣- ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مَبْرُكَةٍ﴾ وإذا قرأنا هذه الآية معطوفة عليها آية «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ» وآية «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ - ١٨٥ البقرة» - تبين لنا أن هذه الليلة المباركة بتزلزل القرآن هي ليلة القدر ، وانها إحدى ليالي شهر رمضان المبارك .

٤- ﴿فِيهَا يَفْرُقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ يفرق بين ، وضمير فيها لليلة القدر ، وحكيم : محكم ، وكل أمر هنا وفي سورة إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ يعم ويشمل كل شيء ، وسكت عن التفصيل الذي سكت عنه التزليل .

٥-٧- ﴿أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ أرسل سبحانه محمداً رحمة للعالمين كما في الآية ١٠٧ من الأنبياء ، ورحمة محمد (ص) من رحمة القرآن التي عمّت الأرض شرقاً وغرباً ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ إن كانت لكم عقول تؤمن وتوقن بالحق ودلائله القائمة في كل شيء من أشياء الكون .

٨- ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ بيده أرزاق الخلائق وأرواحهم ولا أحد يهب الحياة ويسلبها إلا هو ﴿رَبِّكُمْ رَبُّ آبَاءَكُمْ﴾ فكيف تلجأون إلى غيره

الإعراب :

﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ الواو للقسمة ، وجملة «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ» جواب القسم ، وقال صاحب مجمع البيان : لا يجوز ذلك لأنك لا تقسم بالشيء على نفسه .. ويرد أن القسم وقع على وقت نزوله لا عليه بالذات . ﴿وَأَمْرًا﴾ نصب على الاختصاص أي أعني بهذا الأمر أمراً حاصلاً من عندنا . و﴿رحمة﴾ مفعول من أجله لموسلين أو لأنزلناه . و﴿ربكم﴾ أي هو ربكم .

وَقِيلَ يَرْبِ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾
 عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَّمَ ﴿٨٩﴾ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٠﴾

(٤٤) سُورَةُ الدَّخَانِ كَذِبِيَّةٌ
 وَأَنبِيَاؤُهَا أَتَتْكَ وَخَشَعَتِ الْأُصْغَارُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ
 مُبْرَكَةٍ ﴿٣﴾ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ﴿٤﴾ فِيهَا يَفْرُقُ كُلُّ أَمْرٍ
 حَكِيمٍ ﴿٥﴾ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٦﴾ رَحْمَةً
 مِنْ رَبِّكَ ﴿٧﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٨﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴿٩﴾ إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿١٠﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا
 هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ رَبُّ آبَائِكُمْ الْأَوَّلِينَ ﴿١١﴾

بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿١﴾ فَأَرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي
السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ يَغْشى النَّاسُ هَذَا عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿٣﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾
أَتَى لَهُمُ الْدِكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ﴿٥﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا
عَنهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ﴿٦﴾ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا
إِنْ كُنْتُمْ عَابِدُونَ ﴿٧﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا
مُنتَقِمُونَ ﴿٨﴾ * وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ
رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿٩﴾ أَنْ أَذْهَبَ إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ إِنِّي لَكَ رَسُولٌ
أَمِينٌ ﴿١٠﴾ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ سُلْطٰنٍ
مُبِينٍ ﴿١١﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُونِ ﴿١٢﴾
وَإِنْ لَرَأَوْهُمُ اتُّمَّنُوا لِي فَاعْتَرِلُونِ ﴿١٣﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَبْ لَآءِ
قَوْمٍ مُّجْرِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ ﴿١٥﴾

٩- ﴿بل هم في شك يلعبون﴾ وكلمة يلعبون تومي
إلى أن من يدعي الإيمان بالله ، ويتكل على سواه فهو غير
واقئ من خالقه تماماً كمن يلهو بشيء وهو على علم بأنه
لا يجدي نفعاً .

١٠-١١- ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين
يغشى الناس﴾ استعصت قريش على رسول الله (ص)
وبالغت في إيذائه ، فدعا عليهم وقال : اللهم اجعلها عليهم
سنين كسني يوسف . فاستجاب سبحانه ، وقطع عنهم المطر ،
وأصابهم الجهد والجوع ، وكان أحدهم لما به من الجوع يرى
بينه وبين السماء كال دخان ، وإلى هذا تشير الآية ، فقالوا :
١٢- ﴿ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون﴾ وتشفعوا
برسول الله وناشدوه أن يدعو الله أن يكشف العذاب ويؤمنوا .

١٣- ﴿أني لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين﴾
كيف يتظنون ويرتعدون ان كشف الله عنهم العذاب ، وقد
أصروا على الشرك وتكذيب الرسول مكابرة وعناداً .

١٤- ﴿ثم تولوا عنه وقالوا﴾ عن الرسول : ﴿معلم
مجنون﴾ يتعلم ويحفظ بعض الكلمات ، وينطق بها من
غير فهم وشعور .

١٥- ﴿إنا كاشفوا العذاب قليلاً إنكم عائدون﴾
سنرفع عنهم ما هم فيه بعض الوقت ، ونحن نعلم أنهم لا يكون
بالعهد لا محالة .

١٦- ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى﴾ هذا إنذار
بعذاب يوم القيامة إلا أن يستندركوا بالاستغفار والتوبة .

١٧- ﴿ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون﴾ اختبرهم سبحانه بالنعاء والبأساء وبموسى (ع) تماماً كما اختبر قريشاً بالرخاء
والضراء وبمحمد (ص) فتمرد هؤلاء وأولئك ، وقال موسى لفرعون وقومه :

١٨- ﴿أن أهدأ إلي﴾ ما لكم ولبي إسرائيل ؟ تقتلون أبناءهم ، وتستحيون نساءهم ، دعوهم اني لكم من الله
رسول أمين .

١٩-٢٠- ﴿وأن لا تعلوا﴾ وتستكبروا على طاعة الله ، ولدي الحجة الظاهرة الواضحة على اني رسول الله حقاً
وصديقاً .

٢١- ﴿وإن لم تؤمنوا لي﴾ فليكن الأمر ببني وبينكم على السلم حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً .
٢٢-٢٣- ﴿فدعا﴾ موسى ﴿ربه ان هؤلاء قوم مجرمون﴾ فأمره سبحانه أن يخرج ببني إسرائيل ، وقال له

من جملة ما قال :

الإعراب :

﴿يوم﴾ مفعول به لارتقب . وجملة ﴿يغشى الناس﴾ صفة ثانية لدخان . ﴿وهذا عذاب أليم﴾ مبتدأ وخبر ، والجملة مفعول لقول
محذوف . ربنا أي يا ربنا . ومعلم مجنون أي هو معلم مجنون . وقليلاً أي كشفاً قليلاً أو زمناً قليلاً . ويوم نبطش ﴿يوم﴾ متعلق بفعل
محذوف دل عليه متقمون ، والتقدير نتقم يوم نبطش الخ .

٢٤- ﴿وَاتْرِكِ الْبَحْرِ رَهْوًا ﴿٢٤﴾ سَاكِنًا ، لَأَنْ مُوسَى لَا تَجَاوِزَ الْبَحْرَ أَرَادَ أَنْ يَضْرِبَهُ بِعَصَاهُ حَتَّى يَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ فِرْعَوْنَ فَأَمَرَهُ سَبْحَانَهُ بِتَرْكِهِ عَلَى حَالِهِ سَاكِنًا ، وَيُشْرَهُ بِأَنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ مَغْرُقُونَ فِيهِ .

٢٥-٢٨- ﴿كَمْ تَوَكَّأُوا مِنْ جَنَاتٍ وَعَيْونَ ... ﴿٢٥﴾ كَانَ آلُ فِرْعَوْنَ فِي سُلْطَانٍ وَبَذَخَ وَقُصُورَ وَأَنْهَارَ وَثَمَارَ ، فَأَهْلَكَهُمْ سَبْحَانَهُ ، وَأَوْرَثَ مَا كَانُوا فِيهِ لِقَوْمٍ لَا يَمْتَنُونَ إِلَيْهِمْ سَبَبٌ وَلَا نَسَبٌ .

٢٩- ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ﴿٢٩﴾ لَا أَحَدٌ تَأْلَمُ أَوْ تَأْسَفُ لِمَوْتِهِمْ وَهَلَاكِهِمْ ﴿٣٠﴾ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴿٣١﴾ مَا آخِرُ سَبْحَانَهُ عَذَابِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

٣٠-٣١- ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٣٠﴾ مِنْ طُفْيَانٍ فِرْعَوْنَ وَعَذَابِهِ .

٣٢- ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَا لَهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ أَبَدًا لَيْسَ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ وَتَفَاضُلٍ بِنَصِّ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي الْعَدِيدِ مِنْ آيَاتِهِ ، وَمِنْهَا «إِنْ أَكْرَمَكُمُ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَاكُمُ - ١٣ الْحَجَرَاتِ» وَعَلَيْهِ يَكُونُ الْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِالْعَدِيدِ مِنَ الْآيَاتِ وَالْمُعْجَزَاتِ كَفُلْقِ الْبَحْرِ وَتَضْلِيلِ الْغَمَامِ وَالْمُنِّ وَالسَّلْوَى وَمَا شَبِهَ ، وَالِدَلِيلِ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى بِلَا فَاصل :

٣٣- ﴿وَأَتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ ﴿٣٣﴾ أَيْ الْإِخْتِبَارَ بِالْإِنْعَامِ عَلَيْهِمْ لِنُظْهِرَ أَفْعَالَهُمْ شُكْرًا أَوْ كُفْرًا ، وَقَدْ ظَهَرَتْ فِي الْبَغْيِ وَالضَّلَالِ وَالْغَدْرِ وَالْفَسَادِ حَتَّى لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِمْ ، وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرْدَةَ وَالْخَازِيرَ ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي الْعَدِيدِ مِنَ الْآيَاتِ .

٣٤-٣٥- ﴿إِنْ هَؤُلَاءِ ﴿٣٤﴾ إِشَارَةٌ إِلَى مُشْرِكِي مَكْتُوبِهِمْ مِنْ عَرَبِ الْجَاهِلِيَّةِ ﴿٣٥﴾ لَيَقُولُونَ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَى ﴿٣٥﴾ الْأَصُولُ الْأَسَاسِيَّةُ لِعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِ ثَلَاثَةٌ : التَّوْحِيدُ وَنُبُوَّةُ مُحَمَّدٍ ، وَالْبَعْثُ ، وَكَانَ عَرَبُ الْجَاهِلِيَّةِ يَعْتَرِفُونَ بِمِنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَيُنْكِرُونَ التَّوْحِيدَ ، وَلِذَا تَعَجَّبُوا وَاسْتَغْرَبُوا أَنْ يُجْعَلَ مُحَمَّدٌ الْآلَهُ الْإِلَهًا وَاحِدًا ، وَفِي الْآيَةِ ٢٥ مِنْ لِقْمَانٍ وَغَيْرِهَا : «وَلَقَدْ سَأَلْتُهُمْ مِنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ» وَلَكِنْ إِنْكَارُهُمْ لِلْبَعْثِ كَانَ أَشَدَّ بَكَيْرًا مِنَ الْجُحُودِ بِالتَّوْحِيدِ لِمَا وَقَعَ فِي تَصَوُّرِهِمْ مِنْ اسْتِحَالَةِ الْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَكَانَ الْكَثِيرُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى أَنْهُمْ الْإِسْتِعْدَادُ أَنْ يَنْتَظِلُّوا عَنْ الْأَصْنَامِ وَعِبَادَتِهَا وَيُؤْمِنُوا بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ (ص) وَلَا أَنَّهُ جَمَعَ فِي دَعْوَتِهِ بَيْنَ التَّوْحِيدِ وَالبَعْثِ ، وَأَبَى أَنْ يَفْصَلَ بَيْنَهُمَا ، وَهَذَا يَكْمُنُ السَّرُّ فِي تَكَرُّرِ آيَاتِ الْبَعْثِ بِأَسَالِبِ شَتَّى ، وَأَلْوَانٍ مِنَ الْجَدَلِ وَالْإِحْتِجَاجِ بَيْنَ الْقُرْآنِ وَالْمُشْرِكِينَ وَمِنْ ذَلِكَ هَذِهِ الْآيَةُ .

٣٦- ﴿فَأَنوَا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ وَهَذِهِ مَغَالِطَةٌ وَاضِحَةٌ ، لِأَنَّ الْبَعْثَ وَالْإِعَادَةَ فِي الْآخِرَةِ لَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .

٣٧- ﴿أَهْمُ خَيْرٍ أَمْ قَوْمٌ تُبْعَ ﴿٣٧﴾ كَانَ لِلتَّبَاعَةِ دَوْلَةٌ وَصُولَةٌ فِي الْيَمَنِ ، وَلَمَّا عَتَا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ أَخَذَهُمْ بِالْهَلَاكِ وَالْهَلَاكِ .

٣٨- ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِأَعْيُنٍ ﴿٣٨﴾ كَيْفَ وَالْحَكِيمُ مَرْتَهَ عَنِ الْبَاطِلِ وَالْعَبَثِ ؟

٣٩- ﴿ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ أي ان السموات والأرض بما فيهما من نظام وأحكام يشهدان شهادة صدق وعدل بقدرة الخالق وعظمته .

٤٠- ﴿ ان يوم الفصل ميقاتهم ﴾ يوم القيامة هو الموعد لمحاكمة المجرمين .

٤١- ﴿ يوم لا يغني مولى عن مولى ﴾ قريب عن قريب .

٤٢- ﴿ إلا من رحم الله ﴾ والله أعلم حيث يجعل رحمته .

٤٣- ﴿ ان شجرة الزقوم ﴾ نمرها مقيت . وسم مبيت .

٤٤- ﴿ طعام الأثيم ﴾ من كثرت آثامه .

٤٥- ٤٦- ﴿ كالهلل ﴾ خثارة الزيت ﴾ يغلي في البطون كغلي الحميم ﴾ شديد الحرارة .

٤٧- ﴿ خلوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم ﴾ يأمر سبحانه زبانية جهنم أن يسوقوا الأثيم بقسوة وعنف إلى قلب جهنم .

٤٨- ﴿ ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ﴾ « دوش » جهنمي يفري الجلد ، ويذيب اللحم . ويهشم العظم .

٤٩- ﴿ ذق انك أنت ﴾ صاحب الجلالة والقمامة والسيادة والمعالي « والهر والسنور » .

٥٠- ﴿ ان هذا ما كنتم به تمترون ﴾ تشكون وتصفرون مسترسلين مع طموح الميول وجموح الأهواء آمنين من كل حساب . هذي هي عاقبة الطغاة المجرمين أما مصير الأحرار الطيبين فقد أشار إليه سبحانه بقوله :

٥١- ﴿ ان المقينين في مقام أمين ﴾ أبدا لا شيء يكدر العيش ، ويزعج القلب . .

٥٢- ﴿ في جنات وعيون ﴾ يتمتعون فيها كما يشاءون .

٥٣- ٥٥- ﴿ يلبسون من سندس ﴾ حرير رقيق ﴿ واستبرق ﴾ حرير سميك سماوي لا أرضي ، ويتمتعون بالحرور العين ، وبالخلود في السعادة والهناء .

الإعراب :

﴿ ولا عين ﴾ حال . ﴿ واجمعين ﴾ تأكيد لضمير ميقاتهم . ﴿ ويوم ﴾ لا يغني بدل من يوم الفصل . ﴿ في جنات ﴾ بدل من مقام أمين بإعادة حرف جر . ﴿ متقابلين ﴾ حال من واو يلبسون . ﴿ كذلك ﴾ خبر لمبتدأ محذوف أي الأمر كذلك . آمين حال من واو يدعوون وفضلاً منصوب على المصدرية أي تفضل تفضيلاً .

٥٦-٥٧ ﴿ لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى ﴾
هذا الإستثناء منقطع ، والمعنى لا موت لأهل الجنة إطلاقاً ،
ولا سقم وهم أبداً ، وفوق ذلك لا تقل دم وإزعاج .
٥٨- ﴿ فَإِنَّمَا يَسْرُنَا بِلِسَانِكَ ﴾ أنزل سبحانه القرآن
بلسان العرب سهلاً يسيراً ، ليفهموه ويعملوا بأحكامه وتعاليمه .
٥٩- ﴿ فَأَرْقُبْ إِنِّهِمْ مُرْتَقِبُونَ ﴾ إنتظروا محمد ،
فسيعلم الذين اتخذوا هذا القرآن مهجوراً ماذا يحل بهم من
خزي وهوان . وفي سفينة البحار عن رسول الله (ص) أنه
قال : « يأتي زمان لا يبقى من القرآن إلى رسمه ، ولا من الإسلام
إلا رسمه ، يمسون به ، وهم أبعد الناس عنه ، مساجدهم عامرة
وهي خراب من الهدى » .

سُورَةُ الْجَانَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١-٢- ﴿ حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ﴾
أيضاً القرآن عزيز حيث لا مثيل له ولا نظير ، ويظهر كل من
يتحداه ، وهو حكيم بعبادته وتعاليمه البالغة النافعة .
٣- ﴿ إن في السموات والأرض ﴾ وروعهما في النظام
والإنقان ، للدليل قاطع على وجود القاصد والصانع ، والمراد
بالمؤمنين كل من يؤمن بما دلَّ عليه الدليل ، وبكلمة من لا
يعاند الحق ويججده .

٤- ﴿ وفي خلقكم وما بيث من دابة ﴾ هل من شيء
في الإنسان أو الحيوان أو الحشرة لا حكمة له ؟ أليس هذا دلالة واضحة على الإرادة والتصميم .

٥- ﴿ واختلاف الليل والنهار ... ﴾ إلى كل ما في الكون من شيء ، هو خاضع لقانون طبيعي يسيطر وجوده
واستمراره وحركته أو سكونه وتفاعله ، والقانون والنظام يدل بطبعه على وجود القادر المنظم ، وعلى حد ما قال شوقي أمير
الشعراء : الطبيعة من طبعها « وهل من عاقل يجيب عن هذا السؤال بأن الصدفة والقوضى هي التي أحكمت وطبعت ؟ .

الإعراب :

﴿ تنزيل ﴾ مبتداً ومن الله الخبر ، ويجوز أن يكون تنزيل خبراً مبتداً محذوف أي هذا تنزيل الكتاب ، ﴿ ومن الله ﴾ متعلق بتنزيل .
﴿ آيات ﴾ اسم ان ﴿ وفي السموات والأرض ﴾ خبرها وآيات مبتداً مؤخر . وفي خلقكم خبر مقدم وما بيث عطف على خلقكم . واختلاف
الليل والنهار خبر مقدم وآيات لقوم مبتداً مؤخر . تلك آيات الله مبتداً وخبر .

(٤٥) سُورَةُ الْجَانَةِ مَكِّيَّةٌ
إِلَّا آيَةَ ١٤ مُدَنِيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ٣٧ نَزَلَتْ بَعْدَ الدَّخَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ١ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ٢
إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ٣
وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ ءَايَاتٍ لِقَوْمٍ يُوقُنُونَ ٤
وَأَخْلَخْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ

٦- ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ ﴾ إشارة إلى المشاهد والدلائل الحسية على وجود الخالق وقدرته ﴿ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ﴾ بمنهج العلوم القائم على النظر بالحس والاستنباط بالعقل ﴿ فَبَيِّضْ حَدِيثَ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ من لا ينتفع ببيان الله ، ولا يقتنع بحجته فلا جدوى من تذكيره وتحذيره .

٧- ﴿ وَيَلْ لَّكُلِّ أَفَّاكَ أَثِيمٌ ﴾ في أقواله ﴿ أَثِيمٌ ﴾ في أفعاله .

٨- ﴿ يَسْمَعُ آيَاتُ اللَّهِ تَنَلُّهُ ﴾ ترشده إلى الخير وتأمره به ، تذله على الشر وتنهاه عنه ﴿ ثُمَّ يَصْرُ ﴾ على شقائه وكبريائه .

٩- ١٠- ﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا أَخَذَهَا حِزْوًا ﴾ إذا سمع آية من القرآن سخر وطعن ، وهكذا الحسود الحقود على كل فضيلة ومكرمة ، ولكن سهمه يرد إلى نحره . قيل لعالم معاصر لإمام المتقين وسيد الساجدين : ما رأيك بعلي بن الحسين ؟ قال : ما رأيت له صديقاً في الباطن ، ولا عدواً في الظاهر . قيل له : وكيف ذلك ؟ فقال : الصديق يحسده على فضله ، وحسد الصديق من سقم المودة ، والعدو لا يجد فيه ما يقال كي ينشبت به ﴿ مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ ﴾ إليها مصيرهم ، لا ينجيهم منها مال ولا بنون ولا ما كانوا يعبدون من دون الله .

١١- ﴿ هَذَا هُدًى ﴾ إشارة إلى القرآن ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ ﴾ وهي الأدلة الكونية على وجود الله وعظمته ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رَجْزٍ ﴾ أي أشد العذاب .

١٢- ١٣- ﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ ... ﴾ نعم الله

على عباده لا يبلغها عد ولا إحصاء ، وأشار سبحانه هنا إلى شيء منها كي تندبر وتؤمن ، وتذكر وشكر ، وتقدم مرات ، منها في الآية ٣٢ وما بعدها من إبراهيم .

اللغة:

أفَّاكَ كثير الكذب . وأثيم كثير الإثم . ويطلق الرجز على معانٍ ، منها القدر والانحراف عن الحق إلى الباطل ومنها شدة العذاب وهذا المعنى هو المراد من الرجز في الآية ، أي عذاب من النوع الشديد الأليم . وتطلق أيام الله على أيام نعمته ونعمته .

الإعراب:

﴿ مُسْتَكْبِرًا ﴾ حال من ضمير يصر ﴿ كَانَ ﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي كأنه وأليم بالرفع صفة لعذاب .

رَزَقٍ فَأَحْيَاهُ الْآرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ
 ءَايَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ
 بِالْحَقِّ فَبَيِّضْ حَدِيثَ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ ءُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾
 وَيَلْ لَّكُلِّ أَفَّاكَ أَثِيمٌ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللَّهِ تُنَلُّ
 عَلَيْهِ ثُمَّ يَصْرُ مُسْتَكْبِرًا كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ
 أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَاتِنَا شَيْئًا أَخَذَهَا حِزْوًا
 أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩﴾ مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا
 يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا أُخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ
 أُولَئَاءَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ
 كَفَرُوا بِءَايَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رَجْزِ أَلِيمٍ ﴿١١﴾
 * اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ
 وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ

١٤- ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ

اللهِ ﴾ لا يتوقعون أن ينتقم الله منهم على بغيتهم وضلالهم . نزلت هذه الآية في ابتداء الإسلام حيث لا قوة رادعة للمسلمين . ولا وسيلة للمستضعف منهم إلا الصمود على العقيدة والصبر على الأذى في سبيلها حتى يأتي نصر الله والفتح . وقد علمت التجارب أن مقاومة الضعيف تأتي دائماً لمصلحة القوي ، ولذا قيل : من لم يصبر على كلمة سمع كلمات .

١٥- ﴿ من عمل صالحاً فلنفسه ... ﴾ واضح . وتقدم في الآية ٤٦ من فصلت وغيرها .

١٦- ﴿ ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب ﴾ التوراة والإنجيل . لأن عيسى (ع) من بني إسرائيل ﴿ والحكم ﴾ أيام داود وسليمان ﴿ والنبوة ﴾ والكثير من أنبيائهم كالعلماء المسلمين ﴿ ورزقناهم من الطيبات ﴾ ولا ظلموا ولم يشكروا حرماً الله عليهم بنص الآية ١٦٠ - ١٦١ من النساء : « فظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل » ولذلك لعنهم سبحانه في العديد من الآيات ، منها الآية ٤٧ و ٥٢ من النساء ﴿ وفضلناهم على العالمين ﴾ بإرسال الأنبياء منهم لإلقاء الحجة عليهم .

١٧- ﴿ وآتيناهم بينات من الأمر ﴾ بين سبحانه لبني إسرائيل كل ما يحتاجون إليه من أمور الدين ، وأقام عليهم الحجة التي لا تدع وسيلة للاختلاف ، ومع ذلك اختلفوا ﴿ من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ﴾ أي حرفوا وزيفوا كلام الله تبعاً لأهوائهم كما في الآية ٤٦ من النساء : « من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه » ﴿ إن ربك يقضي بينهم ... ﴾ واضح ، وتقدم في الآية ٩٣ من يونس .

١٨- ﴿ ثم جعلناك ﴾ يا محمد ﴿ على شريعة من الأمر ﴾ لقد منَّ الله عليك بالقرآن ، وأيضاً من به وبك على المؤمنين ، وهو بشريته وأحكامه كاف واف . فتمسك به وت ومن اتبعك ، ودع من ضلَّ وعاند بعد أن تقيم الحجة عليهم .

١٩- ﴿ إنهم لن يغفوا عنك من الله شيئاً ﴾ لا خير ترجوه منهم ولا أمل فيهم ﴿ وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض ﴾ لا ينصرون أهل الحق والخير . وينصر بعضهم بعضاً على

الإغراب :

وجماً حال ﴿ وما في السموات وما في الأرض ﴾ . وضمر منه يعود على الله سبحانه والمجرور متعلق بمحذوف صفة للجميع . ويغفروا مجزوم بحواب أمر محذوف أي قل لهم : اغفروا يغفروا . فلنفسه متعلق بمحذوف خبراً لمبتدأ محذوف أي نفع صلاحه عائد لنفسه . فعليها أيضاً خبر لمبتدأ محذوف أي فضرر إساءته عائد عليها . ﴿ شيئاً ﴾ مفعول من أجله لاختلَفُوا و﴿ شيئاً ﴾ مفعول مطلق ليغفوا أي شيئاً من الاغناء .

الشر والضلال ، وآلهم إلى الضياع والوبال ﴿ والله ولي المتقين ﴾ ينصروهم دنيا وآخرة .

٢٠- ﴿ هذا ﴾ القرآن ﴿ بصائر للناس ﴾ الطيبين يصرون به ويهتدون إلى كل خير ، ويخصهم الله بفضله ورحمته .

٢١- ﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات ﴾ عملوها وكسبوها ﴿ أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ﴾ المراد بالمحيا الدنيا ، وبالمات الآخرة ، وما من شك أن متاع الحياة الدنيا مباح لكل طالب وراغب مسيئاً كان أم محسناً ، أما نعيم الآخرة فهو وقف على من أخلص في إيمانه ومقاصده ، وأحسن في أقواله ، وأصلح في أعماله حيث لا يستقيم في عدله تعالى أن يستوي مصير الطيب والخبيث والحسن والمسيء .

٢٢- ﴿ وخلق الله السموات والأرض بالحق ﴾ وأيضاً يجزي المحسن والمسيء بالحق والعدل ، ويأخذه بعمله .

٢٣- ﴿ أفأريت من اتخذ إلهه هواه ﴾ دينه دنياه ، وترفه عقله وهواه ، وتقدم في الآية ٤٣ من الفرقان ﴿ وأضلّه الله على علم ﴾ أمره سبحانه ونهاه ، فعصى وتمرد ، فتخل عنه بعد أن علم إصراره على العمى والضلال ، وعبر سبحانه عن هذا التخلي والخذلان بالإضلال والختم على السمع والقلب والبصر ، وسبق أكثر من مرة أن الله يشرع الأحكام ، ويترك التنفيذ لإرادة الإنسان حرصاً على حريته .

٢٤- ﴿ وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا ... ﴾ إلا أيام

تنطوي وتمضي ، وما فات من العمر لا ترجى رجعته ﴿ وما لهم بذلك من علم ﴾ هم يعلمون أن من مات فقد فاتته الحياة الدنيا ، أما حديثهم عن الآخرة وإنكارهم لها فرجم بالغيب - .

٢٥- ﴿ وإذا تلى عليهم آياتنا ﴾ الدالة على إمكان البعث ﴿ قالوا اتوا بآياتنا ﴾ الأموات ، وهذا شرود عن البعث ، لأنه في الآخرة ، وهم يطلبونه في الدنيا ، وتقدم في الآية ٣٦ من الدخان .

أُولَئِكَ بَعْضُ اللَّهِ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿ هَذَا بَصَاطٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلَيُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿ أَفَرَأَيْتَ مِنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشًوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّمَرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿ وَإِذَا نُفِثَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ جُحُودُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتُؤْتُوا بَآيَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿

الإعراب :

أم حسب « أم » للإضراب أي بل حسب . والمصدر من أن نجعلهم ساد مسد مفعولي حسب . وسواء مفعول ثانٍ لنجعلهم . ومحياهم ومماتهم فاعل سواء لأنه بمعنى مستقر . وما يحكمون « ما » مصدرية والمصدر المنسبك فاعل ساء . وعلى علم حال . وإن هم « ان » نافية . والمصدر من ان قالوا خبر كان .

قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ
مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِضُ
بِخَسْرِ الْمَبْطُلُونَ ﴿٢٧﴾ وَرَبِّ كُلِّ أُمَّةٍ جَائِيَةٌ كُلُّ أُمَّةٍ تَدْعِي
إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْزَنُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا
يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾
فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ
فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا
أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُنْزَلُ عَلَيْكَ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا
تُجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ
فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ
بِمُتَّبِعِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ

٢٦- ﴿ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ ﴾ كما نرون بالحس
والبيان ، فكذلك قادر على أن يحييكم بعد الموت ﴿ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ ﴾
إلى يوم القيامة ﴿ وإحياء العظام وهي شيء رميم أهون وأيسر ﴾
من إيجادها من لا شيء .

٢٧- ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ تنفذ مشيئته
في ملكه إيجاداً وإعداماً ، ثم إعادة للخلق يوم القيامة لينتقم
من المظلمين ، ويحسن للمحقين بجنات النعيم .

٢٨- ﴿ وَرَبِّ كُلِّ أُمَّةٍ جَائِيَةٌ ﴾ بركة على الركب ،
تنتظر الحساب والجزاء ﴿ كُلِّ أُمَّةٍ تَدْعِي إِلَى كِتَابِهَا ﴾ إلى
صحيفة عملها .

٢٩- ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ ﴾ وما ترك
صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .

٣٠- ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ فلهم
أعلى الدرجات .

٣١- ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ فلهم الويلات والحسرات ،
وتقدم مرات ، منها في الآية ٥٦-٥٧ من النساء .

٣٢- ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ إذا قال المؤمنون
بالساعة للجاحدين بها : إنها آتية لا محالة - قال الكافرون :
﴿ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ ﴾ لا نعرف عنها شيئاً ، ولا نظن أن
القيامة قائمة .

٣٣- ﴿ وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا ﴾ سخروا من يوم
القيامة وعذابه ، فكانوا لجهennem خطباءً .

إشارة:

قال الكافرون : لسنا على يقين من البعث ، ولا نعرف عنه شيئاً سوى الظن ، فأتونا بما يدل عليه . ونسأل : ان الله سبحانه حكى
عنهم في الآية ٢٤ من هذه لسورة انهم نفوا البعث بلسان الجزم كما يدل قولهم : وما هي إلا حياتنا الدنيا ثم حكى عنهم هنا انهم
يظنون ظناً وما هم بمستيقنين أي انهم لا يميزون في أمر البعث سلباً ولا إيجاباً ،

الإعراب :

﴿يوم﴾ متعلق ﴿ببخسر المبطلون﴾ . ﴿ويومئذ﴾ بدل من يوم . اليوم تحزون أي يقال لهم : اليوم تحزون . أفلم تكن آياتي أي يقال
لهم : أفلم تكن الخ .

٣٤- ﴿ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ ﴾ يودعهم سبحانه في جهنم ، ويوكل عذابهم إليها وحدها ، ويهملهم إلى ما شاء وتقدم في الآية ٥١ من الاعراف .

٣٥- ﴿ ذَلِكَم بِأَنكُمْ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ﴾ ذلكم إشارة إلى العذاب ، والمعنى أن السبب الموجب لإهمالنا ومعاملتنا لكم معاملة الناسي هو ركونكم إلى الأهواء والأغراض ، واستخفافكم برسول الله وكتابه وبكل حق أياً كان مصدره ودليله ﴿ وَلَا هُمْ يَسْتَعْتَبُونَ ﴾ لا يُطلب منهم أن يتوبوا ويسترضوا الله سبحانه بقول أو فعل ، لأن الآخرة للحساب والجزاء لا للعمل والإسترضاء .

٣٦- ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ ﴾ ذي الجلال والإنبام ، وصلى الله على من لا نبي بعده وآله الكرام

سُورَةُ الْاِخْتِافِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١-٢- ﴿ حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ﴾ نزل القرآن الكريم على قلب الصادق الأمين من عزة الجلال وحكمة الكمال .

إشارة:

كان تقديس الأصنام وعبادتها جزءاً من حياة الناس منذ عهد نوح إلى عهد الرسول الأعظم (ص)، وبينهما آلاف السنين.. وحتى في عصرنا هذا، عصر الفضاء، تنتشر الوثنية في شرق الأرض وغربها.. وهل هذه التماثيل القائمة الآن في المعابد وعلى مفارق الطرق ورؤوس الجبال، وهذه الرسوم على الجدران وفي المفكرات وهنا وهناك، والتي تحكي الآلهة بزعم الزائعين، هل تقديس تلك التماثيل وهذه الرسوم إلا ضرب من الوثنية وعبادة الأصنام؟.. وهنا يكمن السر لاهتمام الاسلام والقرآن في الرد على عبدة الأوثان، وتتجلى عظمة محمد (ص) في تكريم الانسان وتنزيهه عن عبادة ما صنعت يده.

الإعراب :

من قبل هذا متعلق بمحذوف صفة لكتاب أي بكتاب منزل من قبل هذا .

(٤٦) سُورَةُ الْاِخْتِافِ مَكِّيَّةٌ
وَأَنبَأَ أَنهَا جُمُعَتَيْنِ وَشَبَاحَتَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حمَ ١ تنزيل الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ٢

٣- ﴿ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾
الكون من لدن حكيم خبير لا من الصدفة العشوائية ﴿ وَأَجَل ﴾
مسمى ﴿ أمد معين لزواله وفنائه .

٤- ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ الكون بمن
وما فيه من خلق الله ، فأروني ماذا خلق الذين من دونه واعبدوا
ما شئتم ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ ﴾ هل للأصنام أو لغيرهم نصيب
في خلق السموات والأرض ؟ ﴿ اتَّخَذُوا بَكْتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا ﴾
القرآن يقول : الأصنام يشاركون الله في خلقه ﴿ أَوْ آثَارَهُ ﴾
من علم ﴿ المراد بالآثار البقية أو الشيء ، وبالعلم الدليل ،
والمعنى إذا لم ينزل الوحي بأن الله شريكاً فهل في الكون دليل
واحد على وجوده ؟ وتقدم في الآية ٤٠ من فاطر .

٥- ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ ... ﴾ لا
أحد أكثر جهالة وضلالة من الذي يعبد ما لا يسمع ولا يبصر
ولا ينفع شيئاً .

٦- ﴿ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ ﴾ يوم القيامة للحساب تبدأ
المعبود المزعوم ممن كان يعبده والمفضل مما كان يفضل ، وتقدم
في الآية ٢٨ من يونس .

٧- ﴿ وَإِذَا تَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ... ﴾ إذا قرئ القرآن
على الكافرين بالحق والمعادنين له - نعتوه بالسحر وتقدم في
آية ٧ من الأنعام وغيرها .

٨- ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي ﴾
من الله شيئاً ﴿ قال المعاندون : محمد يفترى على الله بقرآنه ،
فأمره سبحانه أن يقول لهم : كيف أفترى على الله وأنا على

علم اليقين بأنه لا أحد يجيزني من غضبه وعذابه إن كذبت عليه واقرتني ﴿ هو أعلم بما تفيضون فيه ﴾ لا تخفى على
الله خافية من أقوالكم وأفعالكم ، وأنتم عنها مسؤولون ، وعليها معاقبون .

الإعراب :

أو آثارة عطف على كتاب . و﴿من لا يستجيب﴾ مفعول يدعو . وضمير هم يعود إلى الأصنام . وعن دعائهم متعلق بغافلين ،
وبعبادتهم متعلق بكافرين . ﴿بينات﴾ حال من ﴿آياتنا﴾ . ﴿وكفروا بالحق﴾ اللام للتعدي والمجرور متعلق بقال لا بكفروا مثل قال له .
أم يقولون أم ؟ للاستفهام . كفى به شهيداً الباء زائدة والضمير فاعل أي كفى الله شهيداً ، وشهيداً تمييز بيني وبينكم بمنزلة الكلمة
الواحدة أي بيننا .

٩- ﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ ﴾ لست بأول رسول للحق إلى الخلق حتى قامت قيامتكم ولم تقعد ﴿ وما أدري ما يفعل بي ولا بكم ﴾ في الحياة الدنيا ، لأن النصر بيد الله العزيز الحكيم ، وقد نصر الله عبده محمداً ، وأظهر دينه على الشرك كله .

١٠- ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ ﴾ أيها الكافرون بالقرآن ﴿ إن كان من عند الله وكفرتم به ﴾ ماذا تظنون أن يصنع الله بكم إن كان القرآن حقاً وصدقاً ؟ ولماذا تظلمون أنفسكم ؟ ﴿ وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن ﴾ ضمير مثله للقرآن ، والمعنى أن عالماً من بني إسرائيل شهد بأن تعاليم القرآن تماماً مثل تعاليم التوراة التي أنزلها الله على موسى ، ولذا آمن بالقرآن ونبوة محمد (ص) هذا العالم المنصف ﴿ واستكبرتم ﴾ أيها المشركون عن الإيمان بالحق .

١١- ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه ﴾ آمن بمحمد والقرآن الفقراء والمساكين كبلال وعمار وصهيب وخباب ، ومعنى هذا في منطق عتاة البغي أن القرآن لا خير فيه ، ولم تمض أيام حتى داس هؤلاء المستضعفون الأصنام بالأقدام . واعتلى العبد الحبشي بلال ظهر الكعبة يتنادي : لا إله إلا الله محمد رسول الله ﴿ وإذا لم يهتدوا به ﴾ لم يؤمنوا بالقرآن ﴿ فيقولون هذا إفك قديم ﴾ خرافة وأساطير الأولين . ولماذا القرآن الخرافة عند هؤلاء ؟ أبداً لا شيء إلا لأنه لا ينطق عن جهلهم وأهوائهم .

١٢- ﴿ ومن قبله ﴾ من قبل القرآن ﴿ كتاب موسى

إماماً ورحمة وهذا ﴿ القرآن ﴾ كتاب مصدق لساناً عربياً لينذر الظالمين ويطهر المؤمنين ﴿ القرآن ﴾ كالتوراة التي نزلت على موسى . كل منهما إمام يهدي للتي هي أقوم ، ورحمة لمن آمن به وعمل بموجبه .

١٣- ١٤- ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾ تتحدد هذه الآية المقيمين حقاً وواقعاً ، بالإيمان والعمل بموجبه ، بالخوف من الله ، وانعكاس هذا الخوف في شيء محسوس وملمس ، أما جزء هذا الخوف في الدنيا فهو الأمن من المخوف في الآخرة كما قال سبحانه : ﴿ فلا خوف عليهم ... ﴾ وتقدم في الآية ٣٠ من فصلت .

الإعراب :

وما أدري « ما » نافية . ما يفعل بي « ما » مبتدأ والخبر يفعل . ﴿ ومن قبله ﴾ متعلق بمحذوف خبراً لكتاب موسى أي وكتاب موسى كائن من قبله . ﴿ وإماماً ﴾ حال من الضمير في كائن . ﴿ ولساناً ﴾ حال من الضمير في مصدق . والمصدر من لينذر متعلق بمصدق ﴿ وبشراً ﴾ عطف على المصدر المنسبك أي للأنذار والتبشير . ﴿ بخالدين ﴾ حال من ضمير أصحاب . ﴿ وجزاء ﴾ نصب على المصدر أي يجزون جزاء .

١٥- ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ المراد بالإحسان هنا ضد الإساءة بما يجرح النفس ويزعجها ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كَرهًا وَوَضَعَتْهُ كَرهًا﴾ قاست الكثير من التعب والمشقة والكرب والهرج في حمله ووضعه وحضاته ، وتقدم في الآية ٢٣ الإسراء وغيرها ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾ قال ابن كثير في تفسيره الشيخ المراغي : إن علي بن أبي طالب (ع) أول من استنبط من القرآن أن أقل مدة الحمل ستة أشهر ، فقد شكى رجل لعثمان بن عفان أن زوجته ولدت لسته أشهر ، فأمر برجمها فرجمت حتى الموت . فأناه الإمام علي وقال له : أما تقرأ القرآن ؟ قال : بلى . قال علي : إن الله يقول : « وحمله وفصاله ثلاثون شهراً » ويقول : « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين - ٢٣٣ » الآية فلم يبق بعد الحولين إلا ستة أشهر . قال عثمان : والله ما فطنت لهذا . ﴿حتى إذا بلغ أشده﴾ منتهى القوة ، وهو جمع بلا واحد أو واحد بصيغة الجمع كما في كتب اللغة ﴿وبلغ أربعين سنة﴾ وفي هذه السن تكتمل قوة الإدراك ، وتنمو بالتعلم والتجارب ﴿قال﴾ كل من بلغ سن الأربعين بلسان المقال أو الحال إن يك من أهل الخير والصلاح : ﴿رب أوزعني﴾ ألهمني ووفقني ﴿أن أشكر نعمتك﴾ وأمها نعمة الدين والهداية إلى الحق ، وهذه الآية واضحة ، وتقدمت في النمل رقم ١٩ .

١٦- ﴿أولئك﴾ إشارة إلى ﴿الذين﴾ يقولون هذا القول ﴿تقبل عنهم﴾ أي منهم ﴿أحسن ما عملوا﴾ كل عمل لا يسيء به عامله إلى نفسه ولا إلى غيره فهو من أحسن أعماله ﴿وتجاوز عن سيئاتهم﴾ إن تابوا وأخلصوا ﴿في أصحاب الجنة﴾ وعد الصديق ﴿منصب على المصدر ، والمعنى وعد الله في محل نصب على الحال أي كاتنين من أصحاب الجنة وعد الصديق .

١٧- ﴿والذي قال لوالديه أف لكما...﴾ لما ذكر سبحانه الولد المؤمن الصالح البار بوالديه الداعي لهما بالخير حيث أرشدها إلى الدين والإيمان - أشار إلى الولد الكافر الفاسد العاق بأبويه لا لشيء إلا لأنها أرادا له الخير والهداية إلى سبيل النجاة وقال له : آمن بالله وبآلئح وحسابه . فقال : ﴿أفعداني أن أخرج﴾ من قري وأنا تراب وبياب ﴿وقد خلت القرون من قبلي﴾ هل حدث ذلك لغيري في عصر من العصور الخالية ؟ وتصدق هذه الآية على كثير من شباب الجيل المؤمن بالحرية الراقية المتفرجة التي لا يحدها دين أو عقل أو خلق كريم ؟ وهنا يكمن السبب الموجب للتصادم بين الآباء والأبناء - في الغالب - ﴿وهما يستغيثان الله﴾ يسألانه الهداية لولدهما ﴿ويلك﴾ الهلاك لك ﴿أمن﴾ أن البعث والحساب حق لا ريب فيه ﴿فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين﴾ ومع الأيام تطورت هذه الكلمة إلى كلمة «رجعية» . ويقال : إن الطب الحديث في مقدوره أن يجعل المولود ذكراً أو أنثى تبعاً لاختيار الزوجين . وأتمنى لو أن في مقدور الطب أو علم آخر أن يجعل المولود كريماً في أخلاقه ، كاملاً في سلوكه ذكراً أم أنثى ... أبداً لا وسيلة إلا الإيمان والإلتزام بدين من أرسله الله لينتم مكارم الأخلاق .

١٨- ﴿أولئك﴾ إشارة إلى من عاند الحق ، وأعرض عن دعوته ﴿الذين حق عليهم﴾ ولهم العذاب الأليم .

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كَرهًا وَوَضَعَتْهُ كَرهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ تَقْبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّاتِ وَعَدَ الصَّادِقَ الَّذِي كَانُوا بِوَعْدُونَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أَفِ لَكُمْ أَنْ تُعَذِّبَنِي أَنْ أَخْرِجَ وَقَدْ خَلْتُ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِي وَمَا يَسْتَفِيتَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ ءَأَمِنَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّهِمْ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مَنَ

١٩- ﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا ﴾ لا مما لهم من جاه ومال ، ولا من لون ونسب ، ولا من لغة ومذهب ، بل مما عملوا بهذا النص القاطع . وقال بعض من ينتسب إلى الدين : إن الدرجات بمشيئة الله وكفى ، والإعتراف عليها زندقه وهرطقة . ونجيب : كل شيء بمشيئته تعالى ، ولكن هذه المشيئة القسمية قد تتعلق بشيء مطلق مثل آمنوا بالله واليوم الآخر ، وقد تتعلق بشيء مشروط ومقيد مثل حجوا إن استطعتم ، والرفع مقيد بالعمل الصالح بل هو تمام الموضوع بدليل قوله تعالى : « والعمل الصالح يرفعه » .

٢٠- ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ ﴾ أي يعذبون فيها ، وتقول لهم ملائكة العذاب : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا ﴾ قلتم في كل لذة وشهوة على حساب الفقراء والمساكين . واستوفيتم الحظ الأوفر من متاع الحياة الدنيا ﴿ فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ ﴾ بما كنتم تستكبرون ﴿ وهذا الخطاب للمتربعين والمترفين وحدهم لأن غيرهم لا يملك جاهاً ولا مالاً كي يشمخ به ويتعالى ﴾ وبما كنتم تفسقون ﴿ وهذا يطرد ويشمل كل من يبعث بالقيم ، ويتلاعب بالشعارات ، ويستر بالنفاق والرياء .

٢١- ﴿ وَادْكُرْ أَهْلَ عَادٍ ﴾ هوداً ﴿ إِذْ أَنْذَرْنَاهُمْ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ ﴾ جمع حقف وهو الرمل المستطيل المرتفع وفيه انحناء ، وكانت عاد بين رمال مشرفة على البحر بالشجر من بلاد اليمن كما في جوامع الجامع ﴿ وَقَدْ خَلَّتِ النَّارُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ﴾ جاءت الرسل من قبل هود ومن بعده ، والدليل على أن المراد بخلت هنا جاءت قوله تعالى : « عاد وثمود إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم - ١٤ فصلت » .

٢٢- ﴿ قَالُوا أَجِئْنَا لِنُفِئَكُنَا ﴾ لنصداً عن عبادة الأصنام ، إن هذا شيء عجاب . وهكذا تطفئ العادة على كل تفكير ، ومن هنا قيل : العادة طبيعة ثانية بخاصة إذا كانت موروثه أباً عن جد ﴿ فَأَتَانَا بِمَا تَعْلَمَانِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ عجل بعذابك الموعود إن كان حقاً وصدقاً .

٢٣- ﴿ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ لا أعلم أمد العذاب ولا نوعه ، إنما الغيب لله وحده .

٢٤-٢٥- ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ ﴾ نزل عليهم العذاب من السماء ، فظنوه غيثاً وفرحوا به ، فقال

الإعراب :

﴿ وإحساناً ﴾ نصب على المصدر أي ان يحسن إحساناً . ﴿ وكراً ﴾ صفة لمفعول مطلق محذوف أي محلاً كراً أو حال أي كرامة . والمصدر من ان أشكر مفعول أوزعي . وصالحاً صفة لمحذوف أي عملاً صالحاً . ﴿ وعد الصدق ﴾ منصوب على المصدر أي وعد الله وعد الصدق . ﴿ والذي ﴾ مبتدأ والمراد به الجنس لا شخص معين ، وأولئك الذين حق خبره . ﴿ أف لكيا ﴾ أف اسم فعل ولكيا متعلق به . والمصدر من ان أخرج مجرور بياء محذوف . ﴿ وويلك ﴾ مفعول لفعل محذوف أي ألزمك الله الويل . ﴿ وليوفيتهم ﴾ متعلق بمحذوف أي بعثناهم ليوفيتهم . وجملة ﴿ أذهبتهم ﴾ مفعول لفعل محذوف أي يقال لهم أذهبتهم الخ .

إِلَٰهِي وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفيَهُمْ أَعْمَلُهُمْ وَهُمْ لَا يَظْلُمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ * وَادْكُرْ أَهْلَ عَادٍ إِذْ أَنْذَرَنَاهُمْ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّارُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَجِئْنَا لِنُفِئَكُنَا مِنَ الْهَيْبَةِ فَأَتَانَا بِمَا تَعْلَمَانِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرِيتُكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا

لهم هود : ﴿ بل هو ما استعجلتم به ﴾ قلتم : فأنا بما تعدنا ، فجاءتكم ريح لا تقي ولا تذر ﴿ فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم ﴾ خالية لا سمع فيها ولا بصير ، ونعوذ بالله من المخبات والمفاجآت .

٢٦- ﴿ ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه ﴾ الخطاب لعتاة قريش ، والمعنى أعطينا عاداً ما لم نعطكم مثله من الأموال والأولاد ، ثم أهلكناهم بذنوبهم ، ألا تخشون أن يصيبكم ما أصابهم ؟ ﴿ وجعلنا لهم سمعاً ... ﴾ كانت الأسم الماضية أيها المجرمون الماندون لمحمد ، لهم سمع وبصر وعقل تماماً كما لكم ، ولما عموا وصموا عن دعوة الحق أخذهم الله بما كسبوا ، وما أغنى عنهم بصر وبصيرة ، فاتعظوا بالعبر واعتبروا بالغير .

٢٧- ﴿ ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى ﴾ الخطاب لشركي مكة ، والمراد بالقرى أهلها ، وهم عاد وثمود ومن جاورهم ﴿ وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون ﴾ بينا وكرنا ألواناً من الدلائل والعظات ، عسى أن يتعظوا ، فأبوا إلا كفوراً ، فحققت كلمة العذاب على الكافرين .

٢٨- ﴿ فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله ... ﴾ عبدوا الأصنام يبتغون بها الوسيلة إلى الله ! فإذا بها لا شيء ﴿ وذلك ﴾ إشارة إلى ضعف الأصنام وعدم جدواها ﴿ إفكهم ﴾ واقراؤهم على الله ، وكل ذلك تقدم وتكرر .

٢٩- ﴿ وإذ صرفنا إليك ﴾ يا محمد ، ومعنى انصرف إليك أقبل وتوجه نحوك ، وانصرف عنك انحرف وذهب

﴿ نفرأ من الجن يستمعون القرآن ﴾ فكرة وجود الجن لا يرفضها العقل ، وقد نزل بها الوحي فوجب التصديق ، وما أكثر ما نجعل من عوالم هذا الكون . وعلى أية حال فإن الله سبحانه قد دفع بنفر من الجن إلى الرسول الأعظم ليستمعوا إليه وهو يتلو القرآن ﴿ فلما حضروه ﴾ قال بعضهم لبعض : اسكنوا وتديروا معانية وأهدافه ﴿ فلما قضى ولوا إلى قومهم مننرين ﴾ لما فرغ النبي (ص) من القراءة سارعوا إلى قومهم مبشرين بالإسلام .

الإعراب :

﴿ وريح ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي هو ريح . كذلك تجزي الكاف بمعنى مثل قائمة مقام المفعول المطلق أي مثل ذلك الجزء تجزي مكناهم فيها إن « ما » بمعنى الذي وإن « نافية أي مكنا عاداً ما لم نمكنكم فيه يا قريش . وأهة مفعول ثانٍ لاتخذوا ، والمفعول الأول محذوف أي اتخذوهم . وقرباناً مفعول من أجله أي اتخذوهم أهة ليقربوهم إلى الله مثل قوله تعالى حكاية عنهم . ﴿ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ ٣٠ الرمز . ﴿ إذ ﴾ متعلقة بمحذوف أي واذكر إذ صرفنا . والهاء في ﴿ حضروه ﴾ للقرآن . ﴿ مصدقاً ﴾ صفة لكتاب .

٣٠- ﴿وَقَالُوا﴾ لهم من جملة ما قالوا : ﴿يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد﴾ التوراة يصدق كل ما جاء به الأنبياء الأولون ، ويرشد إلى الحق والخير .

۳۱۔ ﴿يا قومنا اجيوا داعي الله﴾ ترشدون وتوجرون ، ولا يبقی علیکم من ذنب .

٣٢- ﴿ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض﴾ ولا في السماء، أبداً لا يفوته من طب، ولا يعجزه من حرب ﴿أولئك في ضلال مبين﴾ أولئك إشارة إلى الذين لم يستجيبوا لله، وانهم ناكبون عن سواء السبيل.

٣٣- ﴿أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض لم يعجز ، والمعنى لا أحد يشك في وجود الكون اللهم إلا من يشك في أنه يشك ، ومثله تماماً من يشك في إحياء الموتى ، لأن من خلق الكون بقدرته قادر على أن يخلق الحياة فيمن مات ، وتقدم مرات .

٣٤- ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ ﴾ أي يعذبون فيها ، فيقال توبيحاً : ﴿ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ ﴾ متحقق وثابت بالفعل ﴿ قَالُوا بلى وربنا ﴾ أنكروا حيث يضرهم الإنكار ، وأفروا حيث لا يشفعهم الإقرار ، والعاقل لا يجزم سلباً ولا إيجاباً إلا على أساس ، وتقدم في الآية ٣٠ من الأنعام وغيرها .

٣٥- ﴿ فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ﴾
المعروف أن أولى العزم من الأنبياء خمسة : نوح وإبراهيم
عليهم هذا الوصف . لأن لكل واحد منهم شريعة ، يستمر
لنبي الذي لا نبي بعده ولا شريعة إلا شريعته التي لا انقضاء
للمدلولين كذبوا برسالتك ﴿ كأنهم يوم يرون ما يوعدون ﴾

مُنْذِرِينَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا يَلْقَوْنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كُتُبًا أَنْزَلَ مِنْ
بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى
طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٦﴾ يَلْقَوْنَآ أَجْبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمَنُوا
بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٧﴾
وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعِجَزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ
لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٨﴾
أُولَٰئِكَ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ
يَعْبُدْهُنَّ يَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ يَخْبِيَ الْآمُونَ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَىٰ
النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا
الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولَٰؤُا
الْعَزَمَ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ

الإعراب:

«ويغفر» مجزوم بـجواب الأمر، وهو آمنوا. «ويؤيكم» عطف على يغفر. ومن لا يجب «من» اسم شرط ولا يجب فعل الشرط، وجوابه فليس بممضئة والباء زائدة إعراباً وممعز خبر ليس، وإسمها ضمير مستتر يعود الى من. «بقادر» الباء زائدة إعراباً وقادر خبر إن الله الخ. «وورينا» الواو للقسمة. «ويلا» خبر لمبتدأ محذوف أي هو بلاغ أو الذي وعظمت به بلاغ.

مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَّغَ فَبَلَكَ
إِلَّا الْفَقُومَ الْفَلْسِقُونَ ﴿٣٥﴾

(٤٧) سُورَةُ الْحَجَّاتِ مَكِّيَّةٌ
وَأَنبَأَهَا مَائَاتَانِ وَثَلَاثُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ ﴿١﴾
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نَزَلَ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَرَتْ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ
بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ
الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ
لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ

ظنوا أنهم ﴿ لم يلبثوا ﴾ في الحياة الدنيا ﴿ إلا ساعة ﴾ من
نهار ﴿ من شدة الفزع وهو المطلع ﴾ ﴿ بلاغ ﴾ هذا الذي
حدثكم القرآن عنه ، ووعظكم به هو بلاغ كافٍ وافٍ لمن
طلب الرشد والهداية ، وعليه فلا يهلك إلا من ألقى نفسه وسوء
اختياره إلى التهلكة .

سُورَةُ الْحَجَّاتِ مَكِّيَّةٌ مَكِّيَّةٌ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾
من أعرض عن الإسلام ، ومنع الناس أن يسلموا فلا يقبل الله
من عمله شيئاً .

٢- ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ اطمأن
قلوبهم بالإيمان ، وانقادت إلى العمل بموجب طوعاً لا كرهاً
﴿ وآمنوا بما نزل على محمد ﴾ هذا شرط لازم لصحة القرآن ،
ودليل واضح على أن الله لا يقبل الإيمان به إلا مقروناً مع
الإيمان بالقرآن « لا إله إلا الله محمد رسول الله » وأكد سبحانه
ذلك بقوله : ﴿ وهو الحق من ربهم ﴾ والذين آمنوا بهذا الحق
- أي القرآن - وعملوا به ﴿ كُفِّرَ ﴾ الله ﴿ عنهم سيئاتهم
وأصلح بالهم ﴾ شأنهم ، أما إذا آمنوا بالقرآن قولاً لا عملاً
واستوى عليهم الجهل والذل والقساد ، فالذنب ذنبهم لا ذنب
القرآن والإسلام .

٣- ﴿ ذَلِكَ ﴾ إشارة إلى ثواب الصالحين ، وعقاب
المجرمين ﴿ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ ﴾ فخذلهم سبحانه ،

وأبعدهم عن رحمته ﴿ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ قولاً وعملاً ، وفصروهم ، وشملهم بعنايته وحراسته ﴿ كَذَلِكَ
يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴾ يبين سبحانه مصير من أحسن ، ومن أساء بضرب الأمثال ترهيباً وترغيباً .

٤-٦- ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ هذه الآية من آيات الجهاد وقتال المعتدين الطغاة بدليل قوله تعالى : « فَإِنْ
اتَّهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ - ١٩٣ البقرة » ﴿ فَضَرْبَ

اللغة

يطلق البال على القلب تقول : خطر ببالي أي بذهني ، ويطلق على الشأن والحال ، وهذا هو المراد هنا .

الإعراب :

﴿ ذَلِكَ ﴾ مبتدأ ﴿ وَالَّذِينَ الَّذِينَ ﴾ الخ متعلق بمحذوف خبراً أي ذلك كائن بسبب اتباعهم الباطل . فضرب الرقاب مصدر منصوب نائب
متاب فعل أمر محذوف . والأصل فاضربوا الرقاب ضرباً .

الرقاب ﴿ احصدوا أعداء الإنسان الكافرين بقيمة الإنسانية ، ولا تأخذكم في دين الله بحق الإنسان رافة ولا هواده ﴾ حتى إذا أختتموهم فشلوا الوثاق ﴿ إذا أكرثتم فيهم القتل والأسر ، وظفرتهم بهم فأحكموا وثاق الأسير كيلا يفر ﴾ ﴿ فإما مناً بعداً وإما فداء ﴾ أما إطلاق الأسير بعوض أو بدونه فتقديره إليكم تبعاً للحكمة والمصلحة ﴿ حتى تضع الحرب أوزارها ﴾ حتى يستسلم العدو ويلقي السلاح ﴿ ذلك ﴾ إشارة إلى جهاد قوى البغي والشر ﴿ ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض ﴾ ﴿ ولو أراد سبحانه لانتقم من الأشرار بلا جهاد وقتال ، ولكنه شرع الجهاد بالأنفس والأموال ليميز بين أنصار الخير والحق وأهل الباطل والضلال . اقرأوا معي هذه الآية : « قالوا وما لنا لا نقاتل في سبيل الله ... فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم - ٢٤٦ البقرة » .

٨-٧- ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ قال الإمام علي (ع) : القرآن حمال ذو وجوه . وعليه يسوغ لنا أن نفسر هذه الآية بأن الجراء من جنس العمل ، على وجه العموم ، فيكون المعنى من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، وهل من أحد يشك في أن تعاوض المسلمين قولاً وعملاً ، وتعاونهم على ما فيه النفع والصلاح للجميع هو خير وانتصار لدين الله ؟ وأيضاً هل من شك في أنهم لو فعلوا ذلك لكان لهم واسع الملك وقوة السلطان ؟ وهل تقاس هيئة الدين وسلطته إلا بقوة أهله وتقدمهم ؟ ﴿ والذين كفروا فتعسا لهم ﴾ هلاكاً لهم يوم القيامة ﴿ وأضل أعمالهم ﴾ لا تعود عليهم بخير .

٩- ﴿ ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله ﴾ انصرفوا عن عجدة الحق ﴿ فأحبط أعمالهم ﴾ لا خير فيها ولا جدوى من ورائها .

١٠- ﴿ أفلم يسيروا في الأرض ... ﴾ تقدم مراراً منها في الآية ١٠٩ من يوسف .

١١-١٢- ﴿ ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم ﴾ المولى : الناصر ، ونادى أبو سفيان وهو يحارب المسلمين : لنا العزى ولا عزى لكم . فقال النبي (ص) للصحابية قولوا له : الله مولانا ولا مولى لكم ، وتقدم في الآية ٢٥٧ من البقرة ﴿ والذين كفروا يتمتعون ﴾ في الحياة الدنيا ﴿ ويأكلون كما تأكل الأنعام ﴾ مي في غفلة عن الذبح ، وهم في غفلة عن النار التي هي مثواهم وبئس القرار .

الإحزاب :

وكل من « مناً » وفداء ، نائب مناب فعل محذوف ، والأصل إما تمتنن مناً وإما تفادون فداء . ﴿ والذين كفروا ﴾ مبتدأ والخبر فعل مضمر أي فانتصاهم ﴿ فتعسا ﴾ .

الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَخْتَمْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوُثَاقَ فَمَا مِنَّا بَعْدُ وَإِنَّا فِدَاءٌ حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرْنَا مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝ سَيَجْعَلُ اللَّهُ مِصْلِحًا لَّهُمْ ۝ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ ۝ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُم وَيُخْرِجْ أَعْدَاءَكُمْ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمُ الْوُضُلُ ۝ أَعْمَالَهُمْ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطُوا أَعْمَالَهُمْ ۝ * أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَرُوا اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْتَلُهَا ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ۝ إِنَّا اللَّهُ يَدْخُلُ

١٣- ﴿وَكَايْنٍ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتَ أَهْلَكُنَا مِنْهَا﴾ هذا تهديد للذين تأمروا على اغتيال الرسول الأعظم (ص) واضطروه إلى الهجرة ، وتقدم في الآية ٣٠ من الأنفال .

١٤- ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَتِيمَةٍ مِنْ رَبِّهِ ...﴾ ليس سواء من أخذ الحق من معدنه ، ويصدر عنه في جميع تصرفاته ، ومن قاس كل ما في الوجود بالم لذات والتقود .

١٥- ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ﴾ وهم الذين يتركون معاصي الله في الخلوات ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ باق على طبيعته وصفائه بلا تغيير وتلوين وتكدير ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾ وأيضاً لم تستخرج دسومته كاللبن الذي نشتره من الأسواق ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ هي خمر بالإسم فقط ، لأنها لا تُسكر ، وفي كتب اللغة الخمر : كل شراب مسكر ، وفي الحديث النبوي «كل مسكر حرام ، وكل مسكر خمر» ومعنى هذا أن غير المسكر ليس بخمر ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ صاف وخال من الشمع وغيره ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ وكل اللذات الروحية والمادية ، وفوق ذلك لا ألم أي لا خوف وقاتل ، ولا هم وعيال ، وشغل الفكر والبال ، ومن هنا قال كثير من الفلاسفة : لا معنى للذة إلا عدم الألم ﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ﴾ في الكلام حذف دل عليه السياق ، والتقدير أفمن هو خالد في الجنة كمن هو خالد في النار لا يستون .

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْمَعُونَ وَايَا كُلِّ الْأَنْتَعَمِ وَالنَّارَ مَشْوًى لَهُمْ ﴿١٣﴾ وَكَانَ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتَ أَهْلَكُنْهُمْ فَلَا تَنْصَرُ لَهُمْ ﴿١٤﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَتِيمَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٥﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ نَعِيمٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفًا أُولَٰئِكَ

١٦- ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ يا محمد . كان المنافقون يحضرون مجلس النبي (ص) ويسمعون منه حتى إذا خرجوا قالوا ، ساخرين لبعض من كان حاضراً من علماء أهل الكتاب : نحن لم نسمع ما قال محمد ، فهل فهمتم

الإعراب :

﴿وَكَايْنٍ﴾ . بمعنى كم ، وعملها الرفع بالابتداء وجملة «أهلكناهم» خبر . وضمير الغائب في أهلكناهم يعود الى أهل القرية . ﴿أَفَمَنْ﴾ مبتدأ وكمن خبر . ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾ مبتدأ أول وأخبار مبتدأ ثان وفيها خبره والجملة خبر الأول ، وقيل : خبر مثل الجنة محذوف تقديره ما اتلوه عليكم من أوصافها . ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ متعلق بمحذوف خبراً لجنات محذوف أي أنواع من كل الثمرات . ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ مبتدأ والخبر محذوف أي وهم مغفرة ومن ربه متعلق بمغفرة . كمن هو خالد في النار خبر لمبتدأ محذوف أي : آمن هو خالد في الجنة آمن هو خالد في النار . آنفاً ظرف زمان عند الزخشي وحال عند أبي حيان الأندلسي . أي قريباً .

أَنْتُمْ شَيْئاً ﴿١٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَعَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٧﴾
يَأْمُرُ سُبْحَانَهُ الْعَبْدَ بِالْخَيْرِ ، وَيَنْهَاهُ عَنِ الشَّرِّ ، وَيَدْعُهُ وَمَا
يُخْتَارُ هُوَ لِنَفْسِهِ ، فَإِنْ اخْتَارَ الشَّرَّ عَامِلَهُ بِمَا يَسْتَحِقُّ ، وَمَا
خَتَمَ سُبْحَانَهُ عَلَى قُلُوبِ الْمُنَافِقِينَ إِلَّا لِأَنَّهُمْ تَرَكُوا الْهُدَى وَاتَّبَعُوا
الْهَوَى بِنَصِّ الْآيَةِ « وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ » وَإِذَا اخْتَارَ الْعَبْدَ الْخَيْرَ
أَخَذَ اللَّهُ بِيَدِهِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ بِلَا فَاصل :

١٧- ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى ﴾ زادهم سُبْحَانَهُ
مِنَ الْهُدَى وَثَبَّتَهُمْ عَلَيْهِ بَعْدَ عِلْمِهِ تَعَالَى بِالْإِخْلَاصِ وَصَدَقَ النَّبِيُّ .
قَالَ الْإِمَامُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (ع) : لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
كَانَتَا عَلَى عَبْدٍ رَتْقًا ، ثُمَّ اتَّقَى اللَّهَ لَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْهَا مَخْرَجًا
﴿ وَأَتَاهُمْ ثِقْوَاهُمْ ﴾ أَجْرُ ثِقْوَاهُمْ وَثَوَائِبُهَا .

١٨- ١٩- ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ ﴾ أَبَدًا لَا مَفَرَّ
مِنْ يَوْمِهَا وَمَهْمُهَا ﴿ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ قَامَتِ الْعَلَامَاتُ
وَالْإِمَارَاتُ عَلَى أَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا تَمَامًا كَالْحَيَاةِ
وَالْمَوْتِ ﴿ فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ﴾ لَا شَكَّ أَنَّهُمْ
حِينَ يَرُونَ السَّاعَةَ قَائِمَةً يَتَذَكَّرُونَ وَيَتَعَطَّوْنَ وَيَتَذَمُّونَ ، وَلَكِنْ
حَيْثُ لَا تَوْبَةَ تَنْفَعُ ، وَلَا مَعْذِرَةَ تَدْفَعُ .

٢٠- ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ وَأَخْلَصُوا : ﴿ لَوْلَا
نُزِلَتْ سُورَةٌ ﴾ بِالْقِتَالِ لِنَجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿ فَإِذَا أَنْزَلَتْ
سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ ﴾ وَاضِحَةٌ ﴿ وَذَكَرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ
فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ وَهُمْ الْمُنَافِقُونَ ﴿ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ
الْمُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ انْتَهَرَتْ أَعْصَابُهُمْ ، وَنَظَرُوا إِلَى
النَّبِيِّ (ص) نَظْرَةَ الْحَقِّ وَالْمَلْعِ ، وَمَعْنَى الْآيَةِ بِمَجْمُوعِهَا
أَنَّ الْمُنَافِقِينَ فَيَرُونَهُ كَالْمَوْتِ ﴿ فَأَوَّلَى لَهُمْ ﴾ الْوَيْلُ لَهُمْ .

٢١- ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ ﴾ هَذِهِ جُمْلَةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ ، وَمَعْنَاهَا طَاعَةُ اللَّهِ وَقَوْلُ يَقْبَلُهُ الرَّسُولُ (ص) خَيْرٌ مِنَ النِّفَاقِ
وَالرَّوْغَانِ ﴿ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ ﴾ عَلَى الْجِهَادِ ﴿ فَلَوْ صَلَّاهُ اللَّهُ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴾ ضَمِيرُ الْجَمَاعَةِ فِي صَدَقُوا لِلْمُنَافِقِينَ ،
وَالْمَعْنَى لَوْ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ تَابُوا إِلَى اللَّهِ ، وَاسْتَجَابُوا لِدَعْوَةِ الْجِهَادِ بِإِخْلَاصٍ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ دُنْيَا وَآخِرَةً .

٢٢- ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ ﴾ هَلْ يَتَوَقَّعُ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْمُنَافِقُونَ ﴿ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ ﴾ إِنْ تَسَلَّطْتُمْ وَمَلَكَتُمُ الْقِيَادَةَ إِلَّا ﴿ أَنْ تَقْسِلُوا
فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ هَذَا هُوَ دَابُّ الْأَشْرَارِ إِذَا حَكَمُوا ، يَمْلَأُونَ الدُّنْيَا بَغْيًا وَفُسَادًا وَأَهْوَالًا شَدِيدًا ، وَتَارِيخُ
الْبَشَرَةِ أَصْلَقُ شَاهِدٌ .

٢٣- ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ﴾ وَمَلَائِكَتُهُ وَرُسُلُهُ وَالنَّاسُ أَجْمَعُونَ .

الإعراب :

والمصدر من أن تأتيهم بدل اشتغال من الساعة . ﴿ وَبِغْتَةٍ ﴾ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ أَيْ بِمِغَاةٍ أَوْ صِفَةٍ لِلْمَعْمُولِ مُطْلَقٌ مَحْذُوفٌ . ﴿ فَأَنَّى لَهُمْ ﴾
خَيْرٌ مُقَدَّمٌ وَذِكْرَاهُمْ مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ . وَإِذَا جَاءَتْهُمْ جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ ، وَفِي جَاءَ ضَمِيرٌ مُسْتَعْرِضٌ يَبْعُدُ إِلَى السَّاعَةِ ، وَالتَّقْدِيرُ فَأَنَّى لَهُمْ ذِكْرَاهُمْ إِذَا
جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ .

٢٤- ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾

استدل بهذه الآية علماء أصول الفقه ، على أن ظواهر القرآن أصل من أصول الشريعة ومصدر من مصادر الفقه ، وقال المفسرون : تأمرنا هذه الآية أن نتأمل معاني القرآن بروية . ونظم ما يرمي إليه من أهداف ، ونعظ بها ونعتبر ، وما من شك أن لهذه الآية العديد من الجوانب ، وقد اتجه كل فريق إلى الجانب الذي يخصه ويهتم به ، ونشير نحن إلى جانب آخر ، وهو أن من تدبر القرآن على حقيقته فإنه يؤمن به ويستجيب له ، لأنه يؤاخي العقل والقلوب ، ويدعو إلى حياة ، أكمل وأفضل ، ومن أعرض عنه أو استمع إليه دون أن ينتهي إلى هذا الإيمان فهو من المغلفة قلوبهم .

٢٥- ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ ...﴾

يتقلب في إيمانه وعقيدته تبعاً لمطامعه ومصالحته فهو من حزب الشيطان ، وهذه الآية نزلت في المنافقين .

٢٦- ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ فِي الضَّمِيرِ الْمُنَافِقِينَ﴾

﴿قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَلَ اللَّهُ﴾ وهم اليهود لأنهم أشد الناس كراهية للقرآن وأهله : ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ وخلاصة المعنى أن المنافقين قالوا لليهود : نحن معكم ضد محمد ، ونطيعكم ، في الكيد له والتأمر عليه .

٢٧- ٢٨- ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ﴾

﴿قَبِضَتْ أَرْوَاحَهُمُ﴾ ﴿الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمُ﴾ وهذا الضرب أقل من القليل بالنسبة إلى نار الجحيم .

٢٩- ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ...﴾

أبظن المنافقون أن الله لن يكشف أمرهم ويفضحهم على رؤوس الأشهاد .

٣٠- ﴿وَلَوْ نَشَاءُ﴾

﴿يَا مُحَمَّدُ﴾ ﴿لَأَرْيَاكُمْهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِمَاهُمْ﴾ لو شاء لأراك المنافقين بعلاماتهم الفارقة الواضحة ، ولكن الله ستر عليهم لحكمة هو أدرى بها ﴿وَلَعَرَفْتَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ فيما يبدو من فحوى كلامهم ويوحى به من خبث ولؤم .

٣١- ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ﴾

﴿الْمُسِيحِينَ يَعْلَمُ الْأَنْفِيَاءُ وَالْأَشْقِيَاءُ وَلَكِنَّهُ يَعَاملُ النَّاسَ مَعاملةَ الْمُخْتَبَرِ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ، لنظهر الأفعال التي يستحق عليها الثواب والعقاب .

الإعراب :

أم على قلوب «أم» منقطعة ومثلها أم حسب . الشيطان مبتدأ وجلة سول خير ، والجملة من المبتدأ والخبر خبر إن الذين ارتدوا . ﴿فَكَيْفَ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي فكيف حالهم . ان لن «ان» مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي انه لن . فلعرفتهم عطف على لأريناكمهم واللام في لعرفتهم واقعة في جواب لو وكررت في المعطوف للتأكيد . واللام في لعرفتهم في جواب قسم محذوف .

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُوا الرُّسُولَ مِنْ
بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ
أَعْمَلُهُمْ ﴿٣٢﴾ * يَتَأَيَّبُ الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا الرُّسُولَ وَلَا تَبْطُلُوا أَعْمَلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ
يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ
الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَمُ أَعْمَلَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهُوَ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ
أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلَكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا
فِي حَفِيفِكُمْ تَبَخَّلُوا وَبُخْرَجَ أَصْغَارُكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰئَانَتْ
هَٰؤُلَاءِ تَدْعُونَ لِنُفْسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبِمَنْ يَبْخُلُ
وَمَنْ يَبْخُلُ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمْ

٣٢- ﴿﴾ إن الذين كفروا وصلوا عن سبيل الله ... ﴿﴾
كفروا بالحق وهو أظهر من وجودهم ، وأفسدوا في الأرض
عن قصد وعمد ، وحاربوا الرسول بغياً وطغياناً كي يقضوا
على رسالته ، ويصدوا الناس عن دعوته ، ولكن الله سبحانه
أبطل أعمالهم وخيب آمالهم .

٣٣- ﴿﴾ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴿﴾
طاعة الرسول هي عين طاعة الله طرداً وعكساً ، أما الطرد
فلأنه متى وجدت إحدى الطاعتين وجدت الثانية ، وأما العكس
فلأنه إذا انتفت هذه انتفت تلك ، ويجري هذا الطرد والعكس
في الإيمان بالله والإيمان بالرسول ﴿﴾ ولا تبطلوا أعمالكم ﴿﴾
بالكفر بالله وبالرسول أو بالتفارق والرياء أو بالمن والأذى .

٣٤- ﴿﴾ إن الذين كفروا وصلوا ... ﴿﴾ تقدم في الآية
من البقرة وغيرها .

٣٥- ﴿﴾ فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم ﴿﴾ أثبتت الحوادث
والتجارب أن من وهن أمام عدوه فقد زوده بالسلاح الذي
يقتله به ﴿﴾ وأنتم الأعلون ﴿﴾ إذا كنتم قلباً واحداً وبدأ واحدة
على عدو الحق وعدوكم ﴿﴾ والله معكم ﴿﴾ إذا أطمعتموه ولبيتم
دعوته إلى الجهاد بالنفس والنفيس ﴿﴾ ولن يترككم أعمالكم ﴿﴾
يترككم : من وتر إذا نقص . والمعنى أية خسارة تلحق بكم
في الجهاد فإن الله يعوضها أضعافاً .

٣٦- ﴿﴾ إنما الحياة الدنيا لعب ولهو ﴿﴾ والويل لمن
انصرف إليها بكهله وتورط في الشهوات والمحرمات وإلا فدين
الله ودينه شيء واحد ﴿﴾ وإن تؤمنوا وتقوا يؤتكم أجوركم ﴿﴾

الغرض من الإيمان بالله أن نطيعه ونقتي معاصيه ، وبهذه التقوى نستحق الأجر والثواب وإلا فلا شيء للعصاة عند الله سبحانه
إلا العذاب والنكبات ﴿﴾ ولا يسألكم أموالكم ﴿﴾ بالكامل أيها الأغنياء ، وإنما يسألكم أن تؤدوا الحق المفروض ،
للفقراء ، وهو يسير وتخفيف .

٣٧- ﴿﴾ إن يسألكموها فيحكمكم ﴿﴾ من الإحفاء ، وهو أشد الإلحاح في السؤال ﴿﴾ تبخلوا ويخرج أصغاركم ﴿﴾
لو أن الله ، عظمت حكمته ، سأل الأغنياء أكثر من النصيب المفروض ، وألح عليهم في بذله لأمسكوا وحسدوا على الإسلام
ونبيه .

٣٨- ﴿﴾ ها أنتم هؤلاء ﴿﴾ إشارة إلى الأغنياء ﴿﴾ تدعون لتنفقوا في سبيل الله ﴿﴾ قال سبحانه « تدعون » ولم يقل تأمركم ،
وكانه يروى من نفوس الأغنياء ، ويعينهم على البذل عن طيب نفس ، وأوضح من هذه الآية في ذلك آيات الإستقراض
الحسن ﴿﴾ ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه ﴿﴾ لأن البذل وقاية من النار وغضب الجبار ، وفي الحديث : حصنوا أموالكم
بالزكاة ﴿﴾ والله الغني وأنتم الفقراء ﴿﴾ إن ملكت أيها الإنسان

الإعراب :

﴿فلن يغفر الله لهم﴾ خبر إن الذين كفروا . ﴿وتدعوا﴾ عطف على فلا تهنوا . والأعلون جمع الأعلى .

أَلْفُقَرَاءُ ۖ وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا
أَمْتًا لَّكُمْ ﴿٢٨﴾

(٤٨) سُورَةُ الْفَتْحِ مَكِّيَّةٌ
وَأَنبَأَهَا تِسْعٌ وَعَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ
ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيَتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا
مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيُصْرِكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي
أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ
إِيمَانِهِمْ ۖ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَكَانَ اللَّهُ
عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ

الكون بأرضه وسماه ، فأنت مفتقر إلى عنايته وتديره ﴿١﴾ وإن
تولوا ﴿٢﴾ تبخلوا بالمال وبذله في سبيل الله ﴿٣﴾ يستبدل قوماً
غيركم ﴿٤﴾ يسبحون بحمده وبأمره يعملون ، وتقدم في الآية
١٩ من إبراهيم وغيرها .

سُورَةُ الْفَتْحِ مَكِّيَّةٌ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿١﴾ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ نصرناك يا محمد
نصراً ظاهراً ، ونزلت هذه السورة في ذي القعدة سنة ٦ هـ . حين
انصرف النبي (ص) من الحديبية إلى المدينة .

٢-٣- ﴿٢﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ ... ﴿٣﴾
كان محمد (ص) مذنباً في زعم المشركين حيث جعل الآلهة
إلهاً واحداً ، ونبياً عند الموحدين المؤمنين تماماً كأبي مجاهد
مخلص عند المخلصين والخائنين ، ومع الأيام والأحداث ،
ومنها الفتح والنصر الذي أشار إليه سبحانه بفتحنا لك - اكتشف
المشركون أن محمداً هو الحق ، وأنهم كانوا هم المخطئون
والمذنبون بعبادة الأصنام وإساءتهم لمحمد ، فلموا لدعوته .
وعليه يكون معنى الآية أن الله سبحانه هيأ السبب الموجب
لدخول المشركين في دين الله أفواجا ، وكان عاقبة ذلك براءة
النبي عند المشركين من كل ذنب ، وعبر سبحانه عن هذه
البراءة بالمغفرة تماماً كما لو اعتقدت أن فلان الفلاني هو
أعدى أعدائك ، وأنه لو تمكن منك لأخذك أخذ سفاح
جبار ، ودارت الأيام ، فصار هذا الفلان حاكماً وذا سلطان ،
وإذا به يكرّم مثواك ويحسن إليك ، وما من شك في أنك تشعر من أعماقك أنك أنت المذنب ، وهو التزيه البريء .

٤- ﴿٤﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤﴾ كل عقيدة صحيحة وسليمة تنتهي بصاحبها إلى زيادة الإيمان
وقوته ، وراحة الضمير وغبطة ، وتقدم في الآية ٢٦ من التوبة وغيرها ﴿٥﴾ ولله جنود السموات والأرض ﴿٦﴾ كل الموجودات
ملك لله وحده لا شريك له .

٥- ﴿٥﴾ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ ﴿٥﴾ جاء في التفسير أن الله سبحانه حين قال لنبيه : إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا
مُبِينًا قال له المؤمنون : هنيئاً لك يا رسول الله . هذا ما فعل الله بك . فإذا يفعل بنا نحن ؟ فترتل هذه الآية : « ليدخل
المؤمنين ... » .

المعنى :

﴿١﴾ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ للفتح معاني ، والمراد به هنا النصر لأنه أول ما يتبادر إلى الإفهام ، ولأن النبي (ص) قال : نزلت علي آية
هي أحب إلي من الدنيا وما فيها ، ثم تلا : إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا . وعليه يكون المعنى إِنَّا نصرناك يا محمد نصراً ظاهراً ، واختلف
المفسرون في نوع هذا النصر وتحديد على أقوال أنها الطبرسي إلى أربعة والرازي إلى خمسة .

٦- ﴿ويعذب المنافقين﴾ بحكم البديهة والعدالة الإلهية ﴿الظانين بالله ظن السوء﴾ وهو أن الله سيخذل النبي والصحابة ﴿عليهم دائرة السوء﴾ جاءت النتيجة بعكس ما ظنوا حيث نصر الله سبحانه الحق وأهله ، ونزلت دائرة السوء على رؤوس المجرمين دنيا وآخرة .

٧- ﴿وَلَهُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ...﴾ ذكر سبحانه هذه الآية حين أشار إلى المؤمنين وثوابهم ، وذكرها هنا وهو يشير إلى المنافقين والمشركين وعذابهم ، لمجرد التنبيه إلى أن الإنباع والإنقاذ في قبضته .

٨- ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾ على الخلق بأنك قد بلغت ﴿ومبشراً﴾ من أطاع بمرضاة الله وثوابه ﴿ونذيراً﴾ لمن عصى يغضب الله وعذابه ، وتقدم في الآية ٤٥ من الأحزاب .

٩- ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَتُزَكِّيَهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَلَيُزَكِّيَنَّكُمْ وَيُؤْتِيَهُمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ بكرة وأصيلاً ﴿تُزَكِّيهِمْ﴾ تعظموه وتوقروه : تحترمهم ، والضمير لرسول الله ، والضمير في تسبحوه لله ، وبكرة : صباحاً ، وأصيلاً : مساءً ، والمعنى أن الله سبحانه أرسل محمداً لتكونوا أيها المسلمون ، فيما تفعلون وتتصرفون ، المثل الأعلى إيماناً وإخلاصاً وعلماً وعملاً . وبهذا وحده تعظمون رسول الله ، وتسبحون بحمد الله على الدوام وفي كل آن .

١٠- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ تنص هذه الآية أن يد محمد (ص) في قداستها يد الله ، ومبايعته على وجه العموم مبايعة الله ، أما سبب نزولها فهو أن النبي (ص) خرج من المدينة مع ١٤٠٠ من المسلمين

قاصدين مكة للعمرة في ذي القعدة سنة ٦ هـ ولما وصلوا إلى الحديبية علموا أن قريشاً صممت أن تصدهم عن بيت الله الحرام بقوة السلاح ، فأسرع المسلمون إلى رسول الله ، وكان جالساً تحت شجرة هناك وبايعوه على الطاعة والموت ، فبارك سبحانه هذه البيعة وأبرمها ، بل جعلها مبايعة له ، وتوعد الناكثين بالعقاب وقال : ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ ووعد الأوفياء بالأجر والثواب بقوله : ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَيُؤْخِرُ بِهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ وتفاصيل هذه العمرة وصلح الحديبية في كتب السيرة والتاريخ ومطولات التفسير ، ومنها التفسير الكاشف .

١١- ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا﴾

الإعراب :

﴿الظانين﴾ صفة لأهل الشرك والنفاق . و﴿ظن السوء﴾ مفعول مطلق لظانين . و﴿مبشراً﴾ تمييز . وشاهد حال . و﴿بكرة وأصيلاً﴾ مفعول فيه أي تسبحوه في الصباح والمساء . جملة ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ خبر إن الذين . ويد الله فوق أيديهم مبتدأ وخبر والجملة خبر ثان لأن الذين الخ . أجراً مفعول ثانٍ لسيؤتيه لأن الفعل هنا بمعنى يعطيه .

وأهلونا فاستغفر لنا ﴿ حرص النبي (ص) أن يكون معه في هذه العمرة أكبر عدد من المسلمين ، فتخلف عنه قوم من الأعراب وآخرون من المنافقين ، وتعللوا كذباً وفاقاً بتدبير الأهل والأموال ، ولما عاد النبي (ص) إلى المدينة طلبوا الصبح ﴿ يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ﴿ لا شيء في قلوبهم كي يعبروا عنه ، بل يتقلبون تبعاً للمنافع والمطامع ﴿ قل فمن يملك لكم من الله شيئاً ... ﴾ من الذي يرد أمره تعالى خيراً كان أم شراً .

١٢-١٣ ﴿ بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهلهم أبداً ﴿ ما تخلفتم عن النبي لعذر أيها المنافقون ، بل اعتقدتم أنه والصحابة مغلوبون بقوة المشركين لا محالة ﴿ وظننتم ظن السوء ﴿ بأن الله لن ينجز وعده وينصر جنده ﴿ وكنتم قوماً بوراً ﴿ هلكني .

١٤ ﴿ والله ملك السموات والأرض يغفر لمن يشاء ﴿ بمقتضى حكمته وعلمه بأنه مستحق وأهل للمغفرة ﴿ ويعذب من يشاء ﴿ تماماً كما أنه لا يعذب إلا من هو أهل ومستحق للعذاب .

١٥ ﴿ سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى معانم لتأخذوها ذرونا نتجكم ﴿ المراد بالمخلفين هنا نفس المنافقين والأعراب الذين تخلفوا عن النبي حين دعاهم إلى الذهاب معه لعمرة الحديبية ، وتعللوا بالأكاذيب ، وصحوا الآن أن النبي (ص) يريد الخروج غازياً إلى خيبر ، وكان فيها معانم كثيرة ، فأسرعوا إليه يريدون الخروج معه ! رفضوا الحديبية فراراً من الغرم ، وتهافوا على خيبر طمعاً في الغنم ، فأمر سبحانه نبيها أن يرفضهم كما رفضوا الذهاب إلى عمرة الحديبية ، واحدة بواحدة ﴿ يريدون أن يبدلوا كلام الله ﴿ وهو حكمه تعالى بأن تكون معانم خيبر للذين يابعون النبي في الحديبية وحدهم بلا شريك ﴿ قل ﴿ يا محمد للمخلفين الذين فروا من الغرم وطلبوا الغنم : ﴿ لن تتبعونا ﴿ إلى خيبر ﴿ كذلك قال الله من قبل ﴿ بأن معانم خيبر لأهل الحديبية دون غيرهم ﴿ فسيقولون بل تحسبونا ﴿ كلا ، إن الله لم يحرمنا من المعانم ، ولكن أنتم حرمتونا إياها حسداً لنا وبغياً ﴿ بل كانوا لا يفقهون إلا قليلاً ﴿ ليس الأمر حسداً من المؤمنين بل جهلاً وسوء ظن من المخلفين .

الإعراب :

﴿معانم﴾ منوع من الصرف لأنه على وزن مفاعل والمصدر من ﴿تأخذوها﴾ متعلق بانطلقتم . و﴿قليلاً﴾ صفة لمفعول مطلق محذوف أي فقهاً قليلاً . أو يسلمون عطف على تقاتلواهم . ﴿اذ﴾ في محل نصب برضي . ﴿ومعانم﴾ كثيرة مفعول لفعل محذوف أي وأثابهم معانم . و﴿لتكون﴾ عطف على محذوف أي لتشكروا الله ولتكون ، واسم لتكون ضمير مستتر يعود الى هذه .

وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ
قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ
أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢﴾ بَلْ
ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ
أَبَدًا وَزَيَّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ ظَنَ السَّوِّ وَكُنْتُمْ
قَوْمًا بُورًا ﴿١٣﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا
لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٤﴾ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
رَحِيمًا ﴿١٥﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ
لِنَأْخُذْهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ
قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ
بَلْ نَحْسُدُونَكُمْ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ

١٦- ﴿ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ ﴾ وهم الذين تخلفوا عن الحديدية ﴿ استدعون إلى قوم أولي بأس شديد ﴾ وهم هوازن وثقيف كما في جوامع الجامع ﴿ تقاتلونهم أو يسلمون ﴾ يخبرون بين السيف والإسلام ، فهل تلبون الدعوة أو تنكصون على أعقابكم كما فعلتم من قبل ؟ ﴿ فإن طغيوا يؤتكم الله أجراً حسناً ﴾ النسيئة في الدنيا والجنة في الآخرة ﴿ وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذاباً أليماً ﴾ من قبل إشارة إلى تخلفهم عن الرسول حين خرج إلى الحديدية .

١٧- ﴿ ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ﴾ لا إثم في التخلف مع هذه الأعداء الثلاثة : العمى والعرج والمرضى إذا كان الجهاد لنشر الإسلام ، أما الجهاد لردع العدوان فهو حتم على الأصحاء وغيرهم كباراً وصغاراً نساءً ورجالاً من كل حسب طاقته .

١٨- ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك ﴾ يا محمد ﴿ تحت الشجرة ﴾ يشير سبحانه إلى ما سبق في الآية العاشرة من هذه السورة ، وسميت بيعة الحديدية بيعة الرضوان وأيضاً بيعة الشجرة بهذه الآية ﴿ فعلم ما في قلوبهم ﴾ من الطاعة له ، والخوف منه ، والتوكل عليه ﴿ فأنزل السكينة عليهم ﴾ وهي الشعور بالغبطة والراحة والإطمئنان ﴿ وأأنسهم فتحاً قريباً ﴾ ومستمراً من صلح الحديدية إلى خير ، ومنها إلى مكة ، ومنها إلى حنين ، إلى شرق الأرض وغربها .

١٩- ﴿ ومغانم كثيرة ﴾ المراد بها مغانم خير فقط التي خص بها سبحانه أهل بيعة الرضوان .

٢٠- ﴿ وعدكم الله مغانم كثيرة ﴾ المراد بها كل ما غنمه المسلمون في عهد النبي (ص) وبعده ، وهي لمصالح الإسلام والمسلمين على العموم ، وبهذا ينضج الفرق بين مغانم الآية السابقة ومغانم هذه الآية ﴿ فجعل لكم هذه ﴾ إشارة إلى مغانم خير الخاصة بأهل بيعة الرضوان ﴿ وكف أيدي الناس عنكم ﴾ قال الشيخ الطبرسي : يعني أيدي أهل خير وحلفائهم من أسد وغطفان ﴿ ولتكون ﴾ هذه الفعلة ، وهي كف أيدي الناس عن المؤمنين الذين صنعوا العجائب مع قلة العدد ﴿ آية ﴾ ظاهرة ﴿ للمؤمنين ﴾ وللأجيال أيضاً بأن الله مع الذي يدافع عن الحق ويحارب الباطل بصدق وإخلاص .

الإعراب :

وأخرى صفة لمفعول محذوف وهو مغانم ، والتقدير وعدكم الله مغانم أخرى . وسنة الله نصب على المصدر أي سن الله ذلك سنة .

لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدُّعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ طَغِيعُوا يُؤْتِكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ * لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَّكُمْ اللَّهُ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةًٍ لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا

٢١- ﴿ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا ﴾ أيضاً يعدكم الله مغامم أخرى وفتوحاً كثيرة ، تعجزون الآن عن أخذها ﴿ قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ﴾ حفظها لكم ، ولا بد أن تأخذوها في المستقبل القريب أو البعيد .

٢٢- ﴿ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا الْأَدْبَارُ لَمْ يَجِدُوا لَكُمْ دُونَهَا ﴾ هذا وعد من الله سبحانه للذين آمنوا بأنهم إذا ناجزوا الكافرين لكان النصر للمؤمنين على الذين كفروا لا محالة ، لأن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وفي الآية ٤٧ من الروم : « وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ » ولا تبديل لوعده الله وكلماته ، وما رأيت لهذه الآية تفسيراً يقتضي فيما لدي من التفسير ، والذي أفهمه أن المراد بالمؤمنين هنا الصحابة بقيادة الرسول الأعظم (ص) أو الذين هم كالصحابة في إيمانهم بقيادة من يرضيه الله والرسول للقيادة ، والذي يؤكد هذا المعنى قوله تعالى بلا فاصل :

٢٣- ﴿ سَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَكُمْ هَهُنَا وَلِتَسَدِّدُوا عَلَيْهَا ذَلِكُمْ خَلَقْتُ قَبْلَ هَٰذَا لِقَوْمٍ يُفَكِّهُونَ ﴾ سنن الله تعالى أن تجري المسبات على أسبابها والنتائج على مقدماتها ، والسبب الإلهي والطبيعي لنصر المقاتلين هو الإخلاص والصبر والبذل بقيادة من يختاره للقيادة الله ورسوله وصالح المؤمنين ، لا من يغتصب مركز القيادة بالوراثة أو الرشوة أو الخداع أو بالقهر والغلبة .

٢٤- ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ... ﴾ دخل النبي (ص) فاتحاً ، فأذن له عتاته واستسلموا ، وفي طليعتهم رأس الشرك أبو سفيان الذي جيش الجيوش وقادها

مرات ضد الرسول ، فامتن سبحانه على النبي والصحابة بهذا النصر من غير قتال حيث كف أيدي المشركين بإلقاء الرعب في قلوبهم ، وكف أيدي المسلمين بالنهي عن القتال .

٢٥- ﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ هؤلاء العتاة من مشركي مكة الذين أذعوا لكم أبها المسلمون واستسلموا صاغرين هم بالذات الذين ﴿ صَلَّوْكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ عام الحديبية ﴿ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفاً أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ ﴾ الهدي : ما يهدي إلى بيت الله من الانعام ، وكان مع المسلمين عام الحديبية سبعون ناقة ، والمعكوف : المحبوس ، ومحله : موضع الذبح أو النحر ، وهو مكة ، وسبقت الإشارة إلى أن المشركين منعوا المسلمين من الإحرام في ذلك العام ﴿ وَلَوْلَا رِجَالُ الْمُؤْمِنِينَ لَمَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَكِن لَّيَسَّرْنَا الْبَيْتَ لِمَنْ يَشَاءُ اللَّهُ وَالْغُلَامَ الْمُتَذَكِّرِينَ لِلْعَذَابِ ﴾ ونساء مؤمنات لم تعلموهن أن تطعنكم ﴿ أَنْ تَطْعَنَكُمْ ﴾ أن تقتلوهن ، يقول سبحانه للمسلمين الذين دخلوا مكة : إنما نهاكم الله عن القتل ، لأن في مكة جماعة من المسلمين رجالاً ونساء . كنتموا إيمانهم خوفاً من المشركين ، ولو دارت رحى الحرب لقتلتم بعض إخوانكم في الدين جهلاً وخطأ ﴿ فَصَبَّحَهُمْ بُكُورًا مَعَرَّةً مِمَّنْ لَبَّيْتُمْ لَبُّهُمْ عَلَيْهِمْ عَمَلٌ أَلَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ خِزْيَانٌ مَغْلُوبٌ ﴾ علم بإسلامهم ، فيشق عليكم ذلك وتتلون ﴿ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ المراد بالرحمة هنا الإسلام ، والمعنى أن الله سبحانه هياً أسباب الأمن والسلام في مكة لتدخل قريش في الإسلام طوعاً أو كرهاً ، وهكذا كان ﴿ وَلَوْ تَرَى إِلَّا تُحْرَقُوا بِهِمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَذِلًّا لَكُمُ الْيَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِهِمْ يَرَوْنَهَا كَلِمَتٌ مَقْصُودَةٌ لِّمَنْ يَشَاءُ اللَّهُ وَالْغُلَامَ الْمُتَذَكِّرِينَ لِلْعَذَابِ ﴾ لو تميز المؤمنون عن الكافرين ﴿ لَعَلَّنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ ﴾ لعلنا الذين كفروا منهم ﴿ لَوْلَا يُرْجَى دَخْلُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِطْلَاقاً ، وبعض هؤلاء قُرُوءٌ مِنْهُمْ فِي الْحِزْبِ الَّذِي دَخَلُوا فِيهِ ﴾ من مكة في اللحظة التي دخلها المسلمون .

٢٦- ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ ﴾ يشير سبحانه إلى عتاة الشرك وجبروتهم وتعصبهم وما تحمله

مُسْتَقِيمًا ﴿ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا ﴾ قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا
وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا الْأَدْبَارُ لَمْ يَجِدُوا لَكُمْ دُونَهَا ﴾
سَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَكُمْ هَهُنَا وَلِتَسَدِّدُوا عَلَيْهَا ذَلِكُمْ خَلَقْتُ قَبْلَ هَٰذَا لِقَوْمٍ يُفَكِّهُونَ
تَبْدِيلًا ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفاً أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالُ الْمُؤْمِنِينَ لَمَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَكِن لَّيَسَّرْنَا الْبَيْتَ لِمَنْ يَشَاءُ اللَّهُ وَالْغُلَامَ الْمُتَذَكِّرِينَ لِلْعَذَابِ ﴾
تَطْعَنَهُمْ فَصَبَّحَهُمْ بُكُورًا مَعَرَّةً مِمَّنْ لَبَّيْتُمْ لَبُّهُمْ عَلَيْهِمْ عَمَلٌ أَلَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ خِزْيَانٌ مَغْلُوبٌ
فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْلَا يُرْجَى دَخْلُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِطْلَاقاً
مِنْهُمْ قُلُوبُهُمْ فِي الْحِزْبِ الَّذِي دَخَلُوا فِيهِ

الْحَمِيَّةَ حَيَّةَ الْجَنَهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ
وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا
وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٧﴾ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ
رَسُولَهُ الرُّبُوبِيَّ بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ
اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَهُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ
فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا لَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٨﴾
هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى
الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٩﴾ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ
وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ
رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ
فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ
وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْطَهُ فَكَازَرَهُ

النبي والصحابه من عداوتهم وإيذائهم ﴿ فأنزل الله سكينته
على رسوله وعلى المؤمنين ﴾ المراد بالسكينة القناعة بحلال
الله ، والصبر عن حرامه ﴿ والزهمهم كلمة التقوى ﴾ أوجب
سبحانه على كل مسلم العمل بكتاب الله وسنة نبيه ﴿ وكانوا
أحق بها وأهلها ﴾ من آمن بالعليم الحكيم ، وبالنبي الذي
بُعث لينتم مكارم الأخلاق ، وبالقُرآن الذي يهدي للتي هي
أقوم - فهو أولى الناس في أن يبقى معاصي الله وحرامه .

٢٧- ﴿ لقد صدق الله رسوله الرؤيا ﴾ أي في الرؤيا ،
قبل أن يخرج النبي (ص) إلى الحديبية رأى في منامه أنه
دخل مكة هو والصحابه معتمرين ، وطافوا في البيت العتيق
بسلام آمنين ، وقد حلق بعضهم وقصر آخرون ، فأخبر النبي
الصحابه بما رأى ، وحين سار بهم متجهاً إلى مكة ظنوا أن
هذا تفسير رؤياه ، ولما حدث ما حدث من صلح الحديبية
وعاد المسلمون قال المناقبون : أين هي الرؤيا ؟ فأجاب النبي
(ص) : لم أقل في هذا العام ، وبأن تأويل الرؤيا لا محالة ،
وفي العام التالي بلا فاصل دخل الرسول مكة هو والصحابه
معتمرين ، ومكثوا ثلاثة أيام وظهر صدق الرؤيا كما قال
سبحانه : لقد صدق الله رسوله الرؤيا ... وتسمى هذه العمرة
عمرة القضاء ﴿ فعلم ما لم تعلموا ﴾ علم الله أن في تأجيل
العمرة إلى ما بعد صلح الحديبية خيرات ومنافع للإسلام
والمسلمين ، منها حقن الدماء ، ومنها دخول العديد من المشركين
في الإسلام ﴿ ففعل من دون ذلك فتحاً قريباً ﴾ ذلك إشارة

إلى صدق الرؤيا بدخول المسلمين المسجد الحرام ، والفتح
القريب صلح الحديبية لدليل أن عمر قال لرسول الله (ص) : أفتح هذا ؟ فأجابه : بل هو أعظم الفتح . وبعد هذا الفتح
الأعظم السنة السادسة من الهجرة كما سبقت الإشارة ، جاء الفتح الثاني بعمرة القضاء السنة السابعة ، وبعدها الفتح الثالث
بدخول مكة والسيطرة عليها السنة الثامنة ، ثم حجة الوداع السنة العاشرة ، وفي ربيع الأول من الحادية عشرة انتقل الرسول
(ص) إلى الرفيق الأعلى .

٢٨- ﴿ هو الذي أرسل رسوله ﴾ محمداً ﴿ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ﴾ لا بقوة الجيش والسلاح ،
ولا بالمال والدعابات الخادعة ، بل بعقيدته التي تحاطب العقل والقلادة وتستنهض الفكر ، وتقديس العلم ، وبشريته الخالدة
بمبادئها ، ومقاصدها وتوجهها إلى الإنسان كهدف أسوى وقيمة عظمى ، ومن تنبع الآيات القرآنية والسنة النبوية وكتب
الفقه الإسلامي ينتهي إلى العلم بهذا المبدأ : « حيشما يكون خير الإنسان يكون شرع الإسلام » . « وقيل للذين اتقوا
ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً - ٣٠ النحل » أنزل ربنا قرآنكاه خير فيما اشتمل عليه من عقيدة وشرعية وأخلاق تدفع
الإنسان إلى الكفاح والنضال من أجل حياة أكمل وأفضل ٢٩- ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء
بينهم ﴾ جنود للحق وأهله ، وحرب على الباطل وحزبه ، وضرب طه حسين مثلاً للصحابه بعمار بن ياسر في كتاب
مرآة الإسلام ، وقال : كان شيخاً بلغ التسعين أو تجاوزها ، ومع ذلك قاتل مع علي في صفين عن إيمان أي إيمان بأنه
يدافع عن الحق ... وكان قتله تشيئاً لعلّي والصالحين وتشكيكاً في معاوية ومن معه لأن كثيراً من الصحابة رأوا النبي يسبح
رأس عمار ويقول له : تقتلك الفئة الباغية ﴿ ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع

فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوْفِهِ يَعْجِبُ الزَّرَّاعُ لِيَكْثِفَ
بِهِمُ الْكُفَّارُ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

(٤٩) سُورَةُ الْحَجَرِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا نَهَايَتُهَا إِلَى عَشْرَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ
كَالْقَوْلِ بِكَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَلُكُمْ وَأَنتُمْ
لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولٍ

أَخْرَجَ شَطَاهُ فَأَزْرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوْفِهِ ﴿١﴾ شَطَأُ الزَّرْعِ :
مَا يَتَمَرَّعُ عَنْهُ مِنْ أَغْصَانٍ وَوَرَقٍ وَثَمَرٍ ، فَاسْتَغْلَظَ : صَارَ غَلِظًا ،
وَاسْتَوَى : اسْتَقَامَ ، وَعَلَىٰ سَوْفِهِ : عَلَىٰ أَصُولِهِ ، وَالْهَدَفُ الْأَوَّلُ
وَالْأَسَاسُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ هُوَ الثَّأْنُ الْجَمِيلُ عَلَىٰ مَنْ أَسْرَعَ فِي
الِاسْتِجَابَةِ لِدَعْوَةِ مُحَمَّدٍ (ص) وَجَاهَدَ لِتَثْبِيتِ نَبُوْتِهِ ، وَإِظْهَارِ
دِينِهِ وَكَلِمَتِهِ ، يَرْجُو بِهِ الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ دُونَ سِوَاهُ . وَهُوَ سَبْحَانَهُ
الْمَسْئُولُ أَنْ يَفْرَجَ عَنَّا كُلَّ كَرْبٍ بِالنَّبِيِّ وَآلِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ
وَعَلَيْهِمْ .

سُورَةُ الْحَجَرِ مَكِّيَّةٌ مَدَنِيَّةٌ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- ١- ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴿١﴾
لَا تَسْرِعُوا إِلَى قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ يَتَصَلُّ بِالَّذِينَ حَتَّى تَسْأَلُوا عَنْهُ النَّبِيَّ
الْكَرِيمَ .
- ٢- ﴿٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ
النَّبِيِّ ﴿٢﴾ رَفَعَ الصَّوْتِ بِلَا ضَرُورَةٍ غَيْرِ مُسْتَحْسِنٍ خَاصَّةً
فِي مَحْضَرِ الْعِظَمَاءِ ، وَالنَّبِيِّ أَشْرَفَ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ ﴿٢﴾ وَلَا
تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ ﴿٢﴾ لَا تَخَاطَبُوا النَّبِيَّ كَمَا يَخَاطَبُ بَعْضُكُمْ
بَعْضًا ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ تَبْطُلُ عِبَادَتُهُ وَحَسَنَاتُهُ .
- ٣- ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولٍ اللَّهُ أَوْلَتْكُمْ

إشارة:

الحجرات جمع حجرة، وهي الغرفة، وكان للنبي (ص) تسع زوجات لكل واحدة منهن حجرة من جريد النخل، وعلى بابها ستار من الشعر. وقال المفسرون: انطلق ناس من العرب إلى المدينة، ووقفوا وراء حجرات النبي ونادوا يا محمد اخرج البناء، فتربص النبي قليلاً ثم خرج إليهم، ووصفهم سبحانه بأن أكثرهم لا يعقلون لما في فعلهم زك من البداوة والجفاء.

الإعراب:

﴿لَا تَقْدُمُوا﴾ الأصل لَا تَقْدُمُوا . ﴿أَصْوَاتَكُمْ﴾ منصوبة بالفتحة لأن الثاء من أصل الكلمة . والمصدر من أَنْ تَحْبَطَ مفعول من أجله .

الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ﴿١﴾ أخلصها للعمل الصالح ، وفي الحديث : لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه .

٤- ﴿١﴾ إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ﴿٢﴾ كان بعض الأعراب يقفون أمام بيت النبي وينادون : يا محمد إخرج إلينا ، وفي هذا ما فيه من الجفاء وقلة الحياء ، فلقنهم سبحانه هذا الدرس : « لا يعقلون » كيلا يعودوا إلى مثلها .

٥- ﴿٢﴾ ولو أنهم صبروا حتى تخرج ﴿٣﴾ لا من أجلهم بل لغابتك ﴿٤﴾ إليهم ﴿٥﴾ أي يرونك عند خروجك ، ويقولون ما يشاؤون ﴿٦﴾ لكان ﴿٧﴾ الصبر ﴿٨﴾ خيراً لهم ﴿٩﴾ أجر لهم وتعظيماً لرسول الله (ص) .

٦- ﴿١٠﴾ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة ﴿١١﴾ تدل هذه الآية بصراحة على حرمة الأخذ بقول الفاسق دون التمحيص والتثبت من صدقه خوفاً من الوقوع فيما لا تحمد عقباه كالإضرار بالآخرين ، واستدل بهذه الآية جماعة من العلماء على وجوب الأخذ بقول الثقة بلا شرط البحث عن الصدق ، وأثبتنا في كتاب علم أصول الفقه في ثوبه الجديد أن هذه الآية تدل على النهي عن اتباع سبيل المفسدين وكفى .

٧- ٨- ﴿١٢﴾ واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ﴿١٣﴾ أي لو قمتم في الحرج والمشقة ، والمعنى الأخص والأدق لهذه الآية الكريمة : عليكم أن تطيعوا الرسول لا أن يطيعكم وإلا كنتم الرسول وكان المرسل إليه ﴿١٤﴾ ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم ﴿١٥﴾ بسهولة وسره ، والدعوة إليه بالحكمة ، والترغيب فيه بالموعظة الحسنة ، والجزاء عليه بعظيم الأجر والثوبة ﴿١٦﴾ وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان ﴿١٧﴾ بالنهي عنه ، والتحذير منه ، والتهديد عليه ﴿١٨﴾ أولئك هم الراشدون ﴿١٩﴾ كل محب للخير وكاره للشر فهو مهتد وراشد .

٩- ﴿٢٠﴾ وإن طافتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ﴿٢١﴾ الخطاب لجميع المؤمنين على الكفاية ، لأن عقيدة الإيمان تجعل المؤمنين أمة واحدة كياناً ومصلحة ومصيراً ، فإذا حدث خصام بين فئتين منهم فعلى الآخرين أن يتلافوا ذلك ، ويصلحوا بينهما على أساس العدل حرصاً على مصلحة الجماعة ، وفي الحديث : إصلاح ذات البين أفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ﴿٢٢﴾ فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي

الإعراب :

« ولا تجهروا » وأولئك الذين امتحن الله الخ مبتدأ وخبر والجملة خبر إن الذين يفضون . وهم مغفرة جملة ثانية . والمصدر من انهم صبروا فاعل لفعل محذوف أي لو ثبت صبرهم . المصدر ﴿من أن تصيبوا﴾ مفعول من أجله ﴿لتبينوا﴾ أي لتلاصقوا . فتصحبوا منصوب بأن مضممة . ونامدين خبر تصحبوا . ﴿فيكم﴾ خبر ﴿إن رسول الله﴾ اسمها ، والغرض من هذا الاختيار أن يفظموا الرسول ، ولا يجزروه إلا بالصدق والواقع

اللَّهُ أَوْلَٰئِكَ الَّذِينَ آمَنَحَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِتَقْوَىٰ لَهُمْ
مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ
الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ
تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾
يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكَ فَاسِقٌ نَبَأٌ فَتَبَيَّنُوا أَنْ
تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَتْلِيهِمْ
وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكَ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكَ فِي كَثِيرٍ مِنْ
الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ
فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ
أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٤﴾ فَضَلَّ مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً
وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى

تبعي حتى تفيء إلى أمر الله ﴿١٠﴾ إن أبت إحدى الفئتين المقاتلتين الرضوخ للفتح بالحسنى ، وأصرت على العدوان فعل المؤمنين الآخرين أن يحموا الفئة المظلومة من الظالة ، فإن لم ترتدع إلا بالقوة قاتلوها في حدود الدفاع المشروع .

١٠- ﴿١٠﴾ إنما المؤمنون أخوة ﴿١١﴾ من حيث انتسابهم إلى عقيدة واحدة تثير اهتمام الجماعة بالفرد والفرد بالجماعة ﴿١٢﴾ فأصلحو بين أخويكم ﴿١٣﴾ لأن الأخوة الإنسانية والدينية تفرض هذا الصلح وتحتّمه ﴿١٤﴾ واتقوا الله ﴿١٥﴾ في التهاون بالصلح والإنحياز لفئة بغير حق ﴿١٦﴾ لعلكم ترجعون ﴿١٧﴾ يمنع الشر والفساد من أن يعم ويشمل .

١١- ﴿١١﴾ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم ... ﴿١٢﴾ لا يسخر بعض الرجال من بعض ولا بعض النساء من بعض ، فرمما كان المسخور منه أتقى عند الله وأبر من الساخر ، هذا إلى أن من سخر من الأبرياء فهو ظالم وسفيه ، وقد هدده الله بأشد العقوبات ، من ذلك : ﴿١٣﴾ فيسخرهم منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم - ٧٩ التوبة ﴿١٤﴾ ولا تلمزوا أنفسكم ﴿١٥﴾ اللمز : العيب ، والمعنى لا يطن بعضهم بعضاً ، ويذكره بمكره ﴿١٦﴾ ولا تنازروا بالألقاب ﴿١٧﴾ التنازع : التعاير ، أي لا يخاطب أحدهم أخاه بلقب يكرهه ، ولا بأس بلقب أعرج وأحذب وما أشبه لمن اشتهر بذلك مع عدم قصد التقص والإستخفاف ﴿١٨﴾ بشئ الإسم الفسوق بعد الإيمان ﴿١٩﴾ من عاب آخر بما يكره يصير فاسقاً بعد أن كان مؤمناً .

١٢- ﴿١٢﴾ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ﴿١٣﴾ من أحسن الظن بإنسان فلا بأس عليه وإن أخطأ ، قال الرسول الأعظم (ص) : ظنوا بالمؤمنين خيراً ومن أساء به الظن أيضاً لا بأس عليه وإن كان مخطئاً في ظنه حيث لا حرية للإنسان في ظنونه وتصويراته ، أجل عليه أن لا يعول على سوء الظن ولا يرتب عليه أي أثر في قول أو فعل وإلا استحق الدم والعقاب ، وفي الحديث : « إذا ظننت فلا تحقق » ولم يقل : لا تظن لأنه تكليف بما لا يطاق تماماً كمالو قال : لا تتصور ﴿١٤﴾ ولا تجسسوا ﴿١٥﴾ التجسس : تتبع العورات والعثرات والبحث عنها في الخفاء - غالباً - وهو محرّم كتاباً وسنة وعقلاً وإجماعاً ، قال رسول الله (ص) : « من اطلع عليك فحذفته بحصاة ففقات عينيه فلا جناح عليك ﴾ ولا يغتب بعضهم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه ﴿١٦﴾ إذا ذكرت شخصاً معيناً بما يكرهه وكان فيه ما تقول ، فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول ، وقد بهته . والبهتان أعظم جرماً من الغيبة ، وقد شبه سبحانه من استغيب بالميت لأنه غائب ، وشبه عرضه بلحمه ، وقول السوء فيه بالأكل والنهش ، أما معنى فكرهتموه فهو إذا أنفقتم من أكل لحم الميت فينبغي أن تأفوا أيضاً من غيبة الغائب ، لانهما من باب واحد .

الإعراب :

﴿ طائفتان ﴾ فاعل لفعل مقدر أي وإن اقتتل طائفتان . وجمع سبحانه « اقتلوا » بالنظر إلى المعنى لأن الطائفة جماعة من الناس ، وتثنى « بينهما » بالنظر إلى لفظ طائفتين . « عسى » هنا تامة والمصدر من أن يكونوا فاعل . و﴿ هم ﴾ ضمير فصل .

الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِمَّنْ يَبْغُونَ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَرَبِّكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا

١٣- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ ۚ لَيْسَ هَذِهِ الْآيَةُ مِنْ آيَاتِ الْأَحْكَامِ وَالتَّشْرِيعِ ، لِأَنَّهُ لَمْ تَأْتِ بِجَدِيدٍ يُمْكِنُ وَضْعُهُ أَوْ رَفْعُهُ ، وَإِعْجَادُهُ أَوْ نَفْيُهُ ، وَإِنَّمَا هِيَ تَحْكِي وَتَعْبُرُ عَنِ الْمَسَاوَةِ الطَّبِيعِيَّةِ الْحَتْمِيَّةِ بَيْنَ النَّاسِ ، كُلِّ النَّاسِ ، عَلَى صَعِيدِ الْحَقِّقِ وَالْوَاجِبَاتِ ، أَجْلُ إِنْ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ أَلْبَسَهَا ثَوْبَ الدِّينِ لَتَكُونَ لَهُذِهِ الْمَسَاوَةِ قَدْسِيَّةٌ وَحَصَانَةٌ حَتَّى لَا يَجْرَأَ عَلَى التَّلَاعُبِ بِهَا عَابَثٌ وَمَحُوفٌ أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ ﴾ فَمَعْنَاهُ أَنَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَاتَّقَاهُ بِأَمْرِهِ ، وَانْتَهَى بِنَهْيِهِ فَهُوَ أَكْرَمُ وَأَعْظَمُ عِنْدَهُ تَعَالَى مِمَّنْ كَفَرَ بِهِ أَوْ آمَنَ وَلَكِنْ تَجَاوَزَ الْحُدُودَ : أَمَّا النَّاسُ فَلَا يَفْضُلُونَ أَحَدًا عَلَى غَيْرِهِ إِلَّا أَنْ يَقْدِمَ عَمَلًا يَنْتَفِعُ بِهِ الْفَرْدُ وَالْجَمَاعَةُ كَأَنَّ مَنْ كَانَ الْعَامِلَ الْمُحْسِنَ وَمِنْ هُنَا اشْتَهَرَ عَلَى أَلْسِنَتِهِمُ : الدِّينَ اللَّهُ ، وَالْوَطَنَ لِلْجَمِيعِ .

١٤- ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تَزِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ۚ ﴾ جاء في الحديث : « الْإِيمَانُ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ ، وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ » أَمَّا شَرْطُ الْعَمَلِ فَلَأَنَّ الْإِيمَانَ عَمَلٌ كُلُّهُ وَلَا إِيمَانَ بِلا عَمَلٍ ، وَأَمَّا الْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ فَلِكَيْ يَجْرِيَ عَلَيْهِ حُكْمُ الْإِسْلَامِ ، وَلَوْجُوبُ الذِّكْرِ فِي الصَّلَاةِ ، أَمَّا الْإِسْلَامُ فَهُوَ دُخُولُ فِي سَلَمِ الْمُسْلِمِينَ وَخُرُوجُ مِنْ حَرِيمِهِمْ بِإِظْهَارِ الشَّهَادَتَيْنِ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ » بِصَرَفِ النَّظَرِ عَمَّا فِي الْقَلْبِ ، وَمَعْنَى هَذَا أَنَّ كُلَّ مُؤْمِنٍ مُسْلِمٍ ، وَلَيْسَ كُلُّ مُسْلِمٍ مُؤْمِنًا ، قَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ (ع) : الْمُؤْمِنُ إِذَا نَظَرَ اعْتَبَرَ وَإِذَا سَكَتَ تَفَكَّرَ ، وَإِذَا تَكَلَّمَ ذَكَرَ ، وَإِذَا اسْتَفْنَى شَكَرَ ، وَإِذَا افْتَرَّ صَبَرَ ﴿ وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ۚ ﴾ لِسَبَبٍ أَوْ لِأَخَرٍ

﴿ وَلَا يَدْخُلُ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۚ ﴾ وَمِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتَخَذُونَ مِنَ الدِّينِ حِرْقَةً يَمِيشُونَ بِهَا وَمِنْهَا . ﴿ لَا يَتْلُمُكُمْ ۚ ﴾ لَا يَنْقُصُكُمْ مِنْ ثَوَابِ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا .

١٥- ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ ﴾ وَيَسْتَجِيبُونَ لِمَا يُدْعُونَ إِلَيْهِ بِلا شَكٍّ وَتَرَدُّدٍ ، وَبِلا تَطْبِيلٍ وَتَزْمِيرٍ وَهَنَاتٍ وَتَصْفِيقٍ .

١٦- ﴿ قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهُ بِدِينِكُمْ ۚ ﴾ وَهَذَا التَّوْبِيخُ يَعْمُ وَيُشْمَلُ الَّذِينَ يَهْلُونَ وَيَسْبَحُونَ فِي مَكْبَرَاتِ الصَّوْتِ ، كَأَنَّ اللَّهَ أَصَمُّ ! تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا .

١٧- ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۚ ﴾ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَمْنَالُوا ذَاقُوا حَلَاةَ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ ، إِنْ الْمُؤْمِنُ حَقًّا يَتَجَاهَلُ وَيَتَنَكَّرُ لَوْ نُسِبَ إِلَيْهِ كَرَامَةٌ ، وَسَلَامٌ عَلَى مَنْ قَالَ : أَلَلَّهُمْ لَا تَوَاضَعْنِي بِمَا يَقُولُونَ ، وَاغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ ﴿ قُلْ لَا تَعْمُوا عَلَىٰ إِسْلَامِكُمْ ۚ ﴾ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ فَلِنَفْسِهِ ﴿ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَذَا كَلِمَةُ الْإِيمَانِ ۚ ﴾ بِالْإِشْرَادِ إِلَيْهِ ، وَالتَّرَغِيبِ فِيهِ لَا لشيءٍ إِلَّا لِخَيْرِكُمْ وَصَالِحِكُمْ ، هَذَا إِنْ كُنْتُمْ حَقًّا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِلَّا فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَاذِبِينَ .

النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ * قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تَزِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهُ يَدِينُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ

سُورَةُ قُلُوبٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١﴾

(٥٠) سُورَةُ قُلُوبٍ مَكِّيَّةٌ
وَأَنبَأَهَا جِبْرِيلُ وَأَزْيَعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ
مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَوَدَا مِتْنَا
وَكُنَّا تَرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ
الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيزٌ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا
بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا
إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ
فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ

١- ﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾ الرفع في كل ما يحويه .

٢- ﴿ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ ﴾ قال عبادة
قريش كيف يرسل الله لنا محمداً ونحن أكثر منه مالا وأعز
نقرا ؟ وتقدم في الآية ٢ من يونس وغيرها .٣- ﴿ أَفَلَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ... ﴾ من مات فأت
والجواب : من أحيأ وأمات يعيد الموتى إلى الحياة .٤- ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ ﴾ قال منكرو
البعث : الأرض تأكل لحم الميت فكيف يعاد ؟ فأجاب سبحانه
﴿ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيزٌ ﴾ الله يعلم أن الأرض تأكل الميت
ومع هذا ، إنه على رجهه لقادر .٥- ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ﴾
المрад بالحق هنا القرآن ، ومرج : مضطرب ، والمعنى ما
كذب المشركون بالقرآن والبعث إلا لأنهم كالعميان يسرون
بلا هاد ودليل .٦- ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا ﴾
ما هم ؟ ألا يرون هذا الكون وصنعه العجيب ، ويدركون أن
وراءه الصانع الأعظم ؟ ﴿ وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ أي ليس في
كوكب من كواكبها شقوق وفتوق .٧- ﴿ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا ﴾ مهدناها وجعلناها مستقراً
للإنسان ﴿ وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ ﴾ أقمنا الجبال فيها كيلا تميد

اللغة :

المجيد : الكريم العظيم . والرجع هنا الرد إلى الحياة بعد الموت . وتقصص منهم تأكل من لحومهم . ومرج غتلاط ومضطرب . وفروج
شقوق . ورواسي جبال . وكل زوج كل صنف . ومنبج راجع . وجب الحصيد حب الزرع المحصود . وباسقات طويلات . والتلع أول ما
يخرج من النخلة في أكمامها . وتنفيذ منضود بمضه ملتصق ببعض وعل بعض .

الإعراب :

﴿ وَالْقُرْآنِ ﴾ الواو للقسم والجواب محذوف انكم ليعبثون ، والدليل على هذا الجواب ﴿ أَفَلَا مِتْنَا الخ ﴾ .. والمصدر من ﴿ إِنْ
جاءهم ﴾ مجرور بمن مقدرة .

وتضطرب ﴿٧﴾ وأنبئنا فيها من كل زوج بهيج ﴿٨﴾ أخرجنا منها أشكالا وأنوانا من الجبوب والثمار والأشجار .

٨- ﴿٧﴾ تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ﴿٨﴾ كل مشاهد الكون تدل على المكون عند من أبصر وفكر .

٩- ﴿٩﴾ ونزلنا من السماء ماء مباركا ﴿١٠﴾ لأنه لا حياة بلا ماء .

١٠- ﴿١٠﴾ والنخل باسقات ﴿١١﴾ شاهقات ﴿١٢﴾ لها طلع ﴿١٣﴾ أول ما يظهر من الثمر ﴿١٤﴾ نضيد ﴿١٥﴾ منضود بعضه ملتصق ببعض ويتراكم كحب الرمان .

١١- ﴿١١﴾ رزقا للعباد ﴿١٢﴾ وهم أعجز من أن يرزقوا أنفسهم ﴿١٣﴾ وأحيينا به ﴿١٤﴾ بالماء ﴿١٥﴾ بلدة ميتا كذلك الخروج ﴿١٦﴾ يخرج الموتى من القبور كما يخرج النبات من الأرض ، وتقدم مرات ، منها في الآية ٥٧ من الأعراف .

١٢- ﴿١٢﴾ كذبت قبلهم قوم نوح ﴿١٣﴾ هذا تهديد ووعيد للذين كذبوا محمداً (ص) كل المذكورين في هذه الآيات تقدم الكلام عنهم ، لذا نكتفي بالإشارة الخاطفة ﴿١٤﴾ وأصحاب الرس ﴿١٥﴾ البشر ، وتقدم في الآية ٣٨ من الفرقان ﴿١٦﴾ ونمود ﴿١٧﴾ قوم صالح .

١٣- ﴿١٣﴾ وعاد ﴿١٤﴾ قوم هود ﴿١٥﴾ وفرعون ﴿١٦﴾ تكررت قصته مع موسى كما هو معلوم ﴿١٧﴾ وانحوان لوط ﴿١٨﴾ أي الذين بعث إليهم .

١٤- ﴿١٨﴾ وأصحاب الأيكة ﴿١٩﴾ قوم شعيب ﴿٢٠﴾ وقوم تبع ﴿٢١﴾ تقدم في الآية ٣٧ من الدخان ﴿٢٢﴾ كل كذب الرسل

وَأَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبَصُّرَةٌ وَذِكْرٌ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَأْنَا بِهِ جَنَّتٍ وَحَبِّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَنُودُوا ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطَ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيَّنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسِّسُونَ بِهِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ

فحق وعيد ﴿١٩﴾ وهو العذاب الذي توعدهم به سبحانه .

١٥- ﴿١٥﴾ أفعيننا بالخلق الأول ﴿١٦﴾ هل عجزنا عن النشأة الأولى كي نعجز عن الثانية ﴿١٧﴾ بل هم في لبس من خلق جديد ﴿١٨﴾ اللبس : الشك ، والخلق الجديد : البعث .

١٦- ﴿١٦﴾ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ... ﴿١٧﴾ الله بعلمه قريب من كل شيء لأن ما من شيء إلا منه ، وإذن فلا شيء بعيد عنه .

١٧- ﴿١٧﴾ إذ يتلقى المتلقيان ﴿١٨﴾ وهما المكان الحافظان يسجلان الحسنات والسيئات ﴿١٩﴾ عن اليمين وعن الشمال قعيد ﴿٢٠﴾ يجلس كاتب الخيرات عن اليمين وكاتب المحرمات عن الشمال .

١٨- ﴿١٨﴾ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴿١٩﴾ أي حاضر ومهيأ ، والآية توضيح وتوكيد لكتاب الملكين ، وأنه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة كما في الآية ٤٩ من الكهف .

الإعراب :

﴿كيف﴾ مفعول مطلق لأن المعنى أي بناء بنيانها . و﴿تبصرة وذكرى﴾ مفعول من أجله لأنبئنا .

١٩-٢٠ ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ ﴾ غمرته وشدته ﴿ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ عَنْهُ تُحِيدُ ﴾ أي تنكر ، الموت أول لحظة من الآخرة وآخر لحظة من الدنيا ، وفي هذه اللحظة بالذات ينكشف لمكر البعث أنه حق ويقال له بلسان الحال أو المقال : هذا ما استبعدت وأنكرت .

٢١ ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَاقٍ ﴾ يسوقها إلى محضرها ﴿ وَشَهِيدٌ ﴾ يشهد عليها بعملها .

٢٢ ﴿ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا ... ﴾ في الدنيا غفلة وحجاب ، أما في الآخرة فكل شيء على المكشوف ، يبرز أمام الجاهل الكثير مما قد أنكر ، وينكر الكثير مما كان به من الموقنين .

٢٣ ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُ ﴾ وهو الملك الموكل بكتابة الأعمال والأقوال : ﴿ هَذَا مَا لَدَىٰ عَيْنِي ﴾ أحضرت السجل الصادق العادل لمن وكلت به .

٢٤ ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ ﴾ الخطاب للملكين من ملائكة العذاب ﴿ كُلِّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ كبير الكفر بالحق والعناد له .

٢٥-٢٦ ﴿ مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ ﴾ لا يفعله ويصد الناس عن فعله ﴿ مُعْتَدٍ مَرِيبٍ ﴾ يتجاوز الحدود في قوله وفعله ، ويشك فيما ليس فيه شك .

٢٧ ﴿ قَالَ قَرِينُهُ ﴾ هذا القرين غير الأول ، ذاك من الكرام الكاتبين ، وهذا شيطان غاوٍ أنيم : ﴿ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتَهُ ﴾ ولكن هو الذي ضلَّ وطمى بسوء اختياره .

٢٨ ﴿ قَالَ ﴾ سبحانه : ﴿ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ ﴾ لا كلام هنا ، لقد أعذرت بما أنذرت .

٢٩ ﴿ مَا يَدُلُّ الْقَوْلُ لَدَيَّ ﴾ سبقت كلمته تعالى بأن الجنة لمن أطاع ، والنار لمن عصى ، ولا مبدل لكلماته وما هو بظلام للعبيد .

٣٠ ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾ جاء في صحيح البخاري ج ٦ بعنوان « سورة ق » ما نصه بالحرف الواحد : « عن النبي (ص) قال : يلقى في النار وتقول هل من مزيد حتى يضع قدمه فتقول قط قط » ولا أدري كيف سجل البخاري هذا الحديث في صحيحه وهو عارض ويخالف قوله تعالى : « ليس كمثله شيء » ١١ الشورى » وقد ثبت عن النبي (ص) انه قال ما جاءكم عني يوافق كتاب الله فأنا قلته ، وما جاءكم يخالف كتاب الله فلم أقله » وهل من عالم يشك في أن حديث الرجل والجسم المنسوب للذات القدسية - مخالف للعقل والوحي ؟ .

٣١ ﴿ وَأَزْلَفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ هي أقرب ما تكون إليهم ، وهم أقرب من يكون إليها .

الإعراب :

﴿ هذا ما لدي ﴾ معناه هذا شيء ثابت لدي ، وعليه فهذا مبتدا ، و﴿ ما ﴾ نكرة موصوفة خبر ، و﴿ لدي ﴾ متعلق بمحذوف صفة وعين صفة ثانية . و﴿ الذي جعل ﴾ بدل من كفار .

٣٢-٣٣ ﴿ هَذَا مَا توعَدون ﴾ في هذا إشارة إلى الجنة ، والخطاب في توعدون للذين توافرت فيهم أربع خلال : (١) يرجعون إلى الله في جميع أمورهم (٢) يحفظون عهد الطاعة ولا ينقضونه (٣) يخافون الله في السر حيث لا يراهم أحد إلا هو (٤) يأتون ربهم يوم القيامة بقلوب زاكية خالية من كل ما يشين .

٣٤-٣٥ ﴿ ادخلوها بسلام ﴾ في الفرق بين السلام في الآخرة والسلام في الدنيا أن هذا السلام الأخير في كف عفريت معرض للزوال والآفات والمخبات ، أما سلام الآخرة فهو باق ببقاء الله سبحانه ، ولذا قال عز من قائل ﴿ ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود ﴾ وفي الآية ٤٦ من الحجرات « ادخلوها بسلام آمنين » أي من الثقلات والمفاجآت .

٣٦- ﴿ وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشاً فنقبوا في البلاد هل من محيٍ ﴾ في القرن : أهل العصر الواحد ، فإذا هلك أكثرهم قيل : انقضى قرنهم ، فنقبوا في البلاد : ساروا فيها وطافوا ، والمحيص : المهرب ، وتقدم مرات ومرات وآخرها الآية ١٢ وما بعدها من هذه السورة .

٣٧- ﴿ إن في ذلك لذكرى ﴾ في عظة وعبرة ﴿ لمن كان له قلب ﴾ عقل يعي العواقب ، ويتنبه بصاحبه عن المخاطر ﴿ أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾ أقبل على العظة بكله ، وتابعها وانفعل بها .

٣٨- ﴿ ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ﴾ المراد بالأيام هنا الدفعات أو الأطوار ، وتقدم في ه آيات ، منها الآية ٤٤ الأعراف ﴿ وما منا من لغوب ﴾ أي تعب وإعياء .

٣٩- ﴿ فاصبر على ما يقولون ﴾ من سفه وأباطيل ، وماذا بهم ؟ وما هي النتيجة ؟ أبداً لا شيء سوى رياح تفضفها الرقة إلى الأنف ، ومنه إلى هباء ، فعلام الغضب ؟ ﴿ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس ﴾ إشارة إلى صلاة الفجر ﴿ وقبل الغروب ﴾ صلاة العصر ٤٠- ﴿ ومن الليل فسبحه ﴾ صلاة المغرب والعشاء ، وبالمناسبة قال قائل : أنا أؤمن بالله ولكن لا أرى في الصلاة أية ضرورة . قلت : يُخيل إليك أنك من المؤمنين ، ولست هناك . قال : كيف ؟ قلت لأنك ترد على الله بوقاحة وصلاة هو يقول : تسبح الصلاة . وأنت تقول : كلا ، لا وجوب فسكت متحيراً ، ثم سألت : وما جدواها ؟ قلت : أنت تطلب الرحمة من الله ، إن كنت مؤمناً كما تزعم . قال : بكل تأكيد قلت : الصلاة استرحام وسؤال الهداية والأمان ﴿ وأدبر السجود ﴾ بالتسبيح والتعقيب ندباً لا وجوباً .

٤١- ﴿ واستمع يوم يناد المنادي ﴾ في هذه حذف ، والتقدير : استمع يا محمد لوحي الله الذي يخبرك به عن يوم القيامة الذي ينادي فيه المنادي ﴿ من مكان قريب ﴾ أي يسمعه جميع المخلوقات حتى كأنه قريب من كل واحد منهم ، ويخطبه مواجهة لا بمكبّر الأصوات .

٤٢-٤٣ ﴿ يوم يسمعون الصيحة بالحق ﴾ المراد بهذه الصيحة عن المراد بنفخة الصور في الآية ٥١ من يس : « ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون » وقوله تعالى بالحق رد على من أنكر البعث ﴿ ذلك يوم الخروج ﴾ من القبور .

هَذَا مَا تُوَعَّدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيطٍ ﴿٣٢﴾ مَن خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَّجِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ

٤٤- ﴿يَوْمَ تَشْقُقُ الْأَرْضُ﴾ التي منها خلقنا ، وإليها نعود ، ومنها نخرج تارة أخرى مسرعين .. ولكن إلى أين ؟ إلى اللهو واللعب ، أو إلى إثارة الفتن والشغب ، أو الخداع والصوصية ، أو الدعايات الغادرة الفاجرة ؟ كلا ، بل إلى الوقوف بين يدي جبار قهار ، لنقاش الحساب على الفساد وظلم العباد ، والسلب والنهب ، والحقد والغش ، وتشريد الشعوب وامتصاص الدماء ...

٤٥- ﴿نَحْنُ نَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ ويخدعون ويذيعون من أباطيل وأضاليل ، وما عليك أيها النبي أو النائب عنه إلا أن تجهز بكلمة الحق ، وتجاهد بها من غير هوادة ، فإن استجابوا وإلا فالحق لهم بالمرصاد ، ولا تحسن الله غفلاً عما يعمل الظالمون .

سُورَةُ الدَّارِ الْاُخْرَىٰ مَكِّيَّةٌ وَمِنْ سُورَاتِهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا ﴿١﴾ فَالْحَمَلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمَقْسَمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوْعَدُونَ ﴿٥﴾ لَصَادِقٍ ﴿٦﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٨﴾ إِنَّكَ لَنِي قَوْلٍ مُّتَخَلِّفٍ ﴿٩﴾ يُؤْفِكُ عَنْهُ مَن أُنْكَرَ ﴿١٠﴾ قَتَلَ الْخَرَّاصُونَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ

٤-١- ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا﴾ فالحاملات وقرأ فالجاريات يسراً فالقسمات أمراً ﴿الوقر بكسر الواو : الحمل ، والمراد به هنا السحاب المثل بالماء ، وفي تفسير هذه الأوصاف آراء وأقوال ، وفي رأينا أنها بالكامل للرياح ، فهي تذر الغبار وما أشبه ، وتحمل السحاب المطر ، وتجري يسر وسهولة ، وتقسم أو توزع السحاب على البلاد «سقناه لبلد ميت - ٥٧ الأعراف» وأقسم سبحانه بالرياح ، لأن له أن يقسم بما يشاء من خلقه ، ولا يسوغ لأحد أن يقسم إلا بالله .

٥-٦- ﴿إِنَّمَا تُوْعَدُونَ﴾ من النشر والحرش ﴿لصادق وإن الدين لواقع﴾ المراد بالدين هنا الحساب والجزاء .

٧- ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ والحبك : الإحكام ، تقول : حيكه أي أحكمه ، وفي الكواكب حسن وجمال إضافة إلى النظام والإحكام .

٨- ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلَفٍ﴾ الخطاب لمن كذب الصادق الأمين (ص) وأقوالهم فيه متنافرة لا تلتئم ولا تتسجم .

٩- ﴿يُؤْفِكُ عَنْهُ مَن أُنْكَرَ﴾ يُصرف عن القرآن والهدى من صرفه الجهل والهوى .

١٠- ﴿قَتَلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ تُعن المرتابون في الحق والبعث .

١١- ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ غمرهم الجهل والضلال ، فسهبوا عن الحق وأهله .

الإعراب :

﴿يَوْمَ تَشْقُقُ﴾ يوم متعلق بالمصير . و﴿يُسْرًا﴾ جمع سريع ، وهو حال من ضمير عنهم والعامل تشقق . و﴿الذَّارِيَاتِ﴾ الواو للقسم . و﴿ذُرُوءًا﴾ مفعول مطلق . و﴿وِقْرًا﴾ مفعول به . و﴿يُسْرًا﴾ صفة لمفعول مطلق مقدر أي جرياً يسيراً . و﴿أَمْرًا﴾ مفعول به . وإنما توعدون وإنما كلمتان «ان» التي تنصب الاسم وترفع الخبر وما الموصولة ، والعائد محذوف أي ان الذي توعدون من الحساب والجزاء ، والجملة جواب القسم في والذاريات . والسهاء الواو للقسم . و﴿إِنَّكُمْ﴾ جوابه . وضمير عنه يعود الى الدين .

سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى
النَّارِ يُقَنَّنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فَتَنَّاكَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ
بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾
ءَاخِذِينَ مَا ءَاتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ
مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ النَّاسِ مَا يَحْجَعُونَ ﴿١٧﴾
وَبِالْأَمْثَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ
وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي الْأَرْضِ ءَايَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾
وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ
وَمَا تُوعدُونَ ﴿٢٢﴾ قُورَبَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ
مِّثْلَ مَا أَنْتُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثٌ ضَلَفَ
لِبَرٍّ مِّنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ
سَلَامٌ قَوْمٌ مُّكْرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَأَى إِلَهُهٖ بَعَاءٌ يَّعْجَلُ

١٢- ﴿ يَسْأَلُونَ ﴾ يسأل منكروا البعث ساحرين :
﴿ أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ يوم القيامة ، فأجابهم سبحانه بقوله :
١٣- ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُقَنَّنُونَ ﴾ يعذبون .

١٤- ١٥- ﴿ ذُوقُوا فَتَنَّاكُمْ ﴾ عذابكم ﴿ الَّذِي كُنْتُمْ
بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ ومنه تسخرون ، فكيف رأيتم مذاقه ومحاقه .

١٦- ﴿ ءَاخِذِينَ مَا ءَاتَاهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ المجرمون يعصون
الله سبحانه ، ومع ذلك يرجون خيره ، ولا يشعشعون أن يكونوا
مردودين عنده ، أما المتقون فقد أطاعوا الله ، وأعطوه الكثير
من أنفسهم وأعمالهم ، وهم خائفون من غضبه لأنهم - كما
يشعرون - مقصرون عن طاعته ولا يستحقون شيئاً من رحمته ،
ولما رأى سبحانه منهم هذا الخوف والإخلاص ، أفاض عليهم
من فضله ، ومدحهم بقوله : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴾
أحسنوا من قبل فأحسن الله إليهم من بعد ، وهكذا يتعامل
سبحانه مع عباده ، يعملون صالحاً ، ثم يدخلون الجنة ،
يدفعون الثمن سلفاً ، ثم يقبضون الثمن ، ولا نسيئة .

١٧- ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ النَّاسِ مَا يَحْجَعُونَ ﴾ المجموع :
النوم ، والمعنى أن شعورهم بالمسؤولية كان يمنهم من النوم
ليلاً إلا لحظات خوفاً أن يبيتوا والله عليهم غاضب وناقم
لتقصيرهم ، على العكس من المجرمين الذين لا هم لهم ولا
شاغل إلا الشهوات والملذات .

١٨- ﴿ وَبِالْأَمْثَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ الله من التقصير ،
ويسألونه الهداية والعون على العمل بطاعته ومرضاته ، فلا
ينطقون إلا بالحق والصدق ، ولا يتعاطون أي عمل يسيء
إلى مخلوق .

١٩- ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ لا أحديستطيع أن يتصور مجتمعاً قوياً وسعيداً ، وفيه فريق يقاسون
الواناً من البؤس والحرمان ، وآخرون يملكون أكثر مما يحتاجون . وأكد الرسول الأعظم (ص) هذه الحقيقة بقوله : « المؤمنون
كروجل واحد ، إذا اشتكت عينه اشتكى كله ، وإذا اشتكى رأسه اشتكى كله » وعلى هذا الأساس جعل سبحانه للفقراء
في أموال الأغنياء ما يكفيهم ، على سبيل الحق الذي لا يقبل الإبطاء والتأخير ولا التهاون والتسويق لا على سبيل المنحة
والإحسان من الأعلى إلى الأدنى ٢٠- ٢١- ﴿ وَفِي الْأَرْضِ ءَايَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴾ تربط هذه الآية وما بعدها بين الإيمان من
جهة والحس والعقل من جهة ثانية . إذ تقول بصراحة : انظر بعينك ، واستنبط بعقلك ، وآمن بما يوحي عقلك .

٢٢- ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ لا أحديعلم بالضبط واليقين ماذا يأتيه غداً من دجل ورزق مهما كانت
مهنته . وأيضاً لا يدري صاحب النعمة أتدوم له أو تزول ، ولا البائس هل يزداد بؤساً أو يتحول إلى غني وثري ؟
٢٣- ٢٥- ﴿ قُورَبَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنْتُمْ تَنطِقُونَ ﴾ أقسم سبحانه بعزته وجلاله ، وعظمته
وكماله إن الله حق ، والبعث حق ، والقرآن حق ، والنبوة حق تماماً كقول القائل : أنا أنكم وأفكر فأنا موجود . و« قاتل
الله أقوماً أقسم لهم ربهم لم لم يصدقوا » كما قال سيد الكونين (ص) وروي أن اعرابياً قال حين سمع هذه الآية : من
الذي أغضب الجليل حتى أجهأ إلى البيئ ، وتسأل : هل تثبت الدعوى بمجرد اليقين ؟ ونجيب : تفصل الدعوى بالبينات
والإيمان ، والأولى على المدعي والثانية على المنكر ، وعلم القاضي بواقع الحال يغني عنها معاً - كما نرى - فكيف

بعلام الغيوب ؟ وأثبت سبحانه قوله ، عز من قائل ، بالبينات القاطعة من الأنفس والآفاق ، ثم أقسم تأكيداً لهذا الإثبات ، إضافة إلى علمه تعالى ، وإلى أنه هو الذي خلق اللسان وأنطقه ، فجمع بين وسائل الإثبات وفصل الخصومات بالكامل ، فالويل لمن أنكر الخالق القادر .

﴿ قوم منكرون ﴾ مجهولون .

٢٦-٣٠- ﴿ فراغ ﴾ انسل خفية ﴿ فأقبلت امرأته في صرة ﴾ صيحة ، وتقدم أكثر من مرة من ذلك في الآية ٧٠ من هود ، ومن دأبنا أن نسك في هذا التفسير الصغير إلا عما هو غامض أو مفيد .

٣١- ﴿ قال ﴾ إبراهيم (ع) للملائكة : ﴿ فما خطبكم ﴾ ما شأنكم ؟ وفيهم جنتم ؟

٣٢- ﴿ قالوا إنا أرسلنا إلى قوم ﴾ لوط . قال : ولم قالوا :

٣٣-٣٥- ﴿ لنزل عليهم حجارة من طين مسومة ﴾ عليها علامة ، أعدها سبحانه لمن تجاوز الحد في البغي والفساد .

٣٦-٣٨- ﴿ فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ﴾ حتى هذا البيت الطاهر المقدس فيه جرثومة فاسدة حاكمة ، وهي امرأة لوط .

٣٩-٤٢- ﴿ فهوى بركنه ﴾ أي أعرض فرعون عن موسى واتقأ بقوته وسلطانه ﴿ وهو مليم ﴾ فعل ما كان به ملوماً .

اللغة:

فما خطبكم فما شأنكم؟ ومسومة عليها علامة. وسلطان مبین بحجة واضحة. والمراد بالركن هنا القوة والسلطان أي أعرض لانه يملك السلطان والقوة، ومثله: «أو أوى الى ركن شديد- ٨٠ هود». والمليم هو الذي يفعل ما يلام عليه. والريح المقيم هي التي لا خير فيها من المطر أو تليقح الشجر ونحوه. والريميم البالي. والصاعقة العذاب.

الإعراب:

﴿فما خطبكم﴾ مبتدأ وخبر. و﴿مسومة﴾ صفة لحجارة. وفي موسى متعلق بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف أي وفي موسى آية.. و﴿ساحر﴾ خبر لمبتدأ مقدر أي هذا ساحر.

سَمِعِينَ ﴿٣٠﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَى يَهُدَى قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٣١﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَمْخُطْ وَبَشِّرْهُمْ بِعَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٣٣﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ * قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٦﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٧﴾ مُّسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٨﴾ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٩﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٤١﴾ وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٢﴾ فَتَوَلَّىٰ رُكْنَهُ وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٤٣﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ

٤٣-٤٦ ﴿وَفِي عَادٍ﴾ قوم عاد ﴿الريح العقيم﴾ لا شيء فيها إلا العذاب ، لا تمر بشيء ﴿إلا جعلته كالريم﴾ هباءً وبياباً ﴿وفي ثمود﴾ قوم صالح ، وتقدمت هود وصالح ونوح مراراً وتكراراً .

٤٧- ﴿والسماء ببناءها يأيد﴾ والسماء ببناءها يأيد وإنا لموسعون ﴿نلخص هنا ما قاله أحمد أمين العراقي حول هذه الآية في كتاب التكامل في الإسلام : حاول آيشتين أن يحسب وزن العالم بكامله ، ثم عدل لما تبين له أن الكون لا حد له ولا نهاية حيث دلت البحوث العلمية الدقيقة أن المجرات يبعد بعضها عن بعض ملايين السنين الضوئية ، وكذلك الأنظمة الشمسية ، وأن هذا البعد يزداد ويستمر يوماً بعد يوم ، مما يكشف عن أن الفضاء الرحب يتسع آنأ بعد آن ، وقد زلت هذه الآية حيث لا علم يوصل إلى هذه الحقيقة من قرب أو بعيد .

٤٨- ﴿والأرض فرشناها﴾ بسطها سبحانه لمخلوقاته من أجل العيش والحياة لا للأسلحة الجهنمية والمشكلات .

٤٩- ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين﴾ ذكرًا وأنثى في الإنسان والحيوان والنبات وفي مجلة عالم الفكر الكويتية العدد الثالث من المجلد الأول ص ١١٤ : «ما يستوقف الذهن إشارة القرآن أن أصل الكائنات جميعاً تتكون من زوجين اثنين ... وقد اكتشف العلم الحديث وحدة التركيب الذري للكائنات على اختلافها وأن الذرة الواحدة تتكون من إلكترون أو بروتون . أي من زوجين اثنين ﴿لعلكم تذكرون﴾ بأن الخالق قادر عليم ومدبر حكيم .

٥٠- ﴿ففرّوا إلى الله﴾ بكف الأذى عن عباده وعباده ﴿إني لكم منه نذير مبين﴾ لكل من أساء إلى الآخرين ، قال نبي الرحمة (ص) : شر الناس عند الله الذين يبغي الناس شرهم ... أعجل الشر عقوبة البغي .

٥١- ﴿ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر﴾ ومن الكفر والشرك بالله أن يزيّف المرء ويحرف حكماً من أحكام الله ، فيحلل حرامه أو يحرم حلاله .

٥٢- ﴿كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون﴾ كما قال لك يا محمد المشركون : إنك ساحر أو مجنون أيضاً قال الأولون من أمثال هؤلاء لرسولهم : أنتم سحرة ومجانين .

٥٣- ﴿أتواصوا به﴾ هذا التشابه بين أهل العصور السابقة واللاحقة ، في موقفهم ضد الدعاة الهداة ؟ هل أوصى الجيل الأول للثاني أن يخلفه في معاندة الحق وأهله .

الإعراب :

وفي عاد وفي ثمود مثل وفي موسى . ﴿وقوم نوح﴾ بالنصب على تقدير وأهلكنا قوم نوح . ﴿والسباء﴾ مفعول لفعل مقدر أي بنيينا السباء بنياناها . ﴿والأرض﴾ أيضاً مفعول لفعل مقدر أي فرشنا الأرض فرشناها . ﴿فنعلم الماهدون﴾ المخصوص بالمدح محذوف أي نحن . ﴿وكذلك﴾ خبر لمبتدأ مقدر أي الأمر كذلك . أتواصوا الهمة للاتكار .

مُليمٌ ﴿١﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٢﴾ مَا تَذَرُونَ شَيْءًا أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرِّيمِ ﴿٣﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤﴾ فَعْتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٥﴾ قَسَا أَسْطُكُم مِّن قِبَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ ﴿٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٧﴾ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٨﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٩﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٠﴾ فَعَرِّضُوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴿١٣﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿١٤﴾

فَقَوْلَ عَنْهُمْ مَا أَنْتَ بِمَلَكٍ ۖ وَذَكَرَ فَإِنَّ الذِّكْرَى
تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا
لِيَعْبُدُونِ ۖ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ
يُطْعَمُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ۖ
فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا
يَسْتَعِجِلُونَ ۖ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي
يُوعَدُونَ ۖ

(٥٢) سُورَةُ الطُّورِ مَكِّيَّةٌ
وَأَنبَأَنَا هُنَا فَيَنْتَعِ وَارْتَعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ۖ وَكَتَبَ مَسْطُورٍ ۖ فِي رَقٍّ مَنشُورٍ ۖ

٥٤- ﴿فَقَوْلَ عَنْهُمْ مَا أَنْتَ بِمَلَكٍ﴾ أَعْرَضَ عَنْهُمْ
يَا مُحَمَّدُ فَمَا أَنْتَ بِمَلَكٍ عَلَى عِبَادِهِمْ وَلَا بِمَلَكٍ لَكَ بَلَّغْتَ
وَبَالَغْتَ فِي النَّصِيحَةِ .

٥٥- ﴿وَذَكَرَ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ إِمْرُ
فِي دَعْوَتِكَ وَمَوْعِظَتِكَ ، فَسَيَنْتَفِعُ بِهَا وَيَنْتَفِعُ مَنْ يَسْأَلُ عَنْ
الْحَقِّ وَيَسْأَلُ إِلَيْهِ لِيُؤْمِنَ بِهِ ، وَيَعْمَلُ بِمَوْجِبِهِ .

٥٦- ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ إِلَّا
لِيُطِيعُوا اللَّهَ فَيَعْمَلَ الْخَيْرَ وَتَرْكُ الشَّرِّ ، لَا لِيَعْبُدُوا الْأَهْوَاءَ وَالْأَمْوَالَ
وَالْأَنْسَابَ .

٥٧- ٥٨- ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ وَكَأَنَّهُ - تَعَالَى
عُلُوًّا كَبِيرًا - يَقُولُ : مَا خَلَقْتُ الْخَلْقَ لِأَسْتَعْلِمَهُمْ فِي الْمَعَامِلِ
وَالْمَصَانِعِ أَوْ لِنَصْرِيفِ السَّلْعِ وَالْبَضَائِعِ ، وَلَا لِأَضَاهِي بِهِمْ
الْأَنْدَادَ وَالْأَضْدَادَ ، وَفِي الْخُطْبَةِ ١٠٧ مِنْ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ «لَمْ تَخْلُقِ
الْخَلْقَ لَوْحَةً ، وَلَا اسْتَعْمَلْتَهُمْ لِلْمَعَةِ» .

٥٩- ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾
المراد بِالذُّنُوبِ هُنَا الْعَذَابُ عَلَى الذُّنُوبِ مِنْ بَابِ إِطْلَاقِ السَّبَبِ
عَلَى الْمُسَبَّبِ ، وَالْمَعْنَى سَيُعَذِّبُ اللَّهُ الَّذِينَ كَذَّبُوا مُحَمَّدًا كَمَا
يُعَذِّبُ الْأَوَّلِينَ الَّذِينَ كَذَّبُوا الرِّسْلَ كَقَوْمِ نُوحٍ وَعَادَ .

٦٠- ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾
وَبِهِ يَسْتَعْجِلُونَ ، فَكَمْ مِنْ مُسْتَعْجِلٍ أَمْرًا وَدَّ أَنْهُ لَمْ يَكُنْ .

سُورَةُ الطُّورِ مَكِّيَّةٌ وَفِيهَا ثَلَاثُونَ آيَةً
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿وَالطُّورِ﴾ الْجَبَلُ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مُوسَى .

٢- ﴿وَكِتَابَ مَسْطُورٍ﴾ كُلُّ كِتَابٍ سَمَاوِيٍّ .

٣- ﴿فِي رَقٍّ﴾ جِلْدٌ رَقِيقٌ كَالْوَرَقِ يَكْتُبُ فِيهِ ﴿مَنشُورٍ﴾ عَلَى الْعَالَمِينَ حَيْثُ لَا شَيْءَ فِي دِينِ اللَّهِ بَاطِنٌ وَخَفِيٍّ .

اللغة:

قال الفيروز ابادي في قاموسه المحيط: يطلق الطور على فناء الدار وعلى كل جبل، وعلى جبل قرب أيلة يضاف إلى سيناء وسينين، وعلى جبلين بالقدس، وآخر برأس العين، وعلى جبل مطل على طبرية. والرق جلد رقيق يكتب فيه. والبحر المسجور أي امتلا وفاض. وتقوم تضطرب. والمراد بالخوض هنا حديث الباطل. ويدعون يدفعون. أصوها قاسوا حرها.

الإعراب:

﴿وَالطُّورِ﴾ الواو للقسام. وما بعد الطور عطف عليه. ﴿فِي رَقٍّ﴾ متعلق ب﴿مَسْطُورٍ﴾.

وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۝ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝ مَالَهُ مِنْ دَافِعٍ ۝ يَوْمَ تُمَوَّرُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۝ وَتُسِيرُ الْجِبَالُ سِيرًا ۝ فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۝ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًا ۝ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝ أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ۝ أَصَلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تُصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنْ مُنَحْزَرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي جَنَّتٍ وَتَعَبٍ ۝ فَكَيْفَ بِمَا أَنْهَمُ رَبُّهُمْ وَوَقَّعَهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ مُشْكِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَصْصُوفَةٍ ۝ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ

- ٤- ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ الكعبة الشريفة .
 ٥- ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ السماء .
 ٦- ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ المملوء بالماء .
 ٧- ٨- ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ يوم القيامة على المجرمين لا محالة ، والجمله جواب القسم .
 ٩- ﴿يَوْمَ تُمَوَّرُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ تمور : تضطرب حيث تذهب الجاذبية ، وتحدث القوضى ويعم الخراب .
 ١٠- ﴿وَتُسِيرُ الْجِبَالُ سِيرًا﴾ إذا مارت الأرض والسماء زالت الجبال من أماكنها ..
 ١١- ١٢- ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ بالبعث .
 ١٣- ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًا﴾ يدفعون إليها بعنف .
 ١٤- ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي﴾ تغمركم من قرن إلى قدم هي بالذات ما كنتم منها تسخرون .
 ١٥- ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا﴾ حذرکم النبي (ص) من نار جهنم فتعتموه بالسحر ، فإرايكم الآن ؟ وهل أنتم في يقظة أو نيام ؟
 ١٦- ﴿أَصَلَوْهَا﴾ ذوقوا حرما وشرها ﴿فَاصْبِرُوا﴾ أو لا تصبروا ﴿فَالْعَذَابُ حَتْمٌ لَا مَفْرَمَ مِنْهُ﴾ صبرتم أم جزعتم ، هل يهلك إلا القدم الظالمون ؟
 ١٧- ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي جَنَّتٍ وَتَعَبٍ﴾ انتقل سبحانه من ذكر العقوبة على فعل الشر إلى ذكر المثوبة على الخير ، لجمع الإنسان بين الخوف والرجاء ، والأول يبتعد به عن المعصية ، والثاني يقوده إلى الطاعة ..

١٨- ﴿فَاكْهِنَ﴾ يتمتعون بأكل الفاكهة ، وأيضاً بملح الكلام .

١٩- ٢٠- ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ هذا دليل قاطع على عدم الفاصل بين الإيمان والعمل .

٢١- ٢٢- ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ﴾ أطفال المؤمنين في الجنة مع آبائهم المقنين بنص الحديث ، أما أطفال الكافرين فلا يدخلون النار مع الآباء ، ما في ذلك ريب ، حيث لا عقاب بلا تكليف ، وهل يدخلون الجنة ؟ الجواب : العقل لا يحتم ذلك ، أما الكبار من أبناء المؤمنين وغير المؤمنين ، فكل امرئ بما كسب رهين ، أجل إذا كان كل من الوالد والولد مؤمناً ومن أهل الجنة ، ولكن منزلة الوالد فيها أعلى وأرفع ، ألحق سبحانه الولد بوالده إكراماً له ، ولتقر به عينه ، ولا ينقص ذلك من ثواب الوالد ومنزله شيئاً ، وإلى هذا

الإعراب :

إن عذاب ربك الخ جواب القسم . يوم تمور «يوم» متعلق بواقع . ويوم يدعون «يوم» بدل من يوم المقدمة . ﴿وسحر﴾ خبر مقدم وهذا مبتدأ مؤخر . ﴿وسواء﴾ خبر لمبتدأ محذوف أي الصبر وعدمه سواء

أشار سبحانه بقوله : ﴿ يَا بَعْنَ الْحَقُّنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ ﴾ أي ما أنقصنا من ثواب عمل الآباء شيئاً .

٢٣-٢٥- ﴿ يَنْتَازِعُونَ فِيهَا ﴾ يتعاطون فيها ﴿ كَأَسَا لَا لَغْوَ فِيهَا ﴾ لا سكر ولا عربة ﴿ وَلَا نَائِمٍ ﴾ لا تستوجب الإثم والمواخذة كخمر الدنيا ﴿ كَأَنَّهُمْ لَوْلُو مَكُونٍ ﴾ لؤلؤ : جواهر ، ومكون : مصون كتابة عن الصفاء والبهاء .

٢٦- ﴿ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴾ اتقينا الله في دار الدنيا خوفاً من عذاب الآخرة .

٢٧- ﴿ فَمَنْ أَهْلُ عَلَيْنَا ﴾ برحمته ، وتفضل بنعمته .

٢٨- ﴿ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ ﴾ بإخلاص فاستجاب لنا ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾ وسع برحمته وإحسانه كل شيء .

٢٩- ﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ ﴾ أنت يا محمد أكمل ما في البشرية من فضل وخير ، وقد اختارك سبحانه عن علم ، فبلغ رسالة ربك لعباده ، وأعرض عن نعتك بنعوت . هي به ألصق وأليق .

٣٠- ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ ﴾ قال بعض المشركين لبعض : محمد شاعر ، والشعراء قد يتنبأون لأنهم في كل واد يهيمون ، فانتظروا به الموت والهلاك كما مات غيره من الشعراء .

٣١- ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد لؤلؤاء : ﴿ تَرَبَّصُوا فإني معكم من المتربصين ﴾ أنتم تنتظرون ، وأنا أنتظر ، وسوف تعلمون لمن العاقبة دنيا وآخرة ؟ .

٣٢- ﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا ﴾ الإفتراء والضلال والمراد بأحلامهم عقولهم البالية ﴿ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ ينكرون الحق نبياً وعناداً .

٣٣- ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ ﴾ اختلق القرآن من تلقائهم

الإعراب :

والحقنا بهم خير . و﴿ بما كسب ﴾ متعلق برهين . و﴿ في أهلنا ﴾ متعلق بمشفقين . انت اسم « ما » النافية . و﴿ بكاهن ﴾ الباء زائدة إعراباً . وكاهن خير . و﴿ بنعمة ربك ﴾ اعتراض بين الاسم والخبر . والباء لبيان السبب وليست للسمك كما في جمع البيان ، ويتعلق المجرور بها بما دل عليه معنى الكلام أي ان الله نزهك يا محمد عن الجنون والكهانة بفضلهم وكرمه . و « ام » المكرة في الآيات معناها الاستفهام مع التوبيخ والانتكار .

﴿ بل لا يؤمنون ﴾ يحى ، ولا ينتهون عن باطل .

٣٤- ﴿ فلَيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ في أن القرآن شعر وكهانة ، وتقدم مرات ، منها في الآية ٢٣ من البقرة

٣٥- ﴿ أَمْ خَلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ إِمَّا أَنْ يَكُونَ وجودهم بمحض الصدقة ، وإما ﴾ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ لأنفسهم ، وكل من الفرضين هراء وحماقة .

٣٦- ﴿ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ وما من شك أنهم لا يدعون هذا ، لأنه جنون محكم ، ولكنه كناية عن تصرفهم مع خالق الكون من حيث تركهم لعبادته والخصوع لأمره ، ولذا قال سبحانه : ﴿ بل لا يوقنون ﴾ أي يعملون عمل من لا يؤمن بالله من الأساس ، وما أكثر هذا الفريق في الذين ينتسبون إلى الدين .

٣٧- ﴿ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ ﴾ يتصرفون فيها كما يشتهون ﴾ أَمْ هُمُ الْمُسَيِّطُونَ ﴾ بقدرتهم على الكائنات ، والمحاسبون للمخلوقات .

٣٨- ﴿ أَمْ لَهُمْ سُلْمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ﴾ هل صعدوا إلى الله تعالى وصعدوا منه أن محمداً يفترى عليه الكذب ؟

٣٩- ﴿ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴾ إن افتراءهم على الرسول بأنه شاعر وكاهن ومجنون تماماً كافتراءهم على الله بأن له أنداداً وبنات .

٤٠- ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴾ أي يثقل ويشق عليهم أدنى طلب من أموالهم .

٤١- ﴿ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴾ هل كتبوا نسخة طبق الأصل عن معلوماته تعالى ، فتبين لهم منها أنه لا بعث ولا قرآن ولا رسالة من الله لمحمد (ص) ؟

٤٢-٤٣- ﴿ أَمْ يَرِيدُونَ كَيْدًا ﴾ بمحمد (ص) والإساءة إليه ﴾ فالذين كفروا هم المكيدون ﴾ عليهم تدور دائرة سوء .

٤٤- ﴿ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنْ عَذَابٍ ﴾ من السماء ساقطاً يقولوا أصحاب موكوم ﴾ متراكم بضه فوق بعض ، وتقدم في الآية ٢٤ من الأحقاف .

٤٥- ﴿ فَلَهُمْ حَتَّى يَلَاوَهُمْ يَوْمُهُمْ ﴾ للظالمين يوم لا مغرم لهم منه ، فدعهم يا محمد في طغيانهم يعمهون إلى يومهم هذا وعواصفه وصواعقه .

٤٦- ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ ﴾ أبداً لا حيلة في هذا اليوم تدفع ، ولا ناصر ينفع .

تَقَوْلُهُمْ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَلَيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ أَمْ خَلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصِيطَرُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ هُمْ سَلَمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلَيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٤١﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٣﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤٤﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٥﴾ أَمْ لَهُمْ آلَاءٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴿٤٧﴾ فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٨﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ

٤٧- ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا ﴿١﴾ آخَرَ دُونَ عَذَابِ الْآخِرَةِ الَّذِي ذَكَرَهُ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ ، وَهُوَ فِي عِلْمِهِ تَعَالَى بِخِتَارِهِ بِمَقْضَىٰ عَدْلِهِ وَحُكْمِهِ .

٤٨- ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴿٢﴾ وَهُوَ إِمْهَالُ الطَّغَاةِ إِلَىٰ يَوْمِهِمُ الْمَوْعُودِ ﴿٣﴾ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴿٤﴾ فِي كُلِّ حَالٍ وَحِينَ ، فَإِنْ ذَكَرَهُ أَحْسَنَ الذِّكْرِ ، وَوَعْدَهُ لِلْمُتَّقِينَ أَصْدَقُ الْوَعْدِ .

سُورَةُ النِّجْمِ وَفِيهَا ثَلَاثُونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾﴾ المراد بالنجم هنا كل نجم في أرجح الأقوال ، لأن الألف واللام للجنس ، وقد أقسم سبحانه بناتئير الكواكب في القضاء يوم القيامة كما في الآية ٢ من الإنفطار : « وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ » .

٢- ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ ﴿٢﴾﴾ محمد ، والخطاب لمن أنكر رسالته ، والجملة جواب القسم ، وهي شهادة من الله سبحانه على أن محمداً أبعد الخلق عن الضلالة والغواية ، وأن من ظن به شيئاً من هذا فهو الغوي المبين .

٣- ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾﴾ لا خطأ ولا خطيئة في أقوال محمد ، وكذلك في أفعاله للملازمة بين العصمة في الأقوال والعصمة في الأفعال .

٤- ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ ضمير هو للقرآن لأن محمداً (ص) ليس بوحى بل موحى إليه .

٥- ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾﴾ أخذ النبي (ص) القرآن من جبريل عن الله ، وجبريل شديد القوى في الصفات التي توهله لأمانة الوحي وأدائها لأنبياء الله ورسله - .

٦- ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾﴾ المرة بكسر الميم : الهيئة والصورة ، واستوى : استقام ، والمعنى أن جبريل ظهر للنبي (ص) مستوياً كما خلقه الله .

٧- ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾﴾ أي أن جبريل حين ظهر للنبي على صورته امتد مرتفعاً في الجو .

٨- ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾﴾ في الكلام تقديم وتأخير ، والأصل بعد أن ارتفع جبريل بقامته في الفضاء ، تدل وتزل بها حتى أصبح قريباً من النبي (ص) .

٩- ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ القاب : المقدار ، أي بعد أن تدل وتزل جبريل قرب من النبي حتى لم يكن بينهما سوى مقدار قوسين ، بل أقل من ذلك .

الإعراب :

﴿يَوْمِهِمْ﴾ مفعول به ﴿فَلْيَلْقُوا﴾ لأن المعنى إنهم يلاقون اليوم بالذات ، ولو قال : فلاقون علمهم يوم القيامة لكان يوم مفعولاً فيه . ويوم لا يغني بدل من يومهم . ﴿وَدِبَارٍ﴾ مفعول فيه لفعل محذوف أي وسبحه في إدبار النجوم . ﴿وَالنَّجْمِ﴾ الواو للقسمة .

كَبِدُهُمْ شَيْعًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٠﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴿١٢﴾ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿١٣﴾ وَمِنْ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿١٤﴾

(٥٣) سُورَةُ النِّجْمِ ثَمَانِيَةٌ وَأَرْبَعُونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَيْهِ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ

١٠- ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ أوحى سبحانه إلى عبده محمد بواسطة الروح الأمين شيئاً مهماً ، وقد يكون الشيء الموحى به آية من آي الذكر الحكيم ، وقد يكون غير ذلك ١١- ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ رأى محمد جبريل بقلبه وبصره ، فلا العين أخطأت فيما رأت ، ولا القلب شك في رؤية العين .

١٢- ﴿ أَفْتَمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَى ﴾ أتكدبون وتجادلون محمداً أيها المشركون فيما رأت عيناه ، وآمن به قلبه وعقله .

١٣- ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ أيضاً رأى محمد (ص) جبريل في هيئته وخلقه الأصلية مرة ثانية حين حمل النبي ليلة المعراج ، وطاف به في السموات العلى حتى انتهى إلى الحد الأقصى الذي أشار إليه سبحانه بقوله :

١٤- ﴿ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴾ فوق في هذا المكان ، ولم يتجاوزوه إلى غيره لجهة العلو .

١٥- ﴿ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴾ وهي جنة الخلد التي جعلها سبحانه ثواباً للمؤمنين كما في جوامع الجامع .

١٦- ﴿ إِذْ يَغْشَى السُّدُورَ مَا يَغْشَى ﴾ يوجد عند سدرة المنتهى من آثار قدرته تعالى ما لا يبلغه وصف ، ولا يحده عقل .

١٧- ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ ما حاد بصر محمد عن الواقع ، ولا تجاوز عنه .

١٨- ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ محمد (ص) ما رأى الله في رحلته هذه التي بلغ فيها سدرة المنتهى ، لأن النواظر لا ترى العلي الأعلى ، ولكن محمداً شاهد من عجائب

قدرته تعالى ما يستحيل أن يراه الإنسان أو يعرف عنه شيئاً مهما تقدمت العلوم ، وتطورت سفن الفضاء إلا أن يشاء الله .

١٩- ٢٠- ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ﴾ هذه أصنام كان العرب يعبدها من دون الله ، فوهمهم سبحانه على عبادتها وقولهم : الملائكة وهذه الأوثان بنات الله ، ولذا قال سبحانه :

٢١- ٢٢- ﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَىٰ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴾ ظالمة جائرة ، لا يرضيها مخلوق من مثله ، فكيف فضلت العبد على سيده والمخلوق على خالقه ؟

٢٣- ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُوهَا ... ﴾ تقدم في الآية ٧١ من الأعراف ﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ﴾ تدلنا هذه وغيرها من الآيات الناهية عن العمل بالظن . أن القرآن لا يبق إلا بالعلم ، وأن الظن لا يكشف عن الواقع المجهول ، ولا يسوغ بحال أن يكون طريقاً إلى المعرفة ، وهذا من أهم الفوارق بين الإسلام وسائر الأديان أبعد هذا يقال بأن الدين كله غيب في غيب ؟ وهل يثبت الغيب بالغيب ؟ ﴿ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ﴾ عطف على ما قبله أي ولا يتبعون إلا ما تهوى أنفسهم ، يشير سبحانه بهذا إلى ما عليه الكثرة الكاثرة في كل زمان ومكان حتى العديد من رؤساء الأديان ، حيث لا ينجذبون إلى الشيء ويفعلونه لأنه حق وخير ، بل يصفون صفة الحق والخير على الشيء الذي يرتاحون إليه ، ووافق هوى في نفوسهم ، ومن هذا النوع عبدة الأوثان ، نعتوا الأصجار بالألوه لا لشيء إلا تعصباً لدين الآباء ، وإلى هذا أشار سبحانه بقوله ٢٤- ﴿ أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمْنَى ﴾ الأمنيات والرغبات لا تغير الواقع عما هو عليه ، وفي نهج البلاغة : الأمانى تعمي

قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿١٠﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١١﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١٢﴾ أَفَتَمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٤﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمْنَىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ * وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي

أعين البصائر

٢٥- ﴿ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ﴾ الأمر والملك لله وحده دنيا وآخرة .

٢٦- ﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً ﴾ الملائكة المقربون لا يشفعون لأحد إلا بإذنه ، فكيف تشفع الأحجار لكم أيها المشركون الجاهلون بجهلهم ؟

٢٧- ٢٨- ﴿ إِنْ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُوعْنَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيعَ الْأُنثَى ﴾ أي يقولون : الملائكة بنات الله لمكان ، التاء في كلمة ملائكة ، ولو كانوا ذكوراً لقليل ملائكة لا ملائكة ! وهذا هو الجهل بكمال الله وجلاله ، وباللغة لأن التاء تأتي لغير التأنيث مثل عبدة الأصنام جمع عبد ﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ... ﴾ أنظر تفسير الآية ٢٣ من هذه السورة .

٢٩- ﴿ فَأَعْرَضَ ﴾ يا محمد عمن أعرض عن الله والحق ﴿ ولم يرد إلا الحياة الدنيا ﴾ أما الدين فسلم لجأه ، وحرقة يأكل منها ، ويكثر للأولاد والأصهار ، وتلك حياتهم وملذاتهم تدل عليهم .

٣٠- ﴿ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ ذلك إشارة إلى لذيق العيش ، وأنه الهدف الوحيد لكل ما يعملون ويتعلمون ﴿ إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ ﴾ يتخذ من الدين والعلم أداة للصوصية ، وعنده حسابه وعقابه .

٣١- ﴿ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ هوسبحانه القوي الغني الذي لا يفقر إلى شيء ، وإليه يفقر كل شيء ، وهو

الحق والعدل يجزي ﴿ ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ﴾ بلا زيادة ، وقد يغفر ﴿ ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ﴾ يوفهم أجورهم ، ويزيدهم من فضله ، ثم بين سبحانه من هم المحسنون بقوله :

٣٢- ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كِبَارَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ ﴾ كالظلم والزنا وكل ما تجاوز الحد في القبح ﴿ إِلَّا اللَّعْمَ ﴾ وهي صفائر الذنوب التي لا يكاد يخلو منها إنسان إلا من عصم الله كالنظرة والجلوس على مائدة الخمر ، وتقدم في الآية ٣١ من النساء .

﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ ... ﴾ من أينما آدم الذي خلقه من تراب إلى كل جنين ورضيع وشاب وكهل وشيخ يدب على العصا ... إلى النفس الأخير ، وإذن علام تزكي نفسك ما دام

الإعراب :

المصدر من ﴿ ليجزي ﴾ متعلق بمحذوف دل عليه سياق الكلام أي خلق الله الناس ليجزي ، وقيل : متعلق بمعنى أعلم بمن ضل والاهتدى . ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ ﴾ بدل من الذين أحسنوا . ﴿ إِلَّا اللَّعْمَ ﴾ مستثنى منقطع .

شَفَعَتْهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ
وَرِضَى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسْمَوْنَ
الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيعَ الْأُنثَى ﴾ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ
إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَظُنُّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ
شَيْئاً ﴿ فَأَعْرَضَ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ
إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ
رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ
أَهْتَدَى ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَفَوْا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا
بِالْحُسْنَى ﴾ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كِبَارَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ
إِلَّا اللَّعْمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ
أَنْسَأْتُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ

فَلَا تَرْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴿٣٣﴾ أَفَرَأَيْتَ
الَّذِي تَوَلَّى ﴿٣٤﴾ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴿٣٥﴾ أَعِنْدَهُ عِلْمُ
الْغَيْبِ فَهَوِيَ رِئَايَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَمْ يَنْبَأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴿٣٧﴾
وَأِبراهيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿٣٨﴾ أَلَا تَرَى وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى ﴿٣٩﴾
وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٤٠﴾ وَأَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ
يُرَى ﴿٤١﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوَّلَى ﴿٤٢﴾ وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ
الْمُنْتَهَى ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ
وَأَحْيَا ﴿٤٥﴾ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٤٦﴾
مِنْ نَفْثَةٍ إِذَا تُمْنَى ﴿٤٧﴾ وَأَنْ عَلَيْهِ النُّشْأَةُ الْأُخْرَى ﴿٤٨﴾
وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى ﴿٥٠﴾
وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ﴿٥١﴾ وَتَمُودًا فَآبَى ﴿٥٢﴾
وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطَى ﴿٥٣﴾

ربك ﴿٣٣﴾ هو أعلم بمن اتقى ﴿٣٤﴾ وقال لك ولنيرك : فلا تركوا
أنفسكم .

٣٣- ﴿٣٤﴾ أفرايت الذي تولى ﴿٣٥﴾ عن الحق ودعوته .

٣٤- ﴿٣٥﴾ وأعطى قليلاً وأكدى ﴿٣٦﴾ بذل القليل من ماله
ثم أمسك .

٣٥- ﴿٣٦﴾ أعنده علم الغيب ﴿٣٧﴾ هل عند هذا الذي تولى
عن الحق ، وأمسك عن البذل - علم من الله سبحانه بأنه
في أمن وأمان من عذابه ؟

٣٦- ٣٧- ﴿٣٨﴾ أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم
الذي وفى ﴿٣٩﴾ ألم يسمع هذا الذي أعرض وبخل ، بما قال
الله في تورات موسى وصحف إبراهيم الذي وفى بعهد الله وميثاقه ؟
٣٨- ﴿٤٠﴾ ألا تترى وازرة وزر أخرى ﴿٤١﴾ كل إنسان مسؤول
عن ذنبه لا عن ذنب سواه ، وتقدم مرات ، منها الآية ١٦٤
من الأنعام .

٣٩- ٤١- ﴿٤٢﴾ وإن ليس للإنسان إلا ما سعى ... ﴿٤٣﴾
هذا هو دين القرآن والإسلام : ليس للإنسان إلا ما سعى
وفعل ونوى ، ولا يقاس بشيء على الإطلاق إلا بمقاصده
وأفعاله ، فهي وحدها التي ترفعه أو تفضعه ، تقلسه أو تدنسه ،
حتى كلمة التوحيد والشهادة لمحمد بالرسالة تؤكد هذه الحقيقة
كخريضة لازمة لأن تكوينها اللفظي يبطل بدلالته كل المزاعم
بأن الإنسان يوزن بشيء سوى سعيه وجهده وعرقه وعمل يده .
فهل من إشكال وقيل وقال ؟

٤٢- ﴿٤٣﴾ وإن إلى ربك المنتهى ﴿٤٤﴾ منه تعالى البداية ،

وإليه النهاية ، ولا حيلة ووسيلة ، ومن جحد فأمامه ما يجيء به الغد .

٤٣- ٤٦- ﴿٤٧﴾ وأنه هو أضحك وأبكى ﴿٤٨﴾ الضحك إشارة إلى فرح أهل الجنة ، والبكاء إشارة إلى ترح أهل النار ،
قال سبحانه : «وجه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجه يومئذ عليها غبرة ترهقها قفرة - آخر عبس» ﴿٤٩﴾ وأنه خلق
الزوجين الذكر والأنثى ... ﴿٥٠﴾ قال جاهل أو ذاهل عن هذه الآية وغيرها من آي الذكر الحكيم : إن نظرية دارون لا
تناقض الإسلام والقرآن لأن نظرية التطور علم والإسلام دين العلم ! وما من شك أن الإسلام دين العلم ، ولكن هذا شيء ،
وأصل الإنسان قرد شيء آخر ، والقرآن صريح في أن الله خلق آدم من طين لا من قرد دارون ، وأنه تعالى هو الذي
صورنا في الأرحام كيف يشاء بنص الآية ٦ من آل عمران ، وعليه يكون القول بأن نظرية دارون لا تناقض القرآن - نقضاً
للبقين بالشك والجهل ٤٧- ﴿٥١﴾ وإن عليه النشأة الأخرى ﴿٥٢﴾ وأية حكمة في النشأة الأولى إذا لم تكن مطية للثانية ؟
٤٨- ﴿٥٣﴾ وأنه هو أغنى وأقنى ﴿٥٤﴾ أعطى جميع العباد ما يكفيهم من الرزق ، أما أقنى فغير بعيد أن تكون إشارة
إلى وسائل الإنتاج . وأن الكل منه تعالى ، لأنه خالق كل شيء .

٤٩- ﴿٥٤﴾ وأنه هو رب الشعري ﴿٥٥﴾ نجم مضيء وخصمه سبحانه بالذكر لأن بعض أهل الجاهلية كانوا يعبدونها

٥٠- ﴿٥٥﴾ وأنه أهلك عاداً الأولى ﴿٥٦﴾ وهم قوم مود . وتقدم الكلام عنهم مرات .
٥١- ٥٢- ﴿٥٦﴾ وتموداً فما أبقي ﴿٥٧﴾ أحداً منهم وهم قوم صالح ، وأيضاً سبق عنهم الكلام مراراً .

٥٣- ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾ قرى قوم لوط ، جعل عليها أسفلها .

٥٤- ﴿فَغَشَاها﴾ غطاها العذاب .

٥٥- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى﴾ بآية نعمة من نعم الله تشك وتجادل أيها الجاحد المعاند . وبالمناسبة قال الفيلسوف المسلم والشاعر الكبير اقبال في تعريف المؤمن : انه من يستقبل الموت وعلى شفثيه ابتسامة التوحيد .

٥٦- ﴿هَذَا﴾ الذي تلوانه وسجلناه في هذه السورة هو ﴿نَذِيرٌ مِنَ النَّارِ الْأُولَى﴾ فيما تضمنه من حقائق جدية بالتفكير والإهتمام كنزول الوحي على محمد (ص) وما أشرنا إليه من أن الظن لا يكون طريقاً للمعرفة ، وأن الإنسان بكذبيته وعرق جبينه

٥٧- ﴿أُزِفَتِ الْأَرْفَةُ﴾ الساعة آتية لا ريب فيها ، وكل آت قريب .

٥٨- ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ لا أحد يعلم وقتها والكشف عنه إلا الله : «يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله - ٦٣ الأحزاب - ٩» .

٥٩- ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾ المراد بالحديث هنا القرآن ، وأهل الإيمان والمعرفة يعجبون به إكباراً لعلظته كما قال سبحانه : «قرآنًا عجباً - الجن» والكفرة الفجرة يعجبون منه منكبين وساخرين كما قالوا : «أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب - ٥ ص» .

٦٠- ﴿وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾ الأولى بكم أن تبكوا على أنفسكم التي أوردتموها مناهل الوبال والهلاك .

٦١- ﴿وَأَنْتُمْ سَامِعُونَ﴾ لاهون لاهون .

٦٢- ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ يجب السجود عند تلاوة هذه الآية أو الإستماع إليها ، أنظر تفسير الآية ٣٧ من فصلت .

سُورَةُ الْقَمَرِ فِي شَيْءٍ مُسْتَعِجٍ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ ذكر سبحانه انشقاق القمر مقروناً بذكر الساعة ، ومعنى هذا أن الانشقاق يحدث يوم القيامة ، وفي سورة الإنشقاق «إذا السماء انشقت» وسورة الإنفطار «إذا السماء انفطرت وإذا الكواكب انتثرت» وفي سورة القيامة «ونخسف القمر وجمع الشمس والقمر» والقرآن يفسر بعضه بعضاً .

٢- ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا﴾ القرآن معجزة المعجزات وحافل بالنبؤات والبيئات ، ومع ذلك أعرضوا عنه وقالوا سحر وكهانة مكابرة وعناداً .

٣- ﴿وَكَلْبُوا﴾ محمداً لا لشيء إلا الهوى والغرض

وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّاهَا مَا عَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّارِ الْأُولَىٰ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ الْأَرْفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ ﴿٦٠﴾ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦١﴾ وَأَنْتُمْ سَامِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ ﴿٦٣﴾ وَاعْبُدُوا ﴿٦٤﴾

(٥٤) سُورَةُ الْقَمَرِ فِي شَيْءٍ مُسْتَعِجٍ
وَأَيَّاهَا جَنَّاتٌ وَجَنَّةُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا ﴿٢﴾ وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَعِجٌ ﴿٣﴾ وَكَلْبُوا ﴿٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَهْوَاءَهُمْ

﴿ وكل أمر مستقر ﴾ ثابت في علمه تعالى ، ومنه إعراض من أعرض عن الحق ، وسوف يحاسب حساباً عسيراً .

٤- ﴿ ولقد جاءهم من الأنباء ﴾ كقصص الأمم الماضية والإنقاذ من الجبابرة الطغاة ﴿ وما فيه مزدجر ﴾ عن كل جريمة ورذيلة « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكره - ﴾ ﴿ حكمه بالغة ﴾ بلغت آيات القرآن المدى الأقصى في بيان الحجج والموعظ ﴿ فما تفتي النذر ﴾ إلا من سعى وراء معرفة الحق والهداية ، وفي نهج البلاغة : « من لم يعن على نفسه حتى يكون له منها واعظ وزاجر لم يكن له من غيرها لا زاجر ولا واعظ » .

٦- ﴿ فتول عنهم ﴾ يا محمد عن المعاندين وانتظر ﴿ يوم يدع الداعي إلى شيء نكر ﴾ المراد باليوم هنا يوم القيامة ، والنكر : الشديد القطيع .

٧- ﴿ خشعاً أبصارهم ﴾ أذلاء خاضعين ، يخرجون من القبور ﴿ كأنهم جراد منتشر ﴾ ملأ الأجواء والأرجاء .

٨- ﴿ مهطعين ﴾ مسرعين ﴿ يقول الكافرون هذا يوم عسر ﴾ شديد المخاطر والأهوال .

٩- ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح ... ﴾ كان شأن محمد (ص) مع قومه تماماً كشأن نوح كذبه قومه ونسبوه إلى الجنون وزجروه عن تبليغ رسالة ربه .

١٠- ﴿ فدعا ﴾ نوح وقال : ربى أنا ضعيف ، فانتصر أنت لديك من أعدائك ...

١١-١٢- ﴿ ففتحنا ... ﴾ تدفق الماء عليهم من

السماء وتفرج من الأرض ، فالتقى الماءان ، وتكون منه بحر عظيم ، هكذا قضى الله وقدر .

١٣- ﴿ وحملناه على ذات ألواح ودسر ﴾ ألواح : أخشاب ودسر : مسامر ، صنع نوح منهما السفينة .

١٤- ﴿ تجري ﴾ السفينة ﴿ بأعيننا ﴾ بحفظ الله ورعايته ﴿ جزاء لمن كان كفر ﴾ كان الطوفان للكافرين جزاء ، ولنوح انتصاراً .

١٥-١٦- ﴿ ولقد تركناها آية ﴾ أي ترك سبحانه أخبار السفينة عظة لمن يعتبر ، وعبرة لمن يتعظ ﴿ فهل من مدكر ﴾ هل يتذكر عاقل ، فليحاً إلى ربه ، ويتوب من ذنبه .

١٧- ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر ﴾ المهدف الأساس من الإرشاد هو الإقناع والعمل وإلقاء الحجة على من تمرد أو تردد ، ومحال أن يتحقق شيء من ذلك إن يك الإرشاد مطلسماً ، ولا بد أن يتوافر فيه أمران : الأول أن يكون واضحاً في بيانه ومعانيه ، الثاني أن يكون حكيماً في أسلوبه ورفيقاً في دعوته يتحرك لها الإحساس والوجدان ، ويستيقظ بها الفكر والعقل ، وهذا هو بالذات أسلوب القرآن الذي أشار إليه بقوله : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة - ١٢٥ النحل » .

وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُّزْدَجَرٌ ۚ حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ ۖ فَا تُغْنِ السُّنُورُ ۚ فَتَوَلَّوْا عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَّكِرٍ ۚ خُشِعَا ۖ أُصِرُّهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۚ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۚ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ۚ فَذَعَّاهُ بِأَيِّ مَغْلُوبٍ فَانْتَصَرَ ۚ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَرٍ ۚ وَجَمْرَنَا الْأَرْضَ خُيُونًا ۚ فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۚ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوْجِ وَدُسِّرَ ۚ فَاجْرَيْنَا بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ۚ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً ۚ فَهَلْ مِنْ مَّدَكِرٍ ۚ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ۚ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ

لِلَّذِكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٩﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَتْ
عَذَابِي وَنَذِيرٌ ﴿٢٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ
نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿٢١﴾ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ
مُنْقَعِرٍ ﴿٢٢﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ بَشَّرْنَا
الْقُرْآنَ لِلَّذِكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ
بِالنُّذُرِ ﴿٢٥﴾ فَقَالُوا أَبَشْرًا مِثْلًا حَدًّا نَنْبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَبِئْنَا
ضَلَلْنَا وَسُعُرٌ ﴿٢٦﴾ أَلَمَلْنَا إِلَهَ كُرْ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ
كَذَّابٌ أَشْرٌ ﴿٢٧﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشْرِ ﴿٢٨﴾
إِنَّا مَرْسَلُوا النَّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ فَأَرْتَفِبْهُمْ وَأَصْطَبِرْ ﴿٢٩﴾
وَنَبِّهِمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرْبٍ مُخْتَصِرٌ ﴿٣٠﴾
فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ﴿٣١﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي
وَنَذِيرٌ ﴿٣٢﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمٍ

١٨-١٩ ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ﴾ قوم هود بآيات الله ورسوله ،
فلاقت جزاء التكذيب ﴿ رِيحًا صَرْصَرًا ﴾ باردة عنيفة ،
وقد استمرت هذه الريح حتى أتت على آخرهم .

٢٠-٢١ ﴿ تَنْزِعُ النَّاسَ ﴾ تقتلعهم من أماكنهم
﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾ أعجاز النخل : أصولها ،
ومنقعر : منقطع أو منقلع .

٢٢ ﴿ وَلَقَدْ يَسْرِنَا الْقُرْآنَ ... ﴾ أنظر تفسير الآية
١٧ من هذه السورة .

٢٣ ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ﴾ قوم صالح .

٢٤ ﴿ فَقَالُوا أَبَشْرًا مِثْلًا حَدًّا نَنْبِعُهُ ﴾ كيف نتبع
واحدًا من عامة الناس لا من ساداتهم ؟

٢٥ ﴿ أَلَمَلْنَا إِلَهَ كُرْ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا ﴾ كيف هبط
الوحي على صالح ، وفينا من هو أكثر ملاماً وأعز نفراً ﴿ بَلْ
هُوَ كَذَّابٌ أَشْرٌ ﴾ بطر يتطفل ويتناول .

٢٦ ﴿ سَيَعْلَمُونَ غَدًا ﴾ أنهم هم المقترون والمتناولون .

٢٧ ﴿ إِنَّا مَرْسَلُوا النَّاقَةَ ﴾ ابتلاء وامتحاناً يتميز به
الغيبث من الطيب .

٢٨ ﴿ وَنَبِّهِمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ ﴾ لهم يوم ، وللناقة
يوم ﴿ كُلُّ شَرْبٍ مُخْتَصِرٌ ﴾ إذا حضرت الناقة للشرب غابوا
عن الماء ، وإذا غابت الناقة حضروا للشرب .

٢٩-٣٠ ﴿ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى ﴾ لَبَّى النداء
مسرعاً ﴿ فَعَقَرَ ﴾ غير مكثرت بعاقبة الجريمة وشناعتها .

٣١-٣٢ ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾ من السماء فعلت بهم فعل القنابل النووية أو أشد ، وجعلتهم

اللغة:

صرصر من الصر وهو البرد أي شديدة البرد، وقيل: من الصرير وهو الصياح أي شديدة الصياح. وتزع تقلع. واعجاز أسافل. ومنقعر منقلع. والسر الجنون يقال: سمر فلان فهو مسعور أي جُنْ فهو مجنون. وأشر بطر ومتعاطم. وشرب بكسر الشين وتخفيفها نصب.

الإعراب:

جاء ﴿كأنهم﴾ أعجاز حال من الناس. ﴿وبشراً﴾ مفعول لفعل مقدر أي أتبع بشراً. ومثلاً: صفة. ﴿وواحداً﴾ صفة ثانية لبشر. ﴿وفتنة﴾ مفعول من أجله لـ ﴿مرسلوا﴾. ﴿حاصباً﴾ صفة لمقدر أي هواء أو عذاباً حاصباً. ﴿ونعمة﴾ مفعول من أجله لنجيناهم. وكذلك ﴿الكاف﴾ بمعنى مثل صفة للمفعول مطلق محذوف أي جزء مثل ذلك الجزء نجزي. ﴿بكرة﴾ ظرف زمان والعامل فيه صبيهم.

الْمُحْتَظِرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٣٧﴾ كَذَبَتْ قَوْمٌ لَوْطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴿٣٩﴾ نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ رَوْدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِي ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ صَبَحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِي ﴿٤٣﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤٥﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ﴿٤٦﴾ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ ﴿٤٨﴾ سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُؤْلَوْنَ أَلْدُبْرُ ﴿٤٩﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ

﴿ كهشيم المحتظر ﴾ أي كالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الماشية ، ويدخره لها حتى يأتي الشتاء .

٣٣- ﴿ كذبت قوم لوط ﴾ تماماً كما كذبت قوم نوح وعاد وثمود ﴿ بالنذر ﴾ بالندر ﴿ جمع نذير .

٣٤-٣٥ ﴿ إنا أرسلنا عليهم حاصباً ﴾ رماهم سبحانه بالحصباء مضافة إلى الخسف .

٣٦- ﴿ ولقد أنذرهم بطشتنا ﴾ خوفهم لوط من عذاب الله فقهرها سائرين ، وشكوا وجادلوا مهتدين .

٣٧- ﴿ ولقد راودوه عن ضيفه ﴾ قالوا له : أعطنا أضيافك نفجر بهم ونفحش ! هذا هو الإنسان إذا تحرر من قيود الدين والإنسانية ، لا يلتذ بشيء إلا بالجرائم والردائل ﴿ فطمسنا أعينهم ﴾ أعمى الله أبصارهم عن الأضياف .

٣٨-٤٠ ﴿ ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر ﴾ أتاهم العذاب صباحاً ، واستمر حتى أفناهم عن آخرهم .

٤١-٤٢ ﴿ ولقد جاء آل فرعون النذر ﴾ أيضاً كذبوا ، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر ، أما السر لهذا التكذيب وتناعبه فهو أن الأنبياء يدعون الناس بطريق العقل ، والإنسان يقاد ببطنه لا بعقله إلا من يسعى وراء الحق ومعرفته ليعمل به لوجه الحق ، وقليل ما هم .

٤٣- ﴿ أكفاركم خير من أولئكم ﴾ الخطاب للذين كذبوا محمداً (ص) وأولئكم إشارة إلى قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من المالكين الذين سبقت إليهم الإشارة ، والمعنى ولعلهم من المالكين الذين سبقت إليهم الإشارة ، والمعنى هل أنزل

لستم خيراً ممن هلك ، فالذي انتقم منهم أيضاً ينتقم منكم ﴿ أم تدعون أنكم جمع لا يقهر ؟

٤٤- ﴿ أم يقولون نحن جميع منتصر ﴾ أم تدعون أنكم جمع لا يقهر ؟

٤٥- ﴿ سيهزم الجمع ﴾ لا محالة ، وهذه الآية من آيات الإنذار بالغيب ، لأنها نزلت يوم كان المسلمون ضعافاً وقلة ، والمشركون في كثرة وقوة ، وما مضت الأيام حتى ظهر الإسلام على الدين كله ، وهزم الشرك وأعوانه .

٤٦-٤٨ ﴿ بل الساعة موعدهم ﴾ هذا عذابهم في الدنيا ، أما عذاب الآخرة فلا يعادله شيء .

الإعراب :

أم لكم وأم ، منقطعة أي بل لكم . وفي الزبور متعلق بمحذوف صفة لبراءة أي براءة مكتوبة في الزبور .

٤٩- ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ ما من شيء في الكون وجد عبثاً وباطلاً ، بل بأصول وتقدير ، وحدود وتدبير تبعاً لعالمه وهويته ، قال الإمام علي (ع) في وصفه تعالى : «المقدر لجميع الأمور بلا روية» أي بلا جولة فكر .

٥٠- ﴿وما أمرنا إلا واحدة﴾ وهي كلمة «كن» أما قوله تعالى : ﴿كلمع بالبصر﴾ فالمراد به سرعة النكوبين .

٥١- ﴿ولقد أهلكنا أشياءكم﴾ سلفكم وأمتالكم لما كذبوا الرسل ، فانتظوا بهم قبل أن يتعظ بكم .

٥٢-٥٣- ﴿وكل شيء فعلوه﴾ صغيراً كان أو كبيراً فهو مكتوب ومسطور ﴿في الزبر﴾ صحيفة الأعمال .

٥٤- ﴿إن المتقين﴾ الذين لا يسيئون لمخلوق بقول أو فعل ، ولا يتكالبون على دنيا الحرام ليرتكبوها للأصهار والأرحام ﴿في جنات ونهر﴾ .

٥٥- ﴿في مقعد صدق﴾ لأنهم ما نطقوا في الدنيا إلا بالصدق ، وما فعلوا أو تركوا إلا بالحق .

سورة الرحمن
بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ ١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ٢ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ٣

١- الرحمن ﴿الذي وسعت رحمته كل شيء ، ومنها النعم الآتية التي أنعم بها على الإنسان .

٢- علم القرآن ﴿أنزله ويسره للذكر والتعليم .

٣-٤- ﴿خلق الإنسان علمه البيان﴾ بالكلام ، وهو من أعظم النعم وأتمها ، ان استعمل في الصدق لا في الكذب ، ولنصرة الحق وإبطال الباطل ، قال إمام المتقين والساجدين علي بن الحسين (ع) : لكل من الكلام والسكوت آفات ، فإذا سلما من الآفات فالكلام أفضل ، لأن الله بعث الأنبياء بالكلام لا بالسكوت ، ولا استمحت الجنة بالسكوت ، ولا استوجبت ولاية الله بالسكوت ، ولا توقيت النار بالسكوت ونعت الرسول الأعظم (ص) الساكت عن الحق ، بالشیطان الأخرس .

٥- ﴿الشمس والقمر بحسبان﴾ يجران بنظام .

٦- ﴿والنجم والشجر يسجدان﴾ يقادان لأمره تعالى .

الإعراب :

﴿ذوقوا﴾ أي يقال لهم : ذوقوا . ﴿وسفر علم جهنم﴾ وهو ممنوع من الصرف للتعريف والتأنيت . ﴿واحدة﴾ صفة لمقدر أي كلمة واحدة . ﴿وفي مقعد﴾ متعلق بمحذوف خبراً ثانياً لأن المتقين . قال صاحب مجمع البيان : ﴿الرحمن﴾ خبر لمبتدأ محذوف .

(٥٥) سورة الرحمن
وَأَيُّهَا ثَمَانٌ وَسِتُّعُونَ

٧- ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾ رفع الكواكب إلى أفلاكها الطبيعية بدقة أحكام يربط أجزاء الكون بعضها ببعض وإلا ذهبت الجاذبية ، واحتل نظام الكون ﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ إشارة إلى العدل حيث لا تستقيم الحياة الاجتماعية إلا به تماماً كما لا ينظم الكون إلا بالمعادلة الدقيقة المحكمة بين كواكبه وجباله وبحاره وكل ما فيه ، وكذلك أعضاء الإنسان والحيوان ٨-٩- ﴿أَلَا تَطْهَرُونَ﴾ لا تدعوا أنكم حماة العدل ، وأيديكم مخصوبة بدماء الأبرياء ، وخزائنكم متخمة بأفوات الضعفاء .

١٠- ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنْعَامِ﴾ فرائشاً ومعاشاً لكل من عليها إنساناً كان أو حيواناً .

١١- ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ﴾ وجوب ولحم وشراب وغير ذلك ﴿وَالنَّخْلَ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ هي أوعية الطلع تنشق وتخرج منها الثمار .

١٢- ﴿وَالْحَبَّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانَ﴾ الحب لقوت الإنسان ، والعصف ورق ونحوه لقوت الحيوان ، والريحان للشم والزينة .

١٣- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ بآء. نعمه تعالى ﴿تُكَذِّبَانِ﴾ والخطاب للإنس والجان .

١٤- ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ المراد بالإنسان هنا آدم أبو البشر ، والصلصال : الطين اليابس غير المطبوخ ، فإذا طبخ فهو فخار ، وتقدم في الآية ٢٦ من الحجر وغيرها ١٥- ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾ تقدم ونعيد:

نحن نؤمن بوجود الجن لأن الوحي أثبت ، والعقل لا ينفيه ، ولا شيء لدينا يقوله عن علم أكثر من ذلك .

١٦- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أخلق الإنسان من طين أم بخلق الجن من نار ؟

١٧- ﴿رَبِّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبِّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ في كل ٢٤ ساعة يوجد في الكوكب الأرضي ليلان ونهاران : أحدهما في شرق الأرض والآخر في غربها ، ولكن على التعاقب بمعنى الغرب الآن تشرق عليه الشمس والشرق في ظلام دامس ، وبعد ساعات تنعكس الآية ، حتى إذا مضت الـ ٢٤ ساعة عاد الشروق إلى الغرب ، والغروب إلى الشرق ، وهكذا دواليك وغير بعيد أن يكون المشرقان والمغربان في الآية إشارة إلى هذا المعنى .

١٨- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ بنعمة الشروق أم الغروب ؟

١٩- ﴿مَرْجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ أرسلهما ، والمراد بهما النهر العذب والبحر المالح ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ يلتقي طرفاهما .

٢٠-٢١- ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ البرزخ : الحاجز . ولا يبغيان : لا يطغى ويتغلب أحدهما على الآخر ، وتقدم في الآية ٥٣ من الفرقان ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ بنعمة البحار أم الأنهار .

٢٢-٢٣- ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ جاء في تفسير المراغي : «ثبت في الكشف الحديث أن اللؤلؤ يستخرج من البحر العذب كما يستخرج من البحر المالح ، وكذلك المرجان ، وإن كان الغالب استخراجهما من الماء المالح » .

عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ① الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ② حُسْبَانِ ③
وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ④ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ
الْمِيزَانَ ⑤ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ⑥ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ
بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ⑦ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا
لِلْأَنْعَامِ ⑧ فِيهَا فَكِكُهُمُ وَالنَّخْلَ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ⑨
وَالْحَبَّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ⑩ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ⑪ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ⑫
وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ ⑬ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ⑭ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ⑮
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ⑯ مَرْجَ الْبَحْرَيْنِ
يَلْتَقِيَانِ ⑰ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ⑱ فَبِأَيِّ آلَاءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ⑲ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ⑳

﴿ ٢٤-٢٥ ﴾ - وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام ﴿

الجواري : السفن ، والمنشآت : المصنوعات ، والأعلام : الجبال ، وتقدم في الآية ٣٢ من الشورى .

﴿ ٢٦-٢٨ ﴾ - كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ﴿

أي ذاته القلمية ، لأنه الأول بلا أول كان قبله ، والآخر بلا آخر يكون بعده .

﴿ ٢٩-٣٠ ﴾ - يسأله من في السموات والأرض ﴿

جميع الكائنات تفقر إلى الله في وجودها وبقائها وشئ أحوالها ، ولو تخطى عنها طريقة عين لم تكن شيئاً مذكوراً ﴿ كل يوم

هو في شأن ﴿ ضمير هو يعود إلى اليوم ، والمراد باليوم هنا كل شيء بفضي ، والمعنى ما من شيء فان في هذا الكون إلا

ويتغير في كل يوم بل في كل لحظة شئنا أم أبينا ، ويقال : ان هذه الحقيقة كانت طي الكتمان حتى اكتشفها العلم الحديث

ولكن القرآن أعلنها بصراحة قبل ١٤ قرناً ، وذكرها أهل بيت الوحي والنبوة في كلامهم أكثر من مرة ، فقد روى

الكليفي في الجزء الأول من أصول الكافي ص ١٤١ طبعة سنة ١٣٨٨ هـ - أن الإمام أمير المؤمنين (ع) خطب خطبة في

تعظيم الله ، ابتدأها بقوله : الحمد لله الذي لا يموت ، ولا تنقضي عجائبه لأن كل يوم في شأن من أحداث بديع - أي

جديد - لم يكن - وفي ص ٢٢٥ أن الإمام جعفر الصادق (ع) قال : العلم لا ينتهي لما يحدث بالليل والنهار يوماً وساعة

ساعة ﴿ ٣١-٣٢ ﴾ - سترغ لكم أيها الثقلان ﴿ أي ستمحاسنكم ، وهو تهديد لمن أذنب وتمرد ، وفي تفسير البحر

المحيط لأبي حيان الأندلسي : سمي الإنس والجان بالثقلين لثقلهما على وجه الأرض ، وفي الحديث إني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، سيما بذلك لعظمهما وشرفهما .

﴿ ٣٣-٣٤ ﴾ - يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تغفلوا عن أطوار السموات والأرض فانقلوا لا تغفلوا ﴿

إلا بسلطان ﴿ حين وصل الإنسان إلى القمر اتخذ منه الصهاينة وغيرهم من أعداء الإسلام وسيلة للظعن بالقرآن ، لأن هذه الآية تقول : لا يغفل الإنسان عن أطوار السموات والأرض ، وقد نفذ ! وهذا عين التدليس والتبليس ... فقد ثبت بالحس

والعيان أن آيات القرآن تزداد قوة ووضوحاً كلما تقدم الزمن والعلم ، ومنها هذه الآية ، ولعلها أوضح الآيات في الدلالة على هذه الحقيقة لأن المراد بأطوار السموات والأرض الكون بكامله لا خصوص القمر أو المريخ أو أي كوكب من الكواكب ،

وقد أثبت العلم الحديث أن الكون لا حده ولا نهاية ، كما في الآية ٤٧ من الذاريات ، وأن هناك كواكب وموجودات لا يستطيع الإنسان الوصول إليها حتى ولو سافر بسرعة الضوء ، بل ولا العلم بها حتى بالأجهزة العلمية المتقدمة لأن بين الأرض

وبين بعض النجوم ملايين السنين الضوئية ، ومعنى هذا أن الإنسان إذا وصل إلى ألف كوكب من الكواكب المعروفة فهو أعجز من أن يغفل إلى الكون بكامله ، هذا إلى أن المقصود الأول من الآية أن المجرم لا يستطيع الفرار من عذاب الله وعقابه إلا بالتوبة والإقلاع عن الذنب ، وعليه يكون المراد بالسلطان هنا التوبة أي الفرار من عذاب الله إلى رحمة الله .

﴿ ٣٥-٣٦ ﴾ - يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران ﴿ قالوا : الشواظ لب بلا دخان كالغاز والمراد بالنحاس هنا دخان بلا لب ، ومهما يكن فإن القصد الإشارة إلى أحوال الساعة وآلامها .

فَيَا أَيُّهَا الْآءَرِبُّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿٣٣﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ

فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٣٤﴾ فَيَا أَيُّهَا الْآءَرِبُّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿٣٥﴾

كُلٌّ مِّنْ عَلَيْهَا فَإِنَّ ﴿٣٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ

وَالْإِكْرَامِ ﴿٣٧﴾ فَيَا أَيُّهَا الْآءَرِبُّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾

بَسْمَلُهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي

شَأْنٍ ﴿٣٩﴾ فَيَا أَيُّهَا الْآءَرِبُّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ سَفَرُ

لَكَرَائِهِمُ الْثَقْلَانِ ﴿٤١﴾ فَيَا أَيُّهَا الْآءَرِبُّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾

يَسْمَعُ الْخَبْرَ وَالْإِنْسَ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ

أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْضُدُّوا لَا تُنْفِذُونَ إِلَّا

بِسُلْطَانٍ ﴿٤٣﴾ فَيَا أَيُّهَا الْآءَرِبُّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿٤٤﴾ يُرْسِلُ

عَلَيْكُمْ شَوَاطِئَ مِّنْ نَّارٍ وَنَحَاسٍ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ﴿٤٥﴾ فَيَا

أَيُّهَا الْآءَرِبُّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿٤٦﴾ فَإِذَا أَسْفَتِ السَّمَاءَ فَكَانَتْ

٣٧-٣٨- ﴿ فَإِذَا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان ﴾
تذوب كواكب السماء يوم القيامة كما يذوب الدهن على النار ، ويصبح لون هذا السائل كحمره الورد .

٣٩-٤٠- ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسأل عن ذنبه إنس ولا جان ﴾
وفي الآية ٢٤ من الصافات : « وقضوهم أنهم مسؤولون »
ووجه الجمع أن في يوم القيامة مواقف يُسأل الناس في بعضها عما كانوا يفعلون ، وفي بعضها لا سؤال ، بل انتظاراً للسؤال ، أو انتهاء منه .

٤١-٤٢- ﴿ يعرف المجرمون بسيماهم ﴾ بعلامات تدل عليهم ﴿ فيؤخذ ﴾ مبنى للمجهول ﴿ بالنواصي ﴾ مفعول نائب عن الفاعل وهم ملائكة العذاب ، والنواصي جمع ناصية وهي مقدم الرأس ﴿ والأفلام ﴾ أي ان ملائكة العذاب تجمع ناصية المجرم مع قدميه ، ويلقون به في جهنم .
٤٣- ﴿ هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون ﴾ يقال غداً لمن كذب بجهنم : تفضل هذا ما ادخرته ليوم تدخر له الذخائر .

٤٤-٤٥- ﴿ يطوفون بينها وبين حميم آن ﴾ لا عمل للمجرمين غداً إلى التطواف بين عذاب الجحيم وشراب الحميم يقطع الأمعاء .

٤٦-٤٧- ﴿ ولن خاف مقام ربه جنتان ﴾ لمن أطاع الله سرأً وعلاية خوفاً من عقابه ورجاءً لثوابه - حديقتان من حدائق الجنة : واحدة لخوفه والثانية لرجائه ..

٤٨-٥١- ﴿ ذواتا أفنان ﴾ أغصان نضرة مثمرة في

وردة كالدهان ﴿ فَيَأْتِيءُ الْآءَ رَبِّكَ تُكْذِبَانِ ﴾
فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسأل عن ذنبه إنس ولا جان ﴿ فَيَأْتِيءُ الْآءَ رَبِّكَ تُكْذِبَانِ ﴾ يعرف المجرمون بسيماهم
فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَفْئَامِ ﴿ بَأْتِيءُ الْآءَ رَبِّكَ تُكْذِبَانِ ﴾ هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون
يطوفون بينها وبين حميم آن ﴿ فَيَأْتِيءُ الْآءَ رَبِّكَ تُكْذِبَانِ ﴾ ولئن خاف مقام ربه جنتان ﴿ فَيَأْتِيءُ الْآءَ رَبِّكَ تُكْذِبَانِ ﴾ ذواتا أفنان ﴿ فَيَأْتِيءُ الْآءَ رَبِّكَ تُكْذِبَانِ ﴾ فيهما عيتان تجريان ﴿ فَيَأْتِيءُ الْآءَ رَبِّكَ تُكْذِبَانِ ﴾ فيهما من كل فكهة زوجان ﴿ فَيَأْتِيءُ الْآءَ رَبِّكَ تُكْذِبَانِ ﴾ متكئين على فرش بطائنها من إستبرق وجنى الجنتين دان ﴿ فَيَأْتِيءُ الْآءَ رَبِّكَ تُكْذِبَانِ ﴾

كل آن .

٥٢-٥٣- ﴿ فيهما من كل فاكهة زوجان ﴾ صنفان أحدهما معروف في الدنيا والآخر غريب عنها - مثلاً تفاح دنيوي ، وتفاح أخروي .

٥٤-٥٥- ﴿ متكئين على فرش بطائنها من إستبرق ﴾ الحرير الغليظ ﴿ وجنى الجنتين دان ﴾ الجنى : الثمر ، ودان : قريب .

اللغة :

المراد هنا يستفرغ لكم مجرد التهديد لأن الله سبحانه لا يشغله شأن ولا يصفه لسان ومعناه منحاسبكم . والتقلان الانس والجان . ومن معاني الشواظ لهب بلا دخان . ومن معاني النحاس دخان بلا لهب . ووردة أي لونها كحمره الورد . والدهان ما يدهن به . والسيميا العلامة . والنواصي جمع ناصية وهي مقدم الرأس . والحميم الماء الحار . والأن الحاضر .

٥٦-٥٧- ﴿فِيهِن قَاصِرَاتُ الطُّرَفِ﴾ ضمير فيهن يعود إلى آلاء ربك من الجنتين والعينين ... ومعنى قاصرات الطرف لا ينظرن إلا إلى الأزواج ﴿لم يطمئنن إنس قبلهم ولا جان﴾ لا يعرفن إلا أزواجهن .

٥٨-٥٩- ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ بهاء وصفاء .
٦٠-٦١- ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ نقل صاحب مجمع البيان عند تفسير هذه الآية عن الإمام جعفر الصادق (ع) ، أنه قال : جرت هذه الآية في الكافر والمؤمن والبر والفاجر .

٦٢-٦٣- ﴿وَمِنْ دُونَهُمَا جَنَّاتٌ﴾ المطيعون درجات متفاضلات ، وأيضاً الجنان منازل متفاوتات ، لكل درجات مما عملوا ، فلأولين تقي الجنتان المتقدم وصفتهما ، ولن دون الأولين في التقوى أيضاً جنتان ، ولكن دون تينك الجنتين بحكم البديهة والعدالة الإلهية .

٦٤-٦٥- ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ يميل لونهما إلى السواد من شدة الخضرة .

٦٦-٦٧- ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَانِ﴾ ماؤهما لا يقطع ، ولكنه لا يجري كما يجري من العينين السابقتين .

٦٨-٦٩- ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرَمَانٌ﴾ عطف النخل والرمان على الفاكهة من باب عطف الخاص على العام .

٧٠-٧١- ﴿فِيهِنْ خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ﴾ زوجات صالحات الأخلاق حسان الوجوه .

٧٢-٧٣- ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ محجوبات في البيوت لا يخرجن منها .

٧٤-٧٥- ﴿لَمْ يَظْمَنْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ﴾ لا يعرفن غير الأزواج .

المعنى :

بعد أن هدد سبحانه وتوعد من طغى وبغى آمن ووعد من إتقى وصدق بالحق ، وعده بجنة تفوق الوصف بطعامها وشرابها وحورها وولدها وأشجارها وأنهارها وأثاثها وحليها . إلى ما نعرف له مثيلاً وما لا نعرف . وأكثر هذه الآيات واضحة المعنى لا تحتاج إلى تفسير ، بالإضافة إلى أنها تكرر لما سبق ، لذا نختصر في التفسير إلا إذا مست الحاجة .

﴿ولن خاف مقام ربه جنتان﴾ المراد بمقام الله أنه قائم على كل نفس يعلم سرها وجهرها . وعن الإمام جعفر الصادق (ع) : أن من علم أن الله يراه ويسمع ما يقول فيحجزه ذلك عن القبيح فقد خاف مقام ربه . وللمفسرين أقوال في معنى الجنتين ، أقربها إلى الإيفهام أنها حديقتان في الجنة لأن الجنة في اللغة الحديقة ، ويؤيد ذلك قوله تعالى في وصف الجنتين : ﴿فَوَاتَا أَفْئَانُ﴾ أي أغصان عند وتورق وتنشر ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ؟ هل تكذبان يا معشر الجن والانس بهذه النعمة التي ذكرتها؟ وكل سؤال يأتي بهذه الصيغة فالمسؤول عنه هو نفس النعمة التي ذكرها سبحانه قبل السؤال - إذن - لا داعي لذكره وبيان المسؤول عنه .

٧٦- ﴿مَتَكِينٍ عَلَى رُفُوفٍ خَضِرٍ وَعِيقَرِي حَسَنِ﴾
الرفوف : الوسادة أو المخدة أو المسند ، والعبقري : ضرب
من البسط .

سُورَةُ الرَّحْمَنِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١-٢- ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ لَيْسَ لَوْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾
الواقعة : اسم من أسماء القيامة ، والناس فيها الآن بين مصدق
وقائل : هي فكرة كاذبة ، فإذا قامت آمن بها المكذبون من
قبل ، وقالوا : هي صادقة .

٣- ﴿خَافِضَةٌ﴾ من كَذَبَ بها إلى أسفل سافلين
﴿رَافِعَةٌ﴾ من آمن بها ، وعمل لها إلى أعلى عليين .

٤- ﴿إِذَا رَجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا﴾ تزلزلت واضطربت
في ذلك اليوم طولاً وعرضاً .

٥- ﴿وَبَسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ تفتت .

٦- ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾ غباراً متطائراً .

٧- ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ ينقسم الناس يوم القيامة
إلى ثلاثة أصناف :

(١) ٨- ﴿فَأَصْحَابُ الْمِمْنَةِ﴾ أصحاب المينة ما
وهم الذين يأخذون كتب أعمالهم بأيمانهم ، ويدخلون الجنة ،
ولكنهم دون الصنف الثالث منزلة .

(٢) ٩- ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ أصحاب المشأمة ما
وهم الذين يأخذون كتب أعمالهم بشمائلهم ، ويدخلون
النار وقال سبحانه : ما أصحاب المشأمة تعجباً من أمرهم ، وقال : ما أصحاب المينة تعظيماً لشأنهم .

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَكِينٍ عَلَى رُفُوفٍ خَضِرٍ
وَعِيقَرِي حَسَنِ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾
تَبَّرَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

(٥٦) سُورَةُ الرَّحْمَنِ مَكِّيَّةٌ
وَأَنبَأَهَا سِتُّ وَتِسْعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لَوْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ
رَافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رَجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبَسَّتِ الْجِبَالُ
بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا
ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمِمْنَةِ مَأْمَحِبُّ الْمِمْنَةِ ﴿٨﴾
وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَأْمَحِبُّ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّيْقُونُ

الإعراب :

﴿خافضة رافعة﴾ خبر مبتدأ محذوف أي هي خافضة ، والجملة جواب ﴿إذا وقعت﴾ خلافاً للكثير من المفسرين لأن المعنى يستقيم على
هذا الإعراب ، وليس لوقعها كاذبة اعتراف بين الشرط وجوابه . و﴿إذا رجت﴾ بدل من إذا وقعت . فأصحاب المينة مبتدأ أول
وهو ما استغفاهم مبتدأ ثانٍ وأصحاب المينة خبر «ما» والجملة خبر المبتدأ الأول ، ومثله وأصحاب المشأمة ، والرباط إعادة المبتدأ بلفظة .

(٣) ١٠-١٢ ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ في جَنَّتِ بهم الأنبياء وأوصياؤهم ، وفي تفسير ابن كثير برواية عن النبي (ص) أنه قال : من السابقين : يوشع بن نون سبق إلى موسى ، ومؤمن آل يس سبق إلى عيسى ، وعلي بن أبي طالب سبق إلى محمد رسول الله (ص) . وكرر سبحانه كلمة السابقين للتبيين على علو مكائهم .

١٣-١٤ ﴿لَهُ مِنَ الْأُولَىٰ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ ثلثة : جماعة من الناس ، والمعنى أن الأعظم قدراً عند الله فريقان : فريق سابق زماناً ، وفريق لاحق ، وهذا الفريق اللاحق أقل عدداً من الفريق السابق ، واختلف المفسرون : هل الفريقان من أمة محمد (ص) أو الفريق اللاحق منهم ، أما الثاني فمن الأمم الماضية ؟ ونحن نسكت عما سكت الله عنه .
١٥ ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ منسوجة مما لا مثيل له في الدنيا ولا نظير .

١٦ ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا﴾ يقابل بعضهم بعضاً .

١٧ ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مَّخْلُودُونَ﴾ يقوم بخدمتهم صغار لا يموتون ولا يهرمون .

١٨ ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾ من عين ظاهرة للعين تفيض بالخير بدليل قوله :

١٩ ﴿لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يَزْفُونَ﴾ لا تصدع الرؤوس ، ولا تذهب بالعقول كخمر الدنيا .

٢٠-٢٣ ﴿وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ وَحُورٌ عِينٌ﴾ من الفاكهة ألوان ، ومن لحوم الطير ما تهوى الأنفوس ، ومن الحسان كاللؤلؤ جمالاً وصفاء .

٢٤ ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ لخدمة الإنسان لا لأنفسهم وذويهم .

٢٥ ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ عبثاً خالياً من المعنى ﴿وَلَا تَأْلِيمًا﴾ يأنم به قائله كالكذب والغيبة .

٢٦ ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ سلامان : الأول سلام بعضهم على بعض ، والثاني سلام ملائكة الرحمة عليهم .

٢٧ ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ لذكر سبحانه ثواب الأعظم قدراً ، أشار إلى من هم أقل أجراً وأنهم .

٢٨ ﴿فِي سِلَاسٍ مَخْضُودٍ﴾ لا شوك فيه .

٢٩ ﴿وَطَلْحٍ مَنضُودٍ﴾ قطوف الموز المتسقة بالثمار من أعلاها إلى أسفلها .

٣٠ ﴿وَهَلْ مَعْلُودٍ﴾ لا يزول ولا ينقطع .

٣١ ﴿وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ﴾ على الدوام ، فلا أزمة مياه وعطل في آلتها .

٣٢-٣٣ ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَا مَقْطُوعَةٍ﴾ دائمة في كل الفصول والأيام ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ مباحة للجميع .

السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَلِّبِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخْلَدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يَزْفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَكَهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَهَلْ مَعْلُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ

مَرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنْسَاءً ﴿٣٥﴾ جَعَلْنَهُنَّ
أُنْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثَلَاثَةٌ
مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثَلَاثَةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَابُ
النِّسَالِ مَا أَصْحَابُ النَّسَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾
وظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا
كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ
أَعَظِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَهَذَا مِثْنَا وَكَانَ تَرَابًا وَعِظْلًا
أَوَّاهًا مَّبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوْءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّا
الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتٍ يَوْمٍ
مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكَ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمَكِيدُونَ ﴿٥١﴾
لَّا تَكُونُونَ مِن نَّحْمِرٍ مِّنْ زَعْمَرٍ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لَوْ مِنَّا
الْبَطُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَشْرَبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَتَشْرَبُونَ

٣٤- ﴿ وفرش مرفوعة ﴾ عالية عن الأرض ومريحة .

٣٥- ٣٦- ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنْسَاءً ﴾ خلق سبحانه أزواجاً
لأصحاب اليمين خلقاً جديداً تبعاً لما يرغبون ويشتهون .

٣٧- ﴿ عُرُباً ﴾ جمع عرب لا عربية ، وهي العاشقة
لزوجها ﴿ أَتْرَاباً ﴾ نساء الجنة بالكامل متساويات في العمر ،
لا تزيد واحدة عن غيرها يوماً أو بعض يوم ، وهذه النعمة عند
الكثيرات منهن أفضل من نعمة الإيمان والجنة ! ومن هنا ساءهن
في العمر ، تقلست حكمته .

٣٨- ٤٠- ﴿ لأصحاب اليمين ثلثة من الأولين وثلثة
من الآخرين ﴾ لأصحاب متعلق بأنشأنا وجعلنا ، والمعنى
أن الأزواج الأكار والأكر والعرب الأتراب خلقن لجماعة أصحاب
اليمين من الأولين والآخرين .

٤١- ﴿ وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال ﴾ انتقل
سبحانه من ثواب الأعظم قدراً وهم السابقون المقربون ، إلى
الأدنى منزلة وهم أصحاب اليمين ، ومنهم إلى عقاب المجرمين
المعنيين بأصحاب الشمال وأنهم .

٤٢- ﴿ في سموم ﴾ على حذف مضاف أي في ريح
السموم تدخل في صميم القلب ولب العظم ﴿ وحميم ﴾
شراب تناهى في الحرارة .

٤٣- ﴿ وظل من يحموم ﴾ هو دخان كثيف وشديد
في سواده .

٤٤- ﴿ لا بارد ﴾ كالظل ﴿ ولا كريم ﴾ يؤمن شره .

٤٥- ﴿ إنهم كانوا قبل ذلك مترفين ﴾ هذا بيان للسبب الموجب للعذاب ، وهو انغماس المترفين في اللذات
على أنها الغاية من الحياة ، وما عداها من دين وخلق وإنسانية فكلهم فارغ وحماقات .

٤٦- ﴿ وكانوا يصرون على الحنث العظيم ﴾ يشير سبحانه بهذا إلى ما حكاه عنهم في الآية ٣٨ من النحل :
« وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت » ثم حكى عنهم مثله سبحانه بقوله :

٤٧- ٥٠- ﴿ وكانوا يقولون أهدأ منا ... ﴾ تقدم مراراً ، منها في الآية ٥ من الرعد .

٥١- ٥٤- ﴿ ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم ﴾ شجرة خبيثة ، وتقدمت في الآية ٦٢
من الصافات وغيرها ، ويشربون على طعام الزقوم من الحميم الذي اشتد غلبته .

الإعراب :

﴿ أصحاب اليمين ﴾ مبتدأ أول ﴿ وما أصحاب اليمين ﴾ وما ، استفهام مبتدأ ثانٍ وأصحاب اليمين خبر والجملة خبر المبتدأ الأول .

﴿ في سدر مخضود ﴾ خبر لمبتدأ مقدر أي هم كائنون في سدر مخضود وما بعده عطف عليه . ﴿ وعرباً ﴾ صفة للابكار . ﴿ ولأصحاب
اليمين ﴾ متعلق بأنشأناهم . ﴿ وثلثة ﴾ خبر لمبتدأ محذوف أي هم ثلثة .

٧٣-٧٤- نحن جعلناها تذكرة ﴿ موعظة تذكر بالبعث ، لأن من أخرج النار من الشجر الأخضر يحيي الخلق بعد موته ٧٥- ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم ﴾ قال أكثر المفسرين : أن « لا » زائدة إعراباً مثل « لئلا يعلم أهل الكتاب » أي ليعلم وعليه يكون المعنى أقسم بمنازل النجوم .

٧٦- ﴿ وإنه لقسم لو تعلمون عظيم ﴾ أي لستم من أهل العلم بالنجوم وعلمها كي تذكروا أن الله سبحانه ما أقسم بها إلا لعلمه بعظمها ، وهنا يكمن السر لاعجاز القرآن حيث يستحيل على محمد (ص) أن يدرك بوعيه وثقافته ما في عالم النجوم من عجائب وغرائب ، ولما تقدم العلم اكتشف أن في الكون مجرات لا تعد ولا تحصى ، وإن كل مجرة تمتد في الفضاء إلى ما شاء الله ، وعلى سبيل المثال قرأت في العدد الثالث من المجلد الأول لمجلة عالم الفكر الكويتية مقالاً بعنوان غزو الفضاء للدكتور فؤاد صروف ، جاء فيه : « لو امتطينا صاروخاً سرعته كسرعة الضوء أي ثلاث مئة ألف كيلومتر في الثانية لأسغرق السفر من طرف مجرة واحدة إلى طرفها الآخر مئة ألف سنة » هذه مجرة واحدة من ملايين وربما من بلايين البلايين ، وهنا ندرك السر في قوله تعالى : أن القسم بالنجوم عظيم لو تعلمون ما هو عالم النجوم . وبعد فهل القرآن من محمد أو من خالق الكون ونجومه ؟ .

٧٧-٨٠- ﴿ إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يحسه إلا المطهرون تنزيل من رب العالمين ﴾ هو كريم وعظيم بعقيدته التي تحتم التسليم لله والحق وحده ، وبشريعته التي تقبس الإنسان بعمله ، ولا ترى له من فضل على غيره إلا أن يترك لأخيه الإنسان شيئاً جديداً ومفيداً ، وهو أيضاً في كتاب مكنون أي في حصن حصين من التحريف ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو طاهر في نفسه مطهر من الرذائل والجرائم لمن آمن به وعمل ولذا لا يسوغ بحال أن يحسه أحد من بني الإنسان إلا الذين تطهروا من الأحداث المعروفة . ثم أخبر سبحانه أن القرآن من الله لا من سواه ، ووجه هذا السؤال للمكذبين : ٨١- ﴿ أفبهذا الحديث أنتم مدهنون ﴾ المراد بالحديث هنا القرآن ، والمعنى كيف تنهاونون بالقرآن أو ترتابون فيه ، وهو حجة لازمة وكافية على كل عالم وعاقل لما فيه من دلائل واضحة ترشده إلى الغاية الأولى من وجوده وحياته ؟ ٨٢- ﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾ المراد من الرزق هنا الحظ أي أتجعلون حظكم من القرآن التكذيب به ؟ ٨٣-٨٤- ﴿ فلولاً إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ﴾ إذا خرجت الروح من جسد أحدكم - أيها المشككون في البعث - أو كادت فهل يستطيع أن يردّها إليه أو يقبضه ؟ ٨٥- ﴿ ونحن أقرب إليه منكم ﴾ هذا تعبير عن قدرة الله سبحانه على البعث ، لانه هو الذي يضع الروح في الجسم ويخرجها منه . ومن قدر على ذلك يقدر على إعادتها إلى الجسم مرة ثانية ٨٦-٨٧- ﴿ فلولاً إن كنتم غير مدبرين ترجعونها ﴾ إذا كنتم غير مدبرين فيما تدعون ، والهدف الأول من ذلك إظهار عن أنفسكم أو أرجعوا أرواحكم إلى أجسادكم بعد الموت إن كنتم صادقين فيما تدعون ، والهدف الأول من ذلك إظهار عجزهم ، وانهم في قبضة الله تعالى حياة وموتاً وبعثاً ، وعليهم أن يستسلموا لأمره ، ويؤمنوا بقوله ٨٨- ﴿ فاما إن كان ﴾ المتوفى ﴾ من القومين ﴾ ختم سبحانه هذه السورة بما ابتدأها من آيات ، وكررها بأسلوب

نحن جعلناها تذكرة ومتنعاً للمقوين ﴿ فسبح باسم ربك العظيم ﴾ * فلا أقسم بمواقع النجوم ﴿ وإنه لقسم لو تعلمون عظيم ﴿ إنه لقرآن كريم ﴿ في كتاب مكنون ﴿ لا يحسه إلا المطهرون ﴿ تنزيل من رب العالمين ﴿ أفبهذا الحديث أنتم مدهنون ﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴿ فلولاً إذا بلغت الحلقوم ﴿ وأنتم حينئذ تنظرون ﴿ ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون ﴿ فلولاً إن كنتم غير مدبرين ﴿ ترجعونها إن كنتم صادقين ﴿ فاما إن كان من المومنين ﴿ فروحاً وريحاناً وجنة نعيم ﴿ وأما إن كان من أصحاب اليمين ﴿ فسلم لك من أصحاب اليمين ﴿ وأما إن

كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٥٧﴾ فَتَزَلَّ مِنْ حِمِيمٍ ﴿٥٨﴾
وَتَصْلِيَةً جَحِيمٍ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَذَا لَهَوَّحٌ أَلْقَيْنِ ﴿٦٠﴾
فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٦١﴾

(٥٧) سُورَةُ الْحَزِّقِ مَكْنِيَّةٌ
وَأَيُّهَا السَّبْحُ وَعَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي
وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ
وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى

آخر لفظاً وتقديماً وتأخيراً ، وخلاصتها أن الذي يلقي ربه
غداً إن كان من المقرين وهم الصف الثالث في الآيات الأولى .

٨٩- ﴿ فُوح ﴾ راحة ورحمة ﴿ وريحان ﴾ طيب
ينعش الأرواح .

٩٠- ﴿ وأما ان كان من أصحاب اليمين ﴾ وهم
الصف الأول في الآيات السابقة .

٩١- ﴿ فسلام لك ﴾ تقول له ملائكة الرحمة : سلام
لك ولا بأس عليك ، لأنك من أصحاب اليمين .

٩٢-٩٤- ﴿ وأما إن كان من المكذبين ﴾ بالبعث
الضالين عن الحق والهداية ، فقول له زبانية جهنم : تفضل
إلى طعام الزقوم وشراب الحميم .

٩٥- ﴿ إن هذا لهو حق اليقين ﴾ الذي كنت تراه
بالأمس خرافة وسخافة ! فهل هو خرافة أم الخرافة في عقلك
وشعورك ؟! —

سُورَةُ الْحَزِّقِ مَكْنِيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿ سَبَّحَ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ كل كائن
علوي أو سفلي هو آية تقول بلسان الحال أو المقال : لا إله
إلا الله ، وكلمة التوحيد تهليل وتسييح وتحميد .

٢- ﴿ لَهُ مُلْكٌ ... ﴾ بقدرته تعالى على كل شيء ملك
الأرض والسماوات ، وأحصى وأمات .

٣- ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ ﴾ بلا ابتداء كان قبله ، ومنه ابتداء كل شيء ﴿ وَالْآخِرُ ﴾ بلا انتهاء يكون بعده ، وإليه ينتهي
كل شيء ﴿ وَالظَّاهِرُ ﴾ بالأفعال والآثار التي توقظ العقول وتشدها إلى الإيمان بعظمته ﴿ وَالْبَاطِنُ ﴾ لا تحيط العقول
والأوهام بكنهه وحقيقته .

٤- ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ أي أطوار أو دفعات ، وتقدم في ٦ آيات ، منها الآية ٥٤
من الأعراف ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ المراد بالاستواء الإستيلاء ، وبالعرش الملك ، وتقدم في ست آيات منها الآية

الإعراب :

﴿ فتزل ﴾ مبتدأ والخبر محذوف أي فله تزل . و﴿ حق اليقين ﴾ من باب إضافة الشيء إلى نفسه أو الصفة إلى الموصوف مثل مسجد
الجامع .

﴿ سَبَّحَ اللَّهُ ﴾ ، و﴿ اللام زائدة إعراباً مثل شكرت له ونصحت له أي شكرته ونصحت به . ويجوز أن تكون اللام أصلاً على معنى سبَّح
تسبيحاً خالصاً لوجه الله . وقد استعملت « ما » هنا في جميع الكائنات العاقلة وغير العاقلة .

الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ لَّهُ مَلَكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۝ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِمُنْعَمْتُمْ بِهِ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ۝ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي

٥٤ من الأعراف ﴿ يعلم ما يلبج في الأرض ﴾ ما في أعماقها من ثروات وطاقات يصنع منها قوى الشر قنابلهم النووية لإبادة البشرية ﴿ و ﴿ أيضاً يعلم سبحانه ﴾ ما يخرج منها ﴾ كالنفط وغيره من المعادن ، وأيضاً يعلم أين يذهب وفي أي شيء يصرف ، ولا مفر من الحساب والعقاب غداً أو بعد غد ﴿ وما ينزل من السماء ﴾ من خبرات ﴿ وما يعرج فيها ﴾ كالطائرات التي تحمل القنابل لتلقيها على الأمتين ، والأقمار الصناعية التي تدرس ثروات الأرض لاغتصابها واحتكارها ، وأخرى تستعمل في أغراض التجسس على عباد الله وعياله ، وفي مجلة الحوادث البيروتية تاريخ ١٠-٢-١٩٧٨ : يدور الآن فوق رؤوسنا ٥ آلاف قمر صناعي على الدوام ﴿ وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير ﴾ ان حقوق الإنسان لن تذهب هدراً ، والمعتدون عليها لن يفلتوا من الحساب والعقاب ، وإن تسلحوا بالنار والحديد وملكوا المصانع والمفاعل النووية ، فإن سلاح الحق أقوى وأمضى من كل سلاح .

٥- ﴿ له ملك السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور ﴾ هذا تهديد ووعيد لكل طاغ وباغ بأن أعماله محفوظة عند الله ، وأنه مرتين بها ومحاسب عليها .

٦- ﴿ يولج الليل ... ﴾ تتحرك الأفلاك ، وتتعدد الفصول ، فيطول النهار ويقصر الليل في فصل ، وتنكس الآية في فصل ، ويتساويان في بعض الأيام ، وتقدم في العديد من الآيات ، منها في الآية ٢٧ من آل عمران .

٧- ﴿ آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين

فيه ﴾ إذا ملك الإنسان شيئاً آخر تقطع الصلة بينه وبين مكان يملك ، ويصبح أجنبياً عنه ، سواء أكان التملك بعرض أم بالمجان ، أما الخالق الرازق إذا منح ووهب فيبقى الشيء الموهوب والمنوح في قبضته تعالى أكثر مما هو في قبضة الموهوب له ، لأن العبد وما ملكت يده في قبضة مولاه ، ولا يسوغ له التصرف إلا في الجهة المأذون بها ، وهذا هو المراد بمستخلفين ، وفي الآية ٣٣ من النور « أتوهم من مال الله » وعليه تكون صلة الأغنياء بأموالهم صلة الوكيل الأمين لا صلة المالك المستبد ﴿ فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير ﴾ على الطاعة والوفاء بالعهد والأمانة في الإنفاق من مال الله على عيال الله .

٨- ﴿ وما لكم لا تؤمنون ... ﴾ هذا السؤال موجه لكل من كفر بالله والرسول واليوم الآخر ، ومؤذاه أن الرسول قد دعاكم إلى الإيمان بالحق ، وأقام عليكم الحجج والبراهين ، والله سبحانه قد أودع فيكم عقلاً لو أحسستم استعماله لأدبى بكم إلى الإيمان ، وهذا هو المراد بالبيان هنا ﴿ إن كنتم مؤمنين ﴾ أي إن أردتم الإيمان بالحق ، وسعيتم له سعيه .

٩- ﴿ هو الذي ينزل على عبده آيات بيّنات ﴾ حججاً واضحات ليخرج الناس من ظلمة الجهل إلى نور العلم ، هذي هي رسالة محمد ، وهذا هو الإسلام : القضاء على الجهل والتقليد ، والعمل بالعلم والعقل . فهل بعد هذا يقال : ما الدليل على أن الإسلام حق ؟ إن الإسلام هو الحق والعدل والصدق يستدل به ولا يستدل عليه لأنه يحمل في طبيعته وأصل تكوينه الدليل الكافي على صدقه .

١٠- ﴿ وما لكم أَلَّا تنفقوا في سبيل الله والله ميراث السموات والأرض ﴾ لا شيء للإنسان من ماله إلا ما أكل فأفنى ، أو ليس فأبى ، أو تصدق فأمضى كما في الحديث ، وما عدا ذلك ففلوات والحوادث ، فإذا فني الناس ، كل الناس ،

فالله سبحانه هو الوارث الوحيد ، وإذن علام الإمساك عن الاتفاق في سبيل الله ؟ ﴿ لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ﴾ المراد بالفتح هنا فتح مكة ، والطرف الآخر لعدم المساواة محذوف للدلالة الكلام عليه . والمعنى فرق بعيد من حيث المكانة عند الله بين من جاهد بنفسه وماله في سبيل الله قبل فتح مكة حيث كان الإسلام ضعيفاً ، وبين من جاهد بعد هذا الفتح حيث أصبح الإسلام ذا عزة ومناعة . وبكلمة فرق بعيد بين اخوان الضيق واخوان الرخاء . ﴿ وكلا وعد الله الحسنى ﴾ لكل من الباذل السابق واللاحق أجر ، ولكن تبعاً لما ترك بذله من آثار ، فقد تكون الصدقة بدرهم واحد أعظم أجراً عند الله من الصدقة بألف إذا صادف الدرهم معدة جائعة . وأعطى الألف لمن يتركه ميراثاً للأبناء والأصهار « ومن أحيأها فكأنما أحيأ الناس جميعاً » ٣٢ المائدة .

١١- ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً ﴾ ونسأل المال مال الله ، والفقراء عيال الله ، والأغنياء وكلاء الله على عياله ، وعليه فلا وجه للقرض ؟ الجواب : الغرض من التعبير بالقرض أن يخرج المنفق زكاة أمواله خالصة لوجه الله ، وعن طيب نفس من غير من ولا أدى .

١٢- ﴿ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ﴾ يتولد غداً من البذل والجهاد لوجه الله والحق نور يشع بين يدي الباذل المجاهد وعن يمينه وشماله تماماً كما تتولد الكهرياء من آلتها ومفاعيلها ﴿ بشراكم اليوم ... ﴾ يخرج غداً المخلصون من قبورهم ، ونور الإخلاص يكشف لهم طريق الإيمان ، وقبل أن يصلوا إلى الغاية يأتيهم النداء : اسشروا بالجنة .

١٣- ﴿ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم ﴾ انظرونا نقتبس من نوركم ، ولذا يسرع المؤمنون في خطاهم إلى الجنة ، ويمشي المنافقون كالأعمى . ويقول المنافقون للمؤمنين : تمهلوا لسير على نوركم . فتقول لهم الملائكة : ﴿ قبل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً ﴾ ارجعوا إلى الشيطان اقتبسوا من نوره ، فقد كان رائدكم في الدنيا وقائدكم ﴿ فضرِب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ﴾ السور : الحاجز . والرحمة هنا الجنة ، وقبله : جهته ، والعذاب : جهنم ، وغداً يفصل بين المؤمنين الأخيار والمنافقين الأشرار بسور ، له جهتان : جهة باطنة وفيها الجنة يدخلها المؤمنون من باب السور ، وجهة ظاهرة تليها النار وفيها أهل الشر والفاق .

١٤- ﴿ ينادونهم ألم نكن معكم ﴾ المنافقون في الدنيا ينادون المؤمنين قائلين : نحن وأنتم كنا نقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فلماذا أنتم في الجنة ونحن في النار ؟ ﴿ قالوا ﴾ أي المؤمنون للمنافقين : ﴿ بلى ﴾ ولكن اتخذتم الإعراب :

﴿ ما لكم ﴾ مبتدأ وخبر لأن معناه أي شيء حدث لكم ؟ والمصدر من ﴿ أن لا تنفقوا ﴾ مجرور بحرف جر مقدر أي في عدم الاتفاق ، ويتعلق بما يتعلق به لكم . ﴿ ومن أنفق ﴾ من ، فاعل لا يستوي . وفي الكلام حذف ، أي ومن أنفق بعد الفتح . ﴿ وكلا ﴾ مفعول أول لوعد ، ﴿ والحسنى ﴾ مفعول ثانٍ . ﴿ ومن ﴾ مبتدأ وخبر ﴿ والذي ﴾ بدل من ذا .

مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلَوْا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ وَهٖ وَاجِرٌ كَرِيمٌ ﴿١٢﴾ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرُكُمُ الْيَوْمَ جَنَّتْ نَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٤﴾ ينادونهم أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ

الدين سلماً للدنيا واتخذنا الدنيا سلماً للدين ﴿١٥﴾ وغرکم بالله الغرور ﴿١٦﴾ وهو الشيطان الذي اصطادهم بأحاييله ، وتحكم في عقولهم وقلوبهم .

١٥- ﴿١٥﴾ فالיום لا يؤخذ منكم فدية ﴿١٦﴾ لا يفتدى أسير جهنم بشيء منافع كان أو كافراً ﴿١٧﴾ ماواكم النار ﴿١٨﴾ أنتم لها وقود وهي لكم دار وقرار .

١٦- ﴿١٦﴾ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم ﴿١٧﴾ هذه الآية تستنهض المؤمنين الكسالى الذين يقفون على الحياض من كل صراع ونزاع بين العدل والجور والحق والباطل . وتقول لهم :

ألم يأت ويحين الوقت الذي تغضبون فيه الله والحق ؟ ﴿١٨﴾ ولا يكونوا ﴿١٩﴾ المسلمون ﴿٢٠﴾ كالدِّينِ أوتوا الكتاب من قبل ... ﴿٢١﴾ حَرَّفَ اليهود التوراة بعد موسى ، وحَرَّفَ النصارى الإنجيل بعد عيسى ، وجعلوا التحليل والتحرير يارادتهم لا بإرادة الله كيلا يكون كتابه حججاً عليهم ، أما المسلمون فقد صانوا آيات القرآن من التحريف وأبقوه كما نزل على محمد (ص) ولكنهم لم يعملوا بموجبه ، كما قال الرسول الأعظم : (ص) سيأتي على أمتي زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ومن القرآن إلا رسمه ، وفي حديث ثانٍ إلا درسه . وعليه فالنتيجة واحدة من حيث الجراءة على دين الله والخروج من طاعته ، والفرق أن المسلمين أساءوا إلى الدين مع الإحفاظ بألقابه .

١٧- ﴿١٧﴾ أعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها ﴿١٨﴾ وكذلك البعث والنشور ، وتقدم في الآية ٣٩ من فصلت وغيرها .

١٨- ﴿١٨﴾ إن المصدقين والمصلقات ﴿١٩﴾ بتشديد الصاد ،

من الصدقة لا من الصدق ﴿٢٠﴾ واقرضوا الله ﴿٢١﴾ فعل ماضٍ لا فعل أمر ﴿٢٢﴾ يضاعف لهم ﴿٢٣﴾ الجملة خبران ، والمعنى أن الله يضاعف أجر من أتقى وتصدق ، وتقدم مرات ، آخرها الآية ١١ من هذه السورة .

١٩- ﴿١٩﴾ والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون ﴿٢٠﴾ هنا تنتهي الجملة ، وما بعدها كلام مستأنف ، ومعناها أن المؤمنين حقاً وواقعاً هم الصديقون الذين يصدقون القول بالعمل والإيمان بفعل الخير وترك الشر ، ومعنى هذا أن العمل جزء من الإيمان ولا إيمان بلا عمل ﴿٢١﴾ والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم ﴿٢٢﴾ العظيم على استبهادهم في سبيل الله . وأيضاً يتولد من هذا الاستبهاد نور يهتدون به إلى الجنة ﴿٢٣﴾ والذين كفروا ﴿٢٤﴾ على العكس من المؤمنين والشهداء والصديقين ، ماواهم جهنم وبئس المهاد .

الإعرا ب :

﴿وبشاركم اليوم جنات﴾ مبتدا وخبر لأنه بمعنى الذي تبشرون به اليوم جنات مثل طعامك اليوم كذا . ﴿ويوم يقول﴾ بدل من يوم ترى لأن المراد باليومين واحد وهو يوم القيامة . ﴿ونفتيس﴾ مجزوم بجواب الأمر وهو انظرونا . المصدر من ﴿أن تخشع﴾ فاعل يأن على حذف مضاف أي ألم يأن وقت الحشوع . ﴿وما نزل﴾ عطف على ذكر الله . ﴿وكالدِّين﴾ الكاف بمعنى مثل خبراً ليكونوا . وجملة يضاعف خبر إن المصدقين . ﴿والذين آمنوا﴾ مبتدا ﴿وأولئك﴾ مبتدا ثانٍ وهم ضمير فصل والصديقون خبر المبتدا الثاني والجملة خبر الأول :

٢٥- ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا بِالْبَيِّنَاتِ...﴾ الواضحات والمعجزات الدالة على صدقهم ، وأيضاً أنزل سبحانه عليهم الكتب ، وفيها شرائع الحق والعدل ليدعوا الخلق إليها والعمل بها ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾ فيه بَأْسٌ شديد إشارة إلى الأسلحة الهجومية الوقائية ، ومنافع للناس إشارة إلى ما يصنعون منه لحاجاتهم ، ويستخدمونه في مصالحهم ﴿ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مِنْ بَنَصَرِهِ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ﴾ خلق سبحانه الحديد ليميز الطيب الذي يستعمله فيما ينفع الناس كالمصانع والمعامل تنتج الكساء والدواء وأدوات البيت ووسائل المواصلات - عن الخبيث الذي يستخدم الحديد في التقتيل والتدمير والتشريد .

٢٦- ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ ﴾ وجعل سبحانه من ذريتهما كل الأنبياء ، وأنزل عليهم الكتب يتلونها على الناس ليعملوا بها ﴿ فَهَنِمَ ﴾ أي من الناس الذين أرسلت الرسل إليهم ﴿ مَهْتَدٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ وهكذا في كل زمان ، تقف الكثرة الكاثرة مع الأغور الدجال ، ينيق ويهرف ، والشعب الجاهل يصفق ويهتف .

٢٧- ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا ﴾ أرسل سبحانه بعد نوح وإبراهيم كثيراً من الأنبياء الواحد تلو الآخر ، ومنهم هود وصالح وموسى ﴿ وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ﴾ تواتر الرسل وتتابع حتى انتهوا إلى عيسى (ع) ، وأنزل عليه الإنجيل الأصيل ﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾ وأطاعوا السيد المسيح (ع) وعملوا بتعاليمه نصاً وروحاً ، وما حرقوا حرفاً على ما تهوى أنفسهم ، ويومئذ ذلك كلمة

« اتبعوه » أما رجال محاكم التفتيش ومن على شاكلتهم من الذين يهتفون بالصليب ، ويصلبون وينهبون - فالسيد المسيح والعذراء وكل الأنبياء يرأون منهم ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا ﴾ من عند أنفسهم ﴿ مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾ ما أنزل الله بها من سلطان ﴿ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ ﴾ الاستثناء منقطع عما قبله والمعنى ولكن النصارى هم الذين ابتدعوها وفعلوها من تلقاء أنفسهم ظناً منهم أنها تقربهم من الله ورضوانه ﴿ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ أي على الرغم أنهم هم الذين ابتدعوا الرهبانية والتزموا بها فإنهم لم يقوموا بواجبها حيث ساندت الكنيسة الملوك الجبابرة والمترفين المحتكرين ، وأقامت محاكم التفتيش وحرقت آلاف المسيحيين الأبرياء وهم أحياء ! ﴿ فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ﴾ والمراد هؤلاء القلة القليلة الذين ثبتوا على دين المسيح ، والتزموا بالمسيحية التي هي محبة وإنسانية لانصب وأحقاد ، ولا إثارة فتن وحروب ﴿ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ وفي طليعتهم الذين يحتلون مركز الصدارة في عالم الجريمة ، ويفجرون الإضطرابات وأعمال العنف في كل بلد يرتفع فيه صوت العدالة والحرية .

٢٨- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أي نطقوا بكلمة الإيمان

الإعراب :

﴿ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ مبتدأ وخبر ، والجملة حال من الحديد .

ءَامِنُوا أَنقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ ؕ يُوْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ؕ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ؕ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ ؕ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ؕ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

(٥٨) سُورَةُ الْحَجَّارَةِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا ثَنَانٌ وَعَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْكِي إِلَى اللَّهِ ؕ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَ كَمَا ؕ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِنكُم مِّن تَسَاهِهِم مَّا هُنَّ أُمَمَاتُهُمْ

سُورَةُ الْحَجَّارَةِ مَكِّيَّةٌ وَعَشْرُونَ آيَةً
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ ﴾ تحاورك وتراجلك يا محمد ﴿ فِي زَوْجِهَا ﴾ قال رجل من الصحابة لزوجه : أنت عليّ كظهير أثمي . وكان هذا طلاقاً في الجاهلية ، الزوجة وندم الزوج فقال لها : اذهبي إلى النبي وأخبريه بأمرنا فذهبت إليه وقصت عليه ، وإلى هذا أشار سبحانه بقوله : قَدْ سَمِعَ اللَّهُ ﴿ وَتَشْكِي إِلَى اللَّهِ ﴾ حيث كانت تقول في معرض كلامها : أَللَّهُمَّ إِلَيْكَ الْمَشْكِي ﴿ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَ كَمَا ﴾ لأن النبي (ص) قال لها : ما عندي في هذا شيء ، وأنزل تعالى حكمه في الظهار بقوله :

٢- ﴿ الَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِنكُم مِّن تَسَاهِهِم مَّا هُنَّ أُمَمَاتُهُمْ ﴾

الإعراب :

﴿الَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِنكُم﴾ مبتدأ ، و «ما» تعمل عمل ليس ومن اسمها وإمهااتهم خبرها ، والجملة خبر الذين . ﴿وَمَنكُم﴾ صفة لمفعول مطلق محذوف أي قولاً منكراً ﴿وَالَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِّن تَسَاهِهِم﴾ مبتدأ . ﴿وَتَحَاوُرَ رَقِيَّةً﴾ مبتدأ والخبر محذوف أي فعلهم تحرير رقية ، والجملة خبر الذين يظاهرون . والمصدر من ﴿لَتُؤْمِنُوا﴾ متعلق بمحذوف خبراً لذلك .

إزال الزوجة منزلة الأم مخالف للواقع ﴿ ان أمهاتهم إلا اللاتي ولدنهم ﴾ الأم من ولدتك وأرضعتك لا من تزوجت واقتربت ﴿ وانهم ليقولون منكراً من القول وزوراً ﴾ الظهار كذب وقبح ينكره الشرع وأهل العقاب ﴿ وان الله لعفو غفور ﴾ كثير المصالح والصفح لمن تاب وأتاب .

٣- ﴿ والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا ﴾ أي يندمون ويرجعون عن الظهار ، فعل المظاهر منهم أن يكفّر بواحدة من ثلاث على هذا الترتيب : ﴿ فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ﴾ أولاً أن يمنح المظاهر الحرية لعبد مملوك قبل أن يتصل بأهله اتصالاً جنسياً ﴿ ذلكم توعظون به ﴾ أي أوجب سبحانه الكفارة تأديباً وزجراً عن الظهار .

٤- ﴿ فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا ﴾ فإن عجز المظاهر عن تحرير رقبة صام شهرين متوالية لا يفصل بالفطر بين أيام الشهر الأول ولا بينه وبين الشهر الثاني - يوم ، أيضاً قبل أن يتصل بأهله ﴿ فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً ﴾ مرة واحدة لكل منهم ، أيضاً قبل الإنصال حملاً للإطعام على التحريم والصيام خلافاً لأبي حنيفة ﴿ ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله ﴾ لا تتأمنون بالله والرسول إلا إذا نذتم حكم الجاهلية ، وعلمتم بأحكام الله التي بينها سبحانه في كتابه وسنة نبيه ﴿ وتلك حدود الله ﴾ وفرائضه فلا تضيعوها وتعدوها .

٥- ﴿ إن الذين يحدّثون ﴾ يخالفون ويشاقون ﴿ الله ورسوله ﴾ وهم أصحاب الثورة المضادة لكل إصلاح وتصحيح أولئك ﴿ كتبوا كما كتب الذين من قبلهم ﴾ أصابهم الخزي والخوان تماماً كما أصاب السابقين من أمثالهم ﴿ وقد أنزلنا آيات بينات ﴾ واضحات الدلالة على القرائض والأحكام ، ولن جحد بها وكفر عذاب مهين ومقيم .

٦- ﴿ يوم يبعثهم الله جميعاً ﴾ يقفون بين يديه للحساب فيعلمهم بما كانوا يفعلون وهم قد نسوا ما اقترفوا ، فيتذكرون موقف الحسير الكبير ، وقد أحصى عليهم أخبارهم وآثارهم وبنهارهم ... وتساءل : هل من أحد على يقين مئة بالمئة أنه بمنجاة من هذا الموقف ؟ اللهم إلا من مات قلبه وغاب لبه ، ثم أية خسارة من الإيمان بالبعث سوى فوات بعض الملمات الآتية القانية ؟

٧- ﴿ ألم تر أن الله يعلم ﴾ كل شأن من شؤون خلقه

الإعراب :

﴿ جميعاً ﴾ حال من ضمير يبعثهم أي مجتمعين . و « ما » نافية ، ويكون تامة و « من » زائدة ونجوى فاعل وثلاثة مجرورة بالاضافة .

إِنْ أَمَّهُتُمْ إِلَّا آلِيَّ وَلَدَنَّهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا
مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ
يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ
مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَا ذَٰلِكُمْ تَوْعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ
مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ
مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ كُتِبُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا
ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٤﴾ يَوْمَ
يَبْعَثُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ
وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ

﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ﴾ المكالمة السرية الا ويعلمها سبحانه سواء أكانت بين ثلاثة أم أقل ، بين خمسة أم أكثر ﴿ أَيْنَمَا كَانُوا ﴾ في السماء أو على وجه الأرض أو تحتها ، و فوق ذلك يعلم كل خاطر يمر بالخيال ، وكل عزيمة يعقدها القلب ، وكل نظرة تسترقها العين ﴿ ثُمَّ يَنْبِئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ فاما الذين أصلحوا فيوفيهم أجورهم وزيادة ، وأما الذين سعوا في الأرض فعليهم غضب من الله وعذاب عظيم .

٨- ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَهَوْنَا عَنْ النُّجْوَى ﴾ تناجى فريق بالإثم والعدوان ، فنهاهم الرسول بالحسنى ، فنعصوا ولم ينتهوا ﴿ وَإِذَا جَاعُوا حَبْوًا ﴾ ومع إصرارهم على معصية الرسول كانوا يبدؤونه بالتحية ﴿ بِمَا لَمْ يُحَيِّكْ بِهِ اللَّهُ ﴾ روي أن أناساً من اليهود دخلوا على النبي (ص) وقالوا : بئس السلام عليك السام عليك يا أبا القاسم ، والسام هو الموت . فقال : وعليكم . فزلت الآية ﴿ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ : لو كان محمد نبياً ونحن نعامله بهذه المعاملة لعاجلنا الله بنقمته ، فرد سبحانه عليهم بقوله : ﴿ حَسِبُكُمْ جَهَنَّمَ يَصْلُونَهَا ﴾ لا تعجلوا فالنار أمامكم هي مأواكم وبئس مثوى الظالمين .

٩- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَنَاجُوا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ ﴾ المؤمن حقاً وواقعاً يبقى معصية الله والرسول ، ولا ينطق بكلمة الإثم والظلم ، أما الذين يصومون ويصَلُّون ويتنصون من الكلب والخنزير ، ثم يخذلون ويحسدون ويستغيثون ويفترون - فإياهم من الإيمان في شيء إلا في الإسم والإدعاء ، وهم المقصودون بالنداء في هذه الآية ، والمعنى يا أيها الذين يدعون الإيمان ... ﴿ وَتَنَاجُوا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ هذي هي صفة المؤمنين : يتواصون بالحق والخير لا بالباطل والشر .

١٠- ﴿ إِنَّمَا النُّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ ﴾ أي نجوى الحقد والحسد ، والخدش والنهش ﴿ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ يتناجى اخوان الشياطين بالإثم ، ليسيروا إلى ذوي الصلح والفضل

مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَهَوْنَا عَنِ النُّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نَهَوْا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَبْوًا بِمَا لَمْ يَحْيِكْ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسِبُكُمْ جَهَنَّمَ يَصْلُونَهَا فَيَنْسَأَ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَنَاجُوا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجُوا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا النُّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا

الإعراب :

ولولا بمعنى هلا . و﴿ جهنم ﴾ مبتدأ مؤخر و﴿ حسبه ﴾ خبر مقدم . واسم ليس ضمير مستتر يعود الى الشيطان . و﴿ يضارهم ﴾ الباء زائدة و﴿ ضارهم ﴾ خبر ، و﴿ شيئا ﴾ مفعول مطلق لضارهم .

ومن الحكم البالغة : الحسد موكل بأهل الفضل ﴿ وليس بضارهم شيئاً ﴾ أقوال تذهب مع الريح ، ويبقى إنما على قائلها .

١١- ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس ﴾ هذه الآية في آداب الجلوس ، ومعناها واضح ، وهؤلاء يحسن أهل المجلس بعضهم إلى بعض ، ويحترم الصغير منهم الكبير . ولا يتنافسوا عن الصدر ﴿ فافسحوا ففسح الله لكم ﴾ لأن الجزء من جنس العمل ، وفي نهج البلاغة : كان رسول الله (ص) يجلس جلسة العبيد ، ويخصف نعله بيده ﴿ وإذا قيل انشزوا فانشزوا ﴾ كان النبي (ص) يقيم نقراً من مقاعدهم ليجلس الأفضل إيماناً وعلماً ، ويوحى بذلك قوله تعالى بلا فاصل : ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ فنقل ذلك على بعض من كان بأمرهم النبي (ص) بالقيام والنشوز ، ولما نزلت هذه الآية تأدب الصحابة بأدائها عن طيب نفس .

١٢- ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ﴾ روي أن الصحابة كانوا يسألون النبي (ص) ويكثرون حتى شق ذلك عليه ، فأمرهم سبحانه أن يتصدقوا قبل أن يسألوا الرسول تخفيفاً عليه ، وتركيباً لهم ﴿ فإن لم تجدوا ﴾ أي فمن لم يجد ما يتصدق به واضطراً إلى السؤال فلا حجة عليه ، لأن الله يحتج على عبده بما أعطاه ، فأحجموا بالكامل عن الصدقة والسؤال إلا الإمام علي (ع) فإنه تصدق وسأل كما جاء في العديد من التفاسير ، منها تفسير الطبري والرازي وابن كثير ، وبعد أن عمل الإمام وحده هذه الآية رخص سبحانه بإسقاط وجوب الصدقة ، وعاتب الصحابة بقوله :

١٣- ﴿ أشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات ﴾ هل خفتهم أيها الأغنياء النقص في الأموال ؟ كيف وهي تربو وتركوا بالصدقات ﴿ فإذا لم تفعلوا ﴾ ما أمرتم به من الصدقة قبل المناجاة وعفى الله - فأحرصوا على سائر الواجبات ولا تفرطوا بها ﴿ فافهموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله ﴾ في ترك المحرمات ولا عذر إطلاقاً لمن يستهين ويهمل شيئاً من هذه الطاعات والواجبات .

١٤- ١٥- ﴿ ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم ﴾ نزلت هذه الآية في المنافقين المذبذبين حيث كانوا يقابلون المسلمين بوجه ويحلفون لهم أنهم منهم ، ويقابلون اليهود بوجه ، وأيضاً يحلفون الأيمان المغلظة أنهم على دينهم ، وما هم من هؤلاء ولا أولئك ﴿ ويحلفون على الكذب وهم

الإعراب :

﴿ يرفع ﴾ مجزوم لأنه جواب الأمر وهو انشزوا أي إن نشرتم يرفع الخ . ﴿ درجات ﴾ منصوبة بنزع الخافض أي إلى درجات . ومفعول أشفقتم محذوف . والمصدر من ﴿ أن أشفقتم ﴾ مجرور بمن مقدة أي أشفقتم الفقر من تقديم الصدقة .

وَلَيْسَ بِضَارِهِمْ شَيْءٌ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٢﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرٌ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٣﴾ أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقْتُمْ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذْبِ

يعلمون ﴿١٦﴾ أنهم كاذبون في كل ما يقولون ، وهكذا كل من لا يؤمن بقيمة ودين لا يرى فرقاً بين الصدق والكذب والفضيلة والرديلة .

١٦- ﴿ اتَّخَلَوْا أَيْمَانَهُمْ جَنَّةً ﴾ سترًا ووقاية يدفعون بها عن أنفسهم وأموالهم ﴿ فصلوا عن سبيل الله ﴾ ظن بهم الصدق والإخلاص من يجهل حقيقة أمرهم فخدعوه بالأكاذيب وتاه عن الحق .

١٧- ﴿ لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ﴾ كل القوى مجتمعة لا تدفع عنهم شيئاً حين يجذ الجذ وتأتي ساعة الفصل .

١٨- ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ﴾ في يوم القيامة مواقف ، منها ما يعجز الإنسان فيها عن الكذب ومحاولة التويه والخداع ، ومنها ما يرجع فيها إلى طبيعته وعادته في الحياة الدنيا ، وفي هذا الموقف يحلف المنافقون كاذبين كما كانوا يفعلون في دار البوار والأقدار ﴿ ويحسبون ﴾ أن أيمانهم الفاجرة تدفع عنهم العذاب . ذلك ظن الذين كفروا بالله ، وما لهم من عذابه ولي ولا واق .

١٩- ﴿ اسْتَحْذِرُوا عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانَ ﴾ أعمتكم الأهواء عن الهدى والخير فانصرفوا بكلهم إلى الشر والضلال ﴿ أولئك حزب الشيطان ﴾ دعاهم إلى النار فاستجابوا وأقبلوا . ودعاهم الرحمن إلى الجنة ففروا وولّوا ، وهكذا الجاهل والضال يمكن عدوه من نفسه بنفسه .

٢٠- ﴿ إِنْ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذْلَنِ ﴾ يحادون الله : يخالفون أحكامه ، ويتجاوزون حدوده عناداً أو شقاقاً . ومن يفعل ذلك فصوره المخزي والهوان .

٢١- ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ﴾ الغلبة في الآخرة لأهل الحق من غير شك ، أما في الدنيا فهم الغالبون بالحجة والبرهان في شتى الأحوال ، وكذلك في خلود الذكر وجميل الأحداث ، وكثيراً ما تكون الغلبة على الطغاة بالإنفاضات النحرية ، وتقدم في الآية ٣٨ من الحج وغيرها .

٢٢- ﴿ لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ ... ﴾ تنص هذه الآية بصراحة لا تقبل التأويل أن الإيمان بالله واليوم الآخر يستحيل أن يجتمع مع محبة الطغاة الكفرة وقوى الشر الفجرة وتقدم

الإعراب :

﴿ لم تر إلى الذين ﴾ تعدت « تر » هنا بلى لأنها متضمنة معنى تنظر . و﴿ شيئاً ﴾ مفعول مطلق . و﴿ إلا ﴾ أداة تنبيه . و﴿ لأغلبن ﴾ اللام في جواب كتب لأن فيه معنى التسم . وجملة ﴿ يوادون ﴾ مفعول ثانٍ لتجد . و﴿ والذين ﴾ حال . و﴿ إلا ﴾ أداة تنبيه .

وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٨﴾ لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٩﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿٢٠﴾ اسْتَحْذَرُوا عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانَ فَاَتَسْتَهْمُ ذَكَرَ اللَّهُ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذْلَنِ ﴿٢٢﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٣﴾ لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ

في الآية ٢٨ من آل عمران ﴿ أولئك ﴾ الذين لا يؤثرون شيئاً على إيمانهم حتى الآباء والأبناء ﴿ كتب ﴾ الله ﴿ في قلوبهم الإيمان ﴾ ثبته فيها حتى كأنه طبعت عليه ﴿ وأيدهم بروح منه ﴾ أي بالتوفيق لكل خير ، وبالحجج البالغة والبراهين القاطعة ﴿ ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ ومرضاة الله وحدها هي الصلاح والقلاح ، كما قال الرسول الأعظم (ص) : إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي . وقال سيد الشهداء وإمام الأنبياء الحسين (ع) : ماذا فقد من وجدك وماذا وجد من فقدك ؟

سُورَةُ الْحَشْرِ مكية ٢٤ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(٥٩) سُورَةُ الْحَشْرِ مكية
وَأَنبَأْنَاهَا أَنِيج وَعَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿ هُوَ الَّذِي أُنْزِلَ فِي الْأَنْفُسِ الْكَافِرَاتِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِينِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَن يَخْرُجُوا

اللغة :

الحشر الجمع . وإجلاء الخروج عن الوطن . والبيئة النخلة . ويشاق يخالف .

ملاحظة :

والخلاصة أن الإنسان بالغاً ما بلغ من المقدرة فإنه أعجز من أن يجمع بين مرضاة الله ومرضاة أعدائه تعالى ، فإن أرضاهم أغضب الله ، وإن أرضى الله أغضبهم ومستحيل أن يرضوا إلا عمن هو على شاكلتهم بشهادة الله عز وجل : ﴿ ولئن ترضى عنك اليهود والنصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ . . . ٢٠ البقرة وفي الحديث الشريف أن رسول الله (ص) قال : « اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي نعمة فإني وجدت فيها أوحيت : لا تحب قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من جاد الله ورسوله . »

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ كَانُوا يَفْقَهُونَ ذَلِكَ فَلَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ نَهَارًا وَلَيْلًا وَأَمَّا الْعَمِلُ فَرَجُلٌ يَأْتِي الْبَيْتَ لَا مُسَبِّحًا وَلَا مُتَمَجِّدًا يَلْبِسُ الثَّوْبَ الضَّعِيفَ وَيَأْكُلُ الْخَبْثَ يَنْتَظِرُ الْمَوْتَ أَيْنَ الْمَصِيرُ ﴿١٠٠﴾

لأعدائهم ﴿ وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله ﴾ وأيضاً ما دار في خلد بني النضير أن يقهروا لكثرة عدتهم ومنعة حصونهم ﴿ فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ﴾ وكثيراً ما يؤخذ التحصن من حصنه والآن من مأمته ﴿ وقلق في قلوبهم الرعب ﴾ من هيبة رسول الله وعظمته ، فاستسلموا لأمره رهبة وجزعاً من غير قتال ﴿ يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ﴾ هدم يهود بني النضير ما بنوا قبل الجلاء والرحيل ظناً به على المسلمين ، أما نسبة الهدم إلى المؤمنين فلاهم السبب الموجب له وللجلاء ﴿ فاعتبروا يا أولي الأبصار ﴾ بهذا المصير فإن دائرة السوء لا بد أن تدور على رأس من لجأ في الغي وتمادى في البغي .

٣- ﴿ وَلَوْلَا أَن كَبَّ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ ﴾ على يهود بني
الضضير النفي من ديارهم ﴿ لَعَذِبُهم فِي الدُّنْيَا ﴾ بالقتل
الإستصال كما فعل يهود بني قريظة ، أما عذابهم في الآخرة
فهو أشد وطأة وتكليلاً .

٤- ﴿ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ ما عذب سبحانه اليهود في الدنيا ، ويعذبهم في الآخرة إلا لأنهم يعاندون كل حق ، ويرفضون كل خير إلا أن يكون لهم وحدهم غير شريك .

هـ ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ يَكَلِّمُ الْبَيْنَةَ ۚ الْبَيْنَةُ ۖ قَطْعُ الْمُسْلِمِينَ بَعْضًا مِنْ نَخِيلِ بَنِي النَّضِيرِ لِلتَّضْيِيقِ عَلَيْهِمْ ، فَقَالُوا لِلنَّبِيِّ (ص) : أَنْتَ تَهْتِكُ عَنِ الْقِسَادِ ، فَتَرْتِ هَذِهِ الْآيَةَ ، وَمَعْنَاهَا أَنْ مَا قَطَعْتَ مِنَ النَّخِيلِ نَكَاتٌ بِالنَّاكِتِينَ وَمَا تَرَكْتَ مِنْهَا مِنْ غَيْرِ قَطْعٍ فَهُوَ بِأَمْرِ تَعَالَى لِيُغَيِّظَ بِهِ مَنْ عَانَدَ وَتَعَرَّدَ .

٦- ﴿ وما آفأ الله على رسوله منهم ﴾ أي من الكفار المحاربين للإسلام والمسلمين ، و«ما» في قوله تعالى : وما آفأ الله - اسم موصول ﴿ فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ﴾ «ما» في قوله : فما أوجفتم عليه - نافية ، ومعنى أوجفتم عليه عملتم عليه ، والمراد بالركاب الإبل ، وقد بين سبحانه وحدد في كلامه هذا معنى الفئ في دينه وشريعته بأنه المال الذي يؤخذ بلا قتال وجهاد ، من الكفار المحاربين للإسلام والمسلمين ، وأموال بني النضير هي من الفئ ، ولكن لها حكم خاص وهو أن تكون خالصة لرسول الله (ص) وحده ولا تقسم على الجيش كالفنائ التي تؤخذ بقتال وجهاد ، أما الفئ من غير أموال بني النضير فله حكم آخر ، ويوضح بقوله تعالى :

٧- ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ المراد بأهل القرى هنا غير بني النضير ، والمعنى أن الذين كفروا - من غير بني النضير - إذا أعلنوا الحرب على الإسلام والمسلمين ، ثم استسلموا من غير قتال - فلا تقسم أموالهم على الجيش قسمة الغنيمة بل هي فيء ، وتكون خالصة لله ورسوله وقريابه من مؤمني بني هاشم ، أما اليتامى والمساكين وابن السبيل وهو المنقطع عن وطنه - فقال الإمامية : المراد بهم من كان من بني هاشم دون غيرهم ، وعند المذاهب الأربعة العموم والشمول

لِبنِي هَاشِمٍ وَغَيْرِهِمْ ﴿٦٠﴾ كَيْ لَا يَكُونَ ﴿٦١﴾ مَالُ الْقِيءِ ﴿٦٢﴾ دَوْلَةٌ
بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴿٦٣﴾ أَيْ مَتَدَاوُلًا فِيمَا بَيْنَهُمْ وَلَا يَصِلُ مِنْهُ
شَيْءٌ إِلَى الْفُقَرَاءِ كَمَا كَانَتْ الْحَالُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ حَيْثُ كَانَ
الْأَمْوَاءُ وَالْأَغْنِيَاءُ يَتَصَرَّفُونَ فِي الْقِيءِ بِمَحْضِ الشَّهَوَاتِ وَالْأَهْوَاءِ .

﴿٦٠﴾ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴿٦١﴾
يَقُولُ سُبْحَانَهُ : اَعْمَلُوا بِالْقُرْآنِ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهِ النَّصَّ عَلَى مَا
تُرِيدُونَ فَارْجِعُوا إِلَى السَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ ، وَالشَّرَائِعِ الْوَضْعِيَّةِ عَلَى هَذَا
الْمَبْدَأِ ، قَالَ السَّهَوْرِيُّ فِي شَرْحِ الْقَانُونِ الْمَدَنِيِّ : « نَصَّتِ الْمَادَّةُ
الْأُولَى عَلَى أَنَّهُ إِذَا لَمْ يَوْجَدْ نَصٌّ شَرْعِيٌّ يَحْكُمُ الْقَاضِي بِمُقْتَضَى
الْعُرْفِ ، فَإِذَا لَمْ يَوْجَدْ فَيَمُقْتَضَى الْمَبَادِئُ الْإِسْلَامِيَّةُ ، فَإِذَا
لَمْ تَوْجَدْ فَيَمُقْتَضَى مَبْدَأُ الْقَانُونِ الطَّبِيعِيِّ وَقَوَاعِدُ الْعَدَالَةِ » .

٨- ﴿٦٢﴾ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ ﴿٦٣﴾ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ نَصَبَ
مِنْ فِي أَهْلِ الْقُرَى أَيْضًا لِأَنَّهُمْ ﴿٦٤﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ
وَأَمْوَالِهِمْ ﴿٦٥﴾ لَا لَشَيْءٍ إِلَّا لَوْقُفِهِمْ مَعَ الْحَقِّ وَإِعْلَانِ كَلِمَةِ
الْإِسْلَامِ وَتَضَجُّعِهِمْ فِي سَبِيلِهِ ﴿٦٦﴾ يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا
وَيَتَصَرَّفُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَوْلَيْكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٦٧﴾ إِيْمَانًا وَقَوْلًا
وَعَمَلًا ، وَبِهَؤُلَاءِ الْمُهَاجِرِينَ وَأَمْثَلَهُمْ مِنَ الْأَنْصَارِ اسْتَقْبَلَتْ
الْإِسْلَامَ ، وَانْتَشَرَ فِي شَرْقِ الْأَرْضِ وَغَرْبِهَا ، وَلَا بَدَعَ فِارَ
قَائِدُهُمْ مُحَمَّدٌ ، وَلَنْ تَكُونَ الْأُمَّةُ فَاسِدَةً وَقَائِدُهَا صَالِحًا .
كَمَا لَا تَكُونَ صَالِحَةً وَقَائِدُهَا فَاسِدًا ، وَإِذَا وَجَدْتَ فِتْنَةً فَاسِدَةً
فِي عَهْدِ الْحَاكِمِ الصَّالِحِ فَاعْلَمْ أَنَّ الْكَلِمَةَ لِأَهْلِ الصَّلَاحِ ،
وَالْعَكْسُ بِالْعَكْسِ ، هَذَا إِذَا كَانَ الْحُكْمُ لِلْحَرِيَّةِ وَالْإِخْتِيَارِ
لَا لِلْحَدِيدِ وَالنَّارِ .

كَيْ لَا يَكُونَ دَوْلَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ
فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
الْعِقَابِ ﴿٦٠﴾ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ
دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا
وَيَتَصَرَّفُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَوْلَيْكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٦١﴾
وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ
هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا
وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ
شَحْنَ نَفْسِهِ فَاُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٦٢﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا
مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا
بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ
رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٣﴾ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ

٩- ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴿٦٥﴾
وَهِيَ الْمَدِينَةُ ، وَالْإِيمَانُ مَقْعُولٌ لِفَعْلٍ مَحذُوفٌ أَيْ وَأَخْلَصُوا الْإِيمَانَ ، وَمِنْ قَبْلِهِمْ أَيْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَهَاجِرَ إِلَيْهِمُ الْمُهَاجِرُونَ ،
وَقَدْ أُثْنِيَ سُبْحَانَهُ عَلَى الْأَنْصَارِ بِأَنَّهُمْ ﴿٦٦﴾ يَحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُلُوبِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا ﴿٦٧﴾ قَدَمَ الْمُهَاجِرُونَ
مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَأَحْسَنَ الْأَنْصَارِ اسْتِقْبَالَهُمْ فِي الْحُبِّ وَالْبَذْلِ وَالْمَسَاوَةِ ، وَكَانَ النَّبِيُّ (ص) يَخْصُ الْمُهَاجِرِينَ بِالْغَنِيمَةِ
كُلًّا أَوْ بَعْضًا ، لِأَنَّهُمْ غُرَبَاءُ فِي الْمَدِينَةِ ، وَلَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا عَلَى الْإِطْلَاقِ ، وَكَانَ الْأَنْصَارُ يَرْضَوْنَ عَنْ ذَلِكَ ، وَلَا يَجِدُونَ
فِي أَنْفُسِهِمْ أَيْ شَيْءٌ بَلْ وَبِرُونَهُ حَقًّا وَعَدْلًا ﴿٦٨﴾ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴿٦٩﴾ فَاقَّةٌ ، وَالْمَعْنَى يَفْضَلُونَ
غَيْرَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ فِي الشَّيْءِ الَّذِي يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ أَشَدَّ الْحَاجَةِ وَيَتَبَيَّرُ الْآيَةُ ٨ مِنْ الْإِنْسَانِ « وَيَطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ »
﴿٧٠﴾ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَ نَفْسِهِ فَاُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٧١﴾ الشَّحُّ لَغَةٌ : أَشَدُّ الْبَخْلِ ، وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا الْبَخْلُ بِالْخَيْرِ وَالْمَعْرُوفِ . لِأَنَّ
كَلِمَةَ الشَّحِّ فِي الْآيَةِ جَاءَتْ بَعْدَ الْإِشَارَةِ إِلَى الَّذِينَ يُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَفِي الْحَدِيثِ : لَا يَجْتَمِعُ الشَّحُّ وَالْإِيمَانُ فِي قَلْبٍ
عَبْدٍ أَبَدًا .

١٠- ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا ... ﴿٧٣﴾ جَاءَ فِي التَّفَاسِيرِ أَنَّ الْمُرَادَ بِالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ
بَعْدِ الصَّحَابَةِ ، التَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ أَخَذًا بِقَرِينَةِ السِّيَاقِ ، وَمَعَ هَذَا فَإِنَّ الشَّاءَ يَعْمُ وَيَشْمَلُ كُلَّ مَنْ سَارَ بِسِيرَةِ الصَّحَابَةِ إِلَى
يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

١١- ﴿٧٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ

كفروا ... ﴿ هذه الآية نزلت في رأس المنافقين عبد الله بن أبي جهامة حيث بعثوا إلى يهود بني النضير ، وقالوا لهم : اثبتوا في قتال محمد ومحمد والصحابه ، ونحن عليهم معكم . وإن جلاكم محمد عن المدينة نرحبنا عنها ولا تفارقكم ، ولن نسمع من أحد يأمرنا أو ينصحن بالتخلي عنكم ﴾ والله يشهد إنهم ﴿ إن المنافقين ﴾ لكاذبون ﴿ في قولهم هذا .

١٢- ﴿ لكن أخرجوا ﴾ يهود بني النضير ﴿ لا يخرجون ﴾ المنافقون ﴿ معهم ﴾ بل يبقون في بيوتهم ﴿ ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ﴾ إذا وقعت الحرب بين المؤمنين ويهود بني النضير فالمنافقون يخذلون هؤلاء حتى ولو قاتلوا معهم فسكون الهزيمة للإثنين معاً لا محالة .

١٣- ﴿ لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون ﴾ اليهود والمنافقون يخافون من القوة ويفهمون بلغتها فقط ، ولا يخافون من الله وعذابه في اليوم الآخر ، لأنهم أجهل الناس بالله وعظمته ، وعلى رأس الخوف منكم ومن قوتكم أيها المؤمنون تستر المنافقون بكلمة اسلام وإعلانها .

١٤- ﴿ لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة ﴾ أو من وراء جدار ، اليهود جبناء في الحرب لا ينازلون المسلمين وجهاً لوجه ، بل يلوذون بالجدران والحصون ، ويرشقون بالنبال والأحجار ﴿ بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ﴾ إنهم منحلون متخاذلون ، وإن تظاهروا بالإلفة والمحبة .

١٥- ﴿ كمثل الذين من قبلهم قريباً ذاقوا وبال أمرهم ﴾

إن حال يهود بني النضير الذين نصبوا العداة لرسول الله تماماً كحال غيرهم من أعدائه حيث انتهوا إلى الخزي والهوان .

١٦- ﴿ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك ﴾ قال المنافقون ليهود بني النضير : قاتلوا محمداً ، ونحن معكم في القتال والجهاد ، ولا نزل بهم البلاء اختفى المنافقون في أوكارهم تماماً كالشيطان يغري الإنسان بالريذة حتى إذا فعلها تنكر له وأنكر عليه ، وتقدم في الآية ٤٨ من الأنفال .

الإعراب :

﴿ الذين تنبأوا ﴾ مبتدأ وجملة ينجون خير . ﴿ والايمان ﴾ مفعول لفعل مقدر أي وآثروا أو اخلصوا الايمان ، ﴿ ومثله علفتها تنبأ وماء بارد ﴾ أي وسقيتها ماء بارداً . ومفعول يؤثرون محذوف أي يؤثرون غيرهم . ﴿ أبداً ﴾ ظرف زمان لاستغراق المستقبل منصوب بنطع . ﴿ ومن الله ﴾ أي من ربهتهم من الله . ﴿ وجميعاً ﴾ حال أي مجتمعين . ﴿ وكمثل ﴾ خبر مبتدأ مقدر أي مثلهم كمثل الذين الخ . ﴿ وقريباً ﴾ صفة لمقدر أي زمناً قريباً والزمن منصوب بذاقوا أي ذاقوا وبال أمرهم في زمن قريب .

١٧- ﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا﴾ عاقبة الخادع والمخدوع في جهنم وساءت مصيراً..

١٨- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ بفعل ما أمر وترك ما زجر ، بخاصة كف الأذى عن الناس ﴿وَلتَنْظُرْ نفس ما قدمت لعد﴾ لا تُقدم نفس على ربها تقية ومرضية إلا بمغالبة الهوى والكف عما نهى ﴿واتقوا الله إن الله خير بما تعملون﴾ وأشقى الناس إطلاقاً من فرح بما غفي من عيوبه ، والله خير بها وعليهم .

١٩- ٢٠- ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ﴾ وهم الذين يذكرونهم بالسننهم ، ويعصونه بأعمالهم ﴿فَانسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ نسوا ما أمرهم الله به ، وأمنوا ما حذرهم منه . فصرفهم عن كل عمل يعود عليهم بالخير والصلاح . فجاء الجزء من جنس العمل « فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم القاسقين - ه الصف » .

٢١- ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ وتلك الأمثل نُصْرُهَا للناس لعلهم يتفكروا ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿هُوَ اللَّهُ

٢٢- ٢٤- ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ وحده المعبود الحق ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ يعلم ما غاب عن الخلق وما شاهده ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ من الرحمة والإحسان ﴿الْمَلِكُ﴾ غني في ذاته وصفاته ، ولا غنى لغيره

عنه ﴿الْقَلُّوسُ﴾ تتره عما لا يليق بالخالق الرازق ﴿السَّلامُ﴾ هو الأمان للصالحين المخلصين ﴿الْمُؤْمِنُ﴾ من الإيمان بمعنى التصديق مثل « وما أنت بمؤمن لنا » أي بمصدق ، والله سبحانه يصدق عباده المؤمنين ما وعدهم من الثواب ﴿الْمُهَيْمِنُ﴾ بالإشراف على كل شيء ﴿الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يُقهر ﴿الْجَبَّارُ﴾ تنفذ مشيئته بالقهر والإجبار ﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾ له الكبرياء والعظمة

الإعراب :

﴿كمثل الشيطان﴾ خبر لبتداً مقدر أي مثلهم كمثل الشيطان . و﴿عاقبتهم﴾ خبر كان والمصدر من «انها في النار» اسمها . و﴿الذين﴾ حال من اسم ان . و﴿لتنظر﴾ مجزوم بلام الأمر . وما قدمت «ما» بمعنى أي في عمل نصب بقدمت والمعنى أي شيء قدمت .

﴿البارئ﴾ الخالق على غير مثال كما قيل ﴿المصور﴾ خالق الصور والأشكال ﴿له الأسماء الحسنى﴾ كل ما ينسب إليه تعالى ويحكي صفة من صفاته الجلى فهو حسن وجميل وعظيم وجليل . وتقدم في الآية ١٨٠ من الأعراف .

سُورَةُ الْحَجِّ مكية وآياتها ثمان وعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(٦٠) سُورَةُ الْحَجِّ ثَمَانِ وَعِشْرُونَ
وَأَيَّاتُهَا ثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخْذُوا عِدْوِيَّ وَعِدْوِيَّ أَوْلِيَاءَ
تَلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ
يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
تَرَجِمْتُمْ جَهَنَّمَ فِي سَبِيلِي وَإِبْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ
بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ
مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝ إِنْ يَشْفَقُواكُمْ يَكُونُوا

١- ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخذلوا عدوي وعلوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة﴾ حذر سبحانه المؤمنين من موالاة أعداء الدين ، وكرر ذلك في العديد من الآيات ، منها الآية ٢٨ من آل عمران ، ولكن لتزول الآية التي نحن بصدد سبب ، وهو أن رسول الله (ص) حين عزم على فتح مكة كتب واحدا من الصحابة إلى قريش بذلك ، فأوحى سبحانه إلى نبيه بما كان من هذا الكاتب ، فبعث النبي (ص) في طلب الكتاب ولما اطلع عليه سأل المرسل فاعتذر بأن له أهلاً في مكة يخاف عليهم من المشركين . فصانعهم وهو على دينه ، فنهى سبحانه عن مثل هذه المصانعة لأنها تضر بمصلحة المسلمين . وهذه الآية حجة قاطعة على من يتخذ يداً عند أعداء الدين جلباً لمصلحة أو دفعاً لمصرة عن نفسه أو عن غيره ﴿وقد كفروا بما جاءكم من الحق﴾ كيف تلقون بهم ، ولا يرونكم على شيء ، ويرون أنفسهم كل شيء ؟ ﴿أن تؤمنوا بالله ربكم﴾ المصدر من أن تؤمنوا مفعول من أجله ليخرجون ، والمعنى ما انتقموا منكم تنكيلاً وتشريداً إلا لأنكم عبدتم الله مخلصين له الدين ﴿إن كنتم تخرجتم جهاداً في سبيلي وإبتغاء مرضاتي﴾ جواب الشرط محذوف ، والمعنى إن كنتم مسلمين حقاً مجاهدين في سبيل الله وراغبين في ثوابه ومرضاته - فلا تتركوا إلى المشركين أعداء الله وأعداءكم ﴿تسرون إليهم بالمودة﴾ أي تؤادون أعداء الله سرّاً وهو العليم بما تكن الصدور ؟

٢- ﴿إن يشفقواكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم

الإعراب :

﴿أولياء﴾ مفعول ثانٍ لتخذلوا . وقال كثير من المفسرين : ان الباء زائدة بالمودة وإن المودة مفعول تلقون مثل ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ، وقال صاحب البحر المحيط : مفعول تلقون محذوف والباء للسبب أي تلقون إليهم أخبار رسول الله بسبب ما بينكم من المودة . و﴿إياكم﴾ عطف على الرسول . والمصدر من ﴿أن تؤمنوا﴾ مفعول من أجله لتخرجون . و﴿جهاداً﴾ مفعول من أجله لخرجتم و﴿إبتغاء﴾ عطف عليه . و﴿يوم القيامة﴾ منصوب بلم تنفعكم .

أَيْدِيهِمْ وَالسِّتْمُ ۖ لَوْ ظَفَرُ أَعْدَاءِ الْحَقِّ بِأَنْصَارِهِ لَمُزِقُوهُمْ إِلَى السَّانِ وَاللَّسَانِ ، وَالتَّارِيخُ مَتَمُّهُ بِالشَّوَاهِدِ عَلَى ذَلِكَ ، وَأَنْصَارُ الْحَقِّ عَلَى الْعَكْسِ ، وَالسَّرِّ سَمُو الْمُبْدَأِ وَتَزَاوُجُ الْقَصْدِ عِنْدَ هَؤُلَاءِ دُونَ أَوْلَئِكَ ، فَإِذَا عَادَ الْحَقُّ إِلَى نَصَابِهِ ، وَانْزَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ مَقَامِهِ فَلَا شَيْءَ وَرَاءَهُ وَمِنَ الْأَمْثَلَةِ عَلَى ذَلِكَ مَا فَعَلَهُ النَّبِيُّ بِأَعْدَى أَعْدَائِهِ حِينَ عَادَ إِلَى مَكَّةَ فَاتَّحَا .

٣- ﴿ لَنْ تَنْفَعَكَ أَرْحَامُكَ وَلَا أَوْلَادُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ وَلَا مَصَانِعُكَ وَمَصَارِفُكَ وَأَسْلِحَتُكَ الْجَهَنَّمِيَّةُ ... أَبَدًا لَا شَيْءَ يَنْفَعُ إِلَّا الْعَمَلُ الصَّالِحُ .

٤- ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ۖ يَقُولُ سُبْحَانَكَ لِرَبِّكَ الصَّابِقِينَ تَأْسُوا بِمَنْ آمَنَ مَعَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ (ع) فَقَدْ لَاقُوا مِنَ الْجَهْدِ وَالشَّقَةِ مَا لَاقَيْتُمْ حَتَّى الْمَجْرَى مِنَ الْأَوْطَانِ ، فَصَبَرُوا صَبْرَ الْأَحْرَارِ ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ يَوْمَ الصَّابِرِينَ أَجُورُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۖ إِذْ قَالُوا ۖ إِبْرَاهِيمَ وَالضُّعَفَاءَ الَّذِينَ مَعَهُ ۖ قَوْمُهُمْ ۖ الْأَقْوِيَاءُ عِدَّةٌ وَعَدَدًا : ﴿ إِنَّا بَرَاءُؤُنَا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ ۖ أَنْتُمْ عَلَى ضَلَالٍ ، وَنَحْنُ الْمَحْضُونُونَ . وَهَكَذَا إِذَا كَانَتْ الْقَلَّةُ الْقَلِيلَةَ تَجَابَهُ أُمَّةٌ بِكَامِلِهَا شِعْبًا وَحُكُومَةً ، وَلَا تَمْلِكُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا كَلِمَةُ الْحَقِّ ۖ وَبَدَأَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تَوُفِّيَ بِلِلَّهِ وَحْدَهُ ۖ وَمَعْنَى هَذَا بِصَرَاخَةٍ أَنَّ دِينَ الْمَرْءِ لَنْ يَسْتَقِيمَ حَتَّى يَكْرِهَ فِي اللَّهِ ، وَحُبَّ فِي اللَّهِ . وَفِي الْحَدِيثِ : الْمُؤْمِنُ لَا يَخُونُ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ وَلَا يَخْدَعُهُ وَلَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَغْتَابُهُ . فَهَلْ يَنْعَظُ بِهَذَا مَنْ يَدْعِي الْإِيمَانَ وَهُوَ يَظْلِمُ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ بِالْحَقِّ وَالْحَسَدِ ؟ ﴿ إِلَّا قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ لِأَيِّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ... ۖ كَأَن سَأَلْتَنِي : كَيْفَ تَبَرَأَ إِبْرَاهِيمَ (ع)

مِنَ الْمُشْرِكِينَ عِلْمًا بِأَنَّهُ قَدْ قَالَ لِأَيِّهِ آزَرَ : سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي كَمَا فِي الْآيَةِ ٤٧ مِنْ مَرْيَمَ ؟ فَأَجَابَ سُبْحَانَهُ بِأَن آزَرَ كَانَ قَدْ وَعَدَ إِبْرَاهِيمَ بِأَن يُؤْمِنَ كَمَا فِي الْآيَةِ ١١٤ مِنَ التَّوْبَةِ « فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَأَ مِنْهُ » .

٥- ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ۖ لَا تَسْلُطْ عَلَيْنَا شَرَّارَ خَلْقِكَ ، فَيُفْتِنُونَا بِمَحْنٍ لَا تَقْوَى عَلَى حَمْلِهَا .

٦- ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ ۖ الْخَطَابُ لِلصَّابِقِينَ ، وَضَمِيرُ الْغَائِبِ لِإِبْرَاهِيمَ وَمِنْ مَعَهُ ، عَادَ سُبْحَانَهُ يُؤَكِّدُ الْأَخْذَ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلُ وَمِنْ مَعَهُ مِنَ الْإِخْلَاصِ فِي الْإِيمَانِ وَالصَّبْرِ فِي الْجِهَادِ ۖ وَمَنْ يَقُولُ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ ۖ عَنْ

الإعراب :

﴿ فِي إِبْرَاهِيمَ ۖ ﴾ متعلق بحسنة ، وقيل بمقدور صفة ثمانية لأسوة . و﴿ الَّذِينَ مَعَهُ عَطْفٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ . وَإِذْ قَالُوا « إِذْ » ظرفٌ وَالْعَامِلُ فِيهِ خَيْرٌ كَانَ الْقُدْرُ . وَ﴿ بَرَاءً ۖ ﴾ خَيْرٌ أَنْ وَدَنَا ۖ اسْمُهَا . وَ﴿ أَبَدًا ۖ ﴾ ظرفٌ زَمَانٍ لِمُسْتَفْرَاقِ الْمُسْتَقْبَلِ . وَ﴿ وَحْدَهُ ۖ ﴾ حَالٌ مِنَ اللَّهِ . وَرَبَّنَا مُنَادِيٌّ بِحُذْفِ النَّدَاءِ . وَلَنْ كَانَ يَرْجُو يَدُلُّ بَعْضُ مِنْ « لَكُمْ » بِإِعَادَةِ حَرْفِ الْجَرِّ .

لَكَ أَعْدَاءُ ۖ وَيَسْطُرُوا إِلَيْكَ أَيْدِيَهُمْ وَالسِّتْمُ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿ لَنْ تَنْفَعَكَ أَرْحَامُكَ وَلَا أَوْلَادُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكَ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۖ قَدْ كَانَتْ لَكَ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ۖ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُنَا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَأَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تَوُفِّيَ بِلِلَّهِ وَحْدَهُ ۖ إِلَّا قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ لِأَيِّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَتَيْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْزِلْنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكَ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ

العالمين ﴿الحَمِيدُ﴾ بحمده لنفسه أولاً وبحمد عباده له أولاً

٧- ﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة﴾ وذلك بأن يدخل الأعداء المشركون في دين الله ، ويتبادلوا مع المسلمين الإلفة والمودة ، والله على كل شيء قدير .

٨- ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤهم وتسخطوا إليهم﴾ لصلة المسلم بغير المسلم ثلاثة أحكام في القرآن الكريم : الحزمة والوجوب والإباحة تبعاً لنوع الصلة وكنهها (١) يحرم على المسلم أن يوالي من نصب العداة لدين الإسلام ، ويلقى إليه بالمودة بنص العديد من الآيات المقدمة ، لأن هذه الموالاة والمودة تشجيع أو رضى بالعداء لدين الله ، وفي الآية ١٤٠ من النساء «إنكم إذا مثلهم» (٢) يجب على الحاكم المسلم أن يحكم بالعدل بين أعداء الدين تماماً كما يحكم بين أبنائه ، لأن الهدف من العدل حماية الإنسان وحقوقه من الظلم من حيث هو إنسان بصرف النظر عما يدين ، وعلى هذا الأساس قال سبحانه لنبيه : «وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين» ٤٢ المائدة (٣) يسوغ للمسلم أن يبر ويحسن نصير المسلمين الذين لم يسبق أن قاتلوه أو اضطروهم للهجرة والتشريد كما تنص الآية التي نحن بصدها .

٩- ﴿إنما ينهاكم الله عن الذين﴾ ناصبوكم العداة ، وحاربوكم على الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر ، وتعاونوا

على تشريدكم من الأوطان والديار ، فهؤلاء هم الذين تحب معاداتهم ، ومن يتولم فقد ظلم نفسه ، وعصى ربه .

١٠- ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن﴾ إذا فرت زوجة الكافر منه إلى المسلمين وقالت : أتيت مؤمنة بالله ورسوله - فعلى المسلمين أن يتبينوا في أمرها ويبحثوا ، فإن تبين أنها تركت الزوج سخطاً عليه ونشوزاً منه أرجعوا إليه ، أو تركوها وشأنها - على الأقل - والإلتزام بظاهر الحال ، على أن تشهد علانية لله بالوحدانية ولمحمد (ص) بالرسالة ﴿الله أعلم بإيمانهن﴾ الظاهر للناس ، والباطن لله ﴿فإن علمتموهن مؤمنات﴾ أي نطقن بالشهادتين ﴿فلا ترجعهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن﴾ لا لقطع العصمة بإيمان الزوجة وبقاء الزوج على الكفر ﴿وأتوهم ما أنفقوا﴾ ردوا أيها المسلمون للأزواج الكفار مثل ما كانوا قد أعطوا الزوجات من المهر ، ويختص هذا بحال الهدنة بين الرسول (ص) والمشركين فقط ، وفيما عداها لا شيء للزوج لأن المهر يثبت للزوجة بمجرد الدخول ، والتفصيل في كتب الفقه ﴿ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتينكموهن أجورهن﴾ للمسلم أن يتزوج المؤمنة المهاجرة التي حرمت على زوجها المشرك ، ولكن بشرط انقضاء العدة وفرض المهر ﴿ولا تمسكوا بعصم الكوافر﴾ إذا كان الزوجان مشركين ، وأسلم أحدهما دون الآخر انقطعت العصمة بينهما ، وكذلك لو كانا مسلمين وارتد أحدهما عن الإسلام دون الآخر ﴿واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا﴾ إذا فرت زوجة المشرك مؤمنة إلى المسلمين فله كل الحق أن يطالب بمهرها ، وإذا فرت زوجة المسلم مشركة إلى المشركين فأيضاً للزوج أن يطالب بمهرها ويختص هذا الحكم بحال الهدنة بين النبي (ص) والمشركين كما سبقت الإشارة .

فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١﴾ * عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢﴾ لَا يَنْهَى اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٣﴾ إِنَّمَا يَنْهَى اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِجْرَائِكُمْ أَنْ تَتَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَوَلَيْتُكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مَهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ ۚ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهِنَّ حُلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ

١١- ﴿ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ ... ﴾

امثل المسلمون ما أمر الله به ، وأعطوا للمشارك مهر زوجته التي نفرت منه مؤمنة إلى المسلمين ، ورفض المشركون أن يعطوا للمسلم مهر زوجته التي نفرت منه مرتدة إلى المشركين ، فأمر سبحانه المسلمين أن يعوضوا على هذا المسلم ويعطوه من غنائم الحرب مع الكفار ما يعادل مهر زوجته الفارة منه ، ومعنى قوله تعالى ﴿ فَعَايِظْتُمْ ﴾ ظفرتم بالكفار وكانت العقبي لكم عليهم ، وغنمتهم منهم الأموال ، فأعطوه منها مثل ما أعطى لزوجته المرتدة .

١٢- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايِعُكَ ﴾ لما فتح رسول الله (ص) مكة بايعة الرجال على الطاعة والجهاد ، وبايعة النساء بالكلام لا باليد (١)- ﴿ عَلَى أَنْ لَا يَشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا ﴾ لا صنما ولا غيره (٢)- ﴿ وَلَا يَسْرِقْنَ ﴾ وعند هذا الشرط قالت هند أم معاوية : إن أبا سفيان شحيح وقد أصبت من ماله . فأقرها النبي على أن لا تزيد عن الحاجة (٣)- ﴿ وَلَا يَزْنِينَ ﴾ تقدم في الآية ٢ من النور (٤)- ﴿ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ ﴾ كما كانت الحال في الجاهلية ، وتقدم في الآية ٣١ عن الإساءة (٥)- ﴿ وَلَا يَأْتِينَ بِيهْتَانٍ يُفْتَرِيهِنَّ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ ﴾ أي البطن لأن مكانها وسط بين اليدين والرجلين ، والمعنى لا ينسبن لقطأ إلى الأزواج ، ولا يكذبن في الحمل والظهر والحيض (٦)- ﴿ وَلَا يَعْصِيَنَّكُمْ فِي مَعْرُوفٍ ﴾ يعملن بشريعة الله حلالها وحرامها ﴿ فَيَايِعُهُنَّ ﴾ إذا أقرن بكل ما ذكر .

وَلَا تُنْسِكُوا بِعَصَمِ الْكَافِرِ وَسَعَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ مَا أَنْفَقُوا ذَلِكَ حُكْرُ اللَّهِ بِحُكْرِ بَيْنِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَايِظْتُمْ فَعَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِءٌ مُؤْمِنُونَ ﴾ يَتَأَيَّأُ النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايِعُكَ عَلَى أَنْ لَا يَشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِيَهْتَانٍ يُفْتَرِيهِنَّ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكُمْ فِي مَعْرُوفٍ فَيَايِعُهُنَّ وَأَسْتَغْفِرُ لهنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَپْسُوْا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبْسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴾

١٣- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا ﴾ ختم سبحانه هذه السورة بما بدأها من التحذير والنهي عن موالاة أعداء الله وأعداء المسلمين ، وفي طلبتهم اليهود المعنيون بقوله تعالى ﴿ قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ ولعنهم بحقدهم على الإنسان والإنسانية جمعاء ﴿ قَدْ يَسْأَلُونَ مِنَ الْآخِرَةِ ﴾ على حذف مضاف أي من حير الآخرة وثوابها ﴿ كَمَا يَبْسُ الْكُفَّارُ ﴾ المكذبون بالبعث من عودة أصحاب القبور إلى الحياة الثانية .

الإعراب :

﴿ مهاجرات ﴾ حال من المؤمنات . و﴿ مؤمنات ﴾ مفعول ثانٍ لعلمتموهن . هنا بمعنى تردوهن ولذا عُذِيَ الفعل إلى المفعول . والمصدر من ﴿ أن تنكحوهن ﴾ مجرور بنفي مقدرة . ﴿ فبايعهن ﴾ جواب إذا جاءك . ومن أصحاب القبور المجرور متعلق بيس .

سُورَةُ الضُّحَى سَبْعُ آيَاتٍ

(١١) سُورَةُ الضُّحَى
وَأَنشَأْنَاهَا زَجْرًا عَشْرًا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَتَأَيَّبُ الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ يَقُولُوا مَا لَا
تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا
تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْسِنُونَ فِي سَبِيلِهِ
صَفًّا كَانَهُمْ بَنِينَ مَرْصُوصًا ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى
لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ
لَبِئْسَ قَوْمًا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي

١- ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ...﴾ كل مخلوق يسبح بالدلالة على وجود خالقه ، وتقدم في الكثير من الآيات ، منها في أول الحشر والحديد .

٢- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ كيف تدعون الإيمان وتكذبون في الوعد وغيره .

٣- ﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾ وهو أشد البغض ﴿عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ قال الإمام أمير المؤمنين (ع) في وصف أحد أصحابه : « كان يقول ما يفعل ، ولا يقول ما لا يفعل » . وكل من كثر كلامه قلَّ خيرُه ، ومن الحكم الخالدة . خسارة المرء بكثرة كلامه فيما لا ينفع .

٤- ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَنِيَان مَرْصُوص﴾ كناية عن الأمة أو الجماعة تلفها كلمة واحدة وتعمل بكامل أفرادها لمصلحة الجميع ، ولا يشذ منها فرد واحد لزرعة عاطفية ومصلحة شخصية .

٥- ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ لِمَ تُؤْذُونَنِي﴾ وهذا السؤال يحمل الإجابة عنه في صلبه وأصل تكوينه تماماً كما تقول : لماذا تلسع العقرب وتلدغ الحية ؟ وقد لسع ولدغ أبناء إسرائيل آباهم يعقوب وأحاهم يوسف ، وتوارث هذا التسع والتلدغ الأحفاد عن الأجداد جيلاً بعد جيل ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ انصرفوا إلى طريق الضلال ، فأخذهم الله إلى نهايته « ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نحوض مع الخائضين - ٤٥ المذثر » .

٦- ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي

الإعراب :

﴿مَقْتًا﴾ تمييز . والمصدر من ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ فاعل كبر أي كبر هذا القول مقْتًا . ﴿صَفًّا﴾ مصدر في موضع الحال من فاعل يُقَاتِلُونَ أي مصطفين . ﴿وَمَصْدَقًا﴾ حال من رسول الله . وبجمله اسمه أحد محلها الجر صفة لرسول المجرور بالباء .

رسول الله إليكم مصداقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ﴿ يعني محمداً ﴾ (ص) أعلن القرآن الكريم في هذه الآية وغيرها أن الكتب السماوية بشرت بنوّة محمد (ص) وما من أحد استطاع أن يكذب بدليل هذا التحدي ، بل اعترف المنصفون من أهل الكتاب بهذه الحقيقة كعبد الله بن سلام وغيره ، ووضع علماء الإسلام عشرات الكتب في ذلك ، منها كتاب إظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي ، وكتاب الرحلة المدرسية للشيخ جواد البلاغي ، وكتاب محمد رسول الله في بشارات الأنبياء لمحمد عبد الغفار ، وتقدم في الآية ١٤٦ من البقرة ١٥٧ من الأعراف .

٧- ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعي إلى الإسلام ﴾ ابتدأ رسول الله (ص) دعوته إلى الإسلام ، بقومه فلم يكفوا بالإعراض عنه وعنها بل تألبوا عليه وقالوا : إنه يفترى على الله ! وقولهم هذا هو عين الظلم وعين الإفتراء على الله .

٨-٩- ﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ﴾ والكون بمن فيه وما فيه فيض من نوره ﴿ والله متم نوره ﴾ بإعلاء كلمة الإسلام ومظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

١٠-١١- ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة ﴾ عرض سبحانه على عباده تجارة يربحون بها النجاة من غضبه وعذابه ، والفوز بمراضاته وثوابه ، وهي أن تلتب قلوبهم بحرارة الإيمان والإخلاص ، ويسخروا بأموالهم وأنفسهم وسائر دنياهم من أجل العمل بما يدينون ويعتقدون ، لا يحرفون ويزيفون عقيدة ولا مبدأ تبعاً للأهواء والأغراض ، ومتى توافرت هذه الصفات .

١٢- ﴿ يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات ﴾ فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

اللغة:

المراد بالاسلام هنا الاستسلام لأمر الله والانقياد لأوامره ونواهيه . والمراد بنور الله دينه وبراهينه . وأفواههم كناية عن أكاذيبهم وأباطيلهم . ومتن مظهر وحواريو الرجل خاصته . وظاهرين غاليين .

الإعراب :

﴿ وهو يدعي إلى الاسلام ﴾ الجملة حال . ومفعول يريدون محذوف . والمصدر ﴿ من ليطفئوا ﴾ مفعول لأجله مع ذكر اللام أي يريدون الافتراء لأجل إطفاء نور الله . والله متم نوره الجملة حال . و﴿ يغفر ﴾ بالجزم جواباً لتؤمنوا لأنه أمر بصيغة الخير أي آمنوا بغفر لكم . و﴿ يدخلكم ﴾ ظرف على جنات . يغفر و﴿ مساكين ﴾ عطف على جنات .

إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٤﴾ يَتَأَيَّاسُ الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُجِبْكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٥﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ

تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ
ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَأُخْرَىٰ يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ
وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴿١٤﴾ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ يَتَأْتِيهِمُ اللَّهُ
كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِّلْحَوَارِثِ مَنْ
أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِثُ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَطَامَتِ
طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٦﴾

(١٦) سُورَةُ الْجُمُعَةِ مِائَتَانِ
وَأَسْمَانَهَا اخْدَى عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ

١٣- ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾
هذه بشارة من الله تعالى إلى الصحابة بالنصر على أعدائهم ،
ودخول مكة التي أخرجوا منها بالقهر والغلبة .

١٤- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ
عِيسَى ... ﴾ أمر سبحانه الصحابة أن يكونوا مع رسول الله
كما كان الحواريون مع عيسى ، وهو يعلم ، تقلعت كلمته
أنه كان في الصحابة فريق أشد حياءً وإخلاصاً لمحمد من
الحواريين ، ولكنه تعالى أراد الذين يتخوفون من الجهاد ،
ويتناقلون إذا سمعوا الدعوة إليه ﴿ فَأَمَّتْ طَائِفَةٌ ﴾ عيسى
وأنه عبد الله ورسوله ﴿ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ ﴾
بنبوته ، ورمت أمة بما يهتر له العرش ، وهم اليهود ﴿ فَأَيَّدْنَا
الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ بالحجة والبرهان ،
وتنزيه القرآن للسيدة العذراء من الرجس والدنس ، وغير ذلك .

سُورَةُ الْجُمُعَةِ مِائَتَانِ وَخَمْسُونَ آيَةً
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ ... ﴾ قال سبحانه : يُسَبِّحُ تَارَةً ،
وتارة سُبْحَ إشارة إلى دوام تنزيهه في كل حين ﴿ الْمَلِكِ ﴾
الذي لا أحد يملك معه شيئاً ﴿ الْقُدُّوسِ ﴾ المنصف بالكمال

الإعراب :

وأخرى مبتدأ والخبر محذوف أي ولكم أخرى ، وجملة تحبونها صفة لأخرى . و﴿نصر﴾ بدل من أخرى .
﴿منهم﴾ متعلق بمحذوف صفة للرسول . وجملة ﴿يتلو﴾ صفة ثانية . و﴿آخرين﴾ عطف على الاميين . ولما أي لم .
﴿يتلو﴾ صفة ثانية . و﴿آخرين﴾ عطف على الاميين . ولما
أي لم .

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا
مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَي ضَلَالِينَ ۝ وَنَحَرِينَ
مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ ذَلِكَ
فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝
مِثْلُ الَّذِينَ حَمَلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمِثْلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ
أَسْفَارًا ۖ يَسْأَلُ مِثْلَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝ قُلْ يَتَّيْبُهَا الَّذِينَ هَادُوا
إِنْ زَعَمْتُمْ أَنكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا
الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا
قَدَّمْتُ أَيْدِيهِمْ ۖ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۝ قُلْ إِنْ الْمَوْتُ
الَّذِي تَفَرَّقُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلَمِ الْغَيْبِ

المطلق ۝ العزيز الحكيم ۝ القاهر المنصرف بالحكمة .

٢- ۝ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم ۝
المراد بالأميين هنا العرب ، لأن الكثرة الكاثرة منهم كانوا
يجهلو القراءة والكتابة ، وكان محمد (ص) من هذه الكثرة
رجلاً أمياً ، ومع ذلك ما زالت رسالته تلقي مع الحياة وتقدمها
في كل زمان ومكان ۝ يتلو عليهم آياته ويوحيهم ۝ يظهر
نفوسهم من الرذائل ، وعقولهم من الجهل ، وأعمالهم من
الجرائم ۝ ويعلمهم الكتاب ۝ الذي يخاطب العقل ،
ويحترم العلم ، ويقدر الإنسان ، وينبذ التقليد ۝ والحكمة ۝
من الإحكام بوضع الشيء في موضعه ، وهي بهذا التعريف
تقتضي العلم بما ينبغي فعله أو تركه في الزمان والمكان المناسب ،
وهذه الآية تحدد رسالة محمد (ص) والإسلام معاً لأنها
شيء واحد ، وتفسر الدين بالحق بأنه لخير الإنسان وهدايته
إلى ما يبحث عنه وينطلق إليه من مستوى أصلح لحياته وأفع ،
ومثل هذه الآية قوله تعالى : « يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن
المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع
عندهم إصراً والأغلال التي كانت عليهم ١٥٧ الأعراف » .

٣- ۝ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم ۝ هناك أناس غير
العرب الأميين سيأتون مع الزمن والأجيال ، ويؤمنون بمحمد
(ص) ورسالته لأن رسالته ليست عربية وكفى بل هي إنسانية
وعالمية .

٤- ۝ ذلك فضل الله ۝ إشارة إلى رسالة محمد (ص)
وأنها نعمة عظمى من الله على عباده .

٥- ۝ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل كمالاً ۝
الغاية من العلم العمل بموجبه ، ولا
فوق بين من تعلم ولم يعمل وبين الحمار يحمل الكتب على ظهره ، هذا لا ينتفع بما يحمل ، وذلك لا يعمل بما تعلم ،
وضرب سبحانه هذا المثل لليهود في أخذهم التوراة وعدم العمل بموجبها ومثلهم المسلمون أيضاً لأنهم « اتخذوا هذا
القرآن مهجوراً » ٣٠ الفرقان وعين الشيء المسيحيون والإنجيل ۝ يش مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله ۝ وهم اليهود
كذبوا محمداً (ص) والتوراة وغيرها من الدلائل تنطق بنبوته .

٦- ۝ قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله ۝ وشعبه المختار من دون العالمين ، وأن الجنة لكم وحدكم ،
فاسألوا الله سبحانه أن يقيض إليهم أرواحكم ويقلكم من دنياهم إلى فردوس الجنان .

٧- ۝ ولا يمتنعون أبداً بما قدمت أيديهم ۝ أي لعلمهم أنهم أعداء الحق وأشقى من شر الخلق .

٨- ۝ قل إن الموت الذي تفرون منه ۝ نازل بكم لا محالة ۝ ثم تردون ۝ إلى الله ، وتقفون بين يديه لنقاش

الإعراب :

۝ مثل ۝ فاعل بش . ۝ الذين كذبوا ۝ صفة للقوم ، والمخصوص بالذم محذوف أي بش مثل القوم الذين كذبوا مثلهم . وجمله فإنه
ملاقيكم خير إن الموت .

الحساب ﴿ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ من الغدر والمكر وإثارة الفتن والعداء بين الأمم .

٩- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ... ﴾ صلاة الجمعة من حيث هي واجبة بالإتفاق ، وإنما الخلاف بين المذاهب الإسلامية : هل تجب مطلقاً أو مع وجود السلطان ؟ قال الشيعة الإمامية والحنفية : وجود السلطان شرط ، ولكن الإمامية اشترطوا عدالته ، واكتفى الحنفية بوجوده وإن لم يكن عادلاً ، وقال الشافعية والمالكية والحنابلة : تجب مطلقاً وجد السلطان أو لم يوجد . والتفصيل في كتب الفقه ﴿ وَذُرُوا الْبَيْعَ ﴾ اتركوا كل تصرف يصد عن صلاة الجمعة بيعاً كان أم غيره ، وإنما ذكر سبحانه البيع بالخصوص لأنه يفوت - في الغالب - بفوات وقته ، أو لأن المشتغلين في التجارة أكثر من غيرهم .

١٠- ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ سَبْعًا لِلرَّزْقِ وَالْعِشْرِ مَتَكَلِّينَ عَلَىٰ مِنْ فِي يَدِهِ مَقَالِيدَ الْأُمُورِ .

١١- ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ﴾ يا محمد قائماً ، وتشير هذه الآية إلى حادثة خاصة ، وهي أن النبي (ص) كان يخطب لصلاة الجمعة ، فجاءت إبل إلى المدينة تحمل الطعام ، فترك أكثر الصحابة المسجد ، ولم يبق حول النبي إلا القليل ، فأمر سبحانه النبي أن يبلغ المنصرفين عنه وعن الصلاة بأن ﴿ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ التِّجَارَةِ ﴾ الصلاة ساعة فما دونها ، والتجارة ساعات ، فالجمع بينهما سهل يسير ، والرزق بيده تعالى والصلاة لا تنقص منه شيئاً ، ومرضاة الله والرسول خير وأبقى .

وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١٢﴾

(١٣) سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ مَدَنِيَّةٌ وَأَيُّهَا أَخَذَ عَلَى عَشْرَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ

سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ مَدَنِيَّةٌ وَأَيُّهَا أَخَذَ عَلَى عَشْرَةِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ الذين نطقوا بكلمة الإسلام ، وهم أعدى أعدائه ﴿ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ

الإعراب :

قال ابن هشام في كتاب المغني : تأتي من مرادة لفي ، واستشهد بقوله تعالى : من يوم الجمعة أي في يوم الجمعة . كُسرَ همزة إن بعد يعلم ويشهد لأن اللام دخلت على خبرها .

وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَنَفِّينَ
لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا
ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾
* وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا
تَسْمِعَ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ
صِيحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَادُوا فَاحْذَرهُمْ فَكَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنْ
يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ
رَسُولُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ رُءُوسَهُمْ وَرَأْيُهُمْ يَصْطَدُونَ وَهُمْ
مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سِوَاءَ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ
تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ

الله ﴿ خوفًا على أنفسهم وأموالهم ﴾ والله يعلم أنك لرسوله ﴿ حقًا لأنه الذي أرسلك رحمة للعالمين ، وأيضًا يشهد سبحانه على أن المنافقين هم الضالون المخادعون في إظهار الإسلام وإعلانه .

٢- ﴿ اتخذوا أيمانهم جنة ﴾ يحلفون بالله أنهم مسلمون نقية لا حقيقة ﴿ فصلوا عن سبيل الله ﴾ صدق المنافقين من يجهل هويتهم ، فافتدى بهم في بعض ما يفعلون .

٣- ﴿ ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا ﴾ أعلنوا الإيمان بالسنتهم ، فصدقهم الناس وما أسرع ما ظهر كفرهم فلأمنوا على كل لسان ﴿ قطع الله على قلوبهم ﴾ هي في قلب دائم وتذبذب مستمر ، ومن كانت هذه حياته فلا يهتدي إلى خير .

٤- ﴿ وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم ﴾ جمال في المنظر ، وقبح في المخبر ﴿ وإن يقولوا تسمع لقولهم ﴾ ولكن لا تجد له أي أثر في نفسك لأنهم ﴿ خشب مسندة ﴾ بلا قلب وشعور ، وإذا لم يصدر الكلام عن قلب فلا يؤثر في شيء ، لأن الناس يتفاهمون بما يعبر عن القلوب والأفكار ﴿ يحسبون كل صيحة عليهم ﴾ جبناء يرتعدون من كل شيء ، ويتوقعون القضية والضربة القاضية بين آن وأن حتى ولو نادى البائع على سلعته لظنوا أن الواقعة نزلت على رؤوسهم ﴿ هم العدو فاحذروهم ﴾ ومن الخطبة ١٩٢ من خطب نهج البلاغة : أحذركم أهل النفاق فإنهم يمشون الخفاء ، ويدبّون الضراء ، قولهم شفاء ، وفعلهم الداء العياء .

٥- ﴿ وإذا قيل لهم تعالوا ﴾ إلى التوبة عند رسول الله وطلب المغفرة منه - احتقروا هذا القول ومن قاله .

٦- ﴿ سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر ... ﴾ إن الله غفور وسعت رحمته وتسع كل شيء إلا من أبابها ويتكبر عليها ، وليس من الرحمة ولا من الحكمة أن تكرم من لا يقبل الكرامة .

٧- ﴿ هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول

الإعراب :

و لولاها لكانت مفتوحة . ﴿ وما كانوا يعملون ﴾ وما مصدرية والمصدر المنسبك فاعل ساء أي ساء عملهم . ودخلت اللام على « قولهم » لأن تسمع تتضمن معنى تصغي . وجلة كأنهم مستأنفة أو خير لبتدا بحذف أي هم كأنهم . ﴿ وعليهم ﴾ متعلقة بحذف مفعولاً ثانياً ليحسبون . ﴿ وإن ﴾ موضعها النصب على الحال إذا كانت بمعنى كيف وعلى المفعول المطلق إذا كانت بمعنى أي وعلى الظرفية إذا كانت بمعنى أين ﴿ وسواء ﴾ مبتدا وعليهم متعلق به لأن سواء بمعنى مستو ، ﴿ واستغفرت ﴾ أصلها استغفرت والهزمة للتوسية لا للاستفهام ولذا صح وقوعها خبراً للمبتدا . وقيل : سواء خبر مقدم والفعل مؤول بمصدر مبتدا مؤخر . ونحن لا نرى وجهاً لهذا التأويل حيث لا توجد أداة مصدرية ، والمعنى يصح بدون تأويل .

الله حتى ينفضوا ﴿٦٣﴾ كان أغنياء الصحابة ينفقون على فقرائهم ، فطلب منهم المنافقون أن يسكوا أيديهم عسى أن ينصرف المعززون عن رسول الله ، ويضعف شأن الإسلام ، فرد سبحانه على المنافقين بقوله : ﴿٦٤﴾ والله خزائن السموات والأرض ﴿٦٥﴾ خلق سبحانه للرزق العديد من الأبواب ، فإذا أغلق باب منها على عبد فتح له أبواباً من خزائن ملكه ورحمته

٨- ﴿٦٦﴾ يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ﴿٦٧﴾ هذه الكلمة الكافرة الفاجرة نطق بها رأس النفاق عبد الله بن أبي حنيفة كان المسلمون في غزوة بني المصطلق ، وكان هذا النفاق قد خرج معهم طمعاً في الغنيمة ، وهو يريد بالأعز نفسه ، وبالأذل النبي (ص) وأنه متى عاد إلى المدينة أخرج منها رسول الله بالقوة ، وكان لعبد الله بن أبي ولد صادق الإيمان ، أيضاً اسمه عبد الله ، فشهّر السيف على أبيه وقال : والله لن أدعك أبداً حتى تقول : رسول الله هو الأعز وأنا الأذل ، ولما علم رسول الله بذلك قال له : دع أباك ، فقد عفوت عنه ، فتركه .

﴿٦٨﴾ والله العزة والرسولة للمؤمنين ﴿٦٩﴾ هذا ردّ على المنافقين الذين نعت نفسه بالأعز والرسول الأعظم بالأذل ، والمعنى العزة ذاتاً وأولاً هي لله سبحانه لكمال المطلق الذي لا يوازيه غيره فيه ، وهي ثانياً للرسول وللمؤمنين المخلصين ، لأن العزة بمعناها الشامل تتم عزة النفس بتزويدها عن الدنيا والآهواء والغرور والكبرياء ، وفي المقصد الأسنى للغزالي ص ٣١ منشورات مكتبة الجندي ما معناه أن المؤمن العالم بالله يُكبر ويُعظم فيه من صفات الجلال والكمال ، ويشوق إلى الإنصاف بشيء منها على قدره وبحسبه جهد المستطیع ، ليكون عند الله سبحانه بمنزلة الملائكة القربين .

٩- ﴿٧٠﴾ يا أيها الذين آمنوا لا تلهمكم أموالكم ولا أولادهم عن ذكر الله ﴿٧١﴾ وجهاد أهل البني أفضل الذكر على الإطلاق ، لأنه قوة للحق وعزة لدين الله .

١٠- ﴿٧٢﴾ وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت ﴿٧٣﴾ من تهاون وأهل إخراج ما في أمواله من زكوات وأخماس ، وظهرت عليه دلائل الموت وإماراته - فليبادر إلى دأنها والوفاء بها قبل أن تخرج الروح من جسده وإلا انتهبا الوراث ، فبكون المهنتا لغيره والعبء على ظهره .

١١- ﴿٧٤﴾ ولن يؤخر الله نفساً ... ﴿٧٥﴾ العمر لا يعود . والأجل لا يمهل ، ولا مفر مما هو آت .

الإعراب :

﴿٦٤﴾ فاعل ليُخرجن ﴿٦٥﴾ والأذل مفعول ، ونون مُخرجن للتوكيد . ﴿٦٦﴾ أي يا ربي . ولولا هلا . وأصل فأصدق فأتصدق وعلها النصب بأن مضمرة بعد الفاء في جواب لولا . وأكن أي ان أخرتني أكن .

عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا ۖ وَاللَّهُ خَرَأَ ابْنُ السَّمْنَوَاتِ
وَالْأَرْضَ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٣﴾ يَقُولُونَ
لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ
وَاللَّهُ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ ۚ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ
وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ
هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٥﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ
أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي
إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدَقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٦٦﴾
وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ
بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٧﴾

سُورَةُ النَّجْمِ مكية ثمان وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿يَسِّحُ اللَّهُ...﴾ هذه السورة هي آخر المسبحات ،
وتقدم الكلام على تسبيح المخلوقات . واستعزنا هذا التعبير
من ابن كثير .

٢- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾
الإنسان مسيرٌ تشريعاً ومخيرٌ تنفيذاً أي الله الأمر والنهي ،
وللعقل الحكم بالسمع والطاعة ، وللإنسان القدرة على أن
يؤمن ويكفر ، ولكن عليه أن يختار الإيمان ، ويعمل بموجبه ،
ويشكر الله على الهداية ، وبكلمة : التشريع دكتاتورية ،
والتنفيذ ديمقراطية ، ولكن في حدود التشريع العادل حيث
لا حرية ولا ديمقراطية لأعداء الحق والإنسانية .

٣-٤- ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ بنظام
محكم يدل على قدرته تعالى ، ولحكمة بالغة تدل على حسن
التقدير وإتقان التدبير ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾
كمال في الأعضاء والعقل ، وجمال في الصورة والشكل ،
وتقدم في الآية ١٤ من «المؤمنون» .

٥-٦- ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾
أنكذبوا محمداً في دعوته ، وقد سمعتم ما حلَّ بالأمم الماضية
من نكال ووبال لأنها كذبت بالحق ؟ وتقدم مرات ، منها

(٦٤) سُورَةُ النَّجْمِ مكية ثمان وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسِّحُ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ
وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي
خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ
فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا
مِنْ قَبْلُ قَدَأَوْا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَمَنْ عَذَابُ أَلِيمٌ ﴿٥﴾

إشارة:

الإنسان - في نظر الاسلام - بحريته ولرادته ، ولا إنسانية بلا حرية .. فله أن يختار الإيمان حتى ولو كان أبواه كافرين ، وأن يختار الكفر حتى ولو كان أبواه مؤمنين ، ولا يجبر على أحدهما دون الآخر .. أبداً لا إكراه في الدين ولا بطل التكليف والحساب والثواب ، وبعد أن أعطى سبحانه لعبده الحرية التي يكون بها انساناً أمره بالإيمان وفعل الخير ، ونهاه عن الكفر وفعل الشر ، وأقام له الأدلة على حسن ما أمر به وقيح ما نهى عنه - من عقله وفطرته ، فأمن بعض الناس وكفر آخرون ، والله عليم بإيمان من آمن وكفر من كفر ، ولكل حسب إيمانه وعمله من الثواب والعقاب .

الإعراب :

الضمير في «بأنه» للشأن . وجملة تأنيهم خبر مقدم وكانت ورسلمهم اسما . ويشر مبتداً وجملة يهدوننا خبر ، وجاز الابتداء بالنكرة لكان الاستفهام .

الآية ٧٠ من التوبة ﴿فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْمُونَنَا﴾ أنكروا أن يكون الرسول بشراً ، ولم ينكروا أن يكون الإله حجراً ١ .

٧- ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثَ﴾ ولا أساس لهذا الزعم إلا الجهل بالجهل ﴿قُلْ﴾ يا محمد : ﴿يَلَىٰ وَرَئِي﴾ هذا القسم تأكيد من النبي لصدقه في دعوته . أما الدليل على البعث فهو ﴿وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ لأن من أنشأ الخلق من لا شيء يهون عليه أن يجمع عظامه وأعضائه بعد فواتها وتقدم مرات ومرات .

٨- ﴿فَأَمَّا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّوْرُ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ القرآن والإسلام نور ، لأنه لا يرى مخلوقاً أشرف من العقل . ولا أنفع من العلم ، ولا أقدس وأكرم من الإنسان حتى ولو كان بلا عقل وعلم ، وإن جمع بينهما وعمل بهما فلا شيء فوقه إطلاقاً إلا خالقه ونخالق كل شيء .

٩- ﴿يَوْمَ نَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ ذلك يوم التغابن ﴿سُمِّيَ﴾ يوم القيامة يوم الجمع حيث يجمع سبحانه الخلائق للحساب والجزاء . ويوم التغابن ، لأن الطبيب الصالح هو الغابن الراجح والخبيث الفاجر هو المغبون الخاسر ، ذلك بأن الأول جاهد نفسه وكبحها عن الشهوات أياماً أو ساعات وفاز بنعيم الأبد وإلى هذا أشار سبحانه بقوله : ﴿وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ والثاني أطلق العنان لشهوته بعض الحين ، ومنها إلى الخلود في العذاب الأليم ، كما قال عزَّ من قائل :

١٠- ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبَشَ الْمَصِيرِ﴾ وتقدم عشرات المرات .

١١- ١٣- ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ المصيبة الكونية كالزلازل هي من الله ، والمصيبة الاجتماعية كالفساد في الأرض هي من الإنسان بنص الآية ٣٠ الشورى : ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ وتقدم في الآية ٢٢ من الحديد وغيرها ﴿وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ يعامل سبحانه العبد بما يختاره لنفسه ، فهو مع السالك سبيل الرشاد ، وعلى من سلك طريق الفساد ، وتكرر ذلك مرات ، آخرها في الآية ٥ من الصف .

الإعراب :

﴿أَنْ﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي انهم لن يبعثوا ، والمصدر ﴿سَادَ﴾ مسدّ مفعولي زعم . وإذا وقعت «بل» بعد النفي تبطله ، ويكون ما بعدها مثبتاً . يوم يجمعكم «يوم» ظرف متعلق بينيئون ، ويجوز أن يكون مفعولاً لفعل مقدر أي اذكروا يوم يجمعكم . وصاحاً صفة لمقدر أي عملاً صالحاً . وخالدين حال . وأبدأ ظرف مؤكد للخالدين ومتعلق به . وبش المصير المخصوص بالنم محذوف أي مصيرهم . ما أصاب من مصيبة «ما» نافية «ومن» زائدة .

١٤- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ
عُلُوا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ قال أهل التفسير : إن قوماً من
مكة أسلموا ، وأرادوا الهجرة إلى رسول الله (ص) فنعهم
أزواجهم وأولادهم فزلت هذه الآية تحذر من طاعة الأزواج
والأولاد . ويلاحظ بأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق
سواء أكان المخلوق رحماً أم غير رحيم ؛ وأيضاً لا بأس بالطاعة
في غير معصية لأي كان ويكون ، وعلى أية حال فالذي
نقصه من الآية أن على المؤمن أن يكون قوياً في دينه لا يتنازل
عنه مهما كانت المغريات والشفاعات ﴿ وَإِن تَغْفُوا وَتَصْفَحُوا
وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ أجل ، على رب الأسرة أن
يرفق بها ، ويتسامح معها فيما يعود إلى حقوقه الخاصة ، لا
إلى حق الله وطاعته .

١٥- ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتْنَةٌ ﴾ أي بلاء واختبار
وفسر الإمام أمير المؤمنين هذه الآية بقوله : « ومعنى ذلك
أنه يجتبرهم بالأموال والأولاد ليتبين الساخط لرزقه والراضي
بقسمه ، وإن كان سبحانه أعلم بهم من أنفسهم ، ولكن
لتظهر الأفعال التي بها يستحق الثواب والعقاب .

١٦- ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ استدل بعض الفقهاء
بهذه الآية على أن فاقد الطهورين يصلي بلا وضوء وتيمم تماماً
كمن فقد الساتر يصلي عارياً ، وإذا ترك وجب عليه القضاء ،
وفي رأينا أن الصلاة تسقط عنه أدائه وقضاءه لأن المشروط عدم
عند عدم شرطه ، وإنما وجبت الصلاة على العاري بالنص ،
ولا نص في فاقد الطهورين ، فالأصل محكم ولا حاكم عليه .

ومعنى الآية : على المرء أن يتقى معاصي الله بمقدار جهده ، فإذا تضرر من الإمتثال سقط التكليف ، شريطة أن تقدر
الضرورة بقدرها كأكل الجائع من الميتة والتصرف بمل الغير إلا إذن منه لإتخاذ غريق أو إطفاء حريق ﴿ واسمعوا ﴾
تفقهوا في الدين ﴿ وأطيعوا ﴾ اعملوا بما تعلمون ﴿ وأنفقوا ﴾ المال والعلم ، وبالإختصار تعلموا وعلموا واعملوا ، ومن أهم
الأعمال بذل الفضل من المال في الخير والصالح العام ﴿ ومن يوق شح نفسه ﴾ إسماها وحرصها ، وتقديم بالحرف
الواحد في الآية ٩ من الحشر .

١٧-١٨- ﴿ إِن تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يَضَاعَفْ لَكُمْ ﴾ تكرر هذا في العديد من الآيات ، والهدف الأول
والأخير هو تأكيد الحجة والمسؤولية على أرباب المال ، وأنهم شركاء في كل جريمة سببها الفقر والعوز .

يَكُلْ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ
فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿
اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿
يَتَأَيَّاسُ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَدِكُمْ عَدُوًّا
لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ
اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتْنَةٌ
وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ
وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرَ مَا أَنْفَقْتُمْ وَمَنْ
يُوقِ شَحْنَفِهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُفْلِحُونَ ﴿ إِن
تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يَضَاعَفْ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ
شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿

الإعراب :

﴿ من أزواجكم وأولادكم ﴾ « من » للتبويض . ﴿ ما استطعتم ﴾ « ما » مصدرية ظرفية أي مدة استطاعتكم ﴿ خيراً ﴾ خبر يكن مقدرة أي
انفقوا يكن الاتفاق خيراً ، أو نعت لمصدر محذوف أي اتفاقاً خيراً .

(٦٥) سُورَةُ الطَّلَاقِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا أَنْتَ بِحَشَّةٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ
وَاحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ
بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ
حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ
لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا فَإِذَا بَلَغَ
أَجَلُهَا فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ
وَأَشْهَدُوا دَوَى عَدْلِ مَنكُمُ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ
يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ

سُورَةُ الطَّلَاقِ مَكِّيَّةٌ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْفَتْوَى
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ ﴾
الخطاب للنبي (ص) والمقصود كل مكلف ، والمراد بالعدة
هنا أن تحيض الزوجة ، وتطهر من الحيض ، ولا يقرها الزوج
في طهرها هذا ، وعندئذ يطلق إذا أراد ، واتفقت المذاهب
على أن الطلاق من غير هذا الشرط محظور في ذاته ، ولكن
قال السُّنَّةُ : إذا طلق الزوج في حال الحيض أو في طهر الواقعة
يلزم الطلاق . وقال الشيعة الإمامية : بل يقع لغواً ﴿ واحصوا
العدة ﴾ ابتداءً وانتهاءً ، لأن لها أحكاماً تخصها كالنفقة والرجوع
عن الطلاق أو البذل والمنع من الزواج ، إلى غير ذلك مما
ذكره الفقهاء في كتبهم ﴿ لا تخرجوهن من بيوتهن ولا
يخرجن ﴾ تبقى المطلقة الرجعية في بيت سكنها مدة العدة ،
ولا يحق للمطلق أن يخرجها منه ، ولا يسوغ لها الخروج
﴿ إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ﴾ تبقى في البيت حتى يثبت
عليها أنها زنت فطرد منه عندئذ ﴿ وتلك حدود الله ﴾
إشارة إلى شروط الطلاق وأحكامه ﴿ ومن يتعد حدود الله
فقد ظلم نفسه ﴾ من تجاوز حلال الله وحرامه فقد جنى على
نفسه بنفسه ﴿ لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً ﴾
المراد بهذا الأمر المراجعة أي أن الحكمة باستبقاء المطلقة في
بيت سكنها - التوقع بأن يتغير رأي الزوج وتحدث له الرغبة
في مراجعتها .

٢- ﴿ فَإِذَا بَلَغَ أَجَلُهَا فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾
إن شاء راجع وعاشر ، وإن شاء ترك إلى غير رجعة ، وفي الحالين عليه أن يلتمز بالمعروف والمألوف ﴿ وأشهدوا ذوي
عدل منكم ﴾ قال فقهاء السنة كلهم أو جلهم : يجب الإشهاد على الزواج دون الطلاق ، ومن هنا فسر فريق منهم هذه
الآية بالإشهاد على الرجعة لأنها زواج أو في منزلته ، وقال فقهاء الشيعة : يجب الإشهاد على الطلاق دون الزواج ،
وفسروا هذه الآية بالإشهاد على الطلاق دون الرجعة ، وهناك قول ثالث بوجود الإشهاد على الزواج والطلاق والرجعة .
ذكره ابن كثير في تفسير الآية التي نحن بصددناها ﴿ وأقيموا الشهادة لله ﴾ لا لمرضاة الشهود له ، ولا نكاية بالمشهود عليه
﴿ ذلكم يوعظ به ﴾ إشارة إلى شروط الطلاق ، ومنها الإشهاد عليه ، والمؤمنون هم الملتزمون بها ﴿ ومن يتق الله

الإعراب :

﴿ لعدتهن ﴾ على حذف مضاف أي لزمان عدتهن ، ومعناه أن الطلاق مقيد بزمان معين ويأتي التفصيل ، وعليه تكون اللام للتوقيت
مثل كتبه خمس ليال بقيت من شهر كذا والمجرور متعلق بطلقوهن . والمصدر من أن يأتين متعلق باب السببية المقدرة أي بسبب اتیان
الفاحشة . واللائي يشن مبتدأ أول ، فعدتهن مبتدأ ثان وثلاثة أشهر خبره ، والجملة خبر الأول . ﴿ وإن ارتبتم ﴾ اعتراض . ﴿ واللائي لم
يحصن ﴾ مبتدأ والخبر محذوف أي فعدتهن كذلك . ﴿ وأولات الاحمال ﴾ مثل واللائي يشن . وأجرأ مفعول يُعظم على معنى يعطيه أجرأ
عظيماً .

يجعل له مخرجاً ﴿ كان النبي (ص) يتلو هذه الآية مكرراً ومردداً ويقول : « لو أن الناس كلهم أخذوا بها لكفتم » وقال الإمام أمير المؤمنين (ع) : « لو أن السموات والأرض كانتا على عبد رقاً - سداً - ثم اتقى الله لجعل الله له منهما مخرجاً » أبداً لا خوف على من يتقى الله في معاصيه حتى ولو أطبق عليه الكون بما فيه ومن فيه ، وأيضاً هو لا يخاف ما دام على يقين بأن الله لا يعجزه شيء ، وفي الحديث : والله الذي لا إله إلا هو ما أعطي مؤمن قط خير الدنيا والآخرة إلا بحسن ظنه بالله ورجائه له .

٣- ﴿ ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ لا يخطر له على بال ، وأيضاً قد يذهب من غير احتساب ، وما من حقير أو خطير يقع في الكون إلا والله فيه قضاء وتديب ﴿ إن الله بالغ أمره ﴾ ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ﴿ قد جعل الله لكل شيء قدراً ﴾ تصميماً وتوقيتاً ، فلا صدقة وشبهة ، ولا عبث وباطل ﴿ واللاتي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر ﴾ إذا انقطع الدم عن المرأة ، ولا نعلم السبب الموجب لذلك : هل هو الكبر والتقدم في السن أو عارض صحي وما أشبه - فتعدت هذه بثلاثة أشهر إذا طلقت ، وعليه يكون معنى ﴿ إن ارتبتم ﴾ إن شككت في وضعها لا في حكم عدتها فقط .

٤- ٥- ﴿ واللاتي لم يحضن ﴾ من الشابات اللاتي نعلم ولا نشك إطلاقاً في عدم بأسهن ، ولكن ما رأينا الدم ، فأيضاً عدتهن ثلاثة أشهر كالمشكوك في بأسهن ، والتفصيل ، اتفق الشيعة والسنة على أن عدة المطلقة الحامل وضع الحمل ، وقال الشيعة : بل تعدت بأبعد الأجلين من وضع الحمل والأربعة أشهر وعشرة أيام ، وتقدم في الآية ٢٣٤ من البقرة .

٦- ﴿ استكوهن من حيث سكتن من وجدكن ﴾ يضم الواو وسكون الجيم ، والمراد به الطاقة والسعة في المال ، وتأمر هذه الآية المطلق أن يحسن معاملة المطلقة الرجعية معاشرته وإنفاقاً من المسكن والمأكل والملبس تبعاً لطاقته المادية ﴿ ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن ﴾ لا تسيئوا معاملة المطلقة لتلجئوها إلى ترك المسكن والخروج منه قبل مضي العدة ﴿ وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن ﴾ إذا طلقها وهي حامل وجبت لها النفقة حتى تضع حملها سواء أكان الطلاق رجعياً أم بائناً ﴿ فإن أرضعن لكم فأتوهن أجورهن ﴾ إذا وضعت الحامل وليدها فلا تجبر على إرضاعه إلا إذا انحصر بها ، فإن أرضعته استحققت أجر مثلها سواء أكانت في عصمة والد الرضيع أم لم تكن ﴿ وأنتمروا بينكم بمعروف ﴾ يأمر سبحانه الآباء والأمهات أن تكون كلمتهم وأمورهم واحدة في مصلحة الطفل ، ولا يتخذوا منه وسيلة لأي شيء يضر به ﴿ وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى ﴾ إذا طلبت الأم على الرضاع أكثر من أجرة المثل - فلا بد أن يسترضع غيرها .

الله يجعل له مخرجاً ﴿ ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴿ إن الله يبلغ أمره ﴾ قد جعل الله لكل شيء قدراً ﴿ واللاتي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللاتي لم يحضن وأولت الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً ﴿ ذلك أمر الله أنزله ﴾ إليكم ﴿ ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً ﴿ استكوهن من حيث سكتن من وجدكن ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فإن أرضعن لكم فأتوهن أجورهن وأنتمروا بينكم بمعروف وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى ﴿ لينفق

٧- ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ...﴾ تُقَدَّرُ نفقة الزوجة بطاقة الزوج يُسَرُّ أو عُسِرَ ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ وهل من عاقل على وجه الأرض يلوم أو يحاسب آخر على شيء لا يمت بسبب قريب أو بعيد إليه ولا إلى طاقته ؟ وتقدم في الآية ٢٨٦ من البقرة وغيرها ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ كل شيء يتغير شئنا أم أبينا

٨- ١٠- ﴿وَكَانَ مِنْ قَرِيبَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ ...﴾ أبت إلا التمرد والبغي على الحق وأهله ، ولم تستجب لوصي أو عقل ، فحاسبها سبحانه حساباً شديداً ، وعذبا عذاباً أليماً ، تقدم مرات ومرات ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ انهضوا ثائرين على الطغاة ، واستردوا منهم حقوقهم المسلوبة ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي بحثوا وسعوا وراء الحق ومعرفة ﴿قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ القرآن الكريم رسولاً أي ارسل

١١- ﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مَبِينَاتٍ﴾ ليست المسألة تلاوة آيات وحدها ، ولا قراءة عظات وكفى ، ولا أسلوباً عصرياً أو رجعياً ، وإنما السر كل السر يكمن في عظمة القرآن وأسراره وفي شخصية الداعي والقائد المدبر والمنفذ ، ولو تلى القرآن وآياته على الناس غير محمد ، أو جاء إليهم محمد بغير هذا القرآن - لما حدث ما حدث في شرق الأرض وغربها ، لقد أذهلت وأدهشت شخصية محمد (ص) العلماء الأجانب الذين يهتمون بالدراسات الإنسانية ، وقالوا عنها الكثير حتى رسم لها برناردشو هذه الصورة : « لو تسلم محمد زمام الحكم المطلق اليوم لحل مشكلات العالم بأسره ، وحقق له السلام والسعادة المشودة » ومن هنا كان محمد خاتم النبيين وسيد الأولين والآخرين .

١٢- ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ

ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ۖ وَمَن قُدِّرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ۚ إِنَّهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۖ وَكَانَ مِنْ قَرِيبَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ ۚ فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَبْنَاهَا عَذَابًا نُّكَرًا ۝ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبُهُ أَمْرَهَا خُسرًا ۝ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۚ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَٰٓأُولِي الْأَلْبَابِ ۚ الَّذِينَ ءَامَنُوا ۚ قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝ رَّسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مَبِينَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ۝ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ

الإعراب :

﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ صفة لأولي الألباب . ﴿رَسُولًا﴾ مفعول لفعل مقدر أي وأرسل رسولاً . ﴿خَالِدِينَ﴾ حال من هاء يدخله لأنها تعود الى من التي هي بمعنى الجماعة . ﴿وَأَحْسَنَ﴾ هنا تتضمن معنى أعطى . ﴿رِزْقًا﴾ مفعول لأحسن أي أعطاه رزقاً حسناً . ﴿وَمِثْلَهُنَّ﴾ مفعول لفعل محذوف أي وخلق من الأرض مثلهن . وعلماً تمييز .

مثلهن ﴿ تعددت الأقوال حول السموات السبع والأرضين السبع ، ومنها أن الكون الأكبر يضم سبعة أكوان ، وفي كل كون العديد من الكواكب ، من جملتها كوكب أرضي تماماً كهذا الكوكب الذي فيه نحيّا ونموت . وفي تفسير ابن كثير : سئل ابن عباس عن قوله تعالى : « سبع سموات ومن الأرض مثلهن » فقال لو حدثتكم عن تفسيرها لكفرتم . يريد أن عظمة الكون فوق تصورهم ، وتقدم في الآية ١٢ من فصلت وغيرها ﴿ ينزل الأمر بينهن ﴾ هو وحده الممسك بالكون والمدير له ، ولولا ذلك لما ج واضطرب ﴿ لتعلموا أن الله ﴾ لا يعجزه شيء ، ولا يخفى عليه شيء ، ومن جهل أو ذهل عن الله وعظمته فقد جهل بعلو وجوده ومصيره ، وبالرقب الذي يسأله ويحاسبه عن كل حركة وسكون .

سُورَةُ النِّحْلِ [٦٦]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿ يا أيها النبي لم تحرم ما أحلَّ الله لك تبتغي مرضاة أزواجك ﴾ كان النبي (ص) مع زوجته كأفضل ما تكون الحياة الزوجية . ومن أقواله : « خيركم خيركم لأهله ... ما أكرم النساء إلا كريم ، ولا أهانهن إلا لئيم » . وقيل : إن النبي (ص) حرم العسل على نفسه ، لأنه شرب عسلاً عند زوجته زينب فتواطأت حفصة وعائشة أن يقولوا له حين يدخل عليهما : نشم منك ريح مغافير ، وهي صمغة حلوة الطعم ولكنها كريهة الرائحة ، فدخل على حفصة فقالت له ذلك . فقال لها : شربت عسلاً عند زينب ، واستكنمها

تحريم العسل على نفسه ، ولكنها أخبرت عائشة ، ولما دخل على عائشة قالت له مثل ما قالت حفصة ، فترلت الآية ، قال الشيخ الطبرسي : « والمعنى لم تطلب مرضاة نساءك فهن أحق بطلب مرضاتك ... ويمكن أن يكون العتاب على ترك الأفضل والأولى » .

٢- ﴿ قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم ﴾ المراد بالتحلة الكفارة ، وبها يتحلل المرء عما كان عزم عليه ، وتقدم الكلام عن كفارة اليمين في تفسير الآية ٨٩ من المائدة .

٣- ﴿ وإذا أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً ﴾ وهي حفصة التي استكنمها النبي تحريم العسل على نفسه ﴿ فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض ﴾ أفشت حفصة سر النبي على الرغم من وصيه لها بالكنمان ، ولما أذاعت وأفشت أخبر الله نبيه الكريم بخبرها ، فأطلعها النبي على بعض ما أفشت ، وأعرض عن بعضه رفقاً بها ﴿ فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا ﴾ سألته عن المخبر ﴿ قال نبأني العليم الخبير ﴾ الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

مِثْلُهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾

(٣) سُورَةُ النِّحْلِ [٦٦]

وَأَنبَأَهَا اثْنَا عَشَرَ نَبِئًا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تَحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذَا أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَيْسَ نَبَأٌ بِهِ وَأَظْهَرُهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِيَ الْعَلِيمُ

٤- ﴿إِنْ تَوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ صفت :

مالت إلى السداد والرشاد ، والخطاب لعائشة وحفصة ، يأمرهما سبحانه أن يتوبا من توأطئتهما على رسول الله (ص) ﴿وإن تطاهرا عليه﴾ أي إن تطاهرا عائشة وحفصة وتعاونوا على الإساءة إلى رسول الله (ص) ﴿فإن الله هو مولاه﴾ ناصره ﴿وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهيرا﴾ أي معين ، وتساءل : وما شأن حفصة وعائشة حتى حشد سبحانه عليهما قوة السماء والأرض ؟ الجواب : ليس المراد بهذا التهديد عائشة وحفصة ، وإنما المقصود التنويه بعظمة الرسول وأنه في حصن حصين من الله وملائكته وصالح المؤمنين .

٥- ﴿عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً...﴾ أي ولتعلم كل واحدة منكن يا نساء النبي أن الرسول الأعظم لو طلقكن بالكامل لأبدله الله خيراً منكن جمالاً ودينياً وإخلاصاً ، نبيات إن شاء ، وإن شاء أبكاراً أو هما معاً .

٦- ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفسكم وأهلكم ناراً﴾ اتقوا معاصي الله وعباده الشديد الأليم بفعل الواجبات وترك المحرمات ، وخذوا أولادكم بالتعليم والتعزيم على فرائض الدين وآدابه ، وفي الحديث الشريف : «الولد سيد سبع سنين ، وعبد سبع سنين ، ووزير سبع سنين ، فإن رضيت أخلاقه لإحدى وعشرين سنة وإلا فاضرب جنبه فقد أعذرت إلى الله تعالى» والمراد بالوزير هنا أن يكون في خدمة أبيه وملازماً له .

٧- ﴿يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم﴾ لا حميم

يشفع يوم القيامة ، ولا معذرة تدفع .

٨- ﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً...﴾ كوهي أن يرجع التائب من ذنبه إلى الله بصدق وإخلاص ، فيرجع سبحانه إليه بالقفو عن السيئات والبشرى بعيون وجنات ﴿يوم لا يعزى الله النبي﴾ أي أن العزى والهوان لأعداء النبي أهل المخازي والذائل ، أما النبي وأصحاب المحامد والفضائل فلمهم الدرجات العلى لأن الجزاء من جنس العمل

الإعراب :

﴿وأهلكم﴾ عطف على أنفسكم . ونُصبت ﴿ناراً﴾ بترع الخافض أي احفظوا أنفسكم وأهلكم من النار . ﴿ما أمرهم﴾ «ما» مصدرية والمصدر المنسبك منصوب بترع الخافض أي لا يعصون الله في أمره . ﴿ونصوح﴾ مصدر وصف به التوبة على المبالغة . ويوم لا يعزى «يوم» منصوب بیدخلكم .

التَّائِبِينَ ﴿إِنْ تَوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾
وَأَنْ تَطْلَهْرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةِ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿عَسَى رَبُّهُ
إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ
مُؤْمِنَاتٍ قَلِيلَاتٍ تَتَّبِعْتِ عِدَّتِ سَتِجَلَّتِ يُبَيِّنَتْ
وَأَبْكَارًا﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ
نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ
لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً
نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ

عند الحق وأهله ﴿والذين آمنوا معهم نورهم يسمى بين أيديهم﴾ لأنهم كانوا في الحياة الدنيا نوراً يهتدى به في الظلمات ، وتقدم في الآية ١٢ من الحديد .

٩- ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلب عليهم﴾ قانون تنازع الوجود والبقاء بين المحقين والمبطلين والهداة والطغاة - حتم بحكم الطبيعة والبدنية تماماً كقتال المتحاربين ، كل يريد القضاء على الآخر ، قال سبحانه مخبراً نبيه الكريم عن عتاة الشرك والجور : « كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبون فيكم إلا ولا ذمة - ٨ التوبة » أي عهداً ولا حقاً ، وعلى هذا الأساس أمر سبحانه المسلمين بجهاد الكفار والمنافقين ، على أنه ، تقلمت كلمته ، قال في الآية السابقة من التوبة « فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم - ٧ التوبة » .

١٠- ﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط﴾ ضرب سبحانه مثلين ، يتعظ بهما كل عاقل : الأول امرأة نوح وامرأة لوط ، كفرت كل واحدة من هاتين بزوجها ونبوته ، وكانت الأولى تنعته بالجنون والثانية تدل الكفرة والفجرة على أضيافه ليفجروا بهم ، وهذي خيانتها هي التي أشار إليها سبحانه بقوله : ﴿فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً﴾ أخذهما سبحانه بأشد العذاب ، وما دفع الزواج بالظهر والقداسة عنهما شراً ولا جلب لهما خيراً .

أما المثل الثاني فأشار إليه سبحانه بقوله :

١١- ﴿وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون﴾

هي آسية بنت مزاحم ، آمنت بالله وكفرت بزوجها فرعون ، فهددها بالقتل فأثرت جوار الله في بيت من صنع الله ، فاستجاب لها ورجب بها ، وأعد لها أجراً كريماً ، فما ضرها ان كانت زوجة أعتى أهل الأرض ، وما نفع امرأة نوح أو لوط انها زوجة خير الناس .

١٢- ﴿ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها﴾ كناية عن طهرها ونزاهتها بما رماها به اليهود من البغاء والفجور ﴿ففصحنا فيه من روحنا﴾ المراد بالفصح هنا من روحه تعالى أنه منح الحياة للسيد المسيح تماماً كما منحها لآدم : « فإذا سويته ونفخت فيه من روحي - ٢٩ الحجر » وفي إنجيل متى الإصحاح الأول : أن مريم كانت مخطوبة ليوسف النجار ، ولكنها ظلت عذراء حتى بعد ولادة يسوع .

الإعراب :

﴿ضرب﴾ بمعنى جعل ، و﴿امرأة نوح﴾ مفعول أول مؤخر ، و﴿مثلاً﴾ مفعول ثانٍ مقدم . و﴿صالحين﴾ صفة لعبدين . و﴿شيئاً﴾ مفعول مطلق لينفي . و﴿مريم﴾ عطف على امرأة فرعون . و﴿القائتين﴾ جمع للذكور والاناث تغلياً للذكورية على التأنيث .

سُورَةُ التَّوْحِيدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ ﴾ تقدس الذي لا أحد يملك معه شيئاً ﴿ وهو على كل شيء قدير ﴾ ومن آثار قدرته أنه :

٢- ﴿ الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ﴾ أحياناً سبحانه على هذا الكوكب لتظهر أفعاله خيرا وشرا . وبميتنا ثم يحيينا للحساب والجزاء . وفي الحديث : أن رسول الله حين تلا هذه الآية فسرها بقوله : « أيكم أحسن عملاً ، وأورع عن محارم الله . وأسرع إلى طاعته » وتقدم في الآية ٧ من هود وغيرها

٣- ﴿ الذي خلق سبع سموات طباقاً ﴾ من التطاق والإنفاق . وأنه لا فرق بين سماء وسماء ولا تفاوت في إقتان الصنعة وإحكامها بدليل قوله تعالى بلا فاصل : ﴿ ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ﴾ من نقص أو اضطراب أو خلل ، فهل الصدقة أتت بكل هذه العجائب والمعجزات ؟ ومع هذا فإن الله سبحانه لا يعجل على الملحد القائل بأن المادة هي الموجود الوحيد ، بل يقول : تريث وانظر .

٤- ﴿ ثم ارجع البصر كرتين ﴾ أي الكرة بعد الكرة والمرة بعد المرة... إلى ما يشاء الراي ﴿ ينقلب إليك البصر ﴾ خائباً عاجزاً عن رؤية أي نقص وخلل . بل يبهره الجمال والكمال ، والإنسجام والإنتظام . ولو كان الوجود بالكامل مادة في مادة لكان الكون أشبه بكم من أحجار وتل من رمال .

٥- ٦- ﴿ ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين ﴾ المراد بالمصابيح النجوم ، وبالرجوم النكال والوبال ، وقد يكون بالشهب التي تحترق أو بالحجارة المتساقطة من النجوم - النيازك - أو غير ذلك . وكل عاتٍ منمرده فهو شيطان ، ومصيره الخذلان وعذاب النيران ، وتقدم في الآية ١٧- ١٩ الحجر وغيرها .

الإعراب :

﴿ تبارك ﴾ فعل ماضٍ ، وقالوا لم يُنطق له بمضارع . والمصدر من ﴿ ليبلوكم ﴾ متعلق بخلق . ﴿ وإيكم ﴾ مبتدأ ﴿ وأحسن ﴾ خبر ﴿ وعملاً ﴾ تمييز . ﴿ وطباقاً ﴾ صفة لسموات وهي مصدر بمعنى اسم الفاعل أي مطابقة . ﴿ وكرتين ﴾ قائم مقام المفعول المطلق أي رجعتين مثل ضربته مرتين . ﴿ وخائساً ﴾ حال من البصر . ﴿ والذين كفروا ﴾ خبر مقدم .

(١٧) سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ
وَأَنبَاَهَا بِتِلْكَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾
الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٢﴾
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٣﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿٤﴾
مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ ﴿٥﴾
ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٦﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ

٧- ﴿ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا ﴾ طرخوا في جهنم كالحطب ﴿ سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا ﴾ أنكر الأصوات وأقيحها ، والشهيق والنبيق للحمار ﴿ وَهِيَ تَقُورُ ﴾ تغلي بأهلها غليان القدر بما فيه .

٨- ﴿ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ تميز فلان من الغيظ : تقطع حقاً ، والمراد بغيظ جهنم وحقها وأهلها وشدايعها ﴿ كَلِمًا أَقْبَىٰ ﴾ كلما أقبي فيها ... واضح ، وتقدم في الآية ٧١ من الزمر .
٩- ﴿ قَالُوا بَلَىٰ ... ﴾ اعترفوا بالذنب وندموا ولاموا أنفسهم حيث لا تنفع ندامة ولا ملامة .

١٠-١١- ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ تدل هذه الآية بوضوح أن من يهمل عقله ، ولم ينظر به ويحاكم ما يسمع ويرى فهو مسؤول أمام الله ، ومستحق للعذاب حين يلقاه ، وأية خطيئة أكثر جرماً ممن أهمل أسى ما يمتاز به عن سائر المخلوقات ؟

١٢- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ ﴾ هذي هي علامة التقوى دون سواها أن تنقي معاصي الله تبتك وبينه ، أن تترك حرامه في غياب الناس بحيث لو فعلته لبقى الجرم طي الكتمان .

١٣- ﴿ وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ كل غيب عنده شهادة ، وكل سر عنده علانية .

١٤- ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾ هل يجهل الصانع ما صنع ؟

١٥- ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا ﴾ يسهل فيها السلوك والسعي للرزق والمكاسب ﴿ فَاْمَشُوا فِي مَنَاكِبِهَا ﴾

وكلوا من رزقه ﴿ طَرَقُهَا وَنَازِحِهَا مِنْ سَهْلٍ وَجِبَالٍ ، وَأَيْضًا فِي جَوْفِهَا مِنْ نَقَطٍ وَمَعَادِنٍ وَمِيَاهٍ ، عَلَىٰ أَنْ تَتَّقُوا اللَّهَ . كَمَا أُنْشِرَ فِي مَنَاقِبِهَا ﴾ فامشوا في مناكبها

١٦-١٨- ﴿ أَمْ أَمِنْتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ

جَهَنَّمَ وَيَنْسَ الْمَصِيرُ ﴿ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿ وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَلَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿ أَمْ أَمِنْتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ

الإعراب :

وعذاب جهنم مبتدأ مؤخر . و﴿سُحْقًا﴾ مصدر مؤكد أي سحقهم الله سحقاً . ﴿بِالْغَيْبِ﴾ متعلق بمحذوف حال من فاعل يخشون ، والتقدير كائنين بالغيب على معنى غائبين عن أعين الناس . ألا يعلم من خلق الهمة للاستفهام ، ولا للنفي ، وفي يعلم ضمير مستتر يعود إلى ربهم ، ومن مفعول ، والمعنى الله يعلم مخلوقاته . والمصدر من ﴿أَنْ يَخْسِفَ﴾ بذلك اشتغال من ﴿من في السماء﴾ ومثله أن يرسل ، وإذا للمفاجأة .

الأرض ﴿ أنعمون الله في ملكه ، وتأمنون من سطواته وضرباته ؟ وهل من مردّ لمشيئته إن أراد أن يزلزل بكم الأرض أو يعطركم من السماء مطر السوء والحصباء ؟ ولكنه حلیم رحيم بعباده ، يؤجل ولا يعجل عسى أن يتوب تائب ، ويقلع مذب ، وتقدم في الآية ٦٨ من الإسراء .

١٩- ﴿ أولم يروا إلى الطير فوقهم ... ﴾ من الذي زود الطير بما يؤهله إلى الطيران ؟ الصدفة والطبيعة العمياء ؟ الطائر يطير بجناحيه والإنسان يمشي على رجله ولكن من الذي خطط للمشي والطيران ، وصمم الأداة العلمية لكل منهما . ثم وضعها في المكان الملائم ؟ فسبحان من جعل لكل شيء قدراً - ٣ الطلاق - هذا هو الجواب السديد ، وما عداه حماقات .

٢٠- ﴿ آمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ﴾ إذا أراد الله بقم سوءاً فماذا يصنعون ؟ وإلى من يلجأون ؟ ومن يستغيثون ؟ ﴿ إن الكافرون إلا في غرور ﴾ بأنهم في أمن وأمان من غضب الله وعذابه .

٢١- ﴿ آمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه ﴾ من الذي يرزق الأنعام إذا منع العنعام ؟ ﴿ بل لجأوا في عتو ونفور ﴾ يعلمون أن الله هو الرازق ومع هذا يتمردون على أمره عن قصد وعناد .

٢٢- ﴿ أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمن يمشي سوياً ﴾ من يمشي في الحياة الدنيا على طريق الجهل والضلال فهو تماماً كمن يمشي ووجهه إلى الأرض ، يكثر العثار فيما لا يعثر فيه بصير ، أما السائر على طريق العلم والهدى فهو تماماً كالسائر على الطريق الواضح بحسم معتدل ونظر سليم . وتكرر هذا المعنى في العديد من الآيات ، منها الآية ٢٤ من هود .

٢٣- ﴿ قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم ﴾ أسماعاً لتسمعوا بها من الله ورسله . وأبصاراً لتعبروا بها ترون من عجائب خلقه تعالى ، وعقولاً تنتقل بكم من معلوم إلى مجهول . من شاهد إلى غائب . وتقدم مرات المرات .

٢٤- ﴿ قل هو الذي ذرأكم في الأرض ﴾ خلقكم فيها وبشكم فأصلحو ولا تقسدوا ، إليه المآب ونقاش الحساب .

٢٥- ٢٦- ﴿ ويقولون متى هذا الوعد ﴾ بقيام القيامة ؟ قل يا محمد : علمها عند من يقيمها . وأمرني أن أنذركم بها ، وقد فعلت .

الإعراب :

وجملة هي غور حال من الأرض . و﴿ نذير ﴾ مبتدأ مؤخر وكيف خبر مقدم . و﴿ تكبر ﴾ اسم كان وكيف خبرها . وأصل تكبر تكبري . ﴿ أم ﴾ بمعنى بل . و﴿ من هذا ﴾ مبتدأ وخبر ، وتشعر هذه الجملة بالتحقير والاستخفاف . و﴿ الذي ﴾ عطف بيان . و﴿ مكباً ﴾ حال من فاعل يمشي ومثله سوياً .

الْأَرْضَ فَلَمَّا هِيَ تَمْوَرُ ﴿١٩﴾ أَمْ أُنِمْتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿٢٠﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢١﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَيْتَ وَيَقْبِضْنَ مَا يَمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿٢٢﴾ أَمِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنْ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٣﴾ أَمِنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢٤﴾ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ

٢٧- ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ ﴾ رأوا العذاب أو يوم القيامة ﴿ زُلْفَةً ﴾ قريباً منهم ومواجهاً لهم ﴿ سِيتَ ﴾ وجوه الذين كفروا ﴿ أَنْكَرُوهُ ﴾ حتى رأوه فانهارت الأعصاب وطار الصواب .

٢٨- ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ ﴾ فمن يجير الكافرين من عذاب أليم ﴿ تَمْنَى الطَّغَاةُ ﴾ لو مات الرسول ومن آمن به ليرتاحوا منه ومن دعوته ، فأمره سبحانه أن يقول لهم : لفترض أن الله اختارني إليه أو أمد في أجلي . فهل ينقذكم موتي من نكاله وعذابه ؟ أبداً لا شيء يجيركم منه إلا الرجوع إليه بالتوبة وطلب المغفرة .

٢٩- ﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ ﴾ وعليه توكلنا ﴿ هَذَا هُوَ طَرِيقُ النِّجَاةِ وَالْخَلَاصِ ﴾ الإيمان برب العالمين والطاعة لأمره ونهيه .

٣٠- ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا ﴾ غائر في الأرض إلى الأعماق فهل تستردونه بالفئوس والسواعد . أو تذهبون إلى غير الله ، وتسالون الأصنام أن تفجر لكم العيون ، وتحري الأنهار ؟ سبحانه اللهم بيدك الملك وحدك لا شريك لك

سُورَةُ الْقَلَمِ مَكِّيَّةٌ مِنْ ثَلَاثِينَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿ ن ﴾ من الحروف التي افتتح سبحانه بأمثالها بعض السور ، وتحديثنا عنها في أول سورة البقرة ، وأنها إشارة إلى أن القرآن الكريم الذي أعجز أهل الفصاحة مؤلف من هذه الحروف المجانية التي ينطق الناس بها ﴿ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ كتابة عن العلم النافع ، وأقسم به سبحانه علو شأنه حيث لا إنسانية ولا حياة إلا به . والحديث عن منافعه نافعة وفضول تماماً كالحديث عن منافع الماء والضيء .

٢- ﴿ مَا أَنْتَ ﴾ يا محمد ﴿ بِنِعْمَةٍ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ هذا رد على من افتري عليه بالجنون أولاً : لأنه جعل الآلهة إلهاً واحداً . ثانياً : لأنه دعا إلى الإيمان بالبعث بعد الموت . وفوق ذلك جعل الناس كلهم على صعيد واحد في الحقوق والواجبات ... إلى آخر ما نادى وحثَّ عليه من مكارم الأخلاق .

صَدِّقِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّمَا أَعْلِمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيَفَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٧١﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٧٢﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٧٣﴾

(٦٨) سُورَةُ الْقَلَمِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا ثَلَاثُونَ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ

الإعراب :

﴿ قَلِيلًا ﴾ صفة لقدر وماء زائدة أي تشكرون شكرياً قليلاً . وضمير رآوه يعود إلى يوم القيامة . ﴿ زُلْفَةً ﴾ حال أي قريباً لأن الرؤية هنا بصرية . أو رحمتنا أو له لاجئ . ﴿ ن ﴾ على حذف مضاف أي هذه سورة ﴿ ن ﴾ .

٣- ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ غير مقطوع بل دائم ولازم لأن محمداً (ص) أدى الرسالة على أكمل وجه ، وتحمل في سبيلها أشد الأذى حتى نمت وأنمرت ولا تزال آثارها ونمارها قائمة إلى اليوم وإلى آخر يوم في شرق الأرض وغربها .

٤- ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾ تحدثت الأجيال عن محمد (ص) ووضعت في سيرته وأخلاقه الأسفار الطوال والقصار ، ونختار منها كلمة لابن عربي في الفتوحات حيث قال ما معناه : إن الله خلق الخلق أصنافاً ، وجعل من كل صنف أختياراً ، ومن الأخيار الصفة ، وهم الأنبياء ، ومن الأنبياء ، الخلاصة ، وهم أولو العزم ، ومن الخلاصة خلاصتها وهو محمد الذي لا يكاثر ولا يقاوم .

٥- ﴿فَسْتَصْرِ وَيَصْرُونَ﴾ ستظهر الحقيقة للناس كل الناس ، حين يعلم شأن الرسول الأعظم (ص) وتظهر كلمة الإسلام على الدين كله ٦- ﴿بِأَيْكُمُ الْمُقْتُونُ﴾ من هو صاحب الأوهام الكاذبة كأوهام المجنون ؟

٧- ﴿إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ بأن محمداً على الهدى والساد ، وأن خصومه هم المنحرفون عنه إلى الضلال والفساد .

٨- ﴿فَلَا تَطْعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ هذا إخبار في صورة النهي والإنشاء ، ومعناه أن محمداً لن يطيع المكذبين إطلاقاً في التنازل عن دعوته مهما ساوموه وعرضوا عليه من المغريات والدليل على إرادة هذا قوله تعالى بلا فاصل ٩- ﴿وَهُوَ لَوْ تَدَّهَنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ من المداينة والمراضاة المصانعة المادية أي لوتسكت

عن دعوتك إرضاء لهم لمسكوا عن الخصومة إرضاء لك ١٠- ﴿وَلَا تَطْعِ كُلَّ حِلَافٍ مِّمَّيْنٍ﴾ كثير الحلف بلا ضرورة ، لأنه يشعر من أعماقه باتهام الناس له وارتبايهم بأقواله ١١- ﴿هَمَازٌ يَكْثُرُ الطَّعْنُ فِي أَعْرَاضِ النَّاسِ﴾ مشاء بنعيم ١٢- ﴿مَنَعَ لِلْخَيْرِ﴾ يكرهه بالطبع لا يفعله ويصد الناس عن فعله ١٣- ﴿عَتَلٌ﴾ فظ غليظ ١٤- ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ وفوق هذه القبائح والردائل هو ١٥- ﴿زَنِيمٌ﴾ دعي لصيق ، وكافر زنديق ، وقيل : المراد بهذه الصفات الوليد بن المغيرة ، وقيل غيره ، ومهما كان فإن هذه اللطخات والنجاسات يتصف بها العديد من الأفراد في كل زمان ومكان ، وقد أمر سبحانه رسوله الكريم بالابتعاد عنهم ، فعلينا نحن أيضاً أن نفر منهم ١٤- ١٥- ﴿إِنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ كان هذا الأنيب الممين في سعة من الأموال وقوة من الأولاد ، وكان له وبنيه إذا سمع آي القرآن العظيم يقول : ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ خرافات وأساطير لأنها تلته وأمثاله من الطغاة ١٦- ﴿سَنَسْمُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ﴾ سمنيزه بعلامة على أنفه ووجهه تعرف بها قبائحهم وأثمور ذائله وجرائمه ١٧- ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ﴾ هذا الضمير للمشركين من أهل مكة ، ومنهم الأنيب الممين ، وكانوا في نعمة من الله ، ولكن جحدوها ولم يشكروها ، فانتقم الله منهم تماماً كأصحاب البستان الذين أشار سبحانه إليهم بقوله : ﴿كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ وبخلاصة أمرهم أنهم كانوا أخوة يملكون بستاناً كبير الثمار ، فحلفوا أن لا يتصدقوا منها على مسكين ، وابتاتوا على هذا العزم مصرين ، فأرسل سبحانه بالليل على البستان أفة قفست عليه بالكامل ، ولما أصبحوا أسرعوا إلى البستان فإذا به حطام ، فتمنوا وأيقنوا أن الله أخذهم بمجرمهم ، فقال لهم أخوهم الأعقل والأفضل : نصحت لكم فلم تستنبوا

يَمَجْنُونَ ١- وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ ٢- وَإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ ٣- فَسْتَصْرِ وَيَصْرُونَ ٤- بِأَيْكُمُ الْمُقْتُونُ ٥- إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْثَدِينَ ٦- فَلَا تَطْعِ الْمُكَذِّبِينَ ٧- وَذُوَا لَوْتَدَّهَنُ فَيُدْهِنُونَ ٨- هَمَازٌ مَشَاءٌ بَنِيمٍ ٩- مَنَعَ لِلْخَيْرِ مَعْتَدٌ ١٠- أُنِيمٌ ١١- عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ ١٢- أَنْ كَانَتْ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ١٣- إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ ءَابِتْنَا قَالَ أَأَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ١٤- سَنَسْمُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ ١٥- إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرُنَّهَا مُصْبِحِينَ ١٦- وَلَا يَسْتَنْبُونَ ١٧- فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ١٨- فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ١٩- فَتَنَادُوا

النصح حتى وقعت الواقعة ، فتوبوا إلى الله عسى أن يرحمكم .
وبعد هذا التلخيص السريع لمعنى الآيات نعود إلى مفرداتها
﴿ ليصْرِفْنَهَا مَصْبِحِينَ ﴾ يقطفون ثمار الجنة صباحاً .

١٨- ﴿ وَلَا يَسْتَوُونَ ﴾ لا يتركون شيئاً للجائعين .

١٩- ﴿ طَافَ عَلَيْهِمْ طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ ﴾ نزلت عليهم
آفة من السماء .

٢٠- ﴿ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾ سوداء فحماً أو كالصحم .

٢١- ﴿ فَتَنَادُوا مَصْبِحِينَ ﴾ نادى بعضهم بعضاً في
الصباح الباكر .

٢٢- ﴿ إِنْ أَغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ ﴾
بكروا إلى البستان إِنْ كُنْتُمْ قَاطِفِينَ .

٢٣- ﴿ فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ ﴾ يتسارون .

٢٤- ﴿ أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا ﴾ يدخل الحديقة مسكين .

٢٥- ﴿ وَغَدُوا عَلَى حَرْدٍ ﴾ مع قادرين .

٢٦-٢٧- ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا ﴾ خطاماً ندماً و﴿ قَالُوا
إِنَّا لَضَالُونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾ من ثمار حديقتنا ومن رحمة
الله وثوابه ومستحقون لغضبه وعذابه .

٢٨-٢٩- ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾ أفضلهم رأياً : ﴿ أَلَمْ
أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ هلا تطيعون الله وتتوبون إليه .

٣٠-٣١- ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَامِؤْنَ ﴾
يلقي كل منهما المسؤولية على صاحبه .

٣٢- ﴿ عَسَى رَبَّنَا أَنْ يَدُلَّنَا خَيْراً مِنْهَا ﴾ أعترفوا بالخطأ

والخطيئة وطلبوا منه تعالى أن يعود عليهم بالصفح والفضل دنياً وآخرة .

٣٣- ﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ ﴾ هكذا تأتي الآفات المخبات في الدنيا ، ولعذاب الآخرة أشد وأنكى .

٣٤- ﴿ إِنْ لِلْمُتَّقِينَ ... ﴾ كما هدد المجرمين بالجحيم وعد المتقين بالنعيم كدأبه ، جل جلاله .

٣٥- ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾ المراد بالمسلمين هنا المجاهدون المحسنون وإلا فكيف من مصلٍّ وصائم هو عند
الله أشد جرماً من كافر آمن الناس من شره ، وكف عنهم أذى الأشرار .

٣٦- ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ فيه رد على كل مسيء يرى نفسه محسناً ، وكل جاهل يرى نفسه عالماً ، أو
يرى له الفضل على سواه بمال أو نسب أو جاه .

٣٧-٣٨- ﴿ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَلْدُرُونَ إِنْ لَكُمْ

الإعراب :

﴿ ومصبحين ﴾ حال من فاعل ليصرفنّها ، ﴿ وهو ﴾ واو الجماعة المحذوفة .

فيه لا تخيرون ﴿٣٩﴾ هل نزل وحى من السماء يقول : ان اصحاب الجاه والمال لهم عند الله غداً ما يحبون ويشتهون ؟

٣٩- ﴿٣٩﴾ أم لكم ايمان علينا بالغة إلى يوم القيامة ان لكم لا تحكمون ﴿٤٠﴾ هل حلف الله لكم ايماناً مغلفة ومؤكدة ان يجعل الأمر بيدكم يوم القيامة في كل ما تختارونه لأنفسكم من خير وكرامة .

٤٠- ﴿٤٠﴾ سلهم أيهم بذلك زعيم ﴿٤١﴾ سل يا محمد الذين يدعون شيئاً من ذلك : من الذي ضمن لهم تنفيذ ما يدعون ؟
٤١- ﴿٤١﴾ أم لهم شركاء ﴿٤٢﴾ أو أصنامهم هي الكفيل بتنفيذ كل ما يدعون ، فإن تك للأصنام هذه المكانة فليأتوا بها ، وتفضل لهم ما يشتهون .

٤٢- ﴿٤٢﴾ يوم يكشف عن ساق ﴿٤٣﴾ كناية عن أهوال القيامة وشدايدها وفي الأشعار : « شالت الحرب عن ساقها » . أي ان نساء المغلوب تشمر عن ساقها للهرب . وفي الجزء السادس من صحيح البخاري بعنوان : « ن والقلم » حديث عن النبي (ص) : « يكشف ربنا عن ساقه ، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة » وفي الآية ٣٠ من ق ذكرنا أن البخاري نقل عن النبي أن الله يضع قدمه في جهنم فيقول قط قط وأشرنا إشارة خاطفة إلى معارضة هذا الحديث للعقل والوحى ﴿٤٤﴾ ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون ﴿٤٥﴾ كناية عن أن الذي لم يك قد آمن بالله وسجد له في دار الدنيا - لا يملك شيئاً يوم القيامة يدفع عنه غضب الله وعذابه .

٤٣- ﴿٤٣﴾ خاشعة أبصارهم ﴿٤٤﴾ الخشوع للقلب لا للبصر .

وكتبى به سبحانه عن الذل والهوان الذي تظهر دلالاته في الأبصار بدليل قوله بلا فاصل : ﴿٤٥﴾ تروههم ذلة وقد كانوا ﴿٤٦﴾ في الدنيا ﴿٤٧﴾ يدعون ﴿٤٨﴾ إلى الإيمان بالله والعبادة له ، فيمتنعون وهم في تمام الصحة والأمن والأمان ، فاستحقوا من الله أليم العذاب ٤٤-٤٥- ﴿٤٥﴾ فاذنري ومن يكذب بهذا الحديث ﴿٤٦﴾ يقول سبحانه لنبيه الكريم : لا تشغل قلبك بمن كذب بك وبالقرآن ، فقد أعلنت عليه الحرب وسأتولى أنا بنفسى الإنتقام منه ﴿٤٧﴾ يستندرجهم من حيث لا يعلمون ﴿٤٨﴾ المراد بالاستدراج هنا المد والإمهال ، ثم العقاب بما يستحقون . قال سبحانه : « أيحسبون ان ما نمدهم به من مال وبين ناسرعه لهم في الخيرات ٥٥-٥٦ المؤمنون والقرآن يسفر بفضه بعضاً ﴾ أي تديره تعالى محكم وعظيم .

٤٦- ﴿٤٦﴾ أم تسألهم أجراً فهم من مغرم مثقلون ﴿٤٧﴾ المغرم بالعين وفتح الراء : الغرامة ، والمعنى لو طلبت أجراً على التبليغ لاستقبلوا منك هذا الطلب ، وتقدم في الآية ٤٠ من الطور .

٤٧- ﴿٤٧﴾ أم عندهم الغيب فهم يكتبون ﴿٤٨﴾ هل أطلعوا على علمه تعالى ، فنقلوا منه أنهم في حصن حصين من عذابه ، وتقدم في الآية ٤١ من الطور .

٤٨- ﴿٤٨﴾ فاصبر لحكم ربك ﴿٤٩﴾ يا محمد ، ولا يضق صدرك بقومك كما ضاق صدر يونس ﴿٥٠﴾ إذ نادى ﴿٥١﴾ في بطن الحوت ، ﴿٥٢﴾ وهو مكظوم ﴿٥٣﴾ مملوء غيظاً .

٤٩- ﴿٤٩﴾ لولا أن تداركه نعمته من ربه ﴿٥٠﴾ تدارك يونس نفسه ونظر إليها ، فتداركه سبحانه ونظر إليه ، فأمدته بتوفيقه وعنايته ، ولولا ذلك لقفزه الحوت من بطنه في العراء ملوماً .

تَدْرُسُونَ ﴿٣٩﴾ إِنْ لَكُمْ فِيهِ لَمَّا تَحْيَرُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنْ لَكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ ﴿٤١﴾ سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٤﴾ خَشَعَتِ أَبْصَارُهُمْ تَرَاهُمْ ذَلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيلُونَ ﴿٤٥﴾ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكْذِبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٧﴾ أَمْ عَنْهُمْ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤٨﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٩﴾ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ

٥٠- ﴿ فَاجْتِاهْ رَبِّهِ ﴾ رده إلى قومه نبياً كما كان من قبل وتقدمت قصة يونس في ٩٨ وما بعدها من يونس والآية ١٣٨ وما يتبعها من الصفات .

٥١- ﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ ﴾ من الزلق في الموضع الذي تزل به الرجل ، والمراد به هنا النظر بغيظ وحق ﴿ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴾ سبحانه نبيه الكريم عن أعداء الله وأعدائه أنه حين يقرأ القرآن ينظرون إليه بنظرات حادة حمراء ، ويعيون العداوة والبغضاء حتى تكاد تلك النظرات الخبيثة الحاقدة تزل قدم الرسول من مكانها فيقع على الأرض . أما أسنتهم فإنها لا تنطق إلا بالكفر والهجر كقولهم : هو مجنون وما أشبه .

٥٢- ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ ان القرآن عظة وهداية لمن سعى لها سعيها بجد وإخلاص .

سُورَةُ الْحَاقَّةِ كَذِبَتْ نَمُودُ وَعَادُ فَأَهْلِكُوا بِرِيحِ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ

بَشِيرٍ لِلْعَالَمِينَ

١- ﴿ الْحَاقَّةُ ﴾ من أسماء القيامة ، لأن الله سبحانه حقق بها وعده بالبعث والحساب والجزاء .

٢- ﴿ مَا الْحَاقَّةُ ﴾ ماذا تعرف أيها الإنسان عن أهوالها وشدايدها ؟

٣- ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴾ انها فوق ما تسمع وتقرأ وتتصور .

رَبِّهِ لَنُبَذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٥٠﴾ فَاجْتَبِهْ رَبُّهُ
فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥١﴾ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا
لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ
لَمَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٣﴾

(٦٩) سُورَةُ الْحَاقَّةِ مَكِّيَّةٌ
وَأَنبَأَهَا شَتَانٌ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾
كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادُ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا
بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بِرِيحِ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾
سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ

٤- ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ﴾ قوم صالح ﴿ وَعَاد ﴾ قوم هود ﴿ بِالْقَارِعَةِ ﴾ من أسماء القيامة لأنها تفرق القلوب وتزلزلها .

٥- ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴾ بصيحة تجاوزت الحد في شدتها ، وقيل : الطاغية هنا مصدر وان المراد أهلكت ثمود بسبب طغيانها ، وهذا هو الأرجح لقوله تعالى : « كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا - ١١ الشمس » .

٦- ﴿ وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بِرِيحِ صَرْصَرٍ ﴾ شديدة البرد والصوت ﴿ عَاتِيَةٍ ﴾ تجاوزت في قسوتها وشدتها كل حد .

٧- ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ متابعة دون انقطاع وفتر على مدى هذه الليالي والأيام ﴿ فَتَرَى الْقَوْمَ

الإعراب :

﴿الحاقَّة﴾ مبتدأ أول وما استغفاهم مبتدأ ثانٍ، الحاقَّة خبر المبتدأ الثاني والجملة خبر الأول والرباط إعادة المبتدأ بلفظه . و﴿ما﴾ أدراك ، و﴿ما﴾ مبتدأ وأدراك فعل ماضٍ وفاعله مستتر يعود الى « ما » والجملة من الفعل والفاعل خبر . ما الحاقَّة أيضاً مبتدأ وخبر .

القوم فيها صرعى ﴿كَانَتْهُمْ أَعْجَازٌ﴾ مطروحين على الأرض ﴿كَانَهُمْ أَعْجَازٌ﴾ نخل خاوية ﴿جذوع نخل فارغة مفرقة .

٨- ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ ؟ كلا ، ولا ناعية .
وتقدم الكلام عن عاد وثمود مفصلاً في سورة الأعراف وهوود .

٩- ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ﴾ موسى (ع) ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ من الأمم المكذبة لرسلهما ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتِ﴾ المنقلبات وهي قري قوم لوط التي انقلب عليها إلى أسفل ﴿بِالْخَاطِئَةِ﴾ أهلكتهم بأفعالهم المخطئة الخاطئة .

١٠- ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخَذَةً رَابِيَةً﴾ زائدة في شدة العذاب .

١١- ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ﴾ ارتفع بالطوفان في عهد نوح ﴿حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ حملنا أجدادكم المؤمنين في السفينة ، وأغرقنا الطغاة المتمردين ، ولا قصد من هذا الإخبار إلا التذكير والعظة بسمعها المؤمن والعافل ، فينتفع بها ويعتبر كما قال سبحانه :

١٢- ﴿لِنَجْلِيَنَّ لَكُمْ تَذِكْرًا وَتَعْيِبَهَا أُذُنَ وَاعِيَةٍ﴾ جاء في العديد من التفاسير ، منها تفسير الطبري والرازي والمرآغي وابن كثير : أن رسول الله قال : «سألت ربي أن يجعلها أذن علي» فكان علي يقول : ما سمعت شيئاً فنسيته .

١٣- ﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ النفخ في الصور كتابة عن الصبيحة للخروج من القبور كما في الآية ٤٢ من ق : «يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ» .

١٤- ﴿وَحَمَلَتْ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدَكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ أزيحت الأرض وسائر الكواكب من أماكنها ، ودك بعضها بعضاً حتى صارت هباء منبثاً ١٥- ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ ويعلم المكذوبون أنها حق لا ريب فيه .

١٦- ﴿وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ تصدعت وتداعت .

١٧- ﴿الْمَلِكُ عَلَى أَوْجَائِهَا﴾ المراد بالملك الملائكة والأرجاء : النواحي ، والمعنى بعد خراب السماء تنتشر الملائكة في الفضاء هنا وهناك ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ الله جلّ جلاله لا يجلس على العرش كالسلاطين وعليه فن الجائر والممكن أن يراد بالعرش الملك والإستيلاء . ويحمله كائنات ومخلوقات لله سبحانه لا أحد يعرف عنها شيئاً وبعد الثمانية أجناس ثمانية : ومعنى الآية مجموعها : بعد تدمير الأرض والسماوات المعهودة يبقى ثمانية أجناس من المخلوقات قائمة عامرة بتدبيره تعالى وعنايته . نقول هذا كفكرة ممكنة في ذاتها ، أما إثباتها فيحتاج إلى دليل قاطع .

١٨- ﴿يَوْمَئِذٍ تَعْرُضُونَ﴾ على الله لنقاش الحساب ﴿لَا تَخْضِي مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ وأشد الناس عذاباً من يعصي الله في الخفاء ، ويظهر للناس بثوب الأتقياء .

١٩- ٢٠- ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ يَمِينَةً﴾ بلسان ناطق وقلب واثق ﴿هَؤُلَاءِ﴾ خذوا ﴿اقْرَأُوا كِتَابَكُمْ﴾ هذه شهادتي ما هي لبسانس ولا دكتوراه ، ولكنها تشهد على أنني ما أسأت لأحد من عيال الله بقول أو فعل ، لأنني آمنت وأيقنت بأنه لا مفر من الله والحق ﴿إِنِّي مَلَأَقُ حَسَابِيَةً﴾ لا محالة . فأخذت الأمانة لموقف العرض والمحاسبة .

٢١- ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ مرضية لا ينغصها شيء .

فِيهَا صَرَغِي كَانَتْهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمِنْ قَبْلِهِ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخَذَةً رَابِيَةً﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكِ فِي الْجَارِيَةِ ﴿لِنَجْلِيَنَّ لَكَ تَذِكْرًا وَتَعْيِبَهَا أُذُنَ وَاعِيَةٍ﴾ فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةً وَاحِدَةً ﴿وَحَمَلَتْ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدَكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ وَالْمَلِكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿يَوْمَئِذٍ تَعْرُضُونَ لَا تَخْضِي مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ يَمِينَةً فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُ وَأَكْنِيَّةٌ ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْتَقٍ حَسَابِيَةً﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿

٢٢- ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ شَأْنًا وَقُصُورًا وَأَشْجَارًا وَأَيْضًا جَارِيَةً جَدَاوِلَ وَأَنْهَارًا .

٢٣- ﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾ يأكل منها القائم والقاعد والنائم على سريره متى شاء ، وتقول ملائكة الرحمة لأهل الجنة :

٢٤- ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ من عمل الخير وأداء الواجب ، وما أضعتم الحياة في اللغو والعبث

٢٥- ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ ﴾ وهو الذي كذب بالبيع والحساب والخزاء ، وطمع وبغى على عباد الله وعياله ﴿ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَةَ ﴾ هذي هي عاقبة الجهل والغرور حشرات وزفرات .

٢٦- ﴿ وَلَمْ أَمُرْ مَا حَسَابِيَةَ ﴾ لم يطلع على صحيفة أسوأه وجزائه ٢٧- ﴿ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاصِيَةَ ﴾ لم يُخلق أولم يُبعث من قبره .

٢٨- ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَةَ ﴾ عن عذاب الله شيئاً .

٢٩- ﴿ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴾ لا مجير ولا معين .

٣٠- ٣٢- ﴿ خَلَّوْهُ فَعَلَوْهُ ﴾ الخطاب لربانية جهنم أن تضع الأغلال في عنقه ، وتورده النار وبشس الورد المورود . ٣٣- ﴿ ثُمَّ فِي سَلْسَلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا ﴾ كتابة عن أليم العذاب وشدة ، وجاء في تفسير ابن كثير أنها تدخل في أسنة وتخرج من فم ، وقال آخر : بل من منخره .

٣٤- ﴿ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴾ طعام المسكين ﴿ امتن سبحانه على العباد بنعمه وآلآه في العديد من الآيات . ونفترض أن جائعاً عارياً قال عن جهل : أين نعمته عليّ حتى أشكرها وأقدها ؟ أما خلقي ووجودي فياليت لم يكن ما دام على هذه الحال فهل من جواب ؟ أبداً لا جواب إطلاقاً إلا بقول الإمام جعفر الصادق المذكور في الوسائل أول باب الزكاة ، وهذا نصه بالحرف الواحد : « أن الناس ما افتقروا ولا احتاجوا ولا جاعوا ولا عروا إلا بذنوب الأغنياء ، وحقيق على الله تعالى أن يمنح رحمته ممن منع حق الله في ماله » .

٣٥- ﴿ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴾ قريب يدفع وتخليل ينفع .

٣٦- ﴿ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسْلِينَ ﴾ غسالة أهل النار التي تسيل من أبدانهم .

٣٧- ﴿ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِلُونَ ﴾ وهم الذين كانوا في كل الحياة الدنيا يأكلون أقوات الكادحين . وينهبون أرزاق المستضعفين .

٣٨- ٣٩- ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصَرُونَ وَمَا لَا تُبْصَرُونَ ﴾ بجميع الأشياء بلا استثناء ، وكتب أحمد أمين العراقي بكتاب التكمال في الإسلام أكثر من ٨٠ صفحة حول هذه الآية ، وقال من جملة ما قال : ان من الأشياء التي لا يمكن أن ترى على الإطلاق حتى بأحدث الآلات وأعظمها - الذرة والأشعة الخفية وهي أكثر بكثير من المرئية .

٤٠- ﴿ إِنَّهُ ﴾ القرآن ﴿ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ لا تشكوا أيها المعاندون في القرآن . فإن الله سبحانه يقسم - لأن « لا » زائدة - بأن القرآن من وحيه ، وهو الذي اختار محمداً لتبليغه ٤١- ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ﴾ لأن القرآن ليس من جنس

فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ ۖ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَأُوتَ كِتَابِيَةَ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْر مَا حِسَابِيَةَ ﴿٢٦﴾ يَلَيْتَنِي كَانَتِ الْقَاصِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي ۖ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿٢٨﴾ خَذُوهُ فَعَلُوهُ ﴿٢٩﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ فِي سَلْسَلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣١﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٢﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣٣﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسْلِينَ ﴿٣٥﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِلُونَ ﴿٣٦﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصَرُونَ ۖ وَمَا لَا تُبْصَرُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٣٨﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تَأْمِنُونَ ﴿٣٩﴾

الشعر ولا في أسلوبه .

٤٣-٤٢ ﴿ ولا يقول كاهن ﴾ لأن كلام الكهان سحف وأوهام ، وتقدم في سورة الشعراء الآية ٢٢٤ والطور الآية ٢٩ .

٤٤- ﴿ ولو تقول علينا ﴾ لم يزد محمد (ص) حرفاً واحداً في القرآن . ولم ينقص منه حرفاً وتقدم في الآية ٣٣ من الطور . ولو حاول الإفتراء .

٤٥- ﴿ لأخذنا منه باليمين ﴾ واليمين هنا تعبير عن القدرة الإلهية .

٤٦- ﴿ ثم لقططنا منه الوتين ﴾ وهو العرق الرئيسي الذي يتعلق به القلب .

٤٧- ﴿ فما منكم من أحد عنه حاجزين ﴾ ما نافية تعمل عمل ليس ، ومن زائدة إعراباً ، وأحد اسم ما ، وحاجزين خبرها . ومنكم متعلق بمحذوف حالاً من حاجزين ، لو فرض أن محمداً يقول على الله لا نتقم منه ، ولا أحد من المؤمنين أو من غيرهم يستطيع أن يحول دون ذلك ، وبما أن الله لم ينتقم من محمد فهو إذن الصادق الأمين ، والمفترون هم الذين نسبوه إلى الإفتراء .

٤٨- ﴿ وانه ﴾ القرآن ﴿ لتذكروا للمتقين ﴾ القرآن هو السبيل الواضح لمن أراد أن يقي غضب الله بصدق وإخلاص .

٤٩- ﴿ وانا لنعلم أن منكم مكذبين ﴾ أنزل سبحانه القرآن على محمد (ص) وهو يعلم أن بعض الخلق سوف يكفرون به مع أنه يحمل في صلبه الدليل القاطع على صدقه وعظمته .

٥٠- ﴿ وانه لحسرة على الكافرين ﴾ حيث يرون غداً العليم العظيم الذي أعد الله لمن آمن بالقرآن واهتدى بهديه والعذاب الأليم لمن أعرض عنه وصل عن سبيله .

٥١- ﴿ وانه لحق اليقين ﴾ الذي به يستدل على غيره ولا يستدل بغيره عليه .

٥٢- ﴿ فسبح باسم ربك العظيم ﴾ سبحانه أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين والرحمن الرحيم وصل على محمد وآله الطاهرين .

سُورَةُ الْمَجَانِحِ مَكِّيَّةٌ وَفِيهَا ثَمَانُونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿ سأل سائل بعذاب واقع ﴾ سأل. هنا بمعنى طلب واستدعى ، وعليه يكون المعنى أن من كذب بالبعض والحساب والجزاء طلب تعجيل العذاب ساخراً متحدياً . فجاءه الجواب من مالك الثواب والعقاب .

٢- ﴿ للكافرين ليس له دافع ﴾ العذاب واقع على المجرمين . لا شك فيه ، ولا دافع له سواء أطلبوه أم رفضوه .

وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَدْكُرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَتَذْكُرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

(٧٠) سُورَةُ الْمَجَانِحِ مَكِّيَّةٌ
وَأَسَاسُهَا الرَّحْمَةُ وَالْعَفْوُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ

٣- ﴿ مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴾ المراد بالمعارج الرفعة الكاملة والعلو المطلق ، وفي معنى هذه الآية قوله تعالى : « رفيع الدرجات ذو العرش - ١٥ غافر » .

٤- ﴿ تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ خمسين ألف سنة ﴿ المراد بالروح جبريل وعطفه على الملائكة من باب عطف الخاص على العام ، والمعنى أن الملائكة يسرعون في طاعة الله وإنفاذ أمره سرعة يقطعون بها في اليوم الواحد قدر ما يقطع الناس في خمسين ألف سنة بوسائلهم المألوفة ، والمراد بهذه المدة مجرد التمثيل لحق الله على الخلق ، وأن عليهم أن يستسلموا لأمره ، ويسرعوا إلى طاعته تماماً كما أسرع إليها الملائكة المقربون - ٥ ﴾ فاصبر صبراً جميلاً ﴿ تدرع يا محمد بالصبر على تكذيب المجرمين وإبذائهم

٦- ٧- ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَاهٍ قَرِيبًا ﴾ يوم الحساب والجزاء محال وبعيد عن الجاحدين ، وعند الله أقرب من قريب ، لأنه آت لا محالة - ٨- ﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَلْهِلِ ﴾ تدوب الكواكب والأجرام السماوية ، وتصبح كالزيت المكروا المعدن الذائب السائل - ٩- ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴾ كالصوف في هشه وانفاشه - ١٠- ﴿ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴾ لأن كل إنسان في شغل شاغل بنفسه عن غيره .

١١- ﴿ يَبْصُرُونَهُمْ ﴾ أي يرى الحميم حميمه يوم القيامة ، ولكن لا سؤال ولا كلام ، لأن كلاً منهما يومئذ في شأن يذله وهم يشغله ﴿ يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ بنيه ﴾ الذين جمع لهم من حلال وحرام .

١٢- ﴿ وَصَاحِبِهِ وَأَخِيهِ ﴾ المراد بالصاحبة الروجة - ١٣- ﴿ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴾ عشيرته التي تحميه .
١٤- ﴿ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴾ قد يهون الموت على الإنسان ، بل ويضحى بالمال والعيال في سبيل حريته وكرامته ، وهو سليم الجسم معافي من الأوجاع والآلام فكيف إذا سلب الحرية - التي في لهب ساطع ودائم . لا يقضى عليه فيموت ، ولا يخفف عنه العذاب ؟ وتقدم في الآية ٩١ من آل عمران .

١٥- ﴿ كَلَّا ﴾ أيها المجرمون ... لا فداء ولا شيء ينجيكم من سوء المصير ﴿ انْهَا لَطْفِي ﴾ لخب خالص .
١٦- ﴿ نَزَاعَةَ لِلشَّوَى ﴾ تنزع الأعضاء من أماكنها وتشويها ، ثم إلى الحياة كما كانت ، وهكذا دواليك .
١٧- ﴿ تَدْعُو مِنْ أَدْبَرٍ وَتَوَلَّى ﴾ تجذبه إليها وتشده ، ولا تدع له ، من وسيلة إلى القرار .

١٨- ﴿ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴾ من الوعاء لا من الوعي ، والمعنى جمع المجرم الأموال ، وأمسكها في الأوعية ، ولم يود حتى الله منها - ١٩- ٢١- ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾ إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً ﴿ الإنسان ابن الأرض وبها يشبه ، فهي تخضب وتنشر الخضرة والتماء وإذا نزل عليها الماء وتجذب وتبخر إذا انقطع عنها ، وهكذا الإنسان يفرح ويسر إذا مسه الخير وينهار جزعاً إذا مسه الشر والفرق بينهما وبين الأرض أن للإنسان طاقة وإرادة وديناً وعقلاً ولا يستطيع أن يملك نفسه ، ويلزم العدل والتوازن ، في تصرفاته فلا يفتقر أو يكثر إذا استغنى ، ويصبر وينجل إذا افتقر ، وأيضاً يتقرب بالله ورحمته ، ولا يستولي عليه اليأس والفتنوت ، وهذا هي صفة المؤمنين حقاً الذين أشار سبحانه إليهم بقوله :

٢٢- ٢٣- ﴿ إِلَّا الْمُسْلِمِينَ ﴾ الذين هم على صلاتهم دائمون ﴿ أبداً لا دين ولا إيمان إلا لمن حافظ على الصلاة

دَافِعٌ ﴿ مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴾ تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ
وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿
فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿ وَزَنُّهُ
قَرِيبًا ﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَلْهِلِ ﴿ وَتَكُونُ
الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿
يَبْصُرُونَهُمْ يَوْمَ الْمُعْجَمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ
بَنِيهِ ﴿ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي
تُؤْوِيهِ ﴿ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿ كَلَّا إِنَّهَا
لَطْفِي ﴿ نَزَاعَةَ لِلشَّوَى ﴿ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ﴿
وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴿ * إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿
إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿
إِلَّا الْمُسْلِمِينَ ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿

وواجباتها وثبت على أدائها في أوقاتها. ﴿٢٤-٢٥﴾ والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ﴿٢٤﴾ السائل : الذي يطلب من الناس ويبدأهم بالسؤال والمحروم : الذي يتعفف عن الطلب ، فيظنه الجاهل بحاله غنياً فيحرمه ، وهذا أحق الناس بحق الله ، والصدقة عليه تقع في يد الله لا في يده كما في الحديث ، بل وفي القرآن لأن الله استقرض له لا لسواه .

﴿٢٦﴾ والذين يصلون يوم الدين ﴿٢٦﴾ لا دين لمن أقر بوجود الله ، وأنكر لقاءه وحسابه وجزائه ، وأيضاً لا إيمان لمن أقر بهذين معاً ، وأنكر نبوة محمد (ص) .

﴿٢٧-٢٨﴾ والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ﴿٢٧﴾ إن عذاب ربهم غير مأمور ﴿٢٨﴾ مهما كانت طاعة العبد وتكون ، ولا أدري كيف كرر وأعلن واحد من الناس ، أنه في أمان من عذاب الله وهو يتلو هذه الآية ؟ وروي أن رسول الله قال : « اعملوا وسددوا وقاربوا واعلموا أن أحداً منكم لن يدخله عمله الجنة . قالوا ولا أنت يا رسول الله قال : ولا أنا إلا أن يتغمطني الله برحمته منه وفضل » ومعنى الحديث : اتقوا العمل وتقربوا به إلى الله ، واتركوا إليه أمر الثواب على أعمالكم ولا تجزموا أن عملكم هذا يدخلكم الجنة لا محالة . بل أرجوا رحمة الله وفضله ..

﴿٢٩-٣٠﴾ والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم ﴿٢٩﴾ من جوار وإماء ، ولا موضوع لهذا الحكم في عصرنا حيث لا جارية ولا أمة ﴿٣٠﴾ فإنهم غير ملومين ﴿٣٠﴾ ولا مسؤولين حيث تمتعوا بحلال الله لا بحرامه .

وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٤﴾
وَالَّذِينَ يُصَلُّونَ لِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُورٍ ﴿٢٨﴾
وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ
أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنْ أَتَّبَعَى
وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ
لِأَمْشَلَتِهِمْ وَهَمِّهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ
قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يَحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾
أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا
قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾
أَيُطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا
إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَا أَقْسَمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ

﴿٣١﴾ فمن ابتغى وراء ذلك ﴿٣١﴾ تجاوز الحلال إلى الحرام كالزنا والواط ﴿٣١﴾ فأولئك هم العادون ﴿٣١﴾ المعتدون على أعراض الناس والمعتدون المتجاوزون حدود الله ﴿٣٢﴾ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ﴿٣٢﴾ المؤمن المخلص إذا أؤتمن لم يخن ، وإذا عاهد لم يخرس . ﴿٣٣﴾ والذين هم بشهاداتهم قائمون ﴿٣٣﴾ لا يكتمونها ولا يزيدون فيها ، ولا يقصونها منها . ﴿٣٤-٣٥﴾ والذين هم على صلاتهم يحافظون ﴿٣٤﴾ تقم في الآية ٢٣ من هذه السورة وكرر سبحانه لمجرد الإهتمام بالصلاة والتنبه إلى أنها عمود الإسلام . وسبق الكلام عن المحافظة على الصلاة والفرج وإقامه الشهادة والوفاء بالعهد والأمانة وحق الله في الأموال والخوف من عذابه تعالى والرجاء لثوابه ﴿٣٦﴾ فقال الذين كفروا قبلك مهطعين ﴿٣٦﴾ قبلك بكسر القاف : نحرك وعنك وحولك ، ومهطعين : مسرعين .

﴿٣٧﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ ﴿٣٧﴾ أي عن يمين محمد (ص) وشماله ﴿٣٧﴾ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ فرقا وجماعات والمعنى ما أعجب شأن المكذبين برسالتك ! إنهم يسرعون ويتحلقون حولك حين تتلو آيات الله ، لا شيء إلا ليتخذوها هزواً وسخرأً .

﴿٣٨﴾ أَيُطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ أي يكتمونها ولا يزيدون فيها ، ولا يقصونها منها . ﴿٣٨﴾ أَيُطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ أي يكتمونها ولا يزيدون فيها ، ولا يقصونها منها . ﴿٣٨﴾ أَيُطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾

﴿٣٩﴾ كَلَّا ﴿٣٩﴾ هيئات لا يخدع الله عن جنته ، ولا تنال مرضاته إلا بطاعته ﴿٣٩﴾ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ أي يكتمونها ولا يزيدون فيها ، ولا يقصونها منها . ﴿٣٩﴾ كَلَّا ﴿٣٩﴾ هيئات لا يخدع الله عن جنته ، ولا تنال مرضاته إلا بطاعته ﴿٣٩﴾ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

﴿٤٠-٤١﴾ فَلَا أَقْسَمُ رَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ﴿٤٠﴾ أي يقسم سبحانه - على القول بأن « لا » زائدة - عن خلق

الكواكب ومشارفها ومغاربها ﴿ إِنَّا لَقَادِرُونَ عَلَى أَنْ نَبْدِلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا خَيْرٌ مِنْهُمْ ﴾ ﴿٤١﴾ فذَرْنَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَتْهُمْ إِلَيْكَ نُصُبٌ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِفَهُمْ ذِلَّةً ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

٤٢- ﴿ فذَرْنَهُمْ يَخُوضُوا ... ﴾ دعهم يا محمد في لهوهم وكفرهم حتى يدفقوا وبال أمرهم ، وتقدم بالحرف الواحد في الآية ٨٣ من الزخرف .

٤٣- ﴿ يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَتْهُمْ إِلَيْكَ نُصُبٌ يُوفِضُونَ ﴾ الأجداث : القبور ، ونُصُبٌ بضم النون والصاد ، الشيء المنصبوب ، والمراد به هنا الصنم المعبود ، والجمع أنصباب ، ويوفضون : يسرعون ويستبقون ، والمعنى أن المشركين يسرعون غداً الخروج من قبورهم كما كانوا يسرعون المشي إلى أصنامهم في الدنيا .

٤٤- ﴿ خَشِيعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرَهِفَهُمْ ذِلَّةً ﴾ ينظرون نظرات الدليل الخاضع ، لا يشعرون من الخزي والهوان ، وتقدم في الآية ٧ من القمر ﴿ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ وبه يكذبون ، ومنه يسخرون حتى ذاقوا جمراته وآفاته .

سُورَةُ نُوحٍ مَكِّيَّةٌ فِي ثَلَاثِينَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ ﴾ منذراً ومحذراً من غضب الله وعذابه . جاء في تفسير جزء تبارك للشيخ عبد القادر المغربي أن بين آدم ونوح ١٠٥٦ سنة .

٢-٣- ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ ﴾ أمره بأمور ثلاثة : أن يتركوا الأصنام ويعبدوا الله وحده . الثاني أن يفعلوا الخير ويتقوا الشر . الثالث أن يطيعوا الله في أمره ونهيه ، وضمن لهم أن استجابوا ، أمرين .

اللغة :

استغشوا ثيابهم يقال : استغشى الثوب إذا تغطى به ، ويجعل كناية عن أخفى الحالات . والمراد بالسبأ هنا المطر . والمدوار الغزير .

الإعراب :

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ ﴾ ، وإن أنزل ، يجوز أن تكون « إن » مفسرة بمعنى أي ويجوز أن تكون مصدرية على تقدير الباء أي بأن أنزل وبأن أعبدوا .

(٧١) سُورَةُ نُوحٍ مَكِّيَّةٌ

وَأَيُّهَا ثَلَاثِينَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَتَّبِعُونَ آلِيَّكُمْ ذِكْرًا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ ﴿٣﴾

٤- ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ أي ما تقدم منها على الإيمان لأن الإيمان يجب ما قبله ، أما الذنوب بعد الإيمان فيحاسبون عليها ، وإلى هذا تومي كلمة « من » الأمر الثالث ﴿ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ أي أجل الله إذا جاء لا يؤخر ﴿ ان استجيتم لدعوتي يمهلكم سبحانه حتى تستوفوا العمر الطبيعي المحتوم وإلا عجل واستأصل شأفتكم بالطوفان ونحوه ﴾ لو كنتم تعلمون ﴿ يا ليتكم تعلمون لتسرعوا إلى الإيمان .

٥- ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾ دائماً ومواطأة - ﴿ فلم يزدتهم دعائي إلا فراراً ﴾ ثابر وواظب نوح على الدعوة ، وثابروا بدورهم وواظبوا على التفرغ والعبادة .

٧- ﴿ وَإِنِّي كَلَّمَاِ دَعَوْتُهُمْ لَتُغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ ﴾ سدوها دون دعوة الداعي ﴿ واستغشوا ثيابهم ﴾ تغطوا بها كيلا يروا وجه الداعي ﴿ وأصروا واستكبروا استكباراً ﴾ على الحق والإنقياد له .

٨-٩- ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾ فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً ﴿ يرسل السماء عليكم مدراراً ﴾ ويمدكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً ﴿ ما لكم لا ترجون لله وقاراً ﴾ وقد خلقكم أطواراً ﴿ أفرأوا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً وجعل القمر فيهن نوراً وجعل السحاب طباقاً ﴾ قال جماعة من المفسرين في وجه الجمع بين الجهر والإعلان : بدأ نوح بالدعوة سرّاً ، ثم ثنى بالمجاهرة ، ثم ثلث بالجمع بين الإسرار والإعلان ، أما نحن فنختار ما قاله الدكتور طه حسين في كتاب مرآة الإسلام ، ونلم منه هذه الشذرات : « للقرآن أسلوب خاص به لم يسبق إليه ، ولم يلحق فيه ... ويختلف أشد الاختلاف عما يكتبه الناثرون وينظمه الشعراء ، ويقولوه الخطباء ... القرآن يتلى في الإذاعات الأوروبية والأميركية على أنه إمتاع للمستمعين ... وقد يذاع غيره من اللغات ، ولكن بعض الحين لا دائماً كما يذاع القرآن الكريم » وعليه فلا يسوغ أن تقيس كلام الله على كلام البشر ونقول : لماذا أعاد وكرر ؟ ثم تتمحل في التوجيه والتأويل .

١٠- ﴿ قُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ لكل من يندم على خطيئته ، ويلجأ إلى الله ومغفرته .

١١- ﴿ يرسل السماء عليكم مدراراً ﴾ مطراً كثيراً متواصلًا ، ويستحب قراءة سورة نوح في صلاة الاستسقاء من أجل هذه الآية كما قبل .

١٢- ﴿ ويمدكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً ﴾ كل مجتمع يؤمن بالله ولم يعض له أمراً يعيش في سلام وهناء دنيا وآخرة بحكم البديهة . لأن معنى إطاعة الله في أمره ونهيه أن يسود الأمن والعدالة الإجتماعية .

١٣- ﴿ ما لكم لا ترجون لله وقاراً ﴾ لا تهابون نكاله وعذابه .

١٤- ﴿ وقد خلقكم أطواراً ﴾ نقطة ثم علقه . وهكذا إلى الهرم والشيخوخة .

١٥- ﴿ ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً ﴾ تأملوا الكون ونظامه وإتقانه الذي يدل على وجود المكون والمنظم وقدرته وعظمته ، وتقدم في الآية ٣ من الملك وغيرها .

١٦- ﴿ وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً ﴾ فيهن أي في مجموع السموات . وصف سبحانه الشمس بالسراج

لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿١١﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٢﴾ وَإِنِّي كَلَّمَاِ دَعَوْتُهُمْ لَتُغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا ﴿١٣﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿١٥﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٦﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١٧﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٨﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٩﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ السَّعْبَ سَمَوَاتٍ طَبَاقًا ﴿٢١﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ

سُورَةُ الْجِنِّ مَكِّيَّةٌ وَمِنْ أَوَّلِ مَا نَزَّلَ اللَّهُ عَلَيْهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَلَمَنْ دَخَلَ بُيُوتَ مُؤْمِنٍ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا
تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿١﴾

(٧٢) سُورَةُ الْجِنِّ مَكِّيَّةٌ
وَأَسْمَاءُهَا ثَلَاثُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا
قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ، وَلَنْ نُشْرِكَ
بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً
وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾
وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾
وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ

١- ﴿ قُل ﴾ يا محمد ﴿ أوحى إلي أنه استمع نفر من
الجن ﴾ الجن حقيقة واقعة ، لأن الوحي أتته ، والعقل لا
ينفي ، إن قال قائل : العلم الحديث لم يثبت الجن . قلنا في
جوابه : وهل في العلم الحديث ما ينفيه ؟ إن هذا العلم يعتمد
الحس والعيان ، ولا شيء في القرآن أو السنة يقول بالعبارة
أو الإشارة : إن إنساناً رأى الجن ، بل هذه الآية تشير إلى أن
النبي ما رأى الجن ، ولا عرف أن قرأ منهم يستمعون إليه
إلا بوحى من الله . وقال الشافعي : من زعم أنه يرى الجن
أطلقا شهادته ﴿ فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجياً ﴾ في بلاغته
وهدايته .

٢- ﴿ يهدي إلى الرشد ﴾ إلى الحق والعدل والسلام
والحرية ، إلى حياة لا جور فيها ولا جهل ولا فقر ﴿ فأما به ﴾
وهل من إنسان حقاً وواقعاً لا يؤمن بالإنسانية ؟ ﴿ ولن نشرك
بربنا أحداً ﴾ لا عظيم سواه ، بيده ملكوت كل شيء ،
وهو على كل شيء قدير .

٣- ﴿ وأنه تعالى جدُّ ربنا ﴾ أي تعالى جلالة وكماله عن
الصاحبة والولد .

٤- ﴿ وأنه كان يقول سفيهاً على الله شططاً ﴾ بعيداً
عن الحق والواقع ، وإضافة السفيه إلى الجن توبيخاً إلى أنه
كان فيهم من يفترى على الله كذباً .

٥- ﴿ وأنا ظننا أن لن نقول الإنس والجن على الله كذباً ﴾ كان قادة الجن يدعون الأتباع إلى الشرك فيشركون
يعاناً منهم بأن ما من أحد يقول على الله بغير الحق .

٦- ﴿ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن ﴾ المراد برجال الإنس الجبهة البسطاء ، والمراد برجال
الجن المشعوذون الدجالون الذين يزعمون أنهم يسخرون الجن فيما يريدون ، والمعنى أن السذج من الناس كانوا يستجرون
بالدجالين ليدفعوا غائلة الجن عنهم أو يتنبأوا بما يحدث لهم

الإعراب :

المصدر من ﴿ أنه استمع ﴾ نائب فاعل لأوحي ، وضمير أنه للشأن . ﴿ عجياً صفة للقرآن بمعنى عجيب . ﴾ ﴿ شططاً ﴾ صفة لمفعول
مطلق مقدر أي قولاً شططاً ، ومثله كذباً . ﴿ وإن لن ﴾ « أن » مخففة ، واسمها ضمير الشأن محذوف ، والمصدر المنسبك ساذ مسد
مفعولين . ﴿ ورحمناً ﴾ مفعول ثانٍ لزاودهم .

فَرَادَوْهُمْ رَهَقًا ❶ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ
 اللَّهُ أَحَدًا ❷ وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتِ حَرَسًا
 شَدِيدًا وَثِقَالًا ❸ وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعَدِ السَّمْعِ ❹ فَن
 يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدُ لَهُ شُهَابًا رَّصَدًا ❺ وَأَنَا لَا نَدْرِي
 أَشَرُّ أَرِيدُ يَمْنُ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ❻
 وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ
 قَدْدًا ❼ وَأَنَا ظَنْنَا أَن لَّن نَعِجَزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن
 نَعِجِزَهُ هَرَبًا ❽ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهَدْيَ ءَامَنَّا بِهِ فَن
 يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ ءَفَلَا يَخَافُ بَحْصًا وَلَا رَهَقًا ❾ وَأَنَا مِنَّا
 الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَن أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا
 رَشَدًا ❿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ⓫
 وَالْوِاسْتَقْمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا ⓬

أو ما أشبه ﴿فَرَادَوْهُمْ رَهَقًا﴾ حيث كان الدجالون يطلبون
 من البسطاء أجراً يعجزون عن مثله .

٧- ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾
 ظن الجن - قبل رسالة محمد- أنه لا نشر ولا حشر . تماماً
 كما ظن الإنس ، وتقدم في الآية ٢٩ من الأحقاف .

٨- ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتِ حَرَسًا﴾ هذا
 إعتراف صريح من الجن بالعجز عن استراق السمع من السماء ،
 وتقدم في الآية ١٨ من الحجر وغيرها .

٩- ﴿وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ السَّمْعِ فَمَن يَسْمَعُ
 الْآنَ يَجِدُ لَهُ شُهَابًا رَّصَدًا﴾ تدل الآية بظاهرها أن الجن كانوا
 يصعدون إلى السماء لاستراق السمع ، ثم منعوا من ذلك ،
 ومن يحاول الآن أن يستمع يرحم بشهاب من نار .

١٠- ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدُ يَمْنُ فِي الْأَرْضِ ...﴾
 هذا من كلام الجن ، ومعناه كيف يظن الحمقى من الإنس
 أن عندها علم الغيب وما يحدث لهم في المستقبل من خير وشر ،
 ونحن نجهل ما يحدث لأنفسنا ؟

١١- ﴿وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمَنَادُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ
 قَدْدًا﴾ يحكي الجن عن أنفسهم أن منهم الصالح والطالح ،
 وأنهم متفرقون طوائف ومذاهب تماماً كالإنس .

١٢- ﴿وَأَنَا ظَنْنَا أَن لَّن نَعِجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ﴾ لما
 سمع الجن القرآن آمنوا بأن الله سبحانه لا يعجزه من طلب ،
 ولا يفوته من هرب .

١٣- ﴿وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهَدْيَ ءَامَنَّا بِهِ﴾ آمنوا بالقرآن
 بمجرد سماعه ، لأنه يحمل في صلبه الدليل القاطع على صدقه فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخصاً ﴿تَقْصًا﴾ ولا رهقاً ﴿ظَالَمًا﴾ لأنه تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

١٤- ﴿وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ جمع القاسط وهو المنحرف عن الحق ، أما المقسط فهو العادل ،
 والآية السابقة رقم ١١ قسمت الجن إلى صالح وما دونه بالنظر إلى ما قبل الإسلام ، والآية التي نحن بصددتها قسمتهم إلى
 مسلم وقاسط بالنظر إلى ما بعد إسلام من أسلم من الجن .

١٥- ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ﴾ وهم الذين رفضوا الإسلام فأوأمهم جهنم وبئس المهاد .

١٦- ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا﴾ كثيراً ، والمراد به هنا الرخاء لأن الماء أصل الحياة ،
 والمعنى لو أن الخلق عملوا بشريعة العدل والحق لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم كما في الآية ٦٦ من المائدة .

الإعراب :

﴿حَرَسًا﴾ تمييز . و﴿مَقَاعِدُ﴾ اسم مكان مفعول فيه . ﴿أَشَرُّ﴾ مبتدأ وجملة أريد خبر .

لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۖ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً
صَعِيداً ﴿١٧﴾ وَأَنْ أَلْمَسِجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾
وَأَنْتَ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ
لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾
قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ
يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾
إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ ۚ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا
مَا يُوعَدُونَ فَيَسْأَلُونَ مَنْ أَعْصَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾
قُلْ إِنْ أَدْرَىٰ أَحَقُّبِّ أَمِ تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي
أَمْدًا ﴿٢٥﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾
إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَيَمْنُ

١٧- ﴿﴾ لنفتنهم فيه ﴿﴾ أي في الرخلة ، والمعنى لنختبرهم
في الفنى والرخاء : هل يتواضعون ويشكرون أو يتعاطفون
ويطغون ؟ ﴿﴾ ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعيداً ﴿﴾
يدخله عذاباً أشد عليه من اكل عذاب .

١٨- ﴿﴾ ولن المساجد لله ﴿﴾ بنيت المساجد للعبادة وما
يرضى الله من الأفعال وما عدا ذلك فله مكانه ومحله الخاص
.

١٩- ﴿﴾ وأنه لما قام عبد الله ﴿﴾ محمد ﴿﴾ يدعوه كادوا
يكونون عليه لبدا ﴿﴾ حين دعا رسول الله الخلق إلى الحق تظاهرت
عليه أحزاب الضلال ، وكادوا من كثرتهم يكونون كالشعر
أو الصوف الذي تلبد بعضه فوق بعض ، ويدل على إرادة
هذا المعنى قوله تعالى بلا فاصل :

٢٠- ﴿﴾ قل إنما أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿﴾ أعبد
الله وأخلص له دون سواه .

٢١- ﴿﴾ قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً ﴿﴾ نعماً ،
أنا بشر مثلكم وليس لي من الأمر شيء سوى التبليغ عن
الله وكفى .

٢٢- ﴿﴾ قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من
دونه ملتحداً ﴿﴾ ملجأ وملأناً .

٢٣- ﴿﴾ إلا بلاغاً من الله ورسالاه ﴿﴾ لا مفر لمحمد
(ص) من غضب الله إذا هو قصر في تأدية الرسالة التي اتتمنه
عليها . وهذه آية من عشرات الآيات التي تدل بصراحة على

أن الإسلام يضع الإنسان أمام الله مباشرة يتناجى بما يشاء من غير وسيط روحي أو شخصي .

٢٤-٢٥- ﴿﴾ حتى إذا رَأَوْا ما يوعدون فَيَسْأَلُونَ مَنْ أَعْصَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿﴾ كان العتاة يمترون بالمال
والرجال ، ويسخرون من المستضعفين الذين يعترفون بالله ورسوله ، فقال سبحانه للساخرين : في غير تعلمون من هو الأذل
والأدنى ، ومن هو الأعز والأعلى . أبداً لا رافع لمن وضع وبلا واضح لمن رفع .

٢٦- ﴿﴾ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً ﴿﴾ حين سمع المشركون العتاة قوله تعالى : فسيملون من أضعف ناصراً ،
سألوا النبي (ص) : متى هذا الوعد ؟ قال لهم بأمر من الله : لا أدري أقرب أم بعيد ، لأن الله وحده هو الذي يعلم
الغيب ، ولا يُطلع عليه أحداً .

٢٧- ﴿﴾ إلا من ارتضى من رسول ﴿﴾ وما أخبرني متى تقوم القيامة ﴿﴾ فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً ﴿﴾
تفسير الغائب للرسول ، والمعنى أن النبي حين يبلغ عن ربه بصوته سبحانه من كل شيء يمنه عن تأدية الرسالة على وجهها
سواه أكان هذا الشيء من الدائل كالذهول والنسيان أم من الخارج كشوش الأعداء وأباطيلهم .

٢٨- ﴿لِيَعْلَمَ﴾ الله سبحانه ، والمراد بعلمه هنا وجود
المعلوم وثبوته واقفاً ﴿فَإِنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ﴾ أي أن
الله سبحانه صان رسالات أنبيائه من التغير والتحريف لكي
ينم التبليغ ويتحقق كما علم الله وأراد ، ولذا قال سبحانه
بلا فاصل : ﴿وَاحْطِ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ علم سبحانه أن أنبيائه
قد بَلَّغُوا رسالاته كما هي لم يُنْقِصُوا منها أو يزيدوا فيها أو
يبدلوا حرفاً بحرف وإلا تبطل - يح - الله على العباد وبيناته
﴿وَاحْصِيَ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ فكيف لا يحصي على رسله
أقوالهم وأنفاسهم حين يبلِّغون رسالاته إلى عباده ؟ .

سُورَةُ النِّازِعَاتِ مَكِّيَّةٌ وَفِيهَا عَشْرُونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْمِلُ﴾ وأصله المترمل من ترمل إذا
اشتمل بشيائه ، وكان النبي (ص) حين النداء مشتملاً بكسائه
فخطبه العلي الأعلى بالوصف الذي هو عليه ملاحظة له .
٢- ﴿قُمِ اللَّيْلُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي الليل في الصلاة والعبادة
ما عدا جزءاً قليلاً منه ، تأوي فيه إلى فراشك .
٣-٤- ﴿نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾
نصفه بذلك بعض من كل وهو الليل ، وعليه يكون المعنى
لك يا محمد أن تقوم لله النصف من الليل أو أقل من النصف
بقليل أو أكثر منه أيضاً بقليل ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ اقرأه
على مهل آية فآية كما يتدبر القارئ والسامع معناه وممراته .

٥- ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا هَيْهَلًا﴾ المراد بالقول هنا
القرآن بالإتفاق ، ولكن هل القيل في تلاوة القرآن وكفى ؟ ويجب القرآن نفسه عن هذا السؤال حيث يقول لمحمد (ص) :
«كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور» ١- إبراهيم ، ومعنى هذا أن علي محمد أن يتحلى مشاعر
الناس ، كل الناس ، وعواظهم ، وأن يثور على آلهتهم ومقدساتهم وعلى عقولهم وأفكارهم وعلى عاداتهم الموروثة
وأسلوب حياتهم ، ومن هنا جاء الحمل الثقيل والخطب الجليل ، ولكن شخصية محمد وصلابتها في تحمل الأثقال هي السر
لاصطفاه ودعوه إلى أن يحمل على هذا العبء الجليل الثقيل . والله يعلم من خلق وأرسل . انظر تفسير الآية ١١ من الطلاق .
٦- ﴿إِنْ نَاشَأَ اللَّيْلُ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ ناشأ الليل : ساعات القيام فيه ، وأشد وطأً : أكثر مشقة
من القيام في النهار ، وأقوم قيلًا : أصوب قراءة ، والمعنى أن الإنسان في عبادته ليلاً يتوجه إلى خالقه أكثر منه نهاراً
سواء أكانت العبادة صلاة أم دعاء وتسبيحاً أم تلاوة لكتاب الله .
٧- ﴿إِنْ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا طَوِيلًا﴾ سبعم : تصرفاً وتقلباً في الأعمال كما يتقلب السائح في الماء ، والمعنى
الليل للعبادة والنهار للعمل .

٨- ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ ادع إليه ﴿وَبِئْسَ إِلَهٌ تَبْتَلِي﴾ انقطع إليه ، وتوكل عليه ، واستعن به وحده .

٩- ﴿رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ كتابة عن عظمته

خَلْقِهِ رَصَدًا ﴿لِيَعْلَمَ﴾ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ
وَاحْطِ بِمَا لَدَيْهِمْ وَاحْصِيَ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾

(٧٣) سُورَةُ النِّازِعَاتِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا عَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمَرْمِلُ ﴿١﴾ قُمْ أَيْلًا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفَهُ
أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ
تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنْ نَاشَأَ
أَيْلًا هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنْ لَكَ فِي النَّهَارِ
سَبْعًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَبِئْسَ إِلَهٌ
تَبْتَلِي ﴿٨﴾ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴿٩﴾

وَأَنْ كُلَّ شَيْءٍ فِي قَبْضِهِ ﴿١٠﴾ فَاتَّخَذَهُ وَكِيلًا ﴿١١﴾ مِنْ سَأَلِهِ أَعْطَاهُ ،
وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ .

١٠- ﴿١٠﴾ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ... ﴿١١﴾ أَكْظَمَ غِيظَكَ
يَا مُحَمَّدُ مِنْ سَفَاهَةِ قَوْمِكَ بَلَا عَتَابَ وَسْؤَالَ وَجَوَابَ ، وَدَعِ
أَمْرَهُمْ إِلَى اللَّهِ .

١١- ﴿١١﴾ وَفَرَنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ ﴿١٢﴾ مَا لَكَ وَلِئِنْ
أَعْطَاكَ الْغَنَى ، وَتَمَرَّ لِلْمَسَاكِينِ ؟ انْظُرْ قَلِيلًا وَتَرَى مَا بِهِ وَمَصَابِهِ .

١٢- ﴿١٢﴾ إِنْ لَدَيْنَا أَنْكَالٌ وَجَحِيمٌ ﴿١٣﴾ وَالْأَنْكَالُ هِيَ
الْقَبُودُ الَّتِي لَا تَنْفَكُ إِلَّا قَافًا .

١٣- ﴿١٣﴾ وَطَعَامًا فَغَصَّةٌ ﴿١٤﴾ يَعْتَرِضُ فِي الْحَلْقِ وَيَسْدُو
لَا يَدْخُلُ وَلَا يَخْرُجُ .

١٤- ﴿١٤﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ
كُتُبًا مَهِيلاً ﴿١٥﴾ تَهْتَزُّ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَتَزُولُ ، فَتَقْشَعُ
الْجِبَالُ وَتَتَحَوَّلُ كُتُبًا فَيُتْلَى مِنَ الرَّمَالِ مَهِيلاً : فَيُتَبِيلُهُ
الرياح وتشره ، وتقدم مرات .

١٥- ١٦- ﴿١٦﴾ إِنْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ ﴿١٧﴾
الْخُطَابَ لِلْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ الْمَذْكُورِينَ قَبْلَ قَلِيلٍ ، وَالرَّسُولُ
مُحَمَّدٌ (ص) يَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ وَكَرَّرَ وَبَشَّرَ وَأَنْذَرَ
﴿١٧﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ... ﴿١٨﴾ إِنْ حَالُ مُحَمَّدٍ (ص)
مَعَ الْمُكَذِّبِينَ الْمُرْتَفِينَ تَمَامًا كَحَالِ مُوسَى مَعَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ،
وَقَدْ انْتَقَمَ سَبْحَانَهُ مِنْ هَؤُلَاءِ شَرِّ انْتِقَامٍ ، وَالْمُكَذِّبُونَ بَنِيَّةُ
مُحَمَّدٍ (ص) أُولَى بِالْهَلَاكِ وَالْإِنْتِقَامِ ، لِأَنَّ مُحَمَّدًا أَجَلَ مِنْ
مُوسَى وَأَعْظَمَ .

١٧- ١٨- ﴿١٨﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ ﴿١٩﴾ أَيُّ أَصْرَرْتُمْ عَلَى الْكُفْرِ حَتَّى الْمَوْتِ ﴿٢٠﴾ يَوْمًا ﴿٢١﴾ مَفْعُولٌ تَتَّقُونَ ﴿٢٢﴾ يَجْعَلُ
الْوِلْدَانَ شَيْئًا وَالسَّمَاءَ مَنْفَطِرًا بِهِ ﴿٢٣﴾ وَذَكَرَ مَنْفَطِرًا لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالسَّمَاءِ هُنَا السَّقْفُ أَوْ الْعُلُوُّ ﴿٢٤﴾ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿٢٥﴾ أَيُّ
وَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ وَاقِعٌ لَا مُحَالَةَ ، وَخِلَاصَةُ الْمَعْنَى : بَأَيَّةِ وَسِيلَةٍ أَهْلُهَا الطُّغَاةُ تَنْجُونَ مِنَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ فِي يَوْمِ تَشْيِبِ الْأَطْفَالِ
مِنْ أَهْوَالِهِ ، وَتَغْطُرُ السَّمَاءُ مِنْ أَفْوَاحِهِ ؟

١٩- ﴿١٩﴾ إِنْ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ ﴿٢٠﴾ إِشَارَةٌ إِلَى مَا سَبَقَ مِنْ آيَاتِ الْإِنذَارِ ، وَتَذَكُّرَةٌ : عِبْرَةٌ وَعِظَةٌ ﴿٢١﴾ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ
سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ لَقَدْ أَوْضَحَ سَبْحَانَهُ السَّبِيلَ إِلَى ثَوَابِهِ وَمَرْضَاتِهِ . وَمَا تَرَكَ عَذْرًا لِمَنْ تَعَلَّلَ .

٢٠- ﴿٢٠﴾ إِنْ رَبُّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى ... ﴿٢١﴾ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ أَمَرَ سَبْحَانَهُ النَّبِيَّ وَالصَّاحِبَةَ أَنْ يَعْبُدُوهُ فِي اللَّيْلِ عَلَى
الْبَيَانِ السَّابِقِ ، فَاسْتَجَابُوا وَكَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ، ثُمَّ أُنْزِلَ سَبْحَانَهُ التَّرْخِيفُ بِالتَّخْفِيفِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ، وَمَعْنَاهَا
أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ عَلِمَ مِنْ نَبِيِّهِ وَالَّذِينَ أَحْسَنُوا الصَّحْبَةَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقُومُونَ فِي اللَّيْلِ قِيَامًا مُخْتَلَفًا ، فَمَرَّةٌ يَصِلُونَ أَكْثَرَ مِنْ نِصْفِ
الَّيْلِ وَأَقْلَ مِنْ ثَلَاثَةِ ، وَمَرَّةٌ نِصْفَهُ ، وَحِيَا ثَلَاثَ ، لِأَنَّهُمْ يَعْجِزُونَ عَنْ ضَبْطِ الْوَقْتِ ، وَاللَّهُ هُوَ الَّذِي يَعْلَمُ الْبِدَايَةَ وَالنَّهَايَةَ لِكُلِّ
مِنْ اللَّيْلِ وَالتَّهَارِ وَأَجْزَاءِهِ الْأَوَّلَى وَالْآخِرَةَ وَالْوَسْطَى فِي كُلِّ الْفُصُولِ ، لِذَلِكَ خَفِيَ عَنِ النَّبِيِّ وَالصَّاحِبَةِ وَأَمْرُهُمْ أَنَّ

يكفوا بقراءة ﴿ ما تيسر من القرآن ﴾ نقل صاحب مجمع البيان عن أكثر المفسرين : أن المراد بالقراءة هنا صلاة الليل ، وهي ١١ ركعة ، ووقتها بعد نصف الليل ، وسواء أريد من القراءة في هذه الآية الصلاة أم مجرد التلاوة ، فإن الصلاة الواجبة تنحصر بالفرائض الخمس والآيات والطواف الواجب والملتزم بنذر وشبهه الصلاة على الميت . وقضاء الولد الأكبر عن والده ما فاتهما من الصلاة في مرض الموت .

﴿ علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله ﴾ ذكر سبحانه أربعة أسباب للتخفيف والترخيص بترك القيام لله دليلاً : السبب الأول : العجز عن ضبط الوقت ، وسبقت الإشارة إليه . الثاني أن في عباد الله مرضى يعتذر عنهم التعبد في الليل . الثالث أن منهم أيضاً المسافرين لطلب العيش وغيره من الأمور الضرورية . السبب الرابع الجهاد في سبيل الله ، فحُفَّت سبحانه القيام لله ليلاً عن جميع العباد لأجل هذه الأسباب ، ومعنى هذا أن الله سبحانه قد يرفع بعض التكليف عن عموم الأفراد لعجز بعض العباد عن أدائها ، وإن قدر آخرون على إقامتها بلا مشقة وصعوبة ﴿ فافرقوا ما تيسر منه ﴾ أي من القرآن وكرر سبحانه هذا الأمر لتكرار سببه ، فقد كان السبب الموجب للأمر الأول العجز عن ضبط الوقت ، أما السبب الثاني فهو المرض والسفر والجهاد ﴿ وأقيموا الصلاة ﴾ المفروضة في أوقاتها الخمسة ، ولا تسقط في مرض وسفر وجهاد يؤديها كل حسب طاقته ﴿ أتوا الزكاة ﴾ المفروضة في أموالكم ﴿ والقضوا لله قرضاً حسناً ﴾ أي لوجه الله بلا من وأذى وترفع واستعلاء ، وكرر سبحانه هذا القرض في كتابه أكثر من عشر مرات ، لأنه من أفضل أعمال البر ، إضافة إلى تزكية النفس والتكفير عن الذنب ﴿ وما تقدموا لأنفسكم ﴾ أي إن تقدموا ﴿ من غير تجلوه عند الله ﴾ المراد بالخير كل ما ينجم الإنسان وينتفع به قولاً كان أو فعلاً ﴿ واستغفروا لله ﴾ بجزر النفس عن الحرام إذا مالت إليه . وردعها عن الباطل إذا حاولت الإقدام عليه لا بقول استغفر الله وكفى .

سُورَةُ الْمَدَّثَرِ [٧٤]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- ١- ﴿ يا أيها المدثر ﴾ أصله المدثر ، والدثار : ما يلف به الإنسان من الثياب تماماً كالزمل .
- ٢- ﴿ قم فأنذر ﴾ قم يا محمد . قم يا إنسان بمعناه ومحتواه . قم يا من يؤمن بالله ويغضب لغضبه ، قم وتحد طاعة الأرض وجباية الحكم ، بكلمة الحق والعدل بلا مداراة وهوادة .
- ٣- ﴿ وربك فكبر ﴾ بهذا النداء لا كبير مهما كانت قوته وثروته إلا الله ، ولا خضوع لأحد سواه ، هذا هو الدين القيم الذي يضع الجميع على صعيد واحد في الحقوق والواجبات . ويبطل مزاعم الذين يرون لأنفسهم حقاً مقسمة على غيرهم .

عَلِمَ أَنْ لَنْ تُخْصَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكَ فَاقْرَأْ وَأَمَّا تَبَسَّرْ مِنْ
الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى وَآخَرُونَ
يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ
يُقِيمُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأْ وَأَمَّا تَبَسَّرْ مِنْهُ وَأَقِيمُوا
الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا
تَقْدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ
وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾

(٧٤) سُورَةُ الْمَدَّثَرِ
وَأَيُّهَا الْمَدَّثَرُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمَدَّثَرُ ﴿ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ وَرَبِّكَ فَكْبِرْ ﴿٧٤﴾

٤- ﴿وَبَابِكَ فَطَهَّرُ﴾ وما من شك أن نظافة الجسم والياب من الإيمان ، ولذا جعل الإسلام الغسل والوضوء شرطاً لصحة الصلاة ، ولكن المراد ما يعم ويشمل نظافة الباطن والسلوك التي تمد الحياة بما هو أجنى وأقوى .

٥- ﴿وَالرَّجَزُ فَاهْجُرُ﴾ قال الشيخ الطبرسي : « أي أنبت على هجره لأنه صلوات الله عليه مژءه عنه » .

٦- ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾ قال ابن عباس : أي لا تعط العطية تلتبس أكثر منها . وقال آخر : بل المعنى لا تعط شيئاً وأنت تراه كثيراً . ولا مائة جمع بين المعنيين .

٧- ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرُ﴾ اجعل صبرك على أذى قومك لوجه الله ، فسوف يلاقون جزاء هذا الإيداء .

٨- ﴿فَإِنَّا نَقَرُّ فِي النَّاقُورِ﴾ نفخ في الصور ، وخرج الأموات من القبور .

٩-١٠- ﴿فَذَلِكَ يَوْمُئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ على الطغاة والعصاة ، وتقدم في الآية ٩٩ من الكهف وغيرها .

١١- ﴿ذُرِّي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً﴾ أجمع المفسرون أن هذا التهديد نزل في الوليد بن المغيرة ، ولكن سبب النزول لا يخصص عموم اللفظ ، إضافة إلى أن جميع الناس يستون أمام العدالة الإلهية ، وعليه فإن هذه اللمعة الغاضبة اللاهبة تشمل وتعم كل من طغى وبغى ... وقيل : كلمة وحيد إشارة إلى أن الوليد مجهول النسب ، والأقرب الإشارة إلى أنه لم يكن شيئاً مذكوراً كأي إنسان ، ثم صار ذا ولد ومال .

١٢- ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْلُوءاً﴾ ثراه واسعاً ودائماً .

١٣- ﴿وَبَيْنَ شُهُوداً﴾ حاضرين معه يتسابقون إلى خدمته ١٤- ﴿وَمَهَلْتُ لَهُ تَمْهِيلاً﴾ يسرت له سبل الحياة .

١٥- ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنُ أَزِيدَ﴾ كلما يطمع في المال والمزيد منه ، ولا ضير إلا أن يقود الطمع إلى محرم ومنكر كما قاد الوليد العنيد ١٦- ﴿كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً﴾ تفنن في الطغيان وضرب أسوأ الأمثال في الكفران .

١٧- ﴿سَأَرْهَقُهُ صُعُوداً﴾ يصعد به إلى أرفع الدرجات من العذاب وشده والحرق وقسوة .

١٨- ﴿إِنَّهُ فَعَلَ قَوْلَهُ﴾ فكر بما يفترى على القرآن ، وهماً زوراً أنطق به الشيطان .

١٩-٢٠- ﴿فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَرُ ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَرُ ثُمَّ لَعَنَ فِي تَفْكِيرِهِ وَتَقْدِيرِهِ﴾ .

٢١- ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ رفع بصره إلى زملائه من عنة قريش ٢٢- ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ قطب حاجبيه ﴿وَبَسَرَ﴾ كلع وتغبر لونه ٢٣- ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾ أعرض عن الحق واستعلى عليه .

٢٤-٢٥- ﴿فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ هذا القول البشّر في أخذ محمد القرآن من السحرة والكهنة !

وكم من نظير في عصرنا لهذا الأنيم الزنيم ، يفترى على الأبرياء حسداً أو لأنه خائف مأجور .

٢٦-٢٧- ﴿سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ﴾ ما سقر في من أسماء جهنم ، وقد بلغت من القول حداً يفوق التصور .

٢٨- ﴿لَا يَبْقَى وَلَا تَلَرُ﴾ بل تأتي على اللحم والعظم والأعضاء بالكامل .

٢٩- ﴿لَوْاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾ جمع بشرة ، والمراد بالتلويع هنا التضوج .

٣٠- ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشْرِ فَمِنْ خَزَائِنِ جَهَنَّمَ وَزَانِيهَا﴾ .

وَبَابِكَ فَطَهَّرُ ١ وَالرَّجَزُ فَاهْجُرُ ٢ وَاسْتَكْبَرَ ٣ وَاسْتَكْبَرَ ٤ وَاسْتَكْبَرَ ٥ وَاسْتَكْبَرَ ٦ وَاسْتَكْبَرَ ٧ وَاسْتَكْبَرَ ٨ وَاسْتَكْبَرَ ٩ وَاسْتَكْبَرَ ١٠ وَاسْتَكْبَرَ ١١ وَاسْتَكْبَرَ ١٢ وَاسْتَكْبَرَ ١٣ وَاسْتَكْبَرَ ١٤ وَاسْتَكْبَرَ ١٥ وَاسْتَكْبَرَ ١٦ وَاسْتَكْبَرَ ١٧ وَاسْتَكْبَرَ ١٨ وَاسْتَكْبَرَ ١٩ وَاسْتَكْبَرَ ٢٠ وَاسْتَكْبَرَ ٢١ وَاسْتَكْبَرَ ٢٢ وَاسْتَكْبَرَ ٢٣ وَاسْتَكْبَرَ ٢٤ وَاسْتَكْبَرَ ٢٥ وَاسْتَكْبَرَ ٢٦ وَاسْتَكْبَرَ ٢٧ وَاسْتَكْبَرَ ٢٨ وَاسْتَكْبَرَ ٢٩ وَاسْتَكْبَرَ ٣٠

٣١- ﴿ وما جعلنا أصحاب النار ﴾ أي خزائنها ﴿ إلا ملائكة ﴾ غلاظاً شداداً ﴿ وما جعلنا عنهم إلا فئة للذين كفروا ﴾ ذكر سبحانه أن الزبانية ١٩ اختبأ للناس ، فالكافرون سخروا والمؤمنون صدقوا وأهل الكتاب أيقنوا كما قال سبحانه : ﴿ ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ﴾ اعتقد النصارى واليهود بما جاء في القرآن من هذا العدد لأنه موافق لما في كتبهم ﴿ ويزداد الذين آمنوا إيماناً ﴾ على إيمانهم بعد اعتراف الأعداء بفضل القرآن وصدقه ﴿ ولا يربب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون ﴾ هذا توضيح وتوكيد لما قبله ﴿ ويقول الذين في قلوبهم مرض ﴾ وهم المناقون الذين يمشون الخفاء ويدبون الضراء ، ﴿ والكافرون ﴾ عتاة الشرك والبغي الذين سخروا من العدد : ﴿ ما أريد الله بهن مَثَلًا ؟ أبداً لا حكمة من ذكر العدد ! علماً بأن الحكمة واضحة وهي أن يقولوا : لا حكمة ... كي يظهروا على حقيقتهم ، ويفضحوا بشهادة أهل البيت أن العدد حتى وصلق ﴿ كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء ﴾ بموجب علمه وحكمته وعدله ، وتقدم في الآية ٨ من فاطر وغيرها ﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾ جنوده تعالى لا تنحصر بالتسعة عشر ولا بغيرهم فكل الخلائق طوع وإرادته ﴿ وما هي ﴾ النار أو هذه الآيات ﴿ إلا ذكرى للبشر ﴾ تذكرة وعظة للناس .

٣٢-٣٥- ﴿ كلا والقمر والليل إذا أدبره الصبح إذا أسفره إذا أسفر ﴾ إذا أسفر الكبر ﴿ كلا : حرف ردع وزجر وأسفر : أشرق ، وضمير « إنها » بعد أن ردع سبحانه المشركين عن الإستهزاء بالنار وخزنتها ، أقسم بالقمر لما فيه من منافع ، وبالليل الذي يغلد الإنسان فيه للراحة ، وبالصبح الذي ينهض فيه للكدح والعمل ، أقسم بذلك كله مؤكداً أن النار

أحسب النار إلا ملة لكم وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب والذين آمنوا إيماناً ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون ويقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً كذلك يفضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر ﴿ كلا والقمر ﴾ وأتلى إذا أدبر ﴿ والصبح إذا أسفر ﴾ إنها لإحدى الكبر ﴿ نذيراً للبشر ﴾ لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ إلا أحسب اليمين ﴿ في جنت ينساء لونها ﴾ عن المجرمين ﴿ ما سلككم في سقر ﴾ قالوا لربك من المصلين ﴿ ولربك نعظم

حتى لا ريب فيه وأن عذابا ليس كمثل عذاب . ٣٦-٣٧- ﴿ نذيراً للبشر لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر ﴾ حذر سبحانه عباده من ناره ، وخلّى بينها وبينهم ، فمن شاء أن يقتحم ، ومن شاء أن يحجم . ٣٨- ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ هي وعملها ، ولا أحد يحمل وزر ضلالتها ، وتقدم مرات ، منها في الآية ٢٨٦ من البقرة .

٣٩- ﴿ إلا أصحاب اليمين ﴾ وهم المقنون الذين اعتقوا أنفسهم من النار بصالح الأعمال ، قال الإمام أمير المؤمنين (ع) : الناس في الدنيا رجلان : رجل باع فيها نفسه فأهلكها ، ورجل ابتاع نفسه فأعتقها . ٤٠-٤١- ﴿ في جنات ينساء لونها ﴾ عن المجرمين ﴿ الذين هم في أعماق الجحيم ، فيقطع سبحانه أهل الجنة على أهل النار . فتقول أولئك هؤلاء ٤٢- ﴿ ما سلككم في سقر ﴾ وكنتم في الحياة الدنيا تنعمون أن الجنة والنار وهم وخرافة ٤٣- ﴿ قالوا لم نك من المصلين ﴾ أي لم تنته عن الفحشاء والمنكر وإلا فإن الصلاة وحدها لا تدفع ولا تنفع . ٤٤- ﴿ ولم نك نعظم المسكين ﴾ وفي آية ثانية « ولاتحاضون على طعام المسكين - ١٨ القمر » ومعنى هذا أن من يحتكر ويستأثر فهو ناهب وغاصب لحق الفقراء والمساكين .

٤٥- ﴿ وَكَانَ نَحْوُصٌ مَعَ الْخَالِصِينَ ﴾ يستهينون بالدين والقيم ، فيستغيثون ويفترون ، ويتسابقون إلى أندية الحمور والفجور ، ويشتركون في كل باطل وضلال .

٤٦-٤٧- ﴿ وَكَانَ نَكَلِبُ يَوْمَ الدِّينِ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴾ الموت ، وللدِّينِ في اللغة معانٍ ، منها الحساب والجزاء والقضاء ، وكل ذلك يحدث يوم القيامة ، ولذا سمي يوم الدين .

٤٨- ﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ الشفاعة حق على أن يكون لها ما يبررها ، فبأي شيء يتوصل إلى الله من كفر ؟ ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾ حال من الضمير في « لهم » والمعنى ما بال المجرمين يعرضون عن الموعظة ، وينفرون منها .

٥٠-٥١- ﴿ كَانَهُمْ حَمَرٌ ﴾ جمع حمار ، والمراد به هنا حمار الوحش ﴿ مُسْتَفْرَّةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴾ وهو الأسد ، يصول على وحوش الغاب والحمير ، فتفر منه وهكذا المشركون ينفرون من الحق ودعوته .

٥٢- ﴿ بَلْ يَرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنشَرَةً ﴾ يطلب كل واحد من طغاة الأرض أن ينزل عليه كتاب تماماً كما نزل على رسول الله (ص) وإلا فأي فضل لمحمد من دون الناس ؟ وأطراف من هذه الحماقة قول الفيلسوف الشهير نيشة : « لو كان الله موجوداً لكنت أنا هو » .

٥٣- ﴿ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴾ ما طلبوا هذا الطلب الأحق إلا لأنهم آمنوا من غضب الله وعذابه .

٥٤- ﴿ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرَةٌ ﴾ مرة ثانية يزرع سبحانه المجرمين ، ويعلن أن القرآن نزل على النبي للهداية والإرشاد لا ليفتنر به على العباد .

٥٥- ﴿ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴾ انتفع بأحكامه وبيانه ، لأنه الهادي الذي لا يضل ، والناصح الذي لا يشع .
٥٦- ﴿ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ أي لا يذكرون ويؤمنون عن رضا وطيب نفس بحال من الأحوال إطلاقاً . أجل إنهم يؤمنون إذا ألجأهم سبحانه وأرغمهم على الإيمان ، ومعهم أنه لا إيمان بالمعنى الصحيح مع الجبر والقهر . وعلى هذا التفسير فلا تناقض ومنافاة بين قوله تعالى أولاً : « فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ » وقوله ثانياً « وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ أهل التقوى ﴿ أَيُّ أَهْلِ الْأَنْبِيَاءِ يَتَّقِي الْعِبَادَ مَعَاصِيَهُ خَوْفًا مِنْهُ ﴾ وأهل المغفرة ﴿ وَأَيْضًا هُوَ أَهْلُ أَنْ يَرْجُو الْعِبَادَ مَغْفِرَتَهُ » ولا يياسوا من رحمته

سُورَةُ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ هِيَ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿ لَا أَقْسِمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ أي أقسم كما تقول : لالوحظك أو أليك وجواب القسم محذوف . تقديره إنكم لمبعوثون- ﴿ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ وهي التي تلوم صاحبها على فعل الشر وترك الخير ، ويُعبر عنها علماء الأخلاق بالإلزام الخلقي ، وتقابلها النفس الفاجرة اللامبالية بشيء ولا تشعر بالمسؤولية عن شيء ، وقال بعض المفكرين : « عدم

(٧٥) سُورَةُ الْقِيَامَةِ مَكِّيَّةٌ
وَأَنبَأَهَا الرَّبُّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقْسِمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ

الشعور بالمسؤولية عن شيء بمثابة الجحود لأصل الوجود» .

٣-٤- ﴿أَيْحَسِبَ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَاهُ بِلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نَسْوِيْ بَنَانَهُ﴾ نفى البت بزعم أن من مات فمات ويستحيل أن يعود إلى الحياة مرة ثانية - هو قول بلا علم ، لأن السبب الموجب الذي بلى الحياة وأنشأها أول مرة في جسم الإنسان يعيدها إليه بعد أن يجمع أجزاءه وأعضائه بالكامل مع جميع صفاته وخصائصه حتى خطوط الأصابع وبصماتها ، وهذا هو المراد بقوله تعالى: « بلى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نَسْوِيْ بَنَانَهُ » والقول بإمكان الوجود للحياة دون الثاني تناقض تاماً كقول من يقول : إن الشيء لبس بشيء بلى هو غير نفسه ! وهذا هو الهراء والمذنبان ، وتقدم في الآية ٥٧ من الواقعة وغيرها .

٥- ﴿ بل يريد الإنسان ليفجر أمامه ﴾ القصور :
الذنوب ، وأعظمها الكفر بالله واليوم الآخر ، ولذا قال سبحانه
بعد ذكر القصور مباشرة :

٦- ﴿يَسْأَلُ﴾ منكر البعث ساخراً ﴿أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ متى أوانه ؟

٧-٩- ﴿ فَأَنَّا بَرَقَ الْبَصَرُ وَخَسَفَ الْقَمَرُ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾ قال الجاحد المعاند : متى يوم القيامة ؟ فأجابه سبحانه ذاكراً بعض أهوال هذا اليوم وشدائده ، وهي أن يزغ البصر جزءاً وهماً ، ويذهب نور القمر ، ويصطلم بالشمس لخواب الكون ١٠- ﴿ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَئِنَّا لَمُفْرَقُونَ ﴾ من هذه الكارثة ١١- ﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴾ لا ملجأ ولا مفر .

١٢- ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ هو وحده المرجع

والفرع ١٣ - ﴿يَنْبِئُوا الْإِنْسَانَ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ بما فعلن شر ، وترك إلى خير ، أما فاعل الخير وتارك الشر فيستقبل بالاحترام والتكريم ، ويُزَفُّ بكل حفاوة إلى جنات النعيم .

١٤- ﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾ على أن الإنسان يعلم ما فعل وترك ، ولا يحتاج إلى من يخبره بذلك .

۱۵- ﴿ وَلَوْ أَتَىٰ مَعَاذِرَهُ ﴾ هو على علم بنفسه حتى ولو أنكر واعتذر .

١٦ - ﴿لَا تَحْكُمُ بِهِ لَكَ﴾ لتعجل به كان النبي (ص) يتابع جبريل في القراءة حين يتلقى الوحي مخافة أن يفوته شيء منه ، فأمره سبحانه أن يستمع ولا يقرأ ، وهو يعصم من الخطأ والنسيان .

۱۷- ﴿إِنْ عَلَيْنَا جُمُوعُهُمْ فَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ هذا عهد من الله أن يجمع القرآن في قلب محمد ، ويثبت عن لسانه .

١٨- ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ مَا عَلَيْكَ إِلَّا أَنْ تُصْنِيَ بِكَ لَتَلَاوَتِهِ .

١٩- ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ وَأَضْأَ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَنْ يَهْلِكَ يَا مُحَمَّد وَيُفْهِمَكَ مَعَانِيَ الْقُرْآنِ وَأَسْرَارَهُ وَأَهْدَاهَا كَمَا هِيَ فِي عِلْمِهِ تَعَالَى ، وَتَقْدِمُ فِي الْآيَةِ ١١٤ مِنْ طه ٢٠- ٢١ ﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴾ كَلَّا - أَيُّهَا الْمَكْدُونُ بِالْبَيْتِ - مَا هُوَ بِمَحَالٍّ كَمَا تَزْعُمُونَ . وَإِنَّمَا كَذَبْتُمْ بِهِ لِأَنَّهُ يُلْجِمُكُمْ عَنِ الشَّهَوَاتِ وَالْمَحْرَمَاتِ . وَأَنْتُمْ تَعْبُدُونَهَا أَيْ عِبَادَةً وَتُؤْثِرُونَهَا أَيْ يُثَارِ ٢٢- ﴿ وَجْهَهُ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ﴾ يَوْمَئِذٍ : يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَنَاصِرَةٌ : مِنَ النَّصْرَةِ وَالْجَمَالِ .

٢٣- ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ بالبصيرة لا بالبصر ، بالعقول والإيمان لا بالعيون والعيان . انظر التفسير الكاشف ج ١ ص ١٠٧ .

أَحْسَبُ الْإِنْسَانَ أَلَّنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ، ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَدَرِينَ
عَلَىٰ أَنْ تُسَوَّىٰ بَنَاهُ، ﴿٤﴾ بَلْ يَرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ
أَمَامَهُ، ﴿٥﴾ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرَقَ
الْبَصْرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ
وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَعْرُ
كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾
يُنَبِّئُوا الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ
الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِرَهُ، ﴿١٥﴾
لَا تُحْرَكُ بِهِ لِسَانُكَ لِتَجْعَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنْ عَلَيْنَا جَمْعُ
وَقُرْآنُهُ، ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ
عَلَيْنَا بَيَانَهُ، ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾
وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وَجْهَ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا

والفرع ١٣ - ﴿يَنْبِئُوا الْإِنْسَانَ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ بما فعلن شر ، وترك إلى خير ، أما فاعل الخير وتارك الشر فيستقبل بالاحترام والتكريم ، ويُزَفُّ بكل حفاوة إلى جنات النعيم .

١٤- ﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾ على أن الإنسان يعلم ما فعل وترك ، ولا يحتاج إلى من يخبره بذلك .

۱۵- ﴿ وَلَوْ أَتَىٰ مَعَاذِرَهُ ﴾ هو على علم بنفسه حتى ولو أنكر واعتذر .

١٦ - ﴿لَا تَحْكُمُ بِهِ لَكَ﴾ لتعجل به كان النبي (ص) يتابع جبريل في القراءة حين يتلقى الوحي مخافة أن يفوته شيء منه ، فأمره سبحانه أن يستمع ولا يقرأ ، وهو يعصم من الخطأ والنسيان .

۱۷- ﴿إِنْ عَلَيْنَا جُمُوعُهُمْ فَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ هذا عهد من الله أن يجمع القرآن في قلب محمد ، ويثبت عن لسانه .

١٨- ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ مَا عَلَيْكَ إِلَّا أَنْ تُصْنِيَ بِكَ لَتَلَاوَتِهِ .

١٩- ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ وَأَضْأَ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَنْ يَهْلِكَ يَا مُحَمَّد وَيُفْهِمَكَ مَعَانِيَ الْقُرْآنِ وَأَسْرَارَهُ وَأَهْدَاهَا كَمَا هِيَ فِي عِلْمِهِ تَعَالَى ، وَتَقْدِمُ فِي الْآيَةِ ١١٤ مِنْ طه ٢٠- ٢١ ﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴾ كَلَّا - أَيُّهَا الْمَكْدُونُ بِالْبَيْتِ - مَا هُوَ بِمَحَالٍّ كَمَا تَزْعُمُونَ . وَإِنَّمَا كَذَبْتُمْ بِهِ لِأَنَّهُ يُلْجِمُكُمْ عَنِ الشَّهَوَاتِ وَالْمَحْرَمَاتِ . وَأَنْتُمْ تَعْبُدُونَهَا أَيْ عِبَادَةً وَتُؤْثِرُونَهَا أَيْ يُثَارِ ٢٢- ﴿ وَجْهَهُ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ﴾ يَوْمَئِذٍ : يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَنَاصِرَةٌ : مِنَ النَّصْرَةِ وَالْجَمَالِ .

٢٣- ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ بالبصيرة لا بالبصر ، بالعقول والإيمان لا بالعيون والعيان . انظر التفسير الكاشف ج ١ ص ١٠٧ .

٢٤- ﴿ وَجْهَ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴾ عابسة كالحة .

٢٥- ﴿ تَنْظُنُّ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ داهية تكسر عظام الظهر ٢٦- ٢٨- ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾ وقيل من رَاقٍ : الشافي يعالج المريض بالرقية أو بالدواء ، وهذه الآيات تصف حال المحتضر بأن روحه إذا بلغت الحلقوم ماج أهله في حيرة وقالوا : هل من راق يرقيه أو طبيب يداويه ؟ وهو على يقين بأن الموت ملاقيه ... وكلنا على ميعاد مع غمرات الموت وسكراته . ونحن عنها وعن الآخرة في غفلة التنافس والتحاسد .

٢٩- ﴿ وَالتَّفَّتِ السَّاقِ بِالسَّاقِ ﴾ تعبير عن الكرب بفراق الحياة إلى اللحد ، والتقاء الشدة بالشدّة .

٣٠- ﴿ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسَاقِ ﴾ هو المرجع والمآب وله نقاش الحساب . فأين الزاد والعدة ؟ أبداً ... وهل من جدوى لصيام وصلاة معهما حسد واغتياب ، وكذب وطمع ، وسعي للشهرة بالإدعاء والرياء ؟

٣١- ٣٣- ﴿ فَلَا صَدْقَ وَلَا صِلَ وَلَكِنْ كَذِبٌ وَتَوَلَّى ﴾ ثم ذهب إلى أهله يتمطى ﴿ يتبختر في منيه في كبرياء ، وقيل : نزلت هذه الآية في أبي جهل ، وأياً كان سبب النزول فهنيئاً هي صفات أبي جهل طبق الأصل ، فقد كذب بالحق وتولى عن دعوته ، وما سجد لله أمد حياته ، وكان يشمخ ويذبح .

٣٤- ٣٥- ﴿ أُولَى لَكَ فَأُولَى ﴾ كلمة تهديد ووعيد . ومعناها الولي لك وأجدر بك ، والتكرار لمجرد التوكيد .

٣٦- ﴿ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَتْرَكَ سُدًى ﴾ ولا يجني ثمرات عمله وعواقب سعيه ، وإذا لم يكن الإنسان مسؤولاً عن شيء فعلام الحق والعدل والحرية والشرائع والأنظمة ؟ إن المسؤولية هي التي توجد القانون ، وليس القانون هو الذي يوجد بها ، وكل الحدود والقيود السماوية والوضعية شرعت للحرص على حقوق الإنسان وصيانتها ، ولا إنسانية بلا مسؤولية .

٣٧- ٣٨- ﴿ أَلَمْ يَكْ نَظْفَقْ مِنْ مَنِيٍّ يُمْنًى ﴾ هذا الذي يقول : انه غير مسؤول أمام الله . لم يكن شيئاً مذكوراً ، فخلقه سبحانه من نطفة ثم من علقه ، وتحول من حال إلى حال حتى أصبح إنساناً سوياً ذا عقل وقوة وإرادة . وبالعقل يميز وبالقدرة يفعل وبالإرادة يختار ، وبهذا يصبح مسؤولاً عن أعماله شاه أم أبى .

٣٩- ﴿ فَبِعِلْمِ رَبِّكَ الْوَجِينَ الذِّكْرَ وَالْأُنثَى ﴾ الذكر غير الأنثى بلا شك ومع هذا ما شيء واحد طبيعة وخصالاً . فن قدر على ذلك يقدر على إحياء الموتى .

٤٠- ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ ﴾ الذي خلق من النطفة إنساناً عجباً وجعله ذكراً وأنثى ﴿ بقادر على أن يحيي الموتى ﴾ بل إنه على كل شيء قدير ، وسوف نحشر إليه صاغرين .

نَازِرَةٌ ﴿ وَوَجْهَ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴾ تَنْظُنُّ أَنْ
يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾
وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴾ وَالتَّفَّتِ
السَّاقِ بِالسَّاقِ ﴿ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسَاقِ ﴾
فَلَا صَدْقَ وَلَا صِلَى ﴿ وَلَكِنْ كَذَبٌ وَتَوَلَّى ﴾
ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى ﴿ أُولَى لَكَ فَأُولَى ﴾
ثُمَّ أُولَى لَكَ فَأُولَى ﴿ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَتْرَكَ
سُدًى ﴿ أَلَمْ يَكْ نَظْفَقْ مِنْ مَنِيٍّ يُمْنًى ﴿ ثُمَّ كَانَ
عَلَقَةً نَفْثًا فَسَوًى ﴿ فَبِعِلْمِ رَبِّكَ الْوَجِينَ
الذِّكْرَ وَالْأُنثَى ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ
يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴿

سُورَةُ الْاِنْسَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾ هل في صورة الاستفهام ، ومعناها التوكيد والتحقيق وقد مر الإنسان بمراحل : (١) من العدم إلى الوجود الترابي ، جمود بلا سيلان (٢) الوجود المائي ، سيلان بلا نمو (٣) الوجود النامي بلا إحساس (٤) الوجود الحيواني ، نمو وإحساس بلا إدراك (٥) الوجود الإنساني ، نمو وإحساس وإدراك .

٢- ﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج﴾ جمع مشيج وهو الخليط ﴿ينطيه﴾ يبله ، له صولات وجولات أنطقت المعري باليت الشير ، وقال الإمام علي (ع) : «إن الله يختبر عباده بأنواع الشدائد ويتعبد بهم بأنواع المجاهد ، ويتلهم بضروب المكاره اخراجاً للتكبر من قلوبهم ، واسكاناً للنذل في نفوسهم» .

٣- ﴿إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً﴾ وأوجز الإمام جعفر الصادق (ع) هذا المعنى بقوله : «الله يحجج على الناس بما آتاهم وعرفهم» فمن آتاه ما لا يسأله : هل أدى ما فيه من حق ؟ ومن آتاه علماً : هل عمل بموجبه ؟ ومن آتاه جاهاً وسلطاناً : هل أقام به حقاً وأنصف مظلوماً من ظلمه ؟ ويقول لكل عاقل قادر : منحك العقل والقدرة والحرية والإرادة وأوصحت لك طريق الخير والشر بأدلة

القل والوحي ، ونهيتك عن هذا وأمرتك بذلك ، فهل : عملت بطاعتي أو بأهوائي ؟ فمن عمل بطاعه فاز بنفسه ومرضاه ومن عمل بالهوى والغرض قامت له عليه الحجة ، وأخذته بجرمه وجريته .

٤- ﴿إنا اعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالاً وصعيراً﴾ السلاسل للجر والسحب والأغلال للأبدي والأعناق ، والصعير نار لها شهيق وفورات وتقيظ وزفرات .

٥-٦- ﴿إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً﴾ في طيب رائحته ، قال ابن عباس : كل ما في الجنة ليس منه في الدنيا إلا الإسم .

٧- ﴿يوفون بالنور﴾ ... ﴿يطعمون الله فيما أوجبه عليهم ، وفوق ذلك يوفون بما ألزموا به أنفسهم من المبرات والمستحبات .

٨- ﴿يطعمون الطعام على حبه﴾ أي وهم في أشد الحاجة إليه ﴿مسكيناً﴾ لا مال له ﴿وبيعاً﴾ لا كفيل الإعراب :

﴿هل هناك﴾ بمعنى قد عند المفسرين . و﴿السبيل﴾ مفعول ثانٍ لهديناه لأن المعنى عرفناه أو آتيناه . ﴿إمّا﴾ أداة تفصيل . و﴿شاكراً وكفوراً﴾ حالان من هاه ههنا . و﴿عينا﴾ مفعول لفعل عذوف أي اعني عينا . وقال صاحب جمع البيان : الباء في «ههنا» زائدة .

سُورَةُ الْاِنْسَانِ (٧٦)
وَلَا يَأْتِيهَا الْاِحْدَى وَلَا الْاُخْرَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ بِفَعْلَتِهِ سَمِيعاً بَصِيراً ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً ﴿٣﴾ إِنَّا عْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَصَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً ﴿٧﴾ وَيُطْعَمُونَ أَلْفَمًا عَلَى حَبِهِ مَسْكِينًا ﴿٨﴾

له ﴿وَأَسِيرًا﴾ المراد به كل شيء كبد حراه انسلت عليه المذاهب والمساك .

٩-١٠- ﴿إِنَّمَا نَطْعُمُكُمْ لَوْجَهُ اللَّهِ ...﴾ رغبة في ثوابه وخوفاً من عقابه ، ولا نزيد مكافأة من غيره ، والقمطير : الشديد المظلم ، وفي العديد من كتب التفسير وغيره أن سورة هل أتى نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين (ع) وأنهم الذين وفوا بالنذر وأطعموا الطعام على شدة الحاجة إليه ، المسكين واليتيم والأسير . أنظر تفسير الرازي لهذه السورة . وأسد الغابة لابن الأثير ج ٥ ص ٥٣٠ طبعة سنة ١٢٨٥ هـ وفضائل الخمسة من الصحاح الستة للفيروز آبادي ج ١ ص ٢٥٤ . وعليه فأهل البيت (ع) هم المقصودون بالآيات السابقة واللاحقة إلى آخر الآية ٢٢ «وكان سعيكم مشكوراً» .

١١- ﴿فَوَقَاهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ بهجة في القلوب وبهاء في الوجوه ، خافوا شر يوم المحشر فاتقوه بطاعة الله ، فبلّغهم من بعد الخوف أمناً .

١٢- ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا﴾ على الجوع ليشبع غيرهم . فكان أجرهم عند الله التميم والتعظيم .

١٣-٢٢- ﴿مُتَكِينِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْكَانِ﴾ جمع أركبة وهي السرير ، والزمهرير : البرد الشديد ، والأكواب : الأقداح ، والقوارير : أوان من زجاج ، والزنجبيل : عروق نبات يشبه القصب كما في تفسير جزء تبارك للشيخ المغربي والسلسيل : سهل المساغ والإنحدار في الحلق ، والسندس : الحرير الرقيق ، والإستبرق : الحرير الغليظ . واكتفينا بتفسير

المفردات الغامضة لوضوح الآيات . ولأنها تقدمت موزعة في الآية ١٩ من الإسراء و٣١ من الكهف و٢٣ من الحاقة وأيضاً لنفسح المجال للأهم وهو السؤال والجواب كما هودأنا في هذه الصفحات الضيقة

الإعراب :

﴿يَوْمًا﴾ مفعول به على حذف مضاف أي عذاب يوم . و﴿عل حبة﴾ متعلق بمحذوف حالاً من فاعل يطعمون أي كائنين على حبة . و﴿نضرة﴾ مفعول ثانٍ للقاءهم لأن المعنى أعطاهم . و﴿مُتَكِينِينَ﴾ حال من مفعول جزاهم . و﴿دانية عطف على متكئين﴾ و﴿ظلالها﴾ فاعل دانية . ﴿قَوَارِيرًا﴾ الأولى بالثنتين مع أنها لا تنصرف لأنها رأس آية لتناسب مع ﴿تَذْلِيلًا﴾ و﴿تَقْدِيرًا﴾ . و﴿قَوَارِيرِ الثَّانِيَةِ بَدَلٌ مِنَ الْأُولَى﴾ و﴿عَيْنًا﴾ بدل من زنجبيل . ثم ظرف بمعنى ﴿هناك﴾ وفي تفسير البيضاوي وغيره أن عليهم حال من الضمير في ﴿عليهم﴾ و﴿عَيْنًا﴾ فاعل عليهم لأن المعنى تعلمهم ثياب سندس .

وَبَيْنَا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نَطْعُمُكُمْ لَوْجَهُ اللَّهِ لَا نُزِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطِرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَّاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُتَكِينِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْكَانِ ﴿١٣﴾ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٤﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٥﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِغَانِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٦﴾ قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٧﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴿١٨﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا ﴿١٩﴾ * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنشُورًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلَكًا

٢٣-٢٤ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ مِنْهُمْ آتِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ ﴿٢٣﴾ وتَسَالُ : ان محمداً (ص) يعلم بأن الله تعالى نزل عليه القرآن ، وأيضاً الله يعلم بسر محمد ، وأنه لا يعيش ويحيى إلا من أجل القرآن قولاً وفعلاً وجهاداً في سبيل تبليغه ، وأن أعداء الله وأعداءه عرضوا عليه المال والسودد والملك على أن يتركهم على آلهتهم فأبى إلا الإيمان بالله والقرآن . وعليه ينتج السؤال من القارئ المتدبر والسامع : ما دام الله عالماً بذلك كله فاية جدوى من المتدبر والسامع : ﴿٢٤﴾ ويل يومئذ للمكذبين ﴿٢٤﴾ تكررت هذه الآية عشر مرات في هذه السورة ، وقال الدكتور طه حسين في مرآة الإسلام ، وحكمه الفصل على الأساليب : « في القرآن أسلوب من التكرار للتخويف حياً وللتعجيز حياً آخر ، كما ترى في سورة المرسلات من ختام الآيات دائماً بقول الله عز وجل : ويل يومئذ للمكذبين ، والسورة كلها تخويف » .

٢٠-٢٤ ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ فَقَدَرْنَاهُ نَعِيمَ الْقَاهِرِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ أنتكرون البعث وأنتم تعلمون أن الله أنشأكم من نقطة حقيرة ، أودعها في ظلمات ثلاث إلى أمد معين ، ينقلها من حال إلى حال حتى أخرجها بشراً سوياً ، ومن قدر على هذا الإبداع والإنخراع يقدر على مثله ونظيره .

٢٥- ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ ﴿٢٥﴾ وعاء تضم الخلائف .

٢٦- ﴿أَحْيَاءَ﴾ ﴿٢٦﴾ على ظهرها ، ﴿وَأَمْوَاتًا﴾ ﴿٢٦﴾ في بطنها ، وتقدم في الآية ١٨ من نوح .

٢٧-٢٨ ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوَاسِي شَامِخَاتٍ﴾ ﴿٢٧﴾ جبالات عالية ثابتات وتقدم في الآية ١٥ من النحل وغيرها ﴿وَأَسْقَيْنَاكُمْ مِنْهُ فِرَاقًا﴾ ﴿٢٨﴾ عذبا سائغا للشاربين ، ومن قدر على هذا يقدر على ما هو أيسر وأهون ، وتقدم في الآية ٢٢ من الحجر .

٢٩- ﴿انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ كذبوا بالبحيم ، وعند ورودها يقال لهم : ماذا ترون ؟ وتقدم مرات ، منها الآية ٢٠ من السجدة .

٣٠- ﴿انْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ ﴿٣٠﴾ من دخان جهنم يرتفع ، ثم يفترق ثلاث شعب : شعبة تظلمهم فوق رؤوسهم ، وثانية عن يمينهم ، وثالثة عن شمالهم .

٣١- ﴿لَا ظِلِيلَ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَلَبِ﴾ ﴿٣١﴾ هو ظل ولكن كالمستغيث من الرضاء بالنار .

الإعراب :

﴿آتِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ « أو » للتخيير أي لا تطع أحدهما . ﴿يَوْمًا﴾ مفعول به ليذرون ، و﴿الظالين﴾ مفعول لفعل محذوف أي ويعذب الظالين .

كَبِيرًا ﴿٢٣﴾ عَلَيْهِمْ نِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴿٢٣﴾ وَحُلُوعًا أُسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢٣﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُنْجَرَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴿٢٣﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَاهْ بِرَحْمَتِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ مِنْهُمْ ءَائِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٣﴾ وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٣﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسُجِّدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُجِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذْرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٣﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْنَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ ﴿٢٣﴾ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٣﴾ وَمَا تَسَاءَلُونَ إِلَّا أَنَّ يَسَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٣﴾ يَدْخُلُ مَنْ يَسَاءَ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٣﴾

سُورَةُ الْمَرْيَمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ الواو للقسم ، والمراد بالمرسلات الرياح لقوله تعالى : «الله الذي يرسل الرياح - ٤٨ الروم» وعرفاً : متتابعة ، ونصب على الحال .

٢- ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصَافًا﴾ تيسر بسرعة ، وتعصف بشدة ، والنصب على المفعول المطلق .

٣- ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾ تنشر السحب في القضاء ، والأمطار في الأرجاء .

٤- ﴿فَالْمُاعِرَفَاتِ لُوقًا﴾ هي الملائكة تنزل على الأنبياء بما يفرق بين حلال الله وحرامه .

٥- ٦- ﴿فَالْمُحَقِّبَاتِ ذِكْرًا﴾ علمراً أو نلراً ﴿الوحي الذي تنزل به الملائكة على الرسل هو أنذر للعصاة ، وعذر لله إذا عاقب ، وبكلمة لقد أعذر من أنذر .

٧- ﴿إِنَّمَا تَوَعَّدُونَ لَوَاقِعَ﴾ جواب القسم ، والموعود به يوم القيامة .

٨- ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ ذهب ضوءها ، وفي آية ثانية انكدرت في تناثر .

٩- ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ وفي آية ثانية انفطرت أي تصدعت الكواكب وانشتت ، والمعنى واحد .

١٠- ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُفَّتْ﴾ أزيلت من أماكنها ، وذهبت مع الريح .

١١- ١٢- ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْتُتْ﴾ من التوقيت ليوم معلوم وهو الذي أشار إليه سبحانه بقوله :

١٣- ﴿لَا يَوْمَ أَجَلْتُمْ لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾ يجمع سبحانه يوم القيامة الأنبياء والأوصياء والعلماء العاملين . ليشهدوا على الخلق بأنهم بلغوا على الوجه المطلوب ، وخرجوا من عهدة التكليف .

١٤- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ كرر سبحانه هذا اليوم لشدة أهواله وكثرة زلزاله .

١٥- ﴿وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ ويل : حلول الشر . ويومئذ : يوم القيامة ، والهلاك لمن كذب به أو آمن ، ولم يعمل له .

١٦- ﴿أَلَمْ يَهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ لأنهم كذبوا المرسلين كقوم نوح .

١٧- ﴿لَمْ تَنْجِهِمُ الْآخِرِينَ﴾ كقوم لوط .

١٨- ﴿كَذَلِكَ نَفْعُ الْجَائِرِينَ﴾ الذين كذبوا محمداً

(٧) سُورَةُ الْمَرْيَمِ كَثِيرٌ وَأَسْمَاءُ خَيْرٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ۝ فَالْعَاصِفَاتِ عَصَافًا ۝
وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ۝ فَالْمُاعِرَفَاتِ لُوقًا ۝ فَالْمُحَقِّبَاتِ
ذِكْرًا ۝ عَذْرًا أَوْ تَذَرًا ۝ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعَ ۝
فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ۝ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ۝
وَإِذَا الْجِبَالُ سُفَّتْ ۝ وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْتُتْ ۝ لِأَيِّ
يَوْمٍ أَجَلْتُمْ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ
الْفَصْلِ ۝ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝ أَلَمْ يَهْلِكِ
الْأَوَّلِينَ ۝ ثُمَّ تَنْبَعُهُمُ الْآخِرِينَ ۝ كَذَلِكَ نَفْعُ

[١] ٣٢-٢٤- ﴿إِنهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ كَأَنَّه جَمَالَةٌ صَفَرٌ﴾ جمالة : جمع جمل ، والمعنى كل شرارة من شرر جهنم كالقصر حجماً ، والجمل الأصفر لوناً ، وسلام على من قال : ما خير بخير بعده النار .

٣٥-٣٧- ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ وَلَا يُؤْذِنُونَ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ أبداً لا رجاء ولا اعتذار عما سلف بعد المحاكمة وإعلان الحكم ، وتقدم في الآية ٣٩ من الرحمن وغيرها .
٣٨- ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ بين المحققين والمطلبين ﴿جَمْعُنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾ كل من كفر بالقيامة من الأولين والآخرين يجمعهم سبحانه في مقر واحد من جهنم ، ويعذبهم عذاباً خاصاً بهم ، لا أحد يشاركهم فيه .

إشارة:

تعرض هذه السورة المرسلات جانباً من مشاهد اليوم الآخر، وتحذر المجرمين والكاذبين من عذابه وأهواله... وتقدم ذلك في عشرات الآيات، ومن أجل هذا تقتصر على التفسير اللغوي، ونعرب بعض ما يحتاج إلى الإعراب من الكلمات جامعين بين اللغة والإعراب في فقرة واحدة على خلاف عادتنا في سائر السور.

بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٢٤﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ أَلَّا تَخْلُقُكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٦﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢٧﴾ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢٨﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَجْعَلَ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٣١﴾ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ﴿٣٢﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوْشَى شَلَمِخْتٍ وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فَرَاتًا ﴿٣٣﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٣٥﴾ أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٦﴾ لَا ظِلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَبِّ ﴿٣٧﴾ إِنهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ ﴿٣٨﴾ كَأَنَّهُ جِثْلٌ صَفَرٌ ﴿٣٩﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا يُؤْذِنُ هُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٤٢﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٣﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمْعُنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٤٤﴾ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ

﴿لَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا﴾؟ كفات جمع كفت، وهو الوعاء، وقد شبه سبحانه الأرض بالأوعية، والخلق بما تضمه الأوعية وجمعه، والمعنى أن الأرض تضم الخلائق أحياء على ظهرها، وأمواتاً في بطنها... والأرض مفعول أول لنجعل، وكفاتاً مفعول ثانٍ، وأحياء وأمواتاً حال من مفعول فعل مقدر أي تكفئهم الأرض أحياء وأمواتاً، وقيل: مفعول ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوْشَى شَلَمِخْتٍ﴾ جيالاً ثابتة عاليات كيلا تميد بكم ﴿وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فَرَاتًا﴾ عذبا، وهو حياة لكم وللأرض، ففضض عليكم بالخيرات والبركات.

[١]

﴿انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون﴾. كذبوا بعذاب الله، بل سخروا منه ومن توعدهم به... وغداً نقول لهم زبانية جهنم في سخرية وتهمك تماماً كما تهمكموا من قبل برسلكم، نقول لهم: إذهبوا الآن إلى ما كنتم تهزؤون ﴿انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب﴾ من دخان جهنم: شعبة تظللهم من فوق رؤوسهم، وثانية عن يمينهم، وثالثة عن شمالهم ﴿لَا ظِلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَبِّ﴾. هو ظل، ولكنه لا يقي المستظلين به من عذاب الحريق، بل يزيدهم عذاباً على عذاب، ومثله ﴿وُظِلُّ مِنْ يَجُوعٍ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾. - ٤٤ الواقعة ﴿إِنهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ كَأَنَّه جَمَالَةٌ صَفَرٌ﴾. ضمير أنها يعود إلى جهنم، وجمالة جمع جمل، والمعنى أن شرر جهنم يتطاير ويملا الفضاء وكل شرارة كالقصر حجماً، والجمل الأصفر لوناً.

فَكِيدُونَ ﴿٣٩﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ
فِي ظُلُلٍ وَعُيُورٍ ﴿٤١﴾ وَقَوْكَ بِمَا يَسْتَهْوَ ﴿٤٢﴾ كُؤَا
وَأَثَرُوا هَيْثَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُؤَا وَتَمْتَعُوا
قَلِيلًا إِنَّكُمْ تَجْرُمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَرْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ
لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبَآيَ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

(٧٨) سُورَةُ النَّبَاِ مَكِّيَّةٌ وَلَا يَأْتِيهَا إِلَّا مَجْمُوعٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي

٣٩-٤٠- ﴿ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا ﴾ كانوا
في الدنيا يناقضون ويحتالون ، فيقال لهم غداً : ادرأوا العذاب
عنكم بالحيلة والغيلة كما كنتم تفعلون في الحياة الدنيا .
٤١-٤٣- ﴿ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي ظُلَالٍ وَعُيُورٍ وَفَوَاكِهُ مِمَّا
يَسْتَهْوُونَ ﴾ انتقل سبحانه من الترهيب إلى الترغيب ، من عذاب
الأشرار إلى ثواب الأخيار .

٤٤-٤٥- ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ ولا يستعمل
سبحانه كلمة الإحسان ومشقاتها إلا في الخير والكمال ،
وكلمة السوء إلا في الشر والنقص ، والجزاء من نوع العمل عند
أهل الحق والعدل ، ثم هدد سبحانه الذين يعيشون على اللصوصية
والإحتيال بقوله :

٤٦-٤٧- ﴿ كُلُوا وَتَمْتَعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مَجْرُمُونَ ﴾
أي انكم معذبون ، لأن الله أعد للمجرمين عذاباً أليماً .

٤٨-٤٩- ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴾
الركوع لله سبحانه يرمز للخضوع والتسليم بالحق وهم أعدى
أعدائه ولكن من صارع الحق صرعه .

٥٠- ﴿ فَبَآيَ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ القرآن لا يأمر
إلا بخير ، ولا ينهى إلا عن شر ، ومعنى هذا أن من كفر به
فقد كفر بالخير لأنه خير ، وآمن بالشر لأنه شر من حيث
يريد أو لا يريد .

سُورَةُ النَّبَاِ مَكِّيَّةٌ وَمِنْ أَوَّلِهَا أَلِفٌ لَامٌ

نَسِيبٌ إِلَى الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- ١- ﴿ عَمَّ ﴾ الأصل كلمتان : عن وما ، فأدغمت التون في الميم ، وحذفت الألف فصارت عَمَّ للإستفهام
﴿ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ يسأل المشركون بعضهم بعضاً .
- ٢- ﴿ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ﴾ والمراد به هنا البعث .

الإعراب :

﴿ عَمَّ ﴾ كلمتان : عن وما ، وأدغمت الميم بالتون ، وحذفت الألف للفرق بين الاستفهام والخبر ، ومثلها مم ومم ولم وإلى م وعلى
م وحقق م ، وعم متعلق بـ يتساءلون . ﴿ عَنِ النَّبَاِ ﴾ متعلق بمقدر كان سائلاً يسأل : عن أي شيء يتساءلون بإجابته سبحانه . عن النبأ
العظيم أي يتساءلون عن النبأ العظيم . ﴿ الَّذِي ﴾ صفة للنبا . ﴿ وَكَلَامَ ﴾ حرف ردع وزجر . ﴿ وَأَزْوَاجًا ﴾ حال .

٣- ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ ضمير الجماعة هنا للناس ، كل الناس ، لا لشركي مكة فقط لأنهم على وفاق أن البعث حديث خرافة .

٤- ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ أن البعث حق ، ويلاقون عاقبة التكذيب- ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ وهذا التكرار تأكيد لوقوع البعث والعذاب وللتهديد أيضاً ، ثم ساق سبحانه بعض الأدلة أنه قدير على ما يشاء من البعث وغيره وقال :

٦- ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾ ؟ من الذي جعل الأرض ملائمة لحياة الإنسان في جميع تصرفاته ؟ ولو كانت على غير ما هي عليه الآن لتعذر عليه أن يعيش فيها ويحيى .

٧- ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ أرساها في الأرض بالمكان المناسب كيلا تميد بأهلها .

٨- ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ أصنافاً ذكوراً ، وإناثاً لينم التزاوج ، فيحصل النسل ، ويكمل العمران .

٩- ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ راحة للأرواح والأجسام ولا حياة بلا نوم . .

١٠- ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ ساتراً بعضكم عن بعض .

١١- ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ للسعي على العيال ، وفي الحديث النبوي : « أن من الذنوب ذنوباً لا يكفرها صوم ولا صلاة ولا حج وإنما يكفرها سعي الرجل على عياله » .

١٢- ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شَدَادًا﴾ المراد بالسبع الشداد الكواكب المعروفة عند الناس وإلا فعدد الكواكب

يعلم خالفها وحده ، وتقدم في الآية ٣ من الملك ١٣- ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ تثير الشمس ، وينوهج ضوءها لأهل الأرض .

١٥- ﴿لَنُخْرِجَ بِهِ حَيًّا وَنَبَاتًا﴾ ينزل الماء من السماء ، فتخرج به أقوات الإنسان والحيوان .

١٦- ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ حدائق ملتفة بالشجر وما من شك أن من قدر على هذه وأعظم منها فهو على إحياء الموتى أقوى وأقدر ، وتكرر هذا المعنى مرات ومرات ، وتكرر الآيات في التحذير من عذاب الله والتذكير بآلائه أكثر من كثير .

١٧- ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ بعد الإشارة إلى دلائل قدرته تعالى على البعث أشار إلى يومه ، وأن له أجلاً لا بعده ، ومتى يكون ١٨٩- ﴿يَوْمَ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ﴾ فينتشر أهل القبور ومتى هذا النفخ ؟ الله أعلم .

١٩- ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ تصدع وتنشق كفتحات الأبواب كما في الآية ١٦ من الحاقة : « وانشقت السماء فهي يومئذ واهية ٢٠- ﴿وسيرت الجبال فكانت سرابًا﴾ شيئاً كلاشيء حيث تنفتت وتذهب مع الريح كالغبار المنتشر . وفي الآية ٦ من الواقعة : « وبست الجبال بساً فكانت هباءً منثباً ٢١- ٢٢- ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾

تنظر الطغاة ، وتعد لهم الويلات ٢٣- ٢٤- ﴿لَا يَشِينُ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ لا انقطاع لها . كلما انقضى حقب جاء بعده حقب إلى ما لا نهاية . وفي مدة الحقب أقوال . منها ثمانون سنة ، ومنها الدهر .

٢٥- ﴿إِلَّا حِمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ الحميم ؛ شديد الغليان بنص الآية ٤٦ من الدخان « يغلي في البطون كغلي الحميم » والغساق . القيح وما أشبه كما قيل .

هُم فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿١﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٤﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٥﴾ وَخَلَقْنَاهُ أَزْوَاجًا ﴿٦﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٧﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿٩﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شَدَادًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١١﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٢﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٣﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٤﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٥﴾ يَوْمَ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٦﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٧﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿١٨﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿١٩﴾ لِلطَّاغِينَ مَنَاقِبًا ﴿٢٠﴾ لِّدَشِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢١﴾ لَا يَدْخُلُونَهَا فِيهَا رِجْدًا وَلَا فَرَجًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا حِمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٣﴾ جَزَاءُ

وَفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذِبُوا
بِعَايِنَتِنَا كَذَابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾
فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ
مَقَارًا ﴿٣١﴾ حَدَاقٍ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾
وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا ﴿٣٥﴾
جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾
يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ
أُذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ
فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَقَابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنْذَرْنَكُمْ عَذَابًا
قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ
يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾

٢٦- ﴿ جزاء وفاقاً ﴾ عذاباً يوافق العمل ، وبعض
الحاكمين في القرن العشرين يجازون على الحسنة بعقوبة السيئة
٢٧- ٢٨- ﴿ إنهم كانوا لا يرجون حساباً ﴾ كيف
يؤمنون بالحساب والجزاء ، وقد أنكروا أصله وأساسه وهو
الخير والحق ؟ وهل يبقى الفرع بعد ذهاب أصله ؟ وكل من
وكل من أنكر اليوم الآخر أعماله كسراب بقيعة حتى ولو
آمن بالله .

٢٩- ﴿ وكل شيء أحصيناه كتاباً ﴾ مفعول مطلق .
لأن الكتاب هنا بمعنى الكتابة ، ومعنى أحصينا كتبنا . وهذه
الآية ترادف الآية ٤٩ من الكهف : « ما لهذا الكتاب لا يغادر
صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها » .

٣٠- ﴿ فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً ﴾ كنتم في
الدنيا تزدادون عتواً يوماً بعد يوم ، ولا تخافون سوء الحساب ،
ولكم اليوم مثل ما كنتم ما تفعلون .

٣١- ﴿ إن للمتقين مقاراً ﴾ ذلك خير الأشقياء في
الآخرة ، وهذا خبر السعداء الذين فازوا بالجنة ، وبها أنشأ
سبحانه لهم .

٣٢- ﴿ حدائق وأعناناً ﴾ بساتين من كل الثمرات ،
وخص الأعناب بالذكر لأنها عند المخاطبين .

٣٣- ﴿ وكواعب أتراباً ﴾ أنسات في سن واحدة ،
لم تتدل أئداؤهن ، مهذبات غير مائعات ، ومصونات غير
متبرجات .

٣٤- ﴿ وكأساً دهاقاً ﴾ طافحة بما لل وطاب .

٣٥- ﴿ لا يسمعون فيها لغواً ولا كذاباً ﴾ كل كلام لا طائل فيه فهو لغو ، أما الكذب فزيلة ومهانة .

٣٦- ﴿ جزاء من ربك عطاء حساباً ﴾ أي أعطى سبحانه الطيبين المتقين حتى قالوا بلسان المقال أو الحال : حسبنا أي
بكتفنا ٣٧- ﴿ رب السموات ... ﴾ خالق الكون بكل ما فيه ومن فيه ﴿ الرحمن ﴾ الذي يملك كل شيء . ولا أحد
يملك معه شيئاً حتى السؤال : لماذا فعل أو ترك ٣٨- ﴿ يوم يقوم الروح ﴾ جبريل ﴿ والملائكة صفاً ... ﴾ تقف الملائكة
يوم القيامة صفاً واحداً ، فيملؤون النفوس والأجواء بهيبة ورحمة ، وهم على قربهم من الله وطاعتهم له لا يتحركون ولا ينطقون إلا
بإذنه ، وهو سبحانه لا يأذن بالكلام لمخلوق إلا من كانت حياته صدقاً وصواباً وحقاً وعدلاً ، ولماذا ؟ لأن يوم القيامة هو .
٣٩- ﴿ ذلك اليوم الحق فمن شاء ﴾ الوصول والحصول والحصول على مرضاة الله وثوابه ﴿ اتخذ إلىٰ ربه مآباً ﴾ أي
عمل صالحاً ينتهي به ويؤوب إلى الله ومرضاته وفضله وجناته .

٤٠- ﴿ إنا أنذرناكم عذاباً قريباً ﴾ وهو يوم القيامة . ونعته تعالى بالقرب لأنه واقع لا محالة ، هذا إلى أن من مات
فقد قامت قيامته ﴿ يوم ينظر المرء ما قدمت يده ﴾ فإن كان خيراً نظر إليه ضاحكاً مستبشراً ، وإن كان شراً نظر إليه باكياً
متحسراً ، والعاقل ينتهز الفرصة ما دام فيه الروح ﴿ ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً ﴾ وهكذا كل من سوف وضع
تذهب نفسه مع الحسرات والعبات .

سُورَةُ النَّازِعَاتِ بِرَبِّكَ وَرَبِّكَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿ وَالنَّازِعَاتِ غُرَقًا ﴾ المراد بالنزاعات الكواكب ، لأنها ترمي بالشهب ، يقال : نزع عن القوس فني رمى عنها ، وغرقة أي إغراقاً ، يقال : أغرق في الشيء إذا بالغ .

٢- ﴿ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴾ تنتقل الكواكب من برج إلى برج .

٣- ﴿ وَالسَّابِقَاتِ سَبَاحًا ﴾ تتحرك في الفضاء .

٤- ﴿ فَالسَّابِقَاتِ سَبَاقًا ﴾ تتم دورتها حول ما تدور عليه . ومن المعلوم أن سرعة كل شيء بحسبه .

٥- ﴿ فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا ﴾ قال الشيخ محمد عبده هنا ما معناه : إن الكواكب يظهر أثرها بما ينفع الناس من معرفة الأوقات والأفطار ، وما أشبه ذلك .

٦- ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴾ وهي الأرض لقوله تعالى : « يوم ترجف الأرض - ١٤ المزل » .

٧- ﴿ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ﴾ وهي السماء بما فيها ترفد الأرض أي تتبعها خراباً ودماراً .

٨- ﴿ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴾ خائفة مضطربة أي ان قلوب المجرمين تتخلع يوم القيامة خوفاً ورعباً .

٩- ﴿ أَبْصَارُهُا خَاشِعَةٌ ﴾ ذليلة وحقيرة ، لأنهم سمعوا بيوم القيامة وأحواله ، فأنكروا وسخروا ، ولما جاء شاهدوا

فوق ما سمعوا ، وفي نهج البلاغة : كل شيء من الدنيا سمعاه أعظم من عيانه ، وكل شيء في الآخرة عيانه أعظم من سمعاه .

١٠- ﴿ يَقُولُونَ أَنَّا لَمُرْجُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴾ وهي العودة إلى الحياة الدنيا بعد الموت حيث ظنوا البعث خروجاً من بطن الأرض إلى ظهرها تماماً كما كانوا من قبل .

١١- ﴿ أَنفُلَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً ﴾ بالية ، والمعنى كيف نرد إلى الحياة وقد بليت منا العظام ولم يبق لها أي أثر ؟

١٢- ﴿ قَالُوا تِلْكَ إِفَّا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴾ قالوا في هزء وسخرية : إذا صحت الرجعة إلى الحياة وحدثت فهم أخسر الناس صفقة مع أنهم الراجون وغيرهم الخاسر أبداً ودائماً كما يزعمون ١٣- ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ هنا رد منتعللي على من يرى الرجعة محالاً ، بأنهم تحلث وتتم بكلمة واحدة من يقول للشيء : كن فيكون .

١٤- ﴿ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴾ وهي الأرض البيضاء كما قال المفسرون ، ومنهم الشيخ محمد عبده والشيخ الطبرسي والبيضاوي ، ونقل هذا الأخير قولاً بأن الساهرة اسم لجهم ، وهذا أقرب للإعتبار وأنسب حيث يكون المعنى أنكروا جهنم فإذا هم منها في الأعماق .

١٥- ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾ يا محمد ، فإله سبحانه سيصرك على أعدائك كما نصره على فرعون ، وتقدم في الآية ٩ من طه وغيرها .

١٦- ﴿ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ هو وادي أسفل جبل طور سيناء ، وطوى اسم للوادي ، وتقدم في الآية ١٢ من طه .

(٧٩) سُورَةُ النَّازِعَاتِ مَكِّيَّةٌ وَأَنبَأَ إِنَّمَا سُنَّتْ وَأُرِيعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غُرَقًا ١ وَالسَّابِقَاتِ سَبَاحًا ٢
وَالسَّابِقَاتِ سَبَاحًا ٣ فَالسَّابِقَاتِ سَبَاقًا ٤
فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا ٥ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ٦
تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ٧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ٨
أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ ٩ يَقُولُونَ ١٠
أَوَنَّا لَمُرْجُونَ دُونَ فِي الْحَافِرَةِ ١١
أَوْأَ كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً ١٢ قَالُوا تِلْكَ إِفَّا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ١٣
فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ١٤ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ١٥
هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ١٦ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ١٧

١٧- ﴿ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ وقال : أنا ربكم الأعلى وتقدم في الآية ٢٤ من طه .

١٨-١٩- ﴿ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَحْتَنِي ﴾ يعرض عليه بلطف ولين التطهير من الشرك والردائل والهداية إلى الله والحق .

٢٠- ﴿ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴾ وهي انقلاب العصا حية ٢١- ﴿ فَكُتِبَ وَعَصَى ﴾ أنكر المعجزة وقال : هي سحر .

٢٢- ﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴾ في تدبير الكيد لموسى .

٢٣- ﴿ فَحَشَرَ فَنَاسٍ ﴾ جمع السحرة والأعوان .

٢٤- ﴿ فَقُلْ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَىٰ ﴾ وكل من يدعي ما ليس فيه فهو على مبدأ فرعون وسنته ، ولو وجد من يصدقه في ادعاء الربوبية كما وجد فرعون - لم يتعفف .

٢٥- ﴿ فَأَخْلَعَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ ﴾ إلى سواء الجحيم والاولى ﴿ إلى عذاب الأليم .

٢٦- ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾ فيتدبر العواقب ويحسب لها .

٢٧-٢٨- ﴿ أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خُلُقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴾ عاد سبحانه إلى المكذبن بالبعث وقرعهم بهذا السؤال : أيهما أعظم ؟ إعادة الميت إلى الحياة كما بدأه الله أول مرة أم إنشاء هذه السماء في إيقانها ونظامها . وتقدم في الآية ١١ من الصفات .

٢٩- ﴿ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴾ الماء تعود إلى السماء باعتبار كواكبها ، وأغطش : أظلم ، وأخرج ضحاهما : أبرز ضوءها وشمسها .

٣٠- ﴿ وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ بسطها ومهداها كي تصلح للسكن والسير .

٣١- ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا ﴾ يتفجر عيوناً وأنهاراً ﴿ وَمَرْعَاهَا ﴾ النبات يأكله الناس والدواب .

٣٢- ﴿ وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا ﴾ أثبتها كي لا تميد وتضطرب بن فيها .

٣٣- ﴿ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ رفع السماء فوقنا ، ومهد الأرض تحتنا ، وأخرج منها الماء والغذاء لنا ولأنعامنا ، فكيف نجعله أو نتمرد على طاعته أو نشك في ناره وجهه ؟

٣٤- ﴿ إِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَىٰ ﴾ هي الداهية العظمى ، والمراد بها هنا القيامة . لأن ما من طامة إلا وفوقها طامة ، والقيامة فوق كل طامة كما قيل وهي كذلك في الواقع . وتجدر الإشارة إلى أن الله سبحانه أعاد وكرر حديث القيامة مرات لأن كثيراً من العرب امتنعوا عن الإسلام حيث تصوروا استحالة الحياة بعد الموت ، وبما أن الله قد أرسل محمداً بالقيامة كما أرسله بالتوحيد فكان ولا بد من أن يبين أنه القادر على نشر الأموات كما قدر على خلق الحياة والكائنات تصديقاً لرسوله الأعظم (ص) ٣٥- ﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَىٰ ﴾ ما مهَّد لنفسه وادخر لغيره .

٣٦- ﴿ وَبُرِزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴾ بالبصر والعيان . ولا ينجو منها إلا الذين رأوها من قبل بالبصيرة ، واتقوها بالصالحات والكف عن المحرمات ٣٧-٣٩- ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ ... ﴾ وكل من لا ينصف الناس من نفسه أو رأى عدواناً ولم ينكره فهو طاغٍ أو في حكمه ، فكيف بمن ظلم أو رضي بالظلم أو ركن إلى الظالمين ؟

أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَحْتَنِي ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكُتِبَ وَعَصَى ﴿٢١﴾ أَنكَرَ الْمَعْجَزَةَ وَقَالَ : هِيَ سِحْرٌ . ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٣﴾ فَحَشَرَ فَنَاسٍ ﴿٢٤﴾ فَقُلْ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٥﴾ فَأَخْلَعَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٧﴾ أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خُلُقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٨﴾ فَأَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا ﴿٣٠﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣١﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَىٰ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٣﴾ وَبُرِزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٤﴾ فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ ﴿٣٥﴾

٤٠-٤١- ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ...﴾ أي خاف من حسابه وانتقامه ، واكتفى بحلاله عن حرامه ، وتكرر هنا المعنى في كل السور أو جلها ، لأنه تعالى ما ذكر الإنذار أو الترهيب إلا وقرنه بالتبشير والترغيب .

٤٢- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ متى قيامها وأيامها ؟

٤٣-٤٥- ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا ...﴾ أنكر المعاندون القيامة أشد الإنكار ، وحاولوا إخراج النبي (ص) بتكرار السؤال عن وقتها ، فتمنى النبي لو أمكن الجواب كما يوحى أسلوب «فيم أنت» لأنه إنكار في صورة الإستفهام ، ومعناه لا تشغل نفسك بالجواب عن هذا السؤال . فما هو من اختصاصك في شيء ، والمطلوب منك أن تخوف الناس من القيامة وأهوالها ، وتقدم مرات ، منها في الآية ١٨٧ وما بعدها من الأعراف .

٤٦- ﴿كَانَ يَوْمَ يَرُونَهَا لَمْ يَلْبُوا إِلَّا عَشِيَةً أَوْ صُحَاها﴾ الضحى : أول النهار ، والعشية : آخره ، وأضاف سبحانه الضحى إلى العشية لأتينا من يوم واحد ، والمعنى يوم يحشر المعاندون إلى ربهم يظنون أنهم لم يلبثوا في القبور إلا ساعة من نهار كما في الآية ٤٥ من يونس .

سُورَةُ عَبَسَ كَبِيرٌ فِي تَنْذِيرِ الْغُفَّارِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١-٢- ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ هو ابن

أم مكتوم ، قصد النبي (ص) ليسأله عن أحكام دينه . وكان عنده نمر من عتاة الشرك يحاول هدايتهم إلى الإسلام ، عسى أن يسلم غيرهم بإسلامهم ، وكان الأعشى يكرر على النبي : علمني مما علمك الله ، والنبي لا يجيبه ، والأعشى المسكين لا يدري أن النبي في شغل بما هو أهم ، فتركت هذه الآيات . وقال المفسرون بما فهم الشيخ محمد عبده : إن الله عاتب النبي على إغراضه عن الأعشى ! ونحن لا نرى فيها شائبة عتاب أو لوم على النبي ، والذي نفهمه أنها توبيخ واحتقار للمشركين الذين كانوا عند النبي ، وتقول له : أبغض عن هؤلاء الأرجاس وأغلظ لهم ، إنهم أحقر من أن ينصر الله بهم الدين ، وأقبل على هذا الأعشى الطيب المؤمن ، ولا خوف على الإسلام فإن الله سيظهره على الدين كله ، وبذلك أعداه مهما بلغوا من الجاه والمال . ومن أحبّ المزيد فليرجع إلى تفسيرنا الكاشف .

٣-٤- ﴿وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي أَوْ يَذْكُرُ فَتَنَّهُ الذِّكْرَى﴾ إن هذا الأعشى يستمع لك يا محمد ، ويتنعم بموعظتك ، ويتخذ منها منهجاً لعمله ودليلاً في سلوكه وحياته .

الإعراب :

المصدر من ﴿أن جاءه﴾ مفعول من أجله لعبس . و﴿ما يدريك﴾ مبتدأ وخبر .

وَأَثَرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْحَيَجِمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾
وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَتَبَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴿٤٠﴾
فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ﴿٤٣﴾ إِلَيْكَ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنْ يُخَشِّهَا ﴿٤٥﴾ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرُونَهَا لَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا عَشِيَةً أَوْ صُحَاها ﴿٤٦﴾

(٨٠) سُورَةُ عَبَسَ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا شَذَذَاتُ وَارِدَاتُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿٢﴾ وَمَا يَدْرِيكَ
لَعَلَّهُ يَزَكِّي ﴿٣﴾ أَوْ يَذْكُرُ فَتَنَّهُ الذِّكْرَى ﴿٤﴾ أَمَّا مَنْ

٥-٦- ﴿أما من استغنى فإنت له تصدى﴾ أنطمع في العنة القساة أن يسمعوا منك أو يعقلوا قولك ويؤمنوا بك وهم كالأنعام بل أضل سبيلاً ؟

٧- ﴿وما عليك ألا يزيكى﴾ لا بأس عليك ولا على الإسلام من ركب الجهل والضلال ، وقاده إلى الهلاك والويل .

٨-١٠- ﴿وأما من جاعك يسعى وهو يخشى فإنت عنه تلهي﴾ أقبلت على المشركين الأقوياء طمعاً في هدايتهم ، وأوكلت المؤمن إلى إيمانه ، فدفع الطغاة فإن الله لهم بالمرصاد . وأقبل على من فتح للهدى قلبه ، والله ينصر دينه بالقلعة الهداة على الكثرة الطغاة ، وفي الخطبة ١٤٤ من خطب نهج البلاغة : « إن هذا الأمر - يريد الإسلام - لم يكن نصره ولا خذلانه بكرة ولا بقلة ، وهو دين الله الذي أظهره ، وجنده الذي أعده وأمه حتى بلغ ما بلغ » .

١١-١٢- ﴿كلا إنها تذكرة فمن شاء ذكره﴾ المراد بالتذكرة هنا أن الله لا ينصر الحق بمن يقول : أنا أكثر عدة وعدداً ، بل بالمؤمنين المخلصين الذين ترددهم الطغاة العنة .

١٣- ﴿في صحف مكرمة﴾ هذه التذكرة التي ينهاه لك يا محمد ولكل الناس ، مسجلة في الكتب الإلهية .

١٤- ﴿مرفوعة مطهرة﴾ عالية بتعاليمها النافعة ، طاهرة من الجهالة والضلالة .

١٥- ﴿بأيدي سفرة﴾ جمع سافر ، وهو الذي يسعى بين الناس لإصلاح ذات البين .

أَسْتَغْنَى ﴿٥﴾ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكَنَ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَى ﴿٩﴾ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ﴿١٠﴾ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قِيلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرُهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ ﴿٢١﴾ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴿٢٣﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴿٢٤﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴿٢٥﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٦﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٧﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٨﴾ وَعَبَا وَقَضَبًّا ﴿٢٩﴾ وَزَيَّنَّاها لَكُلًّا ﴿٣٠﴾ وَحَدَّاها فِي غَلَبٍ ﴿٣١﴾ وَفَكَهَنَ وَأَبَّا ﴿٣٢﴾

١٦- ﴿كرام بررة﴾ جمع بار ، وهو صانع البر والخير ١٧- ﴿قُل الإنسان﴾ هذه كلمة دعاء وإنشاء في صورة الفعل الماضي ، ومعناها أهلكه الله وعذبه لأنه لا يستحق الحياة ﴿ما أكفره﴾ ما أشد عناده للحق وتجرده عليه . وتدل هذه الآية بظاهرها أن الإنسان شرير أو مخطئ بطبعه ، وهذا ما تقوله التعاليم المسيحية . أما القرآن الكريم فلا يصف الإنسان من حيث هو بخير ولا بشر ، وإنما يقيسه بما يترك من عمل وأثر كما في العديد من الآيات ، ومنها على سبيل المثال : « وإن ليس للإنسان إلا ما سعى » - ٣٩ النجم .. كل امرئ بما كسب رهين - ٢١ الطور « وعليه فالمراد من الإنسان في « قتل الإنسان » من ضل سواء السبيل بعمله وسوء اختياره ، وأيضاً « ما أكفره » توحى بذلك ، إضافة إلى قوله تعالى : « هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن » ٢- التائب ١٨- ١٩- ﴿من أي شيء خلقه ؟ من نقطة خلقه﴾ من أنت أيها الإنسان الضعيف حتى تنساق مع العناد والغرور . وتحاول القفز وراء الحدود والمقاييس ٢٠- ﴿ثم السبيل يسره﴾ إن الله سبحانه زود الإنسان بالقدرة والعقل للبناء لا للهدم ، ولإصلاح الحياة لا للفساد في الأرض ٢١- ٢٢- ﴿ثم أماته فأقبره ثم إذا أنشره﴾ الحياة الدنيا قصيرة الأمد ، وكلها مصائب وآلام ، وما بعدها أدهى وأمر ، ولا نجاة لأحد إلا بإذن ملك نفسه وكفها عن الحرام ٢٣- ﴿كلا لا يقض ما أمره﴾ أمر سبحانه بالخير . ونهى عن الشر . فأبى أكثر الناس إلا الشهوات والأهواء . وهنا يكمن شقاء الإنسانية وبلاؤها ٢٤- ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه﴾ ويسأل عقله من الذي يسر هذا الطعام ؟ الطبيعة وقوانينها ؟ والطبيعة ومن طعمها ؟ كما قال شوقي ٢٥- ٢٧- ﴿أنا صببنا الماء صبًّا﴾ الله سبحانه هو الذي أنزل الماء من السماء ، وشق الأرض بالحرث وغيره . وأنبت الزرع وخلق الحب ، لأنه مصدر الوجود وسبب الأسباب

مهما طالت وامتدت سلسلة المؤثرات لاستحالة وجود الممكن بلا واجب والحادث بلا قديم وأزل .

٢٨-٢٩ ﴿ وَنَبَأًا طَرِيقًا ﴾ كالبقول والخضار والقت ، يقطع المرة تلو المرة .

٣٠ ﴿ وَحَدَاقٍ غَلْبًا ﴾ ضخمة الأشجار ملتفة الأغصان .

٣١-٣٢ ﴿ وَفَاكِهِةً وَأُنًى ﴾ مرعى الدواب .

٣٣ ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَةُ ﴾ القيامة . وفيها أصوات تصك الآذان حتى تكاد تصمها .

٣٤-٣٨ ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ... ﴾ أبداً لا أحباب ولا أنساب يوم القيامة لأن كل إنسان مشغول بنفسه منصرف لما هو به عن غيره ، وتقدم في الآية ١٠ وما بعدها من المعارج .

٣٨ ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴾ مضية من أسفر الصبح .

٣٩ ﴿ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾ فرحاً وسروراً بثواب الله ورحمته .

٤٠ ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴾ ذل وهوان .

٤١ ﴿ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴾ يعلوها السواد من الحزن والكآبة ، وتقدم في الآية ٢٢ من القيامة . وما بعدها .

سورة التكاثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ التكوير في اللغة

اللف ، والمراد بتكوير الشمس سقوطها وذهاب ضوئها

٢- ﴿ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴾ انكدار الشيء في اللغة : انقلابه ، والمراد بانكدار النجوم تساقطها وتناثرها

٣- ﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾ اقتلعت من أماكنها وسارت في الفضاء .

٤- ﴿ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴾ العشار : الناق الحوامل ، وعطِّلَتْ : تُرِكَت وأُهمِلت .

مَنْعًا لِّكَرٍّ وَلَا تَعْمِكُمْ ١١ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَةُ ١٢ يَوْمَ يَفِرُّ الْعَرَّةُ مِنْ أَخِيهِ ١٣ وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ ١٤ وَصَحْبَتُهُ وَبَنِيهِ ١٥ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ١٦ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ١٧ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ١٨ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ١٩ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ٢٠ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ ٢١

(٨١) سُورَةُ التَّكْوِيْنِ
وَأَنبَأْنَاهَا ثِنْتِ عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ١ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ٢
وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ٣ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ٤

الإعراب :

﴿إِذَا﴾ ظرف زمان بمعنى وقت .

٥- ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ تنفر مذعورة عند خراب الكون ، وتموت خوفاً ٦- ﴿وَإِذَا الْبِهَارُ سَجَرَتْ﴾ تنطلق مياه البحار هنا وهناك لا يسكها شيء .
 ٧- ﴿وَإِذَا الْنفُوسُ زُوِجَتْ﴾ عادت كل نفس آدمية إلى الجسم الذي فارقه عند الموت ، والإيمان يحشر الإنسان جسماً وروحاً من ضرورات الدين : ولا اجتهد فيه تماماً كالنوحيد والثبوة ٨- ٩- ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُتِلَتْ﴾ بأي ذنب قُتِلَتْ هي البنت الصغيرة تدفن حية ، فإنها تبعث ، وتسال على مسمع من وائدها : لماذا وأدك الوائدون ، وتقدم في الآية ١٥١ من الأنعام ١٠- ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ يُعطى غلاً لكل إنسان كتابٌ يبلغه ما فعل من محرمات وما ترك من واجبات . ثم يؤخذ بما قدمت يداها ١١- ١٢- ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ كشفت بذهاب الكواكب ١٣- ﴿وَإِذَا الْجِبَةُ أُرْلِزَتْ﴾ تقرب من المقين ، ويقربون منها ، وتقدم في الآية ٣١ من « ق » .
 ١٤- ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أُحْضِرَتْ﴾ إذا قامت القيامة بحدوث ما ذكر من تكوير الشمس إلى كسحط السماء وغير ذلك - يعلم عندئذ كل إنسان مصيره وعاقبة أمره ، فمن استقام قبال الجنة ونعم أجر الصالحين ، ومن زل قبال النار وبئس مثوى المحرمين ١٥- ١٦- ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِالْجُورِ الْكُنُوسِ﴾ أسلفنا أن « لا » إعراباً زائدة عند أكثر المفسرين ، والجواري : النجوم السيارة ، تختفي في النهار فتغيب عن العيون ، والكُنُوس تظهر أي تضيء وتطلع في أمكنتها . كما في جوامع الجامع للطبرسي ، ونقله ابن كثير عن الإمام علي (ع) .

١٧- ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا عَمَسَ﴾ كناية عن آخره حيث

يدبر شيئاً فشيئاً ١٨- ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ من كابوس الليل بطلوع الفجر وضياؤه ، وقال أديب معاصر : إنك تكاد تسمع من قوله تعالى : والصبح إذا تنفس سقسقة العصفور وصيحة الديك ١٩- ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ هذا جواب القسم ، وضمير الغائب للقرآن ، والرسول جبريل ، ونسب القرآن إليه حيث نقله من الله إلى رسوله محمد (ص) .

٢٠- ﴿فِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ لجبريل صلاة وحصانة في نفسه ، ومكانة وكرامة عند الله .

٢١- ﴿مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٌ﴾ مطاع في الملائكة وأمين على الوحي وتبليغه ، ومعنى هذه الآيات بإيجاز أن القرآن من عند الله حملة جبريل الكريم والقوي الأمين وأداه بصدق وإخلاص إلى النبي العظيم ، ونحن نسأل من شكك ويشك في القرآن : هل درسته دراسة علمية ، وفهمت معانيه ومراميه فنتبين لك أنها غير صحيحة ولا مقبولة أو أنك أعرضت عن القرآن واعتزضت لا شيء إلا ظناً منك بأن الله ما أنزل كتاباً على أحد من الأساس ؟ وعلى هذا الفرض نسألك : أليس هذا الحكم على القرآن قاسياً ومجحفاً لأنه بلا أساس ؟ تواضع وتنازل للعلم وادرس القرآن إن تك من أهل الفكر ، ثم احكم بما يوحيه عقلك ويطمئن إليه قلبك ٢٢- ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ﴾ محمد ﴿بِمُجْنُونٍ﴾ أيها العتاة المعاندون اقرأوا سيرته وانظروا إلى آثاره وأعماله ان كنتم تقولون وتنصفون وتقدم في الآية ٢ من القلم وغيرها ٢٣- ﴿وَلَقَدْ رَآهُ فِي الْآخِرِ الْمِينِ﴾ رأى محمد جبريل على صورته ، وبلغه القرآن على حقيقة في مكان معلوم عند الله وعند محمد وجبريل ٢٤- ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ لا يكتم محمد القرآن ، ويسكت عن إعلانه مخافة أن يقول قائل : هو مجنون ٢٥- ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ هذا رد على من قال بأن القرآن نفثة الشيطان على لسان محمد (ص) وهل توحى الشياطين بالهدى والخير والحق والصدق ؟

وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ٥ وَإِذَا الْبِهَارُ سَجَرَتْ ٦
 وَإِذَا الْنفُوسُ زُوِجَتْ ٧ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُتِلَتْ ٨
 بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ٩ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ١٠
 وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ١١ وَإِذَا الْجَبِجِيمُ سُعِرَتْ ١٢
 وَإِذَا الْجَنَّةُ أُرْلِزَتْ ١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أُحْضِرَتْ ١٤
 فَلَا أَقْسَمُ بِالْجُورِ الْكُنُوسِ ١٥ وَاللَّيْلُ إِذَا عَمَسَ ١٦
 وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ ١٧ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ١٨
 مَكِينٍ ١٩ مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٍ ٢٠ وَمَا صَاحِبُكُمْ
 بِمُجْنُونٍ ٢١ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْآخِرِ الْمِينِ ٢٢ وَمَا هُوَ عَلَى
 الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ٢٣ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ٢٤
 فَإِنَّ تَذَبُّوْنَ ٢٥ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ٢٦ لِمَنِ

شَاءَ مِنْكَ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ
اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾

(٨٢) سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ مَكِّيَّةٌ
وَلَا يَأْتِيهَا شَيْءٌ عَشْرَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ
انْتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ
بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَتَأَبَّأُهَا
الْإِنْسَانُ مَا عَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ
فَسَوَّكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾
كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴿٩﴾ وَإِنْ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾

٢٦- ﴿ فَاَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾ في الإقتران والبضياء ؟ .

٢٧- ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ يهدي إلى ما هو
أسلم وأقوم ، وتكرر هذا المعنى في العديد من الآيات بلفظ ذكر وذكرى
وموعظة وعبرة ورحمة ، وكل هذه الكلمات توحى بأن القرآن
ينجيه بالحياة إلى ما هو أنفع وأكمل .

٢٨- ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴾ القرآن كالدواء
يشفي من أراد الشفاء ، ومن أبى بترك الأمر لمشيئته ، وعليه
تبعه ما فرط وأهل .

٢٩- ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ بموجب علمه
وعدله وحكمته ، وتقدم في الآية ٨ من فاطر وغيرها .

هذه السورة تماماً كالسابقة ، تشير إلى بعض ما يحدث
عند قيام الساعة ، وما يقبها من حساب وحزله .

سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ مَكِّيَّةٌ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴾ انشقت كواكبها وتساقت
وتكرر مرات ، لأن البعث من أصل أصول الدين يجب الإهتمام
به كالتوحيد ، وأيضاً في التكرار موعظة وتخويف من هول
الحساب عسى أن يعتبر المجرم أو يخشى .

٢- ﴿ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ﴾ هوت وبادت ،
وعندئذ يختل توازن الكون .

٣- ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾ فاضت مياهها ، وارتفعت
أمواجه ، واندلعت التيران من باطنها .

٤- ﴿ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴾ أخرجت من بطنها الأموات أحياء تماماً كما تلد الحامل ، والفرق أن هذه لا تلد الأطفال ،
والقبور تُخرج ما أودع فيها .

٥- ﴿ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا قَدَّمْتَ وَأَخَّرْتَ ﴾ ما فعلت وتركت ، وأحسر الناس صفقة من باع دائماً برائلاً .

٦-٧- ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴾ قال الإمام علي (ع) حول هذه
الآيات ما خلاصه : أي شيء جرأك على معصية ربك . وأنت مقيم في كنفه تنقلب في نعمته ؟ هل عرك منه أنه خلقك
فأحسن صورتك وأمهلك ... فالحذر الحذر لقد ستر حتى كأنه قد غفر .

٨- ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ ما زائدة إعراباً والمعنى شاء سبحانه خلقك على ما أنت فيه من جمال وكمال
في الغرائز والأعضاء لنفهم وتعلم أن الذي أنشأك في هذا الإقتران والإحكام قادر على أن يعيدك إلى الحياة ثانية .

٩- ﴿ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴾ أي بالحساب والجزاء والمعنى ارجعوا عن ضلالكم الذي لا مصدر له إلا التكذيب
بالبعث .

١٠-١٢- ﴿ وَإِنْ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كَرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ ﴾

كِرَامًا كَتَبْنَاهُ ۖ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾
 الْآبَرَارُ لَنِ نَّعِيبَهُ ۖ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَنِ جَجِيبِهِ ﴿١٣﴾
 يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ۖ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٤﴾
 وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ
 الدِّينِ ﴿١٦﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا ۖ وَالْأَمْرُ
 يَوْمَهِ لِلَّهِ ﴿١٧﴾

(٨٣) سُورَةُ الْمَطْفِينِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا سِتُّ وَثَلَاثُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ
 يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾

ما تفعلون ﴿١﴾ من خير وشر ، ولا يستركم منهم أي حاجب ،
 ومعنى كرام أنهم أقرباء أمتاء ، وتقدم في الآية ٨٠ من الزخرف .
 ١٣- ﴿١﴾ إن الأبرار لفي نعيم ﴿٢﴾ وكل من كان الخير
 منه مأمول والشر منه مأمون فهو من الأبرار والأخيار .

١٤- ١٥- ﴿٢﴾ وإن الفجار لفي جحيم ﴿٣﴾ وكل من يخاف
 الناس من شره فهو فاجر غادر .

١٦- ﴿٣﴾ وما هم عنها بغائبين ﴿٤﴾ بل هم في شقاء قائم
 وعذاب دائم .

١٧- ﴿٤﴾ وما أدراك ما يوم الدين ﴿٥﴾ لا يفرج فيه عن
 كرب ، ولا يسمح عن ذنب إلا لمن تاب من ظلمه وأصلح .

١٨- ﴿٥﴾ ثم ما أدراك ما يوم الدين ﴿٦﴾ والتكرار للتأكيد
 والتفهيل .

١٩- ﴿٦﴾ يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ﴿٧﴾ لا أحد في
 ذلك اليوم يملك نفعا أو ضرا لنفسه أو لغيره ﴿٨﴾ والأمر يومئذ
 لله ﴿٩﴾ وحده ، فلا وساطة ولا شفاعة بل لا مودة ورحمة إلا
 ما شله ربك .

سُورَةُ الْمَطْفِينِ مَكِّيَّةٌ وَثَلَاثُونَ آيَةً
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٧- ١- ﴿١﴾ ويل للمطففين ... ﴿٢﴾ هدد سبحانه في
 هذه الآيات الذين يبهنون أقوات الناس بأساليب شيطانية ويعكرون
 صفو الحياة ويهدون كرامة البشرية وحرمتها ، ونعتهم في
 الآية الأولى بالمطففين- أي الذين يخسون الناس أشياءهم-

وفي الآية السابعة بالفجار ، وفي الآية ٨٥ من هود : « ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تمتوا في الأرض مفسدين » وبتقدم
 العلم تطورت أساليب الاستغلال ، وانقسم الفجار المستأثرون إلى فئتين في عهدنا الراهن تحتل مركز الصدارة في شرق
 الأرض وغربها : الشيوعية تلغي وجود الفرد بدعوى الحرس على مصلحة الجماعة ، وتركز كل شيء في رجالها وأنصارها ،
 فنقبض على زمام السلطة والإنتاج الإقتصادي بالكامل ، وعلى التشريع والتفويض والقضاء ، ولا رأي وكلام إلا لها ومنها ،
 وما على الآخرين إلا السمع والطاعة . - الرأسمالية تعترف بوجود الفرد وحرية في التعبير عما يشاء وتفصح له مجال الاستفتاء ،
 ولكن هذا الاعتراف شكلي لا واقعي ، وهذه الحرية وهمية لا واقعية . وذلك أن هذه الفئة تتحد وتخطط سلفاً للمواطنين
 الآخرين ، الطريق الذي تريد هي أن يسلكوه ، ومرادها الذي ينبغي أن يؤيدوه ، وتدفعهم إليه بأحدث الوسائل العلمية
 التي تتلاعب بعقول الناس وميولهم كيف تشاء ، ومن هذه الوسائل الصحف والإذاعات والدعايات والخطابات الجذابة
 الخلاية ، والدراسات النفسية التي يقول بها أخصائيون بارعون في استهواء النفوس وتوجيهها حيث يشاءون إلى غير ذلك من
 المؤثرات والإنفعالات ، ومعنى هذا أن الفئتين تلقيان في النتيجة على صعيد اللاهوتية واللاديمقراطية بل واللاإنسانية .
 وتقدمت الآيات ١٧١ أكثر من مرة إضاهة إلى وضوحها معضيق المقام . وللضرورة أحكام .

١٨- ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْإِبْرَارِ لَفِي عِلَيْنَ﴾ لا ذكر سبحانه حال الفجار المستغلين المعتدين أشار إلى الإبرار المقين وهم الذين لا يسيئون إلى مخلوق ، ولا يعصون الله في شيء ، والمراد بالكتاب هنا كتاب الأعمال .

١٩- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلَيْنَ﴾ تفخيم وتعظيم لهذا العلو والسمو . وبأني تفسيره بعد لحظة .

٢٠- ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ فيه علامات تدل على جليل الأفعال والصفات .

٢١- ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ تقرأ ملائكة الرحمة ، والقصد من هذا الإخبار أن الجنة حق لا ريب فيه .

٢٢- ﴿إِنَّ الْإِبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ هذا بيان وتفسير لعلين وأنه جنات النعيم ، ومنها :

٢٣- ﴿عَلَى الْأَرَاكِ يَنْظُرُونَ﴾ الأراك : الأسيرة . وينظرون : تمتع أبصارهم بأبهى المناظر وأجملها .

إشارة:

لا يظن الذين يأكلون أموال الناس بالباطل أنهم غير مبعوثين ليوم عظيم يقف فيه الناس بين يدي الله للحساب والجزاء . قال الشيخ محمد عبده : لا فرق بين

من أنكر اليوم الآخر وبين من تأوّل فيما يدفع عنه العقاب وينجيه من الحساب ، فإن التأويل لا يبتعد به عن منزلة المنكر ، بل هو معه في النار وبئس القرار (ان كتاب الفجار لفي سجين) . كتاب هنا مصدر بمعنى الكتابة . واختلفوا في معنى سجين ، وأقرب الأقوال إلى الإفهام أنه اسم للسجل الذي أثبت فيه أسماء الفجار وأعمالهم ، وإلى هذا ذهب صاحب مجمع اتلبيان لأن قال : «هو ظاهر التلاوة» ووافقه الشيخ محمد عبده وقيل : هو من السجن بمعنى الحبس (وما أدراك ما سجين) . من الذي جعلك به دارياً؟ فإن علمه عند الله وحده (كتاب مرقوم) فيه علامات تدل على أعمال المستئين .

أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿١﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢﴾
يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ
الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٥﴾ كِتَابٌ
مَّرْقُومٌ ﴿٦﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٧﴾ الَّذِينَ
يُكَذِّبُونَ بَيِّمَ الدِّينِ ﴿٨﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ
أَثِيمٍ ﴿٩﴾ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾
كَلَّا بَلْ رَأَى عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١١﴾
كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ ﴿١٢﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ
لَصَالُوا الْخَيْمِ ﴿١٣﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ
تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْإِبْرَارِ لَفِي عِلَّيْنٍ ﴿١٥﴾
وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلَّيْنٌ ﴿١٦﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿١٧﴾ يَشْهَدُهُ
الْمُقَرَّبُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّ الْإِبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٩﴾ عَلَى الْأَرَاكِ

الإعراب:

ويل مبتدأ ، وللمطففين خبر . والذين صفة للمطففين . والمصدر من أنهم مبعوثون ساد مسد للمفعولين ليطن . ويوم يقوم «يوم» منصوب بمبعوثين . وما أدراك مبتدأ وخبر ، ومثله ما سجين . وكتاب خبر لبتدأ مقدر أي هو كتاب مرقوم . والذين يكذبون صفة للمكذبين . وأثيم صفة لمعتد . وأساطير خبر لبتدأ مقدر أي هي أساطير .

٢٤- ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ تدل ستمهم على السرور والسعة والراحة والدعة ، وتقدم في الآية ٣٨ من عبس .

٢٥- ﴿يَسْقُونَ مِنْ رَحَقٍ مَخْتُومٍ﴾ الرحيق : خمر الجنة لا تذهب بالمقل وتفسله ، وقد ختمت أوانيها بالمسك كما قال سبحانه :

٢٦- ﴿خَتَمَهُمْ مَسْكَ فِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ إلى مرضاة الله وجناته يتسابق أهل القرآن والمتنمون إلى الإسلام لا إلى التصفيق والهتاف والجلوس في الصدر وتقيل الأيدي ونهب أموال الفقراء والمساكين ليركوها للأبناء والأصهار .

٢٧- ﴿وَمَزَاجٍ مِنْ تَنْمِيمٍ﴾ قد مزج الرحيق بشراب يقال له تنسيم ، وسمي بذلك لأنه يتدفق من علو .

٢٨- ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ عينا مفعول لفعل محذوف أي أعني عينا ، والمعنى أن التنسيم ليس عصيرا من فاكهة أو ما أضيف إليه شيء آخر ، بل هو من عين طيبة .

٢٩- ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُجِرُوا مِنْ الدِّينِ أَمْنُوا يُضْحَكُونَ﴾ المراد بالمجرمين أعداء النبي (ص) والإسلام ومن صفاتهم الجهل والكفر والتعصب والغرور ، والمراد بالمؤمنين الصحابة . ومن صفاتهم العلم والإيمان والتواضع والإخلاص . وإذن فلا بدع أن يسخر أولئك من هؤلاء .

٣٠- ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ عليهم استخفافا وتهكما .

يَنْظُرُونَ ﴿٣١﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٣٢﴾ يُسْقُونَ مِنْ رَحَقٍ مَخْتُومٍ ﴿٣٣﴾ خَتَمَهُمْ مَسْكَ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٣٤﴾ وَمِزَاجُهُمْ مِنْ تَنْمِيمٍ ﴿٣٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ أُجِرُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٣٧﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٨﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣٩﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٤٠﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفَظِينَ ﴿٤١﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٤٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٤٣﴾ هَلْ تُوبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٤٤﴾

٣١-٣٢- ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ قال الرازي في تفسير هذه الآية مر الإمام علي (ع) وقرر من المسلمين بجماعة من المنافقين ، فضحكوا وتغامزوا . ثم رجعوا إلى أصحابهم وقالوا : رأينا الأصلح فضحكوا منه ، فنزلت هذه الآية قبل أن يصل علي إلى رسول الله (ص) .

٣٣- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ شقي يسخر من نقي ؟ وفي نهج البلاغة : حاسب نفسك لنفسك ، فإن غيرها من الأتقى لها حبيب غيرك .

٣٤-٣٥- ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ وهكذا الجاهل السائل يفرح بالقبيح من فعله ، وهو لا يشعر أنه يطن نفسه بنفسه .

٣٦- ﴿هَلْ تُوبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ هل عاقب سبحانه المجرمين بأعمالهم ؟ أجل ، ما في ذلك ريب . حيث لا يستقيم مع عدله أن يستوي المحسن والمسيء والمجرم والبريء .

الإعراب :

ما أدراك « ما » مبتدا وأدراك فعل ماضٍ والجملة خبر . « ما عليون » مبتدا وخبر . « كتاب » خبر لمبتدا علوف أي هو كتاب . « عينا » مفعول لفعل مقدر أي أعني عينا . « فكهين » حال ، و« مثله » حافظين .

سُورَةُ الْأَنْشَاءِ مَكِّيَّةٌ مِنْ مَكِّيَّةٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ تنشق وتنفطر حين تقوم الساعة .

٢-٥- ﴿ وَأُذِنَتْ لِرَبِّهَا ﴾ استمعت له وأطاعت وحقت ﴿ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَسْمَعَ وَتَطِيعَ . ﴾

٦- ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا ﴾ أبداً لا وجود للإنسان ولا كيان إلا بالجهد والإجتهاد والتعب والكدح في سبيل العلم والرزق ومنفعة الآخرين ، بل لا دين ولا أخلاق إلا بالكدح والعمل ، قال سبحانه : « خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً - ٢ الملك » الحياة إشارة إلى الدنيا ، والموت إلى الآخرة : ومعنى هذه الآية بالعبرة أو بالإشارة أن الله خلق الإنسان كي يعمل لدنيائه كأنه يعيش أبداً ، ولآخرفته كأنه يموت غداً ، وأن كل الأعمال التي أحلَّ الله هي عبادة لله ، وأن من لا يعمل لا يستحق الحياة ولا اسم إنسان حتى وإن لقب نفسه أو لقبه الناس بالعالم والنائب والوزير والزعيم .

٧- ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ يَمِينَهُ ﴾ وهو الصالح الذي كَفَّ أذاه عن الناس .

٨- ﴿ فَسُوفَ يُحَاسِبُ حَسَابًا عَسِيرًا ﴾ أي صورة بلا تحقيق وتدقيق ، فقد روي عن النبي في تفسير هذه الآية أن هذا عرض لا حساب لأن من نوقش الحساب عذب .

٩- ﴿ وَيُقَلَّبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴾ أي إلى أمثاله من أهل الجنة ، وتقدم في الآية ٧١ من الإساءة وغيرها .

١٠- ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴾ وهو من ساء قصده ، وقبح فعله ، وأدبر خيره ، وأقبل شره .

١١-١٢- ﴿ فَسُوفَ يَدْعُوا نُبُورًا وَيَصْلَى سَعِيرًا ﴾ الثبور : الهلاك ، والسعير : النار ، وتقدم في الآية ١٤ من الفرقان .

١٣- ﴿ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴾ كان في الدنيا يضحك لها وتضحك عليه لاهياً ساهياً عن العاقبة وسوء المصير .

١٤- ﴿ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ﴾ يرجع بعد الموت إلى ربه .

الإعراب :

العامل إذا محذوف أي أذكر ﴿ إذا السماء ﴾ يخ وإيضاً جواب إذا محذوف أي لقي الإنسان خالقه . ﴿ فملائيكه ﴾ خبر لمبتدأ محذوف أي أنت ملائكة . ﴿ ومسوراً ﴾ حال .

(٨٤) سُورَةُ الْأَنْشَاءِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا خَمْسٌ وَعِشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ❶ وَأُذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ ❷
وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ❸ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ❹
وَأُذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ ❺ بَيَّأُهَا الْإِنْسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ
إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَّقَبِهِ ❻ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ
يَمِينَهُ ❼ فَسُوفَ يُحَاسِبُ حَسَابًا بَسِيرًا ❽
وَيُنْقَلَبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ❾ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ
وَرَاءَ ظَهْرِهِ ❿ فَسُوفَ يَدْعُوا نُبُورًا ⓫ وَيَصْلَى
سَعِيرًا ⓬ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ⓭ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ

١٥- ﴿بَلَىٰ﴾ رجع إليه ورأى الآفات فخرس وجزع .

١٦- ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِالْشفقِ﴾ حمرة تبقى في الأفق عند غروب الشمس .

١٧- ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ ضم وجمع ما تفرق وانتشر في النهار فأفراد الأسرة يجتمعهم الليل بعد أن فرقهم النهار . وكذا الجيران والأصحاب يجتمعون للسمر .

١٨- ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ تم نوره وتكامل ليله ١٣ و١٤ و١٥ وتسمى هذه الليالي الثلاث بالليالي البيض .

١٩- ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ هذا جواب القسم والمعنى لا بد أن يمر الإنسان بالعديد من الأطوار ، فمن النطفة إلى الجنين ، ومنه إلى الطفولة ثم الشباب والكهولة ، ثم إلى الهرم وأرذل العمر ، إلى القبر ثم النشر والحشر والحساب والجزاء .

٢٠- ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بالله وما ترك عبدًا لمتعل ؟

٢١- ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ وكأن هذه الآية تعني الشباب المتطرف اللامبالي ... تفرع آيات القرآن أسماعهم ، ولا يحاول أحدهم أن يقرأ سورة واحدة بتدبر وإمعان ، أو يرجع إلى تفسير معروف ولو من باب الكشف ومجرد الإطلاع ! وفي نفس الوقت يلهث وراء الكتب الجنسية والجاسوسية وما أشبه من كتب الإلحاد والقساد .

٢٢- ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ﴾ بالحق دون أن يقرأوا أو يتدبروا ويسألوا ويفكروا .

٢٣- ٢٤- ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ هو سبحانه يعلم أنهم يقيسون الحق بالشهوات والخير بالمذات .

٢٥- ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ هذا كلام مستأنف وغير ممنون : غير منقطع ولا منقوص ولا يمن به عليهم ، وتقدم بالحرف في الآية ٨ من فصلت .

سُورَةُ الْبُرُوجِ مَكِّيَّةٌ فِي ثَلَاثِينَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ يقسم سبحانه بالسماء ذات المنازل التي تنتقل بها الكواكب والغرض من هذا القسم التنبيه على ما في الكواكب من النظام والإتقان الدال على وجود الخالق وعظمته .

٢- ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ وهو يوم القيامة لأن الله وعده وهو منجز وعده لا محالة .

الْأَعْرَابُ :

وان لن وان ، مخففة من الثقيلة أي انه . ﴿بَلِ﴾ إيجاب بعد النفي . ﴿وَالسَّاءِ﴾ الواو للقسمة . ﴿وَالْبُرُوجِ﴾ صفة للسَّاء . ﴿وَالْيَوْمِ﴾ وما بعده عطف على السَّاء . وقُتل جواب القسم ، وقيل ﴿الجواب محذوف . دل عليه قوله تعالى : ﴿قتل أصحاب الأخدود﴾ .

لَنْ يَحْجُرَ ﴿١٥﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٦﴾ فَلَا أَقْسَمُ
بِالشَّفَقِ ﴿١٧﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٨﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٩﴾
لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ﴿٢٠﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢١﴾
وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢٢﴾ بَلِ الَّذِينَ
كَفَرُوا يَكْذِبُونَ ﴿٢٣﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٤﴾ فَنَبِّئْهُمْ
بِعَذَابِ الْيَمِّ ﴿٢٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٦﴾

(٨٥) سُورَةُ الْبُرُوجِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاهَا ثَلَاثَانِ وَعَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾

وَشَهِدْ وَمَشْهُودٌ ﴿٤﴾ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٥﴾
النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ ﴿٦﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٧﴾ وَهُمْ
عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٨﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ
إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٩﴾ الَّذِي لَهُ مَلِكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٠﴾
إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا
فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١١﴾ إِنَّ
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١٢﴾ إِنْ بَطَشَ رَبُّكَ
لَشَدِيدٌ ﴿١٣﴾ إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ وَيَعِيدُ ﴿١٤﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ
الْوَدُودُ ﴿١٥﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٦﴾ فَعَالٌ لِمَا
يُرِيدُ ﴿١٧﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٨﴾ فِرْعَوْنُ

٣- ﴿ وشاهد ومشهود ﴾ تعددت الأقوال وتضاربت في معنى الشاهد والمشهود هنا حتى بلغت ٤٨ قولاً كما في بعض التفسير ، ولكن إذا رجعنا إلى القرآن الذي ينطق بعضه ببغض - علمنا بأن المراد بالشاهد الله سبحانه وبالمشهود عليه كل شيء لقوله في العديد من الآيات : « إن الله على كل شيء شهيد - ١٧ الحج » .

٤- ﴿ قتل أصحاب الأخدود ﴾ هذا في ظاهره جواب للقسم ، وفي واقعه دليل على جواب القسم المحذوف ، والتقدير لعن الذين عذبوا الصحابة كلال وخجاب وعمار كما لعن أصحاب الأخدود وهو شئ يحضر في الأرض كالخندق . وأشار سبحانه إلى قصة أصحابه بإيجاز في قوله :

٥- ٩- ﴿ النار ذات الوقود إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله ﴾ كان فيما مضى قوم طغاة كفرة حفرُوا خندقاً وأضرموه ناراً أو جاءوا بالمؤمنين ، فمن ارتد عن دينه إلى الشرك تركوك ، ومن أصر على إيمانه أحرقوه ، وهم قاعدون حول الخندق يتلذذون بمشاهدة الأجسام تحترق ، ولا ذنب إطلاقاً إلا الإيمان بالله ، وهذا بالذات ما فعله طغاة مكة بالمؤمنين المستضعفين .

١٠- ﴿ إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ﴾ بعد أن أشار سبحانه إلى أهل الأخدود الجبارة ذكر موقف قريش من ضعاف الصحابة وكيف كانوا يفتنونهم عن دينهم ويذيقونهم العذاب الويل ، وقد هددهم سبحانه بحرق جهنم إذا لم يتوبوا ويرتدوا .

١١- ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم ... ﴾

عند ربهم أنهار وجنات ، وتقدم مرات ومرات حيث يقرن سبحانه الهول المفرع للمجرمين بالأمن والأمان للمتقين ، وعذاب الجحيم بثواب النعيم .

١٢- ﴿ ان بطش ربك لشديد ﴾ البطش : الأحذ بعنف ، فكيف إذا كان شديداً : ومن جبار السموات والأرض ؟

١٣- ﴿ إنه هو يبدئ ويعيد ﴾ يحيي ويميت ويبعث الموتى من جديد .

١٤- ﴿ وهو الغفور الودود ﴾ يجب الخير لجميع المخلوق بلا استثناء .

١٥- ﴿ ذو العرش المجيد ﴾ الجليل في أفعاله الجزيل في نواله .

١٦- ﴿ فعال لما يريد ﴾ ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن .

١٧- ١٨- ﴿ هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود ﴾ قوم صالح والكلام مستأنف ، والمعنى واضح وخلاصته قد سمعت يا محمد حديث الطغاة ومصيرهم ، كذبوا بالحق ، فأخذهم ربك أخذ عزيز مقتدر ، فكذلك يفعل بمن كذب رسالتك متى يشاء .

وَنُحْمَدُ ﴿١٥﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ
مِنْ وَرَاءِهِمْ مُحِيطٌ ﴿١٧﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ ﴿١٨﴾
فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿١٩﴾

(٨٦) سُورَةُ الطَّارِقِ مَكِّيَّةٌ وَلَا يَتْلُوهَا إِلَّا مَنْ عَشَرَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾
النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾
فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾
يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ
لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا

١٩- ﴿﴾ بل الذين كفروا في تكذيب ﴿﴾ أبداً ، لا عذر
لن كذب محمداً والقرآن بعد العلم التام بهما - إلا أنه موع
بالكذب وتكذيب أهل الحق والصدق .

٢٠- ﴿﴾ والله من وراءهم محيط ﴿﴾ انهم في قبضة الله
يقبلهم كيف يشاء ، ويهلكهم متى أراد .

٢١- ﴿﴾ بل هو قرآن مجيد ﴿﴾ عظيم بدعوته إلى العمل
بالعلم والعقل ، ونبيه عن التقليد والتعصب ، وجعله الناس ،
كل الناس ، على مستوى واحد في جميع الحقوق والواجبات ،
ولا فضل وامتيان إلا لمن قدم عملاً صالحاً يفيد الفرد والجماعة .

٢٢- ﴿﴾ في لوح محفوظ ﴿﴾ من التحريف والتريف ،
مصون من التغيير والتبديل .

سُورَةُ الطَّارِقِ مَكِّيَّةٌ مِائَةُ آيَاتٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿﴾ والسماء والطارق ﴿﴾ أقسم سبحانه بالسماء على
وجه العموم وبلا استثناء ، وهي العالم العلوي بكل ما فيه ،
وأيضاً أقسم بالطارق وهو كل ما يأتي ليلاً نجماً كان أو غير
نجم ، ولكن هذا العموم غير مراد لأنه تعالى فسّر الطارق هنا
بقوله ﴿﴾ النجم الثاقب ﴿﴾ أي المنير ، أما قوله :

٢-٣- ﴿﴾ وما أدراك ما الطارق ﴿﴾ فهو للتعظيم
والتعظيم ، وإنما عظم الله من شأن العالم العلوي والنجم لما فيهما
من المنافع .

٤- ﴿﴾ إن كل نفس لما عليها حافظ ﴿﴾ جواب القسم ، وإن نافية ولا بمعنى إلا ، والمراد ما من أحد من بني آدم إلا
وعليه رقيب يسجل أعماله ، وتقدم في الآية ١١ من الإنفطار بإضافة إلى علمه تعالى .

٥-٧- ﴿﴾ فلينظر الإنسان مما خلق ... ﴿﴾ الماء الدافق : النطفة ، والصلب : كل عظم من الظهر فيه قنار ، والمراد
به هنا صلب الرجل ، و الترائب : موضع القلادة من الصدر ، والمراد بها هنا ترائب المرأة . والمعنى إذا فكر الإنسان : من
أين خلق ؟ وكيف صار إنساناً كاملاً بصورته وأعضائه وشكله وقدرته وإرادته وعقله - انتهى لا محالة إلى الإيمان بأن الله تعالى .

٨- ﴿﴾ إنه على رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿﴾ لأن القدرة على النشأة الأولى تشهد بالقدرة على الثانية ، ومن أنكر هذه واعترف
بتلك فقد أثبت الشيء ونفاه في آن واحد ومن جهة واحدة ، وتجدر الإشارة أن العلم لم يهتد إلى خروج النطفة من بين الصلب
والترائب إلا في هذا القرن . وهكذا تزداد آيات القرآن قوة ووضوحاً كلما تقدم العلم بتقديم الزمن .

٩-١٠- ﴿﴾ يوم تبلى السرائر فما له من قوة ولا ناصر ﴿﴾ كل شيء على المكشوف يوم القيامة ، فالسر علانية والغيب
شهادة ، وأيضاً لا حول ولا قوة لأحد من نفسه أو من غيره إلا بصالح الأعمال وصدق النوايا والأقوال .

١١-١٢- ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾

الرجع : الماء لأنه يرجع ويتكرر ، والصدع : النبات لأنه يصدع الأرض ويشققها ، وأقسم سبحانه بالسماء التي تجود بالشراب وبالأرض التي تعطي الطعام .

١٣-١٤- ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ القرآن

يفصل بين الحق والباطل والخير والشر ، وأبعد ما يكون عن السحر والشعر كما ينعتهم المفترون ، وتقدم في الآية ٤٠ من الحاقة وغيرها .

١٥-١٦- ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾

يدبر الطغاة في الخفاء للناس والمؤامرات ضد الرسول والمؤمنين والله سبحانه يبطل كيدهم ومكرهم ، ويرد سهامهم إلى نحورهم ، وتقدم في الآية ٥٤ من آل عمران وغيرها .

١٧- ﴿فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَهْمُهُمْ رُوبِدًا﴾ لا تعجل

يا محمد واصبر قليلاً ، فما عذاب ربك من الظالمين ببعيد .

سُورَةُ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ الخطاب لمحمد (ص)

والأمر للجميع ، والمعنى نزه الله عما يصفه الجاهلون والملاحدون ولا شيء أوضح وأدل من كلمة التوحيد على أنه تعالى ليس كمثله شيء .

٢-٣- ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسْوَى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾

وخبر تفسير لهذا قول الإمام علي (ع) : قَدَّرَ مَا خَلَقَ فَأَحْكَمَ

تقديره ، ودبره فألطف تدبيره ، وجهه لوجهته فلم يتعد حدود منزلته ، ويقتصر دون الإتهان لغايته .

٤- ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ الزرع والنبات بشئ أنواعه .

٥- ﴿فَجَعَلَهُ غَثَاءً أَحْوَى﴾ هشيمًا قائمًا ، وفيه إيماء إلى أن كل حي إلى زوال ، وتقدم في الآية ٢١ من الزمر وغيرها .

٦- ﴿سَقَرْتُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ شرى من الله لنيه برسوخ القرآن في قلبه ، فلا ينسى منه حرفاً واحداً ، وتقدم في الآية ١٧ من القيامة .

٧- ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ ليس هذا استثناء بل تأكيد لنفي النسيان عن النبي (ص) ، وأنه لا قوة إطلاقاً تنسي محمداً شيئاً من القرآن إلا الله وهو سبحانه لا ينسيه كيف وقده بال حفظ وعدم النسيان ، والله منجز وعده لا محالة .

٨- ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ وهي الشريعة السهلة السمحة والمعنى أن الله سبحانه يسهل لنيه سبل الوحي وتبليغه والعمل به كما شاء وأراد .

نَاصِرٍ ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ ﴿فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَهْمُهُمْ رُوبِدًا﴾

(٨٧) سُورَةُ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَأَيُّهَا الْيَاسِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ ﴿وَالَّذِي أَنْعَجَ الْمَرْعَى﴾ ﴿فَجَعَلَهُ غَثَاءً أَحْوَى﴾ ﴿سَقَرْتُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ ﴿وَنُيَسِّرُكَ

لِّلْبَرِّى ۝ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى ۝ سَيَذَكِّرُ
مَنْ يَخْشَى ۝ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ۝ الَّذِى يَصَلِّ
النَّارَ الْكُبْرَى ۝ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ۝
قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۝ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۝
بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۝
إِنَّ هَذَا لَبِى الصُّحُفِ الْأَوَّلَى ۝ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ
وَمُوسَى ۝

(٨٨) سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ
وَأَنبَايَاهَا ثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعُنْثِيَةِ ۝ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ ۝

٩- ﴿ فذکر إن نفعت الذکری ﴾ التبلیغ حتم نفع
أم لم ینفع إقامة للحجة وقطعاً للمعذرة وإلا امتنع الحساب
والعقاب وعلیه ینکون المعنی علیک أولاً أن تبلیغ علی کل حال
كما فی الآیة ٨٢ من النحل « فإن تولوا فإنما علیک البلاغ
المبین » وبعد البلاغ التام ذکر وعظ إن نفعت العظة والذکری ،
وإن بشت فلا تذهب نفسك علیهم حشرات .

١٠- ﴿ سیدکر من یخشی ﴾ من كانت الحکمة
ضالته والهدیة أمتیه .

١١- ١٢- ﴿ ویتجنّبها الأشقی الذی یصل النار الکبری ﴾
من عاند الحق لأنه لا ینسجم مع أهداه وأهواله ینسجل أن
یتستجیب لدعوته وإن قام علیه ألف دلیل لأن الهوى یمی
ویصم كما قال سبحانه لنبیہ : « أفأنت تسمع الصم أو تهدی
العمی ومن کان فی ضلال مبین - ٤٠ الزخرف » .

١٣- ﴿ ثم لا یموت فیها ولا یحیی ﴾ ضمیر فیها
یعود إلی النار الکبری بشدائدها وأهوالها ، ومن دخلها لا یموت
فیستریح ، ولا یحیا حیاة من غیر نار وحیم .

١٤- ﴿ قد أفلح من تزکی ﴾ من طهر نفسه بالإنقیاد
للحق وعمل الخیر ، والبعد عن الشر والباطل .

١٥- ﴿ وذكر اسم ربہ فصلی ﴾ الصلوات الخمس
وحافظ علیها ، واهتم بها ، ولا وزن عند الله سبحانه لمن ترکها
حتى ولو أجرى للناس أنهرأ من لبن وعسل . هكذا قال الإسلام ،
وما هو من عندنا .

١٦- ﴿ بل تؤثرون الحیاة الدنیا ﴾ والدنیا المذمومة
هی دنیا الحرام ، والذین علیهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعین هم الذین یمتطون الدین للدنیا .

١٧- ﴿ والآخرة خیر ﴾ عند ربک وخیر أملاً ، وتقدم فی الآیة ٤٦ من الکہف وغیرها .

١٨- ١٩- ﴿ إن هذا لفی الصحف الأولى ﴾ ما ذکره سبحانه من فلاح المصلی والمزکی ونعیم الآخرة ودوامه
وعظمته - ثابت فی الكتب التي أنزلها سبحانه علی إبرهیم الخلیل وموسى الکلیم (ع) .

سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿ هل أتاک حدیث العنثیة ﴾ وهی فی اللغة الغطاء ، ومنه قوله تعالى : وإذا غشیهم موج کالظلل أي غمرهم الموج
وغطاهم ، والمراد بالعنثیة هنا القيامة لأنها تنشئ الناس بشدائدها وتغمرهم بأهوالها .

٢- ﴿ وجوه یومئذ خاشعة ﴾ ینظر علیها أثر الخزی والهوان .

٣- ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ من النصب ، وهو التعب .
والمعنى عمل أصحاب هذه الوجوه للدنيا وحدها ولم يعملوا شيئاً
للاخرة ، فأجهز عملهم عليهم .

٤- ﴿تَصِلُ نَارًا حَامِيَةً﴾ تكوي هذه الوجوه بنار مستمرة .

٥- ﴿تَسْقَى مِنْ عَيْنِ آتِيَةٍ﴾ بلغت حرارتها الغاية والنهاية .

٦- ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ وهو شر طعام
وأخبثه ، وقيل : وهو نوع من الشوك سام قاتل .

٧- ﴿لَا يَسْمَنُ وَلَا يَغْنَى مِنْ جُوعٍ﴾ لا يدفع ضراً ،
ولا يجلب نفعاً .

٨- ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ بعد الإشارة إلى المجرمين
وما يقاسون من عذاب الجحيم ، أشار إلى المقين وما يتقبلون
فيه من النعيم ، والوجوه الناعمة هي التي تظهر عليها نضرة
النعيم كما قال سبحانه في الآية ٢٤ من المطففين : « تعرف
في وجوههم نضرة النعيم » .

٩- ﴿لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ﴾ رضيت أجراها في الآخرة على
عملها في الدنيا .

١٠- ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ بشأنها وخيرها وأمنها وشئ
جهاثها ١١- ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَافِيَةً﴾ سخفاً وجهالة وحماقة
ونذالة ١٢- ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ جنان تجري من تحتها الأنهار
١٣- ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ عن الأرض .

١٤- ﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ على جانب العين .

١٥- ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ جمع نمرقة ، وهي الوسادة ؛
المسند أو المخدة .

١٦- ﴿وَزُرَّاقِي مَبْثُوثَةٌ﴾ وهي البسط ، ومبثوثة : متفرقة . وكل ما جاء هنا في وصف الجنة تقدم مرات ، والكلمة
الجامعة الوافية في وصف الجنة قوله تعالى : « وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون - ٧١ الزخرف » .

١٧- ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ قال الشيخ محمد عبده : إنما خص الإبل لأنها أفضل دواب العرب
وأعمها نفعاً ، ولأنها خلق عجيب ، فهي على شدتها تنقاد للضعيف ، ثم في تركيبها ما أعد لحمل الأثقال ، ترك لتحمل
وتنضج بما تحمل مع الصبر على السير والعطش والجوع ١٨- ﴿وَالِى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ فوق الأرض بكواكبها
اللامعة النافعة ١٩- ﴿وَالِى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ أوتاداً للأرض ، ولولا الجبال لما تد بأهلها ٢٠- ﴿وَالِى الْأَرْضِ كَيْفَ
سُطِحَتْ﴾ في رؤية العين لا في الواقع ، والمعنى المراد : كيف مهدت واستقر عليها كل شيء حتى الأنهار والبحار .

٢١- ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ حدد سبحانه مهمة الرسول وحصرها بالتذكير وكفى ، ولم يجعل له أية سلطة على
من رفض الإسلام ولم ينصب له العداة بدليل قوله تعالى ٢٢- ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أي الكافرين ﴿بِمُصِطِرٍ﴾ وفي آية ثانية:
وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد- ٤٥ ق « وفي كتاب « من هدى القرآن » لأمين الخولي كلمة حول هذه
الآية قليلة المبنى كثيرة المعنى ، وهذا نصها بهذا الصنع من هدى القرآن صنع القرآن قادة لا جبارة ، وبهذه الرياضة الإلهية
ارتاض محمد رسول القرآن (ص) ودانت له الرقاب ، وتهيأت له الأسباب ، وظل كما هو القائد الرسول يؤثر أن يكون
عبد الله ورسوله ، ويكره أن يكون ملكاً مرهوباً « فهل ينتظ بهذا عشاق الكبرياء والإستعلاء ؟

عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصِلُ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَى مِنْ عَيْنِ
آتِيَةٍ ﴿٥﴾ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَا يَسْمَنُ
وَلَا يَغْنَى مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ﴿٨﴾
لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَا تَسْمَعُ فِيهَا
لَافِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾
وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزُرَّاقِي
مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾
وَالِى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَالِى الْجِبَالِ كَيْفَ
نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَالِى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ
إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصِطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا
مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾
إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾

(٨٩) سُورَةُ الْفَجْرِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا ثَلَاثُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ① وَلَيْلٍ عَشِيرٍ ② وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ③
وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِيرٌ ④ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّدَى حَجِرٍ ⑤
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ⑥ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ⑦
الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ⑧ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا
الصَّخْرَ بِالْوَادِ ⑨ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ⑩ الَّذِينَ
طَعَنُوا فِي الْبِلَادِ ⑪ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ⑫
فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ⑬ إِنَّ رَبَّكَ
لَإِلَهِرَّصَادٌ ⑭ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ

٢٣- ﴿إِلَّا مِنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ...﴾ أي ذكر وعظ يا محمد كل الناس إلا من أدبر وتولى ويست من هدايته ، فدعه وشأنه ، فإنه عائد إلى الله وملاقية لا محالة ، وعليه وحده حسابه وعقابه

سُورَةُ الْفَجْرِ مَكِّيَّةٌ وَفِيهَا ثَلَاثُونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿وَالْفَجْرِ﴾ وقت تنفس الصبح كما في الآية ١٨ من التكوير : « والصبح إذا تنفس » .

٢- ﴿وليلٍ عَشِيرٍ﴾ قيل : هي العشر الأوائل من ذي الحجة الشهر الأخير من أشهر الحج الثلاثة : شوال وذو القعدة وذو الحجة .

٣- ﴿والشفع والوتر﴾ الشفع : الزوج ، والوتر : الفرد ، والأشياء كلها إما زوج وإما فرد ، وغير بعيد عن ظاهر اللفظ أنهما إشارة إلى الحساب على وجه العموم ، لأنه تعالى أطلق ولم يقيده بشيء خاص -٤- ﴿والليل إذا يسر﴾ يذهب وفي الآية ٣٣ من المدثر : « والليل إذا أدبر » .

٥- ﴿هل في ذلك قسم لذي حجر﴾ الإستفهام هنا لتقرير الواقع ، والمراد بالحجر العقل ، والمعنى أن في الأشياء التي أقسم بها سبحانه حجة كافية في الدلالة على وجود الله -٦-٨- ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات

العماد التي لم يخلق مثلاً في البلاد﴾ عاد قوم هود ، وإرم اسم الجبل الأعلى للقبيلة ، وذات العماد كناية عن الغنى والترف

الذي قادهم إلى الجبروت والطغيان ، ومعصية الله والرسول ، فأخذهم سبحانه بالهلاك والدمار ، وإذا لم ينته المعاندون والمعادون لمحمد (ص) فسيكون مأثم مآل عاد-٩- ﴿وثمود الذين جابوا الصخر بالواد﴾ أيضاً قوم صالح الذين اتخذوا من الجبال بيوتاً فارهم ، كانوا أقوياء وأغنياء ، ولما طغوا وبغوا وعصوا الرسول ، فعل بهم سبحانه ما فعل بعاد .

١٠- ﴿وفرعون ذي الأوتاد﴾ أي المياني العظيمة الشامخة الثابتة كالأهرام ١١-١٣- ﴿الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب﴾ لفظ الذين وما بعده صفة لعاد وثمود وفرعون لأنهم بالكامل أكثروا الفساد ، ووقع عليهم العذاب ، وخص سبحانه السوط بالذكر لأنه يشير إلى تكرار العذاب ، وتقدم أن عذاب عاد بالريح ، وثمود بالصيحة ، وفرعون بالفرق ١٤- ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ رقيب على العباد محيطاً بقولون ويفعلون ، ويجازي كل ما سعيه وفعله ١٥-١٦- ﴿فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه﴾ يتلى سبحانه العباد بما يحبون وما يكرهون إخراجاً لما في نفوسهم بالأفعال التي بها يستحق الثواب والعقاب ، لأنه تعالى لا يعاقب إلا على جرم مادي محسوس ، وهو يشب على مجرد التوبة ، وأكثر الكسالى إذا افتقروا ألقوا التبعة والمسؤولية على قضاء الله وقدره وإذا استغنوا عن طريق الميراث وما أشبه ظنوا أنهم أقرب المقربين عند الله ! وهذا هو الجهل بالجهل لأن دار الدنيا للعمل لا للجزاء ، ودار الآخرة للجزاء لا للعمل ، وفي الحديث : « الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له ، ولها وحدها يجمع من لا عقل له » .

١٧-١٨- ﴿كَلَّا﴾ ليست الكرامة عند الله بالمال بل بالقوى وصالح الأعمال ، ولا الإهانة بالفقر ، بل بالفساد والضللال ، بمعصية الله الذي خلق ما في الأرض للناس جميعاً بفساد الأوضاع التي ما أنزل الله بها من سلطان ، يجوز الأقوياء الذين احتكروا واستأثروا وحرموا المساكين والضعفاء . وإلى هذا المعنى بالذات أشار سبحانه بقوله : ﴿بل لا تكرمون اليتم ولا تعاضون على طعام المسكين﴾ بل يغدرون بالأرامل والأيتام والمشردين والمساكين ، وينتهبون أموالهم ظلماً وعدواناً .

١٩- ﴿وفاكولن التراث أكلاً لما﴾ أي أكلاً شديداً ، والمراد بالتراث هنا ميراث الأيتام والضعفاء بقرينة السياق ، وكل من لا يخشى الله والحق يأكل أموال الضعفاء والمساكين إذا لم يكن لهم عم ولا حال .

٢٠-٢١- ﴿وتحبون المال حباً جماً﴾ ميراثاً كان أم غير ميراث ، والجم معناه الكثير ، وقتلنا مرات : لا بأس بحب المال الحلال ، والغنى عن الناس ضمان للكرامة ، والمؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف ... ونعم المال الصالح للرجل الصالح ، كما قال الرسول الأعظم (ص) .

٢١- ﴿كَلَّا﴾ لا ينبغي للإنسان أن يشح بالمال في سبيل الخير ، فإنه مسؤول عن ذلك ﴿إذا دكت الأرض دكا دكا﴾ الدك : الهدم ، والتكرار إشارة للتتابع أي دكا بعد دك ، والمعنى إذا قامت القيامة .

٢٢- ﴿وجاء ربك﴾ أمره وقضاؤه ﴿والملك صفاً صفاً﴾ أي صفوفاً متعددة .

٢٣- ﴿وجيء يومئذ بجهنم﴾ يكشف عنها يوم القيامة لكل ناظر ﴿يومئذ يتذكر الإنسان﴾ تذهب العقلة ، وتأتي البظة ﴿وأنى له الذكرى﴾ تذكر خطاه وتقصره . ولكن بعد فوات الأوان .

٢٤- ﴿يقول يا ليتني ظلمت لحياتي﴾ عملاً أنفع به عند الحساب والجزاء ، وأجهل الناس من لا يحس بذنبه إلا عند العقوبة ، وأشد سفاهاً منه من أحس بالذنب ، ولم يندم ويبادر إلى التوبة ، وكل من ذا وذلك .

٢٥- ﴿فيومئذ لا يعذب عذابه أحد﴾ كناية عن أليم العذاب وشده ، وأنه لا عذاب يضاهيه وبماثله .

٢٦- ﴿ولا يوقى وثاقه أحد﴾ الوثاق : ما يشد به من قيد أو حبل أو سلسلة ، وفي الآية ٤ من الإنسان : «إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالاً وسعيراً» .

٢٧- ﴿يا أيها النفس المطمئنة﴾ وهي التي آمنت بالله وجنته ، وعملت بشريعته وطاقته .

٢٨- ﴿ارجعي إلى ربك﴾ أي إلى نوابه ، وكرامته وإلا فإن الله أقرب إلينا من حبل الوريد ﴿راضية﴾ عن عملها في الدنيا وأجرها في الآخرة ﴿راضية﴾ عند الله لصلاحها وتقواها .

٢٩- ﴿فادخلي في عبادي﴾ في جملة من فازوا بمجات النعيم .

فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٧﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٨﴾ كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٩﴾ وَلَا تَحْتَضِنُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٢٠﴾ وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثِ أَكْلًا لَمًّا ﴿٢١﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٢﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢٣﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٤﴾ وَجِئَتْ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴿٢٥﴾ يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴿٢٧﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴿٢٨﴾ يَبْتَائِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٩﴾ ارجعي إِيَّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴿٣٠﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٣١﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٢﴾

سُورَةُ النَّازِعَاتِ مَكِّيَّةٌ وَفِيهَا ثَمَانُونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(٩٠) سُورَةُ الْبَلَدِ الْمَكِينِ
وَأَيُّهَا عَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝
وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ۝
أَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا
لُبَّاءَ ۝ أَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهِ أَحَدٌ ۝ أَلَّا نَجْعَلَ لَهُ
عَيْنَيْنِ ۝ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ۝
فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ۝
فَكَّ رَقَبَةً ۝ أَوْ إِنْطَعَمَ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۝
بَتِيًّا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝ ثُمَّ كَانَ مِنْ

١- ﴿ لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ مكة المكرمة ، وأقسم سبحانه بها لشأنها وحرمتها .

٢- ﴿ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ هذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه ، والخطاب لمحمد (ص) وحل من الحلول بمعنى النزول لا من الحلال كما قيل لأن المعنى الأول هو الأظهر المتبادر ، والواو للحال ، وعليه يكون القسم بمكة مقيداً بوجود محمد (ص) فيها إشعاراً بأن مكة زادت به شأناً ورفعة .

٣- ﴿ ووالد وما ولد ﴾ قال الشيخ محمد عبده : المراد كل والد ومولود من الإنسان والحيوان والنبات كما يرشد إليه التكرار ، وهو مختار ابن جرير وجمع من المحققين والغرض من القسم بذلك التنبيه إلى إنشاء الكائنات الحية وتطورها من حال إلى حال .

٤- ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾ بفتح الكاف . والباء ، من المكابدة ، والمعنى أن الله سبحانه خلق الإنسان ليكايد الشدائد من أجل حياة أفضل عند الله والناس ، قال عز من قائل : « ليلوكم أيكم أحسن عملاً - ٢ الملك ... ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون ١٢٩ الأعراف ومعنى هذا أن من يأكل ولا يعمل موته خير من حياته ، وعدمه خير من وجوده .

٥- ﴿ أَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴾ أيظن المتوفى الطاغية أنه في حصن حصين من الضربات والنكبات .

٦- ﴿ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا لُبَّاءَ ﴾ أي أنفقت مالا كثيراً ملبداً ومكسباً بعضه فوق بعض ، وهكذا يفتر الغني الشقي متعالي بما أسرف وبذر على شهوته وملذاته .

٧- ﴿ أَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهِ أَحَدٌ ﴾ أيظن هذا المفتون بما له أن الله غافل عن أعماله ؟ كلا ، سيألف عن كل درهم ثم أكسبه وفيه أفق ؟ ويعامل بما استحق .

٨- ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴾ يبصر بهما .

٩- ﴿ وَلِسَانًا ﴾ ينطق به ﴿ وَشَفَتَيْنِ ﴾ يستعين بهما على الكلام وأكل الطعام .

١٠- ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ المراد بالهدى هنا العقل الذي يكون الإنسان به شيئاً مذكوراً ، وإليه ينتهي العلم بكل سر وحقيقة سواء أكانت طبيعية أم دينية أم اجتماعية حيث لا علم بلا عقل ، وكل ما يرفضه العقل فهو وهم وخرافة ، وهذا يتضح أن المراد بالنجدتين : الحق والباطل ، الأول يرضيه العقل أو لا يعارضه - على الأقل - والثاني ينكره العقل ويأباه .

١٦- ١٧- ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكَّ رَقَبَةً أَوْ إِنْطَعَمَ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾

ذا مثربة ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة في افتتاح العقبة : الكفاح لعمل أفضل ، وفك الرقبة : تحرير الإنسان من العبودية والهوان ، والمسغبة : المجاعة ، والمقرية : القرابة بالنسب أو بالإنسانية ، والمثربة : الفقر الشديد ، والتواصي بالصبر والمرحمة : التعاون على تحقيق العدالة الاجتماعية : بعد ان يبين سبحانه في الآية ٤ أنه خلق الإنسان ليكابد ويجاهد ، حدد في هذه الآيات السبع نوع هذه المكابدة بالعمل لتحرير الضعيف من الضعف والعبودية ، وتأمين العمل لكل من يقدر عليه ، ولقمة العيش لمن يعجز عن السعي والتعاون على ترابط المجتمع وتماسكه وقدرته على البقاء ومواجهة المخطوب والأحداث .

١٨- ﴿ أولئك أصحاب الميمنة ﴾ أولئك إشارة إلى الذين تعاونوا على تحقيق العدالة الاجتماعية والعمل لحياة أفضل ، وأصحاب الميمنة في اصطلاح القرآن هم السعداء الذين لهم قدم صدق عند ربهم .

١٩- ﴿ والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة ﴾ الذين غضب الله عليهم ، وأعد لهم نارا موقدة وعليهم موصدة مطبقة مغلقة .

سورة الشمس

بسم الله الرحمن الرحيم

١- ﴿ والشمس وضحاها ﴾ أقسم سبحانه في هذه السورة ببعض مخلوقاته العظيمة في منافعها وآثارها ، وضحي

٢- ﴿ والقمر إذا تلاها ﴾ جاء بعد غياب الشمس ،

وذلك في الليالي البيض ١٣ و ١٤ و ١٥ حيث يضيء الليل بالكامل من غروب الشمس إلى الصبح .

٣- ﴿ والنهار إذا جلاها ﴾ النهار يبرز الشمس للعيان واضحة جليلة ، وإن قال قائل : النهار عبارة عن ضوء الشمس وإذن هي أوجدت النهار وأظهرته للعيان مع أن الآية تقول : هو الذي أظهر الشمس وأبرزها - قلنا في جوابه : الشمس توجد النهار إيجاد المؤثر لأثره ، والنهار يدل على الشمس دلالة الأثر على المؤثر ، وعليه يكون المراد بالجلاء المعنى الحقيقي وهو الدليل على وجود الشمس لا على إيجادها - ﴿ والليل إذا يشأها ﴾ يغطي الليل ضوء الشمس ولا يبق لها من أثر في الليلة الأولى والأخيرة من الشهر القمري - ﴿ والسماء وما بناها ﴾ أي وبنائها لأن « ما » مصدرية ، والمراد أن الله خلق ما في الفضاء من الكواكب ، وتقدم في الآية ٤٧ من الذرات وغيرها - ﴿ والأرض وما طحاها ﴾ أي وطحها وهو البسط والتمهيد ، وتقدم مرات ، منها في الآية ٢٢ من البقرة - ﴿ ونفس وما سواها ﴾ النفس شيء يكون به الإنسان إنسانا والحيوان حيوانا ، وهي لا ترى ولا تلمس بحال ، وإنما نعرفها بالآثار كالجاذبية . ومن آثارها النمو والحركة والشعور بالألم واللذة والإدراك الذي أشار إليه سبحانه بقوله : ٨- ﴿ فأنزلها فجورها وقيوها ﴾ الفجور والشقاء من صفات الإنسان دون الحيوان ، والله سبحانه وهب الإنسان القدرة والعقل والإرادة ، وبيّن له الخير وأمره به ، والشر ونهاه عنه ، فمن أطاع أصاب سبيل السلامة ، ومن عصى فعليه عاقبة معصيته ، وتقدم في الآية ٣ من الإنسان وغيرها .

٩- ﴿ قد أفلح من زكاه ﴾ هذا جواب القسم والمعنى قد ربح وفاز من كفّ أذاه عن الناس ، وعف عن أكل الحرام ،

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾
أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَصْحَابُ الشِّمَالِ
هُم أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ﴿٢٠﴾

(١١) سُورَةُ الشَّمْسِ بِكَيْتٍ
وَأَيُّهَا أَحْسَنُ عَشِيرَةٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارُ
إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءُ
وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا
سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَنزَلْنَاهَا جُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ
مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ

ولم يعيث بأموال المتكويين والأيتام باسم الدين وثوب الصلاح والصالحين .

١٠- ﴿ وَقَدْ خَابَ مِنْ دَسَائِهِ ﴾ من اللسيسة أي أخفى نفسه الخبيثة بالخداع والرياء ، قال الشيخ محمد عبده : « هل تكون خيبة أعظم وخسران أكبر من خيبة هذا الذي مسخ نفسه بسوء عمله ؟ فما أجمل هذا التعبير ! وما أحواه للمعاني الرفيعة » !

١١- ﴿ كَذِبْتَ ثُمَّ دَعَوْتَهُمْ بِمَعْلُومٍ ﴾ مفعول كذبت محذوف أي كذبت ثمود نبيا صالحاً بسبب غيها وطمعائها .

١٢- ﴿ إِذْ أَنْبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴾ أسرع أشقى قبيلة ثمود إلى عقر ناقة الله .

١٣- ﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ صالح ﴿ اتَّقُوا ﴾ ناقة الله ﴿ الَّتِي هِيَ مِعْجَرَةٌ تَدُلُّ عَلَى نُبُوَّةِ صَالِحٍ ﴾ وسقيهاها ﴿ إِشَارَةً إِلَى مَا جَاءَ فِي الْآيَةِ ١٥٥ مِنَ الشَّرَاءِ : « لَهَا شَرْبٌ وَلَكُمْ شَرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ » .

١٤- ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَلَنَمُومَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ ﴾ فسواها ﴿ قَالَ سُبْحَانَهُ : عَقَرُوهَا : مَعَ أَنَّ الْعَاقِرَ وَاحِدٌ ، لِأَنَّهُمْ رَضُوا بِفَعْلِهِ ، وَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ : أَطْبَقَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ . فَسَوَّاهَا : دَمَّرَ مَسَاكِنَهَا عَلَى مَا كَتَبَهَا بِالْكَامِلِ ، وَلَمْ يَفْلِتْ مِنْهُمْ أَحَدٌ .

١٥- ﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾ لأن سبب الخوف لا يخلو من أحد فرضين : الخوف أو الظلم ، وتعالى الله عن هذا وذالك .

يَطْعُونَهَا ١١ إِذْ أَنْبَعَثَ أَشْقَاهَا ١٢ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ١٤ فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ١٥ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ١٥

(٩٢) سُورَةُ النَّازِعَاتِ مَكِّيَّةٌ وَأَرْبَعُونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ٢ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ٣ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ٤ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ٦ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ٨ وَكَذَّبَ

سُورَةُ النَّازِعَاتِ مَكِّيَّةٌ وَفِيهَا ثَمَانُونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١-٢- ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴾ يغشى : يغطي الأشياء ، وتجل : ظهر ، ومثله تماماً في الآية ٣ و٤ من سورة الشمس : « وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى » ٣- ﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴾ « ما » هنا مصدرية أي وخلق الذكر والأنثى يستحيل أن يكون بمحض الصدقة والإنفاق ، لأن العناصر واحدة والطبيعة واحدة ، وإذن لا بد أن يكون وراء التخالف في الأنوثة والذكورة مدير عليم يخطط لبقاء النوع بالتنازل والتوالد ٤- ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴾ جمع شتيت ، وهو جواب القسم والمعنى أن في الناس المحسن والمسيء ، وإذن لا بد من الجزاء ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر حيث لا يستقيم عدله تعالى أن يستوي المحسن والمسيء ، وإلى هذا أشار سبحانه بقوله :

٥- ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴾ جاهد أعداء الحق ، وكفَّ عن البغي والأذى .

٦- ﴿ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾ آمن بالجنة والنار والحلال والحرام ، وعمل بموجب إيمانه .

٧- ﴿ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾ يسهل الله عليه ما يبتغيه ويرضيه ، قال الإمام علي (ع) : « لو أن السموات والأرضين كانتا على عبد رفقاً ثم اتقى الله لجعل الله له منهما مخرجاً » ٨- ﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴾ أمسك عن كل خير واكتفى بطعامه وشربه عن كل شيء تماماً كالهيمة .

٩- ﴿ وَكَذَّبَ بِالْحَسَنِيِّ ﴾ وقال : لا جنة ولا نار ولا حرام وآثام .

١٠- ﴿ فَسَيَسِّرُهُ لِّلْعَصِيِّ ﴾ تطغى عليه الشهوات والملاذات ، وتعميه عن كل خير ، وتقوده إلى كل شر .

١١- ﴿ وَمَا يَغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَوَدَّى ﴾ إذا سقط في الهاوية لا مال ينقذه ، ولا ناصر يسعفه .

١٢- ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ﴾ المراد بالهدى بيان الحلال والحرام ، والمعنى كتب سبحانه على نفسه أن يبلغ شريعته لعباده بلسان العقل أو الرسول ، ويترك الطاعة والعمل لمشيتهم حيث لا دين مع الإكراه ، ولا طاعة بلا حرية ، وتقدم في الآية ١٩ من الزمل وغيرها .

١٣- ﴿ وَإِن لَّنَا لِّلْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴾ هو سبحانه مالك كل شيء دنیا وآخرة ، وتنفذ إرادته فيمن يشاء كما يشاء ، وتقدم مرات ومرات .

١٤- ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلْفَى ﴾ حذر سبحانه من ناره ، وبشر بجنه ، وقد أعذر من بشر وأنذر ، وتقدم في الآية ٢٨ من آل عمران وغيرها .

١٥-١٦- ﴿ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴾ الذي كذب ونوى ﴿ يَصْلَاهَا : يدخل النار ، وكذب : لم يؤمن بالحق أو آمن ولم يعمل بموجبه ، وتقدم في الآية ١٠٦ من هود وغيرها .

١٧-١٨- ﴿ وَسَيَجْزِيهَا الْآخِرَى ﴾ الماء تعود إلى النار والمعنى المؤمن حقاً يبتعد عن الأسباب المؤدية إلى النار ، وهي محارم الله .

١٩-٢٠- ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِّعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴾ يبذل من نفسه وماله لا بدافع الظهور وحب الشهرة ، ولا بقصد الربح والتجارة ، ولا للهنافات وكسب الأصوات ... لا لشيء إلا لوجه ربه الأعلى ، وتقدم في الآية ٩ من الإنسان .

٢١- ﴿ وَلَوْ يَرَىٰ ﴾ يرضى عنه ومضاعفة الثواب له ، والويل كل الويل لمن أسخط ربه إرضاء لشهوته .

سُورَةُ الضَّحَى بِمَكِّيَّةٍ وَأَيَّامُهَا إِجْدَى عَشِيرَةٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١-٢- ﴿ وَالضُّحَى ﴾ والليل إذا سجد ﴿ الضحى : صدر النهار ، والمراد به هنا النهار بكامله بقرينة المقابلة بالليل ، وسجد : أظلم وسكن بمعنى سكنوا أهله ، مثل ليل نائم ونهار صائم أي فيه .

٣- ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ ﴾ يا محمد ﴿ ربك وما قل ﴾ هذا جواب القسم ، ومعناه ما تركك ولا أبغضك منذ خلقك كما تشير كلمة يتيم وعائل ، وقيل : إن الوحي انقطع عن النبي (ص) فترة ، فاشتد إليه شوقه ، وخاف أن الله قد تركه وقلاه فزلت هذه السورة ليطمئن قلبه .

(٩٣) سُورَةُ الضَّحَى مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّامُهَا إِجْدَى عَشِيرَةٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَى ۝ وَاللَّيْلُ إِذَا جَاءَ ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ

٤- ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ أنت في الدنيا عظيم الشأن عند الله والناس ، وفي الآخرة لا يساويك في منزلتك ملك مقرب ولا نبي مرسل .

٥- ﴿وَلَسَوْفَ يَعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ أعطاه النبوة والقرآن ، وقرن اسمه باسمه في الصلاة والأذان ، وختم به الوحي والنبوة . وماذا بعد هذا ؟ أما في الآخرة فقد أعطاه الشفاعة وما من أحد يملكها إلا إذا اتخذ عند الرحمن عهداً .

٦- ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ يَتِيماً فَآوَى﴾ عند من أودع الله محمداً اليتيم وآواه ؟ ومن الذي نصره وحماه ؟ وأكرم مقامه ومثواه ؟ وأرضى الله في خدمته وأرضاه ؟ ونفاه الأهل والعشيرة من أجله وضحي بالسيادة والقيادة في سبيله ؟ ومحال أن ينسى الله ومحمد هذه التضحية والفضيلة لأبي طالب .

٧- ﴿وَجَعَلَ ضَالًّا فَهْدَى﴾ كان النبي (ص) حائراً في أمر قومه ، كيف يحملهم على الهدى ويقذهم من الضلالة والعلمى حتى نزل عليه القرآن هدى ورحمة للعالمين ، وعليه فالمراد بالضلال هنا الحيرة في إيقاظ قومه من سباتهم ، وقد شاع وذاع أنه لم يسجد لصنم إطلاقاً ، ولم يقرن ذنباً بمدى حياته حتى عرف بين المشركين بالصادق الأمين .

٨- ﴿وَجَعَلَ عَائِلًا فَاعْنَى﴾ العائل هو الفقير سواء أكان عنده عيال أم لم يكن ، وقال الرواة : إن رسول الله لم يرث من أبيه إلا ناقة وجارية ، فأغناه الله برعاية عمه أبي طالب ومال خديجة بنت خويلد .

٩- ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ محمد هو المثل الأعلى في رافته ورحمته لكل العالمين بنص الآية ١٠٧ من الأنبياء وكفى بقلبه دليلاً على لطفه ولبه . والغرض من هذا النهي الاهتمام بشأن الأيتام ، والعناية بتربيتهم . وإصلاح حالهم ١٠- ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ إجابة المضطر فرض كفاية على كل عالم وقادر فإن انحصرت القدرة على الإجابة بواحد تصح الكفاية عيناً عليه ، فإن أهمل ولم يكثر أذل الله وأخزاه لأن المضطر لا يسامح بحال وللكبد الحرى شأن عظيم عند الله ١١- ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ حامداً شاكراً لا مكاتراً ومفاخراً .

سُورَةُ الشُّرُوحِ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ ضاق النبي ذرعاً بفساد مجتمعه قبل البعثة كما سبقت الإشارة في سورة الضحى ، فأثار الله له السبل إلى ما يتفقيه . فاطمأن قلبه . وانتشرح صدره فامتحن سبحانه على نبيه بهذه النعمة الكبيرة تماماً كما امتحن عليه في السورة السابقة بقوله : ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ يَتِيماً فَآوَى...﴾ ولذا قال كثير من العلماء ، ومنهم علماء الشيعة الإمامية : إن الضحى وألم تشرح سورة واحدة للعلاقة إحداهما بالأخرى ٢- ٣- ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ﴾ ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك بالوزر : الجمل الثقيل وأنقض : أثقل ، والمراد بالحمل هنا هم النبي وغمه بما كان عليه قومه . فأزاح سبحانه هذا الغم وألهم عن نبيه بالقرآن . ٤- ﴿وَوَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ وقدرك ، وأي شيء أرفع من إقران اسم محمد باسم الله وطاعته بطاعته ، ومن جحد

وَمَا قَلَّ ﴿١﴾ وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴿٢﴾ وَلَسَوْفَ
يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴿٣﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ يَتِيماً فَآوَى ﴿٤﴾
وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهْدَى ﴿٥﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴿٦﴾
فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٧﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿٨﴾
وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿٩﴾

(٩٤) سُورَةُ الشُّرُوحِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا الْمَاهِرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ ﴿٢﴾
الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾
فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾

برسالة محمد فهو بحكم من جحد بالله .

٥-٦- ﴿فَإِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۚ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾
وللمفسرين كلام طويل وعريض حول هذا التكرار والفرق بين العسر الأول والثاني واليسر الثاني والأول ، وتأملنا فيما قالوا ملياً ، فوجدناه تكثر ألفاظ وكفى ، ومعنى الآية واضح ، وهو أن الشدة يعقبها الفرج عاجلاً أو آجلاً ، ولا هدف من التكرار إلا توطيد الرجاء والثقة بالله وإلا ألى الأمل يسوق إلى السعي والعمل ، أما اليأس فهو بالإنتحار أشبه ، قال سبحانه : « كل يوم هو في شأن - ٢٩ الرحمن » وضمير هو لليوم وقال العلم الحديث : « كل شيء يتغير إلا مبدأ التغير والتطور » .

٧- ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾
إذا فرغت يا محمد من التبليغ فخذ في عمل آخر ، واتعب في إقامته لكي تنتفع به أنت وغيرك .

٨- ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾
ولا تستعن بأحد سواه . وكان الرسول الأعظم (ص) يكرر هذا الدعاء : اللهم أعوذ بك من الفقر إلا إليك ، ومن الدل إلا لك ، ومن الخوف إلا منك .

سورة التين مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

١- ﴿التين والزيتون﴾
الله بهاتين الكلمتين ، على أقوال ، أبعدنا عن ظاهر اللفظ قول الشيخ محمد عبده : « التين إشارة إلى عهد الإنسان الأول - يريد آدم - ... والزيتون إشارة إلى عهد نوح وذريته » وهذا التفسير بعيد عن أصول اللغة وقواعدها حيث لا دليل على هذا التأويل ، وظاهر القول أن المراد هذا التين الذي يؤكل وهذا الزيتون الذي يعصر ، وأقسم سبحانه بهما للتنبيه إلى فوائدهما أو إلى أرضهما القريبة من طور سيناء أو غير ذلك ، وما أكثرنا نجهل ٢- ﴿وطور سينين﴾
الحبل الذي كلم الله عليه موسى وتقدم في الآية ١٢ طه و ٢٠ المؤمنون ٣- ﴿وهذا البلد الأمين﴾
مكة المكرمة ، ومثله تماماً لا أقسم بهذا البلد - البلد ٤- ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾
هذا جواب القسم وهو المقصود من هذه السورة ، والمعنى خلق سبحانه الإنسان في أجمل شكل ، وأشرف عقل ، وأحسن قوام . وأحكم نظام ، فالأليق به أن يعمل ما ينسجم مع عقله وشكله ، وفي نهج البلاغة ، « وآخر قد تسمى عالماً وليس به ... فالصورة صورة إنسان والقلب قلب حيوان » وتقدم في الآية ٦٤ من غافر . ٥- ﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾
خلق سبحانه الإنسان في أحسن تقويم ، وكرمه وفضله على كثير من خلق كما في الآية ٧٠ من الإسراء ، فكان عاقبة أمره عذاب المحرق بسوء فعله ، ومعنى هذا أن الإنسان الضال المنحرف أسوأ حالاً وعاقبة من الحيوان ، لأن الحيوان غير محاسب ولا معاقب حتى ولو قتل واقترب لأنه لا يصدر عن حقد وتجاوز الحد كالإنسان ، بل عن طبعه وفطرته التي فطره الله عليها ، وهذا هو المراد برد الإنسان القاسد المعاند إلى أسفل سافلين أي إلى نار الجحيم ٦- ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾
لكن الإنسان الطيب الذي احتفظ بإنسانيته ، وشكر نعمة الله عليه ، وقدر الكرامة التي خصه بها حتى قدرها ، ونزهها عما يشين - فهو عند الله في أعلى عليين ، وتقدم في الآية ٨ من فصلت وغيرها . ٧- ﴿فما يكذبك بعد بالدين﴾
ما الذي حملك أيها الكئود العنود على الكفر بدين الله وحسابه وجزائه وقد

فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۖ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ۝

(٩٥) سُورَةُ التِّينِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا مَن تَارَتْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَٰذَا
الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ
تَقْوِيمٍ ۝ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝
فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالذِّينِ ۝ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ
الْحَكِيمِينَ ۝

(٩٦) سورة العنكبوت كريمة وَأَيُّهَا السَّمْعُ عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَأَ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ
مِنْ عَلَقٍ ۝ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ
بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ كَلَّا إِنَّ
الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَإِطْعَىٰ ۝ أَن رَّاهُ اسْتَعْصَمَ ۝ إِنَّ إِلَىٰ
رَبِّكَ الرَّجْعَ ۝ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا
إِذَا صَلَّىٰ ۝ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهَدْيِ ۝
أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ۝ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝
أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ۝ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا

عرفت - ان كان لك عقل وقلب - أنه تعالى خلقك بشراً
سويّاً ، وكرمك بخير الصفات وأحسنها ؟

٨- ﴿ أليس الله بأحكم الحاكمين ﴾ ومن حكمه
بالحق والعدل أن يبعث الخلق غداً ليجزي الذين أساءوا بما
عملوا ويجزي الذي أحسنوا بالحسن . ومن الجهل والإعترار
أن يسيء الإنسان ويظن أنه مغفور عنه ومغفور له .

سورة العنكبوت مكية وآياتها تسعة وعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ الخطاب لرسول
الله (ص) وهو أول نزول الوحي عليه ، والأمر بالقراءة
يرادف الأمر بالعلم . وفي القرآن عشرات الآيات ترفع من
شان العلم وتنمي على الراسخين فيه ، وقد عرف واعترف
الجاهل قبل العالم والبعيد قبل القريب أنه ما من دين على وجه
الأرض حث على العلم وطلبه كدين الإسلام ، وأعظم تكريم
للعلم أن يكون الأمر به هو الأمر الأول في القرآن وعقيدة
الإسلام . أما قيد العلم باسم الله في هذه الآية فهو إشارة
إلى أن العلم بشئ أنواعه يجب أن يكون للخير لا للشر للحياة
والبناء لا للهدم وأسلحة الموت والقضاء ، للعدل والمساواة لا
للتسلط والمهوى ، وللتنافس على لقب الأعظم والأقوى .

٢- ﴿ خلق الإنسان من علق ﴾ جمع علقه وهي الدم
الجامد في رحم المرأة ، ومن خلق الإنسان السوي من هذه
العلقة فهو قادر على أن يجعل من محمد الأمي رجل العالم
بكامله ٣-٥- ﴿ اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم ... ﴾

أمر سبحانه أولاً بالعلم وهو معرفة الشيء على حقيقته ، ومكانه الفكر ، ويعبر عنه باللسان تارة وحيثاً بالكتابة ، والإنسان
يستغنى وينفع الآخرين بفكره ولسانه ما دام حياً ، ولا يبقى شيء من علمه إلا ما كتبه بقلمه ، وللكتابة من الفوائد ما لا
يبلغه الإحصاء ، من ذلك أنها تربط المستقبل بالماضي ، وتنشر العلم في شرق الأرض وغربها ، وتجعله مشاعاً للجميع ،
وإلى هذه النعم وغيرها يشير قوله سبحانه : « علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم » ولكن الله سبحانه لا يقذف العلم
بالقلب ، ويمتحنه لأحد إلا بالجد والمتابعة في البحث والمطالعة ٦-٧- ﴿ كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ﴾ كل المفسرين
قالوا : المراد بالغنى المال وسعته ! ولكن سياق الكلام وحديثه عن العلم يدل أن المراد به العلم بعمامة ومصانع الأسلحة المدمرة
بخاصة ، وأن من يملكها يحاول جاهداً أن يخفض العالم لا استغلاله وسيطرته كما هو الشأن في العهد الراهن وهكذا تردامعاني
القرآن وضوحاً كلما تقدم الزمان ٨- ﴿ ان إلى ربك الرجعى ﴾ إليه المرجع والمصير وللطفة عذاب السعير .

٩-١٠- ﴿ أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى ﴾ لا يفعل الخير ، وينهى عن فعله ١١- ﴿ أرأيت إن كان على
الهدى ﴾ هل هذا الذي نهى عن الخير هو على حق في نهيه ؟ ١٢- ﴿ أو أمر بالتقوى ﴾ أو أن نهيه عن عبادة الله
وأمره بعبادة الأصنام هو أمر بقوى الله وطاعته ١٣- ﴿ أرأيت إن كذب وتولى ﴾ لقد كذب بالحق وأعرض عنه .
١٤- ﴿ ألم يعلم بأن الله يرى ﴾ ألا يخشى عذاب الله الذي يعلم سره وعلايته .

١٥- ﴿ كلا لئن لم ينته ﴾ ويرجع عن فساده وعناده ﴿ لنسفعا ﴾ السفعا : الأخذ ، والأصل لنسفعن بنون التوكيد

الخشيفة ، وكتبت ألقاً لأنها كالتونين ﴿ بالناصية ﴾ الشعر في مقدم الرأس ، يجر به إلى النار .

١٦- ﴿ ناصية كاذبة خاطئة ﴾ أي صاحبها كاذب خاطئ ، والفرق بينه وبين المخطئ أن الخاطئ يفعل الجريمة عن عمد وعلم ، والمخطئ من غير قصد وعزم .

١٧- ﴿ فليدع ناديه ﴾ ليستنصر الطاغية يوم الجزاء

بأعدائه وجلسائه في النادي ليدفعوا عنه سوء العذاب .

١٨- ﴿ سدد الزبانية ﴾ ملائكة العذاب الشداد الغلاظ تقوده إلى مقعده ومثواه في نار لا يخمد لهيها ، ولا ينتهي أمدھا

١٩- ﴿ كلا لا تطعه ﴾ لا تطع أيها المؤمن بل ولا تسمع لدعوة من ضلَّ سبيل الرشاد ﴿ واسجد واقترب ﴾ ﴿ تقرب إلى الله بالسجود له لا إلى سواه . والسجود هنا من العزائم الأربع من سورة فصلت وسورة السجدة ألم تنزيل وسورة النجم وسورة العلق

سُورَةُ الْقَدْرِ كَيْفَ هِيَ مَجْمُوعٌ لَهَا

بُشْرَى الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ

١- ﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر ﴾ نزل القرآن على محمد (ص) بين وقت وآخر ، ولم يوح إليه جملة واحدة ، وابتدأ نزوله في ليلة القدر ، وهي ليلة عبادة وخشوع وإحدى ليالي شهر رمضان إجماعاً وستة وكتاباً بنص الآية ١٨٥ من البقرة « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن » معطوفة على « إنا أنزلناه في ليلة القدر » واختلفوا في تحديدها وتعيينها فن قائل :

بِالنَّاصِيَةِ ۝ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۝ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ۝ كَلَّا لَا تَطَّعُهُ وَآتَجِدْ وَأَقْتَرِبْ ۝

(٩٧) سُورَةُ الْقَدْرِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا الْخَيْرُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝ تَنْزِيلُ الْمَلَكِ ۝ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ۝ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۝

هي ليلة ٢٧ وقائل : بل ١٩- أو ٢١- أو ٢٣ .

٢- ﴿ وما أدراك ما ليلة القدر ﴾ هذا تعظيم لشأنها .

٣- ﴿ ليلة القدر خير من ألف شهر ﴾ أي من عمل الخير في ليلة القدر كتب الله له أجر من عمل الخير في ألف شهر ، قال الرازي في تفسير هذه الآية : « وهذا كقول النبي (ص) لعلّي (ع) : لمارزة عليّ مع عمرو بن ود أفضل من عمل أمني إلى يوم القيامة ، فلم يقل مثل عمله بل قال أفضل كأنه يقول : حسبك من هذا من الوزن والباقي جراف » .

٤- ﴿ تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ﴾ الروح : جبريل ، وضمير فيها يعود إلى ليلة القدر . والمعنى الظاهر أن الله يأمر في ليلة القدر الملائكة بالنزول إلى كل مكان من أجل كل شيء . هذا هو الظاهر وما زاد يحتاج إلى دليل ، وفي شتى الأحوال فإن هذه الآية تعظيم لليلة القدر وإنها رحمة للذين آمنوا وعملوا فيها صالحاً .

٥- ﴿ سلام هي حتى مطلع الفجر ﴾ تمتد ليلة القدر من الغروب إلى الفجر ، وأي عمل فيها لوجه الله تعالى فهو أمان لفاعله من غضب الله وعذابه يوم تجزى كل نفس بما كسبت .

سُورَةُ التَّيْنَةِ مَكِّيَّةٌ مَثْنَى خَمْسِينَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(٩٨) سُورَةُ التَّيْنَةِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا مَا كَانَتْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ
مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۖ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ
يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً ۖ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ۖ وَمَا
تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ
الْبَيِّنَةُ ۖ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ
الَّذِينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ
وَذَلِكَ دِينُ الْقِيمَةِ ۖ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا

١- ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة﴾ أهل الكتاب في اصطلاح القرآن هم اليهود والنصارى ، والمشركون هم عبدة الأصنام والأوثان من العرب وغيرهم ، قال الشيخ الطبرسي في جوامع الجامع : كان أهل الكتاب وعبدة الأوثان يقولون قبل بعثة النبي (ص) لا تنفك عن ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود المكتوب إسمه في التوراة والإنجيل ، وهو محمد المقصود بكلمة البينة أي الحجة الواضحة .

٢- ﴿رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة﴾ المراد برسول الله محمد ، وبالصحف القرآن ، والجمع باعتبار تعدد سورته ، أو أوراقه ، ومطهرة : منزهة عن الباطل والتحريف .

٣- ﴿فيها كتب قيمة﴾ ضمير فيها يعود إلى الصحف ، والمراد بالكتب أن القرآن فيه بيان الكثير مما أنزل في الكتب السماوية السابقة كصحف إبراهيم وتوراة موسى وإنجيل عيسى وزبور داود ، والمراد بالقيمة المستقيمة على الحق ونهجه . وقد تلا رسول الله ذلك على أهل الكتاب والمشركين الذين سمعوا أوصاف محمد من اليهود والنصارى ، ولكنهم نكثوا وأخلفوا بما وعدوا إلا قليلاً .

٤- ﴿وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة﴾ اتفق أهل الكتاب على نبوة محمد قبل البعثة لوجود النص عليه في التوراة والإنجيل ، ولما بُعث اختلفوا فيه وتفرقوا ، فمنهم من آمن ، ومنهم من كفر ، وتقدم في الآية ١٤ من السورى .

٥- ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين لن الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾ حنفاء : جمع حنيف وهو من استقام على الحق مائلاً عن الباطل ، والمعنى أن الله سبحانه أمر أهل الكتاب بالتوحيد والإستقامة على الحق . وأن يصلُّوا ويؤدوا زكاة أموالهم ، وعذا هو دين الكتب السماوية المستقيمة على الصراط القويم ، ولكن أهل الكتاب خالفوها وحرّفوها .

٦- ﴿إن الذين كفروا ...﴾ وماتوا على الكفر والشرك أولئك هم شر الأشرار ومآلهم إلى النار ، وتقدم مراراً .

الإعراب :

﴿منفكين﴾ خبر لم يكن . و﴿رسول﴾ بدل من البينة . و﴿من الله﴾ متعلق بمحذوف صفة لرسول . و﴿فيها﴾ خبر مقدم و﴿كتب﴾ مبتدأ مؤخر والجملة صفة لصفح . و﴿مخلصين﴾ حال من فاعل ليعبدوا . و﴿الدين﴾ مفعول مخلصين . و﴿حنفاء﴾ حال ثانية . في نار جهنم خبر إن الذين كفروا . وأولئك مبتدأ أول وهم مبتدأ ثانٍ وشر خبر الثاني والجملة خبر الأول . وأبدأ ظرف زمان متعلق بالخلود ومؤكّد له .

٧- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ كل من آمن بالله وحسابه وجزائه ، وحمل بين جنبيه روحاً أبية وإرادة قوية تدفع به إلى عمل الخير وقول الصدق ونصرة الحق ، وتحول بينه وبين الباطل والحرام - فهو من خير البرية بنص القرآن الكريم ، أما من يمالئ الكفرة ، ويعين الظلمة ، ويصاحب الطغاة ، ويتخذ أعداء الله أولياء ونصراء - فهو شر الأشرار وأقذر الأقدار .

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ الرَّابِعَةُ ﴿٩٩﴾ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ هذا تخويف من أهوال القيامة حيث تضطرب الأرض ، وتهتز اهتزازاً شديداً ، وتقدم مرات ، منها في الآية ٤ من الواقعة .

٢- ﴿وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ ما طوته في جوفها من أموات وكنوز وحضارات .

٣- ٤- ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ ثارت على أهلها ؟

٤- ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ أي يظهر ما يحدث للأرض ويحل فيها من خراب ودمار .

٥- ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ أوجد الأسباب الموجبة لخراب الأرض .

أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿١﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٢﴾ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٣﴾

(٩٩) سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ الرَّابِعَةُ
وَأَيُّهَا الْمَاهِتَاتُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ

إشارة:

وتسأل: هل المؤمن والكافر في ذلك سواء أم أن من كفر بالله لا يقبل منه عمل الخير ولا يثاب عليه حتى ولو أتى به لوجه الخير والانسانية؟ الجواب: كل شيء بحسابه، فإذا فعل الكافر خيراً بُعِذَ بعذاب الكفر، ويُجْزَى على عمل الخير بما تستدعيه الحكمة الإلهية من ثواب الدنيا أو التخفيف من عذاب الآخرة. وتكلمنا عن هذا الموضوع مفصلاً في ج ٢ ص ٢١١ بعنوان: الكافر وعمل الخير. المئين

الإعراب:

﴿زلزالها﴾ مفعول مطلق. وماها؟ مبتدأ وخبر. و﴿يومئذ﴾ تحذف: «يومئذ» بدل من «إذا» لأنها بمعنى حين. والمصدر من ﴿أن ربك﴾ أوحى متعلق بتحدث. ويومئذ منصوب بيصدر. وأشتاتاً حال. والمصدر من ﴿ليروا﴾ متعلق بيصدر و﴿خيراً﴾ تمييز مبين لثقال ذرة لأن المعنى ذرة من خير، ومثله شراً.

٦- ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالُهُمْ﴾
يصدرون : يخرجون من القبور ، أشتاتاً : متفرقين تبعاً لأحوالهم
ومراتبهم ، وليروا أعمالهم : ليُجازوا عليها بما يستحقون إن
خيراً فخير وإن شراً فشر ، وهذا معنى قوله تعالى :

٧-٨- ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ وقال الرسول الأعظم (ص) : إياكم
ومحقرات الذنوب ، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه .
وقال الإمام أمير المؤمنين (ع) : « أشد الذنوب ما استهان
به صاحبه » .

سُورَةُ الْعَادِيَاتِ كَذَلِكَ هِيَ الْخَيْرُ عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١-٥- ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا فَالْمُغِيرَاتِ
صُبْحًا فَأَنْزَلَ بِهِ فُوسْطَنَ بِهِ جَمْعًا﴾ العاديات : من العدو
وهو الجري ، والمراد بها خيل الجهاد لردع الطغاة بالخصوص ،
والمشار إليها في قوله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة
ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم - ٦٠ الأنفال »
والضبح : أنفاس الخيل ، والموريات قدحاً : من وري الزند
إذا خرجت ناره ، والمراد هنا أن الخيل تضرب الصخرة بحوافرها
فتقدح شرراً ، والمغيرات : من أغارت الخيل على العدو إذا
هجمت عليه ، والققع : العيار ، والمراد بالجمع هنا جمع
الأعداء الطغاة وقد يقال : وأية حكمة من ذكر الخيل والقسم
بها في كتاب الله ؟ الجواب : الإسلام دين الحياة والعدل
والمساواة ، ولا عدل بلا قوة منفذة وراعدة كما أن القوة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَدِيَّتِ ضَبْحًا ۝ فَالْمُورِيَّتِ قَدْحًا ۝
فَالْمُغِيرَتِ صُبْحًا ۝ فَأَنْزَلَ بِهِ نَقْعًا ۝ فَوْسَطْنَ
بِهِ جَمْعًا ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۝ وَإِنَّمَا
عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝
* أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝ وَحُصِّلَ

بلا عدل ظلم وفساد ، وكانت الخيل هي القوة الأولى في الحرب آنذاك ، وتسمى خيل الجهاد بخيل الله ، ومن هنا رفع سبحانه
من شأنها ، وأوجب على المسلمين العناية بها لصيانة الحق والعدل من عبث المعتدين .

٦- ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ وهو من كفر بنعمة الله عليه ، والمعنى أكثر الناس لا يؤدنون النعمة ، ولا يشكرونها
بالتضحية والبذل في سبيل الله .

٧- ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ الضمير في أنه يعود إلى الإنسان ، والمعنى تصرفات الإنسان تشهد عليه أنه كافر
بأنعم الله .

٨- ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ المراد بالخير هنا المال ، ولا بأس بحبه شريطة أن لا يُنسي الوقوف بين يدي الله
للمحاسب عليه ، وإلا أخذ بأقسى العقوبات .

٩- ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ على الإنسان أن يعلم ويوقن بأنه خارج من قبره للمحاسب والجزاء لا محالة .
الإعراب :

﴿ضَبْحًا﴾ مصدر في موضع الحال أي ضابحة . و﴿قَدْحًا﴾ مفعول مطلق للموريات لأن الوري فيه معنى القدح ، فهو مثل قمت
وقوفاً . و﴿صُبْحًا﴾ منصوب على الظرفية . فأنزل النون علامة التانيث . ونقماً مفعول به ، ومثله جمعاً ، وقال أبو البقاء : جمعاً حال .

١٠-١١ ﴿ وَحَصَلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴾ ظهر ما فيها من النيات والمخبات . ولا رحمة أو عفو عن شيء لمن طغى وبنى على عباد الله وعباله ، لأن من لا يرحم لا يرحم .

سُورَةُ الْقَارِعَةِ مَكِّيَّةٌ وَهِيَ ثَمَانِيَةٌ وَخَمْسُونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١-٣ ﴿ الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴾ اسم من أسماء القيامة لأنها تفرغ القلوب بأحوالها ، أما الإستفهام والتكرار فلمجرد التهويل والتخويف ، عسى أن يتقي من كان له قلب وسمع .

٤-٤ ﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴾ في انتشارهم وحيرتهم وتساقط أكثرهم في النار ، وفي الآية ٧ من القمر : يخرجون من الأحداث كأنهم جراد منتشر .

٥-٥ ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴾ العهن : الصوف ، ونفسه أن تتفرق شعراته بعضها عن بعض ، وتقدم في الآية ٩ من المعارج .

٦-٦ ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾ بإخلاصه في نيته وصدقه في كلامه وصلاحه في عمله .

٧-٧ ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ أي يرضاعا وبها بها .

٨-٨ ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴾ يخبت السريرة وسوء العمل .

٩-١٠ ﴿ فَأَمَّهُ هَٰوِيَةٌ ﴾ المراد بالأم هنا المقر والمأوى لأن الولد يأوي إلى أمه ، أما الهاوية فقد أوضحها سبحانه بقوله :

١١-١١ ﴿ نَارُ حَامِيَةٍ ﴾ وفي نهج البلاغة : زنا أنفسكم من قبل أن توزنوا ... واعلموا انه من لم يعن على نفسه حتى يكون له منها واعظ وزاجر لم يكن له من غيرها لا زاجر ولا واعظ .

مَا فِي الصُّدُورِ ﴿ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾

(١٠) سُورَةُ الْقَارِعَةِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا إِحْدَى عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ﴿ مَا الْقَارِعَةُ ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿
يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿ وَتَكُونُ
الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ
مَوَازِينُهُ ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ
مَوَازِينُهُ ﴿ فَأَمَّهُ هَٰوِيَةٌ ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴿
نَارُ حَامِيَةٍ ﴿

الإعراب :

القارعة مبتدأ ، ما القارعة « ما » مبتدأ ثانٍ والقارعة خبر والجملة خبر المبتدأ الأول . وما أدراك « ما » مبتدأ وجملة أدراك خبر . ما القارعة مبتدأ وخبر يوم منصوب بفعل محذوف أي تحدث القارعة يوم يكون الخ . ماهية « ما » خبر مقدم وهي مبتدأ مؤخر والهاء للسكت . نار خبر لمبتدأ محذوف أي هي نار حامية .

سُورَةُ التَّكْوِيْنِ بِرَبِّهِمْ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُ الْحُكْمُ إِنَّ رَبَّهُ لَسَدِيدٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿أَلْهَآكُمُ التَّكْوِيْنُ﴾ شغلكم عن الحق وصالح الأعمال التضاهي والتباهي بكثرة الأموال وتبذيرها على الفساد والمظاهر الفارغة .

٢- ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ حيث يتساوى العبد ورب الصولجان .

٣-٤- ﴿كَلَّا﴾ ارتدعوا عن التكاثر والتفاخر ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ما يحل بكم من العذاب .

٥- ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِيْنِ﴾ مصير الطغاة والمفاسخين لارتدعتم عن الفخر والتفاخر ، قال الإمام علي (ع) : ضع فخرك ، واحطط كبرك ، واذكر قبرك ، فإن عليه مورك .

٦- ﴿لَتَرْوُنَّ الْجَحِيْمَ﴾ هذا تهديد لمن أنكر عذاب الآخرة .

٧- ﴿ثُمَّ لَتَرْوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِيْنِ﴾ ويقال لكم : ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون .

٨- ﴿ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيْمِ﴾ يسألون عن الأموال التي كانوا بها يفاخرون ويباهون : من أين اكتسبوها ؟ من كد اليمين أو السلب والنهب ، وأيضاً يسألون : في أي شيء أنفقوها في حلال أو حرام ؟ ثم يعرضون على الجنة ، ويقال لهم : انظروا جيداً هل هذا هو الغنى والنعيم أم أموالكم في الحياة الدنيا ، ثم يقادون إلى عذاب الحريق ليزدادوا ألماً على ألم .

سُورَةُ النَّازِعَاتِ بِرَبِّهِمْ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُ الْحُكْمُ إِنَّ رَبَّهُ لَسَدِيدٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿وَالْعَصْرِ﴾ اختلفوا في المعنى المراد من العصر ، على أقوال : أقربها أنه الوقت والزمان الذي تقع فيه الأفعال والحوادث ، والسياق يعزز ذلك ، فإن قوله تعالى بلا فاصل : ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ يشعر بأن الإنسان الخاسر هو الذي لا يفتنم فرصة الوقت ، ويبادر إلى عمل ينتفع به قبل فوات الأوان ، ومن الحكم الخالدة : الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما .

٢-٣- ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الْإِعْرَابُ :

﴿كَلَّا﴾ حرف ردع وزجر والثانية والثالثة تأكيد . لو تعلمون الجواب محذوف أي لما أهلكم التكاثر . أو لارتدعتم عما أنتم فيه . ﴿وَالْيَقِيْنِ﴾ مفعل مطلق وهو من باب إضافة الشيء إلى نفسه مثل مسجد الجامع . لتروُنَّ اللام في جواب القسم . لتروُنَّ تأكيد لتروُنَّ . لنسألن اللام في جواب القسم . ويومئذ منصوب بتسألن .

(١٠٢) سُورَةُ التَّكْوِيْنِ
وَأَسْمَاُهَا ثَلَاثٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلْهَكُمُ التَّكْوِيْنُ ١ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِيْنِ ٥ لَتَرْوُنَّ الْجَحِيْمَ ٦ ثُمَّ لَتَرْوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِيْنِ ٧ ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيْمِ ٨

(١٠٣) سُورَةُ النَّازِعَاتِ
وَأَسْمَاُهَا ثَلَاثٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ٢ إِلَّا الَّذِينَ

ءَامِنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا
بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

(١٠٤) سُورَةُ الْمَعَارِجِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا أَسْنَعُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾
يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾
وَمَا أَذْرَكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الَّتِي تَلْوَدُّ
الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئَةِ ﴿٦﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ﴿٧﴾
فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴿٨﴾

الصالحات ﴿٣﴾ المراد بالخسر هنا الخسر في الآخرة كما
نطقت الآية ١٥ من الزمر : « قل إن الخاسرين الذين خسروا
أنفسهم وأهلهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين .. وعليه
يكون المعنى أن كل ما يملكه الإنسان من غرائز ومواهب
ومتناصب .. وكل جهد يقوم به أو ربح يكسبه في الحياة الدنيا -
فلا يغني عنه شيئاً يوم القيامة إلا ما كان لوجه الله والخير ويؤكد
هذا المعنى قوله تعالى : « فاذكروني أذكركم - ١٥٢ البقرة »
﴿ وتواصوا بالحق ﴾ أي أوصى بعضهم بعضاً بفعل الواجبات
وترك المحرمات ﴿ وتواصوا بالصبر ﴾ بالثبات على طاعة
الله ، وتحمل المشاق والمكروه في سبيلها وسبيله . ونقل عن
الشافعي أنه قال : لو لم ينزل من القرآن سوى هذه السورة
لكفت الناس .

سُورَةُ الْمَعَارِجِ مَكِّيَّةٌ وَهِيَ تَشْتَبِهُ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿ ويل لكل همزة لمزة ﴾ الويل : الحزي والهوان .
والهمز واللمز والغمز بمعنى واحد في القرآن ، قال سبحانه :
« وإذا مروا بهم يتغامزون - ٣٠ المطففين ... هماز مشاء بنميم -
١١ القلم ... ومنهم من يلمك في الصدقات - ٥٨ التوبة »
والمراد واحد في هذه الآيات وهو الطعن والعص والنهش في
أعراض الناس .

٢- ﴿ الذي جمع مالا وعدده ﴾ يعده شغفاً وتلذذاً .
وهو الذي دفعه إلى الحط من كرامة الناس .

٣- ﴿ يحسب أن ماله أخله ﴾ أيظن أن هذا المال

يدفع الموت عنه أو ينجيهِ من حساب الله وعذابه ؟

٤- ﴿ كلا ﴾ لا تجديه الأموال نقعاً ، بل « يحسب عليها في نار جهنم - ٣٥ التوبة ﴾ لينبث في الحطمة ﴿ هي
جهنم تحطم الطغاة ، وتدمر المتعطرين .

٥- ﴿ وما أدراك ما الحطمة ﴾ إنها فوق الصور .

٦- ﴿ نار الله الموقدة ﴾ نار الغضب لا نار الفحم والنفط والحطب ، نار قال لها الجليل كوني أشد من نار الدنيا
ألماً وعذاباً فكانت ... رحماك يا الله رحماك على من حمل القلم وسهر الليالي الطوال لإعلاء كلمتك .

٧- ﴿ التي تطلع على الأفئدة ﴾ تحرق وتكوي من يستحق العذاب ، وخصَّ سبحانه الأفئدة بالذكر ، لأنها
مواطن الحقد واللؤم والحسد .

٨- ﴿ إنها عليهم مؤصدة ﴾ مطبقة لا مفرَّ منها إلا إليها ، وتقدم في الآية ٢٠ من البلد .

٩- ﴿ في عمد ممددة ﴾ عمد : جمع عمود ، وممددة : مطولة ، وهذا كناية عن شدة الإطباق والإحكام .

(١٠٥) سُورَةُ الْفِيلِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا خَمْسَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾
الَّذِينَ جَاءُوا مِنْ قَادِمٍ قَادِمٍ رَجُلٍ
فِي تَضَلُّلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾
تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴿٥﴾

(١٠٦) سُورَةُ قُرَيْشٍ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا ثَلَاثٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قُرَيْشٌ ﴿١﴾

سُورَةُ الْفِيلِ مَكِّيَّةٌ وَفِيهَا خَمْسٌ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾
الخطاب لرسول الله (ص) ظاهر وعام واقفاً ، لأنه يشير
إلى قدرة الله وعظمته . والإسغهام لتقرير الواقع وتوكيده .
والغاية من هذه السورة التنبيه إلى أن الله يقصم ظهور الطغاة
الجبابرة ، أما أصحاب الفيل فهم قوم من الأحباش قادمهم رجل
اسمه أبرهة ، يركب أضخم الفيلة ، وقد توجه بهم إلى مكة
لهدم الكعبة ، فانتقم الله منه ومنهم بأسراب من الطيور الصغار ،
ترميهم بحصى لا تصيب أحداً إلا نثرت لحمه ، وأوهنت
عظمه وبهذه المعجزة سلمت الكعبة من أيدي الأشرار . وفي
هذه السنة ولد الهدى وأضاء الكون بنور الرسول الأعظم (ص) .

٢- ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلُّلٍ﴾ أي في تضليل ،
والمعنى أحبط خطتهم وأبطل كيدهم .

٣- ٤- ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ أفواجاً تطهرهم
بأشد العذاب وهو حجارة ﴿من سجيل﴾ طين متحجر .

٥- ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ العصف : ورق الزرع
وتبنه ، والمعنى أنهم صاروا كالريم .

سُورَةُ قُرَيْشٍ مَكِّيَّةٌ وَفِيهَا ثَلَاثٌ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قُرَيْشٌ﴾ الإيلاف : من الإلفة والإئتلاف
وقريش : تصغير قرش بمعنى التجار ، والمراد بها هنا قبيلة سيد الكونين محمد (ص) .

٢- ﴿إِلَّا هُوَ رَحْلَةُ الشَّاءِ وَالصِّيفِ﴾ اعتادت قريش أن ترحل للكسب والتجارة في العام مرتين : صيفاً إلى الشام ،
وشاءاً إلى اليمن .

الإعراب :

﴿كَيْفَ﴾ مفعول مطلق لفعل لأن المعنى أي فعل فعل ربك . و﴿تَرَ﴾ هنا معلقة عن العمل لوجود كيف التي لا يعمل ما قبلها فيما
بعدها . و﴿أَبَابِيلَ﴾ صفة للطير ومعناه جماعات . و﴿كَعَصْفٍ﴾ الكاف بمعنى مثل وهي مفعول ثانٍ لجعل .

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ يتعلق بقوله تعالى : ﴿فَجَعَلَهُمْ﴾ ، في آخر السورة السابقة أي ان الله أهلك اصحاب الفيل لتطعن قريش في
بلدها ، ومن جعلها سورة مستقلة قال : لا يلاف قريش يتعلق بقلعدها ، او يمحذوف أي اعجبوا لا يلاف قريش . وايلاف بدل من
ايلاف قريش . و﴿رَحْلَةَ﴾ مفعول ايلافهم . فليعبدها مجزوم بلام الأمر . و﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ﴾ صفة لرب هذا البيت .

٣- ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴾ فهو أولى الناس بأن يوحدوه ويفردوه بالتعظيم والتتزيه عن الند والشريك ، ولماذا ؟ لأنه هو :

٤- ﴿ الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾ وإذا عطفنا قول الرسول الأعظم (ص) : « كاد الفقر يكون كفراً » على هذه الآية التي ربطت بين دعوته تعالى إلى عبادته تعالى وبين التذكير بنعمته - ظهر لنا بوضوح أن الفقر والحرمان إذا سيطر اتخذ منه الشيطان وحزبه منفذاً إلى التشكيك في الله وعدله ورحمته ، والمسؤول الأول عن سيئات الفقر وآثامه هم الأغنياء الذين يستأثرون ويغصبون الحق المعلوم الذي فرضه سبحانه في أموالهم للسائل والمحروم ، ونذكر للمرة الثالثة أو الرابعة قول الإمام جعفر الصادق (ع) الذي دونه صاحب الوسائل في أول باب الزكاة : إن الناس ما افقرُوا ولا احتاجوا ولا جاعوا ولا عروا إلا بذنوب الأغنياء ، وحقيق على الله تعالى أن يمنع رحمته من منع حق الله في ماله . و أخيراً روى الشيعة الإمامية عن أهل البيت (ع) : « لا تجمع بين سورتين في ركعة واحدة إلا الضحى وألم نشرح ، وألم تر كيف وإبلافاً قرش »

سُورَةُ الْمَاعُونِ كَيِّدٌ مَعْنَى

بشرية الله تعالى

١- ﴿ أرأيت الذي يكذب بالدين ﴾ أرأيت : هل تعرف ؟ والدين : الإيمان بالله واليوم الآخر ، وبشريته التي بلغها سبحانه للخلق لسان أنبيائه ورسله والمعنى ، فإن كنت

وَالصَّيْفِ ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴾ الَّذِي
أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿

(١٠٧) سُورَةُ الْمَاعُونِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا النَّاسُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْدينِ ﴿ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ
الْبَيْتِ ﴿ وَلَا يُحِضُّ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿
فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ
سَاهُونَ ﴿ الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤْنَ ﴿ وَيَمْنَعُونَ
الْمَاعُونَ ﴿

لا تعرف من كفر بكل ذلك فاعلم أنه :

٢- ﴿ فذلك الذي يدع اليتيم ﴾ يزجر . والمراد باليتيم هنا كل ضعيف لا نصير له ولا مجبر ، وفي نهج البلاغة : ظلم الضعيف أفحش الظلم ، وفي الحديث : « من أعان ظالمًا وهو يعلم أنه ظالم فقد برئ من الإسلام » وبالأولى الظالم ، ومعنى هذا أن الظالم يعامل في الآخرة معاملة الكافر لأن الآية ربطت بين ظلم اليتيم والتكذيب بالدين . أجل إذا نطق الظالم بالشهادتين يعامل في معاملة المسلم في الدنيا ، أما في الآخرة فلا تنفعه الشهادتان شيئاً حتى ولو صلى وصام وحج إلى بيت الله الحرام ٣- ﴿ ولا يحض على طعام المسكين ﴾ المراد بالحض هنا التعاون مع الآخرين على الإهتمام بشأن المعوزين والعاطلين عن العمل ، وتقديم في الآية ٣٤ من الحاقة وغيرها ٤- ٥- ﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾ والمراد بالمصلين والساهين هنا المنافقون الذين لا يؤمنون بالله من الأساس فضلاً عن الصلاة له ، لقوله سبحانه في تحديدهم :

٦- ﴿ الذين هم يراعون ﴾ وكل من يفعل الخير لغير وجه الله والخير فهو مراءٍ ، ومن أوضح العلامات الدالة عليه أن يترك أو يكسل إذا كان وحده ، وبشطا إذا كان أحد عنده .

٧- ﴿ ويمنعون الماعون ﴾ هذا تصوير للمنافقين ودليل على أن صلاتهم للناس لا لله ، ووجه الدلالة أنهم لا يدفعون أحداً ولا يعينونه بأشياء كإعارة الآنية أو الكتاب أو القلم ، ولو كانوا من أهل الدين لنفعوا وأعانوا تقرباً إلى الله أما الصلاة فيأتون بها لأنها بالمجان .

سُورَةُ الْكَوْثَرِ رَبِّكَ يَذْكُرُ لَكَ وَلَكَ نِإْيَاتُكَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١٠٨) سُورَةُ الْكَوْثَرِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا ثَلَاثُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝
إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝

(١٠٩) سُورَةُ الْكَافُرُونَ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا سِتُّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝
وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ۝
وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝

١- ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ﴾ يا محمد ﴿الكوثر﴾ : مبالغة في الكثرة ، وقد أعطى سبحانه محمداً (ص) ما لم يعطه للملك مقرب ولا لنبي مرسل ، من ذلك ذكر صفاته وعلاماته في الكتب السماوية السابقة ، وأخذ الميثاق على النبيين بالتبشير به ، وأعطاه شخصية معجزة خارقة تماماً كالقرآن ، إلى غير ذلك مما يستوعب مجلدات . وقال لي قائل : إن محمداً لم يقل : فاسألوني قبل أن تفقدوني كما قال علي . فقلت له : إن محمداً (ص) قال أعظم من هذا بكثير . وذلك قوله : «إنما بعثت لأنتم مكارم الأخلاق ... مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ويتمجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ فأناب اللبنة ، وأنا خاتم النبيين » .

٢- ﴿فصلِّ لربك وانحر﴾ اشكر ربك يا محمد على نعمه الكبرى عليك بالإخلاص له في الصلاة وذبح الأضاحي والقرابين لوجهه الكريم .

٣- ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ الخطاب لمحمد (ص) . والشانئ : المبغض من الشئان بمعنى العداوة ، والأبتر : منقطع الذكر والأثر ، وهذه الآية رد على أحد رؤوس البغي والشرك حيث قال : محمد أبتر لا ولد له ، فإذا مات انقطع ذكره بموته ، فأكذبه سبحانه بأن عدو محمد هو الأبتر الذي لا يذكر إلا باللعنات وأقبح السيئات ، أما محمد فيذكر بالصلوات وأكمل الصفات .

سُورَةُ الْكَافُرُونَ رَبِّكَ يَذْكُرُ لَكَ وَلَكَ نِإْيَاتُكَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ قال الرواة والمفسرون : جاء نفر من المشركين إلى رسول الله (ص) وعرضوا عليه أن يعبدوا إلهه سنة ، ويعبدوا إلهه سنة ، وينتهي ما بينه وبينهم من صراع . فقال لهم : ليس الخلاف فيما بيننا على حكم وسلطان ولا على عقار وأموال كي نشترك ونقسم ، وإنما هو خلاف في الدين والمبدأ الذي لا يقبل تقسيماً ولا مصالحة إلا أن يتنازل أحد الطرفين ويؤمن بفكرة الآخر ... ومعاذ الله أن أشرك به . وأنتم ترفضون التوحيد بإصرار واستكبار ، وإذن :

٢- ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ كفوا عني ، وأكف عنكم وندع الحكم لله العليم الحكيم . أما التكرار ﴿لَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ...﴾ فهو لمجرد الإشارة إلى أن كلا من الطرفين ثابت على مبدئه ومصرّ على موقفه ، وبهذا التوكيد الوطيد يش الكفار من محمد (ص) وأيقنوا أن الأمر جد وليس بالهزل . وأنهم أمام رجل لا ككل الرجال .

(١١٠) سُورَةُ النَّصْرِ هَلْ نَبَا
وَأَيُّهَا الْمَلَائِكَةُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ
فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۚ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ
إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝

(١١١) سُورَةُ الْمُسْتَلَمَةِ كَيْفَ
وَأَيُّهَا الْمَلَائِكَةُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يُدَا أَيْ لَهَبٍ وَتَبَّ ۚ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا

سُورَةُ النَّصْرِ هَلْ نَبَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ هذه بشارة من الله سبحانه لنبيه الكريم يفتح مكة والنصر على أعداء الله وأعدائه وبهذا الفتح والنصر أظهر سبحانه دينه ، وأنجز وعده في قوله الكريم : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون - ٣٣ التوبة » حتى قادة الشرك استسلموا واضطروا للإذعان ، قال الدكتور طه حسين في كتاب مرآة الإسلام : « شهد أبو سفيان بين يدي محمد (ص) : لا إله إلا الله وأظهر التردد في الشهادة بأن محمداً رسول الله ، ولكنه اضطر آخر الأمر إلى أن يعلنها » .

٢- ﴿ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ ﴾ وهو الدين الذي آمنت به يا محمد ودعوت إليه وقلست الكثير في سبيله ، ورفضت من أجله المال والملك وقلت فيما قلت : لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري عن أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أنه أهلك فيه ما تركته . فماذا ترى الآن ؟ لقد عوضك الله بخير منه ملايين المرات .

٣- ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ اشكره على هذه النعمة الجلى ... وهكذا كل من أطاع الله وعفَّ عن حرامه أحرز عنده عوضاً عنه ما هو خير وأبقى ﴿ واستغفره إنه كان تَوَّابًا ﴾ كان العديد من الصحابة يستعجلون النصر ، ويأخذهم القلق والضمير من التأخير ، والنبي (ص) يقول لهم : وعدني به ربي وهو آت لا محالة ، وقوله تعالى : « واستغفره » فيه تعريض بهؤلاء المستعجلين القلقين ، وأنه كان عليهم أن يصبروا ويثقوا بوعد الله ، ويغفلوا على خواطر النفس ووساوسها .

سُورَةُ الْمُسْتَلَمَةِ كَيْفَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- ﴿ تَبَّتْ يُدَا أَيْ لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ التَّبُّ : الهلاك والخسران ، وتبت دعاء بالهلاك ، وتب إخبار بأن الهلاك واقع لا محالة ، وأبو لهب أحد أعمام النبي (ص) واسمه عبد العزى ، وكان كثير البغض والأذى لرسول الله (ص) وقال الرواة : نادى محمد الناس في ذات يوم ، فلما اجتمعوا ومنهم أبو لهب قال : لو أخبرتكم بعدو يوزوكم أنصديقوني ؟ قالوا : أجل . قال : أنا نذير لكم بين يدي عذاب . فقال أبو لهب . ألهذا جمعنا تباً لك . فنزلت هذه السورة ، ولفظها يشعر بذلك .

٢- ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾ المال مادة الشهوات في الدنيا ، أما نعيم الآخرة فهو وقف على من اتبع الهدى ، ونهى النفس عن الهوى .

الإعراب :

جملة « يَدْخُلُونَ » حال من الناس أي داخلين ورأيت بصريّة تعمل في مفعول واحد ، وهو هنا الناس . و« أَفْوَاجًا » حال ثانية .

من ص ٤٨٠ إلى الأخير

٣- ﴿يَسْجَلِ نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ﴾ أعدت له ولكن من نهب وسلب .

٤- ﴿وَأَمْرَاته حَمَلَةَ الْحَطَبِ﴾ هي أم جميل بنت حرب أخت أبو سفيان وعمه معاوية ، والحطب كناية عن لؤمها وإثمها الذي قادها إلى النار .

٥- ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ الجيد : العنق . والمسد : الليف ، والمعنى ستخفق وتشتق غداً بحبل من نار جهنم ، وهذا النوع من العذاب معد لكل من يمشي بالنميمة لأنها مهنة أم جميل كما قيل .

سُورَةُ الْاٰخِرٰتِ كَبِيرَةٌ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

١- ﴿قُلْ هُوَ اللّٰهُ أَحَدٌ﴾ تكلم الفلاسفة قديماً وما زالوا : هل لهذا الكون من خالق ومبدأ أول ؟ وعلى فرض وجوده : هل هو واحد أو أكثر ؟ وأثبتنا فيما سبق بالعديد من الأدلة وبأساليب شتى تبعاً لموضوع الآيات - وجود الخالق الواحد - والآن ونحن نفسر سورة الإخلاص نشير إلى دليل التوحيد بهذه الإشارة الخاطفة ، وهي أن نفس الدليل على وجود الخالق يدل تلقائياً على أنه واحد سواء أكان هذا الدليل الأفعال والآثار التي تدل على الفاعل والمؤثر أم كان انتهاء الموجود الممكن إلى واجب الوجود حيث لا أثر طبيعي في الكون يومية من قريب أم بعيد أنه صادر عن أكثر من واحد ، بل بالعكس هو الصحيح لأن وحدة النظام والتدبير تدل على وحدة المنظم

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

قُلْ هُوَ اللّٰهُ أَحَدٌ ۝ اللّٰهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝

(١١٣) سُورَةُ الْفَلَقِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا الْجَمِيعُ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِن شَرِّ

والدبر ، وأيضاً يستحيل أن يكون للعالم إلهان ، لأنه لا يخلو من أحد فرضين : إما أن يكون كل منهما قادر على خلق الكون مستقلاً ومن دون معين وشريك ، وإما أن يكون عاجزاً عن ذلك إلا بمعين وشريك ، وعلى الفرض الأول يكون وجود أحدهما كعدمه ولزوم ما لا يلزم ، وعلى الثاني يكون فقيراً وضعيفاً ، وتعالى رب العالمين عن هذا وذلك . فتعين التوحيد ونفي الشريك والمثل ٢- ﴿اللّٰهُ الصَّمَدُ﴾ قاضي الحاجات بلا امتنان وأتمان ٣- ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ بالناسل كالإنسان والحيوان ، بالنشوء كالنبات لأن الولد بضعة من والده ، ثم يورث حتى يكون مثيلاً له ، وهو سبحانه واجب الوجود لا يتفصل عن ذاته شيء ، وليس كمثل شيء ٤- ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ لأن كل مولود حادث يتبدى وجوده بتاريخ ولادته ، والله هو الأول الذي لا أول لأوله ٤- ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ في ذاته وصفاته وأفعاله .

سُورَةُ الْفَلَقِ كَبِيرَةٌ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

١- ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ أعوذ : أعتصم وأستجير . والفلق : الصبح ، وفي الآية ٩٦ من الأنعام « فائق الأصباح » أي شق عمود التور من ظلمة الليل ٢- ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ أي من كل شر سواء أكان طبيعياً كالزلازل والصواعق ، أم من حشرة سامة كدغ العقرب ولسع الحية بأم من فعل الأشرار كالحقد والحسد والعدوان والظغيان ، أم من سوء اختيار المنعوز والمستجير كالعجب والغرور . والقول بلا علم وكل الانتقاء الأخيار يخافون من غلبة الهوى ويتعوذون بالله منه ، ويستمدون

العون من فضله على أنفسهم .

٣- ﴿ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ الغاسق : الليل المظلم والوقب : الدخول ، والمراد بشر الليل ما يحدث من مكروه .

٤- ﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ ليس المراد بالنفثات جماعات السحرة كما قيل ، بل المراد كل مشعوذ محتال سواء أنفخ في العقد مدعيًا تسخير الجن أم لم ينفخ . وخص سبحانه النفث بالذكر لأنه مظهر من مظاهر التدليس والتبليس ، أما الرواية القائلة بأن النبي (ص) سُحرفيجب طرحها لأنها تناقض القرآن في قوله : « ولا يفلح الساحر حيث أتى - ٦٩ من طه » وأيضاً كَذَّبَ سبحانه المشركين الذين قالوا عن الرسول المعصوم : « إن تبعون إلا رجلاً مسحوراً - ٤٧ الإسراء » .

٥- ﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ الحاسد هو الذي يتمنى زوال النعمة عن أهلها وهذه الأمانة من أمهات الآثام وكبارها ، وفي الحديث : « الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب ... المناقح يحسد ، والمؤمن يغبط » أي يتمنى أن يكون له من النعمة مثل ما لأخيه دون أن يرغب في زوالها عنه .

سُورَةُ النَّاسِ تَنْتَبِهُنَّ فِي سِتِّ الْيَوْمَاتِ

بشهر المحرم الحرام

١- ٣- ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ ملك الناس إله الناس ﴿

قال الشيخ الطبرسي وغيره من المفسرين : رب الناس : خالقهم ومربيهم ، وملك الناس : سيدهم والمتصرف فيهم ، وإله الناس : معبودهم الذي يستحق العبادة دون سواه . وقال الله تفضلت أسماؤه : « أَيُّ مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى - ١١٠ الإسراء » ومعنى هذا أن جميع أسمائه مرادفة تعبر عن شيء واحد وهو الجلال والكمال .

٤- ٥- ﴿ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾ الذي يوسوس في صدور الناس ﴿ الوسواس : اسم من وسوس إليه الشيطان أي كلمه بصوت خفي ، والخناس : اسم فاعل للذي يخنس أي يتأخر ويتراجع إذا ذكر اسم الله تعالى . والمراد بالوسواس الخناس هنا حديث النفس وهواها الذي إذا سلطت عليه العقل والإيمان يزول ويضمحل ، ومثاله أن يعرض عليك أحد السماسرة الأبالة ألوف الليرات لتضل عن طريق الحق والعدل ، فتوسوس النفس الأماراة لك وتزين أن تسمع له وتستنجب ، وعليك في مثل هذه الحال أن تجمع قواك وتملك نفسك . وتعتصم بالله ذاكرًا أمره ونهيه وغضبه وعقابه ، وأنت لو مددت يدك إلى المال الحرام لتمتعت به قليلا ، ثم إلى أسوأ المصائر والخسائر . وتقدم في الآية ٢٠ من الأعراف .

٦- ﴿ مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ الوسواس نوعان : الأول خفي كالوهم وحديث النفس وهو المراد بالجنة من جنّ فلان الشيء إذا ستره وأخفاه . الثاني ظاهر كالإعلانات والدعايات المضللة في العهد الراهن . وهذا الوسواس من شياطين الإنس الذين يلبسون الحق بالباطل ، ويخدعون البسطاء بالتحريف والتزييف . ونعوذ بالله من إثارة العاجلة على الآجلة . ونشكره على ما وفق وأعان ، وصلى الله على محمد وآله الذين ارتضاهم خزنة لعلمه وولادة لأمره .

غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿

وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿

(١١٤) سُورَةُ النَّاسِ مَكِّيَّةٌ
وَلَا يَأْتِيهَا سُبْحَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿ مَلِكِ النَّاسِ ﴿

إِلَهِ النَّاسِ ﴿ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿

الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿ مِنْ الْخَبَةِ ﴿

وَالنَّاسِ ﴿

فهرس السور

رقم الصفحة	اسم السورة	رقم الصفحة	اسم السورة	رقم الصفحة	اسم السورة
٢	سورة الفاتحة	٤٢٠	سورة الأنبياء	٦٢٩	سورة فصلت
٣	سورة البقرة	٤٣٢	سورة الحج	٦٣٨	سورة الشورى
٦٢	سورة آل عمران	٤٤٥	سورة المؤمنون	٦٤٧	سورة الزخرف
٩٧	سورة النساء	٤٥٦	سورة النور	٦٥٦	سورة الدخان
١٣٤	سورة المائدة	٤٧٠	سورة الفرقان	٦٦٠	سورة الجاثية
١٦٢	سورة الأنعام	٤٧٩	سورة الشعراء	٦٦٥	سورة الأحقاف
١٩٢	سورة الأعراف	٤٩٤	سورة النمل	٦٧٢	سورة محمد
٢٢٦	سورة الأنفال	٥٠٦	سورة القصص	٦٧٨	سورة الفتح
٢٣٩	سورة التوبة	٥٢٠	سورة العنكبوت	٦٨٤	سورة الحجرات
٢٦٥	سورة يونس	٥٣٠	سورة الروم	٦٨٨	سورة ق
٢٨٣	سورة هود	٥٣٩	سورة لقمان	٦٩٢	سورة الذاريات
٣٠٢	سورة يوسف	٥٤٤	سورة السجدة	٦٩٦	سورة الطور
٣٢٠	سورة الرعد	٥٤٨	سورة الأحزاب	٧٠٠	سورة النجم
٣٢٩	سورة إبراهيم	٥٦٢	سورة سبأ	٧٠٤	سورة القمر
٣٣٧	سورة الحجر	٥٧١	سورة فاطر	٧٠٨	سورة الرحمن
٣٤٥	سورة النحل	٥٧٩	سورة يس	٧١٣	سورة الواقعة
٣٦٤	سورة الإسراء	٥٨٧	سورة الصافات	٧١٨	سورة الحديد
٣٨٠	سورة الكهف	٥٩٧	سورة ص	٧٢٤	سورة المجادلة
٣٩٦	سورة مزيم	٦٠٥	سورة الزمر	٧٢٩	سورة الممتحنة
٤٠٦	سورة طه	٦١٧	سورة غافر	٧٣٤	

رقم الصفحة	اسم السورة	رقم الصفحة	اسم السورة	رقم الصفحة	اسم السورة
٧٣٨	سورة الصَّفِّ	٧٨٩	سورة النَّازِعَات	٨١٥	سورة الْقَدَر
٧٤٠	سورة الْجُمُعَة	٧٩١	سورة عَبَسَ	٨١٦	سورة الْبَيِّنَة
٧٤٢	سورة الْمُنَافِقُونَ	٧٩٣	سورة التَّكْوِيْد	٨١٧	سورة الزُّلْزَلَة
٧٤٥	سورة التَّنَافُثِ	٧٩٥	سورة الْاِنْفِطَار	٨١٨	سورة الْعَادِيَات
٧٤٨	سورة الطَّلَاق	٧٩٦	سورة الْمُطَفِّفِيْنَ	٨١٩	سورة الْقَارِعَة
٧٥١	سورة التَّحْرِيْم	٧٩٩	سورة الْاِنْشِقَاق	٨٢٠	سورة التَّكَاثُر
٧٥٤	سورة الْمُلْك	٨٠٠	سورة الْبُرُوج	٨٢٠	سورة الْعَصْرِ
٧٥٧	سورة الْقَلَم	٨٠٢	سورة الطَّارِق	٨٢١	سورة الْهُمَزَة
٧٦١	سورة الْحَاقَّة	٨٠٣	سورة الْاَعْلَى	٨٢٢	سورة الْفِيل
٧٦٤	سورة الْمَعَارِج	٨٠٤	سورة الْغَاشِيَة	٨٢٢	سورة قُرَيْش
٧٦٧	سورة نُوح	٨٠٦	سورة الْفَجْر	٨٢٣	سورة الْمَاعُون
٧٧٠	سورة الْجِنِّ	٨٠٨	سورة الْبَلَد	٨٢٤	سورة الْكُوْنُثُر
٧٧٣	سورة الْمُرْسَل	٨٠٩	سورة الشَّمْس	٨٢٤	سورة الْكَافِرُون
٧٧٥	سورة الْمُدَّثِّر	٨١٠	سورة اللَّيْل	٨٢٥	سورة النَّصْر
٧٧٨	سورة الْقِيَامَة	٨١١	سورة وَالضُّحَى	٨٢٥	سورة الْمَسَد
٧٨١	سورة الْاِنْسَان	٨١٢	سورة الشَّرْح	٨٢٦	سورة الْاِخْلَاص
٧٨٤	سورة الْمُرْسَلَات	٨١٣	سورة التِّيْن	٨٢٦	سورة الْفَلَق
٧٨٦	سورة النَّبَا	٨١٤	سورة الْعَلَق	٨٢٧	سورة النَّاس